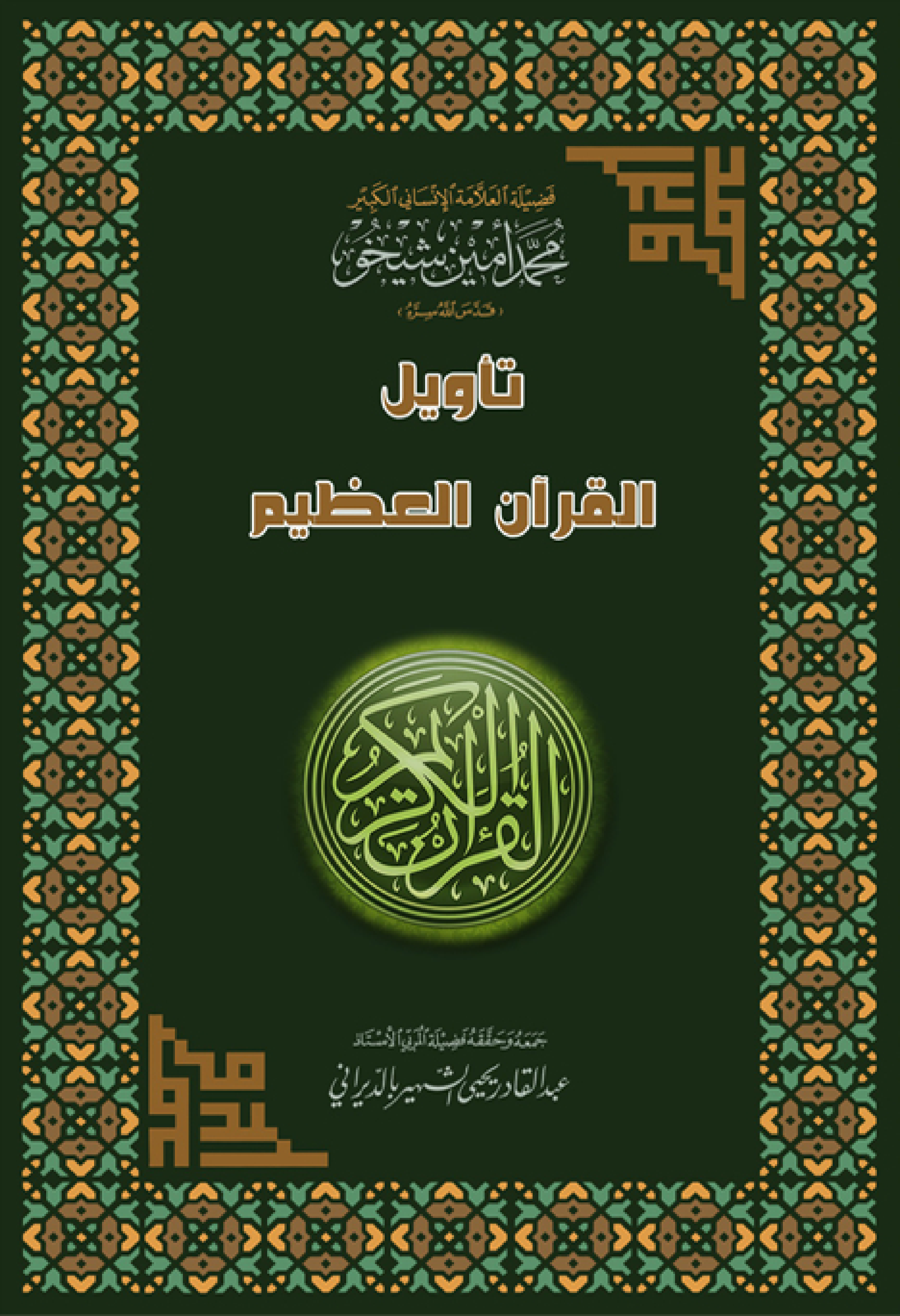


فضيلة العلامة الإنساني الكبير
محمد أمين شيخو
(قدس الله سره)
تأويل
القرآن العظيم
القرآن الكريم
جمعه وحققه فضيلة المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

تأويل القرآن العظيم

أنوار التنزيل وحقائق التأويل

§§§§

لفضيلة العلامة الإنساني الكبير
محمد أمين شيخو
قدَّس الله سرّه

§§§§

جمعه وحققه المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

§§§§

Published by
Amin-sheikho.com

موقعنا على شبكة الإنترنت:

www.amin-sheikho.com
info@amin-sheikho.com

الإهداء

تنزيل من حضرة الله ورسوله العظيم إلى عباده

الصادقين المخلصين وللحقّ على الباطل ناصرين،

الذين يبغون وجْه الحقيقة والحقّ والدين،

ولو عارضت آراء المنحرفين، بل لو أطبق ضدّهم

آل الثقلين... من لا يخشون في الحق لومة لائم...

ولا ينزاحون عن طلب اليقين من ربّ اليقين...

... الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى...

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأُسد في آجامها تجم

مقدمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ}[1]

أبت الرحمة الإلّهية أن تترك الأمة الإسلامية تتخبط في بحر لجيّ لا يدري خائضه فيم أبحر وإلام سيرسو!

لا يحظى بصيد ولا ماء غَدَقٍ يُغني نفسه عن حب الدنيا وزيفها.

يضيع في علوم الكلام والتفاسير ذات الأوجه المختلفة المتناقضة... والاغترار بزخرف الأقوال دون حقائق معانيها.

مُلتهٍ بالخيالات والأوهام... تجده في أمسيات عمره يرى قلبه فارغاً من أي معنى للإسلام، عاجزاً عن مُتع الدنيا وشهواتها بسبب الهرم والشيخوخة... فيقع صريع نزوات نفسه وسقوطها المريع، فالقنوط واليأس من الداريْن.

فإما أن يفسق فيرتع بين الجفاء والعمى والغفلة والعتو وهو مذموم ضعيف البنية لاقتناص الملذَّات وبالحقائق المفيدة جاهل، عندها يجفو، فيحتقر الحق وأهله، ويمقت سماع كلام الله الشافي المنير للقلوب، وينسى الذكْر ويتبع الظن، وهو في حردٍ مع خالقه لا ينفك عن نجوى الشيطان، فيطلب المغفرة دون توبة ولا استقامة.

ولكن لِمَ والحق الآن ظاهر بين يديه؟!

أوْ قد يجني على نفسه بأن يعيش كالأنعام بل أضل سبيلاً، تاركاً ما خوَّله الله وراء ظهره.

يحسب غيَّه رشداً، تغرُّه الأماني بالشفاعات وغيرها... ولكن هيهات فلا شفاعة بِلا عمل صالح، فلا بدَّ من ساعة تأخذه فيها الحسرة والندامة، وتنتهي قضيته بانكشاف الغطاء عنه بالموت، فيبدو له ما لم يكن يحتسب، يصيبه صَغارٌ بعد استكبار، ويجد أمنياته التي طالما نسج عليها سراباً. أو أن يسجد لشمس الحضارة، فينهل من معينها الآسن الممقت للنفوس مع عجزه وعاره، فتقبح عنده الحسنات، وتحسن السيئات، لسانه عربي واسمه مسلم وقلبه أعجمي...

تراه في شقاق يسلك الوعر من الطريق، تعترض عليه أموره فلا يجد مخرجاً ولو كان ضيقاً... كأنما تهوي به الريح في مكان سحيق، تضيق عليه دنياه رغم وسعتها، تراه يتحشرج ويزفر زفرات ملؤها الضيق والضنك، فما الذي دهاه؟!

وهو المسلم التالي لكتب العلوم الإسلامية، المصلي والصائم، لِمَ لمْ يُسقَ ماءً غدقاً؟ كما استقاه السابقون الأولون صحب رسول الله ﷺ ومن تابَعهم بإحسان!

أم أن هناك محاباة إلّهية! ... وحاشاه تعالى.

وهناك من يتعمق مُغالٍ لا ينيبُ للحق، ولا يزداد إلا غرقاً في غمرات وطيَّات المخطوطات، ينشد الضياء في الليل، وأنَّى له النور، فما أقدم إلى جانب ربه:

---

[1] سورة يوسف – الآية:106.

{..**وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**}[2] يترك كلام الخالق العظيم ويلتمس بغيره النور، كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح. يتخبط في دوَّاماتٍ من الوساوس والأوهام والمغالاة بالدسوس الآسنة. ينازعُ في الرأي مع طول لِجاجه، يدَّعي الفهْمَ مع عظيم جهله بابتعاده عن كتاب الله.. يجادل من غير هدى ولا علم ولا كتاب منير...

{**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللَّهُ..**}[3] يعجبه رأيه، يهوله ما بين يديه من عبادةٍ ألفى عليها آباءه، فينكص على عقبيه، ممترٍ في الدين، متردد في الرِيَبْ، يصدّ الناس عن كتاب الله من حيث يدري أو لا يدري بتحويلهم إلى زخرف القول المدسوس بالكتب غروراً، تطؤه سنابك الشياطين، مستسلماً لهلكة الدنيا والآخرة، ويعلم لمن اشترى عمله ما له في الآخرة من خلاق...

مُستبدِلاً الذي هو أدْنى بالذي هو خير من المضلِّين الضالين عن عمد بلا حجة ولا برهان ولا دليل.. من كثرت غوائلهم، ولم تؤمَن بوائقهم، يحللون ما حرَّم الله، ويحرمون ما أحل الله على هواهم ورأيهم الخاطئ.

ولكن: {**... وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**}[4].

وها قد أشرقت الأنوار ففاضت بالبركات، واستضاءت حِكَمٌ من ثنايا كلام الإلَه، تهيمن على من سبقها، تدحض بالحجة كل مجادل مناجز لإخلاصها واستظهارها لسلطان الحق القرآن الكريم:

{..**وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**}[5].

هذا كلام خالق الكون وإرادته، فهل من يحول دون إرادته تعالى؟ (إنساناً كان أو جِنّاً، أفراداً وجماعات، جيوشاً وأمماً، ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً)!

مَنْ بيده مقاليد كل شيء من الذرة إلى المجرة، أو يطفئ نوراً هو سبحانه مُتمَّه؟!!

والآن: في هذا السِفر المبارك نجد:

شروحات أتت على آيات باهرة من المراد الإلَهي، والمآل المرام به من قوله تعالى بالقرآن العظيم.

بأسلوبها الساحر للألباب، ببلاغتها السامية التي لا يطار لها بجناح على ما فيها من البساطة في التعبير، فهي بحق من أسلوب السهل الممتنع، جاءت:

لترقى بالإنسانية إلى أفق سامٍ، ولتنزيهها عن الشهوات البهيمية، تأمر بالمعروف ناهية عن المنكر، حاثة على الفضائل والكمال، تقبِّح الرذائل والأوهام، تدعو الإنسان من بني آدم عليه السلام أيّاً كان أبيض أم أسود أم أصفر للأخوَّة والمودَّة بالقربى لإخوانهم بالبشرية، بل الإحسان للخلق كافة، فيكون الإنسان أخاً محبّاً للإنسان.

---

[2] سورة النور – الآية:40.

[3] سورة الأنعام – الآية:93.

[4] سورة التوبة – الآية:32.

[5] سورة الأنفال – الآية:7-8.

وترسم خطة النجاح الحقيقي والفلاح الدائم والسلام، وطريق السلوك القويم الذي سلكه كافة الرسل والأنبياء، وصحب النبي ﷺ الذين سادوا به القارات الثلاث آنذاك، ونقلوا به روحانية الرسول ﷺ لكافة شعوب الأرض، والتي تنقلهم للجنات لعقود خلت، حتى تغنَّى به ﷺ أهل الصين وبلاد ما وراء النهرين بالقول:

أنت شمس أنت قمر أنت نور فوق نور

أنت إكسير وغالٍ أنت يا وجه الســـرور

بهذا السلوك حيث الوصول للإيمان الحق بلا إلّه إلا الله يزول من الإنسان كل أثر لأنانية، ويحيا لنفع إخوانه بالإنسانية، وينقلب القساة الجفاة قدوة برحمتهم للرحماء، ذوو نفوس كريمة، لا يقابلون مسيئاً بإساءته، ولا يحقدون على إنسان، بل إذا ملكوا عفوا، وإذا نالوا أنالوا..

ويعجز البيان ويقصر اللسان عن تبيان ما تتضمنه كل آية، لا بل كل كلمة من كلمات القرآن الكريم من معان، لأنه كلما أقبل الإنسان على خالقه أكثر وأكثر تفتحت له معانٍ جديدة من كلام الله تعالى، وكان الشهود لديه أوسع وأظهر، ولا شك أن هذا رقيٌ ليس له حد ولا انتهاء. ففي بعضٍ من أوائل السور في هذا السفر الكريم نجد الرموز: **(الّمَر، الّر)**، ومن ثم متابعة الخطاب منه تعالى:

{الّر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ...}[6] وغيرها من الآيات، أفلا يجب أن يكون الخطاب بـ **(الّمَر)** موجهاً لشخص؟! أوَ ليست كاف الخطاب بكلمة إليكَ لمخاطَب؟!.

على من أنزل؟!.

أما وضع سبحانه وتعالى هذه الرموز بهذا الشكل ليستحثَّ تفكير الإنسان؟ فإن لم يفكر الإنسان بها كيف يستعظم القرآن؟!

لابُدَّ قبل الختام من الإلماح إلى أننا آلينا على أن يكون هذا السفر المبارك هو ما أُخذ عن لسان العلاَّمة الجليل محمَّد أمين شيخو بالحرف الواحد، متوخين بساطة لفظه، وسهولة أسلوب محاكاته، معرضين في ذلك عن تنميق العبارات وتوشية الكلام، أمانة في النقل دون عدول عن الأصل.

فقد جاء العلَّامة "قدِّس سره" في مجالسه القدسيّة بروعة البيان وتفرّده، وكمال المعنى ووضوحه، وحضور الحقيقة وكمالها، فكانت كلماته تقع في نقطة الهدف وتكون في قلوب السامعين برداً وسلاماً ونوراً يأخذ بألبابهم فتطير بنفوسهم إلى عليين.

بدَّد الظلمة ومزَّق التناقضات وقضى قضاءً مبرماً على مدارس الدسوس والجدل العقيم الذي أقام في عقول الناس فجوة كبرى بينهم وبين ربِّهم، فعرَّف الناس حقيقة الإلّه وكمال صفاته.. ربّاً رحيماً حكيماً عادلاً منْعِماً متفضِّلاً يستحق العبادة لذاته وكونه صاحب الجمال والكمال، فهو الذي لا يُحمد على مكروه سواه لِما يعود على المرء بالشفاء والعطاء، وهو الغني عن العباد وعن ولائنا له وطاعتنا إيّاه، فنحن نحتاج إلى الدخول عليه في حصن الإيمان النوراني فنتَّقي به كل مكروه وسوء.

لقد كان سفر حياته الشريفة ترجمةً عالية ودستوراً واضحاً لما أتى به من بيان مُذهل تنطوي فيه حقائق مدهشة صاعقة تدير الرؤوس وتحني الجباه، فكانت الحقيقة نوراً والصورة برهاناً وكان المثل

---

[6] سورة إبراهيم – الآية:1.

والتطبيق العملي الصحيح عنواناً.. بيان قد عجزت عن مثيله وإلى الآن حضارات العالم وقوانين الدنيا الوضعية..

لِمَ خُلِقنا؟ ولِمَ هذا الكون العظيم، ما فائدة طقوس الدين؟

لِمَ الجوع فالأكل برمضان؟ ما مردود وفائدة الصلاة؟

لِمَ الحج في صحارٍ، لا ماء فيها ولا شجر؟

لِمَ وجدنا؟ وأين كنّا؟ لِمَ الموت وماذا حقّاً بعده؟

ما هي النفس؟ ما هي الروح؟ وما العقل؟

ماهية الجنَّة؟ ماهية جهنم؟

القضاء والقدر؟ عالَم الأزل؟

حقائق وأسئلة غابت عن أذهان الناس، إذ انشغلوا بالدنيا وزخرفها ونسوا أن يبحثوا في ملفات الوجود ويتعرَّفوا على أسراره.

لقد كانت دعوته إلى الله انطلاقاً من منهج لا يعرف الخطأ أبداً:

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[7] على ضوء هذه الآية الكريمة قام يدعو إلى الله ما ينوف عن ثلاثين عاماً بصورةٍ يدور فيها حول النقاط التالية:

تعريف الناس بكمال الله تعالى وبيان رحمته بعباده وعدله في خلْقه، وردّ كل ما علق بالأذهان وما دار على الألسنة مما يتنافى مع العدالة والرأفة والرحمة وسائر الكمالات الإلَهية ونبراسه في ذلك قوله تعالى:

{وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[8]

بيان كمال الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين شهد الله تعالى في كتابه الكريم بطهارة نفوسهم وعصمتهم وجعلهم مُثُلاً عليا للعالمين يقتدون بهم، كما ورد في كتابه الكريم "عصمة الأنبياء" وذلك ما لم تستطعه الأوائل. ودحض كل افتراء أو تفسير يتنافى مع سموِّهم ورفيع مكانتهم متمسِّكاً في ذلك بقوله تعالى:

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ..}[9].

الدعوة إلى التمسُّك بأهداب الشرع الشريف، وتقوى الله حق تقاته مع تحذير الإنسان من أن يُتبع نفسه هواها ويتمنى على الله الأماني راجعاً إلى قوله تعالى:

---

[7] سورة يوسف – الآية:108.

[8] سورة الأعراف – الآية:180.

[9] سورة الأنعام – الآية:90.

{لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}[10]

وقول رسول الله ﷺ:

"الكيّسُ مَنْ دانَ نفسَهُ وعمل لما بعدَ الموْت، والعاجزُ من أتبعَ نفسه هواها وتمنَّى على اللَّه الأماني"[11].

إرشاد الناس إلى خطوات الإيمان الصحيح وفق ما بيَّنه رسول الله ﷺ لأصحابه الكرام أخذاً عن كتاب الله، إذ ما من امرئٍ خالطت بشاشة الإيمان قلبه إلا استقام على أمر الله وكان له رادعٌ من نفسه، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله الكريم: **{. وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ...}**[12]

توقير رسول الله ﷺ وتعظيمه وبيان شأنه العالي عند الله، ثمَّ الإرشاد إلى طريق محبته ﷺ، وبيان ما تثمره محبة تلك النفس الزكية الطاهرة من إقبال بصحبتها على الله واصطباغ النفس المؤمنة المستشفعة بها بكمالٍ من الله تأسياً بقوله تعالى:

{..فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[13]

كان عمراً غالياً ثميناً قضاه هذا الإنسان الطاهر بالجهاد والرغبة في التقرُّب من الله.. وبهذا القرب نال ما نال من درجات وكمال.. وحقَّق ما حقَّق من أمجاد وأعمال مشحونة بالجهاد الإنساني المقدَّس.. وبالتضحيات الإنسانية الكبرى. حتى كانت حياته مثلاً أعلى لسلوكٍ أسمى من أجل نصرة الحق.. ببطولات لا مثيل لها هزمت الباطل وجعلته زهوقاً.

لقد رهن حياته الثمينة بأجمعها لخدمة أخيه الإنسان.. يُسابق عجلة الأيام في جريها ويُضاهي الشمس بنورها.. وقد تحوَّل على يديه ليل الشام إلى نهار لما يسطع عليها من أنوار أعماله وبركات تضحياته، حتى كان يواصل الليل بالنهار متجاوزاً عن راحته ولو لم يطرق النوم له جفناً عدة ليال متواليات باستثناء غفوات، وهو يحاول ويُجاهد في سبيل إنقاذ أخيه الإنسان من مستنقعات الحزن والآلام، غير مبالٍ بما يعترضه من أخطار الموت أو الإعدام، ولا بما يتكبده في سبيل الله من مال أو تنازلات.. وكثيراً ما كان يبقى خاوي الوفاض على الرغم من سابق غناه المادي.. وهنا فلا غرابة ولا غرور أن يفتح الله عليه بليلة مباركة ذلك الفتح المبين حتى يُشاهد ملكوت الإلّه، ويعرج بنفسه في تلك العوالم القدسية العليّة المحمَّدية التي هيَّأها الله له، والتي حصل عليها بصدقه ومجهوده وتضحياته.. كذلك فكل من جاهد لأجلها وصدق في حبِّه وطلبه لله وللرسول ﷺ فالباب مفتوح له ولكل سالك مريد صادق.

لقد نهج العلَّامة بالدين وتأويل القرآن العظيم منهجاً سامياً عليّاً، يسمو بالإنسان لأسمى حياة... لم يكن عليه من سبقه من الكتبة والمفسرين والعلماء السابقين، منهجاً يمكِّن أي إنسان أياً كان مستواه الإدراكي والثقافي أن يدركه بمستواه، ويسعد بمعانيه، ويعلم ساعتها كيف أن القرآن الكريم:

---

[10] سورة النساء – الآية:123.

[11] أخرجه الترمذي

[12] سورة التغابن – الآية:11.

[13] سورة الأعراف – الآية:157.

{الَر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ}[14]: مجملاً ومفصلاً.

لتُعلم حقائق الآيات بدقائقها والمراد منها.

ونهضَ بالدعوة إلى الله فبرهن وأبان الحجج تترى.

كشفَ حقائق المذاهب والطرق الملتوية ودحضها بالمنطق والحجة، فخاطب الإنسان ونفسه، واستنهض تفكيره، وعرض نظام الأكوان وما فيها من إحكام في التسيير وإتقان في صنع الخلْق: من عظمةٍ للجبال.. هي بحقيقتها عظمة خالقها التي أضفاها عليها، ووسعة وعظمة للبحار والسموات أضفاها عليهما أيضاً الواسع العظيم جلَّ شأنه لتصل النفس الطالبة للإيمان لليقين بشهود عظمة الإلّه ووسعته اللانهائية كما آمن وأيقن السابقون الأُول. إذ يأبى الله أن يترك هذا الإنسان المعرِض منغمساً في شهواته، متجرداً عن إنسانيته، مُعرضاً عن موئل الفضائل والمكرمات جلَّ كماله، ضائعاً لا يدرك خيراً من شر ولا حسناً من سيءٍ.

يرى تعاليم الإلّه سجناً وقيداً لطاقاته وإمكانياته وحرِّيته، فأرسل له من يوقظ تفكيره، وينبهه إلى مغبة أمره وعظيم خسرانه، ليأخذ بيده إلى دار السلام حيث الرضى والمكرمات والسعادة والإكرام بالأمان. كل ذلك ليتوب الإنسان وينال المكرمات، ولكي لا يقول غداً وهو بالحسرات:

{.. يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا}[15]

باب التوبة والسعادة مفتوح، فالتوبة بالعجل قبل فوات الأمل.

تقديم المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

[14] سورة يونس – الآية:1.
[15] سورة الفرقان – الآية:27.

تأويل سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: **"لَا صلَاةَ لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"**[1].

وفي حديث آخر: **"مَنْ صلَّى صلَاةً لم يقرأْ فيها بفاتحةِ الكتابِ فهيَ خداجٌ، فهيَ خداجٌ**[2]**"**[3].

فما هي الصلاة؟ وما هو السر الأعظم الذي تنطوي عليه فاتحة الكتاب حتى تتوقف عليها الصلاة؟

الصلاة: هي صلة النفس بربِّها، وارتباطها الوثيق بنور خالقها. تلك هي الصلاة في حقيقتها. وإذا خلتِ الصلاة من هذه الصِّلة والارتباط، فقد أصبحت صورةً لا حقيقة. وهي والحالة هذه مجرد أقوال وأفعال، ولكن كيف تحصل لنا هذه الصلة بربنا؟ وكيف نصل إلى الصلاة في روحها وحقيقتها؟

فالفاتحة إذاً تُريك كمالَ الله سبحانه، وبرؤية الكمال تتولد المحبة وتحصل الصلة، وتلك هي الثمرة المطلوبة من تِلاوتها في الصلاة، وفي كل ركعة من الركعات.

وكلَّما تلا المؤمن فاتحة الكتاب مرةً ازداد في الكمال الإلَهي شهوداً ومعرفة، وسما في محبة الله بصلاته درجة فدرجة، وفي الحديث الشريف: **"الصلَاةُ مِعراجُ المؤمنِ"**[4].

فهي معراج يرتقي بها في محبة الله ومعرفته من حال إلى حال، وهي مِعراج يتدرَّج بها المؤمن في رؤية طريق الفضيلة آناً بعد آن، إِذْ أنَّ النفس بهذه الصلة تستنير بنور الحق، فترى طريق الخير من الشرّ.

والصَّلاة للمؤمن نورٌ وبرهان. قال تعالى: **{إنَّ الصَّلَاة تَنْهى عَنِ الفحشاءِ والمنكرِ وَلَذِكْرُ اللَّه أَكْبَرُ}**[5]

أمَرَنا الله تعالى أن نستعيذ بهِ من الشيطان الرجيم عندما نريد أن نقرأ القرآن: لقوله تعالى:

{فإذا قَرأْتَ القُرآنَ فاستَعِذْ باللّهِ من الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ}6.

فما معنى الاستعاذة؟

وما معنى قولنا باللّه؟

ومَنْ هو الشيطان؟

---

[1] الحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده.

[2] الخداج: النقص. وتقديره: فهي ذاتُ خداج، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، أو فيه مخدجة، فوضع المصدر موضع المفعول.

[3] الحديث رواه مسلم في الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. الموطأ في الصلاة، باب القراءة خلف الإمام. أبو داود في الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته.

[4] وفي كنز العمال (الصلَاة قربان المؤمن) رقم الحديث / 18907 /.

[5] سورة العنكبوت – الآية:45.

[6] سورة النحل – الآية:98.

وما معنى الرجيم؟

الاستعاذة: هي الالتجاء والاحتماء والاعتصام. ولا يكون الالتجاء والاحتماء إلَّا بقويٍ عزيز الجانب.

ولهذا فمعنى أعوذ: أي اعتزُّ وألتجئ وأحتمي بصاحب العزة والقوة ومعنى قولنا بالله، أي بالمطاع، والمطاع هنا: هو الجاري حكمُهُ وأمرُهُ على كل مخلوق بلا استثناء شاء أو أبى "وما في حكمِهِ وأمره إلّا الخير والرحمة".

فكل مخلوق سائر بحسب ما خُصِّصَ من الوظائف، وقائم بما هو مخلوق له من الأعمال، فالجمل مسيَّر مذلَّل لخدمة الإنسان، يحمل له الأثقال، والنحلة مَسوُقَةٌ ومضطرة إلى أن تجمع العسل من الأزهار، والكرة الأرضية مُسيَّرةٌ بأمره تعالى تسبح في الفضاء؛ والقمر مسيَّر يسبح حول الأرض وهو دائب الحركة والدوران؛ وما من دابّة إلا هو تعالى آخذ بناصيتها يسيرها كيف يشاء، والكون كلُّه خاضع لأمر الله؛ ولا يستطيع أن يخرج عن أمر هذا المطاع. وذلك ما نفهمه من كلمة بالله.

والشيطانُ: مأخوذة من شَطَنَ، وشاطَ، وشَطَنَ: بمعنى بَعُدَ عن الحق، وشاطَ: احترق وهلك. فالشيطان: هو البعيد عن الحق المحترق الهالك. فبِبُعْدِه عن طريق الحق أصابه الاحتراق والهلاك.

والرَّجيم: هو المرميُّ دوماً بالعذاب لأنه مطرود من القرب من الله.

والرَّجيم أيضاً: هو الذي ينصبُّ عليه البلاء والشقاء بصورة متمادية، وما أصابه البلاء والشقاء إلَّا ببُعْده وإعراضه. والبعد والإعراض سبب كلِّ بلاء، ومصدر كل شقاء. ومجمل قولنا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي أحتمي واعتز بالمطاع الذي خضع لأمره كل شيء، من الشيطان الذي ببعده عن الحق صار معذباً دوماً، ومحروماً من كل خير.

فإذا التجأتَ بنفسك إلى الله عند قراءة القرآن، وإذا دخلتَ في حضرة المطاع الذي ذلَّت وخضعت لأمره سائر المخلوقات، فهنالك تصبح في حصنٍ حصين وحرز منيع لا يدخله شيطان وتنقطع عنك وأنت في هذا الحصن وساوس الشيطان، ويزول الوَقْر من الأذنين، وينكشفُ الغطاء عن العينين؛ وعندها تسمع الكلام من المتكلم جلَّ جلاله؛ وترى وتشهد ما في أوامره من المنافع والخيرات.

وبعد قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم تستطيع أن تقول:

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

فما معنى بِسْمِ اللَّه؟

وما معنى الرَّحْمن؟

وما معنى الرَّحِيم؟

بِسْمِ: كلمتان وهما: الباء واسم. ولفهم معنى **{بِسْمِ اللَّهِ}** نقول على وجه المثال: إن الحاكم عندما يلفظ الحكم يقول: باسم القانون، أي إنني إنما أحكم وأبيِّن العقوبة التي أمر بها القانون.

ويقول الرئيس: باسم الأمة أتكلَّم، أي: إنني أبيّن ما أمرتني ببيانه وأبلِّغ ما ترغب به. فبناءً على ما تقدم يكون معنى قولنا: باسم الله، أي: إنني إنما أتلو على نفسي وعلى غيري كلام الله، وإنما أبيِّن أمر الإلَه وأُبلغ كلام المطاع.

ولكن ما صفة هذا المطاع؟ إنه: الرَّحْمن الرَّحِيم.

وصفةُ الرحمن تعمُّ كلَّ موجود، ويشمل خيرها كل مخلوق. والرَّحمن: هو المتفضل بالشفاء على جميع المخلوقات، والله تعالى باسم الرحمن يتجلى على المريض والفقير والمهموم والمحزون، فيكون المرضُ والفقرُ والهمُّ والحزنُ، وكلُّ بلاء وعذاب، كلُّ ذلك يكون رحمةٌ من الله، إذْ بها يحصل الشفاء النفسي، والتدرج من حالٍ إلى حال.

فكثيراً ما يكون البلاء سبباً في الرجوع إلى أمر الله، وداعياً يدعو النفس المعرضة إلى الإقبال على الله، وهنالك يحصل لها بإقبالها الشفاء والخلاص مما علق بها من أدران.

وبصورة عامة البلاء لمن يستحقه خيرٌ ورحمةٌ من الله، وهو دائماً يعود على صاحبه بالخيرات.

فباسم الرحمن يعود المرضُ على المريض صحة، وينقلب الفقر غنى، والإخفاق نجاحاً، والعسرُ يسراً، وباسم الرحمن، تتدرج سائر المخلوقات حتى الجمادات والحيوانات في تذوُّق الفضل الإلَهي آناً بعد آن؛ وباسم الرحمن، صارَ خروجك أيها الإنسان من العدم إلى الوجود، وبه تحيا وتنبعث فيك الحياة بعد الموت؛ وباسم الرحمن، يتدرَّج المؤمن في المعرفة الإلَهية من كمال إلى أكمل يوماً بعد يوم؛ وباسم الرحمن يزداد عذاب أهل النار، وهنالك يُنسيهم حريقها الشديد أَلَمَ أمراضهم النفسية التي نشأت بسبب سيرهم مع هواهم في الدنيا وعصيانهم لأوامر رب العالمين، فهم يغيبون في عذاب النار الشديد عن عذاب نفوسهم الغليظ وفتك أمراضها الذَّريع. وباسم الرحمن يتجلى الله في الجنة على المؤمنين.

فيرتقون في منازل القرب، ويعرجون في معارج الكمال، فمن كمال إلى أكمل، وهكذا ولا ينقطع خير هذا الاسم أبداً ولا ينتهي فضل الرحمن.

فالرحمن إذاً هو المتجلي على عباده بالرحمة، وذلك ليس خاصاً بأهل الطاعة من المؤمنين، فالخلق جميعاً تشملهم رحمته تعالى بما يناسب في الدنيا والآخرة. فترى المؤمنين في الجنة يتمتعون بما أعدَّ لهم ربهم وبما يتناسب مع حالهم من النعيم المقيم.

وترى الكفار في النار يداوَوْن على ما فيهم من أمراض بما يناسبهم من عذاب الجحيم، وذلك من الله تعالى رحمة، وهو سبحانه رحمن بخلقه كافة لأنَّ ذاته تعالى رحيم.

الرَّحِيم: هو المتجلي على عباده بالنعمة والخير وهو خاص بأهل الطاعة من المؤمنين، ففي الدنيا يحيون حياة طيبة، وينعمون بفضل ربهم الرحيم، وفي الجنة يتمتعون بما أعدَّ لهم الله فيها من النعيم المقيم.

﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[7]:

لفهم هذه الآية الكريمة نشرح كل كلمة من كلماتها، وعند ذلك نستطيع فهم معناها بمجملها، ولذلك نقول:

الْحَمْدُ: هو ما ينبعثُ في النفس من تقدير المحسن، وما ينشأ فيها من الثناء على المنعم المتفضل، فالامتنان الذي نقابل به من ساق لنا الخير حمدٌ، والثناء الذي نرجع به على من أوْلانا النعمة، وصدَر عنه الخير حمدٌ.

[7] خطاب من رسول الله ﷺ إلى المُؤتمّين به بكل زمان ومكان، لأن وظيفته ﷺ باقية أبد الآباد ولقوله تعالى في سورة الحجر: (وَلَقَدْ آَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآَنَ الْعَظِيمَ).

والحمد كما نرى حالة نفسية تقوم في النفس تجاه المحسن المتفضل عندما نرى فضله وإحسانه، ولا يحمد الشيء إلا إذا كان جامعاً لكلِّ خير من كل وجه، وخالياً من كل شائبة ونقص.

ولا يحمد الشخص إلا إذا كان إحسانه كاملاً، وفضله عاماً، وذلك بعض ما نفهمه من كلمة الحمد.

فَلِمن الحمد يا ترى؟ ومن هو الذي يستحق الحمد فيحمده كل شخص لا بل كل موجود ونفس على كل عملٍ وفعل.

لقد بيَّن لنا تعالى أن الحمد له وحده، ولذلك قال تعالى لله: أي للمطاع. والمطاع كما تقدم معنا في كلمة **{أعوذ باللَّهِ من الشيطان الرجيم}** هو الذي خضع لأمره كل شيء طوعاً أو كرهاً، فهو وحده المسيِّر الذي يسيِّرُ المخلوقات، وهو وحده المتصرف بأمورها يصرفها فيما يعود عليها بالخير كما يشاء.

ونفهم من قولنا الحمد لله:

أي أنّ كلَّ ما يسوقه الله تعالى لعباده كلَّه خيرٌ وإحسانٌ، وكلَّ فعل يقع منه تعالى على خلقه مشحون بالفضل الإلّهي والإكرام، ولا يقتصر هذا على الإنسان بل يشمل كل مخلوق من المخلوقات، فما من واقع في هذا الكون إلا ويحْمَدُ الله تعالى عليه، وإذا انكشف الغطاء فما من مخلوق إلَّا ويحمد الله تعالى على ما ساق إليه، فالمريض يحمَدُ الله تعالى على ما سلَّطه عليه من أمراض، والمهمومُ والمحزون يحمدُ اللَّهَ على ما انزل به من هموم وأحزان، والمجرم إذا سيق إلى النار فإنه يحمدُ الله تعالى على ما يحصل له فيها من الم وعذاب، ولله الحمد في الدنيا والآخرة وعلى كل حال من الأحوال. أي أنَّ كُلَّ ما يسوقه الله تعالى لعباده خير ورحمة وكلَّ ما يعاملهم به فضل وإحسان. وإذا حصلت لك الصلة بالله فعندها ترى تفصيل ذلك، وترى أن الحمدَ كلَّه لله.

فالحمد لله، أي: للمطاع، وهو تعالى مطاعٌ لأنه ربُّ العالمين.

ربُّ الْعَالَمِين: والربُّ هو المربي الذي يُمدُّ الوجودَ بالوجود والنماء والقوة والحياة.

والربُّ: إذاً صاحب الإمداد المتواصل الذي لا ينقطع إمداده عن خلقه طرفَةَ عين ولا أقل من ذلك.

والعالمين: جمع عالم، فالنجوم في الفضاء: عالم، والوحوش في الفلاة: عالم، والطيور: عالم، والأسماك في البحار: عالم، والنحل: عالم، والجراثيم: عالم، والإنس: عالم، والجن: عالم، والكريات الحمراء: عالم، و... و... وفي النباتات عوالم عدة، وكلُّ عالم ينطوي على عوالم... والله تعالى يُمِدُّ هذه العوالم كلِّها لحظة فلحظة وآناً فآناً، وهو سبحانه ربُ العالمين. فالحمد لله المطاع لأنه المُمِدُّ والمسيِّر، يَحْمَدهُ كل شيء لأنه يسيِّره فيما يناسبه وفيما يعود عليه بالخير.

ولكن لِمَ يُعامل اللَّهُ خلقَهُ بالإحسان فلا يسوق لهم إلَّا ما فيه الخير؟ لقد بيَّن لنا تعالى أنه إنما يُعامل مخلوقاته بذلك لأنه الرحمن الرحيم ولذلك قال تعالى:

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

فهو رحمن بخلقه بالشدَّة التي يسوقها للمعرضين علاجاً ودواءً لما فيهم من عللٍ وأمراض، وهو تعالى رحمن بالنِّعْمَةِ وبما يسوقُه من الإحسان والفضل للمحسن المطيع لما استحقه ولما فيه من الصحة والحياة، وهو سبحانه رحمن بهذين الفريقين لأنه ذاته تعالى رحيم.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾:

والمالك صاحب المُلك، وصاحب السلطة والأمر.

والدِّينِ: هو الحق، وتأديةُ الحق لصاحب الحقّ بالحقِّ.

وَيَوْمِ الدِّينِ: يمتدُّ منذ الأزل إلى الأبد فهو يوم واحد لا نهاية له. والمالك فيه ربُّ العالمين.

وفي هذه الآيات الثلاث بيان من الله تعالى للنفس. فإذا عرفت النفس صفات الخالق المذكورة فعندها تخضع له وتستسلم، وتسلِّم أمرها إليه، وإنها لتقول: يا صاحب الحول والقوة يا رحمن يا رحيم ويا مالك يوم الدين لا أعبد سواك.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

و﴿**نَعْبُدُ**﴾: بمعنى نطيع، إذ أن العبادة هي الطاعة، طاعة المولى لسيده، والعبد لخالقه. في هذه الآية الكريمة عهد من العبد يعاهد فيه ربَّه على طاعته في كل أمرٍ من أوامره.

وليست العبادة قاصرة على الصلوات والصيام والحج والزكاة. إنما العبادة كلمة عامة، تدخل في البيع والشراء، وفي معاملة الناس، وكل عمل من الأعمال. فبقولك:

﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾: إنَّما تُعاهد ربَّك على أن تكون عبداً مطيعاً له وحده فلا تطيع معه غيره. مِن بعد أنْ عَرَفت رأفته ورحمته، ومِنْ بعد أنْ شهدتَ جلاله وعظمته.

فأنت تقول ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ ونفسك قد أصبحت في حال لم تجد لها ملجأ إلَّا الله، ولا دليلاً إلى الخير سواه، أي إنك تقول:

أي ربِّ! وأنت المحمود على كلِّ حال، أنت رب العالمين، الرحمن الرحيم المالك لنفسي، والقابض على كل شيء، لم أجد لي مطاعاً أطيعه غيرك، ولا هادياً يهديني إلى ما فيه سعادتي سواك، فأنت ربي المطاع، لا أخرج في سيري عن أمرك، وأنت سيدي المعبود، لا أهتدي في كل عمل من أعمالي إلا بهدْيِكَ. وتقول ذلك وقد انغمستْ نفسُك في جلال الله تعالى وعظمته، وشهدت فضله ورحمته، فوقفت خاشعة في أعتاب حضرته.

ثم تطلب من سيِّدك الرحيم بك أن يمنحك المعونة على السير في طريق الحقِّ، فالشهوات والأهواء تكتنفك، والعوائق والموانع تحيط بك تريد أن تصدَّك. وقد تشتهي نفسك شهوة من الشهوات الخبيثة المحرمة، وتصرُّ عليها، وتلحُّ في طلبها، ويصل جرثومها إلى سويداء نفسك، فإن منعك الله من فعلها ولم يمددك بالحول والقوة فتك جرثوم تلك الشهوة بك، وتسرب إلى كل ذرة من ذرات نفسك، فأصبحت وقد أحاطت تلك الشهوة بنفسك من جميع جهاتها، لا تستطيع منها مخرجاً، ولا تجد إلى الرجوع إلى ربك سبيلاً ومسلكاً، بل تظل نفسك مشغولة بشهوتها.

والشهوة مسيطرة عليها بكليتها وشاغلة ساحتها، ولذلك مِن رحمة ربك أن يُطلقك ويسيِّرك، وهنالك تستطيع أن تفعل ما أصررت عليه، وتصل إلى ما نويت.

وفي الحديث الشريف: "**إنَّما الأعْمالُ بِالنِّياتِ وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى**"[8].

[8] حديث متفق على صحته.

قال تعالى: **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}**[9]، **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُوراً، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً، كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً}**[10].

فإذا نويت نيَّة وعزمت عليها وأصررت، فهنالك الإمداد من الله بالحول والقوة، وهنالك الوقوع في الفعل، وبهذا يجتمعُ جرثوم الشهوة في مكان واحد وتخلو ساحة النفس مما كان يشغلها جميعها، وبعد ذلك يُنزل الله الأمراض بذلك العاصي ويسلِّط عليه المصائب. قال تعالى:

{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[11].

فإن هو بهذه المصيبة أقبل على ربه سرى ذلك النور الإلَهي إلى النفس. وبهذا النور ترى حقيقة شهوتها، وتجد خبثها وعظيم شرها، فتعافُها وتأنف منها، ولا تعود تقع بها، قال تعالى: **{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**[12]

وإن أصابتها المصيبة ولم تقبل على ربها، ظل جرثوم الشهوة عالقاً بها مجتمعاً في جهة من جهاتها، ولا تزال على ذلك حتى يوافيها أجلها، فيكون عذاب القبر أو سعير النار سبباً في إقبالها وشفائها، هذا إن كانت ممن اعتاد أن يقبل وحصلت لها الصلة بربِّها في دنياها. أما إذا كانت كافرة مُعرضة ولم تحصل لها الصلة بربها في الدنيا، ولم تتوصل إلى صفاته تعالى كي تتذوَّق محبته فتشفى ممَّا بها، فهنالك تكون النار سبباً حائلاً يحول بينها وبين ألم الشهوة الخبيثة التي تفتك بها، فتغيب بألم النار الشديد عن ألم داء الشهوة الخبيثة، ومن رحمة الله بها ألَّا يرفع النار عنها أبداً بل تظل دائمة الحريق خالدة فيها.

هذا حال النفس الملوَّثة بجرثوم الشهوات الخبيثة في الدنيا، فالمصائب وعذاب القبر وسعير النار أسباب وعلاجات، تقود النفس إلى الإقبال على الله، وبذلك الإقبال تكون رؤية الحقيقة، ويكون الشفاء من جرثوم الشهوة المحرَّمة، التي علقت بالنفس ساعة الإعراض عن الله.

على أنه إذا استطاع المؤمن أن يقبل على ربِّه الإقبال الصادق، فإنه يرى بنور ربِّه ما في الشهوات المحرمة من شر وأذى، وهنالك يكون الإقبال على الله وقاية له من الوقوع، وتطهرُ نفسه من عللها الخبيثة، فلا يميل إلى المحرمات، ولا يواقعها أبداً، ولذلك أمرنا ربنا أن نصل نفوسنا به دوماً، ونتجه إليه اتجاهاً صادقاً، فنصلي الصلاة الحقيقية التي لا نرى فيها مع ربنا سواه، والله في قبلة أحدنا ما دام في مُصَلَّاه، وتلك هي مشروعية الصلاة. قال تعالى: **{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}**[13]

وبهذه الصورة المذكورة تنهانا صلاتنا، ومن لم تكن صلاته على هذا الوجه ظل أعمى، لا يرى خيراً ولا شراً، فتراه يستحب الشر ويحسبه خيراً.

---

[9] سورة النساء – الآية:115.

[10] سورة الإسراء – الآية:18–20.

[11] سورة آل عمران – الآية:165.

[12] سورة السجدة – الآية:21.

[13] سورة العنكبوت – الآية:45.

قال تعالى: **{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**[14]، ولذلك خوفاً من أن تميل نفوسنا إلى شهوة خبيثة، نطلب منه تعالى أن يمدَّنا بمعونته، فيكون معيناً لنا على رؤية حقيقتها، ولذلك نقول:

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

ولكن ما هذه المعونة التي نطلب منه تعالى؟ إنها هدايته لنا بنوره لنرى خير شهواتنا من شرها ولذلك نقول:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

والصراط هو الطريق. وهداه إلى الطريق بمعنى أرشده إليه، وبيَّنه له، وعرَّفه به، وفي هذه الآية تحصل لك التقوى أي أنك تطلب من خالقك بعد أن التجأت إليه وعذْتَ بجنابه، وصرتَ في حضرته، تطلبُ منه أن يتجلَّى عليك بنوره لترى طريق الحق، وليستبين لك سبيل الرشد.

وبالحقيقة للأشياء صورة وحقيقة فالعين بواسطة نور الشمس ترى من الأشياء صورتها دون حقيقتها. وذلك لأن خيال الجسم إنما يرتسم على الطبقة الشبكية في العين، وهنالك تراه النفس وتشعر به، فالنفس والحالة هذه لا ترى إلا الخيال والصورة، ولا تستطيع أن تشهد الكُنهَ والحقيقة ورؤية الحقيقة لا بد لها من نورٍ قوي أقوى من نور الشمس، ومن بصرٍ نافذ حديد يصل إلى اللب، وذلك النور القوي الذي يكشف لك الحقيقة البيّنة الواضحة، هو نور الله تعالى، وذلك البصر الحديد إنما هو النفس بذاتها وكليتَّها مجرَّدة عن كل حجاب يحجبها، فبهذه الآية الكريمة تُقبل بنفسك على الله وتستهديه، وتطلب منه أن يتجلى عليك بنوره، فإذا صدقت في توجُّهك وطلبكَ فهنالك تحصل لك التقوى، ويكشف لك هذا النور الإلَهي حقيقة الأشياء، فتميز خيرها من شرها، ويكون لك من الله فرقان يُريك طريق الحق واضحاً نيّراً.

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ}**[15].

فهذا النور الإلَهي يضيء للنفس طريق الحق ويريها الخير من الشر، والمؤمن الصادق يستهدي ربَّه في سائر شؤونه ويستلهمه الرشد والصواب في كل أمر من أموره، وفي الحديث القدسي: **"يا عبادي كُلُّكم ضَالٌّ إلَّا مَنْ هديتُهُ، فاسْتَهْدوني أَهْدِكم"**[16].

فإذا حصلت لك التقوى هذه، وصرتَ ذا بصيرة عند تلاوة الآية التي نحن بصددها، فهنالك ترى أن الكون كلَّه مشمول بالعدل، وقائم بالحق، وتشهد أن الخلق جميعاً مسيَّرون على صراط مستقيم، فلا يُسَلَّط الحاكم الغاشم إلَّا على أمرئ مُسيء ظالم، ولا يُعَانُ الجاني المجرم إلا على معتدٍ آثم، ولا يسوق الله صاحبَ المعروف والإحسان إلا لعبدٍ سبق منه المعروف، وصدر منه. الإحسان، ولهذا فإنك تطلب من الله أن يجعل تسييرك على صراط مستقيم يعود عليك بالنعمة والخير فتقول:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾:

---

[14] سورة فصلت – الآية:17.

[15] سورة الحديد – الآية:28.

[16] رواه مسلم.

أي اجعل يا إلَهي عملي كلَّه إحساناً لخلقك، وسَيْري خالصاً في خدمة عبادك، واجعلني ممن عاملوا خلقَكَ بالخير والإحسان، فاستحقوا منك النعمة والإحسان، ولا يتقَّرب المتقربون إليك إلا بخدمة خلقك، فاجعلني يا إلَهي في زمرة عبادك المحسنين، الذين تفانوا في خدمة خلقك، ففازوا برضائك، وكافأتهم على إحسانهم بجنَّتك ونعمتك.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾:

وهم الذين أقروا لك بالربوبية، ولرسولك بالرسالة، فقالوا: لا إلَه إلَّا الله موسى كليم الله، لا إلَه إلَّا الله عيسى من روح الله. لا إلَه إلَّا الله محمد رسول الله ثم حادوا عن طاعتك، ومالوا عن شريعتك، فكانت أهواؤهم مسيطرة عليهم، وشهواتهم غِلاً في أعناقهم، فاحفظني يا إلَهي من أن أكون من هؤلاء المغضوب عليهم، الذين سمعوا كلامك، ثم عصوك، ولم يطيعوا أمرك، فكانت معاملتهم لعبادك مشحونة بالمكر، وملآى بالأذى والشر، وحلَّ عليهم غضبك، وَنَزَلَ بهم سخطُك، لأنهم حَرموا أنفسهم مما أعددته لهم من الفضل والخير، وخسروا ما هيَّأتَهُ لهم من النعيم المقيم.

﴿وَلَا الضَّالين﴾:

وهم الذين لم يهتدوا إليك، بل ضلُّوا عنك، وعن رسلك، وما عرفوا أسماءَك الحسنى، ولم يشهدوا صفاتك العليا، فكان ذلك سبباً في ضلالتهم عن طريق الحق والهدى، فحسبوا عمل الخير خسارة ومغرماً، وظنوا التعدي والمكر ربحاً ومغنماً، فاحفظني يا إلَهي من أن أضل عنك، ومن أعرض عنك استحوذ عليه الشيطان فكانت أعماله كلُّها شراً.

احفظني يا إلَهي من أن أضلَّ عنك فإنك ربٌ رؤوفٌ رحيم، وإنك مصدر كل فضيلة وخير، ومن ضلَّ عنك عاد لا يفعل خيراً أبداً. ومن ضلَّ عنكَ هَلَكَ وخسر خسراناً مبيناً.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البقرة: [01-10]

1- ﴿الٓمٓ﴾: جعل الله تعالى في أوائل السور رموزاً لينتبه الإنسان فيفكِّر، إن لم يفكِّر، فلن يستفيد شيئاً. على الإنسان أن يفكّر بالصلاة وما فيها، بالصوم وأسبابه وموجباته والغاية منه. بالحج والسر العظيم لفريضته، فعليه أن لا يدع قضية إلَّا ويفكِّر فيها. يقولون: ﴿الٓمٓ﴾: "الله أعلم بمراده" فإمَّا أنَّ الله تعالى على حسب ادعائهم لا يعرف دلالة عباده وحاشى لله العظيم ذلك وتعالى علواً كبيراً، حتى جعل لهم أشياء لا يمكن معرفتها، وإمَّا أنَّ الناس لم يفكِّروا فيهتدوا للمراد منها. وهذا هو الأمر الصحيح والواقع الراجح الذي لا ريب فيه. وقد بدأ تعالى السورة بأن خاطب رسوله الكريم بآية: ﴿الٓمٓ﴾ ثم أتبعها بكلمة: ﴿ذَٰلِكَ﴾ المنتهية بكاف الخطاب لندرك أن المعني بالخطاب بآية: ﴿الٓمٓ﴾ إنما هو رسول الله ﷺ فإذا نحن عرفنا أن كلمة: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إنما تشير إلى مخاطب سبق الخطاب إليه، فلا شك أننا حينئذٍ ندرك أن المقصود بكلمة: ﴿الٓمٓ﴾ إنما هو رسول الله ﷺ المنزَّل عليه هذا الكتاب الكريم، فكلمة ﴿الٓمٓ﴾ تقول: يا أحمد الخلق، يا لطيفاً، فأنت أحمد الخلق بمعرفتك التي نلتها، بإيمانك بالله صرت لطيفاً بعبادنا، لذا فكل من تعلَّق بك دخل على الله، وهذه هي الهداية هي أعظم الأعمال وخير الإحسان، لأنك بلطفك، تصل بالمصلّين إلى خالقهم بلطف وهم يشعرون بالصلاة بمعيّتك بمشاعر عالية وإشراقات ولذة محبَّبة، وهذه هي حقيقة الشفاعة، وهي عمل عظيم لك. ﴿م﴾: يا محموداً للمقام العالي الذي وصلت إليه والذي أهّلك بأن تكون شفيعاً للعالَمين أُعطيت هذا العطاء العظيم، يا محموداً فإنك غدوت محموداً عندي وعند الناس، يا محموداً فأنت أحمد الخلق، إذ بقربك مني حمدتني حمداً سبقت به جميع عبادي فكنت أحمدهم لي وأعظمهم تقديراً لفضلي وإحساني، وبذلك صرت لطيفاً، فكل من رافقت نفسه نفسك الطاهرة عرجْتَ به إليَّ ودخلْتَ بنفسه بلطف عليَّ. وبهذا وبفعلك الطيّب صرت محموداً عندي وعند عبادي. فبقراءة هذه الآية: يحصل ارتباط للمؤمن برسول الله ﷺ يدخل بمعيته على الله، فيرى أسماء الله، يرى الرحيم الرحمن فلا يعود يحجبه عن الله شيء.

2- ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾: بتلك الصفات العالية التي نلتها طبع في نفسك الكتاب المنزّل عليك، ما كتب في نفسك، فهو في قلبك مكتوب وكل من أقبل طبع في نفسه. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: فلا خروج ولا انحراف فيه عن الحق يهدي طالبي التقوى. ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾: فلن يهتدي به من لم يكن للتقوى طالباً. كل من صار صاحب عقل يرى ما فيه، فالتفكير شرط أساسي، فإن لم تفكِّر فلا جدوى لك، وإن فكَّرت عندها تطلب الخير الصحيح لنفسك. ما من مخلوق إلَّا ويطلب الخير لنفسه، لكن الأعمى لا يميز بين النافع والضار.

من هم أصحاب التقوى:

3- ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: منهم من يؤمن بالكتاب لأنه كلّه منطق وكمال، لكنّهم لم يشاهدوا حقائق معانيه بعدُ، بل يؤمنون بما أُنزل أنّه حق. ومنهم من يؤمن بالله، الذي أنزله على رسوله بعد التفكُّر بالكون، فهو لا يراه لكنّه يؤمن بآثاره. ومنهم وبعد تعميق بالتفكير بالكون طلباً للإيمان المحسوس الملموس كما وصل سيّدنا إبراهيم عليه السلام فيقتفون أثره بصدق من الخوف مما بعد الموت حتى يشاهدوا أنّ الله موجود وأنه حق، هؤلاء يحبّونه تعالى وتقبل نفوسهم عليه في الصلاة، فصلاتهم شهوديّة. إذن: إذا الإنسان فكَّر بذاته بدون مرشد واستعان بفكره فقط، ونظر في الكون يستدل فيؤمن

بالغيب. هذا الإيمان يكون بأن يفكِّر الإنسان ببدايته ونهايته، كيف خُلق؟ ممَّ خُلق؟ أين كان، كيف تدرَّج في الطفولة والنهاية؟ ما آخر هذه الدنيا، مَنْ قبله أين صاروا ماذا حلَّ بهم؟! مَن المنعم الممدّ؟ عندها يهتدي، يصل للمربي، ثم منه ينتقل للمسيِّر، من الذي يسيِّر الغيوم، الأمطار، الرزق، عندها يؤمن بالمسيِّر بلا إلَه إلَّا الله. إذا آمن بلا إلَه إلَّا الله استقام وتوقف عن الحرام، وتولَّدت ثقة بنفسه عندها يصلِّي. هذا معنى يقيمون الصلاة. ﴿**وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾: بالله. ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**﴾: من الفضل. ﴿**يُنْفِقُونَ**﴾: عندها وبهذه الصلاة يصبح كاملاً ويفعل المعروف، ويعمل العمل الصالح، ينفق من قوَّته، من ماله، جاهه، ما آتاه الله، عندها وبهذه الصلاة يصبح كاملاً. إن فعل ذلك فبما اشتق من كمال يقدِّر أهل الكمال، فيرى ببصيرته رسول الله ﷺ ويحبَّه فيقبل بمعيَّتِهِ.

4- ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾: أصغى بأذنه لما سمعه من رسول الله ﷺ وفكَّر به فآمن بالله، نظر في القرآن فوجده كله ضمن المنطق فاتَّبعه، فكَّر واهتدى. ﴿**وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾: يرون فضل الله تعالى على خلقه جميعاً، إذ علموا أن الله رحيم بعباده كلهم فلا يتركهم بدون أن يرسل إليهم رسلاً. نظر في دلالة الرسل فعرف أنهم كلهم على حق. ﴿**وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾: التفكير بالموت هو أول خطوة. إذا نفسك بعيدة عن فكرك، فكرك لا يهتدي. فالطرفان: الذي فكَّر بنفسه من ذاته والذي سمع من الرسول، إذا فكَّر كلٌّ منهما بالموت خاف فاجتمعت نفسه مع فكره، فيفكِّر بالدلالة فيهتدي للحق ويعلم أن الذي خلق قادر على أن يحيي ثانيةً، عرف أن هناك يوماً يُسْأَلُ فيه عن عمله.

5- ﴿**أُولَئِكَ**﴾: الفريقان. ﴿**عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ**﴾: هؤلاء يصلون لمعرفة المربي. ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾: دنيا وآخرة، إذاً: معرفة المربي تكون بالنظر بالنهاية بالتفكير بالموت، فإذا خشي الإنسان عندها يفكِّر فتقترن نفسه مع فكره فيعرف المربي، وينال الخيرات، فبفعلهم صاروا أهلاً للإحسان الإلَهي.

6-هناك طريقان: المؤمن لـمَّا يفكِّر وجهته الله فيشتق الكمال منه. الكافر وجهته الدنيا، يعرض عن الله فتمتلئ نفسه رذيلة وخبثاً. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: ما رأوا الإحسان الإلَهي كله، فما عظَّموا الله لأنهم لم يفكّروا، هذا لا جدوى له. نفسه شردت بالدنيا بهذه وهذه لذلك لا يؤمن. إن ما أيقنت بالموت تظل نفسك شاردة، لكن إذا أيقنت به اجتمعت وعادت للحق. ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ**﴾: طالما أنه معرض. ﴿**أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾: لا يحصل له ذوق ولا رؤية، فمن لم يفكِّر ولم يؤمن بآيات الله تمتلئ نفسه خبثاً وشهوات، بميل نفسه للشهوات الخبيثة، لذلك يختم:

7- ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾: بإعراضهم، أحدهم لا يعرف ما وراء عمله، عندها يخرج لحيِّز الفعل. يختم على قلبه كالمريض المحتاج لمسهِّل قوي أو عملية شديدة، فالطبيب يطمئنه يسهِّل عليه ذلك حتى يخرج ما فيه. كذلك الله يختم على قلب ذلك المرء حتى لا يرى ما وراء عمله ثم يفعل ما يفعل وبعدها يسوق له البلاء، أي بعد تخلية نفسه مما فيها لعلَّه يرجع للحق. الختم: إمدادهم دون إعطائهم العلاج لأن نفوسهم قد استحال عليها الرجوع للحق. الطبع: يعطيه تعالى ما يريد ولكن مع علاج لإمكان رجوعه للحق. أما الختم: فيأتي بعد الامتلاء بالشيء وهنا امتلأ القلب بالشهوات، فليس هنا مجال للعودة للحق فيعطيه رغائبه كاملةً. صار وعاء نفسه وخم، ولد صغير ببطنه وخم لا نريه ما في المسهِّل من كراهة حتى يشربه ويطهر بطنه من الأوساخ. كذلك ربّ العالمين لا يري المعرض الممتلئة نفسه بالخبث ما وراء وقوعه من شدائد لتخرج الشهوة من نفسه ثم يداوى. ﴿**وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾: توجد على سمعهم وأبصارهم غشاوة لذا لا يسمع النصيحة. فلا بدَّ بعدها من مداواة لإخراج الشهوة. ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: من جرَّاء عملهم. بعد مقارفته شهواته علَّه يرجع للحق، للسعادة، للخير.

8- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾: بألسنتهم، فكرياً، أنه تعالى مسيّر للكون وأنه الخالق، الرزاق، لكنه لو كان مؤمناً حقّاً لما شذَّ ولما فعل المنكر. ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: حقاً. لأنه لم يرَ شيئاً بل قولاً. المؤمن لا يقارف معصية، يقع بالخطأ لا عن تعمُّد.

9- ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: يتظاهر بالصلاة بالصوم، كما يتظاهر بفعل الخير حتى لا يعذِّبه الله بظنه. ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾: بذهابه إلى المسجد عند الأذان وهو يظن أنه يخدعهم، يتظاهر بالصلاح لغايات شخصية. ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: يظن أنه على خير لكنه سيقع بالهلاك. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: بما في خداعهم من الشر، لا تخفى على الله خافية وعمله راجع عليه.

10- سبب ذلك أن ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شهوات، حب الدنيا، الخبث، الرذيلة، في قلبه هذه الشهوات النفسيّة، سبب خداعه حبه الدنيا. ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: يعطيه الدنيا، بأن أخرج لهم شهواتهم، يقضي وطره من شهوة خبيثة، ثم يسوق له البلاء لعلَّه يرجع. وهاك مثالين: كالمشرط عندما يزيد المرض رغم آلامه لابدّ منه لإزالة القيح، كذا بشربة زيت الخروع وما يعقبها من ظهور للمرض، ثمَّ أعقب ذلك الشفاء. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: لإرجاعهم إلى الصواب إلى الحق. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بادعائهم الإيمان والإقبال على الله، ومنشأ كذبهم عدم إيمانهم بالآيات الكونية.

سورة البقرة: [11-20]

11- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: إن قلت له لا تفسد الناس بعملك، بالبناء، الكهرباء، الملاهي، إذا نهيته عن الوقوع فيما يفسد الفقراء في معيشتهم والناس في أعمالهم، يقول لك هذه نِعَمٌ من الله، أترجع بنا إلى القرون الماضية. قديماً ما كان عندهم مدنيّة. ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: هذه الأمور فيها صلاح البشر، فالمذياع من الاختراعات التقدميّة والبناء المرتفع من العمران والمدنيّة، وعلى كلٍّ فنحن في هذه الملاهي نتسلّى تسلية لا نعمل شيئاً.

12- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: يظن نفسه محسناً.

13- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ﴾: إن قيل له انظر مَنْ قبلك وماذا فعلوا. انظر أصحاب رسول الله ﷺ كيف كانوا. ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: الجهلاء، يظن أن أولئك كانوا لا يعرفون المدنية، هؤلاء كانوا جهّالاً، لا مدنيَّة عندهم، أتريد أن تعود بنا إلى عصر ركوب الجمال، وهل نحن خُلقنا للعمل فقط يجب أن نتسلّى. الدنيا مدرسة للاجتهاد لا للفساد. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾: حقاً: ﴿هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما سيحلُّ بهم. يظن أن سيره أحسن. لو أقبل على الله لفتح الله له بصيرته ورأى ما في عمله من سوء ولتباعد عنه.

14- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: تظاهروا. ﴿قَالُوا آَمَنَّا﴾: مثلكم. قال نحن نصلِّي مثلك لا فرق. ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾: المعرضين والكفَّار أمثالهم. ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: بهم، نحن لسنا من أولئك نحن معكم.

15- ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يحتقر عملهم وسيرهم وما هم فيه لأنهم جهلاء، لأن أحدهم يركض وراء أشياء سخيفة ولا يدري ما هو فيه. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: رحمةً بهم. ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: لما فيهم. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتخبّطون في سيرهم في عمى النفس ولا يرون ما فيه ولا ما وراءه. الله تعالى أعطاك الاختيار، اختر ما شئت. الله تعالى حكيم عليم ما تتطلبه نفسك يعطيك إياه، صحة أو مال أو جاه أو رضاء الله.

16- ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ**﴾: الضياع عن الحق ﴿**بِالْهُدَى**﴾: إذ لحق الدنيا وشهواتها. ﴿**فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ**﴾: أعمالهم كلّها تعود بالخسارة عليهم، الدنيا تجارة، الإنسان جاء ليتاجر، إذا اشترى الشيء العالي ربح، إن فعل السوء خسر. ﴿**وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾: لطريق السعادة، ضيَّع شيئاً عالياً بشيء دنيء سخيف. لو اهتدوا لكانت تجارتهم رابحة.

17- ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا**﴾: جدّ في طلب الدنيا. ﴿**فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ**﴾: جمع ما يجمعه الناس من متاع وظنّ أنه سيتنعّم. ﴿**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾: أماتهم وذهب عنهم المال أو البناء. جاءه الموت: هذه هي دنياه، لـمّا يصل إلى ذروتها ويحقق طلبه منها يأتيه الموت. ﴿**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾: في القبر، إذن عندما يصبح أحد أهل الدنيا ذا مال طائل يأتيه الموت، فيؤخذ إلى القبر فلا يرى بعدها من دنياه شيئاً، إذ عميَ في الآخرة، لأنهم لم يتعرفوا بدنياهم على الطريق التي ترى نفوسهم بها الحقائق، لقد أشعل في دنياه ناراً فأضاءت وبالموت انطفأت، فأصبح في ظلمة، بعد الموت تذهب الصور وتبقى الحقائق.

18- ﴿**صُمٌّ**﴾: أصبحوا صمّاً بعد الموت. ﴿**بُكْمٌ**﴾: لا يتكلم. ﴿**عُمْيٌ**﴾: في قبره وغداً، فهو لم يعرف الطريق الموصل إلى الله تعالى. ﴿**فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾: إلى هذه الدنيا بعدها. التجارة واحدة، إن جئت للدنيا وربحت فزت وإن ضيّعت ضعت.

19- ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ**﴾: سحاب من السماء، غيمة، فحالهم مع القرآن كحال رجل مع صيب.

القرآن: المطر الخير من السماء. ﴿**فِيهِ ظُلُمَاتٌ**﴾: سواد. ﴿**وَرَعْدٌ**﴾: دوي. ﴿**وَبَرْقٌ**﴾: لمعان.

- ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ**﴾: حاله في دنياه.

- ﴿**فِيهِ ظُلُمَاتٌ**﴾: التحذيرات بالقرآن من الموت، ومن النار وما في القيامة.

- ﴿**وَرَعْدٌ**﴾: في القرآن تهديدات، تخويف، إن لم تتقِ يحصل لك كذا وكذا.

- ﴿**وَبَرْقٌ**﴾: نور، ضياء، مبشّرات.

﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾: لـمَّا تذكر له الموت يصم أذنيه، لا يريد أن يسمع. الصواعق: الإنذارات، حين يسمع الإنذارات وما في الآخرة فهو لا يريد السماع. ﴿**وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾: لا مفرّ لهم، فأين تهرب، هل لك مهرب؟! كيفما تخلصت لا بدَّ لك من الموت.

20- ﴿**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ**﴾: يجذبهم إلى الهدى، حين يسمعون عن الجنة ونعيمها يفرحون، وأعجبهم ذلك وأرادوها لأنفسهم، فالغني حين تقول له: أنفق تغدو من أهل الإحسان يتصدق بالقليل، يفرح ويظن نفسه أنه منهم. ﴿**كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ**﴾: فرحوا بالبشائر، المنافق لـمَّا تذكر له عن الجنة يسرّ. ﴿**وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ**﴾: لـمَّا تحذّرهم، وتهدّدهم أنه يجب أن يستقيم وألَّا يعمل العمل المنحط وأنّ الجنّة لا تنال إلا بعمل الخير عندها لا يحب السماع. بل ولّوا ﴿**قَامُوا**﴾: انصرفوا، لا يريد أن يسمع، يريد الرذيلة والملاهي والجنة، وعندما تقول له حب الدنيا لا يجتمع مع الجنة ينصرف. ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾: كما حصل للكفرة. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: قدير: كل واحد وبمقدار. هذا ليس كالكفرة، أولئك لا يسمعون. لكن المنافق يسمع إلَّا أنَّه لا يطبِّق، فلعلَّه يطبِّق، لذا لا يذهب الله بسمعه كما ذهب بسمع الكافر، لكن حيث أن هذا المنافق يصوم ويصلي ويسمع الهدى يتركه لعله بهذا السماع يرعوي ويرجع عن غيّه.

سورة البقرة: [21-30]

21- نداء لكافة الناس: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾: فكّر من هو هذا المربي لك؟! من يغذّيك، المأكولات من أين تأتيك، الشجر كيف يثمر، السمن من أين يأتي... الغنم...؟! اتبعوا أمر ممدِّكم. فالغاية ليست العبادة بل التقوى، حتى يرى أنَّ الله ما خلقه إلَّا لينعم عليه ويسعده. يا أيها الناس جمعت كل البشر، اسمع أوامر الذي خلقك، ما أصلك؟ كيف صارت النطفة إنساناً؟! شجرة بدون عناية تعيش! أرض لو ظلَّت دهوراً أتنقلب إلى بستان جميل؟! وأنت من ربَّاك؟ ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾: من نطفة أوجدكم والآن يربيكم، فكّروا في خالقكم وما خلق لكم. ﴿**وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾: آباءكم، أجدادكم منذ آدم عليه السلام. إن فكَّرت هذا التفكير وعرفت مربيك. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: ترون بنوره الحقائق. لعلَّك تتقي إن عرفت المربي، ما هذه التربية؟ هذه الشجرة من ذاتها تنبت! عرفت لا إلَه إلَّا الله صلَّيت، عندها تصل للتقوى. كل الأوامر حتى تصل للصلاة، الكمال من الله، إن لم تُصلِّ فلن تصبح كاملاً، تارك الصلاة لا خير فيه.

22- ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا**﴾: ممهدة لراحتكم، كل ما تحب تجده مهيّأً لك. إذ الفراش هو كلُّ ما يؤمّن الراحة للإنسان، فالحديد والتراب... كلّها من الفِراش. ﴿**وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾: السماء يأتيكم منها الخير إذ بواسطتها ينزل المطر فينبت الزرع، وهي تبني لك هذا كلّه. ﴿**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾: فيه الحياة، لولا الماء ما يكون حالك؟ ﴿**فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾: في الطاعة، إذ الندّ هو المماثل في صفة من الصفات، لا تشارك بأمر الله أحداً، ارجع دوماً لدلالته، لا تطع سواه، لا تسوّي بين كلام الله وكلام أحد معه. ﴿**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾: ذلك، أنه ليس له مماثل وليس من مربٍّ معه وأنه ليس بيدهم شيء، تعلمون أن الله حق، إذ تعلمون أنّه إذا انقطعت المطر لا يستطيع أحد أن ينزّلها، من الذي ينزّل الأمطار؟ من ينبت الأثمار؟ هل من أحد غيره؟ كلام الله وحده المطاع، فالإقرار وحده لا يكفي، لا بدَّ من الإيمان المبني على التفكير: **"الدين هو العقل، ومن لا عقل له، لا دين له"**[1]. إن لم تعقل "أي تفتّح وتشاهد نفسك" فلن تستفيد شيئاً.

23- اتهموا رسول الله ﷺ أنه هو مُوجد القرآن، فأجابهم الله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ**﴾: في شكّ أنه ليس كلامي. ﴿**مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا**﴾: إن كنت تشك في رسالته وقلت أنا آمنت بالله فقط. ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾: تضمن السعادة لكلّ الخلق. ﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ**﴾: من يشهدون معكم. ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: بقولكم أنكم تريدون الحقّ، إئت بآية مماثلة أو سورة، فهل جاء بها وحده من دون البشر؟! لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، كيف كل البشر لا يستطيعون! إذن هو رسول. هذه أكبر معجزة دالة على رسالته ﷺ، وهذا دليل على أنه كلام ربّ العالمين.

24- ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا**﴾: هذا تحدٍّ لكلِّ البشر. أنت لا تستطيع أن تحكم للمستقبل، والبشر لا يستطيعون أن يقولوا ذلك، لكن هذا التحدّي معناه أن الكلام كلام الله رب العالمين. ﴿**فَاتَّقُوا النَّارَ**﴾: افعلوا شيئاً يقيكم حريق النار غداً ﴿**الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾: ذوو القلوب القاسية، مَن قلبه مثل الحجر قسوة، إن لم يغيّر فسَيردُّ غداً بالنار لما فيه من آلام، بل هي عندها رحمة من الله بهم. ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾: حيث لا يناسبه إلاّ النار، لا يختار غيرها {**كُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ**}[2]. الكافر والمؤمن لـمّا يُسألان غداً وكلاً يُطلب منه أن يحكم على نفسه فلا يختار الكافر إلاّ النار، الكافر

---

[1] وقد أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده (ق 1/100–1/104 زوائده) عن داود بن المحبّر بضعاً وثلاثين حديثاً في فضل العقل ومنها هذا الحديث.

[2] سورة الإسراء – الآية:13.

الذي لا يوقن بآيات الله، الذي نكر فضل الله، نعم الله، الله أقرب إليك من حبل الوريد، أقرب إليك من نفسك، من المدبّر لهذا الكون من المسيّر ألا تفكّر؟!

25- ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: بعد الإيمان لا يعمل الإنسان إلاّ صالحاً. ﴿**أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ**﴾: نعيم متواصل، هذا النعيم الذي لانهاية له. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**﴾: من دونها نعيم مادي كثير ﴿**الْأَنْهَارُ**﴾: جمال الأشجار لما تحوي فيها وما تدرّه من الخيرات المتواصلة كل عام. ﴿**كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا**﴾: في الجنة. ﴿**مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ**﴾: في الدنيا منذ مدة قريبة. ويتذوقون نعيم القرب الإلّهي، ولكن بكل مرة يزداد إقبالهم على الله أكثر ويرون في ذلك لذة أعظم، هكذا الجنّات. ﴿**وَأُتُوا بِهِ**﴾: باللذائذ لهم. ﴿**مُتَشَابِهًا**﴾: في اللذائذ لكنه أعلى مما سبق. ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ**﴾: من كل شائبة، خالية من الأوساخ. ﴿**وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: مائلون إليها، إن أقبل على زوجته ترقّى، وإن أقبلت عليه ترقّت هي أيضاً، فهما في عروج مستمر، لا ملل هناك، كل طعمة أحسن من طعمة، كل لحظة أحسن من لحظة، كل سير أحسن من سير، أنت لم تأت للدنيا للأكل والشرب كالحيوان، بل لترقى وتعمل.

26- ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا**﴾: لا يمتنع عن البيان لأنه ضمن الحق، إن كان المثل عن صغيرة أو كبيرة. ﴿**بَعُوضَةً**﴾: لما فيها من الخيرات. ﴿**فَمَا فَوْقَهَا**﴾: مهما صغر. ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: حقّاً. ﴿**فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾: يرى أن هذا الكلام كله حق، كل واحد بحسب إيمانه يفهم. يرون ما فيها. كل إنسان بحسب إيمانه يفهم، الحق لا يُرى إلَّا من طريق التربية. "إبراهيم عليه السلام"، كل الرسل عن طريق التربية اهتدوا. ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ**﴾: يضل به بما يسوقه له من بلاء. ﴿**كَثِيرًا**﴾: عن كثير مما في نفسه. هذا الذي قال هذا القول ماذا يسوق له تعالى، بلاءً يحوّله عن كثير من موبقات كان سيقع بها، يضلّهم ليخرج ما فيهم إذ أنهم أضلّوا أنفسهم ولهم الاختيار. فبإنكارهم لهذا المثل يقع بشهوة تشغله، شهوة واحدة يستغرق بها وبذلك يبعده عن كثير من الشهوات، يضلّه بواحدة لإخراجها من نفسه كي تنمحي من نفسه مئات الشهوات. ﴿**وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا**﴾: المؤمن الذي آمن يهديه لكثير من الخيرات، لينال ما تأهّل له. المؤمن عرف أن السعادة من طريق المربِّي فاهتدى وكسب كثيراً، الكافر يضلّه الله ضلالة واحدة ليخرج من نفسه كثير من الخبث وينظِّفها، لا يريه ما وراءها **"حب الشيء يعمي ويصم"**[3]. ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**﴾: الخارج عن طريق الحق، الذي خرج عن الحق امتلأت نفسه بالرذيلة يضلّه عن واحدة "أي عما وراءها" حتى يقع ليؤدِّبه فلعلَّه يتوب وتطهر نفسه من مئات الأدران.

من هم الفاسقون؟

27- ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**﴾: عهده مع رسول الله ﷺ أو مرشده. بالأزل بالإقبال عليه. بالأزل قالوا يا رب نحن إن أرسلتنا للدنيا لن نتركك. لما جاء للدنيا أعرض فعمي. الفاسقون: الخارجون عن الحق بالدنيا بفسقهم ضلّوا. ﴿**وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**﴾: يقطع الناس عن الارتباط برسول الله ﷺ أو من يرشد الخلق إلى الله وبالتالي يقطعونهم عن الصلاة. بصحبة رسول الله ﷺ النفسية بالصلاة تدخل نفسك على الله فتستنير بنور الله، إن لم تصاحب رسول الله ﷺ بنفسك فلن تدخلنَّ على الله. ﴿**وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾: ينشأ من انقطاعه عن رسول الله ﷺ أنه ينقطع عن الله، فيفسد ويذهب للهو والبسط، الدنيا دار عمل لا "كيْف وبسط"، الدنيا دار جد واجتهاد وعلم وعمل معروف وإحسان، آمن، صاحب أهل الكمال، صاحب رسول الله ﷺ، ادخل معهم على الله

---

[3] أخرجه أبو داود عن أبي الدرداء، مسند أحمد ج5، ص194.

تحصل لك التقوى، تستنير بنور الله ترى الخير خيراً والشر شراً. ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾**:** خسر ما أعده الله له في الآخرة، أعدَّ لك فضلاً كبيراً، جنات تجري من تحتها الأنهار، إن لم تفكِّر فستضيّعها.

28- ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ**﴾**:** كيف تعرضون عنه فتنقطع نفوسكم. ﴿**وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا**﴾**:** كنت نطفة لا حراك بك، أين كنت قبل مجيئك للدنيا؟ أفلا تذكرون حين كنتم صغاراً لا قوة لكم؟ كيف تكفر بلا إلّه إلّا الله؟!﴿**فَأَحْيَاكُمْ**﴾**:** صرتَ علقة، مضغة، جنيناً، إنساناً، جعل لكم وجوداً، أطعم أباك المأكولات حتى صرت نطفة، ألا تفكِّر كيف تخلَّقت هذه النطفة؟! ما هذه المأكولات التي وجِدت، من أنبتها حتى تكوَّنتَ منها؟! ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**﴾**:** بعد الحياة، ألا تفكِّر بهذا الذي لا بدّ أنه واقع؟!﴿**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾**:** غداً. ﴿**ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾**:** بكل أموركم، للمحاكمة والسؤال والحساب. أفلا تخجل؟!

29- ﴿**هُوَ الَّذِي**﴾**:** من هو؟ فكّر لتهتدي إليه. ﴿**خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾**:** من الذي خلق لك كل هذه الأشياء؟ كل ما فيها خُلق لك، كم أنت مُكرَّم عند الله وأنت لا تدري، لكن إن لم تسلك طريق الحق هويْتَ غداً هوياً عظيماً. ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**﴾**:** تجلّى عليها فأنضجها وأنضج ما فيها من حياة. ﴿**فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ**﴾**:** فصار لكلِّ سماء عملها، طبقة فوق طبقة تعطيك الخيرات وتمدُّك. ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ**﴾**:** فيهن. ﴿**عَلِيمٌ**﴾**:** كله بعلم الله ترتَّبْ. بعد أن نظَّم الدنيا على هذا النظام أراد خلق آدم عليه السلام ليسعده هو وزوجه وذريته.

30- انظر مقامك وأهليتك: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾**:** خليفة عني لإرشاد خلقي، ليبلِّغ عبادي طريق الحق. حاملاً للأمانة، أنت يا إنسان لك هذه الأهلية. ﴿**قَالُوا**﴾**:** بنفوسهم: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**﴾**:** نظراً لما شاهدوه من عمل الجنّ من قبل الإنس. ﴿**وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾**:** كما فعل الجن من قبل. ﴿**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ**﴾**:** نعرفهم بعطفك، حنانك. ﴿**بِحَمْدِكَ**﴾**:** وذلك بإلهام النفوس لتجنّب الشر ولعمل الخير. الملَك يلقي الإلهام بنفسك، يا عبد الله، ارجع إلى الله، فكِّر، ابحث عن سعادتك، يا نفس اسمعي كلام الله، انظري في الكون، استدلي على الله. ﴿**وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾**:** نطهِّر نفوسهم لك، نسبِّحهم بما تُحمد عليه ونطهِّر قلوبهم لتصبح صالحة للإقبال عليك. عندها نُشعر نفوسهم برضاك عنها، أحبُّوا أن تكون لهم هذه المنزلة العالية. ﴿**قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾**:** آدم أعلى منكم، أرقى منكم. وكذلك المؤمن الكامل أرقى من الملائكة، فالإنسان لديه أهلية لأن يكون أعلى من كل شيء، لكن الكافر أحط من كل شيء، فالحيوان جاء وأدى الوظيفة، في الدنيا يجازى، غداً ليس له نار، جزاؤه هنا، لكن الكافر غداً للنار، فالكلب خير من كثير من الخلق ممن كفروا.

سورة البقرة: [31-40]

31- ﴿**وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾**:** أي أسماؤه تعالى الحسنى. تجلَّى الله على آدم عليه السلام بحسب أهليته وإقباله على الله، بإقباله أشهده لصفاته تعالى، بإقباله صار له علم بأسماء الله كلها: العليم، الحليم، القدير... ﴿**ثُمَّ عَرَضَهُمْ**﴾**:** أي الأسماء بواسطة آدم، آدم عليه السلام عرض الأسماء على الملائكة ﴿**عَلَى الْمَلَائِكَةِ**﴾**:** فسألهم آدم عليه السلام عن معاني الأسماء القدير، الرحيم، العليم... ﴿**فَقَالَ**﴾**:** الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ**﴾**:** أعلموني بمدلولات هذه الأسماء التي ذكرها آدم. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾**:** بكمال تسبيحكم وتقديسكم وأنكم أهل للخلافة، وأنكم صادقون بادعائكم أنّكم خير مما سيخلق.

32- ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ**﴾**:** ما أعظمك، ما أعظم كمالك. ﴿**لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا**﴾**:** ما أطلعتنا عليه من الصفات، فلا علم لنا أكثر مما علمتنا، فقد أجبنا بحسب ما علمناه بإقبالنا عليك، بحسب صدقنا معك.

﴿**أَنْتَ الْعَلِيمُ**﴾: بخلقك. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: عملك كله ضمن حكمة، فأنت حكيم باختيارك تعطي كلاً حقَّهُ ونحن لا نستحق سوى وضعنا.

33- ﴿**قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**﴾: عرّفهم بما فيهم من صفاتي وتكلَّم عن أسمائي الحسنى التي شرحوها وتكلَّموا عنها. ﴿**فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**﴾: ذكر لهم ما فيهم من الصفات، إذ بيّن آدم عليه السلام بيانه وتكلَّم عن أسماء الله الحسنى التي شرحوها وبيَّن ما ينطوي فيها من كمالات الله تعالى بحسب إقباله العظيم بياناً وكلاماً سبق به الملائكة أجمعين، فظهر تفوّقه عليهم، عندها خاطبهم ربهم: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: مما يتباهى الله به في آدم عليه السلام لعظيم قدره وعلو نفسه، فآدم أعلى منكم. ﴿**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ**﴾: من قناعتكم الآن من الإقرار بالحق لآدم. ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾: من طلبكم الخلافة لأنفسكم. هنالك أمرهم الله تعالى أن يقبلوا عليه بصحبة آدم عليه السلام فيتخذوه سراجاً منيراً لنفوسهم وإماماً لهم في إقبالهم عليه تعالى. فانظر يا إنسان لقد أعطاك الله الأهلية لذلك السمو لأن تكون خليفة الله في أرضه. إن ملتَ من طريق وجهة الشمال فأنت شر البرية، إن سرت يميناً فأنت أعلى من الملائكة، خير البرية.

34- ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ**﴾: اخضعوا بنفوسكم له، اعترفوا بفضله، بمعيته ادخلوا عليّ، اربطوا نفوسكم به وادخلوا عليّ بمعيّته، فاطلبوا التقرّب بواسطته، أي اطلبوا منه بواسطته العلم والمعرفة، اربطوا نفوسكم معه لتدخلوا عليَّ فتشاهدوا أكثر من مشاهداتكم ﴿**فَسَجَدُوا**﴾: كلهم أجمعون بلا استثناء. حيث معرفة آدم عليه السلام أعلى منهم، صار لهم إماماً في الدخول على حضرة الله. ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾: مَنْ أبلس عليه الأمر من قبل، إذ خفيَ عليه ما يأتيه من الخير بواسطة آدم عليه السلام، لقد أبلس عليه الأمر ما عرف عن الله شيئاً، من قبل ما عرف عنه تعالى إلَّا أنه خالق. ﴿**أَبَى**﴾: عن السجود، ما فكّر ببدايته ولا نهايته. ﴿**وَاسْتَكْبَرَ**﴾: عن آدم، قال أنا أكبر من آدم، أعظم منه. لماذا استكبر؟ لأنه كان كافراً. ﴿**وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾: الناكرين لنعمة ربّهم، إذ ما فكر بآيات الله فلم يستطع معرفة آدم عليه السلام، لو فكَّر وعظَّم لخضع لآدم عليه السلام فنال من الكمالات ما نال.

35- ﴿**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾: جنّة في الأرض يتذوق بها طعم القرب الإلّهي وطعم المآكل مع الحياة النفسية اللذيذة بالجنّة هذه، وكان التذوق كله نفسيّاً، إذ كانت النفس خارج الجسد. ﴿**وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا**﴾: تلذذاً، أكلاً ذوقيّاً واسعاً يذوق أطعمتها ذوقاً فقط هذا حال الإنسان في الجنّة غداً. ﴿**حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ**﴾: المادة لا تضعها بفمك، لأن ذلك يضطرك للعمل والسعي من أجلها. والشجرة أصل الأثمار التي يحتاج آكلها لأعضاء جسمه، وبأكل آدم عليه السلام تدخل نفسه إلى جسده. كانت نفسا آدم وزوجه عليهما السلام لابسة جسديهما الشريفين، فكان نعيمهما من الدنيا ذوقياً وما كان الثمر ليدخل جوفيهما، الدخول للجوف يحتاج لهضم وعمل. ﴿**فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾: لنفسيكما تتعبان بالعمل.

36- ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا**﴾: حوَّلهما. أي أزلقهما عن غير قصد منهما. حلف له إن أكلت منها ظللت أنت وزوجك مع الله في نعيم، حيث ما كان له فكر، نسي ما وصَّاه الله به. الشيطان ببعده عن الله صار حسوداً منحطّاً، الحسد دفعه. ﴿**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾: من حياة اللذائذ النفسيّة، قال يا آدم ما نهاك ربك عن الشجرة، فإن أكلت خلدت في النعيم. آدم عليه السلام حيث ما كان له فكر نسيَ أمر الله فأكل ودخلت نفسه للداخل فانسد عنه الإقبال على الله والرقي[4]. ﴿**وَقُلْنَا اهْبِطُوا**﴾: من هذه الحالة من النعيم النفسي. من هذه المرتبة المعنوية: صارت له حاجات جسمية. ﴿**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾:

---

[4] انظر كتاب (عصمة الأنبياء) لفضيلة العلاَّمة الإنساني محمَّد أمين شيخو ـ بحث قصة سيدنا آدم عليه السلام.

المؤمن والمفسد لا يجتمعان، الكافر يعادي المؤمن. ﴿**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ**﴾: استقرار. ﴿**وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾: وتمتّع معين مدة حياتك.

37- ﴿**فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾: عاتبه ربّه ليوقظه، لـمّا أقبل على ربه وصار قريباً رأى أن الله رحيم ورؤوف وهو له ظن بربه عالٍ فأقبل على ربه، فرجع إذ أنّ آدم لم يترك ربّه بل أصابه الخجل، عندها تذلَّل آدم عليه السلام فألقى الله تعالى بنفسه أن يا آدم نيتك عالية وشريفة نحن لا نؤاخذك على ذلك. ﴿**فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾: تاب الله عليه لحسن نيّة آدم عليه السلام. كذلك كل من يقع عن غير قصد له سهولة رجعة، أما المتعمد فلا رجعة له، المراد من قصة آدم عليه السلام في أكله من الشجرة البيان بأن سيْر الإنسان في طريق المحبّة يجب أن يكون ضمن النظام، أي: ضمن أمر الله. حبّك لله بصدقك وإخلاصك يجب أن يجري ضمن قانون ونظام. ﴿**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾: يعامل هذا وهذا ليرجعوا. وأما المراد من ذكر الملائكة لبيان أهلية الإنسان لأن يصل لكمال الكمال.

38- ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا**﴾: من هذه الحالة النفسية أنتم وذراريكم لدار العمل. كانا بلا عمل ولا تعب، اهبطوا للعمل والسعي. والحقيقة أن الله تعالى نقل آدم بهذا الأمر الذي حصل له من مكانةٍ إلى مكانة أعظم: فيها العمل. ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى**﴾: عندما يأتيكم مني دلالة: قوانين وأنظمة من يتبعها يصل للتقوى. ﴿**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ**﴾: من يسير ضمن أمري. ﴿**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾: من سوء في الدنيا. ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾: على تلك الحالة التي كانوا عليها، أي: على الماضي، يرى آدم عليه السلام هذا الحال الذي صار إليه من العمل والسعي للقرب خير من حاله الأوّل حيث ما كان له عمل، فلا يحزن، ولا يحزن على دنياه إذا مات، حيث كسبها.

39- ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا**﴾: الكونية الدالة على لا إلّه إلا الله، نكر فما فكَّر ولا استدل، ولم يفكِّر بالآيات الدالة على لا إلّه إلَّا الله. ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾: لذا سيدخلهم جهنَّم ومنها إلى النار. ﴿**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: للأبد.

40- ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾: هذا الكلام خطاب لبني إسرائيل أبناء وأصحاب الأسرة العالية من آباء وأبناء، والمراد منه تذكير الخلق كافة. فالله يذكرهم بما أنعم عليهم من نعمة إذ كانوا بدواً فجاء بهم إلى مصر في عهد سيدنا يوسف عليه السلام، ورفع شأنهم وصاروا حكام الأرض بيدهم الحل والعقد، كذلك يذكّرنا الله تعالى بأنه إذا استقام الإنسان وسار على الحق رفع شأنه وأنعم عليه. والإنسان إذا أصابه مكروه فهو السبب به بحياده عن الحق أصابه ما أصابه، ومن حنان الله على العبد إذا سلك طريق السفالة ضيّق عليه وشدّد، فإن رجع وأناب عاد عليه بالسعادة والخيرات. ﴿**اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾: إذ جعلتكم من هذه الأسرة "أسرة الأنبياء" وخلصتكم من فرعون. ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي**﴾: الذي عاهدتم عليه بالأزل السير ضمن الحق، كل إنسان عاهد ربه على السير بالحق وعدم الانقطاع عن الله طرفة عين إن سار بهذا رفع شأنه وأعزه، قطع الإنسان على نفسه العهد من الأزل بإطاعة الله سبحانه وتعالى. ﴿**أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾: إذا وفَّيتم بما عاهدتموني عليه بالأزل، السير ضمن طريق الحق، أنا أوف بما عاهدتكم عليه من رفع شأنكم وأمتّعكم متاعاً حسناً في الدنيا والآخرة. ولكن حتى تستطيعوا ذلك فكِّروا حتى تستعظموني. ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾: هذا ولا تحصل الرهبة من الله إلا بعد اليقين بأنه تعالى مع الإنسان حيثما سار، إن فكّرت بالكون صارت لك رهبة، عظّمت ربّك ورهبته، وكذا الأمر بالنسبة لنا الآن: {**وَعَدَ اللهُ الذينَ آمنُوا مِنكُم وعملُوا الصالحاتِ ليستَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ**

كَمَا استَخْلَفَ الذينَ منْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الذي ارتضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً} لكن الشرط: **{يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً}**[5].

وهذه الآية أيضاً لنا، ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه ينذرهم ويحذِّرهم حبّاً بهم وحناناً عليهم، ولو أن الإنسان استقام ولو لوحده لرفع الله شأنه وحفظه وحماه من كل ضيق وشدة. وبالعكس إذا ظلم لا بد أن يؤخذ منه الحق، ولو ظلم ذبابة، الدنيا لها قوانين، حتى رسول الله ﷺ "وحاشا أن يبدر منه" لو أنه ظلم نملة لقاصصه الله، الدنيا سائرة بقوانين، حتى تستطيعوا أن تعظموني وتسيروا بدلالتي.

سورة البقرة: [41-50]

41- ﴿**وَآَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ**﴾: على محمد. ﴿**مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ**﴾: مصدّقاً للتوراة. إن فعلتم عظَّمتموني وانكشف لكم الحق. ﴿**وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**﴾: هذا القرآن يأمرك بالنظر بالآيات الدالة على الله، هل فكَّرت؟! هل عقلت شيئاً عن الآيات الدالة على لا إلَه إلَّا الله؟! إن لم تفكِّر وتعقل هذا هو الكفر. ﴿**وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾: لا تستبدلوا آياتي بشيء قليل من الدنيا، بأن تتركوا التفكير بها وتلحقوا الدنيا، الدنيا متاع مؤقتة، لا تضيع الآخرة بالدنيا. ﴿**وَإِيَّايَ**﴾: لي خاصّة. ﴿**فَاتَّقُونِ**﴾: انظروا حناني، رحمتي عليكم، حتى تحبوني وتقبلوا عليّ فتنظروا بنوري. انظروا بنوري، إن عظَّمتموني وقدَّرتموني وقلتم لا إلَه إلَّا الله استنرتم بنوري وعقلتم، رأيتم الخير خيراً والشر شراً. هذا ولا يمكن للنفس أن تدخل على الله إلَّا بالله.

42- ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ**﴾: تخفوه. ﴿**بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ**﴾: بنفوسكم. ﴿**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾: أنه الحق، أي: تعلمون رسول الله وتعرفونه أنه رسول وتنكرون رسالته.

43- حتى تستطيعوا أن تفعلوا ذلك: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾: لا يمكن إقبالك على الله إلَّا إذا نفسك وثقت من إحسانها وصار لها قناعة أن الله راضٍ عنها وذلك بفعلك المعروف. ﴿**وَآَتُوا الزَّكَاةَ**﴾: افعلوا الخير وآتوا الزكاة، إن صارت لك الصلة وأقبلت طهرت نفسك. ﴿**وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾: أطيعوا مع الطائعين محمداً ﷺ وآله وأصحابه.

44- ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**﴾: فعل الخير. ﴿**وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**﴾: تحرمونها من الخير. ﴿**وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾: عرفتم ما فيه. تقول للناس لا تفعلوا المعاصي وأنت لا تفكِّر وتلتهي بالدنيا. ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾: أن هذا البلاء سيعود عليكم، أولا تعقلون شيئاً من هذا الكتاب "من توراتكم" ما فيه خيركم.

لا تكفي قراءة القرآن وحدها بدون تفكير، وضع الله تعالى الرموز في أوائل السور لتفكِّر ثم تعقل، لكي تشغِّل فكرك ولا تدعه جامداً.

45- ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ**﴾: الاستعانة بالصبر على ما يحلّ بالنفس من مصائب وعدم تمكّنه من تفسير سبب حدوثها لعدم نزول القرآن إلى قلبه، اصبر عن الشهوات كلها، فكِّر بالموت واترك الدنيا، إن فكَّرت وتركت الدنيا واستقمت صلَّيت. ﴿**وَالصَّلَاةِ**﴾: ويكون الصبر بالصلاة، والصلاة تطهّر النفس فتزيل ما فيها من أقذار لتضع بدلاً عنها الكمال. ﴿**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ**﴾: هذه الحالة صعبة. ﴿**إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾: الذي صار له الخشية هذا يترك الدنيا، الخشية تحمل النفس على السير. إلا من حصل لهم الخشوع. من هم؟ ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾: إن رأيتم أن رسول الله ﷺ صارت له هذه

---

[5] سورة النور – الآية:55.

الوظيفة بدل عنكم اصبروا لأنه هو أهل، أنتم ما عدتم أهل. ﴿**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾: هذا الأمر صعب إلَّا على الخاشعين، لكن الخاشع يستسلم.

46- ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ**﴾: يرى نفسه مع الله تعالى، المؤمن إذا آمن بلا إلّه إلا الله رأى ربه معه قريباً منه بإمداده المتواصل، فهم يرون الله سبحانه أمامهم أنّى ساروا، وهذا المؤمن كيفما تحوَّل يرى الله معه، وهذا هو المطلوب. ﴿**وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾: لا حول ولا قوة للإنسان، هو يطلب والفعل بيد الله، لو كان الأمر بغير هذا لكان هنالك ظلم في الكون. الحقيقة أن الفعل فعل الله وكل واحد ينال حقّه. بالسيْر، فهو يعلم أنه راجع إلى الله بكل عمل من تحريك لليد أو الإصبع راجع للمسيّر، لله سبحانه وتعالى. هذا الشخص الذي صارت له خشية هذا هو الذي يترك الدنيا. الخشية تحمل النفس على السيْر.

47- ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾: كنتم أذلاء جعلتكم سادة بين الناس. كذلك نحن العرب كنا تحت حكم الروم، الفُرسْ، جاء رسول الله ﷺ رفع شأننا. الله تعالى خاطب بني إسرائيل مذكِّراً بحالهم بالماضي زمن فرعون، يا بني إسرائيل: يا أولاد الأسرة العالية. هؤلاء أجدادهم عظماء أنبياء. ﴿**وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾: فضّلتكم: بعدما فسدوا بمصر سلّط عليهم فرعون واستحل نساءهم وقتل أطفالهم فتابوا، عندها رفع الله شأنهم على يد سيدنا موسى وخلّصهم وجعلهم هداة البشر. كذلك كل إنسان إذا تاب. جعلتكم هداة. وسطاء لهداية الناس في عصركم إذ انتقيتكم من بين جميع الناس زمن فرعون لحمل الرسالة.

48- ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا**﴾: ضعوه أمام أعينكم. ﴿**لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**﴾: لا أحد غداً يشفع فيك ويخلِّصك، كل واحد وعمله في عنقه، الحكم لله وحده. الرسول، الشيوخ، المرشدون يذكرونك بلسانهم وبمعيَّتهم تدخل على الله. لكن لا يعطونك شيئاً، كل إنسان وله كسبه، فاعْملْ عَملَ الطيبين تنل ما نالوه. ﴿**وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ**﴾: لا رسول ولا نبي ولا أحد يشفع، أين الشفاعة يومئذ لمن لم يَنَلْها بدنياه؟ حتى أن مقارنة النفس بالرسل يومئذ غير مفيدة. ﴿**وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ**﴾: لا يؤخذ شيء معادل يردّ العذاب، لا شيء يعدل المداواة. ﴿**وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾: لضرورة المداواة، المريض مَن ينصره "يخلِّصه مما فيه"؟

49- هذا ونعود إلى المراد من بيان إعراض الشيطان عن سيدنا آدم عليه السلام بيان: أن المعرض عن الله لا يستطيع أن يعرف رسول الله. ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ**﴾: بعد أن ملَّكهم مصر فسدوا فعوقبوا بفرعون. ﴿**يَسُومُونَكُمْ**﴾: يُنزلون بكم. ﴿**سُوءَ الْعَذَابِ**﴾: ألا تذكرون ما كنتم عليه. ﴿**يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ**﴾: يستحلون ﴿**نِسَاءَكُمْ**﴾: كان القبطي يعتدي على زوجات بني إسرائيل دون أن يجد من يعاقبه، الإسرائيلية يُعتدى عليها ولا يوجد من ينصرها ﴿**وَفِي ذَلِكُمْ**﴾: ذلك الحال الذي بنفوسكم سبّب لكم هذا الابتلاء لتطهير نفوسكم: رحمة بكم. ﴿**بَلَاءٌ**﴾: اختبار لنفوسكم بعد أن نجّاكم الله من آل فرعون. ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾: عظيم خيره عليكم. لما تابوا تاب عليهم ورفع شأنهم. الله هو الذي أرسل لكم، هذا عناية بكم، لمَّا تركتم سيرة آبائكم زمن يوسف عليه السلام سلَّط عليكم ما سلَّط. كذلك الآن إن لم تسلك الحق أصابك البلاء، وبالعكس.

كيف الخلاص من فرعون.

50- ﴿**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ**﴾: جعلناه يابساً لكم، مانعاً تحت أرجلكم، صار طرقات، كل طائفة ساروا بطريق، ولحق بهم فرعون وغرق. ﴿**فَأَنْجَيْنَاكُمْ**﴾: من الغرق. ﴿**وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ**﴾: عدوكم الذي لحق بكم لمَّا نجوتم غرقوا. أليست هذه علامة دالَّة على أن موسى عليه السلام رسول الله وأنَّه على

الحق؟! هل عصاه فعلت ذلك؟! أما فكَّرتم قليلاً كيف أن عصا تفعل ما فعلت! أليست هذه بدليل على الله؟! إنها يد الله ولا إلٓه إلَّا الله. ﴿**وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾: ما حلّ بهم وبكم، رأيتم أن الله قريب منكم وهو الفعَّال. فرعون جاءته الآيات والنذر فما تاب وهلك، هم تابوا صاروا هداة، الذي لا يتوب هلاك عليه دنيا وآخرة.

سورة البقرة: [51-60]

51- ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى**﴾: طلب وأجبناه. ﴿**أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾: الدنيا العاجلة. غاب عنكم /40/ يوماً ما صبرتم. ﴿**وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**﴾: لأنفسكم بإعراضكم عن الله!

52- ﴿**ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ**﴾: بعد أن سقنا العلاج. ﴿**مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾: عبدتم العجل وعفونا عنكم وخسفنا بقارون لعلكم تتوبوا، لم نهلككم على عملكم. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾: ترون فضلنا. كيف العفو:

53- ﴿**وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾: أخذنا موسى للمناجاة لنرسل لكم التوراة فوجدكم تعبدون العجل. ﴿**وَالْفُرْقَانَ**﴾: فيه الفرق بين الحق والباطل. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾: إلى الله فما اهتديتم.

54- ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾: لم تسيروا على الكتاب. ﴿**بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ**﴾: بميلكم للدنيا العاجلة. ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ**﴾: الشافي، لعل الله بذلك يتوب عليكم وتطهر نفوسكم مما بها، فقد رحمكم لوجود طاهرين. ﴿**فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾: دواء هذا الانحراف أشد من كل مداواة، صار الأب يقتل ابنه حتى يخرج حبّ الدنيا من نفوسهم. ﴿**ذَلِكُمْ**﴾: هذا القتل. ﴿**خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**﴾: لعل الله بذلك يتوب عليكم وتطهر نفوسكم مما بها. القتل خير للطرفين القاتل والمقتول لإخراج الدنيا من قلب الإنسان، الذي يعلّق قلبه بالدنيا هذا مصيره، لا تعلّق قلبك بها. ﴿**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**﴾: هذا القتل صار سبباً للرجوع إلى الله وطهارة نفوسكم، رحمة منه تعالى. ﴿**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾: بعد العلاج الشديد كما سَيَلِي.

55- ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى**﴾: لـمَّا طلب إليهم أن يقتلوا أنفسهم عارضوه رغم كل المعجزات، ما صدّقوه، هل أمرك الله بذلك. ﴿**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ**﴾: بما قلت. ﴿**حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**﴾: نسمع منه الأمر، فلا بدّ أن نرى الله جهرة عياناً بأنه لا توبة لنا إلَّا بالقتل، ما صدَّقوه لأنهم ليس في نفوسهم كمال يُصدِّقون به رسول الله الكامل فكذَّبوه، فإيمانك كلما زاد أكثر، زاد حبك أكثر فأكثر، بإيمانك تحفظ من المعاصي، فتزداد ثقة بنفسك، وتزداد صلة فتزداد كمالاً. تزداد حبّاً لأهل الكمال وهكذا بالتسلسل. لا يمكن لأحد أن يرى الله أو أن يلمسه إلَّا بسلوك الطريق التي بيَّنها لنا المرشد الحق. ﴿**فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾: صعقوا. ﴿**وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾: حصل لكم الموت عندما تجلّى الله عليكم. ذهبوا مع موسى عليه السلام فصعقوا.

56- ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾: فترجَّى بهم رسولهم، فبعثهم الله بعد موتهم ثم نقضوا، لأنهم ما فكَّروا وهكذا مهما.. ومهما.. إن لم تفكِّر وتؤمن فكل ما تراه وكل تصديقك يزول، لا بدَّ من التفكير والعقل. انظر ما أعظم ما فعلوا، الأب ذبح ابنه طلباً للطهارة، ما أعظم هذا التصديق! لكنه ما أفادهم لأنهم ما آمنوا بلا إلٓه إلَّا الله فنكثوا.

57- ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ**﴾: في التيه. ﴿**وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**﴾: وباللغة المنّ مشتقة من الماء والسلوة. ولغوياً السلوى: طائر، فالمن والسلوى من الطيبات. ﴿**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾: ثم قال

لهم اذهبوا للجهاد {**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**}[6] ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا**﴾: بإعراضهم وعملهم السيّء. ﴿**وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾: كيف ظللنا عليهم الغمام؟

58- ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**﴾: القرية: القدس. ادخلوا هذه القرية، ادخلوا بيت المقدس مجاهدين، جاهدوا لأرفع شأنكم. ﴿**فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا**﴾: ولكن صلوا نفوسكم بموسى ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا**﴾: ادخلوا عليّ من باب موسى (فاتحين)، هذه هي الرابطة، التقوى لا تكون إلّا بصحبة أهل الحق. ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾: طاعة لله وخضوعاً ضمن ما بينته لكم على لسان موسى. ﴿**نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ**﴾: يشفِ نفوسكم: **"الإسلام يجبُّ ما قبله"**[7]. ﴿**وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾: فتحاً، كلما أحسن زدناه.

59- ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾: لم يطيعوا بل قالوا: {**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**} [8]. ﴿**فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ**﴾: بؤس وشدة للذين دلّوا أصحابهم على ذلك، بعدها دخل الغزاة عليهم بقيادة بختنصر. ﴿**بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾: بسبب فسقهم.

60- في التيه استجاروا بسيدنا موسى ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ**﴾: فهل في الحجر ينابيع؟! ﴿**فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**﴾: من الحجر /12/ عيناً نبعت، هل عصا موسى فعلت ذلك؟! أليس هذا بدليل على أنها يد الله المتصرّفة والفاعلة؟ ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ**﴾: توبوا إلى الله. ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾: لا تُدخلوا الفساد في قلوب الناس، لا تبغوا السير المنحرف المؤدي للفساد.

سورة البقرة: [61-70]

61- ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ**﴾: مللنا من طعام واحد. ﴿**فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾: من أجل هداية الخلق إلى الحق تأبون الحرب، أما من أجل البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل تريدون الحرب! ﴿**قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾: طلبتم الدخول للقدس من أجل الأكل، ولما دعاكم للدخول للجهاد وطلب رضاء الله أبيتم! كذلك الناس الآن للدنيا يركض يتعب، للآخرة لا يتعب نفسه بشيء، فبنو إسرائيل طلبوا الجهاد ودخول المقدس من أجل البصل والثوم (المنافع الحيوية) وما رضوا الدخول للجهاد في سبيل الله وإنقاذ إخوانهم من الظلمات إلى النور ومن أجل رضاء الله. أنت جئت للدنيا للعمل الطيب فتتقاعس! لرضاء الله تتقاعس، للدنيا تركض إليها! آلآن طلبت نفوسكم الجهاد ودخول بيت المقدس لغاية ملء البطون! وقد تمنّعتم من قبل! ﴿**اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**﴾: كلوا منها ما شئتم، ولما دخلوا فسدوا وما دخلوا من باب موسى عليه السلام. بنو إسرائيل ما نظروا بآيات الله ليدخلوا من باب سيدنا موسى عليه السلام. فمن لا يفكِّر ولا يعقل لن يصل للإيمان أيضاً هذا حاله، فكِّر واعقل فكل آية إن سرت بها وصلت منها إلى الله. ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ**﴾: السعي للدنيا هذه نتائجه. ﴿**وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾: ذلك الهلاك حصل بسبب كفرهم بآيات الله، لحقوا الدنيا وما فكّروا بآيات الله. كذلك حال الناس اليوم وبعدم تفكيرهم بآيات الله وعدم قولهم لا إله إلّا الله. ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾: يريد الأمور على هواه. ﴿**ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا**﴾: ما فكّر بآيات الله. ﴿**وَكَانُوا**﴾: بالخروج عن طاعة الله. ﴿**يَعْتَدُونَ**﴾: على بعضهم بعضاً.

---

[6] سورة المائدة – الآية:24.
[7] رواه أحمد والطبراني.
[8] سورة المائدة – الآية:24.

62- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: كل من قال قولاً أنه آمن ولم يفكِّر فيعقل، وكل من أقرّ بوجود خالق وبرسول الله إقراراً. ﴿**وَالَّذِينَ هَادُوا**﴾: آمنوا بموسى من قبل ثمّ انحرفوا. ﴿**وَالنَّصَارَى**﴾: نصروا سيدنا عيسى من قبل ثمّ أشركوا. ﴿**الصَّابِئِينَ**﴾: الذين عبدوا النجوم، كزُحل وعبدوا الشمس هؤلاء الأربعة كلهم على ضلال، فهم سواء في عقيدتهم، ذلك لأنهم لم يؤمنوا بالحق من ذاتهم وما فكّروا حتى يروا الله قريباً منهم فيرتدعوا عن الغي، أما الذي على الحق فهو الذي آمن بالله وأقام الصلاة الحقيقية التي هي صلة بينه وبين ربّه، وما عداهم ممن ذكرهم الله فعملهم واحد، تارك الصلاة إن شاء يموت يهودياً وإن شاء نصرانياً، العبرة بالصلاة، فهؤلاء عملهم واحد لا فرق بين أحد وآخر في السفالة. الصلاة هي التي ترفع شأن الإنسان، الصلاة هي التي تسمو بالإنسان. عمل هؤلاء الأربعة متماثل، تشابهت قلوبهم إلَّا: ﴿**مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ**﴾: الذي آمن بلا إلَه إلَّا الله. ﴿**وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ**﴾: فعرف أن هناك يوماً فيه سؤال وأن الجزاء حق. ﴿**وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾: لا بد من العمل. ﴿**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾: غداً. ﴿**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾: إن آمنوا بلا إلَه إلَّا الله فليس عليه خوف أبداً، حُفظوا في هذه الدنيا بمعرفتهم لا إلَه إلا الله فلا يخشى عليهم، ولو ظلّ هذا المؤمن في هذه الدنيا وحيداً بين جمع كَفَرة. ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾: إذا فارقوا الدنيا فلن يحزنوا عليها، في الدنيا الله يعطيه، وفي الآخرة يعطيه، فلا يحزنون على الدنيا. فهل لك دليل من نفسك على إيمانك بلا إلَه إلَّا الله؟! إن فكَّرت بالموت، خشيت، طلبت طريق السعادة، عندها الفكر يرسم لك المخطط الموصل للإيمان الذي منه تصل للسعادة.

63- ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**﴾: أخذنا عليكم العهد، عهدكم مع موسى بإتباع الحق. ﴿**وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ**﴾: التوراة، البيان العالي. أرسلنا لكم التوراة، ﴿**خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾: استمسكوا بكلام الله بالحق بقوّة، تمسَّكوا بكلامي بقوة لا ترموه وراء ظهوركم. ﴿**وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ**﴾: من الخير والدلالة، بأن تتدبروا معانيه وتشهدوا ما فيه من حنان وعطف ورحمة. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: بهذه الدلالة، فما فعلتم.

64- ﴿**ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾: إذ أمهلكم. ﴿**وَرَحْمَتُهُ**﴾: الله تعالى رحيم. ﴿**لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: لأهلككم عن آخركم، هؤلاء لهم إمكانية للتوبة لذلك طاولهم وما أفناهم.

65- ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ**﴾: احتالوا، أوقعوا الحيتان في الحفر يوم السبت وجمعوها يوم الأحد. ﴿**فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾: مبعدين. جعلهم الله قردة ثمّ أماتهم، وليس من المنطق أن يكون هناك نسل من القردة منهم. هذه هي الحيَل الشرعية. وكما سبق كانوا يفتحون الجوَر للسمك السبت ويصيدون الأحد فمُسخوا. لما فسدتم بالمرة الأولى: سلَّطنا فرعون عليكم. الثانية: اقتلوا أنفسكم. الثالثة: مسخ قردة وخنازير.

66- ﴿**فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا**﴾: عبرة. ﴿**لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا**﴾: للحال. ﴿**وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾: إن لم يفكِّر الإنسان فيصدق في طلب الحق فلا جدوى له، هذه موعظة لطالب التقوى.

67- ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ**﴾: رغم كل ما رأوه لما جاءوه يطرحون عليه قضيتهم حتى يعرفوا قاتل المقتول وقال لهم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**﴾: كذَّبوا قوله، حيث لم يكن فيهم كمال، فما رأوا كماله عليه السلام وما صدَّقوه، إن لم تؤمن فلن تعرف أهل الإيمان، رسول ونبي وجاءكم بالمعجزات تجيبوه بهذا القول! لكن لم يعرفوا قدره. ﴿**قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ**﴾: أنا معتز بالله. ﴿**أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾: أأسخر منكم؟! أنا الكلام الذي قلته عن الله، فمن لم يؤمن بلا إلَه إلَّا الله يكذِّب قول الله.

68- ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ**﴾: أيضاً ما صدَّقوه، قالوا إن كان كلامك حق بيِّن لنا ما هي. ﴿**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ**﴾: لا مسنّة، ليست كبيرة انتهت من العمل. ﴿**وَلَا بِكْرٌ**﴾: ولا صغيرة

لم تعمل. ﴿**عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾: وسط في منتصف عمرها تعين على العمل، فتيَّة. ﴿**فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**﴾: حيث أنهم ما عقلوا، عارضوه.

69- ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾: حيث أنهم لم يقدروه عليه السلام أخذوا يسألونه هذه الأسئلة. التقدير يتم بعد الإيمان بلا إلَه إلَّا الله وفعل المعروف بعدها يدخل المرء بنفسه على الله فيكتسب الكمال ويقدّر أهل الكمال. كلمة لا إلَه إلَّا الله هي الأساس، ومن لم يؤمن بها فلا صلاة له. "**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إلَه إلَّا الله وأن محمداً رسول الله...**"[9].

70- ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ**﴾: لخبث نفوسهم ما صدَّقوا، ما كان لهم ثقة بقوله.

سورة البقرة: [71-80]

71- ﴿**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ**﴾: ما ذلَّت في الحراثة. ﴿**وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ**﴾: على النواعير. ﴿**مُسَلَّمَةٌ**﴾: سالمة من كل عيب بعدم قيامها بالحراثة والسقي. ﴿**لَا شِيَةَ فِيهَا**﴾: لا شيء فيها من العيوب والنقص. وعدم شغلها سببه دلال صاحبها لها. إذ وجدت عند فتى لم يكلّفها بالعمل فليس عليها آثاره حيث كانت منصرفة للاعتناء بوليدها. فلا شية فيها أي لا شيء من علل فيها إذ أنها لم تعمل ﴿**قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾: ما كادوا يضربون الميت حتى قام ونطق.

72- ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا**﴾: دفعتم الأمر على بعضكم، إذ ألقيتم التهم ورميتم على بعضكم. ﴿**وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾: من الجرم. فسبب القصة لما قتل منهم قتيل جاءوا يسألونه فأجابهم فعاكسوه هذه المعاكسات، كذا يفعل كل من لم يؤمن، أي كل من لم يفكِّر حتى يعقل.

73- ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا**﴾: فتكلم الميت من قتله، ضربوا المقتول بشيء من البقرة الميّتة، فهل ميت يحيه ميتٌ؟! ذَنَب بقرة يحيي! طبعاً تلك صورة والله هو المحيي. أراهم ذلك حتى يعرفوا أن الفعل بيد الله. ﴿**كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**﴾: شيئاً من قدرته. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾: فما فكَّروا وما استدلوا، أبعد هذه الآية آية؟ ومع ذلك حيث ما فكَّروا.

74- ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾: كل ذلك لم يفدهم لعدم إقبالهم. كل هذا البيان لنا لنعلم أن من لا يؤمن بلا إلَه إلَّا الله، إن ظلَّ على عدم تفكيره فحاله كحال بني إسرائيل. ليس الأمر بالسماع بل بالتفكير والعقل. ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾: الحجر يخرج منه الخير لكن الذي لا يؤمن لا خير فيه. وكذلك المعرض قلبه قاسٍ. ﴿**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ**﴾: لما ضرب سيدنا موسى الحجر بعصاه بأمر الله. ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾: لما تجلى الله على الجبل اندكَّ. ﴿**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾: الآن من الكيد لمحمّد، كله بعلم الله، كذلك أنت أيها الإنسان احذر، لكي تسعد دنيا وآخرة فكِّر واعقل، فمن لا يفكِّر بعمق حتى يعقل فلا خير فيه.

75- ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ**﴾: غير المقبل لا يمكن أن يهتدي، الله تعالى يخاطب المؤمنين الآن بقوله: هؤلاء اليهود وقد سمعوا كلام الله عن لسان سيدنا موسى عليه السلام وحرَّفوه وهم يعلمون

---

[9] رواه البخاري ومسلم

أنه من الله. رأوا المعجزات، العصا، البحر، رأوا كيف نجوا وغرق فرعون ثم أعرضوا عن الله وطلبوا الدنيا، وعفا الله عنهم أول مرة فما رجعوا، أمرهم أن يقتلوا أنفسهم فما رجعوا، أُمروا بدخول بيت المقدس فامتنعوا، تاهوا وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، الغمام، الحجر انبجست منه الأعين ثم ما رجعوا، ثم قال لهم اذبحوا بقرة فما صدقوه، السبب في ذلك كله أنهم ما قالوا لا إلَه إلَّا الله: والآن اليهود في عصركم إن لم يقولوا لا إلَه إلَّا الله أفتطمعون أن يؤمنوا لكم! أجدادهم رأوا ما رأوا حيث ما قالوا لا إلَه إلَّا الله ما رجعوا عن ضلالهم، والآن الموجودون ما رأوا شيئاً كمن سبق فكيف تطمعون بهم وهم ما قالوا لا إلَه إلَّا الله. والآن هذا الكلام لنا أيضاً إذا أحدنا ما قال لا إلَه إلَّا الله وعرف أن الله محيط به لا جدوى له مهما أقنعته ومهما حثثته فلا تطمع بتصديقه، لا جدوى له. إذن الأمر متوقف على إيمانك إيماناً منبعثاً من داخل نفسك. **﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾:** علماؤهم في الماضي. **﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾:** يغيّرون معانيه. **﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾:** بعدما عقلوا ما فيها من الخير لغلبة دنياهم عليهم، عقلوا ما فيه من خير ومن شر فكريّاً. **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:** أنه الحق وأنه من عند الله، مع علمه أنه حق يحرف. إذن لن ينالوا الإيمان حتى يقولوا لا إلَه إلا الله.

76- **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا﴾:** خداعاً. **﴿آمَنَّا﴾:** بمحمد ﷺ هذا موجود عندنا في التوراة. فكل ما عندكم موجود عندنا من صلاة و.. وكذلك الأخبار عن الرسول. **﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾:** من التوراة أتنبئونهم بهذا. **﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾:** حتى تكون لهم الحجة أمام ربكم يوم القيامة. **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:** كيف تقولون ذلك لأصحابه أن محمداً مذكور عندنا في التوراة حتى غداً يحاجوكم عند ربكم؟ فردَّ الله عليهم:

77- **﴿أَوَلَا﴾:** أليسوا **﴿يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:** هذه ما عرفوها، أما هي مذكورة عندهم؟! إذن هذا كله من عدم إيمانهم بلا إلَه إلَّا الله، لو عرفوا ذلك لعرفوا أن الله شهيدٌ وسميع مُطَّلع، لكنهم ظانّون أن الله بعيد عنهم غير سامع. وكذلك نحن الآن أحدنا يكذب، يغش، لو عرف أن الله معه لما فعل شيئاً، وهكذا الإنسان لا بد أن يتوصل بنفسه للإيمان، فلا يستطيع أحد أن يهديك ويجعلك مؤمناً، إذا أنت بنفسك لم تفكِّر ولم تقنع نفسك.

78- **﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾:** يؤمُّون للأحبار، فكثير منهم سائرون بالأماني، يؤمُّون إلى أولئك العلماء الكاذبين، يسمعون ولا يُعملون تفكيرهم أحق ما سمعوا أم باطل، ويذكرون الرحمة والشفاعة. **﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾:** يمنون أنفسهم بالشفاعة. **﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾:** ظناً أنّ لهم الخير، يظنون الجنة بالأماني، إن لم تنزع ثوب الحيوانية لن تدخل الجنة، الجنة للإنسان لا للحيوان، إن لم تصبح إنساناً لا يمكن أن تدخل الجنة.

79- **﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾:** العلماء الذين يغيّرون كلام الله. **﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾:** وهم كلّ من يتحدّث عن الله غير الحق، ومن يدلي بفتوى لم يأت بها القرآن. **﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾:** ليصير لهم شأن في الدنيا، وينالوا الدنيا. **﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾:** من الباطل والكذب. **﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾:** يأتيهم الشقاء من الدنيا التي يكسبونها، فالشقاء والهلاك سيحلُّ بهم من هذا.

80- **﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾:** الأيام التي عبدوا بها العجل "40 يوماً".

إذن: سبب عملهم المنحرف وكل أمانيهم هو طمعهم بالشفاعة، إذ أنهم رأوا الله بعيداً عنهم فساروا بالأماني فقالوا: بعد أربعين يوماً ندخل الجنة. كذلك الذين يتأملون بشفاعة الرسول ﷺ أن لن يطول عذابهم على حدّ زعمهم. **﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾:** هل ورد هذا عندكم بالتوراة؟! **﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ**

عَهْدَهُ﴾: إن كان كلامكم صحيحاً. ﴿**أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:** بدون أن يكون لكم مستند ما. الشفاعة الحقَّة الآن، أن تدخل الآن بمعيَّة رسول الله ﷺ على الله.

سورة البقرة: [81-90]

81- ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾:** فعل ما يسوءه. ﴿**وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾:** فعل الفعل ولم يتب، فلأنه لم يتب: ﴿**فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾:** هم بذاتهم يطلبون النار ﴿**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:** فيخلد إليها ويرتمي بذاته فيها، إذا فعل السيئة وما تاب منها ومات بهذا الحال يرتمي في النار ليستر عن نفسه آلامها. فما الله هو الذي يعذِّبهم كما يقولون أياماً معدودة، بل هم بذاتهم يرتمون بها من ألمهم.

82- ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:** هم بذاتهم. مثال: مريض وصحيح: سمع أحدهم بصاحب سيارة ينادي للمستشفى، الصحيح لا يذهب معه بل المريض في الحال يلحق به بسبب ألمه، وبالعكس سيارة للنزهة يلحق بها الصحيح بخلاف المريض.

83- ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾:** العهد على لسان يعقوب عليه السلام. ﴿**لَا تَعْبُدُونَ﴾:** لا تطيعون. ﴿**إِلَّا اللَّهَ﴾:** كل شيء يأتي عن غير طريق الله ردّ، ألَّا تسمعوا كلام أحد إلَّا الله تعالى، كل المخلوقات دلالتها خطأ إلَّا ما ورد عن الله تعالى وكل قول يعارض كلام الله فهو مردود. **{مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}**[10]. علم الله تعالى واسع وعلم الإنسان محدود.

فالله تعالى يبيّن لنا أنه أخذ على بني إسرائيل العهد في التوراة كما أخذ علينا نحن العهد ﴿**لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾:** وقد قال تعالى أيضاً: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللّهَ}**[11]. فلم يذكر الله تعالى عن أوائل السور أنها مبهمة بل قال: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ}**[12]، قولهم الله أعلم بمراده هذا قولهم لا قول الله، المرجع هو كتاب الله دوماً. ﴿**لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾:** هكذا ربنا تعالى أمر. القرآن واضح بيّن لا كما قالوا من أن فهم القرآن يحتاج إلى ستة عشر علماً من العلوم المختلفة والانكباب على دراسة الكتب المطولة. فهل الكون كله تام بقوانين صارمة بالدقة وكلامه تعالى بخلاف صنعه العظيم على زعمهم ناقص غير تام، غير مفهوم. المراد من أوائل السور كرموز إنما هي دعوة إلى التفكير؛ بل إثارة التفكير أيضاً. حتى تستطيع أيها الإنسان فهم المعاني: المعاني الواردة في السورة لتعمل بها، فتسعد بدنياك وآخرتك، إن لم تفهم كلام الله فكيف تطبِّقه؟!

أمرك الله أن تتفهم كلامه، فواتح السور سبب لتقدير رسول الله ﷺ، فالارتباط به والدخول معه على الله عندها تفهم كلام الله تعالى.

لا يفهم الإنسان القرآن ما لم يكن قريباً من حضرة الله، والقرب من الله إنما يتم بمعية رسوله قلبياً، فهذه المفاتيح الأوائل بالسور إنما هي سبب للقرب من رسول الله ﷺ والارتباط معه برباط المحبة.

﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾:** لا تطيع والديك بل عاملهما بالإحسان، فإن الطاعة لله وحده، إذن: والديك عاملهما بالإحسان. لا تطع غير كلام الله، كل كلام مغاير ردّ. ﴿**وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾:** كل هؤلاء عاملهم بالإحسان. ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾:** دلُّوا الناس على الله. المؤمن لا يعامل الخلق إلَّا بالإحسان، والصوم لا يكون حقّاً إلَّا إذا كان عملك كله دون استثناء، كله إحسان. شائبة واحدة

---

[10] سورة الأنعام – الآية:38.

[11] سورة آل عمران – الآية:64.

[12] سورة النساء – الآية:82.

تحول دون إقبالك، النفس حُرّة، الله منحها الإطلاق والحرية لا تستطيع إجبار نفسك، بل إذا أقنعتها سارت معك ووافقتك، إن أحسنتَ وأصلحتَ أقبلت، عندها تقبل نفسك على الله وتتشرب الكمالات، أما إن أفسدت صومك بمخالفة فلن تستطيع الإقبال. أما إن أقبلت النفس على الله واشتقَّت الكمال وأحبت أهل الكمال فصاحبتهم دخلت معهم على الله فاستنارت بنوره تعالى ورأت الخير من الشر، وهذه ثمرة الصوم.

ملاحظة: أعطاك الله تعالى أهلية لأن تصبح بأعلى الكمال، فكّر لتصل لهذا. أعطاك آلة تامة تصبح بها بصيراً لا تعود تستهوي هذه الدنيا وما فيها من مفاسد، ترى حقيقتها وهذا تكليف غير صعب، انتسب للمدرسة بصدق تستهون بها هذه الرؤية للحقائق، أما إذا تشرَّدت نفسك، شردت بهذه وهذه، وتركت الأصول، لا تهوى إلَّا الرذيلة. وأعمالكم التي تعملوها ستنطبق عليكم غداً بالحق. والذين أهملوا هذه الآلة الآن أهل هذا الزمان، فما ساروا بالحق، الآن أعمالهم منحطة، لكن إعراضهم سيسوقهم لأعمال أدنى انحطاطاً منها، ساعون إليها، يستمرون على هذا حتى الساعة، عندها تشخص أبصارهم ذعراً وإلى الأبد. السبب: كانوا مستكبرين بما لهم من شأن دنيوي واختراع، يتسامرون باللهو واللعب والفسق، ويهجرون الحق، أفلم يروا ما في هذا البيان والدلالة من منطق وحق؟! هل هذا غريب؟! أما أرسل تعالى لكافة الأمم رسلاً؟! أما قارنوا أعمالهم بأعماله أما رأوا كماله، كلامه، بيانه، عطفه؟! هل يظنونها تخيلات؟! أهكذا بدون تفكير أو تمحيص أو مقارنة؟! غداً كل واحد يقول نفسي.

كيف تسير بما تقدم في صدر الآية: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾: احذروا أن تنقطعوا عنه تعالى: إن آمنت صلَّيت، المؤمن يُحفظ من الوقوع ويكتسب ثقة فيقبل ويصلي، بالصلاة تحصل لك الطهارة من حضرة الله تعالى فتطهر النفس من كل الشوائب. ﴿**وَآَتُوا**﴾: أنفسكم ﴿**الزَّكَاةَ**﴾: الطهارة، زكّوا أنفسكم بالإقبال على الله بالصلاة كي تقدِّروا الدلالة. ﴿**ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ**﴾: يا بني إسرائيل. ﴿**إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ**﴾: وهذه الفئة القليلة تبقى إلى يوم القيامة. ﴿**وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾: أنتم الآن معرضون عن هذا العهد، عن لا إلَه إلَّا الله، ما آمنتم بها. وهل طبَّقنا نحن الآن أم سرنا مثل سيْر بني إسرائيل؟! تارك الصلاة يموت يهودياً أو نصرانياً لأن عمله مثل عملهم.

84- ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**﴾: على لسان يوسف عليه السلام. ﴿**لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ**﴾: بالحرب أو خلافه. ﴿**وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**﴾: يخرج بعضكم بعضاً. ﴿**ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ**﴾: أن هذا العهد حق. ﴿**وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾: أن عملكم خلاف ذلك. وما في مخالفتكم من الأذى.

85- ﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ**﴾: الآن أنتم. ﴿**تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾: كمن يفعل الفواحش ويأتي المنكرات ثم يصلّي ويفرّق بين تلك وهذه. والآن كثير منَّا يصوم ولا يصلّي، يحج ويشتغل بالربا، يؤمن بما يناسب هواه ويكفر بما يعارض شهواته، فالأندلس كانت دولة عظيمة لكنها زالت، إذ كانوا يستعينون بالأجانب على بعضهم البعض.

المؤمن يؤمن بالكلّ فلا يطبق واحدة ويترك واحدةً أخرى، فمن يفعل واحدةً ويترك أخرى، أي: يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض يحصل له ما حصل لهم.

هذا وقد كان يهود المدينة أيضاً يستعينون بالعرب على بعضهم. ﴿**فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ**﴾: من يكفر بشيء، ويؤمن بشيء. ﴿**إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: وهم الآن أذلّة، وما إسرائيل بدولة. ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ**﴾: حيث عرف الحق وما سار به، حينما يذهب للآخرة فلا يجد

له عملاً صالحاً يحترق حزناً فيداويه تعالى بالنار. ﴿**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾: الله تعالى قريب منك ناظر وشهيد. سبب عدم إيمانهم بلا إلَه إلَّا الله، الحجاب بالدنيا.

86- ﴿**أُولَئِكَ**﴾: وكل من سار سيْرهم. ﴿**الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ**﴾: سبب شذوذهم أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، حبُّهم للدنيا غالب عليهم، صلاته، صومه، حجُّه كلها لا جدوى له منها. ﴿**فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾: غداً. حيث يذهب للآخرة فلا يجد له عملاً. يحترق فيداويه عن حزنه بالنار. لا بد من خلع حُب الدنيا من قلبك، هذا لا يكون إلَّا بالإيمان بالموت، عندها تخاف النفس فيخرج حب الدنيا من القلب.

فالله تعالى خلق لنا الدنيا لنسمو بها، إن رأيتها وأعرضت عنها صار لك ثقة كبيرة بتركها، فتقبل على الله حيث أنه شيء محبوب وغالي لديك وضحَّيت به. فبنو إسرائيل تصديقهم أعظم من تصديقنا، رأوا كثيراً من الآيات ونحن لم نَرَها، لكن إذا آمنا سبقناهم.

87- ﴿**وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾: كلّه من عنايتنا بعبادنا. ﴿**وَقَفَّيْنَا**﴾: تابعنا. ﴿**الرُّسُلِ**﴾: رسولاً بعد آخر. ﴿**وَآَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ**﴾: المعجزات، أحيا الميت، أبرأ الأكمه والأبرص، تكلم في المهد. ﴿**وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾: بالمعاني العالية من الله وبالمعجزات: كالإذن بالإحياء، وقد جاءهم بالتوراة على وجهها بواسطة جبريل ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾: على حسب هواكم تريدون المسائل. لما أقام عليهم الحجة، قالوا له هذا العمل بأمر من الله، والله خلقنا كفَّاراً.

88- ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾: لما تبيّن لهم أنهم على الباطل قالوا إن الله هو الذي جعل قلوبنا مغلفة هكذا، الله سكَّر لنا قلبنا، فردَّ عليهم تعالى بقوله: ﴿**بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ**﴾: بإعراضه عن الله صارت نفسه خبيثة، اللحاق بالدنيا غطّى على قلوبهم فأعرضوا. كفرهم بنعم الله كان سبباً في بعدهم عن الله وامتلأت نفوسهم خبثاً، وما هو الله الذي سكَّر على قلوبهم. الدنيا ما دام حبّها بالقلب لا يدخل الإيمان، أخرجها أولاً. ﴿**فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾: ما الفرق بين زيد وعمرو حتى يكون هذا مؤمناً وذاك كافراً، القضية متوقفة على تفكيرك، إن فكَّرت آمنت. فعدم معرفتهم بلا إلَه إلا الله باعدهم عن الله فخبثت نفوسهم، فلن يؤمنوا وليس لديهم، من الإيمان ولا القليل منه.

89- ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾: القرآن. ﴿**مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ**﴾: الحق، الآن الكثير يقول أحدهم إذا كبرت أتوب وأصلي. ﴿**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: يتطلّبون النصر عليهم. متوقعين مجيئه ليكونوا معه. كان اليهود يقولون سيأتي رسول من العرب غداً وسنؤمن به وننتصر على العرب. ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا**﴾: ما عرفوه من الحق. ﴿**كَفَرُوا بِهِ**﴾: حسداً من عند أنفسهم وبغياً. ﴿**فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾: البعد عليهم، بكفرهم وإعراضهم امتلأت نفوسهم خبثاً، بُعدهم أصله ومنشؤه إنكارهم وعدم تفكيرهم.

90- ﴿**بِئْسَمَا**﴾: فيه البؤس لهم، البؤس ضد النعمة. ﴿**اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ**﴾: من أجل الدنيا ساروا هذا المسير بغياً وحسداً وكفراً. ﴿**أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا**﴾: من أجل هواه ودنياه. ﴿**أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾: محمد ﷺ شاء فطلب أن يكون هادياً للخلق، إذ بإقباله على الله غرف بقلبه رحمة وحناناً فطلب هداية الخلق وأعطاه تعالى، وكل من شاء في أي زمان أعطاه. ﴿**فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ**﴾: كفرهم قبل سيدنا محمد ﷺ وكفرهم بعده. لقد حلّ بهم الغضب من تكذيبهم بالقرآن على تكذيبهم بالماضي. ﴿**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾: فيه إهانة وانحطاط.

سورة البقرة: [91-100]

91- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: على محمد ﷺ ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾: من التوراة، كتابنا حق. والآن كذلك تنصح الرجل يقول لك شيخي فلان ولا يقارن بين قول الأول والثاني. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾: الإنجيل والقرآن. ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾: من التوراة. أليس كلام الكتابين واحداً يدعو إلى الله؟!﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: هل تسمح لكم التوراة بهذا؟! إن كنتم مؤمنين كيف تقتلونهم، وقد جاءوكم بما تدّعون أنكم تتبعونه، وقد قتلتم الأنبياء من قبل وقد دعوكم إليه. إذن كلامكم غير صحيح، لو كنتم مؤمنين ما عارضتم الحق "المؤمن يؤيد الحق ولا يعارضه"، إن كنت مؤمناً أين فعلك الطيب؟!

92- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جاء بالمعجزات كلها "كالعصا، البحر، غرق فرعون"، ثم ذهب للمناجاة أربعين يوماً. ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: حبّ الدنيا العاجلة، قلبكم ملآن بحب الدنيا، أنتم لستم سائرين على كتابكم، لكنكم تنكرون على كل شخص لا يوافق قوله هوى أنفسكم. "ففكِّر بهذه الجوهرة الثمينة المودعة عندك عندها ترى أهل الحق". ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: السبب عدم إيمانهم بلا إلَه إلّا الله.

93- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: على لسان سيدنا موسى عليه السلام ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾: البيان العالي "التوراة" وفيه الكلام العالي. ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾: منها ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بتمسُّك. تمسَّكوا به، والآن أنت تمسَّك بالقرآن. ﴿وَاسْمَعُوا﴾: ما فيه. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾: أقرّوا بمعصيتهم. كذلك نحن الآن نقول: الله يعفي عنّا نحن ما لنا قدرة على السير، نحن ضعفاء لسنا قادرين على ترك المعاصي، مذنبون. ولو صدقت بطلبك لوفَّقك الله ولسرت بالحق، ولِمَ قالوا سمعنا وعصينا؟! سببه: حبهم للدنيا جرَّهم للعصيان. ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾: حب الدنيا تغلغل وتعلَّق بقلوبهم. فالسبب أنهم أشربوا محبّة الدنيا. ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: بإعراضهم عن الله تعالى، بكفرهم بلا إلَه إلّا الله، لو آمنوا بها لانتبذ من القلب حب الدنيا. ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: المؤمن هل يفعل ما تفعلون؟! أهكذا فعل المؤمن؟!

94- ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾: لو كانوا صادقين بقولهم ومؤمنين به لتمنّوا الموت ولما خافوا على حياتهم، المجرم يخاف. إن كنت مؤمناً محسناً فلا تخف، إذ ستعود للوطن الذي منه جئت، كنت عند الله وإليه ستعود.

"حب الوطن من الإيمان"[13]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: كذبهم معروف "هذا الخوف من علاماته"، وهكذا الناس يخافون من أبسط الأشياء، المؤمن الذي يعرف نفسه طاهراً نقيّاً لا يخاف.

95- ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾: لمعرفته بما في نفسه يخاف. بالأماني فقط لا بالعمل الصالح المؤهّل لدخول الجنة. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من عملهم السيء، من الشر. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: لأنفسهم.

96- ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾: اليهود. تمسّك الكافر صاحب الكتاب أشد من تمسّك المشرك. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: اليهود يخافون أكثر من النصارى، المشرك لا علم له بشيء عن الآخرة، لا يحسب للموت حساباً، أما هؤلاء فقد أقروا بالجنة والنار لكن شهواتهم غالبة عليهم. ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: يودّ لو يعيش. "كما يدعي بعض الناس أن الله يستحي من تعذيب من

[13] الصنعاني في المقاصد

مات على شيبة". ﴿**وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ**﴾: هل يبعده العمر الطويل، مهما عاش لا بدَّ له من الموت؟ لا يزيحه عمره الطويل من العذاب. ما هو المخلِّص له من الحساب والعقاب ما العمل، ولو عاش ألف سنة؟! ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾: وهذا أيضاً حال المنافق يفسق ويخاف من الموت لعلمه بالسؤال والحساب.

97- ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ**﴾: عادوا جبريل لتنزيله القرآن على رسول الله ﷺ ولم ينزّله عليهم. قالوا نحن تأثرنا من جبريل لأنه جاء بهذا القول، وعادوا جبريل عليه السلام. فرد عليهم: ﴿**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾: المنزّل هو الله، اطلب أنت تُعطَ الخير. الحسد والغيرة من صفات الكافر. ﴿**مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾: من التوراة والإنجيل. ومن الكون. ﴿**وَهُدًى**﴾: فكلّه بيان وآيات عن لا إلّه إلَّا الله. يهتدي بصحبة رسول الله ﷺ إلى الله وذلك إذا آمن بلا إلّه إلَّا الله. ﴿**وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: إن آمن يهتدِ ويستبشر.

98- ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ**﴾: يقول لماذا أمرضني، لماذا أفقرني وأغنى فلاناً، هذا كلام الشيطان، اجعل نيتك عالية يعطيك. ﴿**وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾: واضع الأرواح ونازعها. عادوهم. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾: استفهام: هل يعادي الله الكافرين؟ أنت تعادي ربك وربك هل عاداك؟! أرسل لك الرسل والآيات، أمعاداة لك أم حبّاً بك وخوفاً عليك؟ هل الله عدو للكافرين؟ بإرساله الرسل والملائكة والكتب إليهم!! فكيف يوجِد الكفر؟! وذلك ما يأباه عاقل. والله تعالى يرسل للكافر المصائب ليرده للحق. الله عدوٌ للكافرين! وهو لا يريد لعباده الكفر، فهل من المنطق كما يقولون أنه خلق هذا كافراً وهذا مؤمناً؟!

99- ﴿**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**﴾: الله تعالى يبيّن لنا أنه أرسل لنا آيات ظاهرة مكشوفة دالّة على لا إلّه إلَّا الله. ﴿**وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ**﴾: لا ينكرها إلا الخارج عن الحق، فلا شيء يُبعد الإنسان عن الحق إلا الفسق. الفاسق لا يرى، إذ أنه معرض ملتفت إلى دنياه.

100- ﴿**أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا**﴾: رسول الله. ﴿**عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ**﴾: إذا أقرَّ بعضهم بالحق جاء من يرجعه عنه، كمن يقول عند المرشد: غداً سأستقيم، فيأتيه من يلفته عن عزمه. وفي الماضي كلما عاهدوا عهداً نبذه "ألقاه" جماعة منهم، وكان اليهود كلما جاءهم رسول وعاهدوه على السيْر بالحق ثم توفي، فخلف من بعده رؤساء ذوو نفوس خبيثة ولحق الناس بهم، كذلك الآن الشخص الذي لا يتمكن بالإيمان ينبذ ما سمعه وتغلبه شهوته السبب: ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾: أن كثيراً منهم غير مؤمن بالله، حيث الأكثرية ما عندهم إيمان، ما آمنوا إيماناً منبعثاً من أنفسهم، لأن المؤمن سيره على بصيرة، إن جاءه رجل وقال له الوجه ليس بعورة لا يتَّبعه، لكن غير المؤمن بمجرد ما يسمع كلمة يوافقها، من لا إيمان له لا عهد له.

سورة البقرة: [101-110]

101- ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ**﴾: من التوراة. ﴿**نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾: علماؤهم ألقوا كلام الله. ﴿**كِتَابَ اللَّهِ**﴾: ألقوا التوراة. ﴿**وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: عنه شيئاً ولا ما فيه من الحق، السبب في ذلك أن شهواتهم غالبة عليهم لعدم إيمانهم بلا إلّه إلَّا الله. لو أنَّ الإنسان آمن وصار له علم لردّ شهوته وغالب هواه. فالله تعالى أمرهم بالتوراة بطاعة رسول الله ﷺ واتباعه فعارضوا ونبذوه.

102- ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾: اتّبع اليهود ما تتكلّم به الشياطين من الكذب على سليمان أنه مَلَكَ بالسحر، فزعموا أن سليمان: سحر الجنّ. وأعانوه على الملك، فسلكوا طريق السحر. قالوا سليمان مَلَك ذلك الملك بالسحر فسيطر على الجن وبنوا له ما بنوا. فبدلاً من أن يتلوا التوراة جاءوا بهذه القصص والتي مؤدَّاها أن سليمان مَلكَ العالم بالسحر. فردَّ الله عليهم: ﴿**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**﴾: ما أعرض سليمان عن الله، ولكنّه استمد العون من الله. سليمان ما نسب الفعل لغير الله، كان يعلم أن الفعل كله بيد الله. وأن كافة هذه القصص التي نسبوها لسليمان من أنه مَلكَ ما ملك بالسحر أنها كلها كذب. ﴿**وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ**﴾: شياطين الإنس. ﴿**كَفَرُوا**﴾: تكلّموا بالكذب. ﴿**يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾: التخييل، وزعموا أن السحر أنزله الله على المَلَكين فردَّ تعالى عليهم: أن هذا الذي ذكروه لم ينزّل على المَلكيْن وقولهم كذباً. ﴿**وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**﴾: ليعلّما الناس السحر. هذا القول غير صحيح وما أُنزل شيء. وزعموا أن المَلكيْن كانا يأخذان العهد على من يعلّمانه فردَّ تعالى عليهم: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى**﴾: الذي يعلّمانه شياطين الإنس والجن لكي ﴿**يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾! الشياطين يقولون باتباعك لنا فائدة عظيمة فلا تتركنا، فلا فائدة، وهذا القول ليس بصحيح. ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا**﴾: من شياطين الإنس والجن. ﴿**مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ**﴾: إلّا لمن استحق. ﴿**إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾: الفعَّال الحقيقي هو الله. إن كان العبد مستقيماً فلا سلطان لأحد عليه. وهذا الإضرار لا يتم إلّا بإذن الله، فلا يصيب السحر إلا المستحق، أما من كان مع الله تعالى فلا يؤذيه أحد ولا شيطان، ولا يستطيع أن يخيّل له. ﴿**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ**﴾: يتعلمون ذلك لكسب الدنيا، "والكل عاقبته خير". ﴿**وَلَقَدْ عَلِمُوا**﴾: في كتابهم. ﴿**لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴾: من الخير المحضّر له والمخلوق من أجله، فليس له شيء في الآخرة، والسحرة عرفوا أن السحر نهايته هلاك على صاحبه. ﴿**وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾: ما سيحل بهم غداً. لو آمنوا بذلك لما فعلوا ما فعلوا، فهم مغلوبون لأنهم لم يؤمنوا بلا إلّه إلّا الله، لو آمنوا لما غُلبوا على أمرهم.

103- ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ**﴾: ثواب رجع عليهم من الله. ﴿**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾: لو آمن بلا إلّه إلّا الله لما غُلب على أمره. الدنيا مؤقتة، الآخرة لانهاية لها.

104- الله تعالى بعد أن ذكر ما ذكر: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا**﴾: تغاضَ عنّا. لا تدعوا بما لا تستحقونه، أين عملكم؟ الدعاء دون عمل لا يجدي شيئاً، اليهود قالوا لا نمكث في جهنم إلّا أياماً، فالمغفرة لا تكون بدعائك ومجرَّد قولك. فلا تكن يا مؤمن مثل أولئك. ﴿**وَقُولُوا انْظُرْنَا**﴾: تجلَّ علينا بنورك، اطلبوا الشفاء والإقبال على الله والتنعم بالقرب منه. وقولوا أنظرنا: انظر عملنا بعين الرضا يا رب، ولكن كيف ينظر إليكم بعين الرضا. ﴿**وَاسْمَعُوا**﴾: اسمعوا قولي لتفوزوا بنظري، ذلك بسماع كلامي وأوامري. أرسلت لكم رسولاً طبقوا دلالته، اسمعوا ما حلَّ بمن خالف. فكّر استدل، اسعَ لتحصل لك صلة مع الله، عندها ينظر لك بعين الرضا. ﴿**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: في الدنيا والآخرة، الكفر وراءه عذاب، اسمع بما حلَّ بغيرك، طبّق أوامري لتسعد، أرسلتك للدنيا للسعادة لا للشقاء.

105- ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: حسداً. السافل المنحط يريد أن يكون كل الناس مثله. ﴿**مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾: اليهود ﴿**وَلَا الْمُشْرِكِينَ**﴾: النصارى. ﴿**أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: نزَّل القرآن والآيات الدالّة على الخير، ولكن المعرض دوماً يسعى لأن يكون المحسن بعيداً مثله. ﴿**وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾: فلِمَ الغيرة والحسد؟! إن رأيت الناس الطيّبين فأولئك كم أرادوا طلبوا، صدقوا، فأعطاهم. اطلب مثلهم تنل، ليس على المرء حسد من أنعم الله عليه واختصّه برحمته، بل عليه أن يغبطه

ويطلب من الله فيعطيه، كل من شاء أعطيه، الطالب بصدق يعطيه الله. ﴿**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾: كل الخلق إذا صلحوا نالوا الخير.

لماً رموا الفساد مع المؤمنين، قالوا لهم: لماذا نهاكم الرسول عن أشياء ثم سمح لكم بها كزواج الكتابيات؟! وقالوا: لما كان التوراة والإنجيل كتابان منزلان من عند الله فلم لا تتبعونهما وتريدون أن نتركها ونتَّبع القرآن؟! ذُكرت الآية التالية بعد أن احتج اليهود أن هناك توراة فلِمَ القرآن؟ فأجابهم الله بالآية:

106- ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ**﴾: نُثَبِّت، نذكر لكم. ﴿**أَوْ نُنْسِهَا**﴾: نوقف حكمها، نؤجّل الحكم فيها. ﴿**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا**﴾: خيرها بحسب زمانها. ﴿**أَوْ مِثْلِهَا**﴾: قالت اليهود للعرب محمد كل نهار يأتيكم بحكم، مرة يقول: لا تتزوجوا الكتابيات ومرة يسمح! فرد تعالى عليهم بهذه الآية: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: كل شيء عنده بمقدار بقدر الزمان، اللزوم، فهو يعطي كل شيء بقدر. نهى عن الزواج بهن لما كان الإسلام ضعيفاً خوفاً من أن يتبع الولد أمه بالكفر، لما قوي الإسلام سمح.

107- أيها المؤمن: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: هو أعلم بملكه ويتصرف بحسب حاجة الأزمنة والناس. ﴿**وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾: مَن ذا ينصرك من دون الله. من يولّيك وينصرك، هل من أحدٍ غيره دليل ومبيّن.

108- ﴿**أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ**﴾: أخذ اليهود يدسّون بين المسلمين، فأخذوا يسألونه ﷺ ما ليسوا أهلاً لفهمه كالأهلّة {**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ**}[14]. فذكّرهم تعالى أنه: هل تريدون سؤال رسولكم كما سأل قوم موسى عن البقرة؟ إذ سأله قومه عن لون البقرة وما شكلها إلى غير ذلك.

أتحاجُّونه كما حاججت اليهود! بنو إسرائيل ما قدَّروا سيدنا موسى، هذا بسبب عدم إيمانهم فهل تكونوا مثلهم؟! ﴿**وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾: يهوي على النار. الله تعالى جعل لك طريقين، وهيَّأك لكلِّ خير. فالذي تختاره يعطيك إياه، فاختر ما تريد، أرشدك لطريق السعادة، حذَّرك من طريق الهلاك.

109- ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾: اليهود تمنوا، وهكذا السافل يتمنى أن يكون الناس كلهم مثله. ﴿**لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا**﴾: لأنهم رأوكم علوتم بإيمانكم أرادوا رجعتكم. ﴿**حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**﴾: فاليهود رأوا الرسول والقرآن أنه كله حق ومنطق، وعرفوا أن الرسول حق ولكن ما اتَّبعوه لأن عرفهم ظاهري، ما آمنوا لكي يتحققوا وهكذا كل من لم يؤمن حقاً لا يستقيم. ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**﴾: بما هو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل لكنّه الحسد. المؤمن لا يحسد، يرى العدل الإلّهي قائماً، فلا يحسد أحداً بل يسعى مثله.

لما سمع المسلمون هذا العتاب ندموا على أن أصغوا إلى اليهود، وعزموا على الانتقام منهم فنهاهم عن ذلك وقال: ﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا**﴾: عنهم، إن ساءكم موقفهم تجاهكم فاعفوا عنهم ولا تعزموا على قتالهم حتى يحين الوقت المناسب، عندها يجعل الله قتلهم على يديكم. ﴿**حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾: فلعلَّ هؤلاء اليهود يتوبون. يرسل شدائد إنذارات لعل يعود في النهاية، إن لم يتب يأتيه الهلاك. فانظر

---

[14] سورة البقرة – الآية:189.

رحمة الله تعالى وحنانه بخلقه. اليهودي له مطاولة عند الله لكي يرجع ويتوب. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: كل شيء بمقدار وله وقت.

110- ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾: فلعلَّكم تردُّوهم للحق، أنتم يا مؤمنون حتى تأتي الطهارة لنفوسكم أقيموا الصلاة، إن جاءك الكافر بكلمة خلاف الحق تردّها. ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ**﴾: عملك كله نتائجه لك لا لله. ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾: مشاهد عملكم.

سورة البقرة: [111-120]

111- ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾: كلّ يزعم لنفسه المزيّة والفضل. ﴿**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ**﴾: هذا زعمهم، هذه أمانٍ ونحن الآن نقول مثلهم ونتمنى الأماني. أنت انظر لعملك واحكم على نفسك، لا تمشِ بالأماني، فاليهود والنصارى ادَّعوا أن الجنة لهم، كذلك على الإنسان ألَّا يقول الجنة لي، عليه أن يبرهن على ذلك بعمله. ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾: عملكم ونيّاتكم وما في قلوبكم. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: ما عملكم الذي استحققتم عليه دخول الجنة، لا صلاة، لا صيام، خمر، مفاسد، فعلى هذا ستدخل الجنة؟! ليس الأمر كما تقولون، أرونا أعمالكم التي تؤهلكم للجنة، الجنة لا يدخلها إلَّا إنسان، الحيوان لا يدخل الجنة، وكل امرئ يعرف نفسه، إن كان عمله إنسانياً عالياً فهو من أهل الجنة والعكس بالعكس.

112- ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ**﴾: ليس الأمر كما تقولون بل من أسلم وجهه، آمن بلا إلَه إلَّا الله ورأى الكون كله سائراً بأمر الله ونفسه مقبلة فعرف أن كل ما يصيبه من الله تعالى خير فاستسلم بكلّيته إلى الله مطيعاً يعمل الخيرات، وعلامة المؤمن بها أن كلَّ عمله إحسان. ﴿**وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾: للخلق، استسلم وعمل، آمنوا وعملوا الصالحات، علامة الإيمان الصحيح العمل. ﴿**فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾: يثاب على أعماله. ﴿**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾: من وجودهم بأي مجتمع، فلا يصيبهم سوء في الدنيا. ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾: على فراق الدنيا، حيث وجدوا خيراً منها بعد الموت.

113- ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ**﴾: اتهم كلّ صاحبه بأنّه على ضلال. ﴿**وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾: نفس الكتاب تتلوه فئتان، كلٌّ يدّعي أنه على الحق. الكتاب واحد وهؤلاء يقولون ليس هؤلاء على شيء وهؤلاء يقولون ليس أولئك على شيء، فهل أنت أيضاً على شيء، إن لم تقرأ وتعمل فلن تستفيد شيئاً. ﴿**كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: من المشركين الذين لم ينزّل عليهم كتاب قالوا كقولهم، كذلك فكثير من المسلمين يقولون أنهم على الحق، والحقيقة أن الكل سواء إلا من استقام. ﴿**مِثْلَ قَوْلِهِمْ**﴾: الآن كذلك، الآن يقولون مثل قول أصحاب الكتاب. ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾: فليتكلموا بما شاؤوا فكل من لم يصل للإيمان يتعدى.

114- لما أمر الرسول أصحابه بالتوجُّه للمقدس، أرادوا زيارته فمنعهم النصارى فنزل ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾: فإن كنتم على الحق فلِمَ تمنعون الناس من دخول بيت المقدس والوجهة إلى الله. ﴿**وَسَعَى فِي خَرَابِهَا**﴾: أدخلوا عليها الرجال مع النساء. ﴿**أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ**﴾: فبشَّر الله المؤمنين بأنهم سيدخلون بيت المقدس وسيكون أولئك حقراء خائفين. وقع ذلك بعهد عمر بن الخطاب. ولا يزال النصارى بعد أن دخل المسلمون القدس، إذ أصبحوا يدخلونها خائفين إلى الآن. ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**﴾: وهكذا وقع لهم فقد أُذلوا وسيذلُّون ثانية. ﴿**وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: من جراء عملهم.

115- ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**﴾: القدس ومكة، يبيّن الله أنه لا فرق في الوجهة إلى الشرق أو إلى الغرب. اليهود والنصارى يتَّجهون للشرق للمقدس بالنسبة للمدينة والمغرب فمكة بالنسبة للمدينة "جنوب غربي" إن توجهت للبيت من أية جهة كانت توصلت، إذ العبرة الوجهة الصحيحة لا مجرد الوصول للمكان فقط. ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾: تجد الله تجاهك. إذ العبرة لا للمكان بل للإمام، من حيث توجَّه الإمام ﷺ توجَّه معه بمعيّته، من أي مكان توجهتم أمكن لنفوسكم الاتصال بالله سبحانه. ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ**﴾: فضله. ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بحالك، إن كسبت نفسك ثقة بإحسانها فإنك تصل بلحظة للكعبة لبيت الله، والعكس صحيح.

116- ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**﴾: لا يماثله شيء. ﴿**بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: الكل عائد له. ﴿**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾: متوجهون طالبون المعونة منه ومفتقرون لفضله، أكبر ملك محتاج لفضل الله. كأس الماء، الطعام وسيره، كله مدين به لله.

117- ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: موجدها ومظهرها. ﴿**وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾: عيسى عليه السلام بكلمة كن، هل صعب مجيئه بهذه الصورة؟

118- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: بعهد رسول الله ﷺ. ﴿**لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آَيَةٌ**﴾: وهل الآيات قليلة في الكون؟! ﴿**كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**﴾: اليهود طلبوا ذلك وكل من لم يصل للإيمان. ﴿**تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾: فالجميع سواء، وإن اختلفت أسماء مذاهبهم فالعبرة لعملهم **"تارك الصلاة إن شاء يموت يهودياً وإن شاء يموت نصرانياً"**: عمل الإثنين واحد، كذا الذي لا يصلي عمله وقلبه مثلهم. ﴿**قَدْ بَيَّنَّا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾: قد أوجدنا من الآيات ما فيه الكفاية لقوم يريدون التوصل للحق، الصادقين بالطلب للوصول لليقين.

119- ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ**﴾: عندك أهليّة كاملة وتامة لأن تكون رسولاً. ﴿**بَشِيرًا**﴾: فوظيفتك أن تبشر أهل الحق. ﴿**وَنَذِيرًا**﴾: وتنذر أهل الفسق. ﴿**وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾: دعهم وشأنهم، أنت عليك البلاغ ولست بمسؤول عنهم.

120- ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾: الكافر مهما عاملته يرمي كل معروف ومهما سايرتهم إن كانوا معرضين لا جدوى لهم. ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾: شرع الله هو الحق، علينا ألا نتبع بعضنا بل نسير جميعاً إلى الله ونهتدي من طريق التربية. فمن لا يؤمن بلا إلّه إلَّا الله ويقبل مع أهل الحق على الله ويرى الخير خيراً والشر شراً مهما كلمته لا جدوى له. ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾: قل لهم بعد أن عرفت ما عرفت لا يمكن أبداً أن تتبعهم.

سورة البقرة: [121-130]

121- ﴿**الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾: من اليهود والنصارى ﴿**يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**﴾: يطبق ما فيه، إن الذين تمسّكوا بكتابهم حق التمسك وعملوا به من اليهود والنصارى، أولئك يؤمنون بمحمدٍ ورسالته، لينظروا في التوراة عن صدق، يطبّقون ما فيها عندها يؤمنون بكتابك. ﴿**أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾: إن تلاه حقَّ التلاوة. ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾: خسر نفسه، ضيَّعها. مهما نال الإنسان من الدنيا يبقى معذّباً.

122- خطاب لبني إسرائيل: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾: خلَّصتكم من فرعون وبغيه، ثم لما شذوا أرسل الله تعالى لهم بختنصر فسبى نساءهم وقتل أولادهم وشرَّدهم.

﴿**وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾**:** رفعت شأنكم بعدها بين البشر، وذلك لما تابوا فأرسل الله تعالى لهم داود عليه السلام فقتل بختنصّر ورفع شأنهم في ذلك العصر بزمنه وبزمن سليمان عليه السلام فوق سائر الأمم.

123- ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا**﴾**:** انستروا من ذلك اليوم. ﴿**لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**﴾**:** لا ترد، كل إنسان وعمله. ﴿**وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ**﴾**:** شيء معادل لا يؤخذ. ﴿**وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ**﴾**:** الصحبة في الدنيا إن كانت ظاهرية لا تفيد، أين عملك؟ أين إيمانك؟ عملك يرفعك. كما لا تفيد صحبة هناك، كل واحد ونفسه، الشفاعة الحقة تتم في الدنيا، وهي صلتك برسول الله ﷺ. ﴿**وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾**:** المريض من يحول بينه وبين المداواة؟ لا تتمسحوا بالرسل، انظروا ماذا فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام واقتدوا به، بعد هذه الآية يبيّن الله تعالى فضل إبراهيم عليه السلام وكيف أنه استحق أن تنزّل عليه الصحف:

124- ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾**:** امتحنه بأعمال قام بها على وجهها. ليست المسألة جزافاً بل بالعدل، بالحساب. لما طلب سيدنا إبراهيم عليه السلام الولد ورزق بإسماعيل عليه السلام، أُمر بأن يذهب به وبأمه إلى وادي مكة، وادٍ غير ذي زرع، إلى الصحراء يلقيه هناك، فأطاع. لما كبر إسماعيل وظهرت عليه النبوة عشقه، عندها أُمر بذبحه فقال: سمعاً وطاعة يا رب، وابنه أيضاً استجاب، وبذلك ظهر صدقه واستسلامه لله، عندها نال الرسالة. كذلك أنتم يا عبادي لا بد من ظهور صدقكم وعملكم، وهكذا فالخلق كلهم عباده، كل من سعى نال، فكيف يذهبون إلى القول بأن تفسير القرآن لا يصح إلَّا بناءً على ما نسمعه من المفسرين؟! وكثير من المفسرين قالوا بأن الأنبياء وهبوا النبوة هبةً. وقالوا أيضاً أن الرسول ﷺ جاءه الملك وشق له صدره وأخرج له حظ الشيطان، مع أن الله تعالى يقول: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾**:** كسر الأصنام، وأسكن زوجه هاجر وولده الوادي، وصدق بذبح ولده إسماعيل، فلما طبق ذلك بالتمام. ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾**:** يأتمُّ الناس بك. الآن أصبحت أهلاً للإمامية والرسالة أي بعد الامتحان وظهور صدقك وعملك، فلما أقبلت ونلت الكمال حزت ذاك المقام، إذاً بناءً على عمله صار إماماً. ﴿**قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾**:** قال يا رب اجعلهم أئمة. ﴿**قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾**:** الظالم لنفسه لا أعطيه ذلك المقام، لا يكون إماماً. لا عهد له عندي ولا يدخل الجنة، الأمر كله ضمن عدالة وضمن نظام، فعلى كل إنسان أن ينظر لعمله ويقارن عمله بطريق الحق ثم يحكم على نفسه. {**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**}[15].

125- ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ**﴾**:** تتجه نفوسكم له فيلبس الناس ثوب الكمال، فجعل تعالى البيت مثابة: أي طريقاً وملجأ ومرجعاً للناس للإقبال على الله حتى يصير هذا الإنسان كاملاً وأهلاً للإحسان. إن رجعت إليه أصبحت إنساناً حقاً، وكل شيء له أصول، فمن يريد أن يكون إنساناً ليدخل الجنة فهذا هو الطريق. ﴿**وَأَمْنًا**﴾**:** من النقائص. فإذا تمكّنت النفس من الوصول إلى الكعبة حصل لهذا المرء الأمان، وأمنت نفسه من كل شيء، لكن حتى تدخلوا البيت بنفسكم. ﴿**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾**:** مصلى أي: سبباً للوصول إلى الله من هذا البيت، وهو مكان قيامه ﷺ إلى الله وهو الكعبة، يجب أن تدخل من المدخل الذي دخل منه إبراهيم عليه السلام، حتى تستطيع الدخول من هذا البيت: وذلك بأن تسلك وتطبّق تماماً سيرته وسلوكه. لقد فكر إبراهيم فتوصل إلى الله سبحانه وتعالى، فعلينا أن نقتدي به ونقتفي أثره، إنه فكَّر فرأى أن لهذا الكون خالقاً، فكَّر حين رأى الكوكب والقمر والشمس وثابر بالبحث عن ربه فصار مؤمناً، استدلَّ على لا إلَه إلَّا الله، استسلم، أنت سر مثله تصبح لك صلةً بالله، إن فكَّرت اهتديت ثم تستقيم فتستطيع أن تصلي، بعدها تسير بصحبة أهل الحق، فتدخل

---

[15] سورة الحجرات – الآية:13.

من هذا البيت على الله، إذن بواسطة فكرك فقط تستطيع الوصول إلى الإيمان وبدون رسول، من التفاحة من طعمها تستدلْ. إن توصلت للإيمان ادخل بمعيَّة الرسول على الله. ﴿**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ**﴾: قلبيكما ليكونا طاهرين مما سواي حتى تستطيعا العروج بمن يرتبط بكما إليَّ، لا تجعلوا في قلوبكم حبّ أحد سواي، بإقبالكم منه ومكناكم فيه: إذ صارا أئمة. ﴿**لِلطَّائِفِينَ**﴾: حولك بالحب، وللطالبين الوصول إلى الله ممن هم بعيدون عن البيت، لكل من آمن ومال بالمحبة لأهل الحق فطاف حولهم. المؤمن يطوف حول الإمام. ﴿**وَالْعَاكِفِينَ**﴾: على حبكما، إذ عرفوا الإمام وعكفت نفوسهم عليه بالحب ممن وصلت قلوبهم من البيت. ﴿**وَالرُّكَّعِ**﴾: الطائعين. ﴿**السُّجُودِ**﴾: الذين يريدون الدخول عليَّ بمعيتكما، أهل التقوى المنفذين لأوامر الله، الطالبين المعونة منه سبحانه، الداخلين من بابك على الله. إذا دخلوا على الحضرة الإلّهية شاهدوا أسماء الله الحسنى: العليم، الرحيم، العظيم... فخضعوا. فالإمامية لا تكون إلا بتولية من الله.

126- ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾: حتى تعمر مكة ويستطيع الناس القدوم إليها والإقبال منها على الله. ﴿**مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ**﴾: هكذا خصَّص سيدنا إبراهيم عليه السلام، واستدرك دعاءه الأول حين قال: (ومن ذريّتي)، فلم يرد الله ذلك فيه، لذلك قال هنا من آمن منهم على التخصيص. فردَّ الله ذلك بقوله: لا يا إبراهيم: ﴿**قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا**﴾: أيضاً أعطيه. ﴿**ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ**﴾: عندما يأتي يوم القيامة وقد لبس ثوب السفالة والانحطاط، يجد بذاته أنه مضطر للدخول فيها للمعالجة. ﴿**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾: وبما يعود عليه بالبؤس.

127- ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**﴾: القواعد من النفوس التي قعدت عن الوصول إلى الله، يرفعها إلى الله وذلك بالأصول التي تجعلك تصل إلى الله من البيت: التفكير، فالوصول للتربية، فالاستقامة، الصلاة، الكمال، فالدخول بصحبة أهل التقوى على الله. ﴿**وَإِسْمَاعِيلُ**﴾: عن طريق سيدنا إبراهيم صاروا يعلِّمون الناس مناسك الحج، كيف الطواف بالكعبة، كيف الوقوف بعرفات، هذا المراد من رفع القواعد. ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾: السميع لأقوالنا، العليم بأحوالنا.

128- ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا**﴾: أرنا الكثير مما ينقصنا. دلَّنا إلى الطريق الذي يجب أن نسير فيه. ﴿**وَتُبْ عَلَيْنَا**﴾: إن تُهنا ردَّنا. ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾: صار عندهما رجال مؤمنون فخاف سيدنا إبراهيم على ذريته من بعده أن يضلُّوا فدعا ربه، وذلك لما كبر سيدنا إبراهيم عليه السلام وقرب أجله، خاف على قومه الذين اهتدوا به فدعا هذا الدعاء:

129- ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ**﴾: كان خائفاً عليهم، لم يدع بإنزال معجزة أو أن يكلّم الله الناس وغير ذلك، بل دعا الدعاء المنطقي. ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ**﴾: الدالة على لا إلّه إلَّا الله، على المربي. ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾: الحكمة من الآيات، المراد منها، يجب على الإنسان أن يفهم كل أمر وسببه، لِمَ الصلاة، وكذلك الحج والنهي عن الربا والميسر، إذا تعلَّم الكتاب والحكمة يُقبل على الله فتطهر نفسه. ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾: يطهّرهم، تصبح نفسه ترى الخير من الشر فتطهر. ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ**﴾: الواحد الفرد في حكمك. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: كل إنسان تعطيه ما يناسبه ضمن الحكمة.

130- ﴿**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ**﴾: هذا ميله كان، إبراهيم فكَّر صار إلى ما صار عليه من العلو والرفعة. ﴿**إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾: جهل قدر نفسه **"ومن لا يعرف قدر ربّه لا يعرف قدر نفسه"** **{أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ}**[16]، لم يدرك ما هو مؤهّل للنفس من عطاء، تركها جاهلة ما عرَّفها. الدنيا مدرسة،

---

[16] سورة فاطر – الآية:16.

أخرجك الله إليها لتسعى فتستحق الجنان. ﴿**وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا**﴾: للإرشاد. ﴿**وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾: صالح لعطائنا ولفضلنا.

سورة البقرة: [131-140]

131- ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ**﴾: رأى رحمة الله وكماله قال له أسلم: ﴿**قَالَ أَسْلَمْتُ**﴾: هذا هو الإسلام الحق، استسلمت ﴿**لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: الأمور بالعمل لا بالأماني، بالحقائق والسعي، انظر هل عملك موافقٌ لأهل الجنة، إن وافق تدخل الجنة.

132- ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ**﴾: بالاستسلام لأوامر الله وطاعته ومحبّته، استسلموا لله. احذروا الخروج عن طاعة الله. ﴿**وَيَعْقُوبُ**﴾: أيضاً وصّى بنيه. ﴿**يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ**﴾: أن تميلوا للحق. ﴿**فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾: لا تضيعوا هذا الفضل، جعلكم أهل إرشاد. لا يمكن أن تستسلم إلّا إذا رأيت ودخلت بمعية أهل الحق واكتسبت معرفة، إن لم تشاهد لا إلَه إلّا الله لا تستسلم. اجتهد وسر بطريق الحق حتى ترى وتستسلم.

133- ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ**﴾: أنتم تقولون ما تقولون، هل مجرد السماع والقول يكفي. ﴿**إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾: مطبقون أوامره مستسلمون إليه بالكليّة.

134- ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ**﴾: لكلّ عمله وسوف يسأل عنه. لا يفيدك إلّا عملك. ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ**﴾: لِمَ تفتخر بهم، أين عملك؟ ﴿**وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ**﴾: كلٌّ وله عمله. ﴿**وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: كل إنسان وعمله، ولا تزر وازرة وزر أخرى وكلّ واحد مسؤول عن عمله.

135- ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا**﴾: ليس الأمر بالأسماء، كذلك قول المسلمين أن المسلم فقط سيدخل الجنّة.

نحن الآن نقول لا يدخل الجنة إلا المسلم، ولكن هل عرفنا من هو المسلم؟ المسلم من سلم الناس من يده ولسانه. ﴿**قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**﴾: بل بالإيمان والعمل الصالح. ﴿**حَنِيفًا**﴾: محبّاً لله، كان ميّالاً إلى الله، مستسلماً إليه، مطبقاً أوامره بالتمام. ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: مثلكم.

136- ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾: بالمسيّر لهذا الكون. قبل كل شيء ارفع الشرك من قلبك، آمن بلا إلَه إلّا الله. ﴿**وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾: من القرآن، إن آمنت هذا الإيمان قدَّرت الكمال وصدقت. ﴿**وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾: كلهم دلالتهم واحدة ومن أصل واحد. كلهم دلالتهم على الله ومن عند الله، نعرف أن الله واحد وكل الرسل عن لسانه تتكلم وكلامهم كله حق.

137- ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا**﴾: أيّاً كان يكون، العبرة الإيمان لا بالقول أنا مسلم. ﴿**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ**﴾: معك. طالما لم يؤمنوا بلا إلَه إلّا الله لا يذعنون، منشقّين عنك متباعدين، لذا تراهم جميعاً وقلوبهم شتّى. ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ**﴾: يردُّ أذاهم عنك. ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾: بحال كلٍّ.

138- علامة الإيمان: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ**﴾: الإيمان يصبغ المؤمن بصبغة الله، الكمال الإلَهي الذي ينطبع بالنفس من إقبالها على الله فيصطبغ بكمال الله، هذا هو المؤمن كل أعماله عالية. ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾: قولوا لهم: الأمور بالحقائق لا بالصور.

139- ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾: فكِّر بأصلك تصل لـلا إلَه إلَّا الله. ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: ألا ترون من المربي للكون؟ أتحاجّوننا فيه؟! ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: إلَهنا وإلَهكم واحد، لكن أعمالنا مختلفة عن أعمالكم وكل امرئ وعمله. ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: عملنا كله ضمن رضاء الله، هذا هو الفرق بيننا وبينكم نحن مخلصون لله.

140- ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾: هل الأمور بقولكم؟ هؤلاء كانوا قبل الدين اليهودي والنصراني. كيف تقولون أنهم كانوا؟! ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: يكتمون ما ذكر عن إبراهيم في التوراة، وهو الحق. من أجل حظ نفسه يكتم الحق أي يعلم الحق ويخفيه. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: كل عملك مشهود وبحسبه ستعطى. اصدق يريك الله الحق.

سورة البقرة: [141-150]

141- ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: لا تتمسَّح بهم دون السير الإيماني، اقتفِ أثرهم واسلك كما سلكوا للوصول لرب العالمين.

142- ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾: الجهلة. ﴿مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ﴾: من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. ﴿الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾: أول الأمر توجَّه الرسول ﷺ للكعبة، ثم أمر الرسول بالتحوُّل لبيت المقدس. الجهلاء انتقدوا ذلك، قالوا: إنه في كل يوم يتوجه لجهة. ما عرفوا السر من الكعبة وبيت المقدس. ليست العبرة بالمكان بل بمن في المكان وبالتوجه لهذه الكعبة. ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: الله تعالى محيط بالكون كله. إن كان هنا أو هناك فمن أين اتَّجهت فإنك تصل لرب العالمين. أينما تولّوا فثمَّ وجه الله لكن ليست العبرة للكعبة بل لساكن الكعبة. ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: من طلب، أو يطلب الهداية، المسألة متوقفة عليك. ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: فمن يطلب الحق يلاقيه.

143- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾: يا أصحاب محمد ﷺ. ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: وسطاء بيني وبين عبادي يؤمّ الناس إليكم فتوصلوهم إليَّ، جعلناكم أهل إرشاد للخلق، وسطاء توصلون الناس إلى الله، إلى التقوى. ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: تعرّفون الناس بالحق، وتشهدون لهم الحق. ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: هو يبيّن لكم وأنتم تبيّنون للناس، فالرسول لكافة الناس. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾: ليُعلم من المرتبط بالرسول، ومن هو مرتبط بالمكان. ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾: ليتبيَّن المتمسك بالحجر والبناء، من المتمسك بالرسول والحقائق، ليظهر المنافق من المؤمن. الكعبة مكان والسرُّ بالإمام. ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾: قضية التحويل. ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: يلحق بالإمام، الجاهل يظن الوجهة للحجر. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: أيها المؤمنون سأعيدكم إليها، حيث أن مكة بوادٍ غير ذي زرع، فالوجهة عن طريقها أسهل، الدنيا مقطوعة. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: ليجمع الناس كلهم.

144- ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾: في الأمور السامية. نرى حبّك في هداية الخلق. كان وهو يصلي في المسجد الأقصى يحب العودة إلى الكعبة لأنها أسهل من حيث الوصول إلى الله بسبب بعدها عن مباهج الدنيا، نعم كان يرى الخير من مكّة لبعدها عن اللهو بالدنيا. ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾: سنحقق لك ما طلبت وتتجه إلى الله من المسجد الحرام. ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾: يا محمد ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: المسجد، لتجتمعوا برسول الله، الحقوا بالإمام. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: اليهود. ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: هذا الرسول هو الحق حيث ذكر بأنه صاحب القبلتين. الكعبة بعيدة عن زينة الدنيا، فهي أقرب للوجهة إلى الله من بيت

المقدس، لذلك رسول الله ﷺ كان يود التقرُّب والتوجه من الكعبة ليصبح توجه الناس منها يسيراً، وقد بيّن الله لليهود ذلك في التوراة، اليهود والنصارى يعلمون أن العبرة للإمام. بمصر: كانوا يتجهون لبيت موسى وهارون عليهما السلام وبالقدس لبيت المقدس. ﴿**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾**:** كل واحد وعمله بيّن.

145- ﴿**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ**﴾**:** ممن قرأ وما اتَّجه. ﴿**مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ**﴾**:** لا يتَّبعون الحق. ﴿**وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ**﴾**:** أنت قبلتك الله. ﴿**وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ**﴾**:** تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى، لكلٍّ واحد منهم قبلة وميل. ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾**:** قل لهم ذلك. ﴿**إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾**:** تكون ظلمت نفسك.

146- ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ**﴾**:** للرسول ﷺ، يعرفون أن محمداً رسول الله. ﴿**كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾**:** العرف وحده لا يفيد، لا بدّ من العلم. وهؤلاء ما نالوا العلم بلا إلَه إلَّا الله ولا برسول الله ﷺ ﴿**وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾**:** أنه حق. فكل من قرأ ولو صار له فهم للمعاني لا يصل للحق، لا بد من الإيمان أولاً.

147- ﴿**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾**:** إن ما عرف المربي لا جدوى له. أنك يا محمد على الحق، والحق لا يأتي إلَّا بالإقبال على الله، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن لم يؤمنوا، لأنهم لم يفكروا ولم يقبلوا. ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾**:** ممن لم يرَ، فلا تكونن منهم، الذين لم يشاهدوا، فهم يتعامون عن الحق.

148- ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا**﴾**:** كل واحد نفسه موجهها لشيء، الإنسان مخيّر في سلوك الطريق التي يحبّها، حسبما يريد يتَّجه، له الاختيار، وكلٌّ مولٍّ قبلته، فالله منح الاختيار. أنتم أيها المؤمنون: وجهتكم الله. ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾**:** اطلبوا الحق لتفوزوا بالخيرات هذا طريق الخير، سابقوا للارتباط بالرسول ﷺ أينما كنتم، بذهاب نفوسكم إلى الكعبة كي تنالوا الخيرات بأنواعها قبل أن يأتي الموت. ﴿**أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا**﴾**:** كلكم بيد الله، يجمعكم على هذا الإمام بلمحة واحدة، فأينما كنت بالهند بالسند أينما كنت تجتمع مع الإمام. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾**:** كل واحد واجتهاده بمقدار عمله وحسب حاله، فكِّر إلى أن تعقل.

149- ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ**﴾**:** على الرسول التوجّه دوماً إلى الكعبة، ويا إنسان حتى تصل للحق. ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾**:** جسمك في مكان ونفسك تتجه إلى المسجد الحرام. ﴿**وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾**:** غير هذا الطريق لا يكون. هذا هو القانون للناس أجمعين. ﴿**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾**:** كله بعلم الله تعالى.

150- ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ**﴾**:** قلنا لك يا محمد ﷺ. ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾**:** ارتبطوا برسول الله ﷺ. لما كان بنو إسرائيل في مصر أُمروا بالتوجه نحو دار سيدنا موسى وهارون. وأول الإسلام أمر ﷺ بالتوجه لبيت المقدس وهنا أمر بالتوجه للبيت الحرام، والسبب بذلك الارتباط بالإمام، واللحاق به حيثما كان. فالتوجّه للكعبة للإقتداء والارتباط بالرسول ﷺ. قلنا لكم يا مؤمنين، فبإمكان الإنسان عندها إقامة الحجة على غيره وإقناعه. ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ**﴾**:** إن اتجهتم إليها صار لكم صلة بالإمام فيرفعكم إلى الله فتستنيرون بنور الله وترون الحق من الباطل فتحجُّونهم وتغلبونهم بالحجة والمنطق، وتعرفون المراد من الطواف، من السعي... عن الصلاة والصوم، يسألك المنافق عنها وعن ضرر الربا فتدرك الحكمة من كل شيء، يقول لك: أنت تتوجه للكعبة للحجر؟! فتقول له: لا بل أتّجه لله من البيت كي أجتمع بإمامي فأدخل معه على الله من هذا البيت الذي يقبل هو منه. ﴿**إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾**:** المعاندون الذين يريدون

الأذى بكم. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾: لا تعبؤوا بهم. ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى الحق لتحصل لكم التقوى وتستنيروا بنور الله.

سورة البقرة: [151-160]

151- إن اهتديتم تدلون الخلق وتصبحون هداة للناس وأئمة كما أرسلنا رسولنا بالهدى. ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾: محمداً ﷺ. يغدو الإنسان عندها كما صار رسول الله ﷺ، حيث يمكنه أن يربط غيره. ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾: تتلونَ عليهم الآيات، كما كان رسول الله ﷺ يتلو عليكم. ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يطهّر نفوسكم، كذلك تزكُّون الناس.

بعد الزكاة وطهارة النفس يتعلّم المؤمن من الله تعالى معاني الكتاب والحكمة من أوامر الله. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾: المطبوع بنفسه الشريفة. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: تحب رسول الله ﷺ، وبدخولك معه على الله ترى الحكمة من كل أمر. أنت بإقبالك صرت تكره السيئات، ولكن بإقبالك مع رسول الله ﷺ ترى حكمة كل أمر، فتغدو حكيماً. ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾: كذلك تصلون لهذا، بالإقبال بمعيَّته على الله تتعلم كل ما تتطلب، هذه وظيفة رسول الله ﷺ، الله تعالى أرسله لهذا، أن يبلغنا آيات الله الدالة على الله. إذا الإنسان فكّر آمن، إن آمن سار بطريق الحق، بالسير بالحق يقبل على الله، بالإقبال زال الدَّرن من نفسه وانطبع الحق بها، يغدو كاملاً يحب الكمال فيحب رسول الله ﷺ. فرسول الله يدلك على الآيات الدالة، إن فكرت بها صرت مؤمناً أهلاً لأن تقبل ثم تصل للتقوى.

152-﴿فَاذْكُرُونِي﴾: عندها اذكروني لعبادي كما علمتكم، اذكروا فضلي وعطائي وتربيتي لكم، وعرّفوهم بأسمائي الحسنى ليتحبَّبوا إليَّ. ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بفضلي ونعمتي وبأن أتجلى عليكم وأطهّر نفوسكم وأخلّقكم بأخلاقي كما تُخلّصون عبادي من الشقاء، أنا أخلّصكم أكثر وأمنحكم من فضلي وإحساني. ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾: على فضلي أن جعلتكم هداة، قوموا بحقّي بين خلقي وتحدّثوا بنعمتي عليكم. ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: بنعمتي، لا تنكروها. الكفر نكران نعم الله تعالى، لا تخرجوا عن الحدّ.

153-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الإيمان أن يرى الإنسان أن السير كله بيد الله. ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾: المؤمن قد تحصل له سهوة فالله يذكّره ويربّيه فعليه بالصبر، يصبر المرء على الحرام ويصلّي ليعلم مدى الشر الذي سيصيبه لو ارتكب ذلك الحرام. وإذا وصلت للإيمان وأخذت ترشد الناس فاصبر على من يعارضك ولا تترك، استعن على ما تلاقي من أسئلة أو تعنّت أو.. عليك بالصبر ﴿وَالصَّلَاةِ﴾: بالإقبال على الله ولا تنقطع عن الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: إن صبرت مع الإقبال تستطيع الهداية والإرشاد. المؤمن كل عمله خير، يرشد الخلق إلى الحق.

154- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾: هذا الذي باع نفسه في سبيل الله للنهوض بالخلق إلى طريق الحق. ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: هذا خيره باقٍ لا ينقطع، لأن عمله أفاد من بعده، فخيره دائم، فجهاده بلسانه أو بسيفه أو بماله يبقي له ثروة باقية بعد موته لا ينقطع خيرها إلى الأبد.

155- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾: المؤمن قد تحصل له سهوة فالله تعالى يذكّره ويبتليه. من عطفي وحناني عليكم أحب أن أُطهّركم من كل درن، ولا يدخل الإنسان الجنة ما لم تطهر نفسه. فهذه الشدائد مذكِّرة لكي يخرج ما بنفسك من درن، بالخوف تلتجئون فيزول الدرن من نفوسكم، الشدة بمثابة عملية جراحية تُخرج الخبث. ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾: إذا الإنسان وقع منه ما وقع وداواه الله فعليه بالصبر، فالله تعالى يداوي المؤمن ليطهر، إن طهر حقَّ على الله أن يدخله الجنة، وإن لجَّ يستفحل مرضه.

156- ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ**﴾: إذا جاءته المداواة، جاءت الشدة فأصابت موضع الألم والوجع فطهر. ﴿**قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ**﴾: بيد الله تسيير أمورنا، استسلم إلى الله. ﴿**وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾: رجعت بالتوبة إليك.

157- ﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**﴾: يتجلّى الله عليهم، بهذا الصبر الذي صبروه واعترافهم برحمة الله وبالتجائهم طهرت نفوسهم، فينزل التجلّي الإلٓهي عليهم. ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾: للحق، ينزل عليهم نور من الله، وهؤلاء يدخلون الجنة.

158- ﴿**إِنَّ الصَّفَا**﴾: صفاء نفسك. وما يحصل للنفس من صفاء عند البيت الحرام. ﴿**وَالْمَرْوَةَ**﴾: ما يحصل وللنفس من طهارة، تصبح كالمرآة فتتم بها الرؤية النفسية: رؤية الحق، وترى بها الحقائق. العين ترى بالأضواء الظاهرة، النفس ترى الحقائق بنور الله. ﴿**مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾: إذا أقبل الإنسان على الله وشعر بالقرب من الله يحصل له الصفاء والرؤية. كذلك في الحج مكان اسمه الصفا، وآخر اسمه المروة، فبالسعي بينهما بالذل والتوبة والانكسار كأن العبد يسعى إلى ربه، يحصل للمرء الصفاء والمروة، أي: الصفاء النفسي للحاج ورؤية الحق نتيجة الإقبال على الله وحصول الشعور بالقرب من الله فيريه الحق، الخير خيراً والشر شراً. ﴿**فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ**﴾: حجّ نفسه. الحج الصحيح لمن نال شهوداً للحقائق فأصبح ذا حجة صحيحة قوية، بالسعي، الطواف، وتقبيل الحجر، والوقوف على عرفه يحصل له عرف بأسماء الله، فيغدو وله عرف بالله، فينزل لمزدلفة، فيحصل له القرب ومن ثم لمِنى حيث وقد نال المُنى. ﴿**أَوِ اعْتَمَرَ**﴾: خلع ثيابه ولبس ثوب العمرة وعمَّر نفسه، نال الصفاء والمروة. فقد وصل إلى المرتبة العالية. ﴿**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ**﴾: إذ أصبح من أهل الصفاء والمروة فهو دوماً يستطيع. ﴿**أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾: بكلِّ لحظة يحصل له الصفاء والمروة. فيصبح بإمكانه دائماً الوصول إلى الكعبة وأن يكون مع المصطفى ﷺ ومع الله. ﴿**وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا**﴾: أمَّا من تطوع بفعل المناسك طالباً أن يحصل له الحج أو العمرة لا بد أن يفتح الله عليه ويعطيه مراده، ومن لم يستطع الحج فبإمكانه أن يحصل على النتيجة التي يحصل عليها من ذهب للحج. وقد سنَّ الرسول الكريم أشواطاً سبعة. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾: ينال صفاء أكثر.

159- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ**﴾: وهم اليهود وكل من سار مسراهم. ﴿**وَالْهُدَى**﴾: طريق الحق ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ**﴾: على لسان رسولنا، نبيّنا هو الإمام وعلينا الاقتداء به. ﴿**لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ**﴾: القرآن، ﴿**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ**﴾: بسبب كفرهم، يبعدهم عن قربه تعالى. ﴿**وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾: ويبتعد الناس البعيدون عن الله عنهم، أهل النار يكرهون دخول هؤلاء عليهم، لأنهم بنَتَنِهِم وروائحهم الخبيثة يؤذون من في النار.

160- ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا**﴾: من حنانه تعالى استثنى ليفتح الطريق للتوبة، فما أوسع حنان الله، لقد فتح لهم طريق الرجوع. ﴿**وَأَصْلَحُوا**﴾: فتح لهم طريق التوبة. ﴿**وَبَيَّنُوا**﴾: الحق. ﴿**فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾: الإنسان جاء إلى الدنيا ليعمل، فهو بالآخرة ينظر إلى عمله يدور أمامه فيرقى به، بعكس البعيد صاحب العمل السيّء.

سورة البقرة: [161-170]

161- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: ما قدَّروا الله، ما نظروا في الكون ما عظّموا، الكفر نكران نعم الله، كل منكر نعم الله، فكل شخص ينكر نعم الله ولا يعرف أن الله يحمد على كل شيء فهو كافر. سر بالقانون الذي شرعه لك الله. انظر بالكون حتى تعظِّم صانعه عندها تشاهد فضل الله وتقدِّر. ﴿**وَمَاتُوا**

وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾: البعد عن الله. **﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:** كالذين سبقوهم بالكفر.

162- **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾:** في النار. **﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾:** لا يؤخَّر عنهم العذاب لأنه لو أُخر لثار عليهم عذاب أنفسهم ولازدادوا ألماً وصياحاً، كمريض تأخَّر عنه الدواء المسكن فزاد ألمه النفسي، إذ لو خفف لتألم نفسياً أكثر.

163- **﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾:** لو كان فيهما آلهة إلَّا الله لاختلف النظام كلّه. **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾:** فكِّر بالسماء، بالشمس، بالقمر، بأصلك، حتى تخلص من الضلالة، فكِّر بالإله. **﴿الرَّحْمَنُ﴾:** كل فعله خير وإحسان. **﴿الرَّحِيمُ﴾:** صاحب الرحمة رحمته عامة، حتى توقن بها وبكلمة لا إله إلَّا الله: انظر في الآية التالية:

164- **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:** وما فيهما من مخلوقات. **﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾:** فكّر يا إنسان بخلق الله وهذا التتالي بين النهار والليل وفوائده وتبدُّلهما بحسب الفصول والأيام من زيادة لنقصان، ما هذه الدورة للأرض حول نفسها، ما هذا الترتيب؟! فكِّر بدوران الأرض حول نفسها حيث الليل والنهار. ما أعظم من يدوّر هذه الكرة! **﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾:** على السطح في البحر، ما هذا الضغط الذي يحملها؟! تجري على السطح في البحر فلا تغرق! **﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾:** كيف الماء نزل؟ الشمس، البحر، الغيم، الرياح، المطر ونظام هطوله، ألا توجد يد منظِّمة لهذا؟! **﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾:** هذه الحياة من أين تنزل من السماء؟ من الذي ينزّلها؟ ما هذه الحيوينات التي تسري إلى الأثمار، وبكل ثمرة نوع من الحيوينات، ما هذه اليد التي توصل كل نوع إلى ثمرته؟ عندما تنضج الثمرة ما الذي يقطع عنها الغذاء، لولا ذلك لاستمرَّت في النماء، ولوصلت التفاحة إلى حد كبير من الجسامة والضخامة، فما هذه اليد التي تعطي كل شيء بمقدار؟

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾: كل ما تحتاج إليه الأرض، تتبَّع الحشرات وفوائدها، كل شيء له فائدة، إذا تتبَّعت واحدة اهتديت لفوائد الأشياء. **﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾:** انظر إلى الهواء ما هذا الترتيب؟ الهواء البارد يمر من أسفل، الحار من أعلى، من الذي نظَّم، من الذي يسيِّر ذلك؟ من الشرق الهواء بارد ومن الغرب غيوم فينعقد ثلجاً. **﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾:** من الذي يوقفه عند طبقة معيَّنة لا يتجاوزها؟ أليس هذا دليل على وجود إله مسيِّر ناظر ومشاهد؟! **﴿لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:** إن فكَّرت بهذا قلت لا إله إلَّا الله وعقلت أن السير كله بيد الله، فكِّر واعقل، إن لم تعقلها بنفسك لن تستفيد شيئاً.

165- **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾:** مماثلاً لله في الفعل والعطاء! فيعتمد على إنسان مثله، يرى ربه بعيداً وأن الأشخاص بيدهم الفعل. **﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾:** هل هكذا يفعلون؟! إنّهم يحبّونهم لما يأت على يدهم من الخير ظنّاً منهم أنهم هم الفاعلون. **﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾:** هل يحبك هذا الإنسان كحب الله لك، الذي جعل لك الكون كله وخلقه من أجلك ولسعادتك؟! هل أباك، أمك، خدماك وأعطياك مثل ما أعطاك ربك؟ للسعادة خلق لك الكون. **﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾:** بأن الله هو الفاعل الرحيم الشفوق، يعلمون أنه المسيّر. **﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾:** المؤمن حقاً حبه لله شديد، أكثر من كل حب، يحب الخلق لله. يحبّك لأن الله يحبك، محبته لك لله. **﴿وَلَوْ يَرَى﴾:** الآن **﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:** أنفسهم ما سيشاهدونه غداً. **﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾:** ببعده عن الله علقَ بنفسه الدرن فاحتاج للمداواة. **﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:** لما ساروا بهذا السير المنحط. **﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾:** لما في نفسه من آلام يضعه في النار ليستر آلامه.

166- ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا**﴾: أنكر كلٌّ الآخر، تبرَّأ منه. ﴿**وَرَأَوُا الْعَذَابَ**﴾: ولو أن الإنسان فكَّر بالتربية وتوصَّل لكلمة لا إلَه إلَّا الله لشاهد ما سيشاهده الناس غداً ﴿**وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**﴾: زالت الدنيا وأسبابها ومسبباتها ولن تعود ولا اختيار.

167- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً**﴾: ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه. ﴿**فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا**﴾: الآن ﴿**كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ**﴾: حيث تابعين بعضهم، يريهم أعمالهم السيئة، الإنسان خلق للسعادة، وحين يرى أنه اتَّبع الضالين وحرم نفسه منها، يحترق حسرة فيرتمي من ألمه بالنار. ﴿**وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾: شدَّة ألمه تحمله على ذلك، بما في نفسه من آلام، لتستر له آلامه.

168- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا**﴾: مما أحلَّ الله لكم. ﴿**طَيِّبًا**﴾: حتى تطيب به نفوسكم فتقبل على الله فتطهر، كُلْ من وجهٍ حلال ومما أحلَّ لك، لتقبل نفسك على الله وتطهر. إذا نفسك عملها طيب تقبل فتطهر ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾: فتأكلوا الحرام. الشيطان يتدرج بالإنسان خطوة فخطوة، الصغيرة توصل للكبيرة. ﴿**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾: أظهر عداوته لكم من عهد سيدنا آدم عليه السلام وعليها يسير.

169- ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ**﴾: ما يسوءكم الظهور به على الملأ إذ يسوءكم ويعود عليكم. ﴿**وَالْفَحْشَاءِ**﴾: العيب الذي تستترون به عن الناس، كذا العمل المخزي الذي لا تستطيع أن تظهره للناس. ﴿**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ**﴾: من الافتراء والظن السيء. ﴿**مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾: تنسبون الظلم لله، تقولون خلق هذا للجنة وهذا للنار.

170- ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾: اليهود عارضوا عيسى عليه السلام قالوا لا نؤمن لك بما جئت به. ﴿**قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا**﴾: إذن عليك يا إنسان أن تفكر بمفردك، الكتب تنسب الظلم والأعمال الدنيئة للأنبياء، فهل هذه الكتب على حق؟! أنت اسلك طريق الحق تشاهد الحق، تستنير وتعرف الحق، إن استنرت رأيت حقائق أعمال الأنبياء. موسى عليه السلام ضحى براحته وسعادته تجاه نصرة الحق، يوسف عليه السلام استعصم بالله وبنور الله لأنه عرف الله وأبت نفسه المنكر، إبراهيم عليه السلام ابتلاه الله بكلمات فأتمَّهن. ﴿**أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾: ارجع لكتاب الله، لا تتبع قول زيد وعمرْو يأتوك بتفسيرات لا أصل لها.

سورة البقرة: [171-180]

171- ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: ممن لم يعرفوا الله، إذ لم يعظم الله تعالى وما آمن بلا إلَه إلَّا الله فما رأى الله قريباً، ولم يشاهد أن يده تتحرك بالله وعينه... نكروا العدالة، الرحمة، القدرة الإلَهية. ﴿**كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ**﴾: ينعق بالدعاء والنداء نعيقاً، دون أن يعي من كلامه شيئاً، يظن أن الله بعيد عنه لا يسمعه. ﴿**إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً**﴾: دعاء ونداء فقط، دون إصلاح نفوسهم. وكذلك الكافر يصيح مجرد صياح، لا يُسمع منه إلا صياحاً، لا يفقه معنى الدعاء، دعاء عالٍ مجرَّد من الإقبال. ﴿**صُمٌّ**﴾: لا يسمع بالمنطق والمعقول. ﴿**بُكْمٌ**﴾: لا يفهم بالمنطق ﴿**عُمْيٌ**﴾: عن الحقائق لا يرى إلَّا الصور. ﴿**فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾: شيئاً من الكون.

172- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: آمِنوا بلا إلَه إلَّا الله حقاً. ﴿**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾: ما تطيب به نفوسكم، عندها تأتيكم الخيرات. فحين تطيب نفوسكم تبصرون الحق عندها تشكرون الله. ﴿**وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾: تشكروه على هذا الفضل.

173- ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ**﴾**:** لما فيها من الدم الوسخ المملوء بالجراثيم، مرض الحيوان الذي أماتها موجود بدمها، لأن الجرثوم ظلّ فيها ولم يخرج عند الذبح، إن أكلتَ منها سرى الجرثوم إليك. ﴿**وَالدَّمَ**﴾**:** بقي دمها ضمن لحمها، والدم هو الحامل للجراثيم والمملوء بها. ﴿**وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ**﴾**:** مشتقة من فعل "خَنِزَ" فكافة اللحوم التي بها أذى كلحم الكلاب وغيرها من الحيوانات المؤهلة لتلقف الأقذار وكل حيوان لحمه فيه نجاسة، كذا الحيوانات الجارحة في دمها عصارات قوية تقتل مكروب النجاسة التي تأكلها هذه الحيوانات. ﴿**وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾**:** ما لم يذكر اسم الله عليه عند الذبح، وما ذبح على غير اسم الله. ذبح الحيوان على غير اسم الله لا يجعله يهيج، فلا تقبل نفسه على ربّها فلا يفور دمه ولا يخرج جرثومه فلا يطهر. ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ**﴾**:** فمن اضطر للأكل من الميتة وغيرها غير باغياً الأكل عن غير ضرورة، فإن الله جعل في الإنسان مقاومة تقتل الجراثيم ذلك لأن المعدة الجائعة فيها من العصارات الكافية لقتل المكروب تظهر عند الجوع الشديد، فلا يصاب الآكل المضطر بعكس غير الجائع ﴿**وَلَا عَادٍ**﴾**:** ولا يعود ثانية متعدياً بغير ضرورة، لقد شدّ عليه الجوع فأكل على ألا يعود إلى ذلك إذا لم يبلغ حدّ الموت من الجوع. ﴿**فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾**:** باتباع ذلك يشفيه ويرحمه.

174- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ**﴾**:** لا يبيّنونه للناس فينكرون صحبة الرسول ﷺ ومعيته، وهذا يحدث وبكل زمان. ﴿**وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾**:** ليحصل لهم مقام. كمنصب زائف ﴿**أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ**﴾**:** وهي أعظم من النار العادية. ﴿**وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾**:** حيث لا فائدة من تكليمهم. ﴿**وَلَا يُزَكِّيهِمْ**﴾**:** لأن التزكية بالإقبال، وهؤلاء لا إقبال لهم ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾**:** لأنه لم يبق لهم طريق.

175- ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾**:** ما الذي يجعلهم يصبرون على النار؟ يصبر لأنه يرى أن الله نزَّل الكتاب بالحق، أرسل القوانين وهو ما سار عليها فيحترق بنفسه، الألم الذي بنفسه يجعله يصبر على النار.

176- يصبر لأنه يرى أن: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾**:** فَهمُ الكتاب يحتاج لطهارة نفسية، إن فكَّرت بالموت وأيقنت بالسؤال والمسؤولية عندها تخاف نفسك وتصدق بطلب الحق، إذ أنها عاهدت ربها على السير بالحق فتلتجئ للفكر، وتفكِّر بالكون، فتعرف المربي وأن السير بيده، فتستقيم، يحصل لها ثقة فتصلي وتطهر، تخرج الشهوة الخبيثة وتحل بدلاً عنها شهوة طاهرة طيبة، عندها إن قرأت القرآن فهمت كلام الله لا يمسه إلا المطهرون. ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ**﴾**:** معك. ﴿**لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾**:** مختلفين بينهم ودوماً يشاقونك من بُعدهم عن الله.

177- ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ**﴾**:** والبرّ هو الخير والفلاح ﴿**أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾**:** التوجّه إلى مكان ما، فليست المسألة بالصلاة الصورية وحدها، أي ليس الركوع والسجود هو المقصود من الصلاة. أنت لا تعمل عملاً إلا ولك مراد، فلم أمرك بالصلاة؟ الصلاة لتحصل لك صلة به تعالى ليس المقصد الوجهة لليمين والشمال والمشرق والمغرب. ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**﴾**:** بأنه المسيّر لكل شيء إن آمنت بلا إلٓه إلَّا الله صرت قريباً فعرفت إمامك، فصليت معه مقبلاً على الله. بمعية الإمام تدخل على الله فلا ترى سواه، تدخل الكعبة فتتَّجه معه إلى الله. آمن بالله حقاً فتغدو صلاتك صحيحة وكذا صومك وحجّك. ﴿**وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾**:** بالحساب. ﴿**وَالْمَلَائِكَةِ**﴾**:** الحفظة الكرام الكاتبين، الذين يسجّلون الخير والشر، تؤمن بوجود ملكين يكتبان عليك عملك. ﴿**وَالْكِتَابِ**﴾**:** القانون الإلٓهي الذي طبع في نفس المصطفى ﷺ، أي: أصبحت تعرف القانون المنزل على رسول الله ﷺ. ﴿**وَالنَّبِيِّينَ**﴾**:** الدعاة إلى الهدى الذين جاءوا بالحق عن الله، كلهم جاءوا بشيء واحد، دعوة إلى الله.

﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ**﴾: أنفق مما يحب عن طيب نفس منه، يعطيه لأهله لا يبذّر به. ﴿**ذَوِي الْقُرْبَى**﴾: كل محتاج لمعونة أيّاً كان. ومن يعامل أقاربه فقط بالإحسان هذا ليس بمحسن، الإحسان للخلق كافة، كل من عرفت أنه محتاج فهو قريب ﴿**وَالْيَتَامَى**﴾: كل منقطع لا ناصر له ولا معين. ﴿**وَالْمَسَاكِينَ**﴾: المسكين هو المحتاج الذي لا حول له ولا قوة يستعين بها على دفع الفقر عنه والتخلص مما هو فيه. فهي تشمل المريض والفقير ذا العيال والعاجز والمسن الضعيف ﴿**وَابْنَ السَّبِيلِ**﴾: في الطريق وجدت شخصاً بحاجة لمساعدة فساعده ﴿**وَالسَّائِلِينَ**﴾: عرض لك حاجته فكن له عوناً على حاجته فلا ترده خائباً. عني بهم لكونهم ضعفاء. ﴿**وَفِي الرِّقَابِ**﴾: بالرق، فالمال يعطيه لأهله لا يبذر به. ﴿**وَأَقَامَ الصَّلَاةَ**﴾: الصلوات الخمس، فأحسن صلاته ودوماً مع الله. ﴿**وَآتَى الزَّكَاةَ**﴾: فاكتسب الطهارة من الله. وزكت نفسه كذلك أدّى زكاة ماله. ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا**﴾: إن عاهدوا النبي أو الرسول على الحق، وعاهد مرشده على السير بالحق، فهو لا ينفك عنه، وكذلك أصحاب رسول الله ﷺ فعلوا. ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ**﴾: الشدة التي تعتريه، الفقر يراه نعمة. ﴿**وَالضَّرَّاءِ**﴾: المصائب، المرض يراه خيراً وفضلاً، يصبر على المداواة. ﴿**وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾: في القتال، مهما نزل بهم أو بمن يلوذ بهم إذ أنه في الحرب باع نفسه في سبيل الله. يصبر لأنه خرج لمرضاة الله لردّ الناس للحق. ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾: مع الله، عاهدوا الله على السير بهذا الطريق العالي وصدقوا بعهدهم. وكافة الخلق جاءوا للدنيا على هذا الأساس. ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾: أهل التقوى. إن نتائج التقوى ما ذكره تعالى في هذه الآية السابقة.

178- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**﴾: بسبب خصام لا عن تعمُّد، بل بدون نية. ضرب بحجر فقتل ففي نفسه درن. عند إعدامه يخرج الدرن من نفسه. ﴿**الْحُرُّ بِالْحُرِّ**﴾: الحرُّ لا يقتل العبد لأن الحرّ مؤمن وهو لا يتعدّى على عبد، إلَّا إذا صدر من العبد أمر ذو وبالٍ خطير فلا يقتل الحر العبد إلَّا لعلم ظاهر استحق عليه القتل، فالحرّ إذا قتل عبداً لا يُقتل، لأن العبد ملك اليمين، سلَّم المؤمن قياده ليرقى به. ﴿**وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**﴾: بأن استبدل بالديَّة أو تسامح معه أهل المقتول أو كان لا يستطيع أداء الديّة فالعفو هو المفضّل. ﴿**فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾: أداء الديّة عن طيب خاطر. ﴿**ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ**﴾: إن قتل ثانية يُقتل حتماً، إن اعتدى نفس الفاعل ثانية لا تقبل منه الديّة، كرَّر ذلك لا بدَّ من قتله. ﴿**فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: في الدنيا والآخرة إن قتل ثانية.

179- ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾: عند قتله يلتجئ فتطهر نفسه، في القصاص حياة للناس، يعيشون بسعادة إن طبقوا تعاليم الله في القصاص، فإن قُتِلَ القاتل أو قطعت يد السارق كفّ الناس جميعاً عن اقتراف القتل أو السرقة، فالقاتل أو السارق يرى أن ذلك علاجاً لنفسه لعله يقبل فيطهر. ﴿**يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾: أصحاب القلوب الحيّة ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.

180- ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ**﴾: إذا أراد الميت أن يوصي بشيء من ماله فالوصية تصرف: ﴿**لِلْوَالِدَيْنِ**﴾: يوصي الإنسان لأبويه إن كانا فقيرين والميراث الذي لهما لا يكفيهما، عليه أن يكتب لهما ما يكفيهما إن كان له زوجة غنيّة ويفضلهما عن أولاده، لأن أمّهم لن تتركهم. ﴿**وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾: دون أن يغمط أحداً من الورثة حقه. ﴿**حَقًّا**﴾: حق لا مناص منه ﴿**عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾: إذا شخص له أم وأب وزوجته غنية كذلك أولاده يستطيع أن يجعل وصيَّتهُ لأمه وأبيه.

سورة البقرة: [181-190]

181- ﴿**فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾: هو قام بواجبه. والوصي إذا غيَّر في الوصيَّة فهذا لا يجوز.

182- ﴿**فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا**﴾: بأن مال نحو أحد الورثة. ﴿**أَوْ إِثْمًا**﴾: أعرض عن أحد وحرمه من حقِّه ﴿**فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾: يحقّ للوصي أن يبدّل الوصيّة إن وجد فيها تجاوزاً للحق، فإذا غيّر الوصيّة ابتغاء مرضاة الله فلا إثم عليه، إن بدَّل الوصي الوصية ضمن الحق لا مانع، يغفر الله حتى للميت الموصي خطأً. ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: يشفيه ويرحمه.

183- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾: منذ عهد آدم عليه السلام كتب الصيام في شهر رمضان، فالصوم كان على كل الأمم كالحجاب وغيره من الأوامر، لكن الناس تهاونوا بهذه الأوامر شيئاً فشيئاً حتى تركوها. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: فائدة الصوم أن تحصل على التقوى، ترى بنور الله الخير خيراً والشر شراً، أنت جئت لِتُفَتِّح، لكن أكثر الناس تلهيه الدنيا وينسى الغاية السامية التي جاء من أجلها. فبالصوم الصحيح إقبال على الله، إذ يحسن ظنك بالله فتقبل دوماً على الله وتستنير.

184- ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾: /29/ أو /30/ يوماً. ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾: تُقضي بدلاً عنها. بمقابل ما أفطر. ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ**﴾: من كان يستطيع الصيام في السفر أو حين كان مريضاً وأفطر فعليه أن يصوم بدلاً عما أفطر ويطعم مسكيناً واحداً أو أكثر. ﴿**طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾: ثلاث وجبات. المريض أو المسافر إن كان يطيق الصوم وأفطر فعليه فدية ويقضي. ﴿**فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا**﴾: فمن أطعم أكثر فهو أفضل. ﴿**فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ**﴾: فمن تطوع بإطعام أكثر من مسكين فهو خير له. بهذا تحصل له ثقة فيقبل على الله ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**﴾: ولكن الصيام أفضل من أن تطعم وتصوم بدلاً عما أفطرت ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾: ما في الصيام من خيرات كثيرة، حقيقة الصوم وما فيه من خيرات، إن صمت خير لك من أن تطعم مليون مسكين. الصوم خير لأن إطعامك للمساكين تقوية لأجسامهم، لكن صومك يجعلك مستنيراً فيزداد خيرك، إن صمت وفتَّحت خير من أن تكون أعمى وتطعم ملايين.

185- ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ**﴾: على رسول الله، لما صام ﷺ صار له تعظيم لله وتقدير، أنزلت المعاني في نفسه الشريفة. ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ**﴾: إن صام سمع كلام الله فاهتدى، إن صمت حقاً استنرت فشاهدت الحق، الخير من الشر، سمعت كلام الله فاهتديت. ﴿**وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾: بقربك من الله يتبيّن لك الخير من الشر، فتصبح كلك خير لنفسك وللخلق. هذه هي ثمرة الصوم. إن ظهر لك الخير من الشر فقد أفدت من صومك. ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ**﴾: الهلال. ﴿**فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ**﴾: سفر بعيد شاق. ﴿**فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾: يقضي. ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾: الصوم يتطلب إنساناً صافي الذهن حتى تحصل له التقوى، فما يفيد المريض أو المسافر اللذين عليهما مشقة من الصوم. ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ**﴾: عدة الشهر. ﴿**وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ**﴾: صلاة وتكبيرات العيد. ﴿**عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾: تقدِّر فضله. نفسك كانت مريضة فصحّت. ﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾: الله على ما هداكم.

186- وقع في نفوس بعض الصحابة أن كيف يشكرون؟ فأجابهم تعالى بأنه قريب منهم كما جاء في الآية: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾: قرب الله من الإنسان كقرب الضياء من المصباح المشع، أو كقرب نور الشمس من الشمس نفسها، وليس أقرب من ذلك شيء. ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ**﴾: إذا أحسن الدعاء ﴿**إِذَا دَعَانِ**﴾: إذا كان قريباً ودعاني، البعيد كيف يدعو؟ حتى يتمكن من أن يدعو الدعاء الحق، كل الناس يدعون لكن الشرط: ﴿**فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي**﴾: ولكن عليه أن يستجيب لأوامري

ليسمع دلالتي ويطبِّق أوامري، يفكِّر بالكون حتى يؤمن بلا إلَه إلَّا الله يراني قريباً. ﴿**وَلْيُؤْمِنُوا بِي**﴾**:** بأني قريب، أقرب إليك من نفسك. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾**:** إليَّ، إن أصبح قريباً ودعاني أجبته. إلى طريق الدعاء الصحيح والدعاء الصحيح نفسه له شرط: أن تصبح قريباً: تطبِّق الأوامر والدلالة الإلَهية فتصبح قريباً فعندها ترى الحق فتدعو فيستجاب لك. المؤمن يرى كل الخير والسير والرزق من الله. الله تعالى كله رحمة وعطف وشفقة على الخلق فمن فكَّر بالكون صار مؤمناً عندها دعاؤه يُقبَل، فلا يدعو كالبوم والغراب ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً. المؤمن يدعو ضمن الحق، يتمنى فعل الخير لجميع الخلق.

187- ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ**﴾**:** سَتْر لكم ﴿**وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾**:** ستر لهنَّ، النفسان تصبحان نفساً واحدة وكذلك حال الإنسان في الرابطة ﴿**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ**﴾**:** نفسه تتطلب وكان يحرمها، متى نام كان يصوم ويمسك. تمنعون أنفسكم عن إتيان ما أحل الله لكم، وكانوا أول الأمر بعد الإفطار يتمنعون عن نسائهم والأكل ويحرمون أنفسهم من حقها. ﴿**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**﴾**:** أعادكم إلى حقكم. فأعاد عليكم اليسر وأزال عنكم المشقّة. ﴿**وَعَفَا عَنْكُمْ**﴾**:** خلَّصكم من هذه الشدة التي ألزمتم أنفسكم بها. ﴿**فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾**:** طريق الحرث فقط. ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾**:** حتى يظهر السواد من البياض من الفجر. ﴿**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾**:** غياب الشمس. ﴿**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾**:** خلال الصيام، لما في ذلك، أي: أثناء الصوم من الضرر عليك. ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾**:** إن صام صوماً صحيحاً لعل تحصل له التقوى. إن طبقت سعدت دنيا وآخرة.

188- إن صمت واعتديت لا تحصل لك ثقة فلا تستطيع الإقبال، فاحذر العدوان: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ**﴾**:** تأخذ أموال الناس وترفع الأمر للحاكم وليس لك حق بذلك، والمال يتضمن الدراهم والعرض، وكل شيء ليس لك فهو محرَّم عليك أن تأخذه، إن فعلت لا تستطيع الصوم.

﴿**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾**:** ذلك. الحلال بيّن والحرام بيّن.

189- ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ**﴾**:** لم يكن العرب يسألون، فبعد الإسلام صاروا يسألون: لماذا لا يبقى بدراً؟ وقد طلبوا من رسول الله ﷺ أن يسأل الله أن يجعل القمر بدراً دائمياً ليستفيدوا من نوره دائماً. امرأة مرضع يضيء لها، مسنٌّ يسير ليلاً يرى طريقه. ﴿**قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ**﴾**:** أشهر الرضاع، أشهر الحيض، أشهر قضاء الديْن ﴿**وَالْحَجِّ**﴾**:** الأشهر الحرم، ردَّ عليهم بحسب أفكارهم، فبيَّن بأن القمر سبب لمعرفة أيام الشهر والحج. بيّن لهم طرفاً من منافعه.

﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ**﴾**:** الخير الذي يعود عليكم. ﴿**بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**﴾**:** من السطح، بهذه الاعتراضات تصبح بعيداً. ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى**﴾**:** من عرف طريق الحق والتقوى، الخير إن صمت وسرت بطريق التقوى عرفت المراد من الترتيبات الكونية. ﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾**:** لكل أمر باب يمكن الدخول منه إليه، فكِّر ببداياتك بأصلك، بنهايتك، موتك، الشمس والقمر، بالكون كله حتى تستدل تؤمن، قبل السؤال عن هذه وهذه، اعمل المعروف حتى تصلي، عندها تستنير وتفهم المراد. أما إن كنت لا تصلي وجعلت تسأل فلن تصل لشيء. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾**:** واستنيروا بنور الله لعلكم تهيئون أنفسكم للخيرات.

190- ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: مشروعية القتال هي في سبيل الله لا في سبيل الاعتداء والتشفّي، لا لأخذ ماله، عرضه، بلاده، بل لرد الناس للحق. انظر المسلمين يوم أحد لما كان همهم المال خُذلوا، أخوك ضال قاتله لتردّه للحق. أنت جئت لفعل المعروف. الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: لردّكم عن دينكم. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: قاعدة عامة في كل شيء، طريق الإنسانية لا تخرج عنه ولو كنت مؤمناً، إن تعدَّيت خُذِلت. لا تقاتلوا في سبيل عرض الحياة الدنيا، بل في سبيل الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: لتكن غايتك نبيلة وسامية.

سورة البقرة: [191-200]

191- ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: أصبح المؤمن من الأهليّة بحيث يحق له أن يحكم، حيث أصبحتم أهلاً لردهم إلى الحق، صرتم علماء ترون القتل خير له من الحياة، حيث صرت أعلى منه معرفة وعلماً بالله، تعرف حق الأخوة، لذلك سمح لك بقتاله لإسعاده. ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾: لا لتتعدى عليه. ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾: تركه مفتوناً أشد عليه أذى من قتله. لقد فتنوا بهذه الدنيا، وفتنتهم بالدنيا أشد من القتل، لذلك فقتلهم خير لهم، إذن: فتنته أشد عليه أذى من قتله، هو يفسد البشرية، في بقائه ضرر كبير عليه. إن الفتنة التي هم فيها أشد من أن يُقتلوا، الفساد أشد فتكاً من القتل. **"ليّ الواجد يحلّ عرضه[17] وعقوبته"**[18] أي: المطل في أداء الديْن يحل ذمّه بهذا المطل. ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: لا تبدأ. ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: إن خرج عن الحق عندها تقيده، تحاربه. التهديد بالقتل أفضل من القتال الفعلي.

192- ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾: رجعوا إلى الحق. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: الله تعالى رحيم بكلِّ الخلق. ألقى سيفه دعه لا تقاتله بل خذه أسيراً لعله بدلالتك يرجع للحق.

193- ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: حتى لا تُشرب الخمرة، لمنع الزنى، السرقة، هذه مشروعية الجهاد حسم الفتنة من الأرض. لا لماله ولا لعرضه أو بلده. ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾: كل الناس يدينون للحق ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: تطعم الأسير مما تأكل، وتلبسه مما تلبس، فقط تُسمِّه باسم العبد، لعله يفكِّر ويؤمن، إن آمن فهو أخوك وأنتما سيَّان، وكانت قريش قد أرسلت جماعة فخرجت لهم سرية وصار رمي من قبل المسلمين في الشهر الحرام فاعترض المشركون وقالوا في الشهر الحرام! فرد الله عليهم:

194- الأشهر الحرم هي التي فرضها الشرع، لا تلاعب بها ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: لا تبديل في الأشهر الحرم، الاعتداء في الشهر الحرام يقابله اعتداء فيه أيضاً، فقط القتال ممنوع في الشهر الحرام؟ العدوان محرّم كل وقت، فقط الحرمة بالشهر الحرام؟! كلا فالحرام حرام دوماً وبارتكابه قصاص. الاعتداء دوماً لا يجوز، فمن اعتدى أدّبه. ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾: أي زمان كان المعتدي يقاصص، يقع القصاص على مرتكب المحرمات، من تعدّى الحرمات فله القصاص. ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾: قابله بالمثل ولا تتجاوز. خرج المعتدي عن حدود الحصانة فحقّ عليه أن يُعتدى عليه بالمثل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: الغاية من قتالك له لخيره لا لنفسك، لا تَخَفْ الله ناصرك إن كنت تقيّاً. لا تتعدَّ على أحد، أنت عامل بجاهك،

---

[17] عرضه على الحاكم (رفع دعوى).

[18] أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه

بمالك حتى تنقل الكافر للإسلام، اليهودي والنصراني كلهم عباد الله، لكن إن شذ عامله أنت بالإحسان لترده للحق، عندها تكسب رضاء الله.

195- ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾**:** نفسك، مالك، جاهك، كل ما أعطيت. ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾**:** أنفقوا بحكمة، لا تغرِّر بنفسك، اعمل ضمن الحكمة. الذي يلقي بنفسه بدون درع فيموت فهو عاصٍ، ولا تنفق كل مالك، استعد لكلِّ شيء، اعقل وتوكل وخذ حذرك. ﴿**وَأَحْسِنُوا**﴾**:** المؤمن عمله دوماً بالإحسان إلى جميع الخلق، الإنسان، الحيوان. ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾**:** يحبك إن كنت صاحب إحسان. الله يحب المؤمن لإحسانه. وذلك الكافر مؤذي.

196- كي تستطيع فعل الخيرات، من الوسائل الضرورية الصوم والصلاة والحج، إذ الحج يوصلك للتقوى: وسائل لفعل المعروف والإحسان. ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾**:** حتى تصير إنساناً من أهل الإحسان، كل الأوامر والأحكام تطبقها بالتمام. أولاً: تكلم تعالى عن الصوم، بعد الصوم تصلي، بعد الصلاة يحصل الحج، ثم الزكاة، أول كلمة الشهادة، ثم الصوم، إن لم تصم لا تكفي الشهادة، إن صمت ولم تُصلِّ لا يكفي، ثم كذلك الحج. الحج صار له حجَّة: حج نفسه، حج الشيطان. العمرة: تعمر لك قلبك بالإيمان، العمرة مناسك لتموت نفسك عن الدنيا، تخلع ثيابك، تلبس كالكفن لا تحلق، لا تقصص شعراً ولا تغتسل، لا تقلم ظفراً، لا تقتل حشرة، حافياً مكشوف الرأس، تضييقاً على نفسك حتى تفارق نفسك الدنيا وتزهد بها. إن ما حججت وما صليت وصمت لا تفعل معروفاً، وهذه مبنية على الشهادتين: لا إلّه إلَّا الله وأن محمّداً رسول الله ﴿**فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ**﴾**:** صار لك مرض، ضيق. فلم تقرن العمرة بالحج. ﴿**فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**﴾**:** بقرة، غنمة، جمل، تذبح غنمة فما فوق، قدر إمكانك لتحصل لك القناعة وتقنع نفسك بأن الله راضٍ عنك فتسير معك، تريها تثبت لها أن الله راضٍ عنك. هذه الذبيحة تُمتِّنْ ثقة النفس فتقبل على الله. ﴿**وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ**﴾**:** لا تفك العمرة حتى توصل الهدي، حتى تذبح وتوزع الهدي. ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا**﴾**:** لا يستطيع. ﴿**أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ**﴾**:** يفك قبل الذبح وعليه فدية عندما يصحّ. ﴿**فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ**﴾**:** يصوم. ﴿**أَوْ صَدَقَةٍ**﴾**:** يتصدق. ﴿**أَوْ نُسُكٍ**﴾**:** عمل معروف أو تحجيج إنسانٍ أو دلالة على الله أو يعلِّم أحداً طريق الحق. ﴿**فَإِذَا أَمِنْتُمْ**﴾**:** تفعلون ذلك. ﴿**فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ**﴾**:** قرنهما وهذا أحسن شيء. ﴿**فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**﴾**:** عليه أضحية، بعد عرفه يذبح. ﴿**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾**:** الهدي على غير ساكني مكة، أهل مكة ليس عليهم ذبح، لأن الذبح لأهل مكة ليتوسعوا. هذا ولا يجوز تبديل الذبح بالمال لأنه خلاف الآية، ذلك لأن الذبح يساعد التجار على جلب الغنم فيظل أهل مكة في رخاء طوال العام. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾**:** العبرة للتقوى. ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾**:** معقب. كل ما يصيبك منك عملك يعيده عليك. فالتعقيب لك في كل لحظة، إن خيراً رَدَّهُ لك خيراً وبالعكس.

197- ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ**﴾**:** مع المجموع حفظاً عليك. ﴿**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ**﴾**:** يتباعد عن النساء وعن الدنيا بالكليَّة، لا يلتفت إلَّا إلى الله. لأنك ذاهب للطاعة. ﴿**وَلَا فُسُوقَ**﴾**:** خروج عن الحق حتى تكون نفسك طيّبة. ﴿**وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾**:** مع أحد بل يلتهي بنفسه. ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾**:** كله يعلمه. ﴿**وَتَزَوَّدُوا**﴾**:** من فعل المعروف، كلما قرَّبت زدت مشاهدة. فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ﴾**:** منتوجها. ﴿**التَّقْوَى**﴾**:** كلما أقبلت استنرت. ﴿**وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾**:** يا مؤمن اسعَ في هذا الطريق، ثابر، الدنيا مدرسة، كلما اجتهدت نلت. أولي الألباب: كل من فكَّر فعقل ورأى أن لا إلّه إلَّا الله فكيفما تحوَّل يرى الله معه، يده تتحرك بالله وعينه تنظر بالله، إن صرت مؤمناً سر إلى الحج لتصل للتقوى.

198- ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ**﴾: بعد أن صرت إنساناً. صرت صاحب تقوى ﴿**أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: كسباً دنيوياً، صار كل عملك سعادة عليك، لأنك صرت بصيراً تميّز الخير من الشر، صرت صاحب تقوى، كل عملك صرت تعمله في مرضاة الله. الحج الصحيح يجعل الإنسان إنساناً كاملاً. ﴿**فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ**﴾: بعد نزولك من عرفات. ﴿**فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**﴾: مكان رجم إبليس، طواف الزيارة عند الكعبة. الكعبة تطوف حولها حيث فَتَّحت تشكره. ﴿**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**﴾: على هذه النعمة رأيت طريق السعادة. ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ**﴾: ما كنت عارفاً سبب مجيئك للدنيا، أرسلك لتعمل العمل العالي لترقى. الدنيا دار عمل المعروف، صرت بالحج إنساناً تعمل المعروف والإحسان.

199- ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾: ارجع لبلدك وقد رقيت. ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ**﴾: اطلبوا الشفاء دوماً من كل شائبة. ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: الذي يحج لا يعود يعمل شيئاً.

200- ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾: اطلبوا من الله كما يطلب الوليد من أبيه أو أكثر، الأب الشفوق الذي يربي ابنه لله يُشكَر، والله يُشكر أكثر. وكما يفعل الطفل مع أبيه دوماً يطلب منه حاجته. أنت فكّر دقق اعقل واطلب منه تعالى كل شيء ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا**﴾: ويعطيهم الدنيا حسب طلبهم. ﴿**وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴾: لأنه لا يعرف الآخرة.

سورة البقرة: [201-210]

201- ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾: يطلب الدنيا والآخرة والستر من النار.

202- ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا**﴾: مما عمل بدنياه، كلٌّ بحسب عمله، درجات ومراتب. ﴿**وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾: سيعطيهم.

203- ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ**﴾: بعد نزولهم من منى يرجمون في أربعة أيام. ﴿**فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾: رجم الشيطان. تذكرهُ على هذه النعمة، إذ أراك أنه عدو لك، رأيت عداوته، عرفته، صار لك علم بعداوته. اذكر الله على هذا. لا يرجم الشيطان لأنه موثق هناك بل رمزاً يعلن به عداوته للشيطان، لقد أراه الله عداوة الشيطان وكشفت له الحقائق، فيلقي الحصاة رمزاً لإعلان عداوته للشيطان: كأنك تقول يا رب بفضلك عرفت عداوته. ﴿**لِمَنِ اتَّقَى**﴾: الذي صار له تقوى إن عجّل أو تأخر. هذا يذكر الله تعالى على فضله. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾: سائر الخلق، الرمي رمز لعداوتك له.

204- ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: بما فيه من ضبط للغة "**أخشى ما أخشى على أمتي العالم الجهولي القلب العليم اللسان**"[19]. ﴿**وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ**﴾: قوله مرتَّب لكن قلبه خبيث. ﴿**وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾: عليك، بعيد عن الله، ليس له تقوى. ألدُّ الخصام للخلق.

---

[19] وفي كنز العمال "أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون" رقم /29042/. وفي حديث آخر "أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان" رقم /28968/.

205- ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى**﴾: وظيفة. ﴿**سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**﴾: النساء والأولاد. يقولون الوجه ليس بعورة. ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾.

206- ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ**﴾: بعملك. ﴿**أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**﴾: قال أنا غير صالح! ﴿**فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾: للذل والحقارة.

207- ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ**﴾: من حصلت له التقوى، ويشري نفسه لأنه رأى أن الله رؤوف بالعباد، يبيعها في سبيل الله بماله، بلسانه، بسيفه ليرد الخلق إلى الحق. ﴿**ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**﴾: لعلمه أن الله: ﴿**وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾: لأنه يعلم أن الله رؤوف بهم، صار له علم برأفة الله، وهو من رأفته يعامل بالإحسان.

208- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾: مع كافة الخلق بالإحسان، كل الأمور ضعها في نصابها سواء بعبوس أو ابتسام، عطاء أو منع بحسب ما يناسب. ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾: لا تضع نصب عينك أخذ مال أحد أو عرضه.

209- ﴿**فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾: بعد أن صرت صاحب شهود وتقوى. ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾: سيبعث لك العلاج المر، إن شذذت لا بدَّ أن يجزيك، كل شيء من السيئات له عقوبة. مهما علت رتبة المرء وآذى نملة، قاصصه الله.

210- ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ**﴾: ساعة الموت، حال النزاع، ما نهاية الدنيا؟ الموت، يغتم غموماً، ما يغم ساعة الموت. ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ**﴾: تأتيه الملائكة ساعة الموت لقبض روحه. ﴿**وَقُضِيَ الْأَمْرُ**﴾: مات. ﴿**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾: فماذا تنتظر من هذه الدنيا، لا إرادة لك بعد الموت، إلى ربك يومئذ المساق، الآن لك الاختيار وعلى الله الفعل، غداً لا اختيار لك.

سورة البقرة: [211-220]

211- أيها الإنسان: ﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ**﴾: ليست المسألة بالمعجزات، على الإنسان أن يفكِّر بذاته ويستدل على آيات الله ليؤمن بأسماء الله من خلالها، إن أنت ما تحققت بنفسك لا جدوى لك. إذا أنت بنفسك ما اجتهدت وآمنت لا جدوى لك، بنو إسرائيل رأوا كثيراً من المعجزات فما أفادوا شيئاً. الله تعالى يخاطب هذا الإنسان فيقول: ﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ**﴾: مثال: العصا في البحر لما يبس، لما ذهب سيدنا موسى عليه السلام للمناجاة وطلبوا رؤية الله وتجلَّى عليهم، من الحجر انفجرت /12/ عيناً، البقرة ضربوا ببعضها الميت فتكلم، مع ذلك ما آمنوا. فالإنسان مهما رأى من معجزات لا جدوى له، إن لم يؤمن بلا إلٓه إلَّا الله من ذاته لا يستفيد شيئاً. إن لم تفكِّر حتى تعقل فلا يجديك أن ترى كل معجزة. ﴿**وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ**﴾: أعطاك الفكر، جعل الكون بين يديك، الكتاب، الرسول بعثته نعمة، لا تتركه وتلحق غيره. إن ما رجعت وسرت بالحق. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾: يداويك، بلاء وشدائد ستنزل بك إن تركت. معقب لك لا يتركك، عملك سيعود عليك، الإيمان أنت لست محتاجاً فيه لأحد، أعطاك الفكر، لكن التقوى تكون بطلبك من الله أن يريك ويكشف لك. فعلى الإنسان أن يصدق في طلبه، إن لم يصدق لن يستفيد شيئاً، اغمض عينيك واجلس لتفكِّر، ثم انظر أين يسير تفكيرك، إذا لحق الدنيا دليل أنك ما صدقت بعد، إن وجدت نفسك غير صادقة حذّرها من الموت. لن يترك المرء الدنيا ويخلعها من نفسه إلا بتفكيره بالموت وزوال الحياة، عندها يستطيع الإقبال على الله والتفكير بآلائه.

212- ﴿**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: لم يكن لهم طريق للرجوع إلى الله بسبب ميلهم إلى الدنيا، كل من لم تخرج الدنيا من قلبه فمحال عليه أن يدخل حب الله قلبه. ﴿**الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾: البنايات، الكيف، اللهو المنحط، الذي ما فكَّر، ما استدل، ما عظَّم ربه، ما شاهد الخالق، هذا هو الكافر أي المعرض. نفسه تميل للدنيا لا يريد سواها. ﴿**وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: يهزؤون من عدم انغماسهم في الشهوات. ولكن لماذا أنت جئت إلى هذه الدنيا؟ فكِّر قليلاً، ما المراد من ذلك، أرسلك للدنيا لسعادتك، لتعمل، ليكون لك من عملك وسيلة تتقرب بها إلى خالقك، أراد ربك أن يعطيك نعيماً لانهاية له. أرسلك ربك إلى الدنيا لهذه الغاية، لا للهو واللعب، لا للملاهي وتضييع الأوقات، مهما سعيت فذلك لك وعائد عليك. ﴿**وَالَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾: اتقوا: أي انستروا عن الدنيا وزخرفها بالله. ﴿**فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: أين هؤلاء من هؤلاء، إما عليين أو أسفل سافلين. وهكذا فكل مؤمن لا بدَّ وأن تحصل له التقوى، وسيرى الكافر يوم القيامة أن المؤمن فوقه. ﴿**وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من طلب أعطاه ومنحه. فليؤمن المرء أن الله هو الرزاق. ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾: بنيتك العالية، فقط طهِّر قلبك والتجئ إلى الله يعطيك.

213- ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾: وهم أولاد سيدنا آدم عليه السلام، ولكن اختلفوا بعد ذلك، حيث سار بعضهم في طريق الحق وآخرون في طريق الباطل. في الماضي لما خلق آدم عليه السلام كانوا أمة واحدة كلهم يؤمنون لشيء واحد ولكن منهم العاصي والطائع. ما كان فيهم منكر لكتاب الله. ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ**﴾: يبشّرون بالحق ﴿**وَمُنْذِرِينَ**﴾: ينذرون من الانحراف. ﴿**وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ**﴾: التوراة. ﴿**بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾: في الكتاب أو الحق. ﴿**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ**﴾: اليهود، الناس جميعاً أقروا بالتوراة، هذا دليل على أن تحريف معاني الآيات عن حقيقتها ما كان قبل سيدنا موسى عليه السلام. بعد سيدنا موسى عليه السلام حرّفوا كلام الله وأوَّلوا حسب رأيهم. فبعث الله بعد ذلك السيد المسيح موضحاً رسالة موسى عليهما السلام، فردَّهم إلى الحق، لكن حسدهم جعلهم يردّون كلامه، كذَّبوا به. ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾: على لسان عيسى عليه السلام. ﴿**بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾: حسداً بسبب بغيهم وتعدّيهم. ﴿**فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: المؤمن يهديه الله. واهتدى الحواريون. ﴿**لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ**﴾: بدون إيمان لا يحصل الهدى. ﴿**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من شاء، كل من أراد معرفة الحق، فمن سلك طريق الإيمان هداه الله. ﴿**إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: فالإيمان شرط أصل: التقوى بعد الإيمان. كان الأحبار يؤوّلون حسب هواهم، سيدنا عيسى عليه السلام ردَّهم للحق، عارضوه وتآمروا على قتله. فالذي فكَّر وآمن صدَّق عيسى عليه السلام، ومن لم يؤمن وقف ضده.

214- ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾: الجنّة تحتاج لأعمال، بعملك تقبل وتحصل لك الثقة وتدخل الجنّة بعملك. بدون عمل لا يكون، لا بدَّ وأن يظهر الله نيّة المؤمن وحقيقة نفسه، أرسلك إلى الدنيا لتدرس وتتعلم، وعندها تنجح وتنال الخير ويحصل لك إقبال. ﴿**مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ**﴾: الشدائد والأذى. حتى تظهر حقيقتهم وكل ذلك بإذن الله ﴿**وَالضَّرَّاءُ**﴾: المرض. ﴿**وَزُلْزِلُوا**﴾: ضاقت عليهم السبل، هذا الصبر هو الذي يرقيك غداً. الله تعالى يريد منك أن ترى عملك، لتحصل لك ثقة بنفسك عندها تقبل على الله غداً، إن ما صبرت لن تكون لك الجنَّة. ﴿**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾: علامة الضيق قرب الفرج. عندها قَربت ساعة النصر، الجنة بالعمل.. {**وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تعملُونَ**}[20].

---

[20] سورة الأعراف – الآية:43.

215- ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ**﴾: يسألون: إذن ماذا نفعل وماذا ننفق لنتلقى الخير والنصر؟ حتى يتقربوا إلى الله وتحصل التقوى. ﴿**قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ**﴾: أول شيء ابدأ بالإحسان لمن بدأك بالإحسان. ﴿**وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾: المنقطع. ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ**﴾: فاعلموا يا مؤمنين. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾: ثق بهذا.

216- ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ**﴾: لأمرين: لترد أخاك للحق، ولترقى أنت بعملك. ﴿**وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**﴾: فيه شدائد، مطر، برد، حر، جوع، أنت جئت للدنيا للعمل لتنال مقابل سعيك المنازل العالية. ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾: لكنكم لا تعلمون. ﴿**وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾: دوماً ارجع لتطبيق أمر الله.

217- ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ**﴾: هل يجوز؟ جرت حادثة قتل فاهتم الكفار بذلك، وكانت سرية أرسلها رسول الله ﷺ، صادف أنهم في أول يوم الشهر الحرام، حصلت مناوشات مع المشركين فرمى المسلمون بأسهمهم، عاب المشركون أصحاب الرسول أن قتل مؤمن مشركاً في الشهر الحرام، فاعترض المشركون على ذلك فأجابهم: ﴿**قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾: أمره، أمر كبير الخطر، ولكن الصدَّ عن سبيل الله. ﴿**وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: صدّ الناس عن الحق أعظم. ﴿**وَكُفْرٌ بِهِ**﴾: وإبعادهم عن الله وعن المسجد. ﴿**وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾: صد الناس عنه. ﴿**وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ**﴾: نفي المواطنين من أرضهم. ﴿**أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ**﴾: أشد خطراً، فقتل الكافر خير له ممَّا سيأتيه من عمله وصدّه من شرور. ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾: قتل ذلك المشرك خير له، إذ الفتنة التي هو واقع بها وهي الحياة الدنيا أكبر من قتله. ثم عملهم وما هم فيه من فتنة أعظم من قتلهم. وكذلك فتنة ذلك المفتون المقتول هي أعظم من قتله، فقتله فيه حدٌّ له وحجزٌ. ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾: هذه غايتهم، لا ينفكون عن محاولاتهم يريدون منكم أن تعودوا إلى الكفر. ﴿**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ**﴾: وكذلك من يصاحب مرشده زمناً ويستمع إليه ثم ينفك عنه فمصيره كمصير المرتد عن دينه. ﴿**فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ**﴾: خسر كل عمل صالح كان قام به. فعلى الإنسان أن يتمسك بأوامر الله حتى لا يقع في الخجل فيتباعد. ﴿**وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: هو يرتمي فيها.

218- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ**﴾: كل عملهم غايتهم منه أن ينالوا رحمة الله. ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: بهم.

219- ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**﴾: في بدايتهما تسلية ونسيان الهموم، سلْوة وبالخمر يستر همومه. ﴿**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾: الخمر مُذهب للعقل، ويصبح صاحبها في احتمال قتل أمه.. والميسر مُذهب لمال اللاعب أو أخيه الذي يلعب معه. ﴿**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾: نشوة تسلية، تخفيف لما في النفس من هموم وتسلية لها. ﴿**وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾: يضيع صواب السكران فيفعل ما يفعل، والميسر يوصل للفقر ويخرب البيوت. ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ**﴾: أي هل يتعاطون قليلاً منها؟ ﴿**قُلِ الْعَفْوَ**﴾: قل: لا ترك الخمر والميسر نهائياً، الترك بالكليّة لأن القليل يوصل للكثير وللفعل الشنيع المهلك الضار. ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾: ما ينهاكم عنه في تركه سعادة الدنيا والآخرة، فكِّر وانظر هذه الخيرات "التي نالها الصحابة الكرام بتركها من فتوحات وجنات".

220- ﴿**فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ**﴾: تأديب بالمعروف، ما دامت نيتك عالية فَلَكَ بعملك خير عظيم، ولو ضربت إن وجدت ذلك مناسباً، أدِّب اليتيم وربِّه وعلِّمه. ﴿**وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ**﴾: في المال، المشاركة في المال، ترك الله للوصي على اليتيم التصرف بماله حسبما تقتضيه المصلحة على أن يُحسن النيّة، وإن دخل شيء من مال اليتيم عليه دون قصد منه عفا الله

عنه، ولو شاء الله لأعنته أي لآخذه. أمّا المتعمد فعقابه واقع. ﴿**فَإِخْوَانُكُمْ**﴾: تعاملونهم كأنهم إخوان لكم، عاملهم كالإخوان. ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾: الله تعالى مطّلع على عملك ونيتك. ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ**﴾: لضيَّق عليكم، ولشدّد عليكم ولكن ترك الأمر للنيّة الصالحة، لو شدّد الله أكثر لكان ضمّ أي قرش من مال اليتيم إلى أموالكم حراماً، يذهب به المال كلّه، ولكن ترك الأمر لنيّتك. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾: بحسب حالك يعطيك، إن مرضت فدواءٌ مُر، إن صححت دواء عذب، يجازيك إن خرجت.

سورة البقرة: [221-230]

221- ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ**﴾: هذه تؤذيك في أولادك. في صدر الإسلام نهانا الله عن الزواج من الكتابيات والمشركات، حيث كان الإسلام ضعيفاً، فالمرأة تبقى على دينها والأولاد يلحقون بها،﴿**وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾: لمّا قوي الإسلام سمح بالزواج منهن، منع عندما كان الكفر قوياً، خوفاً على الأولاد. الآن يعود حكم الآية حيث الإسلام أصبح ضعيفاً، لئلا يميل الولد إلى أقوى الأبوين حين يكون الإسلام ضعيفاً.

222- ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى**﴾: للرجل والمرأة حيث يكون عرضة للأمراض. ﴿**فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ**﴾: بالكليّة. ﴿**وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾: يغتسلن ﴿**فَإِذَا تَطَهَّرْنَ**﴾: اغتسلت من بعد طهرها. وهذا من أجل الولد لأنه إن صحَّ ميل الرجل لزوجه بالنظافة يولد المولود قوي البنية. ﴿**فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ**﴾: من الطريق المعروف. ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**﴾: الراجع لأمر الله. ﴿**وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾: الطاهر جسمه ونفسه، من غسل وتنظيف أسنان وسواها.

223- ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ**﴾: مكان الزرع، منبع الخيرات. ﴿**فَأْتُوا حَرْثَكُمْ**﴾: طريق الحرث فقط. ﴿**أَنَّى شِئْتُمْ**﴾: أي وقت كان. ﴿**وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ**﴾: افعلوا ما يقوي أواصر المحبّة بين الزوجين، من حسن المعاملة والمعاشرة وحسن المظهر والكلام الحسن قبل المقاربة، حتى يكون الأصل والماء الذي يخلق منه الولد من منبعه ليس فيه مرض ولا جرثوم. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ**﴾: يجب أن يحصل لك علم أنه معك دوماً حيثما وأينما سرت. ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: بالجنة.

224- ﴿**وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ**﴾: لا تحلفوا بالله لكيلا تفعلوا خيراً ما. والله لن أساعد فلان، أو لن أعطي فقيراً بعد اليوم أو غير ذلك، إن حلفت يميناً بالله عن منع معروف عن فلان فالله يغفر لك بحنثك اليمين، وعلى هذا كفارة صيام ثلاثة أيام. إذن لا تحلف بالله أنك لن تفعل المعروف، ألّا تتصدَّق، هذا لا يرضى به الله، اترك اليمين وافعل الخير. ﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ**﴾: لكلامك. ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بما في نفسك.

225- ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾: هذا اليمين إن فعلت عكسه، لا يؤاخذك الله، إذا كانت النية حسنة فلا مؤاخذة. ﴿**وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾: من النية السيئة. ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾: يداويك لا يتركك.

226- ﴿**لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ**﴾: يريدون الطلاق، حلف الطلاق. ﴿**مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ**﴾: يهجرها /4/ أشهر لا أكثر. لا يقربها بل يعاملها بالإحسان وهي باقية في داره، هذا حد صبرها عن عدم

المقاربة لا تصبر أكثر. وبعد هذه المدة إما إمساك بمعروف أو تسريح. ﴿**فَإِنْ فَاءُوا**﴾: للحق الطرفان. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: بهما.

227- ﴿**وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ**﴾: فإن كان لابدَّ منه بعد أربعة أشهر وباقي مراحل الطلاق. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾: بالمؤذي، فإن الله يعلم المفتري والمعتدي، المعتدي لا يتركه.

228- ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ**﴾: بعد الطلاق. ﴿**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ**﴾: في بيت أزواجهن. ﴿**ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾: حيضات، ثلاث فترات للحيض، يجب أن تبقى في بيت زوجها /3/ حيضات. ﴿**وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ**﴾: إن كانت حاملاً فعليها إخبار الحاكم، إذ لعل زوجها يردها حينئذٍ، وبردِّها له عليها درجة، إذ لعلها كانت راغبة في الطلاق فأخفت ما في بطنها حرصاً على تسهيل الطلاق. ﴿**إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا**﴾: من أجل الولد. ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾: يعاملها كزوجة. ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾: له الحق بأن يرجعها، إذا أرجعها لا يُرجعها لأنها حامل. أي من أجل الجنين، بل عليه أن يرجعها زوجة له مثل ما كان لها من قبل من مكانة، وله عليها درجة في الرد وبيده أمر الطلاق. عندها الله يرفع شأنه لعمله الإنساني. ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾: المخالف سيؤدِّبه لا يتركه، المعتدي سيعاقبه الله.

229- ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا**﴾: ما وهبتها إياه، كل ما جاء به الرجل للمرأة أصبح ملكاً لها. ﴿**إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ**﴾: إن كان ببقائها يحصل نزاع يجوز أن تفدي نفسها بمال، المرأة ما أحبت الرجل وما أرادت البقاء وخافت أن تقع بالحرام وكذلك خاف الرجل عليها. ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ**﴾: تفدي نفسها. ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾: لأنفسهم

230- ﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا**﴾: الثالثة. ﴿**فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾: نكاحاً طبيعياً لا حيلة فيه. ﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا**﴾: الثاني، ذلك الزوج الأخير. ﴿**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾: لا إله إلَّا الله. للزواج شرطان، الأول: البقاء مدى الحياة. والثاني: المهر.

سورة البقرة: [231-240]

231- ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾: انتهت العدة. ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾: نهاية العدة، إما أن يطلق أو يمسك، ردَّها وعاملها كما كنت تعاملها. ﴿**أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾: لا تتعدَّ عليها. الله لا يضيع مثقال ذرة. ﴿**وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا**﴾: لسلب مالها. ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾: شرع لكم هذا حتى تعاملوا بعضكم بالإحسان، لتنالوا فضله غداً. ﴿**وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ**﴾: إن كنتم مؤمنين. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾: يجازيك إن خرجت عن الأوامر.

232- ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ**﴾: لا تتكلموا عليهن بالسوء، تدسّ عليها القول لتَحول دون زواجها، لا تقف بطريق زواجها بأن تتكلم عنها بالسوء حتى تبغِّض الزوج الجديد بها. ﴿**أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ**﴾: أرفع لشأنكم. لاسمك عند الخلق. أزكى لنفوسكم حيث المرأة على دين خليلها ﴿**وَأَطْهَرُ**﴾: لقلوبكم من التعلُّق بها. ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾: نتائج من يخالف.

233- ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: إن طلَّق وله ولد وأراد إرضاع ولده من أمه فلها الإرضاع سنتين وعليه الكسوة والرزق. يحق للوالدة المطلّقة أن تُبقي عندها رضيعها حولين، ولا يحق للوالد أن يحرمها منه، كما أن على الوالدة أن تترك رضيعها إن وجدت زوجاً. فانظر أيها الإنسان إلى عناية الله بك، خلالهما تحصل الأخوة بالرضاعة لأن الحليب خلال هذه المدة يذهب كله للدم وبعد ذلك يصبح تأثيره قليلاً ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾: قد تمرض الأم، قد تطلق، قد يمنع مانع. ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: النسب للأب. ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: لا زيادة عن طاقته. ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾: لا يُلقى إليها غصباً فقد تكون بحاجة للزواج. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾: بأن تلقيه للأب غصباً وهي ليست بحاجة لترك الولد. ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾: إن توفي الأب فالوارث هو الذي ينفق على الصغير. ينفق الوارث على الرضيع وأمه كما ينفق على المولود له. ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: من أجل فصل الولد وإعطائه لمرضع، بأن يرضعا الولد عند غير أمه. ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: مع الأهل. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: إرضاعه من مرضع. ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: يعطي المرضع كما يعطي أم الولد. ﴿وَاتَّقُوا الله وَاعْلَمُوا أَنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: إن شذذت لا يتركك.

234- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: عدة المتوفى زوجها /4/ أشهر وعشراً، المدة التي يتحرك بها الجنين، خلال ذلك يظهر الحمل واضحاً وبعد ذلك تنقضي العدة. ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: إن وجدت زوجاً، إن لم يظهر حمل تذهب وتستطيع أن تتزوج، إن وجد حمل لا تنقضي العدة إلَّا بعد الوضع ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: إن أردت أن تسلم سر بطريق الحق.

235- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ﴾: ذكرتم لمن يهمّه الأمر، تتكلم بين الناس كأن تقول أريد أن أتزوج فلانة: ما كَلَّمتَها بل ذكرت ذلك. ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: قلت ذلك في سرك. ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: وهذا ما يثبت حرمة كشف الوجه، فلا يجوز أن يتكلم معها من أجل الزواج، فكيف يتكلم بدون مناسبة؟! احذر من ذلك، لأن المطلقة أو المتوفي زوجها لا يجوز أن تكلم رجلاً. ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: ذكركم يجب أن يكون بيّناً معروفاً ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾: لأنها على عصمة الأول. ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: المدة المفروضة بعد الطلاق أو الموت، لا يجوز العقد إلَّا بعد مضي العدة. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾: إن شذذت جاءك البلاء. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: إن تعدَّى أحد فإن الله سيعطيه ما يستحقه ولو بعد حين فإنه به حليم، قد لا يؤاخذك في الحال، لكنه لا يتركك فهو حليم.

236- ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: إن عقد ولم يدخل ولم يفرض مهراً لا مانع من الطلاق. ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أكرموهن، إن خطبتها وعقدت ولم تسمِّ مهراً، عليك أن تقدم لها ما تجبر به خاطرها، بعقدك عليها ثم طلاقك منها تكسر خاطرها ولذلك متِّعها. ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾: لا يكسر خاطرها، يعطيها شيئاً بالمعروف ريثما تتأهل وتتزوج. ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: إن كنت من أهل الإحسان هكذا تفعل، يرى المحسن ذلك حقّاً.

237- ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: نصف المهر تدفعه لها. ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾: البنت سامحت. ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾: الأب أو الولي. ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: لو سامحت المرأة فعلى الرجل إكرامها، الله

خلقك للإحسان أيها المتزوج، إذا عاملوك بالمعروف أنت لا تنسَ الإحسان. إن سامحوك أنت لا تدر ظهرك دون أن تمنحها شيئاً. ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾**:** على عملكم يجزيكم.

238- ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ**﴾**:** هذه الأوامر التي مرَّت، لا تستطيع أن تطبقها إلَّا إذا حافظت على الصلوات. وحتى تستطيع تطبيق الأوامر وتنال السعادة، حتى لا تشذ حافظ على الصلوات. وهذه الصلاة لا تكون إلَّا بعد الإيمان بأنكم ملاقوه، أن تكون قريباً، إن قلت الله أكبر رأيته معك وأنك بصلةٍ معه، هذه هي الصلاة، إن حافظت على هذه الصلاة صرت من أهل الإحسان وطبقت هذه الأوامر. بالصلاة نفسك تطيب بالإحسان لمن يجب أن تحسن إليه. ولا تعتدي على زوجتك ولا على أحدٍ، تغدو إنساناً. ﴿**وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾**:** بين الصلاتين لا تغمض عينك عن الله، دوماً معه، لا حركة إلَّا به، عينك لا تنظر إلَّا به، يدك تراها لا تتحرك إلَّا به. ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾**:** مستعينين خاضعين لأمره، مستعينين به. أي خاضعين لله طالبين منه العون.

239- ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ**﴾**:** كما في الحرب أو ببريَّة. ﴿**فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا**﴾**:** أي وأنتم مشاة أو ركباناً وذلك بالتوجه للقبلة والنيّة ثم متابعة السير. تنوي ملتفتاً موجِّهاً نفسك نحو إمامك إلى الكعبة لترتبط برسول الله ﷺ، ثم تتجه حيثما سرت. ﴿**فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ**﴾**:** إشارة إلى أن الصلاة قد علمنا إيّاها الله وليس الرسول. إذاً الركوع، السجود، كل هذه الأعمال موجودة في القرآن. الله تعالى هو الذي شرَّع لنا كيفية الصلاة، كل ذلك من عند الله. ﴿**مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾**:** من قبل، فهذه الأوامر لا تستطيع أن تطبّقها ما لم تصبح من أهل الإيمان، إذا الإنسان ما آمن لا يصلِّي، وإن ما صلَّى لا يحصل له حب، وإن ما أحب لا تحصل له تقوى.

240- ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ**﴾**:** حق للمرأة أن يضمن لها الوارث معيشة حوْل، ولكن إذا خرجت قبل إتمام الحول إن تزوّجت، فلا إثم على الوارث، إذا مات رجل وترك زوجة، بعد وفاته وبعد أربعة أشهر وعشرة أيام إن انتهت العدة ينفق الوارث عليها سنة بعد عدتها. إذا انتهت عدتها فهل تخرج رأساً؟! من يأتيها بطعامها؟! من أين تنفق على نفسها؟ أثناء العدة لا تستطيع أن تكلم أحداً، ولكن بعد العدة تنفق عليها لسنة. ﴿**غَيْرَ إِخْرَاجٍ**﴾**:** من دارها، دار زوجها. ﴿**فَإِنْ خَرَجْنَ**﴾**:** بعد العدة. ﴿**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ**﴾**:** بعد العدة تستطيع أن تتزوج. ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾**:** كل محسن يعطيه الخير، وبالعكس إن فعلت غير هذا عالجك بعلاج مرّ.

سورة البقرة: [241-250]

241- ﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**﴾**:** يجب إكرام المطلّقة. ﴿**حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾**:** إن طلقتها عليك الإنفاق عليها حتى تتزوج. الآن تعارفوا على المتأخر.

242- ﴿**كَذَلِكَ**﴾**:** لأجل هذا. ﴿**يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ**﴾**:** مراده من هذه الأوامر. خلقكم للسعادة، لتعملوا الخير والإحسان، إن رأيت عملك غداً ترقيت وعرجت من حال لحال. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾**:** فكِّروا واعقلوا.

243- انظر الذين ما صلّوا، وما حصل لهم إيمان ماذا حل بهم. وذلك بعد أن أرانا تعالى طريق الجنة طريق المعروف والإنسانية حذرنا من الشذوذ، فقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾**:** إن أنت ما فكَّرت، ما صرت مؤمناً، ما صليت، ستقع في العمل المنحط وسيسلط عليك ظالماً. فاليهود لما شذُّوا، سلَّط عليهم "بختنصر" فشدَّ عليهم وشرَّدهم. ﴿**فَقَالَ**

لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾: اقعدوا بلا عمل مشردين في القفار، أبطل عملهم، ماتت نفوسهم بعد أن تسلّط عليهم العدو، ولما تضرعوا إلى الله أحيا نفوسهم وهزموا عدوهم **﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾:** جمع شملهم بعد أن تشتتوا لما استغاثوا. أنت استقم، اعمل المعروف، عامل بالإحسان، يحفظك الله ويرفع شأنك، تب إلى الله فلا يُسلّط عليك أحداً، اليد بالله، العين بالله، إن سرت ضمن أمر الله حفظك من كل شيء، أمرهم كما أمرنا لكن لما شذوا شردهم، احذر أن تقع مثلهم. **﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾:** هذا البلاء كله فضل من الله لما شذذت أرسل لك البلاء لتعود وتصحو من غفلتك. فالشدائد على الناس إنما هي رحمة بهم حتى يرجعوا إلى الحق. **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾:** لأنهم لا يعرفون فضله وعنايته تعالى بهم.

244- **﴿وَقَاتِلُوا﴾:** أنتم يا مؤمنين. **﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:** القتال لا لأخذ المال ولسبي النساء، بل لردّ الناس للحق. **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:** بحسب نيتك يرفع شأنك.

245- إذن: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾:** من عمل معروف، من زكاة. الكلمة إن تكلّمتها أعطاك عليها فضلاً كبيراً، أنت جئت لتكون من أهل المعروف. **﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾:** إلى مائة إلى سبعمائة إلى... **﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾:** المعطي هو الله، الكل منه، فقرك منه وبحسب نفسك، غناك منه وبحسب حالك. **﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:** بكلِّ أموركم. كما تختار يعطيك.

246- **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾:** لما تشردوا وتشتتوا! **﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:** يقبل توبتك إن رجعت للحق ويرفع شأنك، طلبوا من نبيهم أن يدعو الله أن يرسل لهم ملكاً. **﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾:** إن جاءكم مَلِك. **﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾:** صرنا مشرَّدين. **﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾:** إذا لم يدخل الإيمان بقلب إنسان فإنه يتراجع عن قوله. حيث ما صار لهم إيمان. رأوا الله بعيداً عنهم **﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾:** أما المؤمنون فعرفوا أن الله ناظر قريب.

247- **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾:** هو سيدنا داود عليه السلام، لعمى نفوسهم ما عرفوه وكان سقَّاءً. **﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾:** نحن أغنياء، كان رجلاً عادياً من عامَّة الناس، لو آمنوا لعرفوه وخضعوا لمكانته وعلمه. **﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾:** مثلنا، حيث ما صارت لهم تقوى ما عرفوه، تصديقهم لنبيِّهم كان مجرد تصديق، طلبوا منه أن يبعث لهم ملكاً لكن حيث ما آمنوا ما شاهدوا مكانة هذا الرسول رأوا أن الأمر بالمال. **﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾:** لما فيه من كمال. **﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾:** في العلم بالله. **﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾:** كل من اجتهد كل من شاء، سيدنا داود عليه السلام شاء، فإذا صار الإنسان قريباً أعطاه ما يطلبه من فضل الله ورضاه. لمَّا طلب أعطاه، أنتم فلم لا تطلبون؟ **﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾:** فضله واسع، لكن العطاء بحسب الحال. **﴿عَلِيمٌ﴾:** بحالك، كل بحسب استحقاقه يعطيه.

248- **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾:** الكتب التي أنزلها الله على سيدنا موسى وعلى الرسل من بعده أي: التوراة وكان قد تفرقت آياته، وهو جامع لما يوصلك للتوبة. **﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾:** تسكن نفوسكم لما فيه من الحق. **﴿وَبَقِيَّةٌ﴾:** قصص. **﴿مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾:** مما حصل في عصرهم، بقية من الحوادث التي جرت في عصر سيدنا موسى وهارون عليهما السلام. **﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾:** تأتيه عن طريق الملائكة من الله بالوحي له. **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾:** دالَّة على نبوته. **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:** الذي لا إيمان لديه لا يفقه شيئاً.

249-وسار بهم سيدنا داود وهو (طالوت) عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ**﴾: سمي سيدنا داود عليه السلام بطالوت لأن يده تطول على العدو. ﴿**بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي**﴾: اسمع كلام مرشدك، إن آمنت رأيت الخير فيه، لعدم معرفته برسوله لا يسمع كلامه. ﴿**وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾: إيمانه أوصله لمعرفة داود عليه السلام. والماء في حال العطش والحر الشديد يضر. وعلى الإنسان طاعة الرسول أو المرشد. ﴿**إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ**﴾: لعدم معرفتهم بداود عليه السلام. ﴿**إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾: ورأوا العدو. ﴿**قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ**﴾: جيشه عظيم. هؤلاء رأوا العدو ما رأوا أن الكل بيد الله. ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ**﴾: المؤمنون بلا إلَه إلَّا الله، أن الله معهم، الكل بيده. على يقين أنهم دوماً على مرأى من الله. ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾: الأمر بيد الله. ﴿**وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾: ممن صبر على الشهوات وعلى الشدائد فظفر.

250- ﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا**﴾: تجلَّ علينا بفضلك لنصبر. ﴿**وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾: لردهم للحق.

سورة البقرة: [251-260]

251- ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾: بسبب طاعتهم. ﴿**وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**﴾: لداود عليه السلام، وكذلك كل مؤمن صارت له تقوى بالحال يجيب، يرى ويشاهد بنور الله، ويكون جوابه حقاً. وهذا لكل طالب، لكل إنسان إن صدق مع الله وطلب أراه الله ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**﴾: يسلّط الظالم على الظالم، ليعود الثاني عن ظلمه، ثم يسوق التائب على الأول ليعود. ﴿**لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾: لما بنو إسرائيل شذوا عن الأوامر سلّط عليهم بختنصر، وفعل ما فعل، تابوا، لما تابوا سلّطهم على بختنصر ليتوب، وهكذا فِعْله تعالى كله خير مع الكافر ومع المؤمن، مراده تعالى أن يدخل كل الخلق الجنة.

252- ﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ**﴾: ضمن المنطق. آيات الله الدالة على لا إلَه إلَّا الله، فمن يفكِّر بآيات الله ويؤمن بلا إلَه إلَّا الله يصدِّق برسول الله، الذي يفكِّر ويستدل فيرى أن الله بيده السير كله يستنير وتفتّح عينه، فيشهد أن محمداً رسول الله، أما الذي لا يفكِّر ويصدّق تصديقاً فقد يُخشى عليه أن ينكر وينقلب. فبنو إسرائيل بما أنهم لم يؤمنوا بآيات الله، لذلك لم يؤمنوا بموسى عليه السلام، بل صدَّقوا تصديقاً، ولذا عارضوه وما أطاعوا أوامره. هذا الحال ذاته يحصل لمن لم يؤمن بآيات الله، اليوم أكثر الناس صدَّقوا برسول الله ﷺ تصديقاً وما آمنوا إيماناً. ﴿**وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾: هذا يثبت أنك، رسول لا أحد يستطيع أن يأتي بمثل هذا البيان.

253- ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ**﴾: الذين قبلك. ﴿**فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾: أيضاً الرسل درجات، محمد عليه الصلاة والسلام يفضل على المرسلين كافة بما امتاز به من حب تجاه الخلق كافة، إذن المسألة بالسعي، لو كان وهبهم هبة لأعطاهم عطاءً واحداً، ولكن كل واحد بحسب ما صار له حب بالله ومعرفة بالله. رسول الله ﷺ وصل إلى سدرة المنتهى، لذلك صار شفيعاً للعالمين. ﴿**مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ**﴾: مثل سيدنا موسى عليه السلام. ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾: وكذلك الناس لكل درجة. ﴿**وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ**﴾: إذا الإنسان ما أقبل على الله، ما صار قريباً من حضرة الله، فإنه لا ينال هذا التجلي العالي. ﴿**وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾: التجلّي العالي وبجبريل عليه السلام. وبما فيه طهارة الروح وسعادتها، أي: الإنجيل. ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ**﴾: جاء الله بنا لنتعاون على فعل الخير، فهذه هي مشيئته، وقد بعث لهم كل ما يلزمهم من فكر ورسل ﴿**مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾: الله تعالى خلق

الإنسان للسعادة، أرسلنا للدنيا لنعامل بعضنا بالإحسان، حتى إذا ما وصلنا للآخرة كان لنا من عملنا وسيلة نتقرب بها إلى الله، فنتمتَّع بذلك النعيم بشهود كمال الله. ولو فكَّروا لاستدلوا وما حصل هذا الاختلاف، ولكن بما أنهم ما نظروا اختلفوا. وبما أنهم خالفوا فحنانه تعالى اقتضى ذلك. ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا**﴾: لأن الله أعطاهم أهلية كاملة، أعطاهم فكراً وأرسل رسولاً، فقد أعطاهم كل شيء، لكن رحمته اقتضت تسليط بعضهم على بعض ليعودوا للحق، فهذا الاقتتال إنما هو زيادة فضل من الله عليهم، لعلهم يعودوا للحق. ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾: من الخير لكلا الفئتين أن يقتتلا، حيث يسوق الخير للكافر على يد المؤمن. ولا يريد لعباده إلا الخير.

254- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ**﴾: حتى تحصل لكم ثقة. في الدنيا بيع النفس في سبيل الله لتصبح خليلاً لله ومصاحباً لنفس رسوله ﷺ. ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ**﴾: لا عمل يومئذ تستطيع أن تقوم به. ﴿**وَلَا خُلَّةٌ**﴾: لا أحد من الخلق تصاحبه. ﴿**وَلَا شَفَاعَةٌ**﴾: رفيقك يومئذ عملك، فمن أين قالوا الشفاعة غداً؟ الشفاعة أن ترافق نفسك نفس رسول الله ﷺ الطاهرة الشريفة. أبوك يقدم النصيحة قبل المرض، ولكن وبعد المرض هل يحول بينك وبين المستشفى والمداواة؟! العذاب غداً مداواة، فمن يمنعك من المداواة! الشفاعة حق وهي موجودة لكنها هنا، فكل من صاحبت نفسه نفس رسول الله ﷺ أقبل معه على الله فرأى. إن رأى الطريق الرديء تركه، فلا أحد يطلب الشر والأذى لنفسه، لكن بالإقبال على الله مع رسول الله ﷺ تترك ما يؤذيك لأنك رأيته. ﴿**وَالْكَافِرُونَ**﴾: الناكر نعم الله، ما نظر ما فكَّر ما استدل، ما رأى الليل والنهار، ما نظر لخلق الله. ﴿**هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾: لأنفسهم، في الدنيا مقهورين وفي الآخرة كذلك.

255- ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: هو المربي المسيِّر. ﴿**الْحَيُّ**﴾: مصدر حياتك، مصدر حياة الكون والقائم على تسييره، دائماً، إشعاع نوره منصب على قلبك، على الكون، فبه يحيا. ﴿**الْقَيُّومُ**﴾: به قيام الكون كله وقيامك، لا حركة ليدك ولا بعينك إلَّا به. ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ**﴾: غفلة. ﴿**وَلَا نَوْمٌ**﴾: لماذا؟ كيف يغفل أو ينام؟! و ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: إذا ترك الكون لحظة وقف. يد الله تدير الكون كله. ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ**﴾: هل يستطيع أحد أن يقارن شيئاً بشيء؟ من يجمع الأصبعين ببعضهما، أو العين هل ترفّ؟ ﴿**إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾: حركاتك الآن. ﴿**وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾: ما سينشأ عما استقر في نفسك، نيتك معلومة عنده، وما سيقع لك حسب حالك يعلمه. ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ**﴾: لا نبي ولا رسول، لا أحد. ﴿**إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾: لا فعال سواه ولا قوة إلَّا به. ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾: علمه شمل كل ما فيهما، وكله بعلم الله سائر. ﴿**وَلَا يَئُودُهُ**﴾: لا يثقل عليه. ﴿**حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾: هذا الرب العظيم لا يثقل عليه حفظهما.

256- ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾: الميل للحق لا إكراه فيه، لا تستطيع أن تكره أحداً لأن الله أطلق الأنفس. فلا تكره النفس على اتباع الحق، أما في الظاهر فيُكره الكافر على الكف عن التعدي على حرية المسلمين بإظهار المنكرات، الحاكم يمنع المنكرات منعاً، أما الأنفس فلا سلطان لأحد عليها، فالله تعالى أعطاك الخيار لا غصباً، أرسلك للدنيا لتنال الثقة بأن الله تعالى راضٍ عنك أنك عملت عملاً عالياً. ﴿**قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾: بيَّن لنا طريق الجنة من النار، كيف طريق الجنة وكيف طريق النار. إذا الإنسان فكَّر ببدايته ونهايته وعرف أن لا إلّه إلَّا الله، صار في حصن فلا يستطيع أن يقع بمنكر، يرى طريق الحق وطريق الضلال، بإقباله على الله تشتق النفس بلا إلّه إلا الله الكمال من الله، فتعرف الحق من الباطل. ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**﴾: الشيطان والباطل ﴿**وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ**﴾: بلا إلّه إلا الله. ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾: إذا آمن صار لديه كمال، استمسك بأهل الكمال، إذا استمسك بهم ما عاد يرجع. دين الإسلام دين حقائق، إذا آمن الإنسان حقّاً صار يرى الحقائق، إذا صار الإنسان

كاملاً أحب سيد الكاملين وهو رسول الله ﷺ، وهو العروة الوثقى. ﴿**لَا انْفِصَامَ لَهَا**﴾: لا يعود ينفك عنه بعد ذلك أبداً، وعندئذ لا يتراجع قط، نال ليلة القدر {**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**}[21]، نعم لقد وصل لرسول الله ﷺ، نال الإيمان بذاته، تمسَّك برسول الله ﷺ لأنه معه رأى الحق فرأى الخير. أما الإنسان ومادام لا يفكِّر ومهملاً لجوهرته الفكرية فلن يعقل، ومن لا عقل له لا دين له. ﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ**﴾: لقولك. ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بحالك. بما أنت فيه، حركتك، كلامك.

257- ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: إذا فكَّر وآمن واستسلم، صار الله وليّه ودليله. ﴿**يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾: يريه الطريق اللازم أن يسير فيه. إن تبت ورجعت وصلت للإيمان، أراك الحق، يرى بنور الله الحقائق، يرى بعينه الصور، فإذا نظر بنفسه رأى الحقائق، يرى الدنيا مدرسة فيسعى فيها. ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: بلا إلَه إلَّا الله، رأى لنفسه فعلاً. ما قدَّروا الله حق قدره. ﴿**أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ**﴾: الشيطان. ﴿**يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾: يدله على الأعمال المهلكة، الحق يراه باطلاً. ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: هم بذاتهم يرتمون فيها ليخلصوا مما فيهم.

مثال على المؤمن والكافر:

258- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**﴾: النمرود، ألم تسمع بقصته؟ ﴿**أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**﴾: ما قدَّر نعمة الله، أعطاه الله الملك فما فكَّر بنعم الله ولا استدل، أنت انظر إلى فضل الله، اشكر نعمه عليك. ﴿**إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾: آمر بشخص وأعفو عنه، وآخر آمر بقتله، والآن كثير من الناس ينسب الفعل لنفسه، لكن إن سار الإنسان بالإقبال هداه الله وتولاه، وإن لم يسر بهذا ولم يكن مع الله تولاه الشيطان. ﴿**قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: من بُعده لا يرى، إن لم يرجع الإنسان عن ظلمه لتتولد بنفسه ثقة بأن الله تعالى راضٍ عنه فلن يقبل ولن يهتدي، الظالم لا إقبال له، لذا لا يرى طريق الحق.

259- ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**﴾: سيدنا العزير عليه السلام مرَّ بها شتاءً وهي خالية من الورق، فعجبَ من عناية الله في خلقه. ﴿**قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾: السائل: سيدنا العزيْر من المؤمنين ولكنّه يتعجب من صنع الله، ويريد معرفة كيف يجري إحياء الأرض بعد موتها، فهو يتعجب ما أعظم قدرة الله! ما أعظم هذا الرب، كيف يخرج، الزهر، الورق، الثمر! ﴿**فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**﴾: إن صدقت أراك الله الحق. ﴿**قَالَ**﴾: قال الله. ﴿**كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾: كذلك المؤمن يمرُّ عليه البرزخ كأنه يوم أو بعض يوم بعكس الكافر. ﴿**قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ**﴾: انقضت عليك وأنت ميت. ﴿**فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾: لم يتغير، لم يفسد، محفوظ ﴿**وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ**﴾: مات وأصبحت عظامه رميماً فرآه تراباً. ﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ**﴾: تحدثهم بذلك. تحكي لهم حتى يروا ذلك ﴿**وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا**﴾: نخرجها من التراب. ﴿**ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ**﴾: أنا لا شك عندي بذلك. ﴿**أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: فالمؤمن يريه الله الحقائق، كلما زاد إيماناً زاد رؤية، إذا أردت الرؤية فكِّر، استدل، عندها يريك. المؤمن يؤمن ويدرك الأمور بفكره، يلتجئ إلى الله فيريه الله إياها بعقله فيعقلها، كذلك كثير من الأمور يكشفها الله للإنسان فيعقلها عقلاً.

---

[21] سورة القدر – الآية:5.

260- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾: كذلك فإبراهيم عليه السلام مؤمن ولكن أراد أن يعرف كيف يحيي الله الموتى. ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾: ما عندي شك بذلك. أنا آمنت لكني أريد أن تعقل نفسي هذا الخلق عقلاً. ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: بمشاهدة ذلك، أريد أن تعقل نفسي هذا الخلق. صدَّقت لكن أريد أن أعقله. ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: قطِّعهن وصرّهن بصرّةٍ ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾: فرّقها ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: تقْدُم نحوك. ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: كل شيء يضعه بمحلّه. يعطي كلاً حقه، مناسباته، كل قلب وما يناسبه يعطيه إيَّاه. سيدنا إبراهيم عليه السلام قطَّعهن وخلطهن، دعاهن فجاءوا.

سورة البقرة: [261-270]

261- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طريق القرب إلى الله. ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: بحسب النية تنال، إن فعل أكثر، ضاعف له أكثر أنت اعمل وهو يوسع عليك. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: فضله واسع. ﴿عَلِيمٌ﴾: عليم بحال كل إنسان.

262- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾: لا يتعبه ولا يؤذيه. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: غداً. لا يضيّع له عمله ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من فقر الدنيا. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على هذه الدنيا، يرى خيراً منها.

263- ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾: كلام طيب. دلالة على عمل أو شيء، دلالة ترشده فيها إلى الرجوع إلى الله لتشفى نفسه، تقول الله تعالى يفقر الإنسان ليرجع ليتوب. ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾: وأنت إذا كسرت خاطر الفقير لا يتركك لا بد من عقوبة ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾: يفقر الإنسان ليتوب ويرجع ويشفى شيئاً فشيئاً، هذه غاية الله تعالى من تضييقه. هو غني يستطيع أن يعطي الفقير، لكن التضييق على الفقير ناشئ عن حلمه تعالى عليه.

264- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾: غايته قول الناس. ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾: هؤلاء هم المنافقون. ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: حساب بالذرّات، فلا يبقي عليه شيئاً لأن عمله للشهرة. ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس. ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: مطر، يذهب كل ما عليه. ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: خالياً ما عليه شيء. ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾: غداً. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: الأعمى لا يرى شيئاً. فيهديه للمشفى حيث يداوى. يدلّه دلالة عاقبتها شفاؤه.

265- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾: غايته الله، ونفسه صار لها معرفة أن الله لا يضيع له عمله. ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: عن طيب قلب منه، إذا الإنسان آمن وفتَّح يرى الخيرات التي ستأتيه من عمله. الصدقة لها أصول: إن لم تسر بالبداية لاتصل للنهاية. إن لم تفكِّر وتعقل لا تستقيم، إن ما استقمت لا تصلِّي، إن ما صلَّيت لا ينشأ في قلبك الكمال، إن ما نشأ الكمال لا تصاحب رسول الله ﷺ فلا تدخل على الله، إن ما دخلت لا تفعل شيئاً. ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾: لأن الشمس والهواء تتخلَّلها. ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر شديد كثير. ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: مضاعف. حملت حملاً كبيراً وحملت في سنة مرتين. ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: ندى، ولو جاء البلاء على الناس ومنع الغيث، هذا المؤمن يبعث الله لزرعه ندى فينبت. أي إن لم تأت الأمطار للعموم. وهكذا فالقول الرحمة مخصصة والبلاء يعم زعم خاطئ. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: كل إنسان بحسب عمله يعطيه، فلا يضيع لك حق وتعب.

266- ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾: هل تحب أن يكون لك هذا. ﴿**لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾: من كل شيء، عنده مال كثير. ﴿**وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ**﴾: ثم مات وترك صغاراً. ﴿**وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ**﴾: غير ناضجين. ﴿**فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ**﴾: ريح أحرقها، هواء شديد حار فأحرق النبات. ﴿**فَاحْتَرَقَتْ**﴾: كذلك أناس هذا حالهم، خلَّفوا لأولادهم كثيراً، ثم ذهب الكل وأصبحوا يسألون الناس. هل يريد أحدكم أن يكون غنياً وله جنة ثم يصبح عاجزاً وله أطفال، ثم يذهب ماله ويُصبح فقيراً؟ هل يريد أحد ذلك لنفسه؟! ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ**﴾: لا ظلم في الكون، وكل واحد ينال حقه. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾: فكِّر لِمَ جاءك هذا البلاء، ليكن اعتمادك على الله كل هذه الآيات لتفكِّر، فكِّر بمن سبق ممن لم يفعلوا الخيرات، ماذا كان مصيرهم؟ أصبح أولادهم فقراء محتاجين، قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين.

267- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: بلا إلّه إلَّا الله حقاً، ماذا يجب أن تفعل يا مؤمن: ﴿**أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾: أنفق أحسن شيء عندك. ﴿**وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**﴾: من الثمار ومن المزروعات. ﴿**وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ**﴾: لا تنفق الشيء الفاسد، الشيء الذي لا تقبله لا تنفقه، أنفق الطيب وتصدَّق به، أنفقوا من خير ما عندكم. ﴿**وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾: لا تأخذه إلا إذا كنت محتاجاً مكرهاً. هذا الشيء أنتم لا تأخذوه إلَّا إن كنتم في حالة شديدة من البؤس والفاقة. ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ**﴾: عنك وعن عطائك. لكن جعل المال بيدك لتفعل المعروف وتكسب الخيرات. ﴿**حَمِيدٌ**﴾: يأمرك بهذه الأوامر لتنال فضله فتحمده على فضله. هذه الدلالة يُحمد عليها. الغني بعطائه يُحمد، الفقير عند أخذه يَحمد، كل ما يدلُّك إليه يُحمد تعالى عليه.

268- ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ**﴾: يحذرك من الصدقة والإنفاق خشية الفقر، يريدك أن تبقى بخيلاً. ﴿**وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾: العمل المخزي. الشيء المنحط الخفي. ﴿**وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ**﴾: إن أعطيت أقبلت وشُفيت نفسك. النفس لا طريق لطهارتها إلَّا الإقبال على الله. بالصدقة تصحّ تقبل فتطهر. ﴿**وَفَضْلًا**﴾: يزيدك عطاءً وسعة. ﴿**وَاللَّهُ وَاسِعٌ**﴾: فضله. ﴿**عَلِيمٌ**﴾: كل واحد يعطيه بحسب حاله.

269- ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ**﴾: فقه معاني الأوامر لا يدركها إلا الصادق. فالذي يعطيه الله الحكمة يضع الدراهم في محلها، كل عمل يعمله ضمن حكمة، هذا عمل المستنير، كل أعماله ضمن حكمة منبعه عطف، حنان، إحسان، يضرب لله، يحرم لله، يعطي لله، له عين يرى بها الصور وأخرى الحقائق، هذا يلزمه تأديب، هذا ثناء، هذا منع، هذا عطاء، المؤمن الصحيح يعطف على كل المخلوقات، يعطي كلاً بحسب ما يناسبه. ﴿**مَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من طلب دخل ونال. ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ**﴾: إن ضربت أو أعطيت أو منعت... كل ذلك وغايتك مرضاة الله، بوضعك الشيء في محله يتضاعف الأجر. ﴿**فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾: لأنه يضع الأشياء في مواضعها. **"ذرة من أعمال أهل القلوب توازي عمل الثقلين"** أعماله كلها بنيّة عالية، وبقدر حبه لله يعطف على خلق الله. الحكمة لا تأتي إلا بحصول التقوى برفقة رسول الله ﷺ تدخل على الله، وهذا لا يتطلبه ولا يعرفه: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾: الذين وصلوا للإيمان، فإذا وصلت للإيمان بلا إلّه إلَّا الله صرت ممن يتطلب التقوى، وتذكرت ذلك، وتطلَّبته لما به من الخيرات. الذي آمن وصلى صار بقلبه كمال، فعندها يدخل بصحبة رسول الله ﷺ على الله، فتحصل له التقوى فيضع كل شيء بمحله، إن ما فكَّرت وعقلت لا جدوى لك، الإنفاق بعد الإيمان، الخير بعد الإيمان يصل بك لخير عظيم

270- ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ**﴾: نويت نية عالية. ينذر أي يقول مثلاً : غداً سأعمل من خير كذا إن شاء الله. أما أن يقول: إن أتاني كذا فسأعمل كذا فهذا لا يجوز. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ**﴾: كله معلوم عنده. ﴿**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾: الظالم من لم يقدم لنفسه خيراً، المريض للمستشفى وهو

الظالم الذي حرم نفسه من الخيرات. الله تعالى أخرجك للدنيا لتكسب الخيرات، لتعمل فيكون لك من عملك وسيلة للقرب والإقبال والفوز والنعيم في الجنان.

سورة البقرة: [271-280]

271- ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**﴾: ستعمُّ عليكم خيراتها. ﴿**وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾: لما يحصل للنفس من اطمئنان من أنه لم يطلع على العمل إلا الله. يحصل لك ثقة بأن الله راض عنك، وأن عملك خالص لوجهه الكريم. ﴿**وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾: بعملك هذا تخفى عنك سيئاتك ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾: نيتك وعملك الله خبير بهما.

272-كان ﷺ يتألم على الخلق ويتمنى لهم الخير كلهم، فسلّاه تعالى بقوله: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ**﴾: أنت بيّن لهم، والله تعالى أعطى الأنفس الإطلاق والحرية، لا إكراه في الدين، إذا الإنسان فكَّر، اهتدى. الله تعالى باسط يديه لك. ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾: الهداية، كل من شاء يهديه، المشيئة لا تكون إلا بالشهود، الشهود يحتاج للاستقامة، فإذا فكَّر الإنسان بأصله وعرف ربه وآمن، عندها يستقيم فيشاء الهداية والاستنارة، فيهديه الله. ﴿**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ**﴾: يا عبادي: هذا الشيء عائدٌ عليكم وليس لله. ﴿**وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ**﴾: مجرد عن الغايات، وهذا هو الإنفاق المفيد. ﴿**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾: كله يعود عليك بالخير ولا يضيع عليك درهم.

273- ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: أوجه العطاء لمن قام بعمل لله: كالمجاهد، القاضي، العالم، كالمرشد أي خطيب الجمعة والمدرِّس في الجامع والمؤذِّن ومن أصيب في الجهاد، المعلم له راتب هذا أصل التقاعد والراتب لمن يقوم بخدمة العباد. ﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ**﴾: لا يستطيع العمل. ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ**﴾: أنت. ﴿**بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾: المؤمن عنده عزة نفس. ﴿**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾: كله ضمن علم الله.

274- ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**﴾: حسب الظرف ﴿**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾: من فقر. ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾: عليها، على الدنيا، لأنه يرى عند الله خيراً منها.

275- ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا**﴾: ليس الربا هو ما يسمونه بالفايز فقط، بل كل شيء تأخذه زائداً عن الحق فهو ربا، إذا أخذ ثمناً زائداً في المبيع أو أزيد من السعر العام فهو ربا. ﴿**لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾: المصروع. عندما ينهض من قبره ينهض هلكان مكسَّر. وكذا يقومون يوم القيامة كما يقوم من مسّه الشيطان فأغمي عليه. ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**﴾: أين الإنسانية؟! ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ**﴾: بشيء معتدل. ﴿**وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾: لما فيه من أذى. ﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾: الآن ﴿**فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ**﴾: يأخذ رأس ماله. ﴿**وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾: سيداويه على عمله، أو سيبيّن له بالتفصيل ما يجب أن يفعله. ﴿**وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: حيث عمل لدنياه وخسر الحياة الأبدية الباقية بالزائل المؤذي. الآن يأخذ ما ديَّنه فقط ويردُّ الربا، أما رأس المال السابق فسيبين له.

276- ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ**﴾: مبالغ في الكفر من كفر لكفر، ناكر نعم الله، أعطاك كل هذه النعم ولا تفكِّر بها! ﴿**أَثِيمٍ**﴾: مصرٌّ على الأذى بالربا.

277- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: فكَّر، عرف المربي، قال لا إلّه إلَّا الله. بعده حتماً عمل الصالحات. ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: جرَّه إيمانه للعمل. المؤمن يرى الله محيطاً به فلا يخرج عن الحق فبعمل الصالحات، يثق أن الله راضٍ عنه فيقبل. الصلاة الصحيحة بعد الإيمان والعمل الصالح، النفس غير مطلقة إن

ما وثقت لا تُقبل. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: العمل جرَّه للصلاة، وهذه الصلاة أكسبته الطهارة، أقبل فطهرت نفسه. سما لعالم القدس فاكتسب نعيمه بصلاته، فكفت نفسه عن المحرم من الشهوات لما يفيض عليها ربها من إكرامات. ﴿وَآَتَوُا الزَّكَاةَ﴾: الطهارة لأنفسهم. لما يقبل على الله تحصل له الطهارة. لا شيء يطهر لك نفسك غير إقبالك. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: بعدها أبداً.

278- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: يجب أن يجرّك الإيمان للتقوى، لا يكفي الإيمان وحده. يجب أن يجرك الإيمان للصلة برسول الله ﷺ والدخول معه على الله. ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: اتركه إن كنت مؤمناً تفعل ذلك. حذار فالمصير مرعب، أخرج كل ما عندك من ربا من الأصل الأصل، لا تبق إلا رأسمالك الأصلي.

279- ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لن تحصل له الصلة مع الله والإقبال عليه ولا الصحبة مع رسول الله ﷺ. ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾: ترجع لرأس مالك الأصلي. ينفق ما اكتسبه من الربا ويبقي رأس ماله ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: أحداً، فتسعدون وتنالوا الخيرات.

280- ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾: حتى يصبح ميسوراً. أنت خلقت للإحسان، إن أدان شخص ولم يستطع وفاء دينه فلينظره حتى يأتيه المال، وإن سامحه فذلك أحسن ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾: يعطيك الله. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن كنت تعلم ما وراء عملك من الخير تفعل ذلك وتتصدق، هذا هو الإنسان. أي إن كان لك علم بالله تعمل هذا.

سورة البقرة: [281-286]

281- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: كلنا سنموت، لا بدَّ لك من الموت ثم بعدها تعود غداً. الذي خلقك أول مرة قادر أن يجمعك ويرجعك. ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾: كل ينال حقه، ماذا كسبتَ خيرات فلك الخيرات، أو حيَّات وعقارب، إن كسبت حيَّات. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: حاشا لله أن يظلم أحداً. كل ينال حقّه.

282- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾: لكيلا تختصموا مع بعضكم ولتكونوا يداً واحدة، وحتى تبقى معاملاتكم مع بعضكم بالإحسان بخدمة. الأمانة: أن تأتي إلى الدنيا وتعامل الخلق بالإحسان. **{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ على السماوات والأرضِ والجِبَالِ فَأَبينَ أَنْ يَحمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}**؟![22] ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: إلى وقت معلوم، اجعل له أجلاً. ﴿فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾: كاتب عادل، هذه أصول الدين. ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾: إن كان يعرف أصول الكتابة فلا يمتنع: ساعد على حفظ الحق. ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: الذي استدان وأخذ المال هو الذي يملي. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾: ويفصّل. ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾: جاهلاً. ﴿أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾: وليُّه ينوب عنه. ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾: أهل عقل، أهل كمال. ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾: ولكن ليس في مثل هذا الزمن، تثبّت الحق، على الشاهد أن يشهد. ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾: كثيراً أو قليلاً. ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾: إلى وقت معلوم. ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: أعدل عن الله، أقرب شيء لئلا ترتابوا فلا يقع نزاع. ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: شركة بتجارة. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: حيث أنهما يعملان

---

[22] سورة الأحزاب – الآية:72.

معاً. ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: بالطابو. ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: لا تعطلهما عن عملهما، أعطهما أجرهما، الكاتب والشهيد لهما "أجرة عطل وضرر". يجب أن يُعطى أجراً لقاء ضياع وقته. ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾: إذا أضررت بهما، كما في هذا الزمن يحقدون على الشاهد ويضرونه لا سيّما بالقرى. ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾: خروج عن الحق. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: يمرّر في نفسك صحائف فيها الخير من الشر فترى مطلوبك، إذا أقبلت على الله ترى بنور الله. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: كل شيء تتطلبه يريك إياه.

283- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾: يعطيه شيئاً على ألا يستعمله بمقابل المال الذي استدانه منه. ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: الوديعة أمانة لا يجوز له أن يستعمل الشيء المعار. عليه ألا يستعمل ما اؤتمن عليه، والقول قرض دون فائدة لقاء دكان بلا أجر، هو ربا. ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾: احذروا. ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾: مجرم. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: إذا آمنتم وعرفتم الإيمان انظروا ختام السورة.

284- ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: الكون سيره وترتيبه كله لله: رزقك، حياتك، قيامك، سيرك، تربيتك، خلقك. كله عائد لله. الذرّة قائمة به، يدك لا تتحرك إلَّا به، لسانك لا يتكلم إلَّا بالله وعينك لا تنظر إلَّا به تعالى. هذا بنفسه مكروب فيطلقه الله تعالى ليخرج مكروبه ثم يداويه، وهذا سبب إطلاق الله أهل المعاصي، يتركه حتى يعمل ليخرج مكروبه ثم يعطيه العلاج. ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾: إن بلسانك أو بقلبك، لم تفعلوه. ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾: إن تكلمت بلسانك أو بقلبك أخفيت، حسب كلامك يعطيك، حسابك على الله يعطيك حقك، إن تبت ورجعت تاب عليك. ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: المغفرة، من طلب الشفاء، لمن لم يفعل فيطهر نفسه مما علق بها، يشفيك إن وقع بنفسك خاطر أو تكلمت كلمة من فمك ورجعت، تاب عليك وغفر لك. ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: التعذيب للغفران، إن فعل ووقع بالإثم، فمن يصرّ على شذوذه يداويه. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: بمقدار إقبالك يعطيك. بمقدار إعراضك يعطيك، كل إنسان وحقه، كل إنسان بمقدار حاله وعمله من توبة وتعذيب.

285- ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾: بالقرآن. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: أول شيء آمنوا بلا إلٰه إلَّا الله، بعدها يؤمن بـ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾: الملكين اللذين على كتفيه وهم يكتبون الحسنات والسيئات. ﴿وَكُتُبِهِ﴾: عندها يؤمن بالقرآن، يرى ما فيه. ﴿وَرُسُلِهِ﴾: كلهم على حق، دعوا للحق. ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾: كلهم كلامهم واحد، وجاءوا بأمر واحد. ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: اليهود حيث ما آمنوا هذا الإيمان، قالوا سمعنا وعصينا ﴿غُفْرَانَكَ﴾: شفاءك. ﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: دوماً يطلب المغفرة.

286- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إن أوامر الله تعالى كلها موضوعة بحيث أن النفوس قادرة على القيام بها، لم يكلفك الله بشيء فوق طاقتك، التفكير يسير سهل، فالإيمان سهل ولا يتطلب مشقات. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من العمل، لا يذهب من عملك بالدنيا شيءٌ. ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: من النيّة، عملك لك. ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: المؤمن لا يقع عن قصد وتصميم. بل عن نسيان وخطأ، دوماً يخاف على نفسه. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾: كما طلب الله تعالى من قوم موسى أن يذبح بعضهم بعضاً، اليهود أصرُّوا، فكلَّفهم بذبح أنفسهم، تجلَّ علينا حتى لا نصرَّ وننوي أشياء سيئة. ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾: وهم اليهود. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾: كما قتل بنو إسرائيل آباءهم. ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾: امح هذا الشيء من نفوسنا، هذا طلب المؤمن. ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾:

بالشدائد لنعود للحق. ﴿**وَارْحَمْنَا**﴾**:** بالشفاء. ﴿**أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾**:** هذا طلب المؤمن.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل عمران: [01-10]

1- ﴿الٓمٓ﴾: لكل امرئ مراد حسب قدره، فما مراد الله تعالى من كتابه هذا، وما مراده من خلق الكون والإنسان، وما مراده مما أمر به ذلك الإنسان؟ لا بد وأن يكون مراده عظيماً حسب قدره تعالى، كذلك، مراده هنا من هذه الأحرف بيان صفات المصطفى وشأنه للناس. ﴿ا﴾: أحمد: أحمد الخلق، لأنه عرف الله أكثر من أي مخلوق. ﴿لٓ﴾: لطيف: كل من أحبّه وارتبط به نقله إلى الله دون عناء بلطف ورقّة. ﴿مٓ﴾: محمود. لهذه الصفات، وهذه الدلالة النفسيّة القلبية التي تسوق بها الناس إلى الله، صرت محموداً عند الله وعند الناس. هذا مراد الله من هذه الحروف، وليقترب الإنسان المؤمن من رسول الله ﷺ لتعظيم الله إيّاه، وليقبل معه على الله فيعرف الله وتحصل له التقوى، فيرى الحق من الباطل ويرى تأويل كلام الله. إذن: ﴿الٓمٓ﴾: الله تعالى يخاطب حبيبه يا أحمد، يا لطيف، يا محمود. رُبَّ سائل يسأل. لِمَ جعلها الله على شكل رمز ولم يخاطبه صراحة: يا أحمد الخلق، يا لطيفاً، يا محموداً؟ المراد من ذلك أن يتيقظ التفكير وتسير دوماً به فتُفهم المعاني. فكل سورة جعل الله تعالى لها مفتاحاً، فنحن عندما نسمع بكمال رسول الله ﷺ نقبل عليه ونرتبط به. وبما أن الكتاب مطبوع بنفس رسول الله ﷺ ولا يمسه إلَّا المطهرون، فمتى طهر قلب الإنسان بصلته بربه فارتبط قلبه برسول الله ﷺ، عندها يفهم القرآن المطبوع بقلبه الشريف.

﴿ا﴾: يا أحمد الخلق.

﴿لٓ﴾: يا لطيفاً، فكل من ارتبطت نفسه بنفس رسول الله ﷺ يعرج معه بلطف إلى الله تعالى. كذا بالصلاة الصحيحة **"والصلاة معراج المؤمن"**.

﴿مٓ﴾: يا محموداً عندي وعند عبادي. ورسول الله ﷺ عندما يسمع ذلك الثناء الحق من حضرة الله يزداد إقبالاً، إذ يرى مكانته عند الله.

2- ﴿**اللَّهُ**﴾: صاحب الأسماء الحسنى. ﴿**لا إِلَه**﴾: لا مسيّر. ﴿**إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾: مصدر الحياة وقيام الخلق به.

الله: صاحب الأسماء الحسنى. ﴿**لا إِلَه إِلَّا هُوَ**﴾: كل شيء يؤول إليه تعالى، فالكون كله قيامه وحياته بيد الله تعالى، فهو المتجلّي على الكون لا تأخذه سِنة ولا نوم.

فانظر لوضعك إن لم تكن مسروراً، فأصلح سيرتك يصلح لك أمورك، فالله بيده كل شيء. فلا تتحرك يد الإنسان إلَّا بالله. لسانه لا ينطق إلَّا بالله ولا فعل لمخلوق إلَّا بالله، هو تعالى عادل، القوي بيد الله، والضعيف بيده، وكل الأمور بيده، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم. غيّر ما في نفسك يغيّر الله لك الأمور، ويجعلها بما يرضيك.

﴿**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾: مصدر الحياة والقيام. حياتك بالله وقيامك بالله، إن عرفت ذلك فلن تتألم من أحد، بل ترجع لنفسك وتعلم أن ما أصابك منك، بحسب حالك تجري الأمور. الأب إن شذَّ ولده شدَّد عليه، كذلك رب العالمين يعاقب هذا الإنسان، ليوصله إلى ما فيه سعادته. يجب على الإنسان أن يفكِّر فيستدل لِمَ خلق الله الإنسان؟ لِمَ أرسله لهذه الدنيا؟ أرسله ليسعده.

3- ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾: باستحقاقك بما حزت به من الكمال. لا جزافاً بل بما نلت من أهلية. فالرسل جميعاً بالحق نالوا، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون. ولو أعطاهم تعالى بدون سعي، لما كان لهم عمل {**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**}[1]: فبسعيه عليه الصلاة والسلام سبق العالمين، ضمن الاستحقاق نزله عليه، لأنه أهل لهذه الرسالة، وذلك عندما فكَّر ﷺ وعقل وصار قريباً من حضرة الله، أنزل عليه القرآن. ﴿**مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾: من الكون كله، ليستدلَّ الناس على الله؛ بيَّن آيات الكون. ﴿**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ**﴾: على موسى عليه السلام لكماله وعلو قدره ﴿**وَالإِنجِيلَ**﴾: على عيسى عليه السلام، ليستدلوا على لا إلَه إلَّا الله.

4- ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾: قبلك. ﴿**هُدًى لِّلنَّاسِ**﴾: ليهتدي الناس إلى معرفة أن لهم إلَهاً مسيّراً. ليعرفوا طريق الحق، ليتعرفوا على الله. ﴿**وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**﴾: فيه مفرّقاً بين الحق والباطل. بيَّن طريق السعادة والشقاء. ليفرق الإنسان بين الخير والشر. فالقرآن فيه شيئان: دلالة على لا إلَه إلَّا الله، وبيان طريق الحق من الباطل. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾: الدالّة على لا إلَه إلَّا الله. أنكروا نعمه فلم يروا فضله ومراده، إن لم يفكِّروا ليستدلوا على الله ويعقلوا الوجود الإلَهي، أي بالإيجاز: ما لم يؤمنوا بلا إلَه إلَّا الله فيروا الكون كله سائراً بأمر الله حتماً. ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾: لإخراج ما في نفوسهم، سيداويهم سيرسل لهم مصائب لكي يرجعوا إلى الحق. نرى أن الكفار يطلبون يوم القيامة أن يعودوا إلى الدنيا ليعملوا صالحاً ولا يطلبون الدخول إلى الجنّة، ذلك لأنّهم علموا حينئذ أنّه من لا عمل له يرقى به فلن تفيده الجنّة، وليس له في الحقيقة جنّة أبداً. قال تعالى {**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ**}[2]: أيقنا أن الجنة بالعمل. ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ**﴾: واحد أحد. ﴿**ذُو انتِقَامٍ**﴾: سيُخرج من النفس ما انطوت عليه من قذر، يخرج لهم الغش، الجرثوم من نفوسهم، يرسل مصائب وكوارث لعلهم يرجعون.

5- ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾: إن حركت عينك، يدك، فكل حركة بعلم الله ولا يخفى عليه شيء، إذ هو المسيِّر ولا حول ولا قوة إلَّا به، وكل الأمور بيده تعالى.

6- ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ**﴾: يخلق الذكر والأنثى. ﴿**فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾: لا يصبح الذكر ذكراً ولا الأنثى أنثى إلا بعلمٍ أنّ الخير للنفس هو بهذا. كل واحد لهُ لون، شكل، طول، ذكر، أنثى، أسمر، أبيض، طويل، قصير، وذلك كله ضمن الحكمة، هذا أعمى، هذا كسيح، وبحسب ما يناسب له، هذا دليل على يد صوَّرت، رتَّبت. ﴿**لَا إِلَه إِلَّا هُوَ**﴾: لا مسيِّر إلَّا الله، يدك، عينك لا تتحرك إلَّا بإذنه تعالى، فما من شيء يؤول إلَّا إليه. ﴿**الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾: يعطي الذكور ويعطي الإناث، كل ذلك بحكمة، كل واحد يعطيه حقه، للمحسن الإحسان، وللمسيء ما يناسبه. فالكون كله سائر بالحكمة وبحسب حالك يعطيك، المؤمن الصحيح دوماً مستريح، لا يتأثر من أحد، إذ يعرف أن ما أصابه من نفسه.

7- ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾: القرآن. ﴿**مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ**﴾: أسس في الشرع، لا تحتاج لتأويل. ﴿**هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾: آيات دالة على لا إلَه إلَّا الله، الشمس لا أحد يناقش بها. القمر، النجم، الليل، النهار، الجبال، كل شيء في الكون إن فكَّرت دلَّك على لا إلَه إلَّا الله. ﴿**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾: في الخيرات، تشابه الأوليّات في الخيرات ولكن لها أوقات تطبّق فيها، يشتبه على قليل العلم بالله حقيقة معناها، فيؤولها خلاف الحق، كأسماء الله الحسنى: المتكبّر، الجبَّار، المنتقم، القهار، وآية {**يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ**

---

[1] سورة الحجرات – الآية:13.

[2] سورة السجدة – الآية:12.

وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ}[3] أيضاً متشابهة مع لا إلّه إلَّا الله، كلها تدل على الكمال، لكن الزائغ عن الحق الفاسق يؤوِّل على حسب ما في قلبه من فتنة وشهوة خبيثة.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: عن الحق وفسوق، يؤول حسب ما في نفسه من خبث. **﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ﴾:** ابتغاء ما هم مفتونين فيه من شهوات، يؤول حسب ما في نفسه من خبث. يضعون هذه مكان تلك والعكس دون علم بقصد الفتنة، يقول: الله كاتب عليَّ، هذا خلاف كتاب الله، بل أنت طلبت. ترك لك الخيار فطلبت الرذيلة، فيقول أيضاً الله أراد لي، إذ الأمور بيده، والحقيقة أنه تعالى يخرج للمعرض علّته، ويسوق له العلاج من بعدُ لعله يتوب، خلقك الله تعالى لتسعد. **﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾:** تأويله على حسب شهوتهم، فهل من العدالة أن يعطي تعالى أناساً الخير ويجعلهم أتقياء، وآخرين ضالّين كافرين، هذه المزاعم كلها كفر، تعارض كمال الله، الله ما خلق أناساً وقدَّر عليهم هذا التقدير، لكن أعطاك الاختيار لتكون فخوراً بعملك، ليكون لك من هذا الاختيار والعمل العالي وسيلة للإقبال على ربك، لولا الاختيار ما دخل أحد الجنَّة.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾: مآل الآية ووجه الحق فيها. **﴿إِلَّا اللَّهُ﴾:** لا نهاية لمعانيه **{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً}**[4]: مهما تعمّقت وجدت أكثر، لا نهاية له. **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾:** الذين عرفوا الله سبحانه وتعالى، الذين صار لهم علم بأسماء الله الحسنى، القدوس، الكريم، عرفوا لا إلّه إلَّا الله، أنه عادل، رحيم، قدير. **﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾:** لما علموا أنّه الحق قالوا، لم يؤمنوا به على عمى، بل على بصيرة. **﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾:** كله خير، كله عطف وحنان، خير وإحسان، فلا يأمر ربنا بأمر إلَّا يكون كله خيراً.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾: أصبحوا أولي قلوب مستنيرة حيّة، إن لم يغدُ الإنسان مؤمناً فيدخل على الله وينطبع فيه الكمال فكيف يتذكر؟ إنه لا يتذكر شيئاً، إن لم يحصل الإيمان فلا فائدة. لكن المؤمن بإقباله على الله ينطبع فيه الكمال، فيؤوّل ضمن الكمال، والمؤمن هو من فكَّر بالموت، جمع نفسه مع فكره، نظر في الكون فرأى ربَّه شاهداً عليه، صار محفوظاً، بهذا تتولد ثقة بنفسه أن الله راضٍ عنه فصلّى، هذا كله بيَّنته آية: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً}**: بما في الكون من آيات تشهدها لهم. **{وَمُبَشِّراً}**: لمن فكَّر وشاهد. **{وَنَذِيراً}**: لمن لم يفكِّر. **{وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ}**: لمن تولّدت في نفسه ثقة يُقبل بإذنه، الطاهر يدخل. **{وَسِرَاجاً مُّنِيراً}**[5]: بإقباله على الله يصبح رسول الله ﷺ له سراجاً يدخل بمعيَّته على الله، فيرى الخير خيراً والشر شراً. **﴿أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾:** بكمالهم عرفوا أهل الكمال، فدخلوا بمعيَّتهم على الله، وإن لم يحصل الإيمان، فلا فائدة تُرجى.

8- **﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾:** يكون خائفاً على إيمانه. **﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾:** دوماً خائفون من الانقطاع.

9- **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾:** لا شك فيه، فيه تجتمع جميع الخلائق. آمنوا بهذا اليوم الذي كلٌّ ينال فيه حقه عن طريق يقينهم بالموت، بتفكيرهم بالسماء، حينما خافوا سوء المصير. **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾:** ما من أحد متروكاً.

---

[3] سورة آل عمران – الآية:129.

[4] سورة الكهف – الآية:109.

[5] سورة الأحزاب – الآية:45–46.

10- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: نكروا نعم الله، أعرض عن آيات الله، نسب الأمور لله بالظلم، فيظن بالله ظنَّ السوء، إذ يظن بأنه تعالى ظالم وأنه غير عادل، وبأنه ليس بالناس رؤوفاً رحيماً، لو آمن لما قال: يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء هو. إذن ما عرفوا لا إلّه إلَّا الله. ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾: غداً كل واحد يقول نفسي، فلا المال ولا الولد يمنع شيئاً عنه. ﴿وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾: سيشعلون بالنار.

سورة آل عمران: [11-20]

11- ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: كل كافر هذا حاله. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: في الدنيا هلكوا. ﴿كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾: ما فكَّروا بآيات الله، ما عرفوا لا إلّه إلَّا الله، فالذي لم يصلْ إليها فلا صلاة ولا صوم ولا حج له. هنالك طريقان: المؤمن حينما يفكِّر بالله تتمُّ وجهته إلى الله فيشتق الكمال منه، والكافر وجهته إلى الدنيا يعرض عن الله، فتمتلئ نفسه رذيلة وخبثاً.

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: بعد أن حذّرهم كثيراً. الذنب: النيَّة الخبيثة تعلق في نفس الإنسان، أما إن عرف لا إلّه إلَّا الله فنفسه لن تحاول الوقوع في الرذيلة، ينقطع أمله من ذلك. ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لتخرج الشهوة والذنب من النفس، لتسعد دنيا وآخرة. كما يعقّب الإنسان المعرض كل لحظة، من واحدة لواحدة حتى الموت.

12- ﴿قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾: حتماً، لا بدَّ للكافر أن يغلب على يد المؤمن، لا بدَّ من ظهور الحق مهما كانوا كثيري العدد، ومهما علوا، وهذه بشارة على عودة سيدنا عيسى عليه السلام: {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}[6]، الكفار سَيُغلبون. الكافر لا بدَّ له من سَاعة يغلب فيها على أمره ويقع في الشدائد. وهذا يتحقق دائماً وفي كل آن (العدالة سارية) وهكذا المؤمن يستعين بالله ويعلم أن الله لابدَّ ناصره. ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: ثم مصيره جهنم الذل والحقارة.

13- ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾: ظهر لكم الدليل على النصر في وقعة بدر، حيث انتصر المؤمنون قليلو العدد والعدة على القرشيّين المشركين. ﴿الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾: دليل على لا إلّه إلَّا الله، يوم بدر اجتمع المسلمون وكانوا أقلة وكانوا فتياناً ضعفاء، وأهل مكة صناديد أقوياء، والمسلمون انتصروا. كذلك بآخر الزمان زمن سيدنا عيسى عليه السلام هنالك طائفة ستنتصر.

﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾: عددهم أقل من قريش، نصف عددهم. سنَّ تعالى قوانين، يؤيد المؤمن رغم ضعفه. ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾: والنصر من عند الله، فليس هناك من شجاع ولا جبان ولا قوي ولا ضعيف، بل يجبّن من قذف الله في قلبه الخوف. {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ}[7] لا إلّه إلَّا الله، الفعل بيد الله، إذا كانت النيَّة عالية غايتك لله، ينصرك ويؤيدك. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾: المؤمن يرى، وذاك المعرض لا يرى بأنَّ النصر من عند الله، وأن الفعل بيده وحده. المسألة بنيتك العالية، فإن كانت غايتك لله فهو ينصرك ويؤيدك.

---

[6] سورة آل عمران – الآية:55.
[7] سورة الأنفال – الآية:12.

يوم أُحُدْ: جماعة من الصحابة صارت نيّتهم أخذ المال فخُذلوا. ليس الجهاد لأخذ المال ولا الأعراض ولا البلاد، بل لتردّ أخاك للسعادة دنيا وآخرة، فالله يسعدك إن رددته للحق.

14- ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾: لولا الشهوة لما سار الكون، هذه الشهوات الدنيوية فيها زينة. بهذا التزيين ينتظم سير الحياة ليعرف كل واحد بدايته ونهايته. هذه الزينة إن تركتها لله تولَّدت ثقة بنفسك أن الله راضٍ عنك فأقبلت عليه. ﴿**مِنَ النِّسَاءِ**﴾: كلّنا يحبّ النساء، كل إنسان لا بد أن يشتهي إن عرّض نفسه، "فالشيخ عيسى الكردي رحمه الله امتنع عن تكبيس امرأة عجوز وهو مسن وهي أكبر منه سناً بكثير، ودُفِعَ له مبلغ كبير، فأبى وقال لا بد أن النفس تميل". الطاهر لا ينظر مطلقاً، المؤمن الصحيح عند حدود الله. ﴿**وَالْبَنِينَ**﴾: الأولاد يتقرب المؤمن بهم إلى الله. ﴿**وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**﴾: ليفعل بها الخيرات. ﴿**وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ**﴾: المعلّمة للحرب والجهاد. ﴿**وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ**﴾: البساتين "المزارع". ﴿**ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: كله ستتركه غداً. فلماذا جعل تعالى هذه الزينة للإنسان، أليغترَّ بها؟ ﴿**وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾: اجعل كل ما سبق ابتغاء مرضاة الله ليعود عليك الخير من الله، من يقبل على الله يُحسن الرجوع إلى هذه الشهوات والاستفادة منها. سترجع إليه من وجه طيّب إن صرت مؤمناً، المؤمن عمله عالٍ وعظيم في الدنيا ويسعد بها أكثر. إن رجعت عنها لله لوجدت لذةً وفرحاً وزينةً خيراً منها، لأن هذه الشهوات الدنيوية فيها زينة. هذه الزينة إن تركتها لله تولدت ثقة بنفسك أن الله راضٍ عنك فأقبلت عليه. إن رجعت عن هذه الشهوات إلى الله، تأخذ هذه الأشياء من وجه شريف وتكسب رضاء الله. فبالحقيقة، المؤمن بهذه الزينة يدخل الجنة، وإن لم يؤمن حقّاً يدخل النار بها، إذ بالأولاد حين يربيهم المؤمن تربية عالية، بهم يدخل الجنة، والقناطير المقنطرة: بالمال يفعل الخير فينال الجنان، أما الخيل فإنه يربيها ويجاهد عليها، أيضاً يدخل بها الجنة، والأنعام والحرث كلها تكون لدى المؤمن سبيلاً للجنة. أما من لم يؤمن، فأولاده وبال عليه، وماله يسير به إلى المهلكات، وكذلك النساء. الدنيا مطيّة للآخرة، المؤمن يستعمل الأشياء كلها لرضاء الله، فيكسب بها الآخرة، فالإيمان أصل.

إن آمنت سعدت، إن آمنت فعلت الخير والإحسان فصار لك من عملك وسيلة للإقبال على ربك. هذا يشعر به المؤمن، إذ تحصل له حلاوة وسرور وقرب من الله لا يوازيه شيء.

15- ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ**﴾: بخير مما في الدنيا مما مرَّ ذكره. يا مؤمن إن تباعدت عن هذه الشهوات لطاعة الله، لوجدت حلاوة أعظم منها في نفسك، لأنك بإقبالك على الله ترى الحقيقة، فتشكر الله على أن حذَّرك منها. كيف تكتسب الخيرات من هذه الشهوات، حينما تتقي. ﴿**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ**﴾: لهم ما سبق في الدنيا وما سيأتي في الآخرة. بتركك لتلك الشهوات وشعورك بالراحة في نفسك، لك غداً نعيم أعظم منه عند الله، فكلما جاهدت في رد هذه الشهوات من نفسك زاد إقبالك، وذلك إن آمنت وفعلت المعروف فصلَّيت واكتسبت الكمال وأقبلت مع رسول الله ﷺ على الله، وهنالك تصل للتقوى وترى الحقائق. فرغم ما في هذه الأشياء من كسب للآخرة للمؤمن، للذين اتقوا عند ربهم خيراً منها، جنَّات. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**﴾: كم تنال من لذة بعمل المعروف والإقبال على الله، تنلْ في الآخرة أعظم. ﴿**وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾: خالية من كل عيب. ﴿**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾: يعطي كل إنسان حقَّه، إن لم يكن لك عمل تكون خجولاً، فلا تستطيع الإقبال.

16- ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا**﴾: بلا إلَه إلَّا الله وبرسولك، فكل من آمن بلا إلَه إلَّا الله فصلّى عندها يؤمن برحمته تعالى وعطفه وكماله. آمنا بك، كلك فضل. ﴿**فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**﴾: ما علق في نفوسنا. الذنب ما علق في النفس من شهوة وغيرها دون أن يصدر إلى حيّز العمل. اشفنا يا رب،

اشف نفوسنا مما تعلَّق بها من الشهوات والأدران. المؤمن يعلق بنفسه كل شيء ولكن لا يفعل. بالإقبال على الله يمحو ما بنفسك من أدران. الإيمان يسوق للعمل الصالح فيحصل الإقبال وتطهر النفس، فإن لم يقبل هذا الإقبال، ابتلاه الله بالشدائد ليقبل، فيطهر. ﴿**وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾: استرنا، ولا يسترك إلَّا العمل الصالح.

17- ﴿**الصَّابِرِينَ**﴾: عن الشهوات، عما تشتهيه نفسه، المؤمن تشتهي نفسه لكنه يتربص، البعيد عن الله يرمي نفسه. ﴿**وَالصَّادِقِينَ**﴾: بعهدهم مع الله، والموفون بعهدهم الذي عاهدوا الله عليه في الأزل. أنت عاهدت في الأزل أن تقبل على الله وتسير بنور الله في الحياة. والصادقين في طلب الحق. ﴿**وَالْقَانِتِينَ**﴾: المقبلين على الله، المستعينين المستديمي الوجهة. دوماً نفوسهم مقبلة على الله. ﴿**وَالْمُنفِقِينَ**﴾: مما أعطاهم الله. والمال للإنفاق. ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ**﴾: طالبين الشفاء ﴿**بِالأَسْحَارِ**﴾: بالخفية، سراً بينهم وبين الله، بنفوسهم.

18- ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَه إِلَّا هُوَ**﴾: أولئك الذين شهد الله لهم بنوره أنه لا مسيّر إلَّا هو، أراهم ذلك بنوره. كل ما في الكون شاهد لك من الله أنه لا إلَه إلَّا هو: الشمس، القمر، النجوم، هذا الكون يشهد لك، به ترى التربية وجميع ما تحتاجه لا ينقص عليك شيء. الله تعالى كمَّل لك هذا الكون. فكل ما في الكون يدلّك أن المسيِّر هو الله وحده. من ينزل الأمطار؟ من يسوق الغيوم، من؟ هل من يد غير يده؟ ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ**﴾: بكل لحظة يلقون في نفسك الإلهام أن يا عبد الله انظر إلى الشمس، انظر إلى الكون. انظر في خلق الله وآياته. فكّر ابحث عن سعادتك، يا نفس اسمعي كلام الله، استدلي على الله، ويطهرون قلوبهم لتغدو صالحة للإقبال عليه. ﴿**وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ**﴾: وهؤلاء كذلك شهدوا، الرسل أهل الإرشاد أيضاً يبيّنون لك ذلك. يذكّرونك. كذلك يشهدون لهؤلاء أنه قائم بالعدل بين الخلق جميعاً. ﴿**قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ**﴾: كل واحد وحقه ضمن العدالة، فلا ظلم بهذا الكون. كلنا لآدم. وأسبق الخلق اجتهاداً أسبقهم عند الله. ﴿**لَا إِلَه إِلَّا هُوَ**﴾: فإنّه لا مسيّر إلَّا هو ﴿**الْعَزِيزُ**﴾: المتفرّد بكل خير وكمال. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: ويعطي ضمن الحكمة، فالله يعطي كل إنسان حقه ضمن العدالة، فإن أردت السعَادة استقم.

19- ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ**﴾: الحق وطريق الحق لكي تسلكه، يجب أن تستسلم إلى الله. ﴿**الإِسْلَامُ**﴾: الطاعة التامّة لله، عندما تؤمن بلا إلَه إلَّا الله وترى أن الأمور كلها بيد الله تدين للحق، تستسلم، تسير بالحق لا اعوجاج ولا اعتداء، فلا يصيبك مكروه، لا يدين الإنسان إلى الحق إلَّا إذا استسلم، فإن لم تؤمن وتشاهد فتستسلم لله، فلن تدين نفسك للحق بل تطلب سواه.

﴿**وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ**﴾: اليهود قوم موسى عليه السلام إلى يهود ونصارى. ﴿**إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ**﴾: المسيح عيسى عليه السلام. لما جاء تفرقوا قسمين، اليهود كذَّبوه، النصارى ألَّهوه، والفريقان على ضلال. ﴿**بَغْياً بَيْنَهُمْ**﴾: حسداً. ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾: الدالّة على لا إلَه إلَّا الله. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾: بالعذاب. لا يتركه، فكِّر حتى تعقل.

20- ﴿**فَإنْ حَآجُّوكَ**﴾: إن قالوا من أين أنت جئت بهذا، من أين جئت بهذه النبوة والرسالة، كل الرسل من بني إسرائيل. وإذا حاجّوك بم نُزِّل عليك الكتاب. ﴿**فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ**﴾: استسلمت وأقبلت على الله فأعطاني. هذا العلم جاءني من الله. ﴿**وَمَنِ اتَّبَعَنِ**﴾: ومن معي، من اقتفى أثري كذلك يعطيه الله، استسلمنا إليه كلنا فعلَّمنا. كل من سلك هذا المسلك جاءه هذا العلم وصار إنساناً. ﴿**وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ**﴾: اليهود. العلماء من بني إسرائيل. ﴿**وَالأُمِّيِّينَ**﴾: والعوام. ﴿**أَأَسْلَمْتُمْ**﴾: هل استسلمتم إلى الله ﴿**فَإِنْ أَسْلَمُواْ**﴾: إلى الله، فإن رأوا المسألة بيد الله. ﴿**فَقَدِ اهْتَدَواْ**﴾: مثلكم، عرفوا الطريق، متى وصلت للإيمان بلا إلَه إلَّا الله اهتديت للحق. ﴿**وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾: كل واحد وحقه.

سورة آل عمران: [21-30]

21- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾: الدالة على الله، كل شيء في الكون آية، النظر بالآيات هذا هو المعوّل عليه. الإيمان هو الأصل، اجتهد لتصل للإيمان. وهنا المقصود اليهود. من لا يؤمن بلا إلّه إلَّا الله يفعل المنكرات. ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ**﴾: لشدة ما يعترضهم من آلام في نفوسهم. ﴿**بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾: الذي يرى الله بعيداً يفعل كل شيء. القريب يرى الله قريباً شاهداً فيستقيم. فالبعيد حينما يأتي غداً ويرى دناءته يصرخ ألماً، فبشرهم بعذاب أليم، يستر عنه آلامه.

22- ﴿**أُولَـئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾: في الماضي. تنحط في الدنيا أعماله، لا مروءة ولا وجدان. ﴿**فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**﴾: عندما يرون غداً تفريطهم وتقصيرهم، عندما يرون أنهم أحط من كل المخلوقات، يحترقون بنفوسهم، فيلقون بذاتهم في النار تخلصاً من آلامهم، فمن ينصرهم؟! أعمالهم منحطة بسبب آلامهم.

23- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ**﴾: حفظ الألفاظ فقط. كأن يقرؤوه بطلاقة ونغم جميل. ﴿**يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ**﴾: عن المناقشة. ﴿**وَهُمْ مُّعْرِضُونَ**﴾: عن لا إلّه إلَّا الله! معرضون عن الله تعالى بانصرافهم إلى مظهرهم.

24- ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ**﴾: ما استدلوا بآيات الله، ما فكَّروا، لأنهم ﴿**قَالُواْ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ**﴾: اعتمد على الشفاعة. ﴿**وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ**﴾: طمعوا بالشفاعة، الشفاعة في الدنيا. إن صرت مؤمناً حقاً أحببت أهل الكمال فرافقتهم بنفسك ودخلت معهم على الله، هذه هي الشفاعة. المريض بالآخرة من يشفع فيه ويحول دون مداواته! فكل طامع بالشفاعة وهو سادر بالأعمال الدنيئة، مثله كمثل اليهود وكل من سار على نهجهم.

25- ﴿**فَكَيْفَ**﴾: حالهم. ماذا يكون حاله غداً، كم يتألم هذا المعتمد على الشفاعات. ﴿**إِذَا جَمَعْنَاهُمْ**﴾: يوم القيامة. ﴿**لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ**﴾: لا شك فيه. ﴿**وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ**﴾: كل نفس وحقَّها. ﴿**وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾: الذي فعل الخير يأخذ حقه بالتمام وبالعكس. والحقيقة أن الشفاعة هنا إن ارتبطت نفسك برسول الله ﷺ هنا دخلْتَ معه على الله، طهرت من كل ما فيها.

26- ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ**﴾: وحدك. هو المالك لا مالك غيره. ﴿**تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ**﴾: وحدك الفعَّال، بيدك كل شيء. ﴿**وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ**﴾: الحقيقة أن الله ينظر إلى الأنفس ويعطي كلاً ما يناسبه وحقه على التمام. ﴿**وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ**﴾: يغني ويفقر، يعز ويذل كله خير، كل إنسان يُعطى الدواء المناسب. ﴿**بِيَدِكَ الْخَيْرُ**﴾: فبيدك الخير وحدك لهذا وهذا، لمن أعطاه الملك خير، ولمن نزع منه خير، ولمن أعزه ولمن أذلّه، كل فعله تعالى خير، والحمد لله رب العالمين على كل حال. ﴿**إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: لا يرفع إلَّا بمقدار الاستحقاق وبالعكس، بحسب عملك يرفعك أو يضعك، كل فعله خير.

27- ﴿**تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ**﴾: كيف يدير الكون؟ أليس هذا دليلاً على وجود يد تحرك؟! كله بيده. ﴿**وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**﴾: أفلا تستسلم إليه حتى تدين للحق. ﴿**وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ**﴾: النبتة من الحبة الميّتة. ﴿**وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ**﴾: البذرة الصلبة الميتة من النبتة الحية. ﴿**وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾: بصدقك إن فكَّرت وآمنت ونويت، أعطاك. بمجرد النيَّة الطيّبة يعطيك. النيّة الطيّبة تحتاج لمشاهدة، عندها تشتهي فتنوي. انو النية العالية يرزقك تعالى فعل الخيرات

28- ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: لا يستمعون إلى دلالتهم، يستشيرونهم في أمورهم، الكافر لا يدلُّك إلَّا دلالة نحس عليك. احذر أن تسمع كلامهم. ﴿مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: والمؤمن نصوح لا يغش، فلا تستسلم لكافر. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: فإنّه لم يكتسب من الله شيئاً، ولم يتخلّق بأخلاق الله، لو كان عنده شيء من الله ما سمع كلام الكافر، الكافر سائر بدلالة الشيطان. ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾: لتبعد شره عنك، معاهدة، تعاهدوهم كما فعل الرسول ﷺ، تتفق مع دولة لتحارب الثانية. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: يحذّركم الله عدله، الله تعالى عادل. ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: فالمؤمن لا يصاحب ولا يتزوج إلَّا من أهل طهارة وإيمان.

29- ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: الله تعالى معك بقلبك. ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾: بلسانك. ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾: كله معلوم عند الله. إن أخفيت أو أبديت يعلمه، كله بعلمه. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: بمقدار الاستحقاق يعطي، بحسب حالك يعطيك. نفسك بحسب درجتها يعطيها من كمال أو عكسه، فلا تتألم من أحد، بل من نفسك فقط. المؤمن كل يوم لا ينام حتى يحاسب نفسه فيشكر، أو يتوب إن كان له شذوذ.

30- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً﴾: كل شيء حاضر، ملكان يكتبان عليك، من خير وشر. فلا شفاعة هناك. ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوَءٍ﴾: أيضاً يكتب محضراً. ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾: لا تريد أن تراه. وأناس يعلّقون أوزار غيرهم بأعناقهم بما يطمعونهم به من شفاعة. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: الله تعالى عادل لا يضيّع مثقال ذرة. ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: من رأفته بك يحذرك. إذاً النار غداً خير دواء وخير علاج، رأفة الله تقتضي نصحك وإرشادك.

سورة آل عمران: [31-40]

31- ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾: حقّاً. ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾: بمثل سيري، نحن مأمورون أن نفعل كما عمل رسول الله ﷺ لكن نيتك تختلف عنه، فعليك ألَّا تؤذي، لا تضر، لا تسرق. ﷺ نيته عالية جداً فاقك بالنيّة، سر كما سار عليه ﷺ. ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾: يفتح عليك الخيرات فمن خير لخير. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: تحب الله، فيتجلّى على قلبك بإقبالك، فتطهر نفسك. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: شافٍ. ﴿رَّحِيمٌ﴾: رحيم مداوٍ للخلق، حتى يشفيهم يسوق لهم شدائد، وذلك كله من رحمته بهم.

32- حتى تحب الله وحتى تشفَ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ﴾: كيف طاعته: انظر في البداية، في النهاية، في الكون حتى تعقل وتؤمن حقّاً. ﴿وَالرَّسُولَ﴾: بما بيّنه لكم على لسان رسوله. وباتباع ما أرسله لك مع رسوله. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: لا يحب الكفر لعبَاده. السماع وحده لا يكفي. لا بدَّ من التفكير.

33- ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: هذه الأُسر اصطفاها على العالمين ليرشدوا الخلق إلى الله. لكن كيف هذا الاصطفاء؟ بيَّن تعالى.

34- ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾: كلهم أولاد آدم عليه السلام، كلهم في الأصل واحد، الجميع سواء، أتوا من ذرية بعضها من بعض، لكن ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: اصطفاهم بحسب حالهم، الخلق في الأصل كلهم واحد لكن الله سميع بكل مخلوق عليم بما في نفسه، ما أعطاهم جزافاً، اصطفاهم لطهارتهم وعالياً نيتهم، سمع كلامهم وعلم نيتهم العالية كلامهم عالي وحالهم عالي لذلك اصطفاهم، كلامك إن كان عالي ونيتك عالية أعطاك. فكل من تكلم بحق الأنبياء معناه ينفي كلمة أن الله سميع عليم، فكأن الله لا علم له بآدم حتى اصطفاه وهذا غير صحيح.

الله تعالى اصطفاهم لعلوّ نفوسهم وكمالهم، المرشد يجب أن يكون كاملاً. فالذي يتكلم بحق الأنبياء معناه أنه لا إيمان عنده، ولو حصل له إيمان بأن الله سميع عليم لما تكلَّم سوءاً بحق رسل الله. لأن الله سميع بكلِّ مخلوق، عليم بحاله، اصطفاهم لطهارتهم وعلوّ نيّتهم.

أمثلة: انظر ما قالت امرأة عمران:

35- ﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾: خالصاً، هي بهذه النيّة العالية نالت. ﴿**فَتَقَبَّلْ مِنِّي**﴾: يا رب، فالله حكيم عليم يعطي كلاً بحسب حاله. كانت غايتها أن يعلّم الناس ويرشدهم إلى الله. ﴿**إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾: سميع لقولي عليم بنيّتي. تسمع إن كان كلامي حقّاً، عليم بحالي وصدقي "هذا هو إيمانها، تخاطب حاضراً ناظراً، هكذا الإيمان وهكذا الدعاء". فالأعمال العالية تنشأ عن الكمال المشتق عن الإقبال على أثر الإيمان وهو الأساس، أنتم هكذا كونوا، اطلبوا بصدقٍ أعطيكم.

36- ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى**﴾: كم وكم تأتي الأمور للإنسان على عكس ما يريد، ظنّت أن دلالة الذكر وخيره أحسن من الأنثى، إذ أن الصبي يفعل الخيرات أكثر، مجاله أوسع. ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ**﴾: الذي يدل على الله. ﴿**كَالأُنثَى**﴾: لأن الذكر هو الذي يدلُّ على الله، المرأة لا تستطيع. ﴿**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ**﴾: أي يُرى بها الحق، كل من رآها من النساء، نظر إليها، رأى بها الحق. ﴿**وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾: بما أن طلبها عالٍ، والأنثى لا تستطيع، علمت أن الاستجابة ستكون على ذريتها، وسألت الله أن يبقي لها بذريتها.

37- ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ**﴾: بما أن نيتها عالية تقبَّل الله تعالى، فكل من كانت نيته عالية تقبّل الله منه. فكل مخلوق إن طلب صادقاً نال. ﴿**وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً**﴾: نشأة طيبة في كمال بكمال.

﴿**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾: إن صدقت جعلك بكفالة صادق. ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ**﴾: في حال الصلة مع الله ومحاربة الشيطان بمكان العبادة. ﴿**وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً**﴾: معرفة، علماً عالياً، كلاماً عالياً ومعرفة بالله. رزقاً من العلم والمعرفة. ﴿**قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾: بإقبالي عليه تعلّمت ﴿**وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾[8] هذا البيان من الله تعالى. هو لنا أيضاً، فإذا نحن طلبنا من الله أعطانا أيضاً. كل من حسنت نيّته وصدق بطلبه أعطاه. ﴿**إنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾: صدقت مع ربي فأعطاني. كل من صدق مع الله أعطاه، البشر كلهم عند الله واحد، كل من صدق نال. أخلص نيتك واطلب من الله تعالى يعطيكَ.

38- ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ**﴾: اشتهى الولد الصالح. وهذا تبيان أنّ المؤمن لا يحسد بل يطلب من الله ويسعى. ﴿**قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً**﴾: نيته طيبة. خاف سيدنا زكريا على إخوانه من بعده أن يضيعوا، فطلب ولداً صالحاً يكون من بعده مرشداً. ﴿**إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾: عليم بما في نفسي.

39- ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ**﴾: إلهام. ﴿**وَهُوَ قَائِمٌ**﴾: وهو قائم بمجلس الإرشاد يرشد الخلق. ﴿**يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ**﴾: بحال الصلة مع الله وحرب الشيطان. حيث يحارب الشيطان في جلسة كجلسة المرشد. ﴿**أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى**﴾: كل من نظر به، رافقه، حييَ قلبه. ﴿**مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾: عيسى عليه السلام. ﴿**وَسَيِّداً**﴾: في عصره. ﴿**وَحَصُوراً**﴾: دائم الإقبال على الله، حاصراً نفسه لله، حصوراً نفسه بالوجهة إلى الله، وجهته دوماً إلى الله. ﴿**وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾: لفضلنا لعطائنا.

---

[8] سورة البقرة – الآية:282.

40- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: لكنه يعرف عظمة الله وقدرته فأجابه الله على لسان الملك كذلك. ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾: مع هذا الحال الذي أنت فيه يأتيك من زوجك هذه وبحالتك، كل شيء على الله هين، فهو قدير على كل شيء،﴿اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: فهو تعالى سميع حكيم قادر، إن كنت طاهراً أعطاك تعالى ضمن الحكمة.

سورة آل عمران: [41-50]

41- ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً﴾: علامة. ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ﴾: يرتبط لسانك فلا تستطيع الكلام. حال الأنبياء العالي حبّاً وعرفاناً بالجميل لرب الإحسان جلّت عظمته. ﴿إِلاَّ رَمْزاً﴾: إلَّا بالإشارة. ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً﴾: حنانه، فضله وعطفه عليك كثيراً. ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾: طول الليل اذكر. من المساء حتى الصباح.

42- ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ﴾: بالوادي المقدّس طوى. اصطفيتك لأنك بالوادي المقدّس. كيف اصطفاها؟ اصطفاكِ في الأزل بصدقكِ. بالدنيا كيف اصطفاها؟ وكذلك بصدقها أقبلت على الله وطهرت نفسها بالدنيا. امرأة عمران بطلبها جاءتها مريم، ومريم جاءت بولد، حسب الطلب تنال. ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: بإقبالك. كذلك نفسُك لا تطهر إلَّا بالله. الرسول يدعوك بلسانه ويسير معك بنفسك إلى الله، والله يُطهّر نفسك. ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾: مرشدة لنساء العالمين، اصطفاك للإرشاد بعد أن أقبلت على الله وطهرت.

43- ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾: أديمي الوجهة إلى الله، توجهي دائماً إلى ربّك وكوني على صلة به، لا تنقطعي، لا تغمضي عينيك عنه. ﴿وَاسْجُدِي﴾: اطلبي منه وحده، وهو العاطي وحده. لا فاعل سواه. ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: مع الأنبياء، اربطي نفسك معهم. المرأة لا تكون إماماً. ارتبطي بزكريا فبإبنك. دليل على أن المرأة لا تكون إماماً بل تقتدي بغيرها. كذلك أنت أيها المؤمن افعل ذلك.

44- ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ﴾: أنت ما كنت يومها. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾: يقومون بقرعة لكفالة مريم، عندما اجتمع أقاربها يختصمون على كفالتها وقد طلب كل واحد منهم كفالتها، لكنه تعالى جعل القرعة تقع على سيدنا زكريا. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: على كفالتها.

45- ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾: كن فيكون. ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾: يمسح الكفر من الأرض. بعصره يمسح الكفر من الكون. ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: حتماً سيأتي ويمسح. ﴿وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا﴾: ستكون له الوجاهة غداً والشأن العالي. الوجاهة في الدنيا لم تحصل له فذلك دليل على أنه سيبعث ثانية. ﴿وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: إلى الله تعالى.

46- ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾: حيث يردُّ على الناس لمَّا يسألون أمَّه عند ولادته، فيكلمهم. وَكَهْلاً﴾: يكلمهم ويرشد الناس. لم يبلغ عند وفاة النوم في الغار مرحلة الكهولة، وذلك دليل ثان على أنه سيبعث. ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: لعطائنا.

47- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾: كن كان. حبلت وولدت في آن واحد.

48- ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾: ما كُتب في نفس المصطفى ﷺ كما بميثاق النبيّين، بإقباله على الله طبع الكمال بنفسه الشريفة، فإن أقبلت على الله تطهّرت نفسك من الدرن واكتسبت الكمال وطبع الحق

في قلبك، يصبح المرء كاملاً يعرف أهل الكمال. فالإنسان عليه أن يفكِّر ببدايته ونهايته، إذا فكَّر بهذا وعرف بدايته ونهايته، اشتبكت نفسه مع فكره. الملائكة تناديه انظر لمربيك، إن عرف المربي آمن بلا إلَه إلَّا الله، عندها يعلم أن الله سميع عليم يعطي كلاً ما يناسبه. ﴿**وَالْحِكْمَةَ**﴾**:** من الكتاب، لماذا خلق تعالى الكون، البحار، الإنسان، ما المراد من الخلق. ﴿**وَالتَّوْرَاةَ**﴾**:** الذي أنزل على موسى عليه السلام. ﴿**وَالإِنْجِيلَ**﴾**:** الإنجيل كله أحاديث عن التوراة، نفي الكذب الذي نسب للتوراة.

49- ﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ**﴾**:** عند ولادتي، سيقول لهم ذلك أيضاً. ﴿**مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾**:** للدلالة على رسالته. ﴿**وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ**﴾**:** وليس لهم عند الأطباء دواء. كان عصره عليه السلام عصر الطب فجاءهم بمعجزات عالية مع ذلك ما آمنوا به، لأنهم لم يتّبعوا الطريق الذي عليهم أن يسلكوه بدءاً من التربية بالبداية والنهاية فالآيات الكونية؛ ليتوصلوا لربهم ويقيموا صلات السمو والكمالات، بل اتفقوا على صلبه، فكل من لم يسلك طريق الإيمان نهايته التكذيب بالحق. ﴿**وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾**:** بلا إلَه إلَّا الله صدقتموني. كل من لم يسلك الإيمان نهايته التكذيب بالحق، فكل ما سبق بالآية كل ذلك سيفعله بإذن الله وقد فعله وما آمنوا حيث كانت الدنيا غالبة عليهم بل عارضوه حسداً وغيرة، لعدم وجود الإيمان في نفوسهم.

50- ﴿**وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ**﴾**:** بياني مطابق لما فيها وضمنها ومنها. لم يأت بجديد بل أوّل لهم التوراة التأويل الصحيح. ﴿**وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ**﴾**:** حرَّمتموه على أنفسكم بالباطل، كل ما حرَّمتموه كذباً لا أصل له، وكانوا قد حرموا على أنفسهم أشياء كثيرة. ﴿**وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾**:** الكيفية التي جئتُ بها إلى الدنيا كانت آية لي من الله، وذلك بولادتي لما جئت من دون أب، وتكلمت في المهد. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين. فهل ولادته من صنع السحرة وكلامه في المهد من صنع السحرة، متى تعلم السحر؟! ﴿**فَاتَّقُواْ اللَّهَ**﴾**:** كيف ﴿**وَأَطِيعُونِ**﴾**:** اسمعوا كلامي ودلالتي إن طبقتم واستدللتم، صارت لكم التقوى.

سورة آل عمران: [51-60]

51- ﴿**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**﴾**:** ادعوكم لعبادة الله لا لعبادتي، الساحر يدعو لعبادة نفسه ومعصية الله ولا سيما الفواحش. جئتم للدنيا لهذا، لتعبدوا الله وتسمعوا كلامه. ﴿**هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾**:** هذا طريق الحق الموصل للسعادة.

52- ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْـهُمُ الْكُفْرَ**﴾**:** سيدنا عيسى بعد أن جاءهم بما جاءهم به من معجزات وآيات، عارضوه ودعاهم الحسد والغيرة للكفر. هذا في كل عصر يقع، إذ لحقوا علماء عصرهم وتركوا رسول الله عليه السلام الذي جاءهم بالمعجزات. فلما شعر بكفرهم وما أضمروه له.

﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْـهُمُ الْكُفْرَ**﴾**:** نكروا هذه الدلالة، الكفر أنواع، منها إنكار الحضرة الإلَهية لكن الذين عناهم سيدنا عيسى عليه السلام هم الذين نسبوا إلى الله عدم العدالة، الجهل، ما آمنوا بأنه تعالى هو وحده المسيِّر. نكروا عظمة الله. لما شعر عليهم بكفرهم وما أضمروه له: ﴿**قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾**:** من ينصرني من يساعدني على دعوتي!؟ وهكذا فالدين لا يدخل إلى القلب بالسيف بل بالمنطق، ولكن بعد ذلك، يُجبر الكافر على سلوك طريق الحق بالإكراه، وهكذا فتح المسلمون العالم. الإسلام دين منطق وعقل، فإن لم يسمع الإنسان بالمنطق والبراهين عندها تجرّد السيف في وجهه، أولاً: تبيّن له بالمنطق فإن أبى تحاربه وتأسره، فتعامل هذا الأسير بالإحسان، وتضع عليه اسم الرقيق، هذا إن فكَّر هُديَ.

فالإنسان له عقل وفكر.

الحيوان له عقل وإلهام.

أما المؤمن فله عقل وفكر وإلهام.

الفرق بين الإنسان والحيوان بالفكر، الإنسان يفكِّر، أما الكافر فلا يفكِّر. **﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾:** الذين حاوروه، تفاهموا معه، وعوا كلامه طبَّقوه. كانوا يسألون عيسى عليه السلام عن الله ليتفقهوا في دينهم. كانوا يتناقشون مع عيسى عليه السلام وذلك مثل المؤمن الصادق. **﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾:** كيف صاروا أنصار الله: **﴿آَمَنَّا بِاللَّهِ﴾:** وهنا اهتدوا إلى الله، لأنهم آمنوا بالله لما آمنوا بالله نصروا الحق فصارت لهم ثقة بالله فاستسلموا لله. إذا اهتديت سرت مع الحق ونصرته، عندها تستسلم لله بحبك له. **﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾:** مستسلمون إلى الله. هنالك إسلام بعد الإيمان، به يعرف أن كل شيء من الله محض خير، وأن الحمد لله على كل حال، فيعرف أن الخطأ من الإنسان ذاته، مما كسبت يمينه، شر من الله لا يكون أبداً. فعلى الإنسان أن يسعى أولاً للتوصل للإيمان بلا إلَه إلَّا الله وأن يعقل ذلك، عندها لا تغلبه نفسه على أمره. يظل محفوظاً من المعاصي ولا يرمي نفسه بالسوء.

53- **﴿رَبَّنَا آَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾:** بالتوراة، وعلى عيسى عليه السلام. **﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾:** سيدنا عيسى. **﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾:** مرشدين للخلق، الذين يدلُّون النَّاس على الله وهذا أعظم مقام. خلقنا لفعل المعروف والإحسان، اكتبنا مع أهل السعادة الذين يدلُّون الناس على الحق. لقد جاء الإنسان للدنيا لفعل المعروف، حاول أن تتداوى نفسياً حتى تصحّ وتصبح طبيباً فتداوي غيرك وتنقذه من الهلاك، وهذه وظيفة الإنسان.

54- **﴿وَمَكَرُواْ﴾:** ما أعجبهم قوله لأن الإيمان يمنعهم عن الآثام والشهوات، دبّروا تدبيراً لقتل عيسى عليه السلام كانوا /12/ آمن/11/، واحد منهم خائن، اليهود دخلوا الغار مع الخائن فألقى الله الشبه على الخائن وصلب. **﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾:** دبّر الله لهم لتخليصه. **﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾:** تدبير الله خير لجميع الخلق، يؤدي الخير للذين يمكرون، كان تعالى قادراً على هلاكهم ساعتها، لكن جعل لهم علاجات أخرى.

55- **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾:** عند الموت ملك الموت يتوفى الروح التي وضعها لما كان الإنسان في بطن أمه وهذه وفاة الموت لا وفاة النوم. **{قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ}**[9]: لكن الله تعالى عندما يتوفى الإنسان معناه آخذه

بكليته، لأنك كلك ملك لله، نفساً وروحاً وجسداً فوفاة سيدنا عيسى عليه السلام هي وفاة النوم. **﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾:** الآن آخذك. لما سمع عليه السلام ذلك تأثر بنفسه لأن الإنسان جاء للعمل العالي وهو عليه السلام لم يكن قد عمل شيئاً يذكر ويتناسب ومقامه العالي حيث دعاهم ولم يؤمنوا فطمأنه تعالى بقوله: **﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾:** فيما بعد بعملك الذي ستعمله، فالعبادات وسائل ليتمكن المؤمن بها أن يعمل الصالحات لذا تألم عليه السلام فطمأنه تعالى بأنه سيأتي يوم يكون له فيه أعمال إذ الرفعة بالعمل قال تعالى: **{وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}**[10].

---

[9] سورة السجدة – الآية:11.

[10] سورة فاطر – الآية:10.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يوم عودته لن يوجد كفر، سيأتي يوم لا يبقى في زمنك كافر، ستمسح الكفر من الأرض. ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾: يومها. ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ستحصل قبل مجيئه حرب مطهِّرة، ثم يظهر فيجمع المؤمنين، ومن بعده سعَادة وسلام. دولة الكفر تزول إلى يوم القيامة. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: حتى الساعة، لا يبقى كفر أبداً. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: بعدها. ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: كل إنسان وحقه. ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: كل إنسان سيعطيه حقه بالتمام.

56- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: نكروا لا إلّه إلَّا الله وظلّوا على كفرهم إلى يوم السَاعة المعلومة. ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا﴾: سيحل بهم الهلاك ساعتئذ ستطهر الأرض منهم إن لم يرجعوا، لعلهم يعودوا للحق وإن ما رجعوا. ﴿وَالآخِرَةِ﴾: معذّبهم أيضاً. ﴿وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾: يومها، ويوم القيامة. لا بدَّ لهم من المداواة.

57- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾: الآن. ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: عطاء إثر عطاء. واحدة بعد واحدة. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: لأنفسهم. نفسك أمانة بين يديك جعلها تعالى عندك لتهذِّبها لتسمو بها. إن كنت مؤمناً لا تؤذي نملة، المؤمن يقاصص.

58- ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ﴾: الدالة على لا إلّه إلَّا الله. ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾: لكلِّ حادث حديث، فكل آية وبمناسبتها وأسبابها، كل واحدة بمحلها، فكِّر واستدل.

59- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾: تقولون عيسى بدون أب، آدم لا أم ولا أب. ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾: هذه النطفة من الطعام والشراب، والسيدة مريم كذلك أكلت فتكونت النطفة. ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: كما خلق آدم من تراب بلا أب كن فكان كذلك عيسى عليه السلام.

60- ﴿الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ﴾: الحق لا يُفهم إلَّا عن المربي. إذا الإنسان ما فكَّر بالتربية وآمن بلا إلّه إلَّا الله فلا جدوى له، مهما كلَّمته لا يفقه على بصره غشاوة. إن ما فكَّرت بالمربي وآمنت بلا إلّه إلَّا الله، لا طريق لك سواه. التربية: الإيمان بها سهل، من يطعمك؟ عمّق بها، هل من أحد غير الله، يد الله وحده هي التي تسيِّر هذا الكون. وهكذا فالإنسان الذي لا يفكِّر ببدايته ويعرف لا إلّه إلَّا الله، ينكر عيسى عليه السلام فينسب لأمه السوء، وآخر يقول ابن الله. الطرفان على ضلال، فمن لا يفكِّر بالتربية لا يفقه شيئاً من الحق. ﴿فَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: لا يغيب عنك ذلك، أنت تعرف ذلك، عيسى عليه السلام جاءهم بمعجزات فما ساروا بالحق، حيث أنهم لم يفكِّروا، إن لم يستقيموا فيسيروا بالحق فلن يهتدوا.

سورة آل عمران: [61-70]

61- ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾: بعيسى عليه السلام. النصارى قالوا لك عيسى إلّه، واليهود نسبوا لأمه الفاحشة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: إذا الإنسان ما سار بطريق التربية وعرف المربي، إن ما نظر ببدايته ونهايته لا يدرك الحق، ومهما بينت لهم إن لم يسيروا بطريق الحق لا يهتدون. ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: إلى الله، نطلب بصدق أن يرينا الحق. مَن إقباله على الله أحسن فهو الأفضل، كل واحد منا "ليغمض عينه" ويلتجئ إلى الله إن وجد أن سيره مع أهل الحق مبني على صدق أم على كذب. إن كان صادقاً لا بد أن يفتح الله عليه، إذا نفسك أقبلت واستسلمت فأنت صادق، وما سوى ذلك فأنت كاذب. الطريق: تُب، عاهد على الاستقامة تقبل وبعدم الإيمان تفعل السوء، لا تصلي، لا ينطبع في نفسك شيء من الكمال. ﴿فَنَجْعَلْ

لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾: لن تتمكن النفس الخجولة من الإقبال على الله، لما عملت من أعمال خبيثة. أمَّا هم فما أرادوا ذلك. فإن صدقت فلا بد أن يعطيك مرادك.

62- ﴿**إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾:** هذا هو الطريق. ﴿**وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ﴾:** وحده. ﴿**لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:** يعطي كلاً العلاج المناسب، كل واحد يعطيه حقه بحسب ما يناسبه، بحسب حالك يسلِّط عليك لكي ترجع إلى الحق.

63- ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْاْ﴾:** أعرضوا بعد هذا البيان. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾:** نفوسهم فاسدة. عليم بكل واحد يعطيه حقّه.

64- ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾:** كلنا مقرين بها لا نتقيد إلَّا بها وهي كلمة لا إلَه إلا الله. ﴿**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾:** كل قول مخالف لكلام الله فهو رد، وهذا في كل عصر يجب تطبيقه وهذا ما أمر الله به رسوله ﷺ. ﴿**وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾:** لا أحد أيّاً كان، لا نسير إلَّا بدلالة الله غير كلام الله لا نطبق، أحاديث رسول الله ﷺ كلها من القرآن. ﴿**وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾:** الله تعالى يربيك بالطعام والشراب والدلالة العالية. هو المربي لأنفسنا وعلى دلالته نسير. ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾:** طائعون مستسلمون إليه. فأحاديث رسول الله ﷺ مفصّلة لا متمّمة. وكل رسول وكل مرشد صادق لا يأتي إلَّا بدلالة عن الله.

65- ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾:** لعلهم يفكِّرون فيرون خطأهم. ﴿**وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾:** في عهد سيدنا إبراهيم ما كانت لا توراة ولا إنجيل. واليهود والنصارى يقول كل منهم كان إبراهيم يهودياً، والآخرون يقولون نصرانياً، أين تفكيرهم؟! كذلك أنت إن لم تفكِّر تضيع، وهكذا قال عامّة الناس من اليهود: إبراهيم يهودي، والعامّة من النصارى قالوا نصراني. فقرّعهم الله تعالى بقوله: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:** بزمنه لم يكن موجوداً لا يهود ولا نصارى.

66- ﴿**هَا أَنتُمْ﴾:** أيها اليهود. ﴿**هَؤُلاء﴾:** ويا أيها النصارى. ﴿**حَاجَجْتُمْ﴾:** مدعين أن لكم به علم. ﴿**فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾:** في الذي لا علم لكم صحيح به وهو عيسى عليه السلام. ﴿**فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾:** فَلِمَ تحاجون في إبراهيم، ولا علم لكم به أبداً. تقولون عنه يهودي أو نصراني.

﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:** الله تعالى يبيّن لك طريق السعادة والجنة. فالله أعطاكم أهلية كاملة، فإذا سمعتم كلمة أو قولاً فناقشوه أين هو من كلام الله، هل هو حق ومنطقي.

67- ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً﴾:** مثلكم، تقولون قولاً نحن يهود، نحن نصارى. ﴿**وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً﴾:** يحنّ إلى الله، فكَّر بالتربية فرأى ربَّه كريماً رحيماً ودوداً، وصارت نفسه تحنُّ وتميلُ إلى الله. ﴿**مُّسْلِماً﴾:** مستسلماً إلى الله. ﴿**حَنِيفاً﴾:** مائلاً بالمحبة إليه. ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:** ما كان يسمع مع دلالة الله دلالة أحد، فلا يسمع كلام غير كلام الله، الله تعالى وحده الفاعل، كل إنسان يعطيه حقه، المسألة بالعمل لا بالدعاء، عليك أن تفكِّر حتى تعرف ربك وتستسلم إليه.

68- ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾:** الأنبياء بعده، أنتم ما شأنكم معه ما دمتم على شرك! فمن سار على كلام الله فقط هذا أولى الناس به لا أنتم. فالذين صار لهم ميل إلى الله وفعلوا كما فعل، هؤلاء أهل إبراهيم وأولى النَاس به، كذلك الآن أولى الناس برسول الله ﷺ هم الذين يتبعونه. ﴿**وَهَـذَا النَّبِيُّ﴾:** مثله أيضاً حنيفاً مسلماً. كذلك سار على ما سار عليه إبراهيم، لا أنتم. ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾:** مع رسول الله ﷺ أيضاً حنفاء مسلمين أيضاً مثله. ﴿**وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾:** هو مسيِّرهم. المؤمن الله يولِّيه الحق وينصره.

69- ﴿وَدَّتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: من اليهود. ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾: عن الحق، يعملون تدبيراً لردّكم عن الحق. الصحيح إذا الإنسان اهتدى وعرف الحق لا يستطيع أحد أن يضله. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ظانين الأمور "خلط" كل إناء بما فيه ينضح. يحسبون أن المؤمن ممكن تحويله، ما عرفوا أن المؤمن لا يزحزحه أحد. الحقيقة أن الفاعل هو الله. لا أحدَ يستطيع أن يضل أحداً.

70- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: في الكون الشمس، القمر، الكواكب، الليل، النهار. ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: ترون هذا الكون كله، من المسيِّر لهذه الكرة في الفضاء، من يديرها؟ من يأتي بالليل والنهار، من ينبت النبات؟ مشاهدين الحق وتكفرون، تشهدون للناس الحق بوعظكم إيّاهم، فأنتم مشاهدون الحق بأعينكم، فكيف تكفرون؟!

سورة آل عمران: [71-80]

71- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أن ذلك حق، وأن كتبكم قد نطقت مبيِّنة شأن رسول الله ﷺ. صار لكم عرف برسالته بما لديكم من التوراة. لِمَ تعملون هذا العمل للدنيا، الدنيا زائلة مهما امتدت.

72- ﴿وَقَالَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: فئة من علماء بني إسرائيل. ﴿آمِنُواْ بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ﴾: بأول النهار تظاهروا بالإيمان. يبغون خداع من آمن حتى إذا ما دخلوا في الإسلام حيلة وارتدّوا، جرّوا معهم فريقاً من المسلمين، ﴿وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ﴾: وبآخر النهار ارجعوا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل المؤمنين معه يرجعون، لتكون تلك وسيلة لعل المؤمنين يتراجعون. ظنوا الدين أموراً شكلية، وأنه غير مبنيٍّ على حقائق، فدبَّروا هذه المؤامرة.

73- ﴿وَلَا تُؤْمِنُواْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: هذا السر لا تذيعوه لأحد إلَّا لجماعتكم، هذه المؤامرة لا تعلموا بها أحداً إلَّا من دينكم، هذه المؤامرة اجعلوها سرّاً بينكم. لا تخرجوا السرّ بل أبقوه بينكم. ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾: إذا إنسان عرف الله فمن يستطيع أن يردّه؟ المؤمن لا يستطيع أحد أن يردَّه. المؤمن إذا كل العالم ارتد فهو لا يرتد. ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾: إذ حسدتم رسول الله ﷺ أن صار رسولاً. لهذا السبب فعلتم ذلك! لا تريدون أحداً أن يؤتى الرسالات التي أنزلت على رسلكم فيكون من أهل الإرشاد. تعملون هذا خوفاً أن يكون أحد مثلكم؟

الكافر يريد الناس كلهم كفاراً مثله. وهؤلاء ظنّوا إن كان الكل كافراً فلن يؤاخذوا يوم الحساب.

﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: لا تريدون أن يسير أحد على الحق حتى يكون الجميع مثلكم على ضلال وفساد، فلا تكون لهم حجة عليكم غداً عند الله. أي تخافون أن يقال غداً أنهم كانوا على الحق وأنتم ظللتم فاسدين فيحاجوكم. اسعوا بأن يكونوا كلهم مثلكم، فلا تكون لهم حجّة عليكم. ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: كل طالب بصدق يؤتيه تعالى فضله، لِمَ هذا الحسد؟ اطلب أنت الحق. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾: للكل. اصدق مع الله يعطيك.

74- ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾: كل طالب، كل من شاء من الناس أن يختصه الله تعالى برحمته اختصّه. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: اطلب يختصك.

75- ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: من المؤمنين زمن موسى عليه السلام، قديماً كانوا أهل صدق وإيمان. ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾: كان منهم الصادق المؤمن، ما كانوا كلهم أهل فساد، هذه صفة المؤمن. ﴿وَمِنْهُم﴾: من بني إسرائيل في عهد الرسول. والآن. ﴿مَّنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً﴾: لعدم إيمانهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾: هذا زعمهم، قالوا مهما فعلنا مع العرب ما علينا بأس. "الأميين": الذين أمُّوا لمحمد ﷺ. كذلك الآن أناس كثيرون منّا يفعلون ذلك عدواناً. أحلّوا فيهم ما يشاؤون، فلهم الحق بمن لا يتبع ملّتهم، هذا زعمهم. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: ما جاء هذا بالتوراة. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: كذبهم بهذا القول.

76- ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾: من سار ضمن أمر الله، كل الناس عاهدوا الله على السير بالنور، بالضياء، بالتقوى، وإن يعملوا صالحاً ويسيروا ضمن أمر الله. ﴿وَاتَّقَى﴾: بعدها. فصار ينستر بالله عن الوقوع بالمعاصي، وأقبل مع رسول الله ﷺ على الله، فصار يشاهد بنور الله. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: هذا الذي عمله خير لكلِّ الخلق، هذا الذي يحبه الله. هذا هو طريق الحق. الأسماء لا قيمة لها، هل وفَّيْتَ بعهد الله. هل وصلت للتقوى؟! أنت على خير. ما سوى ذلك مهما ادَّعيت فلا قيمة له.

77- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: العهد الذي قطعوه في الأزل، عاهد الله على الإيمان والسير ضمن أمر الله. ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾: الأعمال التي تعود عليهم بالخير العميم، لو أخلصوا النية لله لكانت خيرات لهم، لكن فعل الخيرات وما يعود عليهم من الخير منه باعوه بالدنيا. ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾: من الدنيا، لا آمن ولا فعل الخيرات. ﴿أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾: أي ليس يخلق له في الآخرة شيء من الخير. ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: حيث العتاب يومها لا فائدة منه، لم يعد لهم خواص. ﴿وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ليس لهم وجه أبيض. ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾: لن تحصل بذلك لهم الطهارة، لأن الطهارة بالدخول على الله، فلا يطهر يوم القيامة، فإن لم يطهر الإنسان في دنياه بالتوبة والإقبال، فلن يستطيع غداً أن يدخل بعمله الرديء بنجاسته على الله، فيوم القيامة لا يطهر. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: غداً، بسبب ما فيهم.

78- ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً﴾: من اليهود والنصارى وبكل عصر هذا واقع. ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾: يؤوّلون المعنى خلاف كتاب الله. ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: يتصنَّع بالكلام ليبيِّن أنه كلام الله. والحقيقة أنه ما هو كلام الله.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: كذبهم، وأنه لا أصل له حتى يسير النَاس كلهم على الضلال.

79- ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: لا يقول للناس اسمعوا كلامي، ولا يقول للناس شيئاً عن غير الله. وهذا ينفي الأحاديث المخالفة للقرآن، بل يقول: ﴿وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ﴾: اسمعوا كلام المربي، اسمعوا كلامي عن كتاب الله، سيروا بدلالة الله. ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾: أيها اليهود في الماضي، كنتم تقولون للناس أطيعوا الله، لا تسيروا إلَّا بدلالة الله. ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: ذلك، أنتم يا زعماء اليهود.

80- ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ﴾: أن تقول أتاني إلهام. أتقول إلهام؟ ما في إلهام.. كله ضمن كتاب الله، إن وافق فهو حق، حتى كلام الرسول ارجع فيه لكتاب الله، فهو من عند الله إن طابق، وإن خالف فما قاله أبداً ﷺ وهو كذب عليه، كلام رسول الله ﷺ تفصيل لكلام الله[11].

---

[11] راجع مقدمة كتاب (حياة محمد) عليه الصلاة والسلام للكاتب محمد حسين هيكل تجد موافقته وغيره من السادة العلماء على الرجوع لكتاب الله بصحة الأحاديث لا سواه.

﴿**وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً**﴾: لا يقول لكم اتبعوا كلاماً من عند الملائكة والنَّبيّين. بل خذوا عن الله. الرسول مُحاط وليس محيطاً، وكذلك النبي والمَلك. المحيط والعليم بكلِّ شيءٍ هو الله تعالى. فالإنسان مهما علا قد يخطئ لكن الله تعالى أبداً لا يخطئ. ﴿**أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ**﴾: مستسلمون لله. "الحديث المطابق فقط لكلام الله صحيح".

سورة آل عمران: [81-90]

81- ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ**﴾: أخذ عليهم العهد. ﴿**لَمَا آتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ**﴾: بناء على ما آتيتكم من كتاب وحكمة. ﴿**ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ**﴾: من الحق بعد سيدنا موسى عليه السلام. أُمر كل نبي أنه إن جاءه كلام مطابق لكلام الله يجب عليه أن يتبعه. فعند مجيء سيدنا عيسى عليه السلام يجب على الجميع إتّباعه. ﴿**لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ**﴾: المؤمن يؤيد الحق. يجب اتباع الرسول المصدّق لما جاء به الرسول السابق. ﴿**قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ**﴾: ذلك. ﴿**وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي**﴾: عهدي.

﴿**قَالُواْ أَقْرَرْنَا**﴾: العهد على الأنبياء، إن جاء رسول كلامه مطابق لما معكم هل تقرُّون له قالوا نعم. ﴿**قَالَ فَاشْهَدُواْ**﴾: ذلك لقومكم وللخلق. ﴿**وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾: لكلِّ رسول بعث كتاباً يؤيده.

82- ﴿**فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾: الخارجون عن الحق. بعد هذا البيان الذي لا يقبل بالحق هذا هو الفَاسق، دليل أن سيره منحط.

83- ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ**﴾: كله إنسانية ومودة، ويريدون قوانين وأنظمة غير التي رتَّبها الله تعالى. ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ**﴾: من علت مرتبته طوعاً. ﴿**وَالأَرْضِ**﴾: من انحطت مرتبته من كل الخلق كرهاً. ﴿**طَوْعاً وَكَرْهاً**﴾: لو سألنا أيّاً من البشر عن الزنا والميسر.. لأجابوا إنه شر، فشريعة الله هي الدين الحق، كل أوامر الله ضمن المنطق ويقبل بها كل إنسان مهما كان، إذا بيَّنت له الحق يقرُّ بهِ، هل يستطيع أحد أن ينكر الكمال، السرقة، هل يقول أحد لا مانع منها؟! ﴿**وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾: بأمورهم كلها. لكن يسيِّر كل امرئ بحسب حاله، وبحسب صدقه.

84- ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾: كلنا. إذا الإنسان ما آمن بلا إلّه إلَّا الله، كل ما يسمعه هواء، إذن الإيمان قبل كل شيء أساس. الذي لا يؤمن لا يسير بأوامر الله. ولا يفهم شيئاً منها. ﴿**وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا**﴾: من القرآن، عندها تعرف كتاب الله. ﴿**وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ**﴾: الرسل كلهم عن الله أخذوا. ﴿**وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ**﴾: كلهم كلامهم واحد. ﴿**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾: مستسلمون إلى الله. آمنا بلا إلّه إلَّا الله واستسلمنا إليه. كلهم دعوا إلى لا إلّه إلَّا الله. فطريقهم كله واحد، كله كلام الله لا كلام سواه، بيانهم كلهم عن الله.

85- ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً**﴾: إن لم تؤمن بلا إلّه إلَّا الله وتؤمن برب العالمين فلن تستسلم لله، والخيرة فيما اختاره الله، والواقع هو الخير. ﴿**فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾: فغير الاستسلام إلى الله وأن تدين لغير كلام الله، لا يقبل منك، مهما ظننت أن ذلك القانون غير الإلّهي عالٍ، لا يقبل منك السير عليه، مهما كان عالياً لا بد أن يكون فيه نقص. فلا دين غير الإسلام، الاستسلام للّه. ﴿**وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: خلقك لسعادة أبدية، فإن سمعت كلاماً غير كلام الله خسرت هذا الشيء. يجب أن ترى أن الفعال هو الله الكل بيده، يدك لا تتحرك إلَّا بالله، عينك، أنت تختار وهو المسيِّر، هو الرزاق هو الفعّال. هذه الآية وقعت على طائفة اليهود الكفرة بزمن سيدنا عيسى عليه السلام، ثم وقعت على اليهود الذين ازدادوا كفراً بعهد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

86- ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً**﴾: وهم اليهود. ﴿**كَفَرُواْ**﴾: قبل محمد ﷺ بعيسى عليه السلام. ﴿**بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**﴾: بموسى عليه السلام. ﴿**وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ**﴾: محمداً ﷺ. ﴿**حَقٌّ وَجَاءَهُمُ**﴾: عن لسانه. ﴿**الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: يفكِّر بجمع المال، كيف يفكِّر بالتربية، ظالم لنفسه فكيف يفكِّر بالله؟!

كفر اليهود مرتين، كفروا بسيدنا عيسى ثم ازدادوا كفراً بسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، فانطبقت عليهم الآية بكلْتيهما.

﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ**﴾: وقبل محمد ﷺ بعيسى عليه السلام. ﴿**بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**﴾: لموسى عليه السلام، الحسد حملهم على ذلك. ﴿**وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ**﴾: عيسى عليه السلام. ﴿**حَقٌّ**﴾: بمعجزاته، وأنت لم تأت بمعجزات غير القرآن. ﴿**وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾: المعجزات، أحيا الميت، شفى الأبكم والأبرص والأكمه... ﴿**وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: الإنسان لا يُقبل على الله ما لم يكن عمله عالياً، فمن اللازم أن تكون نفسك واثقة أن عملها عالٍ عند الله، وأن يكون صومك وزكاتك خالصة لله، عندها يريك الحق. فالله معك لكن يجب أن تكون أنت معه تعالى فتقبل عليه، إذن فمن اللازم أن يكون عملك عالياً. الهدى: أن يريك الله طريق الحق، فترى الخير من الشر. إن ما آمنت بلا إلٓه إلَّا الله لا تستقيم، تظلم نفسك، تفعل السوء. إذا آمنت تستقيم، تدخل حصناً حصيناً.

87- ﴿**أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾: غداً. كل الخلق يتباعدون عنهم، السبب نتن رائحتهم، تجعل أهل النار يفرون منه، يكرهونه، كذلك الملائكة، وبالعكس أهل الجنة كلٌّ روائحهم طيِّبة فيجتمعون، أهل النار أفراد متباعدون. أهل الجنة على سرر متقابلين.

88- ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾: في النار من ألمهم. ﴿**لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ**﴾: كل لحظة يزيد عن سابقتها لئلا يعتاد. إذا خفف يشعر بألمه النفسي الذي لا يطاق. ﴿**وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ**﴾: حيث لا جدوى.

89- ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾: هذه رحمة الله تعالى وحنانه أن فتح الباب للكافر ليرجع. فتلاف أمرك قبل الفوات. ﴿**وَأَصْلَحُواْ**﴾: سيرتهم، عملٌ طيب وإحسان. بعد توبته عمل عملاً عالياً. الحسنات يذهبن السيئات. ﴿**فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾: شافٍ ضمن الرحمة عندها يشفيه تعالى، "يتوب ثم يعمل عملاً عالياً يقبل به على الله فيشفى".

90- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: بعيسى عليه السلام. ﴿**بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**﴾: بموسى عليه السلام. ﴿**ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً**﴾: بمحمد ﷺ. بكفرانهم رسالة محمد ﷺ ﴿**لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**﴾: لا بد من الرجوع للإيمان بمحمد ﷺ، آمنْ وسرْ ضمن ما أمرك به رسول الله ﷺ من القرآن. ﴿**وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ**﴾: مهما تاب إن ما آمن بمحمد ﷺ ورجع إليه لا يقبل منه.

سورة آل عمران: [91-100]

91- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ**﴾: غداً.

92- ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ**﴾: العطاء من الله، الخير، لا تنال خيرك، لا تحصل عليه

﴿**حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾: تنفق من جاهك، علمك، مالك.. إن ما أنفقت منه لا يحصل لك ثقة فلا تقبل، إن أنفقت صار لك ثقة، أقبلت. العبد يبدأ بالفعل والله يعطيه. فلن تنال البر حتى تعرض عن شهواتك: من نساء أو مال أو جاه وكل شيء لك ميل فيه، إن أنفقت منه فذلك له أثر كبير في نفسك،

إذ يولّد ثقة بالنفس تجاه ربها فتقبل عليه، يجب أن تنفق شيئاً غالياً، فالله تعالى لا يضيّع شيء، ما تحبونه لأنفسكم حبُّوه لغيركم، كما تدين تدان.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: إن ما صار لك إيمان بأن الله عليم بك لا تنفق، إن ما أنفقت لا تنال الخير من الله تعالى.

فهؤلاء بنو إسرائيل كانوا يحلّلون ويحرّمون حسب أهوائهم، الله سبحانه وتعالى خاطبهم خاصة والناس عامة كي ينفقوا ويبتعدوا عن الربا: **﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾:** أيضاً لقد حسدوا رسول الله ﷺ إذ جاءهم من العرب، فبين لهم تعالى إن لم يضحّوا بجاههم لا ينالون الخير، كذلك فكل إنسان ما لم يبذل الغالي ويضحي بالشيء الثمين من مال أو جاه أو علم فلن تثق نفسه بإحسانها ولا تقبل.

إذن: بالإنفاق والعمل العالي تتولد الثقة وتقبل النفس على الله وتنال الكمال. **﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾:** اسعَ لتكن لك ثقة أن الله عليم بذلك.

93- **﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِـلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾:** لا كما قالوا كذباً على التوراة. **﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾:** يعقوب عليه السلام لمرض كان يشكوه، ولعل الشحم أو غيره كان مضراً له فامتنع عنه، فجاءوا هم فحرَّموه. وقد كان اليهود يحلّلون ويحرّمون على أنفسهم ما لم ينزّل به الله. **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾:** لكن التوراة ما حرَّمت ذلك، إن هذا التحريم ليس في كتاب الله، فكيف تحرِّمونه أنتم. **﴿قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾:** فعلى الإنسان أن يرجع إلى الأصل إلى كلام التوراة، إلى كلام الله وفي كل قول لا يُقبل إلَّا ما ورد في كتاب الله. **﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:** كما يقولون الآن الوجه ليس بعورة، هل على هذا القول آية؟! يجب على المؤمن أن يقرأ الكتاب، لا أن يستمع إلى أقوال الناس.

94- **﴿فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾:** من بعد ما بيّناه. **﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:** لأنفسهم. هذا ما آمن أن الله عليم، ما آمن بلا إلّه إلّا الله.

95- **﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾:** "ربْطها بآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون": إن ما أنفقت من شيء له قيمة عندك وتحبه وأنفقت منه لا تحصل لك ثقة. إعراضك عما تحب مما هو محبب إليك، بقدر ما له قيمة عندك يحصل لك الإقبال على الله. وقد حبَّب الله لك الدنيا وزيَّنها ليحصل لك بالإعراض عنها إقبال وثقة، فالدنيا فيها خير عظيم وشقاء عظيم. إن استعملها في وجهها نَال الخير العظيم. وبالعكس حتى تستطيع أن تزهد بالدنيا وتلقي بها: **﴿فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾:** كان يحنُّ إلى ذكر الله مُحبّاً له، سيروا بما سار عليه بالميل إلى الله والحنين إلى ذكر الله. حتى الإنسان يعرف الحلال من الحرام يجب أن يسير كما سار إبراهيم، يجب أن يكون له حب بالله تعالى.

فالسبب بذكر سيرة إبراهيم عليه السلام أنه كان بين قوم كلهم جهّال يعبدون الأصنام، لكنه "شغّل تفكيره"، فكّر. قال هذا الكون له مربي.

فالشجرة تحتاج لهواء، لمطر، فمن خلقَ الهواء؟ المطر؟ إذن لا بدّ من مربٍّ يمدُّ كلاًّ بما يحتاج. رأى كوكباً... القمر... الشمس... ثم اهتدى فقال **{وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً}**[12].

لمّا فكّر بالتربية واهتدى إلى الله صار له حب وميل إلى الله رأى فضله، حنانه، إحسانه.

---

[12] سورة الأنعام – الآية:79.

سر بهذا لتحصل لك رؤية فضل الله وإحسانه لتحب الله وعندها تنفق مما تحب.

التربية توصل للمَلِك فالإلّه. فإن آمنت بلا إلّه إلا الله استقمت، فتولدت بنفسك ثقة تقبل بها وتجعلك تشتقُّ طهارة وكمالاً من الله، تجعلك تحب رسول الله ﷺ سيد أهل الكمال فتعشقه وتقبل معه على الله فترى كمال الله، حنانه، رحمته. إن سمعت بذكره تعالى حننت وصرت حنيفاً، عندها تعرف طريق السعادة. ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين. فكّر بالمربي. ما سار بدلالة غير دلالة الله، ما أطاع غير الله فما كان يطبق إلا دلالته تعالى وأقبل على الله من هذا البيت.

96- ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ**﴾: ليقبلوا على الله منه. ﴿**لَلَّذِي بِبَكَّةَ**﴾: مكة، ببكة: تبك منها الخيرات. فما هو قانون الإقبال على الله؟

جعل الله تعالى لك قانوناً تفكر بالمربي، بلا إلّه إلا الله فيحصل لك ميل حنان وإيمان وذوق لكن الله تعالى جعل لك أيضاً القانون الذي تشاهد به الخير خيراً فلا تقع بعدها في أثم هذا القانون الاتجاه من البيت. إذن: لا بدّ من الدخول على الله من هذا البيت الذي يجمع النفس. هذا هو القانون للدخول على الله. ﴿**مُبَارَكاً**﴾: كثير الخيرات المتزايدة المتتالية، ترى فيه الخير من الشر فيَعود عليك بالخيرات.

﴿**وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾: تهتدي منه إلى الله، كل من دخل منه اهتدى، إذا آمن بالمربي اهتدى ودخل منه برفقة رسول الله ﷺ على الله.

97- ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ**﴾: دالة على حنان الله عطفه، رحمته. إن دخلت من البيت رأيت هذه الأسماء الإلّهية ورأيت خيرك من شرّك نلت التقوى، إذ صار لك شهود بأسماء الله الرحيم، العادل، الفعَّال... عندها تذهب لعرفات فتحصل لك المعرفة لكن الطريق أن تقوم بما قام به إبراهيم عليه السلام حيث شهود هذه الآيات في مقام إبراهيم. ﴿**مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ**﴾: سر كما سار كيف آمن آمن مثله. إن سلك الطريق الذي سار فيه إبراهيم عليه السلام فكّر بالمربي حتى عرف لا إلّه إلا الله ﴿**وَمَنْ دَخَلَهُ**﴾: دخل بصحبة رسول الله ﷺ على الله، يعرفها من دخله وأبصر بنورالله. ﴿**كَانَ آمِناً**﴾: حيث يرى الخير من الشر فلا يقع في أثم ولا يصيبه مكروه (ولا يمكن لشيطان أن يتلاعب به، وبالآخرة لن يحزن على الدنيا، إذ يرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر} {**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}[13] ﴿**وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ**﴾: كل الناس ﴿**حِجُّ الْبَيْتِ**﴾: طلب منكم أن تدخل نفوسكم هذا البيت، وتحصل لكم الحجّة على أنفسكم وعلى الشيطان من هذا البيت. ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾: هم الأغنياء، (أما الذين آمنوا فلا تنكر نفوسهم بعد). المستطيع عليه أن يذهب حتى تحصل له التقوى بهذه المناسك المختلفة، والفقير فإنه بهذه الشدة التي هو فيها وبالنيّة الصادقة يحصل له الحج. الغني يذهب، لكن الفقير إن فكَّر فاكتسب إيماناً وأقبل، فقد حاز إيماناً ومعرفة أكبر من ذاك الذي ذهب للحج.

فالصلاة على الناس جميعهم، أن تكون صلاتهم في الكعبة برفقة رسول الله ﷺ من هذا البيت، وهذه هي الصلاة الصحيحة. لكن لا بدَّ من البدء بالتفكير بالتربية فيتوصل إلى كلمة (لا إلّه إلَّا الله) عندها يستقيم. بالاستقامة تثق نفسك، بالثقة تقبل على الله، بهذا تصبح من أهل الكمال. عندها تحب رسول الله ﷺ وتقبل بمعيَّته على الله. ﴿**وَمَن كَفَرَ**﴾: أعرض عن الله فنكر، هذا ما فكَّر به، ما فعل الخير والإحسان، ما فكَّر بالتربية ولا سلك هذا الطريق، هذا هو الكافر ﴿**فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾: عنه.

---

[13] سورة السجدة – الآية:17.

أنت لا تضره بشيء لكنه يريد سعادتك، سرورك. فما هو تعالى بحاجة للإنسان، بل خلقك لسعادتك، فمن اللازم لك أن تعرف ربك وترى حنانه ورحمته لتنال.

98- ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾: الدالّة على لا إلَه إلا الله. كيف لا تنظر بها ترونها ظاهرة: الشمس، القمر، نفسك، وما من شيء بالكون إلَّا ويدلُّك على لا إلَه إلَّا الله إن فكَّرت. ﴿**وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ**﴾: مشاهد عملك ومعاكساتك.

99- ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ**﴾: تريدون تحويله. تضللونه. ﴿**تَبْغُونَهَا**﴾: الدنيا. ﴿**عِوَجاً**﴾: تريدون أن يأكل الناس بعضهم كما ترون. تريدون أن تسير الدنيا حسب هواكم، أن تسير بالاعوجاج، بالرذيلة والسفالة. من كان به شهوة يودّ لو أنّ الناس بها جميعاً. ﴿**وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ**﴾: لما ينتج الانحراف من أذى، تعلمون الضلالة وتدعون إليها، تريدون تحويل المؤمن لسفالة المعرضين. وأنتم شهداء لقومكم؟! ﴿**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾: كل واحد يعيد عليه عمله، افعل ما شئت كله يعود عليك.

100- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾: المؤمن يعرف أن المعرض عن الله منحط فلا يعبأ به، المؤمن لا يلتفت لغير المؤمن، انظر لسير هذا الذي تريد إتّباعه، هل هو حقاً مؤمن؟ غير المؤمن لا تسمع كلامه، إن سمعت كلامه يهلكك.

سورة آل عمران: [101-110]

101- ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ**﴾: هذا لا يكون، إذا تُليت عليك آيات الله وفكَّرت بها لا تكفر. المؤمن يسمع كلام الله ويطبقه. ما أعظم مثل هذا الكفر إن صار!! ﴿**وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**﴾: متمسكون به. وقلبكم متعلق برسول الله ﷺ. من كان هذا حاله لا يكفر. ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ**﴾: آمن بلا إلَه إلَّا الله. تمسَّك بلا إلَه إلَّا الله، صار ضمن سور. ﴿**فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾: سار ضمن الحق. المدار أن تؤمن بلا إلَه إلَّا الله، هذه الشرط، هذه الأصل، إن آمنت بها تمسكت برسول الله ﷺ.

102- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: بالله حقاً، إن آمنت أعطها حقها، اربط نفسك مع الإمام تماماً. ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾: أعطِ التقوى حقها، حقها فعل المعروف والإحسان، حتى تحصل الصلة بالله فتكمل وتطهر دوماً انظر بنور الله، ادخل على الله بمعيّة رسول الله ﷺ. عندها ترى الخير خيراً والشر شراً. ﴿**وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ**﴾: هذا لا يكون إلَّا بعد معرفة الله. مسلمون: مستسلم إلى الله، إذا رأيت الرحمة، الرأفة، القدرة، العلمَ عندها تستسلم إلى الله تعالى، الاستسلام لا يكون إلَّا بالشهود. إيّاك يا مؤمن أن تموت قبل أن ترى رحمته تعالى وحنانه بأن تدخل مع رسول الله ﷺ على الله.

103- وحدك لا تستطيع الدخول على الله، حتى تستطيعوا الدخول على الله والرؤية: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً**﴾: بالمصطفى ﷺ الدائم الإقبال على الله، تمسَّك برسول الله ﷺ، حتى تحصل لك هذه التقوى، هذا الارتباط لا يكون إلَّا إذا صرت كاملاً، لا يعرف الفضل إلَّا ذووه. إذن تمسَّك بالإمام، اجعل نفسك دوماً معه حتى تعرج بمعيته إلى الله، لكن هذه تحتاج لعمل صالح حتى تحصل لنفسك قناعة برضاء الله فتقبل.

﴿**وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾: عنه. ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾: بإرسال رسول الله لكم. ﴿**إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ**﴾: بالمصطفى عليه الصلاة والسلام. ﴿**بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ**﴾: بنعمة الله سبحانه وتعالى.

﴿**إِخْوَاناً**﴾: متحابيّن. أوَ ليست هذه الدلالة هي التي جمعتكم؟ ﴿**وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ**﴾: من حفرة لحفرة. ﴿**فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا**﴾: بدلالته خلصت من العذاب.

﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ**﴾: فالله يبيِّن لك، والمسألة راجعة لك، إبراهيم عليه السلام فكَّر حتى اهتدى، أنت لِمَ لا تفكِّر؟ اصدق حتى تهتدي كما اهتدى. فكِّر بكلمة الحمد لله، هل يحمد أم لا، هل حقَّقت؟ هل فكَّرت؟ هل عرفت؟ ﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾: إلى الله.

104- ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ**﴾: رسول الله ﷺ سينتقل ومن بعده أمَّة تؤمُّون إليهم. هذه الأمة باقية إلى الأبد، مرشدة إلى الحق. التقوى تحصل بصحبة رسول الله ﷺ بحبك له تختلط نفسك معه ﷺ، بعد رسول الله ﷺ لا بدَّ من أهل إرشاد بهم تمسَّكْ، تصل لرسول الله ﷺ، إلى الله، تنلْ التقوى. ﴿**يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾: هذه علامتهم، بهؤلاء تمسَّكوا وادخلوا بمعيَّتهم عليَّ. ﴿**وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾: ارتبطوا معهم، اصدقوا معهم.

105- ﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ**﴾: وهم اليهود، تفرقوا إلى يهود ونصارى لما جاء عيسى عليه السلام. ﴿**وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾: على لسان عيسى عليه السلام. ﴿**وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: حيث عرفوا وانحرفوا، إذ كفروا بعد إيمانهم.

106- ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ**﴾: بعملها العالي وعند الخروج من القبر. من جاء إلى الدنيا وفعل الإحسان فوجهه أبيض. ومن جاء إلى الدنيا فالتهى بمآكلها ومشاربها، شهواتها، وضيَّع الفرصة، هذا يسودُّ وجهه بعملِهِ السيء. ﴿**وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾: بعملها المنحط. ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾: يقال لهم أبعد إقراركم بوجود الله؟ ﴿**فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾: بالإحسان، بالمعروف، بالدلالة على الحق كل شيء هيَّئته لكم؛ لكن ضيَّعتم أنفسكم.

107- ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: إلى ما لا نهاية.

108- ﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ**﴾: يا محمد ﷺ بما نلت من أهلية. ﴿**وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ**﴾: الله تعالى خلق الخلق للسعادة، خلق العَالمين جميعاً للسعادة. فكيف يقولون أن الله خلق هذا للجنة وهذا للنار، المسألة حسب اختيارك أنت.

109- ﴿**وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾: كل ما في الكون سائر بأمره. ﴿**وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**﴾: كل واحد يعطيه بحسب ما في نفسه، وأنت لا حول لك ولا قوة، لكن بحسب نيتك يعطيك، حكيم وعليم. أنت تطلب وهو يعطيك، وليس بيدك شيء إلَّا الطلب والنية العالية.

وهذا خطاب لبني إسرائيل لا للعرب، نزلت في عصر الرسول الكريم تنبيهاً لليهود الذين كانوا محسنين ثم شذّوا.

110- ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾: يفسر بعض المفسرين هذه الآية أنها واردة بحق العرب، والحقيقة أنها وردت بحق بني إسرائيل، اليهود جدهم سيدنا إبراهيم، سيدنا إسحق، سيدنا يعقوب، سيدنا يوسف عليهم السلام، فكان لهم في مصر شأن عالٍ، إذ صاروا هداة للناس. لما فسدوا سلَّط عليهم فرعون ففعل ما فعل. تابوا فأرسل الله سيدنا موسى عليه السلام. وكان بينهم صلحاء. بعد سيدنا موسى جاء سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام، وهكذا اهتدى عدد كثير منهم إلى الحق وكان منهم الكثير من أهل الحق لذا خوطبوا: ﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾: خطاب لبني إسرائيل، يا بني إسرائيل كنتم في الماضي: ﴿**تَأْمُرُونَ**﴾: في عصركم. ﴿**بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**﴾: بلا إلَه إلَّا الله لما آمنتم بهذا صرتم تأمرون بالمعروف. ﴿**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ**﴾: الآن. ﴿**لَكَانَ**

خَيْراً لَّهُم﴾: في الدنيا والآخرة. ﴿**مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:** فكلمة كنتم ليست خطاباً للحاضرين بل لمن سبق. إذن الخطاب لليهود لا للعرب. العرب بعهد رسول الله ﷺ، الله تعالى رفع شأنهم فلما شذَّ الناس صاروا إلى ما صاروا إليه. وهكذا فليست الأمور خاصة بجنس وأن جنساً أعلى من جنس؛ الكل واحد، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، على الإنسان أن يفكِّر فيهتدي، إن اهتدى نصر الحق، وإن نصر الحق أقبل على الله فاستسلم.

سورة آل عمران: [111-120]

111- ﴿**لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾:** بالكلام فقط. اليهود لا يضرون المؤمنين إلَّا بلسانهم بالكلام. ﴿**وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ﴾:** حيث خرجوا ومالوا عن الحق. ومن هنا تبيَّن أن سير الناس اليوم خلاف ما أمر الله، لذلك سُلِّطوا علينا. **{وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}**[14].

﴿**ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾:** "على طول" دوماً. الآن ليست لهم شوكة وكذا في الماضي.

112- ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾:** دوماً محكومين. ﴿**أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ﴾:** أينما حُكموا. ﴿**إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ﴾:** تحت حكم المؤمنين، أي يكون تحت حكم إسلامي، تحت سيطرة الإسلام، قديماً حموهم. ﴿**وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾:** عون من دول أخرى كما هو الآن حاصل في فلسطين، تحت حكم الدول اليوم ووصايتها، الآن من الأوربيين، يحموهم. ﴿**وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾:** لماذا حلَّ بهم؟ لعدم إسلامهم حقاً. أما إذا قلت أنا مسلم وما طبقت فما أنت بمحبوب عند الله. ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾:** السبب:

﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾:** إن فعلتم مثلهم يحصل لكم ما صار لهم، حيث فكَّروا بالدنيا وما فكَّروا بمعرفة الله، ولم يفكِّروا بالآيات الدالة على الله، فصار هذا حالهم. وكذلك المسلم إذا شذَّ فعمله كعملهم، تارك الصلاة إن شاء يموت يهودياً وإن شاء نصرانياً. تارك الصلاة يرى ربه بعيداً فيفعل ما يشاء، أما المؤمن فيرى الله محيطاً به.

﴿**وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾:** كل من دلَّهم على الحق عارضوه حيث ما وافقوهم على شهواتهم. فمن لا يفكِّر بآيات الله يعادي أهل الحق. ﴿**ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾:** قالوا سمعنا وعصينا. ﴿**وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾:** بعضهم على بعض.

113- ﴿**لَيْسُواْ سَوَاءً﴾:** ما كل أهل الكتاب سواء، منهم: ﴿**مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾:** ليس كل اليهود كانوا كفاراً وليسوا كلهم بحال واحد، المؤمنون بحال، والمعرضون بحال فهل يستوون؟ بل منهم: ﴿**أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾:** بآيات الله. ﴿**يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾:** يدلُّون الناس على الحق من الصباح للمساء. ﴿**وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾:** يطلبون من الله. يطلبون العون منه سبحانه.

114- ﴿**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾:** هو المسيّر لكل الوجود، اليهود السَابقون الذين نصروا الحق هكذا كانوا، فكَّروا وعقلوا. إن ما آمن الإنسان بلا إلّه إلا الله لا يؤمن باليوم الآخر. ﴿**وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾:** ما نتيجة هذا الإيمان؟ ﴿**وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾:** هذه نتائج الإيمان. ﴿**وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:** للجنة غداً، لفضلنا لعطائنا.

---

[14] سورة النور – الآية:55.

115- ﴿**وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ**﴾: في الماضي. ﴿**فَلَنْ يُكْفَرُوْهُ**﴾: محفوظ لهم عندنا. ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾: المؤمن لا يعود لعمل رديء. المؤمن لا يعمل رديئاً.

116- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: نكروا النعم، ما فكَّروا بالله، لا يعرف إلَّا نفسه وجمع المال. همّه ملاحقة الدنيا. ﴿**لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ**﴾: في الدنيا. ﴿**وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً**﴾: لا المال ولا الولد يفيدانه شيئاً، ولن يغنيا عنه. جاء للدنيا ليفعل المعروف، فما فعل شيئاً. ﴿**وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: لاحق الدنيا والمال، لا المال ولا الولد بمغنٍ عنه. ولو سمّيت نفسك مسلماً، العبرة لفعلك العالي.

117- ﴿**مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: من أجل مظاهرها وجاهها.

﴿**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ**﴾: صرير، برد شديد أو حر شديد ﴿**أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ**﴾: فيها صقيع أهلَكَ الزرع فذهب ولم يبقَ له أثر. ظلموا أنفسهم، عملهم للدنيا، لن يستفيدوا منه شيئاً. الذي لا يؤمن مهما عمل من أعمال حسنة نظراً لما فيها من نيّة سوء تذهب هباءً. العمل يحتاج لنيّة صالحة، إن لم يؤمن بلا إلّه إلَّا الله، عمله كله سوء. عمله للدنيا لن يستفيد منه شيئاً. ﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ**﴾: هو ما فكَّر، ما استقام. ﴿**وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾: فضيَّع حياته سدى وما كسب منها شيئاً.

118- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ**﴾: الله تعالى يحذِّرنا فيقول: لا تستعينوا بمن دونكم من غير أهل الإيمان، السبب أنهم ليس فيهم خيْر. الكافر دونك لا تنستر به.

﴿**لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً**﴾: لا يماشونكم ساكتين، غافلين عن أذاكم. ﴿**وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ**﴾: يبحثون عمّا يضركم وبما أصابكم يوم أحد من شدة. وهكذا تارك الصلاة لا يحب الخير لأحد.

﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ**﴾: سمعتم أقوالهم عنكم. ﴿**وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ**﴾: عرفتم هذا، احذروهم، ليكن اعتمادك على المؤمنين.

﴿**إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾: إذا عقلتم أي صلَّيتم، صار لكم عقل، عرفتم أن الذي يصلِّي كله كمال، كله خير، وأن الذي لا يصلِّي كله أذى، فلا تعتمد عليه بشيء. فعلى الإنسان أن ينظر إلى قلبه، إن كان يحب الخير لكل الناس، فتلك علامة على أن صلاته صحيحة، وإن كان العكس فعلامة أن صلاته غير صحيحة، المراد من الصلاة أن تكون من أهل الإحسان والمعروف.

119- ﴿**هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ**﴾: وهذه صفة المؤمن، يحب كل النَاس، لا يبغض أحداً، يحب الخير لكل الخلق، يحاول ردهم إلى الحق بشتى الوسائل، اليهود لا يحبون أن يدخل في دينهم أحد بعكس المؤمنين. فالمؤمن يحب ويتمنىّ الخير لكلِّ الخلق. لكن لا يستسلم للكافر بل يسعى لمداواته. الجهاد غايته ردّ الناس الضَّالين إلى الحق، لا سلب أموالهم أو أعراضهم، بل الغاية الإحسان والخير. ﴿**وَلَا يُحِبُّونَكُمْ**﴾: لأنهم مع الشيطان، بعيدون عن الله، فالكافر لا يحب إلَّا نفسه. ﴿**وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ**﴾: المؤمن يؤيّد ويؤمن بالكتب كلها. ﴿**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ**﴾: بسبب سلب النبوة من بني إسرائيل لأنهم فسدوا، وأعطاها لرسول الله ﷺ ضمن الحق. كل إنسان يعطيه حقه. ﴿**قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ**﴾: بلا عمل. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: يعطي كل إنسان بحسب ما في نفسه.

120- ﴿**إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ**﴾: يحزنون. يحذِّرك تعالى من الكافر، لا تستسلم له، اسعَ بهدايته ولكن لا تستسلم له. ﴿**وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا**﴾: الكافر يتمنَّى الأذى لجميع الخلق، الشيطان ما رماه بما وقع به إلَّا الحسد والغيرة. ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُواْ**﴾: عن شهوات الدنيا. وتصبروا عليهم لعل الله

يأخذ بيدك فتهديهم للحق. ليكن فعلك ضمن أمر الله. ﴿وَتَتَّقُواْ﴾: بنور الله ترون الخير، طريق السعادة. ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾: عملهم كله سدى. تدابيرهم لا تضركم، فالله تعالى محيط بعملهم، لا فعل لهم إلَّا بإذنه، لا إله إلَّا الله، لكن أنت ابحث عن نفسك، إن كنت طاهراً فلا سبيل لأحد عليك. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: عملهم ضمن علم الله وإرادته، إن كنت مع الله فلا أحد في الكون يؤذيك. الكل بيده تعالى، لا فعّال غيره.

سورة آل عمران: [121-130]

121- ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: يوم أحُدْ. ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: كان ﷺ صاحب معرفة بالحرب. المؤمن بكلِّ مسألة رأس. ذهبت لتهيئ للمؤمنين مقاعد للقتال، وما تدري ما صار عليه قومك. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: سميع كلام أصحابك، عليم بحالهم.

122- ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾: قبل خروجكم لأحد. ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾: الفشل ضياع المسعى، أن يتراجعوا. حدَّثتهم نفوسهم بالتخاذل وما كان لهم أن تحدّثهم نفوسهم بمثل هذا. يوم أحد اختلف الناس في الخروج وعدمه. فالتجؤوا إلى الله. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: فالمؤمن يثبّته الله ويولّيه ويسيِّره. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: يعلم أن الفعل بيد الله.

123- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: أقلاء وضعفاء كان معه الأنصار، وما كانوا أهل حرب وكانت قريش مشهورة بالسطوة والقوة، وغلب المسلمون المشركين. تعرفونها ومع ذلك نصركم، فكّروا بهذا من أين جاءكم النصر، المسألة بيد الله فلماذا الخوف.

﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: إن رأيت ونلت التقوى، رأيت أن فعله تعالى كله خير، ورأيت أن ما أمرك به خير لك، هذا الجهاد كله خير لك. فهذا الإيمان لكي تفعل المعروف والإحسان وترد الناس للحق.

124- لا أحد معين سواه. ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يوم أحد. ﴿أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾: يومها.

125- ﴿بَلَى﴾: الآن. ﴿إِنْ تَصْبِرُواْ﴾: عن شهوات الدنيا. السبب فيما يصيبك من نفسك، أنت الأصل. معنى الصبر: الدنيا إرمها، إن صبرت عن الشهوات نظفت، عندها تتولد بنفسك ثقة عالية، تقبل على الله وترى بنور الله وتشاهد الحق. فبحبك للدنيا وما فيها من شهوات سيئة تقع، فيسلط الله الناس عليك. ﴿وَتَتَّقُواْ﴾: تنظروا بنور الله وتعرفوا الطريق وتروا الخير خيراً والشر شراً. ﴿وَيَأْتُوكُمْ﴾: الآن. ﴿مِّنْ فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: ضربهم معروف، تعرفون ضربهم من ضرب غيرهم، العبرة للتسيير الإلٓهي[15]. عليك أن تكون طاهراً غايتك عالية.

126- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾: هذا العدد من الملائكة كله بشرى، الناصر هو الله. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: الفعل بيد الله وحده، والنصر من عنده. ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: ضمن حكمة، كل واحد يعطيه حقه.

---

15 هذه بوقعة أحد، بحمراء الأسد، ولكن الله نصرهم دون قتال، إذ هرب أبو سفيان وقريش وفضحوا بهزيمتهم بأُحد عند القبائل، لأنهم شاهدوهم مهزومين بأحد. فأُحد نصر عظيم للمسلمين.

127- الغاية من الحرب: ﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: هذه الحروب وهذا الجهاد ليقطع شوكة الكفار، يسلّط المؤمن على الكافر ليردَّه للحق.

﴿**أَوْ يَكْبِتَهُمْ**﴾: يأسرهم أو يذلهم في الأسر. ﴿**فَيَنقَلِبُواْ**﴾: من حروبهم. ﴿**خَآئِبِينَ**﴾: من عملهم عن مسعاهم. الغاية من الجهاد أن تردَّ أخاك للحق، جاء للدنيا ليسعد. وكان ﷺ دائم الحزن على الخلق، فعزّاه الله عن ذلك بقوله:

128- ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾: هنا وغداً الأمر بيد الله، كان ﷺ من حنانه يتألم، يريد الهداية لكلِّ الخلق، لكن الله تعالى أعطى الاختيار، الفاعل هو الله. أنا أعطيت الخلق الإطلاق والاختيار، فالأمر راجع لهم. ﴿**أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾: بعد عودتهم للحق، إن تابوا يشفي نفوسهم، إذا رجعوا يتوب عليهم، وبهذه الحروب إن رجعوا. ﴿**أَوْ يُعَذِّبَهُمْ**﴾: إن أصرّوا وما فكّروا. يعذبهم بالهزيمة حتى يتوبوا. ﴿**فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾: هم ظالمون لأنفسهم إذ حرموها من الخير.

129- ﴿**وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾: كل هذا الكون سيره بيد الله وعائد إليه، الكل بيده. ﴿**يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾: أنت تطلب وهو يشفيك، طهّر قلبك واطلب من الله. اصدق يغفر لك. ﴿**وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**﴾: العبد يُعرِضْ وتساق له الشدائد حسب طلبه يأتيه. فالمصرّ على عمله السيء يعذبه لعله يرجع، وهذا من رحمة الله وحنانه، لعل هذا البعيد الكافر يتوب ويرجع. ويعذب من يشاء لماذا: ﴿**وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾: يعذبه هذا التعذيب ليغفر له، فيشفى ويرحم. كل فعله تعالى رحمة وخير، عطف وحنان. أحنُّ عليك من نفسك.

130- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾: إن آمنت بلا إلّه إلَّا الله وصليت اعمل الإحسان. ﴿**لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً**﴾: تعاملوا في بيعكم بالمعروف، لا أن تربحوا أضعافاً مضاعفة. إذا بعت، كن إنساناً لا تأخذ الربح أضعافاً، زائد عن حقك بالبيع.

البيع: الربح قرشاً واحداً، فلا تأخذ القرش قرشين، إن زدت عن الربح القانوني فهذا ربا. ﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ**﴾: بترك الربا. ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: تقبلون على الله وتطهرون.

سورة آل عمران: [131-140]

131- ﴿**وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾: الذي ما رأى فضل الله عليه. ما آمن، حبّاً به أعد الله تعالى له النار، إذ بالربح فوق الحق تنتزع الثقة من نفسك برضاء الله عنك، فتتباعد وتصل للكفر. وكما أن البعد يصل بالمعرض إلى الكفر، بالقرب يصل الإنسان للإيمان.

132- ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ**﴾: بما بيَّنه لكم على لسان رسوله. ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾: فتصيبك الرحمة ويأتيك الخير والإحسان الإلّهي. إن أطعْتَ الله والرسول أصبح ظنك بالله عالياً فتقبل على الله وتنال الكمال، تطلب الفعل الطيّب فتُعطاه، فترحم وتؤجر.

133- ﴿**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ**﴾: اترك الدنيا واعمل طيباً يُشفِ لك قلبك، ويصير عملك صالحاً. وذلك يتم بفعل المعروف والإحسان، وبذا تتقرّب إلى الله، فعل المعروف يقرب إلى الله، فأسرع بفعل الخير لتحصل على الغفران من الرب الكريم. ﴿**مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾: لتنال جنة لا نهاية لها. مهما علوت فوقك لا نهاية له، تحتك لا نهاية له. ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾: طالب التقوى الصادق أعدت له. هؤلاء فتحت أعينهم، وصارت ترى الخير خيراً والشر شراً.

التقوى وطريقها: مثال: سحرة فرعون آمنوا بالله بلحظة رغم أنهم قضوا عمرهم بالكفر، هددهم فرعون فما عبأوا، قالوا افعل ما أنت فاعل، أما بنو إسرائيل ورغم كل المعجزات ظلوا كفاراً وضربت عليهم الذلة.

السبب: السحرة كانوا علماء كباراً، رأوا علم موسى عليه السلام فوق علمهم فاستعظموه، أقبلوا عليه فدخلوا معه على الله ورأوا الحق. بنو إسرائيل ما قدَّروا وما عظَّموا رسولهم فظلوا على عماهم، وظلَّت شهوتهم غالبة عليهم.

لتغدو من أهل التقوى فإنك تحتاج للمحبة "محبة رسول الله ﷺ"، وللحب شرط: إن لم تنل صفة من صفاته ﷺ العالية فلن تحبَّه، إذ لا يعرف الفضل إلَّا ذووه. إن صليت فعلت المعروف والإحسان، فتكتسب ثقةً بها تقبل على الله وتنال صلة بالله فتكتسب بها كمالاً، به تحب رسول الله ﷺ. لفعل المعروف تحتاج لإيمان الذي تناله بتفكيرك بمعرفة المربي، بواسطة النظر بالبداية والنهاية، بذا تؤمن بالمربي عندها تنفق. من هم المتقون؟:

134- ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾: في الغنى والفقر على قدر إمكانياتهم في اليسر والعسر، ينفق مما أعطاه الله من قوة، مال، جاه، ينفق طلباً لرضاء الله. جئنا إلى الدنيا لنعمل الخير، لنتقرب إلى الله فنرى، وفي الآخرة نرى عملنا فنقبل ونتنعَّم. ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾: لا ينفذ غضبه بسرعة. كل إنسان "يزعل" يتأثر، ولكن لا تُظهر غيظك. المؤمن يرجع إلى الله فيبحث عن عمله الذي بسببه تسلط الناس عليه فيدعو لهم وينوي لهم الخير. ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾: يعفو بحكمة، يسامحهم ويدعو لهم بالخير. ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾: المؤمن محسن كيفما كان. لا تسيء لأحد. لو لم يكن بنفسك شيء لما آذاك، لذلك تعفو عنه وتحسن إليه، لأنك بالحقيقة سبب بإساءته لك.

135- ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً**﴾: وقعوا بشيء دون قصد منهم. ﴿**أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ**﴾: قبل أن يعودوا للحق في الماضي. ﴿**ذَكَرُواْ اللَّهَ**﴾: عرف إحسانه، ظنّه بالله عالي، يعرف أن الله رحيم شفوق، صاحب حنان، فيرجع إليه بالحَال. ﴿**فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ**﴾: يطلب الشفاء النفسي منه. ﴿**وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾: الشافي هو الله. غير الله لا يوجد أحد سواه يغفر. ولكن كيف يغفر تعالى؟ بإقبالك عليه، التجلي الإلَهي يمحو السوء من نفسك. المؤمن بلا إلَه إلَّا الله يلتجئ إلى الله فيشفي له نفسه. بعد الموت يطهر الجسد بالتراب ممّا تلوَّث به، أما النفس فتعود وهي ملوَّثة بما فيها. لذلك طهرها هنا قبل الآخرة، طهرها بالإقبال على الله، إن رأى الإنسان نمشةً على نفسه يبقى خجولاً ولا يقبل على الله. إن آمنت نلت ثقة وطهارة. ﴿**وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ**﴾: المؤمن لا يقع عن إصرار بل خطأً ولا يقع ثانية. علامة التوبة الصحيحة أنه لا يصر، وقع وتاب. ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾: ذلك. يعلم أنه لن يرجع للمعصية أبداً. تاب وصار له علم أنه لن يرجع، إذ أن المؤمن يرى أن الله معه فيتوب حقاً توبة لا نكث بعدها.

136- ﴿**أُوْلَـئِكَ**﴾: هؤلاء ﴿**جَزَآؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ**﴾: شفاء لنفوسهم. ﴿**وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾: من جنة لجنة أعلى. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾: ميال إليها. ﴿**وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾: الجنة بالعمل.

137- ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ**﴾: قوانين وأنظمة لا تختلف خلت قبلكم، الذي أعرض وما اتَّبع الرسل، انظروا ما نتائجه. ﴿**فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾: فالذي عارض ماذا حل به، فكّر، لا تكن خامل الفكر، انظر في التاريخ، وانظر في عصرك، الآن ما نتائج المكذبين، كم جاء قبلك أمم وخلق ماذا حلّ بهم؟ في الدنيا دمار وفي الآخرة عذاب. وهذه القوانين إن شذذت طبقت عليك، سر على دلالة الله ليحفظك الله دنيا وآخرة.

138- ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾: عامة الخلق. ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: لأهل التقوى، الصادق طالب التقوى هذا يهتدي. إن ما صدق لا يتعظ ولا يهتدي، المدار على الصدق. الكذاب مهما سمع لا يستفيد. الصدق لا يكون إلَّا إذا فكَّرت ببدايتك ونهايتك، بالكون.

139- ﴿وَلاَ تَهِنُوا﴾: يوم أحد خذل المسلمون لأنهم مالوا للدنيا، والله خاطبهم قائلاً: ﴿وَلاَ تَهِنُوا﴾: لا يحصل لكم جبن، لا ينحل عزمكم، ولا تضعف عزيمتكم بهذه الهزيمة فتتعلقوا بالحياة وتكرهوا الموت، فعلى الإنسان ألَّا يطمع ولا يخرج عن الحد. ﴿وَلاَ تَحْزَنُوا﴾: على ما أصابكم. ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن كنت مؤمناً فلا بدَّ من النصر حتماً. إن آمنت حقاً لا تقع بشيء فتحفظ. إن آمنت رأيت الله معك، رقيب وشهيد فتستقيم وعندها لك النصر.

140- ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: يوم أحد مسكم ألم نفساني بسبب الخذلان. ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾: من المشركين. ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: جرح معنوي، هزيمة يوم بدر. ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: بحسب حالهم، حسب حالك، حسب نيتك وما يناسبك، يوم أحد كانت نيتكم أخذ مالهم فكان هذا نصيبكم. ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾: يظهرهم. كلُّ واحد سيظهر حاله غداً بحسب عمله. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾: يتخذ شهداء لما في نفوسهم من نيّة سامية، استشهدوا يوم أحد، كحمزة رضي الله عنه وهي، أي الشهادة، أعظم شيء. فالشهيد بنفسه خيرات كثيرة، ونوايا عالية فأظهرها. فالمؤمن الذي مات بالحرب جعل الله تعالى هذا الموت في الحرب شهادة، بسبب نيته العالية. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: المؤمن غايته دعوة الخلق إلى الله، لا أخذ مال الناس بالحرب. أيّاً من كنت، ومهما كنت، إن أصبت نملة بدون حق بسوء قاصصك. نفسك أمانة أوصلها لمحل السعادة، للراحة.

سورة آل عمران: [141-150]

141- ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾: ينقِّي قلوبهم، ينقِّي لهم نفوسهم مما تعلق بها من حب الدنيا. المؤمن ينبهه الله بسرعة، بالحال ينقيه. ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: يذهب شوكتهم.

142- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ﴾: مجيئك للدنيا للعمل العالي. ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ﴾: بدون عمل تدخل! هذا لا يكون، الجنة لا بدَّ لها من فعل معروف وإحسان، لا بمجرَّد صومك وصلاتك. صلاتك لتصبح كاملاً تقياً تفعل المعروف والإحسان وتجده غداً. الصلاة وسيلة للمعروف لدخول الجنة، كذلك الصوم والحج. المؤمن لا بد أن يفعل المعروف والإحسان وهذه علامته. ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: عن شهوات الدنيا، وفي الجهاد صبر، وعلى طاعة الله، كل واحد وعمله، ثوبه يظهر وبحسبه ينال.

143- ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾: الشهادة في سبيل الله. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾: كانوا يتمنون الجهاد. يوم كان الرسول يحدّثهم عن الشهادة، كذلك أناس يقولون ويتمنون، لكن العلامة، القوي لا يتزعزع. ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: تنظرون إليه عن بُعد حتى قلتم إن محمداً قد مات. فلماذا خفتم؟ لماذا جبَّنتم وما تقدَّمتم، لماذا تأخرتم؟ المسألة بالفعل لا بالقول، فعليك أن تلزم نفسك بالعمل، إحذر التأخير.

144- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾: لما سمعوا أنه قتل فرَّ قسم، فهل أنتم تعبدونه أم تعبدون الله؟! ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: أنتم تعبدون الله لا تعبدون محمداً. ﴿وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: الذين ثبتوا فنالوا فضل الله تعالى. عرفوا نعمة الله عليهم بالإيمان فشكروا، هؤلاء يجزيهم الله.

145- ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ الله**﴾: كل إنسان وله ساعة، يومك يومك، فلماذا تكون جباناً؟! لا يزيد ولا ينقص. الإنسان لا يموت إلَّا بيومه، يوم معلوم، لكن كل موت وله سبب، وكل إنسان له ساعة: المؤمن شجاع يعلم أن المسألة بيد الله. ﴿**كِتَاباً مُّؤَجَّلاً**﴾: إن جاء الأجل لا بد من الموت أينما كنت. ﴿**وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾: الله تعالى يبيّن الاختيار، يا عبدي اطلب تعطَ، إن صدقت بالطلب نلت. ﴿**وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾: أي الدنيا أيضاً، بالسيْر الحسن نؤته منها من الدنيا، لكن طالب الآخرة يبذل الدنيا في طريق المعروف والإحسان شكراً لله على ما أولاه وأعطاه، لذلك يعطيه الله ويجزيه على شكره، فيكافئه بالآخرة بعطاءٍ عالٍ. ﴿**وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾: لذا فالمؤمن شجاع فلِمَ يخاف! هذا الذي عرف الله لا يخاف، لأنه عرف أنَّه سينقلب إلى الله.

146- ﴿**وَكَأَيِّنْ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ**﴾: سائرون بدلالة المربي، ربوا بدلالة المربي كما بزمن سيدنا داود عليه السلام ربوا بدلالة الله. ﴿**كَثِيرٌ**﴾: كثيرون من هؤلاء الأتباع الذين عرفوا المربي. ﴿**فَمَا وَهَنُواْ**﴾: لمَّا انكسروا ما ضعفت عزيمتهم. ﴿**لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ**﴾: عن الجهاد عن الحرب. ﴿**وَمَا اسْتَكَانُواْ**﴾: ما كنُّوا بعد الخذلان، ما خافوا ولا كنُّوا. لكن بحثوا عن سبب ما أصابهم، تابوا إلى الله وصبروا عن الشهوات، ففتح الله عليهم. ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾: صبروا. الكافر استعلى عليهم بسبب عملهم، رجعوا فانتصروا. والذي صبر فلا هو تَوهَّمْ ولا ضعف ولا كنَّ عن الجهاد.

147- ﴿**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا**﴾: ما في أنفسنا. ﴿**ذُنُوبَنَا**﴾: عرفوا سبب خذلانهم أنه من أنفسهم، هذا الخذلان أصابنا من أنفسنا، سبب ذلك شيء بنفوسهم، شهوة خفيّة، وهذه لا تنمحي إلَّا بالصلة مع الله، ليأخذ الله بيدهم وعرفوا عدالة الله ورحمته فطلبوا الشفاء. أقبلوا على الله فمحا ما في نفوسهم من ذنوب. إن كنت طاهر النفس أيَّدك الله ﴿**وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا**﴾: في الماضي. صدر منَّا ما جعل هذه الهزيمة تصيبنا. ﴿**وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا**﴾: حيث تبنا الآن يا رب. ﴿**وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾: اطلب من الله ينصرك إن كنت ضمن أوامره. إن لم تستقم فلن يرفع الله شأنك ولن ينصرك.

148- ﴿**فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا**﴾: نصرهم، رفع شأنهم بالدنيا. ﴿**وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ**﴾: وفي الآخرة لهم الجنان، ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾: فالمؤمن دوماً محسن لأي شخص كان، ادخلوا في السلم كافة. غايتهم كانت رد الناس للحق. المؤمن يريد الخير للخلق أجمع.

149- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِنْ تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: لا تسمع كلام الكفار، فكلامهم ضرر لأنهم عميان. ﴿**يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾: يثبّطون عزائمكم يخوفونكم. أنت استقم والله يرفع شأنك. لا تنظر للقوة والعدد، المؤمن لا ينظر لكل هذه الاعتبارات اعتماده على الله، من هو الكافر؟ الكافر الذي لا يعرف لا إلَه إلَّا الله، الذي لا يعلم أن الفعل بيد الله وحده، يقول لك احذر الذهاب للجهاد فتقتل، احذر الصدقة وإنفاق المال فتفتقر، مع أن الإنسان ما جاء للدنيا إلَّا لفعل الخير. ﴿**فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ**﴾: تنقلبوا في الآخرة محرومين من الخيرات المعدّة لكم. إن فعلت المعروف، في الدنيا يرفع الله شأنك وفي الآخرة تنال النعيم. فعلى المؤمن أن يجدَّ ويسعى في الدنيا ليشتري الجنة بأعماله. المؤمن الذي لا يفعل المعروف، يأتي محروماً متحسراً. كمن وضع في المدرسة ولم يجتهد، وهذا ليس بمؤمن حقاً، المؤمن الحق يعلم أن الله لا يضيّع مثقال ذرة، وأنه سيعوض عليه ويجزيه، لذلك يسارع في فعل المعروف، فالكافر، ناكر لا إلَه إلَّا الله، ناكر نعم الله، لا يعرف المراد من المجيء لهذه الدنيا، لا يعرف الجزاء على الأعمال. الكافر يظنُّ أنه إن تصدّق افتقر. إن ذهب للحرب مات، إن ساعد الناس ذهب جاهه.

150- ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاَكُمْ﴾: اعتمد عليه وانظر النتائج، المؤمن شجاع توكُّله على الله. فالذي يسيّركم هو الله تعالى، يسيّر كل واحد بحسب قلبه، بحسب نيته. إن كانت نيتك حسنة سيَّرك بما يسرُّك. لتكن نيتك عالية، غايتك إرشاد أخيك الإنسان إلى الحق وبالعكس، بحسب نفسك يعطيك. ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: إن التجأت إليه رفع شأنك.

سورة آل عمران: [151-160]

151- لا تخافوا منهم: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ﴾: إن كانت غايتك رضاء الله، دلالة الخلق، يلقي الله الرعب في قلوبهم. ﴿بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ﴾: يقول إن تصدقت ذهب مالي، إن قاتلت أموت، إن... إن كانت نيتك عالية سينصرك الله حتماً مهما كان عدوك كثير العدة والعدد، لأنك خلقت لفعل المعروف والإحسان، وهم ما عرفوا لا إلّه إلَّا الله. ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾: هذا ينفي أحاديث الدجَّال من أنه أعطاه سلطاناً ثم يسأل النَاس لم اتَّبعتموه. السبب ما لهم فعل، لا نبي ولا رسول ولا أحد في العالمين له فعل، الفعَّال هو الله وحده. كل من نظر نظرة أن لأحد فعلاً أو نسب لنبي أو ولي فعلاً، هذا شرك. ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾: منزلته بؤس له.

152- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: بالنصر يوم أحد أول المعركة. ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾: لا من أنفسكم، يوم أحد بالنصر أول المعركة بإذنه، صدق الله بوعده بيوم أحد إذ هزمتموهم، حتى إذا عصيتم أمر الرسول، صار للمشركين عليكم الغلبة. ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: تغيّرت نيتكم كانت لكم نية عالية فتحولتم عنها، تحولتم عن طلبكم، وهو طلب رضاء الله، إذ صارت غايتكم المَال. فالجهاد لفعل المعروف والإحسان، لا لتهلك أخاك الإنسان، الجهاد لإنقاذ الناس. ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾: أناس قالوا نمكث في الموقع الذي عيّنه رسول الله ﷺ، أناس خالفوا. ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾: أمر الرسول وخالفتم رسول الله ﷺ. ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾: من النصر ﴿مِنكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: الغنائم. ﴿وَمِنكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: الأمر بيده. ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: وما ذلك إلَّا ليطهر قلوبكم، ليخرج حب الدنيا من قلوبكم، وتطهر نفوسكم. ولما انكسروا وصار الذي صار، رجعوا إلى الله. ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: مما علق بنفوسكم، هذا البلاء للتطهير. ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: طهَّركم لتدخلوا الجنة، نقَّاكم بهذا الانكسار، لو كانت نيتكم ثابتة لما أصابكم شيء، فهذا الانكسار يوم أحد خير عظيم وفضل كبير بحق المؤمنين، نقَّى الله لهم نفوسهم وطهّرها. المؤمن يصبر، يلتجئ إلى الله فما أصابه هو تنقية لنفسه.

153- ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: يومها في الجبل هربتم. ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ﴾: ثابتاً ﴿يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾: ثبت ﷺ. ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمَّاً﴾: الخذلان والهزيمة. ﴿بِغَمٍّ﴾: فقدان المال وذهاب الغنيمة وعدم طاعة الرسول. انهزامكم ودعوة الرسول إليكم، نبيّن لكم هذا: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾: هذا القهر حصل لكم حتى تنسوا ما جرى لكم. حتى لا تتأثروا مما أصابكم، حتى تلتجؤوا إلى الله، ترجعوا إلى الله، صار لكم معرفة بالله، فعرفتم سبب هذا الشيء، عرفتم ذنبكم. وهكذا إذا الإنسان كان في قلبه شيء، يشدّد الله تعالى عليه ليلتجئ، فيطهّر نفسه، يرسل له وجع، همّ. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: بعملكم الذي تعملونه، كل مرة تخسرون إن كانت هذه نيتكم. يعلم عملكم وما يلزمه من مداواة، له خبرة فهو خبير تعالى بعملك، يعطيك العلاج المناسب لك. فكل ما يصيبك علاج لنفسك. إن أصابتك مصيبة لا تحزن، ولكن ابحث عن السبب الذي جاءتك هذه المصيبة منه.

154- ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً﴾: الخائف والجائع والبردان لا ينام، لكن المؤمن الطاهر منهم نام. ﴿يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾: جماعة ناموا، استسلموا إلى الله، الذي أقبل على الله وآمن

بلا إلّه إلّا الله رجع إلى الله فنام. فالإنسان إذا رجع فالله تعالى يطمئنه. ﴿**وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ**﴾: ضعفاء الإيمان ما ناموا من خوفهم لعدم معرفتهم بالله. ﴿**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾: هؤلاء المؤمنون اعتقاداً. ﴿**يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ**﴾: لنا عائدة إلى الله سبحانه، هل لله فعل في شيء من هذا؟ هل الأمر بيد الله، هذا عدونا فعل ذلك، لو لم نخرج ما أصابنا ما أصابنا.

﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ**﴾: خوفاً منك لا يظهرون ما في أنفسهم. ﴿**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا**﴾: لو الأمر لله ما قتلنا ها هنا. هكذا ظنهم. ﴿**قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ**﴾: من أعدائكم، أن يقتلوكم. ﴿**إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**﴾: إلى مضاجع المقتولين فقتلوهم. ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ**﴾: يبعث لكم الأمراض لتلتجئوا إليه لينقّي قلوبكم، لإنه خلقكم للسعادة. الولد العاقل إذا ضربه أبوه فالولد يشكره عندما يكبر لأنه يعرف فضله. ﴿**وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾: ينقّي، لا يُبقي شيئاً من حب الدنيا، كذلك المؤمن إذا فكَّر رأى الابتلاء من الله كله فضل ونعمة وإحسان. ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: يعطي كلَّ نفس ما يناسبها، فإن ما صار لك الإيمان بأن الله عليم بما في نفسك، فلن تطهر نفسك.

155- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ**﴾: الهرب. ﴿**مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ**﴾: جرَّهم. ﴿**الشَّيْطَانُ**﴾: وراء الغنيمة بسبب ما استقر بنفوسهم من حب الدنيا، من حبهم للدنيا دنا منهم الشيطان، لو لم يكن بنفسهم شيء من الدنيا لما دنا الشيطان منهم. فإن أصبح قلبك طاهراً فلن يدنو الشيطان منك، لكن إن أعرضت ظهرت روائح قلبك فجاءك الشيطان يشم نفسك، إن وجد مكروباً فيها دنا منك. ﴿**بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ**﴾: بما في نفوسهم، كسبوا حب الدنيا فخوفهم الشيطان وهرَّبهم. ﴿**وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾: الآن بهذه الشدة تابوا، التجأوا، رجعوا، فشفيت أنفسهم. ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾: لا زال الجرثوم في نفوسهم وعليهم أن يستأصلوه، هذا الشيء مستقر بنفوسهم من القديم، جازاهم اليوم عليه وطهَّرهم. غفور: شافي، حليم: لكن شيئاً فشيئاً. كل فعله يحُمد عليه، المؤمن غداً يحمد الله والكافر يحمده.

156- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ**﴾: الحج: الله تعالى رحيم وحكيم، لماذا اختار موضع الحج في مكة، وادٍ غير ذي زرع، هواء حار متقلّب، مع رحمته وعطفه وحنانه لماذا طلب تعالى منا الذهاب من أقاصي الأرض من الصين مثلاً، حتى نصل لهذا المكان الجاف الحار؟! ثم لماذا طلب منا الطواف مع خلع الثياب، عدم قص الشعر ولا الغسل ولا النساء؟! كل ذلك ليفكّر ببدايته ونهايته، ليتوب التوبة النصوح ويرجع إلى الله، فلا الشيطان يدخل عليه، ولا نفسه توسوس له. فكيف يتم ذلك؟ الحقيقة الدنيا جيفة، والطريق إلى الخلاص منها إنما يتم بالتضييق على النفس حتى تخرج الدنيا من القلب، وليس هنالك شيء من زخارف الدنيا ومباهجها، وبخلع الملابس وذكر لساعة الموت، فإن المرء يزهق الدنيا ويذكر الآخرة والموت، عندها يرى المرء حاله وعمله الرديء، فيأتي ربه مقبّلاً الحجر تائباً معاهداً. أما إذا ذهب الإنسان إلى هناك ورأى النساء فحجه غير صحيح.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: لا تكن مثلهم، ما قدَّروا الله، ما عرفوا عظمته، رحمته، حنانه. ﴿**وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ**﴾: حيث ما عرفوا الله قالوا هذا القول. والحقيقة أنه أينما كان المرء لا بدَّ أن يموت. ﴿**لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ**﴾: أنت لم تخلق للأكل والشرب. خلقوا للسعادة، فما خرجوا وما جاهدوا، فحرموا أنفسهم من السعادة. الجهاد أعظم عمل. أنت جئت للدنيا لفعل المعروف والإحسان. وهذا غداً يتحسر ندماً لأنه ضيَّع الفرصة. يندم عند موته متحسراً لأنه يرى الخير بعمل المعروف لكنه حرم نفسه. ﴿**وَاللَّهُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ**﴾: الكل بيده لا حرب لا شيء يميتك، لك أجل معيّن، يحيي: بالإقبال

عليه تحيا، وبالإعراض عنه تموت. ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾**:** بحسب عملك يعطيك. بصير مشاهد، ناظر مطّلع.

157- ﴿**وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ**﴾**:** فكّر بنفسك أين كنت قبل مجيئك للدنيا؟ ﴿**لَمَغْفِرَةٌ**﴾**:** شفاء. ﴿**مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾**:** من هذه الدنيا. فلماذا أنت حريص عليها إلى هذا الحد؟**!** أنت جئت لتنال السعَادة، وستذهب إلى النعيم إن فعلت الخير، فإن مات في سبيل الله أو مات في الحرب وهو يفعل المعروف نال مغفرة.

158- ﴿**وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ**﴾**:** إلى أين ستذهب. ﴿**لإِلَى الله تُحْشَرُونَ**﴾**:** إلى صاحب الحنان، الحليم، الكريم، صاحب الرحمة بك، فهل تشقى، تفتقر إن ذهبت إليه؟ لكن لم تعرفوا بعد رحمته، حنانه وعطفه**!** المؤمن إن مات يرى بعد الموت أجمل شيء. الدنيا وما فيها لا يبدِّلها بلحظة من اللحظات بعد الموت. رسول الله ﷺ كان دوماً حزيناً على الخلق، فمن أين جاءه هذا الحنان؟ ألا إنه شطر من عطاء رحمة الله تعالى قد ناله منه تعالى فصار شفيقاً رحيماً.

159- ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾**:** انظروا لمحمّد ﷺ من أين جاء بهذه الرحمة، الرحمة كلها من الله. هذا نموذج للمقبل على الله، فكيف يا ترى حنان الله؟ رسول الله ﷺ اشتق من حنان الله وصار ليّناً لطيفاً حريصاً على هدايتهم، فكيف الأصل صاحب الرحمة، رحمة الرسول مع عظمتها الكبرى تجاه حنان الله، لا تذكر، رحمة الله ليس لها نهاية. ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ**﴾**:** ليس فيك عطف ولا حنان ولا محبة. ﴿**لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾**:** لولا هذا الحنان ما اجتمعوا حولك. لكن إقبالك على الله وقربك منه جعل في نفسك عطفاً ورحمة. ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ**﴾**:** من نفسك عن الذين تراجعوا، ولا تفاتحهم بعملهم. ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾**:** ادخل بهم عليَّ، اجعل قلبك يميل نحوهم حتى يرتبطوا بك ويصلوا إلى الله، يجب أن تحصل الرابطة بين المرشد والمريد. ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾**:** حتى تطيب نفوسهم ومراضاة لهم. ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ**﴾**:** بما رأيت من الحق فامضِ ارجع إلى رأيك أخيراً وتوكل على الله. ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾**:** إذا رأيت الحقَّ سِرْ به. ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾**:** الخاضعين للحق المستعينين به تعالى.

160- ﴿**إِنْ يَنصُرْكُمُ اللَّهُ**﴾**:** إن كنت طاهراً نظيف القلب. ﴿**فَلَا غَالِبَ لَكُمْ**﴾**:** النصر بيد الله وحده، لا فعّال سواه، كل واحد يعطيه ما يناسبه فلم تخاف ﴿**وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ**﴾**:** بسبب ما في نفوسكم. ﴿**فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ**﴾**:** هل غير الله؟ سيارة بدون مسيِّر هل تمشي؟ هذه الأرض من يسيرها؟ من يحملها؟ هل يوجد فعال سواه؟ كل الكون يسيّره وتركك سدى وحدك؟ طهّر قلبك والله ينصرك، الخذلان منك والنصر من الله. استعن بالله، والله لا يعينك حتى تكون طاهراً ونيتك سليمة تجاه الخلق. "ظالم لا تكن من الدعاء لا تخف". ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾**:** يتوكلون على الله يمشون بطريق الحق ويستعينون بالله فيسيِّرهم.

سورة آل عمران: [161-170]

161- ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ**﴾**:** لا تظن أيها المؤمن الذي توليت يوم أحد أن رسول الله ﷺ بنفسه شيء من غل عليك، لا تظن أن بقلبه حقداً عليك. فرسول الله عرف سبب هربك، كان بنفسك شيء من ميل للدنيا فهربت، لقد عرف أن نفسك فيها شيء فجازاك الله عليه فالرسول يحزن ويشفق عليك ويطلب لك الشفاء فما كان لنبي أن يغل، لا يحقد على أحد لأنه رأى الحق، شاهد الحق، لا يقول فلان قابلني بكذا، أنت تقول فلان وفلان والحقيقة أنه ما من أحد فعل معك شيئاً أنت فعلت فرجع عليك. ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ**﴾**:** منكم يا عبادي أيها الخلق، ينسب الأفعال للناس، يحمل الحقد عليهم، الذي يغل يرى الإنسان فاعلاً ولا يرى الفاعل هو الله. ﴿**يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾**:** المؤمن لا يحقد على أحد قط،

المؤمن سموح، فإن آذاك شخص ما فأذاه لك إنما هو منك أنت مما في نفسك. لا يوجد ظلم كل إنسان ينال حقه، الله تعالى أرسل لك العلاج. ﴿**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره، وليس هنالك ظلم، بل كل إنسان سينال حقه.

162- ﴿**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ**﴾: انظر فضل الله عليك ونعمته. ﴿**كَمَنْ بَاءَ بِسَخْطٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾: هل سيرهما مثل بعضهما؟ البعيد عن الله حيوان، المقبل إنسان. انظر أحوال المؤمن عمله، شغله، معاملته للناس، فالله يطلب منا الإيمان ليدخل بقلبنا الرحمة والإحسان. لنعامل بعضنا بالمعروف، فيتفضل علينا بالخيرات. ﴿**وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ**﴾: الذل والحقارة. ﴿**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾: النار غداً ستقع عليه.

163- ﴿**هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ**﴾: كل من الإيمان والكفر درجات، أهل الجنة كلٌّ درجته بحسب قربه، وأهل النار كلٌّ درجته بحسب بعده. ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾: كل واحد بحسب عمله وما اكتسب.

164- ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾: الذين آمنوا، الله تعالى منّ عليهم منّاً كبيراً. الإنسان أعطاه الله قابلية لأن يصبح إنساناً بدون مرشد أو دليل لكن من فضله عليهم أن بعث فيهم رسولاً، ودوماً ملك يناديك في نفسك، فيا إنسان عندك أهلية لأن تصبح مؤمناً دون أن يأتيك هادٍ.

(كيف؟): بواسطة الفكر الواسع الذي أعطاك الله إياه، فكِّر واسع، استفد منه لا تهمله فإن صدقت بطريق الحق وصلت.

إذن: يفهم هنا أن بإمكان الإنسان أن يصبح مؤمناً بدون واسطة ولا دليل، فإن صار مؤمناً بعد أن وصل بفكره إلى لا إلّه إلا الله، فلا بد له بعد ذلك من مرشد يدله على طريق التقوى، حيث أن التقوى لا تحصل إلّا برسول الله ﷺ وهذا المؤمن صار بإمكانه أن يرتبط برسول الله ﷺ ليهتدي به.

فوق هذه الأهلية أرسل لك الرسول يدعوك ويبين لك: ﴿**إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾: فالله أرسل لك رسولاً وفي كل زمان مرشداً دلَّهم هذه الدلالة العالية، فمن يفكِّر هذا هو الذي منَّ الله عليه، المؤمن يرى هذا المنَّ، هذا الفضل. علامة الإيمان يكون بتقدير هذا الفضل إذا عرف الإنسان قيمة الدلالة والمعرفة ورأى فضل رسول الله ﷺ أو فضل مرشده، هذه هي علامة الإيمان. المؤمن يقدِّر ومن لم يصل إلى الإيمان لا يقدِّر. أصحاب رسول الله ﷺ بسبب تقديرهم لرسول الله ﷺ تفانوا في الدفاع عنه وفي حبِّه، المؤمن يقارن بين حاله بالماضي والحاضر، المؤمن يعرف أن هذا الخير الذي ناله بسبب رسول الله ﷺ. هو بشر مثلكم، ولكن بأخلاقه وكماله وإحسانه متفوق عليكم. المؤمن بإقباله على الله يصبح صاحب كمال فيقدِّر كمال رسول الله ﷺ فيحبّه. ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾: الدالة على لا إلّه إلا الله، يدعوك للتفكير بها. فكِّر بالشجرة. بالكرة الأرضية كيف تجري، بالليل والنهار، ببدايتك ونهايتك تشاهد لا إلّه إلا الله، انظر بالشمس، القمر، فائدته كيف يجري كلها آيات دالة على حنان الله ورحمته، فمن رتب هذا النظام.

﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾: الدالة على حنان الله ورحمته وعدله وحكمته، الحمد لله رب العالمين... مالك يوم الدين. أنت بنفسك كنت تستطيع أن تفكِّر بالشمس والقمر لكنه تعالى منّ عليك تفضلاً منه ببعثه الرسول. ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾: بهذه التلاوة والتفكير آمنوا بلا إلّه إلا الله فصارت نفوسهم مستقيمة ضمن سور، كلهم معروف وحنان أقبلوا وزكت نفوسهم أي طهرت وكملت. ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾: بهذه التلاوة. لأن الإنسان متى عرف رحمة الله وعدله، وبمشاهدة الرحمة الشاملة تقبل النفس على الله صاحب الرحمة والسمو، فتطهر وينطبع فيها الكمال. ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾: بالإقبال على الله تتزكى النفس فتزول الأدران ويحلَّ محلها الكمال فيستقيموا وتحصل لهم الثقة بأنفسهم، فيقبلون على الله وتزكو نفوسهم وتشتق الكمال من حضرة الله، فتحب أهل الكمال وسيد الكاملين رسول الله ﷺ، عندئذ بمحبتهم له

يتعلمون الكتاب والحكمة من لوحه المحفوظ. ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**﴾: ما كتب في نفسه ﷺ من الحق. إن ما آمنت وطهرت، لا تصل لرسول الله ﷺ، لا تحبه، إن لم تحبه لا تصل نفسك إليه، إذا كملت أحببت رسول الله ﷺ وصرت قريباً منه، فتجتمع نفسك وتلتقط منه المعاني التي طبعت في نفسه الشريفَة بما يتناسب وبما طبع في نفسك بإقبالها. ﴿**وَالْحِكْمَةَ**﴾: منه، أي مراد الله من أوامره كلها.

﴿**وَإِنْ كَانُواْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾: الإنسان بالأصل لا يعرف شيئاً لما استدل بلا إلّه إلا الله وصار له صلاة ورفقة مع رسول الله ﷺ، حاز علم ومعرفة. إذن قربك من الله يعلمك الحقائق.

هذا ولا تطهر النفس إلَّا بالله وبالإقبال على الله يكتسب الإنسان. فالكمال مكتسب، والرذيلة مكتسبة، فإن أقبل على الله اكتسب الكمال، وإن التفت عنه وتولَّى نحو الشيطان اكتسب الرذيلة.

الإنسان لديه إمكانية عالية جداً وأهلية كبرى يخترع ما يخترع بسبب هذا الفكر، فإن استعمله في معرفة الله كم ينجب وكم يسمو. الله عادل، مهما علوت، مهما كنت وكان عليك استحقاق بمقدار شعرة لقاصصك تعالى عليه. فالدنيا مؤقتة لا تتعلق بها، لا تضع حب الدنيا بقلبك.

165- ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ**﴾: في أُحُدْ وغيرها. هذا الخذلان ما سببه؟ بسبب الميل للدنيا. ﴿**قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا**﴾: أولاً: الرسول نهاكم عن مفارقة الموقع في الجبل. ثانياً: مِلْتُم للغنيمة، أنتم ما جئتم لأخذ مال هذا الإنسان، بل للأخذ بيده وإنقاذه. ﴿**قُلْتُمْ أَنَّى هَـٰذَا**﴾: فهذا كله منك، بنفسك أوساخ كثيرة، بالتجائك إلى الله تذهب كل هذه الأوساخ. الله تعالى حليم على الإنسان، لا يبادر الإنسان رأساً بالعقوبة، يمهله. ﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ**﴾: إذاً الخير من الله تعالى، الشر من نفسك، أنت ما سمعت، لو أنك لم تعمل لما جاءك، عملت فجاءك، فبوضعكم حب الدنيا بقلوبكم ومخالفتكم وصية رسول الله ﷺ جاءكم البلاء، ارجع إلى الله يرفع عنك البلاء. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: يعطي كل شيء على قدر حاجته، فكل عمل يعطيك الله عليه بحسبه إن كان خيراً، أو كان شراً، كل شيء بمقدار ما يناسبك. الصحة بمقدار، المرض بمقدار، الغنى، الفقر. ماذا يقتضي الأمر يعطيك، كل إنسان ينال حقَّه. الفاعل هو الله. لا تغمض عينك فلا يصيبك مكروه. بحسب إقبالك يعطيك، وبحسب إعراضك يعطيك، بمقادير.

166- ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ**﴾: لما ملتم حوَّل النصر عنكم حتى تتوبوا وترجعوا إلى الله، وتخرجوا حب الدنيا من قلوبكم. وكل أمر يقع فبحسب حال الناس. ﴿**وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: يظهر ثبات المؤمنين، ابتلاهم بهذا ليظهر حالهم وثباتهم وليظهر أهل الإيمان.

167- ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ**﴾: ليكشف حقائقهم. لا بد لكلِّ إنسان أن تظهر حالته ولو قبل الموت. يوم القيامة يرى كل إنسان عمله، مع علمه تعالى بك يريك عملك، لتشهد على نفسك. ﴿**وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ**﴾: طلب منهم الرسول ﷺ الخروج. ﴿**فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُواْ**﴾: ادفعوا العدو، دافعوا عن بلادكم.

﴿**قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ**﴾: هذا هو الكفر، أي ما عرفوا لا إلّه إلَّا الله، ظنوا أن الخروج للحرب فيه الموت. فلما صار الخلاف بالخروج وعدمه رجع المنافقون، والآن تحيَّلوا بهذا القول. وهذا يبيّن أن للمنافق شيء من الإيمان أما الكافر فهو خلوٌّ منه. ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾: يقولون لا إلّه إلّا الله، آمنا بالله، لكن قلوبهم ليست مؤمنة بهذا. ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**﴾: نيتهم وعملهم معلوم عند الله، الله عليم بحالهم، نيتهم وعملهم معلوم عند الله. ماذا يفيدهم القول، لا بد من التحقيق بالإيمان، على الإنسان أن يفكِّر بالكون، أن يستدل على الله حتى يصل للإيمان، هذا، والمنافق بين حدَّين فإن غلب إيمانه أصبح مؤمناً، وإن غلب كفره صار كافراً.

168- ﴿الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ﴾: الذين ذهبوا للجهاد. ﴿وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾: أي ما أصابهم هذا، مع أن ذلك ليس بصحيح. كذلك يقولون لو فعل فلان كذا ما أصابه هذا الشيء، مع أنه لا بد من ذلك، الذي فيه مكروب لا بد له من الدواء. طهّر قلبك يذهب عنك ما أنت فيه. ﴿قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾: إن كان حقاً ما تقولون، خلصوا أنفسكم من الموت، ادفعوا الموت عنكم عندما يأتيكم ولو كنتم في بيوتكم. ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: بهذا الادعاء.

169- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: أيّها المنافق. ﴿الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً﴾: لهم وارد لا ينقطع ذلك بما أثمر عملهم. الذي يخرج في سبيل الله عمله دائم الخير عليه، ولو مات صورةً لكن الخير جاري عليه إلى يوم القيامة، إلى ما لانهاية. ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾: خيرات البشر كلهم بصحيفتهم. كمثل شخص سافر لبلد وله في وطنه الأصلي أملاك، فبين حين وحين يأتيه ريعها.

170- ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: جاءهم نعيم أبدي لا نهاية له. فهم مغتبطون بما نالوا. ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾: هذا حال المؤمن يفرح لغيره. كمن عرف نتيجة غيره في الفحص، قبل أن يعلم هو بالأمر، يفرح له. ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: والمؤمنون المرتبطون برسول الله ﷺ لا خوف عليهم من الميل إلى الدنيا. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على الدنيا، لأنهم صاروا أهل تقوى.

سورة آل عمران: [171-180]

171- ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: وهكذا المؤمن حتى بعد الموت يظل يفكر بإخوانه طالباً لهم الخير ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: نفوسهم مقرة بفضل الله. هذا الإنسان الذي عرف لا إلٰه إلَّا الله يعرف الحمد لله رب العالمين، يرى فضل الله عليه. وهكذا فالمؤمن في الدنيا يعرف نفسه أنه من أهل السعادة، إذ يرى عمله، لذا هؤلاء الذين لم يلحقوا هم دوماً مستبشرون. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: هؤلاء الموجودون، ثقتهم بالله عظيمة.

172- ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: يوم أحد، أمرهم الرسول باللحاق بالعدو فاستجابوا. حيث دعاهم الرسول ثانية لملاحقة قريش ولما ينفضوا عن أنفسهم غبار أحد. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾: شوّقوا الآخرين للحاق بالعدو وشجّعوهم. ﴿وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ لهم مغفرة وأجر عظيم. وهم الصحابة الصادقين الأوائل.

173- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾: هؤلاء طهرت نفوسهم بما أصابهم يوم أحد فتابوا ورجعوا، فصارت قلوبهم قوية بإيمانهم. ما خافوا لأنهم يعلمون أن الله حتماً ناصرهم، لأن غايتهم أصبحت لمرضاة الله، ونيتهم طيبة يبتغون رد الناس للحق. فالآن لحقوا بهم لا لغاية إلَّا ردَّهم إلى الحق ليصبحوا من أهل السعادة من أهل الجنة، لذلك لا بد أن الله ناصرهم، هذا هو الجهاد.

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: حسبنا الله، حسابنا على الله، هو المحاسب عنا ونعم الوكيل، وكل ما يأتينا تعالى به كله خير وفضل وإنعام، فسلمناه أمورنا تسليماً. ما خافوا وفرَّ المشركون. قال أبو سفيان: لولا أن معهم قوة كبيرة لما لحقوا بنا، ففرَّ وعاد الرسول بوقعة أحد من حمراء الأسد منصوراً، وفتَّ ذلك في عضد المشركين. فالجهاد أن تنقذ أخاك من الهلاك ومن البلاء، من الكفر والضلال، وأن ترشده لطريق السعادة، للإيمان الذي به يخلص.

174- ﴿**فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ**﴾: عادت لهم الغلبة حيث فرَّ المشركين وعادت للمسلمين هيبتهم. ﴿**لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾: ولم يمسسهم سوء، حيث أنهم خرجوا من الحرب ولكيلا يتعبوا دبَّ تعالى الرعب بقلوب الكفار وأخزاهم. ﴿**وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ**﴾: ما صار لهم حرب ولكن كسبوا رضاء الله. فإن صار قتال ففيه خير، أو هزيمة ففيها خير أيضاً. ﴿**وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾: والله تعالى هو الناظر الفعَّال يسوق المناسب. وقد شفى المؤمنين ونصرهم.

175- ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾: من الإنفاق وإتباع ما أمر الله. الشيطان ما عرف لا إلَه إلَّا الله، عرف الخالق، عرف الرب، لكنه رأى أن خالقه ظلمه، كذلك كل من سلك مسلك الشيطان، فهو ولي الشيطان يخوِّفه يحببه بالدنيا، يخوفه من الموت، من الفقر، ليظل سائراً بالطريق المنحط، هكذا فعل بالمشركين بعد أحد، ففروا. ﴿**فَلاَ تَخَافُوهُمْ**﴾: لأنهم جبناء. ﴿**وَخَافُونِ**﴾: المؤمن يخاف من نفسه أن تشذ فيعطى الدواء المناسب. ﴿**إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾: فلا تخشوا إلَّا الله.

176- ﴿**وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ**﴾: ممن لم يعرفوا حق الله، ولم يقدِّروا إحسانه. كان ﷺ يبكي على الناس كثيراً لرحمته. ﴿**إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئاً**﴾: هؤلاء بيّنا لهم طريق الخلاص والسعادة لكنهم هم ضلوا عنه فلم يعرفوا حق الله ولم يقدّروا إحسانه. ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ**﴾: هكذا يقولون! هل هذا ظنهم بالله، ظنهم السوء؟! لا ليس الأمر كما ظنوا، بل خلقهم للسعادة. ﴿**وَلَهُمْ**﴾: على هذا الظن. ﴿**عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: بهذا القول، الذي يقول هذا للجنة وهذا للنار، هذا ظنه سيء بالله، ينسب لله عدم العلم.

177- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ**﴾: صرف فكره كله للدنيا، هذا هو الكفر ﴿**لَنْ يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئاً**﴾: ضرُّوا أنفسهم، إذ خسروا خيراً كبيراً. ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: غداً على هذا. على المؤمن أن ينظر لنهاية هذه الدنيا، مهما عشت هنا ما هي النتائج، مهما اغتنيت، مهما ومهما، الله تعالى أخفى أمر الموت ليظل الإنسان خائفاً، قد يموت الإنسان صغيراً أو شاباً، بعضهم يقول أنا صغير، مع أن الإنسان إذا كبر من الصعب رجوعه وسيره بالحق. أصحاب رسول الله ﷺ كانوا كلهم شباباً إلَّا ما ندر، كبار المشركين عارضوا ثم ساروا، والذين ساروا من بعدُ ما سبقوا.

178- ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ**﴾: طلب الجاه، البناء، المال، الوظيفَة، هذه الأشياء التي أعطاه الله إياها ليست بخير، لكن نفسه خبيثة مليئة بالخبث ولذلك حتى يخرج هذا الخبث من نفسه، أعطاه الله ما أعطاه. ومن بعدها مداواة شديدة لعله يشفى من أمراضه. هذه الدنيا مع الكفر ليست نعمة، النعمة أن تقوم بالمال بعمل طيب، وبالوظيفة بالإحسان.

﴿**إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً**﴾: لنخرج من نفسه الخبيثة خبثه لأنه تراكم في أنفسهم، شهوته إلى المال، السيارة، المزارع... نعطيه إياها لتخرج من نفسه ومن بعدها: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾: مداواة شديدة لعله يشفى من أمراضه لعله يرجع. مهين: منحط، غداً سيرى حقارته، الكل يتباعد عنه يشمئزون منه فهو وحده، وفي البرزخ كذلك وفي النار كذلك وحده، من رائحته النتنة.

179- ﴿**مَّا كَانَ اللَّهُ**﴾: يا إنسان. ﴿**لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ**﴾: لا بد من مواقف يظهر فيها عملك، إذا آمنت حقّاً لا بد أن يظهر عملك، غداً لا يقول هذا للجنة، هذا للنار، لكن يظهر عملك أولاً للخلق. ﴿**قُل فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾[16] الصوم والصلاة والعبادة لفعل المعروف والخير. ﴿**حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾: يظهر لكلِّ إنسان ثوبه، لا بد أن يظهر معدنك، وراء الصلاة ينتج عمل الخير،

[16] سورة الأنعام – الآية:149.

فإن عملت الخير كانت صلاتك منتجة وإلّا فلا. ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ**﴾: لا يقول غداً هذا للجنة وهذا للنار، دون بيان أحوالهم، وأن فلاناً خير من فلان، وكل إنسان يصيبه ما كسبت يمينه، لا تقل فلان السبب. العبرة للصلاة خيرك بالصلاة ورقيّك ولا تأخير من أحد. ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾: يجتبي من طريق رسله، ممن تابع رسله، من المرشدين إن تابعتهم طبقت دلالتهم اجتباك أظهرك وأعطاك. عليك بالسير بما سار عليه رسول الله ﷺ. كل المؤمنين يجب أن يكون عملهم واحداً

﴿**فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾: إن ما آمنت بلا إلَه إلّا الله وبرسول الله ﷺ لا جدوى لك مهما فعلت. ﴿**وَإِنْ تُؤْمِنُواْ**﴾: بالله ورسوله. ﴿**وَتَتَّقُواْ**﴾: بعد الإيمان. ﴿**فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾: الذي يؤمن يقدِّر دلالة الله فتحصل له التقوى، إن آمنت نلت التقوى، إن اتقيت كان لك أجر عظيم.

﴿**فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾: آمن بلا إلَه إلا الله، إن آمنت بها آمنت برسول الله، إن آمنت برسول الله صارت لك التقوى. هل آمنت أن كل شيء في الكون بيده وأن يدك لا تتحرك إلا به، فالتقوى تريك طريق السعادة فتعمل فتنال الأجر العظيم وذلك المراد من قوله تعالى: ﴿**وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾: فالله تعالى أخذ علينا العهد أن نسير بنور الله. ﴿**وَإِن تُؤْمِنُواْ**﴾: بالله ورسوله: إن آمنت افعل المعروف، بالمعروف ثقة، إقبال، كمال: حب لأهل الكمال. الحب لا يكون لأهل الكمال إلّا إذ صرت من أهل الكمال وهذه الدنيا وهذه ثمرتها.

180- ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ**﴾: الأغنياء الذين لا يزكُّون. ﴿**بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾: أعطاك القوة، الجاه، المال، لتعمل المعروف فما استفدت منها. ﴿**هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ**﴾: عليهم. البخل: هو حرمان من الخيرات. ينظر لنفسه غداً، يجد أنه ما فعل شيئاً. ﴿**سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: عمله، بخله يحيط به كثعبان يطوّقه. ﴿**وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾: كله عائد لله ستموت وتترك الكل، خذ "عبّي" ما شئت من الدنيا، كله ستتركه وسيتركه ابنك من بعدك، لن تأخذ شيئاً من الدنيا. ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾: الله خبير بكلِّ إنسان ومداواته، البخيل ما كسب خيراً، هذا البخل شر.

سورة آل عمران: [181-190]

181- ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ**﴾: وهم اليهود. ﴿**وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾: نحن عائدة لله. أوَلم يروا أن الكون كله بيد الله. لكنهم عميان لا يرون. ﴿**سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ**﴾: قالوا لِمَ كلَّفنا بالعطاء، ليعطيهم هو، سبب قولهم هذا. ﴿**وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾: جرَّهم لهذا القول أنهم تبعوا آباءهم الذين قتلوا الأنبياء بغير حق. لأنهم جاءوا بخلاف رغباتهم. اتّبعوا دلالة الذين عارضوا أهل الحق. ﴿**وَنَقُولُ**﴾: غداً للفريقين. ﴿**ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾: لا موت بالآخرة.

182- ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾: كل واحد منّا هكذا يخاطب. ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾: حاشا أن يظلم، أعطاك كل شيء لئلا تقع، مع ذلك أعرضت.

183- ﴿**الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ**﴾: هكذا قالوا لرسول الله ﷺ ادَّعوا ذلك. ﴿**قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ**﴾: من معجزات. ﴿**فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾: إن كان قولكم صحيح ما قتلوا إلّا الأنبياء. لماذا الآن لم يُعْطَوا هذه المعجزة بعهد رسول الله ﷺ؟ لأنهم إن لم يؤمنوا أهلكهم.

184- ﴿**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُوا بِالْبَيِّنَاتِ**﴾: مثل عيسى عليه السلام. ﴿**وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾: الزبر، البيان القاطع. المنير: الظاهر. كثيرون قبلك بيَّنوا وجاءوا بمعجزات فما آمنوا، فإن لم تفكِّر يا إنسان فلن تغنيكَ المعجزات.

185- ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**﴾: بعد خروج الروح لا عمل لك. الآن لك الاختيار، بعد الموت لا اختيار لك. مهما علوت، لا بد لك من الموت. النفس لا تموت بل تذوق الموت ذوقاً، تخرج الروح من الجسد فتتذوق النفس الموت، وتنتقل من حال إلى حال، إذ يبطل عملها وحركتها، فتلاقي عملها الذي قدمته. نفسك باقية، ستذوق الموت ذوقاً، فعلامَ تتمسك بالدنيا، الموت نعمة للمؤمن، خرجت من المدرسة للوظيفة العالية. ﴿**وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: كل إنسان وما عمل. ماذا حملت هذه النفس من الدنيا "جواهر أم عقارب". ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾: بالسعادة التي خلق من أجلها، فوز أبدي لا خوف عليه بعده. ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾: المغرور بها يظنها شيئاً وما هي بشيء، متاع، المغرور بها يضيعها، لا تغتر بها، اعمل للآخرة لا للدنيا، لا تظن أن الدنيا ستدوم. المغرور بها يضيّع آخرته سدى.

186- ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**﴾: المؤمن يصدر منه غلط فيربيه الله حالاً هذا البلاء يأتيك منك لما في نفسك بغلطاتك فيأتيك التطهير والتنقية. أخرج غشّك من نفسك، لا يبتليك، الابتلاء لما في نفسك، لا بمجرد الإيمان تدخل الجنّة، بل لا بد من التطهير النفسي. ﴿**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾: اليهود والنصارى. ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾: المشركين. ﴿**أَذًى كَثِيراً**﴾: يبلوك لإخراج ما في نفسك. ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُواْ**﴾: على معارضتهم، يجب أن تقول هذا البلاء لإخراج ما في نفسي فتب واصبر وأقر بنعمة الله في ذلك. ﴿**وَتَتَّقُواْ**﴾: صبر مع تقوى، يريك طريق معاملتهم الحسنة. ﴿**فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾: هذا فعل المؤمن القوي الإيمان.

187- ﴿**وَإِذَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ**﴾: اليهود، أخذ عليهم العهد. ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾: لكلام الله وعن رسول الله وصفه أنه الرسول. ﴿**فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ**﴾: ما طبقوا ذلك فعارضوا رسول الله. ﴿**وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً**﴾: كَتَم لتظل له سيادة على الناس، أخفوا سيرة الرسول لتظل لهم مكانتهم ومنصبهم الدنيوي. أخفوا كلامَ وصِفة الرسول. ﴿**فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾:

188- ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ**﴾: ما وصلوا إليه من الدنيا، من شأن، من عز وجاه من منصب. والذي حفظ حفظاً عن غيره هذا لا خير له فيما يحفظ، بل يجب أن تُقبل على الله وينطبع في نفسك الكمال فتتكلم عما انطبع في نفسك. ﴿**وَّيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ**﴾: من الخيرات. يتعلمون الحق بأفواههم، ولم تع قلوبهم من الحق شيئاً ولم يفعلوا فعلاً. ﴿**فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ**﴾: الآن في الدنيا. ﴿**بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ**﴾: لا يخلص، دوماً نفوسهم معذَّبه متألمة. ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: بعدها.

189- ﴿**وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾: الله تعالى هو المالك المتصرف، مالك الكون كله. ﴿**وَاللَّهُ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: يعطي كلاً بمقدار حاله وما في نفسه. فكل شيء وحقه، بمقداره، بحسب ما يستحق وحسب اللازم، الفعال هو الله. حتى تعرف ربك وتكسب الجنان وسعَادة الدنيا والآخرة فكّر بهذه:

190- ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾: من المخلوقات. فكّر بها، تستدل على خالقك وعلى رحمته وحنانه وعطفه. ﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾: طولاً وقصراً، كيف تدور الأرض، ولمَ يطول الليل فيقصر النهار؟

﴿لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾: أهل الصدق هم الذين نفوسهم طاهرة، نجس القلب لا يخطر له شيء، أما المؤمن فهو يرى الآيات، الأرض تدور، يد تديرها وأنت فيها. يديرها وأنت عليها، فهل هو تاركك تمشّي ذاتك بذاتك، أو ليست يده تعالى عليك؟ إذا صدقت عرفت أن الله يعطي كل شيء بمقدار، وأن سير الكون كله بيد الله. هذه الآيات التي في الكون لا تفيدك شيئاً إن ما صدقت. الصدق أساس، إن ما صدقت لا تفكِّر، إن ما فكَّرت لا تؤمن ولا توقن. إن ما صدقت لا تعرف حنان الله، ولا فضل الله، ولا قدر رسول الله ﷺ. إن صدقت رأيت أن الله حليم كريم.

سورة آل عمران: [191-200]

191- ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ﴾: كيفما تحرك يتفكَّر. ذكْرهم لأسماء الله الحسنى بعد أن كانوا يتفكرون في: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: يرى الشمس، القمر، النجوم، الجبال فيتذكر عظمة الله، تفكيره يقوده لتذكر العظمة الإلٓهية. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾: لا عبثاً، لا جزافاً ولا لغير غاية بل لسعادتك، لتتمتع بهذا الكنز العظيم. أخرجتنا للدنيا للعمل العالي، هذا الكون خلق لغاية حتى الإنسان يعمل وينال. ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: استرنا. لماذا نظم هذا الكون؟ سدى!

192- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾: أعطيته كل شيء لكن هو ما فعل، ظلم نفسه. بل بقي جاهلاً أعمى. ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾: بحاله، يقول لك هل نقّصت عليك شيئاً مما يلزمك للهداية؟ أب اشترى الكتب، الثياب، وكل اللوازم لابنه، لكنه هو ما ذهب للمدرسة، فالألم منه ينبعث. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: المريض من يشفع فيه

193- ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾: رسول الله ﷺ والمرشد من بعده. ﴿أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾: فكِّر بهذا الكون من يدبِّر أموره ويديرها؟! ﴿فَآمَنَّا﴾: آمنا بالمربي هذا أول خطوة. ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: أقبل على الله ليشفيك. بالإقبال على الله يُشفى قلبك، ينمحي كل شيء من النفس. ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: في الماضي مما وقعنا به. ما وقع مني من جهالة فلا أراه. كل ما سبق يمحو لك إن أقبلت وأحسنت. ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ﴾: مع أهل المعروف والإحسان الذين فعلوا الخير، أن أفعل الخير الذي خلقت من أجله.

194- ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾: هكذا يقول المؤمن، أهل الصدق يقولون هذا. ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾: من الخيرات، وعد بالجنان. ﴿عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: بما وقع منّا سابقاً. ﴿إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: كلامه تعالى حق بوقت معيَّن.

195- ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾: من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، كلكم واحد. إن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فرق، كل واحد وعمله، فلا تفضيل لأحد على أحد إلَّا بعمله. المجتهد ينال. ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: هاجروا من مكة، أو هجروا المنكر لله، هجروا الرذيلة والأصحاب المنحطين. ﴿وَأُخْرِجُواْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾: بكلام الناس، صاروا يتكلمون عليهم. ﴿وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: لا أريهم سيئاتهم، لأن الإنسان إذا رأى سيئة واحدة لا يستطيع دخول الجنَّة. ﴿وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ﴾: جنة بعد جنة. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللَّهِ﴾: هنا في الدنيا. ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: الخيرات عنده. غداً حسن الثواب. ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...، كل لحظة أحسن من لحظة.

196- ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلَادِ**﴾: ما هم فيه من دنيا، تقلبهم بالوظائف إن كانوا على غير الحق، دنياهم ليست خيراً لهم.

197- ﴿**مَتَاعٌ قَلِيلٌ**﴾: في الدنيا، ما أقرب ما يأتيهم الموت ﴿**ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ**﴾: الذل والحقارة. ﴿**وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾: جهنم تعود عليهم بالبؤس والشقاء الأبدي

198- ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ**﴾: المؤمن الكامل الذي حاز التقوى، آمن بالله وأقبَلَ مع رسول الله ﷺ ورأى الخير خيراً والشر شراً. ﴿**لَهُمْ جَنَّاتٌ**﴾: واحدة بعد واحدة، من جنّة لجنَّة أعلى. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾: على الدوام. ﴿**وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ**﴾: ما عند الله الآن في الدنيا خير من دنيا أولئك.

199- ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾: كبلال وصهيب وكالنجاشي وقد كان عالماً كبيراً، وعبد الله بن سلام وغيرهم واليوم. ﴿**لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ**﴾: من القرآن. ﴿**وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ**﴾: من التوراة. ﴿**خَاشِعِينَ لِلّهِ**﴾: الذي آمن بلا إلَه إلَّا الله هذا يخشع، كيفما تحوَّل يرى الله. ﴿**لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً**﴾: ما سألوا عن الدنيا كلها ﴿**أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾: لا بد أن يعطيهم الله في القريب.

200- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾: إن وقع بلاء بسبب عمل سبق منك.

﴿**اصْبِرُواْ**﴾: على البلاء، على الشدائد، اصبروا على الشهوات، اصبر لا تلج، لا تنكر نعم الله، فتش عن ذنبك، هذا الشيء أخرجه من نفسك والتجئ إلى الله. وزد في الإقبال، واصبروا على إخوانكم لعل تستطيعون نقلهم للإيمان. ﴿**وَصَابِرُواْ**﴾: قل لغيرك أن يصبر عليهم لعل يحصل له ميل للإسلام. مُروا غيركم بالصبر، دلّوا الناس على طريق المغفرة وادعوهم ليصبروا، ادعوا غيركم للصبر، زد في الإقبال. ﴿**وَرَابِطُواْ**﴾: في الجهاد، استعدوا لهم لئلا يغدروا بكم، لا تقعد عن الجهاد، افعل المعروف، اجتهد بالمعرفة لتدل غيرك.

﴿**وَاتَّقُواْ اللَّهَ**﴾: لتحصل لك التقوى. انظروا بنور الله دوماً. ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: لتعمل الخيرات فتنال الجزاء عليها غداً.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن رحمة الله تعالى بعباده تتجلَّى في هذه السورة، بعد أن بيَّن ما بيَّن في سورتي البقرة وآل عمران، ذلك لأن هذه السورة كلها أحكام تبيِّن للبشر طريق السعادة.

سورة النساء: [01-10]

1- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ**﴾: لا تحصل التقوى إلَّا بعد التفكير بالمربي. اتقوه من طريق التربية. هذه السورة كلها أحكام، فبسورة البقرة خاطب الله تعالى رسوله ﷺ. {**الٓمٓ**}: يا أحمد الخلق، يا لطيفاً، يا محموداً. {**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**}: كل ما فيه من أوامر ونواه لا أحد يستطيع أن ينكر حقيقتها مهما كان، لكن بعض العرب في عهد الرسول ﷺ حيث ما كان في نفوسهم كمال، عارضوا رسول الله ﷺ. {**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...**}: الذين فكَّروا واهتدوا إلى الله فكرياً لا عن سماع من أحد. لما جاءوا إلى الدنيا ولبسوها غاب عنهم الوجود الإلَهي، لكنهم فكّروا بالموجودات فدلتهم على الموجد إذ لا وجود بلا موجد وهكذا آمنوا بعد غياب نفوسهم عنه تعالى، لكنهم فكّروا فأنابوا إليه تعالى. {**والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**}[1]: سمع الدلالة عن أبيه عن رسول الله ﷺ ففكَّر واهتدى. الفريقان أولئك على هدىً. فسورة البقرة فيها آيات تدل على المربِّي. وسورة آل عمران وقائع لتثبيت الإيمان، فمن قرأ البقرة حقاً، وقرأ آل عمران حقاً، استطاع أن يفهم الأحكام الواردة في سورة النساء، فهذه الأحكام إن أنت دققت فيها رأيت الرحمة وذلك ما عنته كلمة {**الرَّحْمـٰنِ الرَّحِيمِ**}. وقد ترك لك الخِيرَة في التطبيق، وذلك ما أشارت إليه كلمة {**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**}. إذ خيَّرك هنا، وأخذ منك الخِيرَة في الآخرة. فإن سلكت طريق الحق واستقمت، أقبلت وصارت لك صلة فأحببت بما فيك من كمال رسول الله ﷺ فقلت {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**}: أي بمعيتك يا رسول الله نعبد الله. فإذا وصلت لرسول الله ﷺ ودخلت معه على الله عندها تقول: "اهدنا يا رب"، تطلب منه أن يتجلَّى عليك دوماً بنوره، بطريق التربية، من هذا الطريق اسلك لتحصل لك التقوى، انظر إلى التربية التي منها تصل إلى التقوى. ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾: من آدم عليه السلام، ومن بعده. ﴿**مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾: كل الخلق أي كل البشر من نوع واحد، لا فرق بين أحد وأحد، كل البشر من نفس واحدة، لا يوجد فرق كلهم عندهم أهلية الاهتداء. ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾: جعل هذه النفس نوعين ذكراً وأنثى. ﴿**وَبَثَّ مِنْهُمَا**﴾: أكثر النسل. ﴿**رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً**﴾: كل البشر من هذين النوعين. ﴿**وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ**﴾: أقبلوا عليه وانظروا الأرحام. إنما تعطف على ابنك، أخيك، والدك، بما وضع فيك تعالى من رحمة. ﴿**وَالأَرْحَامَ**﴾: كل من يمتّ إليه، قرابته الإنسانية. البشر كلهم أرحامك، عاملهم بالإحسان كلهم أقاربك. {**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**}[2] ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾: لا يفوته شيء، كُلٌّ يعطيه حقّه. أعطاك الحرية، لكنه رقيب عليك، دوماً معك، عملك سيعود عليك.

2- ﴿**وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ**﴾: لأنهم رحمك. إذا وقع بيدك ماله لا تأكله. ﴿**وَلَا تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ**﴾: لا تبدلوا حالكم الطيِّب بالخبيث. ﴿**وَلَا تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ**﴾: كُلْ شيئاً تطيب به نفسك. ﴿**إِنَّهُ**

---

[1] سورة البقرة – الآية:3–4.

[2] سورة فصلت – الآية:34.

كَانَ﴾: أكل مال اليتيم. ﴿**حُوباً كَبِيراً**﴾: وحشة، ذنب، هلاك، جهل كبير، منتهى الجهل، الدنيا قليلة، غداً حياة لا نهاية لها، فالذي يضيّعها يكون أجهل الجهلاء.

3- ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى**﴾: عدم العناية بالتمام. ﴿**فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ**﴾: تتزوج الأم أو تزوجهن أو إنكاحهن من ابنه. إذا خفت ألا تسوس الأيتام وتؤدي لهم حقوقهم والعناية بهم فتزوج أمّهاتهم. ﴿**مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾: ففي حال الحروب عند وفاة الأزواج لك الحق بالتزوّج. ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً**﴾: إذا وجدت نفسك لا تستطيع القيام بحق النساء فتزوج واحدة، لا تتزوج أكثر. ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُواْ**﴾: تميلوا عن الحق. أقرب شيء ألا تخرج عن العدل.

4- ﴿**وَآتُواْ النَّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ**﴾: المهر تصل به لصداقتها. ﴿**نِحْلَةً**﴾: صار حلاً لها. تستحليه منك. ﴿**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ**﴾: بما ملكته ﴿**مِّنْهُ نَفْساً**﴾: سامحتك بشيء من المهر من نفسها. ﴿**فَكُلُوهُ**﴾: لا مانع عندها. ﴿**هَنِيئاً مَّرِيئاً**﴾: بسرور لا غصة فيه.

5- ﴿**وَلَا تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ**﴾: الجهلاء؛ صغاراً أو كباراً من لا يدرك الإدارة، كالجاهل أو الطفل، لا تعطيه ما وضع تحت وصايتك. ﴿**الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً**﴾: صرتم قياماً عليها ﴿**وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا**﴾: بأن تتاجروا بها وترزقوهم. شغّل له ماله وارزقه منه. ﴿**وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً**﴾: مناسباً حسناً. يعاملهم كما يعامل أبناءه.

6- ﴿**وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ**﴾: جربوهم بإدارتها. إذا كان تحت ولايتك يتيم مرّنه على العمل، لا تعطه ما وضع تحت وصايتك حتى يصبح عنده أهلية، وذلك أثناء إدارتها في صغرهم. ﴿**حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً**﴾: في الإدارة، صار أهلاً ﴿**فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾: عندها تسلمه أمواله. ﴿**وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً**﴾: بأن تبذّر له بماله فتشتري له أشياء لا لزوم لها. ﴿**وَبِدَاراً**﴾: بدون تفكير. تصرف بدون أن تبحث عن وجه اللزوم.

﴿**أَنْ يَكْبَرُواْ**﴾: فلا يجدون شيئاً. ﴿**وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ**﴾: عنها ﴿**وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾: يأخذ بقدر أجر المثل مما يأخذه في يومه. ﴿**فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ**﴾: بياناً للحق. ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً**﴾: ناظراً محاسباً لكم على ما تبدونه وتقومون به من عمل إنساني، أو بالعكس، فإذا آمنت بالربوبية والألوهية، رأيت الرحمَة الإلَهية.

7- الميراث: ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً**﴾: ضرورياً لحياتكم. لا جزافاً، كل واحد وله حصة، كل واحد حصته مناسبة له.

8- ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ**﴾: فيأخذ كل منهم حقه، ميراثه. ﴿**مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً**﴾: الوصية توزع على أصحابها بالتمام، ويجب أن تخاطبه بكلام معروف.

9- ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ**﴾: على الولي أن يفكّر لو أن له ذرية فكيف يود أن تعامل من بعده، فليعامل هذه الذرية بالإحسان وليخشَ الله في توزيع الثروة عليهم. ﴿**وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً**﴾: عملك يعود عليك، إن كنت تخاف على أولادك عامل من وليت عليه ووصيت عليه بالخير.

10- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾: أمر عظيم. ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾: والآن حيث الناس في غفلة لا يدرون عواقب نتائج أعمالهم. غداً تحترق نفسه من عمله، يرمي نفسه في النار لينسى آلامه. ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾: كل واحد وعذابه بسعر ما عمل، كما تُسعَّر الأشياء بحسب قيمتها.

سورة النساء: [11-20]

11- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾: بالإرث: المرأة تتزوج والرجل ينفق عليها، الولد بحاجة لمال أكثر لحاجته للزواج، لذلك له ضعف. ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾: أولاد إناث، بنتان أو أكثر يرثن من الأب 3/2 "ثلثان" ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾: والباقي للأب 3/2 "ثلثان".

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾: الإخوة يساعدون الأم لذلك ينزل حقها للسدس. ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾: أعط كلاً حقّه، لا تفضل أحداً من ورثتك. ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً﴾: بتطبيقها تنالوا الخيرات.

12- ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾: الرجل يأخذ النصف في حال عدم وجود الولد. ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: إن وجد لها ولد يأخذ الزوج الربع والأولاد 4/3 "ثلاثة أرباع"، كل هذا يبين حنان وعطف ورحمة الله. ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَلَدٌ﴾: لها الربع إذا لم يكن لها ولد. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: حيث أولادها يتكفلون بها. ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾: لا أحد له ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾: لا أب ولا ولد. ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾: من أم. ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾: لهم الثلث. ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾: بوصيّة. ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾: حليم، يقاصصك إن خرجت فلابد من المؤاخذة.

13- ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يسمع كلام الرسول. ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: إذاً الأمور بحسب العمل، ما خلق الله واحداً للجنة وآخر للنار. ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: هذا هو الفوز لا الدنيا ومناصبها.

14- ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا﴾: في الدنيا: يسوق له بلاء فيه إهانة وانحطاط. ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: لا بدّ له من السقوط والإهانة مهما طالت به الأيام.

15- ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾: من المؤمنين. ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾: احبسها في المنزل، حيث تغدو مطمعاً لعميان القلوب وضعاف النفوس، وكذلك هو، فأين الرجم؟!!! الرجل ينفى من بلده. ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾: لعلها تتوب وتتزوج ويرضى بها أحد بعد توبتها فيتزوجها.

16- ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾: الرجل والمرأة اللذان يأتيانها. ﴿فَآذُوهُمَا﴾: بالجلد مائة جلدة، والحبس والنفي. ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾: هذا الشيء كله من حنان الله، رحمةً بعبده حتى لا يتعذب غداً، حتى يتوب ويصير إنساناً، فالله رحيم بالإنسان، كل هذه الحدود رحمة.

17- ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ**﴾**:** لا يعلمون ما في الإثم من الضرر والأذى. هذا الحدّ له لأنه جاهل، لو يعلم ما في الزنى ما فعله. ﴿**ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ**﴾**:** عند الحد يرجع يتوب. ﴿**فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾**:** فيتوب تعالى عليه، يقول يا رب، فيقول له: "لبيك عبدي".

18- ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ**﴾**:** هذا لا توبة له، ذلك لأنه لا عمل خير له، فلا يجد ما يدفعه للإقبال على الله لتطهر نفسه. ﴿**وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾**:** أيضاً أولئك لا يستفيدون حيث لا عمل لهم، في الآخرة جنة أو نار، بما أنه ليس له عمل لذلك لا جنة له ومصيره للنار، أما إذا عمل قبل موته ولو قليلاً فمقرُّه إلى الجنّة.

19- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُواْ النِّسَاءَ كَرْهاً**﴾**:** تبتزوا أموالهن. احذر أن تخلصها مالها. ﴿**وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ**﴾**:** تنبذوهن، تضايقهن حتى يستغنين عن أموالهن ضجراً منكم. ﴿**لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ**﴾**:** تضايقها لتطلب الطلاق ثم تأخذ مالها. ﴿**إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾**:** لا تهينها هذه مثلك، الله رقيب عليك، أمانة عندك عاملها بالإحسان. ﴿**فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ**﴾**:** وصبرت. ﴿**فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**﴾**:** إن كرهتها وصبرت لله فلك أجر عظيم. وهكذا فالطلاق لا يريده الله تعالى لك، إذا استطعت افعل المعروف والإحسان، اصبر عليها وافعل الخيرات. إن كنت تزوجت بها لا لشكلها بل رحمة بها وإشفاقاً عليها، أي لغاية إنسانية لوجه الله، ثم نفَرتْ نفسك، فلا تردَّن على نفسك بل عاملها بالإنسانية، ولا تبدِ لها نفوراً، فلك بذلك أجر عظيم عند الله، وعملك خالص لوجه الله، عمل إنساني لا نفساني أناني. لا لدنيا بل لله.

20- ﴿**وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً**﴾**:** أصبح المهر من حقّها. ﴿**أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً**﴾**:** ترميها بجرم كذباً لتأخذ مالها منها!

سورة النساء: [21-30]

21- ﴿**وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ**﴾**:** بالمودة. وبما كان بينكم من رحمة. ﴿**وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِّيثَاقاً غَلِيظاً**﴾**:** عند العقد أن تظل عندك لنهاية الحياة، على هذا رضيت معك بنكاحها، إن آمنت بالمربي، ثم بلا إلَه إلَّا الله طبَّقت كلام الله.

22- ﴿**وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ**﴾**:** بعد طلاقها أو وفاته. ﴿**إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾**:** ما حصل في الجاهلية. ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً**﴾**:** مخزياً. ﴿**وَمَقْتاً**﴾**:** يورث لك المقت، حيث هو شاب وهي مسنَّة. ﴿**وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾**:** لا يأتي الولد صحيح البنية، إذ يكون ضعيفاً بسبب عدم الميل إليها.

23- ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ**﴾**:** بنت زوجتك التي دخلت عليها لا تحل لك. ﴿**فَإِنْ لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**﴾**:** إن ما دخلت على الأم يجوز لك طلاق الأم وزواج البنت. ﴿**وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ**﴾**:** امرأة ابنك. ﴿**وَأَنْ تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾**:** أي بالجاهلية. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾**:** لما يعود عليكم من الضرر الشامل والأذى بمخالفتها.

24- ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾**:** التي لها زوج: محرّمة. ﴿**كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾**:** طبقوه. ﴿**وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ**﴾**:** أي على طول. ﴿**غَيْرَ مُسَافِحِينَ**﴾**:**

لا زنى. ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾: أعطها مهرها. ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ**﴾: يكفيه دفع المهر بدون هدايا أو ذهب إن تراضيا، فبالمهر يكفي. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾: يعطي كُلاً بحسب نيته وعمله.

25- ﴿**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً**﴾: ليس لديه مال. ﴿**أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾: ليس معه مال أن يتزوج محصنة مؤمنة. ﴿**فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾: من السراري اللاتي هنَّ مربَّيات عند مؤمنة. ﴿**مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾: تربَّتْ عند النساء المؤمنات، أما إذا جاءت من الحرب رأساً لا يصح أن تكون زوجة، إنما هي ملك يمين. ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ**﴾: الأمر متوقف على الإيمان، الإيمان يرفع شأن الإنسان، لذلك المؤمنة مهرها عالٍ، الكافرة عدم إيمانها حطَّ من قدرها، لذا مهرها قليل. ﴿**بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾: في الأصل، لكن الإيمان والكفر جعل التفريق. ﴿**فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ**﴾: اخطبها ممن يربونها. ﴿**وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾: بحسب المعروف. ﴿**مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ**﴾: مؤقت. ﴿**فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**﴾: تجلد خمسين لأنها جاهلة، الجاهلة يخفَّف عنها، كل واحدة ولها معاملة. ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ**﴾: السماح بالزواج منهن لمن خشي على نفسه الوقوع في الزنى. ﴿**وَأَنْ تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾: لأن أولادها يخشى عليهم أن لا تحسن هذه المرأة تربيتهم. ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾: العلاج بمقتضى المناسب.

26- ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ**﴾: هذه الدلالة كلها لتبيِّن لكم طريق الجنة والسَّعادة ﴿**وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾: من آدم عليه السلام هذا فعل المؤمنين، هذه شريعة الله. ﴿**وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ**﴾: لتدخلوا الجنة ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾: أنت تختار وهو يسوق لك ما يناسبك، عليم بما في نفسك، وهو يسوق لك المناسب، أنت لا فعل لك، لكَ الاختيار والله يفتح لك.

27- ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ**﴾: لتدخلوا الجنَّة غداً. ﴿**وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ**﴾: هذه قاعدة. ﴿**أَنْ تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً**﴾: للرذيلة فلهلاككم.

28- ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ**﴾: بالسماح بالزواج من المملوكات. ﴿**وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً**﴾: ما جعلك قويّاً بل لا حول لك ولا قوة، تختار لنفسك ويعطيك. تختار لنفسك لا لغيرك، تختار الأذى فتطلق لمستحق الأذى، لا تطلق على من تريده أنت. حذَّرنا تعالى من الشرك، والله تعالى يغفر كل شيء إلا الشرك، والشرك أن يسمع الإنسان دلالة غير دلالة الله، فالذي يسير على غير دلالة الله منافق. ففي سورة البقرة بيَّن تعالى أن طالب التقوى يجب أن يكون صادقاً.

الصدق له شروط: إن ما أيقن الإنسان بالموت يظل متعلقاً بالدنيا ولا يصدق بطلبه، ثم بيَّن لنا تعالى أن الإيمان له طريقان: يسمع، يفكِّر، يعقل. الثاني: يرى بعينه، فيفكِّر ويعقل: الفريقان هذان على هدىً من ربهم. ثم بيَّن لنا تعالى أن الكافر مغموس بالدنيا مهما نبَّهته، {**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**}[3].

ثم بيَّن لنا تعالى أن فريقاً أقر للرسول بالرسالة، لكن ما فكَّر وما عقل، وهذا منافق: اجتمع بأهل الحق ولكن ما سار على الحق. وقد بيَّن تعالى أن مَثَلَهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم. ثم بيّن لنا تعالى طريق التربية: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ**}[4]، فمن أبسط الأشياء يهتدي الإنسان لخالقه ومربيه. ثم ذكر لنا تعالى ما أوتي بنو اسرائيل من معجزات، لكن طالما أشربوا

[3] سورة البقرة – الآية:6.

[4] سورة البقرة – الآية:19.

في قلوبهم حب الدنيا لا يمكن أن يهتدوا، لا بد إذن من خروج الدنيا. حتى تخرج الدنيا من قلبك يجب أن تفكِّر بالموت، بساعة فراق الدنيا حتى تعقل: النفس إذا اجتمعت مع الفكر صار العقل. وفي سورة آل عمران ذكر لنا تعالى وقائع لتثبيت الإيمان، فإذا لم يؤمن الإنسان أولاً بالتربية ثم بلا إلَه إلَّا الله فلن يستفيد من الأحكام شيئاً، وهذه الأحكام الواردة في سورة النساء إنما هي للمؤمن، ولذلك قال تعالى:

29- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**﴾: لا تسوموا بعضكم بعضاً بالمبيع والشراء. خلقكم لتحسنوا لبعضكم. ﴿**إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنكُمْ**﴾: شرطها الرضى من الطرفين. الفريقان يجب أن يكونا راضيين. يجب أن يرضى بالصفقة كل من البائع والشاري. ﴿**وَلَا تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ**﴾: إن فعلتم ذلك أبعدتم نفوسكم عن الله تعالى. إن فعلت وخالفت تكون حرمت نفسك من الإقبال على الله، وبالعكس بالعمل الطيِّب تقبل على الله. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾: من رحمته بكم بيَّن لكم هذا.

30- ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً**﴾: لأنه بتباعده عن الله سيقع في المخالفات، ومصيره إلى النار. ﴿**وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾: حيث إن النار ضروريَة له.

سورة النساء: [31-40]

31- ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾: اللمم نسترها عنك. ﴿**وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً**﴾: جنّة لا شائبة معها.

32- ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾: لا تحسد أحداً. فلا يحسد بعضكم بعضاً. فلينظر الإنسان إلى الطريق التي ارتقى بها أخوه المؤمن فيسلكها. ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ**﴾: اجتهدَ والله أعطاه، اعملْ مثله تنل فضل الله، أقبِل على الله كما أقبَل تنل. ﴿**وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**﴾: اطلبوا من الله العطاء والخير، حتى يعطيكم ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾: بكلِّ عمل، لذلك يعطيك بحسب عملك.

33- ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ**﴾: ورثة. ذرية وأولاداً ﴿**مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾: تزوجتم بهنَّ، الزوجات. ﴿**فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾: حقّهم مما آتيتموهم من المال، لا تأكل حق أحد فتتباعد عن الله. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً**﴾: ستحاسب على عملك.

34- ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾: حق القيام والسيطرة، المرأة فكرها ضيّق لتستطيع تربية الطفل وتدبير أموره. ﴿**بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾: بنفقته عليها. الرجل هو الذي ينفق. ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ**﴾: مستديمة الوجهة لله. ﴿**حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ**﴾: لعرضها وماله. تحفظ زوجها من حيث عرضه وماله وتربية الأولاد. ﴿**بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾: من إقبالها على الله صارت محفوظة بالله. ﴿**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ**﴾: خروجهن عن طريق الحق. بتركهن الصلاة والصيام. ﴿**فَعِظُوهُنَّ**﴾: ذكِّرها بالموت، بالآخرة، يجب أن تتعلم أنت وتعلِّمها. ﴿**وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**﴾: لا تلتفت نحوها في الفراش، أحسن المعاملة معها في النهار، واهجرها في المضجع، إن ما رجعتْ. ﴿**وَاضْرِبُوهُنَّ**﴾: الضرب بعد عدم نفع الهجر حين تترك الصلاة. المرأة لا تضرب إلا عند ترك الصلاة والصوم. ﴿**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً**﴾: ما عاد لك عليها سبيل. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**﴾: إن خرجتَ عن الحق لا يتركك، أعطاك إياها هبة، هديَّة، فأحسن إليها.

35- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: أهلها إن خافوا الشقاق. ﴿فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾: بكلِّ واحد ما يلزمه من دواء، فبيَّن لك دواء المرأة فعظها واهجرها، واضربها إن ما رجعت.

36- ﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾: بأوامره، بدلالته. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾: عاملهما بالإحسان، فيما سوى كلام الله لا تطعهما، غير كلام الله لا يُسمع. ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾: بالإحسان. ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: من أقاربك، جارك الذي يمتُّ إليك بالقرابة، جارك وقريبك. ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: بجانب دارك، جارك وليس قريباً لك. ﴿وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾: بوظيفتك، بعملك، صاحبك في الوظيفة أو العمل. ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: في الطريق وجدت شخصاً بحاجة لمساعدة ساعده. ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: أيضاً بالإحسان. ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً﴾: يتخيل في نفسه العظمة. تخيَّل له أنه قوي غني عظيم له شأن. ﴿فَخُوراً﴾: هذا المفتخر الله لا يحبه.

37- ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾: بالمال، بالمعروف، لا يفعل الخير. ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: يقول لك أنا مديون لا أستطيع مساعدة أحد. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾: هذا كافر لا بدَّ من إهانته بين الناس بمرض أو سواه.

38- ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاءَ النَّاسِ﴾: نفاقاً. ينفق ليقال عنه. ﴿وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾: هذا منافق أقر لكن ما عقل، فالشيطان قرينه. ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قِرِيناً﴾: سيسوءه هذا القرين.

39- ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾: لو آمن وسار بطريق الحق وفعل هذا الفعل بطريق الحق. ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾: لو آمن لعلم أن الله به عليم.

40- ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: لا يتركه. ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾: يضاعف الأجر من عشرة إلى سبعمائة. يزدها [10، 100، 1000، 70000] حسب نيتك، وفي الآخرة أجر عظيم. ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾: عطاء متنامياً لا ينقطع.

سورة النساء: [41-50]

41- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾: رسولهم. ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾: ورسولُ اللهِ ﷺ على جميع الرسل شهيدٌ، وعلى أمته. فأمة كل رسول من كانوا في عصره. فاليوم كل الخلق أمروا أن يؤموا إلى سيدنا محمد ﷺ فكلهم من أمته، لكن أناساً كفروا، أناساً آمنوا، فنحن ما تركنا لهم شيئاً.

42- ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾: يصبحون مع التراب سواء. يود أن لا يظهر على الأرض، بل على سوية معها. ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾: كل واحد يلبس عمله، هنالك الخزي، أعمالكم ناطقة عن حالكم.

43- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾: مغطى عليكم إذ أسكركم أمر الدنيا. السُّكْر: الستر عن الله، قال تعالى: {وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى}[5]: فالسكر الستر عن الله. السكر: هو الحجاب، ومن هنا يأتي معنى الإقامة، ففيها سر الصلاة وبها تصحو النفس، فإذا

---

[5] سورة الحج – الآية:2.

دخلت الصلاة وعت كلام الله. ﴿**حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ**﴾: لتفقهوا القرآن. أقبل لتفهم ما تقرأ. هو ليس بمحتاج إليك، أمرك لتطهر نفسك، لتسير على كلامه، وإقام الصلاة: حتى تقيم الغطاء عن وجهك، حتى تعلم ما تقول. ﴿**وَلاَ جُنُباً**﴾: لانحطاط الجسم، إذ يكون ضعيفاً بعد هذا العمل. بسبب الضعف. ﴿**إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ**﴾: تتيمَّمْ. ﴿**حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ**﴾: لتتنشط. ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء**﴾: عندها تتيمَّم. ﴿**فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً**﴾: تراباً. ﴿**طَيِّباً**﴾: طاهراً نظيفاً. ﴿**فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ**﴾: تمسح وجهك ويديك. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً**﴾: عافاك من الغُسل لعدم مقدرتك، لم يضِّيق عليك. ﴿**غَفُوراً**﴾: شافياً.

44- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ**﴾: اليهود. حفظ كلام التوراة ولم يعقلها فلم يشاهد حقائقها. ﴿**يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ**﴾: يلحق الدنيا. ﴿**وَيُرِيدُونَ**﴾: غيرهم. ﴿**أَنْ تَضِلُّواْ السَّبِيلَ**﴾: أن يضلوا مثلهم.

45- ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ**﴾: ما سيكون مصيرهم غداً. ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً**﴾: سينصرك عليهم، المؤمن يعطيه كل شيء.

46- ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ**﴾: يبدلون معاني الآيات. ﴿**وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**﴾: سمعنا ولكن ما استطعنا تطبيق أمرك. سمعنا الأوامر ولكن لا نجد القوة على الطاعة. ﴿**وَاسْمَعْ**﴾: دعاءنا. ﴿**غَيْرَ مُسْمَعٍ**﴾: كلامهم غير مسموع ولا مقبول، لأنهم ليس منهم إلا الطلب غير الصادق. لكن كلامه، دعاءه، غير منطقي، سائر بالرذيلة ويدعو طالباً الهدى والجنّة، هذا لا يكون. ﴿**وَرَاعِنَا**﴾: سامحنا واعف عنّا مراعاة. ﴿**لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ**﴾: كلامه باللسان فقط لا عن صدق في الطلب. كلامه بلسانه فقط، ما هو مؤمن، لو آمن ما قال هذا. ﴿**وَطَعْناً فِي الدِّينِ**﴾: هذا يطعن في الدين.

﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾: سمعنا وطبقنا هذه الأوامر. ﴿**وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا**﴾: يدعون الله ويطلبون منه أن يتجلى عليهم. ﴿**لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ**﴾: لحفظهم الله. ﴿**وَأَقْوَمَ**﴾: للدين. ﴿**وَلَكِنْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ**﴾: أبعدهم بكفرهم، هؤلاء كفار. ﴿**فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾: يعترف بوجود الخالق فقط ولا يعرف شيئاً عنه. لا يعرفون عن الإيمان إلَّا أن يقرُّوا بالكلام بوجود الخالق.

47- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَنْ نَّطْمِسَ وُجُوهاً**﴾: الإنسان إذا وصل لدرجة من الفساد عمي، وأصبح لا يستطيع العودة. ﴿**فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا**﴾: مسحوب على قفاه رغماً عنه. أي قبل أن نميتكم ونخرج روحكم بشدة. ﴿**أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ**﴾: كاليهود. ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً**﴾: هذا الشيء وقع.

48- ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾: أن تجعل فعَّالاً غير الله في هذا الكون. والذي يسمع ويسير على غير كلام الله لا يغفر له. ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾: بدون قصد منه ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**﴾: هذا جرم كبير.

49- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ**﴾: الله يطهِّر الإنسان ويرفع شأنه. أنت لا ترفع شأن نفسك. ﴿**وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾: الخيط وسط النواة.

50- ﴿**انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ**﴾: يقولون هذا حلال وهذا حرام. ﴿**وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً**﴾: هذا جرم كبير.

سورة النساء: [51-60]

51- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ**[6]﴾: الشيء من طريق الشيطان يؤمنون به. ﴿**وَالطَّاغُوتِ**[7]﴾: الشيطان، ما جاء به غيرهم عن طريق الشيطان. ﴿**وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: لمشركي مكة ﴿**هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً**﴾: أنهم خير من المؤمنين مع سيدنا محمد ﷺ.

52- ﴿**أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ**﴾: أبعدهم بكفرهم. ﴿**وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً**﴾: لا أحد يستطيع أن يرده للحق.

53- ﴿**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ**﴾: معنا، حتى يقولوا هذا خير من هذا. ﴿**فَإِذاً لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً**﴾: لو كان لهم نصيب لما أعطوا أحداً شيئاً.

54- ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾: كمحمد ﷺ وأصحابه. ﴿**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُّلْكاً عَظِيماً**﴾: بعملهم: عطاؤه بالحق.

55- ﴿**فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرا**﴾: كل واحد بحسب عمله، بسعره.

56- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا**﴾: الدالة على لا إلَه إلَّا الله. ﴿**سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا**﴾: أليس هذا الكلام حق؟! ﴿**لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ**﴾: بما أسلفوا. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾: لكن لا يناسبه إلا هذا العذاب، لأنه تسكين لآلام نفوسهم.

57- ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**﴾: على طول، بديمومة أبدية لا انتهاء لها.

﴿**لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾: من كل دنس. ﴿**وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً**﴾: تجلٍّ إلَهي دائم، من جنة لجنة دواماً لا انقطاع لها، دائمية سرمدية أبد الآباد.

58- ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾: إذا ولَّاك على أيتام، وظيفة، طلاب، عمال، افعل الإحسان لتُقبل على الله، كذا أولادك، كلها أمانات، أحسن أداء ما أُمنت عليه. كل شيء اؤتُمِنَ عليه الإنسان، فالحاكم والمعلم... مؤتمنون. ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾: افعل الإحسان لتقبل على الله. ﴿**إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ**﴾: هذه الأمانات إن أدَّيتها عمَّ الخير عليك. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾: سميعاً لأقوالكم، بصيراً بأعمالكم.

59- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ**﴾: بدلالته. ﴿**وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ**﴾: ما جاءك به عن الله. ﴿**وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾: أهل الإرشاد اسمع كلامهم. كل من أصبح في مرتبة تؤهله للدلالة والإرشاد. ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾: إذ على أولي الأمر أن يكونوا متبعين لله والرسول فقط، فما قال أولو الأمر اسمع كلامهم، لأن أولي الأمر كلامهم عن الله والرسول كما ذكرنا. ﴿**إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾: أحسن ترتيب لك بيَّنه لك يا إنسان.

60- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾: زعموا أنهم آمنوا بالقرآن، وهم المنافقون. ﴿**وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ**﴾: يسير على ما سار عليه الناس، والمنافقون بعهد رسول الله ﷺ ذهبوا لليهود، الذي يسمع كلام مرشده عن الله ويلقيه وراء ظهره، هذا أيضاً

---

[6] الجبت: المنقول والمجلوب بواسطة الدسوس بالكتب السابقة كالتلمود.

[7] الطاغوت: أناس متلبسين بالشيطان يأتون بأقوال كاذبة ينسبونها للدين، وما هي من الدين، بل خلاف كتاب الله.

نفاق. ﴿وَقَدْ أُمِرُواْ أَنْ يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾: يحولهم عن الله، عن طريق الحق.

سورة النساء: [61-70]

61- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾: على طول.

62- ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: عند الشدَّة تنكسر نفسه. ﴿ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾: حتى تسير الأمور. ما أردنا إلا التلاؤم مع المحيط.

63- ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾: يا محمد. ﴿وَقُلْ لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾: شدَّ عليهم.

64- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ﴾: طلبوا الشفاء حقّاً. التجؤوا إلى الله بصدق، عندها الله يُرْضي الرسول عنهم. ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾: عندها يدخل بهم على الله.

65- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: يسيروا على دلالتك. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾: تاماً.

66- ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِنْ دِيَارِكُمْ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾: لأنهم لم يروا بعد رحمة الله بعباده فيما يكلفهم. لماذا سيدنا إبراهيم عليه السلام أُمر بذبح ابنه، وإسماعيل عليه السلام قال سمعاً وطاعة؟ لأنهما علما حنان الله ورحمته، وأن كل شيء يأمر به الله هو خير وإحسان، كذلك من حصلت لهم التقوى بعهد رسول الله ﷺ وصلوا لهذا الحال. أما الذين لم يحصل لهم علم بحنان ومحبة الله، يتأخرون، وبنو إسرائيل لما أُمروا طبّقوا ذلك، لكن بدافع الخوف. لكن المؤمن الواصل للتقوى يطبق أمر الله علماً منه بحنان الله، وأن أوامره تعالى كلها خير ورحمة وإحسان.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: عن لسان الله بواسطة رسوله. ﴿لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾: في الدنيا. ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾: للإيمان. المؤمن يعلم بأن كل ما يأتيه من الله هو خير وفضل وإحسان.

67- ﴿وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّـا أَجْراً عَظِيماً﴾: بتطبيقه لأمر الله يدخل على الله فيحصل له خير عظيم، معرفة وعمل وأجر كبير. إذا الإنسان صار له علم بالله صار عمله عالياً وكبيراً.

68- ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾: ولأصبحوا يرون بنورنا الصراط المستقيم إذ تحصل له التقوى، فهو دائماً على بصيرة وهدى.

69- ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: تحصل له التقوى. ﴿فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾: دوماً متنبئون بالحق. ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾: قالوا لا إله إلَّا الله ورأوا رحمة الله، فصدَّقوا بيان الرسل. ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: الذين شهدوا الحق للخلق. ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: سلكوا طريق الحق فصلحوا. ﴿وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾: ونِعْمَ أهل الرقي والإحسان.

70- ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾: تجلَّى عليهم وساروا بهذا السير العالي. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾: لعلمه بطهارتهم وصدقهم تجلَّى عليهم.

سورة النساء: [71-80]

71- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ**﴾: فرقة بعد فرقة. ﴿**أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً**﴾: كُلاًّ واحداً ثم تتفرقون.

72- ﴿**وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَّيُبَطِّئَنَّ**﴾: يتأخر. ﴿**فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ شَهِيداً**﴾: وتلك خصلة من النفاق.

73- ﴿**وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ الله لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾: من ضعف إيمانه، الإنسان دوماً يجب أن تكون نيّته لله.

74- ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ**﴾: هذا الذي يشري الحياة الدنيا بالآخرة، هذا يرفع الله شأنه، أما الذي يخرج للدنيا فلا بدّ أن يذلّه الله. ﴿**وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: حقاً. ﴿**فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾: أجره عظيم عند الله.

75- ولكن أين إنسانيتك أيها الإنسان ألا تفكِّر بأولئك المستضعفين: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ**﴾: يستغيثون بكم، أليس من الواجب عليكم أن تنصروهم. ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً**﴾: يطلبون الخلاص والنصرة.

76- ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾: حقّاً. ﴿**يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: ليخلّصوا الناس من الظلم. ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ**﴾: غايته الدنيا، المال... ﴿**فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ**﴾: تدبير الشيطان. ﴿**كَانَ ضَعِيفاً**﴾: لا بدَّ لهم من الخذلان.

77- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ**﴾: وهم اليهود، طلبوا ألَّا يحاربوا، فقال لهم كفّوا عن الحرب. ﴿**وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ**﴾: فقط. ﴿**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ**﴾: بسبب طلبهم. ﴿**إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً**﴾: رأوا الصور، ظنوا أن لعدوهم فعلاً. ﴿**وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ**﴾: ما عرفوا مشروعية الجهاد، العاقل عليه أن يطبّب أخاه المريض، كذلك الإنسان جاء إلى الدنيا ليفعل المعروف والإحسان ليستطيع أن يُقبِل غداً على الله وينال الجنة. ﴿**لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى**﴾: حياة الدنيا قليلة، والآخرة كل لحظة خير من التي قبلها. ﴿**وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾: بمقدار فتيل النواة.

78- ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ**﴾: لكلِّ إنسان أجل، فلِمَ الخوف؟! ﴿**وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾: مهما بنيت من أبنية ونلت من رفاهية لا بدَّ من أن يأتيك الموت. ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ**﴾: إن سلك الإنسان بالحق يعود عليه بالإحسان. ﴿**يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾: وإن قصّر جاءه السوء، فكله من عند الله، حسب ما في نفسك تجري الأمور. ﴿**يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ**﴾: ينسب الأشياء لغير الله، الرسول ليس من عنده شيء، هو مبلّغ كلام الله.

﴿**قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾: لا أحد يسبب لأحد شيئاً، الله هو المحيط وهو الذي يرسل لكل إنسان ما يناسبه، كله من الله، بحسب ما يناسبك الأمور مبنيَّة. ﴿**فَمَا لِهَـؤُلاءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً**﴾: لأنهم لا يعقلون.

79- ﴿**مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾: الله دلَّك دلالة عالية، دلالة حق وسرت عليها أصابك الخير والعطاء الكثير، فله الفضل. ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَّفْسِكَ**﴾: دلَّك، إن لم تسلك وأعرضت

وفضلت الدنيا على الله والرسول جلبت لحالك الأذى والسوء وهذا من نفسك، فالله يداويك ليشفيك. أعطاك الخيار فإن فعلت كما دلَّك فمن الله، إن أعرضت فمن نفسك، دلَّك وما طبّقت. ﴿**وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**﴾**:** الله مطّلع على عملك، يرى. وتبليغُك التبليغ الذي أنزل عليك.

80- ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾**:** هذه هي العصمَة. الرسول والرسل لا يتكلمون إلَّا بما أمرهم الله تعالى. ﴿**وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾**:** الإنسان أعطيناه الخيار، أنت تبلغ فقط. فالإنسان إن لم تأته الدنيا يجب عليه أن يبحث عن عمله: المرض، الفقر، الشدة، كلها بسبب ما فيك، لعلك ترجع للحق.

سورة النساء: [81-90]

81- ﴿**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ**﴾**:** لك، واتعظوا به. إن ذكرت لهم شيئاً سمعوا منك، فإذا خرجوا تصرفوا بما يخالف قولك. ﴿**فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ**﴾**:** يضع بنفسه شيئاً خلاف ما بيَّنت له، ما عرف حنان الله، رحمته، حتَّى يطبق أمره. ﴿**وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ**﴾**:** ما يأتيك، إنما كتب عليك عندما نويت النيّة الخبيثة، لا في الأزل[8]. لما كتبت بنفسك، أخرجها الله. ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾**:** لا تعلِّق نفسك بهم. لأن قلبهم ملآن بالخبث فتتضايق. ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾**:** عليهم.

82- ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾**:** هذا البيان الذي تبينه لهم أفلا يفكِّرون به؟! يدقِّقون به؟! ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً**﴾**:** لو اجتمع الأنبياء كلهم على ترتيبه لكان فيه خلل واختلاف كبير. ولو أن الخلق مشوا على القرآن لكانوا كلهم إخوة، كتلة واحدة، فهو جامع للبشرية كلها.

83- ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ**﴾**:** نشروه بينهم وأوَّلوه دون علم منهم بحقيقته. حيث ما تمكنوا من العلم تماماً. ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ**﴾**:** قبل أن يذيعوه. ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ**﴾**:** لفهموا حقيقة الأمر ﴿**مِنْهُمْ**﴾**:** من الرسول وأولي الأمر، فهَّموهم حقيقته. ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾**:** فالله أعطاك كل ما تحتاجه لتصل لمعرفة خالقك، وفوق هذا أرسل لك من يهديك، وذكَّرك وبيَّن لك حرصاً عليك. أعطاك أهليّة كافية تامة لأن تتوصل للحق، وفوق ذلك فضلاً منه أنذرك وعرَّفك.

84- ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ**﴾**:** أنت مسؤول عن نفسك. ﴿**وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ**﴾**:** إن طبَّقوا كلامك. ﴿**أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً**﴾**:** تضييقاً عليهم.

85- ﴿**مَّنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً**﴾**:** يدل دلالة طيبة على الله. ﴿**يَكُنْ لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾**:** له مثل فاعل الخير من الأجر. ﴿**وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً**﴾**:** دلالة رديئة. ﴿**يَكُنْ لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا**﴾**:** مثل الفاعل. ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً**﴾**:** يأتيك قوت لك لما في نفسك، الحنظل للكافر قوت له، والطيب للمؤمن قوت له. المرض حياة وقوت لك، الإحسان قوت، الحنظل قوت، اللوز والسكر قوت، كل واحد بحسب حاله يساق له القوت المناسب. إن أصابك شيء رديء تُبْ إلى الله يأتيك الفرج والخير.

[8] للإطلاع على بحث كامل حول عالم الأزل والخلق الأول انظر كتاب (عصمة الأنبياء) للعلاَّمة الإنساني محمَّد أمين شيخو.

86- ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾**:** ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، إذا أحد عاملك بإحسان عامله بأحسن أو ردّ بالمثل. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً**﴾**:** كل واحد وحسابه بحسب عمله، الطيب يساق له من يعامله بالطيب.

87- ﴿**اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ**﴾**:** مسيِّر العالمين هو، أنت تختار والفعل لله. ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً**﴾**:** ليس له كاذبة.

88- ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ**﴾**:** المنافقون والكافرون فئتان ولكنهما في الواقع سواء. فمالكم ومالهم، هؤلاء المنافقون هم بعيدون عن الله. ﴿**فِئَتَيْنِ**﴾**:** المنافق أخو الكافر، قلوبهم متساويَة مع بعضها البعض: الطرفان معرضان عن الله، تارك الصلاة إن شاء يموت يهودياً، وإن شاء يموت نصرانياً، الذي لا يصلي لا بدّ أن يسير بطريق الضلال: المنافق والكافر سواء. ﴿**وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ**﴾**:** أبعدهم عنكم، ما آمنوا لما في قلوبهم من خبث، هو اختار فأبعده عنك. المريض لا يحب الطعام الطيِّب. ﴿**أَتُرِيدُونَ**﴾**:** أنتم. ﴿**أَنْ تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ**﴾**:** من أبعد نفسه عن حضرة الله، أعطاه الاختيار لو قرَّب نفسه إلى الله لكان اهتدى. ﴿**وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ**﴾**:** يبعد نفسه عن الله. ﴿**فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾**:** مهما أكرمته، مهما عاملته، لاطفته، لا جدوى له إلا إذا هو رجع، لا نبي ولا رسول ولا ولي له سُلْطة على أحد فيردَّه، إذا هو ما رجع من نفسه.

89- ﴿**وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ**﴾**:** يتمنى أن تكون مثله. ﴿**فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾**:** حتى لا تكونوا أحسن منهم. ﴿**فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾**:** أصحاب. ﴿**حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾**:** يهجروا الكفر، ويتركوا أهل الكفر. ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْاْ**﴾**:** ما رجعوا. ﴿**فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً**﴾**:** لو كانوا أهلك، أباك، ابنك، هكذا يأمرك الله.

90- ﴿**إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ**﴾**:** قريب لمعاهد لك، هذا اتركه. ﴿**أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ**﴾**:** مثلاً: يهودي استسلم لك، ليس لك أن تقتله، لعلك تستطيع أن تهديه. ﴿**أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً**﴾**:** كذلك في الحرب إن استسلم فلا يجوز لك قتله، عليك معاملته بالإحسان لعله يهتدي.

سورة النساء: [91-100]

91- ﴿**سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ**﴾**:** وهم اليهود في المدينة. ﴿**كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا**﴾**:** كلما وجدوا فرصة نكثوا.

﴿**فَإِنْ لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً**﴾**:** اقتلوهم لأن بقاءهم بجواركم سبب العدوى، إفسادهم يسري إلى غيرهم.

92- ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً**﴾**:** بغير قصد. المؤمن لا يقتل مؤمناً عمداً. ﴿**وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُواْ**﴾**:** أي أهل المقتول لا يأخذون منه شيئاً. ﴿**فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾**:** المؤمن المقتول أهله كفار. ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ**﴾**:** بدون ديَّة. ﴿**وَإِنْ كَانَ**﴾**:** المؤمن المقتول. ﴿**مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ**﴾**:** أهلُه معاهدون. ﴿**فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ**﴾**:** حتى يكون دوماً منتبهاً. ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾**:** بكلِّ أمر ومناسباته.

93- ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾: حيث ما عاد يستطيع أن يقبل على الله.

94- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: خرجت للجهاد. ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾: كن دوماً منتبهاً. ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾: إذا استسلم إليك ارفع عنه القتل، بل أحسن إليه وعامله بالطيب لَعَلَّهُ يتوب ويؤمن. ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: هذا لا يكون. ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِّن قَبْلُ﴾: مثله. ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بالهدى. ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾: لا يجوز ذلك، أن تسيء إلى الجاهل فلعلّه يرجع. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾: سيحاسبك إن أسأت.

95- ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾: إلا أصحاب الموانع. ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾: ليس الفريقان متساويين بل المجاهد له درجة أعلى. ﴿وَكُـلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾: درجة، لكن أجر عظيم.

96- ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾: كل واحد بحسب عمله. ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾: بحسب هذه الدرجات. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾: بهذا الجهاد.

97- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: ما تركوا وما هجروا بلاد الكفر. ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾: كنا ضعفاء فقراء، لنا بيوت، فكيف نترك مالنا. كذلك الآن الذي يذهب لبلاد الكفار. ﴿قَالْوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾: يظنون أن حياتهم موقوفة على بستانهم، أشغالهم. ﴿فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: وذلك يعود عليهم بالذل ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾: وبما يسوءهم.

98- ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾: هؤلاء مستثنون.

99- ﴿فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾: قد يخلّصهم إن كانت نيتهم طيبة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾: إن كانت نيتهم عالية.

100- ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾: اهجروا الكفر وأهله، انظر كيف يفتح الله عليك، تأتيك الدنيا راغمة.

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾: ولو مات في الطريق.

سورة النساء: [101-110]

101- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾: خرجتم للجهاد وصار خوف. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: القصر في حال الخوف فقط. ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾: فاحذرهم.

102- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾: في نفوسهم. ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾: الصلاة لا كما يصلي الناس، الصلاة الصحيحة التي يكون فيها رسول الله ﷺ في نفسك وأنت مرتبط به، تدخل بمعيّته على الله هذه هي الصلاة، لأن الله تعالى لم يقل وإذا كنت معهم.

إذاً بمعيّة الرسول تحصل الصلة مع الله. الصلاة يجب أن يكون رسول الله ﷺ في نفسك. الدخول على الله بصحبة رسول الله ﷺ، لذلك علّمك الله الصلاة. **{بِسْمِ اللهِ}**: هكذا يقول لك رسول الله ﷺ. أعلمك أيها الداخل على الله، **{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين * الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}** تصدِّق رسول الله ﷺ فيما يقول، ثم تقول: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** * بمعيَّتك يا رسول الله ندخل على الله. عندها يقول رسول الله ﷺ وأنت معه: **{اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}**. هذه هي الصلاة: عندها يملي الله أمره عليك فتركع طائعاً خاضعاً، وتسجد طالباً المعونة من الله على طاعة الله. **﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾:** مرتبطون معك. فإن كنت مرتبطاً برسول الله ﷺ هذه هي الصلاة الصحيحة. **﴿وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾:** الآخرون يحرسونكم. **﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾:** الذين معك. **﴿فَلْيَكُونُواْ﴾:** الآخرون: فئة أخرى للحراسة. **﴿مِنْ وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ﴾:** الأولون. **﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾:** فالله أمر بهذه الأوامر ليتبين لنا أن عطاءه تعالى على بناء على طلبك، إن اتبعت وصدقت أيَّدك. **﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَنْ تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾:** فلا تخشوهم.

103- **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ﴾:** حيث صارت لك رؤية بأسماء الله؛ الرحمة، القدرة، العلم... **﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ﴾:** حنان الله ورحمته وأسماءه الحسنى، اذكر ما رأيت من حنان، رحمة، قدرة، علم، اذكر ما شاهدت، دوماً انظر بنور الله. **﴿قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾:** زالت المخافة. **﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾:** تامة وكما علمكم. **﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾:** عند المؤمنين تُؤدَّى في وقتها.

104- **﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾:** لا تتباطؤوا في ابتغاء ردهم إلى الحق. احذر أن تضعف عن ذلك، هذا ربحك من الحياة. **﴿إِنْ تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾:** أنت نهايتك للنعيم، للخيرات. **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾:** بكلِّ إنسان، أنت تنال الخير، هو يهتدي أو تسدَّ عنه الأذى.

105- **﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾:** معرضاً عنهم حتى لا ينفروا، إذ لعلهم يعودوا إلى الحق. من حنانه ﷺ كان يتأثر عليهم، ولئلا يخاصمهم أمره بهذا.

106- **﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾:** ليصّبرك عليهم. **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾:** سيعالجهم رحمةً بهم.

107- **﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾:** لا تخاصمهم ولا تجادل وتدافع عنهم ولا تنظر إليهم نظرة تسامح، أنت بلِّغْ ما عليك وحَسْب. **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾:** لا يحب له هذا السير.

108- **﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾:** هذا حال المنافق، يظن أن الله لا يراه. بعدم إيمانه بلا إلَه إلّا الله يظن الله بعيداً. **﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾:** في نفوسهم. **﴿مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾:** هذا الذي يبيتون لا أحد يرضى به، ولا يُرضي أحداً. **﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾:** كل عملهم معلوم عند الله، بعلمه.

109- ﴿هَا أَنتُمْ هَـؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: دافعتم عنهم اليوم. ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: حينما تظهر حقائقهم، ويلبسون ثوب الرذيلة. يلبسون الثوب الذي نسجته أعمالهم ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾: من يدفع البلاء، المداواة غداً.

110- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾: مجادلتك عنه لاتفيده، لا بد أن يرجع هو ويتوب. هذا هو طريق الشفاء. هذا الذي يشفي. ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾: الله تعالى فاتح باب التوبة، إذا أنت بذاتك ما التجأت لا أحد يفيدك دعاؤه، أنت التجئْ تُشْفَ ويُغفرْ لك.

سورة النساء: [111-120]

111- ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: كل إنسان وجرمه في عنقه. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾: سيداويه الله، ويسوق له شدائد مناسبة لمرضه.

112- ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً﴾: فوق جرمه جرم، فوق الشدة التي ستنزل به من جرمِه شدةٌ ثانية من بهتانه. ﴿وَإِثْماً مُّبِيناً﴾: إصرار على الشر واضح.

113- ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾: حيث صار لك علم وحكمة وتعريف من الله، فأصبحت لا تسايرهم. يتوددون إليك بنفوس تخفي الخبث ونكران الحق، فالآن لم يعد يجدي رياؤهم شيئاً بعدما تبيّن لك الهدى. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾: هو أقبل، تفضَّل الله عليه بهذا الفضل العظيم.

114- ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾: سهراتهم وأحاديثهم، كل اجتماعاتهم لا خير فيها. ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾: هذا الاجتماع هو المفيد المجدي. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾: المجلس، السهرة التي ليس فيها دلالة على الله، هذه لا فائدة منها ولا خير.

115- ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: يبين له الرسول أمراً فيحاول تبريره حتى يسلك طريق الضلال. وبهذه المجادلات والاتِّباع. ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾: نعطه شهوته، هو طلب والله يعطيه. ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾: مداواة. ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾: الله تعالى ترك لك الخِيَرة: إن جادلت وتوليت، مصيرك إلى النار.

116- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾: الذي يسير بغير دلالة الله، هذا لا يغفر الله له، لأنه يرى دلالة الله غير حق، وأن هناك دلالة أحسن.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: الذي وقع خطأ هذا يغفر له، أما المصرُّ فلا ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدا﴾: عن الحق.

117- ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً﴾: ذلك لأن من يدعونهم ضعفاء كالإناث أفكارهم ضيقة، هم يسمعون كلام أناس لا تفكير لهم، ولا يعرفون الحق، المرأة فكرها ضيّق لتستطيع تربية الطفل وتدير أموره. ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾: مريداً، متمرّداً عن الحق.

118- ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾: يقول إن كل من اتبعني فقد أصبح نصيبي سأدخل وإياه جهنم. نصيبي مفروغ منه، يعرف أن كل من سار معه نصيبه الهلاك.

119- ﴿**وَلأُضِلَّنَّهُمْ**﴾: أتباعي. ﴿**وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ**﴾: أسيّرهم بالأماني. ﴿**وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ**﴾: يقطعوا آذان الأنعام حتى لا تفزع كما يزعمون. ﴿**وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ**﴾: خصي الذكور، ويخصون الضأن، الخصي يسمن، لكن لا قوة له، ليس فيه غذاء. ﴿**وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً**﴾:

120- ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ**﴾: بالدنيا ونعيمها. ﴿**وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً**﴾: يبعدهم عن الإنسانية، المعروف.

سورة النساء: [121-130]

121- ﴿**أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً**﴾: في الآخرة لا مكان لهم إلا جهنَّم.

122- ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**﴾: دائمية سرمدية. ﴿**وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً**﴾: هذا الجزاء لمن آمن بالله، بلا إلّه إلّا الله وعمل العمل الصالح.

123- ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ**﴾: ليس الأمر بالدعاء والأماني. ﴿**وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾: كما يزعم اليهود، فأنتم يا مؤمنين لا تتطلبوا الجنّة بالأماني كاليهود. ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾: مهما دعا والتجأ لا بد له من النار، والجزاء على عمله.

المسلمون قالوا: الرسول ﷺ يشفع، اليهود قالوا: موسى عليه السلام أيضاً. والحقيقة كل إنسان وعمله، الإنسان المحسن مقرُّه الجنان، الحيوان للإصطبل. ﴿**وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً**﴾: من يحول دون مداواته؟!

124- ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾: شرط العمل الصالح الإيمان. إذا العمل ما سبقته نيَّة لا فائدة منه، عملك ثقيل بقدر نيّتك، كلما علت نيتك سما وثقُل عملك. النيّة لا تصلح إلَّا بعد الإيمان. ﴿**فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾: نقرة في النواة.

125- ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً**﴾: منك يا محمد، وممن دان للحق ﴿**مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾: وهو محمد ﷺ. ﴿**وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً**﴾: سار على ملة إبراهيم. ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾: إذن ألا تسمع كلامه؟ أنتم تقرون بإبراهيم عليه السلام.

126- ﴿**وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾: الكل سيره بيده. ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً**﴾: كل إنسان يعطيه بحسب حاله، بحسب صحته النفسيّة.

127- ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ**﴾: كانوا إذا ربّوا بنتاً يتيمة أو ولداً يتزوجون البنت بدون مهر، والولد يشغلونه بدون أجر، فبيّن تعالى أنه يجب إعطاؤها المهر. ﴿**قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ**﴾: ربيتموهن و ﴿**اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ**﴾: كما بيَّن أول السورة. ﴿**وَأَنْ تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ**﴾: إن كنتم عليهم أوصياء فلا تشغّلوهم دون أجر. ﴿**وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً**﴾: عملك والإحسان الذي قدمته من قبل لا يضيع عند الله، فالمعروف الذي قمتم به إنما حسابه على الله.

128- ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾: فكِّر بتلك الساعة، حين ترى يوم القيامة أنك ما عملت شيئاً من إحسان. اصبر على زوجتك عاملها بالإحسان لتأتي غداً وعملك الصالح بين يديك. ﴿**وَإِنْ**

تُحْسِنُواْ﴾: لهن. وَتَتَّقُوا **﴿وَتَتَّقُواْ﴾:** تنظر بنور الله. **﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾:** يعطيك الخيرات غداً.

129- **﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُواْ أَنْ تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾:** إذا كانت واحدة أجمل من واحدة النفس تميل، هذا ليس بيدك، ولكن عليك أن تعامل الزوجات بالإحسان. **﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ﴾:** مع واحدة دون واحدة. **﴿فَتَذَرُوهَا﴾:** تهجرها حتى تصبح. **﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾:** لا متزوجة ولا مطلّقة، المعاملة الكل مثل بعض، ليلة وليلة، وكذا في المال، أما الحب فهذا لست بمؤاخذ عليه. **﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾:** هذا العمل يجرُّ لك الإقبال والشفاء. **﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾:** يشفيك ويرحمك.

130- **﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّنْ سَعَتِهِ﴾:** المظلوم يعطيه الله تعالى خيراً مما ترك. يعوض المظلوم خيراً من قرينه السابق. **﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً﴾:** فضله واسع. **﴿حَكِيماً﴾:** كل إنسان يعطيه حقه.

سورة النساء: [131-140]

131- **﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾:** أن انظر بنور الله. **﴿أَنِ اتَّقُواْ اللَّهَ﴾:** انظروا بنور الله. لا بمجرّد اشتهاء نفسك لشيء تعطيها هواها وترميها بالسوء.

﴿وَإِنْ تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: كله عائد لله. **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً﴾:** عنكم. **﴿حَمِيداً﴾:** يُحمد على هذا الشيء من العطاء.

132- **﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾:** على الكون كله.

133- **﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾:** خلق الخلق ليسعدهم. **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً﴾:** كل شيء بقوله كن فيكون.

134- **﴿مَّنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾:** إذا كان طلبك الدنيا اعمل المعروف تنل الدنيا والآخرة. **﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾:** مطّلع عليك، ما حالك، ماذا في نفسك، بحسبه يعطيك. إن كان لك طلب للدنيا، اطلب ما عند الله تنل الدنيا والآخرة معاً.

135- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾:** بالحق. **﴿شُهَدَاءَ لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾:** إذا أخطأت اعترف. **﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً﴾:** المشهود له. **﴿أَوْ فَقَيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾:** أنت قل الحق، هذا شيء ليس من خصائصك ففي حديث شريف: **"انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أو مَظْلُوماً.."**[9]. **﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ﴾:** لا تظهر الحق على التمام. **﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾:** عن الشهادة. **﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾:** يحاسبك.

136- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾:** الذي آمن بالخالق، آمنْ بلا إلّه إلّا الله، إن آمنت بالله آمنت برسوله ومرشدك وعرفت الحق. الإيمان بالخالق وحده لا يكفي، لا بد من الإيمان بلا إلّه إلّا الله محمد رسول الله. أول شيء الإيمان بلا إلّه إلّا الله: هذا يسير، أيسر شيء، إن آمنت بهذه الكلمَة آمنت برسول الله ﷺ. **﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾:** عندها ترى الحق الذي نزل على رسوله، إن لم تؤمن بلا إلّه إلّا الله لا تؤمن برسول الله. إن لم تؤمن بالرسول لن تؤمن بالكتاب.

---

[9] الحديث: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أو مَظْلُوماً" فقيل كيف ننصره ظالماً؟ فقال: "مَنْعَكَ إيَّاهُ من الظُّلْمِ نَصْرَةٌ لَهُ" الحديث متفق عليه من حديث أنس.

إيمانك بلا إلَه إلَّا الله أصل يجعلك ترى الحق. ﴿**وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ**﴾: تؤمن أن الله ما ترك عباده. عطفه وحنانه سَابق ودائم. ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ**﴾: بلا إلَه إلَّا الله. ﴿**وَمَلَائِكَتِهِ**﴾: الملكان الحفيظان، إن آمنت بلا إلَه إلَّا الله آمنت بهما. ﴿**وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾: مَنْ لم يؤمن فلن يرى الحق في الكتب، ولن يؤمن بالرسل وكمالهم، فلا يمكن أن يهتدي أبداً. ﴿**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾: ولا يرى الحساب والمسؤولية. ﴿**فَقَدْ ضَلَّ**﴾: عن الحق ﴿**ضَلَالاً بَعِيداً**﴾: بَعُدَ بُعْداً كثيراً، المؤمن بلا إلَه إلَّا الله لا يمكن أن يكذب، أن يغش، أو أن يخرج عن الحق أبداً.

137- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾: بموسى عليه السلام. بوجود خالق وأن موسى رسول الله لِمَا رأوه من معجزات، العصا، البحر، لكن لم يؤمنوا بلا إلَه إلَّا الله. ﴿**ثُمَّ كَفَرُواْ**﴾: بعد أن تركهم سيدنا موسى عليه السلام أربعين يوماً مدة المناجاة، عبدوا العجل وكفروا حيث لم يؤمنوا بلا إلَه إلَّا الله وأنه تعالى دوماً شهيد عليهم، لذلك لما بَعُدَ عنهم سيدنا موسى كفروا رغم ما رأوه. ﴿**ثُمَّ آمَنُواْ**﴾: لما عاد إليهم وحذَّرهم، وهكذا بعصر رسول الله ﷺ الذين آمنوا بلا إلَه إلَّا الله وبمحمد ﷺ لما تُوفي رسول الله ثبتوا على الحق. ولكن الذين لم يؤمنوا بهذا الإيمان ارتدّوا.

﴿**ثُمَّ كَفَرُواْ**﴾: بعد موسى عليه السلام، إذ كفروا بعيسى عليه السلام. وكذلك الذي يعتقد بمرشده ولا يؤمن بلا إلَه إلَّا الله يُخشى عليه من الكفر والارتداد. هذا حال العرب في عصر رسول الله ﷺ، الذين لم يؤمنوا بلا إلَه إلَّا الله ارتدوا. الذين آمنوا بسيدنا موسى ولم يؤمنوا بلا إلَه إلَّا الله، ارتدوا لما تركهم سيدنا موسى. ﴿**ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً**﴾: بك يا محمد ﷺ، ولو آمن بلا إلَه إلَّا الله، أينما رأى الحق يتبعه. لكن الذي لم يؤمن بلا إلَه إلَّا الله سرعان ما يكفر. ﴿**لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ**﴾: لا طريق لهم، باب المغفرة مفتوح لكن هو لا يمكن أن يدخل فيه، حيث لم تطهر نفسه لأنه ما آمن بلا إلَه إلَّا الله حقاً وبالملكين ولا برسول الله ولا بالكتاب. ﴿**وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً**﴾: بدايةً الإيمان بلا إلَه إلَّا الله، وهذه أول خطوة.

138- ﴿**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ**﴾: الذي لا يؤمن بلا إلَه إلَّا الله منافق مرة يصدِّق، ومرة يكذِّب. ﴿**بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾: النفاق أن يؤمن بوجود خالق ولا يؤمن بلا إلَه إلَّا الله، يرى فعَّالاً مع الله، يرى لغير الله فعلاً، يرى فلاناً قد يؤذيه، فلاناً ينفعه، فلان وفلان.

139- ﴿**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: يسير على دلالة الكفار، ويرى سيرهم حسناً. ﴿**أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ**﴾: لتحصل لهم مرتبة وشأن في الدنيا. ﴿**فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً**﴾: هو المعز، بيده كل شيء.

140- ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾: الإنسان إذا جلس في مجلس وكان فيه أشخاص يتكلمون كلاماً باطلاً، يجب أن لا يجلس معهم. ﴿**إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ**﴾: هذا حال النفاق.

﴿**إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً**﴾: المنافق أخو الكافر.

سورة النساء: [141-150]

141- ﴿**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ**﴾: المنافق ليس له حب ولا ميل لأهل الحق، لأنه كذَّاب، الحب بالله، إن لم يؤمن ويغدو قريباً من الله، لا يحب أهل الحق مهما عاملوه، مهما أحسنوا له لا يحبُّهم. ﴿**فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ**﴾: نحن مؤمنون مثلكم. ﴿**وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: المنافق بميله للكافرين يدافع عنهم. ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ**

الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾: الكافر لايمكن أن يحكم مؤمناً أو يتسلط عليه بشيء، هذا إذا كان المؤمن سائراً بالحق على التمام. إنْ أصابَك شيء بشذوذك، تُبْ يرفع عنك أذاه.

142- ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ﴾:** يصلي، يصوم، لغايات. ﴿**وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾:** يعطيهم شهواتهم. يعطيه ما في نفسه من شهوات. ﴿**وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾:** يتضايق فيها حيث لا يجد فيها شيئاً، لكن إذا وجد اللّذة فيها لا يملّ. ﴿**يُرَآؤُونَ النَّاسَ﴾:** يرى الناس فقط، يتقن الحركات. ﴿**وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾:** لما تلمّ بهم مصيبة. عند الشدة، عند المرض، البلاء، إذا طاب رجع لما كان عليه.

143- ﴿**مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ﴾:** من يضلل نفسه عن الله، لا يدلُّها على لا إلّه إلّا الله. ﴿**فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾:** لا يمكن أن يسير في طريق الحق، مهما نصحته مهما دلَّلته لا جدوى له، لا فائدة من كلامك معه، إن لم توقن نفسه بلا إلّه إلّا الله، تارة يصدِّق، وتارة يكذِّب، المؤمن بلا إلّه إلّا الله يحب أهل الحق ويرتبط بهم، عندها يصلي حقاً، وكل سيره حق.

144- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾:** إذ أن رحمته بكم ستجعله يبعث إليكم الدواء. أي يداويكم، فيسوق لكم مرضاً، ذلاً، فقراً. الله عادل، يوم أُخُذْ مالوا سلَّط الكافرين عليهم.

145- ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾:** لماذا هو في آخر مكان من النار؟ لأنه اجتمع بأهل الحق ولم يسر معهم، غداً في الآخرة حسرة كبيرة بقلبه. ﴿**وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾:** من يحول بينه وبين مداواته، الخير له مداواته.

146- ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ لِلّهِ﴾:** دوماً تعالى فاتح باب التوبة، رحمته وحنانه يقتضي ذلك، إذا فكَّروا وتابوا. ﴿**وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ﴾:** عملهم كله صار لله. ﴿**فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:** ارتبطت نفوسهم بهم. تصبح لهم رابطة مع المؤمنين، تجتمع قلوبهم معهم. ﴿**وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾:** كما أعطى الصحابة الكرام.

147- ﴿**مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾:** لماذا يعذبكم؟ خلقك ليسعدك دنيا وآخرة، لكن حيث نفسك فيها ما فيها، يسوق لك هذه الشدائد ﴿**وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً﴾:** يشكر لك عملك. ﴿**عَلِيماً﴾:** لكنه عليم بنيتك.

148- ﴿**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾:** عوِّد لسانك على القول اللطيف. ﴿**إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾:** إذا ضايقوه. أي لا يُسمح بالكلام الفاحش إلّا إذا اضطر له إذا أوذي. ﴿**وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾:** بحالك، هل أنت مظلوم حتى جهرت بالسوء.

149- ﴿**إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ﴾:** بقدر عفوك يعفو عنك. ﴿**فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً﴾:** عنك، على ما قدَّمت من عفو وإحسان. ﴿**قَدِيراً﴾:** بمقدار عفوك يعفو عنك.

150- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ﴾:** هم اليهود، منهم كل الدسوس. ﴿**وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾:** للمكر.

سورة النساء: [151-160]

151- ﴿**أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾:** دوماً أذلاء تحت يد الكفرة.

152- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾: يشفيهم ويرحمهم.

153- ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾: بعملهم.

﴿ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾: ما هو السلطان؟

154- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾: التوراة. ﴿بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً﴾: من باب موسى ادخلوا على الله. ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ﴾: أي لا تعملوا عملاً يقطع إقبالكم على الله. ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾: اعملوا عملاً طيباً لتتولد الثقة بنفسكم لتقبلوا عليَّ.

155- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾: ما عملوا العمل الطيّب. ﴿وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللَّهِ﴾: ما فكَّروا بآيات الله. ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: الذين تنبؤوا لهم بالحق. ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: لما نصحوهم قالوا الله سطَّر علينا، ما حيلتنا نحن، الله قدَّر علينا، مع أنهم بإعراضهم تولَّد هذا الشيء فيهم. بإعراضهم انستر عنهم طريق الحق ليخرج الخبث من نفوسهم. ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾: ساعة الشدة يصيح يا الله. وبعدها يعترف لفظاً بأن الله هو الخالق، يقول أحياناً: هذه الدنيا خلقها الله.

156- ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾: ببعدهم عن الله اتَّهموا السيدة مريم عليها السلام بأنها زنت (وحاشاها).

157- ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾: النصارى واليهود ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: كلٌّ على باطل. ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: الطرفان من يهود ونصارى ما عرفوا حقيقته، بل اتهموه ونسبوا إليه، فالنصارى قالوا أنه إلّه وابن إلّه. واليهود اتهموا أمه بالزنا وقالوا أنه ابن زنا (وحاشا لله) ﴿إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾.

158- ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾: أخفاه ونجاه منهم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾: كُلاًّ يعطيه حقَّه.

159- ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾: سيأتي يوم يؤمن به كل من اليهود والنصارى. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾: هذا دليل ظهوره وجيهاً بالدنيا والآخرة.

160- ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: من رؤسائهم، وكما تكونوا يولَّى عليكم، إذ هم مثلهم، ظلموا أنفسهم، بعدوا عن الحق، ما آمنوا بلا إلّه إلَّا الله. الله تعالى ولّى عليهم علماء أشراراً، فحرَّموا عليهم ما حرموا. ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾: نسبوا الفعل لغير الله.

سورة النساء: [161-170]

161- ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾: سبب ذلك فسقهم. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾: دنيا وآخرة.

162- ﴿لَّـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾: مَنْ رأى أن الله عليم قدير رحيم...

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: بلا إلّه إلَّا الله. ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: إذا تلوت لهم الكتاب يؤمنون بك، فهؤلاء على درجتين. ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ﴾: الآن، الصلاة معك. ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾:

بالصلاة الحقَّة تحصل لهم الطهارة. ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾: أيضاً بلا إلَه إلَّا الله معك الآن سيقيمون الصلاة. ﴿**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾: وهؤلاء معك الآن درجتان. ﴿**أُوْلَـئِكَ**﴾: الطرفان. ﴿**سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً**﴾: فالإيمان هو الأصل.

163- ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**﴾: الله تعالى عادل لم يحرم أمة من فضله {**وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**}[10].

164- ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾: من أجلكم وحناناً عليكم.

165- ﴿**رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾: هذه وظيفتهم فقط. ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾: يعطي كل إنسان ما يناسبه.

166- ﴿**لَّـكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾: هذا الكتاب الكامل شهادة من الله برسالتك. ﴿**وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ**﴾: للخلق. المؤمن يسمع. ﴿**وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً**﴾: إذا رأيت الكون وسير الكون، إن آمنت بلا إلَه إلَّا الله تصدِّق رسول الله ﷺ.

167- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ**﴾: نفوسهم. ﴿**عَن سَبِيلِ اللّهِ**﴾: عن لا إلَه إلَّا الله، ما علَّم نفسه، ما فكَّر، صدَّها عن الله. ﴿**قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيداً**﴾: عن طريق السعادة.

168- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ**﴾: أنفسهم، بَعُد عن الله. ﴿**لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً**﴾: لأنه هو أبعد نفسه واختار، وله الاختيار.

169- ﴿**إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ**﴾: طريق السفالة، الحقارة. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً**﴾: علاجهم بها.

170- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ**﴾: ظاهر، بيِّن. ﴿**مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ**﴾: عائد عليكم. ﴿**وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾: أين تذهب. ﴿**وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾: كل واحد يعطيه حقه.

سورة النساء: [171-176]

171- ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾: النصارى. ﴿**لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**﴾: لا تبالغوا وتخرجوا عن الحد. كذلك على المسلمين ألا يغلوا فيما يتقولونه عن سيدنا محمّد ﷺ. ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ**﴾: كن كان. ﴿**أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾: فيه حياة لمن يرتبط به ويتبعه. إن أقبلت على عيسى عليه السلام صار لك روح، حياة من الله، كذلك رسول الله ﷺ الآن. ﴿**فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ**﴾: صاحب رسول الله ﷺ. ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ**﴾: لا يماثله شيء. ﴿**أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً**﴾: ألا يكفي هذا الخالق وكيلاً على هذا الكون! هل يحتاج لمساعد معين؟! قبل عيسى من كان يدبر أمور الكون؟ بعد عيسى من المدبِّر؟!

---

[10] سورة فاطر – الآية:24.

172- ﴿**لَّنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ**﴾: حيث يعرف ربه. ﴿**وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ**﴾: الذي لا يفكِّر ويستكبر عن الطاعة. ﴿**فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً**﴾: للحساب.

173- ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ**﴾: فضل.. وفضل إلى ما لانهاية.

﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلُيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيرا**﴾: من يحول بينهم وبين مداواتهم، ومن يشفع بهم!

174- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾: محمد ﷺ انظروا كماله، حنانه، رحمته، سيره، أليس هذا برهاناً كافياً، هل من رجل مثله؟! رسول الله ﷺ الكامل ذو الخلق العظيم. ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً**﴾: القرآن الكريم. كتاباً تهتدون به، هو كامل ومعه هذا الكتاب الذي يهدي للحق.

175- ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ**﴾: بلا إلَه إلَّا الله. ﴿**وَاعْتَصَمُواْ بِهِ**﴾: بمحمد ﷺ رسول الله. ﴿**فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً**﴾: تجلٍّ إلَهي، وعطاء عظيم وهدى.

176- ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ**﴾: شخص لا أب له ولا أولاد. ﴿**إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ**﴾: والباقي للعصبات. ﴿**وَهُوَ يَرِثُهَا**﴾: على الكامل. ﴿**إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ**﴾: حتى لا تنحرفوا عن الحق. ﴿**وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾: يحاسبكم إن انحرفتم.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المائدة: [01-10]

1- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: ما عاهدتم الله عليه فما هي العقود؟ يقال عقد بيع، هذا دفع دراهمَ، هذا أعطاه المتاع: فالمؤمنون عاهدوا رسول الله ﷺ على أن يتركوا المنكر بالكليّة، وأن يفعلوا الخير قدر المستطاع. فهل كل مؤمن يفعل هذا؟ واجب على كل مؤمن أن يفعل هذا: **{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}**[1].

وقد شرط الله تعالى عليك شرطاً أن تكون إنساناً أينما حللت يظهر منك أنس وإنسانية ألا تضرَّ ولا تكذب ولا تغش: **{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}**[2]

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} الشرط: **{يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً}**[3]

فإذا لم يمنحنا الله تعالى فذلك دليل فسقنا، فلينظر كل امرئ منَّا لنفسه فإن ظهرت منه أمور مناسبة لكلام الله فهذا هو المؤمن، والعكس صحيح. قال تعالى: **{وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً}**[4]

انظر لنفسك هل وفَّت بهذه العقود؟ إن وفَّت فأنت مؤمن. هذا وقد رتَّب تعالى الكون هذا الترتيب لتستدلَّ منه على الله تعالى فتكون إنساناً فيرفع شأنك دنيا وآخره. فإن صرت مؤمناً ولَّاك وجعلك خليفة على عباده. ﴿**أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ**﴾: إن جعت تستطيع الصيد من بهيمة الأنعام، وهي كل شيء وحشي مشابه للأنعام "غزال، بقر وحشي، معز وحشي..."، حيث أنك إنسانٌ عالٍ. إن اضطررت أباح لك الصيد وإلا لا يحق لك. الأنعام من النعم سمّيت بهيمة حيث لا تفقه ولا تدري خيرها من شرها، تمشي معك ولا تدري مصيرها. ﴿**إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾: ما سيأتي بيانه، كما ستبينه الآية التي ستأتي بعدها. ﴿**غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ**﴾: وأنتم في الحج ساعة العبادة بالحج، أثناء إحرامك لا يجوز لك الصيد. ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾: يريد لك ما فيه سعادتك. لا يريد لخلقه إلا الخير، لك وللحيوان. الحيوان الذي كان سبباً لخيرك. فما يريده الله هو لخيركم ومنفعتكم.

2- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ**﴾: حافظوا على صلتكم بالله وعلى الشعور بقربه تعالى ورحمته، إن كنت مؤمناً لا تنقطع عن الله لحظة، الشعائر: الصلوات، وكل ما من شأنه أن ينشئ لك صلة مع خالقك كمجلس علم، فلا تنقطع عن دوام حضوره، أو عمل معروف وخير وصارت لك ثقة بنفسك أنك محسن قريب من الله، فداوم على فعله، وكذا الصوم تحصل لنفسك في صلاة التراويح مشاعر سامية وأحوال عالية، فلا تقطعه بأخطاء أو تضيعه بمنكر فينقطع حالك ولا تحظى بثمرة

---

[1] سورة الفتح – الآية:10.
[2] سورة البقرة – الآية:40.
[3] سورة النور – الآية:55.
[4] سورة النساء – الآية:141.

الصيام من ليلة القدر ونوال معرفة الخالق العظيم. كل الخلق لهم مصالح معك إلا خالقك فلا غاية له إلا سعادتك. فهل هذا الرب يعادَل بغيره؟ **{حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى}**[5].

دوماً حافظ على هذه الصلة حتى تخرج من هذه الدنيا وأنت سالم. **﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾:** في الحج، الحج لا تتركوه لا تنقطعوا عنه، والحج له أصول فالذاهب إلى الحج لا يضيعْ هذه الفرصة، لا تضيعْها باللهو. **﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾:** قدّموا ما يقربكم إلى الله، إن ذهبت للحج اذبح ذبيحة تتقرب بها. لا تتهاون بالذبح في الحج. **﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾:** ما تقلدون به حال الموت والميت من لباس الإحرام وغيره من التقاليد، هذه العمرة وكل مناسك الحج مما فيه تقليد للعبودية تقلّد بأعمالها حال الموت، حافياً، مكشوف الرأس بثياب الإحرام، فما المراد من ذلك كلّه؟

هذه القلائد كلها طريق لتستطيع الدخول على الله. **﴿وَلَا آَمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾!** حين سفركم إلى البيت لا تغفلوا عن الله، منذ خروجك من دارك للحج أقبل على الله لا تشغلك متاعب السفر عن الوجهة إليه اعمل ما يقوي هذا الشعور، فلا تضيع هذه الفرصة. **﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ﴾:** المؤمنون: أليس هؤلاء المؤمنون يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً. **﴿وَرِضْوَاناً﴾**؟: لكن هذا الفضل لا يكون إلَّا بتأدية ما سبق من الشعائر. الهدي، القلائد منذ خروجك للحج تقيم وجهة نفسك لله. هذه القلائد حتى تزهد بالدنيا تُقلّد حال الموت وتلقي بالدنيا فتكون نفسك مطواعاً لك في إقبالك، فتتذلَّل لله وتقبّل الحجر الأسود رامياً نفسك على أعتاب الله تائباً عندها يقبلك. **﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾:** انفككتم عن الحج. **﴿فَاصْطَادُوا﴾:** إن احتجتم **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ﴾:** بغضهم لكم لا يرفع عنكم الخير، ولا يحرمنكم من الخيرات شنآن قوم. **﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾:** أخرجوكم منه. **﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾:** فلا تعتدوا، لا يرفعوا عنكم المعروف، فلا تعتدِ على شخص منعك من المسجد الحرام. أنت مؤمن والإيمان يقتضي الإحسان. أنت عاقدت الرسول أن تكون إنساناً، فعليك أن تعامل الخلق جميعاً بالإحسان. كل إنسان ما يناسبه وبما يلزمه. **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾:** بل أرشدوا الناس وتعاونوا على فعل الخير فعل المعروف الموصل لك للتقوى. اعمل عملاً يجعلك تدخل بمعيَّة رسول الله على الله ويحصل لك فرقان من الله، تعاونوا مع بعضكم على فعل المعروف أن تدلُّوا بعضكم على تقوى الله. **﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾:** الإجرام. **﴿وَالْعُدْوَانِ﴾:** التعدي والإثم. **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾:** اسعوا دائماً أن تحصل لكم التقوى، افتح عينك لكي ترى طريق سعادتك. **﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:** من حنانه وعطفه لا يترك عباده دوماً معقّب لهم، يعطي كلاً ما يناسبه وكل واقعة معاقبك عليها.

3- **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾:** لأن الميتة دمها ومكروبها فيها إن أكلتها مرضت، احذر أن تأكل منها فكلها جراثيم. **﴿وَالدَّمُ﴾:** لوجود المكروب فيه، حيث فيه المكروب والجرثوم. **﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾:** لما فيه من نجاسات وانحطاط في الخلق كذا كل لحم مثله هذه عامة، ويدخل فيه لحم الحمار والبغل لبلادة الأول وشراسة الثاني وكل ما يؤذي نفس الإنسان. **﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾:** ما ذبح لغير الله والنية ما كانت رضاء الله، الطعام المقدَّم لغايات منحطة دنيئة أي كل دعوة ليست لله لا تذهب إليها ولا تأكل منها. **﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾:** في بئر أو بركة. **﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾:** الميتة بضرب. **﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾:** الساقطة من مكان مرتفع. سقطت في واد **﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾:** نطحتها أخرى وماتت إثر النطحة. **﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾:** الذئب وما شابهه: أسد، ضبع. الطير من نسر وغيره. **﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾:** ما أدركتموها قبل أن تموت، أي ما ذبح بسرعة قبل موته إن ذبحتها وسال دمها طهرت، زال مكروبها. لأن المكروب بالدم. **﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾:** الآلهة، على اسم الأصنام. **﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾:** أقداح تستعمل في الجاهلية، على اسم صنم منها. **﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾:** خروج عن الحق. **﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾** مما دنتم

---

[5] سورة البقرة – الآية:238.

إليه. ﴿**فَلَا تَخْشَوْهُمْ**﴾: لا تخف منهم فالفعل بيد الله وحده. ﴿**وَاخْشَوْنِ**﴾: الفاعل هو الله. ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾: بالاستسلام تدينون إليه. ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ**﴾: مجاعة. جاع جداً، أو في موضع مكره فيه على نفسه. ﴿**غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ**﴾: مائل ميَّال لكن مضطر دون أن يميل هو على الإثم. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: إذا جاع يستطيع، حيث الجائع جداً عصارته تقتل الجرثوم.

4- ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾: كل ما تطيب به نفوسكم ما تطيب به نفسك وجسمك، لحم طيب خالٍ من الجرثوم. تأكل فتشكر الله وتطهر نفسك ويقوى به جسمك. ﴿**وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ**﴾: دربتموهن على كيفية الصيد دون قتل الفريسة كالباشق. ﴿**مُكَلِّبِينَ**﴾: بالطير لا يقتلها قتلاً يمسك الفريسة بأنيابه بحيث لا يؤذيها. ﴿**تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ**﴾: حسبما بيَّن لكم لا يميتها. فلا يخنقها. ﴿**فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ**﴾: ما أمسكن حلال أكله حيث أنت أرسلته على اسمك قبض عليها، لا بذاته اصطادها. أي تؤخذ منه إذا لقطتها لكم أما إن كانت له فلا يحل أكلها ﴿**وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾: حين الذبح. بذكر الله يهيج دمها من إقبالها على الله فيطهر لحمها ويؤكل لعدم بقاء جرثوم. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾: عطاؤه سريع فإن سرت بالإيمان حفظك الله من كل بلاء، وبكل لحظة كل امرئٍ ينال حقه، حسب ما تستحق يعطيك.

5- ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾: ما تطيب به نفسك. كما بيَّن تعالى فيما سبق. ﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾: اليهود لكونهم يذكرون اسم الله حين الذبح، اليهود لا النصارى لأن الأوائل يذكرون اسم الله يسمُّون على الذبيحة. ﴿**حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾: حيث الإسلام صار قوياً إذ ذاك بعهد الرسول ﷺ والصحابة، الآن الإسلام ضعيف فلا يجوز الزواج منهم. ﴿**إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾: مهورهن، بدون مهر: زنا. ﴿**مُحْصِنِينَ**﴾: محصن لولدك. ﴿**غَيْرَ مُسَافِحِينَ**﴾: زانية، زواج مشروع. ﴿**وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ**﴾: خلة، نيتك البقاء طول الحياة. المؤقت زنا. ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ**﴾: بطريق الإيمان وأسسه بشيء من الأوامر التي ألزم بها أهل الإيمان، بالطريق الموصل للإيمان بلا إلّه إلا الله. ﴿**فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾: انحط عمله، عمله خائب. أولاً فكِّر بالموت، بساعة الموت، بفقرك بضعفك عندها نفسك تطاوعك في طريق معرفة الله، عندها يفكِّر بالتربية في العنب، الإبل، الغنم ومن الذي يدير الكون لتربيتك؟ هو الله. ﴿**فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾: ينحط عمله، الذي لا يرى الله قريباً منه، الذي لا يؤمن بلا إلّه إلا الله لا فائدة من إيمانه، لا يكفي إيمان الفكر، هذا كالمصفاة سرعان ما يزول. لا بد من اتحاد النفس مع الفكر، وذلك بتخويفها بالموت كما ذكرنا عندها تستسلم لك. ﴿**وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: في الآخرة ليس له شيء.

6- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**﴾: الأنف، الفم داخل الوجه. المضمضة: ماء نقي، الاستنشاق: لا رائحة له. ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا**﴾: الوضوء[6] والغسل سبب النشاط فتستطيع الإقبال على الله، فتطهر نفسك. ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾: بملاعبتهن يحصل ضعف. ﴿**فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**﴾: تراباً عالياً طاهراً. ﴿**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ**﴾: موانع من الإقبال عليه، لا يريد أن يحرمكم من الخيرات التي تأتي من الصلاة. لذلك شرع لك التيمُّم لينوب عن الوضوء وتستطيع

---

[6] انظر بحث الوضوء الموسع في كتاب (درر الأحكام في شرح أركان الإسلام) للعلامة العربي الكبير محمد أمين شيخو.

الوجهة. ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: بحسب قربك من الله وإقبالك عليه تطهر، إذن الصلاة طهارة للنفس. إن دخلت على الله بالصلاة طهرت نفسك وإن لم تدخل بنفسك على الله فلن يطهر قلبك فما صلَّيت. فالله تعالى يريد الخير لعباده فإن أقبلت على الله صرت تحب الخير لكافة الخلق. ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾: كل هذا الكون خلقه لك ليسعدك سعادة أبدية لانهاية لها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الله على هذه النعم، يطهرك في الدنيا لتعمل الخيرات فتسعد غداً فيتم نعمته عليك ويمنحك سعادة أبدية. إن أصبحت مؤمناً رفع الله شأنك في الدنيا، الإيمان كمال الإنسانية، من غشَّ فهو ليس مؤمناً.

7- ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: وعدك بالسعادة دنيا وآخره. ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾: تعهَّد لك لكن أنت ضيّعت: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ...}[7].

اذكر هذا دوماً: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: لما قلتم ذلك تعهَّد لكم بهذا التعهَّد. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: دوماً انظر بنور الله، إياك أن تغفل عن الله، دوماً كن مستنيراً. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بحسب حالك يعطيك، إن كنت أهلاً ولاّك.

8- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾: كل عملك لتكن غايتك فيه رضاء الله، مالك شيء من غاية إلَّا الله. ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: بالحق تشهد بالحق. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: الخلق عامة عاملهم بالإحسان: فلا يحرمك بغضك له من أن تعطيه حقه وتعدل في حكمك. ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾: إن كانت نفسك غير راضية عن شخص ما وعاملته بالإحسان تعلم أن عملك لله فتتقرب إليه وبذا فنفسك تحصل لها ثقة أن الله راضٍ عنها فتقبل. إن أطاعت النفس استطاعت الإقبال. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: دوماً، بكلِّ أموركم ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: ما يناسبك يسوقه لك.

9- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: لهم شفاء هنا بالدنيا. ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: غداً.

10- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بنعمة الله حيث ما نظروا بآيات الله. ﴿وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا﴾: ما نظر بالتربية، ما فكَّر، ما عرف هذا المربي. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: الإنسان إن ما فكَّر لا بد أن يقع بالسوء.

سورة المائدة: [11-20]

11- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: حتى تعرفوا أن الأمور كلها بيد الله. ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾: الأحزاب. ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: وذلك يوم الخندق لمَّا تجمَّعوا لقتالكم. ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: فردَّهم عنكم. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: المؤمن حقاً يتوكل على الله.

12- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّه مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: فلا تكونوا مثلهم. كانوا أبناء أسرة عالية، كل الأنبياء أبناءهم. ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَي عَشَرَ نَقِيباً﴾: رسولاً، اثني عشر نبياً مرشداً واحداً إثْر واحد من رحمته بهم. ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾: ناصركم. ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾: صلتكم بالله ماذا أنتجت؟ ﴿وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾: طهَّرتم نفسكم بها، صلتكم أنتجت طهارة نفسية فبالصلاة يدفع الله عنك ما بك من سوء، ويعطيك الخيرات، بالصلاة تشتق الكمال من الله. ﴿وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾: كلهم. ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم عظَّمتموهم وعزَّرتموهم، التعظيم للرسل حق كمثل بني إسرائيل والسحرة. ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: يمحوها كلها عنك، الماضي منها. ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾: من جنة لجنة. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: مما سوى النظر لوجه الله. المآكل الطيبة وهذه الملذات تأتي بعد الإقبال

---

[7] سورة النور – الآية:55.

على الله والداخلة إليه بدرجة. ﴿**فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾: ضلَّ عن طريق السعادة، فإلى جهنَّم.

13- ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ**﴾: الذي واثقونا به. ﴿**لَعَنَّاهُمْ**﴾: أبعدناهم عنا، احذروا أن تكونوا مثلهم. ﴿**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**﴾: يضربون بعضهم بقسوة، إذ لا شفقة لديهم على بعضهم. ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾: يتأوَّلون على الرسل خلاف ما أورده الله عنهم، كل ذلك تأويلات فاسدة وتحريف الكلم عن مواضعه. يقولون هذا للجنة وهذا للنار وهذا أيضاً خلاف العدالة الإلٰهية وخلاف ما أنزل الله فأين كلمة الحمد لله رب العالمين! هذا الكون ألا يدل على علم ورحمة، لمَ أنزل القرآن، وأرسل الرسل؟ ألا يدل هذا كله على أن كلَّ إنسانٍ وله عمله ولم يكتب على أناس الشقاء! وقالوا ليس الوجه بعورة، الربا القليل مسموح به والحقيقة كله حرام ولا يجوز، يجب أن تكون طاهراً نقيّاً. فالميثاق الذي عاهدوا الله عليه أن يكونوا مؤمنين يفعلون المعروف والإحسان لكنهم بعدوا عن الله: المذنب يتباعد عن الله. ﴿**وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾: غلبت عليه شهوات الدنيا. ﴿**وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ**﴾: يريدون أذاك. ﴿**إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ**﴾. ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ**﴾: أنت عالٍ، أنت مؤمن عاملهم بما يناسبهم من الخير. ﴿**وَاصْفَحْ**﴾: عن أعمالهم والمؤمن يتابع رسول الله يعفو ويصلح ويقابل الإساءة بالإحسان، يعامل الخلق بالخير ولا ينوي سوءاً لأحد. ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾: هذه معاملة المؤمن.

14- ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى**﴾: ادّعوا ادعاءً، أما النصراني حقاً فهو من نصر الحق. ﴿**أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ**﴾: أيضاً أخذنا عليهم العهد أن نرفع شأنهم فنعطيهم الدنيا والآخرة. ﴿**فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾: كما هو حاصل الآن بين المستعمرين لعلّ بهذا يبعد أذاهم عن غيرهم وهم يعودون. ﴿**وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾: أعمالهم كلها محفوظة عند الله.

15- ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾: اليهود. ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ**﴾: من التوراة وهذا دليل رسالته. ﴿**مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا**﴾: رب العالمين. ﴿**عَنْ كَثِيرٍ**﴾: من أعمالكم. فالله كله حنان وعطف ورحمة. ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ**﴾: القرآن دلالة عالية منطقية فالإنسان يهتدي بالكتاب وينال تقوى، بنورها يرى الخير من الشر. ﴿**وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾: أليس يدل هذا الكلام الذي يأتيكم به أنَّه رسول الله. ألا تؤمنون به! أوَليس كله ضمن المنطق؟

16- ﴿**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ**﴾: الصادق بطلب رضوان الله يهديه، طالب رضاء الله يهتدي به، الصدق لا يكون حتى نفسك تقرَّ وتخاف وتستسلم لك فتريها ألاَّ إلٰه إلا الله فتستقيم وتطلب بصدق. ﴿**سُبُلَ السَّلَامِ**﴾: الحق. ﴿**وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾: فيرى طريق الحق. عندها يفتّح يرى الخير خيراً والشر شراً، وفي الكون كله، ما من أحد يريد الشر لنفسه ولكن لعماه لا يعرف ولا يميّز. ﴿**بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: لطريق الحق، خلقك لينعمك. ارأف بك منك.

17- ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾: قالوا الثلاثة واحد، فهل هذا حق؟ ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً**﴾: هذا دليل بأنه عليه السلام لم يمت فلو كان ميتاً لكان الخطاب بغير هذه الصيغة. ثانياً: إذا كما زعموا بأنه صلب نفسه، فمن المدبِّر أمور الكون؟ الإنسان ضعيف وفقير ﴿**وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾: كله لله. ﴿**يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾: كن فيكون. ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: كله ضمن مقادير. الدنيا: ربك تعهَّدَ لك برزقك فيها لكن الآخرة بسعيك.

18- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾: النصارى. ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ﴾: اليهود. نحن أيضاً نقول هذا. ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾: لم تحصل لكم الشدائد في الدنيا!؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾: لا فرق. ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: كل من شاء منكم يا عبادي أغفر له. ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: على مشيئتك يا إنسان، إن اخترت الخير نلته وبالعكس.

﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: حسب ما يناسبك يعطيك. الاختيار يحتاج لشهوة، الشهوة يلزمها رؤية، الرؤية تحتاج لتقوى لنور. أما الأعمى فيختار الحيَّة ويطلبها، البصير لا يختار إلا الطيب، الحول والقوة بيد الله، أنت تختار وهو يسيّرك.

19- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: محمد ﷺ. ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ﴾: بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ. ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾. ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾: القرآن بين أيديكم. ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾: الرسول يبشر وينذر. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: إن صرت مؤمناً رفع شأنك والعكس صحيح، فكل شيء بمقدار.

بيان من يخالف الميثاق جبان وسخ لا يعرف غير الدنيا:

20- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: كنتم أذلاء حقراء فرفع شأنكم. قارنوا بين الماضي والحاضر.

سورة المائدة: [21-30]

21- ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: فلسطين ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: فيها الخيرات، جاهدوا، أنت خلقت لفعل الإحسان والمعروف، لفعل الخير، بيت المقدس فيه جهلة، ضلال، هل تتركهم على ضلالهم يذهبون للنار غداً، جاهد فيهم لعلك تستطيع ردَّهم. المقدَّسة: التي تطهرون بواسطتها.

لماذا أمرك الله تعالى بصحبة رسول الله، أين تجتمع به؟ بالكعبة، وكذلك أولئك أنبياؤهم اتجهوا من القدس. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: ترجعون كما كنتم عند فرعون أذلَّاء: إذا تراجعتم عن فعل المعروف. أتتركهم على جهلهم يزنون، يشربون الخمر، الربا؟

22- ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾: نخاف منهم. كل المعجزات التي رأوها ما أفادت. صدَّقوا بموسى عليه السلام واعتقدوا به لكن ما فكَّروا ما آمنوا بلا إلّه إلا الله. التصديق وحده غير كافٍ فلقد ذبحوا أنفسهم. إذن تصديقهم أقوى من تصديقك الآن، لكن إذا الإنسان ما سار بطريق الإيمان فعمله واطٍ منحط. قالوا ذلك لعدم إيمانهم بأن الله بيده تسير الأمور جميعاً. ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: خافوا ما عرفوا أن النصر بيد الله ولا فهموا سبب الأمر بالجهاد. ما آمنوا بلا إلّه إلا الله، والذي لا يؤمن هذا الإيمان عمله منحط قطعاً. ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾: أصحاب رسول الله ﷺ ما هكذا أجابوا لأنهم آمنوا بلا إلّه إلا الله.

23- ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: الله تعالى. ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: من أهل الإيمان إذ آمنوا. لكلِّ عصر باب: وفي عصرهم كان موسى عليه السلام هو الباب. ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: من باب موسى عليه الصلاة والسلام أي بتعظيمه والارتباط به لتحصل لكم التقوى فإذا دخلتم على الله من باب موسى رأيتم أن الأمر بيد الله فينصركم، رأيتم الحقائق؛ إذ يسري إليكم نور من الله بواسطته وتنالون تقوى. تحاربهم لله فيرفع شأنك ويعزُّك. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾: الآن من باب موسى ينصركم الله إذ ترون أن الله معكم فينصركم. ﴿فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾: بلا شك. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن كنت

مؤمناً تتوكل على الله. لكن الشرط أن تدخل الباب فترى الخير خيراً، والشر شراً، فكِّر حتى تؤمن "المؤمن يعرف الصلاة" إن صلَّيت تطهر وتعرف الباب فتدخل منه فتعرف الخير من الشر.

24- **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً﴾:** ما لنا وما لهم! قالوا ذلك لعدم إيمانهم. **﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾:** الله تعالى خلقك لتفعل المعروف والإحسان إذا وجدت أخاك مريضاً ألا تداويه؟ كذلك الأمر مع كل معرض. **﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾:** هؤلاء جهلة لا يعرفون ما في ذلك من الخير.

25- **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾:** بعد أن ضجر موسى عليه السلام من عنادهم طلب هذا الطلب. حيث تضايق منهم. أما رسول الله ﷺ فلما اشتدَّ أذى قومه عليه قال: **"اللَّهم اهدِ قومي فإنهم لَا يعلمون"**. هؤلاء فسَّاق، لا يعرفون الله، المؤمن لا يرى إلَّا الله فلا يخاف.

26- **﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾:** حيث يموت الكبير المعاند وينشأ خلف صغير يصغي للحق، هذا الجيل الذي رأى سيدنا موسى عليه السلام وعاش معه لم يستعظمه، لكن الصغار يكبرون إلى سن الأربعين فيقدِّرون موسى عليه السلام، ويؤمنون حقاً فيقبلون على الله ويدخلون في طريق الإيمان، فاليهود ما كانوا يستعظمون موسى في أول الأمر. **﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾:** لمَّا طلب سيدنا موسى من قومه دخول الأرض المقدَّسة كان جوابهم ما لنا وما لهم. إن ضعف بني إسرائيل أدى إلى غضب الله عليهم وجعلهم يتيهون في الأرض أربعين سنة وكذلك يضرب الله مثل ابنيْ آدم يبين أن ضعف الابن المقتول سَبَّبَ قتله وكان عليه أن يهدد أخاه ويخيفه لئلا يقدم على هذه الجريمة. والله تعالى ذكر لنا قصة ابنيْ آدم؛ ليبين لنا أن الذي يترك الظالم يتمادى في ظلمه مسؤول، لو كنتَ مؤمناً حقاً فلن تسمح لظالم أن يتمادى في ظلمه.

27- **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ﴾:** ادَّعوا أن هابيل سكت لقابيل وما قتله، فردّ عليهم تعالى بأنه لو أن هابيل لم يسكت لأخيه لكان خيراً له ولأخيه. **﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً﴾:** في أول بطن جاء من آدم ذكر وأنثى وفي البطن الثاني جاء ذكر وأنثى، وحيث إن آدم عليه السلام في البطن الأول أكل من مادة "الحنطة" مثلاً، وفي البطن الثاني أكل من مادة ثانية "الحمص" مثلاً، جاء الدم مختلفاً في البطن الثاني عن دم البطن الأول فكان من اللازم التبادل بالزواج بينهما، فسمح تعالى للابن الأول بأخذ البنت الثانية وبالعكس، جاءت الأولى أجمل من الثانية فما رضي أخوها بذلك. **﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآَخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾:** لم تقتلني. **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّه مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾:** اتق الله ترى الحكمة من هذا التشريع في الزواج. الحكمة: أنه إذا اتَّحد الدم جاءت الذرية ضعيفة، عميان... الخ، وعند اختلاف الدم تأتي الذرية قوية سليمة من العاهات.

28- **﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾:** الذي يقتل آخرته للنار.

29- **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾:** تركه يتجرأ عليه، فسبَّب له القتل، قال: **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾:** هل أدعك تتحمل إثمي وإثمك بأن أسمح لك بزواج أختي: عكس المراد الإلَهي والطبيعة البشرية أي لا أريد، ولكن ما هدَّده. **﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَآؤا الظَّالِمِينَ﴾:** ظلم نفسه بمخالفته كلام خالقه.

30- **﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾:** نفسه حرضته على ذلك. **﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾:** دنيا وآخره. أخوه سبب له الخسارة حيث تركه، وأنتم يا بني إسرائيل ما دخلتم القدس ولا حاربتم لمَّا دعوتكم وما أنقذتموهم.

سورة المائدة: [31-40]

31- ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً﴾: هنا ظهر أن الله هيأ الدنيا قبل إخراج الإنسان للوجود، كما تبيَّن أن الفعل بيد الله فهو الذي بعث. ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا﴾: يا شقائي! ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾: البعيد عن الله جاهل، وأنت عليك واجب؛ فعل المعروف، لهذا جئت للدنيا. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾: على فعله دنيا وآخرة.

32- ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: وما كان قبلها قتل ولا قاتل، حيث شجع الناس على القتل، لكن لو قطعت الجرثوم من الأصل لما حصل فساد. ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾: وما كان مفسد. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾: إذ أنه علَّم الناس على القتل والفساد حيث قبلها ما كان قاتل، كل جرم بعنقه، الذي يُخرج زوجته كاشفة يضر الناس وهذا هو الديوس[8]. ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾: عمله ومن تابعه به إلى يوم القيامة. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: يبيِّنون لهم وجه الحق لكن ما فقهوا. ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: بعد كل ما سمع. إذاً المدار على الإيمان، فمن لا يرجع إلى الأصل فلا يؤمن بلا إلّه إلا الله مهما سمع لا يستفيد إذ يسمع ولا يعي أو لا يسمع أبداً.

33- ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يعارضون الحق ويخالفونه ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا﴾: قتلهم خير من بقائهم. ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾: لا يعود أحد يتجاسر. ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾: لرد الناس للحق. ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾: ليتأدبوا.

﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: لا بد منه مهما طال أمره. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: إن لم يتوبوا.

34- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾: تاب قبل أن يقع في يد الحاكم. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: إذا تاب تاب الله عليه.

35- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: حتى تستطيعوا أن تعرفوا الأوامر وطريق الحق. ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: ولكن كيف تكون التقوى؟ ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: الشفاعة، يا مؤمن اتَّق الله، لكن التقوى لها باب إذ لا بد لك من شخص يدخلك على الله، كل عصر له باب ولكل زمان باب، دون وسيلة لا تحصل التقوى، صاحب رسول الله ﷺ، ادخل معه على الله تجد حكم الله ضمن العدالة والرحمة، حتى تصير لك الصحبة لرسول الله. ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾: احذر المنكر إن حدَّثتك نفسك به، افعل المعروف وحافظ على نفسك، تحصل ثقة بنفسك، تصلي تكتسب الكمال فتقبل على الله فتعرف أهل الكمال، فتحب رسول الله وتدخل بمعيته على الله. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أرضك تصبح أهلاً لزرع الخيرات: حيَّ على الفلاح عندها تحصل لك التقوى، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً. بالتقوى ترى نفسك طاهرة وطريقك طاهر.

36- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لحقوا المنكر وما آمنوا بلا إلّه إلا الله ولا اتّقوا. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾: لو أن عنده قدر الدنيا لا يقبل منه، فما يفيدك هذا البسط والنعيم في الدنيا! ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: بعدها.

---

[8] الديوس: بحرف السين. كما ورد في حديث رسول الله ﷺ: وهو الذي يقر الخبث في أهله وهو أحد الثلاثة الذين حرم الله عليهم الجنة. رواه الحاكم والبزار.

37- ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ**﴾: من ألمه من حريقها. ﴿**وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا**﴾: يتمنون الخروج لكن ألمهم يجبرهم على البقاء، هو لا يريد الخروج لألمه، يتمنى لكن لا يستطيع لما فيه لأن حالته المرضية تستلزم البقاء بالنار. ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾: على طول.

38- ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ**﴾: رجلاً وامرأة. ﴿**فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً**﴾: عقوبة. ﴿**مِنَ اللَّهِ**﴾: يقتضي قطع يدهما: وتشهيراً لهما فينتفي هذا الجرثوم من الأرض. ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾: بهذا الحكم.

39- ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ**﴾: بهذا القطع تحصل له التوبة يتوب عليه، فأنت بقطع يده تخدمه وتخدم المجتمع كله. ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: ومن جهة أخرى: إن أرجع الأموال لأصحابها وتاب قبل أن يعلم بذلك الحاكم هذا يتوب الله عليه ولا تقطع يده.

40- ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ**﴾: أيها الإنسان. ﴿**أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾: هل من أحد غيره؟ أما نظرت في الشمس وبالقمر بالليل والنهار بالمطر والرياح: من بيده أمرها! ﴿**يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**﴾: العذاب، ممن لم تطهر نفسه بالدنيا. ﴿**وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من شاء المغفرة وأقبل طالباً الغفران غفر له، أعطاك الخيار: اترك المنكر عندها يتوب عليك، الأمر راجع إليك. ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: بمقدار توبتك يعطيك والعاصي بمقدار عصيانه.

سورة المائدة: [41-50]

41- ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ**﴾: وهم المنافقون. ﴿**مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾: بلسانه فقط، يخرج من عند الرسول فيفعل ما يشاء، كانوا صورتهم مع رسول الله ﷺ وفي سرّهم يماشون أعداء الرسول الكريم. ﴿**وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ**﴾: من هؤلاء المنافقين ﴿**سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ**﴾: من اليهود ﴿**لَمْ يَأْتُوكَ**﴾: المنافقون واليهود يسمعون من جماعة من اليهود الذين لم يجتمعوا برسول الله أقوالاً ينسبونها له وهم لم يسمعوها منه، ولم يأتوك لأن نجاستهم تحول بينهم وبين القدوم. ﴿**يُحَرِّفُونَ**﴾: هؤلاء اليهود. ﴿**الْكَلِمَ**﴾: التوراة ﴿**مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ**﴾: لليهود الذين جاءوهم. ﴿**إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ**﴾: إن قال لكم محمد ﷺ مثل ما قُلْناه اتبعوه. ﴿**وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا**﴾: وإلا فاحذروا. ﴿**وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ**﴾: لما في نفسه من الخبث. ﴿**فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ**﴾: أهكذا ظنهم بربهم! لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لما في أنفسهم فهم لم يصلوا بعد إلى درجة الشفاء لذلك لن يشفوا الآن على يديك يا محمد. ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**﴾: وبذلك يرجعون. ﴿**وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: على هذا الظن.

السبب أنهم:

42- ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾: المال الحرام. ﴿**فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾: ما لهم جدوى. ﴿**وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً**﴾: لا أذنه تريد أن تسمع الحق، ولا هو مستقيم. ﴿**وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾: ولمَ لا يسيرون على التوراة التي عندهم؟ القرآن كالتوراة لِمَ يأتون إليك!

43- ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ**﴾: لو كانوا مؤمنين بها لطبَّقوها. ﴿**ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾: هؤلاء كاذبون.

44- ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى**﴾: للخلق إلى الله. ﴿**وَنُورٌ**﴾: بعده موصل للحق. ﴿**يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا**﴾: لرسل الله، الأنبياء حصل لهم الرؤية حيث استسلموا لله ولرسوله ﴿**لِلَّذِينَ هَادُوا**

وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾: أهل الإرشاد رأوا الحق أيضاً يحكمون ﴿**وَالْأَحْبَارُ﴾:** حفظوا كتاب الله. ﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾:** للناس. ﴿**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾:** تشجَّعوا، ردُّوهم للحق. ﴿**وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾:** لا تلحق بالدنيا. ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾:** كفره حمله على عدم الحكم.

45- ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾:** وكذلك القرآن. ﴿**فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾:** بعد الحكم. ﴿**فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾:** عندها له أن يتصدَّق لا أن يدعه يعتدي عليه ثم يعفو عنه، فبعد الحكم إذا أنت عفوت فهذه كفاّرة؛ إذ بعفوك تقبل على الله. ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:** ظلم نفسه.

46- ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَى آَثَارِهِمْ﴾:** بعد الرسل. ﴿**بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾:** جاءهم ببيان كالتوراة، وكما وصفته التوراة. ﴿**وَآَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾:** قوله مطابق للتوراة. والإنجيل كالتوراة. ﴿**وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾:** طالب التقوى يتَّعظ.

47- ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾:** لو حكموا حقاً لصاروا كلهم مؤمنين، لكنهم كاذبون لا يحكمون به. ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:** خارج عن الحق.

48- ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾:** القرآن كالتوراة لكنه مُفصّل. ﴿**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾:** جامع لهما. ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾:** لا تسايرهم. ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾:** الشرعة الشيء الظاهر: موسى عليه السلام "العصا، البحر، اليد" هذه المعجزات كلها ليرتبطوا بموسى عليه السلام، إن ارتبطوا خرجوا من الدنيا ووساوسها ونهجوا طريق الحق. عيسى عليه السلام أحيا الميت، أبرأ الأكمه والأبرص تكلَّم في المهد كله شرعة شيء ظاهر ليرتبطوا به ومنه يسيرون في طريق الإيمان بلا إلّه إلا الله، فشرعة أي طريق للتفكير بأن تسلك طريق الإيمان ببدايتك ونهايتك حتى تصل للإيمان بلا إلّه إلا الله، إن آمنت بدأت تستوفي الكمال من الله، محمد ﷺ جاء بالبلاغة. ﴿**وَمِنْهَاجاً﴾:** طريق للعمل أحكام، المؤمن إذا صار له الإيمان يعمل الخيرات فتوصله للثقة، للصلاة. ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ﴾:** امتحان: من يفعل الخيرات؟ أعطاك الدنيا ليظهر عملك العالي لتفعل الخير. ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾:** لا تضيع الدنيا سدى. تملَّى يا مؤمن من خيرات الدنيا. ﴿**إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾:** غداً.

49- ﴿**وَأَنِ احْكُمْ﴾:** أنت ﴿**بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾:** أن تسكت عن شيء مما أمرناك به. ﴿**وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾:** بالتذلل والتزلف أمامك. ﴿**عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾:** طبِّق بالتمام. ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾:** بما في نفوسهم من شهوات، في قلوبهم أوخام لا بد من خروجها. ﴿**وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾:** خارجون عن الحق.

50- ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾:** أهكذا يريدون! كانت الدولة العثمانية في بادئ أمرها تحكم بموجب كتاب الله لذلك فتحت البلقان: صار لها شأن عظيم. استنجد ملك فرنسا بالسلطان العثماني من ألمانيا فجاء ملك ألمانيا إلى السلطان وقبَّل ركابه وخضع له. كان القاتل يُقتل، الزاني يُجلد، السارق تقطع يده، وبهذا تنقطع الجرائم، فبدَّل العثمانيون ذلك.

سبب انحرافهم عن كتاب الله:

لقد ظنوا أنهم يرحمون القاتل بالسجن والسارق بعدم قطع يده فأشاعوا الجرائم. وكذا بالبناء وبالزواج وبكلّ شيء تابعوا الكفار فكان نتائج ذلك كله الهلاك. لو كنت مؤمناً حقّاً لرأيت نتائج هذا الشيء المخترَع الضار على الإنسان ذاته، لو فكرت لرأيت آثار هذا الاختراع الضار. ليست الدنيا للّهو واللعب بل الدنيا مدرسة وهي مدة مؤقتة لتكتسب بها رضاء الله، فالدنيا ليست للّهو إذ أن نتائج اللهو الهلاك، والناس الآن يتابعون الكفار الجهلاء. ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾: الموقن من صار له يقين بالله يرى حكم الله ودلالته وما فيها من الخير. "الاشتراكية والإسلام: البناء متماثل الملابس، الطعام يخفيه، يعمل بماله لنفع الغير".

سورة المائدة: [51-60]

51- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ**﴾: لا تسمع دلالة أحد غير الله، اسمع ممن يدلك على الله. ﴿**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾: المؤمن لا يواليهم، دعوهم لبعضهم البعض أولياء. ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾: ولو ادّعى أنه مسلم، فعله مثلهم فهو منهم. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: لكن الذي يسمع لهم لا يهتدي للحق ولا يسمع الحق، البعيد عن الله لا بد له من أن يتبعهم فالله لا يهديه. إن آمنت وتبت رأيت ضلالهم واهتديت، رأيت شقاءهم في دنياهم.

52- ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ**﴾: يدارونهم ويوادُّوهم محبُّ الدنيا يسارع في موالاتهم في محبتهم وموادتهم. ﴿**يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ**﴾: يخاف منهم يقول: نداريهم خوفاً من أن يؤذينا أحد، هؤلاء يساعدوننا. لو عرف أن الأمر بيد الله لما استعان بهم، بل لاستعان بالله. ﴿**فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ**﴾: على المؤمنين ﴿**أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ**﴾: يموتون هم أو يموت هذا الموالي، ويندم على تفريطه. ﴿**فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ**﴾: فيندم، يُخزى من حاله.

53- ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: ساعتها. ﴿**أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ**﴾: غداً تظهر الحقائق، كل إنسان يظهر للخلق جميعاً، يرى نفسه والناس يرونه. فهذا المنافق لا بد أن يبوء بالخزي بعد الموت. ﴿**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾: كل عملهم صار منحطاً. ﴿**فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ**﴾: ما أعد الله لهم من الخيرات، فالإنسان إن ما فكَّر بالموت ووضع لنفسه الزمام لا يفكِّر بلا إلّه إلا الله ولا يصل إليها. فإن فكَّر بالموت خافت النفس فصار التفكير والإيمان، ومن بعده الاستقامة فالصلاة والارتباط.

54- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ**﴾: عن هذا الميل الذي ملته. ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾: إذا ارتد فلا يضر إلّا نفسه ويبعث الله خيراً منهم. ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾: المؤمن يعامل أخاه بالإنسانية وباللطف. ﴿**أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾: على الكافر اشدد واهدد عليه لتذله لعله يرجع لطريق الحق. ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: دوماً: إذا نفسه أرادت أن تحدثه بشيء يكسر شوكتها، يقابل أخاه بالمعروف، المؤمن للمؤمن كالبنيان، ويدعو الناس للحق. ﴿**وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾: عليهم. لا يهمّه أحد. ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ**﴾: على المؤمن. ﴿**يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من شاء يعطيه. ﴿**وَاللَّهُ وَاسِعٌ**﴾: فضله. ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بكلِّ إنسان، كله ضمن علمه.

55- ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ**﴾: إن كنت مؤمناً لا تمش إلّا بدلالة الله. ﴿**وَرَسُولُهُ**﴾: بما جاءك به رسول الله عن الله وهو القرآن. هذا هو المؤمن. ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: أولياؤكم اسمعوا كلامهم الذي يرشدونكم به عن الله، المؤمن من يتابع أمر الله. من هم؟ ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾: علامتها، بصلاته تحصل له الطهارة. ﴿**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾: يؤتي نفسه الطهارة بصلاته وبالعمل العالي: الصلاة صلة علامتها أن المؤمن يخرج منها وقد اشتق من الله تعالى الطهارة النفسية. ﴿**وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾: لأمر الله، خاضعون لله، راكع مع إمامه مع رسول الله عليه الصلاة والسلام لا للشيطان، المؤمن راكع، إمامه رسول

الله يصلي معه. إذن أنت تابع مؤمناً راكعاً مع رسول الله ﷺ، هذه هي الصلاة الحقيقية وهذا الرجل هو الذي يجب أن تصلي معه، أما الكعبة فلكي تجتمع مع الإمام.

56- **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ﴾:** بأن يسير بدلالته. **﴿وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾:** حتماً. الله تعالى حكيم لو صدقت لرفع شأنك، طهر نفسك حتى يحفظك من كل سوء.

57- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾:** يحذرنا الله تعالى من مماشاتهم. **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾:** انظر بنور الله وسر على دلالته. **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:** بدلاً من أن تستشيرهم انظر بنور الله ترَ الحق، أنت لست بحاجة لهم، بنور الله ترى الخير والشر، فالمؤمن يسمع دلالة الله. وبكل وقت وكل ساعة إن استقمت أخذ الله بيدك، والعكس صحيح، فلا دخل للزمان بل المسؤولية عليك والأمر متوقف عليك إن سرت بالحق فأجرك أعظم من السابقين ولابدَّ أن يأخذ الله بيدك.

58- **﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً﴾:** يضحكون منكم. **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾:** ما عندهم شيء من عقل، عندهم فكر فقط، كل اختراعاتهم بالفكر، لو كان عندهم عقل لرأوا ما في قنبلتهم من أذى عليهم... البعيد عن الله يستدل بفكره على شيء لكن لا يدري ما فيه من خير وشر، فكَّروا كيف تكون القنبلة الذرية، لكن ما عقلوا ما فيها. المؤمن يعقل، هؤلاء لا يعقلون ما في الصلاة من خيرات، فالإنسان صفحة فارغة إن صلى حقاً مع الإمام اكتسب من الله تعالى الطهارة واكتسب بقلبه كمالاً فصار إنساناً وغدا محسناً بذا يكسب دنياه ويدخل غداً بعمله على الله فيسعد بهذا الإقبال على الله.

59- **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾:!** هذا الذي سبَّب نقمتكم؟ هل فعلنا شيئاً منكراً! وكذلك وبكل وقت المؤمن يعاديه الناس. **﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾:** أمرنا الله تعالى بفعل المعروف وترك المنكر، هل تريدون أن نفعل المنكر مثلكم. **﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾:** لأنهم سائرون بالضلال يريدون أن يكون الخلق مثلهم، بفسقكم نقمتم علينا، ما عرفتم لماذا جئتم للدنيا! كل الكون لأجلك جاء بك للدنيا لتعمل الخيرات فتدخل بها غداً على الله وتدخل النعيم المقيم من جنة إلى جنة أعلى.

60- **﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾:** يعود عليكم من عملكم. **﴿مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾:** مصيركم ماذا سيكون؟ **﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾:** مصيركم سيكون مثلهم عملكم ينتج لكم مثل ما أصابهم، **﴿أُولَئِكَ﴾:** الذين يردُّون الحق **﴿شَرٌّ مَكَاناً﴾:** ممن يفعل المنكر ولا يصد عن الحق. **﴿وَأَضَلُّ﴾:** أكثر ضلالاً. **﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾:** وقعوا بشر حال لأنهم لم يستقيموا، فكِّر بنفسك عندما تموت، هل أنت باقٍ؟

سورة المائدة: [61-70]

61- **﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾:** مثلكم. **﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾:** من قبل **﴿بِالْكُفْرِ﴾:** دخلوا قلبهم كافر وهم متلبّسون بهذا الحال. **﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾:** إليكم. **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾:** عملهم كله عمل كفار.

62- **﴿وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾:** يتكلم على الله بغير الحق. **﴿وَالْعُدْوَانِ﴾:** التعدي. **﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾:** يأكل أموال الناس بالحرام، بالتعدي، بالربا لأنه لا يرى الله رزَّاقاً. **﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:** والآن يرى الناس أنهم إن لم يوالوا الكفار تتوقف أعمالهم.

63- ﴿**لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ**﴾: علماؤهم لو كانوا على الحق لنهوهم، لماذا لا ينهونهم عن قولهم الإثم وأكلهم السحت! ﴿**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾: عالمهم والمتابع له.

64- ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾: هذا هو الإثم والعدوان قالوا الله ترك الخلق، وأن الأمر بسعي الإنسان إن لم أعمل من أين آكل، الله تعالى قال لك اشتغل وأنا أرزقك. ﴿**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**﴾: عن فعل المعروف بقولهم هذا أن الأمر بسعي الإنسان وإن الله ترك هذا الإنسان، وغلت أيديهم إذ لا فعل لهم وكل الفعل بيده تعالى فلو أعطاهم القوة لتسلط القوي على الضعيف. ﴿**وَلُعِنُوا**﴾: بعدم فعلهم المعروف ﴿**بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾: للخلق. ﴿**يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾: كل واحد بحسب حاله يعطيه. كلَّ إنسان يعطيه ما يناسبه بحسب نفسه.

﴿**وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً**﴾: شهواتهم تجعلهم كلما سمعوا كلام حق يتباعدون بسبب عدم إيمانهم. ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾: بين بعضهم دول متعادون كل دولة وعينها على دولة، طامعة بها. دوماً في عداوة مع بعضهم. ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ**﴾: على المؤمنين. ﴿**أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾: عملهم في الدنيا كلُّه فساد.

65- ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا**﴾: دوماً الله فاتح باب الخير لو أقبلوا واستناروا ﴿**لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾: كذلك كل من صدق مع الله يكفِّر عنه لكن لا بد من الإيمان والتقوى لتستطيع السير بالحق.

66- ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾: الآن على لسانك. ﴿**لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾: لنزلت الأمطار ﴿**وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**﴾: ونبت الزرع. ليس كما قالوا يد الله مغلولة، لو فعلوا الخير لفتحنا عليهم ولنزلت الأمطار ونبت الزرع. ﴿**مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ**﴾: سائرة بالحق. ﴿**وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾: يضيّق عليهم ليعودوا للحق.

67- ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾: أنت أهل لذلك. رأى ﷺ الفرس الروم كثيرين، الإسلام أقلَّه فأمره الله بالتبليغ. ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾: تكون قد حرمت نفسك، ولذلك كتب الكتب للملوك والمقوقس "ملك مصر" ودعاهم للإسلام. ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾: كل ما يقال إنَّه ﷺ أوذي جسدياً فلا أصل له. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾: البعيد عن الحق، غير المؤمن بلا إلّه إلا الله كيف يهتدي! ذلك لأن قلبه أعمى مشحون بالغش فلا بدَّ من إخراج خبثه من نفسه.

68- ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ**﴾: من إيمان ولو ادعيتم أنكم أتباع موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام فكل أعمالكم باطلة لا خير لكم منها. ﴿**حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: الآن على لسان رسول الله ﷺ وكذلك نحن إن تركنا كلام الله لسنا على شيء. ﴿**وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾: ما أنزل من فعل المعروف وترك المنكر. ﴿**طُغْيَاناً وَكُفْراً**﴾: شهوتهم غالبة، كيف يترك؟ بل يزداد تمادياً. ﴿**فَلَا تَأْسَ**﴾: فلا تحزن ﴿**عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾: وكان ﷺ يبكي كثيراً ويضحك قليلاً متواصل الأحزان عليهم فسلَّاه تعالى بذلك. أنا أمَّنت لهم كل شيء ولكنهم هم طلبوا الشقاوة.

69- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: بالخالق. ﴿**وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ**﴾: عبدة الشمس والقمر والنجوم. ﴿**وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**﴾: هل آمنت بلا إلّه إلا الله وأن عليك مسؤولية غداً؟ المسألة لا بقولك أنا مسلم، الأصل الإيمان بلا إلّه إلَّا الله إنه ليس بيدك شيء الفعل كله بيده... الصلاة الصحيحة تخلصك

من الشقاوة التي حل بها هؤلاء الأربعة وهم سواء: تارك الصلاة إن شاء يموت يهودياً أو نصرانياً. ﴿**وَالْيَوْمِ الآَخِرِ**﴾: الحساب. إنك أنت مسؤول عن عملك فهؤلاء الذين آمنوا بالخالق، الذين آمنوا بالشمس والقمر كلهم واحد في الضلال ما لم يؤمنوا بلا إلّه إلا الله. ﴿**وَعَمِلَ صَالِحاً**﴾: تصلح أن يدخل بها على الله. ﴿**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾: يحفظ في الدنيا من كل سوء. ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾: عليها. في الدنيا سعيد في الآخرة أسعد، هذا هو الناجي.

70- ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾: أخذنا العهد عليهم. ﴿**وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ**﴾[9]: نحن أرسلنا إليهم رسلاً لكن كذّبوا الرسل بما لم يوافق هواهم وقتلوهم. هم مشغوفون بالدنيا فإذا نهاهم عن الربا، الخمر، الزنا، قال لك أنا مَلَكٌ! نعم يجب أن تكون كذلك، أنت يمكن أن تكون مَلَكاً وأعلى من الملك.

سورة المائدة: [71-80]

71- ﴿**وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾: لما آمنوا بموسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام. قالوا آمنا ولِمَ نفكِّر بلا إلّه إلا الله ونتعب أنفسنا! نحن آمنا، إن ما آمنت بلا إلّه إلا الله لا بد أن تفتن بالدنيا وتقع فيها. ﴿**فَعَمُوا**﴾: عن الحق ﴿**وَصَمُّوا**﴾: عن التذكرة ووقعوا لا عادوا رأوا ولا عادوا سمعوا عند الشهوة إن ما آمنت بلا آله إلَّا الله تعمى وتصم تغلبك الشهوة ولا ترى، فالإيمان بلا إلّه إلا الله لا بد منه. هؤلاء سمعوا كلام الأنبياء سماعاً، لكن لم يفكرّوا حتى يعقلوا ما هي نتائج المنهيات من زنا وربا. صدَّق لكنه ما فكَّر فما عقل، رأى النساء فاستهواهن والربا وغيره ففتن ولو فكَّر وعقل لما فتن. ﴿**فَعَمُوا وَصَمُّوا** ﴾. ثم عموا وصموا ثم عادوا للشهوة. ﴿**ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾: بالبلاء. تركهم موسى عليه السلام أربعين يوماً ثم عبدوا العجل، وكانوا قد ساروا في البحر رأوا معجزات كثيرة، ذاقوا ما ذاقوا من فرعون، ومع ذلك غاب عنهم أربعين يوماً وضلّوا. إن ما آمنت بلا إلّه إلا الله تقع حتماً في الشهوة رغماً عنك. ﴿**ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا**﴾: بعد رفع البلاء عادوا للشهوة. قال لهم موسى عليه السلام: الله يأمركم بأن تقتلوا أنفسكم، وطبَّقوا ذلك، فكم كان تصديقهم بكلام موسى عليه السلام ومع ذلك عادوا ووقعوا في الفتن حيث ما عقلوا. ﴿**كَثِيرٌ مِنْهُمْ**﴾: ما نجا من الضلال إلا قليل. إن ما آمنت بلا إلّه إلا الله لا بد أن تقع. ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾: إن لم تفكِّر بالكون وتؤمن بلا إلّه إلا الله فلن تستفيد من كافة عقائدك وتصديقك لا بد أن تفتن وتقع وتهلك.

---

[9] القتل هو إيقاف الحياة عن السريان فهناك حياة جسمية فإذا قتل الإنسان توقفت الحياة عن جسمه وهناك حياة قلبية فإذا أوقفت هذه الحياة فهي عملية قتل أكبر فعملية قتل الأنبياء عليهم السلام هي إيقاف الحياة القلبية عن السير والتي نتائجها الأعمال الصالحة وسعادة الناس وجناتهم غداً وهؤلاء بنو إسرائيل أوقفوا الحياة القلبية عند أصحابها الأنبياء والرسل وبهذا تم القتل والله يقول بسورة الأنفال – الآية:24. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ): أي لما به تكسبون الحياة ولكي تغدوا إنساناً من أهل الجنان والعطف والإحسان. أما أجسامهم عليهم السلام فلا يسمح لأحد بلمسها بأي أذى حتى منع الأرض من أن تأكل أجسادهم بعد انتقالهم لأن أنبياء الله عليهم السلام معصومون عن الخطأ فلا استحقاق عليهم ليستحقوا القتل ولا يستطيع أحد أن يتسلط عليهم بأذى صغير أو كبير بل العكس صحيح الله يسلط رسله على من يشاء لقوله تعالى: (...وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ...) سورة الحشر – الآية:6، (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي...) سورة المجادلة – الآية:21، (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) سورة النساء – الآية:147، وكل ما قيل عن قتل الأنبياء إن هو إلا من دسوس كفرة اليهود بسبب طردهم من الجزيرة العربية، فقصة قتل سيدنا يحيى عليه السلام لا أساس لها والله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين ينفي هذه القصة بقوله: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) سورة مريم – الآية:15، فالسلام من الله هو الأمان ومعنى ذلك أن الله تعهد بأمان سيدنا يحيى عليه السلام فمن يجرؤ ويستطيع قتله كذلك الآية ذكرت يوم يموت ولم تقل يوم يقتل.

72- ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾**:** قالوا المسيح هو الله. ﴿**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ**﴾**:** يرى فاعلاً غير الله. ﴿**فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**﴾**:** حيث يقع في ا لمعاصي والمعصية تحجبه عن الله فلا يكتسب الكمال فيقع بالرذائل، فلا يستطيع دخول الجنة. إذ أن إشراكه يحوّله عن الله فلا يكتسب الكمال ويقع بالرذائل. ﴿**وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ**﴾**:** غداً. ﴿**مِنْ أَنْصَارٍ**﴾**:** المريض من يشفع فيه!

73- ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾**:** عيسى ومريم وهو. ﴿**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ**﴾**:** الآن ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾**:** على يد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بهزائمهم.

74- ﴿**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**﴾**:** بعد بيانك. ألا يكفي بعد هذا البيان أن يتوبوا! ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾**:** قل لهم.

75- ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**﴾**:** صدقت بما عاهدت الله عليه، كل منا عاهد الله قبل مجيئه للدنيا، هي صدقت. ﴿**كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ**﴾**:** بحاجة. الذي يأكل الطعام فقير وضعيف فهذا أيكون إلٰهاً؟ هل يكون الإلٰه فقيراً وضعيفاً، كيف يطعم غيره؟ ﴿**انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ**﴾**:** ألا تكفي هذه الحجة عليهم؟ ﴿**ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾**:** كيف يتحولون قالوا ذلك حيث ما فكَّروا فما عقلوا تحولوا. إذا يوم واحد ما أكل تذهب قوته، فكيف يعين الخلق! إذاً: هؤلاء الكفار سخفاء، لا تتبع دلالتهم، انظر بنور الله تهتدي أنت لا حاجة لك بهم.

76- ﴿**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً**﴾**:** المسيح بشر مثلك لا يستطيع أن يسقيك، لا يطعمك، لا يرفع عنك أذى. اعبد الإلٰه الذي يطعمك ويسقيك. ﴿**وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**﴾**:** لقولكم. ﴿**الْعَلِيمُ**﴾**:** بحالكم، كل واحد يعطيه بحسب صدقه وعمله. اصدق مع الله ترَ الله أعانك ورفعك وأيدك.

77- ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾**:** لا تبالغ في القول خلاف الحق، ونحن كذلك أناس يقولون لولا محمد ﷺ ما خلق شيء في الكون. الحقيقة أنه بشر **{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}**[10].

يقولون الرسول: الله أعطاه الرسالة والنبوة دون سعي منه، يقولون الرسول جاء مختوناً من بطن أمه، يقولون الرسول جاء ملَك وأخرج علقة من صدره ولِمَ نحن أبقاها فينا؟! الحقيقة أنه بسعيه ﷺ رفع الله شأنه وأعطاه وكل من صدق مع الله نال بحسب صدقه. ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ**﴾**:** عن الحق. ﴿**وَأَضَلُّوا**﴾**:** غيرهم. ﴿**كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾**:** ساروا بغير طريق الحق، زنوا، سرقوا، ما كسبوا الحياة. الإيمان بالله حتى تستقيم تصير إنساناً تسير بالحق ليمتلئ قلبك بالحنان والإحسان تدخل الجنة، المؤمن كله خير إحسان يدخل الجنة.

78- ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾**:** لعنوا: بعدوا عن الحق. ﴿**ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا**﴾**:** ما اتبعوا كلام أنبيائهم. ﴿**وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾**:** كل عملهم وشغلهم تَعدٍّ، طلبهم الدنيا من أي وجه كان.

79- ﴿**كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ**﴾**:** يعلّمون بعضهم، يسوقون بعضهم للشر. ﴿**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾**:** كلهم.

---

[10] سورة الكهف – الآية:110.

80- ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كانوا يتولون الكفار فصاروا مثلهم. أنتم احذروا أن تفعلوا مثلهم. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: هذه كانت نتائجهم. أنت آمن بالله وانظر بنور الله ترَ الحق، أنت لا تكن مثلهم. ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾: كلهم.

سورة المائدة: [81-90]

81- ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾: الأولون. ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾: المؤمن بلا إلَه إلا الله والمؤمن بالرسول والكتاب لا يتخذهم أولياء، الذي يتخذهم أولياء علامة أنه غير مؤمن، بل لما فعل تلك الأفعال الدنيئة ولاسْتقام. لو آمنوا بالله وحصلت لهم صلة به لصار لهم تعظيم لرسولهم ولاتَّبعوه. فالإنسان إن لم يؤمن فإنَّه يتّبع الرذائل. ﴿وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارج عن طريق الحق. لو صدق بإيمانه ما اتخذهم أولياء.

82- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: اليهود والنصارى فلا توالهم. ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾: حقاً، الذين نصروا الحق. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: أسس الحق. فكَّر حتى بنى إيمانه على أسس حق. ﴿وَرُهْبَاناً﴾: عندها عبد الله إثر رهبته لمشاهدته جلال الصانع العظيم للجبال، والبحار ودوران الكرة الأرضية فاستعظمه تعالى وأطاعه حقاً. ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن طاعة الله. أمثال النجاشي وعبد الله بن سلام رضي الله عنهما لمَّا سمعا كلام الله خضعا.

83- ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا﴾: من كتابهم. ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾: الكلام واحد، بكوا لأنهم رأوا الحق واحداً.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: نشهد للخلق كلام الحق.

84- ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: هذا ظاهر، كل الكون بيد الله، كيف لا نؤمن والكون كله دالّ عليه؟ ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾: عن لسان محمد ﷺ كله خير وسعادة. ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: كل محسن هذا له.

85- ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: أيّاً كان إذا آمن بلا إلَه إلا الله اهتدى للحق، الحق واحد كل ما جاء في القرآن جاء لمن سبق، الحق واحد لكن تفصيل.

86- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: نكروا لا إلَه إلا الله فما آمنوا بها. قال: يد الله مغلولة ترك المعروف، فعل المنكر. ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الدالة على لا إلَه إلا الله. ما آمنوا بآيات الله. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: كلمة لا إلَه إلا الله لانهاية لها، كلما عمقت أكثر زاد إيمانك، تحسن مسلكك أكثر، الكلمة من فمك إن قلتها عليها ثواب أو عقاب فاحذر أن تقول كلمة قبل أن تفكر، مسؤول أنت عن كل جارحة إن قلت لا إلَه إلا الله وتوصلت إليها حفظت من كل مصيبة.

87- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أناس قالوا: نحرم على أنفسنا أكل الطيبات، تزوُّج النساء، فقال تعالى: ما تطيب به نفسك لا تحرمْه. صوم الدهر، لماذا؟ الله تعالى أعلم، جعل لك ترتيباً كاملاً، وبعض الناس يقول هذا الطعام لا يناسبني وهذا يناسبني، فالله تعالى لم يخلق شيئاً وفيه ضرر لكن الإسراف في المأكولات يضرُّك. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: لا تتجاوزوا الحدّ. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: لا تأخذه من غير طريق الحلال.

88- ﴿**وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً**﴾**:** ما تطيب به نفسك، لا تزد عن الحدّ بل كُلْ باعتدال فأكثر الأمراض تأتي من الإسراف في الطعام.

رسول الله ﷺ علَّمنا أصول الطعام: كلوا مجتمعين، تكلموا بكلام يسرُّكم، صغِّروا اللقمة، امضغوا كثيراً، إذا أكلتم لا تشبعوا بل قوموا عن الطعام ونفسكم تشتهيه. الطعام خفيف المعدة تشتغل براحة وتهضمه كلَّه فاستفاد منه كل الجسم كالعين والأذن والأجهزة كلها. أما الطعام الزائد فلا تستطيع المعدة هضمه بل يندفع للأمعاء وتحصل التخمرات كالقبض والإسهالات ووجع الرأس... كلْ قليلاً من كلِّ شيء فلا تمرض. الصحة ليست ملكاً لك. خلقت لتعمل لتكون إنساناً لتكسب الحياة. المريض يلتهي بمرضه فلا يستطيع أيَّ عمل. صحتك أنت مسؤول عنها. ﴿**وَاتَّقُوا**﴾**:** دوماً انظر بنور الله في الأكل والشرب والنكاح، استعن بالله إذا كنت مؤمناً أنه قريب منك دوماً سَلْه وحده. ﴿**اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾**:** معك دوماً أينما سرت.

89- ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾**:** إن لم تحلف مؤكِّداً. ﴿**وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ**﴾**:** لكن إذا كسرت الهاء بلفظ الجلالة وأكدت مصمماً أن لا تفعل شيئاً محلّلاً لك تستطيع إلغاء اليمين وتفكَّه بإطعام عشرة مساكين. ﴿**فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾**:** عبد، تشتري أسيراً عند الكفار وتعامله بالإحسان وتسعى بأن تدلَّه على الله تعالى. ﴿**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ**﴾**:** لفقره. ﴿**فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**﴾**:** متواليات. ﴿**ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾**:** لا تحلف دوماً. فعل الخيرات المعروف لا تضيعه، إذا فكرت وعقلت ورأيت حنان الله وأن دلالته كلها خير عندها تشكره. ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ**﴾**:** إن أخذت مالك من حلال أكلت ضمن الأصول طابت نفسك، صحتك جيدة أمدَّك الله بالخيرات، عشت في الدنيا سعيداً في الآخرة سعيداً، كل ما أصابك منك، تب إلى الله فلا تمرض ولا تفتقر. ﴿**آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ**﴾**:** بعدها ﴿**تَشْكُرُونَ**﴾**:** الله تعالى.

90- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ**﴾**:** ما ستر الفكر من نبيذ وبيرة وأفيون وحشيش وكونياك وفودكا وغيرها من المسكرات. ﴿**وَالْمَيْسِرُ**﴾**:** القمار، بيُسر يأخذ المال. ﴿**وَالْأَنْصَابُ**﴾**:** وهذه معروفة. ﴿**وَالْأَزْلَامُ**﴾**:** الطاولة، الشدّة، البرسيس... كل الألعاب: ﴿**رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾**:** بيَّن لنا تعالى أن هذه الأشياء رجس من عمل الشيطان ﴿**فَاجْتَنِبُوهُ**﴾**:** أبلغ أنواع التحريم. ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾**:** أنت ما خلقت للعب واللهو خلقت للعمل، المؤمن لا يضيّع من عمره لحظة.

سورة المائدة: [91-100]

91- ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ**﴾**:** السكران عندما يشرب الخمر يذهب وعيه يقتل قريبه ولا يدري، ويفعل ما يفعل دون فكر. ﴿**وَالْمَيْسِرِ**﴾**:** لأنه يولد العداوة بين المحبين، يكون الإنسان في الميسر غنياً فيغدو فقيراً أحدهم يأخذ مال الآخر فيصبح غنياً والثاني يصير فقيراً فتقع البغضاء والعداوة. ولما يرى نفسه قد خسر ماله فقد يقتل صاحبه. ﴿**وَيَصُدَّكُمْ**﴾**:** بالأنصاب والأزلام والألعاب. ﴿**عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾**:** لا يعود السكران يفقه شيئاً حيث يغيب عقله. ﴿**وَعَنِ الصَّلَاةِ**﴾**:** لا تصبح له صلة مع الله، فالله تعالى جاء بك للدنيا لتعمل عملاً طيّباً لحياة أبدية لانهاية لها. ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾**:** بعد أن بيَّنت لكم هذا البيان الذي بينته لكم يا عبادي!

92- ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾**:** اسمعوا كلامه. ﴿**وَاحْذَرُوا**﴾**:** مخالفته إن خالفتم مصيركم الذل والحقارة دنيا وآخره حيث أنكم تخسرون وتندمون على تفريطكم.

﴿**فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾**:** هو يبيِّن لكم لكن في النهاية لا بد من التأديب.

93- ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: إذا آمن الإنسان وعمل الصالحات ليس عليه: ﴿جُنَاحٌ﴾: مانع يمنعه من الإقبال على الله فالتوبة تمحو الخطايا. ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾: في الماضي من خمر أو ميسر أو أي شيء لكن بشرط: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾: الشرط أن يتقي المنكر بالكلية: ﴿وَآَمَنُوا﴾: بعدها حيث رأى الله ناظراً إليه وخاف وظل ثابتاً على هذا الشيء: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: لأنه صار له قرب وصلة تاب توبة صحيحة وصار له علم أن نفسه ما عاد تقع بهذه الأشياء. لكن هذا الإيمان وعمل الصالحات تعقبه درجة أعلى فالنفس قد تشتهي هذه الأشياء الردية وهو يمنعها ويثبت فينتقل إلى الدرجة الثانية: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآَمَنُوا﴾: بثباته على عدم المنكر تحصل له ثقة بنفسه فيقبل على الله فيحصل له ذوق بهذه الأشياء الردية فلا يعود يشتهيها: أي ترْكه لها صار عن كراهية لها إذ بالصلاة تطهر النفس وهذا صار بنفسه كمال صار لنفسه صلة برسول الله ﷺ وبهذا زالت الشهوات الخبيثة من نفسه.

﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾: وبعد هذا الذوق والإقبال تحصل الصلة وتمتلئ النفس بالكمال فيدخل مع رسول الله ﷺ على الله فيشاهد شهوداً مضرات الأشياء: ﴿وَأَحْسَنُوا﴾: صار من أهل الإحسان والإرشاد. فالإنسان متى تاب دخل في حضرة الله: متى تبت دخلت، تب حقاً تدخل. الأمر موقوف عليك، اصدق في التوبة تصبح من أهل الإحسان.

فالتقوى على درجات ثلاث:

أولاً: نظر بصدق بالكون فاستدلَّ على الله فاتَّقى الله.

ثانياً: لما ترك المنكر صلىّ. فاجتمع بالإمام اكتسب طهارة وكمالاً فاتقى.

ثالثاً: بحبه لرسول الله ﷺ دخل معه على الله فشاهد الخير خيراً والشر شراً فصار يدعو الناس.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: الإحسان أن يضع الإنسان كل شيء بمحله من عبوس أو ابتسام أو ضرب لكن إذا قلبك حامل على إنسان إياك أن تعالجه حتى يصبح قلبك كله رحمة ومحبة عليه.

94- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾: أحلَّ تعالى لنا الصيد بأيدينا ورماحنا لكن هذا التحليل الذي أحلَّه لا لتذهب للصيد للتسلية، الحيوان له عمل ووظيفة، إن كان لك ضرورة اصطد وإلا فليس لك حق.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: ليس لك حق إن لم تكن مضطراً محتاجاً. إذن قد تمسك الصيد بيدك أو برمحك: فقد يدخل عصفور غرفةً، هذا له وظيفة فلمَ تصطاده إن كان عندك لحم وطعام؟ ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اصطد ضمن الحاجة ولا تتعدَّ.

95- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾: لأنك في حال إقبال على الله. فلا تنصرف عن ذلك إلى الصيد. حتى ولو كنت جائعاً لا تصطَدْ. أنت ذاهب بمهمة لتغدوَ إنساناً، اكسب الفرصة. ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾: جمل أو بقر أو غنم. ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: ما يعادل هذا الحيوان يخرج مثله هدياً وحسب مقدرته يحكمون عليه "عشرة جمال أو مئة جمل". ﴿هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾: لكي يستدرك ما حصل له من غفلة بصيده، وحتى يستدرك الوقت الذي فاته. هَدْياً: أي حيواناً. ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾: مماثل لثمن الحيوان. ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً﴾: كل مسكين بيوم، أو بحسب الحكم: يوم بيومان أو شهر. ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: قبل هذا الحكم. ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾: إذا فعل وكفَّر ثم عاد فلا بد من التأديب ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾: إن كرر فلا كفارة له فينتقم الله منه، ليستعد للبلاء.

96- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾: لا كصيد البرّ. ﴿وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: تستطيع أن تأكل منه ولو وصلت لمكة. وللسيارة القافلة لها الحق أيضاً، المسافر والمقيم. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: أيها المؤمنون.

97- ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾: يجب على الإنسان أن يفكِّر ويعرف سبب هذا الأمر لم جعلها الله تعالى، جعلها لكي تحصل لك بها الوجهة إلى الله لتستقيم بها وجهة نفسك لله، أنت عاهدت الله في الأزل أن تفعل في الدنيا المعروف، حسب عهدك أرسلك للدنيا وجعل لك طريقاً تتوصل منه إلى الله لتستحق دخول الجنة، فهذه الكعبة تجمع النفس فلا تشرد هنا وهناك. الله تعالى في كل مكان... إن لم تجمعها وأردت توجيهها تذهب شذر مذر لكن في الكعبة تجتمع، وفي الكعبة نور يضيء لك هو نور إمامك وهو رسول الله ﷺ، قال تعالى: {وسراجاً منيراً}[11].

فبه تستنير نفسك تجتمع في الكعبة بكليّتها وبهذا السراج ترى الكمال الإلّهي ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: وهو الحج قياماً كالكعبة، جعله ليصبح الناس قائمين بالله فلا تعجبهم هذه الأرض ويصبحوا علماء حكماء والحكم لعين البصيرة فلا يلتفتوا للمخلوق، فهل الحج صورة أم المراد منه حقيقته؟ فالمراد الإقبال والتقوى. ﴿وَالْهَدْيَ﴾: الذبح وكل عمل من صدقة أو فعل بنيَّة عالية هو كهدية تجعلك تقبل، إذ يجعل لك طريقاً للإقبال. ﴿وَالْقَلَائِدَ﴾: الركوع والسجود مناسك الحج، تقلد حال العبودية والموت حتى ترجع النفس لحالها فتفكِّر فتهتدي، كل واحدة ولها حكمة، إن عرف الحكمة استفاد وحج وإلَّا لم يستفد شيئاً، جميع المناسك لتستطيع أن تقبل على الله: فإن حصلت لك وجهة إلى الله علامتها لتعلموا. ﴿ذَلِكَ﴾: إن حصل لك الإقبال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: لترى أن الكون سائر بعلم الله وترى أن مسيّر الكون حليم عليم قدير، الكعبة لتشهد هذا الشهود. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: وما ينتج عن سير الكون كله بعلمه تعالى، كل ما يقع بالكون بعلمه. كل عمل يعطيك عليه استحقاقك إن صليت حقاً صار لك العلم المذكور وكذلك إن حججت. أما إن لم يحصل لك هذا العلم فتلاف أمرك. إن زال النقص صلحت الصلاة فحصل العلم. هذه الدنيا لا بد من فراقها، إن فكرت في ذلك صدقت واهتديت: جعل تعالى الكعبة في واد غير ذي زرع لتترك الدنيا، وهذا الإحرام لتتذكر الموت.

98- ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: يعقبك بشدة، لا يترك لك صغيرة ولا كبيرة، معقب لنفسك على الصغيرة والكبيرة وفي كل لحظة ويرسل لك المصائب ليغفر لك، فالشدائد ليشفيك لأنه رحيم: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: من رحمته تعالى لا يتركك بل يرسل لك ضربات لتعود لسعادتك.

99- ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾: يبلغك ليس بيده شيء وأنت عليك أن تجتهد وتفكر. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: من قول وعمل. ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من نية بنفسك، ما تقوله عليم به مطَّلع عليه، اسْعَ لكي تبقى نفسك طاهرة، كل ما في نفسك عليم به، حافظ على نفسك.

100- ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾: العمل بنية خبيثة مهما كثر لا يغني شيئاً، والعمل بنية عالية، الصغير هو كبير عند الله. أخلص نيتّك حتى تحصل لك النية الطيبة انظر دوماً بنور الله. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾: مهما كان العمل عالياً والنية خبيثة فلن يستفيد الإنسان منه شيئاً. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لعلك تصبح ذا نيّة عالية.

---

[11] سورة الأحزاب – الآية:46.

سورة المائدة: [101-110]

101- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾: لا تسأل قبل أن تسلك طريق الإيمان عليك أولاً أن تسلك طريق الإيمان. فبعض الناس يعترض: لِمَ هذه ولِمَ أعطى الله فلاناً وحرم فلاناً. لِمَ الموت؟ النار؟ تقول لماذا أمرضني؟ لماذا أفقرني؟ أتعلم مالك من عمل؟ وما هي نتائج هذا المرض أو الفقر عليك؟ فمن الواجب أن تشكره على فضله إذ من حبه بك منع عنك، دوماً كن راضياً. ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ﴾: حسب مفهومكم. ﴿تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآَنُ﴾: في نفوسكم، في قلبكم إن أقبلت على الله طبع الحق بنفسك فيكون القرآن ذكرى لك.

﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾: فتبدو لك على حقيقتها، كل شيء يظهر لك على وجهه الصحيح وترى الحكمة الإلّهية فيما ساقه الله إليك. ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾: عما مضى. أي عما سألوا الرسول عنه عندئذ. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: شيئاً فشيئاً يداويك، نفسك فيها شيء سيء ولذلك يداويك فاستسلم له.

102- ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾: إن ما صار بنفسك شيء ما ولو بينه لك أحد فإنك تتراجع ولا تفقه حقيقته.

103- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾: يقولون: فلان، الله وضع بقلبه الهلاك، هذا جعله محسناً وملأ قلبه علوماً، هذا جعله صالحاً، هذا طالحاً. ما خلق واحداً وجعله عالماً كبيراً بل خلق الكل مثل بعضهم طاهرين، مفطورين على الطهارة. ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾: سيَّبه، تركه، الخلق كلهم سواء وما ترك نفساً سائبة تفعل ما تشاء. ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾: وصله به فما اختص أناساً بصلةٍ به وبولاية دون غيرهم، ما جعل الله نفساً واصلةً ونفساً مقطوعةً، هذا للجنة وهذا للنار هذا الأمر ما جعله الله أبداً بل كل من سلك وصل. ﴿وَلَا حَامٍ﴾: يحمي نفسه بنفسه بأن أعطاه إرادة يمتنع بها عن كل شيء ضار، كلهم ضمن الهيمنة الإلّهية، كل هذا ما فعله لكن دلَّك دلالة إن سلكتها نلت. الخلق كلهم سواء. رسم لهم قانوناً، خلقهم أطهاراً وأعطاهم الخيار وأرشدهم للخير ونهاهم عن الشر. إن اخترت الخير سيَّرك إليه وإن اخترت غيره سيّرك. ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: يقولون: الله خلق هذا للسعادة وهذا للشقاء وهذا القول كذب بل خلقهم مثل بعضهم البعض وكلٌّ وسعيُه واجتهاده، المسألة كسب {سَنَفْرُغُ لَكُم أَيُّهَ الثَّقَلَانِ}[12] كل من اجتهد أعطاه. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: ما عقلوا شيئاً من ذلك خلق الخلق كلهم سوية، أعطاهم الخيار جعل لهم الكعبة طريقاً ورسم لهم قوانين إن سلكوها انطبع الحق في أنفسهم، صاروا إنساناً، إن أكرمكم عند الله أتقاكم كل الناس عنده تعالى سواء. وما سوى ذلك كلها اعتقادات فاسدة، اعتقادات الكفار. الله تعالى خلق الإنسان على فطرة كاملة، نفسه تحب الكمال، لكنه بعدم إقباله صار نظره أعوجاً ويظن الشر خيراً.

104- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾: آمنوا بلا إلّه إلا الله، انظروا بأنظمة الكون لتتوصلوا منها إلى الله.

﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا﴾: عارضوك. قالوا: آباؤنا، العلماء قالوا هذا. إذا الإنسان ما سار بدلالة الله حتماً سيسير مع الآباء والعلماء وهؤلاء يسيرون بالظن. ﴿أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: هل المنطق أن يسير الإنسان على جهل أبيه؟ أما أعطاك فكراً؟ لِمَ تتبع غيرك دون تفكير؟

---

[12] سورة الرحمن: [31]

105- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: اعتنوا بأنفسكم. ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾: اسعَ بطريق الحق إن اهتديت فلن يضلك أحد وإذا نزل البلاء تُحفظ. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾: في الآخرة. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: لا يضيع مثقال ذرة وكل إنسان وعمله.

106- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: من أجل الوصية عند الموت الوصية يشهد عليها اثنان من أهله من أصحاب الكمال. الآن لكثرة الكذب: المحكمة مع طبيب وشاهدان.

﴿أَوْ آَخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾: إن كان مسافراً وحضره الموت يشهد رجلان غريبان من غير عائلته. ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: حتى لا يتكلما مع بعضهما. ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾: على الميت. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: بشهادتهما. ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآَثِمِينَ﴾: إن بدّلنا.

107- ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً﴾: إن شككتم أنهما كذبا. ﴿فَآَخَرَانِ يَقُومَانِ﴾: بالوصية ﴿مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾: فآخران من أهله أو من أهل الحي مشهوران بالأمانة يؤتى بهما عند الوصية. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ﴾: أصوب. ﴿مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾: إن اجتهدنا بغير الحق الذي نعرفه عن الميت.

108- ﴿ذَلِكَ﴾: هذا الترتيب بإحضار آخرَيْن واجتهادهما بوجه الحقيقة. ﴿أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾: الأولان الغريبان. ﴿أَوْ يَخَافُوا﴾: خوفهم من رد شهادتهم. ﴿أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ﴾: اقسموها، الإتيان بشهود غيرهم يحملهم على قول الحق. ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الفاسق لا يهتدي لا يستطيع أن يُقبل. {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[13].

109- ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾: من عبادي. ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾: أنت العليم بنية كل إنسان ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: فالرسل لا يعلمون ما في نفسك، الرسول مبلغ: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}[14] فلا يعلم ما في نفسك إلَّا الله.

110- ﴿إِذْ قَالَ اللَّه يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ﴾: اذكر نعمتي عليك هذا كله يوم القيامة. ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: في الدنيا. ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾: عند ولادتك. ﴿وَكَهْلاً﴾: من ثلاثين إلى أربعين سنة. بين الثلاثين سنة والأربعين ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾: ما كتب في نفسك. بالإقبال يطبع في نفسك الحق. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: وهذا الطبع يعلمك الحكمة منه. ﴿وَالتَّوْرَاةَ﴾: من قبل. ﴿وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾: حينما أرادوا قتلك. ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الإنسان مهما رأى من معجزات إن ما رأى وفكَّر واستدل بنفسه على الله يكذب بالحق. ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: رغم كل ما جاء به سيدنا عيسى عليه السلام قالوا له هذا سحر. الإنسان لا بد أن يذوق بذاته ويعرف الحق.

سورة المائدة: [111-120]

---

[13] سورة المائدة – الآية:105.

[14] سورة الكهف – الآية:110.

111- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آَمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾: فكيف كان ذلك الإيحاء؟ ﴿قَالُوا آَمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: هؤلاء لما سمعوا كلامه وعوه وطبّقوه فآمنوا بالله، نصروا الحق فكسبوا ثقة بأنفسهم، فشاهدوا واستسلموا لله بحبهم له.

112- ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾: الحواريون آمنوا بمعجزات سيدنا عيسى عليه السلام أصحاب رسول الله ﷺ آمنوا بالمنطق بالكون رأوا الله قديراً على كل شيء، إيمان الصحابة رضي الله عنهم أعظم. ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾: لتعرفوا قدرته وأني رسوله. انظروا بنور الله خالق الكون أما هو قادر! ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: حقاً به.

113- ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: بك أنك رسوله. ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: إيمان هؤلاء بالمعجزات. الصحابة الكرام نظروا وفكَّروا. ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: للخلق أنك رسول الله.

114- ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً﴾: نعود بها لطريق الإنسانية لفطرتنا الطاهرة الأولى العالية التي فطرتنا عليها طاهرين فنتوب توبة ولا يبقى بنفوسنا شيء من السوء. ﴿لأَوَّلِنَا﴾: هنا نعود للفطرة الأولى. ﴿وَآَخِرِنَا﴾[15]: نظل على هذا الشيء تائبين للآخرة وبالآخرة نظل أطهاراً نظيفين وليس ثمة شيء بأنفسنا. ﴿وَآَيَةً مِنْكَ﴾: للخلق. ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ﴾: لا رزاق لهم سواك.

115- ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾: كذلك نحن بعد عُرفنا بالله وسيْرنا بالحق. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: حيث رأى ونكث: هلاك كبير عليه. بعد المعجزة الكفر يجرُّ للهلاك حتماً.

116- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾: ما أعظمك. ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: أنا عبد. ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾: أنا لا أعلم مرادك من سؤالي هذا. أنت تعلم مرادي من قولي ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾: أنا لا أعلم مرادك من هذا السؤال. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: مَنْ طلبك بصدق وجدك، فانكشف عنه الغطاء ورأى الحقائق بقلبه.

117- ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: أنت أعلم.

118- ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾: أنا مبلغ فلا شفاعة لي. أنا عبد مثلهم لا تدخُّل لي بينك وبينهم. ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: أنت حكيم تداوي كلاً بما يناسبه. فلا شفاعة ولا وساطة حيث أن كل واحد يُعطى ضمن الحكمة.

119- ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ﴾: يوم القيامة. ﴿يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾: جنات ومن تحتها ما تشتهي الأنفس. ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: وذلك أقصى المنى.

---

[15] لما كنا عليه على الفطرة طاهرين عندما ولدتنا أمهاتنا على الصفاء والطهارة النفسية والنقاء ثم نبقى هكذا نظيفين.

120- ﴿**لِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ**﴾**:** هو المالك لا أحد له ملك: كل ما في الكون ملك له هو مسيِّره. ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾**:** كل شيء من رزق ومداواة وكل أمر بحسب الاقتضاء والاستحقاق فيعطيه حقه بمقدار ما يناسبه وما يحتاجه.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام: [01-10]

1- ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: يحمد على تسييره لهذا الكون، الحمد لله على ثلاثة أنواع: اعتقاد وعرف وعلم. فمن لا يعتقد بها فهو كافر، والذي يشك فهو منافق، والمؤمن كل ما يحصل له عنده به عقيدة متينة قوية بأنه من الله تعالى خير. ومن لم يعتقد بهذا فهو كافر. المؤمن إذا أصابته شدّة رجع إلى الله وقال: الله تعالى كله خير، ولابدَّ أن هذه الشدَّة فيها خير لي. إذا قوي الاعتقاد تحوَّل إلى عرف ثم إلى علم. ﴿**لله**﴾: من هو هذا الإلَه؟ ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾: وما فيها، من الذي جعل الليل والنهار؟ الذي خلق السموات والأرض والذي جعل الليل والنهار والكون كله من أجلك، هل تعادل به غيره في الحب والطاعة؟ ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ**﴾: لإخراج الخبث من نفس الكافر. ﴿**وَالنُّورَ**﴾: لهداية المؤمن إلى الحق. ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾: يقرون لغيره بالإحسان. والناس الآن يطيعون بعضهم بعضاً! أيها الإنسان حينما تشرب كأس الماء ألا يجمل بك، أليس من اللازم أن تفكِّر بها! من أين جاءتني؟ كيف هي عذبة؟ ما تقول لو كانت ملحاً أجاجاً؟ الإنسان إن أمسك ثمرة أو أراد أن يشرب ماء يسمِّي، المراد من التسمية التفكير بهذه النعم حتى تحمد ربك، لماذا خلق تعالى السموات والأرض، الأشجار، الأثمار! كله من أجل حياتك أيها الإنسان، والحياة ماذا فيها؟ ولِمَ خلقك وأخرجك للحياة؟ فمن لا يفكِّر بالنعم فهذا هو الكافر، إنه يرى مع الله إلَهاً آخر، إنه يرى فعَّالاً آخر. انظر أيها الإنسان للشمس هل ينقص من قوّتها، ما هذا الإمداد! انظر للقمر ودورانه انظر فوائده. إن نظرت عظَّمت وقدَّرت. الحيوان لا يفكِّر، لكن الحيوان أحسن حالاً من الإنسان إذا هو لم يفكِّر. الكفر: هو عدم التفكير بنعم الله.

2- ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ**﴾: فكِّر بأول خلقك... سيدنا آدم عليه السلام من أي شيء خلقه؟ فكِّر ما أصلك؟ من أين جئت؟ ما هو أصل البشر؟ وهذه المادّة التي خلقت منها، ألا تفكِّر بها! ﴿**ثُمَّ قَضَى أَجَلاً**﴾: لكم عامة، لكلِّ منكم في الدنيا، كل واحد له يوم معيَّن. هل خلد أحد من قبل؟ ماذا في الآخرة؟ حياة أبدية ألا تفكِّر بها؟ ﴿**وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ**﴾: مسمّى في الأزل لكل شخص، مكتوب عنده على كل شخص أجله. ﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾: لا ترون هذا الفضل الإلَهي عليكم فما كنتم تتوصلون لرؤية هذا الإحسان التام. تمرّ على أصلك تمرُّ على الأشياء ولا تفكِّر! لِمَ لا تفكِّر؟! من سبقك ماذا حلَّ بهم؟

3- ﴿**وَهُوَ اللَّهُ**﴾: صاحب الأسماء الحسنى معك بالحنان، الرحمة، القدرة. ﴿**فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ**﴾: كل ما فيهما قيامه وسيره بالله تعالى. الذي لا يفكِّر، لا ينظر لا جدوى له. لا يكفي أن تقرّ لله بالوحدانية، يجب أن تفكِّر. ﴿**يَعْلَمُ سِرَّكُمْ**﴾: ما في نفسك ﴿**وَجَهْرَكُمْ**﴾: وما تعلنه. يجب أن تعلم بأنه إذا حدثتك نفسك بشيء فهو معلوم عند الله. ﴿**وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾: من الأعمال، كلها ضمن علمه.

4- ﴿**وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ**﴾: لعدم تقديرهم للإحسان مع كل هذه الآيات الدالة على الله لا يفكِّر. كل هذه الآيات معرض عنها لا يرى منها شيئاً. الإنسان إذا لم يفكِّر بآيات الله فلن يستفيد من أعماله شيئاً ما لم ينبعث الإيمان من نفسك، تفكِّر تتعمق حتى تقرّ إقراراً نفسياً، السماع لا يغني شيئاً.

5- ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ**﴾: محمد ﷺ. على لسان رسول الله يدلُّهم على الإنسانية والعمل الطيب. ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: خبر كل شيء استهزأوا به وبكلِّ وقت كل

واحد يأخذ حقه. طالما يمكن الشفاء يداوي الله، أمَّا إذا مات قلب الإنسان ترك علاجه للآخرة. عش ما شئت فإنك ميّت. مهما عشت سترى في النهاية عملك.

6- ﴿**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا**﴾: أُمَماً. ﴿**مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ**﴾: كم سبقنا من رؤساء وعظماء وأخيراً ماذا أصابهم؟ أين ذهبوا؟ إلى أي شيء صاروا؟ ﴿**مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ**﴾: كيف كانوا أقوياء! وأخيراً ماذا حلَّ بهم؟ ﴿**وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ**﴾: خيرات كثيرة. ﴿**فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ**﴾: أنتم لا تفعلوا فعلهم وإلَّا أهلككم الله. أولئك هلكوا وجاء مَنْ بعدهم. لا تقل: أنا مسلم. المسلم: هو السائر على كلام الله. بالآخرة كل إنسان حِمْلُه على ظهره.

7- ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ**﴾: مكتوباً على ورق. صحف مكتوبة ﴿**فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ**﴾: الله تعالى طبع الكتاب بنفس رسول الله ﷺ ولكن لو نزَّل الله تعالى كتاباً من السماء على ورق فلمسوه. ﴿**لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: نكروا عظمة الله. نكروا النعمة ما فكَّروا لكي يعلموا لا إلّه إلا الله مهما رأوا من آيات ينكرون. الصادق يتتبَّع كلام الله ويفكِّر حتى يحصل له الإيمان ويقول لا إلّه إلا الله. فالذي لم يفكِّر ببدايته ونهايته لم يعرف عظمة الله، هذا هو الكافر، فهو يقول: ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾: الكافر لا يرى والآن مهما رأيت من آيات إن لم تفكِّر وتعقل ليس لك من سبيل. وإن عزمت السير بالحق فإن شهوتك تغلبك وتسير بالأماني والظنون.

8- ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ**﴾: لأذعنوا مكرهين ولكن تظل الشرور في أنفسهم. ﴿**ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ**﴾: لا يُنظَر إليهم لكن الله رحيم شفوق لو نزل ملَكاً وعارضوه لأهلكهم. إن لم تقل لا إلّه إلا الله فلن تؤمن. ولكن بعد الآية ستهلك. إذا جاءت المعجزة ولم تؤمن لا بد من الهلاك.

9- ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً**﴾: بصورة رجل مثلك يأكل ويشرب، لكن إن لم تفكِّر وتؤمن فالشهوات لن تخرج من نفسك، لا بد من صرفك إليها ما دمت مصرّاً عليها. ﴿**وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**﴾: تظل الظلمة محيطة بهم من شهواتهم، الذي لا يؤمن بلا إلّه إلا الله، قلبه ملآن بالخبث، السفالة، لا بد أن يُخرج له ما فيه لذلك فالآية لن تفيده قبل خروج ما فيه. الله تعالى حذَّر العبد وخيَّره.

10- ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: أحاط بهم عملهم. بالحق نزل العذاب بهم، فكِّر بالماضي ماذا حل بمن استهزأ ولم يعبأ! هلكوا. فاحذروا أن تفعلوا فعلهم.

سورة الأنعام: [11-20]

11- ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾: فكِّر تتبَّع. على الإنسان أن يفكِّر. ﴿**ثُمَّ انْظُرُوا**﴾: النظر يوصل للرؤية ﴿**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾: بالحق. مَنْ سبق ماذا حل بهم؟ الذين كذبوا بالحق ما هي نتائجهم؟ انظر فكِّر.

12- ﴿**قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: فكِّر. من ينزل لنا الأمطار؟ من يستطيع أن يغيِّر لنا سير الشمس والقمر؟ من ينبت لنا الزرع؟ فكِّر هل من يد تعاون الله في إدارة شؤونهما! من الفعَّال؟ من الذي يحرك الشمس؟ الأمطار، الرياح، الليل، النهار، الينابيع، الثمار، النبات؟ هل من أحد له عمل فيها مع الله؟ من المحرِّك؟ ﴿**قُلْ لِلَّهِ**﴾: وحده. ﴿**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾: دلالته رحمة بكم لذلك يطاول الإنسان حتى يوم أجله. لولا رحمته لأهلككم بفعلكم. ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾: لا شك

فيه. ولا خروج عن الحق ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾: خسروا ما فيها من الشيء النفيس، كل مخلوق له وظيفة، أنت ما وظيفتك؟ أنت خلقت لتكون إنساناً محسناً إن ما فعلت، إن ما آمنت بأن الله هو المسيِّر وما قلت لا إلٓه إلا الله خسرت الحياة. ﴿**فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾: مهما نصحته مهما حدثته، أدبته، أقنعته، أريته لا يؤمن. إن رأى الإنسان التربية استقام فآمن. هذا الإيمان ليس بصعب. إذا صدق الإنسان وطلب الحق يرى. كل شيء ظاهر لا تحتاج لدليل.

13- ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ**﴾: استقر ووجد ﴿**فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾: قام بعمله واستقر في الليل والنهار. كله ضمن نظام. ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ**﴾: لكلِّ شيء. ﴿**الْعَلِيمُ**﴾: بكلِّ شيء.

14- ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً**﴾: بعد بياني هذا كله لكم! بعد أن بيَّنت لكم عنه ما بينت، أمن المعقول أن أتَّخذ مسيِّراً مولياً ودليلاً لي غيره؟ ﴿**فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: مخرجها على هذا النظام والقوانين العظيمة ومظهرهما بما فيهما من خصائص. ﴿**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ**﴾: كل الكون لك لتنال السعادة الأبدية. ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ**﴾: بما حزته من إقبال ومحبة. ﴿**أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ**﴾: من استسلم لله. أسبق مستسلم: فكَّر عرف خالقه فسبق الخلق في معرفة خالقه. ﴿**وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: بشَّرَني تعالى بأني لا أكون ممن يشرك به شيئاً. غير كلامي لا تبلِّغ. ما آمرك به فقط بلِّغه. لا تصغْ إلا إلى كلامي وأوامري.

15- ﴿**قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي**﴾: إن سايرتكم. ﴿**عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾: أكون متألماً لذلك ما أمرني به أُبلِّغه فقط. رغم مقامه العالي هنالك عدالة، فكيف تتأمل بالأماني وتفعل ما تفعل! الشفاعة هنا مهما كنت فاعلاً إذا نفسك التجأت للرسول ودخلت معه على الله يسقط عنك كل شيء. يظن الناس أن الله يعذب المرء على تقصيره، الحقيقة أن المرء المفرِّط حينما يرى خسارته وتفريطه يحترق بنفسه فالنار تكون علاجاً لحريق نفسه.

16- ﴿**مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ**﴾: من يصرف عنه السوء. ﴿**فَقَدْ رَحِمَهُ**﴾: الله. جلب لنفسه الرحمة من الله. ﴿**وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ**﴾: فاز بالنعيم المعد له وهذه هي الحياة العظيمة.

17- ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ**﴾: يمسُّك به لما في نفسك ﴿**فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ**﴾: لمَّا ترجع إلى الله يرفعه عنك، لا تلتجئ إلَّا إليه. لا يرفع عنك أحد غيره. {**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**}[1]. ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ**﴾: يلامسك خير ﴿**فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: بهذه وهذه بمقدار عملك لا جزافاً. من خير وغيره، كلٌّ ينال على حسب عمله. الخير بمقدار، وكل شيء من عند الله خير. كل إنسان وما يلزمه يسوقه له.

18- ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ**﴾: مسيرهم ضمن إرادته ﴿**فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾: لا أحد يستطيع فعل شيء. أنت تختار وعليه التنفيذ. الفعَّال هو الله. يدك لا تتحرك إلَّا به، عينك، كل عضو من أعضائك، هو الفعَّال. ﴿**وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾: ضمن حكمة وخبرة يفتح للإنسان. الحركة ضمن الحكمة والخبرة. لا تُرسَل يدك بسوء إلَّا على مستحق الضرب، ولا تُرسَل بإحسان إلا لمستحق. تشتهي المعروف فترسل يدك بالمعروف لمستحق المعروف. فعله تعالى عن حكمة وخبرة.

19- ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً**﴾: على رسالتي. ﴿**قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾: ولكن هذه الشهادة من الله. فكيف شهادته! هي: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ**﴾: هذا العلم هذا القرآن دليل أنه كلامه وأني رسول

---

[1] سورة الرعد – الآية:14.

الله، هذه شهادة الله لي. ﴿**لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾: أيضاً. في البيان مثلي، هذا دليل أنه رسول الله. ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آَلِهَةً أُخْرَى**﴾: بعد هذا البيان والمنطق، مع كل هذا البيان أتشهدون أن مع الله آلهة؟ أترون مسيراً غيره! ﴿**قُلْ لَا أَشْهَدُ**﴾: معه أحداً. ﴿**قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾: لا أعبد ما تشركون. نفسي طاهرة من ذلك الشرك.

20- ﴿**الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾: عرفوا التوراة والإنجيل وأحكامهما كالنجاشي وأمثاله رضي الله عنهم. أقبلوا فكتب الحق في نفوسهم. ﴿**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ**﴾: يعرفون الحق، يعرفون القرآن. آمنوا وأيَّدوا الحق. يعرفون أن القرآن حق مُنزَّل من عند الله. لكن اليهود لو عرفوا التوراة والإنجيل. وعرفوا القرآن حيث أنهم لم يفكِّروا، فما عرفوا بدايتهم ونهايتهم لأولئك، بل خسروا نفوسهم فصاروا يفعلون الرذائل. ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾: إذ خسروا طهارة أنفسهم بفسقهم ما آمنوا بلا إلّه إلا الله. ﴿**فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾: مهما رأوا رغم عرفه لا يصل لكلمة لا إلّه إلا الله، الذي لا يفكِّر بذاته لا يؤمن.

سورة الأنعام: [21-30]

21- ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾: لنفسه. ﴿**مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾: أضافوا للتوراة. ﴿**أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ**﴾: وكذَّبوا بالقرآن. ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾: الظالم مهما طالت معه لا بد له من يوم هلاك، الظالم ليس له جدوى.

22- ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ**﴾: الذين كنتم تسيرون بدلالتهم! ﴿**الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾: أنهم أهل معرفة وعلم!

23- ﴿**ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ**﴾: إن لم تؤمن بلا إلّه إلا الله لا بد أن تفتن. فكانت نتيجة فتنتهم بالدنيا. ﴿**إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾: لكن شهواتنا غلبت علينا ودفعتنا لقول الشرك.

24- ﴿**انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾: سيَّرها بالأماني. موَّه على نفسه رماها بالهلاك. ﴿**وَضَلَّ عَنْهُمْ**﴾: زال في الآخرة. ﴿**مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾: على أنفسهم من الافتراء.

25- ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ**﴾: لكن حيث ما آمن. ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾: ستراً. قلبه مملوء بالأوساخ والخبث فلا يفهم شيئاً. ﴿**أَنْ يَفْقَهُوهُ**﴾: خمولاً عن فقهه، أي: عدم الميل للفهم لما في نفوسهم من شهوات. ﴿**وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْراً**﴾: سدّاً. شيء ملازم من شهواتهم. ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا**﴾: حيث إنه لا يفكِّر فلا يؤمن بها. إن لم يفكِّر بالسموات والأرض ويرجع ما له من سبيل. إذن لابد من التفكير والعقل، هذا هو الأساس. السمع لا يكفي، السمع يدلُّك دلالة وأنت فكِّر واعقل. ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ**﴾: يقول لك لِمَ هذه وهذه؟! لا يفقه من الحق شيئاً. ﴿**يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: السامع والمتكلم. ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾: من قبل أناس قالوا مثل قوله.

26- ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ**﴾: غيرهم. ﴿**عَنْهُ**﴾: ينهون غيرهم عن متابعة الرسول. ﴿**وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ**﴾: يتباعدون بأنفسهم عنه. ﴿**وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ**﴾: لا أحد يستطيع أن يضل أحداً. ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾: لا يتبعهم إلّا من يماثلهم.

27- ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ**﴾: ساعة الموت ما أسوأ حالهم! ﴿**فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ**﴾: إلى الدنيا ﴿**وَلَا نُكَذِّبَ بِآَيَاتِ رَبِّنَا**﴾: ولكن ماذا يفيده ذلك؟ تمنّيه ساعتها لا يفيده. ﴿**وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: يتمنى ولكن بعد أن مضت الفرصة وفاتت.

28- ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ﴾: ظهر لهم. ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ﴾: من الخبث الذي في نفوسهم. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: يظهر. ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾: ما دامت هذه البذرة الخبيثة في نفوسهم لا جدوى لهم. إن لم تفكِّر لا فائدة من كل شيء لا من معجزة ولا من آية. إذن: التفكير والعقل أساس. إن لم يؤمن بلا إلّه إلا الله لا تطهر نفسه ولو عاد لرجع لحاله الأول. هذه الشهوة لا تخرج إلا بنور الله بإقبال نفسك على الله. النفس لا دواء لها إلا الإقبال. ﴿لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: على أنفسهم، لا يؤمنون بذاتهم بآيات ربهم الكونية.

29- ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: أنكروا الحساب وما آمنوا.

30- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا﴾: أي العذاب. ﴿بِالْحَقِّ﴾: أما هو حق؟ أليس هذا ضرورياً؟ أليس لازماً ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾: ضروري لنا. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: كفركم سببه لكم. ما كنتم تنظرون إلى نعم الله تعالى. الذي لا يفكِّر هذه نهايته. إذا لم ينبعث الإيمان من النفس، فالسمع لا قيمة له. القصد من التفكير والصلاة نفعك. تسير بالإحسان فتقبل. وهذه هي الجنّة غداً.

سورة الأنعام: [31-40]

31- ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: ما رأى الله قريباً منه بل رآه بعيداً. كذَّبوا بالآخرة قالوا لا توجد آخرة. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾: الموت. ﴿بَغْتَةً﴾: على غفلة. ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾: يتأسف عند الموت. ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾: على ما قصرنا في حياتنا لكن ما يفيده ذلك. الدنيا مدرسة: طالب طول السنة ضيَّع وعند الفحص ندم. الآن الدنيا مدرسة، اجتهد لكيلا تندم غداً. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: ما يحملون من أعمالهم. ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾: كل واحد حمله "عمله" على كتفه. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: عمله ألا يسوؤه؟! أليس هذا الحمل القذر مسيئاً لهم؟! الحقيقة أنه يسوؤهم حملهم، خلقك لتحمل الكمال فما هو حالك غداً إن جئت تحمل الأوخام؟ ساعتها يتمنى النار ليخلص.

32- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: خير على طول لا نهاية لها. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: شيئاً من هذا الكون ألا تفكِّر حتى تعقل! هل من عمل تعمله دون مراد لكَ فيه؟! إذن ما مراد الخالق من هذا الكون والخلق، أليس له مراد؟!

33- ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ﴾: تحزن عليهم، من قربه ﷺ كان قلبه كله حنان على الخلق. ﴿الَّذِي يَقُولُونَ﴾: كلامهم يحزنك عليهم لرحمتك بهم ورأفتك عليهم. ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: لأنفسهم. ﴿بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: مع عرفه بها ينكرها. الإفرنج يعرفون الشمس وما فيها لكنهم لا ينتقلون للأصل. هؤلاء يقرُّون بأنفسهم، منطق لكن يعارضه، ولكن يجحدونها: ينكرونها مع وجودها.

34- ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾: قالوا: سحَّارون، قالوا ما قالوا بحقهم. ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: لا بدَّ من النصر. ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: وأنت كذلك لا بد من نصرتك ووقوع الخذلان عليهم. ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ﴾: خبر. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: كيف نصرتهم، وقد سمعت بذلك.

35- ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾: أحزنك. ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾: من تأثُّرك عليهم. الإنسان كلما صار قريباً من الله أكثر صار صاحب حنان ورحمة أكثر. لا أحد أقرب من رسول الله ﷺ إلى الله فكان دوماً حزيناً على الخلق. ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ﴾: فإن أمددناك واستطعت ﴿أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ﴾: مخرجاً لعلهم يؤمنون. ﴿أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآَيَةٍ﴾: آية تهديهم بها. أنت تتمنى ذلك، شيئاً من الأرض أو من السماء حتى يهتدوا. تتمنى طريقاً لهدايتهم لتخلصهم. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾:

المسألة بيد الله لو شاء لأرغمهم وأجبرهم على السير في الحق لكن لا يفيدهم، تظل نفوسهم مملوءة بالخبث فلا تخلص مما بها، المريض إن أخذته للنزهة لا يفيده، يقتضي مداواته. لولا الاختيار لما أفاد الإنسان من عمله شيئاً. لهذا أعطاك الخيرة حتى تسير باختيارك ويكون لعملك قيمة. هؤلاء لو سيَّرتهم بطريق الحق لا جدوى لهم، لا بد من تطهير نفوسهم ممَّا فيها أولاً. لو سيَّرهم بالحق ونفوسهم ملأى بالخبث والشهوات، كيف يدخلون الجنة غداً؟ إن لم يفكِّر الإنسان من ذاته بذاته ببدايته ونهايته لا يمكن أن يهتدي، كل إنسان أعطاه الله أهلية تامة كاملة، إن لم يفكِّر فماله من سبيل. لولا الاختيار لما أفاد الإنسان من عمله شيئاً. الاختيار سبب الإقبال. إن لم يرجع الإنسان من نفسه وعن طوع فلن يحصل الهدى. ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾**:** أنت تعلم أنه لا هدى إلا بالإقبال علينا، لا تتأثر كل هذا التأثُّر. أنت تعرف القوانين. أنت لست كغيرك، لا بد لهم من التفكير وسلوك طريق الهدى. طالما هم معرضون لا يهتدون.

36- ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ**﴾**:** لك. يسيرون بدلالة ربهم المؤمنون بلا إلَه إلا الله. ﴿**الَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾**:** هذه الدلالة يفكِّر فيهتدي. وعمَّق حتى تصل لكلمة لا إلَه إلا الله. يفكِّر ويعقل فيستجيب لك ويسير معك. ﴿**وَالْمَوْتَى**﴾**:** موتى القلوب المعرضون المقطوع خيرهم. ﴿**يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ**﴾**:** يسيرهم لشهواتهم يخرجها لهم لما في نفوسهم من شهوات، يفتح له ما يطلبه بنفسه ويطلقه للفعل. ﴿**ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾**:** للمداواة في الآخرة، إن لم يخرج الله له الشهوات فلا يمكن مداواته، لكن بعد الشهوة تأتيه أدوية مرة، يرسل له فقراً، بلاء، شدائد، ليردّه للحق لعله يتضرَّع فتطهر نفسه فيهتدي. أنت تتمنى لهم آية لكن ما الفائدة إن عرف وما عمل؟!

37- ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾**:** وقد طلبوا معجزة. الكون كله آيات. ﴿**قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آَيَةً**﴾**:** الذي خلق الكون أليس بقادر؟!

﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾**:** حكمته، أي ما وراء الآية من هلاك إن لم يؤمنوا. إذا نزلت الآية وما آمنوا هلكوا. قبلهم قوم سيدنا صالح عليه السلام طلبوا الناقة فما آمنوا هلكوا. بنو إسرائيل رأوا معجزات سيدنا موسى عليه السلام فما آمنوا بها، صدَّقوا وما آمنوا حيث ما فكَّروا، السحرة عظَّموا فآمنوا. مادام لدى الإنسان إمكانية للرجوع يطاوله الله كثيراً لعلَّه يرجع ويسعد.

38- ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ**﴾**:** هذه آيات، كل ما في الكون من مخلوقات لها وظائف وأنظمه، كل المخلوقات من أجلك وخدمتك. الجمل ما أعظم ترتيبه ولِمَ خلق؟ البقرة، الغنمة، الطير كله من أجلك وأنت ما وظيفتك؟ إن لم تعرفها وتقم بها جررت الشقاوة على نفسك. وظيفتك فعل المعروف والإحسان. الحيوان إن شذَّ عن وظيفته يقاصصه الله في الدنيا. الحيوان طلب من الله أن يجعله خادماً لك، الحيوان غداً يدخل النعيم حيث أدى الوظيفة، أما أنت ما نتيجتك؟ غداً الحسرة والخزي والسوء على الكافرين. وظيفتك إن آمنت حقاً صرت إنساناً محسناً للخلق عامة، تقابل بالإحسان كل إنسان، لا بل لكلِّ مخلوق ولو كان مسيئاً. ﴿**إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾**:** تؤمّ في سيرها إلى قوانين وأنظمة أليست هذه آيات. ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾**:** قوانين. بيَّنا لكم كل شيء، كل شيء أعطيناه حقه. ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾**:** بعد الموت، كلهم غداً. الذي خُلق لا يزول ولا ينمحي. كذلك كل حيوان تظلمه غداً سيطالب بحقه.

39- ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا صُمٌّ**﴾**:** لا يسمعون الحق، طُرْشان لا يعرفون شيئاً. ﴿**وَبُكْمٌ**﴾**:** لا يتكلمون بالحق بُكْم مهما كلمتهم. ﴿**فِي الظُّلُمَاتِ**﴾**:** لعماهم وعدم إقبالهم فهؤلاء مهما كلمتهم يقولون: ﴿**مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾**:** يقول: المسألة بيد الله أنا لا دخل لي، أين العدالة إذن! يجرِّد الإنسان من الاختيار وينسب الأمور لله، والحقيقة: ﴿**مَنْ يَشَأِ**﴾**:** الشهوات. ﴿**اللَّهُ يُضْلِلْهُ**﴾**:**

الذي يريد الإضلال يضلله، يطلقه ربه ليُخرج ما فيه. ﴿**وَمَنْ يَشَأْ**﴾**:** الهداية. ﴿**يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾**:** يُسيِّره في الطريق الذي أراده، المسألة راجعة لاختيارك.

40- ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ**﴾**:** هلا رأيتم في حال الشدة أحداً دعا غير الله؟ ﴿**إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ**﴾**:** هل دعوتم في حال الشدة غير ربكم؟ في ساعة البلاء هل تدعون غير الله؟ فلماذا في حال الرخاء تدّعون أنهم لكم شفعاء! ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾**:** بشفاعة الشفعاء، لِمَ تدعون ربكم وحده في حال الشدة. عند الشدة تستجير لمَ لا تقول وقت الرخاء يا الله! إذا جاء العذاب من ينجيك! إن وقع زلزال لمن تلتجئ! ألا تفكر قبل نزول البلاء. هؤلاء الذين تشاركهم مع الله هل لهم فعل، هل لهم تصرف! لماذا ساعة البلاء تقول يا الله وتنساه في الرخاء؟!

سورة الأنعام: [41-50]

41- ﴿**بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ**﴾**:** لا تدعون غير الله. ﴿**فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ**﴾**:** إن وجد ذلك مناسباً. ﴿**وَتَنْسَوْنَ**﴾**:** في ساعة الشدة ساعتها تنسون الشركاء

﴿**مَا تُشْرِكُونَ**﴾**:** هؤلاء الذين اتخذتموهم أنداداً هل تدعونهم ساعة البلاء! تنسون كل من يدلكم دلالة منحطة.

42- ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ**﴾**:** أرسلنا رسلاً كما أرسلناك فعارضوا رسلهم فأرسل الله لهم الشدائد والفقر والمرض. ﴿**فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ**﴾**:** بالشدة. ﴿**وَالضَّرَّاءِ**﴾**:** والتضيق، فلماذا هذه الشدائد؟ ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾**:** حتى يتضرعوا وتطهر نفوسهم. لعلهم يقبلون فيشفون مما فيهم، هذه الشدائد حتى تتضرع وتشفى نفسك. إذن البلاء لا بد له من سبب في نفسك. تُبْ إلى الله التجئ، إن التجأت وأقبلت تطهر نفسك من "المكروب" الذي سبَّب هذا الفقر والمرض والشدائد عندها يعطيك الله الخير ويرفع عنك البلاء.

43- ﴿**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**﴾**:** لو تضرعوا لطهرت نفوسهم وشفوا. ﴿**وَلَكِنْ**﴾**:** بعدها. ﴿**قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾**:** أصرت على شهواتها ورجعوا إلى ما كانوا عليه. ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾**:** عندها زين لهم ليخرج ما فيهم إن لم يؤمن هذا الإنسان فلابدَّ أن ينكث، إذ لا يرى اللَّهَ شاهداً عليه.

44- ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾**:** من بلاء ومن شدائد. نبَّههم، سلَّط الشدائد عليهم ولكن لم يستفيدوا منها، ما ساروا بالحق أعطاهم الله الدنيا ومشتهياتهم منها. ﴿**فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾**:** مما يشتهون من الدنيا أعطيناهم الدنيا، مالاً، ولداً... تمم له كل مطلوب وفرح به: ﴿**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا**﴾**:** صارت لهم مشتهياتها. بين عشية وضحاها: ﴿**أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾**:** جاءهم الموت على غفلة. ﴿**فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾**:** ما استفادوا شيئاً من كل ما أعطاهم الله. يذهب للآخرة ليس معه شيء من عمل طيّب يقدمه بين يديه. قال تعالى:

{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}[2].

45- ﴿**فَقُطِعَ**﴾**:** لمَّا وصل لنهاية الدنيا أخذه الله. ساعتها. ﴿**دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾**:** زالوا عن بكرة أبيهم. بادوا عن آخرهم كمثل قوم سيدنا نوح عليه السلام وغيرهم. ﴿**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾**:** على

---

[2] سورة البقرة – الآية:17–18.

ما حل بهم، حيث ما ترك لهم شهوة في نفوسهم من الشهوات وأصبح لا يناسبهم إلا هذا الشيء. والحمد لله على هذا الهلاك، حيث لو بقي لزاد بلاءً وعذاباً بسبب عمله.

46- **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَه غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾:** فكِّر أيها الإنسان من الذي وضع لك هذا السمع والبصر، فكر يا إنسان إن أخذ الله سمعك وبصرك وخرب الدماغ، وشعاع النفس لا يصل إلى الدماغ عندها من إلَه غير الله يأتيك به؟! كذلك إن أخذ سمعك عن الحق وبصرك وختم على قلبك لإخراج ما فيه، من إلَه غير الله يأتيك به؟! فإن لم يفكِّر الإنسان لن يسمع الحقَّ ولن يرى. **﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾:** عن الله، رغم كل هذا لا يريدون سماع الحق. وهكذا كل بعيد عن الله يظن نفسه سائراً في طريق حسن لكنه يرى الصُورَ ولا يرى الحقائق.

47- **﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾:** أيهلك إلا الظالم! السائر بالحق بطريق الإنسانية لا يصيبه شيء، البلاء عند نزوله لا يصيب إلا الظالم. الرحمة مخصّصة بأهلها، والبلاء مخصص بأهله، الله تعالى يضرب مثلاً ممن سبق: لمَّا نزل البلاء لم يهلك إلا الظالم.

48- **﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾:** خلقنا الله للسعادة. **﴿وَمُنْذِرِينَ﴾:** إن لم تسلك طريق الإيمان هلكت. ليس للمرسلين عمل ولا تصرُّف إلا التبشير والإنذار وكذلك الشيوخ والمرشدون. **﴿فَمَنْ آمَنَ﴾:** بلا إلَه إلا الله. ابحث عن الإيمان. **﴿وَأَصْلَحَ﴾:** عمله. **﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾:** لا يصيبه سوء قط، إذا آمن الإنسان بلا إلَه إلا الله فإن قلبه يفتّح فيرى الحقائق ولا يفعل السوء ولذا يحفظ من كل سوء، كذلك عند موته فالمؤمن بعد وفاته لا يرضى بديلاً بما نال: الدنيا بما فيها. **﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:** على الدنيا حيث يجدون خيراً منها، لا يحزن لما يرى بعدها من سعادة، فيا أيها الإنسان خلقك الله وجعل لك إمكانيات لنيل أكبر السعادة وأنت غافل عن هذا: **{يا أَيُّها الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ}**[3].

49- **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا﴾:** الدالة على لا إلَه إلا الله. **﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾:** لعلهم يتضرعون. **﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:** فهم دوماً في نغص، ضيق.

50- **﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾:** ليس عندي إلا الإرشاد أنذر وأبيِّن، أنا كغيري من الناس، بشر كسائر البشر لكن الفرق؛ أني قريب من ربي. **﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾:** لا أنكح ولا آكل ولا أنام كالمَلَك، أنا بشر كغيري آكل وأشرب وأنام مثلي مثلكم **﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾:** بشر لكن فيوحي إلي لأبلِّغكم. **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾:** من أين لي هذا المنطق والبيان؟! عمل المعرض هل هو كعمل المؤمن؟ انظر معاملة الطرفين معك هل هي متساوية؟ المؤمن بالله هل عمله كعمل المعرض؟ الإسلام انتشر بالمعروف بمعاملة المسلمين الطيّبة. كانوا بفتوح دمشق عشرين ألفاً صاروا خمسين صاروا سبعين ألفاً بعد فتحها؛ إذاً آمنوا مع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، كلما انتقلوا إلى بلد ازداد عددهم من حسن معاملتهم. **﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾:** ولو قليلاً بين الرجلين! السائر بدلالة ربه والمنحرف عنها، ألا يقتضي أن تكون أنت ممن يسير بطريق الحق! أفلا تتفكَّرون من أين جئت بهذا؟

سورة الأنعام: [51-60]

[3] سورة الانفطار – الآية:6.

51- ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾: من آمن بلا إلّه إلا الله وخشي القيامة. هذا يسمع إنذارك وإن لم يفكِّر الإنسان ببدايته ونهايته ولم يعرف أصله فلا جدوى له وماله من سبيل. من أين جئت؟ كنت نطفة، من ربَّاك في بطن أمك! لمَّا نزلت من يربيك! إذن لك مربٍ وهناك آخرة ومسؤولية. ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: الله تعالى قريب من الإنسان هو الذي يولي كل إنسان حسب الشيء الذي يناسبه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: هؤلاء أنذرهم هذا الذي سار بطريق التفكير وآمن، هذا الذي يمكن أن تحصل له التقوى. هؤلاء أنذرهم. أما مَن لا يفكِّر بالبداية. النطفة كيف جاءت إلى الأب؟ كيف تكوَّنت، وما أطوارها في بطن الأم؟ ومن بعد ذلك يربيك؟ إن لم تفكِّر بهذا فلن تهتدي.

52- ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: وكان جماعة من كبراء قريش قد قالوا لرسول الله ﷺ: نحن نحضر اجتماعاتك لكن أبعد هؤلاء الفقراء عنك لنحضر معك. يوم لهم ويوم لنا. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: ألا تُسأل عن تركهم. إن تركت هؤلاء منعتهم بحرمانهم من هذا الخير ألا تتألم! ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: نحن ألا نعطيك عليهم أجرك، إن آمنوا ألا تؤجر عليهم؟! ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: لنفسك بطردهم، لكن أنت لا تفعل ذلك كما يطلبون.

53- ﴿وَكَذَلِكَ﴾: لما طلبوا فصل الفقراء عنهم. ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾: الأغنياء بعضهم ببعض. ﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾: هؤلاء يستعظمون بعضهم بعضاً من إعراضهم. أما هؤلاء فسيمنُّ عليهم ويرفع شأنهم. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾: فيعطيهم على صدقهم ويعطيهم في الدنيا عزاً وملكاً.

54- ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِنَا﴾: الإيمان أصل. آمن بلا إلّه إلا الله واستقام فصار يرى أن الله معه شهيد عليه محيط به. هذا لا يخرج عن هذه الاستقامة. ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: سلام: أمان عليكم. شفيتم. أمان في الدنيا والآخرة، في الدنيا سعيد وكذلك في الآخرة. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ﴾: في الماضي قبل الإيمان، إذا وقع بالماضي وتاب، كل ذلك يغفر له فما عليه أن يشوش فكره بما مضى. ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾: لأنه تاب وأصلح. الحسنة بعشرة لسبعمائة لسبعمائة ألف. علامة الإيمان فعل المعروف والإحسان. ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: متى حصل الإيمان انبعث العمل.

55- ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ﴾: نفصل الآيات لنبين نتائج المجرم حتى تتباعدوا عنها، وهذا من شدة رحمته تعالى وحنانه. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾: المجرم بعدم تفكيره يكذب بآيات الله.

56- ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾: الله تعالى نهاني. ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾: لا أسير على هواكم. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: أنا أسير على كلام الله. وكل واحد منَّا هذا طريقه. لا نسير على أهواء بعضنا. على كلام الله فقط.

57- ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾: عن بيان من الله عن منطق ظاهر مكشوف. انظر هذا الكلام هل من مردٍّ عليه! ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي﴾: أنا بشر. ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: طلبوا المعجزات، طلبوا الهلاك. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: الحكم لله، يرى ما يناسب الخلق ويعاملهم. ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾: عليكم. يسوق لكم من الأدلَّة ما يناسب. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾: أنا ليس عندي هذا الشيء، هو ما يراه يأمرني به. المناسب يجريه وهو يفصل بيننا.

58- ﴿**قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ**﴾: لو كان الأمر بيدي. ﴿**لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾: لجئتكم بما تطلبون لكن الله تعالى بيده الأمور وأنا عبد مأمور بالتبليغ فقط. ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ**﴾: الظالم يجزيه بعمله.

59- ﴿**وَعِنْدَهُ**﴾: عند الله تعالى. ﴿**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ**﴾: الغيب لا يعلمه إلَّا الله، الغيب عنده. ﴿**لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾: لا نبي ولا رسول، وكل ما أخبر به رسول الله ﷺ فهو عن الله. ﴿**وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا**﴾: إذا انتهت حياتها، فهي تستمد الحياة من الله، فما من شيء إلَّا ويد الله عليه تمدُّه. ﴿**وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ**﴾: الحبّة المستورة في الأرض أيضاً يعلمها من قمحة وغيرها. ﴿**وَلَا رَطْبٍ**﴾: خضراء لما تنبت. ﴿**وَلَا يَابِسٍ**﴾: عندما تيبس. ﴿**إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾: الكون يريك هذا ففكِّر وتعلم أن لا إلّه إلا الله، فكرك عظيم له إمكانيات عالية. الذين اخترعوا المذياع "الراديو" الرائي "التلفزيون" عندما فكَّروا توصلوا. أنت استعمل فكرك بشيء يفيدك، بشيء يرضي الله، تصل لكلِّ ما تطلب. الفكر عظيم جداً وهبك الله إيَّاه، إن فكَّرت بطريق الحق اهتديت. الأنبياء عليهم السلام هذا طريقهم بمعرفة الحق، لكن إن لم تتبع الخطوات بترتيب بادئاً من البداية فالنهاية فلن تصل إلى شيء. إن عظمَّت ربَّك صغرت ورأيت فضل ربك. العلم من الله، الرحمة منه. هو منبع الكمال. أنت إن لم تفكِّر فلن تقبل عليه ولن تصل إلى شيء، فهذه الحياة وقَطْعُها عن الأشياء كله بعلم الله، على حسب ما يناسبها يعطيها، كل شيء يعطيه حقه ولكلِّ شيء حدّ وهذا على حسب حالك، إن سرت بالحق أعطاك رزقك، إن خرجت عن الحق قطع عنك. أنت بيده والأشياء بيده على حسب حالك يعطيك. وهو يذكر لك هذه الأمثلة لكي تؤمن بلا إلّه إلا الله. من الذي يُنبت؟ من يخرج الورق، الثمر؟

60- ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ**﴾: فكِّر كيف تنام؟ هو وحده الفعَّال كل ما سواه صورة. ﴿**وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ**﴾: يعيد لك الحياة ثانية. لِمَ هذا النوم؟ من رتَّب هذا النظام؟ هل هذا ضمن حكمة أو لا! من نظمَّ هذا؟ لولا المسيِّر لا ستمر الليل دون نهار أو النهار دون ليل، ألا يحتاج هذا إلى مسيِّر! ﴿**لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى**﴾: معيَّن لا يزيد ولا ينقص. ﴿**ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ**﴾: كل هذا الكون من أجلك. كيف ستقف غداً بين يديه وقد عاملك هذه المعاملة وأكرمك هذا الإكرام! ستحترق بنيران الخجل غداً إن كفرت وما قدَّرت... وجهنم دواء. ﴿**ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: كل عملك محصي عليك سيبيِّنه لك غداً. لا يضيّع مثقال ذرَّة.

سورة الأنعام: [61-70]

61- ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾: أعطاك الاختيار لكن لم يطلقك بالفعل. تختار الإحسان ولا تستطيع أن تعطي إلا لمن يطلق الله يدك إليه بالإحسان، وبالعكس. فهو المسيِّر. ﴿**وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً**﴾: ينتظرون حركاتك ويكتبون عليك. ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**﴾: عند الموت، الحفيظان الملَك الذي وضع الروح، ملَكُ الإلهام الذي يناديك دوماً لكنك لا تسمع النداء من صمم أذنيك. ﴿**وَهُمْ**﴾: الحفظة ﴿**لَا يُفَرِّطُونَ**﴾: في شيء من أعمالك لا صغيرة ولا كبيرة، كله مكتوب. باللحظة لا يتأخر لحظة ولا يسبق لحظة.

62- ﴿**ثُمَّ رُدُّوا**﴾: بعد الموت يردُّ الخلق. ﴿**إِلَى اللَّهِ**﴾: الملَكْ صورة. هو قائم بالله، من المسيِّر له؟ ﴿**مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ**﴾: الله هو الموليّ، المسيِّر سيرك بالله. ﴿**أَلَا لَهُ الْحُكْمُ**﴾: أليس له الحكم؟ هل من أحد غيره! ﴿**وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**﴾: بسرعة أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار.

63- ﴿**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾: في البحر إن أصابتك الشدائد. ﴿**تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**﴾: بسرِّك، هل غير الله معكم تدعونه ساعتها، تدعون الله تضرُّعاً. ﴿**لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ**﴾: تقولون: ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾: هذا علامة الضعف تقول: إن أنجاني... أنت اشكره، ارجع إليه ينجّك.

64- ﴿**قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ**﴾: هل هذا لائق بك يا إنسان؟ كثير من الناس يقولون: إن شفاني الله أتصدَّق. عليك أن تتصدق فوراً دون هذا الشرط.

65- ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ**﴾: القنابل. ﴿**أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾: خسف. ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً**﴾: دولة تجاه دولة. ﴿**وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**﴾: يسلِّط قوماً على قوم وكله رحمة منه. لعلكم تتوبون. الظالم يُسلَّط على الظالم. ﴿**انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾: شيئاً ويعلمون أن الفعل بيد الله وحده. لو كنا إنسانيين لما عاملنا بعضنا إلا بالإحسان. أصلنا واحد، الأب الأول واحد، لكن البعد عن الله جعلنا نتقاطع. إن لم تفكِّر فمالك من سبيل.

66- ﴿**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ**﴾: تبيّن لهم الحق ويردُّون قولك. ﴿**قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**﴾: أنا مبلغ. عليَّ أن أبلغ، إن شئتم طبقوا.

67- ﴿**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ**﴾: كل حديث له نهاية، وكل أمر وكل شيء وله نهاية. ﴿**وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾: النتائج. لا بد أن يحصل لك العلم.

68- ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آَيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾: وكان ﷺ إذا رآهم يخطئون في الحديث عن الآيات من حنانه والتفاته نحوهم يضيع عن الحجَّة وينطبع حالهم به، من حبّه وشوقه لهدايتهم. لذلك أمره تعالى ألا يقعد معهم، فكان يذكرِّهم ويترك المجلس. وهذه أيضاً لنا: إن رأيت جماعة يتكلمون بالسوء لا تجالسهم. "المجالسة والارتباط" نتائجه سيئة على الإنسان. امرأة نوح عليه السلام بحبها لولدها كفرت. وامرأة لوط عليه السلام بحبها لقومها أيضاً. ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾: ارفعهم من نفسك، لا تتعلق بهم، التفت لشيء ثانٍ. ﴿**وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ**﴾: إن لم تفعل هذا ينْسِك. إن أصغيت إليهم ينطبع حالهم في مرآة نفسك الصافية وبذلك ينسونك الذكر فلا تستطيع نصحهم أو أن تبيّن لهم. لذلك على الإنسان أن لا يميل بقلبه ولا يصغي بإذنه لجماعة معرضين؛ إذ أن حالهم ينطبع في النفس الصافية. قل كلمة الحق وسرْ. ﴿**فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى**﴾: بعد أن ذكَّرتك. ﴿**مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾: لأنفسهم.

69- ﴿**وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾: ليسوا مسؤولين عنهم. ﴿**وَلَكِنْ ذِكْرَى**﴾: ذكّرهم واترك مجلسهم. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾: الذي ما مات عيبه ما فات.

70- ﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً**﴾: اتركهم من نفسك، لا تعلِّق قلبك بهم. ﴿**وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ**﴾: محذِّراً إياها أن ترمي نفسها بالهلاك. ﴿**أَنْ تُبْسَلَ**﴾: من البسالة الشجاعة الارتماء على الخطر، الفاسق غداً من ألمه النفسي يرمي حاله بالنار. ﴿**لَيْسَ لَهَا**﴾: ساعتها. ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ**﴾: لا مولى لك إلَّا الله، ساعتها تسلِّم نفسها إلى الله من ألمها. ﴿**وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ**﴾: كل ما جمعته. ﴿**لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا**﴾: يوم القيامة. ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا**﴾: غداً سيرمون بأنفسهم إلى النار بتأثير أعمالهم بنفسهم. ﴿**لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾: لأنهم أنكروا كل ما رأوا من آيات، ما فكَّروا. بالآخرة يرمي نفسه بنار الجحيم هرباً من نار العار الذي يحرِّق نفسه. فما أعظم ألمه النفسي حتى يرمي نفسه إلى الجحيم! في الحديث الشريف:

"إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر علي مما ألقى، وإنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب"[4].

وكذلك آية: {**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ**}[5]، وآية: {**فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ، نَارٌ حَامِيَةٌ**}[6]، صدق الله العظيم.

سورة الأنعام: [71-80]

71- ﴿**قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا**﴾: وكان الكافرون يخاطبون رسول الله حسب هواهم. ونحن الآن يجب أن نلتجئ إلى الله. ﴿**وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾: أهذا ما تريدونه منا؟ ﴿**كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ**﴾: وكذلك حال البعيد عن الله دوماً مضطرب لا يدري طريق السرور. تسوقه الشياطين من جهة إلى جهة. ﴿**لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا**﴾: ينادونه: أقبل وسر معنا المسألة ليست بالنداء. إن جميع الدعوات لا تفيد الإنسان المعرض الذي لا يريد الهداية ولا يحاول بنفسه أن يتعرف طريق الحق ويسلكه. ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾: ليست المسألة بالكلام، حتى لو دعوته لحضور مجالس الحق وسماعه، إذا هو لم يفكِّر ويستدل فيهتدي إلى لا إلّه إلا الله فلن يستفيد شيئاً. لا بد من الاستقامة والاستسلام ومهما فعل هذا الإنسان فإن لم يعرف خالقه لن يستفيد شيئاً، إن لم يفكِّر الإنسان في بدايته فماله من خواص. من لم يهتد بذاته بالله ويسير على طريقه فلا هدى له. ﴿**وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: أن نستسلم بنفوسنا إليه تعالى. فمن آمن بلا إلّه إلا الله يعلم ألَّا فعل إلَّا بيده تعالى، هو الفعَّال عندها يستقيم على أمر الله ويستسلم إليه. هذا الذي يرفع الله شأنه دنيا وآخرة. متى يستسلم الإنسان؟ عندما يرى الكون كله بيد الله. يده لا تتحرك إلَّا بالله، عينه، أذنه، كذلك الكون كله قائم بالله. وهذا كله لا يتم إلا بالتفكير، فكِّر، استهدِ بالكون على الله تعالى.

72- ﴿**وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾: إن آمن لا بد له من أعمال طيّبة، يترك المنكر ويعمل الخير لتحصل له الصلة. افعل المعروف، الإحسان، الخيرات حتى توقن نفسك بذاتها أن الله راضٍ عنها فتقبل عليه تعالى. من دون عمل لا تستطيع الإقبال {**زُيّنَ للناسِ حُبُّ الشهواتِ منَ النِسّاءِ والبَنينَ والقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذّهَبِ وَالفِضَّةِ...**}[7].

لِمَ حبَّبَها إليك؟؛ لأنه بتركك لهذه الزينة ومعارضتك لنفسك يحصل لك الإقبال على الله تجد نفسك عملاً صالحاً لها فتثق برضاء الله عنها لأنها تركت شيئاً مستحباً لديها، هذا من إقامة الصلاة، صرف المال الثمين العزيز عليك يساعدك على الإقبال. اعمل شيئاً حسناً ينشئ الصلة بينك وبين الله، هذا إقامة للصلاة، عندها تطهر نفسك. إن صلَّيْت اشتققت الكمال من الله وبالطهارة أحببت رسول الله ﷺ عندها تدخل معه على الله فتحصل لك التقوى. ﴿**وَاتَّقُوهُ**﴾: تنظرون بنور الله وعندها تنظرون الخير من الشر. ﴿**وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾: فكِّر بالموت حتى توقن بالآخرة وبالآيات.

73- ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾: فكِّر بهما، كله بنظام قائم. حتى تستسلم إلى الله انظر إلى السماء وما فيها هل هي سائرة قائمة بذاتها؟ كل شيء ضمن قوانين. دخول الجنة بقوانين،

---

[4] الحاكم في المستدرك عن جابر

[5] سورة القارعة – الآية:4.

[6] سورة القارعة – الآية:9–11.

[7] سورة آل عمران – الآية:14.

النار بقوانين، الكون كله ضمن أنظمة، ضمن حق لا جزافاً. وهذا أكبر دليل على وحدانية الله لا إلَه إلا الله. كل شيء جعل له نظاماً، البحر، المطر، الرياح، النبات، أين تمت الاتفاقية بين السماء والأرض؟! الله قادر على كل شيء لكن جعل الأمور بنظام لتستدل. ﴿**وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾: الذي خلق الكون كله ضمن نظام ومهيمن عليه ولا يستطيع مخلوق الخروج عن التصميم والنظام، أليس بقادر على خلقك يوم القيامة؟ أيعجز! ﴿**قَوْلُهُ الْحَقُّ**﴾: ساعتها ترى أن الكون كله قائم بالحق. ﴿**وَلَهُ الْمُلْكُ**﴾: كل ما في الكون بيده تعالى. ﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ**﴾: تدب الروح بالجسد. الآن لك إرادة، أمَّا يومها لا إرادة لك. ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾: كل إنسان يعطيه حقَّه لأنه خبير بعمله... دواء عن خبرة. قال تعالى: {**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**}[8].

فكيف يحصل هذا الهدى؟

74- ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً**﴾: ضرب لك على ذلك مثلاً قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كيف فكر وقال لا إلَه إلا الله، قالها لما فكر، إذ قال لأبيه: أتصنع الصنم وتقول إنَّ له فعلاً؟! من ينزِّل المطر من يسيِّر الرياح والشمس والقمر؟ متى قال ذلك؟ لما فكَّر قال لا إلَه إلا الله. ﴿**إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾: عن طريق الحق. أيكون الصنم إلَهاً؟ والناس الآن يعتمدون على بعضهم بعضاً. لكلِّ شيء قانون، أيدخل الجامعة طالب لم ينل الثانويَّة ولم يدرس وإن كان أبوه رئيس دولة؟ هل يعيش شخص لا يأكل ولا يشرب؟ كذلك للإنسان قانون إن لم يتبعه فلن يغدو صاحب معرفة. هنالك عرف وعلم... إن عرف شخص أن المدرسة العالية تخرِّج أطبَّاء ولم يسلك فيها فلن يصبح طبيباً، إن سلك أصبح طبيباً وهكذا. قال سيدنا إبراهيم لأبيه أتتَّخذ أصناماً آلهة؟! أنت وقومك ضالوّن عن طريق الحق. ما هذا الجهل؟ صنم أيكون إلَهاً؟ وحيث صار هذا العرف لسيدنا إبراهيم ووصل لهذا وبدأ يناقش الناس وانطلق يفكِّر ويستدل حتى قال لا إلَه إلا الله، أراه الله ملكوت السماوات والأرض.

75- ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: عندما فكَّر وقال لا إلَه إلا الله أريناه طريق الحق وكذلك كل إنسان إذا طلب نريه. ﴿**وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾: بعدما فكَّر واستسلم عندها أراه الله، كذلك كل إنسان استدلَّ على لا إلَه إلا الله واستسلم وطلب يريه الله {**...واتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّه...**}[9].

من أين حصل سيدنا إبراهيم عليه السلام على هذه المعرفة حتى ناقش أباه! آمن إبراهيم عليه السلام بعد أن فكر بأصله إذ خُلق من نطفة ثم أخذ يفكر بالطريقة التي بينتها الآية، سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يدخل حب الدنيا في قلبه عليه السلام فاتَّبع هذا الطريق أما نحن فعلينا التفكير بالنهاية وهي ساعة الموت حتى تخرج الدنيا من قلوبنا ومن ثم نستدل على لا إلَه إلا الله.

76- ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي**﴾: لقد بحث أولاً عن المربي. نظر في التربية، رأى نفسه نطفة، من نطفة أمشاج "مجموعة من الثمرات والأطعمة" كيف تربَّت هذه النطفة في بطن أمِّه! هذا دعاه لأن يعرف المربي. إذن كيف قال لا إلَه إلا الله: نظر في الكون! الإنسان كيف نما وصار إنساناً كاملاً! الشجر وكل شيء لا بد له من مربٍّ. أعطاك الله شيئاً كاملاً تستدل به. أنت لديك قابلية لتستدلّ، وما دامت نفسك متعلِّقة بالدنيا فلا يمكن أن تهتدي. قال هذا ربي؟ يا تُرى هل

---

[8] سورة آل عمران – الآية:73.

[9] سورة البقرة – الآية:282.

هذا ربي؟ ما وظيفته ما عمله؟ ﴿**فَلَمَّا أَفَلَ**﴾: عرف أن الكوكب مخلوق وله رب يربِّيه. ﴿**قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ**﴾: الرب لا يزول إمداده باقٍ.

77- ﴿**فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ**﴾: بحث عن القمر وعمله فرآه مخلوقاً مثله فقال لابد من مربٍ يربيه ويربيني.

78- ﴿**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ**﴾: رأى لها وظيفة تشرق على الكون كله، الخضار والنبات مركَّب على الكوكب والقمر والشمس ولابدَّ من مربٍ لهم يربيني ويربيهم. ﴿**فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾: عندها عرف المربي فقال:

79- ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: به، هذا طريق الإيمان. إن لم يستدلّ الإنسان بنفسه ولم يفكِّر بذاته فلا يمكن أن يهتديَ. هذا قانون من لا يسلكه لن يكون إنساناً. ومن لا يصبح إنساناً فلن يدخل الجنان بل يبقى بهيماً لا يعرف سبب مجيئه للدنيا فيضيّعها سدى.

80- ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ**﴾: قالوا: أين هذا المربي! إنه بعيد والأصنام وسطاء بيننا وبينه. ﴿**قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ**﴾: إليه. ﴿**وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ**﴾: لماً هدَّدوه قال هذه لا فعل لها. كل ما سوى الله لا فعل له إلا بإذن الله. ﴿**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً**﴾: كل الكون بيده. ﴿**وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾: الكل ضمن علمه. إن لم يفكِّر الإنسان فلن يكون لديه إلا عرف، ولن يحصل له علم حتى يفكِّر فيعقل. ﴿**أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾: ببدايتكم!

سورة الأنعام: [81-90]

81- ﴿**وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً**﴾: لم يجعل لها حولاً ولا قوة. وهذا أيضاً ينفي أحاديث الدجَّال من أنه يُنبِت الزرع ويُنزِل المطر: "فالله لا يضل الناس ثم يحاسبهم". ﴿**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾: مَنِ الآمن!

82- ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾: بفعل رديء. أي لا يعملون عملاً سيئاً. ﴿**أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ**﴾: في الدنيا لا يصيبه شيء أبداً. إن لم يخطئ المؤمن فلن يصيبه شيء. فإن أصابك شيء فارجع إلى نفسك ﴿**وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾: دوماً على بصيرة مستنيرة من الله ورسوله.

83- ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا**﴾: ألا تتذكَّر كيف كنت نطفة يا إنسان؟ ألا تفكِّر ببطن أمك من ربَّاك؟ ﴿**آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**﴾: إذ قال لهم بأن الصنم لاشيء بيده فلِمَ تعبدونه! ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ**﴾: إذا فكَّر الإنسان وسلك فعقل رفعه الله من مقام إلى مقام، كل إنسان على حسب إيمانه. الأمور بالعدل: البلاء مخصَّص، الرحمة مخصَّصه. كل امرئ ودرجته وما يناسبه. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾: حكيم مبني فعله على علم بحال كل إنسان.

84- ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ**﴾: نبياً... لما استسلم إلى الله وسار بالسيْر العالي أعطاه الله الدنيا والآخرة. ﴿**وَيَعْقُوبَ**﴾: نبياً. ﴿**كُلًّا هَدَيْنَا**﴾: حيث سلكوا كما سلك سيدنا إبراهيم عليه السلام. كل واحد على حسب اجتهاده لا جزافاً. كل واحد على حسب ما وصل إليه من الإيمان. ﴿**وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ**﴾: كذلك اهتدى إلى هذا الطريق. فعل كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام، نظر ببدايته فاهتدى. ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ**﴾: لنوح ولإبراهيم عليهما السلام. ﴿**دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ**﴾: كلهم سلكوا هذا المسلك. ﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾: كل هؤلاء سلكوا هذا الطريق فصاروا من أهل الإحسان فنالوا ما نالوا وكل إنسان إذا فكَّر وعقل وسلك مسلكهم، صار له هذا العلم.

85- ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾: أيضاً كلهم سلكوا هذا الطريق نفسه. ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: فصلحوا لعطاء الله.

86- ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: حيث سلكوا نفس هذا المسلك صاروا أسياداً في زمانهم.

87- ﴿وَمِنْ آَبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: إلى الهدى لأن يهدوا الناس للحق ويرشدوا. فكَّروا واستدلُّوا واستقاموا. كل من سلك نال فمنهم من صار رسولاً أو مرشداً... ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: إن ما صرت وليّاً لن تدخل الجنَّة.

88- ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾: هذا هو الطريق الذي بيَّنه الله للخلق بسلوك مسلك سيدنا إبراهيم عليه السلام، إذ فكَّر واستدلَّ. غير هذا القانون لا يوجد، كل من سلكه اهتدى وتفتَّحت بصيرته وشاهد الحقائق. ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: كل من طلب الهداية هداه الله، كل من صدق وطلب الحق أراه الله كما أرى إبراهيم عليه السلام: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..}[10] ما منع أحداً من هداه، إن صار مؤمناً هداه الله لمرشد. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: هؤلاء الأنبياء عليهم السلام ما نالوا النبوة هبة، بل فكَّروا واستدلوا ولو ساروا بغير هذا الطريق لما استفادوا شيئاً ولكان عملهم لا فائدة منه. لكنهم لمَّا آمنوا صار عملهم بنيَّة عالية.

89- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: من إقبالهم على الله انطبع الحق في نفوسهم. كل الأنبياء عليهم السلام انطبع فيهم القرآن والإنجيل والتوراة لأن الكل يأخذون من مشكاة واحدة. ﴿وَالْحُكْمَ﴾: الحكم الفصل. ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: لمَّا فكَّروا واستدلُّوا وصارت عندهم الأهلية آتيناهم. كذلك رسول الله ﷺ ذهب للغار وفكَّر واستدلَّ وهكذا جميع الرسل سلكوا هذا المسلك. بالنسبة لشق الصدر فهذه القصة لا أصل لها. ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾: بالنبوة ﴿هَؤُلَاءِ﴾: اليهود. ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً﴾: وهم العرب. وكلها لهم عندما صاروا أهل، والله أعلم حيث يضع رسالته وضعها بقلوب المؤمنين والأتقياء. ﴿لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾: صحابة رسول الله رضوان الله عليهم، إذ نشروا الدلالة، وهدوا الأمم.

90- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: دل الناس يا محمد ﷺ على هذا الطريق، طريق الإيمان كالذي سلكه "إبراهيم عليه السلام" والذي دلَّ الرسل أقوامهم عليه. ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾: أيها الإنسان ليس لك غير هذا القانون فإن لم يؤمن الإنسان هذا الإيمان فلن يستفيد شيئاً. فلا صلاته ولا صيامه، بل ولا عمله، كله باطل. ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾: لا حاجة لي بكم بشيء. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾: أنا أبيّن لكم: من لا يسلك هذا القانون لن يستفيد شيئاً. الإنسان له قانون إن سلكه عمل عملاً عالياً فبه يدخل الجنَّة، به يدخل على الله. كل من دخل من هذا الباب أعطاه. فتح الله الباب للخلق كافّة.

سورة الأنعام: [91-100]

91- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: لم يعظم الله مَنْ لم ينظر بأصله وبدايته في بطن أمه ولم ينظر بالكون، لم يعرفوا عن الله شيئاً ما أحد عرف حنانه ورحمته، الله تعالى صاحب رحمة وحنان ورأفة خلَقك لسعادتك ليحسن إليك دنيا وآخرة. ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾: قالوا هذا لأجل أن ينكروا نبوة الرسول. ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾: إن كنتم منكرين كل الرسالات فكيف تقولون: موسى رسولنا؟ ﴿نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ﴾: إن شاءوا وسلكوا نالوا التقوى. ﴿تَجْعَلُونَهُ

---

[10] سورة الأنعام – الآية:75

قَرَاطِيسَ﴾: آية آية، آيات متفرقة. ﴿**تُبْدُونَهَا**﴾: ما وافق هواكم. التفسير لا يكون آية آية، اقرأ السورة من أولها إلى آخرها. ﴿**وَتُخْفُونَ كَثِيراً**﴾: الآية التي لا تعجبهم حذفوها، فالقرآن آياته مترابطة بعضها ببعض: {**الر كِتَابٌ أُحْكِمتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ...**}[11]. ﴿**وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ**﴾: الذي علَّمكم. ﴿**ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾: عليك البلاغ وعلينا الحساب.

92- ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ**﴾: وهو القرآن. ﴿**أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾: مصدق التوراة. ﴿**وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى**﴾: مكة حيث العالم كله حولها. مكة المتوسطة في العالم. ﴿**وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾: من آمن بالمربي وعرف الآخرة يؤمن به، إن لم تؤمن بالآخرة والسؤال لا تؤمن به. أما إن فكَّرت بالموت والسؤال خافت نفسك فاستسلمت إليك فَسَعتْ للوصول للمربي، قبل كل شيء آمِن بالآخرة. ﴿**وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾: يعمل عملاً طيباً لتحصل له صلة بالله، الطريق للإيمان بالآخرة:

أولاً فكِّر بالموت، ستموت حتماً، كم ستعيش؟ كم من صغير مات؟ كم وكم؟؟؟ إن متَّ ما هو عملك وجوابك؟ إن أيقنت بهذا تصبح نفسك صادقة بطلب الحق. عندها تفكِّر بالمربِّي. من يمدني بالحياة؟ من يسيِّر الكون؟ عندها تقول حقّاً وشهوداً: الله. ﴿**وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ**﴾: الصلة مع الله. ﴿**يُحَافِظُونَ**﴾: محافظ عليها. يرى نفسه قائماً بالله. يبقى ناظراً لهذه الصلة يعرف أن الله معه أينما سار، مسيره كله بالله.

93- ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾: وقد قالت قريش ذلك. ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ**﴾: عند النزاع ساعة قبض الروح. ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ**﴾: عليه لقبض روحه. ﴿**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**﴾: الآن: الكافر لا يريد الخروج. روح المعرض كالحرير على الشوك. يسحبون روحه وهو يصيح. ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**﴾: المنحط. ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾: ألا تفكِّر بها؟ أنت وحدك آية. ألا تنظر كيف كنت! ما عرفت رحمته وحنانه.

94- ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى**﴾: يقال لهم عند الموت: لا أحد ينزل في القبر معك. ﴿**كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾: سلَّمناكم الدنيا قلنا لكم سيروا بها بالحق. الآن زالت عنكم تركتموها، ضيَّعتم عمركم بشهواتها، والكل تركتموه. ﴿**وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ**﴾: معكم في الحزب والدعوة. ﴿**لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ**﴾: هذا الاتصال الصحبة زالت. ﴿**وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾: كل ما هو فيه يضيع عنه. حتى تستطيع أن تفهم، إن فكرت بالموت نفسك تستسلم إليك، عندها فكِّر بهذا:

95- ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**﴾: النواة بالحجر لا تُكسَر إلا بصعوبة فمن ذا الذي يغلِّفها؟ ما هذه القوة التي تُخرج النبتة من قشرة صلبة؟ فكِّر بهذا... من الذي يخرج الشجرة؟ لكن إن لم تستسلم نفسك لك ولم تفكِّر بالموت فلن تستطيع أن تفكِّر بالحب والنوى ولا بغيره. ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ**﴾: النبتة. ﴿**مِنَ الْمَيِّتِ**﴾: البذرة. ﴿**وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**﴾: البذرة من الشجرة. ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾: كيف تتحول عنه؟! إن فكَّرت بالموت استسلمت نفسك. الفكر والنفس معاً يُنتجان: كمثل آلة النسيج "المكوك" بدون خيوط مهما اشتغلت فلا تنتج شيئاً، لكن لمَّا تضع لها الخيوط عندها تنتج. كذلك الفكر وحده لا يتوصَّل.

---

[11] سورة هود – الآية:1.

96- ﴿**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ**﴾: الكرة الأرضية كيف تدور؟ من يدوّرها؟ كيف يذهب الليل ويأتي النهار؟ من أين تأتي الشمس صباحاً فتنير؟ ﴿**وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً**﴾: بنظام فلا اختلاف ولا بالثواني. لو كانت بنفسها لقلّت السرعة. إذن يوجد إمداد ثابت لا يختلف، ولو لم تكن قوة مُمِدّة لحصل نقص وتراجع، أفلا تفكّر بهذا! ﴿**ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾: بالكون كله عليم بحالك.

97- ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا**﴾: إلى الله تعالى. ﴿**فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾: تعرّفكم طريقكم في البر والبحر. ألا تفكّر بهذه الأجرام العظيمة السابحة في الفضاء! هذه الساعات الأوقات من النجوم. ﴿**قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾: لا إله إلا الله. كل من أيقن بالموت فآمن وغدا طالبَ علم نفصّل له، هذا يفهم. إن لم تفكّر فلن يحصل لك علم.

98- ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾: آدم وسائر البشر مخلوقون من جنس واحد. كلكم لآدم عليه السلام. كما وضع ببذرة التين شجرة تين. ﴿**فَمُسْتَقَرٌّ**﴾: بالرجل: بأبيك. ﴿**وَمُسْتَوْدَعٌ**﴾: بالأنثى في بطن الأم. ﴿**قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**﴾: إن لم يؤمن الإنسان بالموت فلن يفقه شيئاً.

99- ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾: الحياة بواسطة الماء. كيف نزل هذا الماء! ﴿**فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾: أخرج بالماء كل شيء. ﴿**فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً**﴾: حياة. ﴿**نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً**﴾: من ذُرة، قمح. كالسنابل، الموز. ﴿**وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ**﴾: عناقيد متدليَّة. ﴿**وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ**﴾: خوخ، تفاح، عنب، مشمش. ﴿**وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً**﴾: الشجر مشتبه، الشكل واحد ﴿**وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**﴾: بالطعم والفائدة. كل واحدة لها طعم وحمل. ﴿**انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ**﴾: كل شيء بشكل! ﴿**وَيَنْعِهِ**﴾: نضجه. كيف نضج! الماء واحد، الشجر... الأرض واحدة، كل شيء فيه حياة ومادة وشكل. من الموصل الحياة إلى الثمرة؟ القشرة فيها حياة من نوع. البذرة من نوع آخر، كل شيء ونوعه. هل هذا بذاته؟ إن لم توقن بالموت، فتستسلم نفسك إليك فلن تعقل شيئاً. من لا عقل له لا دين له. إن لم تعقل فلن تدين للحق. ما لم تنضم نفسك لفكرك فلن تعقل شيئاً. ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾: لطالبي الحق، من خاف من الموت فاستسلمت نفسه له. إن لم تؤمن فلن ترى.

100- ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ**﴾: المخلوق أيكون شريكاً؟! قبل أن يُخلَقوا من كان يُربِّي الكون؟ ﴿**وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾: نسبوا إليه دون علم ودون حق. ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾: ما أعظمه عن أن يكون له مثيل.

سورة الأنعام: [101-110]

101- ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: أبدعها على هذا النظام. ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ**﴾: يجب أن يكون له مماثل حتى يكون له ولد. ﴿**وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ**﴾: هل من مماثل له بالخلق والإحياء وتسيير الكائنات؟ هل من سواه يحمل الجبال، وجبال القمر والمجرّات والكواكب والشمس! هل آلهة أو إلّه معه فأين خلْقهما! ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾: هو الخالق هو المربي هو المسيِّر.

102- ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ**﴾: هذا هو الرب والإلّه. ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: هو المسير لا مسير سواه. ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾: هو الخالق. ﴿**فَاعْبُدُوهُ**﴾: اسمع نصيحته، اسمع كلامه. فكِّر برحمته، بحنانه. لم أرسلك للدنيا؟ ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾: متوكِّل بسعادتك، بسيرك، برزقك. لا أحد غيره مسيِّر.

103- ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾: مهما قلت عليم فهو أعلم، رحيم فهو أرحم، والعين لا تراه. ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ**﴾: معك دون أن تشعر. من دون شعور منك نوره سارٍ بيدك، بعينك، قيامك كله به، كل الكون قائم به. ﴿**الْخَبِيرُ**﴾: بعملك.

104- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾: الآن يا عبادي جاءكم تذكير بهذه الدلالة الحق. ﴿بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: آيات دالَّة عليَّ، مرَّت آيات دلَّت على طريق السعادة وآيات بيَّنت طريق النار. أراكم القانون الذي به تهتدون فإن أنت لم تتبعها هلكت. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾: من فكَّر وعقل سعد دنيا وآخرة، فلنفسه. عائده لك. ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾: العائد عليك يهلك، يشقى دنيا وآخرة ولو صار غنياً. {وَمنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْري فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً...}[12].

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾: أنا أدلُّ دلالةً، أنا مبلِّغ وكل واحد وحمله على عنقه. الشفاعة هنا لا في الآخرة. إذا استسلمت وقلت لا إلَه إلا الله عندها حقاً تصلي وتكتسب كمالاً بنفسك فتدخل على الله بصحبة رسول الله ﷺ سيد أهل الكمال. فترى الرحمة والحنان: ترى ملكوت السماوات والأرض.

105- ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ﴾: نوضحها آية بعد آية. بعد أن بيَّن لنا تعالى طريق الإيمان وكيف سلك به الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾: من غير الله، هكذا يقولون من عماهم. أي: دعهم يقولون ذلك ولا تعبأ بقولهم. هذا العلم أبداً لا يكون أخذاً عن الآخرين. بالصلاة طهارة وكمال وعلم. فإن لم ينل الإنسان علماً بلا إلَه إلا الله فلن يدرك هذه المعاني السامية. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: العالم يُدرك. بالإقبال على الله تُمْحىَ الصفات الرديئة وينطبع الكمال.

106- ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: أنت بلِّغ وطبِّق دلالته. فهِّمهم بأنه لا يوجد غير هذا الطريق. كان رسول الله ﷺ بعد صلاة سنَّة الصبح يضطجع على جنبه الأيمن يفكِّر بالموت. وأنت افعل ذلك. ﴿لَا إِلَه إِلَّا هُوَ﴾: لا يوجد غير هذا الطريق، طريق التفكير بالموت فالصدق في طلب الحق فالإيمان بلا إلَه إلا الله وأنه هو المسيِّر. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: كل من سار بدلالة غير دلالة الله فهو مشرك، أنت بلغ ولا تعلق قلبك بهم. كل إنسان على حسب قربه يشتق من الله سبحانه رحمة فيتألم على الخلق لذلك المؤمن يتمنى الخير لكل الخلق لكن لا يعلق قلبه بالبعيدين عن الله.

107- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾: إن إشراكهم هذا بإرادة من الله، فالله يعطي كلاً ما يشتهي وما يناسبه وبما استقرَّ في نفسه. إذا غدا الإنسان مريضاً فلا بدَّ له من علاج. فالله تعالى جاء بالإنسان إلى الدنيا كي يكتسب عملاً ومنحه الاختيار لكي يكسب ثقة بعمله. لو لم يخيرِّه لما اكتسب ثقةً. فلو أجبره فلن يستفيد من عمله. لذا وبسبب هذا الاختيار تتولَّد الثقة بنفسه غداً من عمله الطوعي الصالح فيحصل له إقبال، ويدور عمله أمامه عملاً إثر عمل ويرقى بكلِّ عمل حتى تنتهي أعماله الصالحة ثم تتكرر ثانية وثالثة وهلمَّ جرّاً... بشكل دوَّار. وبما أن الحكم للنفس في الآخرة، إذ تقوم على المشاهدة والعقل فقط، إذ انتهى دور الفكر وتوقَّف عمل الجسم فلا ذاكرة للمرء بالآخرة فلا يذْكرُ أعماله الدوَّارة التي سبق ومرَّت أمامه، بل يظنها بتكرارها جديدة فيرقى بها ويكسب المرء بها جنات إثر جنات وبلا نهاية وإلى ما لا نهاية بل بديمومة، بسعادة وحبور متزايد أبد الآباد. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾: حافظاً لهم من الوقوع في الشهوات، ما جعلناك تمنعهم. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: لست مسؤولاً عنهم. أنت بلِّغ فقط.

108- ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: لا تسب آلهتهم المزعومة، لئلا يتباعد. المُعرض لا تهاجمه، لاطفه لعله يهتدي. ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: لأنه يزداد بعداً إن سببته فتكون سبباً بهلاكه وبُعده، حيث يحصل له خجل من الله فيهلك. ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾: نفس المعرض عن الله مليئة بالشهوات لذا يزين الله له عمله كي تخرج شهواته والمكروب الذي بنفسه ومن ثم

---

[12] سورة طه – الآية:124.

يسوق الله له البلاء معالجة لهذا المعرض عله يرجع ويتوب فيتوب الله عليه كالطبيب يعطي المسهّل للمريض ليخرج ما في جوفه من أوخام. فكل إنسان وعلى حسب ما في نفسه يسيره الله. **﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:** غداً.

109- **﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾:** الكفرة والمنافقون. **﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾:** بقدر إمكانيَّتهم حلفوا. **﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾:** معجزة. **﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾:** يؤمنون بواسطتها. **﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾:** ليس بيدي شيء، المناسب يسوقه الله. ما دام الإنسان لا يسلك طريق الإيمان الذي بيَّنه الله فستظل عينه عمياء ولا ترى الحق. بعض المؤمنين تمنَّوا نزول آية لعل الكفار يؤمنون فخاطبهم الله: **﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾:** ما يدريكم يا مؤمنين. **﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:** إذا جاءت المعجزة وما آمنوا يهلكون.

110- **﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾:** ولو جاءت الآية حيث إنَّ شهوته غالبة لا يؤمن. فالإنسان مهما رأى من معجزات لا يؤمن إن لم يفكِّر بالبداية والنهاية ولم يسلك القوانين لا يمكن أن يهتديَ مطلقاً **﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾:** إذن لو جاءت المعجزة فلن يؤمن. وقد ضرب لنا تعالى أمثلة عن الأقوام السابقة "بنو إسرائيل والبحر ـ الصخرة ـ البقرة ـ قوم سيدنا صالح عليه السلام ـ ومعجزات سيدنا عيسى عليه السلام وغيرها" وما آمنوا. لو آمن بالله لرأى. هناك قانون لا يتبدَّل، لا بدَّ من التفكير. **﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾:** إن لم يفكِّر فلن يؤمن. **﴿يَعْمَهُونَ﴾:** ليخرج الخبث من نفوسهم.

سورة الأنعام: [111-120]

111- **﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾:** خطاب للمؤمنين بخصوص الكفَّار. **﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾:** مما يطلبون. **﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾:** إلا أن يسلكوا القوانين ويتابعوا الطريق الذي بيّنه الله، فلن يؤمن، إن لم تنظر في بدايتك، نهايتك، إن ما رأيت الكون كله سائراً بأمر الله فلن تهتدي. هذا القانون. إن لم تفكر فتقبل لا تصل إلى الإيمان لأن مشيئة الله تعالى مرتبطة بسلوكك القوانين فإن فكرت فعقلت فآمنت صرت ضمن حصن فحفظت من الشيطان، متى طهرت نفس الإنسان ومتى صدق يرى، هذا قانون، فمشيئة الله تحصل بعد التفكير بالموت ومن ثم الصدق بالطلب وبعدها الإيمان بلا إلّه إلا الله. **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾:** هذا القانون، هذه الحقيقة، فإن لم يسلك الإنسان طريق الإيمان الذي بينه الله فمهما سمع فإنه لا يستفيد شيئاً ولن يهتدي ولن يؤمن.

الطريق والقانون: التفكير الصادق بالموت حتى تذعن نفس الإنسان وتجتمع مع الفكر عندها إن فكّر الإنسان بآيات ربه الكونية يستدل عليه تعالى فيستقيم ويقبل على الله.

112- **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾:** هذا شيء لازم ليخرج ما فيهم من خبث؛ إذ يصبحون أعداءً للحق. فهذه العداوة علاج. **﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾:** ليغرُّوا بعضهم بعضاً. **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾:** لكنه تعالى يخرج مكروب هذا وهذا. النيَّة خبيثة لكن النتائج حسنة. **﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾:** كلهم بيد الله.

113- **﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ﴾:** من لم يفكِّر بالموت بالآخرة هذا الذي يسمع كلامهم. وكل من لم يفكِّر بالموت يقبل هذا القول، فالمفكِّر يخاف من الموت من الآخرة فلا يسير بغير الحق. إذن المؤمن يلقى بكلامهم ومن لم يفكِّر فيعقل يُصْغ. فالمؤمن لا يلتفت إليهم وغير المؤمن بالآخرة يصغي إليهم. **﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾:** يسرُّهم هذا القول. البعيد يرتضي ذلك. يقبلون كلامهم. **﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾:** من خبائث، يعبُّون منها. سيدنا إبراهيم عليه السلام كيف فكَّر؟ لقد

أعطى الله تعالى أهلية لكلِّ إنسان، إمكانيات واحدة وهبها كل الخلق. الحمد الله ربِّ العالمين: علام يُحْمَدْ لو كان قد أجبر! الرحمن الرحيم: كله تعالى خير عطف وحنان على الخلق.

114- ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً**﴾: هذا قانون لو نزلت المعجزة لن يؤمنوا ما لم يسلكوا طريق الإيمان ـ أفأنتم تطلبون مني معجزات. ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً**﴾: بيَّن لكم طريق الإيمان، عندها انظروا هذا الحنان والعطف الإلٰهي والإحسان. يبيّن قوانين ربط البشرية ببعضها بإحسانهم لبعضهم بعضاً. الإسلام معناه إقبال على الله وكمال نفسي يغدو الإنسان وكله حنان وقلبُه على خلق الله. فالإنسان مع الإنسان: أخ مع أخ.

﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾: الذين آمنوا وسلكوا طريق الإيمان. فكَّر بالموت فأيقن، خرجت الدنيا من نفسه هنالك اجتمعت النفس مع الفكر. فكَّر بالمربي، بلا إلٰه إلا الله، استقام فُطبِعَ الحق في نفسه. ﴿**يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾: يعلمون أن هذا هو الطريق الصحيح، فهم لا يدلُّون الناس دلالة أخرى. ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾: الذين لم يروا هذا.

115- ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ**﴾: قوانين ثابتة لا بديل لها. ﴿**صِدْقاً**﴾: الطريق واحدة صدق من العبد وعطاء من الله تعالى على قدر هذا الصدق. إن لم يفكِّر الإنسان بالموت ولم يوقن به فلن يصدق بطلب الحق؛ إذ أن قلبه بأمر آخر مشغول. فكِّر، اعقل عظِّم ربك، إن لم ترَ نفسك صغيراً ضعيفاً فأنت ما تزال بعيداً، إن لم تفكِّر هذا لا يكون. هذه قوانين ثابتة. ﴿**وَعَدْلاً**﴾: إن لم يَسِر بطريق الحق فلا يمكن أن يهتدي. ﴿**لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**﴾: هذا قانون ولا يوجد طريق آخر سواه. ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾: السميع لأقوالكم والعليم بأحوالكم.

116- ﴿**وَإِنْ تُطِعْ**﴾: أيها الرسول. ﴿**أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾: الأكثرية ضالُّون. ﴿**يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: فلا تستطيع هداية أحد. هذا وحده الطريق، ومن لم يسلك هذا الطريق فلا طريق له سواه. فكِّر أيها الإنسان ببدايتك ونهايتك. فكِّر ببدايتك أين رُبِّيْت؟ كيف صرت إنساناً؟ في الدنيا الآن أنت ضعيف مفتقر، ما حالك إذا شربت الماء فلم يخرج! وما وضعك إن لم تجد طعاماً! من الذي يطعمك؟ انظر إلى هذا الائتلاف فيما بينك وبين ما تأكل من الثمار، أأنت توصل المواد المهضومة إلى أعضائك! من المقسِّم؟ من الموزِّع لكلِّ عضو حقَّه! ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ**﴾: يسيرون بالظن ولا يرون الحقائق. ﴿**وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**﴾: يعدمون الحيلة في رد الحق عند مجابهتهم به وغداً يسكتون عند رؤية الحق ويتمنى أحدهم أن لو يعود إلى الدنيا ليستدرك.

117- ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾: من لا يفكِّر بالموت لا يتَّعظ. ﴿**وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾: طالب الهدى عليم به، أنت بلِّغ فقط. فالمفكِّر الذي يعقل معلوم، كذلك من لا يفكِّر.

118- ﴿**فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾: بعض المؤمنين كانوا مجاورين لليهود ـ قال اليهود: إن أمعاء الغنم لا تؤكل كذلك الإلية مجاورة ـ فرد الله عليهم. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ بِآَيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾: أي فقط كبِّروا عليه وكلوا.

119- ﴿**وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾: وكانوا قد حرَّموا أشياء على أنفسهم. ﴿**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**﴾: وقد رد الله تعالى على اليهود. ﴿**وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾: يحرِّم على هواه. يقول: هذا حلال وهذا حرام، على حسب أهوائهم، كل من يسير برأيه يهلك. الإنسان عليه أن يتبع أمر الله. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ**﴾: المخالفون.

120- ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾: الفعل. ﴿وَبَاطِنَهُ﴾: لتكن النيّة حسنة. لا تضع بنفسك شيئاً، لا ظاهراً ولا باطناً. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾: من أذى ورذيلة.

سورة الأنعام: [121-130]

121- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: كان العرب لا يأكلون ذبيحة اليهود، لكن الله تعالى بيَّن أنه إذا ذكر اسم الله تؤكل. أما بعدم ذكر الله فلن تفور الذبيحة ولا يخرج دمها الفاسد بل تبقى بها المكروبات والأوساخ والجراثيم. ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾: يقولون: كيف تأكلون الأمعاء والإلية؟ كما يقولون: ما هذا الذكر وما سبب التحريم؟ الحقيقة إنه عند ذكر اسم الله تهيج نفس الحيوان لسماع اسم الله فيخرج دمه ويطهر الحيوان. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾: لا تسمع كلام أحد غير كلام الله. فغير كلام الله لا يُطاع كل دلالة ممَّا سوى دلالة الله فهي مردودة؛ إذ هي شرك.

122- ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: الرسول ﷺ أربعين سنة لم يتكلم بشيء ثم تجلّى الله عليه بالعلوم والمعرفة وبعثه رسولاً فصار يبيّن الحق. ظل الرسول أربعين سنة دون عمل حتى ساق الله على يديه هذه الخيرات. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: آمن وأقبل على الله فاشتق نوراً عظيماً من نور الله. ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾: فهل مثله كمثل أولئك اليهود الكفرة! هل تسمعون كلامهم! ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ﴾: الكافر الذي لم يُعظِّم الله. ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يرى دلالة الجاهل الذي هو مثله والإسرائيليات أحسن من دلالة الله.

123- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾: أراذل الناس. مُحبّي الدنيا، الذين طلبوا الدنيا وتمسَّكوا بها. أكابر مجرميها: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: لكنه لا يعمل إلا بنفسه. وكل عمل لا يعود إلا على صاحبه في نتائجه، المهتدي مهتدي والضال ضال. لا أحد يضل أحداً ولا أحد يهدي أحداً. الماكر يعود مكره عليه، والردي مهما كلَّمته فماله جدوى، والطيّب لا يفسده شيء، لا أحد يحوّل المؤمن، ومن لم يفكِّر لو دلَّه الرسل كافة لا يستدل. الطيّب مع الطيّب ولكلِّ إنسان عمله الذي عليه يعود. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أموات غير أحياء القلوب.

124- ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾: لِمَ محمد ﷺ جاءه جبريل؟ هكذا قال اليهود. وقالوا أيضاً: نحن لو أرسل لنا الملَكْ لصرنا مثله. فردَّ تعالى عليهم. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾: الأمور ضمن قوانين كل من صارت عنده أهلية تجلّى عليه وصار طاهراً. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾: ذل وحقارة "جهنم". دنيا وآخرة، قبل موته تقع له إهانات. ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾: لردِّ الحق. أعطاك المال لتفعل الخير، لا لتؤذي وتفسد الناس.

125- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ﴾: كل من أراد إن فكَّر واستدل وخرجت الدنيا من قلبه فالله يهديه، ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: وذلك لكلِّ من فكَّر وعقل. فيتبع الحقَّ ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾: من يعرض ولا يفكِّر يمتلئ قلبه بالخبث. ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾: الشيء الوسخ. ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: يُسلِّط الخبيث على الخبيث يجعله باباً للأذى. لو آمن لطهر قلبه. المحبوب عند الله يصبح باباً للمعروف لفعل الخير، أما الخبيث فيجعله باباً للأذى يؤدِّب به من يستحق التأديب، والنتائج للخير، دوماً بيده الخير.

126- ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾: غير هذا الطريق لا يوجد: التفكير بالموت فبالكون، الاستقامة والصلاة والكمال. ﴿مُسْتَقِيماً﴾: هذا الشيء الذي ذكرته لهم من التفكير بالموت وبالبداية والنهاية هو الموصل

إلى سعادة الدنيا والآخرة إلى الجنّة ﴿**قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾: إن لم يُذكِّر الإنسان نفسه ببدايته فهذا عين الكفر حيث إنه لم يرَ عظمة ربه، بل ظلَّ في استكبار عنه تعالى. الآيات كلها لقوم يذكرون: يتذكَّر الموت فيستفيد من الآيات كلها، الذي لا يتذكر لا تفيده. غير هذا الطريق ليس لك، ليس الإسلام بالكلام، لا بد من المشاهدة والتحقيق. وكل من يسلك هذا الطريق يستنير فيرى كل أمر من أوامر هذا الدين.

127- ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾: غداً. يموت فيصل لدار السلام للأمان. ﴿**وَهُوَ وَلِيُّهُمْ**﴾: هو المولّي لهم بطريق الحق في الدنيا. كان مستسلماً إلى الله وهو تعالى دليله. وذلك لمن فكَّر فعقل فاستقام فغدا سيره بدلالة ربه. ﴿**بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: عملهم كله بدلالة الله. عمل المؤمن بدلالة من الله تعالى دوماً يستهديه فيهديه.

128- ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً**﴾: سائر الخلق يوم القيامة. ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ**﴾: يخاطبهم. ﴿**قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ**﴾: حيث إنَّ الشيطان وعد أن يضل بني آدم فيسأل الجن هل استكثرتم؟ ما استكثرتم. لكن خبثهم جعلهم يلحقون بكم، فما كان ربحكم منهم؟ الحقيقة ما استكثر الشيطان. ما وسوس لطيّب ما دنا إلَّا من خبيث مثله. الخبيث يأتي للخبيث. الشيطان وعد أن يطغي لكن لا يستطيع. ﴿**وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ**﴾: هم خبثاء ونحن خبثاء فلحقنا ببعض. هل تحقَّقت أنت بنفسك بالإسلام أم ورثته عن أبيك وسرت على ما سمعته! ﴿**وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا**﴾: ما ظلمتنا، أعطيتنا كل شيء. ﴿**قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ**﴾: ليس لكم الآن أنفع منها. أحسن شيء لكم. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾: إن أقبل طاب وخرج منها، لكن الكافر غداً لا يمكن أن يُقبل لما فيه. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾: لا يناسبكم إلا هذا. كل إنسان يعطيه ما يناسبه وأحسن شيء له.

129- ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً**﴾: على حسب ما فيه يعطيه. الظالم يسلّط الله عليه ظالماً. السائر بالحق لا سلطان لأحد عليه. الزاني يُساق للزانية، الشيطان يشم رائحة الطرفين فيزيّن للخبيثة الاتصال بالخبيث، وهكذا الطاهر الطيّب محفوظ من كل شيء. وعليه: النفس لا يطهرّها إلا الإقبال على الله تعالى، لذلك أمرنا تعالى بالإيمان الموصل إلى الصلاة وبذا تُمحى الرذيلة من النفس وتنتقش الفضيلة والكمال. ﴿**بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾: من أعمالهم.

عتاب يوم القيامة:

130- ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**﴾: المراد من العتاب: أن يروا حنان الله عليهم وأنهم كانوا هم السبب بضلال نفوسهم "كمثال من يقطع يده فيجرحها بسكين أو بموس". هو الذي جرحها وجنى على نفسه لا غيره. ﴿**قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا**﴾: ولكن ما السبب؟ ﴿**وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾: تعلَّقوا بها فغرّتهم الحياة. لحقوا بملاذِّها وشهواتها، حيث ما فكَّروا بالموت فما بعدت عنهم الدنيا، ولِمَ غرتهم؟ ﴿**وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾: عندما كفروا لم يروا حنان الله عليهم ورحمته بل مالوا لحب الدنيا وحب الدنيا يوصل لمعارضة الحق، وحيث إنه لم يفكِّر بالبداية والنهاية صار كافراً وكفره ساقه للشهوات. فعلى الإنسان أن يفكِّر دوماً. إن شرب يُسمِّي بالله لكي يفكِّر ويتذكَّر فضل الله، وكذلك عند الأكل. فهؤلاء كانوا كافرين لأنهم ما عظَّموا الله وما عرفوا شيئاً عنه، كانوا كالحيوان أكل وشرب.

سورة الأنعام: [131-140]

131- ﴿**ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**﴾: رحمته تعالى اقتضت تذكير الإنسان ودوماً ملَك يناديك. لا يهلكها إلا بعد إرسال إنذار يريهم ما أصاب مَن سبقهم، إن فكَّروا رجعوا. هل من بلدة ليس فيها موت؟ مقبرة؟ كل من فكَّر بهذا زالت الدنيا من نفسه وسار بالحق.

132- ﴿**وَلِكُلٍّ**﴾: من أهل الجنَّة والنار. ﴿**دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا**﴾: على حسب عمله لا جزافاً. ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾: كله بعلمه، لا يضيع عنه تعالى شيء بحسب المناسب، الذي نفسه خبيثة يسوقه لما يناسبه وبالعكس. الذي نفسه طيبة يسوقه لما يناسبه.

133- ﴿**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ**﴾: عنكم كافة، ما هو بحاجة لك. كل الكون لِمَ خلقه؟ ﴿**ذُو الرَّحْمَةِ**﴾: لكنه رحيم بك. رحمته بكم تقتضي دلالتكم وإنذاركم وأن يطاولكم ويحلم عليكم. ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ**﴾: وهو تعالى قادر على أن يهلككم. ﴿**وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ**﴾: كما جاء بكم إلى الدنيا ﴿**كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**﴾: كما خلقك من نطفة يخلق غيرك، هذا ليس عليه بصعب. كما جاء بكم إلى هذه الدنيا، لكن الله تعالى حليم رحيم صاحب حنان، رحمته وحنانه تجعله يطاولك لعلك ترجع.

134- ﴿**إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ**﴾: من جنَّة ونار، من بلاء وشدائد، لا بدَّ من نزول ذلك. ﴿**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾: إذا جاء ملك الموت هل تستطيع أن تفرّ منه! من يخلِّصك منه!

135- ﴿**قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ**﴾: ما تحبُّون. اعملوا ما شئتم، أنا بلغتكم و ﴿**إِنِّي عَامِلٌ**﴾: في طريق الحق. ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾: في الدنيا والآخرة ﴿**مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾: الظالم لا خير له. الظالم مهما طال الأمر لا بد له من عثرة.

136- ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ**﴾: الزرع. ﴿**وَالْأَنْعَامِ**﴾: الغنم. ﴿**نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾: وهكذا كما يفعلون الآن: ينذر لله ويطعمه لأقاربه فيحرم الفقراء. يقيم وليمه عن روح الميت يطعمها للأغنياء ويدعو الأهل للطعام ويحرم الفقراء. البعيد عن الله هذا فعله. والوليمة بالفرح لا يصل شيءٌ منها للفقير، كما أن كثيرين الآن يذبحون ذبيحة عند قبور بعض الصالحين ويأكل هو وأهله فما استفاد أحد منها.

137- ﴿**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ**﴾: البنت يقتلونها كي لا تزني، لو كانوا عقلاء لعلَّموها وحَفِظُوها، يرون زنى البنت عاراً، مع أن الصبي فعله نفس الأمر أيضاً. كانوا يقتلون بناتهم خوفاً من العار. أما الآن يضع أحدهم ابنته في مدرسة حتى إذا ما نالت شهادة عالية وهي من أسرة مغمورة فلا يتزوجها أحد. أو إن تزوجت فلا تعيش مع زوجها. وقد يرسل ابنه لبلاد الكفر. ﴿**لِيُرْدُوهُمْ**﴾: ليهلكوهم، مع أن الابن غنيمة، بقتله يخسر أيَّما خسارة. ﴿**وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ**﴾: لكن لإخراج ما فيهم. ﴿**فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾: فكل امرئ ينال حقه وما يناسبه.

138- ﴿**وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ**﴾: يقولون من شاء الله أطعمه إيَّاها. ﴿**بِزَعْمِهِمْ**﴾: يحلِّل ويُحرِّم من عنده. غنمة أو مزروعات تركوها لله لا يذبحها وزروع لا يقطعها. تُسيَّب الغنمة فيأكلها وحش، شجرة يقطفها الغني فلم يستفد منها. الغنمة أطْعِمْها للفقير، الزرع أعْطِه لأصحابه، لأهله. إن أعطيت الفقير تولَّدت بنفسك ثقة بفعل المعروف فتقرَّبت إلى الله، أما الفقير فيرى الفضل ويتقرب إلى الله. فمن لم يسلك طريق الحق فإنه يتقوَّل على اللَّه فيُحرِّم ويُحلِّل. ﴿**وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا**﴾: لا يركبها إكراماً لها. فما السبب بتحريمكم لهذا ومن أمر به! والحقيقة أن هذا الكلام لا أصل له. وهناك من يقول لك الحجاب ليس بمطلوب شرعاً، المرأة مسكينة أفلا يجب أن

تنال حريتها! لو آمن لعرف الحق. المرأة لها مجال وكذا الرجل له مجال آخر. ويقولون: الوجه ما هو بعورة، خلاف ما جاء عن الله، نقول قال فلان وقال فلان. أوامر الله كلها ضمن المنطق. فكِّر بكلِّ أمر حتى ترى الأوامر وقيمتها العالية "فكِّر في الحج - في الصوم - في الحجاب - في الصلاة"... فكِّر بأوامر الله كي تستفيد منها. ﴿**وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾: من أين جئتم بهذا؟ ببعدهم عن الله تكلَّموا ما تكلَّموا.

139- ﴿**وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا**﴾: يعطي للصبي ويحرم البنت. ﴿**وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ**﴾: يشتركون به. إذا كان ولدُ الغنمة حيّاً فهو للذكر فإن ولدته ميتاً فللبنت وللصبي؛ إذ كانوا يأكلون الميتة. ونحن الآن أناس يساوون بين البنت والصبي في الميراث على حسب أهوائهم. ﴿**سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ**﴾: فمن لا يسير على القوانين فإن قلبه يمتلئ خبثاً فيخرجه له. ﴿**إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾:

140- ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ**﴾: فهؤلاء خسروا ما يأتيهم من الخير من بناتهم وخسروا الجنَّة، الولد الصالح بميزان أبيه غداً. ﴿**سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾: حرم نفسه من الخير العظيم الذي سيأتيه من طريق تربية ابنته. قتلها جهلاً. كالذي يرسل ولده للدراسة في الغرب. ثم إذا قتلت البنت من أين يأتي الصبي؟ لم تميِّز الصبي! ﴿**وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ**﴾: حرَّموا على نفوسهم. وحرّموا كما مرَّ في الآية السابقة الغنمة أو الزرع. ﴿**افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا**﴾: عن الحق. ﴿**وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾: ضع الدراهم بمكان يناله مستحق.

سورة الأنعام: [141-150]

141- ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ**﴾: منحها ما تحتاجه حتى تنبت. ﴿**مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ**﴾: معروشات: مشجرة بالأشجار. وغير معروشات: غير مشجرة النباتات. فكِّر بصنع هذا الرب الكريم، سخرَّ الشمس والقمر، الكواكب، البحر، الليل، النهار، الجراثيم، الحشرات كلها لهذا الزرع. فكِّر بصنعه تعالى حتى تصل للإيمان فتصبح حرَّاً لا تابعاً ولا تبعاً لفلان وفلان. في دروس مضت بيَّن لنا تعالى قانون السير الإنساني لمعرفة الله. ذكر لنا تعالى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما نشأ في بداية أمره ماذا كان؟ نطفة. من ربَّاه من نمأَّه في بطن أمه؟ ثم لمَّا جاء لهذه الدنيا، ما هذه الأثمار التي يتغذى ويتربىَّ بها، أليس لها من مربٍّ؟ نظر للكوكب للقمر للشمس، ثم وجد أن الخالق المربي ليس بشيء بل هو خالق كل شيء. كذلك سائر الأنبياء سلكوا هذا الطريق. لكن الأنبياء فكَّروا بالبداية حيث إنَّ الدنيا لم تخالط قلوبهم. أما نحن بدخول حب الدنيا لقلوبنا وجب علينا أن نفكِّر بنهايتنا بالموت والقبر، عندها تلجأ نفس الإنسان إليه خائفة طالبة المعرفة، فيفكِّر بالآيات ويهتدي. لهذا فهذه الآية إنما تدلُّ على طريق التفكير. الأثمار كل ثمرة منها بشكل، الأرض واحدة والماء واحد فما هذا الاختلاف؟ ﴿**وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ**﴾: فمن الذي جعله بهذا! ﴿**وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**﴾: متشابهاً في الشجر وغير متشابه في الطعم والمذاق. من المنظِّم؟ من المدبِّر شؤون الكون؟ كل نوع وفيه نسبة ومقدار موزون وفوائد. فهل وُجد هذا بنفسه؟ أم أن هناك يداً تعمل؟ إذن هناك مربٍّ عظيم. وهو أيضاً مسيِّر يُنظِّم لك الأثمار الرمان والزيتون، متى نضجت انقطع عنها، فمن يقطع عنها متى نضجت؟ في كل ثمرة مقدار معيَّن. إن فكَّرت عرفت أن لك مربِّياً عظيماً. إذا نظم ورتَّب وترك الإنسان قويَّاً وضعيفاً إذن لاعتدى القوي على الضعيف إلَّا أنه لا حول ولا قوة لأي واحد إلَّا بالله. إذن فالله تعالى مربٍّ ومسيِّر بيده كل شيء، لا حول ولا قوة إلَّا به تعالى، هو معك وإمداده سارٍ بكلِّ جارحة من جوارحك. عند هذا العرف تستقيم وتترك الشهوات الخبيثة، بتركك للشهوة تتولد لك ثقة برضاء الله عنك فتقبل على الله وتحصل لك صلة بالله، بالصلة به تعالى تشتق

الكمال من لدنه فتحب سيّد الكاملين رسول الله ﷺ وتصاحبه بنفسك، وهذه هي الشفاعة. والرسول ﷺ دوماً مع الله فتدخل بمعيَّته على الله. النفس مفطورة على حب الكمال فتحب الله وتحصل على نور منه تعالى ترى به الخير خيراً والشر شراً. ﴿**كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ**﴾: واشكروا الله عليه. ﴿**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾: لأنك إن فعلت المعروف ترقى والفقير يشكر الله. ﴿**وَلَا تُسْرِفُوا**﴾: في الأكل. إذا سار الإنسان على حسب القواعد حُفِظَ من الأمراض. ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾: إذا أكثرت مرضت ولا تستطيع القيام بالواجب الإنساني. من عدم الإسراف استنتج رسول الله ﷺ أشياء كثيرة كالاعتدال في الطعام وعدم الشبع ومسح الأصابع بعد الأكل وإرخاء اللحية قدر قبضة.

142- ﴿**وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً**﴾: لمتاعك كالجمل. انظر صنعه وترتيبه، رقبته تساعده على التوازن عند النهوض، جعل له مساند في صدره تساعده على الجلوس لِتُحَمِّله بسبب علوّ جسمه. ﴿**وَفَرْشاً**﴾: تأخذ صوفها فتجعله مفروشات ولملابسك. ﴿**كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾: بالإسراف. ﴿**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾: أنت جئت للدنيا لا للأكل بل لفعل الإحسان. الذين لم يعرفوا الله تعالى شذوا فعرَّفهم الله تعالى بشذوذهم فقال:

143- ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**﴾: خلق لكم. مثال ضربه الله تعالى لإظهار ما حُرّم. ﴿**مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾: قالوا: الإناث محرومات، وما في بطون الأنعام للذكور، والميتة هم فيها شركاء. ﴿**نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ**﴾: احكموا نتيجة علم لا بأهوائكم. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: بادعائكم.

144- ﴿**وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾: يا ترى الذكر أحسن أم الأنثى. أم النوعين؟ إذن سيِّب النوعين ولا تستفد منهما بشيء. ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا**﴾: هل سمعتم من الله تعالى هذا الكلام. ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾: فكل من شذَّ فهو معلَّق بعنقه غداً سيحمل وزره. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: لا يجبر الظالم على تغيير سيره من لم يفكِّر وظل أعمى هذا لا يهتدي. إن لم يترك الدنيا ولم يفكِّر بالكون فلم يستدلَّ على لا إلّه إلا الله فلا طريق له للهدى.

145- ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً**﴾: لنجاستها إذ أن دمها يظل فيها. ﴿**أَوْ دَماً**﴾: حيث فيه المكروب وكل الجرثوم فيه. ﴿**مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ**﴾: أذى وضرر إن أكلته يحصل لك المرض. ﴿**أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾: وليمة لا يقصد منها رضاء الله، أي دعوة فيها أذى وأقيمت لغير الله، حرام أن تحضُرها، كذلك بعدم ذكر الله عند الذبح يظل دمها الفاسد فيها وكله مكروب. ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ**﴾: مضطرّاً. ﴿**وَلَا عَادٍ**﴾: ما عاد من دون حاجة. ﴿**فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ**﴾: يشفيه. ﴿**رَحِيمٌ**﴾: ويرحمه.

146- ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ**﴾: الكواسر، لأن طبيعتها أذى إن أكلت منها تلوَّثت نفسك بصفاتها. كالحدأة وغيرها من الطيور الجارحة لطباعها غير الصالحة. أما هم فأضافوا على ذلك من عندهم. ﴿**وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا**﴾: تبع الكلي؟ ﴿**إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا**﴾: السنام شحم البدن. ﴿**أَوِ الْحَوَايَا**﴾: شحم الأمعاء. ﴿**أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**﴾: الإلية، أضافوا ذلك من عندهم. ﴿**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ**﴾: حرمها اليهود بأنفسهم ولم يحرمها الله عليهم. وهم اختاروا والله أعطاهم اختيارهم. ﴿**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾: بما أوردناه بالتوراة بعدم تحريمها.

147- ﴿**فَإِنْ كَذَّبُوكَ**﴾: قالوا نحن أضفنا وحرمنا لماذا لا يعاقبنا؟! ﴿**فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ**﴾: يطاولكم الآن لعلكم تتوبون. ﴿**وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾: إن جاء الوقت لا بد من العقاب عند البلاء. عندها البلاء لا مفرَّ منه.

148- ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾: وهم كل من يسمع دلالة غير دلالة الله فهو مشرك. ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا**﴾: أي لا حيلة لنا بل بأمر الله، هل أمرك الله أن تفعل الفحشاء! يقولون: الله قدَّر علينا... هذا غير صحيح. أعطاك فكراً لتفكِّر وتؤمن وتسلك طريق الحق. ﴿**وَلَا آبَاؤُنَا**﴾: قبلنا. ﴿**وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ**﴾: هذا كله من الله. ﴿**كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: السابقون فعلوا فعلهم وكذَّبوا مثلهم والشيطان قال فبما أغويتني. وهذا ادعاء باطل فإن الله يهدي ولا يضل. ﴿**حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا**﴾: أنزلنا بهم البلاء، عندها عرفوا الحق. ﴿**قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا**﴾: ما دليلكم؟ نحن بيَّنا لكم الطريق أنتم ما سرتم به. هل نحن قدَّرنا هذا الفسق والضلال؟ ﴿**إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ**﴾: قول لا مستند له ومن دون علم. ﴿**وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾: غداً بين يدي الله كذلك لمَّا تقام عليه الحجَّة يسكت فلا يتكلم بشيء. الله تعالى أرشد الإنسان لطريق السعادة وحذَّر من الشقاوة فإن أصرَّ على الشقاوة ساقه لإخراج ما فيه.

149- ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾: أرشد وبيَّن، لم يترك لك سبباً من أسباب الهداية إلا وبيَّنه. أعطاك الفكر وملكاً دوماً يلهمك. وأرسل رسولاً يذكِّرك. ما سبب إعراضك؟ ﴿**فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾: أهكذا تقولون! أما بيَّن وأرشد! لماذا لم يهده الله؟ لأن قلبه مترع مليء بالشهوات الخبيثة، لذا لا يناسبه الهدى، فلا يهديه حتى يخرج له ما في نفسه من أوساخ عندها إن رجع إلى الله تاب عليه. فوضع الطعام الطيب لا يكون بإناء وسخ إلا بعد تنظيفه، فلو شاء الله لهداهم ولكن هذا لا يصلح لمن ملأت الشهوات قلبه، فلا بد من إخراجها بالمعالجة، كما لا ينفع المريض عدم إدخاله المستشفى بل الخير كل الخير في إدخاله لها ومداواته.

150- ﴿**قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ**﴾: لا تجلس معهم بعد هذا حيث لا جدوى منهم تُرتجى. لا فائدة ترجى منهم، ما داموا مصرِّين اهجرهم. ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾: ولكن الذي لا يؤمن بالآخرة والسؤال فيها: يعادل كلام الناس بكلام الله.

سورة الأنعام: [151-160]

151- ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾: على البشرية كلها من عهد آدم عليه السلام فما أعظمها بالنسبة إليه عليه السلام. ﴿**أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾: المؤمن لا يسمع غير كلام الله. غير كلام الله لا يُسمع. مهما علا، الإنسان ومهما ارتقى لا يمكن إلا أن يكون في دلالته خطأ، أما دلالة الله فكلها كمال. إذن اسمع كلام من يبلِّغك عن الله. ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾: عاملهما بالإحسان "الطاعة لله وحده". ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ**﴾: كمن يرسلهم لبلاد الكفر ليتعلَّموا. والآن يضع البنت في المدارس لتؤمِّن معاشها. ﴿**نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾: لو آمن لعلم أن الرزق على الله. ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ**﴾: الشيء المخفي. ﴿**مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾: لا ظاهراً ولا باطناً. إن وقع بنفسك شيء بالحال استعذ بالله ولا تتابعه بنفسك. ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾: الحيّة لا يجوز أن تعتدي عليها، صيد السباع كذلك لا يجوز إلا إذا اعتدى فهجم عليك. ﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ**﴾: هذا الذي وصَّاكم به. ﴿**لَعَلَّكُمْ**﴾: إن فكَّرت قليلاً. ﴿**تَعْقِلُونَ**﴾: شيئاً من رحمته، شيئاً من أوامر الله فتعلم أنه لا يأمرك بالباطل، وترى أن دلالته تعالى وبيانه كله ليجمعك على حياة طيِّبة.

152- ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾: الأيتام لا تقرب مالهم إلا بالتي هي أحسن له، أدِرْ له ماله بمصلحته. ﴿**حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**﴾: المال الحرام لا بد أن يذهب. ﴿**بِالْقِسْطِ**﴾: بالحق تماماً. ﴿**لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا**﴾: لم يكلِّفك فوق طاقتك. ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا**﴾: بالعهد الذي قطعه الإنسان على نفسه من الأزل باتباع طريق الحق وعدم الانقطاع عن الله تعالى، عاهدت ربك أن تكون إنساناً، عاهدت الله ألَّا تنقطع عنه، أن تبقى صلتك دائماً به. عاهدت ألَّا تغمض عينك عنه تعالى: **{حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى...}**[13] بين الصلاتين لا تنقطع عنه. ﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾: ما فيه من الخير، لِمَ أمرك بهذه الأوامر؟ أليست لسعادتك دنيا وآخرة؟ ﴿**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾: مراد الله العالي من تبيان هذا الطريق، طريق السعادة.

153- ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً**﴾: لسعادة الدنيا والآخرة. ﴿**فَاتَّبِعُوهُ**﴾: بالتفكير بالبداية والنهاية. ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾: لا تكونوا أحزاباً. ﴿**فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: إن تذكَّرت وفكَّرت فأطعت الله واتَّبعت أوامره تحصل لك التقوى.

154- ﴿**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾: بعد الأوامر المنزَّلة على آدم عليه السلام. ﴿**تَمَاماً**﴾: لفضلنا. هذا الفضل لا يفيد إلَّا الذي أحسن. ﴿**عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ**﴾: متى فكَّر المرء بالبداية والنهاية صار الكتاب تماماً عليه، إذ ينطبع القرآن في نفسه فيرى الكتاب مطابقاً لما فيها عندها يؤوّل تأويل حق ومنطق. ﴿**وَتَفْصِيلاً**﴾: كل ما تتطلبَّه يريك الله إياه، **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}**[14] ﴿**لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾: في عصرهم. ﴿**وَهُدىً**﴾: بيَّن لك طريق البداية والتفكير بالمربيِّ. ﴿**وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ**﴾: إذا اهتدوا. ﴿**بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**﴾: يرى إن طبَّق ذلك أن الله قريب منه، أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه. فطريق اليقين والشهود مع أهل الله.

155- ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ**﴾: عليك. ﴿**مُبَارَكٌ**﴾: كثير الخيرات. ﴿**فَاتَّبِعُوهُ**﴾: الآن. ﴿**وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾: لترجعوا إلى الله بترككم الدنيا فيصب عليكم الصحة والمال والراحة والجاه.

156- ﴿**أَنْ تَقُولُوا**﴾: أيها العرب. ﴿**إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا**﴾: على اليهود والنصارى، ونحن ما عرفنا شيئاً. هل تستطيعون أن تقولوا ذلك؟ ﴿**وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ**﴾: الإنجيل، التوراة أُنزلت على من قبلنا ونحن لا علم لنا "نحن ما عرفنا شيئاً": أنا أنزلت إليكم القرآن.

157- ﴿**أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ**﴾: الآن. ﴿**بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: بيان ظاهر، كل شيء وحكمته وسببه. وهذه البيّنة: البيان لطريق السير، إن فكَّرت بالموت وصلت للمربي آمنت بلا إلٰه إلا الله حقاً. ﴿**وَهُدىً**﴾: بيَّن لك طريق الهداية. ﴿**وَرَحْمَةٌ**﴾: إذا اهتدوا. ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ**﴾: لنفسه. ﴿**مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا**﴾: لم يلتفت إليها. ستر نفسه عنها. ﴿**سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا**﴾: من لا يفكِّر بآيات الله ويصدّ نفسه عنها. ﴿**سُوءَ الْعَذَابِ**﴾: غداً. ﴿**بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ**﴾: بالشهوات التي حالت بينهم وبين الإيمان بالآيات.

---

[13] سورة البقرة – الآية:238.

[14] سورة الأنعام – الآية:38.

158- ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾: ملائكة الموت لقبض الروح. هل أخذت براءة بعمرك؟ فكِّر متى ستموت بعد يوم، ساعة، أكثر؟ هل تفكِّر بهذه الساعة! مهما طالت الحياة بك لا بد لك من الموت. "**أحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مُلَاقيه، وعش ما شئت فإنك ميت**"[15].

﴿**أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ**﴾: بمرض شديد من الأمراض أو ببلاء عليك أو أي عذاب... ما تفيدك هذه الدنيا! ﴿**أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**﴾: هلاك عام، طوفان... ماذا تنتظر من الحياة؟ ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**﴾: بلاء عام، هلاك الساعة وهي شيء عام للجميع أو طوفان ماذا تنتظر من الحياة؟! ﴿**لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**﴾: لا ينفع لأن الإيمان لا بد له من عمل. فالإيمان ساعة الهلاك لا يفيد حيث إنَّ الإيمان بلا عمل لا يفيد شيئاً. ﴿**أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً**﴾: إن آمن المرء ولم يقرن إيمانه بعمل فهذا لن يفيد وهذا ليس بإيمان. علامة الإيمان الصحيح فعل المعروف والإحسان. إن لم يقارن إيمانك فعل الخير فهو ليس بإيمان؛ إذ أن المؤمن جاء للدنيا لفعل المعروف كي يرقى بعمله غداً. إذن فالإيمان بلا عمل لا فائدة منه. إيمان بلا عمل كسحاب بلا مطر. الإيمان لفعل المعروف والإحسان. ثمرة الإيمان فعل المعروف والخير. ﴿**قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾: سنرى النتائج لمن.

159- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ**﴾: اتبعوا أوامر وتركوا بعضها. ﴿**وَكَانُوا شِيَعاً**﴾: تفرقوا وهم اليهود والنصارى. كان ﷺ دائماً يتألَّم على خلق الله لما في قلبه من حنان على الخلق، فخاطبه الله تعالى. ﴿**لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾: لا يُمتُّون بصلة إليك، لست مسؤولاً عنهم، أنت بلِّغ. ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ**﴾: ما لهم خواص مهما جادلتهم. كفرهم معقَّد في نفوسهم. ﴿**ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾: هو عليم بما يناسبهم ومداواتهم.

160- ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾: فانظر رحمة الله إلى سبعمائة مثل. ﴿**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾: وهذه هي الرحمة والعدالة.

سورة الأنعام: [161-165]

161- ﴿**قُلْ إِنَّنِي**﴾: لمَّا آمنت به ﴿**هَدَانِي رَبِّي**﴾: كل الرسل ساروا جميعهم بدلالة واحدة. التفكير بالبداية والنهاية. فكَّرتُ بأصلي، بتربيتي، بتربية الكون، عرفت ربي. ﴿**إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً**﴾: لا اعوجاج فيه، دوماً مستنير لا أزيح عنه. ﴿**مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً**﴾: مائلاً بالحنان والحب لله تعالى. هكذا كان إبراهيم عليه السلام، كان ميله بحب وحنان إلى الله. كذلك كل من دخل على الله بصحبة رسول الله ﷺ يحصل له حب وحنين إلى الله لما يراه من الكمال الإلّهي. ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: كان لا يتبع غير كلام الله.

162- ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: وهبت كل شيء حتى حياتي كلها فهي لله والدعوة الخالصة إليه، صلاتي، أعمالي، حياتي، مماتي، كلها خالصه لله. بيِّن لهم ذلك: أنا لم أجعلك رسولي جزافاً. باستحقاقك.

163- ﴿**لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ**﴾: بهذا أمرني ربي أن أعرِّفكم بنفسي. ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾: في الأزل "ألست بربكم". كان ﷺ أول سابق قال بلى يا رب. ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾: أول من أطاع رسول الله.

---

[15] الحديث: (عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل بثلاث كلمات قـال يا محمد: أحبب ما شئت...). مجمع الزوائد للهيثمي ـ الجزء الثالث ص /252/، وأخرجه الحكم.

164- ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً**﴾: أأسمع كلاماً غير كلامه! ﴿**وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا**﴾: كل امرئ وعمله له، اعمل ما شئت. ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾: كل واحد حمله على كتفه وكلٌّ يحمل حمله. ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ**﴾: أيها الخلق. ﴿**مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾: غداً.

165- ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ**﴾: بعضكم يخلف بعضاً. ﴿**الْأَرْضِ**﴾: من بعد السابقين. فكِّر بمن سبق، فكِّر بدارك من سكنها قبلك! أنت مارٌّ بطريق فتِّح عينك، لا تسر بضلال. ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾: في هذه الحياة فقير وغني، عالم وجاهل، لينفق كلٌّ مما لديه. كذلك لمَّا خلق الله الأنفس بيَّن لها الطريق: إن جئتم للدنيا سلكتم الحق ما انقطعتم عني واستنرتم بنوري ربحتم ربحاً عظيماً. إن لم تفعلوا خسرتم. الإنس والجن قالوا نحن لها. لمَّا ألقى "دبَّ" تعالى الشهوة فيهم: أناس صدقوا، أُناس في قلبهم شهوة خبيثة.

نظر تعالى إلى الخلق عندئذٍ ساعتها. الذي صدق كسب الكمال سيخرج للدنيا ويظهر بكماله هذا نجح. الثاني الذي لم ينجح في نفسه شهوات خبيثة يخرجها له ثمَّ يضيِّق عليه لعله يتوب، يرجع ويثوب لرشده... كمدرسة أناس نجحوا في الدورة الأولى نجاحاً نهائياً، أناس لم ينجحوا، لذا فهذه الدنيا له بمثابة دورة ثانية ليتلافى أمره. وهذا تفيده كلمة: {**إِنَّ ربَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحيمٌ**}.

﴿**لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ**﴾: الدنيا امتحان لتظهر أهليتك. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ**﴾: دوماً معك، بعد العمل يعاقبه بما يلزمه ليشفيك ويطهّرك. ﴿**وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: من رحمته عليك يسوق لك ما يسوق. فخلاصة السورة في هذه الآية: العمل.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأعراف: [01-10]

1- ﴿**الٓمٓصٓ**﴾: يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ. {أ}: يا أحمد الخلق. {لٓ}: يا لطيفاً. وهذه هي الشفاعة. كل من ارتبط به عرج عليه السلام به بلطف إلى الله. {مٓ}: يا محموداً عندي وعند خلقي. {**صٓ**}: كل ذلك نلته بصدقك أي بصدقك في الإقبال الدائم علينا صرت عندي أحمد وصرت لطيفاً ومحموداً. المسألة عند الله بالاستحقاق. كل من صدق نال. وكل إنسان له باب للصدق، إن فكَّر الإنسان ببدايته فرأى نفسه لا شيء، نظر في تربيته رأى عظمة ربّه، نظر في نهايته فعرف أنه راحل، عندها يصدق بطلب الحق، إن صدق بطلب الحق أعطاه الله. الله تعالى قادر على خلق البشر بغير هذا الأسلوب، كُن كان، لكنه تعالى جعل هذا الأسلوب ليستطيع الإنسان أن يصدق ومع هذا فأكثر الناس لا يفكِّرون. فإن صام الإنسان وصلَّى وحج دون صدق فلن يستفيد شيئاً. الصدق أساس.

2- ﴿**الٓمٓصٓ، كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾: من أنت؟ قالوا الله أعلم بمراده. الحقيقة أن معاني القرآن في كتاب مكنون، لا يمسُّه إلَّا المطهَّرون. فالمراد بـ {**أُنْزِلَ إِلَيْكَ**} هو المخاطب بـ {**الٓمٓصٓ**}. إذن. أ: أحمد الخلق. ل: كل من صاحبت نفسه نفسك عرجت به بخفّة ولطف وبلا شعور. م: عندها صرت محموداً عندي وعند أهل الإيمان، ص: كل هذا نلته بصدقك يا صادق. المدار على الصدق بصدقك أصبحت محموداً لطيفاً أحمد الخلق، صرت شفيع العالمين. الشفاعة هنا، فكل من قارنت نفسه نفس رسول الله صار عليه الصلاة والسلام سراجاً منيراً لنفسه وحاز التقوى، فقالوا عن كلمة {**الٓمٓصٓ**}: الله أعلم بمراده. "فكتاب أنزل إليك" تبيّن بجلاء ووضوح ومن كاف الخطاب المخاطب المنزَّل عليه القرآن وهو رسول الله ﷺ وهذا بديهي يقطع الجدل وواضح وضوح الشمس في رابعة النهار الصافي. عندما صدقت هذا الصدق غدوت أهلاً لأن ينزَّل عليك هذا الكتاب. والحقيقة: أن المؤمن إذا عرف معناها صارت لنفسه صلة برسول الله ﷺ وقدرَّه تقديراً: فهو أحمد الخلق ﷺ وسيِّد العالمين.

﴿**كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾: ليسير الخلق في طريق الحق. ﴿**فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ**﴾: مانع. كانوا مخالفين للحق وكان ﷺ يستعظم حال قومه يرى ضلالهم وفسقهم فيستصعب تبليغهم ذلك فأمره ربُّه أن يصدع بما يؤمر ولا يبالي بهم بل يُبلّغ. ﴿**لِتُنْذِرَ بِهِ**﴾: الشاذّين المعرضين. ﴿**وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: لما طبع في نفوسهم المؤمن بإقباله على الله ينطبع الحق بنفسه إن أقبلت انطبع الحق بنفسك فرأيت أن كل ما في القرآن كله حق وتُصدِّق رسول الله ويكون هذا البيان ذكرى لك. أما المُعْرِض فهو له إنذار.

3- ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: من مربّيكم، فكِّر ببدايتك، بنهايتك. ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾: أدلاء في السير، لا تسر على غير دلالته، ولا تتبَّع أي دلالة كانت. ﴿**قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**﴾: ألا تفكِّر قليلاً بهذا الكون، وتسمع كلام الخالق العظيم! ﴿**قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**﴾: ما حلّ بغير المتبع، من سبق ماذا حلَّ بهم، أين هم؟

4- ﴿**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا**﴾: فكِّر بمن سبق، كيف أنهم عندما شذُّوا هلكوا الهلاك الذي لا يُمكن النجاة منه وليس الهلاك مقصوراً على المجموع بل كل فرد يلقى جزاء عمله. ﴿**فَجَاءَهَا بَأْسُنَا**﴾: الألم ﴿**بَيَاتاً**﴾: ليلاً وهم نائمون. ﴿**أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**﴾: وقت الظهيرة أو وقت القيلولة صباحاً.

5- ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾: قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾: عند الموت. ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: لأنفسنا بعدم إتباعنا، عند الهلاك رجعوا، لكن ماذا تفيد الإنسان رجعته عند الهلاك؟! أرسلك لتعمل العمل الطيب وعند البلاء لا يبقى لك عمل. الله أعطاك أهلية عالية وضيَّعت. فكِّر بهذا الكون وما فيه من آيات عظيمة، لِمَ هذه الدقة وهذا الترتيب؟ كله لأجلك لكي تفكِّر.

6- ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾: يوم القيامة عن التبليغ. ﴿الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾: الأقوام أما بلَّغناهم. ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾: الرسل ماذا قلتم لهم.

7- ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ ننبئهم بما عملوا ﴿بِعِلْمٍ﴾: نعلم كل شيء الله تعالى قريب منك دوماً معك. ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾: عن عملهم، الإنسان لا يستطيع أن ينكر. فالله تعالى معك عليم بكل حركة.

8- ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾: الحساب بالحق لا ظلم اليوم. فلا شفاعة ولا وساطة، كل إنسان وعمله.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: من عمل معروف وإحسان وخير، جاء الإنسان إلى الدنيا لفعل المعروف. والله المتكفِّل برزقك. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: عملهم بالخير عاد عليهم، لِمَ أرسلنا إلى الدنيا! لِمَ أخرجنا إليها! لفعل الخير. فمن يفعل المعروف هذا هو السعيد دنيا وآخرة.

9- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: خفَّ وزن عمله وثقله أو من لا عمل له. ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: خسر ما أعدَّ له من الخير. وما أعد لها من النعيم ﴿بِمَا كَانُوا بِآَيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: ظلموا أنفسهم بعدم التفكير بها فلم يروا ما فيها. خلقك لينعم عليك. **"كنتُ كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعْرف فخلقت الخلق فعرَّفتهم بي فبي عرفوني"**[1]: خلقك لتتعرَّف بهذا الكنز العظيم. كل ما في الكون يدلُّك على الله. الشمس، القمر، الأرض، فكِّر يا إنسان بمستقبلك، لا تظلم نفسك وتضيِّع هذا العمر الثمين، فمن لا يفكِّر الآن فهو غداً في شقاء.

10- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: تركنا لكم حرية الاختيار، أطلقنا لكم الاختيار. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾: أسباب الحياة: هواء، ماء، طعام، فواكه، أثمار. من الذي خلق لك هذه الأثمار! من الذي رتَّب هذه الحياة! ﴿قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾: ألا تشكرون الله ولو قليلاً هذا الرب الذي خلق الكون كله لأجلك. مخلوقات لا يعلم بها إلَّا الله، كلها من أجلك. من أجل حياتك. ألا تفكِّر من نظَّم لك هذا وخلقه وأوجده! تشرب الماء أفلا تفكِّر في فضل هذا المربيِّ الذي سقاك! لقد أمرك رسول الله ﷺ أن تقول عند الشرب بسم الله الرحمن الرحيم وكذلك عند الطعام، لتفكِّر وتتعرَّف وتشكر على هذا الفضل العظيم.

سورة الأعراف: [11-20]

11- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾: في الأزل أنفساً وأخرجناكم من عالم النفوس إلى عالم الأجساد. ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾: وضعناكم في صلب "ظهر" آدم عليه السلام وصورناكم ذكر وأنثى لكلٍّ صورة. الله تعالى نظر في الأزل لكلِّ نفس وما يناسبها أنثى أو ذكر. ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾: الملَك هو المملوك لله سبحانه وتعالى. ﴿اسْجُدُوا لِآَدَمَ﴾: أقبلوا عليّ من بابه، كنت مع آدم عليه السلام وسجدت الملائكة كلها له. كم لك من شأن عند الله وأنت تضيِّع! ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: أبلس عليه الأمر فما سجد: لم يعرف الحقائق. لم يملك نفسه فأبلس عليه الأمر ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾: مع الملائكة.

1

12- ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾: تكبر، أبلس ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾: النار أطهر من الطين. رأى نفسه من نار، أما الطين فلا يطهّر إلّا بعد مدة من الزمن. المتكبّر لا يدخل مداخل الإيمان. تقبيل يد المرشد معناها إظهار الاعتراف بالفضل والخضوع لذلك المقام. سحرة فرعون بتقديرهم لموسى عليه السلام آمنوا. أما بنو إسرائيل وحيث أنهم لم يعظِّموا موسى عليه السلام لذا لم يحصلوا على الإيمان رغم كل ما مرَّت بهم من معجزات. الكبر علامة الشيطان.

13- ﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا**﴾: من هذه المرتبة التي فيها سعادتك. لو دخلت مع آدم عليه السلام لكان لك مقام عالٍ، فاخرج من طريق السعادة. ﴿**فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا**﴾: أي في هذه المرتبة، بالكبر تباعد عن الله فامتلأت نفسه بالخبث. الكبر صفة كل من لا يفكِّر بآيات الله. يجب عليك أن تفكِّر إلى أن ترى عظمة ربك وأنه تعالى جَدُّ عظيم وكبير وقدير. إبليس لم يفكِّر فلم يستعظم. ﴿**فَاخْرُجْ**﴾: الخروج لذلك الخبث الدفين في نفس إبليس والمتسبب عن الكبر، اخرج من هذا الخبث الذي في نفسك وبُعد أعمالك. أبا فخرج من دائرة الإقبال على الله ﴿**إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾: المنحطين صغيرٌ منحطٌّ.

14- ﴿**قَالَ أَنْظِرْنِي**﴾: أمهلني ﴿**إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾: كل من طلب أُعطي. وحيث أن في نفسه خبثاً أجابه.

15- ﴿**قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ**﴾: لو لم تسألني فأنت منهم، شهوتك لا بد أن أعطيك إيَّاها كي يخرج ما في نفسك من خبث. شهوة إبليس هي إضلال ذرية آدم كلهم ولن تخرج هذه الشهوة إلا بترك إبليس حيّاً حتى آخر ولد آدم فأنظره الله تعالى لإخراج هذه الشهوة.

16- ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾: وهكذا يكون المعرض؛ ينسب غوايته إلى الله، نسب الظلم لله وهذه صفة كل بعيد؛ إذ ينسب ذلك لله. الله تعالى لا يريد الفحش ولا الأذى ولا التعدّي. أراك تعالى طريقَيْ الحق والضلال وحذَّرك من السير بالضلال، أرسل لك الرسل والقوانين والملائكة يذكِّرونك. فالأمور بالاجتهاد. كل من اجتهد ارتفع وكل من صدق نال. الكذاب لا يُعطى. وقد أمرك تعالى بفعل المعروف. الخلق في الأصل كلهم متماثلون وكل من يسير بموجب القوانين الإلّهية يسمو. ﴿**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾: لأقفنّ لهم في طريق الحق فلا أمكِّن أحداً من السير عليه.

17- ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ**﴾: وهو في عمله. ﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾: أزيِّن له أن يعمل في المستقبل. أَتْبَعُهمْ أينما حلّوا ﴿**وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ**﴾: من طريق الحق من طريق الخير لهم في صلاته وفي عمله الخير. طريق العمل العالي ليُدخِله بالعُجب. يمدح المحسن ليقع في العجب أي إذا عمل خيراً زين له عمله حتى يُعجب بنفسه. ﴿**وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ**﴾: عن طريق الرذيلة والأذى إذا صدرت منه هفوة يُقنِّطه يلقي القنوط في نفس المسيء ليبتعد عن التوبة فإذا ارتكب عملاً غير صالح هوّله في عين فاعله حتى يبعده عن الله. ﴿**وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾: ولا تشكر إن لم تَرَ النِّعم، إن عرفت الله تعالى شكرته في النعمة، وعلى المرض والبلاء.

18- ﴿**قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا**﴾: من أعمالك هذه. من شهوتك، من هذه النيَّة الخبيثة. ﴿**مَذْءُوماً**﴾: عند الخلق مذموماً من الناس ومذموماً عند نفسك. ﴿**مَدْحُوراً**﴾: مبعداً مدفوعاً إلى النار. ﴿**لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ**﴾: وهم كل متكبر بعيد عن الله. ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ**﴾: بالذل والحقارة. ﴿**مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾: أنت ومن تبعك.

19- ﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ**﴾: استقر واخلد ﴿**أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾: في الحياة النفسية الطيبة. المراد بالجنة: هو كل ما تنظر إليه فيحصل لك فيه نعيم نفسي خفي عن سواك فهو جنة، تنظر إلى الشجر فيحصل لك نعيم وجنة. الجنة: بإقبالك على الله يحصل لك نعيم عالٍ لا يراه أحد. وهنا أي يا آدم كن دوماً ناظراً لي. فالجنة بمشاهدة وجه الله الكريم، ولا عجب، إذ هو تعالى خالق الجمال. ﴿**فَكُلَا مِنْ حَيْثُ**

﴿شِئْتُمَا﴾: مما في هذه الأرض من هذه الدنيا. **﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾:** المادّة. لا تأكلا أكلاً عادياً، كُلا من الطعم ولا تقربا ما يدخل الجوف من تفل ونحوه. نفس آدم عليه السلام كانت لابسة جسده بعكس الحال الآن، فتظلم نفسك بالعمل والسعي والشغل من أجل الطعام واللباس. **﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾:** لنفسيكما حيث أن الجسد يتطلَّب حوائج من طعام وشراب، ومما يتعرض لتعب ومرض وسواه. وكان آدم عليه السلام يتذوَّق ذوقاً بدون أن تدخل المادة وتبقى لها بقايا.

20- **﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾:** حدثهما بما فيه التعب. ولعلك تقول كيف وسوس الشيطان لآدم عليه السلام والأنبياء معصومين؟ فأقول إذا كان أحدنا اليوم يجتمع بكافر ويتحدث إليه فليس معنى ذلك أنه سيطر على نفسه أو تسلط عليها وكذلك الأمر بالنسبة لسيدنا آدم عليه السلام فلما كانت نفسه محيطة بجسده كانت مقابلة الشيطان له مقابلة نفس لنفس وكان الخطاب بينهما نفسياً وليس في ذلك أدنى سيطرة أو تسلط على سيدنا آدم عليه السلام **﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾:** ما خفي من حالهما الجسدي الذي يحتاج إلى تعب من العمل الدنيوي **﴿مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾:** ليظهر هذا الجسد ولم يكن لآدم وحواء عليهما السلام حاجة من قبل لطعام وشراب ولباس وظل. كانت نفسه في حال محيطة بجسده لابسةً إياه، يذوق الثمار ذوقاً وتفكُّهاً فلا يجوع ولا يعطش بل لا يجد حرّاً. لكن الشيطان أراد أن يُظهر لهما حالهما الجسدي.

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا﴾: الله لم ينهكما، فما هذا القول الذي تقولانه! من أين جئت يا آدم بهذا القول! كأن يقول المرء لغلامه لم ينهك الطبيب عن أكل اللحم إلا حين كنت مريضاً فأما اليوم فلك أن تأكل. **﴿عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ﴾:** عن تذوُّقها أكلاً بالفم. **﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾:** مملّكين نفسكما إلى الله! **﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾:** في النعيم. هل نهاكما الله عن هذا! هذا لا أصل له. هل تظنَّان أن الله نهاكما عن أن تصلا للسعادة! ألا يريد لكما الخلود وأن تكونا مالكيْن للإقبال! وحيث أن آدم عليه السلام كان في حال نفسي والحكم آنئذ للنفس فكان ذا عقل فقط ولم يكن للجسد بعد دورهُ، فالفكر إذ ذاك معطَّل لا عمل له لذا سرعان ما نسي ﷺ الأمر الإلٓهي. أي: لما كان حال آدم وحواء عليهما السلام عقلاً محضاً نسيا أمر الله، والآن ونحن في الحال الجسدي إن نظر الإنسان ولم يعقل الشيء فسينساه بسرعة.

سورة الأعراف: [21-30]

21- **﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾:** أقسم، حلف لهما بالله وهذا أمر عظيم لا عهد لهما به، ولتعظيم آدم عليه السلام لربه استعظم، إذ لا يُقدِّر العظيم مثل العظيم. **﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾:** حلف كذباً أنه إذا أكلتما سيحصل لكما نعيم دائمي مع خلود في الإقبال على الله فأكلا حبّاً بالله وللبقاء في هذا الحال. فقصة آدم عليه السلام مثال لحب آدم عليه السلام لله العظيم لربّه الذي أنساه وصية الله.

22- **﴿فَدَلَّاهُمَا﴾:** دلهما وأدناهما منها. ميَّلهما إليها. **﴿بِغُرُورٍ﴾:** بشيء باطل لا أصل له **﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾:** لمَّا وضعا المادة بفمهما لحقت نفساهما الطعم والذوق. وكانت النفس محيطة بالجسد فدخلت للصدر وظل الجسد خارجاً. **﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾:** عوراتهما، ظهر حالهما الجسدي الذي يتطلب السعي والجهد حيث صارت نفساهما داخل الجسد **﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾:** يستران نفسيهما. يلصقان ستراً لجسمهما **﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾:** بورق الجنة من مزروعات الأرض ستراً لجسمهما. **﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾:**

السبب في وقوع آدم عليه السلام أنه لم يكن له إذ ذاك فكر، بل كان له عقل فقط فلذلك نسي. {**وَلَقَدْ عَهِدنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ...**}[2].

23- ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**﴾: بسماع كلامه أذنبنا. اعترفا ﴿**وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا**﴾: تُذهب عنا ما أصبح في نفسنا من الحزن ﴿**وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: لما أعددته لنا.

24- ﴿**قَالَ اهْبِطُوا**﴾: من حال النفس لحال الجسد: من هذا الحال الذوقي للأكل والشرب والعمل. كلٌّ مما كان فيه. ﴿**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾: الشيطان دوماً يعادي الإنسان وبالعكس وكذا الكافر يعادي المؤمن. ﴿**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ**﴾: مدة استقرار ﴿**وَمَتَاعٌ**﴾: تمتع ﴿**إِلَى حِينٍ**﴾: حين الموت، ليوم معلوم، كل واحد له وقت ويوم.

25- ﴿**قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ**﴾: الحياة في الأرض، جسدك يتغذى منها من ثمرها، من الأرض. وفيها عمل المعروف وحياة الأنفس. ﴿**وَفِيهَا تَمُوتُونَ**﴾: تنقطع الحياة، تعودون للأرض، وبعمل الشر تموت نفسك. أي في الأرض حياة النفس وحياة الجسد كذلك موت النفس وموت الجسد وذلك بالعمل الصالح والطعام ﴿**وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ**﴾: عند خلوص الأجل ويوم القيامة، ﴿**وَمِنْهَا**﴾: لا بد من فراق الدنيا.

26- ﴿**يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً**﴾: وهو الصلة بالله، تجلِّي بواسطة الأنبياء عليهم السلام والدخول معهم يحصل لكم تجلٍّ من الله تعالى، وذلك بسيركم بقوانين وأنظمة وأوامر تستركم من كل عيب فلا يبقى فيك عيب. ﴿**يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ**﴾: يخفي عنكم ما يسوؤكم، يغطِّيها فدوماً أنت في سرور ونعيم. ﴿**وَرِيشاً**﴾: تعلون به، تتطيرون إلى الله. إذ تعرج بعملك الطيب إلى الله. كل الأوامر الإلٓهية تحثُّك على فعل الخير والمعروف والإحسان. إن آمنت بلا إلٓه إلا الله ففعلت الخير عرجت إلى الله تعالى، بالعروج تشتق الكمال، والصلاة معراج المؤمن.

﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى**﴾: واللباس المذكور هو لباس التقوى، عند عروجك تصل للتقوى، تستنير بنور الله، بصلاتك يا مؤمن تشتق الكمال فترى أهل الكمال وبمعيَّتهم تدخل على الله وتحصل على التقوى، إن حصلت لك التقوى "التجلي الإلٓهي" ترى طريق السعادة فتسير فيه. على الإنسان أن يبحث عن التقوى. أول خطوة: الصدق، من دونه لن تحصل على شيء، ولا يتم الصدق إلَّا بخروج محبة الدنيا من القلب. وخروجها لا يكون إلَّا بالإيقان بالموت كما علَّمنا رسول الله ﷺ. نجلس صباحاً بين السنة والفرض، إذا فكَّرت عندئذٍ بالموت وبسؤال الملكين عندها تخرج الدنيا من قلبك فتجتمع النفس مع الفكر وتفكِّر التفكير الصحيح فتستدل. إن نظرت بكأس الماء عرفت المربي المسيِّر فتستقيم وتطيب نفسك فتعلم أن الله عنها راضٍ وتدخل على الله فتصلي وينطبع الحق بنفسك ويغدو هذا البيان ذكرى لك. عندها تحب بما اكتسبت من كمال رسول الله ﷺ وتدخل بمعيّته على الله فترى كمال الله وتحبه وتعشقه وتنظر بنوره الحقائق فتكون من أهل التقوى. ترى السمكة سمكة والحيَّة حيّة. ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ من الحال الأول الذي كان فيه آدم عليه السلام قبل الهبوط فالحال الذي صرتم إليه الآن خير من الحال الأول لأنه سبب لفعل المعروف.

قال تعالى: {**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**}[3]، هذا الهبوط لا بدَّ منه لأن أي شخص كائناً من كان لو كان بموضع آدم عليه السلام لا بل أيَّ رسول لا بد وأن يأكل من الشجرة. إذ أن هذا هو طريق المجيء إلى الدنيا، وفي الدنيا عمل المعروف والإحسان إذ فيها تعمل العديد من الأعمال الصالحة وغداً تدور أمام ناظريك في الآخرة وأنت بها ترقى من حال لحال ومن جنة لجنة أعلى. ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾:

---

[2] سورة طه – الآية:115.

[3] سورة البقرة – الآية:30.

إن سلكت طريق الحق فصرت مؤمناً، إن دخلت المدرسة فاجتهدت ترقى ومن دون مدرسة تبقى بمنزلة دنيا. ﴿**ذَلِكَ**﴾**:** ما ذكرته عن قصة آدم عليه السلام. ﴿**مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ**﴾**:** كلها من أجلك كي تسعد، لكي تفهم ولئلا تنغشَّ بالشيطان فتفكِّر وتعمل الإحسان. هذه الواسطة بالأمر والنسيان الله تعالى عليم بها. عليم بأن آدم عليه السلام لا فكر له آنئذٍ ويعلم أنه سينسى. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾**:** لكنه تعالى جعل هذه الواسطة بغية تذكيرنا بعداوة إبليس فنحذر منه. وتذكيرنا بفضله وبحالنا الأول.

27- ﴿**يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**﴾**:** احذروا أن تستهووا ما يقدمه الشيطان ﴿**كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**﴾**:** أخرجهما من هذا الحال، خذوا من القصة عبرة. ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا**﴾**:** غايته أن ينزع حالهما في الإقبال ﴿**لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا**﴾**:** حالهما الذي يسوءهما، هذا الحال: الجسد.

﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾**:** المؤمن لا سبيل للشيطان عليه. الله تعالى وليُّ الذين آمنوا، إنما يدنو الشيطان ممَّن ليس عنده إيمان. إذن اسع في الوصول إلى الإيمان. من لا يؤمن هالك. ليس الإيمان بالقول، إنما الإيمان عقل وشهود أنه تعالى سميع عليم وأن كل حركة بيده. فإن أردت الوصول فانظر في الكون، فكِّر. ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾**:** أدلاء فلماذا جعلهم الله تعالى بهذا؟ ليخرج لهم ما فيهم من الخبث، المريض لا بد له من علاج، تحتاج التخمة لمسهل، الدُمَّل لا بد له من منقٍّ مُخرج للقيح. فمن امتلأت نفسه بالخبث، الشيطان يصبح دواءً له يخرج له ما في نفسه من شهوة خبيثة، بعدها يداويه الله تعالى بشدَّة، ببلاء لعله يرجع.

28- ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً**﴾**:** عملاً منحطاً. ﴿**قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا**﴾**:** الآن يقول بأن كل الناس هكذا. ﴿**وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا**﴾**:** لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وعندها قولهم يصبح كقول إبليس حينما قال: {**بما أغويتني**} ﴿**قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**﴾**:** فعل الشهوة في غير طريقها ﴿**أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾**:** يقولون الآن بأن الوجه ما هو بعورة ومحلل ومباح، حتماً الكشف سيصل إلى الزنى لأنه يُذهب الحياء، من أين جاؤوا بهذا القول!

29- ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**﴾**:** بالعدل، أمر الله بما فيه الخير، فكل إنسان يأخذ حقه لا عدوان. ﴿**وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ**﴾**:** قوّموا وجهتكم إلى الله بأن تفعلوا من الخير وتعملوا أعمالاً تصلح بها نفوسكم وتستطيعون بها الإقبال على الله ﴿**عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾**:** وجّه نفسك عند كل صلاة وبكل طلب وإقبال. ﴿**وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾**:** له الحق، كلامه هو الحق. ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ**﴾**:** ترجع لحالك الأول: النفس تلبس الجسد، الآن الجسد لابس النفس وحاملها، غداً بالعكس. ﴿**تَعُودُونَ**﴾**:** لذلك الحال من الإقبال قبل الهبوط أي: كما كان آدم عليه السلام دوماً نفسه مقبلة على الله تعالى.

30- ﴿**فَرِيقاً**﴾**:** وهم الذين صدقوا ﴿**هَدَى**﴾**:** هداهم بصدقهم وبإقبالهم. فكل من فكَّر وعقل اهتدى ونال السعادة. ﴿**وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ**﴾ ﴿**الضَّلَالَةُ**﴾**:** بإعراضهم ليخرج ما في نفوسهم. ﴿**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ**﴾**:** ليضلُّوهم. باتخاذهم الشياطين أدلاء ﴿**أَوْلِيَاءَ**﴾**:** سمعوا كلام الشياطين. ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾**:** بما لم يردْ بكتاب الله. ﴿**وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾**:** يقول البناء القصور زينة وراحة... ومع هذا الحال يحسبون أنهم مهتدون.

سورة الأعراف: [31-40]

31- ﴿**يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ**﴾**:** اذكروا ما قدمتم من الإحسان الذي تتزين به نفسكم ﴿**عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾**:** وذلك عند كل إقبال وطلب اذكروا فعل المعروف الذي تتزيَّن به نفسك عند صلاتك لتقبل على ربك، فكلَّما أردت الإقبال على الله اعمل معروفاً لتستطيع به الإقبال. ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾**:** الإسراف وضع الشيء بغير محله، ولا تسرفوا لكيلا تمرضوا، لا تكثر. "**نحن قومٌ لَا نأكل حتى**

نجوع وإذا أكلنا لَا نشبع" فلا يحصل ثقل، وعندها تنشط للعمل. ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾**:** لما فيه من أذى لكم.

32- ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ**﴾**:** العمل الطيب، فعل المعروف. ﴿**الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ**﴾**:** فعل المعروف من حرّمه! ﴿**وَالطَّيِّبَاتِ**﴾**:** من فعل الإحسان الذي تتطيب به النفس ﴿**مِنَ الرِّزْقِ**﴾**:** ما يعود عليك بالسعادة من الإنفاق بأوجه الخير. ﴿**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾**:** فالمؤمن هو الذي يفعل الخير والمعروف غايته رضاء الله. ﴿**خَالِصَةً**﴾**:** لهم. نتائجها وأُجرتها لهم ينالون الجزاء عليها غداً. ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾**:** إن صار لك علم بالله فهمت، غير المؤمن لا يستفيد شيئاً.

33- ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ**﴾**:** فعل الشهوات في غير طريقها الشرعي، المخزي، الواطي، هذا هو المحرَّم. ﴿**مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾**:** سراً وعلناً لا تحكي فيها خوفاً أن تستقر، لا تتكلم ولا تتحدَّث فيها بنفسك لأن حديث النفس يجر للفعل. ﴿**وَالْإِثْمَ**﴾**:** الإجرام. ﴿**وَالْبَغْيَ**﴾**:** التعدي على الأموال. ﴿**بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً**﴾**:** ما لم يجعل له قدرة على الفعل لا فعل لسواه سبحانه وتعالى لا يعطيك ولا يرزقك سواه فلا تطبِّق غير دلالته. ﴿**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾**:** احذر.

34- ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ**﴾**:** مدَّة معيّنة. كل واحد وله يوم معلوم. المؤمن شجاع. ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً**﴾**:** برهة ﴿**وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾**:** متى جاء الأمر ملكُ الموت معك فيقبض الروح. فكِّر بالقبر، الظلمة، السؤال، الجواب.

35- ﴿**يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ**﴾**:** عندما يأتينكم ﴿**رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي**﴾**:** فوق ما أعطاك حقَّك على التمام. إذ تستطيع معرفة الله بدون رسل فزاد فضله عليك بإرسال الرسل. **{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ}**[4]. ﴿**فَمَنِ اتَّقَى**﴾**:** صدق وقال لا إلّه إلا الله فاستقام وصلى وصار له عمل. ﴿**وَأَصْلَحَ**﴾**:** المؤمن لا بد له من عمل. ﴿**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾**:** من الفقر والإهانة. وإذا نزل القبر فلا خوف عليه. إذا سمعت كلام الرسول ﷺ فهو عن الله. رسول الله ﷺ يتكلم عن الله. ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾**:** على الدنيا حيث اكتسبوها وإنه رأى أعظم.

36- ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا**﴾**:** ما فكَّروا فيها. ﴿**وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا**﴾**:** ما نظروا ولم يستعظم ربَّه. ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾**:** إلى ما لانهاية، المريض بذاته يلقي بنفسه بالمستشفى. خلق الله تعالى النفس مفطورة على حب الكمال، فالمرء عندما يرى نفسه منغمسة بالدناءة فإنه يرمي نفسه بالنار كي يسلو آلامه النفسية الرهيبة.

37- ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ**﴾**:** لنفسه ﴿**مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾**:** قال هذا حلال وهذا حرام. الآن كثير ممن يحلِّل ويحرِّم. ﴿**أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ**﴾**:** لم يعتبر بها، التكذيب بالآيات مثل لم الصلاة ﴿**أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ**﴾**:** عقاب. ﴿**مِنَ الْكِتَابِ**﴾**:** مما كتب عليهم من أعمال قاموا بها وفعلوها أي: مما كتب عليهم من خبث فعلوه. ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا**﴾ غابوا ﴿**وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾**:** بكفرهم ونكرانهم نعم الله وعدم تعظيمهم لربهم أصابهم ما أصابهم هذا هو الكفر، فالكافر هو الذي كفر بنعم الله وخيراته التي تفضَّل بها عليه، هذا هو الكافر بذاته.

---

[4] سورة آل عمران – الآية:104.

38- ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ ذهبت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾: ادخلوا معهم. ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: ابتعدت عن الأخرى أهل النار يشمئزون من بعضهم: الإنسان غداً في النار يفر من كل الناس إذ كلما دخل شخص فإن روائحه المنتنة تزعج غيره فيطلبون البعد عنه. ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾ اجتمعوا ﴿فِيهَا جَمِيعاً﴾: بعد الموت يساقون في النار كلهم مع بعضهم. ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾: ساروا قبلنا فتبعناهم في ضلالهم، كانوا سبباً في ضلالنا ﴿فَآَتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾: كلٌّ واستحقاقه وما يناسبه وعلى حسب حاله. عذابٌ يقابل إجرامه ومن تبعه. ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أنتم ذلك. الأمر ضمن العدالة.

39- ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾: الطيّب لا يضلُّه أحد. الخبيث يلحق بالخبيث. وما أضلهم أحد بل هم أضلوا أنفسهم بما فيها من خبث، الكذاب نفسه خبيثة، فبكلمة ينقلب. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: بعملكم. ما كسبت في نفسك وملأتها به هذا هو الذي رماك: لو فكَّرت فأقبلت على الله لطهرت نفسك ولما كسبت الشر ولما وقعت.

40- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا﴾ ما فكروا بها وبخيراتها، ما عبأوا ولم يستعظموا فما عرفوا شيئاً عنها، معنى التكذيب عدم الاستدلال بها على لا إلّه إلا الله، صار للغربيين علم بالقمر بالشمس لكنهم لم يُعقّبوها فما استدلوا بها ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: الرسل وأهل الإرشاد لفتوا نظر الإنسان إلى الكون وطلبوا منه التفكير لكنَّ أناساً أعرضوا واستكبروا، والله تعالى دعا الخلق عامة، دُعوا وأعرضوا كذلك لكل إنسان ملك يناديه وأعطي أهلية تامة للتفكير واستكبر، فهؤلاء الذين دعوا واستكبروا عن النظر لا تفتَّح لهم أبواب السماء.

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾: لا تقبل نفوسهم على الله ولا يحصل لهم السمو النفسي ولا يصدر عنهم شيء عظيم، حيث لم يحصل لهم إقبال على الله ولم يشتقُّوا منه تعالى الكمال من الله بل بقيت نفوسهم منحطة. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾: لأنهم ليس لهم عمل عالٍ، فالمتكبر كالجمل لا فكر لديه، فإن لم يتنازل عن كبره ويتفكر حتى يرى ضعفه لن يدخل الجنة، فلا يمكن للمتكبر أن تقبل نفسه على الله حتى يخرج من كبره ويعرف ضعف نفسه وأنها لا شيء: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ﴾: شبَّهَ تعالى المعرض بالجمل، جثة كبيرة لكن خِلوٌ من التفكير فأهل الكبر كالجمل عقله خفيف على كبر جثته. فإن لم يعرفوا خالقهم ولم يعرفوا أنفسهم ويخلصوا من الكبر فلا يمكن لهم الدخول على الله، فيجب على الإنسان أن يفكِّر إلى أن يستدل. ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: حتى تصغر هذه النفس التي مُثِّلت بالجمل ذي الحجم الكبير، أي تصغر نفسه الحمقاء السخيفة الجاهلة التي تشبه أخلاق الجمل إذ يجره الحمار وتصبح كسَمِّ الإبرة. فعلى المتكبر أن يعرف نفسه حتى تتصاغر هذه النفس الكبيرة فتعرف أصلها وتعرف مربيها ونهايتها عندها تستسلم لله وذلك هو المسلم، ومن عرف نفسه عرف ربه: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾: هذا الذي لا يفكر لا خير فيه، خيره زال، الخير من الله فكل من أقبل على الله نال الكمال بقدر إقباله وإن لم يؤمن بلا إلّه إلا الله، لن ينال الإقبال، لا تقبل نفس المجرم حتى يتوب وهذا المجرم جزاؤه:

سورة الأعراف: [41-50]

41- ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: ذلُّه، حقارته، سفالته تُمهّد له، تدعوه لطريق النار. حالته تمهّد له دخول النار. فله من الذل الذي فيه مهاد يوصل إلى النار والعذاب. إذن ذلُّه يمهّد له الدخول إلى النار حيث أن جاههم نام وانحط، إذ يرون أنفسهم أحط من كل الخلق. يرى دناءة عمله وهو قد ولّت شهواته وعاد لفطرة الكمال وقد انحط وذهب جاهه الذي رشّح له ويرى سفالته فينحط ويجد طريقاً ممهداً للخلاص من الحال الذي هو فيه بدخوله النار. فالله سبحانه مهد لهم. فراش الطريق للشفاء أو

التخفيف مما هم فيه من العذاب ﴿**وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾: أغطية من النار ذلُّهم يغشاهم وانحطاطهم يلبسهم "تجلّي السفالة" فيساقون للنار. ﴿**وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾: غداً لا يُخلّصه من الحال النفسي إلا النار. إذن المتكبّر لا تفكير لديه "ما عنده فكر" فإن لم يتنازل هذا الإنسان المتكبر عن كبره بأن يفكّر حتى يرى ضعفه فلن يدخل الجنة بل تغشاه موجة من الهموم والغموم إثر موجه: غواش، هذا لمن يظلم نفسه لمن لا يفكّر فيعرف ربه، هذا حاله ومصيره.

42- ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾: بلا إله إلا الله فاستقاموا. ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: الإيمان مقرون بالعمل. إيمان بلا عمل لا يكون. ﴿**لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا**﴾: العمل بحسب الطاقة وإن طريق الإيمان يسيرٌ على كل نفس لم يجعل الله فيه مشقة وعسراً، ما في شيء صعب. أعطاك الله أهلية كاملة فإن فكَّرت بالآيات توصَّلت. فكل من سلك يرى أن الله لم يكلِّفه بشيء صعب، "نحن لم نكلِّف الإنسان فوق طاقته"، إذ رتَّب لك ترتيباً سهلاً إن فكَّرت قليلاً بالكون بصدق استدلَّلْت صرت قريباً من خالقك الذي هو معك فأراك. ﴿**أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾: هؤلاء فكَّروا فوصلوا. ﴿**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: إلى الأبد.

43- ﴿**وَنَزَعْنَا**﴾: كل رديء من الصفات ﴿**مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**﴾: حيث إن جنة كل إنسان ونعيمه في نفسه فلا يحسد أحد الآخر. وبما أنهم كلهم استكملوا النعيم فلا تحاسد بينهم، كلهم أحباب. فلا حقد ولا حسد بل كلهم مسرورون على حسب ما في أنفسهم وكلٌّ على حسب حاله. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ**﴾: اللذائذ المادية، كل ما تشتهيه النفس من الفواكه والخيرات أي من تحت ذلك النعيم العالي أنهار من خيرات. ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا**﴾: الخير والنعيم لهذه الجنة واللذائذ ولهذا الذي فيه خيرنا ونعيمنا. ﴿**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾: لولا دلالته والرسل الذين أرسلهم لما اهتدينا وخلق الكون بنظام كله يستدعي التفكير فهو فضله لما نلنا إذ فكَّرنا فهدانا فلولا دلالته على الرسل لما اهتدينا فهو فضله لما نلنا إذ أرسل تعالى رسلاً ففكَّرنا فهدانا.

﴿**لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾: كل ما أخبرونا به كله حق. ﴿**وَنُودُوا**﴾: من الله ﴿**أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا**﴾: ما ستناله هو ملك لك لا يؤخذ منك. تملكه من دون أن يؤخذ منك ولكن لابد من العمل فالجنة بالأعمال الجنة "أورثتموها" ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: لا جنة بلا عمل، من دون عمل لن تدخل الجنة: صلَّيت، صلاتك ماذا أنتجت لك؟ صومك حجَّك؟ ماذا أنتج! بلا عمل لا تنال شيئاً، ألا يجب أن يكون بيدك شيء لكي تقبل به على الله؟!

44- ﴿**وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً**﴾: من البعث والحشر، وعدنا الله بالنعيم والخيرات: فوجدناها حقاً. ﴿**فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ**﴾: أعلن ﴿**بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾: البعد عن الله يصيب الظالم لنفسه، الظالم الذي ظلم نفسه فأصبح بعيداً عن الله، عمله يجعله يتباعد، دناءته تحول بينه وبين الإقبال، أعماله تسوِّد وجهه فلا تدعه يقبل على الله تعالى والجنة بالله والنظر إليه فكيف يدخلها؟ "الجنة هي النظر لوجه الله الكريم ولا عجب فهو خالق الجمال ومبدعه".

45- ﴿**الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: إن ظهور الإنسان بمظهر دنيوي وعمل مخالف للحق يجعل الناس يتبعونه فيضلوا فهذا هو الصدود، يبعدون ويصدون الناس عن الحق وهم لاحقون هواهم. ﴿**وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً**﴾: فهم يريدون السير عوجاً حسب أهوائهم وشهواتهم، يريد الدنيا أن تكون على حسب هواه. ﴿**وَهُمْ بِالْآخِرَةِ**﴾: بيوم الحساب ﴿**كَافِرُونَ**﴾: لو كان عندهم يقين بالآخرة لما فعلوا ما فعلوا.

46- ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ**﴾: كل إنسان وحاله. لابس ثوبه وحاله مخفي عن الآخر. ﴿**وَعَلَى**﴾: وفوق الناس علواً. على رؤوس الناس ﴿**الْأَعْرَافِ رِجَالٌ**﴾: الأعراف أهل الإيمان العالي من الرسل والمرشدين هم

أهل المعرفة وهم الذين صار لهم معرفة وعلم بالله ودلوا الناس على الله: ﴿**يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**﴾**:** بعلامته، يحصل لهم عرف بكل شخص ينظرون للناس فتنكشف لهم أحوالهم ويرون الناجي من سواه. فأهل الأعراف هم الأنبياء والرسل عليهم السلام ولهم عرف بكل شخص ﴿**وَنَادَوْا**﴾**:** قالوا لـ: ﴿**أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾**:** وهم المؤمنون الذين صاحبوا الأعراف. ﴿**أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**﴾**:** الأعراف عرفوا أهل الجنة من وجوههم فطمأنوهم أن سيدخلون الجنة وأن الأمان عليكم فلا تخافوا. ﴿**لَمْ يَدْخُلُوهَا**﴾**:** أهل الجنة بعد. ﴿**وَهُمْ يَطْمَعُونَ**﴾**:** بدخولها حيث أنفسهم مستبشرة بعملها فلمعرفتهم بإيمانهم وسيرهم يطمعون.

47- ﴿**وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ**﴾**:** أهل الجنة ﴿**تِلْقَاءَ**﴾**:** نحو ﴿**أَصْحَابِ النَّارِ**﴾**:** فإذا رأى أهل الجنة أهل النار. ﴿**قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾**:** حيث إن علامة السواد على أهل النار.

48- ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ**﴾**:** الدنيا: ماذا أفدت من الدنيا. أي: ماذا أفادكم جمعكم الدنيا. ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾**:** عن طاعة الله. انظروا حالكم دناءتكم.

49- ﴿**أَهَؤُلَاءِ**﴾**:** أولئك المؤمنون ﴿**الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ**﴾**:** أن لن يصيبهم أيُّ خير، ظننتم أن هؤلاء بسطاء لا خير لهم. {**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**}[5]. ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ**﴾**:** خطاب لأصحاب الأعراف وعامة المؤمنين يقال لهم ساعتها ادخلوا الجنة. ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ**﴾**:** بعد الآن. ﴿**وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾**:** على الدنيا لأنكم اكتسبتموها بالعمل الصالح. سعادة أبدية.

50- ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾**:** لا يناسبكم هذا. لا يناسبهم الماء أو أي رزق آخر. لو أن مريضاً طلب من أمه أو أبيه طعاماً محظوراً عليه أن يأكله لما أعطوه برغم حنانهم. فالمريض تُطبَّق عليه الحمية لأن الطعام الطيِّب يضرَّه. فإذا ترجَّى المريض أقرب الناس إليه أن يطعمه طعاماً طيّباً هل يطعمه؟ يقول له هذا لا يناسبك. أنت الآن ممنوع.

سورة الأعراف: [51-60]

51- ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً**﴾**:** سائر على هواه. ﴿**وَلَعِباً**﴾**:** لم يفكِّر إلَّا بالدنيا. ﴿**وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾**:** همُّه الدنيا وشهواتها. ﴿**فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ**﴾**:** هل ننساهم! لا ننساهم. النار له دواء. ﴿**كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا**﴾**:** يرونها وينكرونها، إذ لم يفكِّروا بها فلم يروا عظمتها: يراها ولا يعرف ما فيها، إذ لم ينظر ما وراءها. لا يستطيع أن يكذِّب بالشمس وبالقمر لكنه لم يفكِّر بها فلم يستدل على لا إلّه إلا الله. فمن يسمع الآيات ولا يفكِّر فيها أيضاً لا يستفيد منها. آيات الدرس يجب أن تفكِّر فيها. الجمعة: تجمع المعرفة من مرشدك. السبت تنقطع للتفكير بها. الأحد... إلى الخميس تطبِّق يوماً بعد يوم، هذا معنى أيام الأسبوع إن لم تفكِّر بما تسمع فلن تفيد منه. ﴿**يَجْحَدُونَ**﴾**:** يرون الصورة بأعينهم ولا يرون الحقيقة بأنفسهم، ينكرونها مع رؤية الحق فيها، لا يتوصلون منها إلى الحق إلى لا إلّه إلا الله.

52- ﴿**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ**﴾**:** طُبع بصدر رسول الله ﷺ. ﴿**فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾**:** أريناهم فيه الخير من الشر، مفصّل إن دقَّقت فيه وجدته كله ضمن المنطق ومبني على علم. ﴿**هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾**:**

---

[5] سورة هود – الآية:27.

إذا اهتدوا به صاروا أهلاً للرحمة، أما إذا لم يؤمن الإنسان فلن يفهم منه شيئاً، طالب الإيمان صادق، فمن لا يصدق لا يستفيد.

53- ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ**﴾**:** وقوع ما يخبر عنه ماذا تنتظر من هذه الحياة! أليس الموت أمامك! ﴿**يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**﴾**:** وقوع الهلاك عليهم. وقوع حقائقه يراها عند الموت. ساعة الموت عندما يقع ما أخبرك به. ﴿**يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾**:** عندها يقرّون ويعترفون بفضل الرسل وما جاؤوا به. ﴿**فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا**﴾**:** نربط نفوسنا بهم لتشفى مما بها، الشفعاء الآن في الدنيا. ﴿**أَوْ نُرَدُّ**﴾**:** إلى الدنيا. ﴿**فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**﴾**:** لكن انتهت، ما عاد له رجعة. ﴿**قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾**:** ما أُعد لها من الخير. يرى خسارته عندها. ﴿**وَضَلَّ عَنْهُمْ**﴾**:** غاب عنهم ﴿**مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾**:** افتراؤهم الباطل في الدنيا.

54- ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾**:** مراحل: أربعة فصول، ليل نهار. من نظَّم هذا النظام! فكِّر فيها كيف تتكوَّن، من الذي نظَّمها، لماذا لا تفكِّر بها!؟. ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾**:** ثم سيرَّ الكون بتجلِّيه عليه. فنضج الكون وسار كل مخلوق في وظيفته بالتجلي الإلٓهي ﴿**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ**﴾**:** يتجلّى عليهما، الليل يلحق بالنهار. انظر كيف أن الليل يتبع النهار شيئاً فشيئاً. ما هذا الدوران! ﴿**يَطْلُبُهُ حَثِيثاً**﴾**:** يطلب الليل النهار سريعاً يكون الليل في أوله حالكاً وفي آخره مضيئاً ﴿**وَالشَّمْسَ**﴾**:** فكِّر فيها. بمن هي قائمة من يمدها! ﴿**وَالْقَمَرَ**﴾**:** كيف أنه سائر بنظام! ﴿**وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ**﴾**:** ألا تفكر فيها! ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾**:** أليس ذلك الخالق له ملك الخلق وتسييرهم! أليس هو المتصرف وله الخلق! إن فكَّرت رأيت ذلك الذي نظَّم الكون وجعله على هذا النظام هل تركك وشأنك! أما جعل لك قانوناً؟ نظَّم الكون كله أولم يجعل لك نظاماً؟ ألا يجب أن تبحث عنه؟ ﴿**تَبَارَكَ اللَّهُ**﴾**:** تتالى خيره. ﴿**رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾**:** ما أعظم خيره!

55- أيها المؤمن طالب الحق تضرَّع إلى الله سرّاً، ادعه في نفسك فهو قريب منك. ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً**﴾**:** بخضوع نفسي. ﴿**وَخُفْيَةً**﴾**:** تضرع بلسانك وخفية بنفسك، لا تعتد على أحد. ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾**:** المعتدون: الخارجون عن طريق الحق وهؤلاء لا يقبل دعاؤهم، يجب أن تكون إنساناً. ليس بمؤمن من يتعدى.

56- ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾**:** لا تعملوا أعمالاً منحطَّة تجعلون الناس يلحقون بها، لا تبنوا ولا تتزينوا وتتبهرجوا. رتِّب لك نظاماً أنت لا تسر على حسب هواك. ﴿**وَادْعُوهُ خَوْفاً**﴾**:** من عدله. ﴿**وَطَمَعاً**﴾**:** برحمته. ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾**:** من أهل الإحسان، أهل الإحسان رحمة الله قريبة منهم.

57- ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾**:** هناك رياح تحمل الخيرات وفيها البركات وهناك ريح تحمل العذاب وتأتي به، الرياح قبل المطر ألا تفكر في الرياح كيف تأتي؟ ألا تفكر بهذه اليد الرحيمة، عنصر إن نقص من عناصر الطبيعة كالرياح من يستطيع أن يسيطر عليه ويؤمنه! ﴿**حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ**﴾**:** حملت ورفعت. ﴿**سَحَاباً ثِقَالاً**﴾**:** ثقالاً بالخيرات، الخير من السماء والحياة والإمداد من خارج الكون، المادة هي هي. ﴿**سَحَاباً ثِقَالاً**﴾**:** ملآنة بالخيرات. فكر أيها المؤمن وأيها الإنسان بهذا النظام. ﴿**سُقْنَاهُ**﴾**:** للسحاب فمن الذي ساق، مَن؟ فكر بينك وبين نفسك ﴿**لِبَلَدٍ مَيِّتٍ**﴾**:** لم يكن فيه شيء. لا نبات فيه. ﴿**فَأَنْزَلْنَا بِهِ**﴾**:** بالبلد ﴿**الْمَاءَ**﴾**:** من أنزل الماء بعد إصعاده، مَن؟ ﴿**فَأَخْرَجْنَا بِهِ**﴾**:** بالماء ﴿**مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾**:** من أخرج هذا الجمال والبدع والألوان والروائح الذكية المعطرة؟ هذا أليس بدليل على لا إلٓه إلا الله! من يفعل ذلك يا إنسان! إن لم تفكِّر فلن تصل لشيء من إيمان. ﴿**كَذَلِكَ نُخْرِجُ**

﴿الْمَوْتَى﴾: غداً. الذي يحيي الكون بعد موته أفلا يحييك إن اتجهت إليه كالكون! **﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:** أن هناك بعثاً. ذكر لك ذلك لتتذكر ولتعود مجلياً للنور والحياة والنعيم.

58- **﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾:** الذي طاب فعل أهله، المقبل على الله لا يُظهر إلا كل كمال وخير كالأرض الطيّبة. كيف طاب هذا البلد، من طيَّبه؟ كلهم متجهون إليه تعالى ومنه يستمدون فهم نفوس إلا أنت يا إنسان على غير الله تعتمد على الزائل! **﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾:** طيباً، كذلك المؤمن الذي طابت نفسه، صاحب القلب الطاهر يعمل الطيب ولا يخرج منه إلا كل كمال.

﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾: إن أقبل الإنسان امتلأت نفسه كمالاً، أما إن أعرض فإنها تمتلئ خبثاً وكذلك البعيد عن الله خبيث النفس. **﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً﴾:** فيه نكد عليه لأن عمله يعود عليه بالسوء والنكد ويجلب السخط لصاحبه لقلة خيره، لأن القلب إن أعرض عن الله يصبح فارغاً فينوي على ما بأيدي الناس ليسلبهم ويفجعهم ليملأ الفراغ بالطغيان، وعليه بعد القضاء أي قضاء لذائذه وشهواته رؤية سيئ أعماله وله ديمومة الحسرات. **﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾:** من يفكِّر ويتعرَّف إلى الله هذا يشكر وإن الله يعوضه بإقباله.

59- **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾:** أطيعوا أمره بأن تفكِّروا بآيات الله فتصبحوا إنساناً حقاً. لا تعبد غيره ولا تأتمر بأمر أحد سواه. **﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾:** من مسير، أنت لست بمطلق، يُسيِّرك على حسب اختيارك وعلى حسب نفسك: إن نِلْتَ الكمال سيَّرك بالكمال **﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:** إن حدثُم عن كلامه تعالى إن خالفتم عليكم عذاب يومٍ عظيم. يوم كشف لؤم وجحود الإنسان وإجراماته المخزية أمام كافة الخلائق يوم العار الموصل للنار.

60- **﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:** لا تفقه من أمر الدنيا ولذائذها شيئاً، أنت تائه عن الحق نحن جئنا للدنيا لننسرَّ ونبسط أنفسنا.

سورة الأعراف: [61-70]

61- **﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:** أعلم طريق الخير والسعادة، رسول لأبين لكم وأنذركم بتكليف منه تعالى لي كي:

62- **﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾:** التي أمرني بها. **﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:** أعرف الله وأسماءه، آمنت به وأقبلت عليه فعلَّمني.

فعجبوا وقالوا متى صرت رسولاً! أنت رجل منا. فأجابهم:

63- **﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾:** استصغرتم **﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾:** هذه غريبة! إذا أرسل لك ربك شخصاً ينذرك! **﴿وَلِتَتَّقُوا﴾:** إن طبَّقتم كلامي صارت لكم تقوى ورؤية. فكِّر وآمن بلا إله إلا الله وانظر ما تنال من نتائج وما تشاهد من مشاهدات. **﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾:** بعدها. **﴿تُرْحَمُونَ﴾:** بالتقوى أي الرؤية بنوره، تتباعدون عما يؤذيكم فتصيبكم الرحمة، تأتيك الخيرات من الله: آمنوا بالله عندها تعرفوني.

64- **﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا﴾:** لم يفكِّروا بها فما عرفوا عن الحق شيئاً.

﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ**﴾: عميان عن الحقائق لا يروا سوى الدنيا، وعند الموت تزول الصور فلا يرى إلا الظلمات ويهوي ويبقى بالعمى لا مساعد ولا معاون ولا طعام ولا شراب، حالة صعبة مرعبة ما أصعبها!

65- ﴿**وَإِلَى عَادٍ**﴾: قوم عاد. عادوا الحق فخسروا دنياهم والآخرة فهم مع الأذلين. ﴿**أَخَاهُمْ هُوداً**﴾: سيدنا هود عليه السلام من قوم عاد أخاهم: أي حامل آلامهم وشقاءهم القاتل وهم لا يشعرون. ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾: لا تسمعوا غير كلامه. ارجعوا إلى الله ليضع الكمال في أنفسكم فتعملون العمل العالي الذي يعود عليكم بالخير دنيا وآخرة. ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرُهُ**﴾: لا مسيِّر لكل شيء إلا الله. ﴿**أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾: ألا تقبلون عليه تعالى لتروا طريق سعادتكم. فتّح عينيك كي ترى طريق السعادة.

66- ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ**﴾: جاهل. المفلسون ذاتياً ما عندهم شيء ويرون الذي عنده كل الجنات وكل النعيم والسعادة والخير جاهل! هؤلاء يشاهدون الصورة فقط: ﴿**وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾: لم يصدّقوه.

67- ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ**﴾: جهالة، لست جاهلاً. ﴿**وَلَكِنِّي رَسُولٌ**﴾: داعٍ لكم على علم ﴿**مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: رسول لكم وتركتموه والدنيا معتمدكم ستزول. رسول لكم لكي:

68- ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي**﴾: فكّروا بها بدلالتي، لا تسيروا بالعمى. ﴿**وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾: أمين على كلام ربي.

69- ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ**﴾: أهذا غريب؟ ﴿**أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ**﴾: هل هذا بعيد المنال! ما شاهدوا أعماله، ما شاهدوا كلامه. ﴿**لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ**﴾: أورثكم الأرض. ﴿**مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ**﴾: الذين قبلكم ماذا حلَّ بهم! اتَّعظوا بمن سبق. هذا مصيركم. ﴿**وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً**﴾: وقد وسَّع عليكم. ﴿**فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ**﴾: نِعَمَ الله عليكم. ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: فيمددكم بخيرات الدنيا والآخرة، وتكتسبون الكمالات وتزدانون بها وتعيشون على هذه المكاسب المتزايدة أبد الآبدين.

70- ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ**﴾: قالوا الإله واحد ويده وحده على الكون كله! ﴿**وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا**﴾: مِن قالٍ وقيل ﴿**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾: لينزل علينا البلاء إن كنت صادقاً. لأنهم ما فكروا استعجلوا. معتمدهم الزائل لا الباقي سبحانه وتعالى.

سورة الأعراف: [71-80]

71- ﴿**قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ**﴾: العذاب سيحل بكم. ﴿**وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾: ليس لها فعل ولا حول ولا قوة ﴿**فَانْتَظِرُوا**﴾: البلاء لا بدَّ منه. ﴿**إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾: سترون النتائج.

72- ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا**﴾: عن بكرة أبيهم. ﴿**وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾: ما كانوا للإيمان بالله طالبين.

73- ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾: كل الرسل دعوتهم واحدة. على الإنسان ومن اللازم ألا يسمع إلا كلام الله: {**وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**}[6].

---

[6] سورة الإسراء – الآية:23.

وليطبِّق ذلك: فكِّر كما فكَّر الأنبياء عليهم السلام، وسِر كما ساروا واستدلُّوا على الله عندها تسيرون بالحق تصلُّون. فتكتسبون منه تعالى الكمال. ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾: من يسيِّركم سواه تعالى: فكِّروا في هذا. ﴿**قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: بيِّنة على صدق رسالتي: وكانوا قد طلبوا منه ناقة ووراءها ولد تخرج من صخرة. فاستجاب الله. ﴿**هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آَيَةً**﴾: ناقة خرجت من الجبل ووراءها ولدها. ﴿**فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ**﴾: لكن خصَّص الماء وجعله قسمة بين القوم والناقة. ﴿**فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: احذروا ذلك. مع أنهم رأوا الآية البيِّنة فما آمنوا. إذا العين رأت والنفس ما أيقنت فما لمست وما شاهدت فالمرء لن يستفيد ولن يصبح مؤمناً: التفكير هو الذي يوصل للإيمان.

74- ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ**﴾: فكِّروا في فضل الله. ﴿**وَبَوَّأَكُمْ**﴾: سلَّمكم وأعطاكم التصرُّف. ﴿**فِي الْأَرْضِ**﴾: أعطاكم الأرض ووسَّعها عليكم. مكنكم فيها وأعلا شأنكم. ﴿**تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً**﴾: وسَّع عليكم حتى تبنوا القصور الفخمة! هذه الزينة تُسبِّب لك الغفلة فتستهوي الدنيا. ﴿**وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً**﴾: تبنون بيوتاً من هذه الحجارة! ألهذا خُلقتم! ﴿**فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ**﴾: نعم الله عليكم. ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾: لا تسيروا بالفساد. تبنون القصور لتدخلوا الغيرة والحسد بقلوب الناس فيلحقوا الشح والبخل. هل أعطاكم الله نعمه لتفعلوا هذا!

75- ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ**﴾: قالوا للذين آمنوا: ﴿**أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾: هل أنتم مؤمنون به، على الرغم من رؤية الناقة كذَّبوا وما فكَّروا. ﴿**قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾: نعم ما عندنا بذلك شك.

76- ﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا**﴾: عن التفكير في آيات الله. ﴿**إِنَّا بِالَّذِي آَمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾: عنه معرضون.

77- ﴿**فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**﴾: تجاوزوا، ما عبأوا عصوا. ﴿**وَقَالُوا يَا صَالِحُ**﴾: ما أدركوا رسالته ما عرفوا أنه رسول. ﴿**ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾: افعل ما شئت. لينزل البلاء علينا.

78- ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾: جاثمين على ركبهم، لم يتهيَّأ لهم من يدفنهم تحت الثرى، لم يجدوا من يواريهم التراب.

79- ﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ**﴾: تولى عن وجهتهم الخبيثة لبعدهم وظنهم السوء. ﴿**وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾: والآن كذلك لو يحبون الناصحين لأبصروا وما وقعوا بسوء أبداً بل لكسبوا وتنعموا.

80- ﴿**وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾: هم أول من فعلها. "مخترعون" ما فعلها أحد قبلهم. فالطاقات الخيرة إن لم يؤمن الإنسان بربه ينهار وينحط لما لا مثيل له.

سورة الأعراف: [81-90]

81- ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾: تلقون بهذا الماء الطاهر في مكان نجس وتهدرونه، أعطاك هذه المادة لتنبت لك الخيرات فتربِّي ولداً. يجب أن تزرع هذه النطفة بمحل طاهر لا أن تضيِّعها فتضعها في غير موضعها: غداً ستسألك هذه النفس عن عملك وظلمك لها.

82- ﴿**وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ**﴾: اطردوهم لإيمانهم. ﴿**إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾: هؤلاء جماعة يتظاهرون بالصلاح، ويدَّعون الطهارة والسداد، هذه شهوة بكل إنسان.

83- ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**﴾: كان لها حب بقومها. حبها لوَّثها معهم ووصَّلها للكفر للشقاء. هلكت بحبّها لقومها. "**اللَّهُم لَا تجعل لي خيراً على يد كافر أو منافق**"، من دعاء الرسول ﷺ. بحبِّها لقومها وميلها لهم اغبرَّت فوقع الكفر بقلبها.

84- ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً**﴾: من هنا استدلَّ سيدنا علي رضي الله عنه أن الفاعل والمفعول به الأول، الفاعل يُرمى من شاهق جبل والمفعول به يُحرق، الزاني مئة جلدة، اللوطي الأول يقتل. ﴿**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾: صاحب هذا العمل لا خير فيه، كلاهما قليل المروءة ويفقدان الحياء.

85- ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً**﴾: الرسل كلهم على نسق واحد. وكل متابع لهم من أهل الحق هذا قوله. ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرُهُ**﴾: كل أعضائك حركتها به. فكِّر لكي تتوصَّل لهذا الشيء. هذه دعوة الأنبياء عليهم السلام كافة يدعون الخلق إلى لا إلَه إلا الله. فمن لا يؤمن بها فإيمانه لا يساوي شيئاً ولا فائدة له منه. ﴿**قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: جاءهم محْل وحفظ الله له ماله أَوَماَ رأيتم من سبق! ﴿**فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**﴾: كانوا ينقصون المكيال والميزان. ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾: تعمرون الأبنية والقصور فتبثُّون الفساد بها. لا تأت بأشياء تفسد الناس. ﴿**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: إن كنت مؤمناً رأيت ذلك.

86- ﴿**وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ**﴾: الناس عن الله. ﴿**عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَـهَا**﴾: للدنيا. ﴿**عِوَجاً**﴾: تسير على حسب هواك، هوى الناس. شيء على حساب غيره. ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾: نتائج أهل الفساد. هؤلاء الناس الذين دلُّوا غيرهم على الأعمال المنحطة، ماذا حلَّ بهم!

87- ﴿**وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آَمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا**﴾: هذه رحمته على الأعداء. ﴿**حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا**﴾: لا بدَّ من الفرج. ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾: المؤمن لا بدَّ أن يعزَّه الله في الدنيا قبل الآخرة.

88- ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا**﴾: كل هذا الكلام لا نرضاه. ﴿**أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾: أو تميلون لما نميل نحن إليه: ناجزوه مناجزة. خرجوا عن المنطق لكن كلما اشتدت افرحْ لها، الشدة دليل الفرج ﴿**قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ**﴾: رغماً عنَّا!

89- ﴿**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ**﴾: نكون جماعة كذابين بدعوانا. ﴿**بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا**﴾: إذا ربُّنا ما صدرت مشيئته فلا سبيل لكم علينا. لا فاعل إلا الله وبعد حكمه يحكمون. ﴿**وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾: أيدنا عليهم.

90- ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ**﴾: خسرتم الدنيا كلها. الذي يمشي بالدين يُذَل، إياكم وقول المنحطين.

سورة الأعراف: [91-100]

91- ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾: هلكوا عن بكرة أبيهم.

92- ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا**﴾: الإنسان الآن إن أصابه وجع ضرس ليلة من الليالي ينسى كل نعيم مرَّ به. أما هم فكأنهم لم يكسبوا شيئاً منها: جئت للدنيا لتنال سعادة كبرى، فكيف

تضيعها! جئت لتجتهد كي تعمل عملاً عالياً. ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ**﴾: ما أعدَّ لهم من الفضل.

93- ﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آَسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ**﴾: كيف أحزن عليهم! أنا عملت جهدي فما تركت شيئاً إلا وبينته.

94- ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ**﴾: مرشد وغيره وكل رسول نبي. ﴿**إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا**﴾: بعد أن بينا على لسانه طريق الحق ﴿**بِالْبَأْسَاءِ**﴾: العذاب النفسي. ﴿**وَالضَّرَّاءِ**﴾: العذاب الجسدي، لمَّا جاء الرسل وكذَّبهم الناس شدَّد الله على الناس، هكذا تقتضي الرحمة والحنان. وما أرسل الله تعالى في بلدة من بلدان العالم دلالة ليؤمنوا بلا إلّه إلا الله ولم يؤمنوا إلا أخذ أهلها بالبأساء. فالله تعالى لا يهلك أمةً حتى يرسل لها الرسل وليس رسولاً واحداً، إن لم يرجعوا أخذهم بالشدائد. "بالبأساء": عذاب النفس. "الضراء": عذاب الجسد. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾: يلتجئون إلى الله فينيبون ويهتدون، يدل هذا التعذيب والتشديد على أن هنالك قابلية للرجوع لا كما يقولون، كل ذلك لكي يضَّرعوا فتشفى نفوسهم مما كمن فيها. فانظر إلى كلام الله تعالى وانظر إلى قولهم إن الله خلق أناساً للجنة وآخرين للنار.

فالله تعالى يقول: عندما يعاند الناس رسولهم فإنه تعالى يضيِّق عليهم علَّهم يضَّرعون. بتضرُّعهم إلى الله يزول الخبث من أنفسهم وتطهر أنفسهم. دعوة الله تعالى عامة لسائر الخلق.

95- ﴿**ثُمَّ**﴾: عندما أصرُّوا فما رجعوا بل ثابروا على ضلالهم. ﴿**بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ**﴾: إن ما رجعوا بالبأساء والضراء أي لم يرجعوا بالشدة عالجناهم باليسر ونعطيهم الدنيا لعلهم يشكرون، ولكنهم ما رجعوا بعد الشدة ولا شكروا، فلمَّا استحكم الجرثوم في أنفسهم. ولم يعد ثمَّة رجاء بالشفاء: أعطاهم كافة رغائبهم. أعطيناهم الدنيا لعلهم يشكرون. وكان بالإمكان البدء لهؤلاء بالإنعام بالدنيا لكن قلَّ من يشكر لذا يبدؤهم بالشدائد: إن لم يرجعوا هلكوا. ﴿**حَتَّى عَفَوْا**﴾: نسوا كل شيء. لم يتذكر هؤلاء نعم الله وأصبحوا أغنياء وكثرت أموالهم فما رجعوا وما عادوا دعوا الله، ﴿**وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آَبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ**﴾: رأوا أن هذه الشدائد أو هذه النعم طبيعية قد أصابت آباءهم من قبل قالوا أصابت آباءنا ظروف شدَّة مثل الطاعون، القمل، الجراد، الاحتلال "أيام سفر بر بالحرب الكونية الأولى" وظروف سعة، ما نسبوا الأشياء لعملهم وفعلهم بل قالوا هذه عادة الزمان ولم يرجعوا إلى الله فأصبح الهلاك نصيبهم. ﴿**فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾: أتاهم البلاء بغتة على حين غفلة. ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾: من دون أن يشعروا بأن هناك بلاء على الإطلاق بل ظنوا أنها صفَت الدنيا للأبد، فلو كانت الأمور مقطوعاً فيها أزلياً فلمَ الرسل ولمَ الشدائد؟ قولهم خطأ كله: يقولون كله منه "أي من الله" فهل يخالف الرسل أمر الله! إذن الرسل كلهم مخطئون على زعمهم وهم على صواب! فما أتفه هذه الأقوال! هناك طريق للرجوع وإمكانية للتوبة والإنابة. أرسل الله الرسل أهل الإرشاد، أعطاك الفكر جعل الكون كله أمامك لتتذكَّر فإن استدللت بتفكيرك أعطاك كل خير ولم يشدِّد عليك.

96- ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى**﴾: أي بلد أو قطر أو إقليم بل أي إنسان بمفرده: ﴿**آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾: رزقناهم رغداً كل الثمرات أصيبت بأمراض، فما السبب؟ يبست الأشجار وجفَّت الآبار والينابيع، لم يُخرجك الله تعالى للدنيا للشقاوة بل للسعادة. لكنهم هم يعذبون أنفسهم. ﴿**وَلَكِنْ كَذَّبُوا**﴾: لم يعبأوا بآياتنا والنعم، كذبوا بلا إلّه إلا الله فما عرفوها فصار عملهم منحطاً. لو عرفوا لأغناهم الله دنيا وآخرة: للسعادة دنيا وآخرة خلقنا. وكل ما يُصيبنا فمن أعمالنا، ومن جاءته الدنيا وسيره منحرف فهذا حاله خطر جداً: إن لم يتب هلك. ﴿**فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾: رجع عملهم السيئ عليهم بالسوء، على حسب تكذيبهم عاملناهم. فالله لا يُهلك العبد إلا بعمله ولا يرفعه إلا بعمله: الله تعالى عادل. يأخذ الخلق بأعمالهم. في الأزل أعطانا الحرية، في الدنيا أرسل تعالى لنا الرسل أرسل الكتب ذكَّرنا رحمة بنا.

97- ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى**﴾: البلدان. ﴿**أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا**﴾: زلازل براكين هل يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه حكم الله. ﴿**بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾: على غفلة. فجأة دون أن يستطيعوا دفعاً. هل أنت آخذ تأمين على نفسك ومالك! ألا تفكِّر في من هو المتصرِّف بهذا الكون! فكِّر في الكرة الأرضية كيف هي بالفضاء... بالشمس بالقمر بالنجوم كيف أن الكون سائر بنظام، ألا تفكِّر في هذا!

98- ﴿**أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾: ملتهون بالدنيا باللعب واللهو. الدنيا لعب ولهو.

99- ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ**﴾: تدبير الله أن يأتيهم مرض أو أية مصيبة في ليلهم أو نهارهم... طريق الأمان أرسل لك آيات كلها مبنيّة على علم. ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ**﴾: أن لن يصيبهم شيء. ﴿**إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾: خاسر الدنيا والآخرة وما أعدَّ الله له من الخيرات، ولو رأيته صورة مُنعَّم لكنه باطناً معذَّب النفس ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾[7]. خسر ما أعده الله له من نعيم: الله خلقك وجعل لك من النعيم ما يستمر معك إلى ما شاء الله.

100- ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا**﴾: الأقوام التي تأتي من بعد، أما تتذكر وتفكر بمن سبق ماذا حلَّ بهم! أما ماتوا! أفلا تموت أنت! إن كنت صاحب تجارة... أولا تفكِّر في من شغل هذا المكان قبلك! وإن كنت صاحب زراعة أفلا تفكِّر في من ملك هذه الأرض قبلك! وهكذا... المفكِّر ينجو. فيجب على كل إنسان أن يفكر بمن كان قبله في داره التي يسكن فيها أو متجره أو مدينته إلى غير ذلك، أين أصبح الآن وماذا كان عمله سيئاً أم حسناً وماذا أصابه! يجب ألا يسير المرء في هذه الحياة دون تفكير حسن فيما يحصل ويجري في الكون يجب أن يفكر بالذين من قبلهم كيف أهلكهم الله. ﴿**أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**﴾: ما رأى ما حلَّ بمن سبق، ألا تخشى أن يصيبك ما أصابهم! لكنَّه تعالى ذو رحمة، قلبك مملوء خبثاً فهو يدلُّك على طريق الإيمان بلا إلَه إلا الله لتطهر نفسك، ويطاولك فإن لم ترجع بعد التذكير جاءك البلاء. فما يقع بنفسك ويتعلَّق بها من ذنوب، إن لم تطهِّر نفسك منها بطريق الإيمان فيطبع على قلبك ليخرج ما استقرَّ في نفسك ثم يأتيك البلاء. ﴿**وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾: إن أعرض الإنسان عن الله عمي وصمَّ. فكِّر في نفسك قبل أن يحصل لك هذا الحال، قبل أن يموت قلبك تماماً. عند النزاع لا فائدة من العلاج، كذلك إن مات القلب فلا فائدة للمواعظ.

سورة الأعراف: [101-110]

101- ﴿**تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا**﴾: واحدة بعد واحدة لتخبرهم. ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾: جئتهم. ﴿**فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ**﴾: استمروا على تكذيبهم الرسل كما كذبوا من قبل مجيئهم. ﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**﴾: من تمكَّن منه الكفر فلا يعود يرى.

102- ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ**﴾: حين عرض الأمانة تعهد الإنسان بحملها والسير بطريق الحق، فكل الناس عاهدوا الله في الأزل أن يسيروا في الحق ولكن ﴿**وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾: خارجون عن طريق الحق. "عهد الأزل": نحن البشر كلنا عاهدنا الله في الأزل أن نأتي للدنيا ونجتهد ونفتح أعيننا بالله ونسير بالحق لا أن نغمض ونلحق بالدنيا.

---

[7] سورة الإسراء – الآية:25.

103- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى﴾: بعد أولئك. ﴿بِآَيَاتِنَا﴾: جاءهم بدلائل. معجزات. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾: ما عبأوا بها. ظلموا أنفسهم ما فكَّروا فيها. ﴿فَانْظُرْ﴾: أيها المعرض أما سمعت بقصة فرعون. أما رأيت نتائجهم؟ ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: إن لم ترجع سيصيبك ما أصابهم.

104- ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: قال له فرعون هذا صحيح. فأجابه:

105- ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: ألا تعلم يا فرعون أن حياتي كلها كمال لما كنت عندك، أنت تعرفني تعرف صدقي ما عهدت عليَّ كذباً: ما أخذناه ظلماً جئناه بالمنطق. ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾: على أني رسول الله. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: وزيادة على ذلك جئتكم بآيات ظاهرة. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: هذا مطلبي منك.

106- ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآَيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾: أرنا إياها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: أنك رسول.

107- ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾: ظاهر بيّن، ثعبان عظيم.

108- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾: أضاءت لامعة كالكهرباء. مضيئة.

109- ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾: وكان السحر له شأنه. هذا ساحر ضمن علم، هذا ليس بجاهل. وكذلك كل امرئ لاحق بالدنيا فهو يموِّه على نفسه. فأجابهم فرعون:

110- ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾: بهذا أجابهم فرعون لأنه حصلت له مخافة من سيدنا موسى عليه السلام، إن هذا يريد أن يخرجكم من أرضكم. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: خشي على ملكه فتنازل، وهذا يدلُّ على خوفه أن يفتنوا فخاطبهم بهذا الخطاب الرقيق. كما خشي أن يُفتن العالم بموسى.

سورة الأعراف: [111-120]

111- ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾: أخِّره. دعه قليلاً. ﴿وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾: اغلبه بالمنطق. ائته بعلماء يتفوَّقون عليه.

112- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾: عندنا سحرة عظماء.

113- ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾: أتعطنا أجراً!

114- ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: أجعلكم وزرائي: خوفاً على ملكه.

115- ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾: أحدنا، هذا أيضاً فيه عدالة وإنصاف.

116- ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾: كيف حدث السحر بوجود سيدنا موسى عليه السلام؟ السحرة ظنوا موسى عليه السلام ساحر وسيدنا موسى تركهم على هذا الظن فلو سلط عليهم شعاع نور من نفسه الشريفة لتوقف السحر وما تحقق مراده عليه السلام بل تركهم حتى أخرجوا كل أسلحتهم بعدها سلط عليهم شعاع من نور نفسه حصرهم به ودمر شياطينهم فلم يبقَ مع السحرة سلاح فتوجهت نفوسهم بالإعجاب لموسى بعد أن أصابهم هلع وفرغت من كل شيء إلا من الشيء المواجه لهم فشاهدوا الحق وآمنوا برب موسى وهارون وتحقق مراد سيدنا موسى ونجحت خطته عليه السلام. ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: الناس خافت. ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾: حتى يبيّن الله تعالى عظمة موسى عليه السلام.

117- ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ**﴾: تبتلع. ﴿**مَا يَأْفِكُونَ**﴾: فذهبت بها كلها. هنا ظهر الحق.

118- ﴿**فَوَقَعَ الْحَقُّ**﴾: ظهر الصدق من الكذب. ﴿**وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: جميعاً.

119- ﴿**فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ**﴾: صغروا في نفوسهم أمام علم موسى عليه السلام ذلُّوا. صَغُر السحرة عندما رأوا ذلك.

120- ﴿**وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾: أقروا بالفضل وعلو المكانة لموسى عليه السلام، عندها أكبروا موسى عليه السلام وألقوا بنفوسهم عليه مذعنين وارتبطت نفوسهم بنفس سيدنا موسى عليه السلام فآمنوا بالله كل هذا لمَّا رأوا علم موسى عليه السلام استعظموه دخلوا معه على الله، إذ باستعظامهم بنظرهم ارتموا مقدِّرين علمه وبذلك صار لهم دخول بمعيَّته على الله فسجدوا وحصلوا على إيمان. إذ أن الرابطة تجر حال المرتبط إلى من ارتبط به، فإذا لم يستعظم الإنسان فلن يحصل له ارتباط. وكل ساعة إذا المريد ما صارت نفسه صغيرة تجاه مرشده فلن يدخل من بابه على الله، وكل رسول مالم تصغر نفوس قومه تجاهه فلا يؤمنون. أما إن ردَّ ما في نفسه من كِبْرٍ وعظَّم دلالة من يدلُّه عندها ينال الإقبال والشفاعة.

سورة الأعراف: [121-130]

121- ﴿**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: لما دخلوا على موسى عليه السلام فصار لهم به ارتباط صارت لهم رؤية بذلك النور فشاهدوا الكمال الإلّهي، شاهدوا الرحمة والرأفة والقدرة والعطف. بهذا السجود حصل لهم الإيمان والتقوى.

122- ﴿**رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾: الذي علَّم موسى وهارون فربَّاهما وجعلهما بهذا الحال العالي "العظيم".

123- ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا**﴾: هذه تدبيرات ومؤامرة فعلتموها ودبرتموها مع موسى. ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾: عملي، وماذا سيصيبكم، هدَّد.

124- ﴿**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾: وموسى وهارون وكل من آمن معهما. ولكن ما يضرهم ذلك لقد آمنوا بالله.

125- ﴿**قَالُوا**﴾: افعل ما أنت فاعل مرجعنا إليه سبحانه وتعالى، هذا حال المؤمن لا يسأل عن الدنيا كلها. ﴿**إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ**﴾: مرجعنا إليه، نفوسهم أحاطت بأجسادهم، أجسادهم بالأرض ونفوسهم سرت مع سيدنا موسى عليه السلام السراج المنير فشاهدوا الأزل والآخرة، شاهدوا الحق سموا وعلوا رجعوا وحالهم كحال سيدنا آدم عليه السلام، فمن يردهم عن الحق!

126- ﴿**وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا**﴾: نقمتك وغضبك لم يكن إلا بسبب إيماننا، هل لأجل هذا تنقم منا؟! ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً**﴾: إن فعل. ﴿**وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾: وليفعل ما يشاء، افعل ما شئت. وهكذا الإيمان، لقد رأوا الدار الآخرة فما الدنيا بجانبها!

127- ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ**﴾: لقد أفسد السحرة. ﴿**وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ**﴾: سيبدأ الإرهاب والتقتيل بهم. ﴿**وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾: وهو لا يعلم أن الله معهم ومؤيِّدهم.

128- ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾: لكن بني إسرائيل وحيث أنهم لم يفكِّروا فما عظَّموا موسى عليه السلام. لقد رأوا كل شيء ولكنهم أجابوه بهذا القول.

129- ﴿**قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا**﴾: كم من فرق عظيم بين السحرة وإيمانهم وبين قوم موسى وإيمانهم. آمن السحرة للوهلة الأولى لاستعظامهم موسى عليه السلام. أما قوم موسى فلم يوقروه ويعظموه فكان جوابهم له أن أوذينا من قبل ومن بعد. يعنون بأن الأمور لم تتبدل ولم تتغير رغم اتباعهم فانظر إلى السحرة بلحظة آمنوا وقالوا ما قالوا لأنهم استعظموه. إنهم عظَّموا موسى عليه السلام قدَّروه فوصلوا إلى الإيمان الصحيح بعكس بني إسرائيل حيث أنهم لم يعظِّموا موسى عليه السلام قالوا هذا القول: أوذينا من قبل ومن بعد وهكذا فالتصديق لا يكفي، الإيمان هو المطلوب. لا يكمل الإنسان إن لم يصلِّ فلا يعظِّم. الإيمان يوصل للصلاة وبالصلاة يكتسب الكمال بالكمال يعظم أهل الكمال.

﴿**قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾: يرى عملكم. إن ظللتم تاركين التفكير غير مقدِّرين كيف ترون؟!

سيدنا موسى عليه السلام كان لهم نور الهدى لكن لم يروا به ظلُّوا عمياناً، لابد من الاستنارة بهذا السراج المنير لكي ترى الحقائق، وهكذا حال أصحاب رسول الله ﷺ استناروا به فرأوا. إذا كان عملكم عالياً يرفع شأنكم، الإنسان الصحيح مسلكه عالٍ يحب كل الخلق ويريد الخير لهم {**ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**}[8].

130- ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ**﴾: أمهلهم سنين عديدة، لم يهلكوا فوراً بل طاولهم الله سنين عديدة رحمة بهم. لو كان الأمر أناساً للجنة وآخرين للنار لذهب بهم رأساً. ﴿**وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾: ومحْل. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾: هذا الرب. إذن أما هو عادل: هل خلق أناساً للجنة وأناساً للنار! فلله الحجة البالغة.

سورة الأعراف: [131-140]

131- ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ**﴾: إن أقبلت السنة وهطل المطر قالوا هذا بسعينا بعملنا بكدِّنا. ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ**﴾: لا يعلمون مأْتى هذه السيئة، فإن أمحلت قالوا هذا من موسى. ﴿**أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ**﴾: عملهم سبب ما يحل بهم. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: لا إلٓه إلا الله.

132- ﴿**وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آَيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾: صمَّموا.

133- ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ**﴾: أكل زرعهم. ﴿**وَالْقُمَّلَ**﴾: حشرة تحت شعر الجسم يضايقهم بجسمهم. ﴿**وَالضَّفَادِعَ**﴾: في ماء شربهم. بنو إسرائيل ماؤهم نقي بعكس قوم فرعون. ﴿**وَالدَّمَ**﴾: أيضاً في الماء، عند الشرب يصب كأس الماء فيظهر فيها الدم. ﴿**آَيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا**﴾: عن آيات الله ما فكَّروا فيها. ﴿**وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ**﴾: ليس فيهم خير قط، فمن لا يفكِّر لا خير منه. ملتهون بالرذيلة فما فكَّروا بآيات الله.

---

[8] سورة البقرة – الآية:208.

134- ﴿**وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ**﴾: تقول الله رحيم كريم. إن كان حقاً رحيم رفع عنَّا. ﴿**لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ**﴾: البلاء. ﴿**لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾: لمَّا أصابهم البلاء قالوا ذلك، لكن التوبة الصحيحة لا تكون إلا عن شهود عند الإيمان، أما التوبة عند الشدَّة فلا تفيد، لابدَّ من الرجوع للمعصية. فكِّر وآمن إيماناً يقينياً عندها تتوب. المؤمن ظنه بالله حسن لحسن نفسه، والفاسق ظنُّه سوء لسوء عمله.

135- ﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ**﴾: أجلهم المحتوم، كل إنسان له أجل فلمَ الجبن والخوف! لعل يومك قريب ماذا أعددت له؟ ﴿**إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ**﴾: العهد. وكذلك حال كل إنسان لا يؤمن إيماناً حقاً ينكث مهما أصابته من شدائد ثم تاب لابدَّ أن ينكث.

136- ﴿**فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ**﴾: في البحر غرق فرعون وجماعته. ﴿**بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾: لم يفكِّروا فيها. وهذه عبرة لنا. فرعون غرق ومات وذهب، لكن القصد من هذا أن تفكِّر أنت وتعتبر. يطاول الله تعالى الإنسان رحمة به. لولا رحمته لأخذ هذا الإنسان لأول ذنب يصدر منه.

137- ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا**﴾: حكموا من مصر للعراق. ﴿**الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾: على بني إسرائيل رفع شأنهم وهو بيت المقدس، أعطيناهم فلسطين وحكموا من مصر للعراق. ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا**﴾: أعطيناهم الدنيا رفعنا شأنهم. ﴿**وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾: زلازل هدمت الأبنية العالية وذهبت بالأشجار والحدائق والمزارع والبساتين هذه قبورهم فكيف كانت قصورهم! كلها دمَّرها وذهب بها. أهلكَ تعالى فرعون وجنده، وبقية قومه دمَّرهم. فيا إنسان لا تعتمد على بنايتك ولا سيارتك ولا على صحتك كله زائل. فكِّر لتسعد وتسير بالحق.

138- ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ**﴾: ضرب موسى عليه السلام بالعصا فلحق بهم فرعون وغرق. وبنو إسرائيل رأوا ذلك بأعينهم ومشوا بأرجلهم على البحر، ومع ذلك ما آمنوا الإيمان الصحيح، إذ أنهم لم يفكِّروا فما استدلوا بأنفسهم. فهل بعد هذه الآية آية! ﴿**فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ**﴾: وهذا امتحان من الله لبني إسرائيل. ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾: فبعد أن رأوا ما رأوا من معجزات وبعد أن نجَّاهم الله من فرعون، لمَّا رأوا القوم الذين يعبدون الأصنام طلبوا من رسولهم ذلك. ليس إيمان الناس اليوم وإقرارهم بالإيمان الحق، فإيمانهم لا يحجزهم عن المحارم ولا يذوقون به النعيم السامي، ولا يسمو بهم على الأمم ولا يرفع عنهم ذلاً ولا ينقذون به ضالاً ولا هالكاً ولا مريضاً. ﴿**قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾: ما سيأتيكم من هذا وما وراءه. تجهلون: أنتم لا تعرفون الله. فهؤلاء صدَّقوا وعظَّموا رسولهم صورة ولو قدَّروه حقّاً لطبَّقوا دلالته، سحرة فرعون بلحظة عرفوا الله. هؤلاء لم يعرفوا شيئاً عن الله. فعلوا ذلك حيث إنهم لم يفكِّروا بالله ولم يعظِّموا موسى عليه السلام: قالوا ما قالوا. إن لم يؤمن الإنسان فلن يصلِّ، وإن لم يصلِّ فلن يعرف أهل الكمال ولن يعرف الله. فلابدَّ من التقدير والتعظيم للرسول. وكذلك مع الله تعالى فإن لم يفكِّر فلن يقدِّر ولن يعظِّم خالقه.

139- ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ**﴾: عملهم متقطِّع. مقطوع خيره. ﴿**مَا هُمْ فِيهِ**﴾: هلاك عليهم. ﴿**وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: هذا يجعلهم متقطعين متفرقين لا يجعلهم يعرفون الإنسانية. لكن عبادة الله تجعلكم كلكم متَّحدين يداً واحدة إنسانيين. الآن أناس يحلِّلون القليل من الربا، كشف شيء من عورة المرأة.

140- ﴿**قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾: ألا تفكِّرون في هذا الفضل! يريد أن يرفع شأنكم لتكونوا أهل إرشاد وهو فضَّلكم على العالمين. فبنوا إسرائيل لما تَركوا تُركوا.

سورة الأعراف: [141-150]

141- ﴿**وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ**﴾: اذكروا فضله ونعمته، ذكِّرهم بهذا. ألا تفكّرون في هذا يقول لكم ربكم. ﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾: أنسيتم هذا الفضل والإحسان؟ ﴿**يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ**﴾: اختبار لما كان في أنفسكم من خبث، إن رجعتم لماضيكم شدَّد أيضاً عليكم. ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾: لكي ترجعوا إلى الله. ابتلاكم لتصبحوا إنسانيين مؤمنين.

142- ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً**﴾: في شهر رمضان صام ثلاثين حصل له الفناء في الله. ﴿**وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**﴾: زاد الله له هذه الأيام العشرة حتى يستطيع أن يوفق بين حبه لله وواجبه تجاه قومه. 30 خلوة، 10 مناجاة، الآن نصوم شهر رمضان {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[9].

فسيدنا موسى صام حتى صار له الفناء عن نفسه عن وجوده وعن الكون كله. حصل له فيها الفناء في الله وفي العشر الأخير حصل له البقاء.

﴿**وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**﴾: ليحصل له البقاء، يعرف نفسه ويعرف ربه. وحتى صار واعياً لتلقّي الأوامر. فبالصوم في رمضان يحصل شهود للكمال الإلٓهي وعشق ومحبة، وبعد ذلك يحصل له بقاء: يغدو مع الله ومع الخلق. ﴿**فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى**﴾: قبل ذهابه للمناجاة. ﴿**لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ**﴾: سيِّرْهم بالإصلاح. ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾: لا تسكت لهم عن فسادهم، ردَّهم عنه حذِّره منهم.

143- ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ**﴾: طلب ذلك حباً وعشقاً فمن حبه لله صار له شوق لرؤية الله رؤية جمالية كبرى طمحت نفسه المَشُوقة لها وهذا العطاء الرهيب لا يناسبه في الدنيا، إذ يصعق المادة وهي نفوس غير مكلَّفة فتتخلَّى عن وظائفها، وقد عجزت الصخور الصم الصلاب في الجبل عن تحمُّل تجلِّيها الجلالي الجمالي وهذه الرؤية ليست كالمشاهدات العادية للحضرة الإلٓهية المقنَّنة بحيث لا تلتفت النفس عن وظيفتها بالكلية وهذا العطاء العظيم محفوظ لسيدنا موسى عليه السلام للآخرة ولا يناسب نيله في الدنيا ولكنه عليه السلام تطلبَّه فأراه تعالى صاعِقية مفعوليتهُ الجماليّة على كافة النفوس عندها قال ﷺ إني: {**تُبْتُ إِلَيْكَ**}: عن طلبه في الدنيا. {**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**}: بك للناس، لهدايتهم لشهود أسمائك الحسنى ولسعادتهم في الدنيا وسعادتهم الكبرى في الآخرة. ﴿**قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾: وجودك "الجسدي" لا يستطيع المشاهدة، يفنى ويذوب. ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾: انهدم من التجلي الإلٓهي الجمالي. وفني الجبل ﴿**وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا**﴾: الفناء، حصل له فيها الفناء في الله. ﴿**فَلَمَّا أَفَاقَ**﴾: البقاء: في العشر الآخر حصل له البقاء بالله. ﴿**قَالَ سُبْحَانَكَ**﴾: ما أعظمك! ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾: لن أسأل بعد ذلك رجعت عن هذا الأمر. ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: بك، أوَّل من يطبق أوامرك.

144- ﴿**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ**﴾: بهذا الإقبال وهذا الحال ولما قدمت من أعمال عظيمة. ﴿**بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ**﴾: قم للإرشاد والهدى. ﴿**وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾: أدِّ حق هذه النعمة، فالعطاء الإلٓهي بحسب السعي والأهلية والإمكانية.

---

[9] سورة البقرة – الآية:183.

145- ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ**﴾: ألواح صدره الشريف عليه السلام. أي في صدره على صفحات نفسه ﴿**مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾: مما يلزمه في الحياة. ﴿**مَوْعِظَةً**﴾: للخلق.

﴿**وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾: طبع الله تعالى في نفس رسول الله ﷺ. أما سيدنا موسى عليه السلام كتب له في الألواح. ﴿**فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ**﴾: بحزم ﴿**وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا**﴾: بما يأمر بالمعروف منها يسيرون بالأوامر ويتركون النواهي حيث فيها أمر الخير ونهي عن المنكر فأمرهم أن يأخذوا بهذه الأوامر الخيّرة. ﴿**سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**﴾: ستأخذون بلادهم.

146- ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ**﴾: من يرى لنفسه مكانة لا يرى شيئاً مما تحدِّثه به من آياتي ودلالتي التي أرسلتك بها. أولئك لن يروا الهدى ما داموا متكبرين يكذبون بآياتي. ﴿**فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾: الكبر على المتكبر حسنة، لكن بغير الحق ليس لك أن تتكبَّر. اعرف نفسك من أنت. فكِّر في بدايتك ونهايتك تخرج من الكبر. الفضل في كل شيء فضل الله. المتكبِّر ما صفته؟! ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ**﴾: مما تبينه لهم. ﴿**لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**﴾: يسيرون بالفساد. سبب ذلك كله: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾: حيث ما نظروا لم يفكِّروا بالكون فما عظَّموا الله تعالى، فإن لم تفكِّر في الكون فلن تسير بالحق مهما سمعت. ﴿**وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾: **"الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا".**

147- ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾: ممن سبق الذين لم يفكِّروا. ﴿**وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ**﴾: المكذب الذي لا يفكِّر تنحط أعماله. ﴿**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾: كانت أعمالهم منحطَّة واطية. المؤمن لا يصدر منه إلا كمال. الناقص الإيمان ناقص الأعمال. ﴿**هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: المنحط الأعمال ماذا نعمل به ألا نعطيه حقَّه! ماذا كانت نتائجهم! انظر كيف أهلكهم الله نتيجة أعمالهم. إذن كل امرئ بحسب حاله وعمله. فمن كان عمله طيّباً يوفَّق للطيِّب والعكس صحيح. إن أصابك مكروه فلا تلومنَّ إلا نفسك؛ المؤمن يدعو لمن أساء إليه.

148- ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ**﴾: مما يستحلونه في الدنيا. ما يرونه حلواً. ﴿**عِجْلاً**﴾: استعجلوا على الدنيا العاجلة. ﴿**جَسَداً**﴾: عندما ذهب سيدنا موسى عليه السلام للمناجاة جاء قارون فجعل لهم من الذهب صنماً (عجلاً) من العاجلة الدنيا. ﴿**لَهُ خُوَارٌ**﴾: تميل له النفس، إذ تستحليه. ومن مال إليه تنحدر نفسه لكل دنيئة. ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً**﴾: ما منه شيء. ﴿**اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ**﴾: لأنفسهم. هذا ما فعله زعماء بني إسرائيل، أما الذرية فآمنوا.

149- ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**﴾: لما جاء سيدنا موسى عليه السلام كسر الصنم ولما رأوه قد تكسَّر. ﴿**وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: لما أعد لنا من الخيرات. ندموا لكن هذه الندامة لا تفيد، إذ أن الإيمان لم يستحكم بأنفسهم فما صار لهم علم بلا إلٰه إلا الله: الإيمان الصحيح أصل.

150- ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ**﴾: عليهم ﴿**أَسِفاً**﴾: وعلى جهوده. ﴿**قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ**﴾: أما انتظرتم ريثما آتيكم بالأوامر من ربكم وأبيّنها لكم! ﴿**وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي**﴾: حيث إنهم لم يروا منه المعجزات. ﴿**وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي**﴾: صدَّقوا موسى ما صدقَّوا هارون عليهما السلام. ﴿**فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾: ما استطعت ردَّهم.

سورة الأعراف: [151-160]

151- ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ**﴾**:** لسنا منهم. ﴿**وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾**:** بنا جميعاً.

152- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ**﴾**:** استعجلوا وأحبوا الدنيا العاجلة، وعلامتها البخل: البخيل محب للدنيا. ﴿**سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾**:** إذ لا يعمل معروفاً ولا خيراً، وجهته الدنيا. ﴿**وَذِلَّةٌ**﴾**:** أيضاً. ﴿**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ**﴾**:** كل من يعمل هذا فهذه معاملته. ﴿**نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾**:** كل مفترٍ هذا حاله.

153- ﴿**وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآَمَنُوا**﴾**:** الله تعالى فتح لهم باب التوبة: انظر رحمته وحنانه. إذا أحب الدنيا ثم آمن وأزاحها من قلبه: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾**:** يشفيه ويهديه.

154- ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ**﴾**:** عندما غضب سيدنا موسى عليه السلام ترك كل شيء من علوم كان يريد تعليمها لقومه لأنه عليه السلام شاهدهم واقعين بالضلال: ﴿**أَخَذَ الْأَلْوَاحَ**﴾**:** التوراة التي نزلت في ألواح نفسه الشريفة صفحةً وراء صفحة والله أظهرها على شكل ألفاظ ﴿**وَفِي نُسْخَتِهَا**﴾**:** معاني التوراة مطبوعة بنفسه عليه السلام وكل من التفت إليه شاهد معانيها وانتقل هذا الشيء لنفوس أصحابه بعدها هم ينشرونها للناس ﴿**هُدىً**﴾**:** نور ﴿**وَرَحْمَةٌ**﴾**:** لكن مشروطة: ﴿**لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾**:** لمن صار له خشية من الله. فمن آمن بلا إلَه إلا الله يرى ربه معه كيفما اتَّجه. ومن لم تحصل له رهبة فماله هدىً ولا له رحمة وأثناءها صار نفع خاص حيث أن قومه لم يكفروا كلهم. وظل بنو إسرائيل تحت العلاج حتى المسجد الأقصى حيث نزلت التوراة. {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَآَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا**}[10].

155- ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا**﴾**:** هؤلاء علماء بني إسرائيل حينما أمرهم موسى عليه السلام لقومه أن يقتلوا أنفسهم العلماء طلبوا العفو من الله لقومهم فبين سيدنا موسى عن لسان الله أن توبة قومهم لا تكون إلا بقتل أنفسهم فما صدقوا وعارضوا وقالوا نريد أن نسمع نحن من الله هذا الأمر. قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونسمع منه وحيث أنهم لم يصدقوا موسى عليه السلام طلب منهم أن يختاروا سبعين ليسمعوا الأمر الإلَهي الذي كان موسى عليه السلام قد بلغهم إياه، وهو أن يقتلوا أنفسهم لتحصل لهم التوبة. لو قدروا وصدقوا رسولهم لما ركنوا لعلمائهم وطلبوا منهم الذهاب مع موسى عليه السلام بل لطبقوا دلالته وعظموه، القتل لتحصل لهم التوبة لأنه بهذا القتل عندما يرى الأب أنه سيذبح ابنه عندها تخرج الدنيا من قلبه. والابن لما يرى بأنه سيُذبح تخرج الدنيا. فالسبعون: كي يذهبوا معه ويسمعوا أمر الله. ذهب بهم سيدنا موسى: ﴿**فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾**:** حينما طلبوا رؤية الله جهرة تجلَّى تعالى على الجبل فماتوا. لما رأى سيدنا موسى عليه السلام أن السبعين رجلاً الذين يريدون أن يشهدوا لقومهم قد صُعقوا وماتوا عزَّ عليه الرجوع إلى قومه منفرداً فخاطب ربه في سره قائلاً: ﴿**قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ**﴾**:** عند طلبي العالي في رؤياي لجمالك السامي العظيم. لو حققت شهوتي الفاضلة لكان في تحقيقها ذوبان جسدي ولهلكت وخسرت وظيفتي، وبكلمته هذه يرجوا ربه ضمناً أن يحلم عليهم الآن كما حلم عليهم من قبل فيعيدهم إلى الحياة ليرجعوا معه إلى قومه فلئن عاد لقومه وحده وعرف قومه ما حل بنوابهم قد ينقطعون عنه عليه السلام ولا يعود يجد المجال للأخذ بأيديهم إلى الإيمان ﴿**أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا**﴾**:** أي الذين عبدوا العجل: هذا لا يكون منك يا رب وأنت يا رب لا تفعله.

---

[10] سورة الإسراء – الآية:1–2.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: لهم حتى أخرجت ما فيهم من خبث: إن ما فعل السفهاء جرى بعلم منك لتُخرج من أنفسهم شهواتهم وفَتَنْتَهُمْ بالدنيا لتُخرجها من قلبهم. **﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾:** حيث بعد خروج الشهوة من النفس تكون المعالجة والمداواة فتنصب الشدائد على هذا المريض "مريض القلب" حباً، وينزل الله تعالى به المصائب ما يجعله في ضيق وهم وغم فلا يجد ملجأً من الله إلا إليه وهنالك وبمثل هذا الحال تجده يَضِلُ الشهوات وتخلص نفسه من كثير مما فيها من دناءات ولا تعود تخطر له على بال. **﴿وَتَهْدِي﴾:** المحسن تفتنه بالخير. **﴿مَنْ تَشَاءُ﴾:** ممن رجع إليك وأناب. **﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾:** لا شافي للقلوب والنفوس إلا أنت، والشفعاء بك يشفعون. وذلك بإدخال أنفس المرتبطين عليك فتشفيهم أنت يا رب فلا غافر إلَّا أنت.

156- **﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾:** بعد أن ذبحوا بعضهم. **﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾:** من تشديد ورخاء، فهذا القتل كان رحمة بهم، إذ كان بقلبهم إصرار على حب الدنيا. عند الذبح خرجت الدنيا من نفوسهم ونالوا نعيماً بالآخرة. **﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾:** من صارت له تقوى، إذ بإقباله حصلت له طهارة. زكاة وبصلاته نال الزكاة. يصبحون رحماء أصحاب حنان. **﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾:** الطهارة لأنفسهم. **﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾:** يؤمن بالآيات يفعل المعروف فتحصل له صلة مع الله ويقدِّر أهل الكمال يرافقهم فتحصل له التقوى.

157- **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾:** من بعدك يا موسى، وهو رسول الله ﷺ تؤمُّ إليه جميع البشرية. معنى الأميّ: تؤمُّ له كل الخلق من آدم عليه السلام إلى القيامة. فكل المؤمنين والرسل جميعهم يؤمُّون إليه إلى آخر البشر لا يدخلون على الله إلا برفقته. **﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾:** حب الدنيا يزول من قلبهم. **﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾:** مسحوبون بها إلى الدنيا. **﴿فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾:** عظَّموه عن مشاهدة. **﴿وَنَصَرُوهُ﴾:** أيدوا كلامه. **﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾:** القرآن. **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:** أضحوا أهلاً للعطاء الإلٓهي. الله تعالى يبين لنا مخاطباً رسوله الكريم:

158- **﴿قُلْ﴾:** أي قل لهم. **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾:** عامة جميع الخلق. مادام رسول الله ﷺ لكلِّ البشر، لماذا لم يعلِّمه كافة الألسن؟ **﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾:** لا مسيِّر غيره. **﴿يُحْيِي﴾:** بالإقبال تحيا فتعمل المعروف تصبح إنساناً فاعلاً للخير. كلك معروف إحسان خير. **﴿يُحْيِي﴾:** المقبل عليه يحيا قلبه فينطلق بالأعمال العالية. **﴿وَيُمِيتُ﴾:** الانقطاع عنه، فإن أدبرت عنه متَّ فلا عمل خير لك أبداً، والمدبر عنه تعالى يموت قلبه فيصبح منحطّاً. ولكي تنالوا ذلك: **﴿فَآَمِنُوا بِاللَّهِ﴾:** اجتهد. انظر إلى الكون لنفسك كيف حصلت التربية. **﴿وَرَسُولِهِ﴾:** من بعدي إن آمنت بالله آمنت برسوله.

﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾: تؤم له الخلائق، البشرية كلها، هذه هي الشفاعة. الشفاعة لا تكون إلا باتباع رسول الله ﷺ. آيات كثيرة تدلُّ على أنه شفيع العالمين، لكن هذه الشفاعة بالارتباط النفسي برسول الله ﷺ. **﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾:** بلا إلٓه إلا الله.

﴿وَكَلِمَاتِهِ﴾: يعرف معاني القرآن. فإن آمن الإنسان بلا إلٓه إلا الله صار كلام الله معلوماً عنده. **﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾:** بالارتباط به، رافقوه بأنفسكم. **﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:** للخيرات المعدة لكم. إن ارتبطت برسول الله ﷺ نلت الشفاعة دخلت معه على الله استنرت بنوره حزت التقوى.

{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً}[11] برسول الله ﷺ

{إِنَّا أَرْسَلناكَ شَاهِداً وَمُبشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعياً إِلى اللَّهِ بإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنيراً}[12].

إن دخلت بصحبة رسول الله على الله صار لنفسك شفاء فغُفرت لك ذنوبك كلها، إذ تطهر نفسك. الله أحق من الجميع عليك "بارتباط النفس بنفس رسول الله ﷺ تدخل معها على الله" تحصل لك التقوى فترى خيرك من شرّك: ترى الخير خيراً والشر شراً. ما من أحد يريد الشر لنفسه لكنه ولعمى نفوس الناس يلحقون الشر يحسبونه خيراً.

159- ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ**﴾**:** منهم صلحاء يهدون بالحق. ﴿**وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾**:** ما كانوا كلهم فاسقين. أمروا بالدخول للقدس قالوا اذهب أنت وربك... فتاهوا.

160- ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً**﴾**:** كل سبط له إمام. ﴿**أُمَماً**﴾**:** فلما استنكفوا عن الدخول للقدس صاروا فرقاً. ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً**﴾**:** يدل ذلك على عدم تحابب بني إسرائيل وإلا لكانت عين واحدة تكفيهم ويُسقون منها، حتى لا يقع بينهم خصومات حيث أنهم ضعفاء لم يكتسبوا كمالاً، وهذه العناية كلها من الله بهم على أمل رجوعهم. ﴿**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾**:** كذلك ما لم يخالف الإنسان فلا عقاب عليه لكنه يظل متأخراً لا عمل له. ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾**:** حرموا أنفسهم من الخير. إن جميع هذه القصص التي يتلوها الله في كتابه الكريم تدل على أنه لا إلّه إلا الله، من قصة سيدنا موسى وغيرهم من الرسل الكرام صلوات الله عليهم. إن الله هو وحده المسير للخلق بيده كل حركة وسكنة يجب أن يؤمن الإنسان بذلك ليدخل في طاعة الله وإلا ما هو بمؤمن، ولا يحصل الإيمان إلا بالتفكير بألاء الله وآياته للتوصل إلى معرفة أسمائه الحسنى، وإلا بالتفكير بالموت ليزداد تعلق المؤمن بالآخرة وهي دار البقاء.

سورة الأعراف: [161-170]

161- ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**﴾**:** بيت المقدس. ﴿**وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾**:** طاعة لك يا موسى أي "طاعة لله": قال لهم آمنوا بلا إلّه إلا الله، ضعوا الطاعة بين يدي موسى عليه السلام طبّقوا. {**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**}[13].

الرسول يجب أن يُطاع لأنه مبلِّغ عن حضرة الله تعالى. ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ**﴾**:** ادخلوا على الله من باب موسى استشفعوا بموسى عليه السلام. ﴿**سُجَّداً**﴾**:** طائعين طالبين الهدى، من باب موسى ادخلوا عليّ. حيث أن الدخول بمعيَّته يجعل التجلي الإلّهي مناسباً فلا يحترقون من شدّته. إن فكَّرتم وآمنتم بلا إلّه إلا الله صلَّيتم ثم دخلتم عليَّ من بابه. كذلك المريد إن لم يطبق دلالة مرشده فلن يعرف قدره ولن يدخل بالرابطة معه على الله. يتم الارتباط بالتقدير والتعظيم: آمن بلا إلّه إلا الله وطبّق ما يرشدك إليه ثم انظر النتائج. قال لهم تعالى ادخلوا بمعيّة موسى عليه السلام: كل قوم ولهم شفيع. رسول الله

---

[11] سورة آل عمران – الآية:102–103.

[12] سورة الأحزاب – الآية:45–46.

[13] سورة النساء – الآية:65.

عليه الصلاة والسلام شفيع العالمين. ﴿**نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ**﴾: للمسيئين منكم، عندها يشفيكم من كل شيء سيء من أنفسكم. ﴿**سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾: منكم المحسن نزيده من نعمنا. قال الذين لا يعرفون قدر القرآن بأن فيه قصصاً كثيرة عن موسى: دوماً موسى موسى موسى! الحقيقة لكلِّ قصة مغزى والكل يدور حول التعريف بكلمة لا إلّه إلا الله. لنرجع لجدِّ سيدنا موسى عليه السلام وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي استدلَّ بفكره أن عبادة الأصنام لا أساس لها ومازال يبحث ويفكِّر حتى اهتدى إلى الله سبحانه وتعالى فقال: {**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**}[14]

لما آمن بهذا وعرف أن الإلّه واحد وهو معه حيثما سار عاد إليهم يذمُّ آلهتهم مبيّناً لهم ضلالهم إلى أن فعل ما فعل بآلهتهم، ولكن كيف قام بهذا وهو وحيد وقومه كلهم ضده؟ عندما آمن بلا إلّه إلا الله عرف أن السير كلَّه بيده ففعل ما فعل. جرت مجادلة بينه وبين النمرود فبُهِتَ الذي كفر. كان بإمكان النمرود أن يقتل إبراهيم عليه السلام في الحال، لكن الله تعالى ألهمه أن يأمر بحرق إبراهيم عليه السلام. وألقى الله في قلب إبراهيم عليه السلام الشجاعة والثبات وألقي في النار فأنجاه الله من النار ليُريَ قوم إبراهيم عليه السلام معجزة علَّهم يرجعون. ثم كان بإمكان النمرود أن يقتله لكنه تعالى حوَّل فكر النمرود فجعله يأمر بإخراجه من بلده بدلاً من قتله، مع أنه لو كان له حول أو قوة لأمر بقتله. لو كان له فعل لتخلّص منه لكن السير كله بيد الله: وهلك الكافرون في النهاية. خرج سيدنا إبراهيم عليه السلام ورزق بإسماعيل عليه السلام فلما أحبه ذلك الحب الشديد أمره الله بذبح ابنه ثم فداه: كل ذلك يجريه الله تعالى لنعلم أن الفعل بيده تعالى وحده، وأن الحب يجب أن يكون خالصاً لله. جاء سيدنا يعقوب عليه السلام جد بني إسرائيل، ولمَّا مال إلى يوسف عليه السلام من دون إخوته أرى الله تلك الرؤيا ليوسف عليه السلام: فهام يعقوب بابنه عليهما السلام وكان ما كان: لينقطع يعقوب عن ابنه؛ لأنه بعدُ مازال دونه في المكانة فما أن نضج يوسف فصار أهلاً لأن يمشي يعقوب في معيته حتى جمعه به. كذلك أولاد يعقوب عليه السلام، المراد من قصتهم مع سيدنا يوسف عليه السلام: أن الإنسان إن تاب أمكن رفع شأنه. وبنو إسرائيل، كل قصتهم إنما ذكرت لتبيّن لنا أن الفئة القليلة إن رجعت إلى الله سيَّدها على غيرها. أما إن فسدت ذلَّت، كما وقع لهم مع فرعون. كل ذلك عبرة لنا من بعدهم كيلا نسير بسيرهم: {**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ...**}[15].

فلما التجأوا أرسل الله سيدنا موسى عليه السلام. قبل مجيء سيدنا موسى عليه السلام أرى تعالى فرعون رؤيا يحذِّره بها حناناً عليه ورأفة به علَّهُ يرجع ويرعوي عن غيّه وضلاله. وبما أنه لم يرجع بل قتل وذبح، أرانا تعالى كيف ربى موسى عليه السلام ليرينا أن الفعل بيده تعالى وحده. إذ ساق موسى لقصر فرعون: كل ذلك لنعرف أن الفاعل هو الله وحده لا تصرُّف إلا به. ثم ردَّ موسى عليه السلام لأمه، إذ حرَّم عليه المراضع ثم بيَّن لنا تعالى أنه لا يعطي الرسل إلا بالحق. شبَّ سيدنا موسى وكان في عزَّة ونعيم لكنه جازف بكل ذلك تجاه نصرة الحق، تجاه مرضاة الله: وذهب سيدنا موسى إلى شعيب عليه السلام وعاد إلى فرعون، وفرعون كان خائفاً ذلك الخوف من رؤياه التي رآها في نومه. فلمَ لم يقتل موسى عليه السلام! هذا دلالة بأن الفعل بيد الله وحده فلا فاعل إلَّا الله.

بدلاً من قتل موسى عليه السلام قال له فرعون هل معك آية؟ وألقى العصا وكانت المباراة ووقع الحق. هنالك عظم السحرة موسى عليه السلام. اتَّجهوا نحوه فاستناروا بذلك السراج شاهدوا الكمال

---

[14] سورة الأنعام – الآية:79.

[15] سورة البقرة – الآية:79.

الإلّهي فسجدوا وهاموا. أمَّا بنو إسرائيل حيث إنهم لم يعرفوا شأن موسى عليه السلام فلم يؤمنوا ذلك الإيمان الذي آمنه السحرة. جرت مناقشات بين فرعون وقومه وما تجرَّأ أن يؤذي سيدنا موسى عليه السلام.

وأخيراً لم يُهلك الله فرعون مباشرة بل أراهم معجزة البحر علَّهم يرجعون. ثم ألقى الموج فرعون على ساحل البحر لعل بني إسرائيل يتعظون، ولكن وبما أنهم لم يؤمنوا بلا إلّه إلا الله عندما مرُّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا اجعل لنا إلّهاً كما لهم آلهة، ثم كانت قصة عبادة العجل وذهاب السبعين مع سيدنا موسى عليه السلام يستغفرون لقومهم، فلما قال لهم إن الله يأمركم بقتل أنفسكم لم يصدِّقوه بل قالوا لن نؤمن لك بهذا القول حتى نرى الله جهرة ونسمع منه فصُعِقوا ثم قتلوا أنفسهم. لكن وحيث إنهم لم يؤمنوا بلا إلّه إلا الله عندما أُمروا بفتح القدس لم يطيعوا ووقعوا في التيه أربعين سنة ودخل بعدها في بيت المقدس.

162- ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: أنفسهم منهم. ﴿**مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾: لا أطاعوا الله ولا دخلوا الباب مع موسى عليه الصلاة والسلام. أيضاً الذين جاؤوا بعدهم شذوا. ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً**﴾: البلاء والأوجاع والفقر، كما أرسل الله عليهم ملِكاً قوياً هدَّهم هداً. ﴿**مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾.

163- وقبلها: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**﴾: "يافا" التي كانت جانب البحر. ﴿**إِذْ يَعْدُونَ**﴾: يتجاوزون الحد باعتدائهم على الأسماك: ﴿**فِي السَّبْتِ**﴾: وكانوا لا يأتون بعمل في هذا اليوم. ﴿**إِذْ تَأْتِيهِمْ**﴾: الأسماك. ﴿**حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ**﴾: عندما لم تحصل لهم خشية وإيمان أخذوا يعملون حيلاً. ففي يوم السبت يوم الانقطاع عن العمل كانوا يفتحون حفراً فتدخل لها الحيتان يصطادونها يوم الأحد. ولو آمنوا بلا إلّه إلا الله لرأوه رقيباً شهيداً عليهم ولما فعلوا ذلك.

﴿**إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ**﴾: يتجاوزون الحدّ. ﴿**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً**﴾: تأتيهم ظاهرة فبنوا جُوَراً يوم السبت تقع فيها والأحد يصيدونها. ﴿**وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ**﴾: لكن لماذا جعلنا الحيتان تأتي يوم السبت؟ ﴿**كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾: حيث إن أنفسهم خبيثة ابتلاهم بهذا ليخرج ما فيهم. وكذلك نجس القلب يبلوه بامرأة فاجرة فيزني بها ويخرج خبثه ثم يرسل له مصيبة علَّه يصحو من غفلته.

"إذا كان في أمعاء الإنسان وخم لابدَّ من شربة مسهِّل لإخراج ما فيه".. فعلى الإنسان أن يطهِّر نفسه مما فيها حتى لا يبتليه الله. لقد ابتلاهم الله لما في أنفسهم من الفسق والضلالة ابتلاهم ليخرج هذا الخبث من أنفسهم.

عندها جماعة منهم نصحوهم:

164- ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً**﴾: العبَّاد قالوا ذلك فأجابهم العلماء. ﴿**قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ**﴾: نحن نفعل واجبنا وهذا ما نستطيعه ونكون قد قمنا بالواجب المترتب علينا. ﴿**وَلَعَلَّهُمْ**﴾: بنصيحتنا. ﴿**يَتَّقُونَ**﴾: الإنسان مهما كان إن أعطى أذنه علَّه يصحو.

165- ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾: نبذوه وراء ظهورهم. ﴿**أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ**﴾: بلاء شديد. بئس العذاب. ﴿**بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾: يخرجون عن طريق الحق، فما هو؟

166- ﴿**فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ**﴾: ما عبأوا بالإنذارات والتهديدات. ﴿**قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾: ذلك البلاء: مُسخوا قردة ليكونوا عبرة لغيرهم ثم أهلكهم الله... والآن أعمال المعرضين تُشبه أعمال الحيوانات: كلب، حيّة، ضبع... وبعد مسخهم ماتوا بعد 3 أيام. هذا الكلام كله عبرة لنا.

167- ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ**﴾: تأذن لليهود لبني إسرائيل أيضاً أعلن لهم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام. ﴿**لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾: هذا الإعلان في التوراة. إن لم يسلكوا طريق الحق كل ذلك لعلهم يتضرعون فيعودون عن غيهم: ﴿**وَقَضَيْنا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾[16]: أي إن لم تؤمنوا بلا إلّه إلا الله لابدّ لكم من أن تفسدوا في الأرض ونرسل عليكم عدواً يشتِّتكم وقد وقعت الأولى عندما جاءهم بختنصر. ثم خاطبهم تعالى بما جاء في سورة الإسراء ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدخُلُوا المَسجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيتَبّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً**﴾: وهذه آتية عليهم. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ**﴾: يعقّب كلاً بما يناسبه. ﴿**وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: رحمة بهذا الإنسان يعقّبه ليغفر له ويرحمه، حنانه تعالى لا يماثَل. أي إن آمنتم بلا إلّه إلا الله تحصل لكم المغفرة ولا تصيبكم هذه الوقعة الثانية. حيث إنهم لم يرجعوا قطّعهم الله تعالى:

168- ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً**﴾: أرسل عليهم من شتَّتهم صاروا أناساً في إيطاليا، في ألمانيا... وتشتتوا في العالم: في كل بقعة من الأرض فرقة تؤم دولة من الدول. ﴿**مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ**﴾: منهم تحت حكم أناس صالحين، الدول التي أمُّوا لها منها الصالح. ﴿**وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ**﴾: ومنها الكافر، ومنهم غير ذلك. ﴿**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾: كل هذا حباً برجوعهم، إذ أن أمامهم طريق للعودة والتوبة ولعلهم يرجعون.

169- ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى**﴾: جاه ومناصب ومال: اتَّخذوا الدين والدلالة لأخذ المال والمناصب، هذه غايتهم. ﴿**وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا**﴾: نتوب يشفع لنا. ﴿**وَإِنْ يَأْتِهِمْ**﴾: العلماء منهم الذين هم في عصرك يا محمد ﷺ. ﴿**عَرَضٌ مِثْلُهُ**﴾: من الدنيا. ﴿**يَأْخُذُوهُ**﴾: كما فعل الأولون. ﴿**أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ**﴾: في التوراة. ﴿**أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**﴾: بأن يتابعوك. ﴿**وَدَرَسُوا مَا فِيهِ**﴾: عنك. ﴿**وَالدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾: من سلك طريق الحق فحاز على التقوى. ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾: شيئاً مما جاءكم في كتاب الله.

170- ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ**﴾: يتبعون كلام الله ويمسّكون الناس بكتاب الله من أولئك الماضين وفي كل عصر. ﴿**وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾: وأحسنوا الصلة بالله، صلته مع الله مرتبطاً برسول الله ﷺ. ﴿**إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**﴾: كل واحد ينال حقه.

سورة الأعراف: [171-180]

171- ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ**﴾: عندما عبدوا العجل في غيبة سيدنا موسى عليه السلام "والعجل ذهب على شكل صنم" فلما رجع سيدنا موسى عليه السلام إليهم ورآهم قد ضلُّوا أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم فما صدَّقوه. ذهبوا معه للميقات ليسمعوا أمر الله عندما مال عليهم الجبل متزعزعاً. ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ**﴾: فأغمي عليهم. ﴿**خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾: لما صحوا بعد الإغماء قال لهم اتَّبعوا ما جاءكم به موسى وطبِّقوه بقوة. ﴿**وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: كذلك القرآن يجب تطبيقه بقوة. كذا جرى معكم يا بني إسرائيل ذلك لمَّا تبتم ورجعتم إلى الله بعد الوقعة الأولى أزاح الله تعالى عنكم بختنصر ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ**﴾: أزحنا ذلك العدو القوي عنهم ﴿**كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ**﴾: سحابة فوقهم ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُ**﴾: أن الهلاك ﴿**وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾: ما جاءكم به داود عليه السلام. ﴿**وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: فما فعلوا.

---

[16] سورة الأسراء – الآية:4.

172- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾: حين ظهورهم في عالم الأزل، عند بدء الخليقة. ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: فلا فضل لأحد على أحد، في الأصل الكل متساوون يومها، لكن بالاجتهاد والكد والصدق نالوا ما نالوا كلٌّ على حسب حاله. ﴿وَأَشْهَدَهُمْ﴾: كلهم. ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: ألست بربكم. خلق الخلق: من يأتي للدنيا لينال مرتبة عالية؟ الخلق تأخَّرت إلا الإنس والجن، حذَّرهم من عدم الوفاء حيث السقوط في النار. ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: واجب طاعتي. ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾: يا رب. ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: حتى لا تقولوا غداً ذلك، احذروا أن تقولوا. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: هذا القول. ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾: بيَّنت لكم الآن هذا البيان لئلا تقولوا ذلك. أنا الآن أذكِّركم بالميثاق.

173- ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾: لماذا لا تفكِّر! أعطاك الله فكراً كأبيك: فكِّر بالكون... لا تقل أبي، أهلي. فكِّر في طريق الحق واسلكه. أبيِّن لكم الآن كيلا تقولوا غداً إنَّما أشرك آباؤنا.

174- ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: حباً بكم لتعودوا للحق. ﴿وَلَعَلَّهُمْ﴾: البشر. ﴿يَرْجِعُونَ﴾: خلق الله البشر للجنة للسعادة.

175- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾: على يد موسى عليه السلام. وهو قارون رأى من سيدنا موسى معجزات كثيرة. رأى العصا، الحية، البحر، الحجر بالتيه انفجرت منه العيون. ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾: ما رأى شيئاً. ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: غلبت شهواته عليه عمل عمل الشيطان، عمل كالشيطان صنماً ليؤذي البشر. ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: ببعده عن الله. فالله سبحانه يقول: إياكم فكروا واعقلوا حتى تشاهدوا إذا لم تشاهد النفس تشذ قارون صار له صلاة عالية مع موسى عليه السلام لكن ما آمن ذاتياً بلا إلّه إلا الله.

176- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾: كان علا وصار له شأن عندنا لو رجع إلينا. ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: استحب الحياة الدنيا. إذن مشيئة الله متوقفة على اختيارك. لو لم يكن أخلد إلى الأرض لرفعه الله بها. الله تعالى أعطى الخيار للإنسان. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: هو اختار وصمَّم. ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾: إن شددت عليه ظل طالباً وإن أعطيته ظل طالباً لا يشبع من الدنيا. كالكلب دوماً مدلِّ لسانه، إن أطعمته يترك لسانه متدلياً أو تركته ومنعت عنه فهو على حاله: كذلك المعرض عن الله مهما نال ومهما أوتي من متاع الدنيا لا يشبع منها، عينه بها إن جاءته مقبلة، مهما نال منها يظل طامعاً بها. وإن حُرِم منها كذلك. حيث إنه لم يعرف لا إلّه إلا الله تعشَّق الدنيا فتمسَّك بها. ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: كل معرض لم يفكِّر هذا حاله. ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيعرفون نتائج الذي لا يؤمن بلا إلّه إلا الله.

177- ﴿سَاءَ مَثَلاً﴾: ما أبشع هذا المثل بحق حبَّابين الدنيا! ﴿الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: فما أبشع هذا الوضع الذي يضع نفسه به هذا الإنسان المعد للكمال! ﴿وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: هيأ الله له سعادة أبدية، فحرم نفسه منها.

178- ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾: من يهدي نفسه إلى لا إلّه إلا الله وأنه هو المسير. ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ﴾: نفسه عن لا إلّه إلا الله. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: ما أعددت لهم من فضل وعطاء. "لابدَّ أن ينبعث الإيمان من نفسك".

179- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: ألقينا. ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: ممن سبقكم، لكن الحق عليهم حيث جعلت. ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾: لكن. ﴿لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: الحق، تركها من دون الاستفادة منها. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ﴾: لا ينظرون بها، جعلت لهم أعين حتى ينظروا لكن ما استعملوها. ﴿لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: حقيقة آيات الله،

لا ينظر لا يسمع لا يفكِّر. ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: الهدى. ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾: كالجمل لا يفكِّر، إذ لا همَّ له إلا الأكل والشرب والنكاح كالحيوان. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: حيث أن الحيوان يؤدّي وظيفة، هم لا يؤدُّون، هذا الإنسان أعطي جوهرة ثمينة لكنه لم يستفد منها. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: عن لا إلّه إلا الله. لا يعرف ساعة موته، ناسياً إياها.

180- ﴿وَلِلهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: كلها خير عليك يا إنسان، الحمد لله رب العالمين لكن لا يعرفون أنها كلها حسنى. ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾: اطلبوا الخير بها بما فيها من خير، كلها خير بخير يجب أن تعلموا أيّ إحسانٍ تتضمن أسماء الله جميعها، كلها حنان وعطف وفضل عليك وكلها تصل للرحمن الرحيم. ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: هؤلاء الذين ينسبون لله الظلم ويؤولون السوء ولا يدركون كمالها دعوهم، الجبار رحمة، المنتقم رحمة. ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: السبب عملهم، لا يقابلهم الله تعالى بأي رد، فقط يجزون عملهم فما هذا التسامح. إن لم يعرف الإنسان حنان الله ورحمته كيف يقبل عليه.

سورة الأعراف: [181-190]

181- ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾: ليس كل الناس على ضلال. ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: هؤلاء أهل الجنَّة. مهما ساءت الأزمنة والزمان، **"الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة"**.

182- ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: لم ينظروا ولم يفكِّروا. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: نخرج لهم شهواتهم، لإخراج ما فيهم من خبث يعطيهم الدنيا. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: حيث لا يريدون الإيمان والشفاء بالإقبال بل الدنيا يطلبوا.

183- ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: لولا العمل كيف علاج النفس. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: أعطيهم شهوتهم ثم العلاج من بعدها. يرسل لهم شدائد علاجات لأنه تعالى لا يسخُو بهذا العبد، رحيم به.

184- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾: كل بيانه منطقي معقول ألا يفكِّرون من أين جاء بهذا البيان العالي من يبيِّن هذا البيان المنطقي بكافة الوجوه! ﴿بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾: لا يخفى عليه شيء إلا ويبيِّنه. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بين يدي عذاب أليم.

185- التفكير بآيات الله والتفكير بالموت هما دعامة الإيمان. فيجب على الإنسان التفكير إما بالموت أو بالكون وكلّ يوصل إلى الآخر: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من الممدّ لها كلها! لو انقطع الإمداد لانطفأت فهل يمد الكون كله وتركك! أولست أيها الإنسان جزء من أجزائه وقوانينه سارية عليك! كيف يمد الشمس! لولا الإمداد لقلَّ نورها سنة عن سنة. أليس من اللازم أن تنظر في الكون، الشمس، الكواكب، الأرض! خلقها لعباً أم لغاية: عبثاً! كل شيء وله نظام ووقت. الجمل له في صدره وركبه "مساند"، رقبته كالقبان، فلو لم يكن له هذا العنق الطويل لوقع عند تحميله فلا يستطيع النهوض، ولو لم يستطع الجلوس لصعب عليك تحميله. والبقرة لها غبب كي تجرّ المحراث. أو ليس هذا النظام كله من أجلك! أليس هذا كله كي تجتهد في الحياة ولتعمل الإحسان! هذا الإنسان ألا يجب عليه أن ينظر ويفكِّر في خلق السموات والأرض! لقد زيّنك تعالى بالفكر أفلا تفكِّر به!

إن لم تفكِّر فمثلك كمثل الحمار يمرُّ ويحمل ولا يفقه مما يمرُّ عليه شيئاً. أفليس في هذا الكون دلالة على لا إلّه إلا الله! ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: كله ضمن كمال. ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: ألا تفكِّر في هذه الساعة فترجع إلى الله! أفلا يفكِّر إن مات، لعل يوم الموت قريب فماذا أعدَّ لذلك! أفلا تفكِّر بهذا! إن لم تفكِّر بهذا كله. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾: ليس هنالك من إيمان

إلا بسلوك هذا الطريق، طريق التفكير بالموت والتفكير بالكون، إن لم تفكِّر بهذه وهذه فكيف تصل للإيمان! إن لم تفكِّر في ملكوت السموات والأرض وإن لم تفكِّر في الموت فلن تصل للإيمان: هذا ما يقوله رب العالمين لك. الأولى توصل للثانية وبالعكس الثانية توصل للأولى. فكِّر في الملكوت تصل للتفكير بالموت والعكس صحيح. الذي لا يفكِّر ما منه خواص.

186- ﴿**مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ**﴾: من يضل نفسه عن الله، حيث أنه لم يفكر ولم يتوصل للإيمان بلا إلٓه إلا الله. إذا أضل الإنسان نفسه عن الله امتلأت نفسه بالأوساخ فيطلقه الله لعمل الفواحش إخراجاً لما في نفسه. ﴿**فَلَا هَادِيَ لَهُ**﴾: فلا طريق للإيمان إلا من هذا الطريق. ﴿**وَيَذَرُهُمْ**﴾: للذين لم يفكروا بالمربي ولم يؤمنوا بلا إلٓه إلا الله. ﴿**فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾: يظل أعمى وقلبه وسخ، هذا يمتلئ قلبه بالمكروب فيُساق للعمل الذي يخرج ما فيه من خبث، فيرميه الله بالشدائد من شدَّة لشدة لعله يصحو.

187- بعد هذه الدلالة القيمة من النبي عليه السلام سأله قومه عن الساعة بدل أن يهتدوا بدلالته: ﴿**يَسْأَلُونَكَ**﴾: بعد بيانك هذا. ﴿**عَنِ السَّاعَةِ**﴾: لا ساعة مثلها، يسألونك عن الساعة متى وقوعها بدلاً من أن يفكِّروا في قولك ويتتبَّعوه، يسألونك متى هذه القيامة؟ حيث إنهم لم يعبؤوا بقوله سألوه هذا السؤال:

كذلك قد تنصح شخصاً بحرمة السينما، بدلاً من أن يفكِّر في ضررها يقول: كل الناس يذهبون. ﴿**أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾: متى وقوعها وأوانها؟ ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا**﴾: لا يظهرها ويدل عليها. ﴿**إِلَّا هُوَ**﴾: لا أحد يعلم وقتها، أنا مُبلغ لا أعلم الوقت. ﴿**ثَقُلَتْ**﴾: عظُمت: هولها عظيم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، نيران وزلازل لا تبقي ولا تذر، أتدري ما فيها من هول؟ فقط تسأل عنها! ماذا أعددت لها؟ لو فكَّر لعرف عظمة الله ولما سأل هذا السؤال بل لخاف منها. ﴿**فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: هول شدائد من السماء والأرض، من الأرض ينبعث بلاء ومن السماء بلاء. ﴿**لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**﴾: على غفلة على حين غِرَّة. لكن البلاء ما هو فقط بلاء الدنيا: بلاء في الدنيا وفي الآخرة. ﴿**يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا**﴾: كأنك لا تعرف شيئاً عنها، ولا تعلمها. كأنك فارغ من معرفتها لا تعرفها ولا تدري عنها شيئاً: تريد أن تُخلِّصهم من العذاب وهم يريدون أن يمتحنوك امتحاناً. وهم اليهود، إذ أرادوا امتحان الرسول ﷺ لأنها مذكورة عندهم. ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾: وقت وقوعها لا يعلمه سواه. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: هذا الهول الذي فيها. لا يعلمون شيئاً عنها ولا يفكِّر فيها أحد. والله عليم أن وقتها قريب جداً وجميع الإشارات وقعت. فما أشقى من لا يفكِّر ويستعد لها!

188- ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً**﴾: أنا أنصحكم وأنتم تسألونني عن الساعة. أنا عبد مثلكم لكن أنصحكم، أنا لا علم لي بالغيب. ﴿**إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾: لا أستطيع رد شيء ما عن نفسي إلا بإرادة الله. ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ**﴾: لأخذت، لدللت فقط الصلحاء. ﴿**وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾: ولمْ أتعرضْ لكم تؤذوني، أي الأذى منكم بهذا القول والتكذيب. لو كنت أعلم الغيب لماَّ حدَّثت من لا يؤمن بهذا ولما جلبت السوء لنفسي منه. كذلك ما مسني السوء بحُنين وأُحد. ﴿**إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**﴾: أنا هذه وظيفتي: مبلّغ لا علم لي بالغيب. ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾: وهم الناجون من زلازلها الرهيبة الشاملة. أنا لا علم لي إلا ما علَّمني ربي.

189- ﴿**هُوَ**﴾: صاحب الحول والقوة. ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾: آدم عليه السلام لا ميزة لشخص على شخص: كلهم في الأصل من نوع واحد. ﴿**وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾: حواء، امرأة ورجل. ﴿**لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا**﴾: تزوجها سيدنا آدم لحواء. ﴿**حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً**﴾: لم تشعر بأنها حامل. ﴿**فَمَرَّتْ بِهِ**﴾: أشهراً. ﴿**فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا**﴾: نسلاً. ﴿**صَالِحاً**﴾: أن يرسل لهما ولداً صالحاً. ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾: كل الرسل وكل المؤمنين يتطلَّبون من بعدهم خليفة. هنالك قول بأن آدم عليه الصلاة والسلام جاءه عشرون بطناً ذكراً وأنثى بكل واحد منهم. بعض البطون جاء منها أولاد

صالحين. من بعدهم جعل الناس تماثيل لهؤلاء الصلحاء تبرُّكاً بهم وصورة عنهم ثم بعد ذلك عبدوهم. وهذه قصة أصل عبادة الأصنام.

190- ﴿**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً**﴾: شيث عليه السلام. ﴿**جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا**﴾: هل جعلا؟ لا لم يشركا. آدم عليه السلام لم يجعل شريكاً: فإذا تفضَّل الله وجعل الأولاد صالحين هل تشاركونهم مع الله! الولي: هو المتابع لأمر الله لا الذي له فعل. يقال بأن البطن العشرين كان فرداً وولد له أولاد صلحاء سبعة، هؤلاء الأولاد ماتوا فوسوس الشيطان للناس من بعد أن يتخذوا صوراً بهم ثم تطور الأمر فأصبح تماثيل يعبدونها. هذا منشأ عبادة الأصنام. ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾: قومك بنسبة الفعل للأصنام.

سورة الأعراف: [191-200]

191- ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً**﴾: أهذا يكون شريكاً. ﴿**وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾: لا فعل ولا حول ولا قوة لهم.

192- ﴿**وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً**﴾: هذا الولي الصالح لا ينصر أحداً. ﴿**وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ**﴾: ولا يستطيع نصر نفسه إذا مرض، لا يستطيع دفع المرض عن نفسه. هل بيدهم شيء!

193- ﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ**﴾: قالوا نحن لا نعبد الصنم هو رمز عن الصالحين. ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ**﴾: لا يمكن أن يجيبوكم ولا حول ولا قوة لهم. فردَّ عليهم:

194- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: الصلحاء الذين مثَّلتموهم وصورّتم عنهم هذه الأصنام. ﴿**عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾: لِمَ لا تسيرون بسيرهم الطيّب؟ هم بريؤون من عملكم. ﴿**فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: بادّعائكم.

195- ﴿**أَلَهُمْ**﴾: الأصنام. ﴿**أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ**﴾: هذه الأصنام التي وضعتموها حول الكعبة كذلك. ﴿**أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾: فكِّروا. ﴿**قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ**﴾: هذا كلام الرسول الكريم ﷺ اعتماداً منه على نفسه الطاهرة الخالية من كل شائبة واعتماده على الله بأنه هو الفاعل وحده. وأنه ﷺ طاهر لا يمكن لأحد أن يتسلّط عليه. فلا خلل ولا خطأ وقع منه حتى يتسلَّط عليه أحد. كما قال إبراهيم وهود عليهما السلام هذا لقومهما.

196- ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾: كلُّ صالح الله حافظهُ وهو يردُّ عنه ويسيره للخير. لكن إن كان على الإنسان شيء عندها يُسلِّط عليه: فأنتم كونوا صلحاء. وكل صالح فهو تعالى يتولّاه.

197- ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ**﴾: تشركون بهم. ﴿**مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ**﴾: الكل بيد الله ولا حول لهم ولا قوة.

198- ﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا**﴾: الهدى منكم. ﴿**وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ**﴾: يا محمد. ﴿**وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**﴾: لا يبصرون حقيقتك هؤلاء المشركون. ولا يبصرون شيئاً من الحق. حيث إنهم لم يعرفوا لا إلَه إلا الله "صمٌ بكمٌ عميٌ"، كذلك كل شخص لا يفكِّر فهذا حاله. لا جدوى إن لم تعرف أن الكل بيده تعالى.

199- ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾: عنهم لا تتأثر منهم. فمن لا يؤمن هذا الإيمان دعه من فكرك. ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾: انصحهم ولا تعلّق قلبك بهم. ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾: أعرض عنه بنفسك ولا تلوث نفسك به، قلبك لا تعلقه به.

200- ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ**﴾: من هؤلاء الجاهلين بواسطة الشيطان. ﴿**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾: التجئ إلى الله. ﴿**إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾: قد يتكلمون معك فارجع إلى الله من قولهم. وإن تجاسر أحد عليك فالله يردُّه عنك، التجئ إليه.

سورة الأعراف: [201-206]

201- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾: أما الذين هم دونك، كل من فكَّر فاستقام صلَّى فكمل فصاحب أهل الكمال ودخل معهم على الله فنال التقوى. ﴿**إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ**﴾: إذا غفل يلتجئ إلى الله. ﴿**تَذَكَّرُوا**﴾: الله. رأوا أن هذه الوسوسة من الشيطان فابتعدوا عنها. ﴿**فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾: الحقائق. التقوى: "غايتها أن تتذكر فتبصر ما في هذه الوسوسة من الشر فتتباعد ولا تتبعها".

202- ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ**﴾: إخوان الشياطين: البعيد عن الله من الكافرين هم إخوان الشياطين. من على شاكلتهم لهؤلاء الجهلاء. ﴿**يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ**﴾: يعين الشيطان على فعله. ﴿**ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ**﴾: إخوان الشياطين يسوقهم الشيطان ولا يقصِّر بدلالته على الأذى ما استطاع.

203- ﴿**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا**﴾: لولا أتيت بها، طلبوا معجزات. لو كنت رسولاً لجئت بمعجزة. ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي**﴾: ليس بيدي شيء، هذا ليس بيدي، ما يأمرني به ربي أفعله. ﴿**هَذَا**﴾: الكتاب. ﴿**بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: بياني هذا ألا تفكِّرون فيه. ألا يوصل هذا للحق: القرآن معجزة، هذا الحق الذي يفيدك، أما هو منطق! أما هو الأجدر بك أن تسير به. كثير رأوا معجزات فما أغنت عنهم. ألا يقتضي عليك أن تفكِّر في القرآن وتسير به! ﴿**وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾: إن لم يؤمن الإنسان بلا إلّه إلا الله فإنه لا يرى ما في هذا البيان.

204- ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾: إن كنت طالب الحق. ﴿**وَأَنْصِتُوا**﴾: بقلبك وجوارحك، وفكِّروا فيه. ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾: إن فكَّرت به وعقلت لعلك تسير بالحق.

205- ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ**﴾: ادعوه سراً. ﴿**تَضَرُّعاً**﴾: بخشوع وخشية. ﴿**وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**﴾: دوماً في نفسك متضرعاً إليه فهو سامع لك دوماً وعليم. ﴿**بِالْغُدُوِّ**﴾: منذ يوم توبتك. ﴿**وَالْآَصَالِ**﴾: ليوم وفاتك لا تنقطع. ﴿**وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾: عن الله أي: ممن لم يفكِّر بهذا الكون.

206- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ**﴾: المؤمنون المحبون الذين فكَّروا وعرفوا ربهم. ﴿**لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾: من حصل له دخول على الله هذا خاضع دوماً لله. ﴿**وَيُسَبِّحُونَهُ**﴾: يسبحون أنفسهم دوماً بفضله. ﴿**وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾: منه وحده يطلبون: كذلك المرشد والرسول دليل ورفيق في الإقبال على الله.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنفال: [01-10]

1- ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ**﴾: الغنائم. طلبهم ﷺ لغزوة تبوك فقالوا يا رسول الله لمن الغنائم. سألوا الرسول ﷺ عن مصيرها عند غزوة تبوك. يوم حنين ﷺ أعاد الأموال لأصحابها لتتألَّف قلوب الخلق. بعض المؤمنين تأثرَّوا من ذلك فأجابهم. ﴿**قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ**﴾: حيث أنه تعالى هو الفعَّال. النصر منه يوم حنين. ﴿**وَالرَّسُولِ**﴾: يوزع. الله المبيِّن والرسول يوزِّع. ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: انظروا بنور الله. ﴿**وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾: لا تكن غايتكم من الحرب الطمع بالمال بل لإصلاح ذات البين. هؤلاء المشركون إخوتك لكنهم ضالُّون. فلتكن غايتك إعادتهم للحق لا للكسب. وطالما أن هؤلاء البشر إخوتك فواجبك إنقاذهم هذه هي غاية الجهاد لا لعلَّة: خالص لوجه الله هذا هو الجهاد المقدَّس. كل الخلق عباده، فإن كنت مؤمناً حقاً تحب الله فإنك تحب عباده أيضاً. هو يحبهم كما يحبُّك فواجبك أن تخدمهم. ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ**﴾: فكِّروا بالكون، كما أمركم. ﴿**وَرَسُولَهُ**﴾: بما بيَّنه لكم. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: تفعلون ذلك فتكن غايتكم من الجهاد مرضاة الله، هداية الخلق إلى الله. بكل الأحوال فإن المؤمن إنما يعامل الناس بالخير والإحسان.

2- ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ**﴾: رحمته. ﴿**وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾: حباً ومعرفة لما يعرفونه عن أسماء الله الحسنى علامة الإيمان حصول الخشية. يقبل على الله فتحدث له رعشة، رجَّة. ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانَاً**﴾: لما يرون في هذه الآيات من الحق وبسبب انطباع حقائقها في نفسه: يرى الآيات مصدَّقة وليس عنده شكوك. ﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾: مسلِّم أمره إلى الله. الطاهر يستسلم. الوسخ يتهرَّب ويفر ويتباعد عن الله.

3- ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾: هذه صفات المؤمنين. المؤمن دوماً يفعل ما يقرِّبه إلى الله. غايته رضاء الله. إن كانت غايتك من عملك رضاء الله تحصل لك الصلة بالله. المؤمن يرى الله دوماً معه فلا يتحرك عضو منه إلَّا بالحق. كيف تحصل له هذه الصلة بالله؟ ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾: مما أعطاه الله من مال أو جاه أو علم: يترك المنكر بالكليَّة ويفعل المعروف بقدر الإمكان. فتتولد له ثقة بنفسه ويقبل على الله. هذا الذي ينال التقوى.

4- ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً**﴾: المؤمن لا يسأل عن المال غايته مرضاة الله، ردّ الناس للحق. من كانت له غاية غير رضاء الله فإنه يعود من الجهاد بغايته. ﴿**لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾: غداً يرقى من حالٍ لأعلى. ﴿**وَمَغْفِرَةٌ**﴾: وشفاء. ﴿**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾: لا نهاية له، خال من الشوائب، هذا العمل الذي تعمله يرفع الله به شأنك ويشفي قلبك فلا يبقى به درن. المراد من الصلاة طهارة قلبك: ليست الصلاة مجرد أعمال وحركات. بالصلاة تطهر النفس من الدرن وتنال الكمال.

5- ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ**﴾: إن الغاية من الجهاد ليست الأنفال بل رضاء الله كما فعل رسول الله ﷺ بهجرته. هكذا الجهاد. رسول الله ﷺ إذ خرج من مكة كانت غايته رضاء الله. من مكة إلى المدينة: الغاية من إخراجك ردُّ الناس إلى الحق. الله تعالى رحيم شفوق ودود بعباده أخرج حبيبه ﷺ إلى المدينة لردِّ الخلق إلى الحق. وهكذا المؤمن فعله كفعل رسول الله. غايته نشر الحق، إنقاذ الخلق. ﴿**وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: ضعفاء الإيمان. ﴿**لَكَارِهُونَ**﴾: لا يريدون خروجك من مكة. بعض المؤمنين يومها كرهوا ولكن الله رفع شأنك وكانت النتائج حسنة.

6- ﴿**يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ**﴾: في الغنائم وتوزيعها. ﴿**بَعْدَمَا تَبَيَّنَ**﴾: بعد أن ظهرت نتائج الهجرة. الآن يعارضونك! ﴿**كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**﴾: هؤلاء الذين كان قد طلبهم ﷺ لغزوة تبوك فقالوا أيضاً يا رسول الله لمن الغنائم؟

7- ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ**﴾: حدثت في غزوة بدر حيث وعدهم الله إما المال وإما الغلبة على قريش. ﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾: المال يوم بدر. ﴿**وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**﴾: كنتم تحبُّون الغنيمة والله يريد ردَّ الناس إلى الحق بالجهاد يومها. ﴿**وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾: كيلا يبقى كافر. الكل يهتدون ويدخلون الجنة. هذه غاية الجهاد.

8- ﴿**لِيُحِقَّ الْحَقَّ**﴾: حتماً لابد ومهما دار الزمان لابدَّ من ذلك. ﴿**وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾: كل وقت كل الخلق لابدَّ لهم من يوم يرجعون للحق.

9- ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**﴾: يوم بدر. ﴿**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾: لكم. مؤيدون لكم.

10- ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾: الفاعل هو الله الكل بيده والفعل فعله تعالى. في الحرب يدك لا تتحرَّك إلَّا بالله، الأمر بيده تعالى. لتكن غايتك عالية حتى يمدك الله تعالى بالخير. إن عرفت لا إلّه إلا الله رأيت أن الفعل كله بيده تعالى. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾: هو الفاعل لكن ضمن حكمة. ﴿**حَكِيمٌ**﴾: يعطي كل واحد حقه. إذا نفسك طاهرة غايتك شريفة يأخذ تعالى بيدك وهو معك. الفاعل هو الله.

سورة الأنفال: [11-20]

كذلك بعد الخوف:

11- ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ**﴾: الخائف لا ينام لكن المسلمين يوم بدر ناموا. صبَّ عليكم النعاس. رفع الخوف عنكم ونمتم. ﴿**أَمَنَةً مِنْهُ**﴾: حتى يستيقظوا في الغداة نشيطين أقوياء. ﴿**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾: مطراً[1]. ﴿**لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ**﴾: يذهب وساوس الشيطان. ﴿**وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ**﴾: قوَّى قلوبكم وثبَّتكم. ﴿**وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**﴾: لتطمئنوا من وجود الماء ولا يبقى لديكم وساوس.

12- ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: شجِّعوهم بالضرب معهم. وما الملائكة إلا صورة والحقيقة في الفعل هو الله. ﴿**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾: أدبُّ الرعب في قلوبهم. ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ**﴾: على العنق لمن سيموت. ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾: أصابعهم، لمن لم ينته أجله تُقَطَّع أصابعه، فأصبح الكافر لا يستطيع ضرباً. هذا الفعل من الله تعالى كله.

13- ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: عارضوا طريق الحق، وأنكروا عليه وحاربوه. أمرهم بالتفكير بالكون بالنظر، بنتائجهم بعد الدنيا. ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾:

---

[1] وهذه الآية تنفي ما قيل عن رسول الله ﷺ في غزوة بدر الكبرى باتهامه بالجهل بالحرب كما يروي ابن هشام في سيرته وبعض الأسانيد من أن رسول الله نزل عند أدنى ماء من مياه بدر وأشار عليه الحباب بن المنذر بتغيير المكان فنهض رسول الله ﷺ وتحول إلى المكان والرأي الذين أشار بهما الحباب. لقد دسوا هذه القصة المفتراة ليثبتوا الجهل لرسول الله ﷺ وهذه الآية بإنزال المطر من السماء تنفي هذه الرواية فالله سبحانه وتعالى أنزل المطر وقوّى به قلوبهم وثبتهم.

يُعَقِّب الخلق من شدة رحمته بعباده، يسوق لكل امرئ ما يناسب عمله. إن أصابك شيء فهو منك. الخير بالخير، الشر بالشر. والله دوماً في ملاحظة مع هذا الإنسان لا يتركه حناناً منه تعالى عليه.

14- **﴿ذَلِكُمْ﴾:** ساعة الموت يقال للكافر. ذلكم عملكم. **﴿فَذُوقُوهُ﴾:** انظروا ما جرَّه لكم من هذا العذاب. **﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾:** بعدها. **﴿عَذَابَ النَّارِ﴾:** الدنيا دار عمل فلا تضيعها.

15- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾:** لا تخف منهم الفاعل هو الله. المؤمن لا يخاف، المؤمن لا يهرب، يعلم أن الفعال هو الله. الناصر هو الله.

16- **﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ﴾:** تدبير حربي. **﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾:** حيث إنه غير مؤمن هاب غيره. لو كان مؤمناً لما هاب أحداً. النصر بيد الله. **﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾:** دنيا وآخره مصيره الحقارة والذل. **﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:** سيْره سيجرُّ البؤس له.

17- **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾:** أنتم بسيوفكم. الفعل بيد الله. **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾:** الفعل من الله، أنت صورة والفعال هو الله تعالى. الفعل الصحيح بيده. قوة يدك منه، سيفك به. **﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾:** يوم حنين. **﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾:** في غزوة حنين حيث رمى حفنة من تراب بكفه في وجوه المشركين وأصاب الأعين كلها فمن الذي أوصله لأعين الآلاف المؤلَّفة أليس هو الله؟ **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾:** من الذي أوصل كل ذرة من غبار إلى أعين الأعداء! هو الذي أوصل ذلك لأعينهم. محمد ﷺ فِعْله صورة والفاعل الحقيقي هو الله لذلك النصر من عند الله. فلمَ هذا الجهاد ما دام الفعل بيد الله؟ **﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً﴾:** يجعل الخير على يدهم، بإقبال المؤمن على الله امتلأ قلبه بالكمال فأضحت نيته عالية. فالجهاد ليخرج كمال المؤمن ويظهر عمله فينال غداً الجنَّة **{ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**[2]. والكافر: هذه الحرب والجزية والرقّ كلها خدمة له ليعود للحق. والله كلَّفك بالحرب ليظهر كمالك غداً فتدخل به الجنة. **﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾:** لكلامك. **﴿عَلِيمٌ﴾:** بحالك، مطَّلع على قلبك.

18- **﴿ذَلِكُمْ﴾:** مما سبق اعقلوه، اعرفوه. **﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾:** هو مضعف كيدهم وتدبيرهم. كيف خافوا بتبوك! الله خوَّفهم. اسع طيباً حتى تصل لهذا الإيمان ويحصل لك علم بما ذكره الله تعالى لك. اجتهد، فكِّر حتى تعقل وتؤمن أن الفعَّال هو الله وحده، الكون كله يدلُّك. ثم نزل فيمن عارضوا:

19- **﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾:** تطلبون الجهاد. **﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾:** إن طلبتم الدنيا والآخرة أيها الكفار فقد جاءكم الفتح. تابعوا رسول الله ﷺ. سيروا لتبوك. **﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾:** عن المعارضات للرسول. **﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾:** للمعارضة للكفر. **﴿نَعُدْ﴾:** لتأديبكم بتسليط المؤمنين عليكم. **﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:** حتماً ناصرهم ومؤيدهم.

20- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾:** ما حلَّ بمن سبق من يهود وغيرهم لما تولوا عن رسولهم كيف أذلَّهم الله وشتَّتهم!

سورة الأنفال: [21-30]

21- **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ﴾:** كاليهود. **﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾:** ثم قالوا اذهب أنت وربك. **﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾:** الحق.

---

[2] سورة النحل – الآية:32.

22- ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ**﴾: شرّ من كل ما دبَّ على الأرض من حيَّة، عقرب، ثعبان، هذا الكافر أذاه أكثر. وبالفعل فإن أذاهم عمَّ العالمَ. كل شيء فاحش منهم. هم فسَّدوا العالم. ﴿**عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ**﴾ الأطرش الذي لا يسمع. ﴿**الْبُكْمُ**﴾: الذي لا يفهم بالمنطق لا يعي. ﴿**الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾: شيئاً، فمن لا يفكِّر لا يعقل، أحطّ البريّة، شرُّ البريَّة.

23- ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ**﴾: لكن قلبهم مملوء خبثاً ورذيلة. ﴿**وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾: ما دامت الدنيا مشحونة في القلب فلا جدوى. لابد من التفكير بالموت ليخرج حب الدنيا. لذلك يعطيه الدنيا ورغائبه فيها وماله في الآخرة من نصيب.

24- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ**﴾: الذي يدُلكم عليه. ﴿**إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾: لما به تكتسبون الحياة لكي تغدو إنساناً من أهل الحنان، العطف، الإحسان، حتى يمدّك الله بالخير. ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾: لماذا؟ لأن الإنسان عندما يمرض تضع له أمه سكَّراً بالدواء المر، تحميه عن الطعام الطيّب وتسقيه مسهِّلاً من الخروع لإخراج ما فيه، إن لم تتبع سدَّ على قلبك. أطع واسمع. ﴿**وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾: بعدها إلى الله. بعد هذه الحياة تقع بالشدائد فتهلك وغداً تحشر إلى الله.

25- ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾: فأْمُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر، فإن أهملت ذلك فسيصيبك ما أصاب غيرك، أي المنكر الذي عليه جارك مثلاً إن لم تنهه عنه فستقع فيه أيضاً وهكذا يعم البلاء، إن سكتَّ عن الحق تشجع الناس على الشذوذ فلا تستطيع أن تمنع الأذى والفتنة عن نفسك. هذا الشيء يرجع على أولادك، إن لم تجاهد يعود الفساد عليك وعلى أولادك، إن رأيت الفتنة أطفئْها بجهدك. ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾: مُعَقِّب لكم.

26- ﴿**وَاذْكُرُوا**﴾: يوم الخندق. ﴿**إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾: كنتم قلائل يوم الخندق. ﴿**تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ**﴾: الأحزاب. ﴿**فَآَوَاكُمْ**﴾: في المدينة. ﴿**وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ**﴾: كذلك كل من يفكِّر بفضل الله. ﴿**وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾: ما خلقك بحالٍ واطٍ ما جعلك منحطاً بل رزقك عملاً عالياً. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾: لتشكروا الله، كذلك أعطاك صحة ومال وعافية.

27- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ**﴾: أنت عاهدت الله في الأزل أن تسير في الدنيا بنور الله، لتعمل الخير. أنت عاهدت الله أن تظل معه. ﴿**وَالرَّسُولَ**﴾: ولا تكونوا ممن خالفوا عهدهم معه. ﴿**وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ**﴾: أنفسكم. ﴿**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾: ما حلَّ بمن خان من اليهود، كيف ذلُّوا!

28- ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾: امتحان. لا تعادل مالك وأولادك بالله. الله أرحم، أشفق، أحنّ. ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾: أعدَّه لكم فلا تضيعوه.

29- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ**﴾: يا مؤمن إن استطعت أن تدخل على الله وتستنير بنور الله. ﴿**يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً**﴾: تفرق بين الخير والشر. إن صارت لكم تقوى فلا تقعون بعدها بشرّ. فالله سبحانه يخاطب رسوله ﷺ أن يخاطب المؤمنين: أنهم إن نالوا التقوى رأوا الخير خيراً والشر شراً. فإن صحِبت رسول الله ﷺ ودخلت على الله رأيت كمال الله بنور رسول الله فصار لك عشق بالله واستنرت، عندها ترى الخير خيراً والشر شراً. ليس الإسلام بالقول إنما الإسلام كله حقائق: إن آمنت بلا إلّه إلا الله أوصلتك للتقوى فترى الخير من الشر. لا يمكن أن يغدو الإنسان إنساناً حتى ينال التقوى. يدلك تعالى على القانون الموصل للسعادة، آمن بلا إلّه إلا الله تنل التقوى، فترى الخير من الشر. ﴿**وَيُكَفِّرْ**﴾: يستر. ﴿**عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾: الماضي لن تراه. في الآخرة ينمحي من نفسك كل شيء

علق بها في الدنيا. التراب طهور يطهّر جسدك حتى إذا بُعثت من قبرك خرجت نظيفاً. **﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾:** يشفيكم من كل الأدران، أي: يشفي أنفسكم من كل درن. **﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾:** فضله ماله نهاية. أنت ترشدهم وتدلُّهم وهم:

30- **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:** يدبرّون ويحيكون لك المؤامرات ويحاولون الإيقاع بك. كان رسول الله ﷺ يدلهم على طريق السعادة والخير فإذا هم يمكرون به. **﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾:** وليوقفونك عند حدٍ ليمنعوك من الدلالة، ويَحُولوا بينك وبين الكلام. **﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾:** من مكة. **﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾:** تدبيره تعالى كله خير لك ولهم ولكل خلقه. يُحَوِّل كل ذلك إلى الخير الحمد لله رب العالمين.

سورة الأنفال: [31-40]

31- **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾:** لما كنت في مكة. إن قلت له انظر لنفسك، للشمس، للقمر، للكون كي تصل للإيمان. **﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾:** كثيراً مثل هذا القول. هذا شيء لا قيمة له عندنا. عميان، سماع مجرّد عن الرؤية، لعماهم لا يرونك ولا يميزون بين النور والظلمات، لم يميزوا بين قول النبي العظيم المنير وبين قول الثرثار العقيم المظلم أين البصائر من قولهم ولو كان زخرف القول. **﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾:** نحن نقول لو شئنا مثل هذا فما فضل الرسول. **﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:** كثيرون يقولون هذا.

32- ثم تطاولوا أكثر فطلبوا تحقيق ما يوعدون من عذاب: **﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾:** تعنُّتاً وعناداً. **﴿أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:** طلبوا البلاء وهذا هو الكفر.

33- **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾:** لما كنت فيهم ولا تزال ترشدهم وتنذرهم وتدعوهم طمعاً بهدايتهم. إذن فيهم أمل للهداية فلن يحل عليهم العذاب النهائي. **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾:** إذ لا يزال بينهم من هو أهل للمغفرة والشفاء، وطالما عندهم هذه القابلية للرجوع وهناك من يحاول الاستغفار يطاولهم الله رحمة منه تعالى وحناناً عليهم. لكن بعدما خرج الرسول ﷺ من مكة:

34- **﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾:** الآن بعد كل هذه المعارضات: الكافر إن ظلم جاءه البلاء والهلاك. **﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾:** يبعدون الناس عن الإقبال على الله من البيت. **﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾:** لم يسلكوا طريق البيت. لا يعرفون الفائدة منه ولا يرشدون إليه. **﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾:** هم يدخلون البيت ويعرجون إلى الله **{وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}**[3] أي: الكعبة. **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:** شأن هذا البيت والسرَّ الذي فيه، لا يعلمون ما فيه من خيرات. وكذلك الآن الناس لا يعرفون شأن البيت ولا الحج وما فيه من خير.

35- **﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾:** المشركون. **﴿عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾:** أنغام وغناء وتصفيق. **﴿وَتَصْدِيَةً﴾:** صورة بلا حقيقة، صياح وصراخ. الطواف ما هو صياح. كذلك الآن يقرؤون القرآن بأنغام ولا

---

[3] سورة البقرة – الآية:125.

يرون ما فيه من دلالة ومعنى. ﴿**فَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾: الآن. ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾: ناكرون حنان الله ورحمته وشفقته. خلقك للسعادة رؤوف بك ولا تعرف ذلك.

36- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ**﴾: رياءً. ﴿**لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: ليردوا الناس عن طريق الحق، هذا فعل الكافر كل وقت. هكذا الكافر عمله. ﴿**فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً**﴾: جرّ الهلاك لنفسه بها. ﴿**ثُمَّ يُغْلَبُونَ**﴾: لابد من ذلك. الكافر لابد له في النهاية من الذل. والله خير الماكرين. ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾: إلى الحقارة والسفالة.

لماذا جعل الله الدنيا؟!

37- ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾: يظهر الله في الدنيا كلاً على حقيقته ويخرج لكل امرئ ما في نفسه، ولابدَّ من ذلك. ﴿**وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ**﴾: العمل الخبيث. ﴿**بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ**﴾: فوق بعضه. الرذيلة تجر بعضها واحدة فوق واحدة فيصبح الفاسق كافراً. ﴿**فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً**﴾: فوق بعضه. يجمعهم كلهم. ﴿**فَيَجْعَلَهُ**﴾: هذا العمل يجعل صاحبه. ﴿**فِي جَهَنَّمَ**﴾: في الذل والحقارة. ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾: الدنيا والآخرة. كل شيء يصيبك منك. إن ملأت نفسك بالخير جاءك الخير. خلقك الله لنعيم أبدي إلى ما شاء الله. الكافر ضيّعه.

38- ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: ناكرين نعم الله، عظمته، رحمته. ﴿**إِنْ يَنْتَهُوا**﴾: عن كفرهم وضلالهم ويرجعوا ويستدلوا على الله. ﴿**يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾: فإن الله ذو رحمة واسعة متى رجعوا وآمنوا واستدلوا يغفر لهم ما قد سلف. فباب التوبة مفتوح رحمة منه تعالى على الرغم من معارضة الكفار ومعاندتهم وحربهم لرسول الله فالله سبحانه وتعالى رحيم وهو واسع المغفرة فإن أصلح الكافر نفسه وعمله وطلب الرجوع إلى الله تائباً فإن الله يغفر له جميع ما قد سلف ويقبل توبته. فالله سبحانه فاتح باب التوبة للكفار ليتوبوا ويعودوا للحق فهل من المعقول أن يخلق هذا للجنة وهذا للنار؟ من أين جاءوا بهذا القول! ﴿**وَإِنْ يَعُودُوا**﴾: للمعارضة للكفر والأذى. ﴿**فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ**﴾: هذا قانون فكل من امتلأ قلبه بالشهوات لزم معالجته لإخراجها وإن الله سبحانه مخرج ما في نفسه ثم يعاقبه. فسنة الأولين بالهلاك لمن أصرَّ على المعارضة فهذا قانون في الدنيا هلاك وفي الآخرة سيدخل النار بسفالته ودناءته لذلك لا يدع الله تعالى للإنسان فرصة إلا وينبهه فيها.

39- ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ**﴾: من بعد. ﴿**حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾: هذه الغاية من القتال حتى لا تكون فتنة، كل ما نراه اليوم، فتن، بناء، قصور، ملاهي، مشروعية الجهاد لا لمال الكافر ولا لنسائه ولا لبلاده ولكن لتردّه للحق حتى لا يبقى فساد في الأرض لتعيد الشاذّ عن الحق. إنه أخوك لكنه ضال؛ لذلك سنَّ لنا الله تعالى قوانين إن طبقتها اكتسبت حناناً وعطفاً فصرت أهلاً للجهاد لردّ أخيك. ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾: ليدينوا كلهم لطاعة الله. ﴿**فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾: على حسب توبتهم وصدقهم سيهديهم ويعطيهم ويصلح بالهم.

40- ﴿**وَإِنْ تَوَلَّوْا**﴾: أعرضوا. ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ**﴾: حاربوهم وهو سبحانه ينصركم. ﴿**نِعْمَ الْمَوْلَى**﴾: مؤيدكم. ﴿**وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾: وناصركم لأنكم أهل للنصر تعرفون حق الأخوة. أنتم إنسان. فالله معكم وناصركم.

سورة الأنفال: [41-50]

41- ﴿**وَاعْلَمُوا**﴾: خطاب لأصحاب رسول الله ﷺ. ﴿**أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾: في الحروب. ﴿**فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ**﴾: لله الخمس يوضع من بيت مال المسلمين والرسول يوزع حسب المصلحة.

﴿**وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾: والخمس الثاني لذي القربى المؤمنين بسبب معرفة المرء بأحوال أقربائه المادية ومعارفه. ﴿**وَالْيَتَامَى**﴾: الناشئين عن الحروب لهم خمس كرواتب. ﴿**وَالْمَسَاكِينِ**﴾: الضعفاء عن الكسب لهم الخمس. ﴿**وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾: المسافرون المنقطعون لهم خمس وتوزع مخصصاً لهم. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ**﴾: تفعلون ذلك. ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ**﴾: في معركة حنين حيث نصركم، لذا لا تضع بين عينيك المال بل ليكن قصدك ردّ أخيك للحق عندها ينصرك الله. ﴿**يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾: عليكم هوازن وثقيف. يومها أمر رسول الله ﷺ بالغنيمة لأهل مكة تأليفاً لقلوبهم. فإما الخمس للّه، وإما أن يوزع الرسول الغنيمة حسب المصلحة. ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: كل واحدة بمقدارها لا جزافاً. على حسب إيمانك ونيتك يعطيك وبالعكس: الكافر على حسب كفره مؤاخذته.

بيان أن الأمور بيد الله أنت لست بفاعل: يوم حنين كان المسلمون /12/ ألفاً قالوا لن نغلب اليوم من قلة.

42- ﴿**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا**﴾: الرسول ﷺ وأصحابه قريبون من مكة، بعيدون عن بلدكم لا تستطيعون أن تأتوا بنجدة. ﴿**وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى**﴾: عن المدينة قريبون من مكة من بلدهم يستطيعون أن يأتوا بنجدة.

والموقع الحربي: (أنتم بالعدوة الدنيا) من أسفل الوادي وهم (بالعدوة القصوى) من أعلاه.

﴿**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾: ركب المشركين: فرسانهم تحتكم بالوادي إذا نزلتم إليهم قتلوكم. ﴿**وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ**﴾: لو أنكم على موعد مع هؤلاء لما انطبق الوضع على ما كان عليه ومع كل هذه الظروف نصركم الله. ﴿**وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً**﴾: لينفذ الله ما كان بعلمه أن سيحصل ما حصل. ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾: يعلم نفسه أنه سيء العمل. ﴿**وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾: يعلم أنه حسن النية والعمل، الله تعالى جعل قوانين وأنظمة لا يعطيك الخيرات إلا ضمن قوانين وأنظمة، نفسك طيّبة يفتح لك طريق الخيرات. نفسك خبيثة يفتح لك طريق الخبث ليخرج ما فيك. وكذلك يوم القيامة يظهر لكل إنسان حاله وعمله. ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ**﴾: بكلام كل واحد. ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بحاله.

هذا البيان كله لتعرف أن الأمور بيد الله وأنه يعامل كلاً على حسب حاله.

43- ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً**﴾: وهو ﷺ في مكة قبل الذهاب إليهم جمعوا جموعهم فأراه الله إياهم أقلّة لئلا يهتم ﷺ لهم فكل من ارتبط به ﷺ لم يعبأ بهم. وارتباط المؤمنين برسول الله جعلهم أيضاً لا يعبئون بهم. ﴿**وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ**﴾: كنت ذكرت لهم فجبنوا. ﴿**وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾: ولحصل جدال بين طائفتين ولفشلوا. ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ**﴾: لم يعرّفكم بكثرتهم. ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: بما في أنفسكم من نيَّة عالية، فسترَ ذلك عنكم لئلا تجبنوا، ثم تنتصروا.

44- ﴿**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ**﴾: فلم يفرُّوا. أي استضعف كلٌّ الآخر. ﴿**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾: النصر بيده. أمره لابد له من قواعد، لكن هذه الترتيبات كلها ليظهر كمال المؤمن الكامل، ويظهر خبث الخبيث: حكيم وعليم، يعطي كلاًّ ما يناسبه.

45- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا**﴾: لا تجبنوا، مهما كانوا لا تبال بهم. عرّفكم أن المسألة بيد الله، الفعل كله بيده إن كنتم مؤمنين حقاً لا تفرّوا. ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً**﴾: أنه معكم وأنه بيده مقاليد الأمور لا إله إلا الله، القوة بيده. بالحب تقبل فتشفى من كل سوء فيرفع شأنك، اذكروا فضله وإحسانه. ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: تثبتون وتنتصرون. النفس الطاهرة يعزُّها الله. حتى تستطيع أن تذكر الله:

46- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: بما بيَّنه على لسان رسوله ﷺ، فكِّر بالكون وآمن. المهم قبل كل شيء هو طاعة الله وطاعة أوامر رسوله ﷺ في الحرب وغير الحرب. ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾: مع بعضكم البعض. لا تختلفوا فيما بينكم بل كونوا يداً واحدة وقلباً واحد. ﴿فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: سمعتكم وهيبتكم تزول. ﴿وَاصْبِرُوا﴾: في الجهاد ثابتين. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: دوماً.

47- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا﴾: وقد اندس بين المؤمنين أناس منافقون. ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: وهم الكفار "هوازن وثقيف" لا تكن نيتك أخذ ماله. ﴿بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: لا حول إلَّا به تعالى، لابد أن يذلهم.

48- ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: منّاهم الشيطان بالنصر قال أنتم رؤساء العرب، أنتم أقوياء، هؤلاء لا قيمة لهم. ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾: الشيطان يلبس البعيد عن الله، فيحرّض إنساناً على آخر. ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾: إذا اجتمعت ثقيف وهوازن. أنا أوسوس للمؤمنين وأخوفهم. ومن الإنس من هم شياطين وهم الذين حولوا المؤمنين. ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾: في وقعة حنين. ﴿نَكَصَ﴾: هرب، خاف وانقلب هارباً. ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾: لما رأى التأييد الإلَهي للمؤمنين. ﴿إِنِّي أَرَى﴾: من كثرتهم. ﴿مَا لَا تَرَوْنَ﴾: كل فرقة تبرَّأت من فرقة. ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾: أخاف أن يصيبني الخذلان والموت أو الطعن من شدة الحرب. ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: أينما فررتَ فأنا معك.

49- ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: محبو الدنيا. لمَّا أصاب المسلمين ما أصابهم من الرعب قالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾: وهم أناس آمنوا بلسانهم لا بقلوبهم قالوا: هؤلاء المسلمون اغترُّوا، مغرورين، ظنوا أن سينتصروا. إنهم ضعفاء، كيف يقفون أمام أهل مكة! ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: أجل إن من يعتمد كلياً على الله. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: لكنه تعالى جعل هذا الترتيب تأديباً ليظلُّوا دوماً متكلين عليه، ثم نصرهم، يعطي كل أمرئ علاجاً على حسب حاله.

50- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾: لو تعلم حالهم ساعة موتهم. ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾: ضيَّعت الشيء الثمين الأبدي، يضربونه ليضيّعوا عنه دناءته وخزيه ليغطُّوا عنه ما فيه. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: يقال لهم بعدها، هذا الضرب رحمة وحنان، عطف وإحسان، ينسى حالته المنحطَّة.

سورة الأنفال: [51-60]

51- ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: هذا الضرب لهذا الحال. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾: هذا يشهد أنه ما خلق هذا للجنَّة وهذا للنار. أعطاك آلة كاملة "التفكير" وكل ما في الكون يوصلك إلى الله: الدنيا مدرسة.

52- ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: ما نظروا ما فكَّروا بالآيات الدالة على الله. ما فكَّروا بها ما عظَّموها، لم يفهم كيف أن الثمر يتكوَّن. الماء كيف ينزل. لذا شرع الله التسمية، بسم الله، أي فكِّر بما تأكل، بما تشرب. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: لا جزافاً بل بما وقع بأنفسهم. طاولهم فما رجعوا، فهلكوا. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: من حنانه يعقب الإنسان لعله يرجع للحق.

53- ﴿ذَلِكَ﴾: يشهد لك. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: الله تعالى لا يغيرِّ نعمته عن المخلوق إلا إذا ظلم. فرعون كان بنعمة لما ظلم أرسل الله له الهلاك. فالله

تعالى لا يرفع النعمة عنك إلا إذا أنت غيرت. **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**[4]. **﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾:** كلامك. **﴿عَلِيمٌ﴾:** بحالك، على حسب حالك يعطيك.

54- **﴿كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ﴾:** لماذا كذبوا بآيات الله؟ لأنهم كذبوا بآيات ربهم. إن لم يؤمن الإنسان بالتربية لا يؤمن بالسير. نظر سيدنا إبراهيم عليه السلام أولاً للتربية، من معرفة المربي توصَّل لمعرفة المسيِّر. التربية تتم بالتفكير بكأس من الماء: أين موضع الماء، من أنزله، من أودعه في ثمرة! إن فكَّرت عرفت المربي. إن فكَّرت في نفسك وأصلك عرفت مربيك. التربية أولاً ثم الإيمان بالمسيِّر. أيقن بالمربي تنتقل لكلمة لا إلّه إلا الله. إن وصلت لها استقمت، صليّت. إن صلَّيت كملت، فبحثت عن أهل الكمالات فتدخل معهم على الله وترى الخير خيراً فتشكره على أوامره. **﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾:** ظلموا أنفسهم. حرموا أنفسهم النعيم. خلق لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لكنهم حرموا أنفسهم منها فأخذهم بذنوبهم.

55- **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:** وهم اليهود، كم في الدنيا من مخلوقات منحطة هر، كلب... الكافر أحط منها غداً "الإنسان رفعه الله وكرَّمه فوق كل المخلوقات فصار أدنى من جميع الخلق ـ صار شر البرية". **﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:** مع كفره لا يؤمن. عندهم حسد وغيرة.

56- **﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾:** اليهود. **﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾:** لا جدوى لهم.

57- **﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾:** إذا استعليت عليهم في الحرب. **﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾**[5]: لا تقتلهم بل اطردهم من البلاد وألحق بهم ذراريهم وأهليهم. وهذا آخر علاج لهم لعلهم يذكَّرون ويرجعون، وهذا من حنانه تعالى ورحمته بهم. انظر حنان الله على الخلق. وهكذا رب العالمين لا يدع الإنسان. **﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾:** رغم سفالتهم ما رماهم الله، ما تركهم. ويقولون خلق هذا للجنة وخلق هذا للنار. أرحم الراحمين يأمر رسوله ﷺ بأن يلاحق الكفار لعلهم يخافون فيؤمنون، لا يقتلهم سريعاً. لعلهم يرجعون إلى الله ويتوبون.

58- **﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾:** الآن. **﴿مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾:** عاملهم كأولئك، أي: شرّدهم لعلهم يثوبون إلى رشدهم. الغاية ردّهم إلى الحق. حاربهم جميعاً. **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾:** لعهدهم.

59- **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾:** بفعلهم: همُّوا، رتَّبوا، كادوا. بل عملهم كله ضمن إرادة الله. هو الفاعل، لكن خبثهم يخرجه لهم. **﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾:** الله. نتائجهم خراب. نحن لو سلكنا الحق لنصرنا الله.

60- **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾:** الآن من علم من معرفة. **﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾:** ليس لغلبهم. النصر بيد الله، لكن لعلهم يرهبون فيرجعون للحق. **﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾:** فالكفار إن رأوا قوتك، واستعدادك خافوا فأذعنوا للحق. **﴿وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾:** المنافقون. **﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾:** الله تعالى لا يضيع لك مثقال ذرة.

---

[4] سورة الرعد – الآية:11.

[5] وهذه الآية تنفي كل ما أوردته كتب التاريخ من أن الرسول ﷺ ذبح يهود بني قريظة. والله أصدق القائلين.

سورة الأنفال: [61-70]

61- ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾: إن خضعوا واستسلموا. ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾: هذا هو المطلوب. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: بحال كلٍّ.

62- ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾: الأمر بيده هو الناصر لك. هو الذي يخزيهم. ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾: النصر بيده إن كنت على الحق نصرك، وإن أصابك شيء فمن نفسك.

63- ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: من الذي ألَّف! ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾: من جمع المؤمنين! الله تعالى جمعهم، كانوا على روح واحدة. ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: جمع المؤمنين على قلب واحد.

64- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: كل من اتَّبعك فالله مؤيّده، هو المحاسب، لا تخافوا.

65- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾: حيث فيها الخيرات، فيها ردّ الناس للحق، وفي هذا خيرهم وسعادتهم، بعملك غداً ترقى. الجنة بالأعمال العالية. إيمان بلا عمل لا يفيد وبالعكس، لابد من الإيمان مع العمل. ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾: عقلاء مؤمنون. ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾: مجانين كفار. ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هكذا كانوا أول الإسلام، أهل تقوى. العشرون يدبرون تدبيرات منطقيَّة يغلبون بها الكفار. ما سبب هذا! /20/ يغلبون /200/ كل واحد تجاه عشرة، معهم سيوف ووجهاً لوجه، لكن /20/ صابرين قلوبهم كلها واحدة، متماسكين، كلهم يُؤْثِرون على أنفسهم بعْضَهُم ولو كان بهم خصاصة. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا يعرفون الأصول.

أنت لا تؤْثِرُ أخاك:

66- كنتم أقوى. ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾: بعد أن أصبح بينكم ضعفاء الإيمان. ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بعد مكة وحنين دخل كثير من أناس ضعفاء. من ضعفهم لم تعد قلوبهم مجتمعة تماماً. مائة يغلبون مائتين، واحد ضد اثنين: كلما زاد الإيمان أكثر زاد حب المرء لربه أكثر. زاد حبه للخلق. المحبة من الله. جاء الإنسان للدنيا صفحة بيضاء، عندما أقبل على الله اشتق الكمال. عندما لم يقبل اشتق الدناءة والسفالة من الشيطان.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: صحيح صار فيهم ضعف لكن تقليدهم كان قوياً. كانوا يتمسكون بالأوامر الإلَهية بعكس الآن لا تمسّك ولا إيمان.

وكان الصحابة قد خطفوا بعض المشركين فنزل المنع:

67- ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾: لا يأسر طالما هو في ضعف. ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾: إن لم تصبح لديه قوة قويّة ليس له أن يأسر، بل يقتل في المعركة. لا يُخطف الأسير خطفاً من دون حرب. الأسر في الحرب يتم بعد كسر شوكة الشرك. يجب أن يكون الرسول قوياً مع قومه ويكون قد أضعف الكفار تماماً عندها يمكن أخذ الأسرى. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: المال (الفدية) أو غير

ذلك، أتريدون الفداء والدنيا! **﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾:** والله يريد الآخرة لك وله. **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:** ولو كنت مؤمناً إن خالفت عاقبك، ادخلوا في السلم كافَّة.[6]

68- **﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾:** يوم بدر بنصركم وبالعفو عنكم يا أهل بدر. **﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾:** من الأسرى وفدائهم وتركهم. **﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:** منهم، خطفك له يرمي بقلبه الإعراض.

69- الآن: **﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً﴾:** يوم حنين حيث إنكم صرتم أقوياء. **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾:** انظر بنور الله. **﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:** شافٍ ضمن رحمة.

70- **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً﴾:** أسروهم وأخذوا مالهم. **﴿يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾:** لا تحزن، إن رجعت للحق يعطيك الله أكثر مما أُخذ منك. إن آمنت حقاً. **﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾:** يشفيكم، يشفيك نفسياً. **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:** لهذا وهذا.

سورة الأنفال: [71-75]

71- **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾:** حيث أن رسول الله ﷺ عفا عنهم يومها. **﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾:** عاهدوا في الأزل ونقضوا الآن. **﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾:** الآن. **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:** علاج على حسب حاله، كل إنسان يداويه بما يناسبه.

72- **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾:** إن لم تؤمن فمالك خواص. الإيمان يتم بعد العقل، عقل ما في الكون من ترتيب ونظام حتى يؤمن الإنسان بلا إله إلا الله. **﴿وَهَاجَرُوا﴾:** المهاجرون. **﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾:** الأنصار. **﴿وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾:** لابد أن يهاجروا. **﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾:** إن هاجر جاء إليكم. **﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾:** عاونوهم. **﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾:** إن أوذوا وطلبوا نصرتكم أعينوهم، حتى ولو كان كافراً تنصره على من اعتدى عليه. **﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾:** خوفاً أن يكون مدعي الإيمان يريد فتنة. **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:** اجتهدوا بالمعرفة، بالإيمان تعلم ذلك.

73- **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾:** لا تعاون كافراً على كافر. **﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾:** ما سبق، حارب الكفار كلهم، لا تخف. **﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾:** حتماً.

74- **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾:** هؤلاء أهل الإيمان. **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:** خالٍ من الشوائب.

---

[6] وهذه الآية تنفي ما أورده بعض المؤرخين والمفسرين وأصحاب السير من أن رسول الله يوم بدر أخذ الأسرى وفضل الفداء والله عاتبه، فآية: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ..﴾: تبين سنة ثابتة درج عليها الأنبياء جميعاً والله سبحانه بيّن لنا بهذه الآية معرفة أنبيائه العالية بأصول الجهاد، فهؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم ما كان لهم، أي: لم يسبق أن صدر منهم في يوم من الأيام أن أسروا من عدوهم أسرى قبل أن يثخنوا فيا لأرض ويكسروا شوكة الكفر وإذا كانت هذه سنة درج عليها الأنبياء فهل يتصور أن يصدر عن رسول الله ﷺ مخالفة لهذه السنة وهو ﷺ إمام الأنبياء وسيد المرسلين! وصيغة الجمع بآية تريدون عرض الدنيا تبيّن لك أن الخطاب ليس لرسول الله ﷺ وإنما لأصحابه. وسبب نزول هذه الآية إنما هو تشريع وأحكام شرَّعها الله للمؤمنين "بعد أخذهم الأسرى" ليعملوا بها في جهادهم ويطبقوا أحكامها في حروبهم.

75- **﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾:** أولئك. والآن في هذا العصر وكل عصر. **﴿وَهَاجَرُوا﴾:** هجروا الكفر والرذيلة. **﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾:** دعوا إلى الله الحق، كما دعا رسول الله ﷺ. **﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:** يعلمكم، أحاط بكل شيء علماً.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة التوبة

سورة التوبة: [01-10]

1- ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: هذه السورة فيها الوقائع، من يوم مجيء رسول الله ﷺ بالرسالة إلى يوم تبوك. يبيّن تعالى كيف نصر الحق وخذل الباطل، ويبيّن حالة المشركين ومن هو المشرك. وقد شجع تعالى المؤمن وهدَّد الكافر. فرسول الله ﷺ لما رفع الله شأنه وقويت شوكته عاهد قريشاً. بنو بكر تحالفت مع قريش... وحالفت خزاعة رسول الله ﷺ، عاون المشركون بني بكر على بني خزاعة نقضاً للعهد، لذلك تبرأ الله من عهد المشركين بعد أن نكث بنو بكر وهم حلفاؤهم في العهد ويبيّن تعالى لهم البراءة من العهد، لكنه أمهلهم أربعة أشهر وهددهم علّهم يرجعون إلى الحق وفي ذلك ما فيه من دلالة على رحمة الله تعالى بعباده.

2- ﴿**فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**﴾: أمهلهم أربعة أشهر لعلهم يرجعون. ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ**﴾: بفتح مكة.

3- ﴿**وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ**﴾: على عرفه. ﴿**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾: وقد أرسل ﷺ من بلّغهم.

الشرك الظاهر: من يعتمد على غير الله، يظن أن للأصنام شركاً في تسيير الكون. وكأن الله تعالى أعطاها الفعل والتصرّف. هذا كله ضلال: لما خلق تعالى الكون، هل كان معه من أحد؟!

الشرك الخفي: وهو أن ينسب الإنسان لنفسه فعلاً وتصرُّفاً.

﴿**فَإِنْ تُبْتُمْ**﴾: عن هذا الشرك. ﴿**فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾: عذاب الدنيا أدوية لعلهم يرجعون إلى الحق. عذاب الآخرة محوّل عن آلامهم النفسية.

4- ﴿**إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً**﴾: وذلك ممن سوى قريش. ﴿**فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾: الموفون بعهدهم.

5- ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ**﴾: منها أولاً: شوال: شال للحج. ثانياً: ذو القعدة: قعد للتهيُّؤ للحج. ثالثاً: ذو الحجَّة: الحج. ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ**﴾: بالأسر. ﴿**وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾: اربطوا عليهم الطرق، كل ذلك تخويف لهم لعلّهم يرجعون. ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: هذا من كمال عطفه ورحمته تعالى بالخلق.

6- ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**﴾: الآن أيضاً لا يجوز قتل نصراني، درزي، يهودي. الحاكم عليه أن يعلن عليه الحرب، أما أنت: فحافظ له على عرضه وماله ودمه. وهكذا لا يحل للمسلم دم مشرك بل يعامله حسنة ويترك أمره للحاكم أما في الحرب فالأمر مختلف. ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: شيئاً عن الله أنه رحيم شفوق، رؤوف.

7- لذلك: ﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾: المستقيمون على العهد.

8- ﴿**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**﴾: هنا تحريض على عدم السكوت عنهم. ﴿**لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا**﴾: لا عهداً. ﴿**وَلَا ذِمَّةً**﴾: لا يخجل من نقض العهد، ما عنده مروءة. ﴿**يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾: خارجون عن الحد الإنساني.

9- ﴿**اشْتَرَوْا بِآَيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: الدنيا عندهم كل شيء.

10- ﴿**لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا ولَا ذِمَّةً**﴾: لا يخجلون من أذى المؤمن. ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾: حيث نقضوا العهد فحاربوهم.

سورة التوبة: [11-20]

11- ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ**﴾: الصلاة الصحيحة هي التي تقارنها طهارة النفس. ﴿**فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾: دانوا للحق. ﴿**وَنُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾: أولو العلم بالله. يعلم المشروعية من الجهاد ويعلم أن التضييق على الكافر خير له لذلك ينطلق للجهاد حبّاً بالكافر؛ لأن بقاء الكافر أذىً عليه. إن رجع صلح، وإلا فقتله خير له. والفتنة أكبر من القتل.

12- ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ**﴾: بحربكم لهم. ﴿**يَنتَهُونَ**﴾: عن الانحراف ويتبعون الحق. الغاية من الجهاد رد أخيك للحق.

13- ﴿**أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ**﴾: خطاب للمهاجرين من قريش، أقاربهم كلهم من الكفار. ﴿**وَهَمُّوا**﴾: في القديم. ﴿**بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾: بنقض العهد. بيّن تعالى للمؤمنين ذلك لعل أحدهم يقع في نفسه شيء من قتله إياه أو... ﴿**أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّه أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: المؤمن لا ينظر إلّا لرضاء الله.

14- ﴿**قَاتِلُوهُمْ**﴾: القتال خير لهم. ﴿**يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾: لمن كان له قتلى قتلهم المشركون. قُتل بعض أقربائهم في معارك سابقة.

15- ﴿**وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**﴾: لعل بعضهم يتوب. ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾: لكلِّ نفس يعطيها ما يناسبها.

16- ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا**﴾: لابد من ظهور عمل كل إنسان. كل امرئ وله وظيفة وعمل. ﴿**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ**﴾: بالجهاد يظهر عملك وتظهر نيّتك. ﴿**وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً**﴾: لا يولي وجهته إلا لله. ﴿**وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾: يبتليكم بأعمالكم عن خبرة.

17- ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ**﴾: يصل القلب على الله أي يجعل القلوب مع الله. ﴿**شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**﴾: ينسبون الفعل لغير الله، يظنون أن للأشخاص فعلاً لاعتقادهم بالصنم. ﴿**أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾: زنى، خمر، مفاسد، عندما يبعد الإنسان عن الله تنحط صفته وعمله. ﴿**وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾: خجله يحرقه، فالنار تغيّب عنه الألم النفسي، كيف لهم أن يحموا البيت، وأن يعمروا مساجد الله؟!

18- ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ**﴾: عمار نفسي، عمار قلبي. ﴿**مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ**﴾: أنَّه المسيِّر. ﴿**وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ**﴾: كل امرئ وعمله. ﴿**وَأَقَامَ الصَّلَاةَ**﴾: المؤمن بالله حقاً وبالآخرة يجعل صلته مع الله قوية

ليكتسب كمالاً. ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾: لنفسه. ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾: الفعال هو الله وحده. ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: ممن سلك هذا المسلك الإيماني العالي. وبعد دخوله ﷺ مكة، خاطب تعالى الذين كانوا يخدمون الكعبة بقوله:

19- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: مثل قريش. ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: مثل صحابة الرسول ﷺ. ﴿وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: مَن آمن من قبل ليس كمن آمن الآن.

20- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: آمنوا إيمان ذاتي، شاهدت أنفسهم. ﴿وَهَاجَرُوا﴾: إلى الحبشة. ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: وقفوا ضد أهلهم. ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾: تركوا مالهم. ﴿وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: حتماً بالحياة العالية.

سورة التوبة: [21-30]

21- ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾: أبدي سرمدي متسامٍ.

22- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: هذا الذي يؤمن بالتفكير والمنطق، إنه أعظم درجة من ذاك الذي يؤمن بعد الفتح، أو بعد الشدائد والمصائب.

23- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾: لا تتخذه ولياً لك. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: لأنفسهم. إذا شذَّ أبوك فلا توالِه إنما عامله بالإحسان واللطف والبرّ لعلّه بهذه المودة يعود للحق.

24- ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: إن كنت تخشى على تجارتك بمقاطعتهم. ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾: فتربَّصوا حتى يوم الموت، انتظروا يوم موتكم، عندها تعرف نتائج موادتك. ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجون عن الحق.

بعد الفتح صارت حُنين:

25- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّه فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: يومها تراجع المسلمون. ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: حسبوا أن الكثرة قوة. ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾: هاربين.

26- ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾: أنا الفعَّال. ﴿وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾: رموا الخوف بقلوب أعدائكم. ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: المعرضون عن الله.

27- ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: ممن يرجع ويتوب. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غاية رب العالمين توبتهم.

28- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: كلهم أذى وضرر. ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقراً، لأنهم كانوا يأتونكم بتجارة. ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾: إن سرت بالطيب والاستقامة. المشيئة الإلٓهية مرتبطة بعملك واختيارك. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: يعطي كلَّا علاجه المناسب.

29- ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: والآن لا يسير الكفار على أمر الله. ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: لعلهم بهذا يرجعون. حافظ على مالهم، دمهم، وعرضهم، لكن اضرب عليه الجزية لعله يفكِّر ويرجع للحق.

30- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾: هؤلاء مشركون ينسبون الفعل لغير الله. ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: كلام فقط، هم أنفسهم لا يؤمنون بذلك، لا اعتماد لهم على العزير عليه السلام. ﴿يُضَاهِئُونَ﴾: يشابهون. ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: إلى أي شيء يتحوَّلون؟

سورة التوبة: [31-40]

31- ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: المرجع دوماً كتاب الله، اليهود والنصارى ضلُّوا بواسطة الأحبار والرهبان. ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا﴾: جميعاً من قديم الزمان حتى من عصر نوح عليه السلام. ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً﴾: لا فعال سواه. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ﴾: ما أعظمه. ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: ينسبون بزعمهم.

32- ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: لكيلا يظهر الحق. ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: حتماً ذلك واقع.

33- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: لابدَّ سيقع.

34- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: خطاب للمؤمن. ﴿إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يعارض الحق من أجل الدنيا. كثير من الأحبار والرهبان وأناس يدلُّون دلالة خلاف ما بيّنه رب العالمين. يطمّعونهم بالجنة بالباطل ويدلُّون دلالة باطلة. كالربا بنسبة قليلة، يزعمون بالسماح بها، وكذا الوجه أنه بزعمهم ليس بعورة وما إلى ذلك. ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾: من الأحبار وغيرهم. ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: إن لم يتوبوا.

35- ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: سيأتيه يوم تحلُّ به الحقارة فيلقي بنفسه في النار. ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾: عملكم عائد عليكم.

كيلا تنغش أيها المؤمن بهم أراد تعالى أن يبيِّن لك قوانين الحياة:

36- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: قبل أن يخرجك إلى الأرض رتَّب لك نظاماً. [12] شهراً. ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: إن طبَّقت دلالة الله بها حسبما يأمرك رب العالمين، فلن يستطيع الشيطان الدخول عليك لا عن طريق راهب ولا غيره، وإن جاءك أحد بكلام مغاير لكلام الله عندها تردّه لأنك أصبحت عالماً. ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: إن طبقت مناسكها سرت بالاستقامة، فوصلت للحق.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: لا تضيع هذه الأشهر. كيف الأصول؟! البدء بالتربية: ما أصلك؟ نطفة. النطفة من تراب، التراب ما أصله؟ الكون كله من أجل خاطرك حتى صرت إنساناً. الكون من الذي يدير شؤونه! هو الله. عندها إن فكَّرت صرت مؤمناً، تستطيع أن تميِّز وترى الدلالة الحق من الدلالة

الباطلة وذلك بذهابك للحج. بمجرد نيّتك الحج غدت وجهتك إلى الله تعالى وهو شهر شوَّال: بهذا الشهر تتهيأ للدخول بذاك المدخل السامي. في مكة وبشهر ذي القعدة تعتمر وتقعد للاستعداد خلال شهر كامل تمّرن نفسك على الصلة والصلاة الصحيحة فتطوف وتسعى وتصلي وتعتمر... وبهذه الصلاة تطهر وتكمل فترتبط برسول الله ﷺ سيد الكاملين. عندها وبخروجك لعرفات تغدو من أهل المعرفة ولن يستطيع أحد أن يضلّك، إذ أصبحت تميّز فترى الخير من الشرّ والكذاب من الصادق.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: تغدو تقياً تعرف خيرك من شرك فلا تضيّع هذه الفرصة. فالله تعالى وقبل أن يخرجك للدنيا جعل لك نظاماً وأصولاً إن سلكتها أصبحت مؤمناً عالماً. أما إن لم تصبح مؤمناً فلن يحصل لك الحج. إن صرت مؤمناً حصل لك الحج ورجعت من أهل التقوى. إن وصلت للحج اقرن العمرة بالحج إلا إذا حصل لك مانع. **﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾:** إذ صرت بالحج أهلاً لردّهم للحق. **﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾:** ينصركم حتماً. إن تنصروا الله ينصركم.

37- **﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾:** القتال في شهر محرم كما كان عند العرب، وإرجاء الشهر المحرم عند المشركين إلى شهر آخر، كذلك تأخير أشهر الحج عن مواعيدها، والقول بالسفور، بالربا بنسبة قليلة وما إليها، كلها من البعد عن الله. **﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:** الكافر يضل. المؤمن التقي يعرف فلا يضله أحد. **﴿يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾:** يوافقوا العدّة فيحلّوا ما حرَّم الله. **﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾:** بالتقديم والتأخير. **﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾:** يرى ذلك حسناً. **﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾:** لا يؤمن من لا يعظِّم الله ولا يهتدي فلا يرى الحقائق. البعيد الأعمى كيف يرى الشمس؟ كذلك إن لم يؤمن الإنسان وظلَّ على كفره، يظل أعمى ومع الشيطان في الظلمة، فكيف يرى؟

38- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾:** تباطأتم. هم الذين آمنوا فكرياً. خطاب للمؤمنين بعد أن كثر الناس، فصار الإيمان فكري وعقلي: يخاطب الله تعالى أولئك الذين لم يصلوا إلى العقل. **﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾:** أنت جئت للدنيا لتعمل صالحاً لا لتأكل وتشرب. **﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾:** الدنيا مؤقّتة.

39- **﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾:** إن لم تخرج للجهاد فلن يحصل لك إقبال على الله، وبعدم الإقبال يمتلئ قلبك بالخبث والسوء، لذا من رحمته تعالى يشدِّد عليك ليخرج لك ما في نفسك. إن خرجت طهرت وكملت وإن لم تخرج يظل قلبك خبيثاً فيخرج لك ما في نفسك. **﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً﴾:** النصر واقع حتماً. **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:** كل حالة لها علاج على حسبها ومقدارها.

40- **﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾:** ما كان معه أحد يومها ينصره. **﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾:** لسنا نحن خائفين لكن قوانين يجب تطبيقها. اتخاذ الأسباب واجب. من مكة للهجرة إلى المدينة يجب اتخاذ الأسباب. الكون كله بنظام وقوانين. يجب السير ضمن القوانين. **﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾:** على صاحبه رضي الله عنه. **﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾:** ملائكة في الغزوات. **﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾:** وبكل عصر، كن مع الله والله مؤيِّدك. **﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:** يعطي كل إنسان الدواء المناسب.

سورة التوبة: [41-50]

41- ﴿انْفِرُوا خِفَافاً﴾: من الدنيا، لا تتعلق بها. ﴿وَثِقَالاً﴾: بالإيمان، وراء جهادك نعيم عظيم. ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: من هذه الدنيا. اجتهد في العمل هذا خير لك. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه لا إلٓه إلا الله، إن عرفته وعرفت حنانه وفضله عرفت هذا الخير. ما الله تعالى بحاجة لك، لكن عملك يولِّد ثقة بنفسك فتقبل وتطهر نفسك، ولا يدخل الجنة إلا طاهر نقي.

42- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً﴾: مالاً وغنيمة. ﴿قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً﴾: بتجارة. ﴿لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾: لكن حالك عند الله معلوم. ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: بعدم خروجهم. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: بقولهم.

43- ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾: عافاك من خروجهم معك. وأراحك من عزائمهم الخائرة. ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾: السبب بإذنك. ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾: سمح لك بالإذن لهم حتى يتبيّن[1]. {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}[2].

44- ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾: لأنهم إنسانيّون شاهدوا بنور الله ما في الجهاد من الخيرات وأحبوا الخير للخلق أجمعين.

45- ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: آمن فكرياً لم يكمل تفكيره كي يعقل حقاً، لو عقلت لرأيت كل عضو منك لا يتحرك إلَّا بالله. ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: ظهرت أحوالهم.

46- ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: الراغب يستعد. ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّه انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: ولا إكراه في الدين.

47- ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾: يضعفون همتكم. ﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾: ولأوضعوا الضعف. ﴿خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: الضعيف يلقي الرعب في القلوب. ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: لأنفسهم.

48- ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾: لعدم إيمانهم ولعمى قلوبهم.

49- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾: أبقى مشغول الفكر عند أهلي. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: الذل والحقارة محيطة به. سيقع بالخجل والندم كيف ضيَّع على نفسه.

50- ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾: احتطنا وما خرجنا. ﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾: بدنياهم الزائلة.

---

[1] وهذه الآية الكريمة تنفي ما زعموه من أن الرسول ﷺ أنه أخطأ بالاجتهاد ثم نزل الوحي مصححاً ومبيناً إذنه للمنافقين بعدم الخروج في غزوة تبوك، فبعض أصحاب السير وبعض المفسرين اعتبروا هذا الإذن خطأ من رسول الله ﷺ عاتبه الله تعالى عليه. وهذه الآية لا تفيد أي خطأ ولا عتاب وما زعموه إن هو إلا خطأ بالتفسير، فكلمة (عَفَا) مأخوذة من العفو وهو محو أثر الشيء، تقول عفا الهواء على آثار سير فلان في الرمل أي محا الآثار فلم يعد لها بقاء، وعفا عن ذنب فلان أي محا أثره من نفسه وكلمة (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ) بحسب سير الآيات إنما هي خلاص رسول الله ﷺ مما كان قد يحدثه المنافقون من الفتنة إذا هم خرجوا معه، وهي تعني أيضاً أن الله تعالى أقر رسوله ﷺ على فعله فكلمة (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ) تقول: خلصك الله وحفظك من شر هؤلاء المنافقين وأذاهم وذلك بإذنك لهم.

[2] سورة الأنبياء – الآية:27.

سورة التوبة: [51-60]

51- ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾: إن كنا طاهرين فلن يصيبنا أذى، الله عليم بنا، إن كان في نفوسنا شيء ولو لم نخرج فإننا نداوى عليه. ﴿هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فهو وليهم وناصرهم.

52- ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: الشهادة إن متنا، والسعادة إن عشنا. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾: فمن لا يفعل المعروف والإحسان آخرته شقاء.

53- ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾: كيفما دفعت لا يتقبّل منك إن لم يطهر قلبك. ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾: خارجون عن الحق.

54- ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾: ما عظموا ولا قدروا الله ولا رسوله ﷺ. ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾: يأتي كرهاً. ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾: ولا ينفق إلا كرهاً.

55- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾: لا هو ولا ماله ولا أولاده. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: سيموت ونفسه معلّقة بها، عينه فيها.

56- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾: المؤمن يفدي نفسه تجاه رسول الله ﷺ. ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: عنكم.

57- ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾: لو أنه يجد جهة ثانية لالتجأ إليها. ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يسرعون.

58- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾: يقول بعضهم لماذا الرسول يعطي فلاناً ولا يعطيني. ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: لما رأى بعض المنافقين أن رسول الله ﷺ يعطي أناساً ولم يعطهم منها سخطوا، ولو كانوا مؤمنين لما تكلموا بهذا، هو ﷺ يعرف.

59- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: غايتنا الله، والله يعطينا، رسول الله ﷺ يعطي ضمن الحق. ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾: الله هو العاطي. سلم أمرك لله وآمن بالله هو الرزاق. ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾: غايتنا رضاء الله.

60- ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾: ذو الحاجة، من ليس عنده مال، ومن لا يكفيه وارده. ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: الضعيف عن الكسب "العاجزون". ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾: من يشتغل لصالح الدولة، الموظفون أصحاب الوظائف. ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: الذين دخلوا بالإيمان حديثاً ليقوى إيمانهم، ممن أسلم حديثاً. ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: الأسرى، فك العبيد. ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾: المديونين، المكسور عليه ديون، المدين المكسور. ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الجهاد. ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع، والمنقطع المحتاج. ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾: لهم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: عليم بقلوبهم وما يناسبهم.

سورة التوبة: [61-70]

61- ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾: لا تؤذِ من يدلك على الله، المنافق آخرته للنار. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: يعطي أذنه للناس يسمع علينا إذا أحد تكلم له: أي يسمع علينا من أصحابه. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾:

يسمع عنك لكي ينصحك، ليردَّكم للحق. لا يأتي من الرسول إلا الخير. ﴿**يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**﴾: بلا إلّه إلا الله. ﴿**وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: إنَّ قولهم حق؛ لأنهم لا يقولون كذباً. الرسول يصدق المؤمن لأن المؤمن لا يكذب. ﴿**وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ**﴾: يدلُّكم، إذا تاب ورجع رحمة له. ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ**﴾: وكل متابع له. ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: دنيا وإن لم يتوبوا وبالآخرة.

62- ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ**﴾: للمؤمنين. ﴿**لِيُرْضُوكُمْ**﴾: ليجعل مودَّة مع المؤمنين. ﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾: من خان رسول الله ﷺ لا خير فيه لك. تارك الصلاة لا خير فيه، لاحظَّ له في الإسلام. المؤمن يرضي الله ورسوله.

63- ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا**﴾: أما صار له علم بأن المنافق حاله خطر مخلَّد في النار؟ ﴿**ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ**﴾: تجاه الخلق كافة.

64- ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ**﴾: يستهزئون فيقولون: غداً تنزل آية تتكلم عنكم، يريدون بذلك استهزاء برسول الله ﷺ. ﴿**قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ**﴾: سيظهر نفاقكم.

65- ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾: تكلمنا مازحين. كنا نمزح مزحاً. ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾: هذه لا لعب بها.

66- ﴿**لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾: كنتم آمنتم فكراً أنه لا إلّه إلا الله لكن ما عقلتم. قالوا: الله هو المسيِّر ومحمد ﷺ رسوله. المؤمن لا تقع منه خطيئة، لكن إيمان هؤلاء فكري؛ أسلموا وما صار لهم شهود، إذ ما عقلوا، ما صار لهم إيمان عقلي. ﴿**إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ**﴾: تابت ورجعت للحق. ﴿**نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾: ما فيهم خير قطعاً حيث إنهم لم يرجعوا. رغم كل ما سمعوا ما زالوا مصرّين، إذ لم يتوبوا.

67- ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾: يتعلمون من بعضهم بعضاً. المؤمن يدلُّ أخاه لكن المنافق يعلِّم المنافق الخبث. ﴿**يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾: عن العطاء، لا ينفقون شيئاً في سبيل الله. ﴿**نَسُوا اللَّهَ**﴾: ما عرفوا المربي المتفضِّل الممدّ بالحياة والخيرات نسوا عنايته منذ بدايتهم وبعد ولادتهم، والآن من رفع شأنهم؟ ﴿**فَنَسِيَهُمْ**﴾: هو في يوم من الأيام! أما أمدهم في بطون أمهاتهم، هل نسيك الله في بطن أمك من الطعام والشراب، من رباك من نماك، وبعد ولادتهم والآن؟! فهل نسيهم في الماضي والآن؟ ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾: المنحرفون. عملهم المنحرف دليل نفاقهم. المؤمن سيره على استقامة.

68- ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ**﴾: كلهم غداً سواء: المنافق عمله سوء، الكافر ينكر وعمله سوء، الاثنان بدرجة واحدة غداً، حتى أن المنافق أخطر شأناً. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ**﴾: لا يناسبهم غيرها. ﴿**وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ**﴾: لأنهم لابسون ثوب الوساخة والسفالة. ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾: على طول.

69- ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾: أنتم انتبهوا. ﴿**كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً**﴾: أنتم ضعفاء. ﴿**وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ**﴾: بالدنيا غاصوا بها. الغوص بها سبب الهلاك. ﴿**فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ**﴾: مثلهم، ستزول عنك. ﴿**كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ**﴾: ما خلقه الله لهم من الدنيا، الذي يتمتع بالدنيا ويجمعها، بعدها انحرافات يخوض فيها. ﴿**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا**﴾: في المعاصي والسفالة. ﴿**أُولَئِكَ**

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: انحطَّت. **﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾:** يأتي بثوب وسخ قذر. **﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:** أعد الله لهم نعيماً أبدياً فضيَّعوه.

70- **﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾:** جماعتك. **﴿نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾:** أغرقوا. **﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾:** قوم لوط عليه السلام تحوَّلوا عن طريق الحق. **﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾:** ما رجعوا فأهلكهم. **﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:** دنيا وآخرة.

سورة التوبة: [71-80]

71- **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾:** المؤمن يدلُّ المؤمن. **﴿يَأْمُرُونَ﴾:** بعضهم. **﴿بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾:** يعمل معروفاً وإحساناً حتى تتولد لديه الثقة فيستطيع أن يصلّي، بفعل المعروف يصلّي، بالصلاة والإقبال تأتيه الطهارة والكمال. **﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾:** الطهارة لنفوسهم. المؤمن يخرج من الصلاة وقلبه يفيض بالعطف والحنان. **﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾:** من طاعته لله والرسول نال الطهارة. **﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:** كل امرئ يعطيه حقه واستحقاقه.

72- **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾:** من جنة لجنة إلى ما شاء الله، من إقبال لإقبال. **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾:** الخيرات الكثيرة. **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾:** على طول، نفسه مسرورة دوماً حيث إنها دوماً في تنقُّل من حسن لأحسن لا يملُّ منها. **﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾:** يرى أعماله، من عمل لعمل تترى أمامه وتتتالى بعمله العالي تتولد ثقة يعرف أن الله راضٍ عنه. **﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:** هذه هي الحياة العالية.

73- **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾:** لعلهم يرجعون إلى الحق. **﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾:** شدِّد. **﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:** تعود عليهم بالبؤس.

74- **﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾:** شيئاً. **﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾:** الذي يطعن برسول الله ﷺ هذا هو الكافر. **{الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ}**، **{وَمِنْهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ}**، **{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ...}**، **{يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ}**، هذه أقوالهم. **﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا﴾:** بأذاك. **﴿بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾:** ما كان لهم اسم ولا عندهم شيء. **﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ﴾:** فتح لهم باب التوبة. **﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:** كفقراء اليهود لا دنيا ولا آخرة ولا ناصر لهم؛ لأنهم لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك.

75- **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:** إذا عاهدت لا تخلف وإلا وقعت في النفاق.

76- **﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾:** عاهد ونكث، بنكثه تباعدت نفسه فأصبحت لا تُقبل. اعمل دوماً ما يقوّي ثقتك، بعدم سيرك تتراجع.

77- **﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ﴾:** فوق نفاقهم. **﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾:** الخيانة تسد باب التوبة. **﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾:** فمن يأتي معاهداً على السير بالحق ثم ينكث، هذا عليه خطر. **﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾:** على أنفسهم.

78- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾: أما آن لهم أن يعلموا؟ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾: كل هذه الأدلّة والبيانات أما هي كافية لهم! ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: لا تخفى على الله خافية.

79- ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾: يعيب على المؤمنين في صدقاتهم. ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: أيضاً يسخر منهم. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: غداً.

80- ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: سواء. مع أن الاستغفار من الرسول حال من الأحوال النفسية فرسول الله الذي ينصب على نفسه أعظم تجلٍ وأشد نورٍ وإمداد من الله سبحانه إذا توجه لهم بالنور الذي معه ينعكس عليهم بحال عالٍ وسعادة إلا أنهم منافقون كالنفق فارغ وكذلك هم فارغون لا كمال فيهم فمهما توجه واستغفر لهم ﷺ وسبّعهم وطهرهم بالنور الذي أنزل معه إذا هم ما غيروا الذي بنفوسهم وطبقوا لا يستفيدون فلابد من سلوك القانون الذي وضعه الله للبشرية وهو طريق سيدنا إبراهيم عليه السلام، "التفكير بالكون" والإيمان. ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: إن لم تؤمن بلا إلٓه إلا الله فهذا هو الكفر، إن لم ترَ أن الله معك حيثما سرت فهذا ليس بإيمان، والله لا يهديك، الله أقرب إليك من الروح.

سورة التوبة: [81-90]

81- ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾: أنت جئت لفعل المعروف لتنقذ أخاك. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾: ما في الجهاد من خيرات.

82- ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾: بهذه الدنيا. ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾: على ما فرَّطوا فيها. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من الدنيا، البَسط في الدنيا نهايته بكاء طويل، جزاء ذلك ندم وبكاء.

83- ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً﴾: لا أصاحبكم. ﴿وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾: ما لنا حاجة بكم.

84- ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: زيارة القبر حق. لكنك إن استفدت من الزيارة وأقبلت استفاد هو منك، كذلك الصلاة على الميت وتشييع الجنازة. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن الحق، تنكبوا طريق الحق. ما منعك الله تعالى من شيء لكن كل شيء له طريقان، من طريق الحق أو من الباطل.

85- ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾: عليها، ماله يحترق قلبه عليه، ابنه يعذبه. ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: ما عظموا الله، صاحب الإحسان.

86- ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: الأغنياء. ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: مع غيرهم من المنافقين.

87- ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ﴾: الكفر. ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: من بيان الله شيئاً.

88- ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾: المؤمن جاء لفعل المعروف والخيرات. ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾: جاهد بلسانك بمالك بجاهك بدلالتك إلى الحق. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: حرثوا أرضهم صارت قابلة لأن تنبت بها الخيرات.

89- ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾: بعملهم العالي. ﴿جَنَّاتٍ﴾: من جنة إلى جنة. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: الخيرات. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: لا سواه، وتلك هي الحياة العظيمة.

90- ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: أصحاب الأعذار. ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: بعدم الخروج. ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ﴾: على الله بقولهم. ﴿وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: بعدم فعلهم الخير يقعون بالشر.

سورة التوبة: [91-100]

91- ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾: بعدم الخروج. ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: قلبهم طيِّب. ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يشفيهم بنيتهم الطيبة ويرحمهم.

92- ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾: هؤلاء مؤمنون.

93- ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: إنما المؤاخذة على الذين يستأذنونك أيضاً المؤاخذة الآن على الغني إن لم يتصدَّق، صاحب جاه لا يبذل جاهه وكل واحد وله صفة يخالف الحق بها فهذا معدود من جملة النفاق. غني بإمكانه الذهاب للجهاد فامتنع، وكذلك كل مقصر بواجبه، إن لم يتقن عمله وصنعته فهو مؤاخذ. أنت جئت لتكون محسناً، لتعامل الخلق بالإحسان لتنفع الخلق. خلقت لتنفع وتنتفع. ومن لا ينفع وينتفع من عمل الصالحات فهو منافق. ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: بما فيها من خبث. ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما في عدم خروجهم من خسارة، وما في الخروج من الخير. وكذلك كل تقصير، فالمقصِّر لا يعلم ما وراء تقصيره من خسارة. يجب على الإنسان أن يعلم المراد من مجيئه للدنيا وأنه جاء لفعل الخير.

94- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: اجتهد وانوِ النيَّة الطيِّبة يفتح الله لك. ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾: عرفنا حالكم. ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: إن تبتم. ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: من خير وشرّ. كل امرئ وعمله، فمن كان عمله طاهراً طيباً فله النعيم.

95- ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: لئلا تعاتبوهم. ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: كل من اقترب منهم تراجع. إذا العبد رضي عنك فهل يرضى الله؟ دوماً اجعل مطلبك رضاء الله. ﴿رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من خبائث.

96- ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: كل من خرج عن طريق الحق. عن طريق الإنسان: الفاسق لأنه ما سار بطريق الإنسانية. لا يرضى الله عنه لأنه ما أفاد من حياته شيئاً.

97- ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾: أهل اللغة، المتعلمون من العرب. هذا لم يفكِّر، حيث إنه اعتمد على علمه، ظنَّ نفسه عالماً وهو جاهل. "ومنهم أبو جهل وكانوا يدعونه أبا الحَكَمَ". ﴿وَأَجْدَرُ﴾: بسبب

كفره. ﴿**أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾: نظر تعالى لنفسه فوجدها معرضة متحولة، فعلى حسب حاله أعطاه. لا يوجد ثمة أمر مُبرم على الإنسان، لكن على حسب حالك يعطيك. {**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**}[3]

98- ﴿**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً**﴾: يراه غرامة. ﴿**وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ**﴾: يتمنى زوالكم. ﴿**عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**﴾: "من حفر حفرة لأخيه المؤمن وقع فيها"، أمنياته تعود عليه. ﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ**﴾: لكلامهم. ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بحالهم.

99- ﴿**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**﴾: بلا إلّه إلا الله. ﴿**وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾: يعرف أن هناك حساباً عقاباً جحيماً. ﴿**وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ**﴾: يرى في هذا العطاء قرباً إذ يطهر، بالقرب طهارة، بالطهارة ينال الكمال فيحب أهل الكمال وسيد الكاملين رسول الله ﷺ، فيحظى بالقرب من رسول الله ﷺ. ﴿**عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ**﴾: هذه الصلوات تجعل له قرباً من الله. ﴿**سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**﴾: شافٍ. ﴿**رَحِيمٌ**﴾: ضمن رحمة.

100- ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ**﴾: المهاجرون الأولون. ﴿**مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ**﴾: أهل المدينة. ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ**﴾: كل من سار على ممشاهم إلى يوم القيامة. ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾: المؤمن راضٍ عن الله دوماً. ﴿**وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**﴾: على طول. ﴿**ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾: مجيئك للدنيا من أجل هذا، إن وصلت لذلك الحال العالي فكل ما يحصل لك تكون راضياً به.

سورة التوبة: [101-110]

101- ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾: عاوَنوهم. ﴿**لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ**﴾: في الدنيا مصائب أمراض شدائد وعند الموت وأثناء النزاع والسبب هؤلاء منافقين لهم سوابق إيمانية ويستطيعوا الرجوع لها، لذلك عند النزاع من رحمة الله بهم يشدد الله عليهم لعلهم يرجعون. ﴿**ثُمَّ يُرَدُّونَ**﴾: غداً. ﴿**إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾: تقصيره بالعمل يجرّه للأذى، الأذى يستلزم المداواة، فمن لا يُقبل على الله فإن عمله سوء ويعود عليه، وبالعكس. المحسن عمله حسن ويعود عليه.

102- ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ**﴾: عرف تقصيره. ﴿**خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً**﴾: عملوا عملاً حسناً بعد السيء. ﴿**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: بهم.

103- ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً**﴾: بعمله الحسن يحصل له اطمئنان. ﴿**تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾: بعطائه ما يحب تتولد له ثقة، فإقبال فطهارة. والنفس لا تطهر إلَّا بالله بالإقبال عليه، ومن لا صلة له مع الله لا تطهر نفسه، الصلاة للطهارة. ﴿**وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾: متى غدت النفس كاملة فهي تميل لأهل الكمال. ﴿**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾: إن عرف أن الله راض عنه فيُقبل.

104- ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾: الصدقة كلها بإلهام من الله، لكن إن كانت النفس أقرب إلى الحق وصارت عندها قابلية الخير، ألهمك الصدقة. المعوَّل إذن على طهارة النفس، الصدقة بعد التوبة، تب عن السوء عندها يلهمك الصدقة.

---

[3] سورة الرعد – الآية:11.

105- ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾: الذين دفعوا الصدقات. ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: يرونكم. ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: غداً. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: من الخيرات.

106- ﴿وَآَخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللَّهِ﴾: لم يفعل شيئاً. ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾: لكنه لابدَّ أن يفعل شراً إذا هو لم يتب ويُقبل. ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: إن تابوا ورجعوا. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: عليم بقلوبهم يعاملهم بما يناسبهم.

107- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً﴾: للإضرار. ﴿وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بين غني وفقير. ﴿وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾: لجمع المؤذيين أمثالهم. ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: بادّعائهم.

108- ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: منذ سلك بطريق الحق، قصده رضا الله. ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾: أن يقبلوا على الله لتطهر نفوسهم. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾: الذين يحبون أن تطهر نفوسهم.

109- ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾: وسار بالحق. ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾: نشأ على سفالة ودناءة. ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾: رماه عمله. ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: بالذل والحقارة.

خطاب من الله تعالى لنا: أيهما يا عبادي أحسن؟ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الظالم لم يتب، لم يرجع للحق فلا بد له من علاجات.

110- ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: مبعث شكوك. المؤمن عمله طيّب، البعيد قلبه كله شكوك لأنه يرى ربه بعيداً. ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: عنه. إن لم تتباعد قلوبهم عن هذا فلا يزالون بعيدين.

المؤمن إن لم ير أن الله معه فلن يستقيم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: سيعالجهم بما يناسبهم.

سورة التوبة: [111-120]

111- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾: باعوا فاشترى منهم. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾: ولكن هل هو محتاجك؟ كل ذلك لسعادتك. حنان وعطف. خلقك ليسعدك دنيا وآخرة. الجهاد لك، خيره عائد عليك. ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: غايته رضاء الله "الطريق الموصل إلى الله" يقاتل، يجاهد ليصل إلى الله. ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾: ذكر ذلك. ﴿وَالْقُرْآَنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾: هل من أحد وعده حق مثل الله!؟ ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: الآن كل عمل فيه مساعدة للخلق هو جهادٌ لك.

112- ﴿التَّائِبُونَ﴾: يعاهد ربه على التوبة، إن لم يتب فلن يصل لشيء. التوبة لا تتم إلا بعد معرفة المربي. التوبة هي أول شرط. ﴿الْعَابِدُونَ﴾: متى تاب انطلق سائراً بأمر الله، هذا هو الإسلام، إن عبدَ انصبَّت عليه الخيرات. ﴿الْحَامِدُونَ﴾: بنواله للخير يقبل بصلاته على الله. ﴿السَّائِحُونَ﴾: إن ساح رأى الحق. ﴿الرَّاكِعُونَ﴾: استسلم لله خاضعاً لأنه رأى الخير خيراً والشر شراً. ﴿السَّاجِدُونَ﴾: طلب فضل الله، طلب منه تعالى أن يمدّه. ﴿الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾: صار كاملاً. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بذلك.

113- ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**﴾: لا يجوز لك بعد موته أن تستغفر له. ﴿**وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى**﴾: مهما كان قريباً. إن مات على النفاق لا تعلق قلبك به. بارتباطك به تتراجع. ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾: حيث انكشفت أحواله الخبيثة.

114- ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ**﴾: لما مات أبوه على الكفر تركه. ﴿**تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ**﴾: على الخلق متحسّر. ﴿**حَلِيمٌ**﴾: عليهم.

115- ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ**﴾: بعد الإيمان لا يحصل تراجع أبداً، إذن اسع لأن تصل للإيمان. ﴿**حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ**﴾: يريهم طريق التقوى. ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾: لا يحصل الإيمان إلا بعد الوصول لمعرفة المربي، بعدها لا بدَّ من الإيمان، بعد الإيمان محبة رسول الله ﷺ. الاستقامة تولِّد ثقة فطهارة وزكاة فكمال فحب لرسول الله ﷺ.

116- ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: كله عائد إليه. ﴿**يُحْيِي**﴾: بإقبالك عليه تحيا. ﴿**وَيُمِيتُ**﴾: بإدبارك تموت فلا تفعل الإحسان. خيرك منك من إقبالك. شرّك منك: بإعراضك يتولَّد الشر بنفسك. ﴿**وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾: من ينصرك من دون الرحمن! إن أصابك مرض، بلاء، موت، من يخلصك ويداويك سواه؟

117- ﴿**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ**﴾: لما في نفسه من خيرات فتح له طريق السموّ. فلفظ تاب مشتقة من الأوبة العاجلة أي من آب توباً، هذه في غزوة تبوك وهي أشد المعارك على نفوس الجميع حيث الحر والجفاف والمحل والروم جمعوا جموعهم لغزو الرسول، والرسول ﷺ استنفر كل إمكانية ولم يرضَ أن يُغزى في داره وقال ﷺ: **"ما غُزِي قوم في عقر دارهم إلَّا ذلوا"** وخرج لهم ولم تحدث معركة لأن الروم هربوا فقال ﷺ: **"نصرت بالرعب مسيرة شهر"** فمكانتهم عند الهجوم ترتفع أمام القبائل وبعد ذلك مهابتهم تقوم بالعالم. فالتوبة من الله غير توبة العبد، فتوبة الله على النبي إعادة الخيرات ورفع درجات وبركة لأن الرسول ﷺ بنفسه هذه الخيرات والله أخرجها له، وكذلك نال الصحب الكرام رضوان الله عليهم منزلة عظيمة عند الله وكل من أتى من بعدهم في صحيفتهم. ﴿**وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ**﴾: تبلبل. ﴿**قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ**﴾: لما في نفسهم من خير. ﴿**إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ**﴾: بهذا الإنسان. ﴿**رَحِيمٌ**﴾: الغاية إسعاده.

118- ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا**﴾: لم يخرجوا ولكن ما كذبوا. ﴿**حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ**﴾: هؤلاء قوطعوا فضاقت عليهم الأرض. ﴿**وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا**﴾: عندها بسبب هذه المقاطعة. ﴿**أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ**﴾: بالضيق رجعوا إلى الله. ﴿**ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ**﴾: بهذا التضييق. ﴿**لِيَتُوبُوا**﴾: فرجعوا. ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾: الرحيم: لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

119- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: يا مؤمنين حقّاً. ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ**﴾: الإيمان يحتاج لتقوى. ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾: لا تسر منفرداً. سِرْ مع أهل الحق وإلا تنجذب فيذهب وعيك.

120- ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ**﴾: ليس لهم حق. ﴿**وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ**﴾: عطش. ﴿**وَلَا نَصَبٌ**﴾: تعب. ﴿**وَلَا مَخْمَصَةٌ**﴾: جوع. ﴿**فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**﴾: وبكل عصر. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾: لا يضيّع تعالى أبداً.

سورة التوبة: [121-129]

121- ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: كل واحد على حسب حاله. ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: بكلٍّ هذه الأمور فتح لهم أبواباً وبها عمل صالح. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾: ليعطيهم. ﴿اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بأعلى درجة.

122- ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾: سمح لمن عندهم أهلية ليتعلموا ويُعلّموا بأن لا يخرجوا للجهاد ليتفقهوا في الدين ويرجع قومهم إليهم ليعلّموهم. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: الوقوع بالمشاكل وبالهلاك.

123- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾: من حولكم. ﴿مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: لا تلن لهم. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: قوِّ قلبك.

124- ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً﴾! ماذا تعلمنا من هذا المجلس؟! ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يعلم أنه من أهل النعيم بما نال.

125- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: في نفسهم. ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾: بعداً إلى بعدهم. ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: مُعرضون.

126- ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: تحبس المطر أول الشتاء وآخره فيتضرَّعون، ألا ينظرون أن لو قطع عنهم فضله ما يكون حالهم؟ ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: فضل الله.

127- ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾: بحقهم. ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: خفية. ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾: من مجلسك. ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: شيئاً مما جئتهم به.

128- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: منكم وفيكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: يعزُّ عليه غداً ما سيصيبكم. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: حريص على هدايتكم وسعادتكم. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: هؤلاء ينالون فضل الله ورسوله ﷺ لأنهم آمنوا بالله.

129- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: أنا تكلمت، عملت واجبي. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: صاحب التجلِّي والإمداد الساري في المخلوقات بالوجود والحياة والذي به قامت الأشياء فجاءت على هذا الوجه العالي من الكمال فهو المحاسب لكم على ما فرطتم.

والحمد لله ربّ العالمين.

تأويل سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يونس: [01-10]

1- ﴿الَر﴾: وضع الله سبحانه وتعالى هذه الرموز ليستحث تفكير الإنسان، فإن لم يفكِّر هذا الإنسان فلن يستفيد أبداً. المدار أن يشغِّل الإنسان فكره. هذا وقد خاطب سبحانه رسوله ب: ﴿ا﴾: أي: يا أحمد الخلق. ﴿لَ﴾: يا لطيفاً، بلحظة يعرج ﷺ بمن معه إلى الله. ﴿ر﴾: يا رحيماً بخلقي. ﴿**تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾: لمَّا سعيت أنت واجتهدت فصرت بهذه المنزلة أنزلنا عليك هذه الآيات. لكن مع الأسف لا يوجد الآن من يفكِّر في الآيات وحكمتها، فإن لم يفكِّر الإنسان بها فأنَّى له أن يستعظم القرآن؟

2- ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ**﴾: هذا عجيب؟ شخصان أحدهما درسَ واجتهد فارتقى وصار بمرتبة عالية، والآخر ضيَّع فصار في الحضيض، كذلك بالنسبة لمعرفة الله. فلولا أن رسول الله ﷺ اجتهد وسعى لما نال. لو سلكوا الطريق التي سلكتها لنالوا الخيرات، فهل يعجبون منك؟ أنت اجتهدت وهم ضيَّعوا، أنت فكَّرت، هم التهوا بالدنيا. إذن: الأمور بالسعي والجد، {**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**}[1].

﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً**﴾: لا يعجب إنسان فكَّر وقرأه وفهم الحكمة منه، أمَّا إن لم يفكِّر به فهذا يعجب، الملائكة عندما عرفوا علم سيدنا آدم عليه السلام استعظموه، فسجدوا وهاموا خاضعين لعلمه، أمَّا من لا يفكِّر فلا يقدِّر.

هذا القرآن لا يمكن أن يفهمه إلَّا الطاهر، والطهارة بالصلاة التي تتم بالاستقامة والثقة، والثقة والاستقامة تتمَّان بعد الإيمان بلا إلّه إلا الله، والتفكُّر بالآيات الكونية، والتفكير هذا لا ينجب ويُنتج إلَّا بعد ترك الدنيا من القلب، ولا يحصل هذا إلَّا بالتفكير بالموت، والتيقُّن من فراق الدنيا. فهذا الكتاب الآن لا أحد يعرف الحكمة منه، وذلك بسبب عدم تفكيرهم.

﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُواْ**﴾: وهم: كل من اجتهد ففكَّر ودقَّق فعقل. ﴿**أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾: بتفكيره بالموت صدق في معرفة المربِّي. بصدقه عند الرب جلَّ وعلا أخذ يتقدم درجةً بعد درجة. فلن يمشي بطريق الحق ما لم يعقل هذا الإنسان ويؤمن. الإنسان المؤمن حقّاً يرى الله معه، يده لا تتحرك إلَّا بالحق، وعينه لا تطرف إلَّا بالحق، ورجله لا تسير إلَّا بالحق. ﴿**قَالَ الْكَافِرُونَ**﴾: الناكرون عظمة الله، الملتهون بالدنيا والزخارف. ﴿**إِنَّ هذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ**﴾: قالوا سحر، حيث أنهم ما عرفوا الحق.

المؤمن الذي عرف الحق يقدِّر أهل الحق، ويلحق بهم. أما الكافر، حيث أنه ما عرف فهو لا يقدِّر. كذلك الآن البعيد عن الله لا يرى شيئاً في القرآن.

فهذا رسول الله ﷺ الكامل اللطيف، والذي لا شائبة عليه، مع ذلك فالكافرون الذين استهووا الدنيا قالوا: هذا ساحر. وكذلك الآن، فمن لا يفكِّر مثله كمثلهم، تراه يقول: القرآن لا يتوافق اليوم مع المدنية الحديثة.

---

[1] سورة النجم – الآية:39.

3- ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ**﴾**:** واحد، هو المربي لك، حياتك به، قيامك به. ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾**:** لأجلك، لتربيتك، في ستة أيام: أربعة فصول صيف، خريف، شتاء، ربيع، وليل ونهار، من الذي رتَّب هذا الترتيب؟ ما هذه الكرة الأرضية؟ ما أعظم من يدوِّرها؟ لن يصل لشيء من لا يفكِّر، أنزل القرآن لتفهم معانيه، وتسير به. ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾**:** بعد أن رتَّب الله تعالى الأرض والكون على هذا النظام تجلَّى عليه فسار، وأنت جزء من الكون، فهل يا ترى الذي خلق الكون، ويدير هذه الكرة الأرضية التي أنت عليها، تاركك لنفسك؟ ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾**:** كله. ﴿**مَا مِن شَفِيعٍ**﴾**:** لا أصبع يقارن أصبعاً، ولا شيء لشيء. ﴿**إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾**:** فلا حركة إلَّا به تعالى، يدك لا تتحرك، عينك لا تطرف ولا تنظر إلَّا به، قلبك لا ينبض إلَّا به، كل الكون سائر به. ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ**﴾**:** هذا هو. ﴿**فَاعْبُدُوهُ**﴾**:** اسمع دلالته التي يتلوها عليك بواسطة رسول الله ﷺ. ﴿**أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**﴾**:** من هذا الكون شيئاً؟ من هو الخالق، المربِّي، المسيِّر؟ فإن لم يحصل الإمداد كيف يسير هذا الكون؟

4- ﴿**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً**﴾**:** هل أنت باقٍ في الدنيا؟ ستذهب منها، فكِّر لابدَّ لك من الموت مهما علوت، مهما جمعت لابدَّ لك من الموت. ﴿**وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً**﴾**:** لا مردَّ له، انظر من سبقك، فالذي خلق الكون هل تركه سدى؟ إن فكَّرت عرفت أن هناك سؤالاً وجواباً وجزاء. كل إنسان على حسب ما قدَّم: سيسألكم. ﴿**إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ**﴾**:** يبدأ في الخلق. ﴿**ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾**:** غداً. ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ**﴾**:** كل إنسان وعمله. ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾**:** وهم كل من لم يعبأ بالتربية وبالفضل الإلَهي، فلم يستعظم ربه وقدرته. ﴿**لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ**﴾**:** لأنه مريض. إذ بسبب كفرهم شذُّوا، فاستحقوا هذا الدواء المرّ. ﴿**وَعَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾**:** بسبب هذا الشراب. ﴿**بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ**﴾**:** لم يروا أن المسيِّر الفعَّال هو الله. اختر الحسن حتى تُعطاه.

5- ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً**﴾**:** لكم. من هو الذي جعلها لك؟ ﴿**وَالْقَمَرَ نُوراً**﴾**:** دققوا فيه. يستضيء من الشمس. ﴿**وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ**﴾**:** من [1-30] يزداد، يتناقص، ثم يعود. كل يوم وله مشرق. فمن الذي ينقله من مشرق لآخر، ويجعله يكبر متدرِّجاً ثم يصغر؟ ﴿**لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**﴾**:** لولا ذلك لما عرفت السنين بالأشهر، والشهر بالتناقص، فمن الذي ينقله ويغيِّره حتى جعل السنين؟ أليس من يد تسيِّر وتدير؟ ﴿**مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾**:** لتعرف ربك. ضمن أنظمة وقوانين خلقها، فلا تختلف ثانية واحدة أبداً. ﴿**يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾**:** لا إلَه إلا الله. ولطالبي العلم بالله، فإن آمنت رأيت التفصيلات. إن آمنت عرفت لِمَ خلق الكون، الشمس، القمر، النجوم، الليل والنهار؟ كلها لِمَ خُلِقت؟ ومن لم يكن للحق طالباً مهما فصَّلت له لن يفهم، لا خير منه مَنْ عينه بالدنيا.

6- ﴿**إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾**:** لولا طول الليل وقصره لما أكلت طعامك. وهذا الترتيب من تزايدهما ونقصهما لا يختلف من سنة لسنة. النظام مستمر، والشروق بوقت واحد منتظم. مثلاً: في أول يوم من آذار من كل سنة كما سبقها، كما بعدها، وكذا سائر الأيام. ﴿**وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ**﴾**:** لطالب الإيمان، إن لم تطلب فلن تستفيد، إن لم تسعَ فلن يأتك الخير. أعطاك الله الخيار، أمرك بالطلب، طلب العلم "التقوى" اطلب تنل، إن لم تطلب ظللت على ما أنت عليه، إن نلت التقوى رأيت هذا وما فيه من آيات، هو ملتفت دوماً عليك، فولِّ وجهك نحوه تعالى، خلق الكون كله لك كي تسعد.

7- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾**:** أكبر همهم الدنيا. ﴿**وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا**﴾**:** ظنوا أنها كل شيء. لماذا جاءهم هذا البلاء؟ ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**﴾**:** حيث أنه لم يفكِّر بالآيات وقع بالبلاء، بحب الدنيا، إذ بغفلته عن آيات الله انحطَّ لهذا الشيء، أمَّا من يفكِّر ويطلب يعطيه الله.

8- ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾: نتائجه للنار. ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: من بُعده عن الله لا يكسب إلَّا السفالة والانحطاط، فلا يناسبهم سوى النار، لمَّا يرى أحدُهم سفالته، دناءته وحقارته، يخجل ويستحي فيرتمي في النار.

9- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾: من آمن بلا إلَه إلا الله وعرف ربه. الإيمان بالمربِّي، ترى أن ربك معك دوماً لا يفارقك، يمدُّك بالليل والنهار. ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾: إلى التقوى، إلى طريق الحق إلى الجنان، يرى الحق من الباطل. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾: الخيرات. ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: من جنة لجنة، ومن حال لحال أعلى وهلمَّ جراً. المؤمن الصحيح طلبه رضاء الله، متى آمن الإنسان حقّاً وصل للتقوى.

10- ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ﴾: ما أعظم فضلك، رحمتك. ﴿اللَّهُمَّ﴾: ما أعظمك. "الله للجميع". {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ}[2] فاصدق وكن معه. ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾: أمان من الله عليهم دائمي، إلى ما لانهاية له. ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾: سواء في الجنة أو في النار. ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يرون أن الله عامل الخلق كلهم بالخير، وبكل عطف وإحسان وحنان.

سورة يونس: [11-20]

11- ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ الهلاك. ﴿اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ﴾: كما يطلبون الخير لأنفسهم. ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لهلكوا. يطلب الخير يفتح له، يطلب الشر يعرقل ذلك عليه، ولا يفتحه له بمجرد طلبه، إلَّا إذا أصرَّ وصمَّم يفتح له. المؤمن لا يصرّ في أمر بل يتخذ الأسباب، إن فتح له سار وإلَّا تراجع. والله تعالى يعاكس للإنسان ما يطلبه من شر لعله يتراجع. ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يدعه حتَّى يتم أجله ليخرج ما فيه.

12- ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾: لنصرته. هذا حال البعيد، في الضرّ يلتجئ. ﴿أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً﴾: في الحالتين حسب مرضه. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾: أهكذا يفعل صاحب الوجدان؟ حيث أنه لم يَسِر على أُسُس ينسى، من اللازم أن يُبنى إيمانك على أساس، فمن لا يسير على أساس فإنه يستجير وقت الضر، ولكنه عند الخلاص ينسى. ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: وهم الذين أضاعوا الحياة الغالية التي هي أوان الجد والعمل، والشيطان يزيّن للبعيد الهلاك.

13- ﴿ولقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾: ألا تفكّرون بمن سبق؟ نالوا المراتب العالية، أين هم الآن؟ هؤلاء الذين فسقوا، ما نتائجهم؟ ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: كما جاءكم محمد ﷺ، كما نبيّن لكم الآن. ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾: رغم كل الآيات التي جاءتهم. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: مثلهم.

14- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِم لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: هذه الكلمة تبين حرية الاختيار للإنسان. فلو كان الأمر كما يقولون: كتب على الإنسان الشقاوة والعمل الرديء، فكيف يقول تعالى: لننظر كيف تعملون؟ إن هذه الآية تنفي زعمهم نفياً ظاهراً، لو كان الأمر كما يدَّعون لما كان لله حجَّة عليهم، إذ يقولون: أنت قيَّدتنا فكيف تُعذِّبنا وتسألنا عن أعمالنا؟

---

[2] سورة الأنعام – الآية:3.

15- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: بعد هذا البيان السامي الرفيع، والحق المزهق لكل باطل بدلالة رسول الله ﷺ: ﴿قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذَا﴾: هذا لا يناسب عصرنا. ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾: هذا فيه شدة، خفف عنا بعض الشيء، صلاة واحدة، من دون حجاب. ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾: هذا ينفي الأحاديث الناسخة للقرآن كلها، كيف يقال: إن السنَّة تنسخ القرآن؟ ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: رغم مقامه العالي، هناك عدالة، فلو تكلم ﷺ بحديث من عنده غير كلام الله وحاشاه لحبط عنه عمله، ولأصابه العذاب. فكلُّ حديث مخالف للقرآن فهو منسوب كذباً لرسول الله ﷺ، ولا أصل له.

16- ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾: أنا سائر بأمره وبيده. تعرفون أنني ما كنت أعرف شيئاً منه. ﴿وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّنْ قَبْلِهِ﴾: قبل الرسالة لم أتكلم بشيء، فمن أين جئت به؟ من علَّمني هذا؟ ما قلت لكم شيئاً خلال [40] سنة سابقة، ثم جئت به. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنا اجتهدت قبل الرسالة حتى صرت أهلاً للرسالة، فأوحي إلي، ولا أبلِّغكم سوى كلامه.

17- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: لنفسه منه ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾: إنه لمجرم ذاك الذي يبدل كلام الله، ولا خير فيه أبداً، إنه منسلخ عن الكمال، إذ لم يشتق كمالاً من الله وما أقبل عليه تعالى، هذا هو المجرم، وهو لا يفعل المعروف والخير.

18- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دون اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: قريش كانت تعبد الأصنام؛ وهي صور لصلحاء، وكانت نفوس المشركين متعلِّقة بالأصنام. ونحن الآن نتعلَّق بفلان وفلان ونطلب منهم حوائجنا، والفعَّال هو الله. حقّاً كانوا يعبدون الأصنام، ونحن الآن نعبد بعضنا بعضاً. ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: هذا ادّعاؤهم. ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: هذا جماد لا يعلم شيئاً، كيف يخبر الله بحاجتكم؟ أتكلِّمه بواسطة حجر لا يفقه شيئاً؟!، والآن يظن الناس أن فلاناً ينفعهم، مع أنه بشر مثلهم لا حول له. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: ما أعظمه؟

19- ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: لا فرق بين واحد وواحد، بل كلهم يعبدون الله. ﴿فَاخْتَلَفُواْ﴾: هذا مال للشهوة، هذا مال للحق، هذا فكَّر وعقل، هذا لحق شهوته دون تعقُّل. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ﴾: بأن لكلّ منهم أجلاً معيَّناً. ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بالهلاك للظُّلَّام.

20- ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ﴾: بهلاكنا. ليهلكنا لو كان رسولاً، فليأت بمعجزة. ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: اللازم لكم علمه عند الله. ﴿فَانْتَظِرُواْ﴾: ساعة البلاء. ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾: قالوا: الساعة التي تُحدِّثنا عنها لِتأتنا الآن، فأجاب: هذا علمه عند الله، الله أعلم بالوقت، وكذا المعجزة إن كانت توافق يرسلها لكم، هو أعلم بالمناسب.

سورة يونس: [21-30]

21- ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ﴾: فقر، مرض. ﴿إِذَا لَهُمْ مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾: شفاه بعد المرض، أغناه بعد فقر، ينسب الشفاء للطبيب، الخلاص لعمله، كما يحب أن يغيِّر دلالة الله، أو ليتخلَّص من عمل المعروف. ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً﴾: ولكن لخيركم. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: تدبيراتك تكتبها الملائكة عليك، تدابيرك، حيَلك التي تقول إنها شرعية، كل ذلك سيعود عليك.

22- ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾**:** كذلك الأرض كلها في الفضاء، كأنك في فلك. ﴿**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ**﴾**:** أنت في يده، هو المسيِّر ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾[3] ﴿**وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا**﴾**:** وجاءتهم الدنيا حسب رغائبهم وهواهم. ﴿**جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ**﴾**:** ساعة بلاء قد تذهب بدنياه كلها. ﴿**وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ**﴾**:** بالبلاء والهلاك. ﴿**دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾**:** ساعتها يعترفون، هذا حالهم أولئك الذين لم يفكِّروا. ﴿**لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ**﴾**:** تقولون ذلك. ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾**:** هذا حال الإنسان في الشدائد.

23- ﴿**فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ**﴾**:** بالفساد: ﴿**بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾**:** هكذا يفعل إن لم يفكِّر. ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾**:** عملك عائد عليك حسناً كان أم سيِّئاً. تعتدي؛ يُساق لك من يعتدي عليك، إن تسرق؛ يُساق لك من يسرق مالك، عملك لابدَّ أن يعود عليك، افعل ما شئت، فالله تعالى من حبه بك ينبِّهك ويحذِّرك، رؤوف بك رحيم؛ خلقك للسعادة. ﴿**مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾**:** مؤقت. كله مدة مؤقتة، لكن إن شذذت عذبت نفسك هنا وهناك، الدنيا مؤقتة سريعة الزوال. ﴿**ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾**:** كل إنسان لابس ثوبه.

24- ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ**﴾**:** والآن هكذا حال الدنيا، وهذا مثال عن الساعة التي ستقع غداً. ﴿**مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا**﴾**:** طيارات، سيارات، أبنية، قصور، هواتف. كل شيء على أتمه: الدنيا كاملة. ﴿**وَازَّيَّنَتْ**﴾**:** بأنوار الكهرباء... ﴿**وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا**﴾**:** ظنوا أنهم بعملهم سيطروا على الطبيعة، فأشاحوا عن مالك الملك. ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا**﴾**:** بالهلاك. ﴿**لَيْلاً أَوْ نَهَاراً**﴾**:** ليلاً على الشرق ونهاراً على الغرب. ﴿**فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً**﴾**:** كما يحصد الزرع، هذه البنايات ستحصد. ﴿**كَأَنْ لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ**﴾**:** كأنها ما كانت. ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾**:** ولا يفيد شيئاً من هذا من لا يفكِّر، إن لم يفكِّر فلا خير فيه.

25- ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ**﴾**:** يدعوك لدار الأمان والراحة. ﴿**وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾**:** كل من شاء يهديه إليه. ﴿**إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾**:** فإن كان كما يقولون: الهداية لمن يشاؤه الله، وما دامت الهداية بيده فلمَ يدعو؟ لو أن إنساناً دعا ضيوفاً، لمَّا جاءوه صار يقبل أناساً ويردّ آخرين، هل هذا مقبول منه؟

26- ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ**﴾**:** السير. ﴿**الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾**:** الحياة الحسنة دنيا وزيادة غداً. ﴿**وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ**﴾**:** عبوس، كآبة. ﴿**وَلاَ ذِلَّةٌ**﴾**:** لا تلحق وجوههم كآبة ولا حزن ولا ذلة. ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾**:** لِما خُلقوا له.

27- ﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ**﴾**:** الفاعل الإنسان، هو كسب. هم باختيارهم كسبوها. ﴿**جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ**﴾**:** تلحقهم، تهزُّهم وتزعجهم. ﴿**ذِلَّةٌ**﴾**:** يرى نفسه سافلاً، واطياً، وخِماً. ﴿**مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**﴾**:** ثوبهم لبسوه، من يخلِّصهم منه؟ ﴿**كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً**﴾**:** وجهه أسود من فعله، دعاه للمائدة فأبى، فتمرُّ عليه موجات وموجات. ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ**﴾**:** هم بذاتهم يخلدون إليها. ﴿**فِيهَا خَالِدُونَ**﴾**:** خلقنا للسعادة جميعاً.

---

[3] سورة البقرة – الآية:255.

28- ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ﴾: قفوا لا تتحركوا. ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بين الشركاء والأتباع، فرَّقنا بينهم. ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَّا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾: أنتم لحقتم هواكم، تابعتمونا لهوى في أنفسكم. نجاسته جعلته يلحق الخبيثين، الخبيث يلحق بالخبيث.

29- فيردُّون على زعمائهم: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾: على ما في أنفسكم. ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾: أنتم دللتمونا، وما كنا نعرف ما في دلالتكم.

30- ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾: تلبس عملها، ما عملت يعود عليها. ﴿وَرُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: زال الافتراء والكذب وليس له أن يقول إلَّا الحق. يسأل الله تعالى الإنسان:

سورة يونس: [31-40]

31- ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: أفلا تتفكَّرون بهذا الرزق؟ الحيوان لا يدري، لا يفكر؛ لكن أيها الإنسان أليس من الواجب عليك أنت أن تتساءل وتفكِّر؟ أترضى أن تكون كالحيوان؟ إن لم تفكِّر بما سبق، فكِّر في هذا: من ينزِّل الأمطار؟ من يخرج الأثمار؟ ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾: من هو المالك سمعك وبصرك؟ ما هذه الآلة؟ من المرتِّب لها؟ ما هذا السمع؟ من الذي ركَّبه ونظَّمه؟ من بيده كل شيء وتصريف كل شيء؟! الحيوان لا يدرك ذلك، أما أنت فقد أعطاك ربُّك أهلية وقابلية للتفكير، إن فكَّرت عرفت فضل هذا المربِّي. ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: من الذي ينبت لك الزرع؟

﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يقوم بجميع ذلك، أمر الكون كله. ما هذه الفصول؟ ما هذه الشمس؟ من الممدّ لها؟ ما هذا التنظيم؟ لولا الفصول كيف يتسنَّى لك أن تعيش في الدنيا؟ الحيوان لا يفكر مقيَّدٌ لك، لكنك أنت عندك أهلية، أفلا تفكِّر؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾: قولاً، قولاً غير مستند إلى تفكير. هل يكفي أن يقولوا ذلك؟ لا بل عليهم الاتباع. كل الناس يقولون: الله، لكن أين دليلك؟ هل فكَّرت وعرفت أنه هو المدبِّر؟ إن فكَّرت وصدقْت توصَّلت للدليل. ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: به. ألا تنستِرون وتستنيرون به؟ إن كنت حقاً آمنت، أفلا يجب أن تتقي؟ الحقيقة أكثر الناس يقولون نحن مؤمنون، لكن بالظن وبلا دليل، ومن لا دليل له فإيمانه ظن ولا فائدة له. ليس الناكر لله هو فقط الكافر. الكافر: هو الذي لا يقدِّر الله ولا يُعظِّمه لعدم عرفه به.

32- ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ﴾: المدبِّر لهذا كله. ﴿رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ﴾: هو المسيِّر، خالق الطعام والشراب. ﴿إِلَّا الضَّلَالُ﴾: أين قولهم عن أصحاب الأعراف أنهم معلقين، لا إلى الهدى والجنة ولا إلى الضلال والنار؟ إن لم تسر في طريق الحق فليس لك إلا الضلال، وكذا في الآخرة إمَّا جنَّة وإمَّا نار. ﴿فَأَنَّى﴾: إلى أين؟ ﴿تُصْرَفُونَ﴾: ألإلى الرذيلة والدناءة؟ إن من لا يعرف المربِّي لا يعرف الله، نهايته الضلال، ألا فاصرف نفسك للحق، للجنة.

33- ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ﴾: خرجوا عن الحق. فهذا قانون: مَنْ مال للدنيا الدنيَّة وشهواتها لا يؤمن ولا يتطلَّب الوصول للحق.

﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: هذا الإنسان وما لم يفكِّر بالمربِّي ويستقيم لا يتوب، وإن ما تاب فنفسه لا تُقبل على الله، وإن لم تقبل فلن ترى. الدنيا جيفة، فيا إنسان إن لم تحوِّل عينيك عنها فأنت أقل وأدنى من الحيوان. ففكِّر في ساعة الفراق حتى تخشى، وعندها تصدق في طلب الحق وتؤمن.

34- ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَآئِكُمْ مَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: من يستطيع أن ينبت النبات ثم يعيده ثم ينبته في العام التالي؟ هؤلاء الذين تدَّعون أن لهم فعلاً هل من أحد منهم ينبت الزرع ثم يعيده؟ كما ترى من فعل الله؟ ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: هو الذي يخرج لكم الرزق من الأرض، من الشجر، ثم يعيده في العام المقبل. فما من شيء في الكون إلَّا ولك فيه دليل على الله، لكن فكِّر حتَّى تتوصَّل إليه تعالى. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: إلى أي شيء تتحوَّل؟ تحوِّل نفسك لغير الله؟ هل يرزقك هذا الذي تحوِّل نفسك إليه منصرفاً عن الله؟

35- ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَآئِكُمْ﴾: الأصنام وغيرها ممن تتبعونهم: ﴿مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: للطريق الإنساني؟ ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَّا يَهِدِّي﴾: لا يستطيع هداية نفسه بل بحاجة لمن يهديه، لا يتحوَّل إلَّا إذا حوَّله أحد وحرَّكه. صنم يُتَّبع؟ ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾: إن لم تسيِّره تمشِّيه لا يعرِّفك، الجاهل لا يمشِّيك. ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: هذا الحكم، وتعبدون الأصنام؟

36- ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً﴾: الناس أكثرهم سائرون بالظن بالشفاعات، فأكثرهم بالأوهام سائرون، أملهم بالشفاعة. ﴿إِنَّ الظَّنَّ﴾: هذا. ﴿لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾: إن لم يَسِر الإنسان على دليل واضح فلن يستفيد بشيء. دليل ينبثق من نفسك، وإلَّا فصلاتك وصومك كله لا يفيد إن لم يكن ذلك مبنياً على إيمان منبعث من نفسك. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: كل إنسان وفعله معلوم. لا يضيع تعالى مثقال ذرَّة، وفعلك كله بعلمه وسيحاسبك عليه، الخير بالخير، والشر بالشر.

37- ﴿وَمَا كَانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: لا يمكن أن يكون ذلك، فكِّر. لو اجتمع كافة العالمين، هل يأتون بمثله؟ فهذا البيان الذي بيَّنه لك رسول الله ﷺ لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله، حتى لو اجتمع الجن والإنس فهم لا يستطيعون الإتيان بمثله، ولكن هذا لا يدركه إلَّا من أضحى وله علم بالقرآن، فهو يدرك أنه لا يمكن أن يأتي به بشر. ﴿وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: التوراة والإنجيل تصديق للقرآن الذي جاء به رسول الله ﷺ أنه من عند الله. ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: أي القرآن معرفة تفصيلاته. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: عن الحق، أمر مقطوع فيه. ﴿مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لا تكون إلَّا بعد الإيمان بالمربِّي، فإن لم تؤمن بالمربِّي فلن تصدِّق رسول الله ﷺ. فلو اجتمع الخلق كلهم فهم لا يستطيعون أن ينظِّموا قانوناً كاملاً مثله، أَوَ ليس هذا دليلاً واضحاً أنه من عند الله؟

38- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: بعد هذا البيان؟ فهو شخص. أنتم اجتمعوا كلَّكم وأتوا بآية أو سورة. ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: فلن يستطيعوا الإتيان بمثله، هذا الكلام قاله رسول الله ﷺ عن لسان الله يوم بعثته متحدِّياً الخلق على مرِّ الزمان، وهذه معجزة ودليل أنه كلام الله. الإنسان يتحدَّى عصره لا كلّ عصر. لكن أكثر الناس لا يدرون ما فيه ولا يقدِّرونه.

39- ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾: لقد كذبوا بما لم يعلموا ولم يفكروا به لعدم إدراكهم ما فيه. ﴿ولمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: كذلك كذَّبوا به من قبل أن يعلموا تأويله ومعناه، لا يريدون سماعه ولا فهمه، يكذِّبون به دون أن يبحثوا عمَّا فيه ولا عن المراد منه. ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الأمم السابقة. ﴿فَانْظُرْ﴾: دقق يا إنسان. ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: نتائج هؤلاء المكذبين، ماذا كان مصيرهم؟ أما هلكوا؟ أنت كذلك إن كذَّبت فلا بدَّ أن يصيبك ما أصابهم، تتبَّع أحوال من كذَّبوا، ماذا كانت نتائجهم؟

40- ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: من جماعتك، منهم من يفكِّر بالتربية ويؤمن. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أنت بلِّغ. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: بمداواتهم. إن لم يصدُق المفسد فيطلب الحق فلن يهتدي.

سورة يونس: [41-50]

41- ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾: قل كلٌ يعمل على شاكلته، لكم دينكم ولي دين. ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾: السافل يتبرأ من العمل الطيّب، من عمل الخير، يحب السفالة. ﴿وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: لا أسير إلَّا بالكمال، فأنتم لا تسيرون بسيرنا ونحن لا نسايركم.

42- ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: يستمع دون أن يعي، يسمع ولكن لا يطبّق. ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: على من يسمع أن يفكِّر ويعقل، أمَّا من يسمع ولا يفكر ولا يعقل فلن يستفيد شيئاً، فالمستمع إن لم يفتح أذنيه هو من نفسه فلا يسمع، إن لم يُقبل ويفكِّر فيصير له التفات فلن يسمع لأنَّه معرض، المسألة راجعة للإنسان ذاته. إن لم تنظر في السماوات وفي الأرض ولم تعقل هذه الذكرى فلن تستفيد منها شيئاً، كمن يقرأ في كتاب لغةٍ أجنبية لا يفهمها، فما يفيد من قراءته؟

43- ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾: ينظر إليك ولا يفقه كلامك. ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: يرى صورتك غير مدرك حقيقتك. البشر كلهم على حسب الصورة متماثلون، لكن كل واحد وله حقيقة. المؤمن ينظر بنور الله.

44- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾: أعطى الخلق كلهم جميعاً سويَّةً أهلية. ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: هو ضيَّع نفسه. هذا صار له ميل بالحق فسبق، وذاك خالف دلالة ربِّه وسار على هواه. فالله تعالى أعطى الإنسان الاختيار، بيَّن له الطريقين، أيَّ طريق تحب فاسلكه.

45- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾: أولئك الذين لم يفكِّروا. كل الدنيا كأنها ساعة واحدة دخل من باب وخرج من باب. مثال: بستان وله بابان، المؤمن يأخذ مصباح نور قبل ولوجه، وبيده كتاب دليل يهديه، فإن وجد جوزة مثلاً رفع القشرتين وأكل القلب وهلمَّ جرّاً. أمَا مَثَلُ الكافر الذي لا عقل له فهو: كمجنون جائع دخل بستاناً فلا ضياء بيده ولا كتاب يهديه، فهو يأكل الجوزة بقشرتيها، فالقشرة الخضراء بما فيها من مواد كيمائية تخرِّب أمعاءه، فلا تستطيع القيام بعملية تمثيل الطعام، وأما القشرة الخشبية فتكسِّر أسنانه فلا يُهضم اللب بالمعدة ولا يمثَّلُ بالأمعاء، وبذا لا يستفيد منه الجسم بل يمرض، وعندما يخرج من البستان فإلى المستشفى. أما المؤمن فيخرج سليماً فإلى النعيم المقيم. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: عن أعمالهم في الدنيا، يرى كل امرئ عمله ويرى غيره من سار ومن تولَّى. ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: أنه قريب ممدٌّ معهم. ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: ما اهتدوا، كذَّبوا لأنهم لم يفكِّروا ولم يعرفوا المربِّي.

46- ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: ما يصيبهم بسبب أعمالهم من البلاء والشدائد والعذاب. ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: غداً. ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾: سيبيّن لهم عملهم. ما من حركة إلَّا بعلمه، فكِّر تستدل، هذا هو الإيمان.

47- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾: رسولنا محمد ﷺ، ما ترك الله الخلق. ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾: غداً يوم القيامة. ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: شهد عليهم. يسأله الله: أما بلَّغتهم؟ فيقول: بلى يا رب. وهكذا أي إنسان إن فكَّر وآمن بالله فعرف لا إله إلا الله فاستقام وصلَّى صار من أهل الكمال، عندها تسوقه نفسه نحو أهل الكمال ولو كان في أمريكا، يسأل ويبحث ويجتمع. أما إن لم تفكِّر ولو كنت مع الرسول فلا تعرفه. الرسول لا ينقطع فهو موجود في كل حين، لكنك إن صلَّيت حقّاً فإنك تجتمع بأهل الحق وتستدل. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: شيئاً إذ ينال كلّ إنسان حقَّه.

48- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: متى القيامة والشهادة؟ متى هذا الشيء؟ استهزاء وعدم تصديق لعدم سيرهم بالتحقق، هذا بين المعرضين.

49- ﴿قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أنا أبلغكم عن لسان الله: ما دمتم لا تتطلبون الإيمان، فلا بدَّ أنكم كتبتم على أنفسكم لذائذ الشقاء، وبالخسران والحسرات الأبدية[4]. أي خسرتم رسول الله وعطاءات الله. ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لها يوم معلوم، لكلِّ أناس أجل. ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: بساعته يموت، لا تقدُّم ولا تأخُّر.

50- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾: ماذا تردُّ منه عن نفسك؟ ما يأتيك من البلاء في ساعته؟ ماذا حضَّرت له؟ أترجو خيراً يومها؟

سورة يونس: [51-60]

51- ﴿أَثُمَّ﴾: عند وقوعه تؤمن. ﴿إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾: عندها تؤمن كإيمان فرعون. ﴿آلْآنَ﴾: آمنت. يطلب منك الإيمان لتعمل معروفاً وإحساناً، يقال لك الآن: ما فائدة إيمانك ساعتها؟ عند الموت كل الخلق تؤمن، لكن ما الفائدة؟ ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: بالبلاء.

52- ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: ظلموا أنفسهم بارتكاب الدنايا والأعمال المنحطة. ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ﴾: على طول. ما كان يخلد إليه في دنياه يزيد حريقه وتخسيره، أنت يا من تسمع كلام غير الله لن يفيدك شيئاً، بل سيعود عليك... أبوك، أمك، صديقك، حبيبك، سيكونون لك أعداء يوم القيامة، وينكرون اتباعك لهم. ﴿ذُوقُواْ﴾: لما فيه من سفالة ورذيلة يلقي نفسه بالعذاب ليتخلص منها. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: ما كسبته يأتيك. ما عملت يرجع عليك، فاعمل ما شئت فإنك مجزيٌ به.

53- ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾: يسألونك هذا الكلام الذي تقوله حق؟ ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾: نعم حق، سيحل بكم ذلك. ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾: لا بدَّ منه. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: لا تستطيعون ردَّه. هل تهرب من ملك الموت إن جاء؟ أما رأيت ما حلَّ بمن سبق؟ هل من صاحب لك ساعتها؟ ألا تفكِّر بتلك الساعة؟ هل من شك بهذه النهاية؟ أتشك بالموت؟ أين من سبق من ملوك عظماء وأنبياء؟ أما ماتوا كلهم؟ أفلا تموت أنت؟

54- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: لو كل الكون كان بيدها لسلَّمته لتتخلص ممَّا بها، لكن ما الفائدة؟ ﴿وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: كل إنسان وحقه، ماذا كسب؟ ربحك خذه، وكلٌّ أخذ حقَّه.

55- ﴿أَلَا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بعد هذا البيان، ألا تفكِّر؟ أليس لله ما في السماوات والأرض؟ هل من شيء عائد لغير الله؟ هل لأحد يد في الكون سوى الله؟ ألا يحتاج هذا الكون لمسيِّر؟ ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: أليس وعد الله حق؟ هذا الشيء لا بدَّ أن يقع. إن فكَّرت بالكون وبآياته فعرفت المربِّي وقلت لا إلَه إلا الله لصدَّقت البعث والسؤال، وعلمت أن كلام المسيِّر حق. ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لإعراضهم وعدم رغبتهم سلوك طريق الحق، لغلبة شهواتهم عليهم.

---

[4] الحديث القدسي: "ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كلَّ شيء وإن فتك فاتك كلُّ شيء وأنا أحبّ إليك من كل شيء". الزبور، إحياء علوم الدين: الجزء الرابع، ص 469 بلفظ "من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني"، فقال أبو الدرداء: أشهد أني لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا.

56- ﴿**هُوَ يُحْيِي**﴾: بالإقبال عليه تحيا. إن أقبلت عليه صرت إنساناً كاملاً. ﴿**وَيُمِيتُ**﴾: بالإعراض عنه يموت قلبك، فلا عمل خير لك. إن أدبرت صرت من أهل الفسق. ﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾: غداً، أنت قائم بالله دوماً.

57- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ**﴾: اتَّعظ، لا تضيع الحياة. ﴿**وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾: إن فكَّرت فآمنت وأقبلت طهرت نفسك، فلا تشتهي إلَّا الخير. إن فكَّرت بالمربِّي وقلت لا إلَه إلا الله صرت تعمل المعروف، صلَّيت، صار لك شفاء من الأدران، عندها تطهر نفسك فتحب أهل الكمال وتدخل بمعيَّتهم على الله فتستنير. ﴿**وَهُدًى**﴾: تهتدي بهذا الهدى، تعمل الخير فيعود عليك الخير. ﴿**وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾: الإيمان كمال الإنسانية.

58- ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ**﴾: لا بالوظائف والرُّتب والدنيا. الفرح بفضل الله لا بالدنيا. ﴿**هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾: من الدنيا كلها.

59- ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّنْ رِّزْقٍ**﴾: من الذي ينزِّل الرزق؟ أما هو سبحانه وتعالى؟ ﴿**فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ**﴾: أن تحلِّلوا وتحرِّموا؟ يقولون: الربا بنسبة قليلة لا مانع، ما هو حرام، وجه المرأة فقط ما هو بعورة، وما هو حرام، فمن أين جاؤوا بهذا؟ هل أذن الله لهم بهذا؟ كل ذلك من عندهم. ﴿**أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾: هل تكلَّم القرآن بما تقولون؟ الإنسان العاقل لا يسمع كلام أحد إلَّا كلام الله. يقولون فلان أفتى، فإن خالف القرآن فإفتاؤه لنفسه، كلامه مردود عليه.

60- ﴿**وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: ما سيكون عليه مصيرهم؟ ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ**﴾: ينزِّل لهم الخيرات، يدلهم على طريق السعادة، لكن لا يدركون ذلك. ﴿**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾: لماذا خلقك؟ لمَ دلَّك؟ كله فضله تعالى، وأنت لا تعرفه؟

سورة يونس: [61-70]

61- ﴿**وَمَا تَكُونُ**﴾: أيها الإنسان. ﴿**فِي شَأْنٍ**﴾: في حال ما من الشؤون، ما من خاطر يجول في نفسك. ﴿**وَمَا تَتْلُو مِنْهُ**﴾: تنطق من هذا الحال بقول: ﴿**مِنْ قُرْآنٍ**﴾: تتكلم به. وما تتلو من هذا الشأن من قول. ﴿**وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ**﴾: أو يتعدى القول إلى العمل. ﴿**إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً**﴾: غداً يوم القيامة. ﴿**إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾: فسوف تظهرون به يوم القيامة، تتلبَّسون به غداً ويظهر حالكم. كل واحد لابس ثوبه، نحن نبيِّن لكم أعمالكم يومها. ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَّبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ**﴾: لا يخفى عليه. ﴿**فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ**﴾: كله بعلمه ومسجَّل عليك. ﴿**إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾: كتاب مكتوب عليك. مبين، ظاهر لك.

62- ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ**﴾: الذين والوا الله، كلُّ إنسان يجب عليه أن يوالي الله حتى يدخل الجنَّة، كل من لا يوالِهِ آخرته للنار. أولياء الله: الذين طبقوا دلالة الله وساروا على هداه. ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾: لا يُهان في الدنيا، ولا خوف عليهم في البرزخ والآخرة. ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾: على الدنيا غداً إذ يجدون خيراً منها. من هم؟

63- ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾: ناظراً بنور الله الخير من الشر. آمن وكان ينستر بنور الله عن المحرَّمات.

64- ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: دوماً الله متجلِّي عليه بالخيرات، نيته عالية طيبة، على حسب حبِّك لله يحبك. من عملك الخير يعيده عليك، ترى إحسانه تعالى فتحبَّه، وفي الآخرة أيضاً. ﴿**وَفِي**

الْآَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: وعده حق. **﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:** هذه هي السعادة، وليست السعادة بالمال والجاه والأكل.

65- **﴿وَلَا يَحْزُنْكَ﴾:** يا محمد. **﴿قَوْلُهُمْ﴾:** بتكذيبهم، ستغلبهم جميعاً. **﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾:** وعدك بالنصر، لا بدَّ أن يرفع شأنك. **﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾:** لقولكم ولكل مخلوق. **﴿الْعَلِيمُ﴾:** بحالكم وبحاله.

66- **﴿أَلَا إِنَّ﴾:** أليس؟ **﴿لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَات وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾:** هل لأحد ملك معه؟ كل الكون بيده، الشمس، القمر، النجوم، أجسامهم.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾: الفاعل هو الله تعالى، من يشاركه بالخلق والتسيير والإمداد والبقاء؟ هم نصَّبوا بعضهم، ونسبوا السلطان للنطف. **﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾:** يظنون ظنّاً. **﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:** لسانه لا يعود يتكلم، عندما يسمع الحق يسكت.

67- **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾:** فكِّر بهذا. لِمَ الليل؟ لتستريحوا فيه. **﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾:** لترى عملك. **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾:** صاحب السمع يسمع، يعقِّب، يفقه، الأصم تذكر له هذه الآية لا يسمع، لا يدرك منها شيئاً، هل فكَّرت بالليل وفوائده؟ لولاه ماذا يكون؟ لولاه ما كان شجر ولا ثمر.

68- **﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾:** النصارى واليهود. فكِّر، هل المخلوق يكون خالقاً؟ قبل عيسى عليه السلام من خلق الكون؟ **﴿سُبْحَانَهُ﴾:** لا يماثله شيء. **﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾:** عن الولد. **﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهذَا﴾:** ألديكم برهان واضح أن عيسى عليه السلام ابن الله؟ **﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:** من عقلكم؟

69- **﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾:** لا دنيا ولا آخرة، ليس له عمل طيب أبداً.

70- **﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾:** قليل لمدَّة مؤقَّتة، يأكل، يتمتَّع بمسكن، تلمع له قليلاً. **﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾:** غداً. **﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾:** بالله. بإنكار هذه النعم.

سورة يونس: [71-80]

71- **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾:** اذكر لعبادي نبأ نوح. جاء للهدى والدلالة. **﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآَيَاتِ اللَّهِ﴾:** يصعب عليكم أن تروني أدعوكم للحق. **﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾:** كل من يلوذ بكم. **﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾:** لا تسيروا بالجهل، فكِّروا، أعلموني بالمنطق خطئي إن كنت على خطأ. دقِّقوا بقولي، فكِّروا به حتى تعقلوا، كذلك كلام المرشد دقِّق فيه. **﴿ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾:** فكِّروا واعقلوا ثم تبيَّنوا. التصديق لا يفيد، التكذيب لا يفيد، ولكن لا بدَّ من العقل.

72- **﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾:** أعرضتم. **﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ﴾:** لا غاية لي بدنياكم ومالكم. **﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾:** أدعوكم لسعادتكم وخيركم: **{إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى}**: التصديق وحده لا يفيد. اسمع الدرس ثم ارجع وفكِّر بعد ذلك فيه. **{وَفُرَادَى}**[5]. هل هذه الدلالة حق؟

---

[5] سورة سبأ – الآية:46.

73- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: لم يفكِّروا بقوله. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾: وغرق الآخرون. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾: صاروا أصل البشر من بعدهم. هو ومن معه خلائف. ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ﴾: يا إنسان. ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾: من يسمع ولا يفكِّر نتائجه الهلاك.

74- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً﴾: عن سيدنا نوح، وبعده جماعته بلَّغوا كما بلَّغ نوح عليه السلام. ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: دعوا قومهم للتفكير بالتربية، بالموت. ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾: الأوَل. سائرون بحظوظ أنفسهم. ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾: المصرّين على الرذيلة، نرسل له بلاء بعد خروج الشهوة. أولاً يطبع على قلبه، فلا نريه ما وراء عمله لنخرج ما في أنفسهم من خبث، فتخرج الشهوة ثم البلاء.

75- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾: مع موسى عليه السلام. ﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾: عن اتِّباعه. قالوا: "هذا كان فينا وليداً" ﴿وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾: لا خير فيهم قط، لا لأنفسهم ولا لغيرهم. بما أنه ليس فيهم كمال، عارضوا وكذَّبوا، التكذيب إنما يكون من البعد عن الله، الكامل يقدِّر أهل الكمال.

76- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: على لسان موسى عليه السلام، بالبيان العالي والمعجزات. ﴿قَالُواْ إِنَّ هذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: كل هذه الآيات قالوا سحر.

77- ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ﴾: هذا القول إنه سحر. ﴿أَسِحْرٌ هذَا﴾: هل هذا سحر؟ فكِّروا فيه، انظروا. ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾: الساحر عاقبته الهلاك. مهما علا الإنسان فنتيجته هلاك ودمار إن خرج عن الحق. كل من سار على الحق لا بدَّ أن يرفع الله شأنه، المستقيم لا بدَّ له من العزِّ ورفع الشأن.

78- ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: لتحوِّلنا عن هذا السير الذي سار به آباؤنا؟ ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾: حتى يحصل لكما شأن ومكانة. هكذا اتهموهما. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: مهما فعلتما.

79- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾: لأغلب موسى، هكذا ظن، حيث أنه لم يفكِّر حَسب أن الأمر سحر، كل رسول يأتي على حسب حال قومه، الطب في زمن سيدنا عيسى عليه السلام، العصا بزمن سيدنا موسى عليه السلام التي أبطلت سحر العالم بعهد فرعون، "البلاغة بزمن سيدنا محمد ﷺ".

80- ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنْتُمْ مُّلْقُونَ﴾: أظهروا علمكم، بيِّنوه.

سورة يونس: [81-90]

81- ﴿فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾: هذا هو السحر. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾: ألقى العصا فتلقَّفت ما يأفكون. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: الفساد.

82- والحق لا بدَّ أن يظهره الله: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾: طريق الحق لا بدَّ أن يرفع الله شأنه. كن كان. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: رغماً عنهم. مهما طال الأمر.

83- ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾: الكبار ما آمنوا، ما آمن إلَّا الشباب. فالكبار لم يعظِّموه بل قالوا كان فينا طفلاً، رأوا المعجزات فصدَّقوا، لكنهم لم يعظِّموه. الصغار منهم الفتيان آمنوا. اليوم

المصدِّق حاله كحال بني إسرائيل، يجب أن تؤمن إيماناً لا أن تصدِّق تصديقاً. سرْ بالمنطق، فكِّر بالكون، بنفسك، استدل، اعقل، فكِّر بالبداية، النهاية، من يطعمك؟ من يسقيك؟ ﴿**عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ**﴾: مع أنهم خائفون آمنوا، رغم الشدَّة والخوف آمنوا، لكنهم أخفوا إيمانهم لئلا يفتنهم فيردَّهم. ﴿**وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ**﴾: ومن أهلهم أن يردُّوهم للكفر. ﴿**وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ**﴾: كان عظيم الشأن فيهم، وظالم. ﴿**وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾: في الدنيا.

84- ﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ**﴾: حقاً أنه الفعَّال. ﴿**فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ**﴾: هو الفعَّال، لا أحد يردّك.

85- ﴿**فَقَالُواْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا**﴾: آمنَّا واستسلمنا. ﴿**رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾: لكن نحن خائفون أن يكون في أنفسنا شيء فيفتنوا بنا ليردُّونا. لا تسلّطهم علينا، فلا تجعل أذانا على يدهم، لعل بأنفسنا شيئاً، فَيُفْتَنُون بأذانا، اغفر لنا، تبنا إليك يا رب، الذي عليه دين يُقتصّ منه.

86- ﴿**وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾: المعرضين.

87- ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً**﴾: اتَّخذا لقومكما بمصر "مكاناً" بيوتاً كي يتجهوا نحوكما، ويجتمعوا بنفسيكما فيتَّجهوا معكما إلى الله. أما الكعبة فلتجتمع بإمامك. ﴿**وَاجْعَلُواْ**﴾: يا بني إسرائيل. ﴿**بُيُوتَكُمْ**﴾: نفوسكم، قلوبكم. ﴿**قِبْلَةً**﴾: متجهة نحو موسى أو هارون، باجتماعها معهما تحصل التقوى. كما وجَّه تعالى الخطاب أيضاً إلى موسى وهارون عليهما السلام ضمناً ﴿**وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً**﴾: لقومكم. ﴿**وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ**﴾: فيها. عندها اجعلوا الوجهة إلى الله فيها. ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: المؤمن الذي هذا سيْره نتائجه الخير دنيا وآخرة. إذن القصد من الكعبة اجتماع الأنفس بالرسول ﷺ. هذه الآية خاصَّة لأهل الإيمان، لأن الله تعالى يبيّن فيها. ﴿**تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا**﴾: والقصد لمن آمن من قومكما بمصر: بأي مكان كان منها، واجعلوا أيها المؤمنون بيوتكم التي اتَّخذها موسى عليه السلام، قبلة لكم، وأقيموا الصلاة بها. ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: بالنصر. وقوله تعالى في سورة البقرة:

{**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ...**}: المؤمنين: {**مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ...**}[6]. المؤمنون اتَّبعوه، سيدنا إبراهيم عليه السلام إماماً للمؤمنين. القرآن: لأهلِ الإيمان: {**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**}[7] تقرأه عليهم بعد أن ارتبطوا بك، فالصلاة الصحيحة مع رسول الله ﷺ، لا يصلّي الإنسان هذه الصلاة ما لم يغدُ مؤمناً، المؤمن بكماله يحب أهل الكمال، فيرتبط بهم. فعلى الإنسان أن يسعى ليصبح مؤمناً كي يعرف أهل الإيمان.

88- ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: بساتين وحدائق. ﴿**رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَنْ سَبِيلِكَ**﴾؟ أنت ما أعطيتهم لهذا، ليضلُّوا. ﴿**رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾: إذ أن هؤلاء: ﴿**فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾: فلعلَّه إذا وقعت الشدة عليهم يرجعون.

89- ﴿**قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا**﴾: على كلامي، هل أنا غافل؟ ﴿**وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: أنا مطَّلع على سير كل إنسان، أنا حكيم وعليم، هذا طريق الذي لا يعلم شيئاً يدعو بهذا،

---

[6] سورة البقرة – الآية:143.

[7] سورة فصلت – الآية:44.

لا تكونا كالذين لا يعلمون. الله تعالى عليم وحكيم يعطي كل امرئ حقَّه، الذي لا علم له يدعو بهذا الدعاء.

موسى عليه السلام خاطب ربه وحده، ولكن الله أجابهما بالمثنى فاستقيما، فلماذا؟ ذلك أن هارون مرتبط بموسى عليهما السلام، فلسانهما واحد. (دلَالة): بالدعاء والتوجُّه الصادق تطهر النفس فيرفع البلاء، ليست المسألة بصورة الدعاء، لأن الله ليس بغافل ولا بعيد.

90- ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً**﴾: في الماضي وتجاوزاً عن الحدّ. ﴿**وَعَدْواً**﴾: مسرعاً ليتعدى عليهم الآن. ﴿**حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ**﴾: كاد يغرق. ﴿**قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾: استسلمت الآن للحق. الله تعالى أوحى في قلبه. ﴿**آلآنَ**﴾: آمنت، الآن ما عاد لك فعل خير. أنت جئت للدنيا لفعل الخيرات، فكلُّ إنسان يؤمن عند الموت، لكن الكافر لا يجديه إيمانه.

سورة يونس: [91-100]

91- ﴿**آلآنَ**﴾: ضيَّعت عمرك كله سدى والآن آمنت؟ أرسلتك للدنيا لتكسبها ولكن: أنت ضيَّعت كل عمرك والآن آمنت، لم تعمل عملاً صالحاً. جاء الإنسان للدنيا للعمل الصالح، الإيمان بلا إلّه إلا الله لكي تستقيم وتعمل، فإن لم تؤمن فلن تعمل، عندها في الآخرة تحزن وتتحسر، وهذا سبب دخول النار. ﴿**وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾: في الأرض.

92- ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ**﴾: بهذا الإيمان الذي آمنته نخرج جسدك. ﴿**لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**﴾: لعله إن أحد رأى جسدك يؤمن، وبهذه الموعظة يحصل لفرعون تخفيف من عذاب النار، لكن الله لا يعطيه عطاءً في الآخرة، حيث أنه لا نيَّة له بعمله، فكلٌ ينال على حسب نيَّته. ﴿**وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا**﴾: في السماء والأرض، والتي نتلوها عليهم. ﴿**لَغَافِلُونَ**﴾: عنها لا يتَّعظون بها. فلا يَعْرِفُونَ لِمَ خلق الكون كله.

93- ﴿**وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ**﴾: بعد فرعون صار لهم بفلسطين شأن وهداية للناس. جعلناهم من أهل الإرشاد والعلم، صاروا يدلُّون الناس على الله. ﴿**وَرَزَقْنَاهُمْ**﴾: على هذا الحال. ﴿**مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ**﴾: عن هذا السير. ﴿**حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ**﴾: إلى أن شذوا بعد موسى عليه السلام بحين، فلما جاءهم العلم: سيدنا عيسى عليه السلام يدعوهم إلى الحق انقسموا قسمين: مؤمنين ومعاندين. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾: يحكم بالحق. رسول الله لمَّا سمع هذا عنهم خاف على نفسه الشريفة أن يكون مثلهم فطمأنه الله تعالى.

94- ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ**﴾: على نفسك من الضلال. ﴿**مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ**﴾: نحن عاملناهم بعشرات المعاملات الحسنة، وسقنا المعجزات وكفروا. ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾: هل آمنوا كمثل إيمانك؟ ﴿**لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ**﴾: أنت فكَّرت وآمنت، سرت على القانون الذي رسمتُه، أمَّا هم فقد صدَّقوا مجرَّد تصديق، فتصديقهم كانت نتائجه ارتدادهم، أنت آمنت حقاً، أنت صرت عالياً من إقبالك على ربّك، رحيماً، شفوقاً، تحب الخير لأنك فكَّرت بالمربِّي، فصرت كاملاً من أهل الكمال. هذا ولا يصبح الإنسان كاملاً إلَّا بعد عرفه بالمربِّي. ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ**﴾: أنت لا يمكن أن تكون منهم. ﴿**مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾: بهذا الذي طبع في قلبك أنت لا تكون أبداً من الممترين: ممن لم يروا.

95- ﴿**وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: بإيمانك بالمربِّي وإقبالك لا يمكن أن تكون من الذين كذّبوا، فأنت لا يمكن أن تكون مثلهم.

96- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ**﴾: هؤلاء الذين لم يسلكوا هذا المسلك الذي بينتُه. ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ**﴾: إن لم يعرف الإنسان المربِّي لن يصير مؤمناً، ومن لا يكون مؤمناً لا يصلِّي، ومن لا يصلِّي لا ينال خيراً أبداً. ولا يمكن الوصول إلى الإيمان إلَّا بهذا الطريق.

97- ﴿**وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ**﴾: معجزة. ﴿**حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾: كما حصل لفرعون، لا يؤمنون إلا ساعة الموت، فمن لا يؤمن بالمربِّي لا يؤمن إلا عند الموت. فالإيمان وأنت صحيح، فكِّر إلى أن تعقل وتصل للإيمان الحق.

98- ﴿**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ**﴾: هذا الإيمان المذكور. ﴿**فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا**﴾: لكان نفعها ورفع عنها البلاء، لكن ما آمنوا فهلكوا. ﴿**إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ**﴾: هؤلاء آمنوا. ﴿**لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: بالبلاء. فكَّروا ورجعوا فكشفنا عنهم. ﴿**وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾: وهكذا المؤمن يُحفظ.

99- ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً**﴾: لكشف لهم الحقيقة، لكن أنفسهم غير طالبة، لذلك لن تتكوَّن لهم ثقة بأنفسهم بأن الله تعالى راض عنهم بأعمالهم، إذ لا يفيد المرء شيئاً من عمله المكره عليه، ويكون هؤلاء مكرهين. لو كشف لك لعملت لنفسك، ولكن لا تتولد ثقة من عملك. ﴿**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾: قسراً؟ أنا أعطيتهم الخيار، لو كان الأمر بالإكراه لما استفادوا من أعمالهم، ولا فائدة للإنسان إن لم يكن له اختيار.

100- ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾: الصدق أولاً: {**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً**}[8] وهذا لا يكون إلَّا إذا أزحت حُبّ الدنيا. فكِّر بهذا اليوم الذي سيأتيك غداً، ليس لك إلَّا عملك، عندها تخاف نفسك فتستطيع أن تفكِّر فتستقيم وتحصل ثقة لك، فتعمل، وبعملك المنبعث عن اختيارك تقبل على الله غداً وترقى. فالمرء بتفكيره بالمربِّي ينقطع عن السفالة فيؤذن له بالدخول في أهل الإيمان. ﴿**وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾: والرجس: هو البلاء المسيء له، فمن لا يفكِّر ولا يعقل شيئاً عن الكون لا يؤمن، يفتح له الدنيا ويجعل الأذى على يديه، ثم يساق له بلاء يسوؤه لعلَّه يتوب ويرجع، فمن لا يعقل التربية الإلَهية فينظر في الكون يجعل الأذى على يديه، إن لم يتب عاوده البلاء وحتى نهاية الحياة. فالسعي سعيك، وإن لم تسعَ فلن تنال شيئاً، أنت اجتهد.

سورة يونس: [101-109]

101- ﴿**قُلِ انْظُرُواْ**﴾: كيف تعقل؟ انظر. ﴿**مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: العقل بالنظر، عندها تعقل أن السير كله بيد الله، انظر إلى ما فيها، مهما أراك تعالى من آيات إن لم تفكِّر فتعقل ما في السماوات والأرض فلن تستفيد شيئاً، ولكن إن لم تنظر: ﴿**وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ**﴾: المعجزات لا تفيدك إن لم تفكِّر وتعقل. ﴿**عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ**﴾: بهذا الطريق، لا يحصل الإيمان بغير هذا الطريق، ومهما سمعت تنسى، لا بدَّ من العقل، وإن لم تنظر هذه النظرة فإن الآيات "المعجزات" لا تفيد.

102- ﴿**فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: أليس أمامنا الموت؟ هل من مخلص منه مهما طالت الحياة؟ إن لم يؤمن المرء ولم يعقل فماذا ينتظر؟ سيحلُّ به ما حل بهم. ﴿**قُلْ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾: وسترون النتائج. من عقل ما سينال، ومن لم يعقل ما هي نتائجه؟ من عقل سيدخل في باب الأمان، كلنا ننتظر الموت.

---

[8] سورة الأنعام – الآية:115.

103- ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا**﴾**:** عند نزول البلاء. ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُواْ**﴾**:** معهم. ﴿**كَذَلِكَ**﴾**:** هذا قانون. ﴿**حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾**:** المؤمن يخلِّصه الله، فالمؤمن لا يصيبه شيء.

104- ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي**﴾**:** مما أدين إليه. قالوا هذا محمد له غاية، ليسيطر على العالم. ﴿**فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾**:** لا أسمع كلام أحد. ﴿**وَلكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ**﴾**:** سيري ليس مثل سيركم، بطاعتي لربي صرت بهذه الصفات، أما أنتم فإن انحطاطكم من الشيطان. ﴿**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾**:** بلا إلَه إلا الله. لا جدوى له من لا يؤمن بها، أنا مقبل على ربِّي، منه أشتق الكمال، أما أنتم فسيركم مع الشيطان، من الشيطان هذه السفالة التي أنتم عليها.

105- أمرني: ﴿**وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ**﴾**:** لطريق الحق. ﴿**حَنِيفاً**﴾**:** ميَّالاً بنفسي لطريق الحق. ﴿**وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾**:** بشَّرني تعالى.

106- ﴿**وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾**:** هكذا أمرني. ﴿**مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ**﴾**:** ليس لأحد فعل، لا شيء ينفعك ولا شيء يضرك، الفعل فعله تعالى وحده. ﴿**فَإِنْ فَعَلْتَ**﴾**:** قل لهم، أي إن طلبت. ﴿**فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ**﴾**:** إنك لا يمكن أن تطلب من أحد. قل لهم، يا إنسان:

107- ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ**﴾**:** لا يرفعه سواه، لا أحد يصرف السوء عنك سوى الله. ﴿**وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾**:** ولا أحد يسوق لك خيراً سواه. ﴿**يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾**:** اسلك الحق، اطلب وعندها يعطيك. كل من طلب الفضل منحه الله إياه. إن شئت حقّاً عملت وسعيت. لا بدَّ لطلبك الفضل من أن تؤهِّل نفسك. ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾**:** يحاول لهذا الإنسان ليشفيه ويرحمه، كله من الله تعالى خير ورحمة.

108- ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ**﴾**:** من طريق المربِّي، إن فكَّرت وعقلت اهتديت، وإلَّا فلا. فمعرفة الحق من طريق المربِّي، مما سواه لا يكون لك أن تكون إنساناً عالياً، ولا أن تعرف الحق. ﴿**فَمَنِ اهْتَدَى**﴾**:** بهذا الطريق. ﴿**فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾**:** العائد عليك بالخير لك، مراده سعادتك.

﴿**وَمَنْ ضَلَّ**﴾ عن هذا الطريق. ﴿**فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**﴾**:** النتائج عليه، يحرم نفسه من السعادة، كل لحظة أعظم من لحظة، سعادة أبدية. فكِّر بمن ربَّاك في بطن أمك. وما قبل، أين كنت؟ إن لم يفكِّر يضل. ﴿**وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**﴾**:** الرسول، النبي، المرشد، وظيفته التبليغ.

إن آمنت تدخل بمعيَّته ﷺ على الله. الله تعالى أعطاك الاختيار والحرية، الرسول مبلِّغ والأمر عائد إليك، يا إنسان إن لم تشتغل لا تنال.

109- ﴿**وَاتَّبِعْ**﴾**:** يا محمد. ﴿**مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ**﴾**:** عليهم. ﴿**حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ**﴾**:** بينكم. ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾**:** لك ولهم.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة هود: [01-10]

1- ﴿الَر﴾: يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ، يا أحمد الخلق، يا لطيفاً، يا رحيماً بعبادي، بهذا أصبحت أهلاً لأن يُنزَّل عليك هذا الكتاب.

يا أحمد الخلق يا لطيفاً: عندما تقف في الصلاة تسمع منه ﷺ الفاتحة، ترتبط به، تدخل بمعيَّته على الله من دون شعور منك.

ويا رحيماً بعبادي: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾: فهي مترابطة، وهذا قانون، القرآن الكريم آياته مترابطة بعضها مع بعض، فكلُّ تأويل يبيّن ترابط الآيات ببعضها فهو صحيح، وما سوى ذلك خطأ، قد يقص الإنسان قصة فتجدها مترابطة. ﴿**ثُمَّ فُصِّلَتْ**﴾: بيّنت. ﴿**مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾: هذا الترابط ميزان القرآن، لن تفهمه إن لم ترَ الترابط.

﴿**أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾: لا سيدنا محمد ﷺ ولا الصدِّيق ولا عثمان نظَّم، هذا تنظيم رب العالمين. ﴿**ثُمَّ فُصِّلَتْ**﴾: توسَّع بيانها. ﴿**مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾: بكلِّ الكون.

2- ﴿**أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهَ**﴾: الطاعة لأوامره. خلقكم كي تسمعوا كلامه فلا يُطاع سواه. ﴿**إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ**﴾: لمن يسمع بأن آخرته النار، إن لم تطيعوا فلكم عذاب أليم، كبير. ﴿**وَبَشِيرٌ**﴾: إن سرتم أبشِّركم بخير كبير، ولكم سعادة أبدية.

3- ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ**﴾: اطلبوا الشفاء من المربِّي. إن عرفت هذا المربِّي اطلب الشفاء منه ممَّا بك. لا أحد يرفع قدرك ويشفيك سواه. ﴿**ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ**﴾: ولكن بالتوبة أي: بعدم الرجوع إلى الإثم. إن عرفته حقاً فلن تخرج عن أوامره بل تنقطع عن الآثام؛ عندها﴿**يُمَتِّعْكُمْ**﴾: بالحياة. فإذن لِمَ خلقكم؟ أليس للإحسان؟! ﴿**مَّتَاعاً حَسَناً**﴾: بحياة طيبة، خلقك للسعادة دنيا وآخرة، فإن حصل لك شدَّة وضيق فسببه أنت، خلقك ليحسن إليك دنيا وآخرة. {**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجًا**}[1]. لا يوجد أمروٌ مستقيم ويُسلَّط عليه أحد. فالمستقيم لا يصيبه شيء، إن أصابك شيء ففتش عن خطئك. ﴿**إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾: في الدنيا تحيا حياة طيّبة إن عرفته وسرت ضمن أمره. ﴿**وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ**﴾: يجازي المحسِن بالإحسان. يعيد عليك فعلك. كل ما تعمله من معروف يردُّه عليك وتراه. ﴿**وَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**﴾: ما له نهاية. حذِّرهم.

4- ﴿**إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ**﴾: أين المفر أيها الإنسان؟ مهما عشت، أين تذهب؟ هل لك مفر؟ مرجعك إليه. ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: قادر على الإحسان وعلى ردِّ الإساءة، ويعطي ويمنع بقدر. لا جزافاً، كل شيء بمقداره. العمل الحسن بمقداره تنال الإحسان، وكذا السيء بمقداره، وكل امرئ وحقه، النار والجنة كلاهما على حسب الاستحقاق، وهو قدير على كل شيء.

5- ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ**﴾: حين تذكِّرهم بالموت يلوون وجوههم، يدير ظهره كي لا يسمع، يتحوَّل عنك إذ لا يريد سماع دلالتك. ما نتيجة هذه الدنيا؟ ما مصيرك؟ ما حالك في

---

[1] سورة الطلاق – الآية:2.

القبر؟ فكِّر في ذلك. ﴿**أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ**﴾: يتلبَّسون بالجرائم التي ارتكبوها، عندما تلبسه نيَّته، عند وضعه في الكفن. ﴿**يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ**﴾: يعلم أن الله: ﴿**يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾: كل ما يدور في خلدك يعلمه الله، عليم بك. لا بدَّ أن يداويك ولو تحوَّلت، وما أردت أن تسمع. ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: هي النفس. عليم بما في نفسك، على حسب نفسك يمشّيك.

6- ﴿**وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ**﴾: تدب على الأرض، من إنسان وحيوان. ﴿**إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾: تكفَّل برزقك، الرزق على الله مكفول، لكن الجنة بالسعي والعمل، الآن يعمل الناس بالعكس، أنت لاحق بالدنيا لكن رزقك مكفول عند الله، عليك الاستقامة وعلى حسب سيرك الحق يوسع رزقك. سِرْ بطريق الحق يتوسَّع رزقك، لكنك لا تستطيع السير بالحق إلَّا إذا نويت النيَّة الطيبة، هذه النية لا تصح إلَّا بالتفكير والإيمان. ﴿**وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا**﴾: على أي شيء هي. محل وجودها في الأزل، وفي ظهر أبيها. ﴿**وَمُسْتَوْدَعَهَا**﴾: وماذا أودع فيها. في بطن أمها، وفي هذه الدنيا أين هي موجودة، ورزقها لاحق بها أينما حلَّت. ﴿**كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾: سوف ترى أن الله تعالى ما تركك. كله عند الله، رتب لك ترتيباً، وكفل لك رزقك، الأمور بيد الله، كل إنسان له أجل ويوم. كم ولد سيأتي.

7- ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾: صيف وشتاء، خريف وربيع وليل ونهار. أربع فصول وليل ونهار[2]، من الذي رتَّب هذه الفصول والليل والنهار؟ من يدير الكرة الأرضية؟ من يولِّد الليل والنهار؟ هل أنت لك تصرُّف في شيء من هذا؟ من يرزقك إذاً؟ رتَّبها لحياتك، لسعادتك. كل واحدة لها فائدة، فكِّر تعرف المعاني والمراد، وتعظِّم خالقك وتراه معك حيثما سرت. ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾: قبل خلق الكون. بتجلِّيه على هذه النطفة يحييها، خُلقتَ، صرت إنساناً، الذي رتَّبك هذا الترتيب وخلقك هذا الخلق هل تركك من دون رزق؟ ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾: وخلقك للامتحان. لهذا خلقك، خلقك للدنيا لتعمل العمل العالي، فتقبل على الله، خلقك لتتقرب إليه سبحانه وتتنعم بالنظر لوجهه الكريم، حتى ترقى في الجنة أرسلك للدنيا. ﴿**وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾: يقول كيف من بعد أن نكون تراباً نعود؟ لكن أما هو قادر الذي خلقك أن يعيدك كما بدأك أول مرَّة؟ الذي خلقك وأوجدك أيصعب عليه أمر إعادتك؟ هل هذا سحر؟ هل هذا خيال؟ ذكِّرهم هل هذا البعث سحر وخيال لا أصل له؟

8- ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ**﴾: بحكمتنا أرجأنا عذابهم ظنوا الضعف. ﴿**إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ**﴾: كل إنسان من البشر يؤمُّ لشيء، هذه الشهوات التي بنفسك يعطيك منها شهوة واحدة، ثم يسوق لك علاجاً، إن تبت خلصت من كثير من الشهوات. ﴿**أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ**﴾: شهوات يؤمها حتى يخرج ما فيه. لا ينزل الهلاك حتى ينقِّي لك قلبك من كل شهوة، وبعدها بلاء، إن طهرت، وإلَّا فبلاء أعظم. كل عمل وله علاج. إذا أخَّرنا العذاب إلى الوقت الذي تستلزم معه المداواة وتحق. ﴿**لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ**﴾: ما يمنعه؟ قالوا ما يمنع الله من عذابنا؟ ﴿**أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ**﴾: حين نصيبهم به فمن يستطيع أن يصرف عنهم؟ ﴿**وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: وقع عليهم ما أنكروه، وسبب نكرانهم عمى قلوبهم. إذا وصل للنهاية حلَّ البلاء.

9- ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً**﴾: رزقاً مالاً أو جاهاً... أو وظيفة، تجارة. ﴿**ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ**﴾: أزلنا هذه النعمة من صحة، مال، أولاد، وما تاب. ضايقه أو سلبها منه. الله يعطي هذا الإنسان لعله يكون أهلاً وإلا يسحبها منه. ﴿**إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ**﴾: لا يفكر لماذا ضايقناه، ولا يقول لِمَ سحبها الله

---

[2] انظر كتاب (البحوث المجيدة) رقم[(4) "الكشف العلمي الجبار... الحقيقة الرهيبة للسموات السبع والأيام الستة". للعلامة الإنساني محمد أمين شيخو قدس سره

عنّي؟ بل ييأس ويكفر: حناناً عليه عاملناه بهذا حبّاً به حتى لا تفوته الحياة الآخرة. فلم هذا اليأس؟ كل ما يصيبك خير.

10- ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ**﴾: أو بالعكس كان فقيراً متضايقاً، ثم أعطاه. بعد الشدة فرَّجنا عنه. ﴿**لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ**﴾: يفرح بحاله ولا يعرف المنعم. ولا يقول أعطاني الله كي أشكر. إن لم يعرف المربِّي فلن تؤثر به الشدة ولا الرخاء. يظن أن لن نحاسبه على ما اقترف من إثم.

سورة هود: [11-20]

11- ﴿**إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُواْ**﴾: على البلاء والشدائد، إذ عرف أن هذا الشيء منه وهو المتسبب، وأن الله ساق له ذلك دواءً، ورضي بحكم الله. هذا لا بدَّ أن يشفيه الله ويعيد له النعمة. ﴿**وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ**﴾: حيث عرف المصدر فصبر. ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ**﴾: شفاء. ﴿**وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾: عطاء كبير، بعرفه بالمربِّي آمن، فعرف أن الله كله عطف ورحمة وإحسان.

12- ﴿**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ**﴾: تحاول هدايتهم بشتى الطرق، تنبئهم بشيء وتُغفل شيئاً: كان يتمنَّى ألَّا يكلمهم بذلك لأنهم جهلة حفاة. ﴿**وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ**﴾: تتضايق، يضيق صدرك الشريف من معارضتهم. ﴿**أَنْ يَقُولُواْ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ**﴾: لئلا يقولوا لِمَ لمْ يُعطه الله المال الكثير برغم استقامته وصلاحه. ﴿**أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ**﴾: يقولون لك ذلك ولا يفكِّرون بقولك. ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ**﴾: كلا إن عطاء الله أكبر من هذا، وعليك أن تؤدي الرسالة بقوة، أنت مبلِّغ. قل لهم أنا هذه وظيفتي. ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾: يعطي كل إنسان حقه.

13- ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ**﴾: هذا القرآن. ﴿**قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾: من هذا القرآن، افتروا مثله إن كنتم تزعمون ذلك. ﴿**وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: ائتوا بمثل ما جئت به. اجتمعوا ومن تشاؤون. لن تستطيعوا ذلك.

14- ﴿**فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ**﴾: هؤلاء الذين تعبدونهم وتطيعونهم. ﴿**فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ**﴾: هذا كلام الله. ﴿**وَأَن لَّآ إِلَٰه إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ**﴾: الآن؟ أفلا يجب أن تستسلموا إليه؟ إذا عجزوا كلهم، ووجدتم أنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله فاعلموا أنه كلام الله واستسلموا إليه.

15- ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا**﴾: طالب الدنيا نعطيه إياها، يريد بنايات وقصور، سيارات فاخرة... ويعمل لها، هو ليعمل، ونحن نعطيه ما يتطلَّب. ﴿**وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**﴾: نعطيه كل ما في نفسه من شهوات. (المؤمن ينظر لنفسه، إن كان ربه راضياً عنه وكان مستسلماً لله، فهذا هو الخير وهذه هي السعادة). لكن أولئك بعدها:

16- ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ**﴾: دائماً في الدنيا تعبان، وفي الآخرة ليس له دواء أحسن من النار. ﴿**وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا**﴾: كل عمله يذهب هباءً منثوراً. ﴿**وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾: وعند الموت كأنه لم يجد في هذه الدنيا شيئاً من نعيم، الذين أعطاهم الله في الدنيا هذا مؤقَّت لهم.

17- ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ**﴾: أقبل على الله، وفكَّر واستنار وآمن بالمربي، فكَّر، دقَّق، نظر في السماوات، الأرض، الكون، كله ليربيه بحياته وصحَّته. بغذائه ونومه. ﴿**وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ**﴾: يتلو القرآن وهو يرى في القرآن الحق، ﴿**وَيَتْلُوهُ**﴾: الرسول أو المرشد، ﴿**شَاهِدٌ مِّنْهُ**﴾: مشاهد من الله على ما في نفسه. ﴿**أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾: من يفكِّر هذا التفكير يؤمن "هذا من طرف المرشد، النبي. الآن من طرف المريد": ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ**﴾: صار لديه علم مبني على نظر وتفكير أن الله

تعالى هو وحده المربي. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: عندها يتلو هذا المؤمن الصادق هذا الكتاب "القرآن" مشاهداً ما فيه من خير وحق. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾: ذكر هذا في كتاب موسى عليه السلام، يجده أيضاً إماماً. إن آمن الإنسان بالمربّي يجد أن هذا الكتاب يؤمُّه إلى الخير لينال الرحمة. ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: من يقرأ الكتاب بنور وبصيرة يؤمن بما انطوى عليه من الحق: هذا الذي يؤمن به فقط، وهذا قانون، بغير هذا الطريق لن تصل للإيمان بالكتاب. إن لم تفكّر وتؤمن بالمربِّي فلن تستطيع الوصول للإيمان بالكتاب. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: غيرهم. ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾: لا بدَّ لهذا الذي لم يفكِّر ويكفر به، لا بدَّ له من العذاب. ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: شك من أمر المعرض، ألا ترى أنه ما لم يعرف المربِّي فلا جدوى له، لا معجزة ولا شيء يرده للحق؛ إذ لا طريق إلا الإيمان بالمربِّي. الإيمان: شهود بعينك ثم شهود بنفسك، ما سوى ذلك ليس بإيمان. ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ﴾: سنة الله. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لعدم معرفتهم بالمربِّي.

18- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: من أنبياء ورسل، والملائكة يشهدون عليهم. ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ﴾: أليس ذلك ينتج البعد؟ أيدخل أحد على الله تعالى وهو قذر وسخ؟ ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: أنفسهم، إذ حرموها من السعادة. فالظالم هذا الذي ظلم نفسه.

19- ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يصدُّ نفسه عن الحق. وبالتالي يبعدون الناس عن الله. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾: يريدون الدنيا حسب أهوائهم، فهو يريد أن تسير الدنيا على حسب هواه. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: ناكرون، هو غير مفكِّر بالآخرة.

20- ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: لا بدَّ أن يموتوا، ماذا حلَّ بمن قبلك من رؤساء، ملوك، وزراء؟ ما هي نتائجهم؟ ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: هو الممد الذي به القيام، يوليك على حسب ما في نفسك. احذره، اخجل منه، اخجل من عملك. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾: من درجة لدرجة لما فيهم من شدة وبلاء. ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾: في الدنيا، لا هو نظر في الكون، ولا سمع من غيره. الدنيا غالبة عليه وهو لا حق بها، المَلَك يبلِّغك، المرشد يبلغك إن صحّت نفسك أسمعك. ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾: من الكون شيئاً.

سورة هود: [21-30]

21- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾: خلق تعالى النفس للسعادة لا للشقاء. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: خلق الله تعالى النفس ليسعدها سعادة أبدية، أمَّا هو فضيَّعها.

22- ﴿لَا جَرَمَ﴾: هل من شيء قليل يثبت خلاف هذا؟ هل هناك أي دليل صغير أنهم لم يخسروا في الآخرة؟ ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾: من كافة الخلق، شرُّ البريَّة: أشر الخلق كافة.

23- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾: بلا إله إلا الله. ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ﴾: قنتوا لله أي: سكنت نفسه إلى ربه. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: الجنة لها أهل على حسب العمل. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يبغون عنها حولاً أبداً.

24- ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾: في الدنيا، فكِّر بين الرجُلين هذا وهذا. ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ﴾: لا يرى ولا يسمع، هذا المعرض عن الله، لم يعرف الله ولم يسمع الحق، هل هو والمؤمن سواء؟ ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾: الذي فكَّر، رأى المربِّي هو الله وسمع كلامه، هل هما متساويان في السير والعمل؟ فكِّر، انظر،

دقِّق، هل يستويان هذان معاً؟ ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: هل الذي عرف المربِّي والمسيِّر سيره كالبعيد عن الله؟

25- والآن بعد أن أرشدنا تعالى إلى أصول الإيمان من تفكير بالتربية أراد أن يبين لنا نتائج من لم يفكِّروا. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾: سمَّاه الله تعالى نوحاً، وقد سُمِّي نوحاً لشدة حنانه وعطفه على قومه وتأثُّره عليهم، ظلَّ /950/ سنةً يدعوهم، وما آمن معه إلا قليل. فسيدنا محمد ﷺ سمَّاه أهله بهذا، وسمَّاه الله بأحمد. ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾: من قبلكم. ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: هذا الذي يسير في طريق الضلال، انظروا أعماله وأخلاقه "المؤمن وأعماله"، ونتائج كل منهما.

26- ﴿أَنْ لَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهَ﴾: في كل عصر وزمان على الإنسان ألَّا يسمع غير كلام الله، كل قول قد يشوبه خطأ إلَّا كلام الله، فلا يطاع أحد إلَّا الله. مهما نسبوا القول لعالِم صالح (ولي، صحابي، نبي)، إن لم يوافق كلام الله فهو مردود. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: في الدنيا والآخرة. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: يوماً تتألمون فيه جداً، لِما يراه الإنسان من خسارته، ولما يراه من دناءته، فيتألم كثيراً ويصيبه العذاب بعدها.

27- ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بلا إله إلا الله. ﴿مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا﴾: هذا الذي لم يعرف الله لم يكسب شيئاً من الكمال، فلم يقدِّر سيدنا نوحاً عليه السلام، بل وجده كغيره لا ميزة له. فما رأوا كماله، عطفه، حنانه. ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: فتياننا، الضعفاء، كذلك: الطيبون لا يوسع الله عليهم في دنياهم كثيراً. ومن حبِّه تعالى بعباده لا يوسِّع عليهم دنياهم كيلا يقعوا بسببها بالمهالك. ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾: تفكيرهم صغير، ما لهم رأي. صغارنا الذين ما زالت أفكارهم غير ناضجة. ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾: حتى نسمع كلامكم. ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾: لا نصدِّقكم.

28- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: أنا صحيح مثلكم، لكني فكَّرت وأيقنت وعرفت المربِّي. أنا استدللت، أنتم لم تستدلوا لذلك تفوَّقت عليكم. **"التكبُّر على المتكبِّر صدقة"**[3] هم تكبروا على صحابته فأدبهم بإباء. {وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ}[4].

البشر كلهم سواء، كل من استفاد من هذه الأهلية تفوَّق. كلامي منطقي فكِّروا به. ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾: عندما عرفته فتح عليَّ وتفضل بفضله الكبير، اسلكوا مثلي يعطيكم ما أعطاني. انظروا عطفي، حناني.

هذا ميزان، إن استغفر الإنسان ربه حقاً طهرت نفسه وأقبل واشتق الكمال، فكل من تاب وانقطع عن المنكر نال الإقبال على الله، فاشتق منه تعالى الرحمة، بقدر رحمتك على خلق الله بقدر قربك من الله. ﴿مِّنْ عِنْدِهِ﴾: من إقبالي على الله صار بقلبي رحمة عليكم. ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: فما رأيتم شيئاً، لا ترون عطفي وحناني. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: هذه الدلالة بالإكراه؟ إذا أنت ما سرت بها. ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾؟ إن أنت لم تنظر وتفكر لا يكون، إن لم تسر بالدلالة لا أستطيع أن أجعلها بقلوبكم، أنت مخيَّر ولك الإطلاق، فكِّر لتصل للإيمان والمعرفة. لو فكَّرت لعرفتني وعرفت إرشادي، مقامي.

29- ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً﴾: ليس لي غاية سوى هدايتكم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾: كما تطلبون، كيف أطردهم؟ ﴿إِنَّهُمْ مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾: والله يرضى عنهم فهم قريبون

---

[3] شرح الجامع الصغير ج4.

[4] سورة البقرة – الآية:212.

من الله. ﴿**وَلكِنّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ**﴾: لِمَ الحياة؟ لمَ الدنيا؟ وماذا بعدها؟ لا تعرفون شيئاً عما وراء هذه الدنيا، لا تعرفون إلَّا الأكل والكيف والبسط بالأشياء الماديّة.

30- ﴿**وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي**﴾: منكم. ﴿**مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدتُّهُمْ**﴾: أليست المسألة بيد الله؟ ألا يعاقبني إن فعلت ذلك؟ ﴿**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾: لماذا أعامل الفقير هذه المعاملة؟

سورة هود: [31-40]

31- ﴿**وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ**﴾: لست غنياً كيما أحظى بهذه المكانة التي أنتم تتفاخرون بها في دنياكم. ﴿**وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ**﴾: لا أعرف الغيب. ﴿**وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً**﴾: هؤلاء بإقبالهم على الله لا بدَّ أن يعطيهم. ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ**﴾: هذا لا أعلمه. ﴿**إِنّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾: إن جاريتكم وفعلت ما تريدون.

32- ﴿**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**﴾: دعنا وشأننا. ﴿**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾: إن كنت صادقاً فلينزل البلاء علينا، لا نريد ترك ما نحن فيه.

33- ﴿**قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ**﴾: متى آن الأوان؛ وصار من اللازم نزوله أنزله، أمرني أن أبلّغكم. ﴿**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾: هل ثمة أحد يدفع الموت عن نفسه إذا جاء؟

34- ﴿**وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ**﴾: إن كان هذا ظنكم السيء بربكم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يغويكم، وبقيتم مثابرين على هذا الظن المسبب لإعراضكم عنه؛ بنسبكم الظلم إلى الله، فلن ينفعكم نصحي لما نشأ في نفوسكم بإعراضكم هذا عن ينبوع الخير جل وعلا، بسبب هذا الظن الخاطئ، كما نسب إبليس هذا الظن السيء لربه: {**لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**}[5] ذلك ظنكم بربكم أرداكم. أهكذا ظنكم؟ فأكثروا جدال نوح عليه السلام، ومما قالوا له: إن الله يريد غوايتنا، فردَّ عليهم عليه السلام: إن ذلك غير منطقي، إذ لو كان هذا حقاً فنصحي لكم لن ينفعكم وبالتالي فليس ثمة حاجة لإرسالي إليكم رسولاً، وبما أني أرسلت إليكم فمعنى ذلك أن الله لا يريد غوايتكم.

وفي الحديث القدسي الشريف: **"أنا عند ظنِّ عبدي بي..."**[6]

إن وصل المرء إلى درجة استحقاق الهلاك، فلن يفيده النصح. إن لم تطهّر وتزكي نفسك فمهما نصحك أحد؛ فلن تسمع النصيحة إذا أراد تعالى أن يخرج لك الخبث الذي هو فيها. إن لم تتب فتُقبل وتطهّر نفسك، فلا بدَّ من أن نعطيك شهوتك.

يتركه يغوي كما يريد هو ليسقيه الدواء المرّ. ﴿**هُوَ رَبُّكُمْ**﴾: أنا ليس بيدي شيء. ﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾: بكل أموركم. سيْر الخلق كله بيد الله.

35- ﴿**أَمْ يَقُولُونَ**﴾: أبعد هذا البيان والقصص التي جئت بها. ﴿**افْتَرَاهُ**﴾: من أين جئت به؟ هل ثمة أحد يعرفه؟ ﴿**قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ**﴾: مما تقولون أني مفترٍ.

---

[5] سورة الحجر – الآية:39.
[6] رواه الشيخان

36- ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ**﴾: لما طلبوا الهلاك. ﴿**أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آَمَنَ**﴾: لا جدوى لهم. ﴿**فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾: لا تحزن ولا تتألم من عدم اهتدائهم. فكيف يقولون: أن لنوح خطيئة؟ وأنه دعا على قومه فمن حنانه عليه السلام لمَّا أخبره الله تعالى أنهم لا يمكن أن يؤمنوا طلب لهم الهلاك، كرجل له قريب عزيز مريض يتألم لا يمكن شفاؤه، يتطلب له الموت كي يخلص من آلامه، وكذلك سيدنا نوح عليه السلام طلب لهم الهلاك بعد وحي الله له أنهم لن يؤمنوا ليقلَّ شقاؤهم.

37- ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾: نراك ونلهمك. ﴿**وَوَحْيِنَا**﴾: دلالتنا. ﴿**وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: لا تتوسط في دفع البلاء عنهم، ولا تترجى فيهم. بعد أن دعاهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، لما امتنعوا عن الإيمان والطاعة حقّ عليهم الهلاك، لكن سيدنا نوحاً عليه السلام رغم معارضاتهم له كان يتمنى هدايتهم. ﴿**إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾: لا بدَّ منها.

38- ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ**﴾: والآن يسخر الجهلة من كثير من المؤمنين. ﴿**قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾: نحن نستخفُّ بعملكم أيضاً كما تستخفون، أي: أنتم تستهزؤون بي وتستخفون، وأنا مستخف بسيركم.

39- ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾: غداً ترون. ﴿**مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ**﴾: فتش عن رتبة عالية في الآخرة لك، إن صارت لك منزلة عالية في الدنيا فماذا يكون وضعك غداً؟ ﴿**وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾: من لا يستقيم لا بدَّ له من زوال الدنيا عنه والخسران.

40- ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا**﴾: صنع الفلك وانتظر، وجاء الأمر بهلاكهم. ﴿**وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾: نبعت العيون. منافذ الماء تعطي على حسب اللزوم الآن، لكن يومها فتحها الله بمقدار أغرق الأرض. ﴿**قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾: مما يلزمك في الحياة من بقر، غنم، جمل... مما يلزمك في الفلاحة. ﴿**وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ**﴾: ولو كان من أهلك، إن كان بعيداً عن الله فلا تأخذه معك. ﴿**وَمَنْ آَمَنَ**﴾: من قومك. ﴿**وَمَا آَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾: بعد كل هذه المدة يقال/17/ شخصاً هم الذين آمنوا خلال /950/ سنة.

سورة هود: [41-50]

41- ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾: تمشي وترسو باسم الله، أنتم لا تخافوا مهما حصل. ﴿**إِنَّ رَبِّي**﴾: بهذه الشدائد والبلاء. ﴿**لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: لنا ولهم رحمة لمن غرق، رحمة لمن نجا، رحمة لمن غرق: حيث أنهم كلما عاشوا زاد بلاؤهم.

42- ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ**﴾: عن أبيه، إذ كان يتظاهر بالإيمان والآن غدا بعيداً عنهم. ﴿**يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**﴾: بالهلاك.

43- ﴿**قَالَ سَآَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ**﴾: أصعد لرأس الجبل. لم يصدق. ﴿**قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ**﴾: من سار بالعمل الطيب. إن لم تكن مؤمناً فلا مخلص لك. ﴿**وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾: فلا أحد يحمي أحداً، كل إنسان وعمله، سيدنا نوح عليه السلام لم يخلِّص ابنه. الله تعالى عادل يعطي كلَّ إنسان حقَّه.

44- ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ**﴾: أُمِرت المياه بالعودة لمكانها. لمَّا لم يبقَ لها لزوم عادت لمواضعها. ﴿**وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي**﴾: عن المطر. ﴿**وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾:

أجود بقعة على الأرض، الجودي: جبل عالٍ جيد فيه الخيرات. ﴿**وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾: بعدم استجابتهم وعدم إيمانهم.

45- ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي**﴾: كما أعلم. ﴿**وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ**﴾: وعدتني أن أهلي سينجون. ﴿**وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾: أنت تُجري كل شيء بالحكمة وبمواضعه.

46- ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾: أنا عليم بحاله. كل إنسان وعمله، وكل واحد على حسب عمله. ﴿**فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾: هذا ليس من خصائصك، أنا عليم بما يلزم وأدرى بحال كل إنسان. كذلك المؤمن يستسلم. ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ**﴾: أحذِّرك. ﴿**أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾: لا تكن من الجهلة ممن لا يعرفونني. أنا عادل، وكل واحد وحقه. فسيدنا نوح عليه السلام نبَّهه الله لهذا. وكذلك المؤمن يتَّعظ.

سيدنا نوح عليه السلام: لم يخلِّص ابنه، سيدنا إبراهيم عليه السلام: أمه وأباه، سيدنا لوط عليه السلام: زوجه، سيدنا محمد ﷺ: عمّه، كل إنسان بذاته، ولا يستطيع أن يشفع بأحد.

47- ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ**﴾: يا رب أنا موقن بكلامك. لكن الحنان الذي وضعته بقلبي دفعني لهذا السؤال.

﴿**وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي**﴾: تشفيني من هذا الميل بالحنان إليه. ﴿**وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: أنت ارفع هذا الشيء من قلبي كيلا يخطر ابني ببالي. فعلى الإنسان ألَّا يعلِّق قلبه بأحد من أقاربه المعرضين عن الحق، ويطلب من الله أن يرفع هذا الحنان عليهم من قلبه، لئلا يتلوَّث قلبه منهم.

48- ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَّعَكَ**﴾: سيأتيهم نسل ويسيرون بسيرك. ﴿**وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ**﴾: في هذه الدنيا. ﴿**ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: ثم تزول عنهم. وكل أمَّة لا تسلك طريق الحق، ولا تفكِّر بالمربِّي هذه هي نتائجها. إذن: فكِّر بالمربِّي كي تصبح إنساناً، وإلَّا هلكت.

49- ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذَا**﴾: هذه القصة ما كان لك علم بها. ﴿**فَاصْبِرْ**﴾: على قومك، كما صبر نوح عليه السلام على قومه. ﴿**إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾: لا بدَّ أن نرفع شأنك. التقي لا بدَّ أن يرفع الله شأنه ويعلي جاهه. لا بدَّ من ظهور وتفوق المؤمن.

50- ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ**﴾: أطيعوا أمره. اسمعوا كلام الله، لا كلام عبد مثلكم. ﴿**مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾: ما من رزَّاق ومسيّر سواه. من الذي ينزل الأمطار؟ من يسوق الشمس والقمر؟ الليل، النهار، الفصول، من يدير الكرة الأرضية؟ ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**﴾: على الله بادِّعائكم بهذه الآلهة، بعبادتكم الأصنام.

سورة هود: [51-60]

51- ﴿**يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي**﴾: أظهرني. ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾: أفلا تفكِّرون ولو قليلاً؟ العاقل يفكِّر بأي كلمة يسمعها، إن كانت صحيحة اتَّبعها وإلَّا ردَّها. أليس من اللازم أن يعقل الإنسان هو بذاته؟

52- ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ**﴾: آمنوا بالمربِّي، كل شيء إن فكَّرت به استدللت، من ربَّاك في بطن أمك لما كنت نطفة؟

كل شيء يدل على المربِّي. إن لم تستغفر فتطلب الشفاء من هذه الشهوات فإنها تظل متعلّقة بقلبك. الزنا، السرقة، القتل، كلها جرائم تقع في النفس، إن استغفرت وتبت وعملت صالحاً أقبلت، فشفيتْ نفسك، عندها تصاحب رسول الله ﷺ، بمعيَّته تشاهد الخير من الشر، وتحمد الله أن نجَّاك من المعاصي لما تراه فيها. ﴿**ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ**﴾: مما أنتم عليه.

﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً**﴾: وكانوا في شدة وضيق. ﴿**وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ**﴾: وأنتم. ﴿**مُجْرِمِينَ**﴾: حارمين أنفسكم من الخيرات، وأنتم ما فيكم خير أبداً. جئت للدنيا لتكون من أهل الكمال والمعروف. خلقت للإحسان.

53- ﴿**قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ**﴾: مهما قلت. ﴿**وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾: كل كلامك لا نقرُّ به.

55-54

﴿**إِنْ نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ**﴾: أي إنك رجل تعرَّضت لك آلهتنا بسوء، فسترت نفسك عن الحق، وجعلتك تقول ما تقول. ﴿**قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿54﴾ مِنْ دُونِهِ**﴾: أنا بريء منهم. ﴿**فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ**﴾: دبّروا ما شئتم، شجاع لأنه أمين من نفسه، كونه سائراً على الحق.

56- ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ**﴾: الكل بيده. ﴿**رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِنْ دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا**﴾: ما من شيء إلَّا وسيره بالله. ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾: حيث أنه مؤمن بأنه طاهر ومستقيم على أمر الله بالتمام، عرف أن الله لا يسوق له شيئاً من الأذى على يد أحد؛ لذا كان جريئاً، كل من أخطأ ينال حظه من المؤاخذة.

57- ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْاْ**﴾: إن أعرضوا قل لهم ذلك. ﴿**فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ**﴾: أنا بلَّغت. ﴿**وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ**﴾: يهلككم. ﴿**وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً**﴾: بكفركم. ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾: كل شيء محفوظ عند الله، أنا وظيفتي التبليغ.

58- ﴿**وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آَمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا**﴾: وبكل وقت إذا نزل البلاء يُحفظ المستقيم. ﴿**وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾: قوي شديد على قومه.

59- ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾: رأوها ما فكَّروا بها، فما صارت لهم رؤية ببدايتهم وتطوراتهم. رأى ذلك فما عقله. الآيات الدالة على المربِّي ظاهرة مكشوفة، لكنهم ما نظروا فيها. ﴿**وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ**﴾: ذكَّروهم فما تذكَّروا. ﴿**وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾: كذلك الآن يتَّبعون الأغنياء وأصحاب الوظائف الكبيرة.

60- ﴿**وَأُتْبِعُواْ فِي هذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً**﴾: بعداً عن الله. ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: بعدٌ. ﴿**أَلَا إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ**﴾: ما رأوا التربية، إن لم تفكِّر بطريق التربية فلن تصل، وهذه نتائج الإنسان الذي لا يفكِّر بالمربي. ﴿**أَلَا بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾: دنيا وآخرة، الحياة كلها بالقرب من الله نعيمها وسرورها.

سورة هود: [61-70]

61- ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ**﴾: غير الله لا أحد محبٌ لك، عطوف عليك، لا مماثل له في ذلك، لا يوجد غيره، كلُّ الرسل كلامهم واحد، والسائر على هديهم قوله مثل قولهم. ﴿**مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾: هو وحده المسيِّر. من الذي يسيِّرك؟ سيارة من دون محرِّك أتتحرَّك؟ من

الذي يحركك؟ ﴿**هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ**﴾: هذه الثمرة كيف تكونت؟ فأكلها أبوك، تولَّدت منها النطفة، فأودعت في الرحم، وصارت إنساناً، ألا تفكِّر بأصلك؟ من الذي جمع هذه المواد إلى بعضها، وكوَّن منها هذه النطفة؟ إذن ما أصل هذه النطفة؟ ممَّ تجمعت؟ من التفاحة، السفرجلة، وغيرها، وهذه كلها من الأرض. ﴿**وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾: جعل لكل واحد عمراً. انظر لمن سبق، أتدوم لك هذه الحياة أنت؟ ﴿**فَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾: اطلبوا الشفاء، هو الشافي وحده. ﴿**ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ**﴾: ارجعوا لأمره. ﴿**إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ**﴾: أقرب من السواد للبياض. ﴿**مُّجِيبٌ**﴾: إن فعلتم ذلك وجدتموه قريباً مجيباً. إن صدقت يجيبك بسرعة. كن قريباً منه تُجب دعوتك.

62- ﴿**قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هذَا**﴾: ناظرين فيك أنك عاقل. ﴿**أَتَنْهَانَا أَنْ نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾: أتأتينا بدين جديد؟ كل من سبقنا سار على هذا الطريق؟ هل جئتنا أنت بشيء جديد؟ أتخالف كل من سبق؟ ﴿**وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾: هذا شيء ظاهر خطؤه.

63- ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي**﴾: أنا نظرت في الكون واستدللت على المربِّي، أنتم انظروا لكلامي، أحق أم لا؟ فكِّروا بكلامي. ﴿**وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً**﴾: هل من رحيم مثلي بينكم؟ ﴿**فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ**﴾: إن خالفت وسرت معكم. ﴿**فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ**﴾: إن سرت معكم، لا يلحقني منكم إلَّا الخسارة. وهنالك طلبوا منه معجزة الناقة فقال:

64- ﴿**وَيَا قَوْمِ هذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً**﴾: فهل صدَّقتم أني رسوله؟ لكن لو جاءت آية "فلن يؤمن الإنسان ما لم يجتمع فكره مع نفسه، إن لم يجتمعا فلا جدوى، ولا تجتمع النفس إلا إذا خافت من الموت، إن خافت اجتمعت، فأجدى التفكير، وتوصل الإنسان لمعرفة المربِّي، وهنالك يرى أن المربِّي هو المسيِّر الذي بيده السير كله، عندها يستطيع أن يصلِّي ويفهم معنى الآيات، عند ذلك تستنير النفس وترى طريق الحق". ﴿**فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ**﴾: بعد هذه المعجزة، إن خالفتم هلكتم، ﴿**فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**﴾: مباشرة، فما عبأوا.

65- ﴿**فَعَقَرُوهَا**﴾: تضايقوا على الماء والسقيا. ﴿**فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**﴾: أعطاهم مهلة ثلاثة أيام لعلهم يتوبون. ﴿**ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾: واقع حتماً.

66- ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾: عند البلاء تنزل بالمعرض السفالة والخزي.

67- ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾: على ركبهم، لم يعبأ بهم أحد.

68- ﴿**كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا**﴾: ذهبت منهم لذة الدنيا كلها. ﴿**أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ**﴾: نكروا هذه التربية، رأى أنه يربي نفسه، فما عرف المربِّي، ومن لا يفكِّر بالمربِّي لا جدوى له. ﴿**أَلَا بُعْداً لِّثَمُودَ**﴾: أليس من الحق أن يصيبهم ذلك؟

69- ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبشْرَى**﴾: أرسل الله تعالى ملائكة تبشر سيدنا إبراهيم عليه السلام. ﴿**قَالُواْ سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ**﴾: وكان من أهل الكرم.

﴿**فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**﴾: سمين، دوماً طعامه حاضر، أراد تعالى أن يبيِّن شرف الأنبياء، ولكن من أين جاءهم هذا الشرف؟ من إقبالهم على الله، فمن يسلك طريق الإيمان يغدو كريماً، شريفاً، والعكس صحيح.

70- ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾: ظنَّهم معادين. ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: وهذه عادة المعادين لا يتناولون الطعام. ﴿قَالُواْ لاَ تَخَفْ﴾: نحن ملائكة لا نأكل. ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾: للبلاء.

سورة هود: [71-80]

71- ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ﴾: من بعيد. ﴿فَضَحِكَتْ﴾: لمَّا عرفت أنهم ليسوا بأعداء بل ملائكة. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾: فإن ساره تألمت من عدم مجيء ولد.

72- بشَّرها الله. ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى﴾: يا ضعفي. ﴿أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ﴾: لا طاقة لي بذلك. ﴿وَهذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: كيف يكون ذلك؟ أنا مسنَّة وزوجي مسن، وتربية الولد صعبة، فكيف ذلك؟

73- ﴿قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾: لكم.

74- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾: الخوف. ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾: ببنيه. ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: هذا أيضاً بيان لشرف الرسل. فقد أخذ يطلب دفع البلاء عنهم، وجعل يناقش الملائكة لعل القوم يتوبون. فالله تعالى يبيِّن لنا عطف الأنبياء وحنانهم، ولكن من أين جاء إبراهيم عليه السلام بهذه الصفة؟

75- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾: متأوِّه على الخلق. ﴿مُّنِيبٌ﴾: لأنه راجع إلى الله، صار بقلبه هذا الحنان والتحسر على الخلق. من رجوعه إلى الله، اشتق منه تعالى هذه الصفات. هذا حال إبراهيم عليه السلام، فبسبب إقباله على الله وصل لهذا الحال، فكم يا تُرى رأفة الله وعطفه وحنانه؟ على الإنسان أن يلتفت لله حتى يكتسب منه هذا الكمال، ولا يولي وجهه للشيطان الذي يرميه بالهلاك.

76- ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: لا جدوى ولا بدَّ لهم من الهلاك. ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: الهلاك محتم. ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: حتمي.

77- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ﴾: استاء وضاق صدره بهم. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾: ضاق صدره من مجيئهم، لأنه يعرف أن قومه أراذل. ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: لا خلاص به.

78- ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: السفالة: هذه صفتهم. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: أزوِّجكم إيَّاهن. ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾: ألا تخجلون؟ ﴿وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾: ألا يوجد فيكم رجل عاقل يستنكر هذا العمل؟

79- ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: لا نحبُّ النساء. ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: من الوساخة والسفالة.

80- ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: لأردَّكم. ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: ظَهْر أستند إليه، أو أحد أركن إليه في دفعكم.

سورة هود: [81-90]

81- ﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾: المَلك لا يُعرف وهو بصورة إنسان، سيدنا إبراهيم عليه السلام، زوجة سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط عليهما السلام لم يعرفوهم. ﴿لَنْ يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾: إليهم بالمحبة. ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾: كانت تحب قومها، كفرت بحبِّها لقومها،

مثلهم. كذلك حبّ المرء يجرُّه لحال من يحب. ﴿**إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ**﴾: ستهلك معهم، لأنها كافرة مثلهم. على الإنسان أن يعلِّق قلبه بأهل الطهارة. ﴿**إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾: جاؤوا وقت الصبح.

82- ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا**﴾: حصل لهم زلزال. ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ**﴾: من سجل عملهم، كل واحد مسجَّل عليه عمله من حسنات وسيئات. ﴿**مَّنْضُودٍ**﴾: متتالية، واحد بعد واحد.

83- ﴿**مُّسَوَّمَةً**﴾: كل واحد وبلاؤه على حسب ما يستحق، كل حجر وعليه اسم صاحبه، يصيبه على حسب حاله. ﴿**عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾: الآن. ﴿**بِبَعِيدٍ**﴾: كل واحد سينال حقَّه. زلازل هربوا منها، فإذا الحجارة ترجمهم من السماء.

84- ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾: جميع الأنبياء نادوا هذا النداء، فإن لم يفكِّر المرء ويستدل على وجود خالق عظيم، ثم ينتقل إلى معرفة المسيِّر فلا جدوى له، وهكذا فكل الرسل دعوتهم واحدة، دعوة إلى عبادة الله وحده. الإنسان مهما علا قد يخطئ، فما على المرء إلَّا أن يسير بدلالة الله. ﴿**وَلَا تَنْقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ**﴾: وهذا الآن حاصل. ﴿**إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ**﴾: الآن فتح الله تعالى عليكم الدنيا، لكن إن لم تستقيموا لا بدَّ من زوال هذه النعمة عنكم. ﴿**وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ**﴾: لا بدَّ من ساعة إذا حلَّ فيها البلاء فلا مخلص منه، تزول عندها الدنيا والآخرة عنكم. فكم من غني افتقر، قوي ذلّ، ولو أنه كان مستقيماً لما زالت النعمة عنه. فالله تعالى خلق الإنسان للإحسان، وهؤلاء كانوا ينقصون المكيال، مع أن الله تعالى خلق البشر ليعامل بعضهم بعضاً بالإحسان.

85- ﴿**وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ**﴾: لا تذم بضاعة من تشتري منه كي تأخذها بأنقص من ثمنها. اشتر بالعدل وبع بالعدل. ﴿**وَلَا تَعْثَوْاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾: لا تعملوا أعمالاً تبثُّوا فيها الفساد وتدخلوه في قلوب العباد، كي يقعوا بالشح والبخل. مدَّتك بالدنيا قليلة، لا تضيع الحياة سدى. والآن أكثر الناس واقعون بهذا الشيء، ففي ذاك الزمان نقَّصوا المكيال والميزان وهلكوا، الآن واقعون بكل ما هو محرَّم، أفليس عمل الناس الآن بمستحق البلاء؟ لا بدَّ من حدوث شيء عظيم ما رآه أحد من قبل.

86- ﴿**بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾: ما تأخذه من حلال، وما يتركه الله لكم من الربح ضمن الحق خير لكم. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ**﴾: ترون ذلك، لكن الناس الآن لا يرون شيئاً من ذلك. ﴿**وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**﴾: أنا أبلِّغكم بلاغاً فقط.

87- ﴿**قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾: طول عمرنا ونحن سائرون بهذا، والآن أنت وحدك فهمان؟ كل الناس سائرون بهذا وكانوا يعبدون الأصنام. ﴿**أَوْ أَنْ نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ**﴾: ألسنا أحراراً في أموالنا؟ تمانعنا في التصرُّف بها كما نشاء؟ ﴿**إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾: وكانوا من قبل يثنون عليه الثناء العظيم، فقالوا له: هل عقلك يدلُّك على هذا الآن؟ أهذا كلام المنطق؟

88- ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي**﴾: ألا تفكِّرون بكلامي؟ هذه الدلالة منطقية أم لا؟ ألا تجمعكم مع بعض؟ أليست بإنسانية؟ ﴿**وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً**﴾: علَّمني، فهَّمني، رزقني هذه المعرفة العالية. ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾: أنا لا أريد أن أعاكسكم، لا غاية لي من عملي إلَّا خيركم. ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**﴾: أنا عليَّ أن أرشدكم

وأدلَّكم، فلا أحد يهدي أحداً "المرشد يدلُّ والمريد يتَّبع ويفكِّر" العاقل يتبع ويسير، والجاهل يعاكس. ﴿**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾: أمري إليه راجع.

89- ﴿**وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي**﴾: لا تحرمكم المشاققة من الخير والإحسان، فلا يحرمكم من الخير مخاصمتي ومعاندتي. إن عاندتموني حُرمتم من خير الدنيا والآخرة. أنا أدعوكم لما فيه سعادتكم دنيا وآخرة. ﴿**أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ**﴾: أما سمعتم ما حلَّ بهم أنتم كذلك يصيبكم ما أصابهم. ونحن الآن لا يوجد قوم فعلوا فعلنا. ﴿**أَوْ قَوْمَ هُودٍ**﴾: أما سمعتم ما حلَّ بهم؟ وما أصابهم؟ ﴿**أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ**﴾: ماذا أصابهم؟ تعرفون ذلك، وكانت قراهم قريبة من بعضها.

90- ﴿**وَاسْتَغْفِرُواْ**﴾: الآن. ﴿**رَبَّكُمْ**﴾: فكِّر واعرف المربِّي واطلب منه الشفاء. فكِّر بأصلك من أين جئت؟ ما هذه التغذية؟ من يؤمنها؟ ﴿**ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ**﴾: من هذه السفالة، إن عرفته أنه المربِّي صاحب الإحسان ارجع إليه. ﴿**إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾: رحيم ويوادك، فإن رجعت إليه أمدَّك بالجاه والعافية، بالخير، أعطاك الخير وصرف عنك المكروه، فهذا الشقاء كله سببه أنت.

سورة هود: [91-100]

91- ﴿**قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ**﴾: أكثر كلامك لا نفهمه. نفسه شاردة، جسمه بمكان، ونفسه بمكان، فاللفظ واحد، ولكن كل إنسان يفقه على حسب حاله. ﴿**وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً**﴾: أنت رجل جاهل لا تدرك الذوق العالي. ﴿**وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ**﴾: كان له عصبية "طائفة من علية القوم"، لولا جماعتك لقتلناك، فقط من أجل أقاربك. ﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾: لم يسمعوا الآن. نفوسهم مشغولة. حجاب بينهم وبين الحق.

92- ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ**﴾: رهطي أعز من الله ودلالته العالية؟ ﴿**وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيّاً**﴾: كلام الله ترمونه وراء ظهوركم. ﴿**إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾: هل تستطيعون أن تفعلوا شيئاً؟ نفسكم بيده فَلِمَ أخاف؟ أنتم لا حول لكم ولا قوة، كل ساعة ووقت ناظر قريب.

93- ﴿**وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ**﴾: افعلوا ما تشاؤون. ﴿**إِنِّي عَامِلٌ**﴾: ما أمرني به ربي، سائر على طريقي. ﴿**سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾: لا بدَّ أن يظهر: ﴿**مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ**﴾: الكذَّاب لا بدَّ أن يظهر كذبه مهما عمل. ﴿**وَارْتَقِبُواْ**﴾: البلاء. ﴿**إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**﴾: أيضاً، مراقب ذلك.

94- ﴿**وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا**﴾: بهلاكهم. ﴿**نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا**﴾: نجَّاه، لكن ضمن رحمة، لا خوف ولا شقاء معها... ﴿**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ**﴾: بصيحة واحدة. ﴿**فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾: على ركبهم، ما وُجِدَ لهم من يدفنهم.

95- ﴿**كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا**﴾: دخل من باب، خرج من باب، كأن لم يكسبوا شيئاً من الدنيا، نعيمهم كله زال. ساعة البلاء نسوْا كل نعيم. الإنسان إذا انبسط بنهاره كل البسط، وفي المساء آلمه وجع ضرسه، فهل يذكر في المساء شيئاً من نعيم نهاره؟ فالعاقل يسعى أن يكون نعيمه دائمي. ﴿**أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾: لا تضيّع هذه الحياة سدى.

96- ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا**﴾: أرسل الله تعالى الرسل والأنبياء بالنصائح. ﴿**وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾: معجزات ظاهرة مكشوفة.

97- ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: جماعته. ﴿فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: حيث أنهم لاحقون بالدنيا لم يتبعوا الحق. ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: على حسب الظاهر لحقوا القوَّة والغنى، فلم يفكِّروا بكلام سيدنا موسى عليه السلام، ما نظروا، أعطاك الله ميزاناً لماذا لا تفكِّر؟ الطاعة لله وحده، فلم تطيع فلاناً وفلاناً؟

98- ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أمامهم. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾: فأدخلهم النار. ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾: وهو معهم.

99- ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هذِهِ لَعْنَةً﴾: بعد عن الله، البعيد عن الله عمله رديء كله. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: لا سرور لهم لبعدهم. ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾: هم رفد وهو مرفود، وهم وراءه.

100- ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ﴾: بآثارها ما تزال قائمة ظاهرة. ﴿وَحَصِيدٌ﴾: زالت عن بكرة أبيها، لم يبق لها أثر.

سورة هود: [101-110]

101- ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: حاشا لله أن يظلم أحداً، خلقك وأعطاك أهلية تامَّة. فكيف يقولون: إنه كتب أناساً للنار، وأناساً للجنَّة؟

هذا كله يكذِّبه قوله تعالى: وما ظلمناهم. ﴿وَلكِنْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾: هم أعرضوا، فضلّوا، أرسل لهم الرسل ليرشدوهم، ما قدَّر الله عليك الشقاوة، لكن قدَّر أنك إن سرت بهذا الطريق أصابك الشقاء، وإن سرت بهذا أصابك الخير، ما حتَّم عليك. ظلموا أنفسهم إذ لم يفكِّروا، كل من اجتهد ففكَّر وعقل سبق، المجتهد يرقى. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: التي كانوا يعبدونها، كانوا يدعون آلهة، فما أفادتهم عند البلاء شيئاً. كذلك كل من يطيع ما سوى الله. ﴿لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: ما استطاعوا دفع البلاء، كذلك الآن عندما يحلّ الموت بأحد لا يستطيع دفعه عنه أحد، مهما كان له جند وقوَّة. ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: خسارة وخسران.

102- ﴿وَكَذَلِكَ﴾: هذا قانون. كل من سار بهذا السير حق عليه الهلاك. فكِّر بنفسك، أعطاك الله أهليَّة تستطيع بهذا الكون الوصول للإيمان وحدك من دون أحد. ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: ضمن عدالة، لا يأخذ إلَّا الظالم. ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾: ولكن ليس ثمة من يفكِّر: يراها بعيدة.

103- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: دالَّة، ظاهرة، مكشوفة. ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾: فقط، وهو كل من فكَّر واستدل، فعرف أن هناك موتاً، وملكاً سيقبض روحه، ومن بعده عذاب أو جنة، هذا الشخص يستفيد من هذا الكلام. ففكِّر يا إنسان مهما فعلت لا بدَّ من الموت. هذه آية لمن يفكِّر ويؤمن بالآخرة، فمن لا يفكِّر بالموت لا يفقه من كلام الله شيئاً، الأماني لا تغني. ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾: من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة. ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: تنكشف حقائق الخلق، كل إنسان لابس ثوبه، كل واحد لابس عمله. هنالك الخزي والهوان فتب وصلِّ الآن، فالحسنات يذهبن السيئات فتلاف أمرك؛ لا تنقطع عن الله حتى تنزع الثوب الوسخ، وتلبس الثوب النظيف.

104- ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾: هذا اليوم. ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: كل امرئ وله عمر لا يزيد ولا ينقص، فكل إنسان له عمر عندنا، يوم ينتهي الخلق كلهم يأتي هذا اليوم.

105- ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾: يسكت الإنسان. ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: ذلك اليوم لا حريّة فيه، مالك يوم الدين. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾: ساعتها. ﴿وَسَعِيدٌ﴾: منهم هم، فشقاؤهم منهم، وسعادتهم منهم.

106- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾: زفير: الوسخ، وسخ قلبك، وسخ نفسك، عندما ترمي نفسك فيها يخرج منك، ومن شدة ألمك تشهق. فمن شدة الألم والوجع هذا الشيء الوسخ الذي كان بقلبه يخرج من قلبه فينساه. جعلت النار لتخرج له سفالته ودناءته، من ألم النار يخرج منه ما فيه من دناءة وسفالة، كما أن وجع الضرس الشديد يذهب ألم فراق الأحبَّة. ﴿وَشَهِيقٌ﴾: من ألمه عند الحرق يشهق، يرمي نفسه في النار ليخلص من آلامه النفسية، لكنه من شدة حرقها يشهق.

107- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: مع كل هذا العذاب والحرق لا يخرج، لأن هناك ألمه النفسي أعظم. ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: هذه لا تزول، ما فوقك وما تحتك لا بدَّ منه. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: لا جزافاً، ولكن كل إنسان بحسب ما هو متألم، يعطي المناسب له، وطالما أن الإنسان معرض عن الله فهو في هذا الحال على استمرار، فكلمة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: استدراك لبيان أن كل علاج على حسب حال صاحبه، لا يُعذَّب الكل بدرجة واحدة. والآن مريض النفس لا يستطيع أن يفكِّر. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: ولا يريد لعباده إلَّا الخير. وهذا العذاب خير لهم لما هم فيه، يريد تعالى الخير للإنسان، فالنار المحرقة خير للإنسان، فكم في نفس المعرض عن الله من عذاب؟

108- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: أي ليسوا جميعاً بدرجة واحدة، كل إنسان جنَّتهُ على حسب حاله. ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: لا يحب الخروج لما هو فيه من النعيم: ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ متواصل لا ينقطع. وجنة كل إنسان على حسب عمله.

109- ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾: لا يغيب عنك أن يترك هؤلاء ما هم فيه من عبادة، مهما فعلت إن لم يتركوا حبَّ الدنيا ويرجعوا لدلالتك فلا يمكن أن يهتدوا. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِّنْ قَبْلُ﴾: مهما دَلَّلْتهم إن لم يفكِّروا بالموت، ودلَّهم الموت على التربية فأوصلتهم التربية للألوهية فلا يمكن أن يؤثر شيء فيهم. ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾: إن لم يفكِّر الإنسان بالمربِّي يظل في حال السفالة، وكل ما في نفسه سنعطيه إياه. هذا لا بدَّ منه. إن أوصلتك التربية لمعرفة الألوهية عندها ترى أن الله تعالى معك دوماً، وكل حركة من حركاتك به وبعلمه. عندها تصبح صلاتك صحيحة، إذ ترى نفسك معه تعالى.

110- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: كما اختلفوا معك في الحق، حيث أنهم أشربوا في قلوبهم العجل. لو عرفوا أن هناك موتاً لما فعلوا ذلك، ولما عميت عليهم الأمور، إذ أنهم بعد سيدنا موسى عليه السلام أوَّل كلٌّ واحد منهم على حسب هواه. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ﴾: حيث أن لكل واحد يوماً. ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: لأهلكناهم، ولكن لكل امرئ منهم أجل. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: بما يسمع من تأويلات خاطئة تحصل له شكوك، والآن وبعهدك فاليهود ليسوا بمؤمنين بالتوراة، ولو آمنوا بها لتابعوك ولم يعارضوك، وكذلك الآن المؤمن لا يخالف كلام الله.

سورة هود: [111-120]

111- ﴿وَإِنَّ كلًّا﴾: كل واحد من الجماعات. ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾: هؤلاء الخلق كلهم سينالون استحقاقهم. ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: كل واحد وحقه، على حسب عمله من خير وشر. إن عملت أعمالاً حسنة طهَّرك في الدنيا.

112- ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾: بالتبليغ ضمن أمري. ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾: ليبلِّغوا مثلك. ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾: قل لهم لا تظنوا أن إسلامكم، إيمانكم، يسمح لكم بالتعدِّي. لو آذيت نملة لقُوصِصْتَ عليها، رفعتُ شأنكم،

لا تتجاوزوا الحدود، وإلَّا أصابكم ما أصاب غيركم. بغير دلالتي لا يمكن أن يهتدوا. ﴿**إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾: الخلق كلهم لهم رب محاسب.

113- ﴿**وَلَا تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ**﴾: لا تمشِ معهم توافقهم على أعمالهم، لا تمِلْ إليهم بنفسك. إن ربطت قلبك بمُنكِر صرت مثله. ﴿**فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ**﴾: يولُّونكم. ﴿**ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾: من يخلصك ساعتها منها؟ من يعلّق قلبه بمنكر بعيد يتباعد مثله. إن ظلمتم فكل واحد ينال حقَّه. ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[7].

114- ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ**﴾: الطرف الأوَّل بعد الزوال وهذه صلاة الظهر، الطرف الثاني عندما تصبح الشمس أقرب إلى الغروب منها إلى الزوال وهذه صلاة العصر. ﴿**وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ**﴾: من الغروب للشفق، والثانية: من الشفق للفجر، والثالثة: من الفجر للشروق: مغرب، عشاء، صبح. ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السيِّئَاتِ**﴾: الصلاة تجرّ لفعل المعروف، بالصلاة تكتسب الكمال، بكمالك تكثر حسناتك فتمحو السيئات. ﴿**ذَٰلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾: من عرف أن الله رحيم كريم، إلَه مسيِّر، هذه الصلاة ذكرى له، الصلاة تدخل بها على الله، فتخرج منها وقلبك فيه حنان، عطف، كرم...

115- ﴿**وَاصْبِرْ**﴾: عليهم. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾: أجرك علينا.

116- ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾: لو كان منهم: ﴿**أُولُو بَقِيَّةٍ**﴾: متمسكين لنجوا من العذاب. ﴿**يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ**﴾: لو كان جماعة يسمعون كلام أولي البقيّة لما هلكوا. ﴿**إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ**﴾: هذه الفئة القليلة نجت. لو كان فيهم كثير ممن ينهون لما أهلكناهم. ﴿**وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾: فأهلكناهم.

117- ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾: حاشا لله أن يظلم، رحيم بعباده، حرَّم تعالى الظلم على نفسه، للمحسن الخيرات، والذي لا يسير بالحق لا بدَّ له من الهلاك.

118- ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾: ولكن لا يستفيدون شيئاً إن أكرههم، لكن أعطاك الحرية لتحصل لك ثقة بعملك. لو شاء لأجبرهم على السيْر بالحق، ولكن تظل نفوسهم مختلفة، النفس لا تطهر إلَّا إذا عرفت المربِّي. ﴿**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾: في الحق ما داموا بعيدين.

119- ﴿**إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ**﴾: من سار على الطريق ممن اهتدى لا يخالف. خلقهم ليعرفوا الحق ويرحمهم. ﴿**وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾: للرحمة، ليسعدوا. ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾: ممن لم يسيروا بالحق لا بدَّ من العذاب.

120- ﴿**وَكلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾: كي تعرف أنه إن لم يفكِّر الإنسان بالربوبية فالألوهية فلا جدوى له. ﴿**وَجَاءَكَ فِي هذِهِ**﴾: السورة. ﴿**الْحَقُّ**﴾: من ربك. ﴿**وَمَوْعِظَةٌ**﴾: للخلق. ﴿**وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: المؤمن فقط يتذكر، فلن تتذكر إن لم تصل للإيمان، أعطاك الله حواساً والكون المنظَّم.

سورة هود: [121-123]

---

[7] سورة فصلت – الآية:34.

121- ﴿وَقُلْ لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ﴾: ما تشاؤون. ﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: منزلتكم. ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾: على هدي الإلٓه.

122- ﴿وَانْتَظِرُوا﴾: البلاء، إذ قالوا: متى الساعة؟ ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾: معكم، وسترون النتائج.

123- ﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾: إظهار المغيَّبات راجع إليه. ﴿فَاعْبُدْهُ﴾: أنت اسمع كلامه. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: دائماً. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: كلكم، وكافة الخلق.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يوسف: [01-10]

1- ﴿الَر﴾: ينادي الله تعالى حبيبه ﷺ، آلر: يا أحمد الخلق، يا لطيفاً، يا رحيماً بعبادي. ﴿تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ﴾: الذي انطبع في نفسك. ﴿الْمُبِينِ﴾: أي: المبيّنة أن لا إلّه إلا الله، آيات مكشوفة دالة على الله الرحيم، الحليم، الرؤوف. فعلى الإنسان أن يفكِّر بها حتى يرى أن لا إلّه إلَّا الله.

2- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآَناً عَرَبِيّاً﴾: بألفاظ وأسلوب مكشوف واسع البيان. فالله أنزل الكتاب على قلب رسوله ﷺ، بإقباله انطبع في قلبه الحق وحاز العلم بأسماء الله تعالى، فلما صار هذا الشيء بنفسه أُنزل عليه القرآن ليعرّف به الناس. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما فيه من خيرات، إن فكرت تعقل، وإن لم تفكِّر فلن تعقل. السماع لا يفيد، فعلى الإنسان أن يفكِّر بذاته، من يسمع دون أن يفكِّر لا يصل لشيء. للإنسان بداية، وإن لم يفكِّر بالبداية فلن يصل للنهاية، الأكثرية لا يسيرون بالتسلسل فلا يصلون لشيء. لكل شيء نظام ولا يصل المرء لشيء مالم يطبق نظامه، فإن سار بالأصول رأى الصلاة وما فيها من خيرات، ورأى الصوم وما فيه، والحج وما فيه. وكذلك في هذه السورة آيات عظيمة، إن فكَّرت عقلت ما فيها.

3- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: لأن الرسل معصومون، وهذه القصص تبين عصمتهم وعلو شأنهم. ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآَنَ﴾: الذي تبيّنه للناس. ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾: ما كنت تعرف شيئاً عنه في الماضي، وما كان لك علم بهذه القصة، أنزلناها عليك لتعرِّف الناس بها.

4- ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً﴾: إخوته. كان لسيدنا يعقوب عليه السلام اثنا عشر ولداً، يوسف وأخوه من أم، والآخرون من أم. ﴿وَالشَّمْسَ﴾: أبوه. ﴿وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾: طائعين، طالبين المعونة والمعرفة بواسطتي، طالبين منه أن يعرّفهم بالله. حيث أن سيدنا يعقوب عليه السلام ذو بصيرة عرف أن هذه الرؤيا حق، وفهم منها أشياء، كما عرف أن أولاده لم يصلوا للكمال بعد.

5- ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾: ذلك لأنهم لا يزالون جاهلين يدخل الشيطان عليهم. ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: أولئك الأولاد كانوا ميَّالين للإيمان، خاف عليهم أن يحسدوا أخاهم.

6- ﴿وَكَذَلِكَ﴾: وبهذه الرؤيا دلالة أن الله يجتبيك. ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: إن الله سيصطفيك، يقرِّبك إليه، وعلى حسب علمك بأسماء الله تؤوّل كلامه. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: التأويل: إبانة الحق، بيان كلام الله والمراد منه، استنتج ذلك من الرؤيا. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: بما يعلمك. ﴿وَعَلَى آَلِ يَعْقُوبَ﴾: سيرتفع شأنهم بك وبواسطتك. ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: بأهلية كل إنسان. أي أن الله يعلم من يستحق أن يعطى مثل عطاء يوسف عليه السلام. ﴿حَكِيمٌ﴾: وحكيم يضع الأمور في مواضعها، فلكلٍ حقَّه.

7- ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آَيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾: عن طريق الإيمان، إن فكَّرت في هذه القصة عرفت واستدللت على لا إلّه إلَّا الله.

قالوا للرسول: إن كانت الأمور بيد الله، فما ذنب الإنسان إذا أجرم؟ وإن كان الله قد وضع فينا الشهوات والغرائز فكيف نمتنع عن الشهوات؟

فردَّ تعالى عليهم ببيان حال سيدنا يوسف عليه السلام، وأنَّ الإقبال على الله يعصم صاحبه.

قد يردُ سؤال: لماذا شدَّد الله تعالى على سيدنا يوسف وأبيه وكلاهما نبيٌّ عالي المقام؟ السبب:

"سيدنا يوسف عالٍ" لو ظلَّ مع أبيه لما رقي، فقطْعه عن أبيه لكي يلتجئ إلى الله، "سيدنا يعقوب عالٍ" قلبه متعلق بابنه، فقطعه عنه لكي يلتجئ فيرقى، كل فعل الله خير، الحمدُ لله رب العالمين.

8- ﴿**إِذْ قَالُواْ**﴾: فيما بينهم. ﴿**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا**﴾: رأوا ميل أبيه إليه، أبونا يميل إليهما أكثر منّا؟ ﴿**وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾: كثيرون ونحن نعاونه، إن استعان بنا نحن أكثرية أعنَّاه، يوسف وأخوه اثنان. ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾: غلطان غلط ظاهر. فهو بعيد عن وجه الصواب.

الناس على ثلاث منازل: قسم في الأزل: نال شهادةً ألا وهم "الأنبياء والرسل الكرام". قسم إكمال: نقص عليه بعض الدرجات، في الدنيا يتلافى أمر نقصه. قسم رسب: إذا اجتهد في الدنيا نجح[1]

ولكل إنسان الأهليَّة التامَّة، وكل إنسان إن فكَّر نبغ، كل واحد وله طريق، ففتش عن الشيء الذي إن فكَّرت به رقيت، الإنسان مهيّأ لهذا الرقي.

9- ﴿**اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ**﴾: عرفوا أن وجهته لهم ترفعهم. وجهة المرشد لك تقرّبك إليه، قال ﷺ: **"تهادوا تحابُّوا"**[2]. فبميل أبيكم لكم وميلكم له تحصل لكم الرابطة، فالارتباط يتم من الطرفين. وكذلك الأمر مع الله، يجب أن ترى فضل الله عليك وتعلم أنه راضٍ عنك بعملك العالي تحصل لك ثقة وهو تعالى يحبك... كذلك الحال مع المرشد، لا بدَّ من رابطة بين الطرفين. ﴿**اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً**﴾: لكن من جهلهم ظنُّوا أن قتل أخيهم يخلي لهم وجه أبيهم، لا بدَّ من رضاء الله ثم رضاء المرشد، رضاء الله أولاً.

10- ﴿**قَالَ قَآئِلٌ مِنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ**﴾: إن هذا عمل عظيم الخطر، وكان هذا أحسنهم. ﴿**وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ**﴾: هذا حل أفضل. ﴿**يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ**﴾: القوافل لأخذ الماء. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾: إن كان ولا بد، قتله حرام، وهذا الشيء كله ليس من رأيي.

سورة يوسف: [11-20]

11- ﴿**قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ**﴾: لماذا لا تعطينا إياه. ﴿**وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**﴾: هذا أخونا فما خوفك عليه؟

12- ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ**﴾: يرعرع يتنشط. ﴿**وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾: فاطمئن عليه.

13- ﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُواْ بِهِ**﴾: أحب ألَّا أفارقه. هو يرى منهم عدم العطف على أخيهم، وأنهم ما زالوا جاهلين. ﴿**وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾: كي يتخلَّص منهم.

---

[1] انظر كتاب (عصمة الأنبياء)، بحث الأزل. للعلَّامة العربي الكبير محمد أمين شيخو "قدِّس سره".

[2] الجامع الصغير رقم /3373/ المجلد الثالث.

14- ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾: هذا شيء لا يكون، وأصرُّوا عليه.

15- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ﴾: قرّروا. ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ﴾: قرارة. ﴿الْجُبِّ﴾: ورموه، وهو في الجبّ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: ألقينا في نفسه. ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا﴾: كيف أوحى إليه؟ بما رأى في المنام، سيدنا يوسف عليه السلام يعرف أباه عالياً، ورأى الرؤيا وتأويل أبيه له ففهم بأمرهم هذا. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بما لكَ من مستقبل عالٍ. هنا طمأنه الله تعالى، وبيَّن له أن الفعل فعل الله.

لما صار وحده لا أخ، ولا صاحب، التجأ فارتفع، لو ظلَّ عند أبيه لما رقي، ولو كان عند سيدنا يعقوب لما التجأ سيدنا يعقوب عليه السلام ولما ارتقى ذاك الرقي. الولد النبيه يضعه أبوه في المدارس لينبغْ، لذلك وحتى يتعرَّف سيدنا يوسف على ربِّه سيتعرض لهذه السلسلة من الوقائع.

16- ﴿وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: كذباً.

17- ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: ذاتاً الكذَّاب يبرِّر عمله. ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾: وهكذا الكذاب يثبت كلامه فقد يحلف.

18- ﴿وَجَآءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾: لإيمانه بأن الله بيده كل شيء، ولا يمكن أن يموت يوسف قبل أن تتحقق الرؤيا التي رآها. فسيدنا يعقوب عليه السلام عرف من الرؤيا، وكان عارفاً بابنه فما صدَّق ذلك كله، فلا بدَّ لسيدنا يوسف عليه السلام من أن يرفع الله شأنه. ﴿فَصَبْرٌ﴾: على فراقه. ﴿جَمِيلٌ﴾: بعد هذا الصبر سيأتيه خير كثير، فهذا الشيء نتائجه خير عليَّ وعليه، هذا الصبر سيعود عليَّ بالخير. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾: أما هذا الشيء فما له أصل. هذه الآيات تدلُّ على أن الفعَّال هو الله.

19- ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: قافلة. ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾: لجلب الماء، يأتيهم به. ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾: وسيدنا يوسف تمسَّك بالدلو. ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾: جعلوه كالبضاعة، أي: ضمّوه سرّاً للبضاعة. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: كل هذا الشيء بعلم الله. فالله يريد أن يرقي سيدنا يوسف، ولا بدَّ من مدرسة يدخل فيها، وبذا صار له تدرُّج من حالٍ لحال.

20- ﴿وَشَرَوْهُ﴾: باعوه. ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: لعماهم عنه، لم يروه. ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: ذلك لعدم علمهم بمكانته لم يعرفوا قيمته، العبرة للحقيقة لا للصورة.

سورة يوسف: [21-30]

21- ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾: توسّم فيه الخير، إذ رأى النبالة في وجهه. ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾: إذ كان العزيز عقيماً. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: وضع الحنان والرأفة بقلب العزيز وزوجه عليه، وكان في قرية صار في المدن. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: بيان كلام رب العالمين في المستقبل، لكي نرقِّيه ونرفع شأنه.

فيوسف عليه السلام كان معتمداً على حب أبيه له، لمَّا وصل الجبّ انشغل فكره، العزيز أكرمه، فاطمأن اطمئناناً أمكن إقباله على الله واتجاهه إليه تعالى. فهذا الترتيب كله لرفع شأن سيدنا يوسف عليه السلام، عرَّفه الله أنه أهل لهذا السمو فأدخله المدرسة.

إذن: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: لكي يحصل له إقبال على الله فيعرف أسماء الله، ويؤوِّل كلامه على حسب عرفه العالي بالله. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾: لا مانع يحول دون إرادته، أمره يتم ولا بدَّ

أن يقع، لكن يعطي كلاً ما يناسبه، فكل شيء بيد الله، ويعطي كل إنسان حسب حاله. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: أن الفعل فعله.

22- ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ**﴾: صار له إقبال ضمن راحة، صار رجلاً. ﴿**آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً**﴾ لِمَ الصلاة "التي كان والده وإخوته يصلُّونها"؟، لِمَ الصوم؟، لِمَ مجيئك إلى الدنيا؟، لِمَ خلقك؟ كل واحدة صار يعرفها. هذا الحكم نشأ عن علمه بالله. ﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾: كذلك كل من يسلك ويصبح من المحسنين نعطيه، كل محسن من أهل الإحسان يعلِّمه الله. لو ظلَّ عند أبيه لما صار له هذا الحال، ولو ظلَّ سيدنا يعقوب عليه السلام وعنده ابنه لتعلَّق بابنه، وابنه ما زال دونه، عندها يهبط من أعلى لأدنى، فالله تعالى قطع الابن عن الأب، والأب عن الابن، كل ذلك لحكمٍ إلَهية يرقى بها الابن والأب، وصار لهما المقام الذي أُهِّلا له.

23- ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ**﴾: طلبته. كل شيء بيد الله، هو الفعَّال لكن ضمن حكمة، زوجة رئيس الوزارة، وهو في سن الرشد، وهي دعته. ﴿**وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**﴾: ادنُ مني. ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ**﴾: أنا معتز بالله "والمعتز بالله لا يدنو منه الشيطان". ﴿**إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**﴾: زوجك أحسن مقامي[3]، وأنا أقبلت على الله صار بقلبي علم، رحمة، حنان، ورأيت هذا الطريق وما فيه هذا لا يمكن. ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾: أنا لا أظلم، أكون ظلمتك، وظلمت نفسي، كذلك كل شاب معتز بربه يرى هذا العمل منحطاً.

يوسف عليه السلام شاب وجميل، وامرأة العزيز جميلة، لكنه بما أنه معتز بالله أبى.

24- ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ**﴾: دنت منه، أقبلت عليه. همَّت بأخذه. ﴿**وَهَمَّ بِهَا**﴾ بدفعها عنه. بردِّها، فلولا أن رأى شناعة العمل لما همَّ بدفعها. كيف همَّ بدفعها: ﴿**لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾: لأنه بنور الله مستنير، لولا ذلك النور والاستنارة لما هرب منها. لو لم يكن له علم بالله، إقبال على الله، مشاهدة بنور الله، لهمَّ بها دفعاً أو ضرباً، إذن التقوى تعصم، وهذا من حِكَم السورة. ﴿**كَذَلِكَ**﴾: هذا قانون، كل من سلك هذا المسلك واستنار نصرف عنه. جرى ذلك وأريناه الحقيقة لنصرف: ﴿**لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾: صار له الإقبال والكمال، فاستخلصه الله، أخذ شهادة عالية، بإيمانه وتقواه حين بلغ أشده، وآتيناه حكماً وعلماً.

25- "شهادة ثانية" فلو كان هو الذي همَّ كما همَّت فلِمَ هرب؟![4] ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ**﴾: هرب وفرَّ منها، ولحقت به. ﴿**وَقَدَّتْ**﴾: مزَّقت... ﴿**قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا**﴾: زوجها. ﴿**لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: هذه العادة من عادات النساء "المكر".

26- ﴿**قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي**﴾: وسكت ولم يحلف. ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا**﴾: وكذلك الذي هو مع الله يسخِّر الله له أناساً من أعدائه يشهدون معه. ﴿**إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾: أصدر حكماً مبنياً على دليل منطقي حق.

27- ﴿**وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾.

28- ﴿**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ**﴾: شهادة ثالثة على براءته. ﴿**قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ**﴾: أيها النساء، زوجها لامها. ﴿**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾: تدبيركن عظيم في الشر والأذى.

---

[3] هذه الشهادة الأولى ببراءته من أقوال بعض المفسرين بطلبه الفحش وحاشاه

[4] وهذه شهادة ثانية مما اتهمه به بعض الداسين من المفسرين عميان القلوب.

29- وهذه الشهادة الرابعة لأن عزيز مصر أراد أن يطفئ هذه الفضيحة. ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾: استرنا، اسكت عن هذا الأمر لا تفشه. ﴿**وَاسْتَغْفِرِي**﴾: أنتِ. ﴿**لِذَنْبِكِ**﴾: هذا ذنب كبير. ﴿**إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾: لأنها هي السبب والبادئة، هذا بيان لبراءته عليه السلام.

30- ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ**﴾: الخدم شعروا ففضحوا الأمر، نساء الوزراء لُمنها على عملها، قالوا: كيف؟ ﴿**امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً**﴾: إنه لمن الهزء أن تحب فتاها؟ ﴿**إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾: امرأة وزير تراود فتى من فتيانها؟ ما أجهلها؟ زوجة رئيس وزارة تتنازل لفتاها؟ ما أدنى عملها؟ هذا مزري بحقها.

سورة يوسف: [31-40]

31- ﴿**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ**﴾: عزمتهن. ﴿**وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً**﴾: شيء من فاكهة تُقشَّر من تفاح وغيره. ﴿**وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ**﴾: استعظموه. ﴿**وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾: وما شعرنَ. ﴿**وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً**﴾: أن يكون بشر على هذه الصورة؟ ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾: فُتنوا به.

32- ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**﴾: هنا أيضاً دليل على البراءة من الله، فهذه براءة خامسة أيضاً له، وشهادة بطهارته[5]. ﴿**وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾: لأحبسنَّه ولأذلنَّه. وعلى الرغم من وضوح براءته عليه السلام فسَّر العميان هذا بخلافه وعكسوه.

33- ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ**﴾: لولا أن رأى برهان ربه لما فضل السجن وما فيه عن طلبهنَّ للفاحشة، وبإيمانه الذي آمنه وتقواه علم أن الله هو الذي يصرف كل كيد عمن لا يريده، فهو مع العلم والمعرفة والتقوى طلب من الله أن يخلِّصه منهن. فلا يجوز للرجل مهما كان تقياً أن يختلط بالنساء أو يكلِّمهن. ﴿**أَصْبُ إِلَيْهِنَّ**﴾: يوسف عليه السلام لم يعتمد على نفسه بل استعان بالله، على الإنسان ألَّا يعتمد على نفسه. نبي ورسول لم يعتمد على نفسه، لم يقل أنا أمين من نفسي، طلب من الله أن يحفظه، فلا يجوز للإنسان أن يعتمد على نفسه ويجالس النساء.

إذن: ﴿**أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾: فيوسف عليه السلام طلب من ربه أن أبعدني عنهن. فيقتضي ألَّا يكلِّم الرجل المرأة، ومن هنا يُفهم الحجاب، وأن الرجل لا يجوز أن يرى امرأة، وأن الحجاب ضروري، فلا يجوز كشف الحجاب ولا رؤية النساء. المؤمن يتباعد، مهما علا يتورَّع. البعد عن المحارم فرض.

34- لأن يوسف طاهر يخاف ربه ويخاف المعصية: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ**﴾: ليبعده. ﴿**فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ**﴾: تدبيراتهن. ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**﴾: لقول الإنسان. ﴿**الْعَلِيمُ**﴾: بحاله. على حسب حاله يسوق له، يوسف عليه السلام طلبه صدْق، والله عليم به، لذلك سيَّره في طريق يُحفظ به.

35- ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ**﴾: ظهر لهم. ﴿**مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الْآيَاتِ**﴾: الدالَّة على براءته وطهارته. ﴿**لَيَسْجُنُنَّهُ**﴾: أن سجنه أفضل لإماتة الفتنة والفضيحة. ﴿**حَتَّى حِينٍ**﴾: ينطفئ هذا الأمر وينساه الناس، فلا يبقى هذا

---

[5] أولا تكفي هذه الشهادات الخمس لبيان عصمته عن الفحشاء ولتزهق أقوال كافة الداسين؟!

اللغط بحق زوجة العزيز، كما خاف الوزراء والوجهاء على نسائهم، فوجدوا الأحسن حبسه، ليستروا نساءهم.

36- ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾: بالسجن رأوا لطفه، دلالته، كلامه، كما شاهدوا فعله، معاملته، أخلاقه عالية، كاملة، عرفوه قريباً من الله.

37- ﴿**قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ**﴾: الطعام هنا: هو ما يظهر الله لهما من الأمر في المنام سوف يتحقق. ﴿**تُرْزَقَانِهِ**﴾: إني أستطيع أن أبين لكما كل ما يرد لكما في المنام، وكل ما يرزقكما به الله من نبأ، كل شيء سيسوقه الله لكما. ﴿**إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا**﴾: قبل وقوعه، وقبل أن يصيبكما. أي: كل ما سيأتيكما في اليقظة وصوّر لكم في الرؤيا أبيّنه لكم. تخبرونني عنه أبيّن لكما تأويله. ﴿**ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**﴾: هذا ليس من عندي، هذا تعليم ربي لي. كيف علّمه؟ لمَّا صار له إقبال على الله، فغدا يرى بنور الله. هنا كان يوسف عليه السلام بيَّن لمن معه عن الله ما يعلم ويريد أن يهديهم سواء السبيل. ثمَّ بيَّن لهما السبب. ﴿**إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾: معتمدين على علمهم وقوَّتهم، هذا الهجر جعلني أفرّق بين الحق والباطل، العزيز وجماعته وأهله هؤلاء غير مؤمنين، تركتهم ورضيت بالسجن عن هذه المعيشة رغم ما فيها من رفاهية. ﴿**وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾: ناكرين الآخرة، لا يفكِّرون بها، غير سائلين عنها، همُّهم الدنيا، الأكل والشرب، لولا أني تركتهم لما علَّمني، كذلك إن لم تترك الدنيا لا يعلمك الله، ما دمت متمسكاً بالدنيا لا تتعلم، الكحل بيد الله. إن لم تكتحل عينك فلن ترى، "الطبيب لا يكحلك إلّا إذا اتجهت نحوه وتركت الدنيا".

38- ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آَبَائِي إِبْرَاهِيمَ**﴾: ترك النمرود، وترك كل شيء لرضاء الله. ﴿**وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**﴾: كل شيء مما سوى الله نرميه، لا نعرف غير الاستسلام إلى الله. ﴿**مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ**﴾: الفعَّال هو الله. لا فعل بيد أحد سواه، ولا نسمع سوى كلامه. كل مخلوق إذا اتّبع هذا أعطاه الله، وكيف نشرك وقد رأينا الكون كله سائر به تعالى؟ عيننا فتَّحت. ﴿**ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا**﴾: استنارت قلوبنا بإقبالنا ورأينا، إذ اخترنا وأعطانا، عندما تختار يتفضل عليك. ﴿**وَعَلَى النَّاسِ**﴾: كل من طلب أعطاه هذا العطاء، هذه قاعدة عامة للناس كلهم، ليست خاصة بيعقوب ويوسف عليهما السلام. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾: خلقك للسعادة لا للشقاوة، خلق الخلق ليسعدهم.

39- ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾: القوم كانوا يعبدون آلهة عدة، إلّه الشمس، إلّه القمر... لو كانوا عدة آلهة لاختلَّ النظام، بل إلّه واحد مسيِّر الكون بنظام، أفمن يسمع كلام هذا وهذا؟ أمَّن يسمع كلام الله وحده؟ لو كان هناك أرباب لحصل اضطراب.

40- ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾: أقوال لا دليل عليها، أعظم رجل إذا احتبس بوله يصيح، ويظهر ضعفه. ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾: هو الفعَّال وحده. {**... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ...**}[6] يعطي كل إنسان ما يناسب نفسه. ﴿**أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ**﴾: أمرك ألّا تطيع دلالة أحد سواه، أما الرسول والمرشد فكلامه ضمن كلام الله، إذن لا تسمع دلالة غير دلالته، وكلُّ قول فإنما نرجع فيه لكتاب الله، غير كلام الله لا نسمع. ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾: المستقيم الذي يدين إليه الإنسان العاقل. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: إذ شغلهم عرض الدنيا الزائلة عن النظر بآيات الكون، والاستدلال للعلم بالله العظيم الباقي.

---

[6] سورة الرعد – الآية:11.

سورة يوسف: [41-50]

41- ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾: أي أنه لابد ناجٍ من السجن، وسيعمل في خدمة الملك ساقياً. ﴿وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَّأْسِهِ﴾: فأنكر هذا رؤياه وقال لم أرَ شيئاً.

ولقد أخذ يوسف عليه السلام في البيان للذي ظن أنه لا بد سيقتل لعله يتوب ويرجع، فيذهب الله عنه هذا الجزاء ويبدله بخير منه، ولكن الرجل كذَّب يوسف عليه السلام، ولم يؤمن له، فقال له يوسف عليه السلام عند ذلك: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾: لذا تحتَّم وقوع ذلك.

42- ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: تذكيراً بنفسه. اعقل وتوكل. ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: نيَّة الشيطان خبيثة، الفعَّال هو الله، وقد أعطى تعالى الشيطان نيَّته ليظهر شرف سيدنا يوسف عليه السلام. لم يكن يوسف عليه السلام قد استوى لدى دخوله السجن، لذا نسي الفتى أن يذكِّر سيده، وأثناء ذلك ازداد يوسف عليه السلام إقبالاً ورقياً، وهكذا فإن فعل الله كله خير.

سيدنا محمد ﷺ وهو في بطن أمه توفي أبوه، فولد منقطعاً منكسراً، في السادسة ماتت أمه، في الثامنة جدُّه، فكفله عمه، عمه كان فقيراً، فكان يجوع عنده، فيلتجئ إلى الله فيرقى، وعلى مدى / 15/ سنة كان يذهب للرعي في الجبال حيث الحر والبرد والعطش، وهذه هي التربية. في الخامسة والعشرين من عمره الشريف زوَّجه خديجة، ثم في الأربعين كان يذهب للغار، لما استوى أرسله رسولاً. كذلك سيدنا يوسف عليه السلام لم يكن لدى دخوله السجن قد استكمل نضوجه، لذا لا يمكن خروجه حتى يستوي، والشيطان أنسى الفتى تذكير سيِّده، ولكن عدم خروج سيدنا يوسف عليه السلام، إذ ذاك كان محض الخير، نيَّة الشيطان خبيثة لكن نتائج العمل كلها خير.

﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: قيل ثلاث سنين، قيل سبع قيل تسع. ولما نضج وأصبح أهلاً للإرشاد.

43- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾: ضعفاء. ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾: إن كنتم تستطيعون التوصل للحقيقة التي ترمز إليها الرؤيا.

44- ﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾: جمع أحلام "خربطة منامات". ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾: لا علم لنا.

45- ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: بعد أن سأل الملك أمةً من المفسرين، وبعد أن عجز هؤلاء الناس عن تأويل المنام. ﴿أَنَاْ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾: إلى يوسف في السجن.

46- ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: تأويلك الصحيح الذي عجزت عنه العلماء كافة.

47- ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً﴾: متواصلة، متتالية. ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾: لئلا يسوِّس، "ظهر من هنا أن القمح إن ظلَّ في سنبله فهو لا يسوِّس"[7]

[7] وقد قمنا بحفظ القمح في سنابله قرابة ثلاثين عاماً ولم يطرأ عليه تغيير، ولا يزال القمح لدينا حتى الآن، دلالة على مصداقية طريقة الحفظ الواردة، ومن أصدق من الله قولاً.

48- ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: لا مطر فيها. ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: من السنوات الخصبة. ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾: للبذار.

49- ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: بالأمطار الغزيرة. ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: يستنفدون كل ما عندهم، حيث لا تبقى عندهم مؤونة، إذ لا يبقون شيئاً.

50- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: ما قصتهنَّ؟ ما قضيتهنَّ؟ هل عرف الملك هذه المؤامرة؟ ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: الله عليم بها، إذن لا بدَّ أن فيها خيراً لي.

سورة يوسف: [51-60]

51- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: لماذا فعلتنّ ذلك؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾: لم يفعل هو سوءاً أبداً، هذه براءة سادسة من الله له. ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾: استبان وحق. ﴿أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: أنا مخطئة. ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾: وهو طاهر شريف. الأمر كله تربية من الله، حتى يظهر شرف سيدنا يوسف عليه السلام. فمن يردِ الإيمان بألّا إلّه إلا الله؛ يدقّق بهذه القصة. فسأله رسول المَلِك لِمَ لمْ تخرج من السجن وتذكر قصتك للملك عندما طلبك؟ فأجابه سيدنا يوسف عليه السلام: أنا لم أخرج بل طلبت سؤال النسوة:

52- ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾: الملك وعزيز مصر. ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾: للعزيز. أي: أنا ما خنت العزيز. ﴿بِالْغَيْبِ﴾: أثناء غيابه. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لو كنت خائناً لما علّمني ربي.

53- ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ ذلك قولها. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾: من أقبل على الله. أنا بذاتي لا حول لي، إن أقبل الإنسان على الله واستنار بنور الله يُعصم ويُحفظ ويشفى قلبه. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فهو تعالى شاف لما في النفوس من أمراض. بالتقوى يرى الحقائق.

54- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: بعد أن امتنع سيدنا يوسف عليه السلام عن الخروج من السجن كي يسأل الملك النسوة، بعدها استقدمه. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: رآه فهيماً، ذكياً، أهلاً. ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: رأى منطقه وكماله.

55- ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الْأَرْضِ﴾: وزير مالية. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾: عليها. ﴿عَلِيمٌ﴾: بتدبير الشؤون. من أين تعلّم علم المالية، وهذه الأصول، وصار أهلاً لأن يرأس الوزارة، ووزارة المالية؟ من البئر، لبيت العزيز، للسجن، للوزارة. {... وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ...}[8].

56- ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كل مخلوق إن فعل كما فعل يوسف عليه السلام يريه الحق ويبعد عنه السوء، يرى الضلال والسعادة. ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: رفعناه بعد ضعف، فأصبح رئيس وزارة. ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: وكذلك: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَّشَاءُ﴾: إذا صارت للإنسان أهليَّة أعطاه الله. ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: في الدنيا نرفع شأنه. "وكل من سار بطريق الحق رحمتنا نعطيه إياها، وهذا ليس خاصاً بسيدنا يوسف عليه السلام فقط، بل هو عامٌ لكل محسن".

---

[8] سورة البقرة – الآية:282.

57- ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: جعلناه رئيس وزارة ووزيراً للمالية، ولكن الآخرة أعظم له و: ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: لمن آمن بالمربي ثم بلا إلَه إلا الله، عندها تحصل له تقوى، فيرى بها الخير من الشر، كما رأى سيدنا يوسف عليه السلام بتقواه، وكما رفع الله شأنه في الدنيا، في الآخرة أعلى.

58- ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾: لأنهم رموه بالبئر، ما خطر لهم ببال أنه سينال هذا المقام العالي.

59- ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: لأعطيه حصته. ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: أعطيت كلاًّ منكم حقَّه بالتمام. ﴿وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾: أفلا ترون معاملتي، وأني أعطي الحق؟

60- ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾: لا أعطيكم شيئاً. ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: من أجله.

سورة يوسف: [61-70]

61- ﴿قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾: ما تقول.

62- ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ﴾: التي جاؤوا بها عن أخيهم. ﴿فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ﴾: أهله وأبوه. ﴿يَعْرِفُونَهَا﴾: أن المنع حقيقي. ﴿إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: بأخيهم.

63- ﴿فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: عن أخينا. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: فلا تخش عليه.

64- ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾: هذا لا يكون. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً﴾: إن شاء الله حافظه. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: لن ينسانا من فضله بل يرزقنا بدون كيل أخيكم.

65- ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ﴾: من أجل أخيهم. ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾: كلامنا حق. ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نأتيهم بميرة عن أخينا. ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: فلا يتعرقل عملنا، ويعطينا بسرعة.

66- ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إذا شيء قاهر. ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: سلَّمنا أمورنا إليه، فهو المعطي لكلٍّ حقه.

67- مع العرف والعلم، حنانه غالب عليه: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾: السبب: البعيد عن الله قرينه الشيطان، فإذا نظر إلى شخص واستحسنه وكان المنظور بعيداً عن الله أيضاً، دخل الشيطان مع نفس هذا الحاسد إلى نفس المحسود فكان سبباً في أذاه. إذن:

فالعين الحاسدة لها أصل لمن كان بعيداً عن الله، ولا أصل لها لمن كان قريباً من الله. وكما قلنا فإذا نظر شخص بآخر فاستحسن فيه شيئاً، وإذا كان الشخصان بعيدان عن الله، دخل الشيطان مع الناظر إلى نفس المنظور فآذاه، بخلاف ما لو كان لهما إقبال على الله. ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: "وكان الأب يفتخر ببنيه" لكن إن كنتم بعيدين عن الله واستحققتم استحقاقاً ما فلا أستطيع ردَّه عنكم، المقبل على الله لا يؤذيه أحد. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: يعطي كل إنسان حقه.

سيدنا يعقوب عليه السلام: مع العرف والعلم كان حنانه غالباً عليه، الحكم بيد الله، هو المسيِّر بيده كل شيء، المتوكِّل يتوكل عليه وحده.

68- ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾: دخلوا من عدة أبواب، متفرقين. ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾: الواقع لا بدَّ منه، لكن اتخاذ الأسباب والعطف، حنانه وعطفه دفعه لذلك[9] ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾: سيدنا يعقوب يعرف حنان الله وعدله وحكمته، وأنه يعطي كل ذي حق حقه. ﴿لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: أن المسألة والأمر بيد الله، وأن الواقع واقع. فبأي مدرسة علَّمه الله؟ إنه بإقباله تعلَّم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: عدله، حنانه، رحمته، وحكمته، وأن الأمر بيده تعالى، ولا يغني أحد عن أحد، وذلك لعدم اتِّباعهم المدرسة التي هو تعلَّم بها.

69- ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: من أمه وأبيه. وحين أخبره بما كانوا يعذبونه. ﴿قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: وقد كانوا يعاملونه معاملة سيئة، ويغارون منهما، وبغية أن يتقرَّبوا إلى أبيهم أحبوا أن يبعدوا أخاهم ومكروا به، مع أن القرب إنما يكون بالمسير العالي لا بهذا العمل.

70- ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾: وعاء الكيل للملك. ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾: "حقاً إنهم أبرياء من هذه السرقة، ولكن ألم يسرقوا سيدنا يوسف عليه السلام من أبيهم من قبل"؟

سورة يوسف: [71-80]

71- ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِمْ مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾؟ إقبالهم دليل براءتهم.

72- ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ﴾: كفيل بأن نعطيه حملاً.

73- ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾: جئنا لأخذ الميرة. ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾: بعمرنا، "وكانت لهم إذ ذاك شهرة بالصلاح: يعقوب وأولاده".

74- ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: بدعواكم أنكم أبرياء وظهرت السرقة عند أحدكم، فما جزاؤه؟

75- ﴿قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾: هو يجازى كما هو معروف عندكم. فرد عليهم: ﴿كَذَلِكَ﴾: هذا صحيح. ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: كذلك نفعل.

76- ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: هكذا علَّمناه هذا الترتيب. السبب في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: غصباً بل بيَّنا له هذه الحيلة. على حسب القوانين، لا يخوِّله قانون الملك ذلك، كل إنسان وحقه، ما كان يوسف عليه السلام ليأخذ شخصاً ظلماً، ولكن بهذا الترتيب استطاع أخْذَ أخيه "رحمة". ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: علَّمه الله هذا التدبير وهذه الطريقة. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءُ﴾: بالعلم. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: كلما أقبل المرء تعلَّم أكثر.

77- ﴿قَالُواْ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾: هذا ليس بأخينا، له أخ من أمه سرق قبله. كذبوا على يوسف عليه السلام. ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾: رحمة بهم. ﴿لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ

---

[9] لمناظرتهم ومتابعتهم بوجهة قلبه وأنواره النبوية، حفظاً لقلوبهم من نزغات الشياطين فلا يقعون ولا استحقاق عليهم فيغلبون، ويدوم حفظهم ما لم يرتكبوا عملاً دنيّاً. أما إن وقعوا بمعصية عندها فليس لهم من حميم ولا شفيع يدفع عنهم استحقاقهم من القصاص: حتى يتوبوا حقّاً.

مَّكَاناً﴾: بما تفترون بما لا يرضى الله وبعملكم. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: نحن لم نسرق قط، قالها بنفسه.

78- ﴿قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: الطيب يذيع صيته، وتقرُّ له الناس، كما رأوا عدله وكيْله بالحق ولطف معاملته.

79- ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَّأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾: هذا ظلم. ﴿إنا إِذاً لَّظَالِمُونَ﴾: هذا لا يكون.

80- ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً﴾: يتحدثون مع بعضهم. ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: الذي حال من قبل دون قتله. ﴿أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: حكمه أَخْيَرُ شيء، من مصيبة أو فقر، كل شيء منه تعالى خير ويُحمد عليه، لأنه أحسن دواء للنفس.

سورة يوسف: [81-90]

81- ﴿ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾: هذا ما رأيناه. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: ليس الأمر بملكنا.

82- ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: بقولنا.

83- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾: لم يصدقهم لأمريْن: كما فعلتم من قبل بيوسف، ابني لا يفعل ذلك قط. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: نتائج صبري كلها خير، علماً منه بحال يوسف وأخيه. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾: يوسف على حق، وأخوه على حق، وكذلك الثالث، إذاً لا بدَّ أن يردّهم الله تعالى. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾: أولادي أطهار، أنا طاهر، إذاً لا بدَّ أن يأتي بهم الله جميعاً، لن يضيم أولادي لأنهم طيبون.

84- ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾: حزناً على فراقه. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: خافي حزنه.

85- ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾: تمرض نفسك. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: تهلك نفسك.

86- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾: هذا الفراق، هذا الذي أحزنني. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾: أعلم مما علمني الله وبما عرفت عن الله. ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: ما أدراكم بتدبيرات الله؟ "الأمور بيده" لا يضيّع أولادي ويضيعني، هذا الشيء لا بدَّ أن تكون نتيجته خيراً.

أسباب القصة ووقوعها: رأى سيدنا يوسف رؤياه أن أباه سيكون ممن يدخل بمعيَّته على الله، لكنه لم يكن قد وصل بعد إلى تلك الدرجة، فقُطع عن أبيه لينصرف بكلِّيته إلى الله، وأُبعد عن أبيه لئلا يتعلَّق به أبوه، لأن العالي إذا تعلَّق بمن دونه توقَّف رقيُّه، فأُبعد كي ينقطع الأب عن ابنه ريثما يستوفي كماله.

87- ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُواْ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ﴾: الكافر لا يعرف رحمة الله وقدرته لذا ييأس، أما المؤمن الذي عرف العدل والرحمة يعلم أن الله لا يضيمه. ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾: الذين لا يعرفون الله... المؤمن يعرف كمال الله وقدرته.

88- ﴿**فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ**﴾**:** مع فدية عن أخينا، مزجاة عن أخينا مرَّتين. ﴿**فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾**:** الكبر مقرون بالذل.

89- ﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**﴾**:** بهم، فما كان لكم من علم بقدرهما، لا تعلمون قيمتهما؟

90- ﴿**قَالُواْ أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ**﴾**:** يتق: ينظر بنور الله، فلا يقع في معصية كما جرى لي مع امرأة العزيز. ﴿**وَيَصْبِرْ**﴾**:** الصبر عن الشهوات الدنيا، والصبر على مراد الله، ويصبر: على ما يصيبه من شدائد حتى ينجو، كل ما يأتيك خير ونتائجه ستكون خيراً. الصبر على البلاء: البئر، البيع، السجن؛ كلها إن اتَّقى الإنسان ربَّه، إن دخل بمعيَّة أهل الإيمان تحصل له رؤية فيشاهد أسماء الله، العليم، القدير، الكامل، عندها يشاهد ويعلم أن فعل الله كله خير في حقِّه.

ولد فطن شدَّد عليه أبوه، فهو يُسرُّ منه، وإن كان جاهلاً فشدَّد عليه فهو يغضب.

إذن إن حصلت على التقوى تصبر، اللجوج علامة على عدم حصول الإيمان، الإيمان مرتبط بالتقوى، العلم بلا إلّه إلَّا الله يوصل للتقوى، التقوى توصل للعرف بالمربي وبكماله فيحصل الصبر. فعلى المرء أن ينظر لنفسه عند المصائب؛ إن كانت نفسه طاهرة فهذه علامة على أن الله سينقله لحال أعلى، إن لم تكن نفسه طاهرة معناه تطهير لكي يرجع. ﴿**فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾**:** النتائج للمحسن كلها خير.

سورة يوسف: [91-100]

91- ﴿**قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا**﴾**:** رفع شأنك. ﴿**وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾**:** اعترفوا. أكبروه واعترفوا له بذنبهم.

92- ﴿**قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾**:** لا ضير عليكم سامحتكم، هذه صفة المؤمن. ﴿**يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ**﴾**:** متى تبت نلت المغفرة. ﴿**وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾**:** بنا جميعاً، فمن حنان الله وعطفه وإحسانه يغفر لك.

93- ﴿**اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً**﴾**:** كما أعماه الحزن فإن الفرح سيبصره. إذا ابيضَّت عين الإنسان من الحزن، الفرح يشفيها. ﴿**وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾**:** "آن الأوان".

94- ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**﴾**:** ذلك لشدة حبه ليوسف وحب يوسف له. هذه هي الرابطة، من حبه لابنه استنشق رائحته عن بُعد. ﴿**لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ**﴾**:** ألَّا تعرفوا الحقيقة فتكذِّبوني وتفصلوا بالأمر.

95- ﴿**قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ**﴾**:** "ما تزال بالخطأ على ما أنت عليه".

96- ﴿**فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً**﴾**:** وهذا الحزن يبيض العين؛ فالفرح يفتحها. ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾**:** أنا أعرف أنَّ ربي كله عطف وإحسان وأنتم لا تعلمون مثلي وأن الله لا يضيع مثقال ذرة، يوسف طيب طاهر، وأنا سيْري على حق، ولا بدَّ أن يجمعني الله بهم، الله كله حنان وعطف؛ فما وقع لي ولأولادي كله خير.

لولا أن سيدنا يوسف عليه السلام أُبعد عن أبيه لما ارتقى هذا الرقي، فببعده عن أبيه أقبل على الله والتجأ فارتقى. سيدنا يعقوب عليه السلام، ببعد ابنه عنه التجأ فرقي، وهكذا ففعل الله كله خير. وفي السجن التجأ فعلَّمه ربه فأضحى يعرف كل شيء، لما ارتقى الطرفان اجتمعا، جمع الله بينهما.

97- ﴿**قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**﴾**:** اعترفوا.

98- ﴿**قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي**﴾**:** إن غفر لكم يوسف وتبتم إلى الله عندها يغفر الله لكم، أي: سأطلب لكم من يوسف. حقوق الخلق، لا بدَّ من رضاهم. ﴿**سَوْفَ**﴾**:** أي: إلى أن أذهب ليوسف فأجتمع به أطلب لكم، حينما يعفو يوسف عنكم عندها نطلب لكم من الله: حق خاص، وحق عام. ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾**:** إن صدقت توبتك يا إنسان ألقى العفو في قلب غريمك.

99- ﴿**فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ**﴾**:** أنا حاكم هنا. ﴿**إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾**:** من كل ما يُنغِّص.

100- ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ**﴾**:** لمقام عالٍ. وعلى مكان معدّ لهم مرتفع احتراماً. ﴿**وَخَرُّواْ**﴾**:** جميعاً. ﴿**لَهُ سُجَّداً**﴾**:** طلبوا منه أن يدخل بهم على الله، ومن بابه دخلوا جميعاً على الله "إذ رأوه أعلى منهم إقبالاً على الله تعالى". حقاً لقد اعترفوا له بقدره وبعجزهم، ودخلوا على الله من بابه. ﴿**وَقَالَ يَا أَبَتِ هذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ**﴾**:** إذ أدخلني السجن حتى صرت كاملاً "يوسف عليه السلام من السجن تخرَّج كاملاً". ﴿**وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**﴾**:** نسبها للشيطان إذ وسوس لهم، لو كانوا قريبين إذ ذاك من الله لما وسوس لهم. ﴿**إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ**﴾**:** نوره ساري مع الخلق، يده على الخلق، مرَّرني بلطف من حال لحال. لم يرَ شدّةً وتضييقاً بل رأى معاملة الرحيم له كلها لطف. المؤمن إذا اتقى قال: الحمد لله رب العالمين راضياً بكل تصرُّفات الله به، في فقره في رضى، وفي مرضه في رضى. ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ**﴾**:** يجعل كل أمر في محله. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾**:** على حسب علمه يعطي كل امرئ حقَّه.

سورة يوسف: [101-110]

101- ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ**﴾**:** جعلتني عزيز مصر. ﴿**وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾**:** أنت المعلِّم. بإقباله على الله بتقواه علَّمه الله وهو في السجن. ﴿**فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾**:** مظهر السماوات. ﴿**أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾**:** وهكذا كلُّ من فكَّر وأقبل واستسلم صار الله وليه ودليله، فيرى بنور الله الحقائق، يرى الدنيا مدرسة فيسعى فيها. ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾**:** من تواضع لله رفعه.

102- ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ**﴾**:** يا محمد. ﴿**وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ**﴾**:** بيوسف عليه السلام. إذاً قد يحصل الإيمان بعد السماع، ويحصل بعد التفكير. {**... لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ...**}[10] إما سماع وإما عقل. {**الٓمٓ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**}[11]. إذا ما فكَّر وعقل لا يهتدي، فكر واعقل. مع كل هذا البيان الوارد في السورة:

---

[10] سورة الملك – الآية:10.

[11] سورة البقرة – الآية:1–3.

103- ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ**﴾: إن لم يفكِّروا. ﴿**وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ إن كل هذا البيان عن الله ورحمته، وأنه هو المسير للكون وبيده كل شيء، ثم لا يؤمن لك أكثر الناس. حيث أنه تعالى جعل للهداية قوانين، وقد جعل الله تعالى لكل شيء في الكون نظاماً، أما جعل للإنسان نظاماً؟ لقد جعل للإنسان ترتيباً عالياً، فكر، بصر، سمع... والكون كله منظم، أول الإنسان نطفة، فمن ربَّاه في رحم أمه؟ ثم ولدتَ، فإذا وصلت لحدٍ معين توقفت عن النماء.

إن نظر المرء وفكَّر بهذا عرف القانون، أما إن لحق الدنيا واستهواها عمي عن الحقائق. بنظرة صحيحة بنفسك تعرف أن لك مربياً، وأن يد المربي هي التي تسيِّر الكون كله، فتقول لا إلّه إلا الله حقاً، تراه محيطاً بك فتحفظ من الخروج عن الحدود، إذ تراه دوماً

معك؛ بهذا تتولد ثقة بنفسك أن الله راضٍ عنك، عندها تصلي، نفسك تحصل لها ثقة بذاتها أن الله راضٍ عنها فتدخل على الله، وتكسب الكمال منه تعالى، فتتبدل الشهوات بالعطف والحنان والإحسان لخلق الله، عندها تقدِّر رسول الله ﷺ، إن صليت بالكعبة اجتمعت به، ودخلت بمعيته على الله، فترى الرحمة والعدل والحنان واللطف الإلّهي، ويصبح لك نور من الله ترى به الحقائق. "الدنيا ودناءتها، الآخرة وعلوَّها".

على أن التفكير بالتربية لا يكون إلا إذا اجتمعت النفس مع الفكر، ويتمُّ هذا الاجتماع متى خافت النفس من الموت.

والصوم لتحصل الثقة للنفس، وفي الإحرام في الحج يتمُّ خلع الدنيا من النفس بلبس ثياب الموت، وعدم الاغتسال وقص الظفر والحلق والتباعد عن النساء... فالتضييق على النفس لتقبل على الله، عندها وفي النهاية يُقيم الحجَّة على شيطانه بعد أن فتَّح ورأى، ويرجم بالحصيات رمزاً لمعاداته الشيطان، فمن لا يفكِّر ويعقل فلن يهتدي، أنت فكِّر واعقل.

104- ﴿**وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**﴾: ألا تفكِّرون بهذا؟ ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾: هذه ذكرى، رحمة للعالمين أرسله الله، إن فكَّرت، استسلمت، صرت مسلماً.

105- ﴿**وَكَأَيِّنْ**﴾: كم وكم يسمع ولا يفكِّر؟ فكِّر حلِّل. ﴿**مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا**﴾: لا يفكرون بخلق الله. ﴿**وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾: كم من آيات يمرون عليها مروراً دون تفكير، وهذا الرجل "الذي لا يفكر" مهما أرشدته فلن يفقه شيئاً.

106- ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ**﴾: بأن الله هو المسير للكون. إن لم يفكِّروا يجعلون مع الله فعالاً آخر، كأن يقول الإنسان لولا فلان لما حصل كذا... ﴿**إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ**﴾: يجعل فاعلاً مع الله، يقول: فلان أذاني، وفلان ضرَّني، حيث أنه لم يسلك الطريق، السماع عن الأم والأب لا يكفي.

107- ﴿**أَفَأَمِنُواْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ**﴾: بلاء عام، الساعة، الموت؟ أنت هل أمنت على نفسك من الموت؟ من الذي هو آمِن لا يخشى أن تصيبه مصيبة أو يأتيه الموت؟ ﴿**أَوْ تَأْتِيَهُمُ**﴾: بآخر الزمان. ﴿**السَّاعَةُ بَغْتَةً**﴾: فجأةً. ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾: إذ تأتي بغْتة. ولكن هل أنت في أمان من الموت أن يأتيك؟

108- ﴿**قُلْ هذِهِ سَبِيلِي**﴾: ظاهرة، طريق الحق كله ضمن المنطق. ﴿**أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**﴾: أدعوكم إلى الله، فكِّروا كي تهتدوا. ﴿**عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾: بعد بيان ومنطق. هذا الكون أمامكم، فكِّر بعظمة الله، بحنانه، رحمته بالكون، كلامي ضمن المنطق. ﴿**أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾: كل من آمن معي، كل من اتبعني هذا

سيره. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: ما أعظمه. ﴿وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: بكلامه كلام أحد. لا نؤمن أن لأحد حول وقوة مع الله.

109- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم﴾: كما أوحينا إليك. ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: منهم وفيهم. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾: هؤلاء المعرضون؟ ﴿فَيَنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: ماذا حلَّ بمن سبق؟ ونتائج الذين لم يفكِّروا؟ ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: شيئاً من هذا الكون؟ وأن الفعَّال هو الله. لِمَ جئت للدنيا؟ لذائذها كلها خيال، لا راحة فيها، يضيِّق على المؤمن لئلا يتمسَّك بها، والكافر كي يرجع عن التعلُّق بها.

110- ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ﴾: كل من حَوْل الرسل من الناس ينبئ بفشلهم بمسيرة الحق. ﴿وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾: أصحابهم لم يؤمنوا حقاً، بل صدَّقوا تصديقاً. ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾: يُنجَّى بعمله. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: كل من جرم نفسه من الخير، فمن لا خير فيه لا بدَّ من هلاكه.

سورة يوسف: [111]

111- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾: الأنبياء والرسل. ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾: لمن كان له قلب، يعلمون ما بها من خير وحكمة. كل من فكَّر حتى عرف ربَّه، والشخص الذي لا قلب عنده لا يفقه شيئاً منها. ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: التوراة. ذكرت القصة في التوراة أيضاً. ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: الكتاب. ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: من لا يؤمن لا جدوى له، إن لم يؤمن فلن يفقه من هذه السورة شيئاً.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرعد: [01-10]

1- ﴿الٓمٓر﴾: {ا}: يا أحمد الخلق، {ل}: يا لطيفاً: صرت للعالمين شفيعاً، {م}: يا محموداً عند خلقي، {ر}: يا رحيماً بعبادي. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: إليك هذه الآيات التي فيها سعادة الخلق، وهي التي طبعت بنفسك. آمن واكتشفها يا إنسان تحظ بالجنات.

يقول الله سبحانه: {أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا}[1]: تلكم: هنا بمعنى هاكم خذوا. وتلك في الآية بمعنى تلقَّ وخذ هذه الآيات التي كانت كتبت في نفسك بإقبالك علينا. فيكون الخطاب إذاً لرسول الله في قوله تعالى: (الٓمَ، الٓمَر): يا أيها المخاطب بـ {الٓمَر} إليك الآيات... ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾: يشهد بما طُبعت عليه نفسك، فما طبع في نفسك صار تفصيله على لسان جبريل عليه السلام. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لأن الذي لا يفكِّر لا يهتدي، إن لم يفكِّر فلن يؤمن. أما إن فكَّرت فعقلت آمنت؛ فما لم يفكِّر الإنسان بالآيات ويتعرَّف حتى يحوز العلم واليقين فلن يؤمن، فكيف هو طريق الإيمان؟

2- فكِّر أيها الإنسان: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: فكِّر بها، ولا يكون الإيمان إلَّا بهذا الطريق. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: تجلَّى عليها فسارت. خلقها ونظَّمها ثم تجلَّى عليها، فقام كل مخلوق بوظيفته. نضج هذا الكون من إمداد الله. فأكثر الناس لا يؤمنون لأنهم لم يفكِّروا، فلم يعقلوا. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: فكِّر فيهما، كيف سخَّرهما الله لهذا الكون؟، كيف يشتغلان؟ من الممد؟ من المسيِّر؟ ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: اليوم والسنة المقبلة، مثل اليوم لهما نفس الأجل. لو كانت بنفسها لسارت بغير نظام، هذا النظام يدلُّ على مسيِّر مرتِّب. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: أمر الكون، من يدبِّره؟ ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: لكم. ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: أنه معكم دوماً، هو المحرِّك لأجهزتك، قريب منك، معك، يبيِّن لك هذا لتفكِّر.

3- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾: أعطاها الحياة. من الذي أمدَّها لك بهذه الخيرات وهيَّأها؟ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: من أجلك. ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: لو كانت بنفسها لما كان هذا التزاوج؛ فمن جعلها زوجين؟ البرودة والحرارة، الأرض والسماء، الصيف والشتاء، الليل والنهار، وجعل بينهما هذا التلاقح؟ ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: من الذي يغشي؟ هل بذاته يحصل هذا الشيء؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: إن فكَّر الإنسان استدلَّ، أمَّا إذا لحق الدنيا ولم يفكِّر فلن يستفيد شيئاً؛ إن لم تفكِّر فلن تصل لشيء.

4- ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾: تختلف تربتها رغم تجاورها. كل أرض تصلح لنوع، وكل تربة تصلح لزرع خاص. ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾: كل نوع شكل: مشمش، خوخ، عنب... ﴿وَزَرْعٌ﴾: فول، حمص، بندورة... ﴿وَنَخِيلٌ﴾: أشكال. ﴿صِنْوَانٌ﴾: متشابه، متشابهات بالشكل، كلها نبات. ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: غير متشابه. ولكن في الثمرات اختلاف كبير بالثمر والطعم. ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾: بالرغم من أنه يشرب ماءً واحداً. ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾: الماء واحد، والتراب واحد،

---

[1] سورة الأعراف، [الآية:43].

والنبات أيضاً واحد، ولكن كل واحدة ذات شكل، ولها فائدة، هل صار هذا من ذاته بذاته؟ **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:** إن لم يفكِّر فلن يعقل، وإن لم يعقل فلن يؤمن هذا الإنسان، والسماع لا ينتج عقلاً.

أمرنا رسول الله ﷺ أن نقول بسم الله عند الأكل والشرب لنفكِّر ونعقل، رتَّب لك هذا الترتيب لتستدل على أنه تعالى معك محيط بك، إن فكَّرت فعقلت آمنت. ليس هذا الكون كله للأكل والشرب، بل لتفعل المعروف وترقى عند الله.

5- وقد عجب ﷺ من إنكارهم مع ظهور هذه الحقائق، فقال له تعالى: **﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾:** من عدم إيمانهم، بعد هذه الآيات والخلق أنهم لم يؤمنوا. **﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾:** فإن قولهم أعجب: **﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**؟ هذه النقطة لو فكَّروا بها لاستدلُّوا. **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾:** كفروا لا يرون إمكان حصول ذلك، سببُ ذلك أنهم: **﴿كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾:** ما عقلوا، حيث أنهم لم يفكِّروا في التربية الإلٰهية فأنكروها، لم ينظر أحدهم في أصله، لو فكَّر لآمن، نسبوا الفعل لأنفسهم، فنكروا فضل المربي وتكلَّموا بهذا الكلام. **﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾:** الشهوات، ساقهم الشيطان للخبائث، إذ تجرُّه الشهوات للسفالة، للرذيلة. ولو فكَّروا لما استولى الشيطان عليهم، آخرته للنار. **﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾:** هم يخلدون إليها لما في نفوسهم من الألم. من دناءتهم وانحطاط خُلُقهم سيلقون بأنفسهم في النار، خلقك الله تعالى لتكون أسمى الخلق، إذا أعرضت صرت أسفل الخلق، عندها تلتهب نفسك ألماً عليك، فتلقي بنفسك في النار. فالواجب عليك أن تفكِّر الآن ليحصل لك يقين أن الله معك الآن. إذا فكَّر الإنسان وجد الدين يسراً، أمَّا إن لم يفكِّر فيستصعب الأمور. وكل من فكَّر وصل، كل من أهمل هذه الآلة كفر.

6- **﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾:** لجهلهم، لعدم إيمانهم. **﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾:** بالمصيبة. **{وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ...}**[2] يتطلَّب ما فيه شر عليه. **﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾:** طلبوا البلاء. **﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾:** ما حدث للأمم الغابرة. سمعوا بمن قبلهم ورأوا أمثلة بمن سبق، ماذا حلَّ بهم؟ **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾:** يرسل لك أنواعاً منوَّعة من الشدائد لعلَّك ترجع. **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:** يعقِّب كل عمل من أعمالك بما يناسبه حتى آخر ساعة، لا يترك واحدة ولا يتركك.

7- **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ﴾:** أليست هذه الآيات السابقة بدلائل؟ إن لم تفكِّر بها لن تعقل شيئاً ولو رأيت المعجزة. **﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾:** كل واحد وما يناسبه من طريق للهداية، فكل إنسان وله شيء مناسب للهدى. أناس بالمنطق، أناس بالمرض والشدَّة، وهلمَّ جرّاً.

8- **﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾:** من ذكر أو أنثى، شجرة، حيوان، نبتة، امرأة. الشجرة كم تعطي من ثمرات. **﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾:** يدخل فيها من ولد، الذرة لها أنبوب يدخل بها غبار الطلع. وهكذا كل رحم وما تتقبَّل من شيء. **﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾:** في النمو، كلُّ شيء له مقدار عنده. لا يزيد النماء عن حدٍّ معيَّن. **﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾:** تحمل بمقدار ما يلزم الكون، وما يلزم كل إنسان، عدد الأولاد، البنات، المقادير، الحجوم. كله عنده بمقدار، لولا ذلك لنمت البطيخة إلى حد كبير لا توقُّف له. وكل إنسان وله وقت معلوم.

---

[2] سورة الإسراء، [الآية:11].

9- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: ما في نفسك. ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: الحاضر، الظاهر. كِلا الغيب والشهادة معلومان عنده. ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾: مهما استعظمت هو أكبر وأعلى، ماله حدّ.

10- ﴿سَوَاءٌ مِّنكُمْ مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾: في الخفاء يعمل، مخبئ نفسه. ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾: كله بعلمه تعالى.

سورة الرعد: [11-20]

11- ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: تحفظه، ملائكة محيطون به، لولا ذلك لاختطفتك الشياطين. ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: يحفظون أعماله بأمر من الله: عملك كله مكتوب عليك. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: تبْ إلى الله يرفع عنك البلاء، والنعمة لا تزول عنك إلا إذا غيَّرت، إن غيَّرت تغيَّر عليك. ليس هناك كتابة أزليَّة أنك من أهل النار والشقاء، على حسب حالك يعطيك بكل لحظة، كل ساعة، كل يوم. ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾: لا يردُّه أحد، إذا استحقَّ الإنسان البلاء فلا يردُّه عنه أحد. ﴿وَمَا لَهُمْ مِن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾: يتولى شؤونهم.

12- ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾: يريك النعيم ويتفضَّل عليك. ﴿خَوْفاً﴾: لتخاف من البعد عن الله. ﴿وَطَمَعاً﴾: بالإقبال على الله، يريك الجنَّة وما فيها من نعيم وخيرات تبرق أمامك، إن خفت طمعت بالخيرات. ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾: النيَّة الثقيلة بالخيرات، تصبح نفسك مشحونة بالخيرات، إذا صار لك هذا الخوف والطمع فتفعل الخير الذي يجرُّ لك العطاء العظيم.

13- ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾: الإنذارات بالتخويف من النار، وهذا يجعلك تسبِّح ربك بما يُحمد عليه، فتسير عندها بما يحمد تعالى عليه. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: يلقون في نفسك الإلهامات، تدب الخوف في نفسك لترجع. ﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾: كل هذا يحصل لك إن صار لك خوف من ربك. ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾: البلاء، الهلاك لمن استحقَّ ذلك وأراده لنفسه. ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾: لمن يشاء الهلاك والبلاء. ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾: يقولون: إنه غير عادل وأنه غير رحيم... ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾: المحاولة لردِّك للحق.

14- ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: هو الفعَّال وحده، ولا أحد يمدُّك سواه. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾: مخلوقات مثلهم لا حول لهم ولا قوة. ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾: هل الماء يصعد بنفسه؟ لا فعل لهم. ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: تائهين. الكافر: كل من لم يعظِّم ربه، من لم يعقل لا إلَه إلَّا الله، فما عظَّم الحنان والرحمة.

15- ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾: الكافر وغير الكافر، الصغير والكبير، وكل مخلوق محتاج لله تعالى. فالكل مفتقر إليه، طالب فضله، ويحتاج لفضله. ﴿وَظِلَالُهُمْ﴾: تجلِّي الله عليهم من البداية لنهاية الحياة... ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: بالإمداد، من البداية للنهاية.

16- ﴿قُلْ مَنْ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: هل ثمة أحد يعطي القوة للشمس، للقمر؟ هل من أحد ينزل المطر؟ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾: هل من أحد غيره؟ فهو المسيِّر الذي يسيِّرك معهم، يربي ويسيِّر، يدوّر بك الأرض ويمشّيك كيفما شئت عليها، فمن لا يفكِّر لا يؤمن. ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾: كلهم محتاجون لله تعالى. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: هل هما متساويان أو هما بحال واحد؟ ألا تفكِّر؟، طوال النهار تعمل للدنيا دون حساب للآخرة؟ ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾: هل الظلمة والنور سيَّان؟ لم لا تفتح عينك؟ أفلا تستنير وترى الحق؟ ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ﴾: هل أحد خلق كخلق الله؟ هل من أحد يخلق شجرة أو بذرة تغرس

فتصبح شجرة؟ ﴿**فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ**﴾: هل يخلق أحد مهما بلغ في العلم ذبابة؟ ﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾: لا كما تحب، بل يعطيك ضمن الحكمة.

17- ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾: كله بمقدار، ولما يلزم هذه الكرة الأرضية بقدر ما يحتاج الخلق. ﴿**فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً**﴾: رغوة، كل الحياة الدنيا كرغوة صابون. أكلك، مشربك، نعيمك، دنياك. ﴿**وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ**﴾: أيضاً لها رغوة مثله. ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**﴾: هذا مثلهما. الذي همُّه الدنيا ويشتغل لها سعيه فيها زبد. ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً**﴾: وهذا حال الدنيا، في مالها وشهواتها وزخارفها. ﴿**وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**﴾: عملك العالي الذي نفعت به الخلق، هو الذي يبقى لك من الدنيا. من يشتغل للآخرة عمله باقٍ فيمكث في الأرض. ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**﴾: فكِّر بها.

18- ﴿**لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ**﴾: سمعوا كلام المربي، ففكَّروا. الكون كله ضمن قوانين وله نظام، أنت أليس لك نظام؟ لقد بيَّنه تعالى لك، الذين فكَّروا، لهم: ﴿**الْحُسْنَى**﴾: الحياة الطيِّبة دنيا وآخرة. ﴿**وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ**﴾: لم يفكِّر فلم يسر على قوانين، غداً له الشقاء. ﴿**لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْاْ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ**﴾: الذل والحقارة. ﴿**وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾: جهنم تعود عليهم بالبؤس والشقاء الأبدي. هذا كلام من خلقك وأوجد الكون.

19- ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى**﴾؟ سيْر الاثنين هل هو متماثل؟ الأول إنسان، والثاني سافل منحط، هل عمل المؤمن كعمل الجاهل؟ جعل لك تعالى كافة الترتيبات لكي تعمل المعروف، وتكون نيتك طيبة، خلقت أنت لهذا الشيء. فكِّر يا إنسان، انظر لمن حصلت له المعرفة بالله تعالى، هل معاملته كمعاملة البعيد عن الله؟ عامل هذا وهذا وانظر لنفسك هل أنت إنسان؟ ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الْأَلْبَابِ**﴾: لا القشور؛ اللب ينتفع به. لا يعرف الفضل إلا ذووه، ولا يعرف أهل الإيمان إلَّا أهل الإيمان. فمن غدا طاهر القلب إذ صار من أهل الإيمان هذا يعرف هذا الشيء. من هم أولو الألباب؟

20- ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ**﴾: في الأزل، كافة الخلق عاهدوا الله قبل مجيئهم للدنيا بأنهم إن جاؤوا للدنيا فإنهم يظلُّون مقبلين متمسِّكين. ﴿**وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ**﴾: ما جاء به الرسل، جاء للدنيا وثبت على الحق. عاهد وصدق عهده.

سورة الرعد: [21-30]

21- ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**﴾: دائماً أنفسهم مرتبطة بالله. رتَّب الله لهم قانوناً فساروا عليه، وظلَّت نفوسهم دائمة الصلة، وذلك بأن يجعل صلته برسول الله ﷺ. ﴿**وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾: دائماً يحسب حساب المربي. ﴿**وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**﴾: عرفوا عدل الله وأنه سيأتي يوم ينال فيه كل إنسان حقَّه، ويخاف أن يخجل غداً بين يدي الله، ما هو الطريق الذي سلكوه حتى وصلوا لذلك؟

22- ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُواْ**﴾: صبروا عن الدنيا وشهواتها، عن المعاصي، على الشدائد لكي يحظوا بالإقبال على الله، ﴿**ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ**﴾: طالب رضاء الله. ﴿**وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ**﴾: أولاً: صبر وترك المنكر بالكليَّة، وأقام الصلاة. وكيف أقامها؟ فعل المعروف، تصدَّق بيده، بلسانه، بماله، وبنفسه. بهذه الأعمال أقام الصلاة "هذا هو الطريق لكي تصل نفسك بما أمر الله به أن يوصل"، وعندها صلَّى وأقبل على الله، رأى حنان الله ورحمته ورأفته على جميع المخلوقات، فما من شيء إلَّا ورحمة الله حافَّة به. فهم يفعلون الخيرات لتدخل نفوسهم على الله، ومن لا شيء عنده نيَّته ترقى به. ﴿**وَأَنفَقُواْ**

مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾: بعمل المعروف يصبح وله إقبال على اللّه، عندها صار ممن: **﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾:** يعامل كل إنسان، كل مخلوق بالإحسان. يقابل السوء بالإحسان، تعامل المسيء لك بما يناسبه وعلى حسب الحكمة ممَّا فيه خيره ونفعه، هو أخوك، عليك أن تسعى في الإحسان إليه لتردَّه للحق. **﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾:** غداً: هؤلاء لهم الجنَّة، الجنَّة تتوقف على عملك. نكرِّر:

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾: فمن هم؟ **﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾:** دوماً قلبه مرتبط بالله تعالى. **﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾:** دائماً حاسب حساب المربي. **﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾:** يعرف أن الله سيعطي كلَّ امرئٍ حقَّه. **﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾:** عن الشهوات الدنيا وزخارفها، النساء، البنايات، الملاهي، حتى يحصل لهم إقبال. **﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾:** فعلوا المعروف. **﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾:** فالصلة لا تكون إلَّا بترك المنكر بالكلية والمعروف قدر المستطاع. **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾:** فما هي عقبى الدار؟ وما هو بعد هذه الحياة؟

23- **﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾:** هي جنات دائمية من جنَّة لجنَّة. **﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ﴾:** من الخير الذي قدَّموه، فيدخلون عليهم بأعمالهم التي فعلوها، فالدنيا جميلة، لكن العمر الطويل حسن إن كان معه عمل صالح.

24- **﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾:** ما أجملها؟ هؤلاء لهم الجنَّة. الجنَّة تتوقف على عملك.

25- **﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾:** ما عاهدوا الله عليه، عاهد الله ونقض. **﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾:** ما ورد عن لسان الرسل. **﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾:** محمداً وآل محمد ﷺ، ولا يعمل عملاً صالحاً يجعل له صلة يقبل بها على الله، لا بدَّ من عمل صالح. فإن لم تحصل لك بنفسك ثقة عالية بأن الله تعالى راضٍ عنك فلن تقبل عليه. **﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾:** يشوِّق الناس للفساد وللأذى، يعمل أعمالاً يشجِّع الناس على المنكر: بنايات، قصور، نساء، ملاهي... **﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾:** البعد عن الله. **﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾:** غداً. كل هذه الأعمال التي يعملونها ستكون غداً سبباً لاستيائهم وانحطاطهم، وبهذا الحال يرتمون في النار.

26- **﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾:** الرزق. طالب الدنيا يعطيه، لكن ليس له في الآخرة عطاء. لا تنغش يا مؤمن إذا رأيت شخصاً أقبلت الدنيا عليه وسيره منحرف، هذه نقمة لا نعمة، قال تعالى: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا}**[3]. **﴿وَيَقْدِرُ﴾:** لكن بمقدار ما استقر في نفسه. **﴿وَفَرِحُواْ﴾:** هؤلاء المساكين. **﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾:** مدة قليلة مؤقتة.

27- بعد كل هذا البيان: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ﴾:** فهل فكَّرت بهذه الدلالة؟ ماذا يطلب منك؟ يطلب منك أن تعيش بحياة طيبة وبسعادة، فائدة قوله ودلالته مرجوعها لكَ. ليست المسألة جزافاً. **﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾:** أعطاك الاختيار، طالب الرذيلة يُعطاها ليخلص قلبه منها، فبسبب ما في نفسه من خبث وليخرجه له. ولكن فكِّر. **﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾:** كل من رجع إلى الله أعطاه. هو الفاعل وأنت عليك الطلب، الفعَّال هو الله، يعطيك لينقِّيك ويشفيك، الضلال رحمة منه تعالى بك. إن التجأت سرْ بالحق.

---

[3] سورة طه، [الآية:124].

28- ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾: إن لم تعرف الآخرة بتفكيرك بالمربي، ولم تنظر بالكون، وكيف تحصل التربية، ولم تؤمن بلا إلَه إلَّا الله، فلن يحصل لك الإيمان الحق. ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: هذه علامة المؤمن يطمئن، يفرح؛ إذا ذُكر له الموت فرح. من أوجدك؟ من يعطيك؟ من له الحنان عليك؟ ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: أليس ذلك حقّاً؟ ألست بذكر الله تطمئن؟ أيطمئن قلبك بغيره؟ فمن لا يفكِّر لا يحصل له اطمئنان بذكر الله.

29- ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾: علامة الإيمان الصحيح العمل الصالح. ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾: حياة طيِّبة له غداً، هنيئاً لهم. أقبلت نفوسهم على الله تعالى فطابت من كل دنس، ترك المنكرات، وعمل الصالحات، فطابت نفسه. ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾: حُسنُ رجعة للحياة الآخرة، رجعة حسنة، رجعة إلى النعيم والسعادة الأبدية، دنيا وآخرة. الدنيا كلها لا تُبادل بلحظة، الموت للمؤمن رحمة ونعمة، الدنيا مدرسة: إن نلت الشهادة فتخرج من المدرسة إلى النعيم.

30- ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾: لأجل هذا، ليسعدوا ولينالوا فضلنا، كل الخلق لهذا خلقوا. إذن فالله تعالى لم يقدِّر من الأزل أن أناساً للجنة، وآخرين للنار. ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: انطبعت هذه الآيات في نفسه ﷺ بإقباله، ثم أنزلها عليه ليبلِّغها بحسب المناسب. ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ﴾: مع كل هذا الفضل وهذه العناية يُعرضون عنه تعالى، والكفر هو نكران النعم "إنكار نعم الله"، كذا من ينكر فضل الله، كل هذا وينكرون حنان الله وفضله ونعمه؟ أرسلناك لتنقذهم وترشدهم لما فيه خيرهم فيسعدون دنيا وآخرة، وهم يقابلون نعمتي بالنكران؟ ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا مسيِّر للكون سواه. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: رجعتي، أرجع إليه.

سورة الرعد: [31-40]

31- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾: لو أعطيناك معجزة فقلت للجبال فسارت. ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾: لما آمنوا. ﴿بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً﴾: إن لم يفكِّر فيعقل فما له من خواص، ولا جدوى له. هو مسيِّر العالمين جميعاً، يعطي كل إنسان على حسب ما في نفسه. كافة الأمور مرجعها على حسب ما في نفسك، تدبيرك، تفكيرك، وعملك لا ينتج شيئاً، ستسير فيما طبع في نفسك، إن طُبع بنفسك الكمال سيِّرت فيه وإليه، وإن أعرضت وطبعت الرذيلة ستسير بها مهما سمعت من بيان ومنطق، ومهما رأيت من معجزات.

إذن لا بدَّ من التفكير حتى تعرف أن سير الكون كله بيد الله، عندها تؤمن وتخشى، تقبل فينطبع الكمال في نفسك. فالمسألة بالتفكير، لا بالكلام ولا بالدلالة، لا بدَّ من أن تذعن نفسك من ذاتك وتفكِّر. ذكِّر نفسك بالموت، امش من بدايتك لنهايتك بالقبر، إن استسلَمت لك وانقادت فكِّر بالكون حتى تهتدي إلى الله. إن آمنت بلا إلَه إلَّا الله: أن يدك، عينك، أعضاءك، كلَّها به، عندها تقبل عليه فتكتسب الكمال، ويسيِّرك على حسب ما في نفسك. ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾: أما يئسوا من هذا؟ ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾: فمن يصيح ألماً من مرض في معدته، قبل كل شيء لا بدَّ من إخراج ما فيه. جاء بالناس إلى الدنيا ليسعدهم، إن لم يسيروا بالحق فما كسبوا شيئاً. لماذا أخرجنا تعالى للدنيا؟ لنعمل المعروف والإحسان، باختيارنا نطلب ويعطينا، عندها وبالآخرة نرى عملنا، فنقبل على الله؛ وبكل إقبال جنَّة وبعده جنَّة وهكذا، فجئنا لنعمل لنرقى بالنظر لوجه الله، لولا الدنيا لما كان لنا رقي.

﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾: شدائد، يرسل الله تعالى بلاءً تلو بلاءٍ، ومصيبة إثر مصيبة، لعل هذا الإنسان يرجع، فلا تكتب بنفسك الرذيلة، اكتب بنفسك الكمال ليأتيك الخير. فإذا أضحت نفس الإنسان قابلة للخير وعَمِلَ (اقترف) سيئاً، فالله تعالى يضربه ليتوب، وذلك بأن يسوق

له بلاء. إذا أردت الدنيا أوتيتها، ولا حظَّ لك في الآخرة، إن أردتهما معاً نلتهما، أما إن أردت الآخرة ولك شذوذ جاءت المصائب. ﴿**أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّنْ دَارِهِمْ**﴾: أقاربهم. ﴿**حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ**﴾: يوم الوفاة. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾: ما من أحد متروكاً.

32- ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: أعطيتهم الدنيا، وما ذاقوا من اللب شيئاً، بل أخذوا القشر. ﴿**ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾: كيف كانت نتائج عملهم؟ ماذا حلَّ بهم أخيراً؟ ألا تفكِّر بهذا الكون وتستدل؟

33- ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾: من هو؟ ﴿**وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاءَ**﴾: ممن لا شيء بيدهم. ﴿**قُلْ سَمُّوهُمْ**﴾: بيِّنوا صفتهم، عملهم، بماذا قاموا من أعمال؟ ﴿**أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ**﴾: هذه الجمادات تجعلونها وسطاء بينكم وبينه؟ جماد وتقولون: إنهم وسطاء؟ ﴿**أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ**﴾: وهم يسعون لخبثهم، وإشقائهم، يسعى في أن يستند إلى مستند ليقارف شهواته، يتبجَّح بالناس. ﴿**وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾: عن الحق. بهذا العمل لا يستطيع أن يصلِّي. ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ**﴾: من لم يصل لكلمة (لَا إِلَٰه إِلَّا اللَّه)، ولا يؤمن بها، يضل نفسه عنها. ﴿**فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾: لا يهديه أحد.

34- ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ**﴾: ببعدهم عن الله. ﴿**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**}[4] ﴿**وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ**﴾: أشدُّ. ﴿**وَمَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ**﴾: من يوقيه؟ النار بقلبه تشتعل فلا يمنعهم أحد.

35- ﴿**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾: اللذائذ التي تتطلَّبها النفس. ﴿**أُكُلُهَا دَآئِمٌ**﴾: على طول متواصل، لا شبع ولا جوع، مهما تلذَّذت تجد أكثر. ﴿**وَظِلُّهَا**﴾: عليهم، التجلِّي الإلٰهي دوماً عليك. ﴿**تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾: لأنه لا يفعل المعروف، عمله رديء كله. الإيمان يجعل الإنسان إنساناً، يعامل الخلق بالإحسان، فمن يأتي بالآخرة بعمل عالٍ يكون وجهه أبيض، هذا له الإقبال: الجنَّة.

36- ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾: ممن أقبلوا على الله، وطبع الكمال في نفوسهم من نصارى ويهود. ﴿**يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾: أصحاب الإيمان يفرحون بما أنزل، كالنجاشي وابن سلام. ﴿**وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ**﴾: تحزَّب لليهودية أو النصرانية ولم يؤمن، ينكر ما لا يوافق هوى نفسه، يقرُّ بشيء وينكر شيئاً. ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ**﴾: لا أشرك معه أحداً. ﴿**إِلَيْهِ أَدْعُو**﴾: أدعو إلى الله. ﴿**وَإِلَيْهِ مَآبِ**﴾: رجعتي إليه.

37- ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً**﴾: بيِّن، مفصَّل، منطقي، واسع البيان. قل لهم: ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾: بعد ما عرفت بأن كل إنسان ينال حقَّه، وأن الله تعالى ناظر لما طبع بنفس كل إنسان، فأصبحت تعرف الحق من الباطل. ﴿**مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**﴾: أنت تعلم هذا فكيف يمكن؟

38- ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ**﴾: الرسول بشر ليس بيده معجزة ولا فعل. ﴿**إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾: الأمر راجع لله، الله تعالى حكيم، فالمناسب يسوقه،

---

[4] سورة طه، [الآية:124].

والمعجزات من عند الله. ﴿**لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**﴾: ما كتب في نفوسهم، يعطيه اللازم، فعلى حسب الحال يتم العلاج المناسب.

39- ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾: المحو والإثبات مبني على ما في نفسك. إن كنت منحرفاً ورجعت إلى الله وتبت محا ما في نفسك من درن وطبع الحق، لكن المعوَّل على ما في نفسك. {**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**}[5]. فإن كان في نفسك خبث فلا بدَّ من إخراجه. ﴿**وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾: إن رجعت إلى الله أثبت الحق فطبعه في نفسك. هذا ولا تكون التوبة إلَّا بعد الإيمان.

40- ﴿**وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ**﴾: من البلاء. ﴿**أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾: فكل إنسان نعطيه ما يناسبه.

سورة الرعد: [41-43]

41- ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**﴾: الفصول، ومرور الدنيا واحدة بعد واحدة. تأتي المخلوقات فتأخذ نصيبها من الدنيا، ثم تتلاشى وتذهب، ولكلٍ ترابه له لا لغيره. فلو أعطى الكون وتركه لأثمرت الشجرة أول مرة ثمَّ انقطع عملها، وكذا الإنسان، لكن الشجرة تثمر ثم تعود للإعطاء والأخذ. الكون من يدبِّره؟ ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾: حكمه كامل لا يحتاج لتعقيب، تكميل (من كمال لأكمل)، لا نقص فيه. ﴿**وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾: كل واحد ينال حقَّه بالحال، لا تعتب على غيرك، اعتب على نفسك.

42- ﴿**وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: عملوا التدابير. ﴿**فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً**﴾: عملهم كله ضمن علمه وبيده. يعطي كلاًّ هواه وطلبه، التدبيرات كلها بيد الله، دبِّر ما شئت، فما بنفسك سيأتيه مناسبُه. لكن الطاهر لا تقع عليه تدبيرات سيئة إطلاقاً. ﴿**يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ**﴾: عليم بما في نفسك، حالتك ستقع عليك. ﴿**وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ**﴾: الناكرين دلالة الله. ﴿**لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾: لا بدَّ من ذلك عاجلاً أو آجلاً.

43- ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾: بعد كل هذا البيان والدلالة. ﴿**لَسْتَ مُرْسَلاً**﴾: لست أنت الرسول. ﴿**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾: هذه الدلالة على لا إله إلَّا الله، أليست كافية على أني رسوله؟ ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾: مثلي، هل ثمة أحد يفهم مثلي؟ فهمي وبياني وعلمي به ألا يدلُّ على أني رسوله؟ هذا دليل على رسالتي.

والحمد لله رب العالمين.

---

[5] سورة الرعد، [الآية:11].

تأويل سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة إبراهيم: [01-10]

1- ﴿**الَر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ**﴾: من أنت؟

ألا يجب أن يكون الخطاب بـ {**الَر**} وما بعدها موجَّهاً لشخص؟ وكلمة: {**إِلَيْكَ**} فيها كاف الخطاب لمخاطَب، على من أُنزل؟ إذن أليست {**الَر**} رموز فيها خطاب لرسول الله ﷺ؟

والآن {**الَر**}: يخاطب الله تعالى حبيبه: {**ا**}: يا أحمد الخلق، {**ل**}: يا لطيفاً، صرت للعالمين شفيعاً، حيث أنه لم يحمدني أحد مثلك. {**ر**}: يا رحيماً بعبادي.

لماذا جعله الله تعالى خليفة؟ لرحمته. فخير الخلق وأرحمهم جعله تعالى خليفة له، تماماً كما يفعل الحاكم المنصف يولّي خير الناس وصياً على الأيتام. هذا الخطاب أنزلناه إليك، أي: لرسول الله. ﴿**كِتَابٌ**﴾: طبع في نفسك. ﴿**أَنْزَلْنَاهُ**﴾: الآن. ﴿**إِلَيْكَ**﴾: لرسول الله. ﴿**لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾: فما هي هذه الظلمات والنور؟

الدنيا: لها صورة ولها حقيقة، المؤمن يرى ما فيها من خير وشر. فبنظرة لظاهر الدنيا تجدها جميلة، لكنها في حقيقتها حيَّة مخيفة، أنت جئت للدنيا لمدة مؤقتة، خلق لك الدنيا لتصبح ذا بصيرة: تفعل المعروف فيغدو لك وجه تقبل به على الله.

﴿**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**﴾: ولا تستطيع إن لم يصْدقوا. ﴿**إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾: الصراط: تفكّر بالموت لتجمع نفسك إلى فكرك، تفكّر فترى المربّي، تفكّر فتصل للمسيّر، لكلمة لا إلٰه إلَّا الله، إن آمنت به استقمت، صلَّيت، انتقش الكمال بنفسك منه، تحب أهل الكمال فتقبل معهم على الله، ترى بنوره الخير خيراً، والشر شراً.

وهكذا المؤمن إذا نظر بنور الله يرى الخير خيراً، والشر شراً.

فالإنسان يسعى كي يصبح ذا بصيرة يرى بها الحقائق، فالدنيا خطرة، وعلى الإنسان أن يجتهد كي لا يقع فيها. الدنيا: إن لحقت بها تبقى دوماً في نغص، وكذلك في الآخرة هلاك.

﴿**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**﴾: إن لم يصْدق الإنسان فلن يفكّر. متى صدقت اجتمعت نفسك وفكرك معاً، كذلك كلُّ آية في الكون إن عمَّقت فيها تصل للكل.

لا بدَّ من التفكير ومواصلة التفكير. فإن أخذت تفاحة وتتبَّعتها وفكَّرت بها توصَّلت: ﴿**إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾: إلى طريق الحضرة الإلٰهية.

جعل الله تعالى للإنسان عيناً وأذناً وملَكاً يناديه: يا عبد الله فكّر بآيات الله، بأصلك: نطفة، من أين جاءت؟

وفي سورة البقرة قال تعالى: {**الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...**}[1] كيف آمنوا؟

أصلي نطفة؛ من أين جاءت؟ من الأب، من ثمرات، من تراب، ببطن أمي، كيف تكوَّنت؟ لمَّا ولدت، كيف تتزايد نسبة الغذاء والدسم في الحليب الذي أرضعه من أمي؟ متى كبرت سأموت، ماذا وراء الموت؟ إن عرف أنه سيموت صدق. إن فكَّرت هذا التفكير اهتديت، فكّر عندها بالشمس، بالنجوم، بالغيْم، بالمطر، الأمطار كيف تتكوَّن منها الثمرات؟ عندها يؤمن بلا إلَه إلَّا الله. ولن يؤمن ما لم يفكِّر ويعقل. {**والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**}[2]. سمع من الرسول، من أهل الإرشاد وعقل فاهتدى. لذلك {**الر**}: لإيقاظ التفكير، فكِّر إلى أن تهتدي.

﴿**مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾**:** إن صرت مؤمناً، الإيمان يدعوك للعمل الصالح، يحفظك من السوء، كيفما تحوَّلت ترى الله معك. نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، والعكس صحيح.

بالمعروف: تتولد الثقة أن الله تعالى راضٍ، بالثقة الحاصلة من فعل المعروف يقبل المرء على الله تعالى، وبالصلاة الصحيحة تطهر النفس ويصبح المرء كاملاً، فيحب أهل الكمال: إن سمع {**الر**} تجتمع نفسه بالصلاة برسول الله ﷺ ويدخل معه على الله، عندها يرى أسماء الله جلَّ جلاله، فبقدر حبه يرى ويحب فيعشق حضرة الله الرحيم، ويستنير بنور الله فيرى الخير خيراً وذلك إذا صلَّيت مع رسول الله ﷺ.

2- ﴿**اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾**:** فكّر بها: ما هذا الكون؟ ما هذا النظام؟ لم خلق الدنيا كلها؟ خلقها لسعادتك، إن عرفت ربك سعدت هنا وغداً. ﴿**وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ**﴾**:** الكافر هو الذي لا يقدّر نعم الله، نكر عظمة الله فما شاهد لا إلَه إلَّا الله، إذ لم يقدّر عظمته تعالى وحنانه. ﴿**مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾**:** عندما يرى نفسه قد أضاع حياته سدى، عندها يحترق وتتقطَّع نفسه، فيتألم أشد الألم.

3- من هم الكافرون؟ ﴿**الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ**﴾**:** نظرهُ للدنيا وكل مسعاه لها... همُّه الدنيا. ﴿**وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾**:** يباعد الناس. أفلا تفكِّر بهذا المربِّي؟ نظرك دوماً لدنياك؟ ﴿**وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً**﴾**:** يريد الدنيا على كيفه وحسب هواه. ﴿**أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾**:** عن السعادة. إذا نظرت لقلبه تجده خالياً من كل سعادة: {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**}[3].

4- ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾**:** سيدنا موسى عليه السلام أرسله الله بالعصا، غلب قومه، وسيدنا عيسى عليه السلام بالطب، سيدنا محمد ﷺ بالبلاغة، كل واحد أيضاً له ملَك يناديه بلسانه: الإفرنسي بالإفرنسي و... ﴿**لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾**:** طريق الإيمان، ليظهر الحق، طريق الإيمان لا عن سماع بدون عقل، الإنسان يفكِّر، بعد التفكير يعقل. ﴿**فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ**﴾**:** كل من شاء السفالة والرذيلة وسكنت في نفسه يضلّه تعالى عن النتائج ليعطيه العلاج، يخرجها من نفسه إن كانت مملوءة خبثاً وسفالة ليسوق له من بعدُ العلاج المرّ القوي. ﴿**وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾**:** الخير لنفسه. ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾**:** يعطي كلَّ واحد بحسب حاله، كلُّ شيء ضمن الحكمة، ويعطي كل إنسان ما يناسبه: إن اخترت الخير أعطاك، وبالعكس.

---

[1] سورة البقرة – الآية:1–3.

[2] سورة البقرة – الآية:4.

[3] سورة طه – الآية:124.

5- ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا**﴾: العصا، البحر، الحجر، إحياء الميت... ﴿**أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾: فكِّروا بالمربِّي، اعرفوا من بيده الأمر. ﴿**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾: ماذا كان يعاملهم فرعون؟ كيف كانوا؟ من أنقذهم؟ من الفاعل؟ ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ**﴾: يشدِّد الله تعالى على عبده ليداويه، إذ لم يخلق الخلق إلَّا للسعادة: فهو تعالى يسوق المحن للإنسان من فقر ومرض وشدائد كي يفكِّر هذا الإنسان فيرجع للحق، ليستقيم وينال السعادة. المؤمن يشكر الله على كل حال. ﴿**لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾: هذه الآيات للمؤمن.

6- ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِّنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾: أما عرفتم هذا الشيء؟ أن كل ما يصيبك منك، من عملك. ﴿**وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ**﴾: كان عليكم. ﴿**بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ**﴾: البلاء من المربِّي لا من فرعون، حبّاً بكم، ليعودوا للحق وينقلبوا مؤمنين. لقد أرسل لكم هذا البلاء ليخرجكم من الظلمات إلى النور، حيث عندكم قابلية للشفاء، شدَّد عليكم تضييقاً عليكم، لترجعوا للحق. الأب إذا كان له ولد عاجز لا قدرة له على الاجتهاد: أعمى، مقعد، مريض لا يشدِّد عليه، لكن الصحيح الذي عنده قابلية، هذا يشدِّد عليه. ﴿**عَظِيمٌ**﴾: خيره عليكم، فيه خير لكم ليردَّكم.

7- ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ**﴾: سيدنا موسى عليه السلام قال لهم عن لسان الله تعالى، الآن يا بني إسرائيل لئن أقبلتم: ﴿**لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾: من نعمي، أرفع شأنكم. ﴿**وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾: لا أترككم.

8- ﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُواْ أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً**﴾: كلكم، إن كفرتم جميعاً بماذا تضرُّونه؟ الطاعة، الإحسان، كلها من أجلكم كي تكون وسيلة لكم ترقون بها غداً. المحسن يترقَّى، الفقير: بالإذلال تنكسر نفسه، تخضع لتذعن للحق. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾: والله تعالى غني عن العالمين، لكن رأفته، حنانه يقضي بذلك.

9- ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ**﴾: أما سمعتم ماذا حلَّ بهم؟ كم جاءت أمم وعوالم؟ ألا تفكِّر بمن سكن دارك قبلك؟ ماذا حلَّ بمن سبق؟ لقد ناداهم الله فما أفاقوا، ثم خسروا الدنيا والآخرة ﴿**جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ**﴾: بيَّنوا لهم، قالوا: لا نريد أن نسمع قولكم، أنحرم أنفسنا لذائذها؟ ﴿**وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ**﴾: من الفعَّال. ﴿**مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾: هذا شيء ظاهر أنه غير مقبول، هل نحرم أنفسنا كلّ لذة وكلّ بسط وسرور؟ أفلا تفكِّرون قليلاً: بالشمس، والقمر وفوائده، بالأمطار ونزولها، بالليل، بالنهار، الفصول، الكون وسيره، هذا النظام الكامل لنفسه أم لك؟

10- ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ**﴾: من الفعَّال؟ ﴿**فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: انظر للكون، فكِّر بهذا الكون: إن فكَّرت ورأيت أن الله معك حيثما سرت عندها لا تعبأ بقول أحد، تسير بالحق، فتعلم صدق رسول الله ﷺ. ﴿**يَدْعُوكُمْ**﴾: ما حاجة الله بك؟ ﴿**لِيَغْفِرَ لَكُمْ**﴾: هذه هي الغاية من دعوته لكم. ﴿**مِّنْ ذُنُوبِكُمْ**﴾: مما علق بها من أدران وأوساخ. ما في القلب لتشفى. إن فكَّرت بلا إلَه إلَّا الله، استقمت فصليت: شفي ما في قلبك من أدران، ولا علاج لك إلَّا الإقبال على الله، لأي شيء خلقك الله تعالى؟ ليسعدك، تعمل معروفاً فتقبل عليه تعالى، فتسعد بالإقبال على الله، والإقبال لا يكون بدون عمل، جنَّتك بإقبالك على الله. ﴿**وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسمًّى**﴾: تعيش بحياة طيبة. ﴿**قَالُواْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا**﴾: أنت واحد منَّا. والصحيح أن الرسل بشر لكن حقائقهم سامية عالية. ﴿**تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آَبَآؤُنَا**﴾: كل الناس سائرون بهذا الشيء، أنت فقط تقول هذا؟ ﴿**فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾: بمعجزة ظاهرة على صدقكم، معجزة كبيرة.

11- ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: هذا حق كما تقولون. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ﴾: لكن نحن أقبلنا على الله، أنتم افعلوا مثلنا. ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: المسألة بيده تعالى، اطلبوا منه مثلنا، نحن شئنا. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: إن كنتم مؤمنين حقاً أقبلوا عليه مثلنا يعطيكم. الأكثر قرباً من الله أكثر رؤية، أما البعيد فلا يرى، لو أقبلت واستنرت لرأيت الحرام وما فيه.

12- ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾: لماذا لا نُقبل. ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾: رأينا الحق به. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾: بأقوالكم. تكلَّموا بما شئتم. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: دائماً.

13- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ما قدَّروا الله. ﴿لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾: أنفسهم في الدنيا والآخرة، حان وقت الهلاك.

14- ﴿وَلَنُسْكِنَنَكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ﴾: سيهلكون عمَّا قريب. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾: سيرفع شأنه، هذا الذي سيرث الأرض، والآخرون لا بدَّ من هلاكهم.

15- ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ﴾: الكفار بأذى الرسل، فجاءهم البلاء. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: أصابهم البلاء.

16- ﴿مِّنْ وَرَآئِهِ﴾: هذا البلاء والهلاك. ﴿جَهَنَّمُ﴾: الذل والحقارة. ﴿وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾: تصدُّ نفسه عنه.

17- ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: شيئاً فشيئاً، مرٌّ كريه، لا يستطيع أن يعبَّ منه. ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: تكاد أعضاؤه من شدَّة ألمه تتقطَّع. ﴿وَمِنْ وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: بعد شربه لهذا الشراب تتقطع أمعاؤه، والسبب بهذا الدواء الكريه الصعب: أن الإنسان عندما يرى أنه جاء للدنيا لينال السعادة فضيَّع ما كان سيأتيه من سعادة يحترق، فيكون هذا البلاء لتسكين آلامه.

18- ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾: الذين لم يعرفوا المربِّي، فما قدَّروا الله، ما عظَّموا، لم يفكِّر بالتربية، بل حسب أنه بمهارته تأتيه الدنيا والرزق. ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: للدنيا من أبنية، متاجر. عند موته أعماله: ﴿كَرَمَادٍ﴾: صفوة. ركنَ وسعى للدنيا، وجمع ما جمع. ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾: جاءت ريح عظيمة في فلاة فتذهب بالرماد. ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: ريح شديد، كل هذا الرماد لا يبقى منه شيء. كذلك هذا، عند الموت سعيه كله يزول عنه، كله سدى. يزول عنه كل ما جمع من دنياه. ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ﴾: يزول عنه سلطانه، ماله، رتبته. ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾: عن السعادة كلها، أضاع سعادته في الدنيا والآخرة.

19- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أيها الإنسان. ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحقّ﴾: فكِّر أيها الإنسان، كل شيء في الكون وجد ويأخذ حقه، ألا تفكِّر بهذا النظام؟ أعطيتك جوهرة عظيمة، ألا تفكِّر بها؟ الكون كله جعلته ضمن نظام من أجلك، وأنت الأصل، كله من أجلك؛ أما جعلت لك نظاماً؟ هل نظامك أن تأكل وتشرب؟ لماذا جعلت لك الفكر؟ ألا تفكِّر به وتعرف مربيك؟ إذن: هلَّا رأيت أيها الإنسان أن الله خلق السماوات والأرض بنظام كامل؟ هل نظرت؟ هل فكَّرت؟ هل رأيت ما فيه من كمال؟ الكون كله كامل مرتَّب، خُلق من أجلك، وأنت: أما جعل لك نظاماً؟ ما بالك مُهان، مُحتقر، فقير؟ ما الذي جرَّ لك هذا؟ خلقتك لسعادتك، لأسعدك إن فكَّرت واهتديت لهذا النظام، عندها عاملت غيرك بالإحسان وعشت في سعادة. أين قلبك؟ لا يعي شيئاً؟ أين سمعك؟ أين بصرك؟ خلقتك لتعامل الخلق بالإحسان،

لتعود إليَّ وتنال السعادة غداً. ألا تنظر من سبق ماذا حلَّ بهم؟ صار لهم جاهٌ أعظم ممَّا لك، ومالٌ أكثر، ولكن أين هم الآن؟ **﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾:** إن فسقت وخرجت عن الحق، المدَّة في هذه الدنيا مؤقتة قليلة. ستموت. **﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:** حيث تنقلب النفس محيطة بجسدها، وتغدو السيطرة للنفس على الجسم، عكس وضعنا بالحياة الدنيا، حيث النفس بالصدر والعمل والسيطرة للجسم.

20- **﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾:** خلقك من نطفة، أيصعب هذا الخلق عليه؟

سورة إبراهيم: [21-30]

21- **﴿وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً﴾:** ماتوا، ستموت، ويجتمع الخلق وكل إنسان سينال حقَّه، وفي القيامة: **﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾:** الذين كانوا تبعاً لغيرهم. "استدِلْ بالله، لا تستدل بدلالة من دون دلالته". **﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾:** أي لرؤسائهم. **﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾؟** أنت لِمَ تجعل نفسَك تبَعاً؟ لِمَ لا تفكِّر؟ **﴿قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾:** لا مهرب لنا، لا مخلص. **﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾:** نحن الطرفين. **﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾:** عملك ستلقاه. "على الإنسان أن يفكِّر ويعقل، كلُّ كلمة ردَّها إلى الله، وارجع لكتابه تعالى".

22- **﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾:** إن سرتم بأمري: لكم السعادة دنيا وآخرة، فمن يفعل الخير ستكون له سعادة الدنيا والآخرة. **﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾:** كل ما فعلتموه ذهب مسعاكم فيه سدى، وكل من سار على دلالتي هلك، كيف لحقتم بي؟ **﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ﴾:** دعوة صغيرة لحقتم بي لخبث نفوسكم: نفسك لم يكن فيها كمال، على الله لم تقبل ولم تكسب شيئاً. ليس للشيطان قوَّة، الشيطان سائر بالظلمة لكن له شمّ، فهو يشمّ شمّاً ويدنو من مكان النجاسة، وكل من أحسَّ الخبث في نفسه لحق به، وإنما من الخبيث يدنو الشيطان. **﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾:** زيَّنت لكم الخبث. **﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي﴾:** لماذا تركت الله واتبعت هواك؟ **﴿وَلُومُواْ أَنْفُسَكُم﴾:** لو فكَّرت وعرفت ربك ما دنا منك. **﴿مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾:** ابعدوا عني. **﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾:** الشيء الذي دعوتكم إليه، أنا كنت ناكراً له من قبل، وما كان لي فعل، فاتِّباعكم لي أذاني. **﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:** ليسكِّن له ألمه، فالشيطان يتبرَّأ من الإنسان الضال غداً.

23- **﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾:** أين عملك؟ تصلِّي وتصوم، ولا تعمل عملاً صالحاً: الصلاة، الصوم، لفعل الإحسان، المؤمن الصحيح هو الذي يعمل العمل الطيّب. **﴿جَنَّاتٍ﴾:** من حال لحال أعلى، ومن جنَّة بعد جنّة لجنَّة أسمى. تتراءى له أعماله فتسرُّه، ويتقرَّب بأعماله عملاً بعد عمل، وتدور أعماله أمامه، وحيث أنَّ المرء بالدار الآخرة لا فكر له، بل له عقل فقط، لذا تتجدَّد أعماله أمامه إلى ما لا نهاية له. هذه هي السعادة، وهذا هو النعيم المقيم إلى الأبد، ولهذا أنت جئت. **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾:** خيرات من طعام وشراب "أكل وشرب"، وما تشتهيه الأنفس. **﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾:** صدقوا، فكَّروا، آمنوا، أقبلوا، عملوا، استحقوا. **﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾:** حياتهم كلها سلام. **﴿فِيهَا سَلَامٌ﴾:** أمان، بسط، سرور وهناء.

24- **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾:** ضرب الله تعالى مثلاً: دلالة حق منطقية. **﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾:** انظر الكلمة الطيبة كيف تسري من ناس لناس. **﴿كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾:** لها أصل معقول. **﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾:** كلمة عالية واستدلَّ الناس بها، يموت قائلها وتأتيه الخيرات من بعده، انظر الكلمة الطيبة كيف تسري من ناس لناس لناس، هذه الدلالة ثبتت. فالله تعالى لا يضيع مثقال ذرة، والخير الناتج عنها يعود عليه، كلما فعل شخص فعلاً طيباً عاد خيره على المتكلِّم الأول "بناء على هذه

الكلمة، جزاء الدال على الخير مثل أجر فاعله"، فكلماتك كان لها أثر طيّب في نفس غيرك، كل ذلك يعود عليك، وكلما عَمِل أحدٌ بها يعود خيرها عليك، والكل في صحيفة رسول الله ﷺ.

25- ﴿**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ**﴾: من إنسان لإنسان إلى يوم القيامة. (كمسافر له أملاك وهو في سفره يأتيه ريعها). ﴿**بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾: بنيّة عالية، النيّة قبل العمل. ﴿**وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾: إن استقاموا ففكّروا وعقلوا.

26- ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ**﴾: سافلة منحطة. ﴿**كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ**﴾: ينتج عنها السوء للغير ويسير بها، فعليه وزرها ووزر من عمل بها. ﴿**اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ**﴾: ليس لها أساس منطقي. ﴿**مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾: جذورها خبيثة مسوسة تنقلب بسرعة.

27- الكلمة الأولى: ﴿**يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾: إذا سمع المؤمن دلالة عن الله تمسَّك بها، له سعادة في الدنيا والآخرة. فالكلمة الطيبة إن سمعتها ولم تفكِّر ولم تؤمن بلا إلّه إلَّا الله لا تتمسَّك بها. ﴿**بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**﴾: بالقول الحق يتمسك به، تذكِّره فيقبل. ﴿**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾: أيضاً. ﴿**وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ**﴾: مرضى القلوب يسهل لهم شرب الدواء. (لئن كان في نفس المعرض شيء يريد أن يخرجه اللّه له، يسَّر له أموراً وجعله يتبعها، حتى يخرج ما بنفسه). الظالم لنفسه الذي لم يقبل ولم يتدبَّر يُضَل لإخراج ما في نفسه من رذيلة وخبث وانحطاط، ثم يساق له البلاء، وما يزال تصيبه الشدائد حتى اللحظة الأخيرة من حياته، كما فُعل ببني إسرائيل ليعودوا للحق. ﴿**وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ**﴾: كل امرئ وحقه.

28- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً**﴾: الذين ذكَّرهم الله تعالى: قوم نوح عليه السلام، قوم هود عليه السلام، قوم صالح عليه السلام، وقوم موسى عليه السلام، فرعون، اليهود: شتَّتهم الله في الآفاق، رفع شأنهم؛ أعزَّهم، خلَّصهم من فرعون، فبدَّلوا نعمة الله كفراً. ﴿**وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾: دار الحرمان من الخيرات، إلى الخسارة.

29- ﴿**جَهَنَّمَ**﴾: دار الذل والحقارة، هذه الدار هي التي أوصلوهم إليها. ﴿**يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ**﴾: استقروا بما يعود عليهم بالبؤس.

30- السبب: ﴿**وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً**﴾: مماثلين يسمعون كلامهم، رؤساؤهم قالوا لهم: افعلوا كذا فأطاعوهم ولم يرجعوا لدلالة الله. هذا ما فعله قومك. ﴿**لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ**﴾: عن طريق الحق. ﴿**قُلْ تَمَتَّعُواْ**﴾: الآن بهذه الدنيا. ﴿**فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**﴾: كل ذلك فعلوه للدنيا، فلينتظروا النتائج.

سورة إبراهيم: [31-40]

31- ﴿**قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾: بلا إلّه إلَّا الله. هؤلاء عباد الله حقاً، إن لم يؤمن المرء فلا جدوى له، المؤمن الصحيح: يحفظ لسانه، عينه، أذنه، يده، رجله لا تمشي إلَّا بالحق، نفسه لا تخطر بخاطر؛ مؤمن أن الله مطَّلع عليه ومعه أينما سار. ﴿**يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ**﴾: ما هو سبيل إقامتها؟ يفعلوا المعروف ويتركوا المنكر. ﴿**وَيُنفِقُواْ**﴾: بالإنفاق. هذا طريق الإقامة؛ الإنفاق من الخيرات التي تفضَّل بها الله عليهم. ﴿**مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً**﴾: هذه علامة من آمن حقاً. يعملون أعمالاً تقيم صلتهم. ﴿**مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ**﴾: لا كسب لمنازل الخير، لا عملاً طيّباً. ﴿**وَلاَ خِلاَلٌ**﴾: لا صاحب، لا أحد، كل واحد نفسي نفسي "لا مخاللة هناك" أهل النار أضداد مع بعضهم.

32- فكِّر حتى تصل للإيمان. ﴿**اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾: هل من أحد سواه يطاع؟ كل من سواه عباد مثلك، ارجع لأوامر ربك: هذا الذي يُطاع. ﴿**وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾: هل أحد غيره

يُنزل الماء؟ "على الماء المنزَّل تتوقف الحياة"، فكِّر إلى أن تعقل، كيف نزل الماء؟ وكيف ترتب؟، كيف أشرقت الشمس؟، كيف تصاعد البخار؟، الهواء كيف جمعها؟ كيف تصاعدت وكيف هطلت؟ ﴿**فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ**﴾: ألا تفكِّر بهذا؟ هل هذا يخرج جزافاً؟ من الذي خلق لك هذا؟ ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ**﴾: البحر من الذي خلقه؟ ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ**﴾: هذه المياه هل تستطيع أنت أن تخزِّنها؟ كانت فسدت، جعلها لك ضمن معايير منظَّمة خلال العام كله، ما هي مستودعاتها؟ أين هي؟ ما أعظمها؟ من بناها؟[4]

33- ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ**﴾: وراء بعضهما، بحسبان الدقائق والثواني، من الذي سخَّر لكم هذا؟ ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ**﴾: لولاه لما كان ثمر. ﴿**وَالنَّهَارَ**﴾: لولاه لما كان ثمر أيضاً، بالنهار تعمل، انظر دوران الكرة الأرضية، من الذي نظَّمها؟ أتترك طاعة الله وتلحق بمخلوق مثلك؟ ماذا فعل هذا المخلوق؟ ماذا قدَّم لك من فضل وإحسان؟

34- ﴿**وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**﴾: لا تطلب شيئاً إلَّا وتجده، إذا صدق الإنسان بطلب شيء فلا بدَّ أن يُعطاه. ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾: لا تعدُّ ولا تحصى، أعطاك ما أعطاك. ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ**﴾: ظالم لنفسه. ﴿**كَفَّارٌ**﴾: ناكر نعم الله، قلبه مليء بالخبث والرذيلة، انظروا المؤمن ما يقول:

35- ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ**﴾: انظر لحال المؤمن، إذا طلب يطلب طلباً معقولاً فيه مرضاة الله، اقتد بهذا الرجل المؤمن. ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً**﴾: مكة. ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾: كل مخلوق صنم، حيث لا فعل ولا قوة له: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾[5] إن لم يسيِّر الله تعالى الإنسان ويمدَّه فلا حول له. رأى عبادتهم هلاكاً عليهم، دعا هذا الدعاء:

36- ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي**﴾: من عمل عملي، كيف كانت بدايتي؟ بأن نظر في أصله "كل من نظر مثلي وسار على طريقي، هذا هو المسلم". أما إن صلَّى ولم يسر بالحق صلاته كلها فاسدة، على غير أساس. وهكذا رسول الله ﷺ يقول غداً: قل إن كنتم تحبون الله فاتَّبعوني. ﴿**فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾: حاله سيكون على نسق مع حالي. ﴿**وَمَنْ عَصَانِي**﴾: خالف الدلالة التي بيَّنتها له عن لسانك "يا رب". ﴿**فَإِنَّكَ غَفُورٌ**﴾: ستبعث له البلاء والشدائد حتى يعود. ﴿**رَّحِيمٌ**﴾: دنيا وآخرة لا تتركه.

37- ﴿**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**﴾: حسب أمرك: أسكنت زوجتي وابني طاعة لك "المسلم يُضحي تجاه أمر الله" كي يهتدي الناس بهم. ﴿**عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾: على الكافر، لا يستطيع كافر أن تدخل نفسه إليه، إذا صلَّيت مع الإمام في البيت فلن يدنو الشيطان منك. ﴿**رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ**﴾: لغيرهم يكونوا أئمة، أسكنتهم ليفعلوا الإحسان إلى الخلق... ليكونوا وسيلة لغيرهم. حتى هذه التضحية خدمة للخلق. ﴿**فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**﴾: ليكونوا وسيلة للعروج بنفوسهم إليك والدخول بهم عليك. سيدنا إبراهيم فعل ذلك من أجل الإحسان للخلق. ﴿**وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾: نعمتك. وكلما أقبل المخلوق أكثر فهو يشكر أكثر، يرى الفضل أكثر فيشكر. بهذه المفاداة التي قدَّموها سترفع شأنهم، فيرون فضلك فيشكرون.

38- ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ**﴾: أنت عليم بنيَّتنا، لا غاية لنا سوى رضاك. ﴿**وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ**﴾: هذا حال المؤمن "يعلم أن الله مطَّلع" عارف بذلك مقرٌّ به، وهذا هو الإيمان.

---

[4] لطفاً انظر كتاب (مصادر مياه الينابيع في العالم) للعلَّامة الكبير محمَّد أمين شيخو قدِّس سره.

[5] سورة الإخلاص – الآية:1–2.

39- ﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ**﴾: صار مرشداً دليلاً وسيطاً إلى الله. ﴿**وَإِسْحَاقَ**﴾: أنبياء. ﴿**إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾: دعوت ربي فعرف صدقي وأعطاني.

40- ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ**﴾: إماماً للناس، بلساني وحالي. ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِي**﴾: أئمة من بعدي "سيدنا محمد وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، كلهم من ذريته" ﴿**رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾: لا مجيب سواك.

سورة إبراهيم: [41-50]

41- ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**﴾: والديه أو أبويه آدم ونوحاً عليهما السلام. ﴿**وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾: هذا طلب المؤمن: الخير لكل الخلق، ليؤمنوا وتشفى قلوبهم وينالوا السعادة الدائمية.

42- ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ**﴾: أيها الظالم. ﴿**اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾: كل عمله ضمن علم الله، الله تعالى حكيم: يخرج له ما في نفسه من خبث. ﴿**إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ**﴾: يمدهم بذلك ليخرج ما في نفوسهم من شهوة خبيثة. ﴿**لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾: يبهت من هول ما سيحل به، يجمد بصره ناظراً.

43- ﴿**مُهْطِعِينَ**﴾: مذلولين. ﴿**مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ**﴾: رأسه منخفض لذلّه. ﴿**لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ**﴾: لا يتحرَّك بصره. ﴿**وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾: نفسه لا تنصرف لشيء أبداً، ليس في قلبه شيء من الدنيا لهول ما فيه. "نفسه فاضية إذ تنسى كل شيء".

44- ﴿**وَأَنذِرِ النَّاسَ**﴾: يا محمد. ﴿**يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ**﴾: ساعة الموت، ساعتها يحسّ. وكل مخلوق تنكشف له الحقائق عند خروج الروح. ﴿**فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ**﴾: ظلم نفسه، رماها في الشقاء. ﴿**رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ**﴾: ولكن لا تأخير، إذا حلَّ الأجل فلا يتأخر. ﴿**نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ**﴾: نسمع كلامهم. ﴿**أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ**﴾: عاهدتموني في الأزل على دوام الإقبال وعدم الانقطاع "أقسمتم في الأزل أن تأتوا إلى الدنيا وتستنيروا بنوري" ثم نكثتم. ﴿**مَا لَكُم**﴾: الآن. ﴿**مِّن زَوَالٍ**﴾: عن هذا الحال الذي لبسكم، عملك ملازم لك، وليس لك من زوال. كل شيء خُلق لا ينعدم.

45- ﴿**وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ**﴾: أما رأيت الذين قبلك ماذا حلَّ بهم؟ ألا تتَّعظ بهم؟ رأيت ما حلَّ بهم، أما ماتوا؟ أما خطر لفكرك أنك ستموت مثلهم؟ لِمَ لا تفكِّر؟ ﴿**وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ**﴾: أما رأيتم ما حلَّ بهم؟ أما فكَّرت أنه سيحل بك ما حلَّ بهم؟ ﴿**وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ**﴾: كتاب متمَّم كله أمثال.

46- ﴿**وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ**﴾: فمن لا يفكِّر يعارض الرسل ويبعد. مكروا: دبَّروا تدبيرات لردّ الحق. ﴿**وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ**﴾: هذه التدبيرات كلها عند الله "الله هو الفعَّال بيده كل شيء"، كلُّ فعلهم ضمن علمه. ﴿**وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**﴾: تدبيرات عظيمة كلها ستعود عليهم، الكل بيده تعالى، لا أحد يمدّ يده بسوء لأحد: إذا استحققت ساق لك من يعتدي عليك لعلَّك تتوب، والمعتدي يسوق له البلاء ليتوب.

47- ﴿**فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ**﴾: أهل الحق لا بدَّ من نصرتهم. ﴿**إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ**﴾: لا بد أن ينصر رسله. ﴿**ذُو انْتِقَامٍ**﴾: يمدُّ الإنسان ليخرج له الخبث من نفسه، مهما كان الإنسان سيئاً يعالجه ليخرج له ما في نفسه. ولا بدَّ أن يسوق لهؤلاء المنكرين شدَّة لا تبقي في نفوسهم أثراً للخبث، لكن يؤخرهم لأجل أن يظهر عملهم ثم ينصر رسله.

48- ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ**﴾**:** كل هذا سيزول من بناء، مصانع، مقاصف و. ﴿**وَالسَّمَاوَاتُ**﴾**:** أيضاً. ﴿**وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾**:** كلهم بين يديه.

49- ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ**﴾**:** الذين لم ينالوا من الله شيئاً. خُلق الإنسان صفحة بيضاء، فإن لم يقبل على الله فلن يكتسب من الكمال شيئاً فهو مجرم. ﴿**مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾**:** مقرنين مع بعضهم. في الأصفاد: كل واحد منهم عمله محيط به.

50- ﴿**سَرَابِيلُهُمْ**﴾**:** خواطر عملهم السيء تلهب بهم. ﴿**مِّنْ قَطِرَانٍ**﴾**:** نفسه ملآى بالأوساخ، ينظر إليها فيلتهب بحاله بالحزن والحسرات، ويرى أعماله المنحطة فتلتهب به نار الخجل من الذل. ﴿**وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾**:** كي ينسوا هذا الذل والصغار، ولا راحة لهم دون الحرق بالنار.

سورة إبراهيم: [51-52]

51- ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ**﴾**:** لا يكفي أن تقول: آمنت، صلّيت، بل ماذا فعلت من معروف وإحسان. ﴿**إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾**:** بمجرد نيتك تُعطى بسرعة، إذ كل نفس ولها حقّها.

52- ﴿**هذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ**﴾**:** بلّغ ذلك، للناس عامّة. ﴿**وَلِيُنْذَرُواْ بِهِ**﴾**:** إنذار بالبلاء. ﴿**وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾**:** كي يفهموا فيؤمنوا به. كل هذه السورة لتعلم أن الله هو الإلّه المسيّر الفعّال، وأن هذا الكون كله يؤول إليه. فهذا الإنذار والبيان كله لتصل لكلمة (لَا إلّه إِلَّا اللَّه)، عندها تستقيم فتتبع رسول الله ﷺ. ﴿**وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُو الْأَلْبَابِ**﴾**:** إن لم تكن نفسك صادقة طالبة حق فلن تتذكر، فمن كانت نفسه خبيثة لن يتذكر. وإن لم تصدق فلن تتذكَّر شيئاً.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجر: [01-10]

1- ﴿الٓر﴾: أي: يا أحمد الخلق، يا لطيفاً، يا رحيماً بعبادي، إذ لو لم ينل هذه الصفات لما جعله الله تعالى خليفة. ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾: الدالة على لا إلّه إلَّا الله، والتي فيها سعادة البشر بمعرفة الله والوصول إلى لا إلّه إلَّا الله. ﴿الْكِتَابِ﴾: المطبوع في نفسك. ﴿وَقُرْآنٍ﴾: بيان. ﴿مُّبِينٍ﴾: ظاهر، مكشوف.

2- ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾: عندما يرى الكفار معاملة أهل الإيمان بعضهم لبعض وحسن سيْرهم، يتمنَّون أن لو كانوا مؤمنين، لكن شهوتهم غالبة عليهم. وعند البحث والمناقشة تغلبه الحجة ويقرّ بالحق، لكن شهوته تتغلب عليه، فكل بعيد منحط يقرّ بالحق، إلا أنها الشهوات هي المسيطرة عليه.

3- ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ﴾: لأن الكافر لا يعرف غير الأكل والشرب. ﴿وَيَتَمَتَّعُواْ﴾: بلذائذ الدنيا. ﴿وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ﴾: يسيرون بالأمل، يظن أن هنالك شفاعات، ويسترسل بشهواته. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: ما تكون نتائجهم.

4- ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: الله تعالى رحيم، يطاول العبد حتى يصل لدرجة لا يمكن معها الشفاء، عندها يأخذه، وكل امرئ وحقه، وكل امرئ وعمله المسطَّر عليه، وعندما لا يبقى له طريق للشفاء، عندها يسوق له الهلاك.

5- ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: الحق أنه يطاول العبد، لكن لا يأتي الهلاك قبل يوم الإنسان، وأجله المحدَّد. ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: يطاول الله تعالى الإنسان، حتى إذا جاء أجله فلا تأخير.

6- ﴿وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾: مخفيٌّ عليك كل شيء من لذائذ الدنيا، فمع إقرارهم بالحق يجيبون بهذا، كيف لا نذهب للملاهي؟ كيف لا نتمتع بالدنيا؟

7- ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾: لِمَ لا تنزلها؟ ﴿إِنْ كُنْتَ﴾: رسولاً. ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: لتنزل الملائكة تشهد لك، وتكون لك عوناً حتى نصدقك.

8- ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالحَقِّ﴾: عندما لا يبقى لك طريق للرجعة والهدى، ساعة الهلاك ينزل الملائكة. ﴿وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنْظَرِينَ﴾: لا يُنظرون، فالهلاك حتمي ساعتها، لكن بدلاً من هذا القول فكِّر بالقرآن، انظر هل هو منطقي؟

لذلك قال تعالى:

9- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: هل تستطيعون أن تبدّلوا فيه شيئاً أو تغيّروا آيةً أو حرفاً؟

10- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾: الذين شايعوا الشيطان ممن سبقوا، والبشر الآن شيَع. إن لم نقبل على الله نبقى متفرقين، لكن كلمة الله تجمع الخلق كلهم.

سورة الحجر: [11-20]

11- ﴿**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: هذه قاعدة، لمَّا يأتي الرسول ويدلُّهم فبه يستهزئون. كل بعيد عن الله يستهزئ.

12- ﴿**كَذَلِكَ**﴾: هذا قانون. ﴿**نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**﴾: ممن لم يقبل على الله ولم يكتسب من كمال الله، يدخل الاستهزاء في قلبه فيستهزئ، فمن لا خير فيه طلبه دنيوي نعطيه الشهوات، إذ لا يداوي الله العبد إلَّا بعد عمله، يداوى بعمله لعلَّه ينتبه فيقول: لولا عملي لما جاءني هذا البلاء.

13- ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾: لا يمكن أن يؤمن بكتاب الله. إن لم تشتقّ الكمال فكيف تؤمن بالكمال؟ إذن أفلا تتجه إلى مصدر الكمال؟ الله، مما يغزوكم به من نعمه، هذا ربك فتؤمن به أنه معك، وسع الكون، فتتشرب الكمال فتؤمن بكافة رسله. ﴿**وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**﴾: إن لم يترك الإنسان المنكر، فلا يمكن أن يهتدي.

14- ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ**﴾: على الملائكة. ﴿**فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ**﴾: فرأوهم وهم صاعدون ونازلون لما رضوا ولقالوا:

15- ﴿**لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا**﴾: فمثلهم كمثل إبليس، جمعه الله بآدم عليه السلام وعاش في جنته العالية، ومع ذلك تعالى على آدم عليه السلام، فعارض ورضي بفقدان الجنة بدل التنازل عن كبره. فمهما رأى الإنسان، إن لم يكن هو بذاته طالباً للحق، فسينكث ويعود للمعارضة. ﴿**بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ**﴾: ظنوا ذلك سحراً. إذن: الإيمان أصل، من دونه لن تصدق بطريق الكمال، كيف الإيمان؟ انظر في السماء.

16- ﴿**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً**﴾: هذه فكِّر بها كي تصل للحق، لا تتطلَّب المعجزات والملائكة. هذا طريق الإيمان. ﴿**وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾: الزينة لكي تراها وتستدل بها، فإن لم تفكِّر وتسر بهذا الطريق فلن تؤمن بلا إلَه إلَّا الله.

17- ﴿**وحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ**﴾: حيث لا مطمح للنفس بالشهوات فيها، فالشهوات المنحطة أرضية، فإن خاف المرء من معقِّبات الموت، ونظر في السماء مفكِّراً، لأوصلته للإيمان بالله تعالى.

18- ﴿**إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ**﴾: يذهب ليسترق السمع فيلحق الشهاب بالشيطان ويحرقه، وهذا الشهاب كثيراً ما يُرى.

19- ﴿**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا**﴾: لك، هذه فكِّر بها. ﴿**وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ**﴾: فكِّر بهذه الخيرات، فكل ثمرة ولها وزن معيَّن. لو لم يكن هناك يد مدبِّرة مقدِّرة لما وقفت التفاحة عند حدٍّ معين بل لاستمرت تنمو، وكذا سائر الأثمار، فلو تُركت مهما تُركت فإنها لا تكبر أكثر من حدِّها. فكل ما في الكون بنظام وترتيبات. كل الكون وله نظام وأنت أليس لك نظام؟

أنت أيضاً لك قانون ونظام بيَّنه لك. طلب منك أن تفكِّر وتعقل كي تؤمن بلا إلَه إلَّا الله. إن لم تفكِّر فكيف تستدل؟ إن سمعت أباك وأمك يقولان لا إلَه إلَّا الله وأنت لم تفكِّر فكيف تصل للإيمان؟ الناس كلهم سواء، كل إنسان له فكر، الذي يستعمله يصل للإيمان. لا فرق بين إنسان وإنسان، لكن الذي يفكِّر يتوصَّل.

20- ﴿**وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**﴾: النعم العالية، الغنم، البقر، المعز، تأكل من لحمها، لبنها، سمنها. ﴿**وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ**﴾: هل أنت ترزقها وتؤمِّن طعامها؟ هل أنت تخرج هذه الأشياء؟ من يطعم هذه الحيوانات حتى تحصل منها على هذه المواد؟

سورة الحجر: [21-30]

21- ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾: كله عند الله تعالى. ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: كل شيء منظَّم بمقادير، وكل إنسان وله استحقاق ورزق ينزله له. كل إنسان له حق في الكون ورزق. وننزل هذا الشيء بقدر معلوم.

22- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾: تلقح السحب ببعضها. ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾: هل تخزنه أنت؟ لو نزل المطر شتاءً فمهما كانت له خزانات ماذا تعمل صيفاً؟ هل فكَّرت بالينابيع؟ ومقادير مياهها التي تمر طوال العام؟ ألا تفكِّر بمستودعاته؟ من الذي رتَّبها، أين وضعت، ألا تنضب؟ فكِّر بهذا لتصل للإيمان لا أن تتطلب نزول الملائكة.

23- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾: فكِّر بهذا. ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾: كنت طفلاً، نطفة، من سوَّاك؟ من هو الذي يميتك؟ وستترك كل ما جمعت وتفارقه. مهما عشت، لا بدَّ لك من يوم تموت فيه وتفارق ما جمعت، ويموت الناس كلهم.

24- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: معلوم عند الله يوم مجيئك وذهابك. عددنا، عمرنا، نوعنا "نساءً أو رجالاً" كله معلوم عنده تعالى.

25- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾: كافة الخلق لهم يوم فيه يحشرون. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: دنيا وآخرة، يعطي كل امرئ ما يناسبه. "كل واحد على حسب عمله واجتهاده وسعيه" تناسبه الجنة ونعيمها، أو النار وحريقها.

26- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: الإنسان من تراب، فيه حمو عظيم إلى أن أصبح رتَّاناً ليس فيه مكروب، خلقك من طين، كان أبوك آدم عليه السلام طيناً ثم تجلَّى تعالى عليه حتى صار صلصالاً نقياً طاهراً.

27- ﴿وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾: من لهب النار طاهراً. أيضاً خلقه من شيء طاهر، ولم يخلقه نجساً، لكنه هو نجَّس نفسه، لهب النار طاهر، وهذا هو الذي جعل إبليس يظن نفسه خيراً من سيدنا آدم عليه السلام، خلقه الله تعالى طاهراً نظيفاً، فاستكبر عن السجود لسيدنا آدم عليه السلام.

وعليه العُجْب: أساس بُعد إبليس، كل مخلوق إذا أُعجب بنفسه هوى. القوي هو الله، اعتز به. المال: ما نتيجته؟ الجاه: ما نتيجته؟ كان ﷺ يقول: **"... واجعلني في عيني صغيراً، وفي أعين الناس كبيراً"** [1]. تواضع لله يرفع شأنك، إن تكبَّرت بعدت، أبلس عليك الأمر.

28- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿28﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: سويته: أي بلغ سن الرشد، خليفة راشد؛ "جامع للكمال الصوري والمعنوي".

29- ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾: اخضعوا له، ادخلوا عليَّ من بابه، وحيث أنهم أهل معرفة سجدوا.

30- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾: بلا استثناء إطلاقاً.

---

[1] الجامع الصغير /1479/

سورة الحجر: [31-40]

31- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: بعدم إقباله على الله، بسبب كبره لم يشاهد علم الله، حنان الله ورحمته لذا. ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: مع الملائكة الكرام.

32- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: ما جرى لك؟

33- ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾: أنا أصلي طاهر، ذاك أنت طَهَّرتَه، أصلي أنا أطهر.

34- ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: من هذه المرتبة العالية، لو دخلت من باب آدم لصارت لك رفعة، دنيا وآخرة، كان لك مجال لأن تكون من السعداء، فضيعت على نفسك. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: سعادتك من هذا الباب، وأنت خرجت منه، فلا سعادة لك.

35- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾: البعد. ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: إلى أجلك عند الموت، يتوقف الاختيار.

36- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: حيث أنه ظلَّ أعمى، فقد ظن أن الله رفع بني آدم وكرَّمهم عليه.

37- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾: المؤخَّرين.

38- ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: الذي عينته لك إلى يومك وأجلك.

39- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾: هذا اعتقاد أهل الضلال، ينسب أحدهم الإغواء إلى الله. الظلم ينسبه لله. كذلك الناس اليوم يقولون: الله كتب علينا الزنا أو الكفر وما إلى ذلك، وهذا كلام الشيطان، فهم ينسبون ذلك لله لأنهم لم يؤمنوا، إذ ينسبون الإغواء لله، فلم ينسب أحدهم ذلك لنفسه، إذ لم يفكِّر بالكون فلم يستدل. ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: فنسب لنفسه الفعل، الضال نظره بالله نظرة سوء، ويظن أن له فعلاً. ما خلق تعالى الإنسان للفساد، بل للسعادة، لكن إذا مُلئت نفسك بالخبث أخرجه لك. **"أنا عند ظنِّ عبدي بي، فلْيَظُنَّ بي ما شاء"**[2]، الرحمة الإلَهية لا تقتضي أن يخلق مخلوقاً ويحكم عليه بالنار، بل خلقه للسعادة.

40- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾: عرف أن الرسل نالوا الشهادة من الأزل، فعرف أنه لا سبيل له عليهم.

سورة الحجر: [41-50]

41- ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾: كل من يَسِرْ بأوامري، يفكِّر ويستدل، لا سلطان لك عليه. وهذا طريق كل من سلكه بعُدَ عنه الشيطان، عندما تغفل عن الله، عندها يدنو الشيطان منك.

42- ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: كل من يغوي في الدنيا بأن يلتفت إليها عن رضائي، هذا قارنه. وهكذا، فالخلق سواء عند الله، فمن يستفد من هذه الجوهرة

---

[2] الجامع الصغير /6049/

الثمينة ألا وهي الفكر يسْمُ ويعْلُ. وما جرَّ إبليس لما جرَّه إليه إلَّا عدم تفكيره، من أراد الوصول للإيمان عليه بالتفكير.

43- ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾: الذين سلكوا مسالك إبليس الآتية:

44- ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ**﴾: كل جماعة وما يلزمهم، أبواب المفاسد سبع: المال من حرام، كذا الأكل، النساء، السلطان، الخمر، الميسر، الولد: بالتعلق به رغم شذوذه. ﴿**لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**﴾: المستشفى الآن شُعب، شعبة الأذنية، العينية، القلبية... كذلك السجن: سيلول أول، ثاني، ثالث...

45- ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾: كل من فكَّر وصلَّى، صار من أهل الكمال، فرافقهم ودخل معهم على الله، فحاز من الله نوراً شاهد به. هذا غداً في جنات وعيون، متنقلاً من حالٍ لحال أعلى، ومن جنة لجنة أسمى، كراكب قطار يتنقَّل من منظر لمشهد بلا انقطاع.

46- ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ**﴾: لا خوف عليكم ولا تحزنون.

47- ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ**﴾: كل امرئ على حسب إقباله يرى، وكلٌّ وله حاله المناسب "وقد استوفى كماله" فلا تحاسد. ﴿**إِخْوَاناً**﴾: مسرورين كلهم. ﴿**عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾: بخلاف أهل النار، أولئك جميعاً ضد بعضهم بعضاً.

48- ﴿**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾: إلى ما لا نهاية.

49- يخاطب الله تعالى المصطفى ﷺ بقوله الكريم: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾: أي أن كل فعله الذي يعامل به عباده للمغفرة، ولكن كيف تكون المغفرة؟، بيَّنها تعالى بقوله:

50- ﴿**وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**﴾: كيف ذلك؟

يرسل الله تعالى لهذا الإنسان بلاءً قوياً شديداً ليخلِّصه مما في نفسه، وليرجع إلى الحق. أُرسِلُ له عذاباً قوياً شديداً ليرجع للحق، أنا خلقته لأسعده، فإذا شذُّوا أُرسل لهم الفقر، الشدائد، الأمراض، ليعودوا إلى الحق، (أعذبه العذاب الأليم لأُشفي نفسه وأرحمها).

فالله تعالى لا يعذِّب الإنسان كندٍّ لندّ، لكن يعذِّبه رحمة به وعطفاً عليه. الله تعالى كبير، كل ما في الكون لو تركه تعالى لحظة لانعدم، الله تعالى قوي عظيم، لكن يعامل الخلق بما يعاملهم به رحمة بهم، فكل ما يصيبك سببه أنت، حبّاً بك يرسل لك ما يرسله، فإذا أصابك شيء عليك أن تتلقّاه بالقبول، وأن ترجع إلى الله.

سورة الحجر: [51-60]

51 - أرهم كيف تكون المغفرة والعذاب الأليم: ﴿**وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ**﴾.

52- ﴿**إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ**﴾: اضطربنا، ما عرفتكم.

53- ﴿**قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**﴾: بالله تعالى. مؤمن بلا إلَه إلَّا الله، له علم بربه أنه رحيم، كريم، سيعلم أسماء الله الحسنى كلها: الرحيم، الرؤوف، الكريم... ورسول الله أُنزل هذا القرآن عليه عندما صار له علم بأسماء الله الحسنى.

54- ﴿**قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**﴾: فبأيِّ طريق يأتيني الولد؟ فَهِم الملائكة منه بخلاف مراده.

55- ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾: ظنّوه مستبعداً قولهم، قالوا لا تقنط، بهذا أمرنا الله. فردَّ عليهم:

56- ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾: أنا غير قانط، لكنني أسأل عن الكيفية.

57- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: فقط جئتم لهذه البشرى، أم لكم مهمة ثانية؟ إلى أين؟

58- ﴿قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: ما أقبلوا على الله، ما فيهم خير أبداً. من لا يُقبل على الله لا يظهر منه خير، ولا يكتسب شيئاً من الكمال، فكل ما يظهر من الكافر من الخيْر فهو كذَّاب، لأن غايته شيطانية، ليس فيه خير قط.

59- فذكر لهم عن لوط وأنه مؤمن قالوا: ﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: كانوا بالحق سائرين، أقبلوا على الله، اشتقوا الكمال منه.

60- ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾: كانت مغبرة النفس، حيث كان لها محبة لقومها، فجاءها البلاء بمقدار ما تستحق. ﴿قَدَّرْنَا﴾: على حسب حالهم نزل عليهم البلاء: فمن حُبِّها لهم وتعلُّقها بهم اغبرَّت واتَّسخت نفسها، فصارت رائحتها القلبية من رائحتهم، وهي بحسب حبها لهم وتعلقها أتى عليها البلاء، الإنسان الصحيح المؤمن لا يعلِّق قلبه إلَّا بأهل الحق، ولا يعلِّق قلبه بالكفرة. "المؤمن يحبُّ لله ويبغض لله" فأحبب أهل الكمال.

سورة الحجر: [61-70]

61- ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾: الملائكة، لم يعرفهم.

62- ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: حيث إنه لم يَر بهذا الشكل والهيئة واللطف والمنطق الطيِّب، روائحهم القلبية كالمسك، قومه بحال منحط وخم.

63- ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: ما كانوا عارفين أين هم سائرون. ما هم عارفين نتائج أعمالهم، إذ لا يرون ما وراءها. الأعمى يأكل الأوخام ولا يعرف، وهؤلاء يعملون الأعمال المنحطة، ولا يدرون ما وراءها. ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يمرون مروراً ولا يعرفون أين هم ماشون، ولا نتائجهم يدركون، الله تعالى قال لك: "أقبل عليَّ يا عبدي وانظر نتائج المعاصي".

64- ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: لا بدَّ من هلاكهم. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: بهلاكهم.

65- ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾: سِرْ وراءهم، سيِّرهم أمامك. ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: بنفسه. ولا يلتفت منكم أحد بقلبه إليهم خوفاً من أن يهلك معهم، كما ستهلك زوجتك. فلا يلتفت أحد منكم بحبهم، وميل النفس إليهم. فعلى الإنسان أن يعلِّق قلبه بأهل الكمال. ﴿وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: الإنسان إذا عرف الله حقّاً ترك كل شيء، فما من أحد ولا شيء أحقَّ منه تعالى ولا أرأف عليك.

66- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾: فهَّمناه أنه سوف لا يبقى لهم أثر في الصباح.

67- ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: من دناءتهم لما رأوهم حسبوهم شبَّاناً.

68- ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ﴾: ألا تخجلون من ذلك؟

69- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: انظروا بنور الله. ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: ما هذا العمل المنحط؟

70- ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ﴾: مالك ومالهم. ﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: أما قلنا لك مالك وما لغيرك وما للناس؟

سورة الحجر: [71-80]

71- ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: أزوجكم بناتي، إن كنتم تريدون أزوجكم إياهنَّ.

72- ﴿لَعَمْرُكَ﴾: وعمرك وحياتك العالية يا محمد، لعمرك الذي لم تضيّع منه لحظة إلَّا وكسبتها بالخيرات. ويقسم الله تعالى بحياة الرسول العالية ﷺ، منذ أن خرج إلى الدنيا لم يضيّع من عمره لحظة، بل اكتسب الحياة كلها بأعلى شيء. فكم له من شأن ومكانة عند الله؟، كم له من عمل عالٍ وخُلق كريم؟ ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: انطمس على قلوبهم بسبب أحوالهم وأعمالهم الخبيثة، وهم قد وصلوا لحال ليس لهم معه من طريق للرجوع.

73- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: لمَّا لم يبق لهم طريق للخير جاءهم البلاء. ﴿مُشْرِقِينَ﴾: صباحاً.

74- ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾: خسف، زلزال قلب الأرض. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ﴾: والهارب أصابه حجر، كل حجر مسجَّل عليه اسم صاحبه على حسب استحقاقه، وكل واحد منهم نال حقَّه بمقداره. البلاء مخصَّص، الرحمة مخصَّصة. كل واحد ينال حقَّه. المفعول به يُحرق، والفاعل يُرمى من شاهق جبل، هم أول من أجرم بهذا العمل الدنيء، الزاني /100/ جلدة يُجلد.

75- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: هذا لطالب الخير من الله تعالى، طالب الحق يفكِّر، يتَّعظ، الميت لا يعبأ بقولك. فالطالبون للخير من الله الذين يعرفونه تعالى: أنه رحيم، كريم، هذه آية لهم، لكن من لم يعرف رحمة الله فما هذه بآية له. الكافر يرى من خلال ذلك قسوة من الله، المؤمن يرى رحمة الله من خلال هذه الآيات، فيزداد حباً لله وتقرُّباً إليه تعالى.

76- ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: على طول دائمي لطالب الحق، يتعظ به كل من يسمع به من الصادقين. فهذه القصة تبين رحمة الله تعالى بهم. أهلكهم، إذ خلَّصهم مما سيعود عليهم من شرٍّ، كلما عاشوا زادوا بلاء، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربِّ العالمين.

77- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: طالب الإيمان هذه أيضاً آية له، المؤمن يستعظم، طالب الإيمان يستدلّ، يبتعد عن الأشياء المنحطة المؤذية له.

78- ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾: يغشُّون في بيعهم، ولو كان جرمهم أخف انتقمنا منهم، وهم أهل مدْين، كانوا أصحاب زرع وخيراتٍ، لكن أعرضوا وساروا في طريق الضلال.

79- ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا﴾: الفريقان. ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: ذكرهم في التوراة ظاهر، وما حلَّ بهم، تعرفون قصَّتهم.

80- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ﴾: البناية المكينة. أصحاب البنايات، لها طبقات، مفاتيحها بيده، هو مالك لها يؤجِّرها، يأخذ ريْعها. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: جاءتهم الرسل، وبيَّنوا لهم خطأهم، فردُّوا قولهم.

سورة الحجر: [81-90]

81- ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾: عرَّفناهم بها. استدِلوا على لا إلَه إلَّا الله، عندها تعرفون الحق. ﴿فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: فأعرضوا عنها وما التفتوا إليها.

82- كيف كانوا يعملون؟ **﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾:** عظيمة، قصوراً بدلاً من أن يتَّعظوا بدلالتنا. **﴿آمِنِينَ﴾:** من الزوال، كأنه في أمان من الموت، ظنُّوا أنها بقيت لهم الدنيا، ضخامة في البناء وقوة كأنه مستقر في الدنيا. آمنين من الموت، فما كانوا يحسبون للموت حساباً.

83- **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾:** حلَّ بساحتهم الدمار صباحاً.

84- **﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾:** كله زال عنهم. جمع المال، بنى البناء، كل ذلك ما ردَّ عنه شيئاً. جاءه الموت، فما استطاع رده. زال عنهم كل شيء.

85- **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقّ﴾:** كله ضمن أنظمة، أما هي كافية لأن تدلَّك على الله؟ ألا تفكِّر بهذا؟ خلقتُ كل ما في الكون ضمن نظام، وأنت أما وضعتُ لك نظاماً؟ أرسلك للدنيا وتركك من دون أن يعنى بك؟ **﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾:** بعد هذا الشيء، أي أن هؤلاء سيصلون لما وصل إليه من سبقهم من أبنية وغيرها وسيهلكون، وعندها لا بدَّ من ظهور الحق. **﴿السَّاعَةَ﴾:** ساعة نصرك. **﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾:** أنت بلِّغ واترك الأمر لي، حتى إذا انتصرت عليهم اصفح عنهم الصفح الجميل.

86- **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾:** ما يظهر منهم وعليهم، ينظر ربك لقلب الإنسان، فعلى حسب حاله يخلق له ما يناسبه وما يشتهون، بناية، سينما... كل ما استحكم بنفسه من أي شيء سيُعطاه. لدى الطبيب عدة أدوات، ولكل مرض آلة مناسبة؛ كذلك رب العالمين، فإنه يخلق لكل مرض ما يناسبه.

87- **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي﴾:** الفاتحة. **﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾:** هذه العظيمة والتي يأتيك الخير منها. لا هذه الدنيا. هذا الذي يعود بالخير عليك وعليهم.

الفاتحة: كل قراءة تقرؤها فيها ترتفع بها؛ فالفاتحة لتبلِّغها لعبادي: **{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهدِنا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}**[3].

اهدِنا: لِمَ تقول: اهدنا، ولا تقول: اهدني؟ لأن رسول الله يقول ذلك وأنت معه، ثم تسمع بعدها: **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}**[4] عندما تصلِّي فرداً تقول: اهدنا بصيغة الجمع ويجيبك الله تعالى بصيغة المفرد: **{قُلْ أَعُوذُ}**[5]؟ **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}**[6]؟

التأويل: رسول الله ﷺ مع من معه، "إن كنت مرتبطاً به" يقول: **{اهدنا}**. والله يجيب رسوله: **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}**[7]: وكل من يبغضك. **{هُوَ الْأَبْتَرُ}**: محروم.

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾: تتلوه عليهم بعد الفاتحة.

---

[3] سورة الفاتحة – الآية:2–6.

[4] سورة الكوثر – الآية:1.

[5] سورة الفلق – الآية:1.

[6] سورة الإخلاص – الآية:1.

[7] سورة الكوثر – الآية:1–3.

{بِسْمِ اللَّهِ...}[8] أخاطبك أيها المؤمن: **{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهدِنا...}**: ومن معي.

88- **﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾:** هؤلاء الأغنياء أصحاب الدنيا لا تطمع بأن يكونوا معينين لك في دعوتك، لا تنظر لغناهم ومالهم. هؤلاء لا خير منهم. **﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾:** هذا المال كله أذى عليهم، لكن هذه شهوتهم. **﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:** واخفض جناحك للمؤمن؛ المؤمن يذلّ للمؤمن لا يتكبر عليه.

89- **﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾:** النذير لكم: غداً هلاك، نار محرقة، وكما جاء النذر من قبلي لقومهم.

90- **﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ﴾:** اليهود والنصارى الذين اقتسموا الدنيا. نزَّلنا لهم دلالة، وأرسلنا رسلاً كما أرسلناك، وأرسلنا لهم منذرين، ثم هلكوا. فأعط كل ذي حق حقه لتُحفظ.

سورة الحجر: [91-99]

91- **﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾:** استعْدوا القرآن، رأوه مضيّقاً عليهم، رأوه معادياً لهم؛ عادوه. إذا خاطبته بلغة القرآن قال لك: هذا القرآن ما هو لهذا الزمان، هذه الأوامر ليست لنا.

92- **﴿فَوَرَبِّكَ﴾:** بما عرفت عنه تعالى. **﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ﴾: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}**[9].

93- **﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:** ليعملوا ما شاءوا، اعمل طيّباً حتى إذا سئلت كان عملك طيّباً.

94- **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾:** اجهر[10]. **﴿وَأَعْرِضْ﴾:** لا تعلّق نفسك بهم، باعد هذا الحنان الذي بقلبك عليهم. **﴿عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾:** الذين يظنون أن لأحدٍ فعلاً سوى الله.

95- **﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾:** المستهزئون لا فعل لهم؛ هؤلاء لا ضرر لهم عليك، وقد صار حولك رجال، فما من أحد منهم يجرؤ على الاستهزاء. كذلك بشَّر رسول الله ﷺ: **"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم"**[11].

96- **﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾:** ينسبون الفعل لغير الله، كما فعل الشيطان، إذ قال: لأغوينهم... ظنَّ أن له حولاً وقوة. **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:** بعد موتهم، سيرون نتائج شركهم بلا إلّه إلّا الله: لا شيء يؤول إلّا إليه.

97- **﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾:** عندما يتكلمون بهذا الكلام، كان صدر رسول الله ﷺ يضيق، يتمنى لهم الخير وهم يكذِّبونه، فكان ﷺ يتأثَّر عليهم.

---

[8] سورة الفاتحة – الآية:1.

[9] سورة الأعراف – الآية:6.

[10] فاصدع: لا تهتم بصدِّهم، دع عنك ذلك واجهر بالحق.

[11] صحيح مسلم، الجزء الثالث، رقم الحديث / 53/.

98- ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾**:** فسبِّح جماعتك المؤمنين الذين اتَّبعوك، اذكر لهم عن فضل وحنان الله، سبِّحهم بفضل الله. عرِّف الذين آمنوا بحنان الله، بفضله ورحمته، وأرهم معاملة الله لهم. ﴿**وَكُن**﴾**:** دوماً. ﴿**مِّنَ السَّاجِدِينَ**﴾**:** اطلب فضله، اطلب المعونة منه.

99- ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾**:** كل الخلق (يوم القيامة) ترى هذه الساعة فيتيقنوا بما سيقع لهم من هلاك[12].

والحمد لله رب العالمين.

---

12 نستنتج من هذه الآية أن لا شفاعة يوم القيامة إذ تبين يقينياً أهل الجنة للجنة، وأهل النار للنار فلا وساطة ولا تزر وازرة وزر أخرى، فالشفاعة في الدنيا ومن لم يستشفع في الدنيا ويصاحب أهل الجنَّة فلا شفاعة له يوم القيامة.

تأويل سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النحل: [01-10]

1- ﴿أَتَى﴾: في الماضي نزل العذاب على من سبق من المكذِّبين. و﴿أَتَى﴾: محقَّق وقوعه على من يعاند. ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾: جاء البلاء. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: بالمعاصي. ﴿سُبْحَانَهُ﴾: ما أعظمه، ما أرحمه، ما أوسع رحمته بكم، يطاولكم حناناً وحباً بكم. ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: الإنسان: إذا فعل شيئاً لا بدَّ أن يصيبه البلاء. هو ذو رحمة واسعة بكم، وأنتم تشركون به، مهما كنت تحب نفسك فالله يحبك أكثر من محبتك لها، وأكثر من محبة أمك وأبيك.

2- ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾: بالأوامر التي فيها حياة البشرية. ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: رسول الله ﷺ تطلَّب ذلك من حنانه على الخلق. أعطاك الله تعالى الخيار، رجعت المشيئة والاختيار لك. وكذلك أنزل على رسول الله ﷺ، حيث طلب فعل المعروف والإحسان، لكنه استعدَّ لذلك وتهيَّأ له. ﴿أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾: الحج والصوم والصلاة، كل الأوامر الإلّهية (الفرائض) هذه غايتها: أن ترى الفعل كله بيد الله.

خلق تعالى السماوات، الأرض، والبحار، وخلق الإنسان بنظام، ذلك كله لكي يؤمن الإنسان بلا إلّه إلَّا الله، فيفعل الإحسان، وينال الإحسان الإلّهي. فإذا لم يؤمن المرءُ بالله ولم ينل التقوى فنهايته هلاك: دنيا عذاب، وآخرة دناءة وعذاب. وحتى تصل لهذا، فتنال التقوى بالله، جعل لك قانوناً تسير عليه، وهو التفكير بخلق السماوات والأرض بالحق، انظر في هذا الكون، أعطاك سمعاً وبصراً وفكراً.

3- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: انظر، فكِّر، فكِّر بهذا لتهتدي لكلمة (لا إلّه إلا الله): هذا الخلق الكامل يصل بك إن فكَّرت للإيمان ثم للتقوى. ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: خلق لك هذا الكون كله بهذا النظام وتشرك معه؟

4- ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾: إن لم تفكِّر بالسموات والأرض، فكِّر بأصلك، بذاتك، انظر لأصلك، ماذا كنت؟ ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: عندما يكبر يخاصم ربه.

5- ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: صوف، أفلا تنظر لنعمه عليك وإحسانه إليك؟ ﴿وَمَنَافِعُ﴾: لبنها وسمنها... ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: لحمها، مع كل هذه النعم تُعرض عنه تعالى ولا تفكِّر؟

6- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: جعلها لك بشكل جميل، تفيدك وتأنس برؤيتها وتُسرُّ. أبعد هذا الإحسان والعطف تحيد؟

7- ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: هذا الفضل كله ولا تقدِّر فضل ربك؟ ارجع لأصلك، ثم انظر هذا الفضل الذي تفضَّل به عليك. ﴿إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾: لو أردت الذهاب من مكان لمكان فكم تتعب من دون هذه الأنعام؟ ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: هذا الإنسان غداً حينما يرى فضل الله عليه ويرى تقصيره وكفره كم يتألم؟ هذه جهنم، هذا كله خلقه لك من شدة رحمته وحنانه عليك. أفلا يقتضي أن تفكِّر به؟ أن تقدِّر فضله وحنانه، أفتعرض عنه؟

8- ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾: تركبها وزينة، وكل الكون من أجلك. وكل شيء له قانون، أنت أما جعل لك قانوناً؟ ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: إن لم تقدِّر فضله سيبعث لك الطائرة، السيارة، تهلكك.

9- ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: بيان الطريق، أن يبيِّن لك طريق الحق. ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾: من الأنفس من هو منحرف، لا يفكِّر أبداً، جامد، مع كل هذا الفضل لا يلتفت لشيء منه. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: ولكن لا يناسبكم لما فيكم. تقولون ذلك... لو شاء لهدانا؟... دلَّك وبيَّن لك وتقول لو شاء الله لهداني؟ تنسب له وقوعك في الفحشاء والضلال، أما بيَّن لك؟

10- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِّنْهُ شَرَابٌ﴾: قدِّر هذه النعمة. ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: هذا الترابط بين المرأة والرجل ينشأ بسبب الماء النازل من السماء: فهو أصل الحياة، ومنه تتشكل. ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: تخرجون للدنيا، تتزايدون بزرعه وتتفاخرون.

سورة النحل: [11-20]

11- فكِّر بهذا: ﴿يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فكِّر بهذا، كيف يقولون: من يفكِّر يهلك؟ والله يطلب منَّا التفكير؟ فكِّر بهذه المعاني كلها، انظر فضل الله عليك، أصلك، ماذا كنت؟ انظر بهذه النعم. خلق لك كل ما في الكون، من حيوانات، عاملها بالإحسان.

12- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: بالنهار تعمل، بالليل تستريح. ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾: لبعدها عنك، ولا مشتهيات نفسية لك بها، فكِّر فيها، في سيرها تصلْ. ما هذا الترتيب العظيم؟ لمن؟ فكِّر فيه تعقل حقيقته. كلها مسخَّرة لأجلك، كلُّ ما في الكون من أجلك. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: كم أنت ضعيف، وكم عناية الله بك!، إن فكَّرت عقلت.

13- ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾: من أزهار ونباتات، ماء واحد وثمر مختلف، كلها من أجلك، من أجل راحتك، لسعادتك، لسرورك. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: كل شيء تراه يذكِّرك.

14- ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: من الذي سخَّره؟ ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً﴾: قبل الأكل سمِّ بالله لكي تفكِّر. هذه بعض المنافع، فكِّر بها تصل للكثير منها. ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: لؤلؤاً ومرجاناً. ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: السفن. ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: من الذي خلق لك الحديد والخشب تصنع منه السفن؟ ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: للتجارة، كي تفعلوا الخيرات. ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: إن فكَّرتم. ﴿تَشْكُرُونَ﴾: ترى الإحسان كله من الله.

15- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: جبالاً تثبت الأرض، الله خلق الأرض، وجعل لها الجبال تثبتها في سيرها، فلا تضطرب ولا تهتز، أفلا تفكر بهذه القدرة والعلم والرحمة؟ ﴿وَأَنْهَاراً﴾: عيوناً كبيرة. ﴿وَسُبُلاً﴾: عيوناً صغيرة. أين هي خزَّاناتها؟ ما هذه الفتحات؟ ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى الله سبحانه. لتفكر وتهتدي إلى الله.

16- ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾: كثيرة، تدل على لا إلَه إلا الله. ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: محمداً ﷺ ألا ترون كماله؟ عدالته، رحمته؟ بهذه الصحبة يدخل المرء على الله تعالى. سحرة فرعون رأوا علم سيدنا موسى

عليه السلام، واستعظموا فاهتدوا، بلقيس عظَّمت سيدنا سليمان عليه السلام فاهتدت. أنت أفلا تفكِّر بكمال رسول الله ﷺ؟

17- ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَّا يَخْلُقُ**﴾: متساوون؟ تلتجئ لبشر مثلك!، هل بيده شيء؟ أتترك خالقك وتلحق بمخلوق شخص مثلك؟ أتسمع كلام شخص مثلك وتترك كلام الله؟ ﴿**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾: بواسطة رسولكم محمد ﷺ، سراجكم المنير؟

18- ﴿**وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾: كل النعم لك، مهما عددت، فهي أكثر وأكثر. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ**﴾: لكن الشدائد كذلك هي نعمة، لتطهر بها وتشفى مما بك، وكل هذه البيانات من رحمته بك، حتى يغفر لك ويشفيك مما بك، مما أنت فيه، ويسعدك دنيا وآخرة. ﴿**رَّحِيمٌ**﴾: كله تعالى رحمة. المؤمن يحمد الله تعالى على كل حال، لأنه تعالى كله فضل وإحسان.

19- ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ**﴾: لا تحملْ غلاًّ وخبثاً، فما من خاطر يقع بنفسك إلا وهو معلوم عند الله. ﴿**وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾: من العمل: سرّك وعلانيَّتك عنده، وعلى حسب ما فيك يسوق لك، فيسيِّر كلاًّ على حسب ما في نفسه. أطعه، اتَّبع أمره تنل منه الخيرات.

20- ﴿**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: الأصنام لا فعل لها. ﴿**لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾: هم مثلك، ليس بيدهم شيء.

سورة النحل: [21-30]

21- ﴿**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ**﴾: ليس بيدهم شيء. ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾: لا يعرف بعد مدَّة ماذا سيحل به، إلى أين يُذهب به، وهذا الصنم لا يعلم إلى أين تحرّكه.

22- ﴿**إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ**﴾: لا مسيِّر لهذا الكون سواه. ﴿**فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ**﴾: من لا يفكِّر، فكِّر بالموت إلى أن تعقل، إن عقلت زالت من قلبك لذائذ الدنيا، وحلَّ بقلبك حبّ الإحسان والخير. ﴿**قُلُوبُهُمْ مُّنْكِرَةٌ**﴾: كل هذه الأشياء التي تذكرها له لا يعبأ بها، والسبب: ﴿**وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ**﴾: عن التفكير بالموت وبالكون وبأنفسهم. لو فكَّر لاستدلَّ على الله فعرف كلام الله، حنان الله، عدل الله. وحيث أنه استكبر عن التفكير، فما فكَّر بالحساب والعقاب وصل لذلك.

23- ﴿**لَا جَرَمَ**﴾: لا شيء قليلاً يثبت خلاف ذلك. فكِّر قليلاً توقن بهذا بلا ريب. ﴿**أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾: لأن المستكبر يجر لنفسه التعاسة وكل بلاء. استكبارهم سبب هلاكهم دنيا وآخرة.

24- ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُم**﴾: لمن لا يفكِّر. ﴿**مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾: هذا من قديم نسمعه، معروف حكايات، حكايات وقعت فيما مضى، هكذا يقولون؟ مع أن هذه القصص، كل واحدة منها ولها مراد وعبرة وعظة.

25- ﴿**لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً**﴾: كل واحد سيحمل حمله على كتفه غداً. ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَـهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾: يتكلَّم ويضلّ غيره بغير علم، جاهل ويريد أن يهدي غيره. يحمل وزر عمله وعمل من أضلَّه، من يتكلم بكلام طيب له أجره وأجر من سار به، والعكس صحيح. ﴿**أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾؟ هذا الشيء السائرون فيه ألا يسوؤهم؟ هذا يقتل هذا، هذا يسرق هذا، هذا يغشُّ هذا. هذه الأشياء ألا تسوؤهم الآن؟ هل أعمالهم التي يعملونها منطقية إنسانية؟ لو سمعوا كلام الله لزال كل أذى، ولأصبحوا محسنين لا يؤذون أحداً.

26- ﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: في الدنيا عملوا تدبيرات وحيلاً وترتيبات لردِّ الحق. ﴿**فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ**﴾: من أصله، ما شعروا إلَّا: ﴿**فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾: قنابلهم نزلت عليهم. ﴿**وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾: هم دبَّروا ليصدُّوا الناس عن الحق، والله أرسل لهم بلاء، فالسكِّين التي حدَّها ضرب نفسه بها، أذاه عاد عليه.

27- ﴿**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ**﴾: في الدنيا دبَّر تدبيرات فوقع ونزل بلاؤه عليه، وغداً يريه عمله. ﴿**وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ**﴾: رسلي؟ ﴿**قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ**﴾: الذين آمنوا بلا إلّه إلا الله، ودخل الإيمان في قلوبهم. ﴿**إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ**﴾: الحقارة والسفالة. ﴿**وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾: الذين نكروا نعم الله كلها.

28- ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**﴾: ظلم نفسه وكفر، وما فكّر. فالبعيد عن الله عند نزوله القبر تأتيه الملائكة فتسأله، فيقول مستغيثاً مستسلماً. ﴿**فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ**﴾: يستسلم إذ لا يجد معه أحداً ناصراً له، ويصبح خائفاً لدى قدوم الملك. ﴿**مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ**﴾: لم أعمل شيئاً فيجاب: ﴿**بَلَى**﴾: أنتم تكذبون، لا تنكروا. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: تجيبه الملائكة بهذا.

29- ﴿**فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾: الآن. عندما يرى دناءته يدخل بالذل والحقارة. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾: بالذل والحقارة، ومن رحمة الله تعالى به أنه يرسل له ملَكاً بصورة حنش مخيف، فيقول له: أنا صاحبك لا أفارقك، يُعالج مع هذا الحنش إلى يوم القيامة، ويوم القيامة يرمي بنفسه في النار لشدَّة ما يجده من ألم. ﴿**فَلَبِئْسَ مَثْوَى**﴾: مكان. ﴿**الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾: الذين لا يفكِّرون. جرِّب الآن يدك في النار، كم تتألم؟ فما أعظم الألم النفسي الذي يضطر الإنسان معه لإلقاء نفسه بالنار؟

30- ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ**﴾: نالوا تقوى. ﴿**مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ**﴾: بساعة نزول القبر. ﴿**قَالُواْ خَيْراً**﴾: كل من فكَّر، وحصل على الإيمان والتقوى، لمَّا يُسأل في القبر يجيب بهذا: "هذا الكتاب الذي أرسله الله لنا كله حق، وكله فائدة وخير". ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ**﴾: له في الدنيا الخير وغداً. ﴿**وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾: فهو في نعيم يبدأ معه منذ ذلك الحين.

سورة النحل: [31-40]

31- ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**﴾: من جنة إلى جنة إلى ما لا نهاية. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾: الخيرات الكثيرة. ﴿**لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ**﴾: كل شيء تتطلبه. ﴿**كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ**﴾: إن اتقيت فهكذا تنل.

32- ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ**﴾: من كلِّ شائبة "لا شائبة بنفوسهم"، نفسه طابت ليس فيها قذر ولا وسخ، طابت نفسه بالصلة مع الله، صلَّت فطابت، فلا تطيب نفسك إلَّا بالله، إن فكَّرت آمنت بلا إلّه إلا الله تستقيم، فتدخل نفسك على الله وتطيب. ﴿**يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ**﴾: الأمان عليكم، فلا شقاء ولا نصب. ﴿**ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: ادخلوا في النعيم بما كنتم تعملون، فالجنة بالعمل، الجنّة تتطلَّب أعمالاً لا دعاءً، ولا تدخل الجنة إلَّا بعملك.

33- ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾: ملائكة الموت لقبض روحهم؟ من الذي خلِّد في الدنيا؟ هل من أحد باقٍ؟ هل تعيش أنت ولا تموت؟ ﴿**أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ**﴾: الهلاك العام بساعة واحدة: الساعة. ﴿**كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: لم يفكِّروا، شذوا وتمتعوا بالدنيا، والله ذكَّرهم، أرسل لهم الرسل والشدائد. ﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ**﴾: الله تعالى أعطاك العطاء التام، ما ترك لك طريقاً، فللَّه الحجَّة البالغة، أعطاك كمال الكمال، وطلب منك أن تفكِّر. ﴿**وَلكِنْ كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾: هو لم يفكِّر، أعطاه الله وأهَّله لنيل الخير، لكنه هو الذي حرم نفسه، وليس الأمر كما يقولون: أن الله خلق أناساً غير صالحين.

34- ﴿**فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ**﴾: عند الموت. ﴿**وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: البلاء.

35- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِن شَيْءٍ**﴾: عندما تقول لهم: الله بيده كل شيء يجيب: لو شاء الله ما فعلت، وينفي الحرية في الاختيار والمشيئة. فمن لا يعرف حنان الله ورحمته، هو الذي ينسب التقديرات السيئة لله. ﴿**كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: فالذين لم يفكِّروا بلا إلّه إلا الله احتجُّوا بنفس الحجّة، وهذا قانون، كلُّ مشرك يقول هذا القول. ﴿**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾: يبيّنون طريق الحق والسعادة، فالذي تختاره يعطيك إيَّاه. ترك الله تعالى لك الحرية؛ لأنه بهذا تدخل الجنَّة.

36- ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً**﴾: في كل عصر، كل يوم، لا يُترك الإنسان مهملاً. ﴿**أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ**﴾: هكذا قلنا لهم: اسمعوا كلام الله فقط وما وافقه، فكِّروا، فالله تعالى في كل عصر لا بدَّ وأن يرسل أناساً يهدون، الرسل لا يتكلمون بشيء من عندهم، كله عن الله، الأحاديث النبوية: عن كتاب الله... ﴿**وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾: الشيطان الذي يطغي. ﴿**فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ**﴾: حيث فكَّر فعقل واهتدى. ﴿**وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ**﴾: حيث أن نفسه امتلأت بالخبث والسفالة. ﴿**فَسِيرُواْ**﴾: كلكم يا عبادي. ﴿**فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾: نتائج أهل الباطل ماذا كانت؟ لا تمشِ على عمى، فكِّر، انظر، ابحث، دقِّق بمن سبق، السائر بالحق انظر كيف هي حياته وسعادته. وبالعكس.

37- ﴿**إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ**﴾: لا يهدي من يضل نفسه، أعطى تعالى الحرية والإطلاق للإنسان، نفسك مُطلقة، أقنعها إلى أن تسير معك. فكِّر، اعقل، قارن، قايس، إلى أن ترضخ، لقد أعطاك تعالى أشياء ثابتة، آيات، فكِّر إلى أن تعقل، فكِّر حتى تقنع نفسك، القرآن لكي تفهم معانيه، لا لتقرأه دونما فكر. ﴿**إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ**﴾: لرحمته وحنانه ﷺ كان دوماً يودُّ لهم الهدى، فأجابه الله تعالى: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ**﴾: إن المسألة ترجع للإنسان ذاته، فإن لم يصدق فلا أحد يهديه، الإنسان ذاته مسؤول. سعادتك منك، شقاوتك منك، كما تختار يعطيك.

38- ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَمُوتُ**﴾: بعد أن فني يعود؟ أما فكَّرت بنفسك؟ ﴿**بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً**﴾: حتماً. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: ما سيحلُّ بهم على هذا الكلام، إن لم يفكِّر فلن يحصل له علم.

39- ﴿**لِيُبَيِّنَ**﴾: غداً. ﴿**لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ**﴾: يرون عملهم وكذبهم، وسيقرّ ويعترف بكذبه.

40- ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾: يرجعك بسهولة كما خلقك أول مرَّة. فالله تعالى نظَّم الكون هذا التنظيم لتفكِّر وتستدل، قادر أن يخلق الكون ويخلقك من دون هذا كله، لكن لتفكِّر.

سورة النحل: [41-50]

41- ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ**﴾: هاجر من مكة إلى المدينة، كل من هجر الرذيلة والكفر. الأعمال المنحطة التي يقوم بها غيرهم. ﴿**لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**﴾: نعوض عليهم. ﴿**وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**﴾: الآخرون الكفَّار، لما فعلوا هذا، بل لفعلوا فِعلَ المؤمنين.

42- ﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: على ما أصابهم، وعن كل رذيلة. ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: مستسلم إلى الله تعالى، يتوكل على الله ويصبر.

43- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾: مثلك. أرسلنا للخلق رسلاً مثلك، لكن نوحي إليهم كما نوحي إليك، لأنهم أهل طهارة وحنان وقرب. ﴿فَاسْأَلُواْ﴾: أنتم اليهود والنصارى، أما كان الرسل رجالاً مثل محمد ﷺ؟ ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: مثل النجاشي، اسألوهم عمَّن قبل محمد ﷺ من رسل كلهم، أما كانوا بشراً رجالاً مثل محمد ﷺ؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: ما ظهر لكم من دنياكم.

44- ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الدالَّة على الله. ﴿وَالزُّبُرِ﴾: القاطعة للباطل. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾: من وقائع. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: بها.

45- ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾: زلزال. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾: البلاء. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

46- ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: ملتهون بالدنيا. ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: روحهم بيده.

47- ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾: من الموت، بمرض أو حرب... ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حبّاً بكم يذكِّركم، يطاولكم وينذركم.

48- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾: انظر. ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ﴾: كل ما في الكون يستمدُّ من الله. ﴿ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ﴾: تجلّي الله عليه عن طريق الخير. ﴿وَالْشَّمَآئِلِ﴾: كلٌّ على حسب ما اشتملت عليه نفسه، مرض، فقر، شدَّة، نِعم، كل واحد بما يناسبه.

معنى الآية دلالة على لا إلّه إلا الله، لكن قلَّ من يفقه المعنى، إذا كان القلب مملوءاً بالشهوات فلن يفقه شيئاً. انظر لنفسك كيف أخذت تتقلَّب في هذه الحياة، من نطفة، علقة، مضغة، جنين، بعد الولادة، اللبن محضَّر في ثدي أمك، ثم ظهرت أسنانك، ثم صرت شاباً فشيخاً؟ لو لم تكن هنالك يد تعمل لاستمرَّ بك الحال على حال واحد، نماء مستمر؛ كذلك الكون والنبات، والشمس والقمر، وكل شيء، إذا نظرت فيه وجدته يتقلَّب من حال إلى حال. هذا ألا يدل على أن هنالك يداً هي التي تعمل في هذا الكون؟ لكن إذا كان على القلب شيء مطبوع، فلن يُكتب الحق فيه ولن ينطبع. فانظر أيها الإنسان هل في هذا الكون شيء ثابت؟ أو ليست هنالك تبدلات على حسب الحال المناسب؟ فلو فُتحت سيارة وسارت بنفسها لكان سيرها مطَّرداً في جهة واحدة ولما سارت يميناً ويساراً. أهَّلَك الله لكل كمال، وأعطاك تفكيراً، لكنك لا تفكِّر.

﴿سُجَّداً لِلَّهِ﴾: الكل طالبون، والكل يتطلَّب ويستمد الحياة. ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: كلهم مفتقرون، مرتمياً في الإقبال على الله. لا تصل للإيمان دون تفكير، ولا يحدث التفكير إلَّا إذا خلت النفس من الشهوات، فإن فكَّر الإنسان ببدايته ثم بنهايته فعرف أنه سيموت خرجت الدنيا من قلبه، ورجعت نفسه طاهرة كما ولد. عندها إن فكَّر ينطبع الحق بنفسه، فيصلِّي ويرافق أهل الكمال، يدخل بمعيَّتهم على الله، فتحصل له التقوى.

49- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: كل ما في الكون طالب. ﴿مِنْ دَآبَّةٍ﴾: أيضاً تدب، ممَّن تستمد؟ ممن يستمد الكون؟ لولا الهواء ماذا يكون حالك؟ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: أيضاً. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن طاعة الله.

50- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: حيث صارت لهم معرفة بلا إلّه إلا الله.

سورة النحل: [51-60]

51- ﴿وَقَالَ اللّهُ﴾: لرسله قولوا لقومكم "يا عبادي". ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾: هل من غيري له فعل أو تصرُّف؟ التجئوا إليه وحده، هو المتصرِّف. ﴿فَإيَّايَ﴾: لله وحده. ﴿فَارْهَبُونِ﴾: انظر رحمته، قدرته، عدله. يقول سبحانه وتعالى لنا: لا تتخذوا إِلَهَيْنِ، لكن فكِّروا بعظمتي وحناني حتى تحصل لكم الرهبة، إن لم تفكِّروا فلن تستفيدوا شيئاً.

52- ﴿وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كله راجع أمره إليه، كله له. ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾: ظاهراً مكشوفاً، أتدين نفسك لأوامر أحد سواه؟ كله قائم على سعادة الخلق. ﴿أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ﴾: هل أحد سواه يطعمك، يسقيك؟ أتستنيرون بغيره؟

53- ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾: إن لم تفكِّر فلن تدرك شيئاً. انظر إلى هذه النعم المعطاة للخلق، هل هي من الله يا ترى؟ فكِّر حتى تعقل. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾: ساعة البلاء تلتجئ إليه بالدعاء، تستغيثون لرفعه، لا تتذكره إلا عند الشدَّة؟

54- ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾: ينسب الخلاص لغير الله، يقول: بمسعاي، بقوتي. أو تقول: الطبيب طيَّبني، وفلان... ولكن الجرثوم الذي في جسمك حياته بمن؟ بالله. ألا إنه يشدِّد عليك لترجع إليه، كله منه خير، إذا فكَّر الإنسان بحنان الله فإنه يرضى بكل شيء.

55- ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: من نعمنا، بهذه النعم. ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾: مدة قليلة بهذه الدنيا. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ما ضيَّعتموه من الفضل المعدّ لكم، عند الموت ستظهر لك الحقائق.

56- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: يعتمد على غيره تعالى، وكانوا يزعمون أن هناك آلهة للشمس والقمر... ﴿تَاللّهِ﴾: والله ثم والله وتسييره لهذا الكون ضمن العدالة والكمال، يدلُّك أنه لا بدَّ أن تُسأل عن عملك. ﴿لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: هذا النظام القائم ألا يثبت لك أن السؤال حق؟

57- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ﴾: الملائكة يزعمونها بنات، إناث. ﴿سُبْحَانَهُ﴾: الله تعالى منزَّه عن ذلك، لا يماثله شيء. ﴿وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ﴾: ويتطلبون لنفسهم الذكور، والأصنام التي زعموها ذكوراً. "الملائكة" سمُّوا بهذا لأن الله تعالى عندما عرض الأمانة في الأزل ملَّكوا أنفسهم لله، قالوا: نحن يا رب لا نريد شهوة من الدنيا، ملَّكنا أنفسنا إليك، لا نريد إلَّا الوجهة لك.

58- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مع أن البنت قد تكون خيراً من الذكر بكثير.

59- ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾: يستحي. ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ﴾: دون أن يبالي بها إذا ربَّاها فيخجل. ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: أو يدفنها. ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: هذا الترتيب الذي رتَّبوه لأنفسهم ألا يسوءهم؟ هذا الحكم يسوءهم كثيراً، إن دفنت البنت فمن أين يأتي الصبي؟

60- ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ﴾: من لا يؤمن بالآخرة، لا يؤمن ولا يعرف الحق. ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾: عليهم كما يزعمون، مع أن البنت فيها خير عظيم إن أحسنت تربيتها. ﴿وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾: هو يزعم أن البنت أذىً عليه، لكن فعل الله تعالى كله خير. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: المتفرِّد بكل خير وكمال.

سورة النحل: [61-70]

61- ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَّةٍ**﴾: لكن بحنانه ورحمته وشفقته يطاولهم. ﴿**وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ**﴾: لعلهم يرجعون. ﴿**إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾: فلا يتأخر ولا يتقدم عليه، لكلٍ يوم. فالحنان والرحمة تقتضي بمطاولتهم، والإنسان يداوى خلال حياته مرَّةً بعد مرة رحمة به، لكن إذا جاء يومه فلا بدّ.

62- ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ**﴾: يدَّعون أن الملائكة بنات الله. ﴿**وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى**﴾: الأصنام. "ويفخرون بتقدماتهم الحضارية الزائلة". ﴿**لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ الْنَّارَ**﴾: حيث أضاعوا الحياة. ﴿**وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ**﴾: مفرطون بحياتهم، بعمرهم الثمين لا يدرون أنهم يضيّعونه.

63- ﴿**تَاللَّهِ**﴾: والله ثم والله، تسيير هذا الكون يثبت لك أن رحمته، حنانه، اقتضى إرسال رسل. ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ**﴾: قل لهم ذلك. ﴿**فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**﴾: فهلكوا لمَّا لحقوا به. فالذي امتلأ قلبه بالخبث والشهوات بسبب إعراضه، يزّين الشيطان له أعمال السوء فيهلك. وكذلك الآن الذين في عصرك يلحقون به. ﴿**فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ**﴾: لجماعتك، يسيرون بدلالته. ﴿**وَلَهُمْ**﴾: بعدها. ﴿**عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: أرسل الله تعالى رسلاً للأمم، فنصحوا وبينوا لهم، ولكن ما تبعوهم فجاءهم الهلاك، هذه الدنيا نهايتها الموت، الحج بثياب الإحرام لكي يذكرك بهذه الساعة، كذلك كلٌّ واحد لا بدَّ له من هذه الساعة، فكّر بهذا.

64- ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ**﴾: "هذه الاختلافات الباطلة" جاء الكتاب ليبيّنها لك لتسير بالحق، فإذا سمع الإنسان كلام الله وأوامره عندها يهتدي، ليتعاونَ الناس فيعملوا الخير ويتركوا الشر، ولكنهم خالفوا، فجاء الأنبياء ليبيّنوا للناس طريق الحق، إذا اهتدى الإنسان عاد ذلك عليه بالسعادة دنيا وآخرة، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾: لطالب الإيمان، الصادق بالطلب طالب الإيمان، وهو الذي فكَّر وعرف أنه سيموت، عندها يطلب الحق، فإذا تلا هذا الكتاب يؤمن به. والصدق بالطلب يتم بالتفكير بالبداية والنهاية، وما لم يتم التفكير بالبداية والنهاية لا تصدق ولا تصل للإيمان.

65- ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾: دليل على لا إلَه إلا الله، وأن الله دوماً موجود، "يجود بالحياة والخلق والوجود". هل فكَّرت بهذا؟ إن فكَّرت وعقلت آمنت بلا إلَه إلا الله، طالب الإيمان بهذا يفكّر، لولا المطر لما نبت زرع، النهر وحده لا يكفي ماؤه، إذ لا ينبت الزرع، بل لا بدَّ من المطر لأن فيها المواد الحيويّة، مراراً لم ينزل المطر وسقي الزرع بماء النهر فقط، فما أعطى الزرع قمحاً بل تبناً فقط. ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾: إذا أصغى عندها يفكّر ويسير في طريق الإيمان. إن فكَّرت بالماء رأيت الشمس، القمر، البحر، فتصل لنفسك من أين جئت؟، عندها تهتدي.

66- ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً**﴾: تعتبر وترى، بالتفكير فيها تعبر نفسك إلى الله. ﴿**نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ**﴾: ما امتصَته الأمعاء من الغذاء. ﴿**وَدَمٍ**﴾: كيف تحوَّل بين الدم فانقلب إلى لبن خالص لذيذ؟ عندما هُضم وتحول لدم صار: ﴿**لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ**﴾: فكيف صار هذا العلف حليباً طيباً؟ أفلا تفكّر بهذا؟

67- ﴿**وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً**﴾: يشرب ماء لا سكَّر فيه، فمن وضع لك السكر في العنب والنخيل؟ هذا السكر من أين جاء للشجر؟ يدُ من التي أوصلت السكر لهذه؟ وبعض الثمرات يعطي ثمراً مُرّاً، ويدُ من أوصلت المَرار لتلك؟ ما دام قلبك مملوءاً بالشهوات

الخبيثة لا يحسّ. ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾: إن فكَّر المرء وعقل يرى أن يد الله هي التي أوصلت كل شيء لشجره.

68- ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾: انظر لهذا أيضاً.

69- ﴿**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾: لكل زهرة رائحة تشمها فتسلك. ﴿**فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً**﴾: الزهرة خاضعة لك، فهي لا تمانع بإعطاء سكرها لها "الأجلك". ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**﴾: منه أسود وأبيض وأحمر. ﴿**فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾: فيه أنواع: "الفيتامينات" الحيوينات، جامع لها، الصحيح تحصل له وقاية، الضعيف تنشطه، فهل عند النحل علم؟ كيف تختار وتعرف؟ أوَ ليس هناك إلهام من الله؟ ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾: هل فكَّرت في العسل وفي فضل الله عليك؟

70- ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ**﴾: ألا تفكِّر بهذا أيضاً؟ ﴿**وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**﴾: ومنكم من يعيش طويلاً فيخرف، فإمَّا الموت شباباً وإما الهرم والخرف، فماذا تنتظر بعد هذه الدنيا وماذا تتأمل منها؟ من لا يسلك طريق الإيمان يخرف، فهذه الدنيا متاع، ولا بدَّ من تركها مهما عشت، فلا تتأمل وتتمتع بها كثيراً. ما من أحد إلا ومات، حتى الرسل والملوك. ﴿**لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً**﴾: "أرذل العمر" لا يتعلم شيئاً إلا ما تعلّمه في صغره. إن لم تتعلم الآن فإنك في كبرك لا تتعلم شيئاً، تفكيرك الآن آلته صحيحة، ما بعد الخمسين لا رجعة لك[1]، الشاب في صغره يتعلم بسهولة. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾: يعطيه ولكن بقدر.

سورة النحل: [71-80]

71- ﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ**﴾: لا تفتخر وترى لنفسك فعلاً، غني وفقير كله حكمة. فالله تعالى جعل الناس فقيراً وغنياً، الغني يعطي فيشكرَ، الفقير يشكُر. ﴿**فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**﴾: أنت لست أعلى من الفقير، الرزاق واحد، وأنت واسطة، عن يدك يأتيه رزقه، العاطي هو الله. لست أنت الذي أعطيت، رزق الفقير جعله الله عندك، اشكره أن جعلك باباً للفضل والعطاء. ﴿**أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾: العاطي هو الله، أتمنّ على غيرك وتنسى المنعم عليك؟

72- ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً**﴾: ذكراً وأنثى. ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾: أولاد، وأولاد الأولاد، لتتحاببوا وتأنسوا ببعضكم. ﴿**وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾: فاكهة، عسل... أطعمك أطيب الأشياء فلم يجعلك كالحيوان. ﴿**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ**﴾: يزعم أن للناس فعلاً، فمن لا فضل له ولا يخلق شيئاً تلحق به وتترك ربك الرزّاق المتفضل؟ ﴿**وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**﴾: يكفر بها؟

73- ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً**﴾: يذهب لخدام الأصنام ويطيع كلامهم. ﴿**وَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾: بشر مثلك لا قدرة لهم على شيء.

---

[1] قبل الخمسين يكون الحكم للفكر بواسطة الدماغ فيستطيع بتفكيره تحويل النفس لتؤمن بالآيات الكونية، وبعد الخمسين يضعف الجسم بالشيخوخة أو العجز وتضعف معه آلية الدماغ فتصبح السيطرة للنفس فتغلب العاطفة على التفكير ولا يستطيع المرء الرجوع للحق عن طريق التفكير بالآيات. فإن كان عنده قابلية للخير والإيمان وضيعها وتجاوز الخمسين فإن الله يرسل له أبناءً صالحين يجرونه بهذه القابلية للحق عن طريق العاطفة والمحبة لكي يؤمن ويسعد، كذلك آباء الصحابة بالمدينة المنوَّرة عندهم قابلية أضاعوها بشبابهم فأرسل الله لهم أبناء جرّوا آباءهم للإسلام، وكذلك ذرية بني إسرائيل جرَّت الآباء الضعفاء للنجاة.

74- ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ﴾: ما سيحلُّ بكم غداً. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: عن الآخرة حقّاً، وإلَّا لما كانت أعمالكم بهذا الانحراف.

75- ﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: لا فعل خير له. ﴿وَمَنْ رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً﴾: يتصدَّق سرّاً وجهراً. الإسلام لكي تغدو صاحب رحمة وحنان؛ أخلص نيتك ولا بدَّ أن يعطيك الله. وما من أحد يصدق في أمر إلَّا ويكون له مطلبه، الصادق لا بدَّ أن ينال، عندما لا يسلك الإنسان طريق الحق عندها يضيِّق الله عليه الدنيا، أرسلك الله لها لتسعد وترتاح، فإذا شذذت عندها يضايقك فيفقرك. ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾: بنظرك، هل المحسن، ومن لا خير فيه بل عمله كله رذيلة وأذى، هل هما عندك نفس الشيء؟ وكذلك عند الله، لكلٍّ واحد جزاء مناسب. ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ﴾: للطرفين هذا وهذا. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا إلَه إلا الله وأسماءه الحسنى.

76- ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾: لا يعرف شيئاً. ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾: يطعمه ويسقيه فقط. ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾: يعود منكراً رغم كل المعاملات. ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؟ من يدلُّ دلالة طيبة. هل عمل هذا مثل هذا؟ أنت لا تساوي بينهما، فهل يساوي الله بينهما؟ فما خلق الله تعالى هذا للجنّة وهذا للنار، لكن من يسير بالعدل ويفعل المعروف نهايته للجنَّة، ومن يشذّ فللنار.

77- ﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا أحد عنده علم الغيب. ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾: ساعة موتك. ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾: لا تدري متى تموت، الموت قريب جداً وأنت لا تدري. ﴿إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: كل امرئ وله حياة معيَّنة بمقدار معيَّن. كي تفكِّر وتعقل ساق لك هذه الآية:

78- ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: وأمم معكم. ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾: أفلا تفكِّر بهذا أيضاً؟ ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: لم يكن لك سمع ولا بصر ولا قلب. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: إذا فكَّرتم، فكِّر بهذا لعلَّك تشكر الله على نعمه.

79- ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾: تلتقط لك البعوض، كلها لها وظائف، تقوم بأعمالها لسعادتك. تنظِّف الهواء، "تحسِّن البيئة"، من علَّمها ورتَّبها؟ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللّهُ﴾: من يمسكها لك؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: طالب الإيمان يفكِّر بهذا، إذا فكَّر عرف الحكمة، يرى أن الله تعالى رحيم.

80- ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾: منزلاً تسكن فيه، ونساؤكم؛ نفسكم تبيت وتسكن عندها. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: خيم. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً﴾: فرش، كل شيء وله استعمال، الشعر له استعمال ولا يصنع منه ثوب. ﴿وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾: لا يدوم.

سورة النحل: [81-90]

81- ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً﴾: من الأشجار أعمدة للسقف. الخشب تسقف به. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾: مغاور وتراب تبني به. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾: تمنعه عنك، القطن تصنع منه أثواباً. ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: في الحرب إذا خرجت لردّ أخيك، الدرع يقي من الموت، فلعلَّ هذا البعيد يخاف فيسلم. ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: لكن قلَّ من يفكِّر بفضل الله ويستسلم إليه، "لينيله ويفيض عليه بمطلوبه العظيم".

82- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: بيّن لهم. أنت وظيفتك أدّيتها. ﴿الْمُبِينُ﴾: هذا الكون يشهد أن الله هو الرزّاق، الممد، المربي، يربيك بدلال ونعم.

83- ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: كلهم. ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾: لا يفكّر بها. ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾: ناكرين نعم الله، لا يقدّرونها.

84- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾: على أمّته. ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: لهم بالقول بالاعتذار. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يومها لا يُعاتب، إذ لم يبق له طريق للرجعة، فلا جدوى من العتاب، ما اكتسبه الإنسان في دنياه فهو غاية ما وصل إليه، لن يستطيع أن ينال غير ما ناله في دنياه.

85- ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾: لو دعا لا يخفّف، كلما اعتاد على العذاب ازداد العذاب ليسلو ما في نفسه. ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: "إسعاف سريع".

86- ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾: فردُّوا عليهم. ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: فقالوا: لسنا نحن الذين صددناكم، لكن أنتم اتَّبعتم شهواتكم الخبيثة، فنفسكم الخبيثة هي التي رمتكم وجعلتكم تطيعون كلامنا.

87- ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾: الفريقان، الطرفان. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: رأى خبثه وعمله.

88- ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: نكروا نعمة الله. ﴿وَصَدُّواْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أفسدوا غيرهم. ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ﴾: وزره، ووزر غيره. الله تعالى يداويه على عذاب نفسه الأليم بعذاب النار لينسى ما في نفسه من سفالة وحقارة. ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾: الناس، يعمل أعمالاً يحرّض بها الناس.

89- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: رسول. ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً﴾: يا محمد. ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: الرسل. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: كل شيء تتطلبه موجود في هذا القرآن، اطلبه تجده. الصادق يرى. إذن كل ما جاء من حديث عن رسول الله ﷺ فهو مأخوذ من كلام الله، فالقرآن جاء بكل شيء. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾: به تهتدي، وتنصبُّ عليك الخيرات.

90- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: خلاصة أوامر الله كلها: حتى تسير بالعدل. ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾: وتعامل جميع المخلوقات بالإحسان. فالله تعالى خلق الكون، خلق الخلق، أمرنا بالصوم والصلاة والحج والزكاة لأجل هذا. أمر الله الإنسان أن يسير بالعدل بين الناس، وأن يعامل غيره بالإحسان. ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾: القريب من معرفتك. خلق الله الخلق لتعامل بعضها بالعدل والإحسان، ليكون لهم وجه أبيض يقابلون به الله غداً، ليدخلوا الجنان. وكل من لم يسر بهذا، فلا صلاة ولا صيام له. فـ{الْعَدْلِ}: يكون بأن لا يفضّل الإنسان أحداً على أحد، ولو قريبه أو ابنه. {وَالإِحْسَانِ}: لا فرق بين مسلم وغير مسلم، الإحسان لكل مخلوق. ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾: كلّ محتاج لمعونة أيّاً كان. ومن يعامل أقاربه فقط بالإحسان هذا ليس بمحسن، الإحسان للخلق كافة، فإذا أعطاك الله فكل محتاج قريب منك ولك عرف به فأحسن إليه. المؤمن محسن لجميع الخلق، هذا الذي يستحق الإحسان غداً، والنعيم عند الله.

والآن إن كان كما يقولون: خلق الله تعالى فريقاً للجنّة وآخر للنار فلم يأمرنا بهذه الأوامر؟ ﴿وَيَنْهَى﴾: بإقباله على الله يغنيه ويرضيه "فوق كل عطاء مادي"، فتنتهي نفسه عن الشهوات المنحطة. ﴿عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: المسائل المنحطة، السرقة، الزنا، اللواط، كل ما يستحي أن يطّلع عليه الناس. ﴿وَالْمُنكَرِ﴾: كل ما لا تريده لنفسك، عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، والميسر والخمر والسينما. ﴿وَالْبَغْيِ﴾:

التعدي على الناس. ﴿**يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾: إن صلَّيت... عرفت لمَ أخرجك إلى الدنيا، ففعلت المعروف، هذه أوامر الله تعالى، هذا ما يتطلَّبه تعالى منك، الدنيا تعيشها بسلام وسعادة، وكذلك الآخرة.

سورة النحل: [91-100]

91- ﴿**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ**﴾: كلنا عاهدنا الله أن نأتي للدنيا ولا ننقطع عن الله طرفة عين. الله تعالى متجلٍّ على الكون كله وكل الكون قائم به، لكن أنت لا تحوّل ظهرك. الخلق منهم المقبل ومنهم المعرض، لو أقبل الخلق جميعاً لكملوا واستناروا. ﴿**إِذَا عَاهَدتُّمْ**﴾ صرتم مسلمين، إن كنت عاهدت ربك حقّاً على السير بالحق فأوف بعهدك، فأوفوا بعهد الله الذي عاهدتم به رسول الله ﷺ على السير ضمن أوامر الله. {**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ...**}[2] ﴿**وَلَا تَنْقُضُواْ الْأَيْمَانَ**﴾: ما يأتيك من الخيرات بطاعتك لله. ﴿**بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾ بعد أن تأكَّد لك ذلك أنه حق بما توصَّلت إليه بإيمانك، وعاهدت رسول الله ﷺ أو مرشداً فلا تنقض عهدك. ﴿**وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾: الله مطَّلع عليك بكل عملك.

92- ﴿**وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً**﴾: بعد كل جهد ضيَّعت، امرأة سيدنا نوح عليه السلام مالت لولدها، امرأة سيدنا لوط عليه السلام لقومها، فتراجعتا، وأنت إن استقمت مدة طويلة ثم أغمضت عينك هلكت، أنت ليكن ميلك للحق، ليس لك وجهة إلَّا إلى الحق، سيدنا سليمان عليه السلام لما زاد بجري الخيل خجل، {**وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ**}[3] لو لم يُنِب لظل علمه محجوباً عنه، إن آمنت حقاً فإنك إنما تحسب جانب ربك قبل كل إنسان، "**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً...**"[4]، فاحذر ما يخالف عهدك، احذر بعد أن سرت ضمن الحق أن تتخاذل وتفعل شيئاً مخالفاً. لا تكن لك غاية من الغايات الدنيوية. ﴿**أَنكَاثاً**﴾: تتراجع. ﴿**تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ**﴾: خيركم. ﴿**دَخَلاً بَيْنَكُمْ**﴾: فتعاون قريبك دون البعيد وتفضله، لا تُفضّل أحداً على أحد. ﴿**أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ**﴾: من الخيرات، الصلاة التي قمت بها، ﴿**إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ**﴾: ليظهر حقيقتك. ﴿**وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾: كل ذلك سيظهر لك غداً، الأمور كلها محفوظة عنده تعالى.

93- ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾: بعد هذا البيان وهذه المعاني، أهكذا تقولون؟ لو شاء الله لهدانا ولجعلنا محسنين؟ ﴿**وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ**﴾: أعطاك تعالى الخيار، قادر تعالى أن يسوق الخلق كلهم بطريق واحد، لكن أعطاك الخيار، وستُسأل عن أعمالك، قادر أن يقيّدك، ولكن لا تدخل الجنّة إن لم يكن لك عمل مبني على اختيار منك. ﴿**وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: فإن كان كما يقولون: إنه تعالى جعل هذا للجنّة وهذا للنار، فما معنى هذا السؤال؟

94- ﴿**وَلَا تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا**﴾: نفسك تعرف إساءتها، وأنت أدرى بنفسك، إن سرت مع الحق صار لك وجه أبيض تقبل به على الله، إن ملت عن الحق تتحوَّل عن الله. ﴿**وَتَذُوقُواْ السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: تختزي وتتباعد عن الله، فلا تستطيع أن تصلِّي، قد تكفر. اعمل ما لك فيه نيّة عالية، من حيث تكون نفسك واثقة من أن الله تعالى راضٍ عنها،

---

[2] سورة النحل – الآية:90.

[3] سورة ص – الآية:34.

[4] "...قيل يا رسولَ اللهِ نصرتُهُ مظلوماً فكيفَ أنصرُهُ ظالماً قال تكفُّهُ عن الظُّلمِ فذاكَ نصركَ إيَّاهُ". سنن الترمذي رقم/2356/.

تتراجع نفسك بسبب كل عمل لم يكن ضمن أمر الله، ولو كانت صورته حسنة. ﴿**وَلَكُمْ**﴾**:** في الآخرة. ﴿**عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾**:** فالمؤمن صاحب حق، لا يسير إلَّا بالحق ولو على نفسه.

95- ﴿**وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً**﴾**:** لا تضيّع آخرتك بدنياك، فما عاهدت الله عليه احذر أن تشتري به الدنيا. ﴿**إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾**:** إن نلت الإيمان والعلم عرفت ذلك. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾**:** ترون أن الآخرة خير.

96- ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ**﴾**:** يزول، المال لا بد أن ينفد. ﴿**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾**:** موجود. ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُمْ**﴾**:** إذا لم تمل إلَّا مع الحق رأيت ذلك غداً، وجزاك أجرك. فالله لا يضيع مثقال ذرة. ﴿**بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾**:** على أساس المرتبة الأخيرة التي بلغها، على موجب أحسن عمل لك تنال منزلتك.

97- ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾**:** الإيمان ترافقه النيَّة العالية، يُنتج العمل الصالح، المؤمن لا بدَّ أن يعمل صالحاً، العمل الصالح لا بدَّ أن ينتج عن الإيمان بلا إلَه إلا الله. العمل غير المقرون بالنيَّة العالية لا يفيد. ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾**:** كلما قام بعمل أقبل على الله، فازداد طهارة. وهذه الشهوة إنما هي سبب ووسيلة للإقبال، إذ بمخالفتها إن كانت لا تُرضي الله تغدو ذو وجه أبيض، فتقبل. ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾**:** في الآخرة يعطيك أحسن ممَّا قدَّمت.

98- ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ**﴾**:** لكي تفهم كلام الله. ﴿**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾**:** استعذ لتصبح قريباً من الله تعالى، التجئ إلى الله، فهو قريب منك. ﴿**مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾**:** يهرب الشيطان عنك. اعتز به، ولكن متى تحصل هذه الاستعاذة؟ إن آمنت حقاً أنه قريب، التجأت، إن لم تؤمن بلا إلَه إلا الله قراءتك لا تجديك، لأنك لا تسمع ولا تبصر. فإن آمنت استعذت وفهمت، فشرط القراءة الإيمان.

99- ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾: بلا إلَه إلا الله. ﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾**:** مستسلمين إليه، رأوه معهم، قريباً منهم، يرى الله معه.

100- ﴿**إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾**:** البعيد عن الله كل فعله أذى، وهو شريك الشيطان بالأذى، الشيطان مؤذ، والبعيد هو أيضاً مؤذي بسبب رفقته، رأوا لأنفسهم فعلاً، ورأوا لغيره تعالى فعلاً. فالطبيب له فعل، والحاكم له فعل، ونفسه لها فعل، هذا ما يراه كله، ولو آمن حقّاً لعرف أن الفعَّال هو الله وحده.

سورة النحل: [101-110]

101- ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ**﴾**:** كما في النهي عن الزواج من المشركات: أولاً نهى، ثم أحلَّ ذلك، نهى في حال الضعف، سمح في حال القوة. الآن لا يجوز لضعف المسلمين، إذ يلحق الولد الجهة الأقوى. ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ**﴾**:** إذن: أول الإسلام نهى تعالى عن الزواج بالمشركات، لما كان الإسلام ضعيفاً، خوفاً من انحياز الولد لأمه حيث كان جانبها هو الأقوى، لما قوي الإسلام سمح، لأن الولد ينحاز لجانب أبيه الأقوى. كذا آيات الجهاد والنفقة، لما رأى الكفار هذا السماح تارة والمنع تارة: ﴿**قَالُواْ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ**﴾**:** من عندك، كيف تبدِّل كل يوم آية؟ حيث أنهم لم يفهموا المراد الإلَهي من أوامره.

الآن: لا يجوز الزواج بمشركة أو غير مسلمة لانحيازها لجانب دولتها. ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾**:** ما في الآيات من أوامر، والفرق بينها.

102- ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾: كل آية ولها زمن وحكم. ﴿**لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾: يرى المؤمن الحكمة فيزداد. ﴿**وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾: بقلوبهم إلى الله.

103- ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ**﴾: كما قالوا تعلَّم من الراهب بُحيْرا. ﴿**لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ**﴾ يغطون الحق بالباطل. ﴿**أَعْجَمِيٌّ**﴾: لا يعرف العربية، ذاك لا يفهم ولا يفصِّل معنى الصلاة أو الصوم، ولا الحكمة من الأوامر. لو تعلَّم من ذلك، هل يكون المتعلِّم أعلى من معلِّمه؟ ﴿**وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾: كيف فهم رسول الله ﷺ على الراهب بحيرا الرومي؟ "ما كان الروم يعرفون النطق باللغة العربية التي لا شأن لقومها إذ ذاك".

104- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾: كل من رأى الكون كله فما فكَّر ولا استدلَّ لا يهديه الله، أعمى، أصم، كيف يهتدي؟!، أعطاك الله أهلية عالية، كيف تستدل، من لا يفكِّر فلا يعقل فلا يؤمن بلا إلَه إلا الله لا يصدِّق الحق، المؤمن يرى كلام الله كله ضمن المنطق. ﴿**لاَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: الشرط: الإيمان بلا إلَه إلا الله. إن لم تفكِّر وتستدل فلا جدوى لك.

105- ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾: من لا يؤمن بلا إلَه إلا الله لا يرى الحق، فيكذب. ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾: إذ لم يؤمنوا.

106- ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ**﴾: ما آمن بلا إلَه إلا الله. ﴿**مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ**﴾: بعد أن آمن برسول الله ﷺ أن كلامه منطقي وعالي، وكفر بلا إلَه إلا الله. ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾: بالإكراه، قال ما قال وقلبه مطمئن بالإيمان. ﴿**وَلَكِنْ مَّنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً**﴾: انشرح صدره بالإنكار والكفر. ﴿**فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: هذا الذي ينشرح صدره بالكفر، هو الكافر.

107 - ما سبب كفرهم برسول الله ﷺ بعد أن صدَّقوه؟ استحبوا الحياة الدنيا، وجدوها أحب إليهم من الآخرة، فنكروا. ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾: هؤلاء بسبب حب الدنيا كفروا، فهل هذه الدنيا تدوم لك؟ ستتركها ولا معين لك، ولا تزر وازرة وزر أخرى، الدنيا لا تغنيك، مرضاة الله وحدها هي المعين لك غداً. لو عظَّم نعم الله لما وصل لهذا.

108- ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾: لمَّا امتلأت نفسه شهوات خبيثة، وما آمن بلا إلَه إلا الله، فما فكَّر وما عقل أن الله معه. لو عقل لخاف، ولزال هذا الشيء من نفسه، حب الدنيا استحكم، ولإخراج ما في النفس طبع الله على قلوبهم. ﴿**وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾: فما عاد رأى ولا سمع. ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾: عن النتائج، عن لا إلَه إلا الله، لو آمن بلا إلَه إلا الله لما زاغ قلبه، ولما طبع الله على قلبه. الله تعالى ناظر لكل إنسان، وعلى حسب حاله يعطيه.

109- ﴿**لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ**﴾: إن مات لا يجد بين يديه شيئاً.

110- ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ**﴾: هجرها. ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ**﴾: بها. فتح تعالى لهم الباب. لما رأى ما حلَّ بمن مات وأنه غداً سيموت، فهجر الدنيا. ﴿**ثُمَّ جَاهَدُواْ**﴾: في ردِّها. ﴿**وَصَبَرُواْ**﴾: عنها. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾: يشفيه ويرحمه، فما أوسع رحمته تعالى وحنانه؟ كان متعلقاً بالدنيا وهجرها وردَّها، وصبر على فراقها، يشفى من حبِّها، فانظر حنان الله وعطفه ورأفته، حتى بهذا المنكِر الفاسد.

سورة النحل: [111-120]

111- ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَّفْسِهَا﴾: يومها كل إنسان يلقي الذنب على صاحبه، والحقيقة كل إنسان وميل نفسه وعملها. ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: كل نفس تأخذ حقَّها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: الله لا يضيّع مثقال ذرَّة.

112- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: قوم سيدنا صالح عليه السلام كانوا بوسعة، وكذلك كل إنسان يعطيه الله مالاً وأولاداً، كذلك حال أهل اليمن. ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾: استهوت الدنيا، لا نظرت لفقير ولا مسكين، ما التفتت لجانب ربك. ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾: أهل اليمن جاءهم الطوفان، "فهاجروا إلى المدينة وغيرها"، كذلك الآن شدائد. ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾: يسلب النعمة منهم فلا ترجع، على حسب عملهم.

113- ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾: ذكَّرهم فما عبأوا. ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾: أنفسهم، هلكوا عن بكرة أبيهم. وهكذا حال كل إنسان، يعطيك، فإن لم تفعل المعروف تُسلب منك، ثم الهلاك.

114- ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّباً﴾: مما أحلَّ لك لتطيب نفسك به من الأدران، إن كان من حلال. ﴿وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: إن كنت طائعاً يأتيك الخير، فتشكر الله عليه.

115- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾: لوجود المكروب فيها، لم يخرج بالذبح والتكبير عليه، إذ المكروب موجود بالدم. دمها بقي فيها، وفيه كافة الأمراض والأوجاع. ﴿وَالْدَّمَ﴾: الدم كله مكروب. ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾: نجس وكله أذى وديدان، وما فيه من انحطاط في الخُلُق. ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: الطعام المقدَّم لغاية منحطة دنيئة، أي كل دعوة ليست لله لا تذهب إليها ولا تأكل منه. بالذبح وعند ذكر اسم الله يفور وتهيج نفسه، فيفور دمه ويطهر بخروج دمه منه. وهكذا فالحيوان وعند ذكر اسم الله، يقبل على الله، فيفور دمه ويطهر، وهو لا يشعر بألم الذبح بالتكبير، إن لم يذكر اسم الله تبقى به المكروبات. "لذَّة الحيوان من الدنيا عند ذبحه". ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: كاد يموت جوعاً فأكل. ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: بسبب جوع شديد، فبالجوع يفرز الجسم ما يقتل الجراثيم. ﴿وَلَا عَادٍ﴾: لم يعد مرة ثانية وما به من جوع. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: يشفيه. ﴿رَّحِيمٌ﴾: ويرحمه.

116- ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هذَا حَلَالٌ وَهذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: كمن يستحل الربا بنسبة قليلة، الكشف للنساء وترك الحجاب، الآن يحللون لأنفسهم ذلك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾: بعدها مهما اشتغل لا يفلح، لا دنيا ولا آخرة.

117- ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: في الدنيا، لكنه لا يعيش بسرور، وبعدها: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة.

118- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾: المحرّم عليهم كالمحرَّم علينا، لكنهم زادوا ونقَّصوا وحرَّفوا، لقد نهيناهم عمَّا بيَّناه لك الآن، لكنهم خالفوا فتشتَّتوا في الأرض. هؤلاء بنو إسرائيل، أبناء الأسرة العالية، آباؤهم أنبياء لكن لما شذوا تشتَّتوا واندلُّوا. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: رفعنا شأنهم. ﴿وَلكِنْ كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: لكن لما فعلوا ما فعلوا اندلُّوا. هم حلَّلوا وحرموا. وهذا خطاب أيضاً لنا: إن لم تطع الله، بل خرجت عن الحق، فلك مثل ما أصابهم، أما إذا أطعت رفع الله شأنك.

119- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾: فانظر لحنانه تعالى ورحمته، فالذي أحب الدنيا إن هجرها وجاهد وصبر: ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: إن وقع من الإنسان ما وقع، ورجع للحق وصبر، فالله تعالى شافٍ، رحيم به. "أما إذا تاب العبد ونكث، فإنه يصبح خجولاً فلا يقبل".

120- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: للعالمين إماماً، والسبب: ﴿قَانِتاً لِلّهِ﴾: وجهته لله، قالوا له: نحن على ملَّة إبراهيم عليه السلام لا نرغب باتّباعك، هكذا قال أهل مكة، فردَّ عليهم: إبراهيم عليه السلام كان: ﴿قَانِتاً لِلّهِ﴾: دائم الوجهة إلى الله. ﴿حَنِيفاً﴾: بحب، مائلاً بالحُبِّ إلى الله. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: مع الله في طاعته وحبِّه أحداً، فهل أنتم على ملَّته؟ كذلك الآن أناس يقولون: نحن من أمة محمد ﷺ، فهل أنت سائر على شرعه أم مجرّد قول؟

سورة النحل: [121-128]

121- ﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ﴾: المتواردة دائمياً "على طول"، أنتم هل تشكرون الله على هذه النعم؟ ﴿اجْتَبَاهُ﴾: قرَّبه. ﴿وَهَدَاهُ﴾: بهذا اجتباه، فهل تفعلون أنتم فعله؟ ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الإماميَّة بالأهلية. وكذلك نحن نقول أننا على شريعة "محمد ﷺ"، فهل نسير على شريعته أم نخالف؟

122- ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: الخيرات، نحن لا نضيع أجر أحد. ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: للسعادة الأبدية، لعطائنا، لفضلنا.

123- ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾: أنت كلّك كمال، أنت أيضاً قانت وحنيف، أوحينا إليك أن تكون إماماً للعالمين. أنتم الآن سيروا بهذا.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: كما تفعلون. فقالوا: إن كان إبراهيم قد سرت على شرعه، فهل لم يكن موسى على الحق؟ حتى انقطع قومه عن العمل يوم السبت، فلِم يوافقوا إبراهيم في الجمعة؟ فأجابهم: إنهم أُمروا بالسبت كي يتفرغوا للعبادة لأنهم لم يسيروا، ضعفاء جداً، لا تكفيهم ساعة وساعتين للتفكير كما عندنا يوم الجمعة، أولئك جعل لهم السبت بطوله للتفكير لشدة بعدهم.

124- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾: انقطاعهم عن العمل، كان لليهود. ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾: صاروا نصارى ويهوداً، اختلفوا. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: صاروا فِرَقاً على باطل.

125- أنت: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: الطريق المؤدي إلى الوصول إلى الله. فكِّر صباحاً بالموت، بالقبر والسؤال، فكِّر بمن قبلك، إن فكَّر الإنسان صباحاً سار طول النهار. ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: بالمنطق لا بالتهديد، متى خرجت الدنيا بذكرى الموت اجتمعت نفسك وفكرك، عندها تصل للإيمان بالمربي، فتستقيم... ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: لهم. بيِّن لهم الأمرين أيهما أحسن، كشف الحجاب مثلاً، أم الحجاب؟ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾: عليك التبليغ. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: طالب الهدى يعلمه، مطَّلع عليه.

126- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾: أيها المؤمنون. ﴿فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾: لا تزد، بل بمقدار حقِّك. ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾: وهذا بكل زمان، إن اعتدى أحد عليك لك الحق بأن تعاقبه، إن عاملته بالإحسان هذا كرم خلق منك، عندها يقدِّر عملك، لعلَّه يهتدي إلى الحق. أنت لم تقابله بالمثل، بل بالشيء الأحسن له.

127- لرسول الله ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ﴾: هذا خاص بك يا محمد، أنت اصبر دوماً، فما عامل ﷺ أحداً بعمله، بل كان يحسن للمسيء، كان قلبه الشريف كله عطف وحنان، ورحمة وإحسان. ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾: دوماً أنت مع الله، رسول الله ﷺ بما أنه قوي طلب منه الصبر. ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: كان دوماً حزيناً على الخلق. ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: تدابيرهم ستزول وتنتصر.

128- ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ والَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ**﴾**:** فهو ناصرهم ومؤيِّدهم.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الإسراء: [01-10]

1- ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**﴾: من مكة إلى القدس، سبحانه: ما أعظم شأنه؟ ما أعظم رحمته؟ ما أعظم عنايته بك أيها الإنسان؟ إذا فكَّر الإنسان يرى عظمة الله، عندها يرى رحمة الله به. ﴿**لَيْلاً**﴾: فلماذا؟ ﴿**الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾: أسرى الله تعالى بسيدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام الذي حُرِّم على الكافر أن يدخل منه. وكان ﷺ يصلِّي عن طريق الكعبة، إذ أنه عندما كان يصلِّي صلاة صحيحة من هذا البيت سما وعلا، ولذا أسريَ به ليصلي إماماً بالرسل وبالمؤمنين ممَّن سبق، هذا وعندما صلَّى بهم تولَّدت عنده ثقة أن الله راضٍ عنه، بهذه الثقة عرج بالأنبياء وبالمؤمنين، فآدم ومن دونه صلوات الله عليهم أجمعين كلهم كانوا بمعيَّته.

لمَّا صار له هذا الإسراء ورأى ما رأى من كمال الله فصار له حب وهوى إلى الله. قال تعالى: {**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**}[1] وبهذا قدَّر الحضرة الإلٓهية: فألقى تعالى في قلبه القرآن.

قال تعالى: {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**}[2] فرأى ما رأى من آيات ربِّه الكبرى، وما كان ذلك جزافاً، بل لأنه كان سميعاً بصيراً.

﴿**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾: كان الرسل يقبلون من القدس ويصلُّون لله، وكثير من بني إسرائيل تفضّل الله عليهم هناك بالإيمان، وكثير من المؤمنين منهم ارتقوا فغدوا أهل إحسان، أهل تقوى. هؤلاء الرسل الذين كانت أرواحهم مقبلة من بيت المقدس لمَّا صار الإسراء ارتبطوا جميعاً به ﷺ وعرج بهم، وجاء إلى مكة، فغدت الأنفس المؤمنة كلها مقبلة مرتبطة مع هذا الإمام الذي فضلناه على جميع الخلق. ﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾: ليرى عطفنا وحناننا، آياتنا الدالَّة على رحمتنا وعطفنا على عبادنا، عندها سما ﷺ سمواً عالٍ فغدا قاب قوسين. ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**﴾: حيث كان سميعاً لأوامر الله. ﴿**الْبَصِيرُ**﴾: بصيراً بنور الله، أُسري به ونال هذا الحال العالي. ﴿**السَّمِيعُ**﴾: كلام كل واحد وكل مخلوق، ﴿**الْبَصِيرُ**﴾: وبصير بحاله، أعطاه هذا المقام بناءً على أهليته. رسول الله ﷺ وعندما صار بهذه الأهلية سيَّده تعالى على جميع العالمين. فالصلاة إنما تكون عن طريق الكعبة، بذا تجد إمامك رسول الله ﷺ، تسمع منه كلمة الحمد لله رب العالمين... فتدخل بمعيَّته على الله، فترى معاني القرآن.

(والشدائد إنما تتم كي تخرج الدنيا من القلب، متى خرجت رأى الإنسان عيوبه، إن رآها التجأ إلى الله: شُفي) فمن الفرض على الإنسان أن يكون في صلاته مع رسول الله ﷺ إمام العالمين.

الثقة أساس، بنيَّتك الطيبة توفَّق للعمل الصالح، فتحصل لك الثقة وتقبل.

2- ﴿**وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾: التوراة قبله بهذا المسجد. ﴿**وَجَعَلْنَاهُ**﴾: هذا الكتاب "التوراة". ﴿**هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً**﴾: أنا الفعَّال. الله تعالى بيده الرزق، هو الفعَّال لا تؤمن بغير

---

[1] سورة النجم – الآية:1.
[2] سورة القدر – الآية:1.

هذا، لا إلَه إلا الله، أنت تختار والله الفعَّال. لا تستسلموا لغير الله، الله يدلّك على طريق السعادة، لا يمكن للإنسان أن يصبح إنساناً إلّا بالتقوى، وهذه لا تكون إلا بالإيمان بلا إلَه إلا الله.

من هم بنو إسرائيل؟

3- ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**﴾: هؤلاء من ذريَّة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام، موسى عليه السلام أحد أبناء هذه الذرية لكن: ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً**﴾: نزَّلنا عليه هذا الكتاب. أصلح نيتك كي يرفع الله شأنك دنيا وآخرة.

4- ﴿**وَقَضَيْنَا**﴾: حكمنا وبيَّنا. ﴿**إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ**﴾: إن لم تدخلوا من باب موسى عليه السلام عليَّ ولم تسيروا ضمن أمري: ﴿**لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾: إن تركتم لا إلَه إلا الله، ملتم لغير الله، ما آمنتم بالله: ستميلون للدنيا وتجعلون الناس يميلون إليها، سيكون هذا مصيركم.

كذلك يحصل للإنسان ضيق وبكل حين، أو رؤيا مذكِّرة، لعله يعود ويتوب فيريه الله العلّة التي بنفسه. إن لم ترتبطوا بموسى عليه السلام وتطبِّقوا كلامي سيحصل معكم هذا الشيء وتفسدون مرتين. ﴿**وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾: حيث أن قلبهم ممتلئ بالخبث.

إن تباعدتم عن الله ولم تعظِّموه ولم تدخلوا من باب موسى عليه السلام سيقع بقلبكم حب الدنيا وستعلون بها.

5- ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا**﴾: سيكون هذا لكم: الفساد الأول. ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾: وقد فسدتم، وهذا وقع لمَّا تسلَّط عليهم "بختنصَّر". ﴿**فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ**﴾: فجاؤوا لتأديبكم، وحصل لكم ما حصل. ﴿**وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً**﴾: هذا الخطاب لليهود في عهد رسول الله ﷺ، ذكَّرهم الله بما جرى لهم. ثم تبتم ورجعتم والتجأتم، وعاهدوا فجاءهم سيدنا داوود عليه السلام.

6- ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ**﴾: بعصر داوود عليه السلام، وانتصر سيدنا داوود على العدو ورفع الله شأنهم، فأعطيناكم مالاً وأولاداً. ﴿**وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً**﴾: صار لكم مقامكم العالي. الآن أرسلنا لكم محمداً ﷺ ومعه القرآن، فخاطبهم تعالى:

7- ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ**﴾: الآن قد حصل لكم يا بني إسرائيل أولاً ما حصل، ولكن إن أحسنتم وآمنتم به، فتبتم ودخلتم من باب محمد ﷺ عليَّ حوَّلت عنكم البلاء، خلصتم منه. ﴿**وَإِنْ أَسَأْتُمْ**﴾: ظللتم على ما أنتم عليه. ﴿**فَلَهَا**﴾: ستحصل لكم الثانية. ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ**﴾: الوقعة الثانية. ﴿**لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ**﴾: ستستاؤون كما حصل لكم زمن "بختنصَّر" إذ سنرسل لكم هؤلاء المؤمنين، في المرَّة الأولى اليهود يغْلِبُونَ، في الثانية النصر حتماً للمؤمنين: ﴿**وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً**﴾: لا يبقون لكم أثراً بل يقطِّعونكم تقطيعاً. وهكذا فالله تعالى يرسل على الإنسان إن فسد "ضربة" فيرجع إلى الله فيعطيه الدنيا مرَّة ثانية، فإن نكل جاءه الهلاك ولا مفرَّ منه.

8- ﴿**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ**﴾: إن تبتم، الآن بعهد محمد ﷺ، إن تبتم رفعت عنكم الشدائد، هنالك أناس سيؤمنون. ﴿**وَإِنْ عُدتُّمْ**﴾: للمعارضات. ﴿**عُدْنَا**﴾: لتأديبكم. وهذه عامة لكل إنسان. ﴿**وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً**﴾: تحصرهم.

9- ﴿**إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ**﴾: الذي أنزلناه على رسولنا في ليلة القدر يوم أسريَ به. ﴿**يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾: للبشرية، أهدى وأقوم وأمثل طريق. خلقك تعالى للسعادة لتعيش في الدنيا سعيداً وفي الآخرة سعيداً. ﴿**وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: دنيا وآخرة. ﴿**الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ**﴾: الصالح للإنسانية، المثمر له دوماً

يؤتي أكله كل حين بإذن ربه، إذ لا شائبة فيه لأن غايته بعمله وجه الله، ونتاج هذا العمل يديمه الله له على الحرث والنسل إلى يوم القيامة، المؤمن حقاً يعمل الصالحات، يرى السعادة في الأعمال الصالحة، الصلاة كلها وسائل للعمل الصالح، لتكون من أهل الإحسان. ﴿**أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾: لا نهاية ولا حد لهذا العطاء.

10- ﴿**وأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ**﴾: لكنك ستترك الكل، أنت لاهٍ في الدنيا فهل أنت مؤمن بالآخرة؟ لست بمؤمن ولا بمفكر بها، المؤمن ليس هذا عمله. ﴿**أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾: المؤمن بها حقاً يستقيم، فلا يشذ أبداً.

سورة الإسراء: [11-20]

11- ﴿**وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ**﴾: يتطلّب ما فيه شر عليه. ﴿**دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ**﴾: أنت تتطلّب السيّء المؤذي لك وتحسبه خيراً؟ قبل دعائك فكِّر، انظر النتائج لما تطلبه، أين تفكيرك؟ ﴿**وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً**﴾: كما خلقك شيئاً فشيئاً، فكِّر. أقبل واستنر ولا تستعجل بطلب الأشياء قبل رؤية حقائقها.

12- ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ**﴾: تتابعهما يدلُّك على الله، لكي تؤمن فكِّر بهما، فكِّر بهذا: من الذي يدير الكرة الأرضية؟ ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾: كيف صار ذلك؟ ألا تفكِّر به؟ ﴿**وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**﴾: هذا النظام البديع، هل حصل هذا بذاته؟ أم له ربٌّ مسيِّر مدبِّر؟ ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً**﴾: ما تركنا لكم شيئاً إلَّا وبيّناه. الكون كله ضمن نظام وقوانين وأعطيناكم فكراً.

13- ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ**﴾: كل إنسان وعمله مرافق له. ﴿**فِي عُنُقِهِ**﴾: وكل واحد وجرمه على عنقه. فاسم العمل طائر، كان ذنباً عالقاً بنفسه، فلما باشر العمل طار منه. ﴿**وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً**﴾: بكل أعماله صغيرها وكبيرها.

14- ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ**﴾: لا يظلم الله تعالى أحداً، أنت احكم على نفسك بنفسك. ﴿**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾: أنت احكم على نفسك وما تستحق: هذا طريق الجنة للعطاء، وهذا طريق النار للعلاج. الصحيح السليم يختار قافلة النزهة، والمريض العليل له المستشفى.

15- ﴿**مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾: السعادة له لا لغيره، عائد ذلك عليك، خيرك عائد لك. ﴿**وَمَنْ ضَلَّ**﴾: عن الطريق الحق. ﴿**فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**﴾: أذاه يرجع عليه، وإن عملت خيراً فلنفسك. ﴿**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾: كل إنسان وعمله له، ما أحد بحامل عن أحد شيئاً، وكل واحد وحمله على كتفه. ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾: في كل زمان وعصر لا بدَّ من مرشد، ودوماً هناك ملَك يناديك: أن يا عبد الله فكِّر ببدايتك ونهايتك. إن فكَّرت واتَّعظت وصدقت بطلبك وفكّرت بالكون رأيت المربي ولا إلَه إلا الله، عندها تستقيم فلا مدخل للشيطان عليك، وتقبل على الله فتنال الكمال، وتعرف هذا الرسول فيبلِّغك كلام الله. والإنسان له ملَك، لمَّا تأتيه الشدائد يذكِّره المَلَك ويناديه. إن لم تفعل ما سبق لا تصدّق هذا الرسول، أما إن فكَّرت وسلكت الطريق صدَّقت الرسول، فيعرج بك إلى الله، فترى الحق.

16- ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً**﴾: استحقت الهلاك. ﴿**أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا**﴾: من رحمته تعالى يسلِّط عليهم المترفين. فمتى امتلأ قلبهم بالخبث لا نهلكهم مباشرة، بل نخرج لهم خبثهم من أنفسهم، وذلك بأن يزيِّن لهم أهل الترف الخبث، فيلحقون بهم فيخرج خبثهم. ﴿**فَفَسَقُواْ فِيهَا**﴾: جاروا في الحكم على

الرعيّة، فإن لم يرجعوا جعلناهم ليقتدي الخبثاء بهم، فيخرج خبثهم. ﴿**فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ**﴾**:** بعد أن خرج خبثهم. ﴿**فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾**:** لم نُبقِ لهم أثراً.

17- ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ**﴾**:** كم جاء من أقوام فسدت وهلكت. كلهم استهووا الدنيا، بنوا ما بنوا، وفعلوا ما فعلوا. ﴿**وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**﴾**:** عليم بكل إنسان. العالق بأنفسهم مشاهَد بأجمعه عند الله، فامحُ ما بنفسك بالإقبال على الله، ستهلك إن لم تمح ذلك من نفسك.

18- ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ**﴾**:** الدنيا. ﴿**عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُّرِيدُ**﴾**:** قد يطلب ولا نعطيه، إن كان لديه إمكانية للرجوع والشفاء، أما من تعلَّقت في قلبه وأصبحت مستحكمة ولم تكن له جدوى، هذا نعطيه. ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً**﴾**:** على وجهه.

19- ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا**﴾**:** الجنة بالعمل لا بالدعاء، فمن فكَّر واستدلّ على لا إلّه إلا الله "فصلّى واستمسك بأهل الحق" فدخل معهم على الله، فعندها يشاهد ويسعى. ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾**:** إن لم يكن مؤمناً لا يسعى، إن لم يكن مؤمناً فسعيه بطّال. ﴿**فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُوراً**﴾**:** عند الله.

20- ﴿**كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ**﴾**:** الكل عند الله واحد، وكل امرئ يعطى على حسب سعيه {**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**}[3] ﴿**وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**﴾**:** ما تطلبه تجده.

سورة الإسراء: [21-30]

21- ﴿**انْظُرْ**﴾**:** أيها الإنسان. ﴿**كَيْفَ فَضَّلْنَا**﴾**:** في الدنيا. ﴿**بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾**:** كيف أنَّ كل أناس بمقام، وزير، خادم، وفي الآخرة أيضاً درجات، كل على حسب سعيه. ﴿**وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ**﴾**:** منازل. ﴿**وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾**:** دائمية متزايدة على طول.

22- ﴿**لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ**﴾**:** هو وحده الفعَّال، لا تشهد معه غيره. ﴿**فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً**﴾**:** عند الخلق، يزول عزّك وجاهك، وتنحط، وكل المخلوقات تذمُّك وتحتقرك. ﴿**مَّخْذُولاً**﴾**:** بنفسه، بحاله، وهذا سبب أن الإنسان يتطلّب النار. إن صرت مؤمناً اسمع كلام ربك وحده.

23- ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ**﴾**:** لا تسمع إلَّا كلامه، ولا ترضَ قولاً غير مطابق لكلام الله. النبي مُحاط، يعرف ما حوله، لكنَّه لا يعرف الكون، أما الله فهو المحيط بالكائنات كلها، فكلامه لا باطل فيه قطعاً. ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾**:** نظير خدمتهما لك. ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ**﴾**:** متضجِّراً. ﴿**وَلَا تَنْهَرْهُمَا**﴾**:** بوجههما. ﴿**وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**﴾**:** حسناً. لو لم يكن لهم حب، عليك أن تؤدي لهم واجبك.

24- ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾**:** التي بقلبهما عليك. الخدمة: للوالدين، للمرشد، وللضيف. ﴿**وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾**:** من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

25- ﴿**رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُواْ صَالِحِينَ**﴾**:** نيَّتكم عالية وعملكم. ﴿**فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾**:** إن كان عليك من الماضي شيء فرجعت إلى الله آيباً، فإنه تعالى يشفيك ويمحو من نفسك ما قد أخطأت به من قبل. وصاحب النيّة العالية بنيَّته يُقبل على الله فيُشفى.

---

[3] سورة الحجرات – الآية:13.

26- ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾: الله تعالى يبين لنا حصّة الفقير أين هي، فيا أيها الغني ليس المال الذي عندك هو ملكك، الله تعالى جعلك وكيلاً وجعل حصة الفقير عندك، فإذا بخل الغني سحبه الله منه، هذا المال الذي لديك إنما هو حق أقاربك، الفقراء، أعطهم حقَّهم. ﴿**وَالْمِسْكِينَ**﴾: العاجز عن العمل. ﴿**وَابْنَ السَّبِيلِ**﴾: المار في الطريق فانقطع. ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً**﴾: لا تلقِ مالك هنا وهناك، لا تلقه من دون تفكير، المال الذي أعطاك الله إياه ليس مالك لتصرف منه في البذخ والترف والفساد.

27- ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ**﴾: الذي يزخرف. ﴿**كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾: الذي يبذخ في المال ويصرفه في غير مواضعه أخو الشيطان، إذ يزين الفساد للناس، والمبذر كذلك يصرف المال فيزين الفساد للناس، يفسد الناس، شراء أمتعة زائدة، أبنية زائدة، هذا كله تبذير وهو من إخوان الشياطين؛ لأنه يزيّن الفساد كالشيطان. ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً**﴾: لا يعرف عظمة الله، فمن كفره صار بهذا الحال. كذلك الذي يفعل هذا الفعل، فمن كفره فعل ذلك.

28- ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ**﴾: لأمر يقتضي الإعراض. ﴿**ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوهَا**﴾: لهم، تعرض عن أمك، إخوتك، أقاربك، أو المسكين في إعطاء شيءٍ من المال خوفاً أن يصرفوه في الحرام رحمة بهم، إذا أعطيتهم وفسدوا فلا مانع من حرمانهم. ﴿**فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً**﴾: بلطف لا تعطهم، وقابلهم بالكلام الليّن الحسن، "الإنسان مسؤول عن كل شيء".

29- ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ**﴾: لا تكن بخيلاً، ولا تمسك المال عن أرباب الاستحقاق، أنت أمين صندوق لا تقتر على عيالك ونفسك، وتحرمهم أيضاً من حاجاتهم. ﴿**وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾: لا تعطه حقه وحق غيره، ولا توزع كل مالك فتعطي مالك كله للفقير. ﴿**فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً**﴾: تقعد لائماً نفسك متحسراً، تظل عاطلاً عن العمل، فلا يستفيد منك الفقير ولا غيره من ذوي الحقوق. السبب: أنه قد يتعرض هذا الإنسان لمداواة من الله، فيتحسَّر على أنه أنفق كل ماله.

30- ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من شاء يعطيه. ﴿**وَيَقْدِرُ**﴾: بمقادير، كل واحد بحسبه يعطيه بمقدار ما يناسبه، ولكن الطلب لا يكون بالأماني بل بالسعي. والمؤمن إنما يطلب الدنيا لفعل المعروف فيعطيه الله أيضاً. ﴿**إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**﴾: يعطي كل امرئ على حسب حاله، وما يناسبه، بحسب علمه تعالى بعباده يعطيهم.

سورة الإسراء: [31-40]

31- ﴿**وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ**﴾: بالإجهاض، قديماً كانوا يقتلون أولادهم وكما يفعل الناس الآن، يرسل بناته أو بنيه للمدارس الأجنبية التي تخرجه عن دينه، يرسلونهم إلى بلاد الكفار ليتعلموا خوفاً عليهم من الفقر. أو يشرب دواءً مسقطاً للحمل. ﴿**نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم**﴾: الرزَّاق هو الله، رزقك على الله الذي خلقك يرزقك ولا ينساك. ﴿**إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً**﴾: عليكم غداً، هذا الطريق الذي اختاروه لبنيهم هلاكه وخسرانه عليهم مريعٌ لا يطاق.

32- ﴿**وَلَا تَقْرَبُواْ الزِّنَا**﴾: كل ما يجرُّ للزنا، الكلام، الغناء، المصافحة، السينما، "الراديو" المذياع، النظر للنساء، اللمس، كله زنا، فالعين تزني، الأذن تزني، اليد تزني، هذا إذا قرَّبت عليه أوصلك للزنا، العين تقرّب، الأذن تقرّب، المصافحة تقرّب للزنى، احفظ عينك، سمعك، يدك، قلبك. ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً**﴾: سيِّء منحط. ﴿**وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾: للولد يؤذيه، يوصلك للطريق المنحط للنسل، ويمشّيكم للمحل الذي تضرّرون به.

33- ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ﴾: أيَّ نفس. ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ﴾: حتى الحيَّة والنملة. ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً﴾: من الخلق. ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِّي الْقَتْلِ﴾: الولي بقتل القاتل، القريب له حق بأخذه حقه من القاتل، ولا يجوز له أن يمثل بالقاتل، فمن أخذ بحقه عليه ألا يتجاوز الحدَّ. ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾: عند الله غداً إن مثَّل بالقاتل، إن جرْتَ على القاتل سنأخذ له حقَّه. ﴿مَنْصُوراً﴾: هذا الشخص الذي أخذت بثأرك منه إن كان قتلك إياه ظلماً.

34- ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: احفظ له حقَّه وماله، شغِّل له ماله بخيره، لا تشاركه إلا لتدير ماله بمصلحته. ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ﴾: لا تخن. ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾: بالأزل وبكامل الاختيار "القبول". حينما تسلمت ماله أعطيت العهد بأن ترعاه في مصلحته.

35- ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ﴾: البيع والكيل. ﴿وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: للطرفين الميزان بالعدل. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾: لك. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾: مردّاً عليك. يرجع عليك بالخيرات.

36- ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: شيئاً. ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: لا علم لك به عن الله لا تتبعه قبل أن تتحقَّق من مطابقته لكلام الله، تحقَّق بالحديث من حيث مطابقته لكلام الله، لا تنقل ما لم تُحقِّق. ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾: عنه. قبل مباشرة العمل فتِّش عن مطابقته لكلام الله. الإنسان يُسأل، إذن لا تسمع قولاً من أحد، ولا تسر بعمل لا علم لك به من حيث مطابقته لكلام الله. يقولون الوجه ليس بعورة، والربا بنسبة قليلة لا مانع، وهذا خلاف كلام الله، ارجع دوماً لكلام الله.

37- ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾: حسب هواك. للحياة قوانين، للأرض قوانين وأنظمة فلا تسر على حسب هواك. هل خلق الله الإنسان سدى؟ فالذي خلق الكون كلَّه وجعل له أنظمة، أما جعل لك نظاماً؟ الكون كله لك وأنت أليس لك قانوناً؟ أما وضع لك قانوناً؟ أين هو هذا القانون؟ ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: مهما فعلت، فمهما عظُمت لن تخرج منها، أنت فيها مهما كبرت وعلوت. ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾: عمراً، مهما عشت لن يكون عمرك مثل عمرها. فمهما علوت ستموت، لا بدَّ لك من الموت، ستقف غداً بين يدي ربك يسألك عن عملك.

38- ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾: لا يريده لك، بل يكرهه لك، إذ للسعادة لا للشقاء خلقك. لا يريد لك الشيء الذي يعود عليك بما يسوءك، لا يريد لك إلَّا الخير، هذا كله مكروه عند الله لا يريده لك. لم يقدّر عليك الضلال كما يقولون، بل يكره لك ذلك.

39- ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾: لمَّا أُنزل عليه القرآن. ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾: أيها الإنسان. ﴿مَعَ اللَّهِ إِلهاً آَخَرَ﴾: مسيِّراً فعالاً آخر، لا فعل لأحد ولا قوّة إلَّا بإذن الله، لا أنت ولا أحد له فعل من دون الله، الله تعالى قال لك: يا عبدي هذا طريق الخير، وهذا طريق الشر، اختر الخير، احذر من الشر، إن اختار الخير ساقه إليه وبالعكس. ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً﴾: بذاتك تلوم نفسك. ﴿مَّدْحُوراً﴾: مخزياً تدحر نفسك إليها، فهل عندك ثمَّة دليل على كلمة لا إلَه إلا الله؟ هل عقلت هذه الكلمة؟ إن عقلت استقمت، فهل عندك دليل على هذا الإيمان؟ كيف توصَّلت إليه؟ هل فكَّرت وعقلت؟

40- ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾: كما كانت قريش تقول وادّعى مشركوها. ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثاً﴾: هل هذا منطق أنه جعل الملائكة بنات له وخصَّكم بالذكور؟ ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً﴾: نتائجه عليكم، يهلككم هذا الزعم.

سورة الإسراء: [41-50]

41- ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ**﴾: لكي يفكِّروا. كل هذه الآيات والأمثلة لتفكِّر: انظر بدايتك، نهايتك، الحياة ما المراد منها؟ لا تمشِ من دون تفكير، ومن لا يفكِّر لا جدوى له. ﴿**وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً**﴾: كل من لا يفكِّر يعترض على الله، وينسب إليه نِسَباً لا تليق.

42- ﴿**قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ**﴾: أن هناك أشخاصاً لهم فعل لكانوا قرَّبوكم ووصلوكم إلى الله فصرتم إنسانيين، لو كانوا وسطاء لوصلوهم إلى الله. ﴿**إِذاً لَّابْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**﴾: الذي يوصلك إلى الله هذا مرشد صادق.

43- ﴿**سُبْحَانَهُ**﴾: ما أعظمه. ﴿**وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾: قول لا مستند له ولا أصل.

44- ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾: كلها تسبح في فضله وتحتاج إليه وتستمد منه، كل ما في الكون، كل ما في السماوات والأرض يستمدُّ من الله تعالى من دون شعور، هل تستطيع أن تبقى من دون هواء؟ ﴿**وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾: كلها تسبِّح بفضله مستمدَّةً منه. كل شيء يسبِّحه تعالى. ﴿**بِحَمْدِهِ**﴾: بما يُحمد تعالى عليه، هذا يمرضه، وهذا يفقره و... ﴿**وَلكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾: لماذا يسوق لهم هذه الأشياء؟ ولكن الكل يُحمد عليه. فكل شيء في الكون يطلب الحياة من الله، وكل الكون به قائم، هو الحي القيُّوم. ﴿**إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً**﴾: عليكم، حليم عليك ليغفر لك. ﴿**غَفُوراً**﴾: بهذا الشيء يشفيك. فهو تعالى أحقُّ وأحنُّ من الأم والأب والولد، سترى غداً فضله عليك، وستحترق بنفسك على عملك ولؤمك وإعراضك: هذه جهنم التي تحملك لأن تلقي بنفسك في النار.

45- ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ**﴾: إذا بيَّنت لهم هذا البيان العالي. ﴿**جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً**﴾: موجود لكنه خفي. فكل من لا يفكِّر ولم يخطر الموت بباله هذا الذي تميل نفسه للدنيا ويتمسَّك بها، فلا يسمع الحق، إذ تقف دنياه في وجهه، وبما أنه لا يؤمن بالآخرة فلا يمكنه فهم القرآن، إذ أن قلبه مملوء بالدناءات وتلزمه المداواة، فالإيمان شرط.

46- ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾: غطاء. ﴿**أَنْ يَفْقَهُوهُ**﴾: كي تخرج شهوتهم، عندما تملأ الدنيا قلبه فيجعل على قلبه أغطية، ولا يرى ما وراء الشهوة حتى يخرجها الله تعالى له. ﴿**وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً**﴾: ثقل، سدّاً. ﴿**وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً**﴾: لا يحبون سماع الحق. يستر عنه وله ما وراء عمله من آلام، ليخرج له ما بنفسه. فالشرط الإيمان بلا إلَه إلا الله، وأن تعرف أن هناك آخرة.

47- ﴿**نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ**﴾ فالله تعالى يعلم كل إنسان ويعلم ما في نفسه. ﴿**إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى**﴾: مع الشيطان وللدنيا، يخاطبهم الشيطان ويزين لهم، لأنه بعيد عن الله، وحب الدنيا قد ملك قلبه. ﴿**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً**﴾: يتخيل الأمور وينطق بها على غير هدى.

الظالم لنفسه يقول: هذا محمد يتخيل تخيلات ويقولها لنا، إنما يرى الحقائق من هو مع الله، فهو يقدِّر ما يسمعه، كلما ازداد الإيمان زاد سماع الحقائق، وكلما لحقت الدنيا تباعدت وصممت. فانظر يا إنسان، ما نهاية الدنيا؟ مهما عشت... مَنْ قبلك؟ أما ماتوا؟ فكِّر بهذا. جعل الله تعالى لك ترتيباً عالياً، إذ جاء بك من طريق قذر لمَّا ولدت كيلا تتكبر، وجعل نهاية الحياة الموت لتفكِّر فتحْذر.

48- ﴿**انْظُرْ**﴾: البعيدين عن الله بعد هذا البيان كله ماذا قالوا؟ ﴿**كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ**﴾: بها. ﴿**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾: إلى الهدى بدونك يا رحيم، إن لم يؤمنوا لا جدوى لهم.

49- ﴿**وَقَالُواْ**﴾: بعد هذا البيان كله أجابوا: ﴿**أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً**﴾: هذا ممكن؟ هذه النقطة لو فكَّروا بها لوصلوا. بل لم يفكِّر بأصله كيف رُبي في بطن أمه؟، وكيف نما؟

50- ﴿**قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً**﴾: صلباً، (صلبين)، مع ذلك يعيدكم إلى التراب.

سورة الإسراء: [51-60]

51- ﴿**أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**﴾: لو صرت مهما صرت، ومهما بنفسك تعاظمت وتكبرت فلا بدَّ لك أن تموت، والموت لا بدَّ لك منه، وأن تعود تراباً، ثم تعاد للحساب على كل ما اقترفت. ﴿**فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾: أصلك من تراب، ثمرة، نطفة، علقة، مضغة، جنين، تسعة أشهر، ثم نزلت للدنيا، جعل لك الحليب في الثدي، من جلبه؟ الأسنان، نمَّاك شيئاً فشيئاً ووصلت لحدّ توقفت، ثم تتنازل، فلماذا توقَّف نماؤك؟ لو لم تكن يد لدام بك النماء إلى ما لا نهاية ولما تنازلت. يعيدك الذي فطرك. الله تعالى قادر أن يجعل الناس كلهم يُخلقون دفعة واحدة، ويموتون معاً، لكنه جعل هذا الترتيب لتنظر ببدايتك ونهايتك، فتصدّق بطلب الحق فيريك إياه، ولترقى بأعمالك في منازل القرب والسمو.

لو كانت نفسك مرتبطة مع فكرك لعقلت مما ترى، ولكن وطالما أن أذنك تسمع سماعاً فلن تعقل. جعل الله تعالى هذه الآيات كي تخاف النفس فتلتجئ لفكرها، عندها تصدق، فتنظر بالقمر فترى ما فيه، لو نظرتَ بعدها بأي شيء كان لاهتديت. كافة هذه الترتيبات رتَّبها لك رب العالمين إكراماً لخاطرك لكي تفكِّر وتهتدي، فتعمل الخير، وتأتي أبيض الوجه فتتنعَّم. ﴿**فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً**﴾: بكل ساعة الإنسان معرَّض للموت.

52- ﴿**يَوْمَ يَدْعُوكُمْ**﴾: يوم القيامة. ﴿**فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ**﴾: كل مخلوق سيحمده. كلكم تحمدونه على ما سيَّركم به، إذ يعطي لكل إنسان ما يناسبه. المريض بحاجة إلى دواء، أما الصحيح فلشيء طيّب. ﴿**وَتَظُنُّونَ إِنْ لَّبِثْتُمْ**﴾: في الدنيا. ﴿**إِلَّا قَلِيلاً**﴾: فيها. الدنيا بستان له بابان، لا تسر في الدنيا بالظلمة، خذ نوراً، وخذ الكتاب الدليل فبه تهتدي، أما إن سار بالظلمة من دون اهتداء بالكتاب، فإنه يأكل الضَّار والنافع فيمرض.

53- ﴿**وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾: إذا أرادوا هداية إنسان فليحسنوا القول وليلّنوه. يعلمنا الله تعالى أن البشر كلهم إخوة، فإن كان أخوك جاهلاً خاطبه بشيء يناسب مفهومه لتستميله، فيقبل عليك ويهتدي معك. الله يعلمنا كيف يتوجَّب علينا أن نخاطب بعضنا، إذا استسلم إليك عندها تستطيع أن تفهِّمه، لا تمزح بما فيه الخروج عن الحد الإنساني. ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ**﴾: يوقع بينهم البغضاء. ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً**﴾ أبان عداوته لأبيك آدم عليه السلام وذريته.

54- ﴿**رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ**﴾: إن صارت نفسك بإقبالك بعد إيمانك أهلاً للرحمة نزلت عليها الرحمة. ﴿**أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ**﴾: أما إن كانت نفسك عن الله بعيدة فهو يسوق لها البلاء لإخراج ما فيها رحمةً بها. فعلى حسب حالكم. ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً**﴾: هو المتكفل، لست مسؤولاً عنهم، نحن أعلم بكل إنسان وما يناسبه.

55- ﴿**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: كل ما فيهما الله تعالى به عليم. ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**﴾: كلٌّ على حسب حاله. فكلٌّ على حسب درجته أعطاه. ﴿**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**﴾: ويحكى أن داوود عليه السلام كان سقَّاءً ولكنه بإقباله فهم، وبأهليته أعطاه ما أعطاه.

56- ﴿**قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ**﴾: الله. ﴿**فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً**﴾: من يرفع عنك. فإن كان الإنسان معتمداً على أحد مما سوى الله فهل يستطيع أن يدفع أو يحوّل عنه بلاء أو شيئاً من الأشياء؟

57- المؤمنون: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**﴾: ربَّهم حقّاً. يدعون الله وإلى الله. ﴿**يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**﴾: يقبلون على الله بصحبة رسوله لقربه منه. يرتبط برسول الله ﷺ ليقبل معه على الله. ﴿**أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾: أقرب واحد يرتبطون به، يتوسلون إلى الله بالقريب أكثر، من هو بهذا الزمان وبعد رسول الله ﷺ؟ فأقرأ شخص، وأعلم وأفهم إنسان، وأفقه امرئ يُنتخب إماماً، ليدخل المصلُّون بمعيَّته، وهذه هي الشفاعة والوسيلة، يدخل الإنسان على الله بمعيَّة رجل مؤمن، **{فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي}**[4] تجمع نفسك بنفسه وتقبل معه. ﴿**وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ**﴾: رحمة الله. ﴿**وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً**﴾: عندهم.

58- ﴿**وَإِنْ مَّنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾: كل من شذَّ عن الحق لا بدَّ له من يوم، هذا قانون. كل أمة لا بدَّ لها من الهلاك أو العذاب الأليم لعلها ترجع. ﴿**أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً**﴾: يجب على الإنسان أن يبحث ويتتبَّع من سبق، ماذا حلَّ بهم لما ظلموا وشذوا؟ أرسل لهم تعالى بلاءً وشدائد وأمراضاً. ﴿**كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً**﴾: قانون لا بدَّ منه. سنَّة متَّبعة.

إذن يبيّن الله تعالى لنا أن هناك قوانين: فالقرية التي تعمُّ فيها السفالة والرذائل يهلكها الله برمَّتها، والقرية التي فيها أناس وأناس يضيّق الله تعالى عليها علَّهم يعودون إلى الصواب. فالله هو الفعَّال: إن كنت تريد سعادة الدنيا والآخرة فكِّر إلى أن تتعرَّف على الله، كل امرئ ينال حقَّه، أما هذه الشدائد التي يسوقها للإنسان فإنما هي حباً به لعله يعود للصواب.

59- ﴿**وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ**﴾: لم نرسل الآيات إذ كذَّب بها الأولون. وكانوا قد طلبوا معجزات من رسول الله. ﴿**إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ**﴾: فهلكوا لما أصرُّوا على عنادهم، ولذلك وحلماً من الله عليكم لم يرسل آيات لكم، كيلا تكذِّبوا فتهلكوا. ﴿**وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ**﴾: إذ طلبوها. ﴿**مُبْصِرَةً**﴾: ناقة حيَّة، فكما لم يؤمنوا بها أهلكناهم. ﴿**فَظَلَمُواْ بِهَا**﴾: ما آمنوا، بل عقروها وظلموا أنفسهم بذلك، فهلكوا. فالآية لا تجعلك تؤمن، لكن فكر بالبداية حتى تهتدي. آخر علاج: متى طلب المعجزة وكانت قضيته قد انتهت فإنه يُعطى المطلوب ويهلك. ﴿**وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً**﴾: لعل الإنسان يفكِّر، إن لم تخف ويجتمع فكرك مع نفسك فتفكِّر بالبداية فلن تسير بطريق الهدى فتهتدي.

60- ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**﴾: الله تعالى محيط بالكون كله، أنت بالله قائم، حياتك وقيامك يا إنسان بالله. الله لا إله إلَّا هو الحيُّ القيوم. ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ**﴾: وهي الرؤيا بفتح مكة. ﴿**إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**﴾: ليُفتنوا بالحق فيؤمنوا. ﴿**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**﴾: الدنيا. حبُّ الدنيا قلنا لهم: احذروه لأنه سبب هلاكهم، فالدنيا وكي تحذِّرهم منها أريناك حقيقتها لتبيِّنها لهم: **"إنَّ الدُّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلَّا ذكرُ اللَّهِ وما والَاه..."**[5] ﴿**وَنُخَوِّفُهُمْ**﴾: فلا يعودون. ﴿**فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً**﴾: إن لم يفكِّروا.

سورة الإسراء: [61-70]

---

[4] سورة الفجر – الآية:29–30.

[5] الجامع الصغير ج3رقم/2424/.

61- ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ**﴾: لما عرفوا خالقهم وربهم أطاعوا الله وسجدوا. فالذين عرفوا الحق وفكَّروا بالحال سجدوا. ﴿**فَسَجَدُواْ إَلَّا إِبْلِيسَ**﴾: الذي أبلس عليه الأمر، إذ لم يعرف ربه فما سجد، بل أبى: ﴿**قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾. كذلك كل من لم يفكِّر سيكون مثله. فمن لم يعرف الله وما عظَّم: عارض وعاكس واستكبر.

62- وبقول إبليس: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ**﴾: نسب الظلم لله. ﴿**لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ**﴾: لأحتكَّ بذريته: ﴿**إِلَّا قَلِيلاً**﴾. رأى أن له فعلاً، الفعَّال هو الله تعالى، عليك الاختيار والله تعالى يعطيك، خبير وعليم بك، بحسب حالك يعطيك.

63- ﴿**قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً**﴾: كاملاً. كل من تبعك، كل من عمل عملك، كل من أبلس عليه الأمر، كل من أعرض وأبلس عليه الأمر هو المتَّبع لإبليس إذ سار بطريقه وعمل عمله. فعليك بالإيمان إلزمه. الله تعالى يحذِّرنا كيف أن إبليس ببدايته عارض، فكان مصيره ما كان، وأنتم لا تعارضوا كإبليس، لا تنظروا إلى محمد ﷺ أنه نشأ بينكم طفلاً، انظروا لبيانه، لكلامه، دلالته.

64- ﴿**وَاسْتَفْزِزْ**﴾: وسوس. ﴿**مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ**﴾: حرِّض بقدر ما تستطيع. ﴿**بِصَوْتِكَ**﴾: نادِ لهم. ﴿**وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ**﴾: خيِّل لهم. لكنه لا يخيل لكل إنسان، بل لمَّا يشم من الإنسان إعراضاً يدنو منه فيخيِّل له. ﴿**وَرَجِلِكَ**﴾: وقوتك وعزمك، ومن الإنس الذين تسخِّرهم لمآربك. ﴿**وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾: البعيد عن الله الذي لا يسمِّي، دوماً الشيطان معه، يأكل وينكح معه. ﴿**وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً**﴾: استخفَّ بهم فأطاعوه، فاستدرجهم بالشهوات المنحطة للهلاك.

65- ﴿**إِنَّ عِبَادِي**﴾: الذين أطاعوني وعرفوني قلبهم مرتبط دوماً فيَّ، هؤلاء الذين يسيرون بكلامي وضمن أوامري لا سلطان لك عليهم. ﴿**لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾: لكنه يظل حائماً حول المؤمن، إن غفل دنا منه فيتذكَّر، فيكون ذلك سبباً لتيقُّظه. ﴿**وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً**﴾: عنهم. هؤلاء استسلموا إلى الله، فلا تستطيع أن تدنو منهم، هو وكيل عنهم. فكِّر بحنان الله، عطفه، رحمته عليك.

66- ﴿**رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي**﴾: يسوق. ﴿**لَكُمُ الْفُلْكَ**﴾: ألا ترون فضله عليكم. ﴿**فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾: لتعملوا المعروف وتقبلوا عليه. ﴿**إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾: هل تترك هذا الرب الرحيم وتلحق بالشيطان؟

67- ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ**﴾: لا تقول ساعتها إلَّا يا الله، وقت الشدَّة والبلاء لا تدعو إلَّا الله، فلا تدعو سواه، تقرّ بنفسك أنه بيده الأمر. ﴿**فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً**﴾: كل هذه النعم والخيرات لا يراها. فكِّر، هذا الكون بيد من يسير؟ على أي شيء تقف هذه الكرة الأرضية؟ أين هي موجودة؟ إنها كالطائرة في الفضاء.

68- ﴿**أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ**﴾: هذه الأرض التي أنت عليها ألا تخشى أن يزلزلها بك؟ ﴿**أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً**﴾: بلاء ومرضاً داخلياً "عقد مصران، سرطان"، هل أنت مستأمن من ذلك؟ هل أمنت على نفسك من كل ذلك؟ ﴿**ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً**﴾: من يرد ساعتها عنكم البلاء؟

69- ﴿**أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ**﴾: في البحر. ﴿**تَارَةً أُخْرَى**﴾: فلعلك تعود إلى البحر وتغرق فيه. ﴿**فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ**﴾: نفسك ملآى بالخبث، فهل أمنت أنه لا يصيبك بمصيبة فيخرج لك خبثك؟ ﴿**ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً**﴾: عندها لا تستطيع أن تُقبل ولا طريقاً تتبعه لتشفى مما فيك. لا تُجاب وإن دعوت ساعتها.

70- ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾: ألا تفكِّر بهذا؟، خلق الكون من أجل خاطرك. ﴿**وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ**﴾: الخيل، البغال، الحمير، الإبل. ﴿**وَالْبَحْرِ**﴾: السفن. ﴿**وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾: لا تأكل الشوك والتبن أو الشعير، بل الأكل الطيب اللذيذ. ﴿**وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾: عدداً كثيراً، جميع الخلق "أيها المكلَّف"، أتنسى هذه النعم؟ ألا تفكِّر بفضله عليك؟

سورة الإسراء: [71-80]

71- ﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾: كل إنسان له إمام، فانظر من هو إمامك. فبإمامهم: لما أمَّ إليه، هذا أمَّ إلى الفضيلة، وآخر أمَّ إلى الرذيلة. ﴿**فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**﴾: بعمل المعروف والإحسان والخيرات. ﴿**فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ**﴾: عمله كله عالٍ. ﴿**وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾: فتيلة النواة، الله تعالى لا يضيع مثقال ذرة.

72- ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى**﴾: الحقائق تُرى بعين النفس لا بعين الرأس، فالذي لم يرَ إلَّا الصور في الدنيا في الآخرة لا يرى الحقائق، إذ لا توجد صور، فالذي هنا لم يفتّح ويعرف الطريق الموصل إلى الله: ﴿**فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾: لا يرى ساعتها إلَّا ألمه، إلَّا نفسه الوسخة. الأعمى: من لا يعرف الطريق، المفتح: عرف الطريق. {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**}[6] عند خروج روحه يرى أوزاره، فيسلِّيه الثعبان الأقرع. أما المؤمن البصير: فمنذ ساعة موته وحتى الآخرة كلحظة واحدة تمرُّ عليه.

الطريق: لمن فكَّر بالمربي حتى عرف التربية، مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام، أهل الكهف: فتية ناشئين فكَّروا بأنفسهم كيف خُلقنا؟، كيف نمونا في بطن أمّنا؟ إذن لنا مربي، في الدنيا نظروا بالليل، النهار، فإذن هناك دوران، الصيف، الشتاء، عرفوا المربي، كيف يخرج الثمر، كيف يأتي المطر... صاروا مؤمنين، والتجأوا إلى الكهف. كذلك كل الرسل ساروا على هذا. أنت أيضاً فكِّر لتهتدي إلى الإيمان.

الله تعالى أعطاك فكراً وملكاً يناديك دوماً، إن صدقت سمعت النداء، إن فكَّرت بالتربية وعرفت المربِّي رأيت أن هنالك يداً تدير الكون كله فقلت: لا إلّه إلا الله، وحيثما سرت رأيته معك. نفسك إن آمنت سلكت طريق الحق، أي: عاملت الناس لا بل كل المخلوقات بالإحسان، فمتى عاملت المخلوقات بالإحسان كسبت ثقة بنفسك، فأقبلت على الله، نفسك لا تُقبل إلَّا متى وثقت من رضاء الله عنها، ليست نفسك بيدك، فهي لا تسير معك إلَّا إذا رأت إحسانها. كافة البشر كانوا أطهاراً، المقبل على الله حسب قربه يزداد كمالاً، أما المعرض فعلى حسب بعده يزداد شقاء.

متى أصبح الإنسان كاملاً أحب أهل الكمال "ولا يعرف الفضل إلا ذووه"، لدى سماعه الثناء على رسول الله ﷺ: {**وَالْعَصْرِ**} مثلاً أو: {**كهيعص**}[7] يصاحبه مرتبطاً به وهو ﷺ باب الله، كافة أهل الإرشاد أبواب لرسول الله ﷺ، وهو باب الله، إن ارتبطت به دخلت على الله، فهو دوماً راكع ساجد في حضرة الله، إن دخلت مع رسول الله ﷺ على الله رأيت الرحمة والعطف والإحسان، فأحببت الله: {**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**}[8]، فلن يدنو منك الشيطان بعدها أبداً. أما من ظلَّ أعمى فهو يموت مقعداً لا رقيَّ له، فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلاً.

---

[6] سورة طه – الآية:124.

[7] سورة مريم – الآية:1.

[8] سورة المعارج – الآية:23.

73- ﴿وَإِنْ كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: قريش حاولت بمسايرتها للرسول، لعله يتنازل قليلاً معهم. ﴿لِتفْتَرِيَ﴾: لتغيّر. ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً﴾: عندها يصادقونك. ﴿لَّاتَّخَذُوكَ﴾: ساعتها. ﴿خَلِيلاً﴾: أتباع الرسول كانوا شباباً، الكبار، الشيوخ استحقروا أولئك الشباب، وطلبوا إقصاءهم عن مجلس الرسول ليتحادثوا معه في مجلسه.

74- ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾: قلنا لك لا تعمل ذلك. ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾: هو من عطفه عليهم وقع بخاطره أن يسايرهم، لكن الله ثبَّته.

75- ﴿إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾: ضعف تعبك الآن تتعبه، لو سمعت لهم وطبَّقت شيئاً من عندك، كنت في الدنيا لاقيت معهم صعوبات في سبيل هدايتهم. ﴿وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾: يكون كفرهم مضاعفاً ولا يهتدون معك. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾: هذه قوانين عند الله، حتى رسول الله ﷺ لو طبَّق خلاف ما أُمر به لوقع في الشدَّة.

76- ﴿وَإِنْ كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: بتدابيرهم. ﴿مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً﴾: "نحن تاركينهم" لعلَّهم يهتدون معك، فإن فعلوا ما صمَّموا عليه عندها لا ثمرة من وجودهم، متى ذهب عنهم الطبيب فلا طريق لهدايتهم، هذا قانون، لو أخرجوك لهلكوا وكان النصر.

77- ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾: هذا قانون. ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾: كل إنسان وحقه.

78- ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: من الفجر، ومن طلوع الشمس لغروبها لا تقطع صلتك بالله. ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: إلى ظلمته. ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: بيانك عن الكون. {والْفَجْرِ}[9]: الكون. {وَلَيَالٍ عَشْرٍ}[10]: بالصيف الليل يقصر، وبالشتاء يطول، إن جمعت الزيادات والنقص مجموعها يكون: /10/ ليالٍ، هذا النظام ألا يكفيك للإيمان؟ انظر لهذه الليالي العشر[11]: كل سَنَة بنظام كامل لا يتغيَّر. {وَالشَّفْعِ...} القمر مرتبط بالكرة الأرضية، هل هو بذاته يسير؟ أما هو بدليل واضح على أنه لا إلَه إلا الله؟ {...وَالْوَتْرِ}[12]: الشمس. {وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}[13] حتى يأتي الفجر. أليس هذا بدليل واضح على أنه لا إلَه إلا الله؟ الكون كله بنظام، أفليس لك أنت نظام؟ ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: بيانك عن الكون، البيان الذي يبيِّنه رسول الله ﷺ عن الكون ظاهر. الله تعالى خلق الكون كله ضمن قوانين لكي تؤمن بلا إلَه إلا الله. ﴿كَانَ مَشْهُوداً﴾: كلامك عنه كله شهود، كلما زادت صلة الإنسان بالله كان بيانه أوضح. كان ﷺ إذا ذكر شيئاً فعن شهود.

79- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾: تهجَّد: تهيأ للخيرات. ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: نافلة: غنيمة، بالليل تتعلم، بالنهار تُطبِّق وتعرف. ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾: شفيعاً للعالمين. تدلُّ الناس على الحق ويسعدك بهم.

---

[9] سورة الفجر – الآية:1.

[10] سورة الفجر – الآية:2.

[11] انظر كتاب تأويل جزء عمَّ، سورة الفجر.

[12] سورة الفجر – الآية:3.

[13] سورة الفجر – الآية:4.

80- ﴿**وَقُلْ رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ**﴾: غايتي رضاك يا رب، لا مطلب لي سواك. ﴿**وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً**﴾: تأييداً، أنت الموفِّق والمعلِّم والمؤيِّد بالنصر، وهكذا كان حال رسول الله ﷺ دوماً.

سورة الإسراء: [81-90]

81- ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ**﴾: عند دخولك على مكة، وهذه بشارة بظهور الحق وفتح مكة، ستفتح عليك مكة، قل عندها جاء الحق. ﴿**وَزَهَقَ الْبَاطِلُ**﴾: لا بدَّ للباطل أن يزهق. ﴿**إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾: هذه علامة، كلما ضاقت، افرح بالفرج القريب، (علامة الضيق قرب الفرج).

82- ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ**﴾: إذا فهمت وتتبَّعت. ﴿**وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾: إن فكَّرت وعقلت زالت الأدران من نفسك، صارت نفسك طاهرة، تفعل المعروف والإحسان، عندها رب العالمين يصبُّ عليك الخيرات صبّاً، الوسعة والصحة والغنى. {**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً**}[14] ﴿**وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ**﴾: من لم يعرف حق الله فما عرف قدر الله، وما عرف لماذا أرسله الله إلى الدنيا، ترك نفسه جاهلة فما علَّمها وما عرَّفها، لقد ظلم نفسه. ﴿**إَلَّا خَسَاراً**﴾: في الدنيا تعيش شقيّة، في الآخرة أشقى.

83- ﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ**﴾: إن أعطيناه صحة ومالاً، أهذه هي المقابلة على الإحسان؟ الله يعطيه شيئاً من دنيا فينسى الله؟ تقريع للإنسان. ﴿**وَنَأَى بِجَانِبِهِ**﴾: أين فعلك؟، أين إقبالك؟ الإنسان الصحيح يفعل الإحسان والمعروف. ﴿**وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً**﴾: منّا؟ من فضل الله، أفلا ينظر لمن ربّاه وعُني به؟

84- ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾: على حسب ما شاكلت بنفسك تعمل، إن كنت مع الله تعمل الإحسان، المعروف، فمن شاكل الشيطان وصاحبه يعمل عمله. كلٌّ يعمل على شاكلته: على الطريق السائر عليه، إن آمن شكر وتواضع فعرف، قدَّر النعمة فخدم الناس. وأحسِنْ كما أحسن الله إليك. ﴿**فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً**﴾: الله عليم، الشكر: فعل المعروف والإحسان، فيزيده الله من نعمه...

85- ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**﴾؟ ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾: أمرٌ منه. اعرفوا المربي تعرفون جوابكم، قبل أن تسألوني وتمتحنوني اعرفوا ربكم، ما فائدتكم من جوابي؟ ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾: طالما لم تتعرفوا على الله فأنتم لا تعلمون إلَّا الدنيا، وهي زائلة.

86- ﴿**وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾: كل علمك بيدنا. نحن علَّمناك هذا العلم. ﴿**ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً**﴾: لا أحد يستطيع أن يردَّه عليك. فليعملوا مثلك ويقبلوا، أعلِّمهم كما علَّمتك.

87- ﴿**إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ**﴾: أنت طاهر طيّب، فيفيض عليك من الخيرات. ﴿**إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً**﴾: أقبلت وتعلَّمت.

88- ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾: العاقل المفكِّر يعرف قدره، إن لم تصبح قريباً من الله فلن تدرك القرآن.

[14] سورة البقرة – الآية:201.

الرموز بأوائل السور بالقرآن بالتفكير بها تعرف مقام رسول الله ﷺ فترتبط به، وهو قريب من الله فتغدو قريباً، وتفهم كلام الله. قانون التأويل الحق: **{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**[15] التأويل المترابط هو التأويل الحق. إذن: فكِّروا بهذا الكلام قبل أن تسألوا عن الروح. لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لعجزوا.

89- **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾:** ما تركنا حجَّة لهذا الإنسان، كل شيء بيَّناه. **﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾:** لا تلحق بالأكثرية. **﴿إِلَّا كُفُوراً﴾:** حيث أنهم لم يفكِّروا، فمن لا يفكِّر مهما ضربت له من أمثلة فلا جدوى له.

90- **﴿وَقَالُواْ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾:** طلب للدنيا. بدلاً من أن يفكِّروا، وما نظروا بالدلالة.

سورة الإسراء: [91-100]

91- **﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً﴾:** وأطرافها ماء.

92- **﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً﴾:** لما هدَّدهم الله بذلك، طلبوا سقوطها. **﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً﴾:** أمامنا حتى نراه، حتى نؤمن لك، كل هذا من جهلهم.

93- **﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ﴾:** إذا كنت غنيّاً نؤمن لك، نظرهم أيضاً للدنيا. **﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾:** ما أحلمه عليكم؟ **﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً﴾:** أنا بشر. **{قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...}**[16] المسألة كلها بيد الله. أنا أدلُّكم هذه الدلالة وتتطلبون هذه المطالب؟ ألا تفكِّرون بمعرفة الله؟

94- **﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾:** ما قدَّروه. مثلهم كمثل الشيطان قال: أأسجد لمن خلقت طيناً؟

95- **﴿قُلْ لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾:** مثلكم. **﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً﴾:** من جنسهم. **﴿رَّسُولاً﴾:** لو رأيت ملَكاً لقلت أنا لست مثله، هو مَلَك، أنا إنسان: لكن بعث لك إنساناً مثلك تستطيع أن تكون مثله، سِر على غراره، اقتد به.

96- **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾:** دلالتي على لا إله إلا الله، هذا الكون: من يسيِّره؟ من يدبِّره؟ وهذه الدلالة أليست كافية على رسالتي؟ **﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾:** على حسب حاله يعطيه.

97- **﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾:** من يفكِّر يهتدي بلا إله إلا الله، يهدي نفسه للا إله إلا الله. **﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾:** هذا الذي اهتدى إلى الحق، ومن لا يؤمن بلا إله إلا الله فما هو بمهتدٍ. فكِّر بالتربية لتصل إلى الإيمان بلا إله إلا الله. **﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾:** نفسه عنها، إذ لم يفكِّر فلم يهتدِ. **﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً﴾:** إذ لم يرَ في دنياه. **﴿وَبُكْمًا﴾:** لم يفهم بالمنطق. **﴿وَصُمّاً﴾:**

---

[15] سورة هود – الآية:1.

[16] سورة الأعراف – الآية:188.

ولم يسمع الحق. ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: سكنت، فاعتادوا على حرقها؛ لئلا يحس بألمه: ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾: ليخفف من ألمه.

98- ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا﴾: فما فكَّروا بها، ما نظر بالشمس، بالقمر، بنفسه، بالشجر. ﴿وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً﴾: مفتَّتة. ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾: بالآخرة، هل هذا ممكن؟ أيعقل ذلك؟

99- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أما هو قادر؟ ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: هل من شك بالموت؟ لو فكَّروا بذلك لخافوا ولفكَّروا واستدلوا على لا إلّه إلا الله. ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾: بنعم الله، كفر بواحدة بعد واحدة.

100- ﴿قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾: من بخلكم. ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً﴾: من حرصكم على الدنيا وعدم تفكيركم بالموت تظنون أنكم ستعيشون طويلاً، ولذلك إذا ملكتم مهما ملكتم تخافون الفقر، وتبخلون لئلا ينفد مالكم، فلا يبقى معكم شيء. لو فكَّرت واستقر بنفسك أمر الموت لفكرت بالآيات وآمنت، متى فكَّرت حقّاً بالموت تخشى فتلتجئ نفسك لفكرك، فتتعرف إلى الله.

سورة الإسراء: [101-110]

101- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: معجزات أرسلها الله لفرعون وقومه. ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾: أما وقع لهم ذلك؟ لكن فرعون رغم كل هذه المعجزات التي رأتها عينه وبما أنه لم يفكِّر فما آمنت نفسه. ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾: وحيث إنه لم يفكِّر قال له هذه خيالات تتخيلها.

102- ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾: رأيتموها. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾: ستهلك. فلا يكفي الفكر، لا بدَّ من مقارنة النفس له.

103- ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ جَمِيعاً﴾: هلكوا عن بكرة أبيهم.

104- ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾: وفسدتم. ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾: نجمعكم في فلسطين للهلاك الأخير. أي: عند فسادكم ثاني مرة نجمعكم للهلاك.

105- ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾: عليك لأهليتك العالية. ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾: بقوانين الحق. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾: مبشراً لمن فكَّر وعقل، ونذيراً لمن لم يفكِّر.

106- ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾: شيئاً فشيئاً. ﴿وَنَزَّلْنَاهُ﴾: عليك. ﴿تَنْزِيلاً﴾: آية، آية.

107- ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُواْ﴾: هنا بيان بأن الاختيار للإنسان: هذا طريق السعادة، وهذا طريق الشقاء. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾: هم آمنوا بلا إلّه إلا الله، آمنوا بالبداية كالنجاشي وغيره. ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً﴾: هذا هو السجود.

108- ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾: حق واقع.

109- ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾: ومن هنا أخذ الرسول ﷺ السجدتين في الصلاة. ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾: خضوعاً واستعظاماً وهياماً. الصلاة بالرابطة بحقيقتها.

110- ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمنَ**﴾: أيَّ اسم كان: قهار، جبَّار، منتقم... كلها أسماء حسنى، كلها ضمن الرحمة. ﴿**أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ**﴾: في النهار. ﴿**وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا**﴾: في الليل. ﴿**وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾: موصلاً إلى الله.

سورة الإسراء: [111]

111- ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ**﴾: من هنا أخذ ﷺ قراءة الفاتحة في الصلاة. ﴿**الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ**﴾: مُعين. ﴿**فِي الْمُلْكِ**﴾: كله بيد الله، ولا يحرك أحد حركة إلَّا بإذنه. ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً**﴾: تكبيرات الانتقال في الصلاة.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الكهف: [01-10]

1- ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: على فضله وعنايته وتسييره الخيِّر، الله سبحانه وتعالى له تسعة وتسعون اسماً كلها مجموعة بهذه الكلمة (اللَّه) لفظ الجلالة المفخّم[1] هنا ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: أي: الإلّه الذي كل ما في الكون تسييره عائد إليه: نرى الآن في الكون، هذا يضرب هذا؛ هذا يتعدَّى على هذا. فكيف "الْحَمْدُ لِلَّهِ"؟! الحمد لمسيِّرهم لقد أعطاك تعالى الإطلاق والاختيار، تختار لنفسك لا لغيرك، إن اخترت ضرب امرئ: فلن يمكِّنك منه ما لم يكن مستحقّاً، ولا أن تسرق ما لم يكن معتدياً. أعطاك الإطلاق والاختيار لكنه يُحمد إذ أنه أنزل الكتاب. ﴿**الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾: به يريك طريق السعادة وطريق الشقاوة: إن اخترت السعادة امشِ على كلامي، الشقاوة إن سرت مع الشيطان. يريك طريق السعادة وما ينتج عنه. الحمد لله على فضله وعنايته ورحمته وتسييره. فعلى الإنسان أن يفكِّر بهذه الكلمة، كلمة ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: أي: ذكِّر نفسك أيها الإنسان وأطلعها على من يستحق الحمد والثناء والامتنان وذكِّرها بفضله وإحسانه، وأرها أن الحمد لله وحده فهو الإلّه الذي كل ما في الكون تسييره عائد إليه. ﴿**الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾: كتب الحق في نفس رسوله ﷺ. ﴿**وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا**﴾: فهو مستقيم سامٍ عالٍ، لأن المعوَجَّ طويل، الصراط المستقيم: أقرب السبل إليه تعالى منبع الخير والهناء والحياة السامية.

2- ﴿**قَيِّمًا**﴾: ذو قيمة عالية، مستقيماً موصلاً للسعادة. ﴿**قَيِّمًا**﴾: {**... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**}[2] وهذا الرسول ﷺ ﴿**قَيِّمًا**﴾: ساد الجمع كلهم وأيَّده الله بكل مجال مهيمن ومسيطر ولا عجب في ذلك ولا غرو، إذ أن كلامه ﷺ كلام الله تعالى رب العالمين، لذا كانت هذه الصلاة تلازمه ﷺ دنيا وآخرة والكتاب الذي أنزله تعالى عليه كلامه جلَّ وعلا، فكان وكما أثبتت القرون والأجيال قيّماً على كل كلام، يزهق الباطل ولا أحد في العالمين يستطيع أن يواجهه بحجة تدحض أثارة فيه. ما طبع بنفس رسول الله ﷺ ينهض بك إلى الأشياء القيّمة، لينهض بك من الدنيا وشهواتها الرخيصة إلى الآخرة وجناتها لتصبح نفسك مع الحضرة الإلّهية ليجعلك كاملاً، عندها تغدو أهلاً للهداية وقيّماً على إخوانك الضالين المضلين فتردَّهم إلى جادة الصواب وسبل السلام فـ{**...إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**}[3]: الله، فتحقق أيها الإنسان الشيء الذي خلقت من أجله. ﴿**لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ**﴾: عذاباً شديداً أصله من لدن ذلك الإنسان مما أسلفت وقدّمت يداه، (لينذر الإنسان عَوْدَ عمله الشرير عليه لأنه كان هو سبب هذا العمل) في الدنيا والآخرة، فإن شذَّ الإنسان عن الحق سيأتيه بلاء شديدٌ، ليرجع عن غيّه، أمَّا الإنسان المستقيم الطاهر لا سلطان لأحد عليه. ﴿**وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: بنعيم متواصل، يأتيهم من طريق الرسول يغمرهم بالنور الذي يجعل المرء ببسط وسرور غامر. ﴿**الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ**﴾: الذين اختاروا الخيرات بالطاعات. ﴿**أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾: من حسن لأحسن، من جميل لأجمل، ورقي متسامٍ.

---

[1] تمت إضافة بعض الهوامش التوضيحية، وهي ليست من كلام العلاّمة (قُدّس سرّه) الذي ألقاه في دروس تأويل القرآن الكريم، ولكنَّها ممَّا فهمناه من ثنايا علومه الشريفة، وذلك للتوسّع في شرح بعض النقاط المهمة، والتي ألقيت بشكل مختصر أثناء الدروس كونها واضحة لدى مريدي العلاّمة الجليل.

[2] سورة النساء – الآية:82.

[3] سورة إبراهيم – الآية:1.

3- ﴿**مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا**﴾: إلى ما شاء الله، إلى ما لا نهاية له، فالإنسان له الاختيار، والله هو صاحب الحول وكل شيء بيده. قال لك: اختر يا عبدي. لكن اختر لنفسك لا لغيرك. فتنفيذ اختيارك إنما يتمُّ على من يرى الله تعالى مناسبةً واستحقاقاً[4] وقد ضرب الله أمثلة على تنفيذ الاختيار: قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، وسيدنا هود عليه السلام مع قومه. فهذا الكون سائر بالعدل، والله يحفظ السائر ضمن أوامره من كل سوء.

4- ﴿**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾: سيأتي هؤلاء أيضاً بأس شديد.

5- ﴿**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ**﴾: مجرَّد قول. ﴿**وَلَا لِآَبَائِهِمْ**﴾: من قبلهم أيضاً ما فكَّروا. ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ**﴾: في أذاها عليهم، كبيرة في نتائجها، إذ حوَّلتهم من طريق السعادة إلى الشقاء، من ينسب الفعل لغير الله هذا هو الشرك، وكل امرئ ينال حقَّه، وكما قال تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام {**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**}[5] ﴿**إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾: بما قالوه.

فالرسول ﷺ ناقش الناس ضمن المنطق ومع ذلك عارضوه، لقد تأثر ﷺ رحمة منه وحناناً عليهم إذ أن مصيرهم للهلاك لعدم استجابتهم للهدى وإصرارهم على كلمة الشرك، لذا يخاطب الله رسوله ﷺ ويخفف عنه ما ألمَّ به من ألم وحزن.

6- ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ**﴾: متأثر من عدم إيمانهم بك. ﴿**إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾: رجعت متأثراً على ما قابلوك به من المعارضة.

7- ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا**﴾: تصدَّى الله تعالى لوقاية وحماية الإنسان من أي سقوط يحطُّ بمنزلته ويخفض درجته بدار التكليف، فالزينة جعلها الله تعالى لترقى بها. إن فكَّرت بآيات الله أعرضت عن الزينة، بهذا الإعراض عنها تقبل على الله، فإن استأنس المرء بالله أَمِنَ من فتن الزمان وانفسح أمامه المجال الوحيد للرقي والكسب والهناء والغبطة الأبدية، وبهذا الإقبال تعمل الصالح فتنال جنات عليَّة سرمديَّة رضيَّة هنيَّة متزايدة مبنيَّة على أعمال حسنة، ولهذا خُلِقت أيها الإنسان، ولهذا أوجدك الله سبحانه، ومن لا يفكِّر ولا يُعرض عن الزينة فيتعلَّق بها ويصل للكفر وتكون هذه الزينة سبباً لهلاكه. ﴿**لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾: ليظهر كلّ امرئ وما فيه من الخير.

8 - ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا**﴾: تراباً، غبرة، هذا هو الطريق لتجنب الكوارث والمهالك والمهاوي والخسران. ﴿**جُرُزًا**﴾: أكواماً بعضها فوق بعض، كل ما عليها سيعود شيئاً واحداً لا انتفاخ فيه فلا تنغش فيها. فإذا فكَّر الإنسان واستدل وجد الدنيا فانية، ستصبح غباراً مجتمعاً، كل نفس ستجتمع مع ذراتها وأجزائها.

9- ﴿**أَمْ حَسِبْتَ**﴾: إذن كان ﷺ يعلم بهم. ﴿**أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ**﴾: أحبُّوا صحبة الغار ولم يحبوا صحبة الكفار، أولئك فكروا بالمنطق، سلكوا بالحوار، أيقنوا تثبَّتوا وصمَّموا وثبتوا، وآية أصحاب الكهف تعني أنهم لا يزالون فيه. ﴿**وَالرَّقِيمِ**﴾: العدد؟! ﴿**كَانُوا مِنْ آَيَاتِنَا**﴾: آيات تدرك بالنور المحمدي والمشاهدة القلبية لا بعيني الرأس والحواس ﴿**عَجَبًا**﴾: أعجبت كيف أن أصحاب الكهف آمنوا دون مرشد ودليل وقومك بالرغم من وجودك لا يؤمنون؟! أنت تدلّ قومك هذه الدلالة العالية ولا يؤمنون بك، وأولئك دون مرشد ومبيِّن آمنوا! فهل عجبت من ذلك؟ كانوا فتية أبناء وزراء عند ملك، تركوا

---

[4] مناسبة واستحقاقاً: فإن إنسان أراد الشر بآخر فلا يُمكِّنه الله تعالى منه إلا إذا كان الأخير بدر منه شرٌّ أو عملٌ يستحق عليه أن يقع به هذا الشر والأذى، وإن أراد الخير بآخر فلا يصله هذا الخير إلا إذا كان يناسبه ويستحقّه.

[5] سورة المائدة – الآية:72.

الدنيا! شاب يترك الدنيا! هل هذا ممكن؟ هذا شيء عجيب، حيث أنهم شباب فكروا وبسرعة اهتدوا، فبدل أن يلتفت الناس إلى قصتهم والمغزى منها والشيء العظيم الذي رفعهم وأعلى شأنهم وهو إيمانهم بربهم، راحوا إلى الاختلاف بأعدادهم وأرقامهم وأسمائهم، فانشغلوا بتلك القشور والسفاسف والأرقام وأضاعوا الحقيقة في طيَّات الظنون والاحتمالات، ولم يلتفت أحد إلى الغاية العظيمة من ذكرهم في القرآن.

10- ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**﴾: "صحبة الغار ولا صحبة الجار الكافر". العزلة عن المجتمع اليوم خير، فالزم بيتك وعليك بخاصة نفسك، حافظ على نفسك ولا تختلط أنت ولا أهل بيتك، فالبعد اليوم راحة، غداً العكس، فالمشرب آسن والجو مسموم، تراجعك عن المنكرات عند الله أعظم من فتوح العالم. أصحاب الكهف كانوا في دنيا وعز وحياة عالية، لمَّا شاهدوا واستدلّوا تركوا الكل. ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً**﴾: نزّل لنا من رحمتك، **"أنا عند ظنِّ عبدي بي فلْيَظُنَّ بي ما شاء"**[6]. ظنهم الحسن بربهم نجاهم وسما بهم، آمنوا برحمة الله لمَّا شاهدوا ما عمّهم به من فضله وحنانه ورحمته وتسييره الخيّر في خضم تفكيرهم بآثار رحمته سبحانه وتعالى على الكون وعلى أنفسهم. ﴿**وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾: قومنا كلهم كفّار: أرشدنا لطريق للخلاص منهم، سيدنا يوسف عليه السلام طلب السجن وآثر رضاء الله عن الاستجابة لدعاة الفاحشة، وسيدنا موسى عليه السلام لما آمن قتل الظالم وضحّى بما عند فرعون. هذا مفعول الإيمان الحق في النفوس.

سورة الكهف: [11-20]

11- ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ**﴾: قطع الله علاقتهم بالمجتمع لأنهم لا يستطيعون مواجهته والوقوف أمامه، فقط الرسل والأنبياء يستطيعون المواجهة والنصر عليه ويعرفون ما يجري نائمين كانوا أو منتقلين من هذه الحياة لأن وظائفهم دائمة صلوات الله عليهم أجمعين. ولكن كيف ضرب الله تعالى على آذان أصحاب الكهف؟ ذلك بأنهم عاشوا بالحقائق التي نالوها بإيمانهم بربِّهم فلم يسمعوا ولم يعوا ما حصل بعدهم، إذ غمرهم الله بحالٍ عالٍ فغابوا بالله عن كلِّ أمور الدنيا. ﴿**سِنِينَ عَدَدًا**﴾: ناموا سنين عدّة ثم جاؤوا بعد عصر سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام، ولكن ما استفاد أهل ذلك الزمان منهم.

12- ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**﴾! ولكن هل إلقاؤنا النوم عليهم ليُعلم عدد السنين؟! هل لهذا فعلنا ما فعلنا؟ أنمناهم لكي يقال أنهم لبثوا عدداً من السنين! ما بعثناهم لنعلم المدَّة. ما لم يفكِّر الإنسان فلن يعرف المراد، وكذلك الآن أناس يذكرون قصتهم ولكن لا يفقهون المراد. فرض الله تعالى علينا الصوم والصلاة والحج، فما المراد من الصلاة ومن الصوم ومن الحج؟

13- ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ**﴾: ما دام ﷺ على علم تام بوصفهم كما سبق بآية: **{أَمْ حَسِبْتَ}** فلِمَ يقصُّ تعالى عليه قصّتهم؟! قصّها تعالى عليه لتجري مجرى العمل فتأخذ مجراها وتسلك في قلوبنا وأفكارنا وتكون باعثاً لنا لنسلك مسلكهم فنسمو ونترفع عن مستوى الهمل، تلك معرفة بلا أجر وهي الآن في حيز العمل والأجر لنا فهي دروس وعبر ومسلك قويم لبلوغ مرقى عظيم. وأي عظيم هو، هَجْرٌ للكفر وأهله وفوز بالله العظيم ثم نصر على أئمة الكفر والطغيان لردِّهم إلى سبيل إنسانيتهم وردعهم عن طرق الغي إلى سبل السلام من لدن الله الرحيم. ﴿**نَبَأَهُمْ**﴾: ما تراه وتُريه لمحبيك الذين صفَت نفوسهم من حب الدنيا الدنية وصفت قلوبهم محبةً مُستجيبةً لطاعة ربها، فعكس تعالى ما يكرره على

---

[6] رواه أحمد والطبراني في الأوسط

قلبك الرحيم ليقتدوا بهم ويهتدوا بهديهم. ﴿**بِالْحَقِّ**﴾: بما استحقت نفوس أصحابك الكرام البررة، إذ سيسيرون مسراهم، ويلقون بالعرض الزائل جانباً، بالدنيا ومفاتنها والعشيرة ومذاهبها، ولن يقف بطريقهم شيء، بل سيتخذون الله ورسوله صاحباً. ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ**﴾: فتية في عمر الورود والزهور، في مقتبل سن الرشد، في فورة الشباب وعظيم اندفاعه، اندفعوا للحق وللبحث عنه ووجَّهوا طاقاتهم العظمى للغرض الأسمى، أعمَلوا دواليب الفكر بدل الاندفاع الطائش نحو الهوى الأعمى. ﴿**فِتْيَةٌ**﴾: حواريّون سلكوا سبل المناقشة والشورى والاستفتاء، وأعمَلوا أفكارهم وكدُّوا أذهانهم بغية الحق اليقين بعد إيمانهم الذاتي واستدلالهم من ثنايا الكون العظيم وانغمارهم بنور ربهم وخوضهم وسبحهم في ثنايا الوجود، لبلوغ الموجد القدير الكبير، اعترافاً وعرفاناً بجميله عليهم لإنعاماته اللانهائية، إذ هو سبحانه خالقهم ومبدعهم، واهبهم ومانحهم نعمة الحياة والوجود والتربية والتسيير الخيّر، فكيف لا يفتّشون عنه سبحانه ويثابرون؟! علِمَ سبحانه صدقهم بطلبه فتفضَّل عليهم بمقابلته والاتصال به فأسعدهم بلقاه. ﴿**وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾: فتيان آمنوا بربهم وزدناهم هدى، حيث أنهم شباب فكَّروا وبسرعة اهتدوا. عرف كل واحد منهم المربي واهتدى فآثر ذلك على الدنيا بما فيها. الإيمان بالله سعادة لا تعدلها سعادة، لا طريق للإنسان إلَّا إذا آمن بالمربي. الدنيا رغم ما فيها من زينة متى آمن الإنسان بالله رماها من قلبه، لقد ألقينا عليهم النوم وعرَّفنا الناس بهم ليعلموا أن أولئك الفتية عندما آمنوا بربهم انتقلوا لمعرفة لا إلّه إلا الله.

﴿**وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾: بإيمانهم الفكري وإقبالهم بعده، وسيأتي يوم يعودون فيه من نومهم واستيقاظهم إلى الحياة العملية ليعملوا المعروف والإحسان. ذلك أنهم لم يكن لهم يومها عمل، وذلك اليوم التالي هو يوم ظهور السيد المسيح عليه السلام وإتمام الفتوحات للعالم كله.

14- ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾: ثبَّتناهم على الحق. ﴿**إِذْ قَامُوا**﴾: قاموا في تباعدهم عن قومهم، وفي مخالفة قومهم، ثبتناهم بعد أن قاموا بالدعوة. ﴿**فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: هو المربي لهما. ممدها ومسيرها. ﴿**لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا**﴾: لا مسيّر سواه، المربي هو الإلّه المسيّر. ﴿**لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾: قولاً دجلاً، بعيداً عن الحق.

15- ﴿**هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾: لا برهان لهم ولا دليل ظاهراً واضحاً لديهم ولا سلطاناً بيّناً. ﴿**لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾: أي أنَّ الله لا يعطي آية لكاذب، ولا يدعه يخدع الناس كما يقولون عن أعور الدجال. ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾: هل من شخص أظلم لنفسه ممن يعمل ذلك؟! قالوا هذا عندما آمنوا بالمربي، أصلنا تراب، صرنا نطفة، من الذي ربّانا؟ الصنم! نظر للكون، كله سائر بنظام، فما من مربٍّ سوى الله وهو الإلّه.

16- ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ**﴾: قالوا فيما بينهم. ﴿**وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**﴾: حتى يعودوا إلى الله، حتى يعبدوا الله. ﴿**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ**﴾: الله تعالى لا يتركهم، لا بدَّ لكم من الخلاص. رأوا أن الله هو المربي والمسيّر وأنه هو الرحمن الرحيم. تركوا الملك، العز، السلطان، ولجأوا إلى الغار، واعتمدوا على الله. وهذه القصة كلها من أجل تذكير الإنسان، ولعل الناس يؤمنون بلا إلّه إلا الله. ﴿**يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾: المؤمن ثقته كبيرة بربه. ﴿**وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا**﴾: خلاصاً، عندما آمن لم تعد عنده شكوك، بل ثقته بربه قَويَّة.

17- ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ**﴾: تميل وتعكس أشعتها. ﴿**عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ**﴾: فترسل شعاعها عليهم من جهة اليمين، تدور الشمس من شروقها إلى غروبها في كهفهم فتمنع الرطوبة والتعفن. ﴿**وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**﴾: تبعث حرارتها عليهم من الشمال وتعطيهم دفئاً. أي أن الله قادر على أن يحفظهم من الرطوبة والتعفن ولكن للكون سنن يبيّنها الله، فهذه الشمس تجفف

الغار (الكهف) وتمد أجسامهم بالحياة فلا تتعفن، تعطيهم دفئاً. ﴿**وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ**﴾**:** في جوفه. ﴿**ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ**﴾**:** من عناية الله بهم، الدالة على لا إلٓه إلّا الله، وعلى أن الفاعل هو الله.

كل هذه القصة لتستدل أن الله هو الفعّال، وهو المربي. من يهدي نفسه بدلالة الله. ﴿**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**﴾**:** هذا يصل للحق، هذا الذي اهتدى لطريق السعادة. هذا يحمد الله، أي: من يعرِّف نفسه بلا إلٓه إلا الله فهذه هي الهداية. ﴿**وَمَنْ يُضْلِلْ**﴾**:** نفسه عن لا إلٓه إلّا الله، عن طريق الهدى ويلحق بشهوات الدنيا فلا جدوى له. الشرط أن يفكِّر الإنسان بالمربي ويعرف أنه لا إلٓه إلّا الله، فيسلك طريق السعادة. ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا**﴾**:** الخير من الله، الكمال من الله يُشتق، إن لم تقبل على الله فلن تنال الكمال، مهما عملت من عمل فغايتك فيه نفسانية ولن يكون إنسانياً إن لم تعرف ربَّك. فالإنسان يشتق الكمال من الله، وكلٌّ على حسب قربه من الله.

18- ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا**﴾**:** يا محمد ﷺ إذ أنَّ عيونهم مفتَّحة. ﴿**وَهُمْ رُقُودٌ**﴾**:** نائمون وأعينهم مفتوحة بسبب قلقهم وخوفهم على دينهم، نومهم يبدأ وينتهي بالرعب، لكنه ممزوج بنعيم ما بعده نعيم، يمازجه الخوف والفزع من أن يفقدوا لذة اتصالهم بربِّهم، رعباً من الدنيا ومفاتنها أن تحوِّلهم فيكونوا من الخاسرين. ﴿**وَنُقَلِّبُهُمْ**﴾**:** دليل أنهم أحياء مستمرّون لعهده ﷺ وللآن، سيعودون في عصر سيدنا عيسى عليه السلام حينما يأتي في المرة الثانية لتكون لهم أعمال عالية متناسبة مع عظيم نيّتهم وتضحيتهم.

اليهود والنصارى قالوا عنهم أنَّهم ماتوا لكن هل الميت يتقلّب؟!

هذه الآية رد على كل من يقول أنهم ماتوا، فهي دليل على بقائهم أحياء وعلى عناية الله سبحانه وتعالى بهم، كل هذا لأنهم آمنوا، إيمانهم رفع منزلتهم عند الله. ﴿**ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ**﴾**:** نقلبهم من جنب لجنب لئلا تأكل الأرض جنبهم اللاصق بها. أجساد الرسل والأنبياء عليهم السلام رغم الرطوبة تحت الأرض بعد انتقالهم لا تفنى وذلك بسبب أعمالهم الكبرى والعظمى، أما بالنسبة لأهل الكهف فليس لديهم أعمال كبرى، والعمل الصالح الكبير أساس في عدم فناء الأجساد، لذلك يقلبهم الله سبحانه لئلا تفنى أجسادهم. ﴿**وَكَلْبُهُمْ**﴾**:** كذلك كلبهم لم يمت، الله تعالى رفع شأنه لخاطرهم. ﴿**بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾**:** اعقل وتوكل، من شدة خوفهم على دينهم وعلى إيمانهم الذي تركوا كل شيء من أجله، ظلُّوا مفتّحي الأعين، ووضعوا كلباً يحرسهم فناموا وعيونهم مفتّحة. ﴿**بِالْوَصِيدِ**﴾**:** الكلب نفّذ ما أوصاه الله تعالى في الأزل من وصايا حين أحب وطلب خدمة الإنسان بأن يصد الأذى عن أصحابه، لذلك جلس أمام باب الكهف يحرسهم ويصد عنهم. ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ**﴾**:** أيها السائل، والسائل مؤمن من أصحاب رسول الله ﷺ صافي النفس. ﴿**لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا**﴾**:** لخفت منهم، يدبُّ الرعب به عند مشاهدتهم لشدَّة صفائه النفسي. ﴿**وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**﴾**:** رابطة، من خوفهم على دينهم، إذ ينطبع حالهم فيك. من شدَّة ما فيهم من خوف على دينهم. هكذا المؤمن حريص على دينه، يخاف عليه. فكم كان حرص هؤلاء على دينهم؟!

19- ﴿**وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ**﴾**:** ليتساءل الناس عن الأمر فيتعرَّفوا. لو كنت عظيماً لقدرت العظيم وعلمت أنه لا يصدر عنه إلا الجليل والعظيم، وأنه سبحانه يبعث أهل الكهف ويجري ترتيبات يعرضها على العالمين، وأنه سبحانه لا يمكن أن يفعل كل ذلك لأمر تافه وعددي ليس من ورائه إلا التسلية وقتل الوقت، فهل سبحانه يضيع عمله سدى؟! انظر نظام خلقه كله جدي، فلو كنت جدياً لأبصرت جليل ما يتلى عليك، وأنه ليس حكايا بل عبراً وحقائقَ يبنى عليها أعظم بناء وبغيرها

الهلاك. ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾[7]: مع أنهم لبثوا مئات السنين، والحقيقة ألف عام، أكثر... أقل... مئات السنين الله أعلم. وهذه الآية تنفي ما قيل عنهم من أن أجسادهم تغيَّرت وأن شعورهم وأظافرهم صارت طويلة، فلو أن هذا الكلام الذي زعموه عنهم كان صحيحاً ما قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم بل لقالوا لبثنا سنين عدداً. وهل الحياة الدنيا إلا الحاضر؟ الماضي سراب، والمستقبل غموض، وأنت ابن لحظتك العابرة، أفمن أجلها تضحي أيها الإنسان بماضيك ومستقبلك وقيمتك ومقامك الذي رشحك الله إليه، فكل لحظة تمر بغير هذا السبيل خسارة من عمرك الغالي.

﴿**قَالُوا**﴾: حينما رأوا تغيّر معالم الأرض من المدة التي قضوها. ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾: انظر قولهم: هل عبأوا بالعد الزمني؟ أم نظروا إلى الجليل العظيم الذي هم إليه تعالى قاصدون، وفي سبيل رضاه بكل غالٍ مُضَحُّون، وللموت عن التراجع راضون، قالوا طالما النوم غيبوبة ولا كسب فيها فلم الاهتمام والبحث الذي لا طائل من ورائه من تجارة غير كاسبة! وما جدوى العلم بما لا مردود وراءه؟! اهتمُّوا بربكم فذلك هو المكسّب العظيم. ﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ**﴾: قرروا المقام في الغار، وبالتالي المقام في جناب الله الكريم وقطعوا على أنفسهم الهجرة الأبدية من الدنيا وأهلها وطلقوها، فكان لهم الشأن العالي وما كان وما سيكون، أحباب الله وأحباب رسول الله عيسى بن مريم العظيم عليه السلام، وكانت عندهم عملة ورقية إذ المدنية تعلو وتهبط دائماً. ﴿**فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ**﴾: من الذي علمهم، أين الرسول والسنة، أين القرآن، كيف عرفوا الحرام من الحلال، ما هدفهم؟ هدفهم الله سبحانه، وفي الأثر: **"يا ابن آدم اطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء..."** المؤمن يحب الطيبات ويرغب في الأفضل. ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ**﴾: خوفاً على الغالي الذي وصلوا إليه بالتحقق الإيماني، فكيف يصل من لا يفكِّر إلى أقصى المنى؟! ﴿**وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**﴾: فما أعظم الإيمان الذاتي الحقيقي!

20- ﴿**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**﴾: يكشفونكم ويهيمنون عليكم بباطلهم. ﴿**يَرْجُمُوكُمْ**﴾: قرروا الموت ولا الدنيا التي يتقاتل عليها الناس، وتلك فاعلية الإيمان، وكان الرجم بذلك العصر للقتل. ﴿**أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ**﴾: وهذه أشد. ﴿**وَلَنْ تُفْلِحُوا**﴾: إن اتبعتموهم. يقال فلح الأرض للزراعة أي أصلحها وهيَّأها، فالإنسان مخيَّر وهو حيث يضع نفسه، والفعال هو الله وحده لا فعال سواه، فأنت أيها الإنسان تهيئ نفسك وتضعها حيث يرضى الله، والله الكريم سبحانه هو الذي يبث فيها الخيرات ويزرع فيها المكرمات، ويمحو منها كلَّ ما يسوؤها ويشقيها، ويسمو بها ويهبها ويعطيها ويرويها ويمنحها نوراً وجنات، أما إن توجَّهوا إلى الدنيا انقطعت نفوسهم عن الله منبع الخير جلَّ وعلا، وتلاشت الدنيا ولا نور لها فأضحت نفوسهم في ظلمات لا سبيل لها إلا النيران تشتعل بها وتلهيها عن البلاء الأكبر[8] الذي يكمن فيها، النيران تؤلمها وتحولها وتلهيها ولكنها لا تغني عنها ولا تجدي. ﴿**إِذًا أَبَدًا**﴾: يهلكونكم أو يعيدونكم.

---

[7] ورد في بعض التفاسير عن شرح آية (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) بسبب أن أجسامهم تغيَّرت، فأظافرهم أصبحت طويلة وكذلك شعرهم وما إلى غير ذلك... والحقيقة أن هذا الشرح ليس بصحيح، والله تعالى ينفيه بقوله: (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) فلو تغيَّرت أجسامهم ما قالوا يوماً أو بعض يوم بل لقالوا سنين طويلة. فهذه الآية دليل على أنه لم يتغيَّر فيهم شيء.

[8] البلاء الأكبر: (نار جهنم، نار الحسرة والندامة) حيث أن هذا الكافر الخاسر المنقطع عن الله تعالى تشتعل في نفسه نار الحسرة والندامة وكذلك حال الذل والعار يكويها فلا تجد سبيلاً للخلاص من هذا الحال الأليم إلاّ النار (نار الله الموقدة) لتخلِّصها من حالها العظيم الأليم وتحوّلها عن تلك الآلام الشديدة بألم الحريق بالنار، فما أعظم الآلام النفسية التي تكوي نفس هذا الخاسر حتى يكون حريق النار دواء له يشغله عنها!

سورة الكهف: [21-30]

21- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: هذا قانون، فالله الرحيم دوماً يظهر لهم إثباتات قاطعة لا ريب فيها تبين لهم سبل الهداية والرشاد، ودوماً يجنّبهم طرق الباطل وأهله. ﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: كشفنا أمرهم ليعلم قومهم ويعلم الناس أنه لا إلّه إلّا الله.

كل هذا عناية من الله بك يا إنسان لتسعد دنيا وآخرة.

أيقظناهم في الوقت المناسب لمن هم أهل، استحقوا هذا البيان الإلّهي تثبيتاً لأنفسهم ونشراً لبيان الحق ليكونوا نذراً للعالمين وبشارات لأمثالهم من السالكين، أعثرنا عليهم جيلاً مؤمناً يؤمن بالله ورسله وبظهور سيدنا عيسى المسيح مفتاح السلام والإنسانية إلى يوم الدين. ﴿لِيَعْلَمُوا﴾: ليَعلموا ويُعلِّموا، يتعلمون ويعلمون... ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: وُعد المؤمنونَ بإيصالهم للرسول، فرِفْعَتُهم ليذهب عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. وكما وعد سبحانه الفردَ وعد الإنسانية حين اشتداد الآلام والأحزان والطغيان بتخليصهم، وهذه نقطة علامة على الدرب لتلك النهاية المخزية والبداية المشرقة، كذلك لا بدَّ من البعث والجنة والنار والحساب.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: القيامة، يوم الحساب حق، حتى يحصل للناس علم، ويرجعوا إلى الله. ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: الحزبان، اليهود والنصارى تنازعوا: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: ما المراد من قصَّتهم؟ يقولون: الله أعلم. ألا يجب عليك أن تفهم، وتعرف المراد؟! ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾: وهم النصارى. ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾: هذا فقط ما أنتجته لهم هذه القصة. عملوا مزاراً لهم ولم يفكِّروا بالقصة وسببها.

22- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: اهتموا والتهوا بالعدد، فهل معرفة العدد هو المهم؟! هل تكلم الله عن عدد جماعة سيدنا داوود أو جماعة سيدنا صالح؟! الزمان يزول والعدد يزول، ولا يبقى إلا الله، أتظنون أن كل هذه القصة من أجل هذا؟! ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: كلامهم لا أصل له ومن دون تحقيق. يقولون ذلك دون فهم للمراد! ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾: لماذا كل هذه المناقشات. ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ﴾: المراد من القصة لا يعلمها. ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: ومنهم أنت يا محمد تعرف عدَّتهم. المراد من القصة ما عرفها إلَّا قليل، المراد: الإيمان بالمربي، من آمن بلا إلّه إلا الله فَهِم. ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾: لا تجادل بعددهم. رسول الله ﷺ مرآة لأصحابه، أي لا تريهم بمرآتك حتى لا ينشغلوا بالعدد. ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾: أبصرهم كيف فكَّروا وضحّوا وآمنوا، تكلم عن ظاهر أمرهم ولا تتوسع في الشرح عن ذلك، أي ما بيَّنته لك مما فيه الفائدة لهم.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: لا تسأل عن قصتهم أحداً، لأنه لا يعلمهم أحد. المراد من القصة كي يعرفوا المربي، الإيمان بالمربي. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: لا تسأله إن لم يفكِّر هو فلن يستفيد، أنت بيِّن له فقط المراد من القصة والحكمة منها، رسول الله ﷺ صادق لا يكذب، وإذا ناقشهم سيتكلم الصحيح وسيتكلم عن عددهم، لذلك لئلا ينشغلوا نبهه الله سبحانه أن يبقى على الحكمة ولا يتكلم عن عددهم.

23- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾: لا تخبر عن شيء كتبه الله لهم. ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾: تحذير له ﷺ قبل الوقوع. لا تخبر عن أمر أن الله فاعله غداً إلا أن أشاء (لا تُبيِّنْ للناس بأي وقت أنا مُخرج أصحاب الكهف). كل بيان وحكم له وقته المناسب. فلا تحدد أنت الوقت، قد لا يكون إظهار ذلك مناسباً فهو تعالى أعلم.

24- ﴿**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾: إن شاء أمرك وأرسل لك الوحي. ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾: شيئاً، ارجع إلى ربك يذكِّرك. داوم على وجهتك عليَّ لئلا تنسى، إذا نسيت شيئاً مما طبع في قلبك التجئ إلى الله يطلعك عليه. ﴿**وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ**﴾: أقرب بياناً. ﴿**مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾: كلما صار الإنسان قريباً من ربه أكثر، غدا وله علمٌ وعرفٌ أكبر. المعرفة بالإقبال على الله تعالى.

25- ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾؟! أناس قالوا: إنهم لبثوا / 300/ سنة شمسية، وآخرون قالوا / 309/ قمرية، فردَّ الله عليهم:

26- ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**﴾: ما الفائدة من كل ذلك؟ المدَّة والعدد! كل هذه المناقشات لا فائدة منها، ولا يعلم الغيب إلا الله. ﴿**لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ**﴾: الله هو الذي يعلم كم لبثوا، أما نحن فعلينا التفكير بالخلق لا السؤال عمَّا لا يؤتي للإنسان نفعاً. ﴿**أَبْصِرْ بِهِ**﴾: أرهم ملكوت السماوات والأرض، هكذا أمرني ربي أن أُري به، أما هم فلينظروا بآيات الله حتى يعرفوا لا إلٓه إلّا الله. أبصرهم بتربيتي، بحناني، بعطفي عليهم، بقدرتي، ولكن أنت أرهم سير هذا الكون، كم فيه من قدرة، من علم ومن أنظمة، هذا الذي يفيد. ﴿**وَأَسْمِعْ**﴾: وأن أُسمِعكم به. أسمعهم كلامي، وأسمعهم بعقابي إن شذُّوا، فهّمهم بعنايتي وعطفي وحناني، هذا هو المراد من القصة، عرّفهم بالمربي وبعطفي وخبرتي وقدرتي وأسمعهم بعقابي، إن فكَّروا بهذا الكون عظَّموني، عندها يعرفون حناني وعطفي، فالإيمان بالكون العظيم بمعيَّته القلبية. ﴿**مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ**﴾: ما لهم من دون الله أحد يولِّيهم للحق ولا من متولٍّ لشؤونهم سواه. إن لم يُقبل الإنسان على الله فلن يكون إنساناً. ﴿**وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**﴾: فالمناسب هو وحده يظهره، لا أحد ينفعك بشيء ما لم يُرِد الله. بمسيرك مع المرشد يسمعك كلام الله، وبالارتباط بنفسه تقبل معه على الله، فعلى الإنسان أن ينظر بهذا ويفكِّر به. ما هذا الليل والنهار؟ ما هذه الأرض؟! ما أعظم الذي رتب هذا الترتيب، وخلق هذا الخلق!

27- ﴿**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ**﴾: مما بيَّناه لك. ﴿**مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ**﴾: مما كُتب في قلبك، بيِّن لهم ما ذكرته لك عن النظر بهذا الكون وأنظمته. ﴿**لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**﴾: كلامه تعالى أصوب الكلام، فلا يمكن أن يبدل بغيره، وهذه الآية تنفي الناسخ والمنسوخ الذي ابتكره العلماء الجاهلون. لن تكون كاملاً إن لم تقبل على الله. الإيمان بالله أصل كل خير، وبعدها كلما صلَّيت صلاة زدت كمالاً، وانطلقتَ للعمل الصالح انطلاقاً أكبر، فلا مبدِّل لكلماته تعالى لإنقاذ البشرية وكل أمّة وفرد، فلا نصر إلَّا بها، والبديل هو الهلاك **"تارك الصلاة لا خير فيه"**. غير هذه الدلالة لا توصلهم للحق، لا بدَّ من السير بدلالتي كي يتعرّفوا على الحق. ﴿**وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾: لن تجد سواه تتحد معه لتصل إلى المعرفة. تتَّحد معه يا إنسان لتصبح كاملاً، وتصل للحق وتغدو من أهل الحق. الله تعالى هو المحيط بالعالمين.

28- ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ**﴾: يا محمّد ﷺ ارْضَ بهم. سلِّ نفسك بهم. ﴿**مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ**﴾: يدعون الخلق إلى ربِّهم من حبِّهم به تعالى. هؤلاء احبس نفسك معهم. ﴿**بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾: من البداية للنهاية. ﴿**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾: كل فعلهم لله. ﴿**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**﴾: هؤلاء فيهم الخير لا تحوّل نظرك عنهم. ﴿**تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: أنت لا تريد، لست من هؤلاء، طمعاً في أن يكون التأييد بواسطة هؤلاء الأغنياء. ﴿**وَلَا تُطِعْ**﴾: لا تسايره. ﴿**مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾: الذين أرادوا فصل الأغنياء بيوم والفقراء بيوم، ذلك أنهم لم يفكِّروا بآياتي ولم يتعرفوا إلي. ﴿**وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾: أمره مفروط، نفسه مشتتة تارة تطلب بناية وتارة سيارة، وتارة... مشتتٌ مضمحل، ضائع قلبه، مشتت موزع بالدنيا له مطالب كثيرة، بخلاف المؤمن الذي عرف أن الله هو المربي المسيِّر، الأمر بيده، والخير منه وحده، فما له مطلب سواه.

29- ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: هو المبيّن للحق، الحق من الممد المربي، غير هذا المربي لا يوصلك للحق، فمن لا يعرف المربي ولا يفكِّر بالتربية، لا يستطيع الوصول للحق، إن أقبلتْ نفسُك عليه رأت الحق، إن أدبرت فلن ترى شيئاً منه. فلا يمكن أن تصير إنساناً ولا أن تعرف الحق إلا بمعرفة المربي، بالتفكير الصحيح تصل بسرعة لهذه المعرفة، ما هذا الطعام. الشراب. الماء؟ ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ**﴾: بأن الله هو المبيّن للحق. ﴿**وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾: بذلك. الله تعالى ترك الحرية للإنسان، أعطيناهم الاختيار، إن سرت بهذا الطريق توصَّلت لهذه المعرفة وإلَّا ظللت بعيداً لا تفقه شيئاً كالأنعام، بل أضلّ. ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا**﴾: الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم حضَّرنا لهم النار، فمن ظلم نفسه هيَّأنا له ما يناسبه من النار، لأن الألم النفسي سيكون عليه أعظم من النار، الذين ظلموا أنفسهم بعدم تفكيرهم، إذ حرموها مما أعدَّ لهم من خيرات. فما أعظم ألم هذا الشخص الذي ستكون النار دواءً له ويرضاها ليخلص من ألمه! فالنار تسلّيه عن ألمه. ﴿**أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**﴾: من الآن لفَّت حولهم وهي من هنا محيطة بهم. لهيبها منذ الآن أحاط بهم، لكن ذلك خفي عنهم، فالمعرض لا يشعر لأنه ميت[9] {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**}[10].

﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا**﴾: لشدة ألمهم يصيحون، وتخفيفاً عنهم من عذاب أنفسهم يُؤتون بماء كالقطران المغلي. ﴿**يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ**﴾: كالقطران الملتهب (الزفت المغلي)، عندما يستغيث يسقى منه، لأن المريض يحتاج لعلاج مرّ كريه. ﴿**يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾: والوجوه هنا: إنما هي النفوس التي تتجه نحو طلباتها ورغباتها، فهذه النفوس الآثمة التي لم تتجه إلَّا للدنيء المؤذي تأتي يوم القيامة والإثم يلحقها، فلا يناسبها إلَّا الدواء المرّ الكريه، لأن آلامها النفسية المرهقة التي لا تطاق تضطرها لأن تشرب من هذا المهل (الزفت المغلي) لكي تنسى ما بها وتنشغل عنه بألم هذا الدواء المرّ الكريه. ﴿**بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾: ساءهم عملهم الخبيث المرافق لهم، دوماً رفيقهم الإساءة، من هلاك لهلاك. فالله تعالى خلقك على فطرة الكمال، ففي الآخرة وعندما ترى فرار الناس منك، وترى دناءتك وحقارتك، تغلي النار في نفسك، نار الخجل والحقارة، فلا بدَّ لك من النار المحرقة كي تسلّيك عن ألم نفسك.

30- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: بلا إلَه إلَّا الله، وبعد الإيمان العمل الصالح. ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: فمتى نال شخصٌ شهادة فهو يسعى وراء وظيفة ليكسب منها، وكذلك الإيمان يجرُّ للعمل. ﴿**إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾: في الدنيا والآخرة، يُعطَوْن إلى ما لا نهاية، لكن إذا آمن لا ينبعث منه شرٌّ أبداً، في الدنيا سليم، وفي الآخرة سليم، فمن يعمل العمل العالي لن يضيع أجره. هذا الذي استحق الخيرات، لكن ذاك المسيء قد ظلم نفسه.

سورة الكهف: [31-40]

31- ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾: متتالية كثيرة لا تنتهي. كل لحظة جنَّة من واحدة لواحدة، فمن حسن لأحسن، والله تعالى لا نهاية له، كذا فضله ما له نهاية. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ**﴾: الخيرات الكثيرة. ﴿**يُحَلَّوْنَ فِيهَا**﴾: أي: يحصل لهم تحلية بما أحاط بهم مما يبسطهم. وذهب منهم من أعمال حسنة،

---

[9] هذا المعرض عن ربّه المنقطع عنه تعالى غدا قلبه ميتاً إذ انقطع عن الاتصال بمصدر النور ومنبع الحياة سبحانه وتعالى وبذلك يموت القلب ويغرق بهذه الماديات واللذائذ الدنيوية التي لا تجلب حياةً للقلب ولا سعادة، بل لذة آنية تعقبها آلام أبدية من بعد الموت... فيعيش قلب هذا الإنسان بتعاسة وشقاء البعد عن الله وظلمات الشهوات الدنيوية المحرَّمة التي بحقيقتها نار تشتعل به بذاته ولا يشعر بها ويكتوي بحريقها إلا عند الموت وما بعده، والنار دواء لهذا الحال الأليم.

[10] سورة طه – الآية:124.

تغمرهم تجلّيات الحياة المستمرة مما أسند إليهم من وظيفة في إرشاد الخلق ودلالتهم، وهذه التجلّيات فيها نور يكشف لهم عن الكمالات الإلّهية، متكئين على أعمالهم الصالحة التي قدموها في الدنيا، وهذا الثوب الذي يلبسونه، كله لذائذ يتنعم بها. وهذه الحالة متزايدة في الحسن، مرافقة لهم دوماً فلا تفارقهم. ﴿**مِنْ أَسَاوِرَ**﴾: بما يسرُّهم. يساورهم سرور عظيم وذوق عالٍ من إقبالهم العظيم على الله فيزدادون جمالاً وجلالاً.[11] ﴿**مِنْ ذَهَبٍ**﴾: مما ذهب من عملهم، أي من أعمالهم التي ذهبت في الماضي. سرور مما ذهب لهم في الدنيا من عمل. ﴿**وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا**﴾: حياة، تجليات فيها الحياة، يلبس ثياب الحياة. ﴿**مِنْ سُندُسٍ**﴾: مما أسند إليهم من أعمال. ﴿**وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾: تبرق وتلمع أمامهم. ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا**﴾: في إقبالهم على الله. ﴿**عَلَى الْأَرَائِكِ**﴾: على ما يراه من أعماله، فهو يتكئ في إقباله على الله على ما يراه من أعماله التي سلفت منه في الدنيا وقدَّمها، فبها يرقى.

مثلاً: قدَّم مائة عمل، فهي تدور أمامه فيرقى من درجةٍ أو منزلةٍ لدرجةٍ أو منزلةٍ أعلى وهكذا. وكلما كانت النية أعلى رقي بعمله رقيّاً أكبر، والمؤمن تمرُّ أعماله أمامه كسلسلة دوَّارة فمن عملٍ لعمل، كلما كانت نيَّته أعلى سما بعمله سموّاً أكثر: أرسلك للدنيا للعمل الصالح الذي به ترقى. ﴿**نِعْمَ الثَّوَابُ**﴾: هذا هو النعيم. ﴿**وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾: نِعم الرفيق لهم، من حال لحال أحسن، معينة له على الرقي والإقبال على الله والرفعة، بعكس أعمال الكافر، إذ النار تعينه على تخفيف آلامه.

32- ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا**﴾: من الذي جعل؟! أليس الله؟ إذن كيف تنسب لك ما هو لغيرك! أسلبٌ ونهبٌ وتبني عليه وتتعالى به على عباد الله سبحانه وأنت ضيف عند من يهيِّئ لك كل شيء! فما هذا اللؤم! تعرض عن المضيف وتَدَّعي التّملُّك الأبدي، ما هذا الكبر؟ ﴿**لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ**﴾: ما دام أخوه صديقه مؤمناً وتقياً فلِمَ لمْ يعطه إحداهما ويرقى بعمله بالإيمان رقياً من أجله خُلِقت الدنيا؟! عنده اثنتان وأخوه لا شيء عنده، ما زاد عنك وعن معيشتك وكفافك فهو لك، خذه بالإنفاق، تخسره من الصورة ويعطيك الله إياه حقيقة، فينطبع بنفسك ويبقى لك أبداً تنعم به كيفما ومتى شئت. ﴿**مِنْ أَعْنَابٍ**﴾: من فواكه متنوعة، بستانان من جميع الفواكه، عنباً ونخلاً وزرعاً: عطاء كامل خالٍ من الشوائب تقدّره النفس وتستعظمه، فإذا ضحّت به ضحّت بعظيم يورثها ثقة وقوة دافعة عظيمة تحمل النفس من أسرها الكوني لتخترق الصورة إلى الحقائق فلا تبغي عنها حولاً، عندها تتمنى النفس لو أعطاها الله أمثالها بل الدنيا بأسرها لتنفقها فتكسب القرب زلفى منه تعالى، {**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**} حذار. ﴿**وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ**﴾: من حول الحديقتين، أي: من أطرافهما. ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا**﴾: بين الأشجار. ﴿**زَرْعًا**﴾: من خُضَر بين الأشجار، خضراً وكلأً في الوسط.

33- ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا**﴾: أثمرت ونضجت وآن أوان القطاف. ﴿**وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا**﴾: كان الحمل تاماً كاملاً، كله أثمر، فما من شجرة حملت قليلاً بل كلها أعطت حقّها. ﴿**وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا**﴾: مستمر الجريان، متى شاء وأراد سقى.

34- ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ**﴾: إذ نضج، فكان للرجل غلة وثمر. ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً**﴾: أنت فقير. ﴿**وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾: انظر ما عندي رغم أنني لست مثلك على السير الذي تدعي بأنه حق. قوله كقول إبليس أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، الاعتزاز بما ليس له وبما لم يصنعه للاستعلاء والاستكبار والاتجاه لغير الله "للنفس والهوى" وبالتالي العمى عن مصدر النور والحق

---

[11] فالذهب ذو قيمة عالية وغالية، وهو لا يتبدل كغيره من المعادن الرخيصة، فبأعمالهم ابيضت وجوههم وأقبلت على ربها فاشتقت صفات ذات قيمة عالية ثبتت فيهم، وغدت قلوبهم كالذهب غير قابلة للتغيير أو الخسران، بل هم بسبب ما قدموه في السابق من أعمال في رقي ومكاسب كبرى متزايدة.

والحياة، إلى النفس وتقلباتها وفقرها إذ لا تغني صاحبها، فلا قدرة إيجاد خلق أو إبداع لديها، فتلتفت لما حولها ابتغاء السلب والنهب، وينعكس ذلك عليها بصفات الغدر والاستبداد وألم الآخرين فتشحن بالصفات الذميمة المنحطَّة، وتهبط من دركٍ إلى دركٍ أسفل، وتنحطُّ متزايدة بالانحطاط وتشقى، وتحتاج لعلاجٍ مسكنٍ لآلامها، وما لهذا خُلقت أيها الإنسان.

35- **﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾:** استلذَّ بها ولم يذكر نعمة الله. **﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾:** ببعده عن الله لمَّا قال من قبل من أنه أكثر مالاً وأعزُّ نفراً. **﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾:** هذه الخيرات هل تذهب؟! أمَّنت مستقبلي.

36- **﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾:** البعث كما يقال! هل أجد خيراً منها؟! بعد الموت! كل هذا لا أصل له.

37- **﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾:** أتنكر الذي خلقك؟! ألا تفكِّر ببدايتك كيف كنت من تراب؟! **﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾:** لما تخلَّقت، ألا تذكر أصلك ونهايتك؟! أصلك من ثمرة أكلها أبوك فصارت نطفة فصرت رجلاً، كيف تنكر هذا الإنكار؟! الذي سوَّاك من نطفة كلامه ليس بصحيح! **﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾:** من طوْر لطور حتى صرت إنساناً، ألا تفكِّر بحالك، بأصلك؟! من سوَّاك؟ من ربَّاك؟ من نمَّاك؟!

إن الإيمان بالمربي عن طريق البداية والبحث في التربية بالخلق يؤدي إلى التذكرة وذكرى الوطن الحقيقي (اللَّه) والعهد، فلا يطمئن الإنسان للدنيا ولا يضيّعها سدى، بل يكسب الخيرات بها "الخيرات الدائمية".

38- **﴿لَكِنَّا﴾:** لكن أنا أعرف، أنا هذا ما رأيته. وكلنا من اللازم أن نعرف جيداً أنه: **﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾:** كل الفضل فضله. **﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾:** أنا هذا ما رأيته.

39- **﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾:** بهذا الحال من الذكرى. **﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾:** كان. "ما شاء الله كان، وما لم يشأه لم يكن". لأبصرت مشيئة الله الرحيمة وأدركت غايته وحكمته الجليلة لسعادتك، فقدَّمتها[12] لرضاه، لكسَّبك إياها أبداً وضاعف لك العطاء **{... لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...}**[13] **﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾:** الكل فضله. **﴿إِنْ تَرَنِ﴾:** الآن. **﴿أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾:** الآن فاحتقرتني. ترى نفسك أنك غني وعندك أولاد، ولا تعبأ بقولي! لكن عندها بالإيمان لن تراني[14] ولن تسلك سبيل اللعين إبليس فتستعلي بما ليس لك، بل هو وسيلة لرقيك ولاستفدت منه ولما جحدته ليكون عليك ناراً في الآخرة.

40- **﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾:** بلاءً ضمن حساب لا يخطئك، لا تحسب له حساباً وحسب ما يلزم، لكنه ضمن حساب لا يخطئه، من السماء، قال له طالما فيك خير وخسرت عن طريق الخير الذي جعله الله لك فعسى أن يعالجك الله لطالما أن هذه الجنة "المزرعة" أصبحت طريقاً لهلاكك، والله أرادها طريقاً لسعادتك، فعسى أن يسحب الخير منك طالما أَصْبَحْتَ غير أهلٍ للعطاء، ليجعلك بذلك أهلاً بتغيير وجهتك، بعد فقدان جنّتك "مزرعتك" والتي هي سبب إعراضك، وخشية المزيد من أمراضك حباً ورحمة بك. **﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا﴾:** تراباً.

---

[12] فقدَّمتها: قدَّمت جنتك "مزرعتك" وأنفقتها لتكسب رضاء الله بهذا الإنفاق.

[13] سورة إبراهيم – الآية:7.

[14] لكن عندها بالإيمان لن تراني: فإن سلكت سبيل الإيمان وآمنت بربّك عندها لن تراني بمنظارك هذا، منظار التكبُّر والاستعلاء ولن تحتقرني، بل ترى أننا إخوة، عبادٌ لله.

﴿زَلَقًا﴾: مستنقعاً يزحلق الإنسان، يطوف النهر فلا يستطيع أحد السير فيه، والخيرات لا أثر لها. غباراً ذاهباً من يدك تصبح مندثرة.

سورة الكهف: [41-50]

41- ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾: يغور. ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ﴾: ساعتها. ﴿لَهُ طَلَبًا﴾: من الذي يخرجه لك؟ قصة الرجلين تبيّن أن الله يعطي العبد؛ فإن شكر وأقبل وإلَّا فيأخذ منه هذه النعمة، فإن لم يرجع فله عذاب بئيس.

فائدة:

الدنيا وسيلة لإصلاح النفوس، تتعلق بها النفوس المريضة المعرضة، فإذا ظهر بها انحرافها انتزعها الله بضربة من ضرباته الرحيمة، كاللصقة توضع على الدُّمّلة فبانتزاعها تأخذ بقيح الدمّلة وإنتاناتها عند الاستواء، ولكن الجرثوم المرضي النفسي لا يزول إلا برجوع النفس لبارئها، فيسري النور الإلّهي لموضع العلّة ويقضي على جرثوم الشهوة الخبيث.

42- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾: أي أن البلاء لا بد واقع بالمعرض. ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾: خسر خسارة كبرى. وكذلك كثير ممن يعطى مالاً أو وظيفة ثم يُسلب النعمة بكفره. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: شجراً يابساً. ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: هنا شعر وآمن، فكل ما يسوقه الله تعالى للإنسان هو خير له.

43- ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: إذا حلَّ البلاء من يردُّه؟ ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾: بما عمل. الإنسان إن أوتي نعمة يجب عليه أن يشكر الله ليزداد نعمة.

44- ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾: عندها عرف أن المسألة بيد الله تعالى. ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: رجعة له. رجعة لله خير له من هذا المال. ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: يعقِّب الإنسان ليطهِّر له نفسه. فكل ما يصيب الإنسان فإنما هو من حنان الله عليه. "أبصر به وأسمع" فالله تعالى يسوق ما يسوق للإنسان ليردَّه للحق. إن أرسل الشدائد للإنسان فمن شدة حبه تعالى وحنانه ورحمته به، يعقِّب الإنسان ليطهِّر له نفسه.

45- ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ذكِّرهم بها، فليفكِّر هذا الإنسان. ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: الأمطار ماؤها اختلط بالزرع، القمح والذُّرة والعدس... ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: فاخضرّ، ثم اصفرّ، ثم جفَّ وييبس، أصبح كذلك بعد أن نما، وكذلك الإنسان نهايته سيبلغها بعد أن وُلد ونما. ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾: وينسفه الهواء. هذا هو مثل الإنسان في نموِّه، ودنياه في ذهابها عنه، إذن كذلك أنت أيها الإنسان، كالزرع ستصبح تراباً، ألا تفكِّر بهذه الدنيا! بمن سبقك، مهما عشت. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾: كما بدأك يعيدك كما كنت.

إذن: الله تعالى خاطب رسوله ﷺ، قال له: اضرب لهم مثل الحياة الدنيا، كيف ينزل المطر، ينبت الحبوب، تصبح زرعاً ثم يجف، ثم ييبس، فيصبح تراباً، وأنت كذلك أيها الإنسان، تمر بأدوار كالنبات ثم تموت وتعود تراباً، يعيدك كما خلقك.

46- ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: لا تتعلَّق بها، لا تفتخر بها، فهي مؤقتة، فكِّر بالمربي، بلا إلّه إلَّا الله، ستكون الدنيا صعيداً. غداً لا أنساب. ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: العمل الصالح تأمَّل به لا بالمال والبنين. ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: رجعة عليك. ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: تأمَّل بها، يتأمل الإنسان بفعل الخيرات. عملك المعروف لا يزول، سيرجع وسيعود عليك غداً. هذه الآية تثبتها آية: {أُولَئِكَ لَهُمْ

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ...﴾[15]. أي الباقي لزينة الإنسان هي الأعمال الصالحة، لا المال ولا البنون.

47- ﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ**﴾: يومها. ﴿**بَارِزَةً**﴾: قد ظهرت، وظهر عليها الخلق، وبرز كل ما جرى عليها من أعمال للوجود فهي بارزة بعملك، بما عملت عليها من خير وشر، سيظهر وينكشف، كل واحد وعمله ظاهر، كل كلمة كل حركة محفوظة عند الله. فكِّر بعملك، فإلى متى وأنت لاهٍ؟! ﴿**وَحَشَرْنَاهُمْ**﴾: الخلق كلهم. ﴿**فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾: من لَدُنْ آدم عليه السلام حتى آخر الزمان، لا نترك أحداً.

48- ﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا**﴾: بنظام وانتظام من آدم عليه السلام، حتى القيامة. ﴿**لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾: أنفساً، بلا أجساد ظاهرة كما كنتم بالأزل قبل مجيئكم للدنيا، كما خلقناكم؛ عراة، حينما كنت صغيراً وحيداً لا مال ولا عز ولا جاه ولا ألبسة ولا شيء، وستعود وحيداً. ﴿**بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾: هكذا زعمتم، أنكرتم البعث.

49- ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ**﴾: ما كتب في نفسك من أعمالك، أعمالك المطبوعة في نفسك وكل امرئ وعمله مسطَّر، لا يذهب منه شيء، الآن انظر لنفسك تجد ما عملته مكتوباً على صفحاتها من خير وشر، لكن غداً سيظهر العمل لكل الخلق، فكل امرئ وكتاب عمله، سينكشف حالك لجميع الناس، الآن النفس مخبوءة، فاعمل الخير لكي تستر الحسنات السيئات. ﴿**فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ**﴾: الذين لم يعملوا معروفاً أبداً. ﴿**مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ**﴾: خائفين مما في الكتاب المطبوع في أنفسهم، حيث أنهم لم يعملوا في الدنيا خيراً على الإطلاق فهم خائفون على أنفسهم. ﴿**وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا**﴾: الشقاء ثم الشقاء له. ﴿**مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾: لا يترك شيئاً. ما تعمله اليوم تحصده غداً، فتلاف أمرك وتدارك من الآن قبل فوات الأوان. ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**﴾: أمامهم. ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾: كل إنسان ينال حقّه.

خلقك رب العالمين على هذا النظام من نطفة لتعرف أصلك، ونهايتك للقبر لتفكِّر وتحذر، والكون والحياة بنظام، والأمراض والشدائد كلها من رحمته تعالى لإيقاظك. والآن من عطفه تعالى وحنانه علينا سيبيّن لنا لئلا نقع، وحذَّرنا تعالى من أن نلهو في الدنيا فهي مؤقتة.

50- ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ**﴾: للذين ملَّكوا أنفسهم لله من بعد ما رأوا من فضله وأسمائه. ﴿**اسْجُدُوا لِآَدَمَ**﴾: ادخلوا من باب آدم وأطيعوه. ﴿**فَسَجَدُوا**﴾: لِعُرفِهم بربهم أنه الرحيم. دلالته كلها عطف وحنان ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾: مَنْ أبلس عليه الأمر. الذي لم يرَ العطف والحنان الإلّهي فأبلس عليه الأمر، لا تكونوا مثله، فهو يظن أن الله تعالى لا يحاسبه فأبى. وهنا لا تكن مثل إبليس، أنتم فكِّروا لكيلا يلتبس عليكم الأمر مثله. ﴿**كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾[16]: من الذين خفي عنهم الحق. ﴿**فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾: خرج عن طاعة الله، لا تخرج عن دائرة الحق مثله، لا تكن يا إنسان مثل إبليس، اسجد لرسول الله تنل كل خير، تواضع له فإنه باب الله. ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي**﴾: تتركونني وتلحقون بعدوّكم! هذا الجاهل الذي فسق عن أمر ربه، أتلحقون دلالته وتتركون صاحب الإحسان والعطف والحنان؟ ﴿**وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ**﴾: بيَّنت لكم ما فعل مع أبيكم آدم عليه السلام. ﴿**بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾: هذا الظالم ما سيكون حاله

---

[15] سورة الكهف – الآية:31.

[16] وهذه الآية تنفي ما زعمته بعض التفاسير من أن إبليس كان طاووس الملائكة وأنه لم يترك بقعةً من السماء إلّا وسجد بها. فالله يقول وهو أصدق القائلين أن إبليس كان من الجن وليس من الملائكة.

غداً؟! إبليس طُرِد لأنه عادى أباكم وتوعَّد بإضلالكم. حناني وعطفي ورحمتي وفضلي تنسونه وتتركونه وتلحقون بعدوكم!

سورة الكهف: [51-60]

51- ﴿**مَا أَشْهَدْتُهُمْ**﴾: أما أشهدتهم؟!. ﴿**خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: خلق السماوات والأرض! ألم أشهدهم هذه السماوات والأرض وما فيها، ألا يرونها! أما أريتكم خلق السماوات! أما رأوها، أما نظروا العظمة، أما فكَّروا! كل إنسان وله مَلَكٌ يُناديه: يا عبد الله انظر في آيات الله، لو تحوَّلت لسمعت الحق. المَلك دوماً يناديك فكِّر واعقل. كذلك بالأزل لما طلبوا التكليف أشهدهم الله خلق السماوات والأرض، لكن بانقطاعهم عنه سبحانه وتعالى نسوا هذا الشيء. ﴿**وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ**﴾: وكذلك ألم أشهدهم خلق أنفسهم! شاهدوا خلقهم عن طريق أولادهم. ألم يعلم الإنسان أنه خلق من نطفة؟! ألا يكفي هذا؟! خلقهم من تراب، من نطفة، ما فكَّروا ببدايتهم، كيف تنقَّلوا في بطون أمهاتهم من طور لطور، أما رأوا ذلك! كيف لحقوا بهذا الكافر؟! أما جعلت ذلك الخلق ضمن قوانين وأدلة وبراهين؟! ﴿**وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾: من سار مع الشيطان لم يتّخذه الله مرشداً إليه. أنا لا أتخذ المضلين مرشدين. لا يضلل الله أحداً، ولا يرسل الشيطان ليغوي. الأصنام لا أجعلها واسطة تُقرِّبكم إليَّ، والكهَّان والعُرَّاف، أيسألونهم ويتعلَّمون منهم! إذاً هذه الآية تنفي ما قيل من أحاديث مدسوسة عن الدجال من أنه يخلق وينزل الأمطار ويحيي ويميت، فالله سبحانه لا يغرِّر بالناس.

52- ﴿**وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ**﴾: كل امرئ ملْتهٍ "بآلامه وبأوجاعه، لا أحد يجيب أحداً". وكلٌّ منشغل بآلامه فلا يلتفت إلى أحد. ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا**﴾: الهلاك فاصل بينهم، كلٌّ يقول: نفسي، فقد ظهرت الحقائق وابتعد كل واحد عن صاحبه لِمَا رآه من سفالته، وينعتون بعضهم بنعوت الاشمئزاز.

53- ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ**﴾: استيقنوا ورأوها. ﴿**فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا**﴾: حتماً، عرفوا أنه لا محيص عنها لِمَا فيهم من ألم، ومن عملهم عرفوا أنهم سيقعون بها حتماً، رأى أن لا بدَّ له منها. المجرم عندما يرى "المشنقة" يعرف أنَّها له، جرمه يدلّه. ﴿**وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا**﴾: لشدة ما فيهم من ألم. ﴿**مَصْرِفًا**﴾: مخلصاً، مكاناً، أو أحداً ينصرفون إليه، يعلم أن لا طريق له للخلاص، لا بدَّ له من هذه المعالجة والمداواة.

54- ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾: ما فرّطنا في الكتاب من شيء، كل شيء بيَّناه، الحمد لله ربِّ العالمين. ﴿**وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾: المعرض يجادل بالباطل، يجادل بما هو حق كالصلوات على الرسول ﷺ، ويدع المنكر لا يعارضه. يسأل لِمَ هذه ولم هذه ولم فعل الله ذلك. ولا يلتفت لنفسه ليرى ما بها فَيَشْغَله. فالبعيد عن الله يجادل بالباطل لغلبة شهوته عليه، يجادل ليردَّ الحق، فإن لم يعرف الإنسان البداية فلن يدرك الحق.

55- ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا**﴾: ما الذي يمنعهم من أن يؤمنوا؟ ﴿**إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى**﴾: على لسان محمد ﷺ، كان كلامه ﷺ منطقياً عالياً وعارضوه. ﴿**وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**﴾: الهلاك العام، كما جرى للأقوام التي خلت، أي لا يؤمن حتى تأتيه الشدائد، آمن قبل الهلاك. ﴿**أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا**﴾: هلاك عمومي: البلاء يذهب به، أليس من الخير أن يؤمن دون عذاب وشدائد؟! آمن قبل الهلاك، قبل البلاء والعذاب الدنيوي.

56- ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ**﴾: بالخيرات يبشّرك إن سرت بالحق. ليس لهم إلا هذه الوظيفة يبشر وينذر. ﴿**وَمُنْذِرِينَ**﴾: ينذرك من البلاء، من عذاب النار، هذه وظيفته. ﴿**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا**﴾: ما فكّروا بها. ألا تفكّر بها!

57- ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾: لنفسه. ﴿**مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ**﴾: فما نظر. ﴿**فَأَعْرَضَ عَنْهَا**﴾: ما سأل عنها. فكِّر بالليل، النهار، بنفسك، بالأثمار. هل من أحد أظلم لنفسه منه؟! فالذي سمع وأعرض عذابه أعظم، وكذا حال المنافق في الدرك الأسفل من النار، حسرته أعظم من حسرة الكافر. هل ثمة أحد يظلم نفسه مثله؟

مثال: شخص انتسب للمدرسة فلم يدرس وطرد، فكان محتقراً في حياته عندما يرى من سبقه وفاز. ﴿**وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾: من الأفعال السيئة، عملَ غير آبهٍ لما يعمل، إن لم يفكِّر الإنسان بلا إلّه إلّا الله حتى تخرج الدنيا من قلبه فلن يرى عيْبه، متى خرجت الدنيا من قلبه رأى عيبه، فالتجأ إلى الله وتاب توبة صحيحةً. فمن لا يُقبل على الله فهو يرافق الشيطان. فكل من لا يُقبل على الله فإنه يميل مع الشيطان وتتولد الشهوة الخبيثة في نفسه. "فرض الله تعالى علينا الحج ومناسكه التي فيها تضييق على النفس حتى تخرج الدنيا الوسخة من قلبك، متى خرجتْ ترى عيبك فتذل وتلتجئ إلى الله وتتوب توبة صادقة. ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾: ستراً، فلا يرون ما يقع لهم بعد عملهم، السبب: نفسه بإعراضه عن الله تعالى امتلأت خبثاً، وقلبه مشحون بالشهوات، فاقتضى ذلك بلاءً وشدائد لإخراج ما بنفسه، إذ يطلقه تعالى لشهوته ويعطيه بعدها علاجاً مرّاً ليتوب. فهؤلاء الذين لم يفكِّروا هكذا يعاملهم، كمثل الوالد الذي يقول لولده المريض هذا دواء حلو طيب، وهو مرّ. ﴿**أَنْ يَفْقَهُوهُ**﴾: أن يفقهوا العمل وما ينتج عنه. ﴿**وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾: ثقل. ﴿**وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى**﴾: طالما أن الشهوة بنفسه فهو لا يسمع. ﴿**فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾: لن يهتدوا ما داموا في أمراضهم، ولن يصغوا لكلامك. إن لم يقبل الإنسان على الله حتماً تقع شهوات في قلبه، فمتى صارت في قلبه فلا يسمع، لذا يطلقه لها ولا يريه ما وراءها ثم يداويه.

58- ﴿**وَرَبُّكَ الْغَفُورُ**﴾: يرسل الشدائد للشفاء، ستر عنه المعاني ليخرج خبثه، فيداويه. ﴿**ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا**﴾: إن جاء يومك فلا جدوى لك.

59- ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ**﴾: بعد إنذارات عديدة. ﴿**لَمَّا ظَلَمُوا**﴾: أما سمعتم بهم؟ فلا تظلموا. ﴿**وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا**﴾: لم يخطئهم. كل شيء له موعد، وكلٌّ له وقت معلوم.

كلمة عن الصوم:

قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[17].

فما هو هذا الإيمان؟ وما هي هذه التقوى؟ وما فائدة الصيام؟

الإيمان: هو بلا إلّه إلّا الله، فالله تعالى أرشدنا إلى آياته، وملَك دوماً يناديك (في قرارة نفسك)، إن سمعت من الملَك أو من الرسول أو المرشد ففكَّرت بالتربية وبمن يربيك، وبنهايتك ومصيرك ووحدتك في القبر، بهذا التفكير تتولَّد الخشية في النفس، عندها تلتجئ النفس للفكر فتنظر في الكون

[17] سورة البقرة – الآية:183.

بصدق وترى فيه التربية ويقول الإنسان: لا إلّه إلّا الله ويؤمن بها حقّاً. هذا الإيمان يباعد النفس عن محارم الله، وهذا الإنسان كيفما تحوّل يرى الله معه.

الله تعالى فرض الصوم: بالجوع والعطش يتوقف الشيطان عن الدخول على النفس، إذ أنها مشغولة بالجوع والعطش ففكرها دوماً بأكلها وشربها. فهذا المؤمن عدا عن أنه غدا مستقيماً فإنَّ قلبه أيضاً قد صام ونفسه اجتمعت، وبفعله شيئاً من المعروف، عند المساء وإثر فطره يرى نفسه بأنه جاع وعطش لرضاء الله كما أنه فعل المعروف فيقبل على الله، وهكذا وفي كل يوم يكسب جديداً حتى العشر الآخر من رمضان، وفي العشر الأخير هذا تستكمل نفسه الكمال وتشتق الكمال، فيحب أهل الكمال ويتعلَّق بهم، برسول الله ﷺ أو برجل صادق، بتعلُّقك به تدخل معه على الله. وهذه هي التقوى التي تسترك عن محارم الله. فإذا قرأت القرآن فهمته، إن رأيت شيئاً من آياته فقهت المراد ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: إن آمنت حقاً تصوم، إن صمت ارتبطت بأهل الصدق والكمال وبمعيتهم تدخل على الله. أما من صام وليس له هذا الإيمان فليس له إلَّا الجوع والعطش. الآن سيذكر لنا تعالى قصة سيدنا موسى عليه السلام

60- ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾: فلماذا وردت هذه الآية؟ قال تعالى كما رأينا: أبصر به: أرهم ملْكي. وأسمع: أسمعهم بحناني. كان سيدنا موسى عليه السلام قد دعا على فرعون بقوله: {**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**}[18].

فلما دعا سيدنا موسى عليه السلام بهذا أمره الله بالذهاب لمجمع البحرين؛ وهنالك ترى من يدلُّك على عنايتي بعبادي وحكمتي بخلقي. حيث تجتمع بعبد "علَّمه تعالى من لدنه: علماً منه"، فقال لفتاه: ﴿**لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ**﴾: حيث التقاء البحر الأحمر مع البحر الأبيض[19]، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية حيث يجمع الله بين بحر علوم سيدنا موسى عليه السلام وبحر علوم سيدنا الخضر عليه السلام. ﴿**أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾: طول دهري. عمري كله، وهكذا الصادق يطلب العلم ولو بالصين، العلم هو هذا العلم الذي يريد الله تعليمه لسيدنا موسى عليه السلام معرفة مراد الله في خلقه.

سورة الكهف: [61-70]

61- ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا**﴾: البين: الفراق والبعد، سيدنا موسى عنده علم الشريعة، أي القاتل يقتل، السارق تقطع يده وما إلى ذلك من علوم الشرع، ونفسه الشريفة عليه السلام عندها ثورة قوية للحق، أما سيدنا الخضر فعنده علوم أسرار مراد الله من أفعاله وأوامره في خلقه، لذلك قال تعالى: ﴿**مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا**﴾: أي سوف يزول بُعد سيدنا موسى عليه السلام عن العلوم التي عند سيدنا الخضر عندها يفهم عليه السلام الأشياء الخفيَّة حيث ستتنزل عليه التوراة وستظل رسالته وأعماله وعلومه ألوف السنين. ﴿**نَسِيَا حُوتَهُمَا**﴾: لمَّا وصلا لهذا الموضع نسي فتاه الحوت، موسى عليه السلام نسي الأكل وما اهتم به، لمَّا قاما وثب الحوت وصار في البحر، فرآه الفتى ولم يره موسى. وكان الله تعالى قد بيَّن لموسى عليه السلام أنه سيجعل له علامة على الموضع. ﴿**فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا**﴾: سرب الحوت إلى البحر. أُحْييَ الحوت ونزل إلى البحر.

---

[18] سورة يونس – الآية:88–89.

[19] ذكرت المصادر التاريخية أن البحر الأحمر كان يتصل بالبحر الأبيض المتوسط عبر قناة حفرها المصريون القدماء.

62- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: موسى عليه السلام وفتاه عن الموضع المطلوب. ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾: تعباً. انهدت كل قواه الجسمية وذهب عنه تصميمه[20]، كل هذا لأن نفسه الشريفة الكاملة لا تسير إلا بالكمال، أما بالخطأ فيكفُّون وينهارون، سيرهم فقط للحق وبالكمال، كذلك حال الأنبياء والرسل جميعاً عليهم السلام.

63- ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: إلى مغارة بسبب شدة الحر. ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾: نسيت أن أذكر قصة الحوت لك. ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾: أن أذكر لك القصة. ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾: ولكن عجباً كيف سرب؟! كذلك متعجباً من نسيانه وكيف دخل عليه الشيطان.

64- ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: هذا النسيان. وكان تعالى قد أخبرهما من قبل أن هذه علامة المكان الذي سيوجد فيه العبد. ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آَثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: فرجعا على نفس الطريق يقصان أثره، وعادا إلى هذا الأثر حيث موضع تسرُّب الحوت لتقع معه القصص العظيمة مع سيدنا الخضر عليه السلام. فكلمة قصصاً أي يقصَّان أثر العبد الصالح، هذه الكلمة وردت حين قالت أم سيدنا موسى لأخته: (قصِّيه): تتبعي أمره وما سيجري معه.

65- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾: وهو الخضر عليه السلام[21] ﴿آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: رحمة مبنية على علم. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾: علمناه التقوى حينما أصبح عبداً إثر إيمانه الذاتي وحصول الخشية لديه، إثر مشاهدة الوجود الإلٰهي فاستقام الاستقامة التامة وحصل على الثقة برضاء الله، فدخلت نفسه على الله واشتقت منه سبحانه الكمال، وعرجت بمعية الكاملين فشاهدت كمال الله وعظيم حبِّه تعالى لها وبالغ عنايته بها، فهامت نفسه به تعالى شوقاً وأقبلت عليه طائعة راضية بطاعته المطلقة مستسلمة إليه عن رضى وإذعان حبِّي، فكان هذا الإنسان عبداً. ﴿مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾: غير علم سيدنا موسى عليه السلام. سيدنا موسى عليه السلام علمه علم التشريع "دلالة الخلق على الله" هذا العبد الصالح علمه غدا بمراد الله من فعله. هذا العلم لا يحصل عليه إلَّا من طلبه منَّا "من الله"، وتخلى عن الكل إلينا، فالرؤية بنور الله سبحانه تُري ما لا تراه العين وما لا تدركه الأفهام والأفكار، وهذا الدليل الأول على عظمته عليه السلام لأن العلم اللدنّي هو عطاء من الله مباشرة خالٍ من علوم الدنيا ناله عليه السلام قبل مجيئه للدنيا أيضاً.

66- ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: هل ترضاني مريداً لك أرتشف من معين علومك الحكيمة؟

67- ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: عرف الخضر عليه السلام صفة نفس موسى عليه السلام وهي الحدَّة بالحق لذلك قال له هذا وهو مفتونٌ به وبصفاته العالية، فَرَّد موسى عليه، قال: ولمَ؟ فأجابه الخضر عليه السلام

---

[20] كان سيدنا موسى في الآيات السابقة قد قال: (لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) دليل على عزيمته وتصميمه الكبير على لقاء الرجل الصالح الذي آتاه الله علماً من لدنه. ولكن ما أن تجاوزا مكان اللقاء حتى شعر سيدنا موسى عليه السلام بانهيار قواه وفتور عزيمته: (لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) وذلك لأنه جاوز المكان وإن مضى ابتعد ولن يلتقي بالعبد الصالح، لذلك ولكمال نفسه الشريفة التي لا تسير بالخطأ أبداً أحسّ أنه قد تعب وتلاشت عزيمته وهمدت قواه.

[21] هناك من يقول أن سيدنا الخضر عليه السلام لا يزال على قيد الحياة وأنه يظهر بين الحين والحين للناس. والله سبحانه وتعالى يقول مخاطباً رسوله ﷺ (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) سورة الأنبياء – الآية:34 وهذه الآية الكريمة تنفي هذا الزعم.

68- ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾: أنت لا تستطيع الإطاعة بسبب هيامك بالله ومعرفتك وإدراكك مرامه السامي النبيل العالي بمحبة هذا الإنسان، فهذا الحب وهذه المعرفة تستحوذ على ملكاتك فتولّد فيك قوة لو سلّطت على العالمين لغلبتهم، فأنى لك أن تطيع أو تصبر. لقد رأى سيدنا الخضر عليه السلام مسير نفس سيدنا موسى عليه السلام الرهيب الكاسح الساحق للشياطين بسبب حبّه العظيم لربّه فأنى له عليه السلام أن يصبر ويطيق مشاهدة عدو حبيبه رب العالمين، لكن عندما رأى موسى عليه السلام حنانه على الكافرين وأنه تعالى المؤمن[22] علم أن لكل شيء خلفيات توجب التريُّث والصبر الشاق المرهق عليهم... ﴿عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾: لم تلتفت إليه بسبب وجهتك الكاملة الكليَّة للإلّه، وبذلك لم تمنح نفسك فرصة الالتفات للغير، لكن الآن أصبحت ضمن وظيفة، فسينخفض ليرتفع، وسيلتفت جزئياً إلى الناس ليرقى بهم بلطف إلى الله فيكسب ثقة جديدة ستضاعف له الإقبال على الله سبحانه.

69- ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾: أنت مرشدي سأصبر، لم يقل موسى عليه السلام (أنا خير منه) من الخضر عليه السلام، فطاعته من طاعة الله، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها. ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾:

70- ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: إن أردت السير معي فلا تتكلم بشيء، إن لم أبيّن لك فلا تسألني.

سورة الكهف: [71-80]

71- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾: ثقبها الخضر عليه السلام ومن ثم أصلحوها. ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾؟ أنت رجل صالح وتفعل هذا! هذا أمر عظيم. ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: أمره عظيم. أنكر موسى على الخضر ما فعله وقال للخضر عليه السلام حضرة الله لا يصدر عنه إلّا كل كمال، وما فعلته من خرق السفينة إمراً لم توَمَّ بهذا العمل إلى الله بل صدر منك، تكلم بهذا لأن طبيعته عليه السلام رضاء الله ولا يرضى بالانحراف، وهو عليه السلام لا يعرف أهل البلد ولا يعرف لمن السفينة ولا يعرف مَلِكَهم لأنه لم يلتفت لكل هذا.

72- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؟ أنت لا تعرف الحكمة من ذلك بعد.

73- ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: لا تعسّر عليّ هذا الأمر.

74- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾: هذا بيان بأن الأمور كلها تجري بعلمه تعالى، بأمره سبحانه وكلٌّ على حسب استحقاقه. هذا كله أجراه تعالى ليرى موسى عليه السلام عنايته بعباده وعطفه وحنانه، الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على كل حال. هذا كله عطف. ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾: هذا منكر لا يرضى به أحد، شيء منكر لا أحد يقبله.

75- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: وأنت لا تعرف شيئاً من سرّ عملي!

76- ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾: معك حق، أنت معذور من طرفي لا تعد لصحبتي.

---

[22] المؤمن: فالله تعالى المؤمن: مؤمن أنه لا يعامل عباده إلاّ بالرحمة، لكن رحمته تعالى مبنيّة على علم ومعاملاته كلها ضمن الحكمة والمناسب.

77- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾: طلبا الطعام منهم. ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾: بخلاً منهم. ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾: فالجدار أنفس متراكبة. ﴿فَأَقَامَهُ﴾: أصلحه ومكَّنه. ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: أنت طلبت منهم طعاماً مع جوعنا فامتنعوا وأنت تصلح!

78- ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

79- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: هذا ما أدركه الخضر بنفسه وتفكيره. ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾: هذه السفينة لجماعة فقراء، ومَلِك وراءهم يأخذ كل سفينة غصباً، وسيدنا الخضر عليه السلام بخرقها عيَّبها فظلَّت تعمل، وهكذا فما كان للملك أن يصادرها، غيرها توقف عن العمل، لكن هي ظلَّت تعمل. هذا الخرق نتج عنه خير وفائدة.

80- ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾: كان عمله بمراد الله، علم ذلك بإرادة الله وطبق إرادته تعالى. ذُكرت قصة الغلام وأبويه في سورة الأحقاف: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا...}[23].

الله تعالى سأل الخلق ألست بربكم؟ فأناس نالوا الشهادة: الرسل والأنبياء؛ ونال سيد الخلق ﷺ أعلى درجة. من بعدهم المؤمنون أقل درجة. إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "يسمو بالدنيا بصاحب القابلية" العمر حتى إذا اجتهد نال. ومن لا جدوى له جعل تعالى عمره قصيراً، دون البلوغ يموت، إذن فهذا الغلام في الأزل، يوم {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}[24]، ظهر أنه سيكون كافراً، أما أمه وأبوه فقد نالوا يومها شهادة عالية. نال الولد درجة منحطة وليس له طريق، يريد الله تعالى أن يرحم الطفل وكذلك أبويه وسيدنا الخضر عليه السلام، فجعل أجل الطفل قصيراً قبل البلوغ، أبواه بموته رضيا بحكم الله فعلا مقامهما عند الله ـ الولد مات إلى الجنة ـ ونال الخضر الخير بفعله. ﴿فَخَشِينَا﴾: إرادته تعالى موت الولد. علم ذلك بإرادة الله وطبّق مراده تعالى. ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: بارتباطهما به فلعلهما يميلان للكفر.

سورة الكهف: [81-90]

81 - ﴿فَأَرَدْنَا﴾: هذه إرادة الله سبحانه وإرادتي، لكن كيف عرف عليه السلام أن هذا الولد لا خير فيه أبداً؟ ﴿أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾: طاهر، أهل إيمان. ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: يعاملهما بالرحمة والإحسان. فالله تعالى خاطب سيدنا موسى عليه السلام، أنت تدعو على عبادي، انظر عطفي حناني ومعاملتي.

82- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾: أبوهما توفي وترك هذا الكنز طالباً من الله أن يحفظه حتى يكبر الطفلان، المال حلال من وجه طيب، فالله أراد أن يحفظ لهما مالهما فأمر الخضر برفع الجدار، المال الحلال يحفظه الله، وبعكس ذلك. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾: الأمر من الله في إقامة الجدار. ﴿أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾: يكبران. ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾: لست أنا الذي فعلت إنما بإذن من الله. هذا كله بأمر الله. كل ما يقع بأمر الله، وهكذا فلا ظلم في الكون، بل كلٌّ يأخذ حقه. فلا إلّه إلَّا الله، كل شيء بالله، هو الحي القيوم. إن أصابك شيء ارجع إلى الله يرفع عنك البلاء. رسول الله ﷺ عندما مال أصحابه للدنيا خُذلوا يوم أُحد. ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: هذا كله من الله. فيا موسى أنا لست

---

[23] سورة الأحقاف – الآية:17.
[24] سورة الأعراف – الآية:172.

تاركاً عبادي، أنا لي عطف وحنان عليهم، ما أسوقه لهم كله خير، أنت لا تدعُ عليهم فأنا أرتّب لهم الدواء المناسب. فالله خلق الإنسان للسعادة لا للشقاء. فإن أصبح المرء في الدنيا لا طريق له، الآخرة دواء له أيضاً، حاله يسوق له النار المحرقة. المؤمن دوماً يحمد الله، فإن جاءه ما يسوؤه تذكَّر ورجع. الشدائد منك من نيَّتك المنحطة. تُب، ارجع، تنل الدنيا والآخرة.

83 - ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ**﴾[25] سمَّاه تعالى بهذا لأنه عليه السلام جمع منزلتين قويتين بالدنيا والآخرة، بالدنيا هيمن على الكرة الأرضية، وبالآخرة شأنه شأن العظماء الأقوياء. ﴿**قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ**﴾: من أعماله التي عملها، شيء منها. قال تعالى لرسوله قل سأتلو عليكم منه ولم يقل سبحانه لرسوله قل سأتلو عليكم عنه، وهذا دليل على وظيفته (ذي القرنين) الدائمة المستمرة عليه السلام حتى بعد انتقاله، أما غيره ممن لم ينالوا شهادة في الأزل، تنتهي وظيفته بانتهاء أجله ﴿**ذِكْرًا**﴾: لكم. ويقال هو الخضر عليه السلام وملّكه الله الأرض.

84 - ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ**﴾: ملَك الدنيا، جعلناه مِلِكاً مَلَك الأرض، لكن لا جزافاً. ﴿**وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾: أعطيناه كل وسائل النصر، علمناه بإقباله علينا سبيل الأشياء والسير إليها. لكل شيء أصول وقوانين. أقبل علينا فصار له تقوى، شاهد الحق فرأى طريق السعادة، ووجد أن خير شيء له أن يكون مِلِكاً يقود الناس ويدلُّهم بلسانه وبسيفه. فخيرك منك، سعادتك منك وبيدك. إن صمت اتقيت، رأيت الطريق. هذا ذو القرنين عليه السلام استنار، رأى الطريق فاتَّبعه. بالتقوى ترى الطرق، برمضان بكمالك وبحبك لرسول الله ﷺ تقبل معه، فبنور رسول الله ﷺ ترى نور الله.

فهذا ذو القرنين عليه السلام باستنارته رأى الأسباب التي توصله لمطلبه فسار بها. أقبل على الله فرأى الطرق فسلك طريق الحق، شاهد الحق.

85 - ﴿**فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾: فسلك طريق الحق، لكل شيء أصول وقوانين. الله سبحانه وتعالى علَّمه كل شيء وأعطاه كل وسائل النصر إلَّا أنه أتبع سبباً، أي لا يستخدمها إلَّا حين وقتها ولأسبابها، أي حين حصول اعتداء عليه، فالله أعطى الخلق الاختيار، لا إكراه بالدين، فسيدنا ذو القرنين لم يعتدِ، إنما هم الذين كانوا يعتدون عليه فكان هذا سبباً لإنقاذهم ولردِّهم للحق.

86 - ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**﴾: وصل إلى بلاد الغرب، وجد قوماً تغرب عليهم الشمس في عين حمئة، أي: في جماعة لا يرون ولا يعرفون من الشمس إلَّا أنها تدفئ لا أكثر، لا يرون إلَّا حموها وحرارتها فقط ولا شيء أكثر من ذلك، وهذا ما عنته الآية بكلمة: ﴿**تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**﴾: أي على قوم لم تدخل الحضارة عليهم، أقطار جاهلية لا دين عندهم ولا دنيا، كانوا أهل بساطة وعدم معرفة بالمدنيَّة والحضارة، ونفوسهم صافية تقبلت الحق وشاهدت الحق وصاروا من أهل الحق، فكانوا جنوداً للحق، نصروا دين الله تعالى بمعيّة وتحت لواء سيدنا ذي القرنين عليه السلام. ﴿**وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا**﴾: آخرين، وجدهم هناك أيضاً. قوم غيرهم أعلى مرتبة، فهمانين نوعاً ما، كان عندهم علم بالحضارة والمدنية وتبعيَّة لمخترعي الحضارة في ذلك الوقت يأجوج ومأجوج. سأل جماعته عنهم. ﴿**قُلْنَا**﴾: له على لسان جماعته، حيث صار عنده عليه السلام أصحاب أقوياء سمع منهم ومن الله سبحانه. ﴿**يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ**﴾: أولئك. ﴿**وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**﴾: أو تعاملهم. كذلك استجابوا لسيدنا ذي القرنين عليه السلام، ولكن بعضهم قاوم فاستلزم الإصلاح.

---

[25] (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ...): هو الخضر عليه السلام، عاش 200 سنة وملّكه الله الأرض.

87 - ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: من يخرج عن الحق سأعاقبه. هذا عملنا معه. ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ﴾: إن لم يكن فيه أمل لعلاجه بالدنيا. ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾: إن لم يتب. ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾: ينكر ذلك العذاب.

88 - ﴿وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾: آمنوا. نعامله بالإحسان ويصبح كل أمره يسراً. كل ما في الكون معه وليس ضدّه، وحياته كلها تصبح مسرات. هؤلاء أول قوم قد آمنوا معه. وبعد أن آمنوا سار لغيرهم.

89 - ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: سار قدماً.

90- ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: سار من المغرب إلى المشرق. أي أن سيره من المغرب إلى المشرق يدل على كروية الأرض. ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾: عريانين، وحوش، عراة دون لباس، لا شيء من حضارة عندهم.

سورة الكهف: [91-100]

91- ﴿كَذَلِكَ﴾: فعل كما فعل مع القوم الْأُوَل وآمنوا معه، كذلك آمنوا بالتفكير، إذ عاملهم كالأولين، فالْأُوَل لا يرون من الشمس إلّا حرَّها، والآخرون عراة، وحوش، فدعا هذين إلى التفكير بأصلهم وبأنفسهم، بالتربية. النبات والمطر، والشمس والنجوم والقمر، وبالدوران للكرة الأرضية، فعرفوا المسيّر وقالوا لا إله إلّا الله. فكَّروا فاهتدوا. ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا﴾: بعد أن أرشدهم إلى الله تذكّروا وحازوا الإيمان عن طريقه عليه السلام. ﴿بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾: أحطناهم بما لديه من الإيمان، فنالوا خبرة بالإيمان وطريقه، أحاطهم الله بشيء من علمه، فصارت لهم خبرة بما عنده، وأصبحوا مؤمنين.

92- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: لهداية غيرهم بسببٍ مشروع، حيث تحركت أناس عليه فذهب لعندهم فاتحاً.

93- ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: بنفوسهم شهوات قوية مستحكمة سدَّت على أنفسهم الإيمان بالله ودخولها بالنور والجنان والسعادة، كذلك ما بنوه من حضارة سدَّ عليهم، إذن هناك دوافع داخلية وجواذب خارجية؛ سببان منعاهم من سماع الحق، فهما سدَّان يحولان بين الإنسان وسماع كلام ربه والهداية. ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾: خاضعين لشهواتهم وسفالاتهم لا للكرامة والمروءة. ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾: وصل أمة الصين التي كانت في ذلك العصر في أوج الحضارة والفساد والمجون، فلم يجدها تفهم عليه قول الحق، لا يعون كلام الحق أبداً. فكرهم منصرف بالكليَّة للدنيا، لا يستطيعون التحوُّل عنها، من ميلهم للدنيا لم يفقهوا منه شيئاً. كانوا أهل حضارة مائلين للدنيا.

94- ﴿قَالُوا﴾: قال الأوَّلون، قوم منهم مؤمنون. ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: الفاسد والمفسود، الآج والمأجوج بنار الترف وزينة الدنيا. ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: لترفهم. قال الأوّلون: إن هؤلاء الذين لا يفقهون قولاً يبعثون الفساد فينا بعملهم، نحن لا نريد الصِلات بيننا. خافوا على أنفسهم منهم، لذلك تراجعوا، وهو عليه السلام بناءً على طلبهم بنى السد ولم يتابع مهمته. ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: مالاً. ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: نمدّك بأموال لتفصل بيننا وبينهم.

95- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: من مالكم كله، وخير ممَّا ستعطونني إيَّاه. ما ملكني من الأمر وما أعطاني لا يوازي ما ستعطوني، فلست أريد منكم شيئاً ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: إنما أعينوني بقوتكم، ساعدوني. ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: سدّاً لأحجز بينكم وبينهم.

96- ﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ**﴾**:** قطع الحديد. ثمّ ذوّب ذلك. ﴿**حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ**﴾**:** ملأه حديداً. ﴿**قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**﴾**:** وسلَّط النار، فلما احمرَّ الحديد. ﴿**قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾**:** نحاساً، ذوّب النحاس وصبَّه عليه فصار ناعم الملمس وقويّاً.

97- ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ**﴾**:** التسلق عليه لنعومة سطحه إذ صار أملس لا يمكن تسلقه. ﴿**وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾**:** لأنه قاسٍ، لوجود الخلائط المعدنية القوية. لكونه نحاسي.

98- ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ**﴾**:** لكم. ﴿**مِنْ رَبِّي**﴾**:** ربي هو الذي علَّمني لا من نفسي. ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي**﴾**:** لئن خالفتم كلام الله وعصيتم أذهبه وخرَّبه، متى صرتم مثلهم: ﴿**جَعَلَهُ دَكَّاءَ**﴾**:** متصدعاً. إذا فسدتم مثلهم، هدم الله السد بينكم وبينهم. ﴿**وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾ ولقد حصل ذلك إذ فسدت ذريتهم. قال ﷺ عن لسان الله إن هذا الشيء وقع ودُكَّ السد لمَّا فسدوا قبل الرسول ﷺ، لقد هدم السد واختلط بعضهم ببعض.

99- ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**﴾**:** وعاد اختلاط القوم المفسدين حتى يومنا هذا، الآن الصين والروس مختلطون وسيهلكون، وهكذا حتى يوم القيامة. ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**﴾**:** بعد كل ذلك سيلقى كلٌّ جزاءه، وستأتي الساعة ويموتون، ثم ينفخ في الصور ويجمعون. ﴿**جَمْعًا**﴾**:** الطرفين.

100- ﴿**وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ**﴾**:** الذل والحقارة على هؤلاء. لم ندخل نحن الكافرين في جهنم وإنما عرضناها عليهم، وهم الذين دخلوها لما في نفوسهم من أمراض... ﴿**لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا**﴾**:** وقد أنكروا الآخرة والخالق.

سورة الكهف: [101-110]

101- ﴿**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي**﴾**:** لم يكونوا يرون الآيات في الكون، ولا يذكرون الله وفضله برؤيتها، بل هم ناسون. لا يرون رحمتي وعطفي. أعينهم مسكَّرة "مغلقة" عن هذا كله. ﴿**وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا**﴾**:** بفسقهم، فهم معرضون لا يسمعون الحق. صمٌّ عن الحق، إذا كلَّمهم بالحق لا يسمعون. آذانهم بالعمل بالملاهي، سمعهم هناك لا مع الحق.

102- ﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ**﴾**:** وأنا أتركهم ولا أضيّق عليهم ليرجعوا للحق! فعلى الإنسان ألَّا ينساق وراء الناس إلَّا بالتفكير. ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ**﴾**:** غداً. ﴿**لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً**﴾**:** مستشفى.

103- ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**﴾**:** يظن نفسه على حق وهو خسران، يظن نفسه أنه على حق وهو مسرور بدنياه.

104- ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾**:** يظن نفسه أنه يعمل عملاً عالياً، وهو فاضٍ "فارغ" ليس له عمل.

105- ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾**:** بإنعام الله عليهم، ما فكَّر بآيات الله الدالة، إذ لم ينظر بنفسه، بالشمس، بالقمر، بالكون، حتى يعقل. ﴿**وَلِقَائِهِ**﴾**:** الإقبال عليه والصلة به. ستموت وتفارق الدنيا والحياة. ﴿**فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾**:** أعماله منحطة "واطية". ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾**:** خفافاً لا وزن لهم، "فاضين". الذين كان لهم وزن في الدنيا عند الذين كفروا، فهم في الآخرة محتقرون لا قيمة لهم ولا وزن.

106- ﴿**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آَيَاتِي**﴾: يضحك إن حدثته عنها، حيث أنه لم يعقلها. ﴿**وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾: رأى وما عقل، فكِّر حتى تعقل وتوقن.

107- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: بلا إلّه إلَّا الله. ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾: جنات متتالية لا تنقطع، وليس جنة واحدة. من جنة إلى جنة، لمن آمن بلا إلّه إلَّا الله وعمل الصالحات.

108- ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾: من جنة لجنة إلى ما لا نهاية، فمن سرور لأعلى. ﴿**لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً**﴾: من حالٍ لأحسن. فهم لا يريدون التحول عنه.

109- السر بكلمة. ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا**﴾: حبراً. ﴿**لِكَلِمَاتِ رَبِّي**﴾: للخير الحاصل في كلمة واحدة من كلماتي كرحمة الله تعالى ﴿**لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي**﴾: مما سيأتيك من الخير عليك من تطبيقها. ﴿**وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾: كلام الله واسع، كله خير ولا نهاية له.

110- ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾: ليس بيني وبينكم فرق في هيئتي، وكما خلقكم خلقني وما زادني أكثر، لكني أقبلت عليه فصارت لي أهلية فأعطاني ما أعطاني أقبلت على الله وأحسنت فأوحى إليَّ لأهدي الناس. ﴿**يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ**﴾: مسيّركم، المسيّر مدبّر الكون واحد. واحد. ﴿**إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾: واحد ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾: حقاً. هذا الإقبال والارتشاف من الكمال. ﴿**فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا**﴾: إن لم يوجد الإيمان لن يوجد العمل. ﴿**وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾: ولا يطع في هذا الكون غير الله، ولا يتبع إلا كلام الله وأوامره، وكل كلام أو دعوة خلاف ما في كتاب الله أو خلاف ما يرضي الله، فهي باطلة. ولا يشرك مع الله أحداً في دلالته: لا تسمع غير دلالة الله، ومن سمع، أي: من أولي الأمر منكم.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم: [01-10]

1- ﴿**كَهيعَصَ**﴾: يا كاملاً، يا هادياً، يا عيناً، يا صادقاً. ك: يا كامل، هـ: بكمالك صرت هادياً للناس. ي: نداء الله لرسوله لأنه ﷺ مميَّز ووظيفته مميَّزة فهو ﷺ عين العيون كلها، فلا نبي ولا رسول يماثله بهذه الوظيفة، وهو ﷺ أشد الخلائق حرصاً على الخلق وعطفاً عليهم ودفاعاً عنهم، لذلك ناداه الله بياء النداء للتمييز والتعظيم، فبه ﷺ يُرى الله سبحانه. ع: هَدَيْتَهم بحالك لأنك عين بها يرون طريق الهدى. ص: كل ذلك حصل لك بسبب صدقك. إذن ك: كامل، هـ: هادي، ع: يا عين بك يُرى الحق، ص: يا صادق، كل هذا نلته بصدقك، كمالك جعلك تتطلب هداية الخلق. الإنسان على حسب حاله يطلب، والله تعالى يعطيه على حسب طلبه، إن كان طلبه عالياً نفَّذَه له، وإن كان غير ذلك حاول تعالى ردَّه، فإن أصرّ نفَّذَه له. الإنسان إن لم يصدق لا يصبح كاملاً، فصدقه ﷺ أوصله للكمال، من ذلك صار رحيماً يتطلب هداية الخلق. يا عين: هذا كله نلته بصدقك.

بالإيمان فالإقبال تحصل على الكمال، إذا سمعت ك: تميل لرسول الله ﷺ فترتبط نفسك به وهو ﷺ دوماً في حضرة الله. ﴿**كَهيعَصَ**﴾ إذن: أي يا كاملاً، يا هادياً، يا عيناً بك يُرى الحق، إذ كل من ارتبط به ﷺ رأى بنوره كمال الله. ص: أي كل هذا نلته من صدقك. المغزى: أن المؤمن يصبح صادقاً، من صدقه يحسن ظنّه بالله، فيكون راضياً بكل ما يسوقه الله تعالى له ولا يلجُّ.

2- ﴿**ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ**﴾: نذكر لمحة عن رحمة الله تعالى إليك. ﴿**عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾: كيف أنزلت الرحمة على عبد الله زكريا عليه السلام الذي كان صادقاً معنا. زكريا عليه السلام كان صادقاً، صابراً، عارفاً أن الله تعالى لا يسوق له إلا الخير. فانظر كيفية عطاء الله لعباده:

3- ﴿**إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾: بعد أن آمن بلا إلّه إلا الله نادى هذا النداء الخفي، والنداء بالنفس، في القلب لا بالصراخ فالله قريب، إذن نادى بنفسه لا صياحاً، لعلمه أن الله سميع، عليم، خبير، فهو تعالى سميع قريب. كان زكريا عليه السلام عليماً أن الله تعالى عليم بذات الصدور وأنه رحيم، وأن كل شيء بيده تعالى. لكن دعاءه ونداءه ربَّه كان ضمن الحق فما تطلَّب شيئاً مُهلكاً. بعض الناس يصيح بالدعاء مع أن الله تعالى قريب: {**فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**}[1].

4- ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي**﴾: كبرت، غدوت مسنّاً. ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾: وابيضَّ رأسي. ﴿**وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾: ما خيبتني، لم أكن محروماً يوماً من الأيام، فما دعوت إلا وأجبتني. ظنّه بالله حسن؛ ولا يحسن الظن إلا بالإيمان. فهو يقول: يا رب لن أدعوك وأكون محروماً من العطاء "ذلك لأنه عليه السلام أصبح عالماً بالدعاء يدعو الله بما فيه الخير لنفسه وللناس".

5- ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي**﴾: خفت على أتباعي الذين علَّمتهم من ورائي، بعد موتي. خاف على أتباعه، مريديه الذين يهديهم حناناً منه عليهم ورحمة بهم، صاحب الإيمان يصبح صاحب حنان. وكان مرشداً فخاف على أتباعه من بعده أن يتفرَّقوا أو يدخل عليهم الشيطان، فتطلّب مرشداً كاملاً

---

[1] سورة البقرة – الآية:186.

من بعده لهم، كانت غايته رضاء الله من هدايتهم. ﴿**وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا**﴾**:** لا تلد. ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا**﴾**:** يتولى أمورهم بعدي فلا ينقطعون عنك: "المؤمن كلما زاد إقبالاً على الله ازداد حناناً ورحمة": هذا دليل على علمه بأن الله سميع عليم قدير رحيم، فطلب منه ذلك.

6- ﴿**يَرِثُنِي**﴾**:** في مقام الإرشاد والدلالة، يرث عني المعرفة. ﴿**وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ**﴾**:** أولاد إبراهيم عليه السلام يرث النبوّة، دوماً قريب مستنير بنور الله. ﴿**وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾**:** راضياً مرضياً "راضياً عن نفسه واللهُ راض عن عمله" وكل أعماله تكون راضياً عنها وعنه يا رب. هكذا يكون الولد المرضي. متى آمن الإنسان بلا إلّه إلا الله واستقام فإنه لا يطلب إلا الشيء الكامل، عندها: الله تعالى يجيب طلبه.

7- فاستجاب الله دعاءه: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى**﴾**:** يحيى: كل من اتصل به وارتبط معه لصلته عليه السلام بالله تحيا نفسه. أي كل من صاحبه عليه السلام أو رافقه يحيا قلبه، وكل من ارتبط به يحيا قلبه. ﴿**لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**﴾**:** لم يُسمَّ أحد قبله بهذا الاسم.

8 - ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ**﴾**:** الكيفية. كيف؟ ﴿**وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا**﴾**:** صبر عليها بلا أولاد ولم يتزوج عليها. ﴿**وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**﴾**:** لا قوة لي، ضعيف. كيف السبيل فيا عجباً!

9- ﴿**قَالَ كَذَلِكَ**﴾**:** قد حصل ذلك من الطريق المعروف وأنتما على هذه الحالة. ﴿**قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ**﴾**:** رغم كِبَرَك وعقم زوجك سيأتيك، مع هذا الحال، مع أن زوجتك عاقر، وأنت ضعيف سيكون لك. ﴿**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**﴾**:** أنا قدير على كل شيء.

10- ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً**﴾**:** علامة أعرف بها متى يتحقق ذلك، علامة على اليوم الذي سيكون من بعده الولد. ﴿**قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا**﴾**:** حينما تسكت عن الكلام، أي: علامة ذلك أن يرتبط لسانك فلا تستطيع الكلام، يمتنع النطق عليك، فاللسان بالله ينطق وبه يتكلم، فهو بيد الله تعالى.

سورة مريم: [11-20]

11- ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ**﴾**:** أصحابه. ﴿**مِنَ الْمِحْرَابِ**﴾**:** محاربة النفس والهوى والشيطان، وهو عليه السلام يحارب الشيطان، فالنفس تتطلب أشياء كثيرة لكن الإنسان يحاربها، فبينما كان عليه السلام في المحراب خرج إلى قومه وهو لا يستطيع الكلام. ﴿**فَأَوْحَى**﴾**:** بالإشارة من غير نطق، أشار. ﴿**إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾**:** اسبحوا بفضل الله وزيدوا أنفسكم تسبيحاً على هذا الفضل، حتى لا تضلّوا ولا تضيع منكم السعادة الأبدية، اسبحوا بفضله تعالى.

لما جاءه الغلام خاطبه الله تعالى:

12- ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ**﴾**:** ما كتب وطبع بنفسك، أرشد وبلّغ الحق. ﴿**بِقُوَّةٍ**﴾**:** ادع بما كتب في نفسك بقوة ولا تخف، فما طبع بنفسك بلّغه، لا تتراجع عنه. ﴿**وَآَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾**:** قبل البلوغ. قبل أن يصبح بالغاً أوتي الحكمة والحكم.

13- ﴿**وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا**﴾**:** من عندنا، كل من دخل على الله صار في قلبه حنان على خلق الله. ﴿**وَزَكَاةً**﴾**:** طهارة في نفسه. من أين جاءه ذلك؟ سبب الحنان والزكاة تقواه. ﴿**وَكَانَ تَقِيًّا**﴾**:** فمن تقواه كسب الحنان والزكاة.

التقوى: الإقبال الدائم على الله، النظر بنور الله. فالطهارة والعطف والحنان من الله تعالى؛ الله تعالى لا يعطي جزافاً.

14- ﴿**وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ**﴾: في يوم من الأيام. ﴿**جَبَّارًا**﴾: على الخلق، على خلق الله. ﴿**عَصِيًّا**﴾: لله، عمله ضمن أمر الله.

15- ﴿**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ**﴾: زوجة زكريا عليه السلام كبيرة في السن ولا تتحمل الولادة، فلا شيء في جسمها يصلح للحمل والولادة، لكن الله سبحانه أمدّ جسمها بالقوة وولدت سيدنا يحيى وهو سالم، قال تعالى {**... وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ...**}[2] ﴿**وَيَوْمَ يَمُوتُ**﴾: وهذا دليل على أنه لم يقتل كما تزعم الإسرائيليات. لم يقل سبحانه: يوم يُقتل، وقد ذكر تعالى هذه الآية لأنه عليم سبحانه ومطَّلع على النفوس ومطَّلع على ما ستقوله، لذلك هذه الآية تنفي مزاعم من يقول أن سيدنا يحيى قُتِل، وهذا دليل أنه لم يصبه شيء، وينفي ما ذكروه عنه من أنه قُتل وقُطع رأسه الشريف وأنه في دمشق، وجسده في بيروت بلبنان!، فهذا القول يتنافى مع السلام الذي أعطيه من الله تعالى، وتلك القصص مأخوذة من اليهود ولا أصل لها.

إذن: كل ما يُقال عن سيدنا يحيى عليه السلام أنه ذُبح لا أصل له، لأن الله وعد زكريا عليه السلام بوارث. والآية تنفي ذلك، إذ تقول: {**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ**} وكذلك لا صحَّة لقصة قتل سيدنا زكريا عليه السلام وأنه فرَّ واختبأ في جذع الشجرة كما سبق[3]. ﴿**وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**﴾: حياته من الله مباشرةً.

16- ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ**﴾: اذكر ما كتب في نفسك عن هؤلاء الكاملين. ﴿**مَرْيَمَ**﴾: كيف أن ظنَّها بالله عالٍ، صادقة صابرة. تمرُّ بالمؤمن ظروف عظيمة فيصبر ويرقى، يتلقى المؤمن الأمور بصبر فتكون نتائجها خيراً بحقه. وهذا كله دلالة على أن عطاء الله بالعدل، فعلى حسب عملك يعطيك، وعلى حسب صدقك وطهارة نفسك. قبل الطلب استقم، آمن بلا إلٓه إلا الله، استقم ثم اطلب، فماذا فعلَت مريم حتى أُعطيت ما أُعطيت؟ ﴿**إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾: خلوة. تركت الناصرة وذهبت لبيت المقدس حاجَّةً طالبة رضاء الله ومعرفته.

17- ﴿**فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا**﴾: اتخذت غرفة للتعبد منعزلةً عن الناس، جعلت لنفسها خلوة، وجعلت تلتجئ وتقُبل على الله حتى نالت أهلية، لمَّا صارت عندها أهلية لمواجهة الملَك. ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا**﴾: جبريل عليه السلام. ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾: على هيئة بشر كامل، إنسان كامل. لما رأته وكانت قد أغلقت بابها.

18- ﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ**﴾: إني ملتجئة إلى الله منك فلا أخشى. هنا أجابها، قال لها: إني ملك، أجابته: فماذا تريد ؟!﴿**إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**﴾: فإن كنت تقياً، فماذا تريد؟: ولو كنت ملَكاً، ما حاجتك؟ أجابته هنا: إن كان ذلك ما تدَّعي، فما طلبك؟

19- ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**﴾: طاهراً.

---

[2] سورة الأنبياء – الآية:90.

[3] انظر كتاب عصمة الأنبياء ـ قصة سيدنا زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام لفضيلة العلَّامة الكبير محمد أمين شيخو.

20- قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: هذا كيف يكون؟ ﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾: لأنها دائماً مع الله سبحانه، فلا يوجد بنفسها خبث، وقد تكررت السين لأن المس يكون من الطرفين، فلا من طرف أحد صار مس ولا من طرفها، فلا أحد من الإنس مسَّها ولا من الجن. ﴿**وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾: لست جاهلة، لا أفعل الفاحشة.

سورة مريم: [21-30]

21- ﴿**قَالَ كَذَٰلِكِ**﴾: بهذا الحال الذي أنت فيه. وقد حصل الأمر وهو يتكلم معها ودخلت نفس سيدنا عيسى عليه السلام من فمها. ﴿**قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ**﴾: علامة بيّنة دالة على لا إلَه إلا الله. {**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ**}[4]: دالَّة على أنه السيد المسيح الذي سيمسح الكفر وعلى لا إلَه إلا الله ليؤمن الناس.

﴿**وَرَحْمَةً مِنَّا**﴾: بالخلق، بعبادنا، حتى إذا رأوه من دون أب استدلُّوا على قدرة الله على كل شيء. ﴿**وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾: بالحال حملت نفس سيدنا عيسى عليه السلام، وفيما هي تحدِّث الملك مرَّت نفسه الشريفة من الملَك الحامل لها إلى فم مريم عليها السلام فحملت به.

22- ﴿**فَحَمَلَتْهُ**﴾: فإذا ببطنها يكبر في الحال. بكن فكان. ﴿**فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا**﴾: في الحال كبر بطنها ففرَّت إلى طرف المدينة. ابتعدت لمكان بعيد. بعيداً عن الناس خجلاً، وهو عليه السلام أقصاها عن كل شيء، أقصى نفسها وأدخلها بعوالم من نور وجنات.

23- ﴿**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ**﴾: ألجأها حملها وأتى بها، حملها الألم: ﴿**إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ**﴾: أرغمها الألم، ألجأها إلى التمسُّك بجذع النخلة. يقال أن النخلة كانت يابسة فاخضرت. ﴿**قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا**﴾: من يصدِّقني بهذا؟ تمنَّت الموت لمعرفتها خطر النتيجة التي ستحدث "إن كريم النفس وشريفها يكبر عليه أن يقال عنه ما يقال، أما دنيء النفس وخبيثها فلا يرى في ذلك بأساً". هذا دليل على عزَّة نفسها وشرفها. العزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين، المؤمن تصعب عليه هذه الأمور. كذلك رسول الله ﷺ لما أُمر بالزواج من زينب زوجة متبنَّاه صعب ذلك الأمر عليه. فمن لا عزَّة نفس عنده لا يمكن أن يصل لشيء. هنا المؤمن له عزّة نفس، بالآخرة يستيقظ الإنسان عموماً ويشعر بعمله فيخجل ويتحسَّر فيحترق. ﴿**وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾: وصبرَتْ على أمر الله. الابن يحيي الذكرى، ذكرى أبيه وأمه، أما إن ماتوا وليس لهم ولد تندثر ذكراهم ويُنسَون، هذا معنى نسياً فأكون بهذا منسياً من الغير، ولا أحد يتكلم عليّ بسوء.

24- ﴿**فَنَادَاهَا**﴾: سيدنا عيسى عليه السلام ساعة الولادة. ﴿**مِنْ تَحْتِهَا**﴾: سيدتنا مريم مهما بلغت من الكمال لا يمكن أن تبلغ مبلغ ابنها سيدنا عيسى عليه السلام، فهو الكبير وهي الصغيرة، من تحتها أي أنه عليه السلام حامل نفس أمه، فالنفس الكبيرة تحوي وتستوعب النفس التي هي أصغر منها، كالأب يحمل ابنه فيكون تحته، كذلك المولود حين الولادة يكون تحت أمه بالوضعية. ﴿**أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾: لا تحزني، ولد صيته وذكره يسري في العالم ويسرُّك كثيراً. رجل عظيم ذو شأن. ﴿**سَرِيًّا**﴾: سرى عليه السلام بأمه وغسل لها نفسها وفكرها وجسمها، وسرى بالكون كله والأكوان.

---

[4] سورة البينة – الآية:1.

25- ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾: ناضجة تُذهب عنك ما بك. التمر حار، بهذا يتحرك الدم الباقي من النفاس فيُساق. فالتمر حامٍ يساعد النفساء على خروج الدم الفاسد منها.

26- ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾: الصلاة الحقيقية فيها طعام وشراب للقلوب، هو عليه السلام أبوها الروحي وهي أمه بالجسم، فمن أول لحظة من لحظات حياته طار بها بجنات ربه وصار يطعمها ويسقيها. ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾: لا أتكلم. ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾: إذا سئلت عني هكذا افعلي، وأنا أجيب عنك.

27- ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾: بيان أنه ما أعظم هذا الأمر! مع ذلك كانت راضية من الله تعالى. ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾: مقطوع عنك، لا أحد يظن بك، فهو أمر عظيم، فكيف فعلت ذلك؟! وأنت معروفة بالطهارة والصلاح. ﴿فَرِيًّا﴾: فيه افتراء على أبيك وأمك فقد كانا طاهرين، فكيف أتيت بمثل ذلك؟!.

28- ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾: العظيم، بالمكانة والصلاح. وكان بنو إسرائيل يعظِّمون سيدنا هارون لعبادته وصلاحه، لذلك قالوا لها: أنت تماثلين هارون عليه السلام بالصلاح. وهو أخو سيدنا موسى عليهما السلام، كان عابداً فشبَّهوها به في الصلاح. أيتها الصالحة المماثلة لهارون عليه السلام بالتقوى. ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾: أنت من بيت شرف وعزّ، كيف فعلت ذلك؟! ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: أنت من عائلة مشهورة بالسمو والعلو، لا أمّكِ ولا أبوكِ وقع منهما شيء، فكيف جئت أنت بهذا الولد؟!

29- ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: كلِّموه. ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾؟

30- تكلَّم عليه السلام مجيباً: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾:

1- الله سبحانه وتعالى بالأزل طلب من الناس جميعاً ألا ينقطعوا عنه، فما أطاعوا وانقطعوا بالشهوات عنه سبحانه وتعالى، أما هو عليه السلام مرَّ عليها ولم يعبأ بها، ولم ينقطع عن ربه وظلّ مع الله سبحانه بالنور.

2- بالميثاق أخذ الله سبحانه منه عليه السلام ميثاقاً غليظاً ألا يغيِّر ويظل على الرحمة والحنان مهما لاقى، فأطاع الله بهذا ووفَّى بعهده.

3- طلب سبحانه منه أن يخضع لرسول الله محمدٍ ﷺ (النبي الأمي كما جاء في ميثاق النبيين) فخضع.

4- طلب منه سبحانه أن يأتي بهذا الزمان الصعب، فأطاع الله بهذا وقال: أمرك يا رب.

5- قال له ربه: ستحدث معك أحداث كبرى وسيتكلم الناس عنك ويقاومونك، فلم يبالِ بكل هذا تجاه مرضاة الله وأطاع ربه، وبهذا كان عبداً لله قبل مجيئه للدنيا وبعد مجيئه عليه السلام.

﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾: كيف آتاه الكتاب وهو عليه السلام طفل لم يبلغ الأربعين بعد؟ نفسه عليه السلام من الأزل عاقلة الكتاب، خاطب قومه قائلاً لهم: آتاني الكتاب بالماضي وسوف أبلغه بالمستقبل، آتاني من أجل أن أجعله وأصبّه في قلوبكم وأبلغكم رسالات ربي. ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: لأنني عبدته حق العبادة، أطعته من الأزل فاشتققت منه نوراً عظيماً، به كشف عليه السلام كل شيء وكشف السابقين، فهل الله سبحانه جعله نبياً دون شيء وبلا أهلية؟ كم قاسى عليه السلام وكم ضحَّى وعانى، قال لهم: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: أتنبَّأ بالحق وأرى بنور الله. مع هذا كله لم يؤمنوا، بل حاولوا صلبه.

سورة مريم: [31-40]

31- ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ**﴾: بالحال والقال، بالقال قال لهم: كلامي كله خير أينما جلست. وبالحال وجوده عليه السلام حرب على الشياطين، وكل من يجلس معه يجعله بالجنان، ويسكب عليه الخيرات التي أعدَّها الله له، وإذا ذهب جاءت الشهوات والنيران. ﴿**وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ**﴾: بإعادة وصل نفوس الخلق الذين انقطعوا عنه سبحانه، وأخرجهم من الظلمات التي حلّوا بها إلى النور والسعادة، عندها تحصل لهم طهارة من الخبائث ويميلون إلى الله سبحانه بأعمال الخير والبرّ، ويصبحون كلّهم خيراً بخير، ولا يخرج منهم شرٌّ أبداً إن آمنوا وأطاعوا، وأوصاني أن تكون صلتي دوماً به سبحانه حتى أظل طاهراً. بالصلاة تزكو النفس: أي تطهر، فإذا لم تطهر النفس فلا صلاح ولا نجاة للإنسان.

متى أعرض الإنسان امتلأت نفسه بالخبث، متى انقطع الإمداد الإلۤهي جاء الشيطان، الإنسان الصحيح لا ينقطع عن الله طرفة عين، متى انقطع دخل الشيطان عليه. كذلك كل إنسان بقدر صلاته تكون طهارته، متى غفل دخل الشيطان، متى انقطع زال عنه هذا النور الإلۤهي فيشمُّه الشيطان ويوسوس له، فيتذكر المؤمن ويرجع بالحال إلى الله. ﴿**مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾: ما دمت مقبلاً عليه سبحانه، لأن الحياة بالإقبال على الله، والموت بالإعراض عنه سبحانه، عندها يتطفل المقطوع عن ربه على المخلوقات الأخرى والحياة التي فيها، الأنبياء لا ينقطعون لا ليلاً ولا نهاراً. قال تعالى: {**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ**}[5]: وهكذا فالأنبياء يظلون طوال حياتهم على صلة دائمة بالله تعالى في الليل والنهار.

32- ﴿**وَبَرًّا بِوَالِدَتِي**﴾: من أول لحظة بحياته عليه السلام أظهرها على أشياء وكشف لها أموراً ودلَّها ونهض بها. ﴿**وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا**﴾: لمَّا أقبلت عليه سبحانه تشرّبت منه الرحمة والعطف والحنان على الخلق. ﴿**شَقِيًّا**﴾: محروماً من الخيرات. فسيدنا عيسى عليه السلام سيأتي وسيكون على يده خير كثير. {**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**}: سأرفع شأنك وسأعطيك الخيرات. {**وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ**}[6]، أولئك الذين في عصره لا يستحقُّون.

33- ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ**﴾: هذا ردٌّ على اليهود بقولهم صُلب. فالسلام هو الأمان، أي حصانة من الله سبحانه لسيدنا عيسى عليه السلام، وبهذا لا أحد يستطيع أن يقربه عليه السلام بسوء، معه ملائكة لا يعلمها إلا الله سبحانه، وكذلك لا أحد يستطيع أن يقرب أمه عليها السلام. ﴿**يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ**﴾: فمن يستطيع إيذاءه! ﴿**وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾: أي حياته من ذات الله، وليس له عليه السلام علاقة بالمخلوقات الثانية.

34- ﴿**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**﴾: يمرُّون، يتكلمون بكلام لا أصل له. لو آمنوا لشاهدوا الأمر على حقيقته (كلمة "رأى": أي رأى الأمر على حقيقته، أما كلمة "امترى": أي رأى ظاهراً من الأمر وعمي عن الحقيقة. امترى: تمرُّ على أصلك، تمرُّ على الأشياء ولا تفكِّر؟

35- ﴿**مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾: كما خُلق سيدنا عيسى عليه السلام بكلمة كن فيكون.

36- ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**﴾: فلا ربَّ سواه. من الذي ينزل الأمطار؟ من الذي ينبت الزرع؟ من الذي يربيك يا إنسان؟ الآن هذا التضييق كله لإيقاظك، جفاف المياه، قلة المحصول، كله للتوبة،

---

[5] سورة الأنبياء – الآية:20.

[6] سورة آل عمران – الآية:55.

للرجوع إلى الله. ﴿**فَاعْبُدُوهُ**﴾**:** الله تعالى خلق الكون كله، لم يخلقه عبثاً بل خلق البشر للسعادة، فقاموا بأعمال تحرمهم من السعادة، فضيَّق عليهم. الله رب الكون كله، رب العالمين، كل الأسماء الحسنى جمعها اسم "الله". ﴿**هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾**:** إن سلكته سعدت دنيا وآخرة. مراد الله من مجيئك للدنيا أن تعمل أعمالاً ليبيضَّ وجهك وتقبل بها فتنال الجنَّة. فالله تعالى على حسب الصدق يعطيك، ولهذا أشارت قصة سيدنا زكريا وسيدتنا مريم عليهما السلام. بعد هذا وعندما كبر دعاهم للإيمان فاختلفوا.

37- ﴿**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ**﴾**:** كل جماعة تكلموا عن سيدنا عيسى عليه السلام قولاً، وكل أناس نسبوا إليه شيئاً، منهم من قال: هو ابن زنا، ومنهم من قال: إنه إلَه. ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾**:** عندما يرى أحدهم نفسه وثوبها الدنس، يحترق خجلاً وأسفاً.

38- ﴿**أَسْمِعْ بِهِمْ**﴾**:** أسمعهم بحالهم، بأعمالهم الآن، قل لهم: أهكذا الإنسان الصحيح يفعل**!** عرِّفهم بحالهم كيف تكوَّن الإنسان عند الولادة. الآن: الكون من يسيِّره؟**!** ﴿**وَأَبْصِرْ**﴾**:** أنت يا محمّد أسمعهم وأبصرهم بمصير أولئك، عرِّفهم بحالهم ونتائجهم. ﴿**يَوْمَ يَأْتُونَنَا**﴾**:** يوم القيامة، ما سيكون عليه حالهم يوم يأتوننا؟**!** ﴿**لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ**﴾**:** من ظلم نفسه اليوم. ﴿**فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾**:** ضلاله مكشوف، لكن الأعمى لا يراه.

39- ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ**﴾**:** ساعة الوفاة عند انحسار إمداد الروح للجسد. **"الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"** عند الموت يرى فيتحسَّر على ما ضيَّع، ساعة الموت ما يكون مصيرك؟ وحدك لا صاحب ولا صديق. ﴿**إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ**﴾**:** المسألة انتهت، متى مات الإنسان فلا طريق له، انتهت الفرصة. ﴿**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**﴾**:** عن هذه الساعة رغم هذا الشيء. ﴿**وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾**:** لا إيمان عندئذ. ما دام في غفلة عن الموت لا يؤمن. يوم تموت أيها الإنسان إذ لم تبقَ لك رجعة، كيف يكون حالك، كم تتحسَّر؟**!** هذا الإنسان عندما ينزل إلى قبره يغدو أعمى، لماذا؟ الآن لعينه عدسة تخطف صور الأشياء بواسطة النور، هناك في القبر لا تبقى له عين، فكيف يرى؟ لكن المؤمن له نور من ربه يرى به. أما الكافر في القبر فلا يرى إلا أحواله، يرى أن الله خلقه في الدنيا للسعادة فتركها ولحق السفالة، يرى نفسه وما فيها فيتحسَّر، فُطِرَ الإنسان على حب الكمال، ساعتها يرى نفسه منحطاً، وليسلِّيه الله عمَّا هو فيه يسلِّط عليه عمله بصورة ثعبان أقرع فيخافه، عندها يقول له: أنا عملك لا أفارقك. خُلق الإنسان في الدنيا لينال السعادة، فلما جاءها حرم نفسه منها. كذلك حاله في الدنيا؛ يعيش في ضنك رغم ما لديه من مال ومراتب {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**}[7]. الصحابة الكرام رأوا حقيقة الدنيا سوداء نتنة، وسيدنا علي رضي الله عنه بإقباله على الله رأى حقيقتها فطلَّقها بالثلاث. ﴿**إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ**﴾**:** حلَّ به الموت ولم تبق له رجعة، فإن لم يفكِّر الإنسان أضاع سعادته. ﴿**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**﴾**:** فإن لم يفكِّر بنزول القبر والحساب والملكين فلن يصْدق بطلب الحق ولن يؤمن. ﴿**وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾**:** ما داموا في هذه الغفلة. بالتفكير بالأصل والتكوين من نطفة يتصاغر الإنسان فلا يرى وظيفته ولا قوته، بل يرى أنه لا شيء. عندها يفكِّر بالموت فيخاف فيعرف المربي، المسيِّر، فيستقيم ويصلِّي. فإن لم تسلك هذا الطريق فلا جدوى لك.

40- ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا**﴾**:** سيأتي يوم كلُّ الخلق يعودون إلينا. ﴿**وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾**:** فكِّر بنفسك، أين من قبلك، وهذا المال لمن سيرجع، ما نهايته؟

سورة مريم: [41-50]

[7] سورة طه – الآية:124.

41- ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ**﴾: كيف صار، كيف أعطاه الله، كيف جعله بهذا المقام العالي، هل أعطاه الله جزافاً؟ لا، بالعمل: ﴿**إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾: من أين جاءته هذه الصديقيّة؟ فكَّر ببدايته، بنهايته، استقام فأقبل على الله وصار يرى بنور الله، فصار صدِّيقاً يصدِّق بأوامر الله لما يراه فيها من الحق. وُلِدَ بين قوم كافرين، لكنه أخذ يفكِّر: ما أصلي؟ من يربِّيني؟ لم يعطه الله جزافاً بل بالعمل، إبراهيم عليه السلام ألقوا به في النار فما اعْترض بل رضي. وأمره الله أن يضع ولده في وادي مكة لا ماء فيه ولا شجر ففعل، كبر ولده، أمره الله أن يذبحه وكان قد عشقه فذهب لتنفيذ الأمر. الإيمان جرّه للصدق فصار له ظن بالله عظيم، وصبر على مراد الله. المؤمن حقاً ينهج نهجهم. فالمؤمن الحقيقي يصْدق ويحسن ظنه بالله ويرضى بما يسوقه له الله. ﴿**صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾: كان إذا أُمر بأمر رآه.

42- عندما فكَّر. ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾: أليس لك عقل؟! تعبد شيئاً لا يسمع ولا يبصر! وهكذا كل من لم يفكِّر مَثَلُه كمثله. الآن الناس تعبد بعضها بعضاً، ونحن نعبد بعضنا، هل أحد ينزل المطر؟!

43- ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**﴾: عرفت أن لا إله إلّا الله، بإقبالي على ربي علَّمني وهداني. عندما فكَّر وأقبل رأى أسماء الله: رحيم، كريم، قدير، وأن الله تعالى خلق الخلق ليسيروا في طريق الحق الموصل للسعادة. ﴿**فَاتَّبِعْنِي**﴾: لأعلِّمك. ﴿**أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**﴾: لسعادتك، سيرك هذا هلاك عليك، أنت الآن في شقاء وغداً في شقاء.

1- ناقشه فيما يعبد.

2- بيَّن له علمه ونبوته.

3- نهاه عن اتباع الشيطان.

4- حذَّره وأنذره. فلما أصرّ وحارب ابنه تركه وقومه وبلادهم في سبيل الحق.

44- ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ**﴾: لا تسمع كلامه فهو يحوّلك تحويلات ضارّة. ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**﴾: عصى ربه الذي خلقه للسعادة، فلاتكن مثله، أراد رحمته، سعادته، فأبى أن يسجد لآدم عليه السلام.

45- ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ**﴾: من رحمته إن شذذت يرسل لك بلاء كي ترجع، فمن لا يسلك طريق الحق في الدنيا تعبان. ﴿**فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ**﴾: إن لم تتب تكن معه في النار. ﴿**وَلِيًّا**﴾: موالياً، وإن لم تتبع الحق تكن غداً معه في العذاب.

46- ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ**﴾: أن تحوّلني. ﴿**عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ**﴾: أقتلك. قرر مع قومه إعدام ابنه رجماً، إلا أنهم فكروا فيما بعد بطريقة جديدة وهي الحرق، وعندما لم ينجحوا بالحرق قال: ﴿**وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾: على طول اتركني. لما رأى أبوه أنه لم يمت بالنار قال له: اهجرني ملياً، أي لا أريد أن أراك أبداً.

47- ﴿**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ**﴾: مني. أسمى وأرقى الأخلاق أخلاق الأنبياء العظمى من الله. ﴿**سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي**﴾: شاهد عليه السلام بنور النبوة العظيمة بذور خير بأبيه، ولرحمته عليه السلام أراد أن ينمّيها فتوجه له ليحوّله عن كفره، وهذا الاستغفار عن موعدة وعد الله بها سيدنا إبراهيم عليه السلام **{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ**

لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[8]. **﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾:** حافظني بفضله وكرمه "أقبل على الله فحفَّهُ بفضله"، يحفني بعنايته.

48- **﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾:** خرج من العراق، وهكذا فعل أهل الكهف. **﴿وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى﴾:** قال عليه السلام عسى لأنه يعلم أن الله سبحانه أعطى الحرية والاختيار للإنسان، فإن شاء الإنسان الهداية هداه الله، وإن لم يشأ فله الخيار. **﴿أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾:** محروماً من فضله. "نفس دعاء زكريا عليه السلام".

49- **﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:** انظر الذي يفكِّر ويهتدي، كيف نعامله. **﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾:** جزاء فعله هذا في سبيلنا: **﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾:** يعقوب ابن لإسحاق. لم يذكر الله سبحانه وتعالى بهذه الآية سيدنا إسماعيل عليه السلام، والسبب لأن الله سبحانه على حسب صدق إبراهيم عليه السلام في الأزل كتب له إسماعيل أن يكون من نسله والذي يظهر منه رسول الله سيدنا محمد ﷺ، ولم يكن الله سبحانه قد كتب لإبراهيم عليه السلام إسحاق ويعقوب، لكن لما جاء سيدنا إبراهيم للدنيا وجاهد وضحى واجتهد كتب له إسحاق ويعقوب، فهذه الآية تقول أنه بهذه الدنيا يحدث تبديل وتغيير، فالاختيار للإنسان **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾**[9]: قال تعالى: **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾**[10]. غنيمة وزيادة فضل. **﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾:** جعلناهم قرّة عين له: قومه لم يؤمنوا به، لكن جعلنا على يد أولاده الخير، كله بصحيفته. هؤلاء فكَّروا وأقبلوا وصاروا أنبياء، وكل من لا يفكِّر فمصيره مصير الكافرين. لماذا أعطاه تعالى هذا العطاء؟ لصدقه، لتضحيته، وكل إنسان غداً يرى عمله فيُقبل على الله، الجنَّة بالأعمال؛ كلاً على حسب عمله.

رب العالمين: ينظر لصدق الإنسان ويسوق له من العمل ما يتكافأ مع صدقه ليظهر له عمله، فيصبح واثقاً من عمله العالي. وليظهر للخلق غداً عمله.

50- **﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾:** في الدنيا أعطيناهم. **﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾:** إبراهيم وأولاده صاروا رحماء، وضعنا الرحمة بقلوبهم على الخلق، اشتقوا الرحمة من الله لذلك ولَّاهم الله سبحانه على الخلق، فالنور والتجلي الإلَهي دائماً عليهم صلوات الله عليهم، وكل من أقبل على الله اشتق منه الرحمة. **﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾:** يعلون به عند الله وعند الخلق، وأجرينا الخير على أيديهم نتيجة صدقهم، فجرت على أيديهم الخيرات الأبدية دنيا وآخرة بما يرفع شأن الإنسان.

سورة مريم: [51-60]

51- **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾:** أُعطي بالأهلية. **﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾:** خالصاً من كل الشوائب، ليس في قلبه حب إلّا حب الله، كان قلبه لا يشغله سوى الله. عاشقاً لربّه، ليس في قلبه أحد سوى الله تعالى، وكان دائم التفكير بالله. من أين جاءه هذا الحب لله؟ فكَّر واستدلَّ كإبراهيم عليه السلام فرأى المربي، لا إلَه إلّا الله، سلك الحق، صار له ثقة بربه أنه راضٍ عنه، أقبل على الله، اشتق الكمال واستنار بنور الله. لما صار بهذا: **﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾:** عندها بهذا الإقبال على الله صار نبياً ثم أُرسل، لأنه مخلَص جعلناه رسولاً. المسألة لا بالدعاء لا بالقول، بل بالاجتهاد. وكان عليه السلام دائماً فكره، قلبه، نفسه مع الله تعالى؛ سيدنا موسى عليه السلام كان عند فرعون بعزٍّ كبير، فآثر

---

[8] سورة التوبة – الآية:114.

[9] سورة إبراهيم – الآية:7.

[10] سورة الأنبياء – الآية:72.

رضاء الله على كل شيء، وذهب يرعى الغنم عند سيدنا شعيب عليه السلام وما وقع بنفسه شيء رأى ذلك كله نعمة وإحساناً من الله.

السورة: كلها بيان أحوال أهل الصدق والإخلاص.

52- لمَّا صار بهذا الكمال والحب: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ**﴾: التجلِّي العالي بسبب إقباله علينا، من جانب العلم الإلَهي، أي من التوراة، فلا يحيط بعلم الله أحد. ﴿**الْأَيْمَنِ**﴾: الذي فيه الخيرات، الخير العالي المبيَّن في التوراة. ﴿**وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾: مناجياً. لأنه كان مخلَصاً، لأن نفسه متعلِّقة بالله جعله الله تعالى نبيّاً وأنزل عليه التوراة ليرشد الخلق بها.

53- ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا**﴾: سيدنا هارون عليه السلام كان عابداً قبل موسى عليه السلام طالباً مرضاة الله صالحاً، لمّا جاء سيدنا موسى صار معه نبيّاً. موسى بحسب عشقه صار رسولاً، العبد كلما قرب إلى الله ازداد بالله علماً، وذلك: عندما ضحى سيدنا موسى عليه السلام بالمُلْك بقتله للقبطي المجرم المعتدي جعله تعالى نبيّاً، فنال سيدنا هارون النبوة أيضاً بمعيَّته لأنه قبلها كان مرشداً لسيدنا موسى. وبعدها سيدنا موسى عليه السلام وعلى حسب عشقه صار رسولاً.

54- ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ**﴾: سمع أمر ربه بالذبح واستجاب له وطبق، لذلك سمَّاه تعالى إسماعيل، سماعه عليه السلام كلِّي بصدقه مع ربه، كان عليه السلام يطبق أوامره ويطيعه، فما خالف عليه السلام أمر ربه بشيء. ﴿**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**﴾: الذي وعد به الرحمن في الأزل، رأى أبوه أنه يذبحه، فإبراهيم عليه السلام أحبَّه لصلاحه فأُمر بذبحه لئلا يبقى في قلبه تعلُّق بأحد إلَّا الله. إسماعيل عليه السلام وعد أباه بتطبيق أمر الله بالاستسلام للذبح، وصدق مع الله طاعة له. ﴿**وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا**﴾: بعد قيامه بمقام الصدق.

55- ﴿**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ**﴾: كل من سار معه. ﴿**بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ**﴾: إذ أن من لا يصلي لا يطهر، ومن لا يطهر لا يدخل الجنة، فكل من ماشى إسماعيل عليه السلام كان يطلب منه هذا الطلب. ﴿**وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾: كان يأمر بالحق وكان سيره بالحق، كان يدلُّ على الحق بناءً على ما عرف من الحق، كل عمله طيِّب ومع ذلك أُمِرَ أبوه بذبحه. لما صار نبيّاً يرى الحق أُمر بالتبليغ فصار رسولاً. كل هذا بيان لمقام أهل الصدق.

56- ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾: سيدنا إدريس عليه السلام جاء بعد الرسل، طبَّق أوامر الله على قومه، فصار يطبّق كلام الله كما أُنزل. فإدريس عليه السلام سار بالتفكير، عرف المربي، لا إلَه إلّا الله، سلك الحق ووثق برضاء الله عنه، أقبل واشتق الكمال ورأى بنور الله فصار صدِّيقاً.

57- ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾: بين قومه، إذ آمنوا به وصارت له مكانة عالية عندهم.

58- ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ**﴾: ما كانوا من نوع أعلى؛ مثلك، لكنهم صدقوا. فهؤلاء بشر مثلك، لكن لمَّا أعطوا التفكير حقَّه صاروا أنبياء ورسلاً. ﴿**وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ**﴾: المؤمنين. ﴿**وَإِسْرَائِيلَ**﴾: أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام. ﴿**وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا**﴾: كثيرون أيضاً. ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ**﴾: رأوا الرحمة الإلَهية بهذه الدلالة، فكَّروا بالكون، رأوا رحمة الله. ﴿**خَرُّوا سُجَّدًا**﴾: طالبين من الله. ﴿**وَبُكِيًّا**﴾: خشوعاً واعترافاً. فرحين بفضل الله. بعد إيمانه يخرّ ساجداً، إذ يرى أن كل أوامر الله حنان وعطف وإحسان أبداً. ما جاء به للشقاء.

59- ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ**﴾: ضاعت صلتهم وضاع ارتباطهم بالله، لم يبقوا لأنفسهم صلة بالله، بل لحقوا بالدنيا. لم أمرنا الله بالصلاة؟ ليجتمع قلبك مع الله. ﴿**وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ**﴾: بسبب اتباعهم أهواءهم غلبت شهواتهم عليهم، فما رجعوا للالتفات إلى الله. الصلاة: صلة مع الله ولا تصح إلَّا في الكعبة، إن لم تجتمع نفسك هناك فلن تصلِّي، وهذه علامة أنك واقع في الشهوات. ﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾: يلاقون الغي بتركهم الصلاة، خلقك الله تعالى يا إنسان للسعادة، هؤلاء غووا، أي: "حرموا أنفسهم من السعادة؛ إذ ضلُّوا عنها".

60- ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ**﴾: التوبة تكون: ﴿**وَآَمَنَ**﴾: بعد الإيمان بلا إلّه إلَّا الله، قبل الإيمان لا تصح التوبة. ﴿**وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾: لن تتوب إن لم تصل للإيمان ولن تعمل صالحاً...

سورة مريم: [61-70]

61- ما هذه السعادة؟ ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾: من جنّة لجنة أعلى إلى ما لا نهاية، جنّة وراء جنّة. ﴿**الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**﴾: لا بدَّ منه، لا بدَّ آت.

62- ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا**﴾: كلام لا فائدة فيه. ﴿**إِلَّا سَلَامًا**﴾: الأمان، حياة، سعادة لا نغص فيها ولا ألم، من حسن لأحسن. ﴿**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ**﴾: التجلي من الله. ﴿**فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾: كل ما فعلت في الدنيا من أفعال طيبة من بداية حياتك لنهايتها، هذا كله يمرُّ عليك: ﴿**بُكْرَةً**﴾: من بداية حياتك في الدنيا. ﴿**وَعَشِيًّا**﴾: لنهاية حياتك، كله يمرُّ عليك ثم يعود ثانية. به تقبل على الله وبه ترقى من جنة إلى جنة، من حال لحال، ومن دوْر لدوْر، متعاقبة واحدة إثر واحدة كما يتعاقب الصبح والمساء.

63- ﴿**تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾: الله سبحانه هو الذي يورث عباده الجنان لكن عن طريق عباده؛ رسل الله عليهم السلام. ﴿**مَنْ كَانَ تَقِيًّا**﴾: لكن لا جزافاً، إن لم تصل للتقوى فلن تدخل الجنَّة. نتائج الإيمان الأعمال، الأعمال لا تكون إلا بالتقوى، حتى ترى الخير خيراً والشر شراً، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً. فإن لم يفكِّر المرء ويعرف أن السير بيد الله ويستقيم فيصلِّي ويكتسب الكمال فلن يدخل بصحبة أهل الكمال على الله، ولن يرى بنور الله. الأعمى يظل في قبره أعمى، المؤمن الذي فكَّر فتابع المسير حتى وصل للتقوى، هذا له العطاء.

64- الجنة منازل: كلٌّ على حسب عمله، على حسب حاله وأعماله وثقته بربه، وكل واحد منهم وله مرتبة. ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ**﴾: منازلنا على حسب أمر الله، عليم بحالنا. يعطي بمقدار، كلٌ حسب حقه. المنازل في الجنّة ليست واحدة. الحديث عن الرسل والأنبياء عليهم السلام، فهم ينزلون من سماواتهم العُلى ومن جناتهم وسعادتهم إلى شقاء الناس وتعاستهم، ويتنازلون للخلق ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، لكن متى ينزلون؟ عندما يطلب الإنسان ربه بالإيمان هنا تأتي وظيفتهم، والكل ينزلون على كل طالب تقوى، فوظائفهم عليهم السلام دائمة مستمرة، فإذا بلغ الإنسان درجة من الطهارة القلبية وصار يكره الفواحش والرذائل أنزل الله عليه سيدنا يوسف عليه السلام ليكسبه طهارة كبرى، وإذا قام هذا التقي بعمل فيه شجاعة وتضحية في سبيل الله أنزل الله عليه سيدنا موسى عليه السلام وأكسبه شجاعة كبرى، وإذا فكّر الإنسان ببدايته أنه نطفة وشاهد نفسه أنها لا شيء أنزل الله عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام فيريه بدايته ويكسبه تواضعاً عظيماً. إذن نفوس الرسل والأنبياء عالية وينزلون من سماواتهم ليسحبوا الأنفس إلى الله بلطف وبدون شعور من الإنسان، بالبداية تحدث أحوال وأذواق وبوارق، بعدها يتبين لهذا التقي حقيقتهم وذلك عندما يصل لليقين الشهودي.

﴿**إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ**﴾: يا محمد. فالمتكلمون هم رسل الله وأنبياؤه، لأن عهدهم وميثاقهم أن يكونوا بأمر الرسول ﷺ، فالكل ملتفٌ حول رسول الله ﷺ والكل تحت أمره ﷺ الذي أمره من أمر الله سبحانه. ﴿**لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا**﴾: الآن هو الفاعل. الكل "عليهم السلام" مشاهدون أنه لا يتحرك شيء إلا بإذنه تعالى وأنه هو الفعال والخير فقط منه سبحانه، لذلك سلَّموا أمورهم وأنفسهم لربِّ العالمين. ﴿**وَمَا خَلْفَنَا**﴾: في الآخرة، وما سنعمله أيضاً سيراه. ﴿**وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ**﴾: في البرزخ. ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾: شيئاً من عملك. أيها الإنسان، لم ينْسَكَ أبداً، دائماً معك والحياة والقيام به سبحانه، دائماً عينه عليك ويصبُّ نوره على قلبك، فهو سبحانه المسيّر والمحرك.

65- ﴿**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**﴾: اعبده ثم انظر نتائج هذه العبادة. طبِّق أمره وانتظر النتائج والإكرام، انظر كيف الرسل عليهم السلام أطاعوا وعادت الطاعة عليهم بالإكرام والخيرات، أطع الله يعطك. إذن: اسمع كلامه وانظر في النهاية كيف يعاملك. في الدنيا يعزّك ويرفع شأنك، وفي الآخرة أيضاً. إذن لا تعجل بالثواب أو بالمعرفة فإنك لا بدَّ وأن تطهر فتصلح للمعرفة، وبعد الطهارة ورفعة النفس والإقبال على الله سترى أسماء الله ونتائج عبادتك... ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾! هل هناك أحد مثله سبحانه بالسمو؟ المسألة إذن شهود وعلم، هل من إلٓه غيره يعطي؟ هل من مربٍّ غيره؟ هل تجد لله مثيلاً في أسمائه؟ فكِّر، لا تمشِ على ضلال في الحياة. من خلقك في بطن أمك؟ من ربَّاك؟

أطعه، اسمع كلامه واصبر، انظر هل يرميك أم يرفعك؟ لكن عملك المنحط يجرُّ لك هذه الشدائد وهي دواء لنفسك.

66- ﴿**وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا**﴾؟! لو فكَّر بهذا الأمر بدل ألَّا يفكِّر ويشك لوصل للإيمان.

67- ﴿**أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا**﴾: أولا يذكر أنه كان نطفة؟! ألا نستطيع أن نعيده غداً؟! كنت نطفة، كيف صرت إنساناً؟ أليس بقادر على أن يخلقك ثانية؟!

68- ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ**﴾: معهم. ﴿**ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ**﴾: بالذل والحقارة. ﴿**جِثِيًّا**﴾: على ركبهم خزياً وحزناً.

69- ﴿**ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا**﴾: الأكثر مرضاً، الأضعف طاعة لما فيه من ألم، رئيسهم الذي كان يدلُّهم. (مثال: إنَّ طبيبَ المستشفى ليأخذ أشد المرضى خطراً قبل غيره لينقذه).

70- ﴿**ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا**﴾: المتألم أكثر يساق للنار ليسلى آلامه، ومن يجب أن ينزل أولاً ثم الذي بعده.

سورة مريم: [71-80]

71- ﴿**وَإِن مِّنكُمْ**﴾: يا من تستحقون أن تصلَوْها، أيها المعاندون، المعرضون، المخالفون "وحسب مسرى الآية الخطاب خاص بالمعاندين المعرضين". من أولئك الذين حولها جثياً. ﴿**إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا**﴾: لا بدَّ لكلِّ عاصٍ حتماً أن يدخل النار. لا بدَّ من هذا الدواء الأليم.

72- ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: على حسب الحديث الشريف: **"يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان"**[11]. عند الشدة يتذكر الطريق الموصل إلى الله فينجو. فمن حصل له مرور ولو مرةً واحدة يتذكر عند الشدة، فيدخل في حضرة الله كما دخل في الدنيا وينجو، أي: بعد ألف، ألفين من السنين فيها "أكثر، أقل" عندما يشتد عليه الحرق يرتمي على الله ثقة برحمته فيشفى ويخرج، ولا يشفى العبد إلا بالله. أما إن لم يذق الإنسان الرحمة، ولم يحصل على إقبال ولا للحظة في الحياة يظل دوماً فيها أي: من كان في الدنيا أعمى فلا طريق له. **{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً}**[12] **﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾:** على ركبهم. يظل فيها على طول.

73- **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:** هكذا كان قولهم. **﴿لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾:** رفعة، مكانةً في الدنيا، هل لكم وظائف؟ يفتخر الكافر بمركزه في الدنيا، كقول الأغنياء والمثقفين مثلاً للمؤمنين: هل تلذُّون بالعيش مثلنا، أين ترفكم ومسرَّاتكم؟ **﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾:** أمواله وما عنده. مجلساً، جماعة ومجتمعاً! الناكر لنعم الله من لا يفكّر بآيات الله، هكذا قوله: يستحقر أهل الإيمان.

74- **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾:** كانت لهم بيوت ومفروشات. **﴿وَرِئْيًا﴾:** منظراً وشأناً وبناء، مظهرهم حسن، كم جاء أناس قبلنا نظَّموا ما نظموا في الدنيا ثم زالوا!

75- **﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾:** المريض الذي وصل لدرجة لا يرجى له البرء ولا طريق له للشفاء يُسمح له بالطعام. **﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾:** لأنه لم يبق له علاج فيُعطى شهوته **﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾:** في الدنيا من إهانة وغيرها وآلام. **﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾:** الموت. **﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾:** ساعتها. **﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾:** مكانة. يرون من هم المغبونون. **﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾:** مجتمعاً. انظر لنهايته في الحياة، فالج، سرطان، آلام.

76- **﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾:** من حالٍ لأعلى ومن معرفة لأوسع. **﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾:** من الأعمال، إن أقبلت على الله زادك، العمل الصالح صالح لكل مخلوق، فيه صلاحهم وهذا لا يكون إلَّا بعد الإيمان. **﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾:** من هذه الدنيا. **﴿ثَوَابًا﴾:** عليه هنا. **﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾:** غداً عليه[13]

77- **﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآَيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾:** أُصبحُ غنياً وسأفعل كذا وكذا.

78- **﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾:** أَعَرف ما سيكون مصيره؟ هل هو آمِنٌ على نفسه بأنه سيعيش طويلاً. **﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾:** هل أخذ عهداً بما قال؟

79- **﴿كَلَّا﴾:** هو كَلٌّ[14] متروك؟! لا ليس بمتروك. **﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾:** سنعطيه الدنيا وستكون عذاباً عليه.

---

[11] أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان رواه الترمذي: [(2598)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهو قطعة من حديث رواه البخاري [(439).

[12] سورة الإسراء – الآية:72.

[13] (ثَوَاباً): عليه هنا: ثواباً على هذا الإنسان صاحب العمل الصالح في هذه الحياة الدنيا وكذلك (وَخَيْرٌ مَّرَدّاً): غداً بعد الموت وفي الآخرة مردود هذا العمل على صاحبه خير من كل هذه الدنيا وما فيها من مناصب ومراتب.

[14] كلمة (كلَّا) مؤلفة من (كلّ، لا)، والكلّ هو العبء. يريد الله تعالى بكلمة (كلَّا) في هذه الآية الكريمة أن يبيّن لهذا الإنسان الكافر أنه ليس هو بعبء على الله تعالى حتى يتركه فهو ليس بعبء والله من رحمته به لا يتركه دنيا وآخرة إنما يعامله دائماً بما فيه خيره.

80 - ﴿وَنَرِثُهُ﴾: بعد الموت كلَّ ما يناله. ﴿مَا يَقُولُ﴾؟ بهذا، ألا يموت؟ ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾: هل ينكر؟!

سورة مريم: [81-90]

81 - ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾: يعتزُّ بهم، ماشوا أشخاصاً مثلهم لينالوا العزَّ بهم!

82 - ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ﴾: غداً. ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾: بعبادة هؤلاء الرؤساء وطاعتهم. ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: سيكونون لهم أعداء وينكرون اتباعهم لهم. فكِّر أيها الإنسان، انظر الكافر كيف يسيِّره الشيطان، أتريد أن تكون مثلهم؟!

83 - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: تمشِّيهم بالشر، ألا ترى أفعالهم الدنيئة وأعمالهم الخبيثة؟! فكيف تعظِّمهم وتوقرهم أيها الإنسان الغافل؟! هل هؤلاء إنسان؟ يخترعون القنابل، يسعون في الفساد، أتريد أن تكون معهم؟ فالبعيد عن الله يصبح آلة بيد الشيطان، لكن بعد تخليصه من شهواته يُعطى علاجاً قوياً لعلَّه يتوب ويرجع.

84 - ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: لا تستبطئ إيمانهم معك. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾: واحدة بعد واحدة، بلاء بعد بلاء، وكل واحدة أشد من واحدة، ولكل عمل عقابه.

85 - ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾: معاً، كل وفد مع رئيسه والكل تحت لواء رسول الله ﷺ.

86 - ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾: من لا خير فيهم أبداً. ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: مرتمين.

87 - ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾: أين الشفاعة يومها؟ فهم لا يستطيعون مماشاة الرسل ساعتها. ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: في الدنيا: هذا يماشي الرسل.

88 - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾

89 - ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾: عظيم، ثقيل جداً مردوده عليكم. لَمْ يؤدِّ بكم إلى السعادة والنجاح الذي خلقتم من أجله، لأنكم حملتم الأمانة وذلك ما لم تستطع أن تحمله السماوات والأرض والجبال.

90- ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: من هذا الكلام، بالحمل الذي يقع عليهم من هذا القول. لو نزل على السماء لتفطَّرت. السبب لأنهم خسروا ما رُشِّحوا إليه من مقام عظيم، فهذه الخسارة تجعل السماوات يتفطرن من عظمة الخسارة وثقلها. ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾: والجبال تنهد وتخر، فهل يستطيعون حمل ذلك؟

سورة مريم: [91-98]

91- ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾: أشركوا به مخلوقاً أصله نطفة من أمشاج، مجموعة من الثمرات أكلتها أمُّنا مريم عليها السلام، لا حول له ولا قوة إلَّا بالله.

92- ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: هو الخالق، لا يماثله شيء، فكلهم عبيد لله تعالى، لا يتخذ ولداً.

93- ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَن عَبْدًا**﴾**:** فكلهم عبيد لله تعالى. لا يتَّخذ عبداً ولداً.

94- ﴿**لَقَدْ أَحْصَاهُمْ**﴾**:** كم سيأتي. ﴿**وَعَدَّهُمْ عَدًّا**﴾**:** واحداً بعد واحد. فكل واحد معلوم عند الله، يوم مجيئه ويوم ذهابه.

95- ﴿**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾**:** لا مال ولا بنين ولا أهل، بل ولا أحد معك، فكل فرد وعمله. كل واحد وحده وعمله فقط، فلا أخ ولا أب ولا صاحب.

96- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾**:** يوادهم، يهاديهم من الخيرات، يوادهم بفضله وإحسانه، يمدُّ لهم يد المحبَّة سبحانه يوم القيامة.

97- ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾**:** هذا البيان. ﴿**لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ**﴾**:** يحتاج الأمر لتقوى. ﴿**وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا**﴾**:** معاندين، من يخاصم الحق دونما تفكير.

98- ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ**﴾**:** هل تشعر بوجود أحد أو ترى أحداً منهم؟ ﴿**أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**﴾**:** مكانة واسماً، هل لهم مقام؟! زالوا وكذلك كل امرئ لا يبقى له ذكر إن كان كافراً، لقد انمحى أثره وزال ولم يعد يُذكر اسمه، أمَّا الطيِّب الطاهر فدوماً اسمه عالٍ.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة طه: [10-01]

1- ﴿**طه**﴾: أي: يا طاهراً، يا هادياً، "يا طاهراً من الذنوب ويا هادياً إلى علّام الغيوب"، طهارتك أهَّلتك لأن تكون هادياً، الطبيب ينتسب لمدرسة الطب، المحامي: للحقوق، ﷺ انتسب لمدرسة الطهارة.

في كل سورة يصف الله تعالى رسوله بوصف غير الوصف السابق، ذلك أن الإنسان بعد الإيمان لا بدَّ من ظهور صفة كاملة له كانت كامنة فيه، وكل إنسان على حسب حاله متى سمع الصفة المتوافقة مع حاله تولَّد به عشق وصلة برسول الله ﷺ.

2- ﴿**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ**﴾: ذلك لشدة حزن النبي على الناس، فكان ﷺ يشقي نفسه في سبيل هدايتهم. بقربه ﷺ من الله غدا صاحب حنان ورحمة، كان دوماً حزيناً على خلق الله. ﴿**لِتَشْقَى**﴾: كي تكون محروماً من الراحة في الحياة، وذلك بأن تبقى معذَّباً على الخلق لعدم اهتدائهم.

3- ﴿**إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾: وأول طريق الخشية هو التفكير. القرآن تذكرة لمن طُبع في نفسه، تذكرة لصاحب الخشية من الله، إن حصلت لك الخشية من الله "وهذه تكون وتتم بعد الإيمان" عندها يكون هذا القرآن تذكرة لك. فمن أي قوم أنت، إن آمنت نلت كمالاً، هذا الكمال يجرُّك لأهل الكمال فتحصل على التقوى.

من هنا يتبيَّن أن اللغة ليست شرطاً للإيمان وفهم القرآن. الإيمان هو الشرط الأساسي الذي به ينطبع الكمال، فتتذكر إن سمعته يتلو القرآن ما طبع في نفسه الشريفة ﷺ. وإن لم تحصل للإنسان معرفة بلا إلّه إلّا الله فلن يستفيد شيئاً من القرآن، إذ ليس في نفسه شيء من الكمال، فإن آمن وأقبل انتقش في نفسه الكمال فصار القرآن ذكرى له.

وعليه: القرآن عربي فصيح، لكنه يُتلى وبعض الناس لا يفقهون منه شيئاً، والسبب: عدم انطباع الكمال في نفوسهم. ﴿**لِمَنْ يَخْشَى**﴾: إن لم يرَ الإنسان أن الله محيط به فلن ينتهي عن المنكرات ولا ينطبع به الكمال.

4- ﴿**تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا**﴾: إذا أصبحت طاهراً يتنزل عليك القرآن، المنادي إن ناداك وأنت بعيد لا تفقه منه شيئاً، كثيرون ممن لا يفقهون منه بسبب: عدم إيمانهم بلا إلّه إلا الله.

هذه الآية فيها السماوات العلى، كل من توجه لها بنفسه صار في عليين وتنزل القرآن عليه.

5- ﴿**الرَّحْمَنُ**﴾: الكون كله ترتيبه ضمن الرحمة. تجلى سبحانه على المخلوقات بالرحمة وأعطى كل شيء حقَّه وكماله. ﴿**عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾: تجلي على الكون "السماوات والأرض" بالرحمة فنضج "الكون". يدبّر أمر الكون ضمن الرحمة. فبتجلِّيه تعالى على المخلوقات بالرحمة أعطى كل شيء حقّه وكماله.

6- ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ**﴾: كل ما يقع نظرك عليه من كواكب وقمر وشمس وهواء، هذا كله يعود بسيره لله. ﴿**وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: جميع ما في الأرض من مخلوقات وأحياء ومن إنسان وحيوان وما

يسمونه بالجمادات، أي كل ما على ظهر الأرض وما أوجده الله وما تراه فوقها. ﴿**وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾**:** كل ما فيهما وما بينهما عائد إلى الله في رزقه وقيامه وحياته وإمداده. ﴿**وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾**:** شملت ما في باطن الأرض من عوالم وأحياء، كعالم النمل والكائنات الدقيقة المفيدة للزرع، إذ لولاها لما خرج الزرع، كذا المعادن والثروات الباطنية من نفط فهو ثروة لأنه الذهب الأسود، وكذلك المياه التي تخرج من جوف الأرض من آبار وينابيع تسير أنهاراً فتخرج منها شتى الثمرات والمأكولات، فالأشجار تستمد خيراتها من الثرى. فكلمة ﴿**الثَّرَى**﴾**:** مأخوذة من الثروة والثراء والغنى: فالخيرات جميعها التي يفتقر الإنسان إليها في ديمومة حياته ومعاشه هي من نتاج الأرض، الأشجار التي تستمد خيراتها من تحت الثرى من معادن ونترات آزوتية ومياه، فتخرج إلينا على شكل أطعمة شهية فيها الغذاء لأجسامنا والحياة، فجميع هذه الثروات تخرج من باطن الأرض. ﴿**وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾**:** الجواذب التي تحمل الكوكب العظيم، "الأرض". الأرض تسعد وتُسر من مجيء الأنبياء والرسل عليها وأن أجسادهم عليهم السلام من ترابها، وهذا الشيء يجذبها ويثبتها لئلا تتفطر فتترك وظيفتها وتزول بسبب ما يقع فوقها من معاصٍ وإجرامات وفواحش، ولها ببقائها أمل بالثراء، أما يوم القيامة ينتهي أملها فتقول لربها زلني فيزيلها سبحانه وتعالى.

7- ﴿**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ**﴾**:** ما أنت مخفيه في نفسك. ﴿**وَأَخْفَى**﴾**:** يوجد في النفس أشياء أنت لا تعلمها، ممَّا لم تطَّلع أنت عليه بعد وهو مستقر في نفسك. فهو تعالى معك كيفما سرت.

8 - ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾**:** المسألة بيد الله، فرعون قتل أبناء بني إسرائيل وربّى موسى[1] عليه السلام الذي رأى أنّه سيزيل ملكَه؛ ربّاه بيده، إذاً الفعال هو الله وحده ولا لأحد فعل سواه. يا مؤمن إذا كنت غير عاصٍ لا تخف من أحد. ﴿**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾**:** كل أسمائه تعالى عطف وحنان على خلقه، فأسماؤه تعالى كلها فضل ورحمة وحنان. إن الفعَّال والمسيِّر في هذا الكون هو الله سبحانه، والآيات التالية تثبت ذلك.

الآن انتقال من حال لحال:

9- ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾**:** ضرب الله تعالى هذه القصة مثلاً للدلالة على لا إله إلّا الله، بمعنى: أنا أعطيت الاختيار للإنسان، وكلاً أعطيه على حسب حاله. رحمتي أوسع منك ولكن أعطي كلاً ما يناسبه.

10- ﴿**إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾**:** لما خرج من عند سيدنا شعيب عليه السلام مع زوجه شعرت بالبرد. كان الوقت بارداً فذهب ليأتي لأهله بالنار.

سورة طه: [11-20]

11- ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾

---

[1] فرعون كان قد رأى رؤيا بزوال ملكه وسلطانه على يد رجل سيولد من بني إسرائيل فبدل أن يرجع عن غيه ويتعظ راح يذبح كل مولود ذكر لبني إسرائيل... وربَّى فرعون سيدنا موسى عنده في قصره، ربَّى من سيتخذ منه عدواً وسيخاف على زوال ملكه منه في قصره!!

12- ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**﴾: انزع الفكرة التي أتيت من أجلها، فكرة النار والطريق. ﴿**إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾: بحال الإقبال من حال لحال تطوي منزلةً بعد منزلة، تزداد مترقياً في مدارج العلم وادياً بعد وادٍ لتفكيرك الدائم بالله، تطوي نفسك الطريق وتتقلَّب في هذا النعيم لذلك:

13- ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ**﴾: لأنك بالوادِ المقدّس. أنا اخترتك لهداية الناس لأنك في هذا الوادي، بسبب إقبالك عليّ أنا اخترتك. ومن هذه الآيات يُستدل على عدل الله وتسييره ملكه ضمن العدل والاستحقاق، ولذا أعطى موسى عليه السلام ما أعطى وبيَّن السبب لهذا العطاء. ﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾: إذا آمن الإنسان شاهد الوحي المنزل على رسول الله ﷺ.

14- ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ**﴾: "مثال على الألوهية". ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾: اسمع كلامي، رزقك، قيامك، حياتك، كل ما في الكون عائد إليه، فمن لا يؤمن بلا إلّه إلّا الله لا جدوى له.

عود على بدء:

انظر الدليل على. ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**﴾: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾: ماذا فعلنا به. ﴿**إِذْ رَأَى نَارًا**﴾: قصته عليه السلام معلومة، كان ربيب فرعون وقتل نفساً من خصومه ففر إلى مدين وبعد سنين عاد، في الطريق رأى ناراً: ﴿**إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾: فهذه القصة دليل واضح على لا إلّه إلا الله، وأن الله هو وحده الفعَّال.

﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**﴾: فكرة جلب النار لعيالك، والاستدلال على الطريق أو مكان ما. ﴿**إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾: بالسير العالي من حالٍ لحال أعلى، في التفكير العالي لهداية الخلق. وهكذا ولكل إنسان وادٍ، سيدنا موسى عليه السلام كان سائراً بالواد المقدّس، تفكير الطهارة. ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾: فلما كان تفكيره عليه السلام عالياً اختاره الله كما اختار سيدنا محمداً ﷺ، لما صار طاهراً أصبح هادياً. من استغراقه بالله، والله يحب الجميع، تشرَّب الرحمة الحنان الشفقة، واشتهى لهم السعادة والنجاة. ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾: اسمع كلامي، أطع أمري لتبلغ مطامحك العليَّة.

﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾: لتذكر فضلي عليك، اذكرني بنفسك ولعبادي: اذكر فضلي، حناني، عطفي، ذكِّرهم بعطفي وحناني لتحصل لهم الصلة بي، حيث جبلت القلوب "النفوس" على حب من أحسن إليها. إن لم تذكرني كيف تتصل بي! تذْكرهُ فتقبل عليه فتحصل لك صلة معه. "الأذان والإقامة ذكر وتذكّر بعده تحصل الصلة"[2]

15- ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ**﴾: ساعة الموت. ﴿**آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾: عن الناس حتى يصبح المرء دوماً على حَضَرْ، ومن أجل العمل، وحتى يصبح للنفس ثقة بعملها، إذ لو أُجبرت فلا يخرج ما في النفس، وكذلك لا تكسب ثقة برضاء الله عنها بعملها التي قامت به. ﴿**لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ**﴾: كي يأخذ كل إنسان حقه في هذه الحياة. ﴿**بِمَا تَسْعَى**﴾: في هذه الدنيا. لا تدري الوقت، إن فكرت عرفت أنك قريب من الموت فسعيت للآخرة. الدنيا للعمل.

16- ﴿**فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا**﴾: أيها الإنسان. ﴿**مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا**﴾: كثيرون يعرفون الموت لكنهم على غير يقين به، فمن لا يؤمن بها لا يصدنك عن تذكيره بها عدم إيمانه. ﴿**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**﴾: فلا يضعف عزمك ولا تتراجع.

---

[2] انظر كتاب "درر الأحكام في شرح أركان الإسلام" ـ بحث الأذان والإقامة. للعلّامة الكبير محمد أمين شيخو.

17- ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾: السؤال لإدخال الطمأنينة في نفس موسى عليه السلام.

18- ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾: السؤال مختصر، الجواب مفصَّل: لأن حبّه وعشقه لربه جعله يطوّل الحديث. هنا يظهر حب موسى عليه السلام لله عز وجل، إذ أراد موسى أن يطيل الكلام والخطاب والجواب ليلذ له حديث ومكالمة ربه سبحانه. ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾: خجل من الله تعالى أن يقول أدافع بها عن نفسي فالفعّال هو الله وحده.

19- ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾: الغاية ليبيّن الله لسيدنا موسى أن المسألة بيده تعالى: فلا حيّة تلدغ ولا فرعون هتك...

20- ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾: المسألة بيد الله، فاذهب إلى فرعون ولا تخف.

سورة طه: [21-30]

21- ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾: عصا، كما كانت تعود. هذه كلها لتعرف أنه لا إله إلّا هو، لا فعَّال سواه.

22- ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾: إبطك. ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾: ضع يدك تحت إبطك تضيء. الله سبحانه وتعالى أراد أن يرى فرعون وقومه شيئاً من نور الآخرة لعلهم يهتدون. العصا آية، واليد آية أخرى، دليل على أنك رسول الله.

23- ﴿لِنُرِيَكَ﴾: أيضاً دلائل أخرى على أنه لا إله إلّا الله. ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾: من الآيتين سيكون أمرٌ عظيم!

24- ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾: جاوز الحدود، طغى عن حدود الإنسانية.

25- ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: حتى أستطيع الكلام والبيان، لأن الكلام بحسب السامع، فالمؤمن يضيق صدره من الكافر.

26- ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾: شخص متَّهم عنده، قتلت نفساً، وهو ملك جبّار.

27- ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾: أطلق لساني. كثيراً ما يعجز المرء عن الكلام، الأمور النفسية تنعكس على الجسم، هؤلاء قوم فرعون واقعون بالمعاصي والفواحش وأعمالهم المنحطة لها روائح نفسية كريهة، وهو عليه السلام متوَّج ومكلَّل بالكمالات الإلٰهية القدسية، فحين يتوجه بنفسه الطاهرة لنفوسهم الخبيثة فسيحدث صدام وينعكس هذا الشيء على لسانه فلا يستطيع التكلم معهم. مراراً لا يستطيع الإنسان أن ينطق بكلمة.

28- ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾

29- ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾: كان هارون عابداً صالحاً.

30- ﴿هَارُونَ أَخِي﴾: وكان ذاكراً طالباً رضاء الله، وهو أكبر من سيدنا موسى عليه السلام. كان سيدنا موسى عليه السلام يعرف طهارة سيدنا هارون عليه السلام وصلاحه فطلبه.

سورة طه: [31-40]

31- ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾: معيناً.

32- ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾: بأمر منك. ليكن إشراكه في الأمور من قبلك كي لا يتهاون أبداً.

33- ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾: نبيّن فضلك، نسبِّحك لخلقك، نسبِّح الناس بفضلك.

34- ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾: لهم.

35- ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا﴾: أنا وأخي هارون. ﴿بَصِيرًا﴾: أنت عليم بنا وبنيَّتنا وغايتنا، ليس لنا سوى رضاك.

36- ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾: طلبك هذا قد أعطيتك إياه. أعطيتك ما طلبت.

37- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾: قبل هذه المرّة. حيث أن هذا الموقف عظيم جدّاً، ثبَّت الله تعالى له قلبه بعنايته به، وذكَّره بالماضي كيف ربَّاه عدوه لئلا يخاف من فرعون، وليبيِّن له أن الفعل بيده تعالى. المسألة بيد الله فقد ربَّاك عدوك، إذن لا تخف، المسألة بيده.

38- ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾: الآن المؤمن يشاهد الوحي دائماً على رسول الله ﷺ. كيفية الإيحاء: مؤمنة ومرتبطة بسيدنا هارون وصلت لمراحل عالية. ﴿مَا يُوحَى﴾: لك الآن. وكان فرعون قد رأى في نومه أن فتىً من بني إسرائيل سيقتله، فأمر بقتل كل ولد ذكر: وولدت أم موسى.

39- ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾: ففعلَت وطبَّقَت الأمر، ووصل إلى الساحل. ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾: وأرادوا قتله فألقى تعالى في قلب فرعون محبة موسى: أنا الفعَّال، أنا أُعطِّف القلوب، أنا أحفظ. ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾: ولتصنع صناعة نفسية عند سيد العالمين، وصناعة جسمية عند فرعون سيد الناس. ﴿عَلَى عَيْنِي﴾: بحراستي وبنظري، كل ما يجري لك بنظري، كي تتربَّى كما أريد.

40- ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾: وكانت ترافقه على الشاطئ. ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾: بعد أن حرَّم عليه المراضع من قبل. ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾: عليك: أليس هذا دليلاً واضحاً على لا إلَه إلّا الله؟

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: وانغمَّ كثيراً. ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾: الحزن. ﴿وَفَتَنَّاكَ﴾: بحب الحق بسبب حبك لنا. ﴿فُتُونًا﴾: بالخيرات. أظهرنا ما في نفسك من الصفات العلية، أظهرنا ما في نفسك من محبة للحق. إذا أقبل الإنسان على الله ومال إليه فتنه تعالى بحب الخير وبحب الكمال. ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: عند شعيب عليه السلام. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾: أمر مقدَّر. كل ذلك حصل على قدر مني وميقات. في الوقت المناسب من حيث حالتك، حيث سرت بالتفكير العالي جئنا بك في الساعة اللازمة والوقت المعيّن، فالأمور تجري كلها بعلمي. هذا لكل مخلوق، على حسب حالك يُربّيك الله سبحانه وتعالى، فمن يفكر بالتفكير العالي يربّى على حسب حاله. والمنحط يربَّى بحسب حاله. وكل امرئ على حسب نفسه. اطلب تعطَ، اطلب الخير تنله وكذلك العكس.

سورة طه: [41-50]

41- ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: بتفكيرك العالي ربيتك هذه التربية، فالله الكريم سبحانه وضع سيدنا موسى بهذه الظروف، سلكه عند فرعون ثم عند سيدنا شعيب عليه السلام وفي مختلف المواجهات، ووضع له القبطي الخبيث ثم قاده لسيدنا شعيب العظيم ثم لرسوله الكريم (وذلك عندما تنزلت عليه الرسالة "التوراة")، فالله الصانع وهو سبحانه الباني الحقيقي، يقلِّب النفس المقبلة عليه من حال إلى حال ضمن أسمائه الحسنى، وله الحمد والمنة والفضل بكل الأحوال، اصطنعتك لما في نفسك من الكمال، والآن جعلتك رسولي.

إذن لقد كانت هجرته عليه السلام وكل حياته الغالية هجرة لربه، وكل لحظة من لحظات عمره الثمين كسب وتدرج وشهادات علية سرمدية عليها ستبنى أجيال وأجيال، وستنال البشرية سعادتها وغبطتها.

42- ﴿**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ**﴾: منح الله تعالى موسى وهارون القيام بأعباء الوظيفة "الرسالة"، وهنا بدأ عالم الحقائق ينبلج لأعين الناس الغافلين، وأخذت النفوس العظيمة مسراها في عالم الحقائق. ﴿**بِآَيَاتِي**﴾: لقد ملَّك تعالى رسوليه آيات الكون، حوّلهما وعرضهما على عباده، ورؤيتها متشحة بحلل الكمال والجلال الإلّهي دالة على أسماء الله الحسنى العلية، كل هذا لمن اتقى وبربه التقى فيصطبغ منه تعالى بصبغة الكمال **{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً...}**[3] ﴿**وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي**﴾: اذكرا الحق ولا تتهاونا به، اثبتا لا تتوانيا، لا تتهاونا في تذكير عبادي وخلقي. ذكِّرا الناس بأسمائي. ثابرا على عظيم اندفاعكما ولا تتردَّدا ولا تحسبا عواقب ذلك، فكل ما على التراب تراب، مهما كانت ضراوة المجابهات وردود الفعل وقوتها، فلا تخشيا على النفوس من الصدمات وعدم التحمل فقد هيَّأت الأجواء والنفوس على أجود ما يمكنها أن تحصل عليه من أوضاع، فانطلقا بذكر رحمتي وحناني وجميل إحساني وعظيم فضلي، وبيِّنا لعبادي تسييري الذي كله خير لهم، أظهروا حبي لهم لعلهم يذكرونني ويلتفتون لي فأغدق عليهم ما أعددته لهم من الخيرات.

43- ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾: هكذا أمر الله سبحانه سيدنا موسى بالذهاب إلى فرعون، قال له اذهب لعنده أنت كنت ابنه بالتبني، وهو يحبك لِمَا رأى منك من صفات، فقل له أما كفاه فسقاً وضلالاً؟ أما شبع من الدنيا؟ ماذا ينتظر؟ ألحين يأتيه الموت؟! وهذه الآية تبين شدَّة تلهُّف الله تعالى على المعرض خشية السقوط الأبدي والهلاك وسوء المنقلب، وتداركه قبل فوات الأوان دون إكراه أو تدخل في مشيئته واختياره.

44- ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾: قابلاه باللطف لعلّه يخشى. بالرغم من طغيان فرعون وكذبه وتأليه نفسه الخاطئة وجبروتها وقسوتها وارتكاباتها، "الله المؤمن" وهو تعالى فوق كل المستويات يبغي للمرء دوماً، ومهما كان منه، يبغي له سبل السلام والنجاة والخير والإكرام.

في الأزل امتحن الله كافة الخلق: فمنهم من أخذ شهادة عليا وهم الرسل الكرام، أما من كان عنده نقص: في الدنيا الرسل يتمِّمون له ما نقص. ومن كان ذا نقص عظيم: الإيمان يصل بالإنسان إلى الرقي. فمن كان له عمر فوق سنّ الرشد معناه: أن لديه قابلية للنجاح والرقي. ﴿**لَعَلَّهُ**﴾: الاختيار إذن لمن؟ كيف يقولون كله منه سبحانه؟ ﴿**يَتَذَكَّرُ**﴾: بدايته ونهايته، من أين جاء، ما أصله، وأين ربِّي، نهايته، موته، سيصبح جيفة. ﴿**أَوْ يَخْشَى**﴾: عن طريق الموت، يعرف ألَّا فاعل سوى الله وأنه هو في قبضة الله.

45- ﴿**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ**﴾: كلما اتجهت ذاكرتهما عليهما السلام إلى فرعون هلعت قلوبهما لذكرى فظاعة أعماله وقسوته في ارتكاباته، وانتقامه الأسود ورهبة تخطيطاته الجهنَّمية ومكره السِّيء المدروس، فَهُما عليهما السلام يعلمان ردود فعل فرعون الخالية من كل أثر للرحمة أو الإنسانية وطغيانه اللامتناهي، ويعلمان جسيم ما هم مقدمان عليه، لذا يلتجآن إلى الله ليكلأهما بالعون ويمدهما بالتأييد على هذا الطاغية الجهنَّمي وقد حصلا... ﴿**أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا**﴾: يشدّد. ﴿**أَوْ أَنْ يَطْغَى**﴾: يقتلنا.

ومثال على طغيانه كما حدث فيما بعد بحادثة لقاء السحرة بسيدنا موسى عليه السلام؛ فلقد خرج فرعون عن طريق الحق والإنسانية، فالشرط أن الرابح المنتصر في اللقاء بين السحرة وسيدنا موسى

[3] سورة البقرة – الآية:138.

هو على حق، بعد انتصار سيدنا موسى عليه السلام عليهم وإيمان السحرة قرر قتلهم جميعاً، وبهذا طغى فرعون وخرج عن العدالة والإنسانية.

46- ﴿**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا**﴾: تأييد بالنصر، الأمر بيدي. فرعون ومن معه بيدي وأنتما بيدي، الكون كله بيدي. ﴿**أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾: هذا البيان لكي تفهم أن الله دوماً معك، بيده الحول والقوة.

47- ﴿**فَأْتِيَاهُ**﴾: هذه معاملة الله سبحانه وتعالى لفرعون، فعندما أضحى لديه قابلية للاستجابة أرسل الله تعالى رسولين كريمين.

فائدة: وكذلك أنت أيها الإنسان إن أصبحت لديك القابلية وتاقت نفسك للقاه من بعد أن نظرت لعطاءاته وأعملت المنطق واستنتجت وجود خالق مربٍ مسيّر لك وللكائنات سرعان ما يهيئ لك سبحانه الأسباب ويجمعك تعالى بمن ينقل معرفتك ويرقيك بالإيمان والدرجات العلى، فإن استحققت ولم تأتِ إلى دليله أرسله الله إليك، فحاشى لله أن يضيّعك، فما خلقك سبحانه لدنيا بائدة أو لخسارة لاحقة، بل ليغنيك ويسعدك ويرضيك. ﴿**فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا**﴾: الرسول مؤمَّن لتأدية رسالته، والرسول عند الملوك مصون مكرم ولا يجوز مساسه، فإن مُسّ فهي إهانة للملك، ولكنه هنا رسول الله عليه السلام المعصوم من الناس. ﴿**رَبِّكَ**﴾: مانحك الحياة والمتكرم عليك بنعمه بالإيجاد والوجود، والمنمّي لملكاتك وعطاءاتك. ﴿**فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾: لكل مقام مقال، على حسب الأصول والمناسب. وهذا أسلوب الدخول والتلطُّف. ﴿**وَلَا تُعَذِّبْهُمْ**﴾: قال له موسى عليه السلام ألا تشاهد كيف تبدَّل سلوكهم وحسنت أخلاقهم وازدانوا بمكارم الأخلاق، فأسباب ذلّهم قد تغيَّرت، فإن كنت تبغي الإصلاح فقد أصلحوا، فدعهم وشأنهم، دعهم إن لم ترغب بإكرامهم كما أكرمهم جدُّك "رحمه الله" حين كانوا أصحاب يوسف عليه السلام، كذلك قد زال سبب تعذيبهم بكشفي وأني مطلوبك[4]، فدعهم يرحلون بسلام فهم ضيوفكم. لمَّا لم يلتفت فرعون قال موسى: ﴿**قَدْ جِئْنَاكَ بِآَيَةٍ**﴾: على أننا رسله. جئناك بمعجزة من ربك تعجز الخلائق عن الإتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً، جئناك بمعجزة لك على صدق رسالتنا وتسيير ربنا العظيم حقاً. ﴿**مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ**﴾: الأمان. هو سبحانه عليك وعلينا حفيظ وبك وبنا رحيم. ﴿**عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**﴾: سلام من الموت والحزن والشقاء والخسران. وهذا تهديد أول. فقوله عليه السلام ﴿**وَلَا تُعَذِّبْهُمْ**﴾: إذ كان يذبح ويستحيي.

48- ﴿**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ**﴾: في الدنيا والآخرة. ﴿**عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾

49- ﴿**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى**﴾: بيان أن الفعل بيد الله، رغم ظلم فرعون فإنه لم يتجرَّأ على إيذاء سيدنا موسى وهارون عليهما السلام. لم يلتفت فرعون إلى ربه ودلالات الرشاد بل أخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولو التفت لأصبح له المقام الأسمى في القرب من ربه، ولأثمرت علاقات التربية (تربيته لسيدنا موسى عليه السلام) ولتبدلت إلى شفاعة وصحبة عُلوية، ولسرت نفسه بهذه الشفاعة في الحضرة الإلٓهية وصارت تنتقل بنور الله سبحانه ونور رسول الله موسى عليه السلام، تنتقل بالكائنات مغمورة بفيوضات التجليات ولتشرَّبت الكمال، وبهذا يمتد ملكه الدنيوي والأخروي، ولحظي بالمكرمات عند ساكني الأرض والسماء، ولما انتهى بتلك النهاية المخزية. لكنه أعرض

---

[4] حيث أن فرعون كان يقتل المواليد الذكور في بني إسرائيل بعد أن رأى الرؤيا المنذرة له بهلاكه وزوال سلطانه على يد رجل سيولد في بني إسرائيل، ولما سيدنا موسى انتصر للحق وقتل القبطي انكشف أمره أنه هو هذا الرجل وأصبح مطلوباً لفرعون لكي يقتله.

ونأى بجانبه وقال: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾: ولم يقل ربنا، فهو في وادٍ وهما "عليهما السلام" بوادٍ آخر.

50- ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾: التام الكامل، كل مخلوق أعطاه حقه بالتمام، ما يناسبه من أعضاء. فهل من مخلوق خَلَقْ؟! هل أنت أو أنا! هل من مخلوق منح نفوس الجبال حجمها الشاهق، والبحار مياهها المغدقة، والأشجار حياتها واخضرارها وثمرها المغدق بالطعوم الطيبة، والنجوم خلقها وحملها وأمدك بها؟! المخلوقات بالأصل كلها نفوس اشتقت كمالات بدرجات متفاوتة، وبمقدار تشرُّبها شكَّل لها ربنا أجساداً مادية، وكلها تسبح بربها من أجلك منتظرة ماذا ستقدمه تجاه هذا الرب مما يفوقها ويفوق عطاءاتها. وهو سبحانه الآن يمدك ويمدها وهو معها ومعك، فهو الحاكم المهيمن عليك، وقد تركك سبحانه لاختيارك لفترة لتكسب، ولو كشف عن نفسه لأجبرك، ولما ظهرت نواياك ولما كسبت من ذاتك، فاستفد من اختيارك وكُفَّ عن سدرك. أعطى كل مخلوق ما يؤهله للقيام بوظيفته خير قيام. ﴿ثُمَّ هَدَى﴾: هداه لذلك، كلاً لوظيفته. وهداه الطريق، وهداه لتأدية وظيفته وما أُهِّل له. هدى الأرض العظمى إلى السباحة المثمرة لتوليد ليل ونهار وفصول، هدى اللقمة لتتحول إلى سمع وبصر وحواس، هدى أعضاء الجسم ليقوم كلٌّ بوظائفه بغاية الإتقان دون كلل ولا ملل: المعدة، القلب... الكريات الدموية وما تقوم به من وظائف عجيبة تعجز الأمم والجيوش عن أدائها، ألا يوجد رب أعظم منك وفوقك، وكل شيء يشهد عملياً وواقعياً به؟! أفلا تلتفت إليه، أفلا تسلك سبل الإيمان والرشاد!

سورة طه: [51-60]

51- ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾: فرعون عظيم الدنيا يسأل عن أقرانه، من سبقنا ماذا حلَّ بهم؟ فهو قد يعتبر بأمثاله وفيهم عبرة وموعظة له، لو فكر وذكر ما حل بهم من الموت هاذم اللذات ومفرق الجماعات الكاشف لزيف الدنيا وأمجادها، فالموت كالإعصار يهب على المصباح فيطفئه، وهذا المصباح هو الإنسان ذاته، وبالموت تنطفئ شعلته وتخمد حركته ويصبح جثة هامدة، فأين المصباح وأين الضياء، وأين الحركة والحديث، وأين المُلك والصولجان والجيوش والنساء والطعام؟ كل شيء زال بزوال الإنسان، فهل بعد هذا الزوال ظهور ثانٍ من نوع مغاير؟ وهل الذي أحضرهم لهذا العالم سينقلهم لعالم آخر بشرائط جديدة، أم وجودنا مصادفة ليس لها ما بعدها؟!

52- ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾: أجاب موسى عليه السلام: ذهبوا من الله إلى الله، من أكرمهم بهذه الدار أخذهم بحسب ردود فعلهم تجاه المنعم، حالهم هم وما اكتسبوا من فضله سبحانه، فإن خسروا فعليهم بوارهم وسقوطهم ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾[5]: المحسنون والمسيؤون لا يستوون عند الله، وكلٌّ بحسب ما قدّم لعالم البقاء هذا، نفوس الرسل عليهم السلام شاسعة واسعة محيطة بما أحاطها به ربها من علوم تعجز عن إدراكها الأفهام، فإن شئت أيها الإنسان علماً يقينياً شهودياً لا يبلى فاسلك مسالك التقوى لترتبط نفسك بنفوس الرسل المشاهدين، فترى الأولين والآخرين. لو التفت فرعون لسيدنا موسى كما التفت السحرة فيما بعد لشاهد ما شاء من سابقات القرون الأولى، ولظل شاخصاً ببصيرته إلى ربه ولأصبح بموسى متنبئاً. ﴿فِي كِتَابٍ﴾: كل عملهم، وكل امرئ وحقه، لا يضيع من عملك مثقال ذرة. ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾: وكيف يضل وهذا الكون شاهد على كماله إذ ليس فيه فتور أو فطور؟! وهذه مخلوقاته آخذة استحقاقاتها على أتم الوجوه، فالله تعالى لم يخطئ فيخرج من النملة جملاً أو من الطير أسداً، أو من الإنسان مخلوقاً تكوَّن فصار جبلاً، ولم يخطئ مع نفس دنيئة فيجعلها

---

[5] سورة الانشقاق – الآية:19.

محمدية، فالله رب الأمانة سبحانه قائم على كل نفس بما كسبت، وهو سبحانه عليم حكيم بأحوالها يؤدي لها بحسب استحقاقها تماماً، فكل ما خلق الله مشمول بعنايته تعالى ومحاط برعايته، لا ينفك تعالى أبداً عن برّه والإحسان إليه من قبل الوجود المادي. ﴿**وَلَا يَنْسَى**﴾**:** شيئاً. إنَّ من ينسى يغيب عن مشاهدته أمر فينساه، والله تعالى الكل بحضرته ومنه سبحانه يستمدون وهو للكل ممد، وعلى الكل رقيب ولهم دائماً مشاهد، فكيف ينسى؟! عليم بكل امرئ وعمله. فالذي يحفظ الكائنات كلها شمسها وقمرها ومجراتها، حِفْظ كافة الأعمال هيّن عليه سبحانه وتعالى. قال فمن ربك؟ قال:

53- ألا ترى من هو ربك؟ ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا**﴾**:** بهذا النظام. ممهدة للعيش فيها. ﴿**وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا**﴾[6]: ينابيع سارت منها المياه، أين هذه المياه، وما هذه المصانع؟ ﴿**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾**:** لهذه السبل، جعله في مستودعات، ثم يخرجه بمقادير دقيقة يمدّ بالماء طوال العام. ﴿**فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى**﴾**:** ألا تسأل من فعل هذا! أليس هذا دليلاً على الله؟

54- ﴿**كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى**﴾**:** للذين ينهون نفوسهم عن الخبائث، وهم الذين فكّروا فآمنوا فاستقاموا فصلوا فطهروا. هنا نقطة هامة: إن لم تنته عن السفالة والرذيلة لا تستطيع أن تفكِّر. التوبة قبل كل شيء، إن ظللت بالمعاصي سائراً فلن يستقيم تفكيرك، تتوب ثم تفكر. إن فكَّرت بالموت وآمنت بالمربي وبلا إلّه إلَّا الله وانتهيت عن المنكر، أفادتك هذه الآيات.

55- ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ**﴾**:** من تراب، ألا تقول مم صرت نطفة؟! من النباتات والثمرات التي من الأرض تكوَّنْت! فكِّر بأصلك، أصلك من تراب وللتراب تعود. ﴿**وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ**﴾**:** تراباً، ترجعون إلى التراب. ﴿﴿**وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾**:** ومنه ثانية تخرج، يوم القيامة. عش ما شئت فإنك ميت، كيف جئت للدنيا فرداً ستعود وحدك.

56- ﴿**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آَيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى**﴾**:** كل هذه الآيات التي رآها لم يستفد منها. فالإنسان لن يهتدي ما لم يترك الرذيلة، فإن لم يفكر الإنسان ببدايته ونهايته فلا جدوى له مهما سمع من آيات، هكذا جرى لفرعون، وكذلك كل إنسان. أنت بلّغ أهل الإيمان، عرِّفهم طريق الحق.

57- هنا لما عجز فرعون عن رد الآيات بالحجَّة خاف من موسى وخاف أن يقتله. ﴿**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى**﴾**:** قال لموسى: إنك سحَّار، كل هذا الكلام والمعجزات التي جئت بها سحر. كلامه مردود عليه. الدلالة على الخالق التي دلَّه عليها أليست بآيات؟! لكن ما لم يفكر بالموت فلن يستفيد.

58- ﴿**فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ**﴾**:** نحن نأتيك بسحر. فأجابه موسى عليه السلام: ﴿**فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ**﴾**:** طلب سيدنا موسى عليه السلام ذلك. ﴿**مَكَانًا سُوًى**﴾**:** بمنتصف البلد، متساوٍ. يستوي في مشاهدة هذه المباراة الجميع.

59- ﴿**قَالَ**﴾**:** فرعون. ﴿**مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ**﴾**:** يوم عطلة. ﴿**وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى**﴾**:** قبل أن يذهب الناس إلى أعمالهم، وكل الناس مجتمعون صباحاً.

60- ﴿**فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ**﴾**:** تدبيره. جاء بالسحرة وطلب إليهم أن يأتوا بما يغلب سيدنا موسى عليه السلام. ﴿**ثُمَّ أَتَى**﴾**:** كان قد أعلن في البلاد، فجمع السحرة وحدَّثهم بقصة العصا واليد وطلب منهم أن يأتوا بشيء يغلبوه به.

---

[6] انظر كتاب "مصادر مياه الينابيع في العالم: (حوار مع السير جون بينيت)" للعلَّامة الكبير محمد أمين شيخو.

سورة طه: [61-70]

61- لمَّا جاؤوا وهنالك. ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾: أخذ ينصحهم، أي أن المؤمن لا يأخذ أحداً على غرَّة بل ينذر قبل نزال خصمه لرحمته به. ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ﴾: يسحقكم، يمحوكم. ﴿بِعَذَابٍ﴾: يذهب بكم. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾: على الباغي تدور الدوائر. لا ينجح من يفتري على الله الكذب.

62- ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: تداولوا الأمر. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: تشاوروا. ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾: بين بعضهم أن يتعاضدوا معاً. وأخفوا شيئاً بينهم وهو أنهم قالوا...

63- ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾: هذه الدولة العظيمة ستذهب، فتصبحون أمثولة. سيتركانكم أضحوكة في أفواه الناس.

فهذا فرعون ملك مستبد، أما كان بيده قتل موسى عليه السلام ؟! لكن هذا كله دليل على لا إلّه إلّا الله، الفعل كله بيده.

64- ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾: سوية. ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾: كسب كسباً عظيماً: الغالب له الفوز النهائي.

65- ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾: وذلك فيه عدالة.

66- ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾: ألقوا الحبال فبدت كالحيات تسعى. الله سبحانه لم يقل عن سيدنا موسى أنه سُحِر وإنما قال عن الناس أنهم سُحِرُوا **{فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}**[7] والحقيقة سيدنا موسى عليه السلام يهمُّه الناس، لذلك شاهد بعينه ما يشاهده الناس، أما بنفسه فهو مشاهد عليه السلام أن سحرهم فقط تخييل وخداع، لذلك خاف على القوم من الفتنة.

67- ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾: على من معه لعلهم يرتدون خاف على القوم الذين يريد أن يهديهم، أو الذين معه أن يُفتنوا. خيفة على القوم، لرحمته خاف على الناس من الافتتان بما جرى من السحر. والرسول ﷺ يوم أحد خاف على أصحابه بعد ما أصابهم، فلحق بالمشركين كيلا يقع بنفسهم شيء من ضعف. الرسول ﷺ لأنه رحيم فهو يخشى على الناس.

68- ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾: الكل بيدنا.

69- ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾: فذهبت به. ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾: **{وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً}**[8]

70- ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾: فلما ألقى موسى عليه السلام عصاه استعظم السحرة معجزته وأكبروه وعظَّموه في نفوسهم، فألقوا بنفوسهم عليه سجداً فآمنوا بالله لارتباطهم بموسى عليه السلام. حصل كل ذلك بتلك اللحظة التي أقبلوا بنفوسهم على موسى تعظيماً وإجلالاً لقدره وعلمه، فشاهدوا ما شاهدوا، لَمَّا رأوا الآيات الكبرى من سيدنا موسى عليه السلام استعظموه، وهذه هي الرابطة توصل

---

[7] سورة الأعراف – الآية:116.

[8] سورة الكهف – الآية:51.

صاحبها إلى الحق، لَمَّا رأوا المعجزة منه استعظموا عمله، بتعظيمهم له وإقبالهم عليه رأوا الحق فصار لهم علم بالحقائق.

أول السورة {**طه**}: إن آمن الإنسان "ظهرت" وصارت فيه صفة من الكمال، إن سمع وصف الكمال أقبل ونال تقوى. هؤلاء السحرة علماء أقوياء بالسحر، لَمَّا رأوا علم سيدنا موسى عليه السلام أعظم منهم أقبلوا عليه فحازوا الإيمان والتقوى. فهذه الرموز

"أوائل السور بالقرآن" لكي تحصل لك التقوى؛ إذ بالارتباط تنال التقوى. هذه الصفة التي هي فيك لا تظهر لك إلا بعد الإيمان. متى آمنت رأيت الكمال برسول الله ﷺ الكامل بتلك الصفة. لكن الإيمان لا يحصل لك إلَّا بعد ترك الرذيلة والتوبة.

﴿**قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى**﴾: رأوا بإقبالهم على موسى فاكتسبوا التقوى، كانوا كفرةً سحرة يظنون فرعون ربَّهم، فبالتعظيم اهتدوا.

كذلك كل نبي بكماله يصبح هادياً. لكل إنسان صفة عالية فمتى رآها يهوى الكمال بتلك الصفة. والصحابة الكرام لكل واحد منهم صفة كاملة وكل واحد منهم عظَّم رسول الله ﷺ من تلك الناحية، وجُمع الكمال برسول الله ﷺ. فالسحرة بمهارتهم بالسحر استعظموا موسى عليه السلام لمَّا رأوا علمه العظيم وعمله فدخلوا على الله من بابه.

سورة طه: [71-80]

71- ﴿**قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ**﴾: من خزيه قال هذا القول: ﴿**إِنَّهُ**﴾: موسى. ﴿**لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ**﴾: يد معاكسة لرجل. ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**﴾: ومن سيبقى؟ مع هذا التهديد انظر ما قالوا:

72- ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ**﴾: في تلك اللحظة من إكبارهم لموسى عليه السلام ودخولهم على الله من بابه رأوا البيّنات.

﴿**وَالَّذِي فَطَرَنَا**﴾: بالإقبال مع الرسول رأوا الحق، وهكذا: كل إنسان إن لم يقدِّر أهل الفضل لا طريق له. وهكذا للمعرفة طريقان:

1- التعظيم: وهذا صعب على عامة الناس إلَّا القليل.

2- التفكير بالبداية والنهاية والتربية فحصول الخشية والاستقامة والصلاة، وهذا أسهل ومفتوح لكل إنسان.

﴿**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**﴾: افعل ما أنت فاعل، افعل ما شئت، فإن كان لله إرادة في أن تصلبنا فإنما تقضي هذه الحياة الدنيا، وإلَّا فليس لك حول ولا قوة. ﴿**إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾: فلا قيمة لها عندنا.

73- ﴿**إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا**﴾: الشافي هو الله وحده. ﴿**وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ**﴾: فانظر آثار الارتباط. قالوا لفرعون: أنت ما أكرهتنا على السحر ولم تجبرنا على السير فيه، فلماذا تجبرنا الآن بعد أن آمنا بربنا، ألسنا أحراراً؟ أنت تدعي العدالة وعدم الإجبار، فلم تريد منّا أن نسير بطريق قذر نكرهه ونقف بهذا الحال الكريه أمام رجل طاهر تدّعي أنه ساحر؟! ﴿**وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾: هو خير لا أنت، وهو أبقى.

74- ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ**﴾: رأوا طريق العذاب وجهنم. ﴿**لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا**﴾: هذا الشيء كلَّه فهموه بلحظة: دخلوا على الله، طبع في نفوسهم الكمال، رأوا الآخرة. سيدنا موسى عليه السلام لم يذكر لهم هذا، لكنهم بهذا الإقبال عرفوا.

75- ﴿**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا**﴾: ورأوا طريق النعيم والجنة، كل هذا العلم والبيان بطرفة عين. الصحابة الكبار بتعظيمهم لرسول الله ﷺ ما كان يقع شيء بنفس رسول الله إلَّا وينصبُّ بقلوبهم.

76- ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾: عرفوا الجنات، كل واحد منهم عرف الجنَّات، من جنة لجنة، يدخلونها: كل ذلك عرفوه بلحظة. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى**﴾: من طهَّر قلبه بإقباله على الله.

يذكر الله لنا قصة سيدنا موسى عليه السلام، فما المراد منها؟ قصة ووقعت، قال الله تعالى: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**}[9].

لنرجع الآن لأول سورة طه: ﴿**طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَخْشَى**﴾: الذي يخشى: هو من آمن بلا إلّه إلَّا الله، رأى أن الفعَّال هو الله، الرحمن الرحيم. رأى أن الله عليم شفوق، هذا يخشى. هذا الشخص إن سمع القرآن يفهمه. قبل الإيمان لا يفقه من القرآن شيئاً بل يقول: "الله أعلم بمراده"، ثم يقول: خلق هذا للنار وهذا للجنَّة. فمن ينسب الظلم لله مثله كمثل إبليس، قال: رب بما أغويتني، إن لم تحصل الخشية فلن تتذكَّر. بالخشية تنتهي عن الفحشاء فتقبل على الله وتشتق الكمال منه فتفقه القرآن، وتتذكره.

أول ما ذكر من قصة سيدنا موسى عليه السلام دلالة على لا إلّه إلا الله. قال تعالى لأمه: ألقيه في البحر "اليم"، ووقع بيد فرعون. فألقى عليه محبَّة منه، ثم حرَّم عليه المراضع حتى ردَّه لأمه. ربيَ وكبر حتى صار رجلاً. رغم الجاه والمُلك ترك كلَّ ذلك انتصاراً للحق. صار راعياً بدلاً من أن يصبح ملكاً. ثم عاد وأوتي الرسالة وأُمر بتبليغ فرعون. لو كُتبت على فرعون الشقاوة لما قال تعالى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾: إذن: كافة تلك المزاعم التي تنسب الظلم إلى الله كلها مجرد كفر وضلال.

77- موسى عليه السلام تساءل كيف الخلاص من فرعون فأجابه الله بضرب البحر: ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ**﴾: ليلاً. ﴿**بِعِبَادِي**﴾: رغم المعجزات ما آمن فرعون، بل هدّدهم بالقتل، لَمَّا هددهم فرعون بالقتل، عندها أمر الله سيدنا موسى عليه السلام بالسيْر بقومه وأن يضرب لهم البحر بالعصا فلا يخاف غرقاً، وهذه معجزة لبني إسرائيل، رأوا العصا وما فعلت في المباراة، كما رأوا العصا وما حصل للبحر لَمَّا ضُرب بها ثم شذوا، أما سحرة فرعون فبالحال آمنوا لما عظَّموا سيدنا موسى عليه السلام، فالرابطة حق، وبدونها لا يحصل الإيمان العالي. ﴿**فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا**﴾: اضرب البحر ييبس تحت أرجلكم. ﴿**لَا تَخَافُ دَرَكًا**﴾: منهم. ﴿**وَلَا تَخْشَى**﴾: فسنهلكهم. واليهود رغم ما رأوا من رسولهم ما استفادوا لعدم ارتباطهم به، أمَّا السحرة! انظر ما نالوا...

78- ﴿**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**﴾: فأُغرقوا جميعاً.

---

[9] سورة محمد – الآية:24.

79- ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾: لم يهتدِ وأضل قومه. ﴿وَمَا هَدَى﴾: نفسه ولا قومه. وهكذا فكل من يسير مع الجاهل يهلك معه، أعطاك الله تفكيراً، ففكِّر ولا تلحق هذا وهذا، اسلك الطريق التي سنّها الله تعالى لك بالتفكير إلى أن تعرف ربك عندها تعرف الحق.

80 - والآن خطاب لمن بعهد رسول الله ﷺ، أي تقريع لهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: يبين الله لهم فضله، رأيتم ما حصل من معجزات. ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾: هم يرونها عن طريق سيدنا موسى عليه السلام، فكِّروا تعلمون ذلك. ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾: التوراة التي فيها اليمن والخير المرفق بالتجلي، التجلي والبيان العالي والخيرات، والفيوضات الإلّهية الكبرى المنزَّلة على موسى عليه السلام. الطور: الشيء العالي، الله سبحانه واعد بني إسرائيل عندما يكونون مع موسى عليه السلام بالإيمان والتعظيم والتقدير فإنه سبحانه سيعطيهم خيرات الدنيا والآخرة، لكن الشرط أن يكونوا مع سيدنا موسى لأنه عليه السلام بجانب أعظم الخيرات، كلها تأتي عليهم من جانب موسى عليه السلام، فما سرتم، وضللتم في التيه. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾: عن طريق موسى وهارون رحمة بكم. أنزل عليهم التجلي وذاقوا طعمه وسعدوا به، يبيِّن الله لهم فضله. كل هذا لعلهم يؤمنون ويعملون الصالحات، هم لم يستحقوا لكن لعل، فعاشوا بالسعادة، سلوا كل شهواتهم، عينهم ما عادت تطرف لحرام، لكن جرثوم الشهوة بنفوسهم لا يذهب إلا بالإقبال والأعمال، وهم ما عملوا، قالوا لموسى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}[10].

سورة طه: [81-90]

81 - ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: ما تطيب به نفوسكم وأجسامكم، هذا أكل أهل الجنة، الصلاة فيها طعام وشراب لقلوبهم. ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: قلنا لكم: لا تستعلوا على موسى وتضعوا رأيكم فوق رأيه. ﴿فِيهِ﴾: بالتجلي العظيم الذي يفيضه الله على نفس موسى عليه السلام لا تأكلوا ما لا تطيب به النفس. إن لم يكن مكبَّراً[11] عليه لا تطيب به النفس. يأكل ما لا تطيب به النفس فيعصي ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾: في الشقاء دنيا وآخرة، ينزل عن مكانته وعزِّه. في الدنيا ينحط ويخسر ويذل وفي الآخرة. ومن لم يحصل له الارتباط يظل سائراً مع الشيطان. الآن جاء محمد ﷺ تابعوه.

82 - ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾: الآن. ﴿لِمَنْ تَابَ﴾: التوبة بالإيمان، والإنسان الذي لم يتب لا جدوى له. إن لم يفكر الإنسان بالتربية ولم يعرف البداية والنهاية لا يتوب، إن لم يتب فلن يهتدي للإيمان، أما إن فكر بالتربية تاب، إن تاب آمن. ﴿وَآمَنَ﴾: بعدها. ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: بعدها. ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾: إلى الله. بنور الله صارت له التقوى، إذ يرى صفة من صفات رسول الله ﷺ التي هي فيه فيحبه فيدخل بمعيته ﷺ على الله، ويستنير بنور الله فتحصل له رؤية لأسماء الله الحسنى، وينال التقوى، عندها يقرُّ بأن الحمد لله رب العالمين، وأن كل واقع يقع في الكون فهو من الله تعالى محض الخير، يعطي كلاً بما يناسب حاله.

---

[10] سورة المائدة – الآية:24.

[11] مثال عن الطعام الذي تطيب به النفس هو اللحم المذكور اسم الله عليه (الله أكبر) عند ذبح الحيوان. أما إن لم يذكر اسم الله عليه عند الذبح فهو ليس من الطيبات وهو محرَّم أكله (لطفاً انظر كتاب "الله أكبر رفقاً بالحيوان، للعلّامة الجليل محمد أمين شيخو.

83 - ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾: فتركتهم! فإنهم لم يؤمنوا بعد، سارعَ ليأخذ الأوامر خوفاً من الغلط. سيدنا موسى عليه السلام ضرب البحر وخرجوا منه، رأوا العصا حيّةً واليد لمَّا أضاءت، رغم كل هذا مرُّوا على قوم لهم صنم فطلبوا صنماً لهم مثلهم فأتّبهم.

84 - ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾: على السيرة التي أمرتهم بها. ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾: لأخذ التوراة ودلالتهم فتكون راضياً.

85 - ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾: أردنا إخراج ما في نفوسهم من الخبث، فتنَّاهم بما في نفوسهم، لإخراج الشهوة من نفوسهم، حيث أنها لم تطهر، أخرجَ لهم ما فيها، المكروب لا بدَّ من إخراجه، كذلك الشهوة الخبيثة إن بقيت في النفس فلا سبيل للهدى. فتنَّاهم لإخراج خبثهم. ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾: رجل محب للدنيا.

86 - ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾: عليهم. وهذا بيان بأن الله تعالى لا يضل الإنسان، لكن إذا تولَّدت الشهوة الخبيثة في نفسه يخرجها تعالى له. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾: بأن يرفع شأنكم!

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾: أطلت الغيبة عنكم! أفطال غيابي لمناجاة ربي. ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾: ما تواعدنا عليه من الطاعة، ما هذا العمل الذي باشرتموه؟! نسيتم فضل الله عليكم!

87 - ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾: بإرادتنا. ليس الأمر بيدنا، الشهوة غلبت علينا، وهكذا فالبعيد عن الله تتعلق نفسه هنا وهناك. كذلك المرتبط لا يُفتن بالدنيا. لا تُعلِّق قلبك ببعيد عن الله. ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: شهوة صارت بنفوسنا، هوينا المال والزينة. ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾: هذه الشهوة أخرجناها، مِلْنا. ظهر ما تعلَّق بنفوسنا، المؤمن لا يعلِّق قلبه بأي شخص لئلا يسري إليه حاله. هؤلاء لم يرتبطوا بسيدنا موسى عليه السلام بل صدَّقوا فقط. التصديق وحده لا يكفي، لا بدَّ من ارتباط وحبّ. وأنت لا ترتبط إن لم تكن بك صفة من صفات الكمال، لا بدّ من الإيمان. ﴿فَكَذَلِكَ﴾: كذلك خرجت شهوة السامري. ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾: قال مقالتهم. حكى، اشتهى الزعامة.

88 - ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾: شيئاً من زينة الدنيا: صنماً من ذهب. ﴿جَسَدًا﴾: لا يتحرك، لا يتكلم، ثابت. ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: تهوي إليه نفوس محبي الدنيا، تميل إليه النفس فمالوا إليه. ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾: قال السامري: المال هو الذي تتوقف عليه أسباب السعادة والتوفيق. ﴿وَإِلَهُ مُوسَى﴾: قال السامري. ﴿فَنَسِيَ﴾: موسى أن يقول ذلك لكم، ما حكى لكم ذلك. نسي إخبارهم أن هذا العمل هو الإلّه: وهذا قول القوم.

89 - ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: لا يفعل شيئاً. ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾: لا يرفع عنهم ضرّاً. ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: لا مطر، لا زرع، لا شيء. أتدري وضعك عند الموت؟ لمَ أنت متمسِّك بالدنيا؟ ماذا وراء هذه الدنيا؟ هل فكَّرت بذلك؟ المؤمن اعتماده على الله وحده، يصلح نفسه ولا يخشى.

90- ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل أن يأتي سيدنا موسى عليه السلام. ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾: هذه شهوة غلبت عليكم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾: قال لهم: الله تعالى هو الرحمن صاحب الفضل والإحسان.

سورة طه: [91-100]

91- ﴿**قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ**﴾: ما سمعوا كلام سيدنا هارون عليه السلام. ﴿**حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾: لأنهم صدَّقوه تصديقاً، صدّقوا موسى عليه السلام بما رأوا منه من معجزات، وهذا ليس بإيمان، الإيمان شهود. من سيدنا هارون عليه السلام لم يروا معجزات فما عبأوا بقوله.

92- ﴿**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا**﴾: ما لك؟

93- ﴿**أَلَّا تَتَّبِعَنِ**﴾: أن تلحق بي وتتركهم. ﴿**أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**﴾: وجرَّه من رأسه.

94- ﴿**قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**﴾:[12] المؤمنون إن فصلتهم أخشى أن تقول: فرّقت. ﴿**إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾: وخشيت أن أتركهم فتقول: هذا لم يفهم قولي. ﴿**وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾: فخفت أن ينقسموا.

95- ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ**﴾: ما تقول في عملك؟

96- ﴿**قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ**﴾: رأيت الزعامة فاشتهيتها وأحببتها. ﴿**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ**﴾: أخذت شيئاً من كلامك وتعلمت شيئاً من أصول دلالتك.

﴿**فَنَبَذْتُهَا**﴾: أظهرتها ففعلت ما فعلت، لكنه لو آمن لحظي بالارتباط بسيدنا موسى عليه السلام، بل إنه صدَّق فقط. ﴿**وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**﴾: الجاهلة، إذ لم أؤمن بل صَدَّقت تصديقاً، ولم أشاهد شهوداً كما علَّمتنا.

97- ﴿**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ**﴾: لا تكلم بعد اليوم أحداً، لا يقترب منك أحد، بل قل: لا يخاطبني أحد، فكلك مكروب. ﴿**وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا**﴾: الموت هلاكك. ﴿**لَنْ تُخْلَفَهُ**﴾: إن لم تتب ولم تؤمن سيأتيك يوم تنال فيه نصيبك من البلاء. ﴿**وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا**﴾: حتى الآن. ﴿**لَنُحَرِّقَنَّهُ**﴾: نصهره، نذوِّبه. ﴿**ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ**﴾: ثم نلقيه. ﴿**فِي الْيَمِّ**﴾: البحر.

﴿**نَسْفًا**﴾: لتروا هل يدفع هذا الإلَه عن نفسه، فكيف يفيدكم؟!

98- ﴿**إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ**﴾: الله هو الإلَه، لا مسيِّر غيره، المسيِّر هو الله. ﴿**الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: لا مسيِّر ولا رزَّاق ولا فعَّال سواه. ﴿**وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾: كل واحد على حسب حاله، فكل من اجتهد أعطاه. فعلى الإنسان أن يحافظ على قلبه والله يأخذ بيده.

99- ﴿**كَذَلِكَ**﴾: من أجل أن تُعرِّف الناس بأن الله عليم رحيم، يعطي كل إنسان حقّه. ﴿**نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ**﴾: لتبيِّنها لهم. ﴿**وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا**﴾: القرآن العظيم لتذكِّر عبادنا به. أني أنا العليم الرحيم الشفوق. الله هو الفعّال.

100- ﴿**مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ**﴾: عن هذا الذكر فما فكر بدلالته. ﴿**فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا**﴾: حملاً ثقيلاً، أعماله تسوؤه. من لا يعرف القوانين يرتكب الإجرام فيقع في السوء.

سورة طه: [101-110]

---

[12] إذا تطلَّبت الشرح الوافي فانظر كتاب صفحات من المجد الخالد للعلاَّمة محمد أمين شيخو (قصة يا بنئوم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي).

101- ﴿**خَالِدِينَ فِيهِ**﴾**:** الآن في الدنيا، في الوزر مستهوينه. ﴿**وَسَاءَ لَهُمْ**﴾**:** الحمل يسوءهم. ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً**﴾**:** سيظهر له عمله المنحط السافل، فلا يُسكِّن ألمه إلا النار.

102- ﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**﴾**:** في صورة الأجساد عندما تُخلق ثانية، تنفخ الروح في الجسد، ينبت الجسد ثم تنفخ فيه الروح وتلبس النفس الجسد. ﴿**وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ**﴾**:** من لم يكن فيه خير أبداً. ﴿**يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**﴾**:** مزرقة وجوههم، وجهه أزرق. **"إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أهون عليَّ مما ألقى وهو يعلم ما فيها من شدَّة العذاب"**[13] يرى الإنسان نفسه يومئذ قد ضيَّع عليها السعادة، لما يرى أنه ضيَّع سعادة أبدية يحترق في نفسه فتكون النار له رحمة.

103- ﴿**يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا**﴾**:** من أيامكم، فكيف ضيّعتم؟!

104- ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً**﴾**:** أكثرهم فساداً، أرذلهم، رئيسهم في الضلال الذي بيَّن لهم عدم العدالة والرحمة. ﴿**إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا**﴾**:** كل الدنيا يوماً واحداً.

105- ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ**﴾**:** هكذا المستهتر يتساءل: فما بال الجبال بعد أن نموت نحن؟ يسألونك عنها ما يحصل بها؟

أصحاب رسول الله ﷺ صار طموحهم هداية البشرية كلها، لَمَّا تكلم ﷺ لأصحابه عن أهوال يوم القيامة قالوا له: يا رسول الله ماذا نفعل حتى ننقذ البشرية ونحن أقلة وهناك عقبات أمامنا، جبال كبيرة من الكفر مثل كسرى ملك الفرس وهرقل ملك الروم والأمم كلها ضدنا، فما هو الطريق لإزالة هذه العقبات؟! فأجابهم رسول الله ﷺ ﴿**فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي**﴾**:** أنتم كونوا معي عندها لن تهزموا والنصر دائماً بوجهكم. ﴿**نَسْفًا**﴾**:** كل هذه العظمة تزول.

106- ﴿**فَيَذَرُهَا قَاعًا**﴾**:** منبسطة مستوية. سوية واحدة، لن يبقى لها وجود وينهزموا. ﴿**صَفْصَفًا**﴾**:** مصفصفة ذراتها. تصبح كلها على نفس المستوى مصطفة جانب بعضها في حذاء السهل.

107- ﴿**لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا**﴾**:** تتفكك، وكل هذا الباطل والانحراف يزول. ﴿**وَلَا أَمْتًا**﴾**:** لا علواً ولا انخفاضاً.

108- ﴿**يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ**﴾**:** أعندئذ يتبعون الحق! يومها يتبع؟! الكل يمنّي نفسه بالشفاعة، والله سبحانه يقول عن يوم القيامة انتهت الفرصة ولا يجتمع نَجسَ قلبٍ مع طاهر، غداً الذي سقط سقط، والذي نجح نجح، والآن الإمكانية. ﴿**لَا عِوَجَ لَهُ**﴾**:** لا عوج الآن لبيانه. الآن لا تلكؤ ولا تأخُّر عن التلبية بالدنيا بأي لحظة، أي مؤمن طلب رسول الله ﷺ الرسول يستجيب له ويكشف له بالنور كل أمر. ﴿**وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا**﴾**:** من شدة الرهبة. بالدنيا ظنّوا بالله ظن السوء، والله سبحانه كله رحمة وحنان.

109- ﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ**﴾**:** يومها لا شفاعة في الآخرة، الآن إن آمن الإنسان فاستقام صلّى، صار له كمال، فصارت له شفاعة بنفس رسول الله ﷺ. ﴿**إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ**﴾**:** في الدنيا. لمن سلك طريقها. لن تصاحب غداً رسول الله ﷺ إلَّا إذا أذن لك الرحمن. نفس الرسول لا تقترب غداً إلا من أهل الطهارة. ﴿**وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾**:** رأى قول الله تعالى حقّاً فارتضاه، فتكلم بالحق، فكان قوله

---

[13] الجامع الصغير / 2059 /.

حسناً يدلُّ على المعروف والإحسان، تب، آمن، اعمل الصالحات يصبح قولك حقاً، عندها تحصل لك الشفاعة.

110- ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾: الماضي والحاضر والمستقبل، ما في أنفسهم سيخرج. ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾: مهما سما الإنسان بعلومه فالله تعالى أوسع وأوسع علماً، ولا حدَّ ولا انتهاء لوسعة العلم الإلّهي، ودوماً وأبداً الله أكبر.

سورة طه: [111-120]

111- ﴿**وَعَنَتِ**﴾: خضعت. ﴿**الْوُجُوهُ**﴾: كلها. ﴿**لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**﴾: مصدر حياتها وقيامها. ﴿**وَقَدْ خَابَ**﴾: ما وصل للسعادة التي خُلق من أجلها. ﴿**مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**﴾: الظالم لا عمل صالح له ولا فلاح.

112- ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ**﴾: شرط: ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا**﴾: فكيف يقولون: لا يُسأل عما يفعل[14]؟ هذه الآية كلها عدالة.

113- ﴿**وَكَذَلِكَ**﴾: من أجل ذلك: ﴿**أَنْزَلْنَاهُ**﴾: لماذا أنزله تعالى. ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾: واسع البيان. ﴿**وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ**﴾: كل ذلك. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾: بمن سبق مثل فرعون كيف هلك. التذكرة لمن يخشى.

114- ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ**﴾: عن أن يظلم أحداً، كل المخلوقات خلقها للعطاء والسعادة، وسيعطي كلَّ امرئ حقّه. ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ**﴾: حناناً منك على خلقي فتبلّغه. القرآن نزل على رسول الله ﷺ في ليلة واحدة {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ...**}[15]، وتنزل على أصحابه خلال /23/ سنة، هذه الآية تحذير من الله لرسوله من أن ينسى فيعجل بالقرآن، لذلك ذكر له قصة آدم عليه السلام وكيف نسي، لئلا ينسى ﷺ فيعجل بالقرآن. ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾: مني. لا تتكلم إلَّا بالذي تؤمر به، متى أمرتك بلّغ، لأن النفوس تكون مهيَّئة للتغيير ومستعدة للتطبيق، فأنا المطلع المشاهد لنفوس عبادي وأحوالها وما يناسبها {**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**}[16] كل آية لها وقت ومناسبة. كل شيء ورد في القرآن. ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾: أنا العليم أدلّك. دائماً استشر، أنا أعلمك وأنت تزداد وتنال الكثير، هو ﷺ علمه كامل، لكن المراد هنا العلم بطبائع الناس ونفوسهم المتقلبة.

الآن وردت قصة سيدنا آدم عليه السلام تحذيراً لنا من الشيطان.

115- ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ**﴾: حذرناه منها. فرسول الله ﷺ حبه لله أوصله لمحبة الخلق، فحذّره الله تعالى من أن ينسى أمر الله بعدم التبليغ قبل الوحي. ﴿**فَنَسِيَ**﴾: حبّاً بالله نسي أمر الله، لعدم وجود فكر. ﴿**وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾: على المعصية.

---

[14] قال تعالى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) سورة الأنبياء – الآية:23. فالله تعالى فعله كامل كل واحدة بحقها بمكانها. كل شيء ضمن الكمال، فكل فعله تعالى كامل لذلك لا يسأل عما يفعل، كل ينال حقّه بالتمام والكمال وهذه الحقيقة العظيمة خلافاً لما دار على ألسنة البعض وخلافاً لما فَهِمَ البعض من هذه الآية الكريمة بأن الله تعالى لا يُسأل عمّا يفعل فيفعل ما يريد؛ ربما استحق إنسانٌ الجنة فيدخل النار أو العكس... فهذا كله خلاف كلام الله تعالى وفهم معكوس خلافاً لما أراد الله تعالى من هذه الآية الكريمة.

[15] سورة الدخان – الآية:3.

[16] سورة الأنبياء – الآية:27.

116- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾: عن السجود؛ إذ أبلس عليه الأمر لكبره وعدم إيمانه.

117- ﴿فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾: "تُحرمون" الراحة. الله سبحانه لم يخلق للمرأة لحيةً، فقط الرجل يخرج للعمل، المرأة لا تعمل إلا بالمنزل، لذلك أتت "فتشقى" لا فتشقيا.

118- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾: إذ الجوع عملية فيزيولوجية جسمية، فعدم الجوع يعني عطالة الجسم، وأنَّ المعدة والأجهزة الداخلية لا تعمل ويشير ذلك أن الحكم إذ ذاك للنفس المحيطة بالجسم ولها السيطرة، فالنفس المجردة تذوق ذوقاً. ﴿وَلَا تَعْرَى﴾: حيث أن النفس محيطة بالجسم فلا حاجة للجسم إلى لباس قطني أو صوفي أو غيره، فهو مستور بالنفس غير ظاهر، النفس هي اللباس إذ ذاك.

119- ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾: لا يحصل بالجنة عطش مطلقاً، ولا حاجة للماء، بل يسقيه ربُّه بالجنة ماءً غدقاً. ﴿وَلَا تَضْحَى﴾: فالجسم مستور مخفي بالنفس، لا تعمل ولا تشتغل ولا تتعب.

120- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾: فلا تسيروا معه. ﴿قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾: خالد دوماً لها، دوماً في حضرة الله ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾: حبك لا ينقطع عنه ودوماً بحال الإقبال، ملك لهذا الحال من الإقبال لا يذهب. وكان عليه السلام في حال نفسي جسمه ملبوس بنفسه، له عقل فقط، وكله شهود وليس له فكر فنسي[17].

سورة طه: [121-130]

121- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾: أكل سيدنا آدم عليه السلام ثم زوجه. ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا﴾: أجسامهما، صارت النفس داخلاً فبدا هذا الوجود الجسمي؛ لأنه يحتاج إلى طعام وشراب ولباس. ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: يلصقان. ﴿وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ﴾: هكذا رأى نفسه، هذا وصف حاله النفسي ﴿فَغَوَى﴾: خجل. إذ رأى نفسه أنه خالف وصيّة الله، لكن غايته كانت عالية.

122- ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: لعلو نيّته. ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾: هداه إلى الحق، هداه إليه تعالى.

123- ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾: إنس وجن، انزلا من هذه المرتبة، من الحال الذوقي للمادة: اهبطا من هذه المنزلة النفسية للحال الجسمي، للعمل والشغل. ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾: أيها الإنس والجن عامة: أنزل الله الصحف، "التوراة، الزبور، الإنجيل، القرآن". ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾: لأنه دوماً على نور من ربه.

124- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾: فما اتبع أوامري التي أُرسلها. لم يعرف حناني، فضلي، عدلي، رحمتي، ظنّ بي ظنّ السوء. ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾: ولو صار عظيماً، غنياً، دوماً في ضيق نفسي. ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾: في قبره وغداً، فهو لم يعرف الطريق الموصل إلى الله. إن آمن بلا إلّه إلّا الله اجتمع بالإمام فدخل معه على الله.

125- ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾: إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

---

[17] انظر كتاب عصمة الأنبياء "قصة سيدنا آدم عليه السلام" للعلّامة الكبير محمد أمين شيخو.

126- ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾: تقول! كذلك كنت في الدنيا أعمى. ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا﴾: الدالّة علينا، على رحمتنا، قدرتنا. ﴿فَنَسِيتَهَا﴾: ما رأيتها، هذا عملك، أنت أعميتَ نفسك، قلبك، وهذا حال الإنسان غداً، لا يعود يرى إلَّا سفالته وانحطاطه. ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾! من فضلي وحناني وعنايتي، أفننساك اليوم! لا ننساك من فضلنا وتعترض اليوم أيضاً!

127- ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾: على نفسه. ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: الدالة على التربية سيكون أيضاً أعمى. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾: فمالك طريق سوى التفكير بالكون.

128- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: ألا يفكِّرون بمن سبق من قبلهم أين ذهبوا؟ ألا تفكِّر، فكر أين الذين بنوا دارك وسكنوها، حانوتك، إذن هم ماتوا، أفلا تموت أنت؟ أين الملوك، الوزراء؟ ﴿يَمْشُونَ﴾: الآن: هؤلاء في مساكنهم؟ "فهل يمشون هؤلاء الآن في مساكنهم؟ لقد هلكوا وزالوا" ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾: لمن ينتهي عن السفالة والرذالة، ذلك من يفكر. لمن آمن بلا إلَه إلا الله وانتهى عن المنكرات. إذن: الشرط هو التفكير، فمن يفكِّر بالبداية والنهاية والموت تفتح أمامه السبل، فكِّر بالكون تؤمن بلا إلَه إلَّا الله عندها تعمل الصالحات.

129- ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: كلمة بأن لكل واحد أجل معيَّن. أعطى كل إنسان أجلاً. ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾: الآن هلاكهم من عملهم المنحط. ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾: كل امرئ وله أجل.

130- ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: يا محمد، ليقولوا ما شاءوا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: عرِّفهم بأني أُحمد، هذه سورة الفاتحة ومشروعيتها بكل ركعة، يقول: بسم الله الرحمن الرحيم. بسم الله: يا عبد الله أبلِّغك.

الحمد لله: أنه يحمد على كل ما يسوقه لعباده. سبِّح الذين آمنوا معك. متى تُسبِّح؟ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: الصبح. ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: العصر. ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء. ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: الظهر. ﴿لَعَلَّكَ﴾: بهذا التسبيح لهم بحمد ربك. ﴿تَرْضَى﴾: بما تصل إليه من إيمان جماعتك، يحصل لك الرضى عنهم حين تراهم قد اكتملوا، إن آمنوا هذا الإيمان وقالوا: الحمد لله، إذ أن رسول الله ﷺ بحنانه وعطفه كاد يُهلك نفسه، فإذا رآهم قد دخلوا على الله ونالوا فضل الله عندها يرضى.

سورة طه: [131-135]

131- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: لا تطمع بهؤلاء الأغنياء أن يساعدوك في دعوتك إلى الله بالمال والجاه، هؤلاء لا يسيرون معك الآن بالحق، وهم غير ساكتين عن أذاك. ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: كل شيء أخذوه من الدنيا زهرة، أي: أحسن المزارع عندهم وأجمل النساء والأولاد فكل شيء أخذه كاملاً. لا تطمع بأهل الدنيا أن يتَّبعوك، ولا تَمِلْ لما أعطيتهم من مناصب أو مال لتستعين بهم على دلالة عبادي. ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنخرج لهم به شهوتهم. ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾: بمن آمن معك خير. هؤلاء الفقراء عن طريقهم سوف يأتي الخير، فسوف يؤمنون ويعملون الصالحات ويصبحون سلاطين الدنيا، وينساحون على العالم لهدايته.

132- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾: من تابعك ومن سار معك بالحق. ﴿بِالصَّلَاةِ﴾: الصلاة معك: أي بالصلة معك فلا ينقطعوا عنك. ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: اصبر حتى تحصل لهم الطهارة وتشفى أنفسهم من أمراضها، شيئاً فشيئاً. أولاً: تخيَّل، تصوَّر، ولكن عندما تنال الكمال تحب رسول الله ﷺ فتقدِّره، وانتظر أيها المصلي النتائج شيئاً فشيئاً. أنت يا حبيبي اصبر حتى تحصل لهم الطهارة. ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾: لهم. الله هو الرزَّاق لهم، لا تستطيع أن تعطيهم شيئاً. المعطي هو الله. فالله هو المعطي لهم، فلا تعطيهم

منك شيئاً بل نحن نمدك وهم يرون بنورك الذي أمددناك به. ﴿**نَحْنُ نَرْزُقُكَ**﴾: لهم ولك، نتجلى عليك بارتباطهم يسري إليهم. ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾: أنك تصل للتقوى. هؤلاء الخير فيهم تابعهم، متى وصل الإنسان للتقوى رفع الله شأنه دنيا وآخرة.

133- فمن لم يفكر بعد كلِّ هذا البيان. ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾: طلبوا معجزة. ﴿**أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى**﴾: الذين جاءتهم المعجزات ماذا حلّ بهم! إنهم هلكوا، ولذا خوفاً عليهم لا نرسل معجزة. إن لم تؤمن فإن الرؤية للمعجزات والسماع لا يغنيان عنك شيئاً. انظر، اسمع، فكر بالآيات توقن بنفسك.

134- ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ**﴾: قبل القرآن، قبل مجيئك. ﴿**لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**﴾: فللَّه الحجَّة البالغة، لم يترك لك شيئاً إلَّا وزوَّدك به، طلب منك أن تفكر والحمد لله رب العالمين.

135- ﴿**قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا**﴾: سيروا على هواكم، انتظروا نتائج سيركم. هذا الشيء سيقع. ﴿**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى**﴾: إلى السعادة الكبرى غداً.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنبياء: [01-10]

1- ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾: في كل شهر، في كل يوم، في كل ساعة، يقترب المرء من الموت. كم مضى من عمرك؟ أنت اقتربت من الآخرة، تباعدت عن الدنيا... ألا تدري أنك سائر للآخرة؟ فالله سبحانه وتعالى من شدّة رحمته وحنانه وحرصه على عباده، أرسل للإنسان كتباً وملائكة تذكِّره كل لحظة. ﴿**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾: والآن يقول تعالى: هذا الإنسان وبكل شهر وبكل ساعة بل وكل لحظة في اقتراب من الموت، إنه يقترب من الآخرة وهو عن هذه الساعة: ساعة الموت غافل، كالراكب في قطار يقترب بكل لحظة من البلد الذي إليه قاصد. ماذا معك من زاد لهذا السفر؟ وأنت معرض بالكلية! من يدري متى سيموت؟ أتدري هل تعيش لغد؟ بماذا تجيب ساعة نزولك للقبر؟ وماذا عملت لهذه الساعة؟

2- ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ**﴾: يحدِّث ويحكي حالهم. ضمن وعلى حسب حالهم ومتطابق مع أحوالهم. ﴿**إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾: في الدنيا، لا يفكِّر، القرآن يصف أحوالهم وأعمالهم. يسمعون البيان العالي الجديد الذي ما تكلَّم أحد من قبله بمثله ومع ذلك لا يفكِّر! هذه المعاني العالية يسمعونها دون أن يعبؤوا بها. إن لم يجتهد الإنسان الآن سيخسر غداً...

3- ﴿**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**﴾: بدنياهم، لاحقين المال، ظنّاً منه أنه خالد، باقٍ في الدنيا، آمِن من الزوال! ستزول منك مهما عشت. الله جعل لك رزقاً على حسب عملك وحالك "مضمون" أما الآخرة فبالأعمال. من دون عمل لا تنال، أفلا تقول: غداً سأترك الدنيا؟! ﴿**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**﴾: بين بعضهم قالوا هذا بشر. ﴿**الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾: كيف تسمعون كلامه، ولكن فمن أين جاء بهذا البيان؟ ﴿**أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ**﴾: قالوا هذا ساحر يسحركم، الجنة، النار، البعث، هذه كلها تخيلات. ﴿**وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾: أنها أوهام. هكذا قالوا فيما بينهم. أمره الله أن يردَّ عليهم:

4- ﴿**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾: عليم بقولي وقولكم: كيف تقولون إني ساحر؟ ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ**﴾: لكلامكم. ﴿**الْعَلِيمُ**﴾: بحالكم.

5- ﴿**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ**﴾: رؤى، مرائي، منامات، يراها في نومه ثم يتكلم بها، منهم من قال يرى خيالات ويتكلم بها، يجمع كلمات فارغة يحلم بها. ﴿**بَلِ افْتَرَاهُ**﴾: على الله؛ طلباً للزعامة. منهم من قال أنه كلام مفترى. ﴿**بَلْ هُوَ شَاعِرٌ**﴾: ولكن موزون، كلامه منظَّم، يُنظِّم الكلام الموزون ويتكلَّم به، منطق صحيح لكنه ينظمه من عنده. ﴿**فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ**﴾: معجزة تشهد برسالته، طلبوا المعجزة.

6- ﴿**مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ**﴾: أمة بالمعجزات. ﴿**مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا**﴾: لمَّا ظلَّت على كفرها، المعجزة ما لها جدوى، المعجزة لا توصل للإيمان. التفكير الصحيح هو الذي يوصل صاحبه للإيمان، فإذا جاءت المعجزة ولم يؤمن الإنسان هلك، كالطبيب عنده الدواء الأخير للمريض، كافة الأمم قبلكم المعجزة ما أفادتهم، لكن على الإنسان أن يفكِّر ويدقِّق، إذ بالتفكير يصل الإنسان للإيمان. ﴿**أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ**﴾: بالمعجزة، هذا لا يكون. عدم حصول المعجزة بسبب الهلاك الذي سيتبعها إن لم يؤمنوا.

7- ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ**﴾: المسألة ليست بالمعجزة بل بالمنطق والبيان. ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**﴾: من يهود ونصارى، الرسل أما كانوا بشراً؟ ﴿**إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾: سلوهم عن الرسل يقولون لكم إنهم كانوا بشراً.

8 - ﴿**وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا**﴾: لا يتحرّك. ﴿**لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ**﴾: كما تتطلَّبون أنتم. ﴿**وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ**﴾: هم كغيرهم.

9- ﴿**ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ**﴾: نصرنا الرسل. أهل الحق لا بدَّ من نصرتهم والذي ظلّ على معارضته هلك. ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُمْ**﴾: للرسل. ﴿**وَمَنْ نَشَاءُ**﴾: ممن اتَّبعهم. ﴿**وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ**﴾: وأنتم كذلك. فالكون سائر بأمر الله، وكل امرئ ينال حقه، ورب العالمين يطاول العبد ما دام عنده قابلية.

10- ﴿**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ**﴾: أحوالكم، خطاب لنفوس الموجودين جميعاً وما هو طارئ معهم، يبين ما تحتاجون إليه وما تضمّن ذلك من إنذارات وتحذيرات وتنبيهات أو بشارات، مع أن اللفظ واحد ولكن كل واحد منهم يسمع مراده بالتفصيل؛ كما يبيِّن أيضاً كل ما تناجيتم به سراً بالخفاء فيما بينكم ولكن يطلعكم عليه كأنه كان معكم، كما يبيِّن لكم عن شهود بدايتكم، فالصادق منكم بنوره ﷺ يرى كيف كان من تراب، ثم من نطفة، علقة، مضغة، جنين، تولد ثم تموت. هذا كله ذكرناه لك وذكرت لهم. ويبيِّن ما تتناجون فيه، ما ذكرتموه عن الرسول فيما بينكم "الخطاب للكفار" فهذه الأحاديث التي تقولونها: محمد شاعر، ساحر... مما تقولونه... من أين هو اطلع عليها؟! مع أنكم تناجيتم بها سرّاً! من أين جاء بهذا، أنتم قلتم سراً وهو جاءكم بما قلتم، من أين عرف هذا؟ أليس هذا دليلاً على نبوَّته؟ ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾: شيئاً من ذلك وتعلمون أنه لا إلّه إلّا الله. فإن لم يَسِرِ الإنسان بهذا الطريق فلن يصل للإيمان ولا يمكن أن يتوب، لا جدوى للإنسان إن لم يفكِّر بذاته مهما رأى وسمع. من اللازم أن تقرَّ بنفسك وأن تعقل.

سورة الأنبياء: [11-20]

11- انظروا إلى الأمم السابقة ماذا حلَّ بهم. ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً**﴾: مثلكم. أي قضى عليهم قضاء مبرماً وعلى بنائهم الفاسد المفسد بكلِّيته فكأنَّه لم يكن. ﴿**وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آَخَرِينَ**﴾: أنشأهم الله الرحيم خير تنشئة ليكونوا هداة مصلحين لأنفسهم وللأجيال الآتية من بعدهم، وتسيير الله تعالى دائماً للإصلاح والخير وقطع الشقاء وبنيان السعادة والخير العميم. أنت فكِّر بمن سبق أين هم الآن؟ ماذا كانت نتائج أحوالهم؟ وأنتم إن لم ترجعوا للحق ستُهلكون: هذا تهديد عام لكل منحرف. فالإنسان ولو عرف بفكره فلن يستفيد شيئاً، لا بدَّ من العقل، بالعقل يعرف الإنسان الحقائق.

12- ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا**﴾: جاء البلاء، جاءهم الهلاك. ﴿**إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ**﴾: من البلد، تراكضوا ليخلصوا من البلاء لمَّا حصلت الزلازل، أين المفر؟ ستُسأل غداً عند الموت عن الصوم، الصلاة، الحج، كل شيء له صورة وحقيقة، والحقيقة بلا صورة لا تفيد، والصورة بلا حقيقة لا فائدة منها، لا بدَّ من الجمع بينهما، فالذي يأتي بالصور وحدها لا يستفيد شيئاً.

13- ﴿**لَا تَرْكُضُوا**﴾: أنتم غداً مثلهم. قلنا لهم قبل ذلك على لسان رسلهم لا تركضوا غداً عند البلاء، هكذا قالت الرسل. ﴿**وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ**﴾: ارجعوا وأصلحوا، لا تفسدوا الخلق، عملكم هل هو منطقي وطيِّب؟ ﴿**وَمَسَاكِنِكُمْ**﴾: التي تسكنونها، ما سكنت نفوسكم فيه من الدناءة والخبث، وانظروا إلى هذه المدن من حكمها؟ من سكن بها؟ أين هم أولئك الذين سبقوا وعاشوا قبلك؟ هل ستبقى أنت وتخلِّد؟ ﴿**لَعَلَّكُمْ**﴾: تعرفون إن فكَّرتم فتدركون أنكم بعد هذه الحياة: ﴿**تُسْأَلُونَ**﴾: تعرف لماذا خلقت

وتتدارك الأمر فتعرف أنك ستُسأل عن هذه الأشياء كلها: ستُسأل عن كل ما فعلت. أما إن لم تفكِّر فلن يخطر السؤال لك على بال.

14- ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا**﴾**:** عند نزول البلاء عليهم. ﴿**إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾**:** ولكن ما الفائدة من هذا القول عند البلاء والهلاك؟

15- ﴿**فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ**﴾**:** ومعارضتهم للحق وتكذيبهم لرسلي. ﴿**حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ**﴾**:** إذا ظلَّ الإنسان متعلِّقاً بالدنيا "لا يفكِّر بالموت"، فإن لم يفكِّر بالموت يظل مكذِّباً بالحق.

16- ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**﴾**:** لعباً اتخذناها! فكِّر يا إنسان. السماء والأرض والجبال لعب! كلها لسعادتك. هل خلقنا الدنيا لعباً؟! ألا تفكِّر لماذا خلق الله الكون، الإنسان؟ ألا تفكِّر؟! خلقك لتكون إنساناً لا حيواناً مؤذياً[1].

17- ﴿**لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا**﴾**:** لَمَا خلقناكم وجعلنا الحساب والعقاب، وما كنَّا أتعبناكم وشغلناكم، كنا تسلَّينا بأشياء سواكم. ﴿**إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾**:** لكن لا نفعل، نحن لا نفعل هذا الشيء، ما خلقناكم لعباً.

18- ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ**﴾**:** القرآن منطق معقول. ﴿**عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ**﴾**:** يظهر بطلانه، القرآن كله ضمن المنطق المعقول. فكِّر بهذا القول، أليس بمنطقي وعالٍ؟ ﴿**فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾**:** ظاهر بطلانه، زائل. ﴿**وَلَكُمُ الْوَيْلُ**﴾**:** الخسارة المرعبة الدائمة ﴿**مِمَّا تَصِفُونَ**﴾**:** تهزؤون بالحق وأهله. الشقاء، الصياح ساعة البلاء، الهلاك لمن يضيع الحياة الأبدية بمدة بسيطة قليلة.

19- ﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾**:** فكِّر بهذا الكون من يدبِّره لك، أليس كله عائداً لله؟! فكِّر في الكون تجد أن لا إلَه إلّا الله. ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ**﴾**:** المؤمن الذي صار له معرفة بلا إلَه إلَّا الله. ﴿**لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾**:** طائعون لله. ﴿**وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾**:** على هذه الدنيا، حيث اكتسبوا أعلى منها. بعكس الكافر المعرض، يتحسَّر على الدنيا، إذ ضيَّعها فما كسب فيها شيئاً. أما المؤمن فهو لا يكلّ ولا يملّ لِمَا يراه من الخيرات، دوماً مسارع لما يرى فيها من خيرات. إذا أقبلت على الله ورأيت عطفه، حنانه، لِمَ خُلقت، ... لَمَا انقطعت "لَمَا انقطعت عن الله سبحانه وتعالى بل لبقيت دائم الاتصال به تعالى".

20- ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾**:** نفوسهم يسبِّحونها بفضل الله ليفعلوا الخيرات وينالوها. يسبحون أنفسهم لنيل الخيرات. ﴿**لَا يَفْتُرُونَ**﴾**:** على صلاتهم دائمون، دوماً مع الله، يرون أنه لا أشفق ولا أرحم ولا معطي سواه.

سورة الأنبياء: [21-30]

21- ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ**﴾**:** الخير عليهم، هل ينشرون لهم شيئاً من الخيرات؟! لا أحد يعطيك شيئاً.

---

[1] الحقيقة أن الإنسان البعيد عن الله نفسه وأعماله وحقيقته تشبه الحيوانات المؤذية فترى هذا الإنسان بأعماله وحقيقته كالأفعى والآخر كالقرد والثالث كالخنزير... أما الصحابة الكرام لمَّا سلكوا مع رسول الله ﷺ بصدقٍ وآمنوا الإيمان الحق صاروا إنسانيين حقيقتهم سامية وأعمالهم صالحة إنسانية حقيقية عالية.

22- ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾: هذا يأتي بالشمس من المشرق، هذا من المغرب، لاختل نظام الكون، ولسيَّر كل واحد منهم المخلوقات بشكل. ﴿**فَسُبْحَانَ اللَّهِ**﴾: ما أعظمه. ﴿**رَبِّ الْعَرْشِ**﴾: التجلّي. ﴿**عَمَّا يَصِفُونَ**﴾

23- ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ**﴾: لأن فعله ضمن الحق. ولأن كل شيء بمحلّه كامل، وكل واحدة بحقها بمكانها، كل شيء ضمن الكمال، فكل فعله تعالى ضمن الكمال وضمن قوانين ونظام. ﴿**وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾: أمَّا هم فلهم أخطاء. حيث إن الإنسان هو الذي يشذّ فيُسأل عن شذوذه.

24- ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً**﴾: هل لهم فعل؟ ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾: الله تعالى يقول: إن كان الذي تعبدونه له فعل أروني قوته، هل يمنع الموت عن نفسه؟ هل يوجد فاعل غير الله؟ أين الأكوان التي صنعوها، هل هم الذين أنشؤوكم في أرحام أمهاتكم؟ هل هم الذين منحوكم السمع والبصر والإحساس والذوق؟ هل هم الذين ينشئون الزهر والثمر ويمدون الشمس والقمر، أين هم؟ لقد ماتوا وأخذوا عملهم، وأنتم ما مصيركم حين تواجهون مَن أحضركم لهذا الوجود وتفضَّل عليكم بنعم السماوات والأرض وأنتم تنكرونه وتتبعون أهواءكم الكاذبة وأهواء الضالين أمثالكم ولا تكسبون منه تعالى، بل لا تسلكون المسالك المؤدية إليه لتسعدوا بقربه تعالى وتحظوا بجميل جليل عطاءاته المتتالية المتزايدة، ماذا دهاكم وبدون منطق تسيرون، ألا تخشون العواقب والنوائب، بل ما موقفكم تجاه من تدَّعون ألوهيَّته حين يواجهكم بحضرة الله ويتبرَّأ منكم ومما نسبتموه إليه فتخسرون وتكونون قد خسرتم عمركم القيّم. ﴿**هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ**﴾: من المؤمنين، أنا أقول وأدعو إلى الله، أنا ومن معي ندعو إلى لا إلَه إلّا الله، فكل من معي هذه دعوتهم. ﴿**وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي**﴾: من رسل. ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ**﴾: لعدم تفكيرهم. ﴿**فَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾: بإعراضه صار يخلط هذا الخلط.

25- ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ**﴾: بأمرنا يسير. ﴿**أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**﴾: لا مسيِّر إلَّا الله، لا فعَّال إلَّا الله. كافة الرسل هذه دعوتهم. ﴿**فَاعْبُدُونِ**﴾: كل الخلق محاطون، أما الله تعالى فمحيط، لذلك لا يُعبد سواه، تسمع ما أرسله لك على لسان رسله.

26- ﴿**وَقَالُوا**﴾: من يهود ونصارى. ﴿**اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**﴾: لا يماثله شيء. ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ**﴾: الرسل مكرمون بالرسالة، الله تعالى أكرمهم، أقبلوا على الله فاشتقوا الكمال منه تعالى. الأنبياء والرسل معصومون.

27- ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ**﴾: هذا ينفي كل الأحاديث المناقضة للقرآن، فصلوات الله عليهم جميعاً كلامهم عن الله ومن الله، لا ينطقون إلَّا بعد قول الله تعالى وأمره، وهذا إثبات لعصمة الأنبياء وتنزيههم عن الزلل. ﴿**وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾: أيضاً لا خطيئة لهم، لا يعملون عملاً إلَّا بأمر من الله تعالى، الأنبياء كلهم كُمَّل، لا شائبة لهم، إذ لا يسيرون إلَّا بأمر الله.

28- ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾: فهم دوماً في حال حضور مع الله. ما تعمله الآن وما في نفسك من طهارة أو انحطاط كله معلوم عنده، سيخرج. ﴿**وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾: ما يعود عليهم من عملهم. ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾: النصارى يقولون: نحن نحب عيسى عليه السلام: هذا كذب، الآن نقول محمداً ﷺ نحبه: هذا غير صحيح. ما دمت لم ترضِ ربك، هؤلاء الرسل لا يصاحبونك ما دمت بعيداً عن الله غير راضٍ ربك، فتِّش وانظر عملك وصدقك مع ربك، عندها يصاحبونك. المسألة بيد الله، أولاً: أصلح نفسك من ربك، تصبح قريباً منهم. ثانياً: {**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**}[2]: إن لم يكن الإنسان

---

[2] سورة الأنبياء – الآية:28.

راضياً ربّه لا ترافق أنفس الرسل نفسه، أصلح نفسك كي يُقبل الرسول عليك. الطريق أولاً: اعرف المربي، تتوب، تصل للإيمان بالله فتستقيم، تحصل لك صلة وإقبال فتغدو كاملاً وتحب أهل الكمال، وترتبط نفسك بهم وأنفسهم بك. ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ**﴾: من خشيتهم من الله. ﴿**مُشْفِقُونَ**﴾: على الخلق كافة، عندهم عطف وحنان على الخلق بسبب قربهم من الله وإقبالهم عليه. كان ﷺ يبكي كثيراً شفقةً على الخلق. يبكي على الخلق لكن لا يصاحب بنفسه المنحطِّين. إن كَمُلَت نفسك تقارن أنفسهم: وهذه هي الشفاعة، تقبل عليهم ويقبلون عليك فتدخل معهم على الله، تشاهد الحنان، الرأفة، الرحمة.

29- ﴿**وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ**﴾: كل شخص من الخلق يقول. ﴿**إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ**﴾: فكل من يقول من الخلق أنا أعمل، أترك، هذا نتيجته الذل والحقارة، معنى قوله إني إلَه: أي أنا أعطي، أمنع، أضرب. ﴿**فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ**﴾: الذل والحقارة له، فهذا نهايته الذل لأنه يرى الفعل والقوة بيده لا بيد الله. ﴿**كَذَلِكَ**﴾: هذا قانون. ﴿**نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾: فالحق دوماً لا يأتي إلَّا عن الله، ولا يُسمع كلام أحد ما لم يكن قوله مطابقاً لكلام الله.

30- ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: أما رأوا. ﴿**أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا**﴾: مخفية، لا مطر ولا نبات، ما ظهر منها شيء من مطر، غيم، نبات. ﴿**كَانَتَا رَتْقًا**﴾: مستوية لا شقَّ فيها. كانت السماء في الصيف صافية. ﴿**فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾: بالخير، فأصبحت في الشتاء غائمة فنزلت الأمطار، وكانت الأرض في الشتاء خالية من الزرع فأصبحت في الصيف مخضرَّة. ﴿**فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾: أنزلنا الماء وأخرجنا النبات، فيُظهر الله من السماء الأمطار، من الأرض الزرع، النبات، هل لأحد يد بهذا سواي؟ أليس هذا بدليل على لا إلَه إلّا الله؟ ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾: بالله. من أين هذه الأمطار، الثلوج؟ إن لم تفكِّر كيف تؤمن وكيف تستدلّ على الله؟!

سورة الأنبياء: [31-40]

31- ﴿**وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ**﴾: جبالاً. ﴿**أَنْ**﴾: لئلا. ﴿**تَمِيدَ بِهِمْ**﴾: حتى لا تضطرب في دورانها. ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا**﴾: في الجبال مستودعات للماء ويخرج بمعايير، أليس هذا دليلاً على الله؟! ﴿**سُبُلًا**﴾: أي ينابيع. فمن مدَّد طريقها تحت الأرض؟ ﴿**لَعَلَّهُمْ**﴾: إن فكَّروا بهذا. ﴿**يَهْتَدُونَ**﴾: إلى الله تعالى ولمعرفة الله. إن لم تفكِّر فلن تهتدي. إن لم تفكِّر ببدايتك، بنهايتك، وتربيتك لا تستطيع التفكير بهذه الآيات.

32- ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا**﴾: من الخلل، ترونها، انظر ما فيها، لولا هذا الحفظ لها لسقط كوكب على الأرض فأزالها من الوجود. دليل على أنه لا حول ولا قوة إلَّا بالله العليّ العظيم. ﴿**وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا**﴾: مما فيها من شمس، قمر، نجوم. ﴿**مُعْرِضُونَ**﴾: لا يفكِّرون بها. بل ملتهون بالأكل والشرب واللهو والصحب، تُرى ماذا سيكسبون منهم بعد الموت؟!

33- ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾: هل فكَّرت بهذا النظام؟ أم أنت منغمس بالأكل والشرب واللهو؟! فكِّر بالليل والنهار كيف يتقلَّبان من حالٍ لحال، يقصر ثم يطول. ﴿**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**﴾: كيف يسيران؟ من يمدُّهما؟ من خلقهما؟ ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾: الكون كله سائر، النجوم والمجرات مع الكواكب والأرض في نظام بديع، من الذي يسيِّره؟ قوة من! فلِمَ أنت لا تُسبِّح نفسك، لِمَ أنت مقيدها بمن حولك؟! كفاك ظلماً لها، أطلقها لرحاب ربِّها وسماواته العُلى حتى تنال، فمهما سمعت إن لم تفكِّر بذاتك لا جدوى لك.

34- ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ**﴾: لينظروا، هل خلَّد أحد؟ ﴿**أَفَإِنْ مِتَّ**﴾: يتمنَّون موتك. ﴿**فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾: هل يخلِّدون بعدك؟ هم ألا يموتون؟!

35- ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾: عدم لا يكون، معنى الموت: انقطاع عمل النفس، الإنسان لا تزول نفسه بعد الموت ولكن تذوق الموت ذوقاً: بقاء أبدي. ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ**﴾: لنخرج الشر ﴿**وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾: ولنخرج الخير، ماذا اكتسبت بنفسك يظهر. قال لك: عبدي اختر ما تشاء، إن اخترت الخير فتنت به وفعلته، إن اخترت الشر حذَّرك، إن أصررت فتنت بالشر ووقعت. فعلى حسب ما في قلبك، إن كانت نفسك طاهرة يفتح الخير على يديك، وإن كانت خبيثة يفتح الأذى على يديك. ﴿**وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾: في الفعل، الفعل بيدنا. العمل والقوة من الله ومنك الاختيار، ترجعون إلينا في الدنيا والآخرة، لا فعَّال سوى الله.

36- ﴿**وَإِذَا رَآَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: بعد هذا البيان والمنطق. ﴿**إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آَلِهَتَكُمْ**﴾: يغارون على آلهتهم التي لا فعل لها ولا يقدِّرون الرحمن. ﴿**وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾: لا يتأثر عندما يسمع عن الرحمن، ويتألم على الآلهة. من يكلؤهم بكل متطلباتهم وحوائجهم وخيراتهم؟! إن يدعون إلا أصناماً لا ترحمهم بل تشقيهم وتحرمهم ممن خلقهم ورزقهم، يذكرون مَن لا ينفعهم ويعرضون عمن بيده نفعهم وسعادتهم.

37- ﴿**خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾! فجأة! كلَّا. هل خلقتك من عجل؟! لِمَ تستعجل العذاب أيها الإنسان وهل خلقت من عجل؟ خُلقت تدريجياً، من ثمرة، من نطفة، علقة، مضغة، جنين، طفل، صبي، راشد، "خلق له اللبن حتى بلغ السنتين من العمر"، ظهرت أسنانه حتى سبع ثم بُدِّلت. أنت ألا تفكِّر شيئاً فشيئاً بهذا الكون كما خُلقت شيئاً فشيئاً؟! فكِّر تدريجياً لعلك تهتدي. لِمَ لا تفكِّر، وتنكر الحق من دون أن تفكِّر، لمَ تستعجل بردّه؟ ﴿**سَأُرِيكُمْ آَيَاتِي**﴾: بل ستأتيك نذر الرحمن فلا تعجل بها. ﴿**سَأُرِيكُمْ آَيَاتِي**﴾: فكِّروا بها، اعرفوا بدايتكم، نهايتكم، وكذلك البلاء والشدَّة لتفكِّروا. ﴿**فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾: بالبلاء والهلاك، انظر بدايتك، نهايتك، فكِّر ثم تكلَّم.

38- ﴿**وَيَقُولُونَ**﴾: يسألونك عن العذاب. ﴿**مَتَى هَذَا الْوَعْدُ**﴾: بنزول البلاء، مستنكرين. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: بدعواكم.

39- ﴿**لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: الذين نكروا حنان الله وفضله، ليتهم يعلمون عندها ما سيحيق بهم. ﴿**حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ**﴾: مصداقاً للحديث الشريف: **"إن العارَ ليلزمُ المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسرُ عليَّ مما ألقى، وإنه ليعلم ما فيها من شدّة العذاب"**[3] فالنار علاج. ﴿**وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ**﴾: ستأتيهم النار من أمامهم ومن خلفهم تلقّهم. ﴿**وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾: المريض من يحول دون مداواته، فالنار تكون أحسن شيء له، حيث أنَّ العلاج ضروري لهم.

40- ﴿**بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً**﴾: الوفاة تأتيهم فجأة، ساعة الموت يأتيه الملك فجأة، وكذلك النار بعدها تأتيهم فجأة، وهذه من رحمة الله لأنه لو نزل تدريجياً لزاد عذابه لكنه يسقط فجأة فيها، فالذي يريد النزول إلى الماء البارد ينزل فجأة. ﴿**فَتَبْهَتُهُمْ**﴾: ساعة الموت، فكِّر يا إنسان، أُخْفِيَ عنك الموت لتظل دوماً على استعداد. ﴿**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا**﴾: الوفاة. من يردُّ ملك الموت عندما يأتيه فجأة، الموت يأتي فجأة. ﴿**وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾: ملك الموت لا ينظره لحظة، إذ لم يبق له طريق، ليس له سوى هذا العلاج.

---

[3] الجامع الصغير /2074/ (ك) عن جابر (ح).

41- ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ**﴾: كذَّبوا مَنْ قبلك، نظروا إليهم بمنظار الدنيا واستحبوا العمى على الهدى، وبهذا لم يستعظموا حقائقهم عليهم السلام، فأبلست عليهم الصورة واتَّبعوا أباهم اللعين إبليس. ﴿**فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: البلاء نزل عليهم.

42- ﴿**قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ**﴾: من الذي يحميكم. ﴿**بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ**﴾: مَنْ يرعاكم بعنايته مِنْ غير الرحمن! من يدير شؤونكم، من يخرج لك الشمس، الفواكه، الأثمار، هل أحد غير الله؟ ألا تفكِّر بهذا؟ من يرعاك في يقظة ومنام؟ فقط تفكِّر بأكلك وشربك ولهوك؟ ﴿**بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ**﴾: عن ذكر أسمائه العليا. ﴿**مُعْرِضُونَ**﴾: ساهون ناسون. وأنت معرض عن بيانه لا تفكِّر بدلالته! يرى نفسه صاحب الحول والقوة، لا يرى التربية.

43- ﴿**أَمْ لَهُمْ آَلِهَةٌ**﴾: مَنْ فعال غير الله يسيِّرهم؟!. ﴿**تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا**﴾! عند البلاء. ﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**﴾: هو جماد، حجر، لم يصحب بقوةٍ منَّا، كيف تتبعه؟ وهذا ينفي أحاديث الدجال، الله تعالى لا يغش الناس، إذ لا يعطي الدجال قوة ثم يسأل الناس: لمَ آمنتم به؟ قال تعالى {**وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**}[4].

44- ﴿**بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ**﴾: أمددناهم. ﴿**وَآَبَاءَهُمْ**﴾: أما رأيت الآباء كيف ماتوا. ﴿**حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ**﴾: هل طال عليهم العمر كثيراً حتى نسوا؟! ﴿**أَفَلَا يَرَوْنَ**﴾: أما شاهدوا. ﴿**أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**﴾: نمدُّ الأرض وكذلك نسلب منها الحياة، نحيي ونميت من الناس؛ أما رأوا كيف أن آباءهم، أجدادهم ماتوا وأنت كذلك تموت. يموتون واحداً بعد واحد. ﴿**أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾: أمْرنا عند الموت، إذا جاء الموت هل يردّه؟ هل يردّ الملَك عن قبض روحه؟

45- ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ**﴾: بما يوحى إلي. هذا الذي أكلمكم به من الله مباشرة وسوف يقع عليكم إن لم تغيّروا. ﴿**وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ**﴾: من أعرض عن ذكر الله لا يسمع. إذا أُنذر وفكَّر يسمع، أما إن لم يفكِّر فلن يسمع. فما دمت لا تفكِّر ثم تتوب فلن تسمع أذنك نداء المَلَك، المَلَك يلقي بنفسك وأنت لا تسمع مالم تفكِّر فتعقل، وكذلك نري إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. فالله تعالى أراه. لما تاب وصدق بالطلب سمع المَلَك[5].

46- ﴿**وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ**﴾: شدة، بلاء، إن أصيب في الدنيا بمرض أو فقر أو عاهة. ﴿**لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾: يعلم أنه ظالم لنفسه. ساعتها يعترف لكن لا يفيده القول ساعتها، لأنه لم يعقل شيئاً. فكِّر في حال الصحة واعقل. فالمعرض عندما يصيبه المرض يقول: أنا ظلمت نفسي! ارجع، فكِّر قبل البلاء.

---

[4] سورة الكهف – الآية:51.

[5] الله تعالى ضرب للبشرية مثلاً أعلى بسلوك سيدنا إبراهيم عليه السلام في بلوغ الإيمان، فأنبياء الله نالوا شهادتهم العليا من عالم الأزل وجاؤوا لهذه الدنيا هداة مهديين ولكنهم يسلكون سبل الإيمان ليعلِّموا الناس ما عليهم أن يسلكوه والخطوات التي يجب أن يسيروا بها ليؤمنوا، فالسادة الأنبياء المرسلين هم معلمون يعلِّمون الناس سبيل الإيمان وشرع الله الحق. فإن تاب الإنسان وصدق بالطلب كما صدق سيدنا إبراهيم عليه السلام عندها يسمع نداء الملك وما يلقي بنفسه من إلهام.

47- ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: إن ما يصيب الإنسان بالعدل هو مقدمة ليوم القيامة ولما سيلقى فيه. في الدنيا نفحة، أمراض، شدائد، لعله يتوب، لكن غداً الحساب الدقيق. ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾: لا يضيع شيئاً.

48- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾: قبلك. ﴿مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾: التوراة، بيَّن، فرَّق الحق من الباطل، يفرقون به بين الحق والباطل. يبيّن الله تعالى لنا كيف أنزل على سيدنا موسى عليه السلام التوراة، لأي مدرسة انتسب؟ كان عند فرعون فضرب القبطي وفرَّ إلى مدين حيث اشتغل راعياً عشر سنوات. فانظر الفرق بين الحياتين: "عند فرعون وما كان فيه من عز، وعند سيدنا شعيب عليه السلام وفي حياة البداوة" لكنه بهذه المدة أخذ يفكِّر بالكون فنال النبوة، وكان يزداد حبّاً بالله وإقبالاً على الله. "الفرقان" مبيِّناً طريقي السعادة والشقاوة، ويفرق بين الحق والباطل. انظر كيف أعطى تعالى أهل الصدق. ﴿وَضِيَاءً﴾: نوراً. كل من يطبقه يرى طريق الحق، إذ يحصل له نور، فالضياء آيات: نجم، قمر، شمس، دالَّة على لا إلّه إلّا الله. ﴿وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾: به يذكر المتقون الحق. فمن صار يصلّي انطبع الحق بنفسه، عندما يسمع التوراة يراها وفق ما انطبع في نفسه من الحق، بعكس غير المؤمن، ذاك يؤولها حسب هواه. فالمتقي انطبع بنفسه الحق وصار الكتاب ذكراً له. المؤمن يصدِّق بالحق، الكافر ينكر، فما لم يكن المرء طالباً للتقوى فلن يتذكر ولن يفهم، أي: ما لم يفكِّر ويطلب التقوى فلن يفقه شيئاً.

من هو طالب التقوى؟:

49- ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: يفكرون في الله فيخشونه. رأى دلائل على لا إلّه إلّا الله، فآمن بلا إلّه إلَّا الله، فهو يرى أنه حيثما سار فالله ناظر إليه. ﴿بِالْغَيْبِ﴾: غاب عنهم الوجود الإلّهي، فسعوا بذكر الموت والاستدلال بالدلائل وعادوا إليه. ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾: ساعة الموت. كيف آمن بلا إلّه إلَّا الله؟ فكَّر بساعة الموت فأشفق على نفسه من هذه الساعة، ماذا في القبر؟ الدود، العقارب، الجرذان... هذه إن فكَّر بها يخاف، يلتفت عن الدنيا ويرى أنه لا بدَّ من يومٍ يُحاسب ويُسأل فيه عن عمله، ويعرف أن الله لا يضيع مثقال ذرة.

50- ﴿وَهَذَا﴾: القرآن. ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾: كثير الخيرات، فيه الخيرات الكثيرة. ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: على الرسول من أجلكم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[6] فمن اللازم أن يفهم الإنسان كلام الله. ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾: يا قريش، أيها الخلق. ﴿لَهُ مُنْكِرُونَ﴾: منكرون ما فيه، أفلا يجب أن تفكِّر فيه؟ ألا ترون ما فيه من دلالة لسعادتكم! فكيف تعرضون عن هديه وتنكرون خيراته.

سورة الأنبياء: [51-60]

51- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾: سنتعرَّف من خلال هذه الآيات على لا إلّه إلّا الله، آتيناه رشده لصدقه جعلناه عاقلاً راشداً. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: قبل سيدنا موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة السلام، وقبل أن يتكلم مع قومه ويرشدهم ويدلّهم... ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾: ل لِمَا تميَّز به من صفات. هذا يبيّن لنا أن لا إلّه إلّا الله، لكن فعله تعالى ضمن العدالة، يبيّن لنا تعالى أنه أعطى إبراهيم رشده قبل أن يتكلم مع قومه. لكنه أعطاه الرشد لأنه علم بصدقه. فصدقه كان سبباً في أن أعطاه الله ما أعطاه. علمنا صدقه، نشأ في قوم أهل ضلالة، ففكَّر بالكون حتى اهتدى للمربي، فعندما فكَّر ببدايته فنهايته استقام فأريناه. لمَّا عرفنا سيره ضمن الحق أريناه. إبراهيم عليه السلام بشر مثلك لكنه فكَّر وعرف المربي عندها

---

[6] سورة النساء – الآية:82.

فتح الله عليه وأراه طريق الحق، وكل إنسان إن فكَّر وعقل آتاه الله رشده. إذن: التفكير والصدق بطلب الحق هو الأصل. لمَّا صار عنده الإيمان هاجم قوماً "ملّة" على حداثة في سنِّه.

52- **﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾**؟ عابدون. سيدنا إبراهيم هو المنتقد عليهم.

53- **﴿قَالُوا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾:** إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون، وكذلك اليوم يقولون هكذا قالت التفاسير، هكذا قال العلماء السابقون. وأنت يا إنسان أين تفكيرك؟ وهذا حال المسلمين الآن باتِّباعهم آراء من سبقهم فأصبحوا في مؤخرة الأمم، أنت عليك أن تبحث عن الحق. فكِّر بهذه وهذه وسر على الأحسن.

54- **﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:** في عمى، بعيدين عن السعادة، أتعبدون الحجر؟! الإنسان العاقل لا يسير تبعاً لمن قبله بل يفكِّر حتى يهتدي للحق. والآن نحن صرنا إلى ماصرنا إليه بسبب سيرنا على غير هدى ودونما تفكير. في صدر الإسلام أمة قليلة العدد والعُدد فتحت الكرة الأرضية. ثم جاء صلاح الدين فحاربونا في ديارنا رغم كثرة العدد.

السبب: أننا لم نسر بالحق، قلَّدنا. أعطى الله تعالى الإنسان فكراً "وكل من صار له صدق بشيء وصل إليه"، فكِّر بالبداية والنهاية تصل للحق. فكِّر بالسؤال بالقبر، ما سيكون مصيرك؟

55- **﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾:** هل تقول الحق أم تلعب لعباً "مزاح"؟

56- **﴿قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾:** أظهرهن، نظَّمهن، انظروا فكِّروا بهذا الكون، من المربي؟ هو ممدها بالخيرات. **﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾:** إن سألتموني عن شيء منها أجبكم، وإن شئتم تعالوا أبيِّن لكم. **{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}**[7] **﴿فَطَرَهُنَّ﴾:** أظهرها على هذا النظام الكامل. الإنسان ما لم يفكِّر بهذا الكون لا سبيل له للهدى، الإنسان عنده أهلية لكل شيء، إن فكَّر اهتدى. سيدنا إبراهيم عليه السلام نشأ طفلاً بين أبوين يعبدان الأصنام وكذلك قومه، لكنه جعل يفكِّر، نظر وفكَّر حتى رأى لا إلّه إلّا الله.

57- **﴿وَتَاللَّهِ﴾:** تسيير الله كله بأسمائه الحسنى. **﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾:** قرّر أن يدبِّر لها تدبيراً يبيدها به. **﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾:** قال ذلك في نفسه.

58- يقال أنه أتى بفأس وكسَّر الأصنام ثم علَّق الفأس بأكبرها: **﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾:** لمَّا ذهبوا لموسم لهم قطَّع الأصنام قطعاً قطعاً، الذي مع الله لا يستطيع أحد أذاه... **﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾:** تركه لكبير الأصنام. **﴿لَعَلَّهُمْ﴾:** بواسطة رؤيتهم. **﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾:** إلى الله، يستفيقون بذلك من غفلتهم ويرجعون إلى فكرهم. ليروا أنه لا فعل للصنم ولا قوة، فلعلهم بهذا التدبير إلى فكرهم يرجعون ويفكِّرون قليلاً. كبير الأصنام لم يردَّ عن جماعته شيئاً، هل يكون إلّهاً؟ لو كان بيده شيء لحمى جماعته.

59- **﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾:** ظالم لنفسه، ظلم نفسه.

60- **﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى﴾:** وما كان له شأن يومها بين قومه. **﴿يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾:** ادعى أنه تبرأ من عبادتهم وهام بربه.

---

[7] سورة الأنعام – الآية:75.

سورة الأنبياء: [61-70]

61- ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: عليه أنه هو الفاعل، لعلهم يعرفونه. وهذا يشهد أن الفعل فعل الله، حاكموه ولم يقضوا عليه بالظن، لو كانت الأمور على غير ذلك لقتلوه لأَوَّلِ وهلة.

62- ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾: حطَّمتها؟

63- ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾: لعلَّه يجيبكم. ﴿فَاسْأَلُوهُمْ﴾: قال ذلك حتى يفكِّروا. ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾: من الذي فعل بهم. قال ذلك ليفكِّروا كما سبق القول.

64- ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: فبهتوا وعرفوا أن عملهم كله هزء ورياء، مهما بلغ الكفر في نفس الإنسان فإنه لا بدَّ في ساعة أن يعلم أن عمله كله في ضلال وأنه متَّبع شهوته. اعترفوا ألَّا فعل لها. ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾: تبيَّن لهم الحق ورجعوا للحق.

65- ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾: خجلاً، وعادوا لضلالهم، لم يلبث الشيطان أن دخل عليهم، قالوا أنتم تركتموها دون حماية. ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾: يا محمد ﷺ. ﴿مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾: شيئاً عن كمالك وشمائلك كأبي سفيان وأبي جهل وغيرهما.

66- ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾: ليس له حول ولا قوة.

67- ﴿أُفٍّ لَكُمْ﴾: ما هذه السخافة؟! ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: شيء يضجِّر من هذا التفكير والعمل. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تفكرون قليلاً كي تعقلوا شيئاً من الحق، ألا تفكِّرون قليلاً أنه لا حول لها ولا قوَّة؟! وأن ليس منها شيء ولا فعل لها! فالله أعطاك هذه الجوهرة الثمينة لتفكِّر وتصل للحق. اسمع من هذا وهذا وفكِّر... الناس كلهم سواء: صاحب الشوق أكثر ينجح ويهتدي أكثر. والخلق كلهم سواء، كل من كان شوقه أكثر بأي شيء كان ينبغ أكثر. هذه الشجاعة وهذه المواقف التي وقفها سيدنا إبراهيم عليه السلام كلها مواقف عز، كان هو الأعلى فيها على قومه. فلما بلغت بهم الحجة ما بلغت:

68- ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: وأشعلوا النار أياماً حتى عجَّت للسماء واخترعوا المنجنيق. فلمَ تركهم الله يفعلون ذلك ولم يهلكهم؟ أولاً: هي تضحية من سيدنا إبراهيم، رضي بها رحمة منه عليه السلام بقومه. ثانياً: ذلك يدل على رحمته تعالى بهم، لعلَّهم يثوبون إلى رشدهم إن رأوا تلك المعجزة. وثَبَتَ سيدنا إبراهيم عليه السلام لعلمه أنه تعالى هو الفعَّال وهو أرحم الراحمين، فألقى تعالى في قلب إبراهيم الشجاعة والاطمئنان. أمَّا هم فقد فعلوا ما فعلوا ورموه بالمنجنيق، وهو في طريق الوقوع يقال: أنه لمّا وُضِع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق لإلقائه في النار أتاه جبريل عليه السلام فقال له: هل لك من حاجة؟ فقال: منك لا. فقال: فمن الله؟ قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي. اتركني يا أخي. قال ذلك لأنه عليه السلام عارف أن ربه كله رحمة وحنان.

69- ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾: هذا بيان أن لا حول ولا قوة إلَّا بالله: لا نار تحرق، ولا سيف يقطع إلَّا بإذن الله، كن مع الله يحفظك الله من كل سوء، عندها لمَّا رأوه بهذا الحال خاف النمرود على ملكه، فأخرجوه.

70- ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾: دبَّروا له تدبيراً. ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾: خسروا تدبيرهم.

71- ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾: مريده الذي آمن به وحده من هذا القوم. ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾: بيت المقدس ومكة.

72- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: غنيمة، أولاً: وهبنا له إسماعيل ثم زيادة فضل إسحاق ويعقوب عليهم السلام. ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾: لعطائنا، كلهم رسل.

73- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾: وهذا العمل أشرف الأعمال، وهذه المكانة أشرف مكانة. ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: بدلالتنا، أحسن عمل، أحسن إحسان: هداية الخلق. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾: لأن نفوسهم طاهرة. ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾: الطهارة. يدلّون الناس على ذلك، بالإنفاق يقبل الإنسان على ربه فيتزكى. ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾: هم من قبل كانوا مطيعين لأمرنا، طائعين لله لهذا أعطيناهم. وكذلك كل مخلوق يعبد الله حقَّ العبادة يجعله تعالى إماماً ويجعل الخير على يديه، أنت سِرْ مثلهم تنل ما نالوه.

74- ﴿وَلُوطًا﴾: لمَّا آمن مع سيدنا إبراهيم وصدَّقه. ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾: من سيء لأسوأ، سوء على أنفسهم بما يعود عليهم بالأذى والضرر بنسلهم وأوخامه ﴿فَاسِقِينَ﴾: خارجين عن الطبيعة البشرية وعن الفضيلة والطهارة والكمال.

75- ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: خلقك تعالى ليسعدك دنيا وآخرة، إن سرت بالحق أعطاك، رحمك، إن شذذت ضيَّق عليك رحمة بك؛ ورحمته أشدّ بك من رحمة أمك وأبيك، لا نهاية لرحمته وحنانه.

76- ﴿وَنُوحًا﴾: هؤلاء الرجال نالوا ما نالوا بالاستحقاق، بالعمل، كل من فعل مثل فعلهم أعطاه الله. ﴿إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾: بعد /950/ سنة وما آمنوا. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: كان دوماً في كرب على قومه. فالإنسان مهما رأى من آيات لا يؤمن، إن لم يفكِّر لا يؤمن، وهل من معجزة أعظم من معجزة إبراهيم عليه السلام؟!

77- ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: انظر ما فعل بهم ربك، إنه حكيم وعادل يعطي كلاً حقه. إن جاءك السوء والضيق لا تلم إلّا نفسك. الأنبياء أصابهم ما أصابهم ترقية لهم، وكانوا يزدادون حباً لله وتقديراً له. الأب يضع ابنه في المدارس، يضيِّق عليه نفعاً له. كذلك: إن ضيَّق تعالى عليك اعلم أنه خير بحقك، يضيق عليك حباً بك لتتصل للآخرة وتنال الدرجات العلى.

78- ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾: ابن داوود عليهما السلام. تفرَّس فيه أبوه النبوغ فاختبره في الحكم بأمر دخول الغنم أرض أحد المزارعين.

﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: دخلت فيه تأكل منه. قال سيدنا داوود لابنه ما تحكم في هذه القضية؟ إذ سرحت غنم أناس في أرض رجل. ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾: كلاهما عرف القضية والحكم المناسب، لكن داوود سأل ابنه: ما تحكم في هذه القضية؟

79- ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾: عرف الوجه الصحيح لأنه صادق مقبل على الله، فهَّمه الحكم. بيَّن الله لسليمان الحكم حين سأله أبوه، "أي بيد الله الأمر يعطي ويمنع" كذلك: كل من صدق مع الله فهَّمه الله. ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: داوود وسليمان عليهما السلام. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾:

العلماء الكبار. فالمراد بالجبال المؤمنون أهل التقوى. العلماء يدخلون من بابه. ﴿**وَالطَّيْرَ**﴾**:** المؤمنين أهل الإيمان، عامة الناس صغار المؤمنين كان إماماً لهم، كان يدخل بهم على الله. ﴿**وَكُنَّا فَاعِلِينَ**﴾**:** في عصر داوود عليه السلام، بنو إسرائيل علا شأنهم لأنهم كلهم أطاعوا الله تعالى.

80 - ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ**﴾**:** من رحمته تعالى بالإنسان أنه لا يريد له الهلاك، لذلك علَّمه ما يقيه ويحصنه، لم يعلِّمه قنبلة ذريّة، بالدرع وبالسيف المؤمن يهدد الكافر فيخشى من الموت فلا يموت مباشرة حتى إذا شاهد السيف علَّه يخاف فيرجع للحق. وهذا الدرع فيه الخير للمؤمن والكافر على السواء إذ يصبح المجال أوسع للهداية، فالغاية الحياة الدائمة لا التحطيم، كله خدمة للإنسان ليتوب لخيراته وليدخل الكل الجنات. ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾**:** هذا الحنان والفضل، لترجعوا كلكم للحق وتدخلوا الجنان.

سورة الأنبياء: [81-90]

81 - ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً**﴾**:** كالطائرة، لكن كان عليه السلام يركب هو وجيشه. ﴿**تَجْرِي بِأَمْرِهِ**﴾**:** حيثما شاء. ﴿**إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾**:** تأتي به رأساً إلى بيت المقدس، تعود به بعد الجهاد إلى القدس، وحسب أمره. ﴿**وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ**﴾**:** كله بعلمنا، كل امرئ وما يستحق وما يماثل عمله نعطيه. والله يُعطي كلاً بما يناسب حاله.

82 - ﴿**وَمِنَ الشَّيَاطِينِ**﴾**:** أيضاً خدم له، جعلناهم تحت إمرته. ﴿**مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ**﴾**:** من الشذوذ عن أمره أو مخالفته، لمَّا صدق مع ربه وكان لربه محبّاً، سخَّر الشياطين له وجعلهم تحت إمرته.

83 - ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ**﴾**:** من قومي، مسّه الضرُّ من قومه الذين لم يؤمنوا به. مسّه الضر لما في نفسه من حنان ورأفة وهذه وضعها الله فيه. إذ آذوه بالقول، وقد قالوا خطأً أن قومه ضربوه، هذا لا أصل له. ﴿**مَسَّنِيَ الضُّرُّ**﴾**:** الألم على قومي بعدم اهتدائهم. عذاب نفسه عليهم، هذا هو الضُّرّ، كل ذلك بيّن عطفه وحنانه. ﴿**وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾**:** بهم، فاهدهم.

84 - ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**﴾**:** أخرجه الملك إلى قريةٍ غير قريته، فآمنت فأتى بعد ذلك إلى قريته فآمنت، وقد يكون منظر الكثرة سبباً في الإيمان[8] ﴿**فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ**﴾**:** من آمن معه. أُمر بالهجرة لبلد آخر فذهب إلى قوم أقوياء فاستجابوا له وآمنوا، فرجع بهم ومعه تلك القوة إلى قومه فآمنوا واهتدوا. ﴿**وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ**﴾**:** البلديْن. ﴿**رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾**:** كل من عَبَدَ الله حق العبادة رفع شأنه دنيا وآخرة كما رفع أيوب. كل من سار كما سارت هذه الجماعات رفع الله شأنه دنيا وآخرة. فلما تَطْهُر نفسك يجعل على يديك الخير.

85 - ﴿**وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾**:** للحنان والعطف الذي بقلوبهم، ما ضجروا من معارضات قومهم لأن بقلبهم حنان وعطف، اشتقوه من الله "عباد مكرمون".

86 - ﴿**وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾**:** لفضلنا.

87 - ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا**﴾**:** من قومه. ﴿**فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**﴾**:** ضجر منهم، ظن أن الله لم يكتب لهم الهداية والسعادة وأن هدايتهم لن تكون على يده، ولن يهتدي أحد من قومه، فذهب وركب

---

[8] فالناس تقدِّر القوة والكثرة فإن رأوا عند الرسول أتباعاً كثيرين فقد يكون هذا سبب الالتفات والإيمان برسالته.

في الفلك، عند دوره بالتجديف سقط في البحر فالتقطه الحوت، عندها عرف ما حاك في نفسه من ظنه أن هداية قومه لا تكون على يده ولكن ظهر أنه أهل للفضل الإلَهي، كذلك المؤمن إن أصابه شيء يرجع لنفسه، يتفقد نفسه، الذي رماه هو الله، والذي ينجيه أيضاً هو الله، كله بيد الله. "سيدنا يونس فكَّر عندها عرف سبب هذه الحادثة وهي تركه قومه". **﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾:** حين أصبح في فم الحوت تذكر ونادى: **﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾:** لا فعَّال إلَّا أنت. **﴿سُبْحَانَكَ﴾:** ما أرحمك بعبادك! نبَّهتني لهذا، لرحمتك بهم. **﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾:** لنفسي بتركي لقومي، أنت جعلتني هادياً وأنا تركتهم، فحرمت نفسي من الخير وقومي من الهداية.

88 - **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾:** على قومه، آمنوا جميعاً به. **﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾:** كذلك المؤمن قد يقع في شدّة، فإن فكَّر ورجع عن عمله وتاب، تاب الله عليه.

89 - **﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾:** خاف على جماعته. **﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾:** أخشى أن يتراجعوا من بعدي، نيته عالية، خاف على قومه من بعده. **﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾:** كذلك المؤمن إذا دعا ربَّه فإنه يدعو بالحق، فيطلب طلباً مقبولاً عند الله يُسعَد به دنيا وآخرة.

90- **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾:** سبب استجابتنا: أنهم أهل. استجاب دعوته لأنه يعرف كيف يدعو، أمَّا الدعاء غير الحق فلا يستجاب. **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾:** وقد أعطيناه بناءً على عمله. **﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾:** كانت عاقراً.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: هو وزوجه يعملون الخير. **﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾:** فينا. **﴿وَرَهَبًا﴾:** منَّا. **﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾:** آمنوا بلا إلَه إلَّا الله، أنفسهم دوماً خاشعة لله. فسارعوا بالخيرات وصارت لهم رغبة بالله مع رؤية عظمة الله. بعد أن تعرف النفس لا إلَه إلّا الله تخشع.

سورة الأنبياء: [91-100]

91- **﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾:** حمت نفسها من كل سوء، نفسها صارت نقيَّة من مداومتها على ذكر الله. **﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾:** بواسطة جبريل عليه السلام. لمَّا طهرت نفسها أعطيناها هذا العطاء. **﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آَيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾:** آية دالة على لا إلَه إلّا الله، لأنها صدقت.

92- **﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾:** أي: كل هؤلاء الرسل كلهم بشر مثلكم من جنسكم ومنكم. أمتكم: مريم وابنها عليهما السلام ستؤمُّون إليهما حين ظهورهما. **﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾:** كلكم لآدم وآدم من تراب. صدقوا وأعطيتهم، ما فرَّقت وما ميَّزت بين شخص وشخص، لكن عبدوني فنالوا. ما خصَّ الله أحداً دون أحد، لكن يعطي كلاً على حسب صدقه، إن وجدت نفسك غير صادقة فكِّر بالكون لترى الرحمة والعدل والحنان وترى الآخرة فتصدق بالطلب. **﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾:** مثلهم، لتنالوا فضلي كما نالوا وذلك بالتفكير حتى الاهتداء للمربي. كيف نهتدي للمربي؟ تسلك كما سلك سيدنا إبراهيم عليه السلام، إن عرفت المربي عرفت أنه سيسألك، وأن هناك يوم الدين، عندها تدخل بمداخل الإيمان فتسلك الحق وتعمل صالحاً، فتثق بنفسك أن ربك راضٍ عنك، وتدخل بالصلاة فتشتق الكمال وتصاحب أهل الصدق وتحصل لك التقوى. قبل التقوى أنت لست بحاجة لأحد، العبرة للفكر. وإن لم تعقل من ذاتك، من نفسك، فلا فائدة لك من كل دراستك وعلمك، إن أصبحت كاملاً عندها تبحث عن أهل الكمال، أما قبل ذلك فعليك أن تسعى ولا تسلِّم نفسك لأيٍّ كان.

93- **﴿وَتَقَطَّعُوا﴾:** قومهم بعدهم، بعد الرسل. **﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾:** بعدها تفرقوا فرقاً، نصارى، يهود، مجوس، تركوا التفكير. **﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾:** الفعل لنا وعلى الإنسان الاختيار، فالعبد إذن مخيَّر،

فالخيرة من العبد والتسيير من الله. راجعون كلٌّ على حسب عمله. أنت اختر والفعل بيدي. الطلب منك وأنا الفعَّال، الإنسان مخيَّر بنفسه مسيَّر بالفعل بالله تعالى، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

94- ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾: كي تصلح النيّة لا بدَّ من الإيمان لكي تكون النيّة حسنة، شرط العمل: الإيمان، فالعمل الصالح لا يكون عن نيّة طيبة إلَّا بعد الإيمان. ﴿**فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ**﴾: سعيه لا يضيع. ﴿**وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ**﴾: كلّ عمل يعمله، فعمله لا يضيع.

95- ﴿**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ**﴾: حرام أن تبقى في عصر عيسى عليه السلام بل نهلكها لأنها لا ترجع إلى الله. حرام بقاؤها في الدنيا بسبب عملها المنحط وإصرارها على عدم الاهتداء. الحنان والرأفة يقتضيان ذلك. ﴿**أَهْلَكْنَاهَا**﴾: ذهبنا بها لمَّا لم يبقَ لها طريق. ﴿**أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾: هذا هو السبب. كذلك سيأتي زمان وتكون أمة حرام بقاؤها وهذه الأمة:

96- ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**﴾: وهذا قد حصل "فُتِحَ الستار الحديدي"[9]، عندها تقع المعركة بين الفريقين فتهلك أيضاً تلك القرى التي لا خير ببقائها. والآن من لا يرجع إلى الحق لا بدَّ له من الهلاك. ﴿**وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾: من كل بلد ومكان يخرجون. الشيوعيون منتشرون في أنحاء العالم.

97- ﴿**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ**﴾: بالهلاك، اقتربت الساعة. الدنيا ما عاد لها بقاء طويل، جاء الهلاك. ﴿**فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: هذه هي الساعة. بُهتوا، أما المؤمن فلا، الكافر فقط لا ترفُّ عينه، عندها لا يتقدم خطوة. ساعتها يقولون: ﴿**يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا**﴾: ملتهٍ بالدنيا، ما خطر له أنه سيُسْأَل. ﴿**بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾: لأنفسنا.

98- ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: من زعماء لهم. ﴿**حَصَبُ جَهَنَّمَ**﴾: الحصبة عِلَّة، عمل النفس السيء يضعه في جهنم: محل الذل. ﴿**أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾

99- ﴿**لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ**﴾: المتبوعون. ﴿**آَلِهَةً**﴾: لو كان لهم فعل ولو كان لهم حول وقوة: ﴿**مَا وَرَدُوهَا**﴾: لما دخلوا. ﴿**وَكُلٌّ فِيهَا**﴾: من ألمهم. ﴿**خَالِدُونَ**﴾: بذاتهم.

100- ﴿**لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ**﴾: من الألم وساخنته تخرج، وشهيق بسبب أعماله الساقطة. ﴿**وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ**﴾: الصيحة، كالذي يتألم من ضرسه وآخر يدعوه إلى الصلاة، فلن يستطيع الصلاة. لا يسمعون نداء ولا دلالة، فكرهم بوجعهم ولا يسمعون بعضهم من ألمهم.

سورة الأنبياء: [101-110]

101- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى**﴾: في الدنيا، تابوا ورجعوا وأحسن الله إليهم. بعد أن فكّروا وآمنوا بلا إلٰه إلَّا الله، أقبلوا فأعطيناهم، وهم أهل الإيمان. ﴿**أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾: بالكلية. لا يدخلون النار، بعيدون عنها.

102- ﴿**لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ**﴾: ما يطلب حاضراً في الجنات.

[9] وهو السد الذي بناه سيدنا ذو القرنين عليه السلام ليفصلهم عن العالم لفسادهم، بناه من الحديد والنحاس الذائب... (خليط معدني).

103- ﴿**لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ**﴾: يوم القيامة، عند القيامة والبعث لا يخاف، شهادته بيده. ﴿**وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ**﴾: يوم السعادة. ﴿**الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾.

104- ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**﴾: مثل الكتاب. ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾: أنفس كما كانت، إذ لم تعُدْ له وظيفة. نفسك أيضاً تلبس جسدك، وجسدك يصبح محاطاً بها فلا عمل له ولا فناء، إقبال متواصل على الله. تعود كل المخلوقات نفوساً كما بدأت، فلا موت في الحقيقة، بل تحوّل من حال إلى حال. ﴿**وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾

105- ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ**﴾: التوراة، ومن بعدها الزبور. ﴿**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا**﴾: بعد الساعة. ﴿**عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾: مهما كان بهم من ضعف. الصالحون لها ولحكمها {**وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**}[10]. لا يبقى إلَّا أهل الإيمان.

106- ﴿**إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ**﴾: هذا غير المؤمن لا يفهمه. لا يفهم ذلك إلَّا أمرؤ عابد مطيع لله، العابد المطيع لله هذا يفهم البلاغ، أما البعيد غير المؤمن فلا يفهم شيئاً منه.

107- ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً**﴾: ليذكِّرنا وليوقظنا. ﴿**لِلْعَالَمِينَ**﴾: من آدم عليه السلام حتى القيامة للعالمين جميعاً، وعلى الإنسان أن يفكِّر حتى يتوصل بنفسه إلى لا إلّه إلا الله، وبعدئذٍ يفتش عمن يدخله على الله. وما هذه الرحمة؟ ﷺ له حال وقال، حاله قبل مجيئه، وبعد مجيئه حالٌ وقالٌ.

108- ﴿**قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾: لا أحد معه. ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾: فهل أنتم مستسلمون إليه؟ إن قلت لا إلّه إلّا الله حقاً نجوت.

109- ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا**﴾: عن بيانك ودلالتك، الكل تركوا. ﴿**فَقُلْ آذَنْتُكُمْ**﴾: بلَّغتكم، بشَّرتكم وأنذرتكم وحذرتكم جميعاً يهوديكم ومسيحيِّكم. ﴿**عَلَى سَوَاءٍ**﴾: دون تفريق، كلكم سمعتم. أعلنت لكم عامةً: مسلم، نصراني، درزي. ﴿**وَإِنْ أَدْرِي**﴾: هذا الموعد لا أعلم وقته. ﴿**أَقَرِيبٌ**﴾: البلاء بالساعة. ﴿**أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ**﴾: هذا علمه عند الله، هذا لا بدَّ منه. لا أعرف متى الساعة لكن أعرف أنها ستقع.

110- ﴿**إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ**﴾: ما عرفوا قدره ولا قدر دلالته، شاهدوه بمنظارهم المقلوب وتكلموا عنه بالسوء. ﴿**وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ**﴾: تخفون، كتموا بيانه ودلالته وسيرته لتبقى لهم العظمة. {**كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**}[11].

سورة الأنبياء: [111-112]

111- ﴿**وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ**﴾: بقاؤكم وعملكم. ﴿**فِتْنَةٌ لَكُمْ**﴾: لإخراج ما في نفوسكم. ﴿**وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾: بعدها الموت والعمى إلى الأبد.

112- ﴿**قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ**﴾: قال لي ربي أن أحكم بينكم بالحق، فقد بلَّغت. ﴿**وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ**﴾: سوف يسلِّط الله عليهم الشدائد والمصائب لعلهم يرجعون للحق. ﴿**الْمُسْتَعَانُ**﴾: على ردِّ. ﴿**عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾:

---

[10] سورة آل عمران – الآية:55.

[11] سورة الصف – الآية:3.

من زعمكم بأن مع الله آلهة أخرى. وما نسبتم وتكلمتم به من سوء عن رسل الله وأنبيائه عليهم السلام. تصفون لله شركاء وتتكلمون عليه بالباطل.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج: [01-10]

1- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾: خطاب عام لكل الخلق. ﴿**اتَّقُوا رَبَّكُمْ**﴾: لتروا حقائق الأمور، ليس ثمَّة إنسان في العالم، بأي صقع وزمان إلَّا وجعل تعالى له فكراً، فبأية لغة كنت تتكلَّم بها وفكَّرت اهتديت للمربي. ﴿**اتَّقُوا رَبَّكُمْ**﴾: أي: انظروا بنور ربكم. فالله سبحانه وتعالى يخاطب كافة الناس على اختلاف أجناسهم. التقوى بعد الإيمان، إذ الإيمان لا يحتاج إلى دليل، الدليل موجود في هذا الكون، وكل ما تراه في الكون يعرِّفك بأنه لا إلَه إلّا الله، وملَك يناديك دوماً، إن صرت مؤمناً فتّح عينك بنور الله ترى الخير خيراً، والشر شراً. ولو لم يرشدك أحد فإنك تشاهد كل شيء أمامك، مع ذلك أرسل لك كتاباً. إن صارت لك التقوى عندها تشاهد فتجد القرآن ذكرى لك، وكل من حدَّثك عن أوامر الله تقول له: حق، لشهودك الحق... فالله تعالى علمه كامل. سيدنا لوط عليه السلام بإقباله على الله نال علماً وأخذ يحكم بناءً على علم ﴿**آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾[1]. وحتى لو لم يقرأ العبد الكتاب إذا آمن بالله واتقى فإنه يحصل له نور يرى به الحقائق فلا يضلُّه أحد بعدها، إذ إنه على بصيرة، عندها كل من يحدّثه بالحق فإنه يصدقه، وإنه ليميّز الحديث الباطل من الصحيح، يميّز الحق بما انطبع في نفسه من الحق ﴿**إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ**﴾: قريبة جداً، شدة ساعة البلاء العظيم تزلزل النفوس، الأرض تتمايل ووراء هذا ﴿**شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾: أمر عظيم جداً، ستأتي ساعة تحصل فيها زلازل وخطر عظيم، فإن لم تحصل لك التقوى سيقع عليك يومها بلاء عظيم، فالله يطلب منّا أن نرى بنوره الخير خيراً والشر شراً، وإلَّا خسرنا الدنيا والآخرة. والله قد أعطاك أهلية كاملة "بالفكر تصل لكل شيء" فتوصَّل بهذا الفكر للحقائق، لمعرفة الله.

2- ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا**﴾: حين تأتيكم هذه الزلزلة، الساعة. ﴿**تَذْهَلُ**﴾: لهولها ﴿**كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ**﴾: كم عند الوالدة على ولدها من عطف، لكن ساعتها تذهل عنه، فالأم رغم كل حنان لديها تلقيه. ﴿**وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا**﴾: كل نفس تنسى شهواتها ومآربها، كل شاغل تتركه لهول ما ترى، فكل إنسان ينسى كل ما هو مشغول به، وكل مشاغلك تتركها وما أكثر ما في الدنيا من أشياء تحملها النفس. ﴿**وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى**﴾: من شدة الفزع مشدوهين غائبين، الهول ينسيهم كل شيء. ﴿**وَمَا هُمْ بِسُكَارَى**﴾: ما شربوا خمراً، لكن العذاب أسكرهم وشغلهم عن كل شيء ﴿**وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾: إذا كان الله تعالى يصف هذا اليوم وعذابه بالشدَّة، فكيف هو يا ترى؟ كل هذا الشيء وهوله وتحذير القرآن والرسول من هذه الساعة:

3- ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾: يجادل في أن الله بيده سير هذا العالم، وينسب الفعل لغير الله. إذن لِمَ هذه الساعة وما فيها؟ ذلك لأنَّ الناس منكرون تسيير الله، فرغم هذا الإنذار يجادل ولا يعبأ، يقول: إنَّ كل شيء بيد الله؟ ﴿**وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ**﴾: متمرد، وقد تعهَّد بأن يُضلّ كل من اتبعه.

4- ﴿**كُتِبَ عَلَيْهِ**﴾: على هذا الشيطان، لمّا أعرض عن الله واشتهى النيَّة الخبيثة. كتب في نفسه ما كُتب. ﴿**أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ**﴾: قانون مسطَّر، لا تتبعوه، هذا الشيطان تعهَّد وكتب عليه أنه من اتَّبعه ﴿**فَأَنَّهُ**

---

[1] سورة الأنبياء – الآية:74.

يُضِلُّهُ﴾: لا بدَّ أن يُضلّ كل من يسير معه، هذا قانون. هو طلب والله أعطاه مطلبه، فهل تتبعونه ولا تسلكون طريق التقوى؟ فالذي يسير مع رسول الله ﷺ يصل للسعادة، إن سرت مع رسول الله ﷺ سعدت دنيا وآخرة، أما مع الشيطان فإنه يُضلّه. **﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾:** كل واحد وعذابه على حسب عمله.

5- **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾:** عامة. **﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾:** الريب هو الخروج من حال إلى حال، يُقال روَّب الحليب فأصبح لبناً. فإن كنتم في ريب أي في شكوك في أقوال المشاهدين الهادين بوصفهم وتحبيبهم ما رأوا مما أعدَّه الله لكم من جنات[2]! وفي شك: **﴿مِنَ الْبَعْثِ﴾:** غداً.

إن ظننت الدنيا هي كل شيء وما صدَّقت بالبعث ارجع لأصلك وانظر به، انظروا مفكرين بأجسامكم كيف تشكلتم وارجعوا إلى أصلها لتعلموا من أين بدايتكم، عندها تستصغرون ذاتكم تجاه ذات الله العظمى التي ترفدكم وترفد العالمين، وبهذا التفكير تتجهون باستعظامٍ لتلك الذات العظمى العليَّة منبع الأنوار والحبور فتسري نفوسكم مستغرقةً ببحار أنوار كمالات تلك الذات العلية، وترون عنايتها بكم حين كنتم في مراحل النمو الصغرى، وكيف أنه سبحانه سخَّر العالمين بما فيها السماوات والأرض كل ذلك لنموك أيها الإنسان، عندها تدرك مبلغ حبِّه سبحانه لك وأنه لم يتخلَّ عنك، فإيَّاك أن تتخلى عن طلبه. **﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾:** ضرب الله مثلاً أباك آدم عليه السلام من أين جاء، وأنت من أين جئت، هذه النطفة ممَّ تولَّدت؟! أكل الأب من الشجرة التي أصلها بذرة فأصبحت شجرة من تراب الأرض؛ أبوك أكل من الثمر الذي خلاصته وأصله من تراب فصار ذلك نطفة. من تراب خلقتك وجعلت لك فكراً وعقلاً، هذا الذي خلقك من تراب أما هو قادر على إعادتك؟ **﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾:** كيف أن التراب تحوَّل لفاكهة، لنطفة، لعلقة. **﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾:** علقت في الرحم. **﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾:** كتلة لحم. **﴿مُخَلَّقَةٍ﴾:** فيها معالم الأعضاء، حسب مراد الله، منها ما يخلق ويحيا. **﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾:** ومنها ما يموت دون كمال خلق. المضغة قسمان: قسم الخلاص وقسم الجنين. **﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾:** كتلة لحم صار منها إنساناً وصار منها الخلاص "المشيمة" والتي منها تحصل التغذية. فمن الذي رتب هذا الترتيب؟! ألا تقول من الذي جعل هذا الشيء؟!: **﴿مُخَلَّقَةٍ﴾:** إنسان. **﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾:** ليس كما تريدون، حسب هواكم؟

﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾: من نريد أن نحييه. **﴿مَا نَشَاءُ﴾:** ذكراً أو أنثى. فهل تستطيع أنت أن تقرر وضع ابنك قبل ولادته ذكراً أم أنثى؟!: **﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾:** في بطن أمك. كلٌّ وله أجل... **﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾:** تتكاملون ثم تولدون. فإن كان بإمكانك النجاح وبلوغ أعلى الرتب وأحببت السمو اللانهائي أدام سبحانه إمداده نحوك، وإن كنت لا تستطيع الفوز والنجاح بسبب أن كسب إقبالك عليه سبحانه غير كاف، وأنك إن بقيت بهذه الدنيا ستقع بما يسوؤك أوقف نموك وقبل قبولك للتكليف ومنحك رتبة الولدان المخلَّدين بالنعيم الدائم، وأبدلك بجمال كأنك اللؤلؤ المنثور بسبب هذا القبول ولو لم تلجه وتسلكه وتبلغه.

---

[2] فرسول الله ﷺ والمرشدون الصادقون من بعده يتكلّمون للناس ويبشرونهم وينذرونهم وكل كلامهم عن شهود قلبي يقيني يصفون الجنّة وما فيها من عطاءات ويحببون الناس بها ويرغبونهم سلوك السبيل الموصل لها عن بصيرةٍ وحقيقة حاضرة، وكذا يصفون النار وشديد حريقها وينذرونهم من سلوك مسلكها.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾: تصبح رجلاً ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾: قبل هذا، قبل الشيخوخة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: مسن. يصبح خرفاً لا يدري ما فعل بالأمس القريب ولا يدري ما تعلّم[3]، غير أن المؤمن حينما يكبر برغم نسيانه فإن رؤيته للحق تعرّفه بالأمر حين رؤيته لأول مرّة ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: ما نشأ عليه في صغره بقي عليه في كبره، يصيبه الخَرَف: الضعف الذهني فلا يعود يتعلم شيئاً سوى ما تعلَّمه في نشأته، لذا على المرء أن يتلافى أمره في شبابه، أما المؤمن الذي صار له علم بالله فإنه لا يضيّع ولو تقدَّم بالسن، ولو ضعف تفكيره فإنه يبقى عقله.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: انظر إلى الأرض الجرداء كيف هي ساكنة، مفلسة هادئة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: دبَّت فيها الحياة ﴿وَرَبَتْ﴾: تربو، يربو التراب، نمت وأظهرت ما فيها، فكِّر بهذه الترتيبات.

إذا نزل عليها الماء سرعان ما يحييها الله سبحانه ويكسوها بماء حياتها، الماء، الذوبان بحب الله فبه الطراوة والليونة والانسياب والخيرات والازدهار والثمرات، فيه السجود، فالانسياب الذي في الماء نتيجة سجوده النفسي، نظَّمه الله لنا وشكَّله على هذا الحال لنفكر ونوجِّه نفوسنا لبارئها ونستعظم، فنشتهي الخير ونقبل عليه سبحانه ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: هيجان وبها الورود، من الذي فعل هذا؟ من أنزل المطر؟ من سلَّط أشعة الشمس؟ انظر في الكون، من يربيك ويسقيك؟ هل جئت إلى الدنيا جزافاً؟ أم لك رب ربَّاك وعُني بك حتى صرت إنساناً؟ وما زال دائم العناية بك! ألا تفكِّر كي تعرف خالقك ومربيك؟

6- ﴿ذَلِكَ﴾: يدلُّك إن فكَّرت به حقّاً عرفت وتبيَّن لك: ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: كل ذلك يدلُّك أيها الإنسان بأن فعل الله حق، أفعاله حق. مدبّر الكون كله هو الرب القدير السميع العليم البصير، أفلا تسمع كلامه! أتترك دلالة الله وتتبع دلالة الشيطان الذي تعهَّد بأذاك؟! فمن لا يفكِّر مهما قرأ فلن يستفيد شيئاً، لأن ذلك كله شيء فكري، لا بدَّ من العقل، فكِّر حتى تعقل، إلى أن يحصل لك علم بلا إلّه إلَّا الله. لمَ خلق الكون؟ وما هذه التدبيرات؟ ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾: سيُحيينا مرة ثانية عند البعث، الآن بهذه الدنيا يحيي الله المخلوقات وهذا جارٍ بالمحسوس الملموس ونراه أمام أعيننا، فهذه الكائنات من أشجار وأثمار وبنين وبنات... كانت بالخفاء والعدم، فمن أوجدها وأظهرها؟! ومن كساها وأحياها؟! وأنت أيها الإنسان جزء من هذا الكون ومشمول بنظامه، فإن اختفيت بالموت فسيظهرك مظهر الكائنات مرة ثانية وسيحييك كما أحياها، وهذا هو القانون الساري والجاري، فظنُّك أيها المعرض عن ربك بعدم الظهور ثانية، وإنكارك البعث هو شذوذ عن النظام الكوني، وإنكار البعث لا أصل له ولا دليل منطقي عليه. ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أمدَّ سبحانه ويمدُّ المخلوقات بالقدرة بمقدار، وأعطى كلاً حقه بما يناسبه ويلزمه ويستحقه وسيعطيك بمقدار، سيعطي كلاً بمقدار ما عمل من خير وشر. فالدنيا ليست للعب واللهو، الدنيا ليعمل الإنسان الإحسان فيلقى ربه بوجه أبيض ويدخل الجنان.

7- عندها إن فكَّرت تؤمن: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾: الموت، ساعة العذاب والهول. ﴿آَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: لا بدَّ منها، إن فكَّرت بأصلك وآمنت أقررت بالساعة أنها حق، إن فكَّرت بهذا صدَّقت بالساعة، وأن الله سيمحو الكفر من الأرض ويتبيّن لك: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾: وكذلك يوم القيامة وحين ينتشر الناس.

---

[3] حيث الإنسان عندما يكبر بالعمر وتضعف آلية التفكير لديه وتضعف الذاكرة فلا يبقى له إلا ما تعلمه في صغره وشبابه وكذا ذاكرته القريبة تضعف كثيراً ولا يبقى له إلا ذاكرته البعيدة في سن الصغر والشباب، ومن الصعب جداً أن يتعلَّم شيئاً جديداً في كبره ولو حاول وكرَّر فسوف ينساه ولا يدريه.

فائدة:

ليس هناك أعظم من اليقين بالموت، وطوبى لمن مارس على تذكير نفسه من عالم القبور ومشاهدة بعض من ينزل منازله، وبهذا تتهيأ نفسه للقاء ربها، وفي لحظة غير متوقعة تسري نفسه عن طريق عالم القبور، تسري إلى الآخرة وتشاهدها وتوقن بها وتبدأ بالعمل لها.

مع كل هذا البيان لا تفكِّر!

8 - **﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾:** لا مانع من النسيان، ولكن الإهمال والإصرار على الباطل بعد التذكرة فهنا تكمن المسؤولية المبنية على فطرة الكمال. **﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾:** بعد هذا البيان، يجادل الإنسان وهو لا يرى أن الأمور بيد الله، هذا لم يستفد من فكره، ويجادل المشاهدين المتصلين بالله بنيَّة الفتنة. **﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾:** لم ينظر متأمِّلاً ويفكر مستعظماً الحقيقة: **﴿وَلَا هُدًى﴾:** من الذين أقامهم الله وأرسلهم لهدايته بنورهم: **﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾:** ما ارتبطت نفسه بنفسٍ مشرقةٍ بأنوار ربِّها لكي تنطبع فيها الحقائق، لم يفكِّر ولم ينظر، ويجادل! بل يقول: الله أراد لي الشر دون أن يفكِّر، يكتب عليك على حسب اختيارك، الشيطان طلب؛ قال: أَنظِرني إلى يوم يبعثون، فكتب عليه أنه من تولاّه فإنه يضلُّه ويهديه إلى عذاب السعير.

فكِّر، أقبل، تطهر نفسك عندها تتطلب الخير فتُعطاه.

9- زيادة على ضلاله يدعو الناس للضلال **﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾:** ينعطف ثانية. **﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾:** الأمر الثاني معطوف عليه أيضاً ليضل الناس، لا يكتفي أن يقع هو في الإثم بل يحمل وزراً آخر، فهو لا يكفيه ضلاله بل يسعى ليضلّ غيره، إذ أن المنحط يتمنَّى أن يكون كلُّ الناس مثله **﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾:** سيعود عليه عمله بالخزي وسيُخزي، إذ لا يموت حتى تنكشف حقيقته. فمن رحمة الله بهذا المعرض الخاسر لمقامه العالي في سبيل دنيا ألا يتركه، بل ينبهه لعلَّه يستيقظ، فيرسل عليه العلاجات المخزية لعله يتوب فَيَكُفُّ عن معارضة الحق وإيذاء الخلق. **﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾:** إذ سيعود عليه عمله، يتراءى له فيحرقه ويلذعه بنفسه بما لا يطيق، فيحتاج للتخلُّص منه لعذاب النار.

10- يُقال له يومها، أيها الإنسان: **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾:** أنت جررت هذا بيدك لنفسك "من خير وشر"، كلٌّ وعمله، الله تعالى مطلق، لكن أسماءه تعالى كلها حسنى **﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾:** حاشا لله أن يخلق أحداً للجنة وآخر للنار، فالظن السوء بالله مهلك صاحبه، فما ظلم الله تعالى أحداً.

سورة الحج: [11-20]

11- **﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾:** ممن له عقيدة فقط من دون إيمان. **﴿مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ﴾:** يطيعه لمأرب من مآرب الدنيا. **﴿عَلَى حَرْفٍ﴾:** اعتقاد فقط، ما عنده إيمان ولا تقوى. **﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾:** فإن أتاه الخير هدأت نفسه إليه ولم يشكر الله على ذلك لظنّه أن ذلك من جهده. **﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾:** الله تعالى خبير بالإنسان، لا يُدخل امرأً الجنة حتى ينظِّفه من كل خبث. **﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾:** تحوَّل **﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾:** لكنه رغم وظيفته ودنياه مهموم معذَّب، والآخرة تضيع عنه. لذلك على المرء ألا يمشي بالاعتقاد **﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾:** وهكذا كل معتقد من دون إيمان مهدَّد بالكفر والانقلاب. فإذا فكَّرت فآمنت عرفت حنان الله وعطفه فيما يسوقه لك حتى المصيبة تشكره عليها. الاعتقاد يزول، الإيمان يكون بالذوق والشهود، يبدأ بالتفكير. فالله خلق لك الكون ضمن أنظمة لتفكِّر وتهتدي إلى الإيمان.

12- ﴿**يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: يدعو مخلوقاً ليس بيده شيء. الصنم لا يضر ولا ينفع، والآن الناس تعبد الصنم الكبير وهو الكرة الأرضية[4] ظناً منهم أن الخير فيها، وهي إن لم يمدها الله لا تعطي شيئاً ولا تضر ولا تنفع، فلا يوجد غير الله، هو سبحانه المعطي. ﴿**مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ**﴾: يدعو الناس أو أشياء أُخرى، يظن أن لها حولاً وقوة ونفعاً وضرراً مع أن الحول لله وحده. يترك الله ويلحق شخصاً مثله لا يضرُّ ولا ينفع. ﴿**ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾: عن السعادة، فهو محروم من السعادة.

13- ﴿**يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ**﴾: ضرر ذلك الذي يدعوه أكبر لكونه يجعله يعرض عن الله؛ حيث صار بهذه الدعوة شرك، يشرك الإنسان بربه، وبهذا الشرك تنحجب نفسه عن الله وتعرض عنه سبحانه لَمَّا تتوجه للمخلوق، وهنا يحدث الضرر على النفس وينعكس ذلك على الجسم. إذا دلَّه دلالة وطبّقها جاءه منها شر بدلاً من المنفعة، فلا نفع منه. ﴿**لَبِئْسَ الْمَوْلَى**﴾: ما تولاه: ﴿**وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ**﴾: ومن عاشره وصاحبه. هذا العشير يمنُّ عليه بالأكل والشراب والمال، وهذا يعود عليه بالذل والبؤس، هذا الاتّباع يعود عليه بالبؤس لأنه تولى المخلوق بدل الخالق، إن أصابتك مصيبة اصبر عليها، إذ أخرج لك ما في نفسك وسيسوق لك الخير.

14- ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: فلو أنه آمن لعامله الله كما يعامل المؤمنين. ﴿**جَنَّاتٍ**﴾: يُدخله من جنّة إلى جنة وهكذا ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾: إرادة الله: حصول النعيم لهذا الإنسان، يريد الرحمة بالناس والخير لهم، لا يريد لعباده وللخلق إلَّا الخير، للسعادة خلقك.

15- ﴿**مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ**﴾: أن لن يعطيه من فضله والهدى والخير، الكون كله يشهد عكس هذا الظن، فهل كفَّ التسيير الخيّر؟! هل توقف الإمداد؟! كلُّ شيءٍ شَاهدُ عدلٍ وصدقٍ على أن الله سبحانه لا ينساه، ولكن المسائل العارضة لمكانته، المصرّ عليها، ستعود عليه بالخسران والنيران، لذلك فالعذاب الأدنى في الدنيا من مصائب وأمراض وفقر وغيرها رحمةٌ من الله تعالى بهذا المعرض ووقايةٌ له من الهلاك، فالله سبحانه غير ما يحتسب هذا المعرض. ﴿**فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ**﴾: إن كان هذا ظنه ﴿**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ**﴾: فليعمل عملاً عالياً، صالحاً سامياً، ليفعل الخير، المعروف. ﴿**ثُمَّ لِيَقْطَعْ**﴾: المنكرات، ليقطع نفسه عن الشرّ والأذى، يترك الأعمال المنحطَّة. ﴿**فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ**﴾: ما هو مغتاظ منه وهو عدم النصر. هذا التدبير الذي فعله والذي دبَّره الله لك من العمل العالي وتَرْكِ المنكر والسير الطيّب ألا يُذهب ما يغيظك، ألا يخلِّصك من المكروه؟ طبّقه، اعمل بهذا وانظر النتائج؛ ستخلص منه وسيحلُّ محله الاطمئنان والأمان والحنان والجنان. إذن تدبيره وسيره الطيب، ألا يذهب ما يغيظه؟ أنت اعمل بهذا وانظر ألا يفرّج الله عنك، سِرْ بهذا الطريق وانظر، ألا تسعد؟ أنت تقول لمَ يسوق لي الشدائد؟ تصوَّر أباً له ابن مريض، أفلا يداويه؟ ربك صاحب حنان عليك وأنت إن مرضت نفسك، ألا يداويك؟! أم يتركك! من كان مستيئساً ظاناً أن الله لا يخلصه من المصائب التي حلت به في الدنيا ولا يخلِّصه في الآخرة من نتائج أعماله، فليعمل أعمالاً توصله للأشياء العالية، ثم ليترك ويقطع نفسه عن الأشياء المنحطة، ثم لينظر بعد توبته ورجوعه، ألا يذهبُ تدبير الله ما كان يغيظه ويؤلمه؟! أي من أراد أن يصل إلى خيريِ الدنيا والآخرة، فليعمل وليفادي بإحسان ما ويقطع عن نفسه الشرور والآثام ثم لينظر كيف أن الله يعامله بمنتهى الإحسان ويسبغ عليه نعمته.

---

[4] فالذي لا يرى أن الخير والنعم والفضل كله من الله هذا يرى أن الأرض هي التي تُنبت الخيرات وتجود بالمحاصيل والنعم كلها... ولا تلتفت نفسه لمصدر الخير والنعم لله تعالى.

16- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾: حتى لا تقعوا بالفتن، دلَّك حتى تهتدي، لتستدل على لا إلّه إلّا الله ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: كل هذا القرآن قوانين ظاهرة لك، وآيات دالَّة على لا إلّه إلّا الله، وأن المسألة بيد الله وأنه تعالى حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾: إليها ﴿مَنْ يُرِيدُ﴾: الهدى، كل من أراد هداه، كل من سلك هذا الطريق استدل. أعطاك الخيار، كل من أراد الهدى هداه. الإنسان مسيَّر لا فعل له إذ الفعَّال هو الله، لكنه مخيَّر. على حسب اختيارك يعطيك. اصدق بالطلب، اطلب الهداية يهدِكَ، علامة الصدق بالطلب العمل والسعي. فمن يريد أن يكون طبيباً يسعى ويجتهد لا بالأماني.

17- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بالخالق. بوجود خالق ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: اليهود. ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: تركوا اليهودية وصاروا عبَّاد الشمس والنجوم. ﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾: نصروا عيسى عليه السلام ثم أشركوا بالله. ﴿وَالْمَجُوسَ﴾: عبَّاد النار. ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: كل هؤلاء سواء، لا يكفي الاعتقاد. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: كل إنسان وعمله، كلٌّ يعطيه حقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من عملك. ﴿شَهِيدٌ﴾: لا تخفى على الله خافية.

18- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: إلى الآن وأنت لم تشاهد هذا الإمداد؟ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾: كل مخلوق يستمد مفتقراً الحياة من الله ويستمد منه وجوده. ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: ألا تحتاج الكائنات لإمداد حتى تعيش؟ ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾: أما نظرت، أما فكَّرت؟! شجرة أتنبت دون أن ينزّل الله لها الأمطار؟ هذه الشمس من أين تستمد النور؟ من أين تستمد هذه المخلوقات؟ ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾: عرفوا ذلك بإقبالهم على ربهم. فكروا، استدلوا، فوجدوا كلَّ ما في الكون يستمدُّ من الله، عرفوا ذلك فصاروا مؤمنين، إذ عرفوا أن الكلَّ يستمد من الله تعالى، لقد فكَّروا، عقلوا، فعرفوا أن السير بيد الله وحده. ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: لم يهتدوا ولم يعرفوا، لحقوا الدنيا وما عرفوا شيئاً عن الله، ما استدلوا بل ساروا مع الشيطان، هؤلاء ما فكَّروا، ما نظروا، صاروا كفاراً، فالله أعطاك هذا الفكر لتستدل به. ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾: إذا ابتعدت عن الله ستُهان، الكمال من الله، والإنسان كالمرآة، حسب وجهته ينطبع فيه. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾: من يكرمه؟: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: يفعل ما يشاء مما فيه خير الإنسان، لهذا المقبل ولذاك المعرض. مشيئته تقتضي الخير لكافة عباده.

19- ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾: أحدهم اتَّبع والآخر أنكر، مؤمن وكافر. الأول يقول: الله هو المربي، الثاني ينكر. فالذي اهتدى والذي كفر خصمان: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كل أعمالهم صارت منحطة: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾: يشعرون بأن لباساً من نار يلبسونه لما في نفوسهم، الكافر عندما يرى بعده عن الله، سفالته، إنكاره، يصبح كأنه لابسٌ ثوباً من نار من ألمه النفسي، عندها الله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: يصب الزفت المغلي المصهور عليه، الماء الساخن ليخلص من الثوب من النار.

20- ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾: يسكِّن به ما في نفوسهم، فيذوب ما في نفسه من شهوات ومن العار. ﴿وَالْجُلُودُ﴾: كذلك تصهر الجلود، تحترق، فالماء الساخن ليسكِّن عنه ألمه النفسي. الكافر يقع العذاب على جسده لتتألم نفسه، والمؤمن نعيمه نفسي والجسد محمول[5].

سورة الحج: [21-30]

[5] يوم القيامة: الجسد محمول بالنفس فالنفس تحيط به يوم القيامة ويغدو محمولاً بها. لطفاً انظر كتاب تأويل الأمين، للعلّامة الجليل محمد أمين شيخو.

21- ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ﴾: تقمعهم لئلا يخرجوا. الشيء الذي بنفسه يقمعه من الخروج تبقى نفوسهم مقيّدة. ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾: شديدة.

22- ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: من النار. ﴿مِنْ غَمٍّ﴾: من شدة الغم فيها، سبب غمّه من عمله. ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: يعاد إليها. بسبب ما في نفوسهم من ألم... ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: لتطهير نفوسهم من لهيب النيران.

23- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: الإيمان شرط ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾: بثياب حسنة يُحلَّى، يُزيَّن. ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾: ممَّا يسرُّه ما تُسرّ به نفوسهم. أعماله التي قام بها في الدنيا تسرُّه فيقبل على الله. ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾: مما ذهب من عمله، ومما ذهب عنهم من السيئات. ما ذهب في دنياهم من خيرات. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾: عمله يتلألأ أمامه، تتلألأ بها نفوسهم ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: محرر من كل كدر. حُرٌّ من كل نغص، خالص من كل ما يكدره، ما فيه نغص قط، دوماً بتحرر وانطلاق، السبب أنهم في الدنيا:

24- ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: استمعوا إلى كلام الحق، كلام الله ونصحه في الدنيا، كانوا قد سلكوا أحسن الطرق وتكلموا بالحق، سمعوا كلام الله، نصيحة الله، إذ سمع الدلالة عن التفكير، طبَّق هذه الدلالة التي تطيب بها نفسه. ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾: الذي يوصلهم إلى الله. الذي يُحمدون عليه، حسنت أعمالهم فيَحمدون الله على هدْيه إياهم إليه. لما سمعوا كلام الله وصلوا إلى الطريق المستقيم، إلى صراط الله الذي يُحمد على كل شيء.

25- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: نكروا عظمة الله، فضل الله. ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن الحق، عن معرفة لا إلّه إلّا الله. ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أيضاً يصدونهم عنه ويمنعون منه. ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا}[6]. ﴿سَوَاءً﴾: مكة قانون عام لجميع الخلق، للناس كافّة. الإيمان تستدلُّ عليه بالكون. التقوى: تحتاج لرابطة مع إمام تدخل معه على الله، مركز الإمام وسط الكعبة. تدخل مع الإمام على الله فتهتدي. بالصلاة تقول: اهدنا بصيغة الجمع، فمع من تتكلَّم؟ ثم تسمع كلمة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، هل هذا الخطاب لك؟ هو لرسول الله ﷺ يقول لك.

الكعبة موضع الإمام تقتدي به بالوجهة إليها. اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم بهذا المكان. التقوى تحتاج لإمام تدخل معه على الله... ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ﴾: الموجود في مكة، القريب منه. ﴿وَالْبَادِ﴾: البعيد في بلاد أُخرى. للبعيد وللقريب ولكل إنسان مهما كانت صفته، يتَّجهان منها مع الإمام. من حيثما اتجهت نحوه وصلت إليه. ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾: أن يغيِّر الغاية من البيت، يغيِّر معانيه، ما وضع من أجله. ﴿بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: المسجد للعبادة. قريش صدَّت المؤمنين عنه فأذلَّها الله تعالى ونصر رسوله ﷺ.

26- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: أن تكون نفسه دائماً مقبلة من هذا البيت إماماً. عرَّفناه قدر هذا البيت. جعلناه إماماً، عهدنا له بالإمامية، أعطيناه هذا المقام، هذه هي الشفاعة. ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي﴾: بمحبتي. ﴿شَيْئًا﴾: حبّه لسيدنا إسماعيل، لا تجعل في قلبك حبّاً لغيري. ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾: طهّر نفسك، قلبك طهّره مما سواي، إذ سيرتبطون بك، نفسك اجعلها دوماً معي لا تجعل فيها سواي. ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: من بعيد، للبعيدين، مؤمن مبتدئ يحوم حول الإمام ليدخل معه. ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾: الذين هم

---

[6] سورة آل عمران – الآية:96.

معك في البيت، المؤمن ضمنَ البيت قائم دخل مع الإمام، هؤلاء أصبحوا مرشدين يوصلون الناس بالله. ﴿**وَالرُّكَّعِ**﴾: خضعوا، استسلموا، صاروا بحضرة الله وصارت لهم خشية وتعظيم. ﴿**السُّجُودِ**﴾: طالبين العطاء والفضل من الله، طالبين فضل الله، فكل من ارتبط بك دخل معك علينا. القرآن والحديث الشريف يُفهمان عندما يصبح المرء من أهل التقوى.

27- ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾: أعلن وبيّن لهم، بيّن للناس عن الحج وفوائده ومنافعه، بيّن للناس عدة الحج ومناسكه، إن جاؤوا وحصلت لهم التقوى صاروا أصحاب شهود ومعرفة يُقيمون الحجَّة على الشيطان. ﴿**يَأْتُوكَ رِجَالًا**﴾: مشاة. ﴿**وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ**﴾: راكبين. البعيد يؤذن له بالركوب ﴿**يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾: بمعيَّة الإمام القلبية.

28- ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾: ليتقربوا إلى الله ويشهدوا الخير الذي سيصيبهم من فعلهم للخير، يرون بنور الله، فيشهدون ما في المناسك من الخير لهم، إن حجَّ الإنسان حقّاً فتَّح، فما كان لشيطان ولا لنفسه أن تغشّه. ﴿**مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾: الطريق الموصل للسعادة. منافع لآخرتهم لنفوسهم، لأن هذه هي الباقية الدائمة، أما منافع الدنيا فهي زائلة. ﴿**وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ**﴾: بذبح الأضحيات، عند الذبح. التسمية والتكبير قبل ذبح الأنعام. ﴿**فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ**﴾: أيام العيد يذبح. ﴿**عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ**﴾: بائس بسبب فقره، أهل مكة يعتمدون على مواسم الحج فلا زراعة عندهم وبلادهم حارة وحالتهم صعبة فيها فقر وبؤس وهم يخدمون الحجاج. فالذبائح لهم، والله سبحانه سمح للحاج أن يأكل من الذبيحة حتى لا ينشغل أثناء حجه بالتفتيش عن الطعام "أي للتسهيل".

29- ﴿**ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ**﴾: يحل من إحرامه بعد أن حج وفتَّحت عينه. كان في العمرة لا يحلق ولا يقصُّ أظافره تضييقاً على النفس لتترك الدنيا وليخرجوا ما في نفوسهم من أدران، الآن بعد أن صار له الحج، المعرفة، ليفك الإحرام، فليغتسل وليتحلل، يحلق، يقص شعره، يمكنهم قص أظافرهم... إذ وصل لمطلوبه، هؤلاء نالوا التقوى، صارت نفوسهم بالجنات والدنيا أصبحت تافهة لا قيمة لها بقلوبهم، ولو ظلوا على الإحرام كل حياتهم لا يهمهم، لكن الله أمرهم ليفكوا الإحرام من أجل غيرهم لأنهم أصبحوا هداة للخلق. ﴿**وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ**﴾: نذر مخالفة الشيطان، ولن يخالف أمر الله أبداً. ﴿**وَلْيَطَّوَّفُوا**﴾: شكراً لله على ما أعطاهم من فضل ﴿**بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾: الكعبة هي البيت الذي أوجده تعالى مع الإنسان ليعتق من النار. ﴿**بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾: الذي به عُتِقَت نفسه من النار، "ومعتقاً من الشيطان": وسمي أبو بكر الصديق بالعتيق.

30- ﴿**ذَلِكَ**﴾: هذه الدلالة. ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ**﴾: يطبِّق العمرة بالتمام، يعظم ما حرّمه الله وما أحلّه. ينظر لأوامر الله بعين الإكبار. اصدق بتطبيق هذه الدلالة، كل شيء تسمعه طبّقه بقوة. ﴿**فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾: العائد عليه ولسعادته. الغاية سعادة الإنسان. إخراج هذه الجيفة من نفسك، خلع الدنيا. ﴿**وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾: المنخنقة، المتردّية، الميتة وما بيّنه الله في الكتاب، ما يجب ألا يذبح أو يُصاد. ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ**﴾: عندها تستطيع أن تميز الحديث الصحيح من الخطأ، لأن الذي يدسُّ الحديث تكون نيته فيها رجس وأوثان لتحويل الناس عن الله والرسول. كل دلالة غير دلالة الله فهي أذى عليك، والعقائد الفاسدة من اعتبارات الجاهلية. ﴿**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾: القول المبعد عن الحق. كل كلام غير كلام الله لا تقبله فهو لا أصل له، لا تقل إلا الحق.

سورة الحج: [31-40]

31- ﴿**حُنَفَاءَ لِلَّهِ**﴾: ميَّالين بالمحبة والحنين إليه تعالى. ﴿**غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ**﴾: غيرَ جاعلين لغير الله حولاً وقوة. غير كلام الله لا تسمع، هو وحده الفاعل لكن على حسب ما في نفسك تنال، طلب منك التقوى لترى ما في الأمور، تريَّث وانظر بنور الله لا تستعجل الأمور، إن رأيت طلبت الخير. وكل إنسان لا يريد لنفسه إلا الخير. لو رأى البعيد عن الله ما في عمله من الأذى لما فعله لكنه يحسبه خيراً. إن آمنت بالله حقاً حُفظت من المحارم قبل الوصول للتقوى، لأن المؤمن حقّاً يرى السير بيد الله، يده بالله.

﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ**﴾: من يسمع غير دلالة الله. ﴿**فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ**﴾: سقط وتفتت فأخذ كل طير قطعة منه، وقع من السماء فتقطَّع فجاءت الطير تتخاطفه، ما أصعب ألم هذا المخالف؟ هذا الشخص ألمه أصعب عند موته. ﴿**فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ**﴾: عند الموت يتقطع قطعاً صغيرة، هذا حاله عند الموت كأنه سقط من السماء وتقطَّع إرباً إرباً وتخطفته الطير... كم يأخذ الطير! ما أصغر ذلك! هذا حال المشرك عند موته نفسه تتقطع وتتمزَّق ﴿**أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾: يسحق سحقاً بعد موته وهو يتألم، هوى فتقطَّع قِطعاً قِطعاً فيُسحق سحقاً، هذا عند خروج روحه. فهل هذه الدنيا بما فيها توازي لحظة من تلك اللحظات؟ الذي خلقك يخبرك هذا الإخبار، ألا تصدِّقه؟

32- ﴿**ذَلِكَ**﴾: هذا البيان اعرفه. ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ**﴾: الشعائر، الأحوال وكل ما يُشعر بوجود الله، كالتفكير بآيات الله والأعمال التي تولد الشعور بالقرب فيحصل له إقبال على الله، بإقباله يحظى وينال شعوراً بلذَّة، بسرور. إذا صلّى الإنسان فيشعر بنعيم القرب. حصل له تعظيم لله، هذا الشعور وهذه اللذة تدلّك على التقوى: ﴿**فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾: نفسه وصلت وشعرت ولمَّا يشاهد بعد. هذه الأحوال التي توصل للتقوى إذا الإنسان استمر وظلَّ سالكاً في هذا الطريق.

33- ﴿**لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ**﴾: بهذه الشعائر والذبح وهذا الشيء الذي تقومون به من العمل الموصل للذوق وهذا السرور والشعور يوصلك للكمال. ﴿**إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾: فتبحث عن أهل الكمال فتجدهم في البيت العتيق. ﴿**ثُمَّ مَحِلُّهَا**﴾: التقوى. ﴿**إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾: تصل بكم إلى الصلاة الصحيحة في الكعبة، نفسك تقبل على الله من البيت العتيق فتحصل لك التقوى.

34- ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا**﴾: منهجاً ومسلكاً، كل أمة رتَّبنا لها ترتيباً، مكاناً للذبح، طريقاً للذبح بذكر اسم الله، فلا يأكلون الذبيحة دون ذكر اسم الله. ﴿**لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ**﴾: بذكر اسم الله تطهر الذبيحة من الجرثوم[7]. ﴿**فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾: المسيِّر المطاع واحد، كل هذا الترتيب هو ترتيب الله لكل الأمم. كلنا إلهنا واحد ﴿**فَلَهُ أَسْلِمُوا**﴾: استسلموا إليه. ﴿**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ**﴾: الذين تسكن نفوسهم لذكر الله، الخاضعين لأمر الله والذي يبيت حبُّ الله ورسوله ﷺ في قلوبهم. وما وقر في نفوسهم من جلال أسماء الله القدسية الحسنى، قطعوا المنكر بالكلية وهجروه بسبب هجرتهم إلى الله بمعية رسولهم فكانوا من المهاجرين، وهذا يتم في كل زمان.

35- ﴿**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾: خضعت. ﴿**وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ**﴾: إذا جاءته شدّة يصبر لأنها لخيره، إذ يعلم أنه حنان من الله. ﴿**وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ**﴾: يعمل المعروف لتحصل له الصلة ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾: هذه الأعمال مما ينفق من علم أو مال أو جاه، تقيم الصلاة.

36- ﴿**وَالْبُدْنَ**﴾: الضحايا والذبائح، الجمال، الغنمة البدينة عند الذبح تكسب ثقة بنفسك فتقبل على الله، الصدقة الثمينة العظيمة، الفعل العظيم الذي يولِّد الثقة بالنفس أو كل شيء ذو قيمة عند النفس

---

[7] انظر كتاب "الله أكبر رفقاً بالحيوان" للعلّامة محمد أمين شيخو.

﴿**جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾: جعلها لك ليحصل لك شعور برضاء الله، لتذوق من فضل الله وتجلّيه، وكي يحصل لك شوق بهذا الذوق فتبادر وتلازم هذا الإقبال، الشعائر هي التي تجعلك تشعر بالقرب من الله، فعندما تذبحها وتتصدَّق بلحمها تتولَّد لك الثقة بنفسك فتقبل وتصبح قريبة فتشعر، هذا الشعور علامة القرب، علامة الصلاة الصحيحة. فالمؤمن يشكر الله على ما تفضَّل به عليه ﴿**لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ**﴾: عظيم لأنها توصلك للتقوى، بالبدن كثير من الفوائد: لها ثفنات في صدرها ورُكَبها وسنام يساعد على تحميل الأثقال على ظهرها وهي باركة. وفي الإبل صوف وحليب ومنها فائدة كبيرة، فلكم فيها خير عظيم لأنها توصلكم للتقوى. أفلا تشكر الله تعالى على هذا الفضل الإلٓهي، لو فكَّرت وشكرت لفعلت المعروف والإحسان ولأقبلت ولحصل لك الشعور. ﴿**فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ**﴾: عند الذبح لكيلا تتعذب تربط قوائمها وهي قاعدة، وبذكر اسم الله يخرج الدم وما فيه من جرثوم فتصفو من كل أذى، حين ذبحها أقبل على الله واذكر اسمه فتقبل هي معك أيضاً. تعرج نفس الذبيحة عند ذكر الله إلى الله، فعند الذبح بذكر اسم الله تنصفُّ نفسها مع نفسك في الإقبال على الله. ﴿**فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا**﴾: هدأت بعد الذبح، سكنت وما عادت تحرّكت. ﴿**فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ**﴾: الغني غير المحتاج، أعطوا الصديق. قال رسول الله ﷺ: **"تهادوا تحابوا"**[8] ﴿**وَالْمُعْتَرَّ**﴾: الفقير المحتاج الذي ليس لديه شيء، هذه الآية عامة، فالناس في جميع البلاد تذبح الأضاحي في عيد الأضحى ويكون التوزيع أولاً للفقراء ولهم النصف، ثم النصف الآخر لهم وللأصدقاء. "الفقراء يأخذون نصف الذبيحة والنصف الآخر يبقى لأصحاب الذبيحة وأصدقائهم وجوارهم" ﴿**كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ**﴾: سخرها من أجل أن تذبحها وتقبل على الله. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾: على هذا الفضل.

37- ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا**﴾: ليس تعالى بحاجة لذلك، اللحوم للإنسان. ﴿**وَلَا دِمَاؤُهَا**﴾: والدماء لمخلوقات أُخرى نستفيد منها. ﴿**وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ**﴾: هذا ما يريده لكم، أن تقبلوا على الله بهذا العمل الصالح. يريد سعادتك ووصولك للتقوى، فانظر إلى عطفه عليك، فإن دخلت بنفسك على الله وصار لك العشق والميل، صار لك نور ترى به الخير خيراً والشر شراً. كل هذا الفضل تفضَّل به عليك لتستنير فتحصل على سعادة الدنيا والآخرة... ﴿**كَذَلِكَ**﴾: لأجل هذا، للتقوى. ﴿**سَخَّرَهَا لَكُمْ**﴾: سخِّرت من أجل التقوى والإقبال على الله. أرسلك للدنيا لتفعل المعروف، الخير، لتدخل بعملك على الله. ﴿**لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ**﴾: لتعظّموا الله بنفوسكم ﴿**عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾: لتستعظم فضله، وفضله أكبر وأكبر مهما رأيت فهو أكبر وأرحم. ﴿**وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ**﴾: حيث بالإحسان يبيضُّ وجه الإنسان وينال الإقبال على الله.

38- ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: الله يدافع عن المؤمن إن شعر بذلك أو لم يشعر. المؤمن مُؤيَّد، الله تعالى يدافع عنه. فقط سلّم أمرك لله. فالإنسان المؤمن بلا إلٓه إلا الله والذي صار قريباً من حضرة الله إذا أراد كافر أن يحاججه فبالحال يلهمه الله تعالى الجواب الصحيح، يلتجئ إلى الله فيلهمه، إن سأله سائل أوحى له الله الجواب. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ**﴾: خائن لنفسه، خان أكثر من مرة، من لم يحصل على التقوى خائن، يكون خان العهد مع الله. الإنسان عاهد ربه أن يأتي للدنيا ويظل دائم الإقبال، إن نكث بهذا العهد خان، فيكفر ويسوء عمله، لقد عاهد أن يكون صاحب تقوى، جاء للدنيا وأعرض. ﴿**كَفُورٍ**﴾: كلُّ من أنكر نِعَمَ الله. النكران لنعم الله تعالى والخيانة، هذان لا يحبهما الله تعالى لك لأنه سبحانه للسعادة خلقك، فإن خنت ونكرت حرمت نفسك من هذا النعيم والنِّعَم.

---

[8] سنن البيهقي ج 9 رقم /12168/.

39- ﴿أُذِنَ﴾: لأنهم أصبحوا أهلاً للجهاد. ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾: قريش بدأت بالعدوان فأذن الله للمؤمنين بأخذ الحق، إذن المشركون هم بدأوا بالظلم، ولما كان الكفار يقاتلون المؤمنين فقد أذن الآن للمؤمنين بالقتال لأنهم أصبحوا أهلاً لتولِّي شؤون الخلق، صار قتالهم خدمة لغيرهم، إذ صاروا إنسانيين لا يعاملون البشر إلَّا بالإحسان، وقد تولَّد بقلبهم حنان وعطف على خلق الله. **{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}**[9]. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾: لأنهم سائرون بطريق الحق. كل إنسان مهما علا مقامه لو كان عليه حق عند الله مقدار شعرة لأُخذ منه الحق ولقوصص. من هم الذين أُذن لهم وصاروا بهذا المقام؟

40- ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: تركوا ديارهم في سبيل الله ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: لمربي هو الله، هذا هو ذنبهم! أُخرجوا لأنهم قالوا مربينا الله. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾: الصراع بين الحق والباطل، يسوق الكافر على المؤمن ليضيِّق عليه ليرجع إلى الحق، ثم يسوق المؤمن على الكافر لعلّه يؤمن، فهو تعالى يسلِّط هذا على هذا: الكافر على المؤمن، وبهذا يقوم المؤمن لنشر الحق، إن هذا التدافع بين الناس يجعل الهدى ينتشر بينهم، كذلك الحروب في سبيل الله ليهتدي المعرض ويزداد المؤمن هدى. ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾: أماكن يتعبد فيها اليهود، أُعدَّت للخلوات والصوم عن الدنيا، يصوم فيها وهو مع الله بخلوة. ﴿وَبِيَعٌ﴾: باعوا نفوسهم لله. خلوات يبيع نفسه لله، كنائس: أماكن يتعبد فيها النصارى تباع فيها النفس لله فيختلي. ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: لتعطَّلت ولعمَّ الكفر ولزالت سعادة الناس. ﴿وَمَسَاجِدُ﴾: كبيت المقدس "المسجد الأقصى"، الكعبة "المسجد الحرام". ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ﴾: الذي يسير بأمر الله يسير على الحق. ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾: هذا قانون عام، الذي يسير بالحق يؤيِّده الله، وكل سائر على الحق ينصره الله دوماً في أي عصر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: ولا حول ولا قوة إلَّا به سبحانه.

من هم الذين ينصرهم الله؟

سورة الحج: [41-50]

41- ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾: سلَّطناهم وقوَّيناهم. ﴿فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: للخلق، دلُّوا الناس على الله، وصَّلوا النفوس إلى الله، يُمكِّن مثل هؤلاء، هؤلاء هم الذين ينصرهم الله، الذين يعرِّفون الخلق بطريق الصلة بالله ويدلُّون الناس على العمل الموصل للصلاة. ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾: الطهارة، صاروا يطهِّرون غيرهم، يجعلون الناس يصبحون أهل طهارة. ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: هؤلاء حتماً ينصرهم الله. ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: النهاية لله. أنت تنصح وترجع الأمور إلى الله، هو يعطي كلاًّ ما يناسبه.

42- ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾: لا تحزن هذا الشيء جرى قبلك. ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: /950/ سنة. ﴿وَعَادٌ﴾: كذلك كذبوا. ﴿وَثَمُودُ﴾: ما فكَّروا، لا تتأثر. الداعي إلى الحق يُعارض.

43- ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ﴾: النمرود. ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾: ضيّعوا السعادة.

44- ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾: قوم شعيب عليه السلام. ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾: أعطيتهم مُدَّة. لا يأخذ سبحانه الكافر مباشرة بل يطاوله حلماً منه تعالى لعلَّه يعود إلى الحق. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: لمَّا لم

---

[9] سورة البقرة – الآية:191.

يرجعوا. ﴿**فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾: عوْد نكرانهم عليهم، كيف كانت نتائج إنكارهم عليهم؟! إنكار دلالتي، فضلي، نِعَمي، عطفي، ما هي نتائجه عليهم؟

45- ﴿**فَكَأَيِّنْ**﴾: كم وكم. ﴿**مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ**﴾: الله خلق الإنسان للسعادة وهو ظلم نفسه. ﴿**فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**﴾: انظر تَدْمر، بعلبك... ﴿**وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ**﴾: آبارهم أضحت معطلة بهلاك القوم. ﴿**وَقَصْرٍ مَشِيدٍ**﴾: عبرة لأولي الألباب.

46- ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾: ألا يقتضي أن تبحث وتنظر فيمن سبق ماذا حلَّ بهم؟!: ﴿**فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾: أهلُ هذه المدن أين ذهبوا؟ من ردَّ عنهم، وماذا أفادتهم الدنيا، ما نتائجها عليهم؟ ﴿**أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾: كلامك، القرآن يذكِّرهم ألا يسمعون هذه العبر!: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ**﴾: العين ترى لكن نفسه لا تشاهد، والمدار كله على النفس، فهي عندك أمانة أقنعها بالمنطق حتى تعقل. العين ترى ولكن القلب مشغول بحب الدنيا فلا يرى الحقائق. أما الفكر فيشتغل لكن القلب لا يعقل، لأنّه متعلق بالدنيا. ﴿**وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾: فكِّر بالموت لتخلص من الدنيا عندها: يخلو القلب وتعقل النفس، وعندها الفكر عمله مجدٍ ومنتج. السِّتار إن لم ترفعه عن نفسك، تفكيرك كله لا فائدة منه.

47- ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ**﴾: تجرُّؤاً بسبب كبرهم وكفرهم وهذا واقع. ﴿**وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ**﴾: هذا الوعد واقع في اليوم الموعودين به ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾: الله تعالى حليم ورحيم، هذا كناية عن حلمه ومطاولته الإنسان. إن الله يمهل الإنسان لرحمته به فلا يعجل لعذابه، ويطاول الله الإنسان لرحمته بخلقه، حليم عليك.

48- ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا**﴾: كما أمليت لكم. ﴿**وَهِيَ ظَالِمَةٌ**﴾: نفسها: ﴿**ثُمَّ أَخَذْتُهَا**﴾: أما سمعتم بمن سبق؟! فكِّر بمن سبق واعتبر. ﴿**وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾: النتائج، المرجع والمآب إليه سبحانه.

49- ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾: نداء عام: ﴿**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾: أنا أخبركم بما سيأتيكم من شدائد إن شذذتم، هناك آخرة، حساب وعقاب، لا رجعة. الدنيا مدرسة إن اجتهدت سعدت، إن ضيعت خسرت.

50- ﴿**فَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾: شفاء. إذ بإقبالهم على الله يحصل لهم الشفاء ﴿**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾: نقي من الشوائب، لا شائبة فيه، حياة لا نغص معها، سرور دائم... بالصلة مع الله تطهر نفسك فيرفع عنك ما يسوؤك وتأتيك الأشياء العالية.

سورة الحج: [51-60]

51- ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آَيَاتِنَا**﴾: الدالة على الله تعالى... ﴿**مُعَاجِزِينَ**﴾: لردِّ الحق، لإطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون. ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾: لبُّ النار. حظهم غداً النار.

52- ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى**﴾: لا يرسل الله سبحانه الرسول إلَّا إذا تمنى الهداية لما في نفسه من الحنان والرحمة والرأفة بالخلق بسبب إقباله، فالله وصف رسول الله ﷺ بقوله: {**حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**}[10] لولا هذا الطلب والأهلية لما كانت هذه الرسالة لك أيها الرسول. يتمنى الإنسان حين يشتهي، ويشتهي حين يرى، ويرى حين يستنير، ويستنير حين يقبل، ويقبل حين يستقيم، ويستقيم حين يخشى، ويخشى حين يفكِّر في مخلوقات الله. إذا الإنسان أقبل

---

[10] سورة التوبة – الآية:128.

اشتق الرحمة من الله ومن رحمته يتمنى هدايتهم، رسول الله ﷺ تمنى هداية الخلق، صار بقلبه حنان ورحمة على الخلق. من رحمته ﷺ يتمنى هدايتهم ولَمَّا يبدأ ﷺ بهداية الناس يأتي الشيطان فيلقي الوساوس. ﴿**أَلْقَى الشَّيْطَانُ**﴾: يوسوس الشيطان لمن يستمع لقول النبي أو الرسول ليثبطهم عن السير بالحق: ﴿**فِي أُمْنِيَّتِهِ**﴾: أمنية رسول الله ﷺ هي قلب الشخص الذي تمنى هدايته ﴿**فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ**﴾: يثبت ويكتب ما وقر في نفس الشيطان، ينسخ الله تعالى لرسول الله ﷺ ما يلقي الشيطان في قلب الشخص الذي تمنى هدايته، أي يُري الله سبحانه رسوله ﷺ نسخة إلقاءات الشيطان وما وسوس به. ﴿**ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آَيَاتِهِ**﴾: يبين ﷺ بالمنطق بطلان ما ألقى الشيطان في نفوسهم، يبين لهم الحق ويطبعه في نفوسهم، إن ثبتوا وآمنوا، وبهذا تزول الريب ويحل محلها الحق والكمال والتأويل الحق، وبهذا يجعل تعالى مجيء الشيطان خيراً ورحمة، إذ يوقظ المؤمن من غفلته ويثبت الحق في نفسه، فالله سبحانه يُحكم آياته بالنداء الحق في قلب الصادق الطالب للحق. ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**﴾: بصدقك وبالخلق. ﴿**حَكِيمٌ**﴾: يعطي كلاً ما يناسبه، لعلمه بصدق هذا الشخص ينسخ ما يلقي له الشيطان. فالله تعالى يُري رسوله ﷺ نسخةَ إلقاءات الشيطان ليَرُدَّ عليها للمريد الصادق الذي يُريه تعالى الحق بإقباله على الله، نسخة طبق الأصل عمَّا دبَّ الشيطان في نفسه، عندما يتحوَّل هذا الإنسان عما ألقاه الشيطان يزول الحجاب بينه وبين الله، فتنفتح أمامه سُبُل الإقبال، ويشفى بالنور الإلّهي المتوارد على قلبه {**يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**}[11].

53- ﴿**لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً**﴾: ليخرج ما في نفوسهم من خبث ثم يؤمنوا ﴿**لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾: من حب الدنيا، مرضت قلوبهم بحبها، صار الشيطان فتنة لهم لإخراج ما فيهم ﴿**وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾: بكفرهم. الذين لا تلين نفوسهم لذكر الله، عندما يفتن هؤلاء ويقعون في الشر يقاصصهم الله عندها لعلهم ينتهون... والحمد لله رب العالمين، فالشيطان نيَّته خبيثة، لكن الله تعالى يحوِّل ذلك بالخير فيكون هذا الإلقاء سبباً لخروج ما في نفس هذا المريض القلب والبعيد عن الله، القاسي القلب. بعد خروج الخبث من نفسه يكون العلاج والدواء؛ فعمل الشيطان كالمسهِّل يُخرجُ الخبثَ من النفس المريضة، إذن فالنسخ هو التصوير والتثبيت، ليثبُتَ المؤمنُ وينهضَ للحق بالحق، ولتفرغ ساحةُ نفس المعرض الخبيث من خبثها وبعده يمكن العلاج، وما تزال المداواة مستمرَّة حتى الموت. ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾: غير منطقي، يعارضونك دوماً لما في نفوسهم. هذا الأمر لا يعلمه كل الناس:

54- ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾: الذين أقبلوا على الله، الذين صار لهم علم بحنان الله ورحمته. إذا فكَّر الإنسان ببدايته ونهايته وحصل له العلم بلا إلّه إلَّا الله يرى كلام الرسول حقّاً: ﴿**أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾: يعرفون أن مجيء الشيطان خير ورحمة "من الله بهم"، يوقظ المؤمن ويُخرج الخبث من نفس البعيد المعرض. الشيطان عمله كالمسهِّل يُخرج الخبث من النفس المريضة ﴿**فَيُؤْمِنُوا بِهِ**﴾: إن لم يفكِّر الإنسان فحالته صعبة جداً. دوماً مَلَك يناديك: انظر لأصلك، كنت نطفة تشكلت من الثمرة: ﴿**فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ**﴾: تكنُّ له، تهدأ وتطمئن، يستسلمون لله، يرون كل فعله تعالى خير: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: لا بدَّ وأن يهديهم إلى طريق الحق ﴿**إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: فمن يؤمن بلا إلّه إلَّا الله يهديه الله إلى طريق الحق. الكافر لا يرى هذا الشيء، هذا الخير.

55- ﴿**وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: المنكرون الذين ما آمنوا بلا إلّه إلَّا الله. ﴿**فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ**﴾: لا يرون، لا يرى الحق فيه. ﴿**حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ**﴾: الساعة الموعودة. مغطّى عليهم من هذه الرحمة والهداية

---

[11] سورة التوبة – الآية:108.

حتى تأتي الساعة فيعرفوا عندها. ﴿**بَغْتَةً**﴾: لا تأتيكم إلَّا بغتة ﴿**أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾: الموت، فلا رجعة بعده. العقيم لا يلد أي لا يمكن رجوعهم فيه.

56- ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾: حين الموت يفقد الإنسان حريته التي كانت له في الدنيا. الآن لك خِيرة، يومها لا جدوى. يرى أن المالك هو الله وحده. ﴿**يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ**﴾: غداً. ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: الإيمان وحده لا يكفي، لا بدَّ من العمل، المؤمن علامته العمل الصالح. ﴿**فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾: من جنَّة لجنَّة متتالية.

57- ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾: ما فكَّر بها. ﴿**فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾: منحط، يسوءهم ويذلّهم.

58- ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: من الهجرة: هجروا ديار الكفر، أو هجرة المعاصي: هجروا المنكر والرذيلة. ﴿**ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ**﴾: غداً. ﴿**رِزْقًا حَسَنًا**﴾: بما أورثوا في حياتهم من عمل صالح أو صدقة. ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾: لهم، يرون ذلك.

59- ﴿**لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا**﴾: مدخل الإقبال على الله والنعيم. يصير في الدنيا سيره عالياً. ﴿**يَرْضَوْنَهُ**﴾: يحصل لهم الرضى فيه. غداً يرضى ذلك ويُسرُّ به. ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾: حتى أوصلهم لهذا المقام، حلِمَ عليهم وطاولهم.

60- ﴿**ذَلِكَ**﴾: اعرف أنه عليم بك، حليم عليك، لا تنسَ فضله وإحسانه. ﴿**ذَلِكَ**﴾: هذا الحلم يجب أن يتخلَّق به الإنسان. ﴿**وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ**﴾: اعتُدي عليه فأخذ حقَّه، لقد عوقب ليخلص من العذاب في الآخرة، وهو إن عاقب فعليه أن تكون نيّتهُ ردَّ ذلك الفرد إلى الحق.

إن كان عليك حق يُرسل لك من يعاقبك ليخلّصك ممَّا عليك، لا بد من مرض أو شيء، فإذا جاءتك مصيبة فهي من الله، هو الفعَّال، والمتسلِّط عليك لم يتسلَّط إلَّا بسبب عمل سبق منك، لذلك سلَّطه الله عليك لينقِّيك ويطهِّرك. إن عاقبك أحد فأنت إن أردت ردَّ عمله، قابله بردِّ عمله بنيَّةٍ طيبة: {**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**}[12]. لا تقابل المسيء بنية الإساءة، بل ادفع إساءته لتردَّه للحق، كما خلَّصك هو ممَّا عليك ﴿**ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ**﴾: من قِبَل خصمه ثانية أي إذا أراد هذا الأخير الاعتداء ينصر الله الأول لنيَّته العالية:

﴿**لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ**﴾: ينصره الله، لا يستطيع الخصم ذلك لأن الله هو الفعّال المسيِّر ولأن نيتك كانت معه عالية لما رددته، لذلك إن أراد ثانيةً أن يؤذيك نصرك الله عليه. فما دامت نيتك عالية في ردِّ عدوانه فالله معك ومؤيّدك، كن محسناً دوماً للخلق حتى في ردِّ عدوانهم، هم خلَّصوك ممَّا عليك، أنت كن في ردِّ عدوانهم صاحب نيَّة عالية ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾: لهذا ولهذا، الحروب والشدائد للمؤمن ليرقى، والكافر لعلَّه يرجع ويشفى.

سورة الحج: [61-70]

61- ﴿**ذَلِكَ**﴾: دليل النصر. ﴿**بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ**﴾: فإن الله هو المسيِّر، بيده تصريف أمور الكون، أفلا يستطيع تصريف أمور الإنسان؟! هو الفعَّال لا غيره. فما تركك والناس يعتدون عليك،

[12] سورة فصلت – الآية:34.

كله بعلمه. ﴿**وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾: لأقوالهم، عليم بأحوالهم أي أن الله معك أيها الإنسان يسمع ويرى {**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**}[13].

62- ﴿**ذَلِكَ**﴾: أيضاً يعرّفك. ﴿**بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**﴾: هو الفاعل، إن فكَّرت بأنه يولج الليل عرفت بأنه هو الفعَّال. ﴿**وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾: فلا أحد يردّ عنك شيئاً سواه ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾: تعلم ذلك.

63- ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾: ألا تنظر لهذا الكون؟ ﴿**أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾: هل ثمَّة أحد ينزّل مطراً؟ من الذي ينزّل الأمطار سواه؟ ﴿**فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ**﴾: مع كل مخلوق، إن تسيير هذا الكون وهذا الإنسان يجري بلطف تام دون أن يشعر الإنسان. ﴿**خَبِيرٌ**﴾: بيد الله تسيير الكون بلطف وخبرة. كل واحدة وما تحتاج إليه.

64- ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: الكل عائد إليه. ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾: غني عنكم، لكن يُحمد على فعله، كل عمله يُحمد عليه.

65- ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ**﴾: كل شيء مسخَّر لك أيها الإنسان، كل ما في الأرض مسخَّر لك ولأجلك، كله سخَّرهُ لكم ولأجلكم وأنت ناكر نعمه. ﴿**وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ**﴾: لولا القدرة في الماء "القدرة في الماء: القوة الدافعة في الماء والتي وضعها الله فيه، والتي تنشأ من كثافة الماء وحالته الفيزيائية" لما حملت الفلك، ما هذه القوة الدافعة في الماء؟! كله من أجلك. ﴿**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ**﴾: إذ لا عمد ولا سند. ﴿**أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ**﴾: لو سقطت نجمة لمحت الأرض، فمن يمسكها سواه؟ ﴿**إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾: بالناس أجمعين، كله رأفة ورحمة عليك. "رؤوف رحيم" بكل الناس، فلا يعقل أن يخلق واحداً لجهنم.

66- ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ**﴾: حين خلقكم في بطون أمهاتكم، أحياك في بطن أمك. ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**﴾: لانتهاء الأجل. ﴿**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾: غداً بالبعث. ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ**﴾: مع كل هذا الفضل الظاهر، أو ينكر الإنسان بعد كل هذا نعم الله ويعرض عنه، خلقك وأحياك وسخَّر الكون كله لك، أتكفر به! ما موقفك غداً تجاهه وتجاه إحسانه إليك، كم تذوب خجلاً وحسرة؟

67- ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ**﴾: فئة من الناس تؤم إلى شيء. ﴿**جَعَلْنَا مَنْسَكًا**﴾: طريقاً للسير من يهود ونصارى، عرب وغيرهم، كلهم جعل الله تعالى لهم ترتيباً للسير. هل أنت سائر عليه؟ ﴿**هُمْ نَاسِكُوهُ**﴾: هم يسلكونه وليس يجبرهم الله على أن يسلكوه، هم الذين يسلكونه بما يطلبون لأنفسهم، باختيارك استلزمته لنفسك، والله تعالى لم يجبر ولم يرغم أحداً، إذ لولا الاختيار لما دخل أحد الجنة، لولا الاختيار لما كانت الجنة ﴿**هُمْ نَاسِكُوهُ**﴾: هل سلكوا فيه؟ هل وضعوا أنفسهم فيه؟ هل ساروا فيه؟ ما ساروا عليه. أما منسكهم فهم وضعوا أنفسهم فيه، هم ساروا فيه. ﴿**فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ**﴾: إذا لم تسلكوا تتضارب الشهوات مع الكمالات. لو ساروا بالمنسك الذي جعلناه لما نازعوك. لو سلكوا كانوا عظّموا الرسول. ﴿**فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ**﴾: وأنت فلا يستطيع أحد أن يحوّلك، ولا يستطيع أحد أن يقاسمك خُلقك شيئاً. ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ**﴾: أنت وجّه الناس إلى الله، لا تعبأ بمنْ يعارضك. ﴿**إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ**﴾: شهادة من رب العالمين، فكيف سيلقي الشيطان في نفسه ﷺ كما يقولون؟

---

[13] سورة طه – الآية:46.

68- ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾: لم الصلاة، لم الصيام؟ ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: عملكم معلوم، هو أعلم بعملكم وسوف يجازيكم به.

69- ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: هناك ظهور كل أمر وفضيحة. ﴿فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: في الدنيا حتماً.

70- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: من حنانه وعطفه ينبّهك: أما فكَّرت قليلاً لتعرف من الذي يدبِّر الكون كلّه؟ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: هذا كله يسير ضمن علم لا جزافاً، هل تجد اختلافاً؟ هذا الخالق العظيم أما له علم بك؟ إن الذي خلق هذا العالم ورتّبه ونظّمه ألا يعلم كل شاردة وواردة تجري فيه، أفلا يجدر أن يعلم كل شيء عن الإنسان؟ ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾: مسطور ضمن قوانين وأنظمة كي تستدل على الله، على لا إله إلّا الله. ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: كل الكون يسيّره بيسر، الشمس لها أوقات، المطر، البحار هيجانها، القمر سيره، الصيف، الشتاء، كل شيء وله أوقات ونظام. أفلا تقول: من الذي رسم للكون هذه القوانين؟

سورة الحج: [71-78]

71- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: الأصنام. والآن الإنسان يعبد الإنسان ويظنه فعّالاً ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: الصنم ليس له حول ولا قوة. لا قوة له، وهو لا علم له بعبادتك. ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: ما رأوا منه شيئاً، ويتركون هذا الخالق العظيم. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾: غداً من ينصرهم؟ ذلك لأن حالهم يستلزم المداواة. فحين يقع المريض لا يمانع أحد من استشفائه.

72- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾: تربّد[14] وتعبَّس وتنكّر لبعد قلبه عن الله ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾: يتمنى أن يقتل، يهمون بالقتل ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: في القرآن. يريدون ضربهم أو قتلهم ليخلصوا منهم. ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ﴾: الحقد الذي بنفوسكم على المؤمن. ﴿النَّارُ﴾: لكم أيها المنكرون، فهي أمامكم، غداً سوف تصلونها ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: يعود عليكم بالمصير البئيس.

73- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾: فهموه جيداً وعوه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: تظنون أن لهم حولاً وقوة. ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾: بعوضة. لن يوجدوا شيئاً حيّاً. ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾: كلهم ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾: لئن أخذ الذباب من الصنم شيئاً أو من الإنسان لا يستطيع استرداده ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾: العابد والمعبود، الصنم، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

74- ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ولكن الحقيقة أنهم لم يعرفوا الله حقّاً، كل هذا الكون رغم هذا العطف والإحسان والحنان، كل هذه الرأفة والرحمة لا تراها! تستعظم طائرة سابحة في الهواء ولا تستعظم الأرض تدور في الفضاء؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: هو القوي الوحيد، كل الخلق ضعفاء، القوي هو الله تعالى.

75- ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: لك، الملائكة دوماً تحذِّر العباد. ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: بناءً على أهليتهم يصطفيهم رسلاً وأنبياء وأهل إرشاد. أيّما إنسان أو ملك هو أصفى نفساً بإقباله، يصطفيه الله

---

[14] تربَّد: تربَّد وجهه أي احمرَّ حمرة فيها سواد.

ليكون رسولاً يبلِّغ {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}[15]. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لكلام الرسول ﷺ. ﴿بَصِيرٌ﴾: بحاله، وبعباده.

76- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: عملهم. يفعل الله ذلك على علمٍ بكل شيء عنهم. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: نيَّتهم العالية، ما اصطفاهم جزافاً، بل بناءً على علم. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: بيده تصريفها، مهما سمعت إن كانت نفسك ميّتة فلا جدوى لك، أحيي قلبك لتسمع.

77- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا﴾: اسمعوا كلام الله طائعين، اخضعوا إلى الله، اخضع لأمره. ﴿وَاسْجُدُوا﴾: اطلبوا من الله الهدى واطلبوا المعونة "فادخلوا على الله لتكن لكم تقوى واستنارة واطلبوا من فضله" لكن طريق هذا: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: أطيعوه، سر ضمن أمره كي تركع وتسجد، طبّق كلامه بالتمام. ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: سارعوا في الخيرات بعدها. إن لم تؤمن فلن تركع ولن تسجد ولن ولن... البداية: الإيمان بلا إلّه إلّا الله، فكّر لتصبح مؤمناً ترى الله معك ثم افعل الخير، عندها: يحصل لك الشعور بالقرب... بالحنان الإلّهي والإحسان... ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

78- ﴿وَجَاهِدُوا﴾: نفوسكم، أعط هذا حقه. ﴿فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾: لا تعط لنفسك هواها ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾: من الخلق أيها المؤمنون. ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ﴾: في الميل للحق ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾: من موانع، لا يوجد شيء صعب عليك في الدين، كله منطقي، معقول، هو سبحانه ما جعل عليكَ في الميل للحق موانع لكن شهواتك الخبيثة هي التي تحول بينك وبين الحق.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾: الزموا ملّة أبيكم، فكّروا مثله، اعرفوا المربي أولاً. ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾: هو الذي اختاركم من عالم الأزل لتكونوا من أصحابه. ﴿وَفِي هَذَا﴾: الطريق والسير، إن فكَّرت وعرفت لا إلّه إلّا الله. ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: سراجاً ينير لكم طريق الهدى، تعرف كلام رسول الله ﷺ، بواسطة الرسول فكّر بالتربية، بالكون تصبح مؤمناً، عندها تدخل مع الرسول على الله، يريك هذا السراج كمال الله. ﴿وَتَكُونُوا﴾: أنتم. ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: تتعلّمون وتُعلِّمون وترشدون الناس، كما رأيتم الحق أروه للناس، إذ تبيّنون لهم عندها ما بيّنه لكم رسول الله ﷺ: شهيد على غيرك ترشد للخير كما أرشدك. إن أردتم حصول ذلك. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أقيموا صلة نفوسكم بالله، افعلوا المعروف دوماً حتى تحصل لكم الصلاة، لا تنقطعوا عن الله كي تبقى نفوسكم طاهرة على الدوام ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: لتزكوا، صلِّ هذه الصلاة الحقيقية التي توصلك للطهارة. ترى حنانه تعالى وكرمه، فتعتصم به: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾: استمسكوا، اهتدوا بهدْيه وسيروا على سنّته، لا تنفك عنه، عندها يولّيك طريق الحق. ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾

والحمد لله رب العالمين.

---

[15] سورة الإسراء – الآية:15.

تأويل سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المؤمنون: [01-10]

1- ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾: كما يفلح الفلَّاح الأرض ويزرعها، الفلَّاح يهيِّئ أرضه للزرع، المؤمن غدت أرضه طاهرة طيِّبة مهيَّأة لينبت فيها الخير، فهو أهل لفعل المعروف والإحسان. لقد أصبحت نفس المؤمن ذات وسعة وأهليَّة كي ينبت فيها الخير، إذ صار أهلاً لفعل الخيرات، أصبح صالحاً للعمل الصالح، والسبب: لأنه ناظر أن ربه دوماً مطَّلع عليه، فمن يعمل الإحسان يعود الإحسان عليه، ولكن من هم المؤمنون؟

2- ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ**﴾: صلتهم بالله، لا بدَّ من الصلوات للصلة، ولا بد من الصلاة للإيمان. ﴿**خَاشِعُونَ**﴾: المشاهد ربّه ناظر إليه وأنه تعالى هو المسيِّر، هو المحرِّك، هذا يخشع. يرون الله تعالى محيطاً بهم، فعلى الإنسان أن ينظر إلى صلاته هل هو خاشع فيها، هل هو مؤمن بأن ربه معه؟ "**اعبد اللّه كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك...**"[1] ليست المسألة بالصورة بل بالحقائق، انظر لصلاتك ومنها اعرف نفسك، هذه هي الصلاة التي تجمع قلبك على الله، تراه قريباً سميعاً عليماً، {**الْحَمْدُ للّهِ**}: خطاب لك أيها المصلي، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾: فمن المُخاطِب؟ إن جمعت قلبك مع هذا المُخاطب دخلت معه على الله، عندها إن سمعت: {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**}[2]: تأتيك الأوامر بالتبعيّة فتسمع الخطاب الموجَّه لرسول الله ﷺ في قوله تعالى: {**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**}[3]: المحروم من السعادة غداً.

3- ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾: لا وقت لديهم حتى يضيِّعوه. حياتهم ثمينة لا يضيِّعونها في القول الباطل وغير المفيد؛ يرى الامتحان على الأبواب فكيف يضيِّع أوقاته، كيف يلهو ويلعب! الدنيا فرصة إن فاتتك فاتتك السعادة، الدنيا مدرسة لا تضيِّعها. غداً الوظائف، فالذي يرى ربه قريباً منه، هذا هو المؤمن، أوقاته كلها يصرفها في مرضاة الله، يفعل المعروف والإحسان "كل ما سوى الله مما فيه لهو باطل فهو لغو".

4- ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**﴾: يفعلون الخيرات كي تزكو نفوسهم، يفعلون الخير لتقبل نفوسهم على الله فتطهر، دوماً يسارع في فعل المعروف والإحسان والخير حتى يحصل له القرب إلى الله فيقبل على الله وتطهر نفسه، وكلما بدر بنفسه خاطر يبادر بالرجوع إلى الله، يفعل المعروف، الإحسان، فيصبح قريباً منه تعالى.

5- ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**﴾: لا ينظر لأحد. لا ينظر لمال الآخرين، لا عينه ولا أذنه ولا لسانه.

---

[1] شعب الإيمان - رقم/10544/ عن أبي الدرداء.
[2] سورة الفاتحة – الآيات:2–7.
[3] سورة الكوثر

6- ﴿**إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾: ملك اليمين[4]: من أُسرت في الحرب ليردّها سيّدها للإيمان. ﴿**فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾: لا يلامون، وكانوا يتسرُّون بهنَّ خدمة لهن لإنقاذهن من الضلال إلى الحق. لأنهن لم يصبرن، وطالما أنه تسرَّى بها بهذه النية العليَّة لا لغاية، فلا لوم عليه.

7- ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾**:** تعدّى حدوده، عدوا عن طريق السعادة، عَدَا: جاوز طريق السعادة، متعدٍّ: هلك نفسه، أنت خلقك الله للسعادة الأبدية، إن سرت ضمن دلالته نلت ما أعدَّه تعالى لك.

"كنتُ كَنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق وعرّفتهم بي فبي عَرفوني"[5] خلقك لتتنعَّم بمشاهدة جماله وكماله تعالى، لتتمتع بهذا الكنز.

8 - ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ**﴾**:** ما اؤتمنوا عليه، كل ما تحت رعايتك، إن كان لهم أولاد لا يقذفون بهم إلى بلاد الغرب! أعطاك الله زوجة، أولاداً، احفظ هذه الأمانة، الولد لا ترسله لبلاد الكفر، علِّمه طريق الإيمان، السعادة الأبدية. ﴿**وَعَهْدِهِمْ**﴾**:** عاهد على السير بالحق، ما عهد إليهم بالرعاية، كالوصي على الأيتام، الحيوان عندك... وكل ما هو تحت عُهْدَتهم ورعايتهم من ولد وزوجة وغيرهما. ﴿**رَاعُونَ**﴾**:** يرعاها.

---

[4] ملك اليمين: من أسرى الحرب، فلا يحق أخذ الأسرى إلَّا إذا كانت دولة المسلمين أقوى من دولة الكفر لقوله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ) سورة الأنفال – الآية:67.
ملك اليمين: توزع فقط على المؤمنين الأتقياء أمثال الصحب الكرام، ولا يجوز لغيرهم من المسلمين الضعفاء أخذهن، والتقي يستطيع أن يأخذ من ملك اليمين ما يستطيع أن يربي أولادهن ويشرف عليهم الإشراف الكامل دون أن يهضم حق أحد منهم، ويربيهم التربية الفاضلة، ويتفرغ لهم جميعاً.
ويضعها تحت رعاية زوجته المؤمنة، ولها عليها التربية والتعليم لتدخل مداخل الإيمان، وهو يعاملها كابنته، يصرف عليها، ويصبر على أخطائها، ولا يحقّ له التسرِّي بها.
بعد تربيتها وتهذيبها يزوجها لعبد مثلها بعقدٍ ومهر، إن تقدم لخطبتها، شرط أن يكون مؤمناً صالحاً قال تعالى في سورة النور – الآية:33: (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ): الزواج "عقداً على مملوكة". ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.﴾: الأسرى ملك اليمين، من الجواري التي ما آمنت بعد. (. فَكَاتِبُوهُمْ.): فزَوِّجها. (إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا): تعلم إن زوَّجْتَه إياها أنه يوصلها للإيمان. (وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ.): إن وجدته أهلاً يستطيع أن يدلَّها على الله برّها، أعطها شيئاً هذه مثل ابنتك.
شرط التسري: إن لم يتقدم أحد لخطبتها، ولم تعد تصبر على عدم المقاربة، وهو يخشى عليها من الكفر والزنى، فبهذه الحالة يحق لهذا التقي التسري بها ونيته بهذا بقاؤها عنده مدى الحياة، لكن دون دفع مهر ودون كتاب عليها، ولا يُطلق عليها اسم زوجة بل عبدة، وأولادها إن أنجبت يُطلق عليهم أولاد العبدة، وهم معروفون أنهم أبناؤه، والسبب في هذا حتى لا ترى لنفسها قيمة وأن لها حقوقاً على زوجها فتأخذ حريتها وتؤثر على نساء المؤمنين بأفانينها وأساليبها الإغوائية الإغرائية.

فهذه المعاملات كلها لئلا تتمادى بالباطل، وليمنع عنها أذى نفسها الذي تشربته من أهلها وقومها الكفرة، ولتكون لها حافزاً ودافعاً يدفعها للإيمان بالله، إذ تفكِّر متسائلةً، من الذي خفَّضني ورفع تلك الزوجة عليَّ، فتعرف أن سبب هذا إنما هو الإيمان بالله، فتؤمن، فإن آمنت فهي حرةٌ لا عبدة ولا فرق بينها وبين غيرها من المؤمنات إلا بدرجة الإيمان، وبذا تكون قد تحققت الغاية من الرق في ملك اليمين، فهذا التقي لهذه العبدة إنما هو مركبٌ لها إلى الله ولإنقاذها من الكفر والضلال إلى الإيمان والجنات، وكل هذه المعاملات إنما هي وسائل لحفظها من الشذوذ وصوناً لها، ولا يضيّع تعالى لهذا التقي أجراً لذلك سمَّاها تعالى مُلك اليمين، واليمين من اليمن، أي الخير الكثير العظيم الذي يملكه هذا التقي ويحوز عليه من وراء هدايتها (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) سورة النور – الآية:46.
[5] قال تعالى: ﴿وَمَا خلقتُ الجِنَّ والإنسَ إلَّا ليعْبُدُونِ﴾: سورة الذاريات – الآية:56. وقد وافق على صحة الحديث الشيخ علي ملا القاري مستنداً إلى تأويل ابن عباس لقوله تعالى: ﴿وَمَا خلقتُ الجِنَّ والإنسَ إلَّا لِيعْبُدُونِ﴾: أي ليعرفوني. وقد اعتمده الصوفية وابن عربي وبنوا عليه أُصولاً.

9- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يحافظون على إحسان الصلة في الصلوات الخمس، الصلوات الخمس لا بد منها للصلة والفضيلة، لذلك لا يضيعون من صلاتهم واحدة ويصلونها صلاة صحيحة، كيف؟ يحافظون في صلاتهم على الارتباط برسول الله ﷺ، ليست الصلاة الصحيحة مجرَّد حركات، يجب ألَّا تنقطع عن الوسيط "رسول الله ﷺ" لتظل بصلة مع الله. لمَ كلّفك تعالى بالصلاة؟ كلّفك بها لأنها سبب سعادتك، إذ أنك إن دخلت بمعيّة رسول الله ﷺ على الله تطهر وترقى، يزداد حبُّك لله فتغدو إنساناً أهلاً للجنان. حافظ على الصلوات الخمس بجمع قلبك على الله، اركع لأمره، اسجد طالباً المعونة منه تعالى. المؤمن إن دخل على الله في الصلاة خرج منها غنياً مملوءة نفسه بالخيرات.

10- ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾: ما خُصِّص لهم من النعيم. ومن الآن وارثون ومغمورون بالفضل الإلٓهي سابحون بتجلي الله وفيوضاته، آخذون ما يُؤتيهم ربهم نتيجة لاستقامتهم على أمر ربهم وما قدَّموا من أعمال.

سورة المؤمنون: [11-20]

11- ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: الجنان، الفرار إلى الله، الجنات أي من جنة لجنة على طول، جنات الإكرام العُلى. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: وهكذا على طول، الناس يطلبون الجنّة، فعلام يطلبونها؟ ماذا قدَّموا؟ اسلك طريق الحق، اعمل لها لتصل إليها، إن لم تطهر، إن لم تؤمن فلن تدخلها. إذن فالميزان للإيمان، الخشوع: ناظر ربك، مطّلع عليك. وحتى تصل للإيمان جعل لك ترتيباً إن طبَّقته صرت مؤمناً، إن لم تدخل مدرسة الطب فلن تصبح طبيباً، إن لم تدخل مدرسة الإيمان لن تصبح مؤمناً، ما هو طريق الإيمان؟

12- يبيِّن الله تعالى هنا طريق الإيمان وهي التفكير في البداية والنهاية، فكِّر كيف خلقت أيها الإنسان، وإلام مصيرك؟ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: الخلق من تراب (البذرة زُرِعَت). ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾: من أب وأم. واحداً بعد واحد، واحد وراء واحد. ﴿مِنْ طِينٍ﴾: الأصل كله من طين، الثمر كله من تراب، فالبذرة توضع في التراب تنقلب نبتة، شجرة، ثمرة، يأكل الأب منها تصبح نطفة.

13- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾: مخط، فكِّر بهذه النطفة كيف صارت إنساناً؟! الثمرة صارت نطفة، فأُودعت فتحوَّلت، إن عقلت آمنت. فكِّر بهذا. ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: بطن الأم؛ في الرحم، من الذي سوَّاك في ذلك المكان الرحم؟

14- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: دم علقت. من جمَّد النطفة علقة؟ ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: قطعة لحم تجمَّدت، يدُ أيِّ شخص هي التي صنعت هذه المضغة؟ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾: جمجمة، يدان، صدرٌ، ما هذا الترتيب؟ كيف ترتَّبت وصارت، ألا تفكِّر! الذي سوَّاك في بطن أمك، هل تركك؟ ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾: كيف لبست "العظام" العضلات... اللحم! ألا تفكِّر بمن نظَّمك هذا النظام؟ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: صار جنيناً، نزل إلى الدنيا إنساناً سوياً، إنساناً كاملاً. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾: ما أعظم خيره. ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: فكِّر بهذا لتصل لكلمة لا إلٓه إلّا الله.

15- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾: النهاية التي لا بد منها فكر فيها أيها الإنسان، بعد هذه الحياة ستموت مهما صرت، مهما علوت، مهما ومهما... ألا تفكِّر بمن مات قبلك فتعرف مصيرك؟

16- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾: عبثاً خلقك؟ ستعود وستُسأل.

17- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سبع سماوات خاصة لدوام معيشتك، السماوات السبع كي تتأمن بها حياة الكائنات، طريق لحياتك، لمعاشك، طريق لفضل الله لتنزل عليك الخيرات، ألا تفكِّر؟ ﴿وَمَا كُنَّا﴾: في لحظة من اللحظات. ﴿عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: هل غفلنا عنك في بطن أمك؟ هناك عنينا بك، فهل تركناك الآن؟ إن الذي رعاك في بطن أمك لم يغفل عنك حين سواك بشراً.

18- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بقدر اللزوم وما تحتاج، على حسب الحاجة، لا من دون حساب، الينابيع بمقدار معيَّن تنبع. ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾: بالمصانع[6] الجبال. ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾: أن نجعله ينبع ويذهب إليكم أو أن يغيض، فالله سبحانه يقول تهديداً لهذا الإنسان نستطيع حبسه عنكم، ألا تخشون الله؟! وهذا آخر إنذار، والآن تكاد المياه تذهب.

19- ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾: بهذا الماء. ﴿جَنَّاتٍ﴾: لتأكلوا حتى تتناسلوا. ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾: لذائذ. طعم ونكهة. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: تتغذى بها. فهل يتركك من عُني بك أولاً في بطن أمك وبعده؟

20- ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾: الزيتون في أعلى الجبال. الزيتون في الجبال الجرداء الجافة ثم تراها تنبت بالدهن، من الذي أوجد فيها هذا الدهن؟ ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾: من أين جاءتها هذه الزيوت وهي في أعلى الجبال؟! من فعل هذا؟ من الذي يُنبت لك هذا؟ إن فكَّرت وعقلت صرت مؤمناً، رب العالمين أعطاك آلة مهيّأة كاملة لتفكِّر. فالله تعالى لرحمته بك أيها الإنسان يرغِّبُك بهذه الشجرة[7] حتى تنال منها الخير فتخرج بك من الدنيا وشقائها إلى الله وجناته، بها العلو والرفعة والسكون في جنات الله. ﴿وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾: إدام فيها حياة لجسم الإنسان؛ تسري في الوجود، الذي آمن واتقى تنقلب كل صفاته إلى الكمال، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[8].

سورة المؤمنون: [21-30]

21- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: ما أعظم هذا الخلق، يتحول الأكل بأنواعه إلى حليب سائغ! إن فكَّرت فيها وصلت للإيمان، تعبر بمعيَّة رسول الله ﷺ إلى الله. ﴿نُسْقِيكُمْ﴾: المؤمن بنور ربه يرى يد الله هي التي تطعمه وتسقيه. ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: الأنعام تأكل الحشائش والشوك فيتبدل لحليب. كل شيء لا بدَّ له من صانع، من الذي يرتب هذا الحليب؟ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: جلدها، صوفها، ركوبها. البقر للزراعة، الجمل: حمل ونقل، الغنم: حليب، لبن. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: حليبها، جبنها، لحمها، دهنها، سمنها... وكل حيوان وله خصائص وشكل مناسب له، هذا ألا يحتاج لصانع عليم قدير خبير؟

22- ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: والآن انظر لمن أرسل له الرسل فما فكَّر، فما كانت نتائجه؟

23- مثال عن الذين لم يفكروا ولم يستقيموا ثم لم يؤمنوا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: هذا الكلام وهذه الدلالة التي أنت بيَّنتها لقومك، نوح من قبلك بيَّنها

---

[6] لطفاً انظر كتاب مصادر مياه الينابيع في العالم، للعلّامة الجليل محمد أمين شيخو. المصانع هي القطبان المتجمدان الشمالي والجنوبي.

[7] شجرة النبوة؛ رسول الله ﷺ حيث تنال الخير الذي أعدَّه الله لك بمحبته الصادقة والارتباط بذاته النقية الطاهرة... حيث الفلاح والنجاح والفوز بالجنان. وبالرابطة القلبية برسول الله ﷺ تصح الصلاة وتنعقد مع الله تعالى فتصطبغ النفس المصلية بصبغة من الله تعالى مرتشفةً من أسماء الله تعالى الحسنى حيث تصبح كل صفاتها كاملة.

[8] سورة البقرة – الآية:138.

فما فكَّروا وما عبأوا بها، كلَّمهم كثيراً، دعاهم إلى التفكير ببدايتهم، بنهايتهم، السماء، الأرض، الينابيع... خلاصة كل هذا القول أن يعبدوا الله. كل الرسل جاؤوا بهذه الدعوة. ﴿**أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾: إذا الإنسان ما فكَّر، ما عقل، فلم يعرف بدايته، نهايته، لا يصلِّي، **"تارك الصلاة (ملعون) لا خير فيه"**: الإنسان لا يكمل إلَّا بالصلاة. الإنسان صفحة بيضاء، إن صلى اكتسب الكمال من الله، إن لم يصلِّ أعرض، اكتسب الصفة السيئة من الشيطان.

العبادة: تتضمن التفكير بالبداية، النهاية، الكون، كل الكون لأجلك لتكون إنساناً في معاملتك، فإذا جئت غداً كان وجهك أبيض، دخلت على الله، نلت السعادة. إن صرت مؤمناً استنرت بنور الله، عرفت خيرك من شرك.

24- ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾: له غاية. كذلك في كل عصر يقولون: هذا بشر. العاقل ينظر للدلالة لا للصورة ﴿**يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ**﴾: يريد السيادة والاستعلاء عليكم. يجعل لنفسه الزعامة. ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ**﴾: لو كان الله حقاً أراد: ﴿**لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً**﴾: لا بشراً، مع أن المَلك لا تُفيد منه ﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ**﴾: ما نظروا بالدلالة، ما فكَّروا بالمنطق.

25- ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ**﴾: يتكلم: ما وراء الطبيعة، لا يعلم ما يقول، يتخيَّل تخيُّلات ثم يتكلم بها. ﴿**فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ**﴾: لعله يرجع للصواب. دعوه يتكلم، اتركوه حتى يموت.

26- ﴿**قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي**﴾: بالحق، أيِّدني أن أغلبهم بالحجة والمنطق. ﴿**بِمَا كَذَّبُونِ**﴾: فأجابه الله {**أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آَمَنَ**}[9]، مالهم جدوى.

27- ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾: بنظرنا. ﴿**وَوَحْيِنَا**﴾: بدلالتنا. ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا**﴾: بالطوفان لهلاكهم. ﴿**وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾: أعطى سبحانه أمره للسماء والأرض: ﴿**فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ**﴾: مما يلزمك. مما تستفيد منها في حياتك من بقر وجمل ومعز وغير ذلك من كل ما يلزمك ﴿**زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾: ذكراً وأنثى. وقد حصل الطوفان حصل في منطقة واحدة حيث لم يكن على الأرض غيرهم: "هذه قرية سيدنا نوح وحدها إذ لم يكن غيرها مسكوناً". ﴿**وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ**﴾: ممن سار بالفساد والظلم، فأين أقوالهم في الشفاعة إن كان الله قد حذَّر نوحاً من مخاطبته بمن كفر؛ ﴿**وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: أنفسهم، لا تستغفر لهم، لا فائدة لا بدَّ من إغراقهم. فلا التماس "ولا دعم"، كلٌّ وحاله وعمله. ﴿**إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾: فأين الشفاعة "الشفاعة المزعومة بالعصاة وأهل الكبائر!؟" هذه القصة هي أيضاً لنا، يأمرنا أن نعبده تعالى، إن لم نطبق كان نصيبنا الهلاك.

28- ﴿**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلْ**﴾: الدعاء مخُّ العبادة، إذا كان من قلب مقبل. ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: للذي غرق وللذي نجا وللكل. كله ضمن الكمال واللازم والواقع الحق والصحيح المناسب. ﴿**الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾: الله تعالى علَّمه كيف يطلب.

29- ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي**﴾: بقلوب المؤمنين، إذا كان الرسول بقلوبهم تنزلت عليهم الأنوار والخيرات، كذلك أنزله الله سبحانه على أجود أرض حيث الماء العذب والهواء النقي والأراضي الخصبة. ﴿**مُنْزَلاً مُبَارَكًا**﴾: كثير الخيرات؛ اطلب وأنا أعطيك. الاختيار من الإنسان والفعل من الله، سيدنا نوح عليه السلام طلب من ربه والله استجاب له وحقَّق له طلبه على أناسٍ أهل، وهذه مكافأة له على ما قام به من جهد. ﴿**وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**﴾: ولا خير إلا منك يا رب.

---

[9] سورة هود – الآية:36.

30- ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ**﴾**:** بما ذكر من آيات دالة على لا إلّه إلا الله. ﴿**لَآيَاتٍ**﴾**:** علامات دالة على الله، هذه الآيات التي أرسلناها كلها فيها دلالة على الله، ابتلاهم بالشدائد ليرجعوا للحق. ﴿**وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ**﴾**:** أخذناهم بالشدائد قبل ذلك كي نبتليهم: مصائب، شدائد ليرجعوا، فما رجعوا فهلكوا، فاحذروا أن تكونوا مثلهم.

سورة المؤمنون: [31-40]

31- ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ**﴾**:** قوم هود عليه السلام.

32- ﴿**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ**﴾**:** هود عليه السلام... ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾**:** كذلك كما نصح سيدنا محمد ﷺ، ونوح عليه السلام، هذا وحده طريق الإيمان، الإيمان لا بد له من سعي، فكِّر بالبداية، بالنهاية، بالشمس، بالقمر... آمِن. ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾**:** تؤولون إليه غير الله. ﴿**أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾**:** به، أفلا تنسترون.

33- ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ**﴾**:** قوم هود ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾**:** بنعم الله. ﴿**وَكَذَّبُوا**﴾**:** ردُّوا قوله. ﴿**بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ**﴾**:** أنكروا الآخرة، كما كنت تعود، أصلك من تراب وستعود. ﴿**وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾**:** أعطيناهم لَمَّا لم يكن أمل لرجوعهم إلى الحق. الغنى قد يهلك صاحبه. وحيث إن مرضهم قد وصل لدرجة ما بقي لهم معها علاج، لذلك أعطاهم الله الدنيا وشهواتهم فيها. ﴿**مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾**:** نظروا للصورة، ولعمى قلوبهم لم يشاهدوا حقيقته السامية.

34- ﴿**وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ**﴾**:** قالوا كلامه ﷺ ليس من عند الله. ما نظروا لبيانه ولا لسيره العالي، أنكروا رسالته ﴿**إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ**﴾**:** الدنيا، بسطكم، سعادتكم.

35- ﴿**أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ**﴾**:** أنكروا البعث، لعدم تفكيرهم.

36- ﴿**هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ**﴾**:** هذا شيء بعيد. ﴿**لِمَا تُوعَدُونَ**﴾**:** غيبيات، هل نترك المحسوس الملموس ونلحق بها؟! ما سلكوا وما سعوا فما آمنوا.

37- ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾**:** لمَّا اقترفوا قالوا هذا: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾**:** الناس الآن يقرُّون بالآخرة لكنهم يشذُّون بالفعل، وهذا دليل على أن قولهم لا يدلُّ على إيمان.

38- ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ**﴾**:** يدّعي أن كلامه من الله مباشرة. ﴿**عَلَى اللَّهِ**﴾**:** كل الخلق آمنوا بوجود الخالق ولم يؤمنوا بلا إلّه إلَّا الله. إنهم يقرُّون بوجود الله ولكن الإيمان يجب أن يكون بلا إلّه إلَّا الله (أنه المسير الفعَّال). ﴿**كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ**﴾**:** فكلهم آمنوا بوجود الله، لكن كلمة (لا إلّه إلّا الله) لم يؤمنوا بها.

39- ﴿**قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي**﴾**:** أيّدني بحجج. ﴿**بِمَا كَذَّبُونِ**﴾**:** لأدحض باطلهم.

40- ﴿**قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ**﴾**:** لا جدوى لهم. وهكذا يطاول يطاول ثم إذا أَخَذَ، أَخَذَ أَخْذ عزيز مقتدر.

سورة المؤمنون: [41-50]

41- ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً**﴾**:** كالتبن لا حراك بهم. ﴿**فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ**﴾**:** بعدت عنهم السعادة التي خلقتهم من أجلها. ﴿**الظَّالِمِينَ**﴾**:** لأنفسهم.

42- ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آَخَرِينَ**﴾**:** هذه قصص عمَّن سبق ممن لم يعقلوا ولم يفكِّروا.

43- ﴿**مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا**﴾**:** كل واحد وله يوم وساعة معيَّنة منذ الأزل: ﴿**وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾**:** عن موعد الموت.

44- ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى**﴾**:** متتابعة أُمَّة بعد أمة: ﴿**كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ**﴾**:** أيضاً كمن سبق: ﴿**فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ**﴾**:** قصصاً نذكرها لكم للعبرة لتتعظوا بهم، صاروا بهلاكهم حكايات. ﴿**فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾**:** من لم يفكر بعيد عن الله، عن الحق، عن السعادة. فمن لا يؤمن، لا يصلِّي، لا خير فيه. والذي لا يحصل له إيمان هذا هو البعيد عن السعادة في الدنيا وفي الآخرة، في الدنيا شقاء وفي الآخرة جهنم وبئس المصير. الخاتمة: تتمنَّى الأماني وليس لك عمل؟

45- ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآَيَاتِنَا**﴾**:** مكشوفة: ﴿**وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾**:** ظاهر.

46- ﴿**إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا**﴾**:** عنها، عن النظر بالآيات. ﴿**وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ**﴾**:** على بني إسرائيل، واستحقروا الرسول إذ كانوا أصحاب ملك وشأن عالٍ.

47- ﴿**فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ**﴾**:** ما نظروا للكلام، نظروا للأشخاص، لم يفكِّروا بالكلام الذي كان يتكلم به موسى عليه السلام، نظروا للقوم، نظروا للأشخاص **{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}**[10] أنت أين فكرك، أتنظر للصور أم للحقائق؟ أتنظر للصورة؛ ليست لك، أم للحقائق؛ هذه الدائمة لك؟! لا تنظر للأكثرية.

48- ﴿**فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ**﴾**:** لأنهم هم هالكون، وقصَّتهم في الغرق معروفة، الله تعالى أغرق فرعون وقومه.

49- ﴿**وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ**﴾**:** بنو إسرائيل. ﴿**يَهْتَدُونَ**﴾**:** بالتوراة. إن الإيمان بالله وبموسى وبالكتاب لا يكفي إذا لم يبصر الإنسان الحقائق. كانوا أولاً في عصر سيدنا يوسف عليه السلام مؤمنين، ثم فسقوا فسلَّط الله عليهم فرعون، ثم التجأوا فبعث لهم سيدنا موسى عليه السلام لعلهم يهتدون لكلمة (لا إلّه إلّا الله): التجأوا إلى الله لكن ما فكَّروا، ما استعظموا كلام رسولهم، فما عقلوا منه شيئاً. السحرة أخذوا كلامه، نظروا فعله، عقلوا فآمنوا. وبعد أن ضايقهم فرعون "وبعد أن ضايق فرعون بني إسرائيل" من قبل وبعد سلسلة من المداواة وعناية من الله، فلعلّهم أيضاً لَمَّا جاءهم بالتوراة يؤمنون ويهتدون.

إذن: لا بدَّ من الاجتهاد والسعي في طريق التقوى. أما بنو إسرائيل فقسم كبير منهم ما اهتدى وإن اهتدى بعضهم، فمن لا يفكِّر لا يؤمن، والتقليد خطر ووراءه الهلاك.

50- ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آَيَةً**﴾**:** أيضاً لعلهم يهتدون، أمه حملت من دون رجل، هو وُلد من دون أب، تكلَّم في المهد فما نظروا لذلك، بل كذَّبوا كلامه، لَمَّا كذّبوه وصمَّموا على قتله، فآواه الله. ﴿**وَآَوَيْنَاهُمَا**﴾**:** لم يُرفعا إلى السماء وإنما هما في مكان مرتفع من حوله الجبال والأنهار. ﴿**إِلَى رَبْوَةٍ**﴾**:** ما رفعه للسماء. إذن: سيدنا عيسى عليه السلام ليس في السماء، بل في ربوة. ﴿**ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**﴾**:** ذات جبال ومياه، ويقال أنها "ربوة دمشق".

---

[10] سورة يوسف – الآية:103.

سورة المؤمنون: [51-60]

51- ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾: لا تلتفتوا لمن كذَّبكم. الله تعالى يخاطب الرسل: هكذا قولوا لعبادي أن يأكلوا الطيبات ويعملوا صالحاً وأنا عليم بعملهم. قولوا لعبادي: أنا ما حرمتكم من شيء، لكن خذه من طريق الحق، مما تطيب به نفسك. وهكذا لم يحرّم الله تعالى علينا شيئاً تميل له النفس لكن جعل لكل شيء طريقاً حلالاً، إذا الإنسان أكل مما تطيب به نفسه، أي: عرفت أنه سبب لإقبالها على ربها فتطيب به، عندها يمنحهم السعادة دنيا وآخرة. الله تعالى لما خلق الخلق خلقهم كلهم للسعادة. ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾: لتقبلوا، لكن إن لم تؤمن لن تأكل طيّباً ولن تعمل صالحاً. ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: عملكم عليم به. احذر أن تعمل عملاً مخالفاً للحق، للعدالة، هذا يعود عليك.

52- ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾: عيسى عليه السلام وأمه ستؤمّون كلكم إليهما، كلكم سواء. البشرية كلها أمَّةٌ واحدة وما سوى ذلك هذه عنعنات جاهلية. سيدنا نوح عليه السلام ابنه كافر، صهيب: رومي، سلمان: فارسي، كلنا واحد، أصلك فعلك، ما اكتسبت أنت بذاتك لا نسب أبيك. ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: كلنا لآدم وآدم من تراب، كلنا واحد ما في تفريق. أنا خلقتكم جميعاً للسعادة، كلكم لآدم. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾: وحدي مربيكم. ﴿فَاتَّقُونِ﴾: انستروا بي لتروا الخير خيراً، والشر شراً، كلنا جئنا إلى الدنيا لنستنير بنور الله ونعمل صالحاً. خلقناهم للسعادة وليكونوا كلهم كتلة واحدة، لكن من عدم علمهم:

53- ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: منهم من غالى في عيسى عليه السلام فجعله إلٰهاً ومنهم من أنكر عليه. ﴿زُبُرًا﴾: صاروا شيعاً، فرقاً، أحزاباً، أقواماً. مِللاً. ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: كل واحد يرى نفسه على حق، من دون عقل وتفكير بطريق الحق، لمْ يفكِّر لمَ أخرجه الله إلى الدنيا! ينظر للحال الذي هو فيه، لا ينظر إلَّا لدنياه، فرحون بما لديهم من دنياهم، هذا بالمال، هذا بالوظيفة، وهذا ببنائه وآخر بسيارته، وكل هذا زائل، الإنسان أيّاً كان يجب أن يفكِّر بنفسه وأصله ثم نهايته، وأن يفكِّر بما عمل في دنياه.

54- ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: في انغماسهم بدنياهم، بحبهم لها، أنت قد بلَّغت، دعهم في دنياهم، بما غمرهم من الضلال إلى يوم الساعة حين ظهور عيسى عليه السلام وأمه. ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: موتهم، فمن لا يفكِّر لا جدوى له.

55- ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾: أيحسبون هذا خيراً لهم؟ وأن ذلك هو السعادة! هل المال، الدنيا، هي السعادة؟ هذا غلط.

56- ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: أيحسبون هذا العطاء هو خير لهم وسعادة؟ لا ليست هذه هي السعادة. ﴿بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾: بما وراء ذلك، ما وراء هذه الدنيا. هنالك الهلاك، ما هو عارف المستقبل ما سيكون، كل هذا سيُسأل عنه، أعطاك ربك ما أعطاك، فماذا فعلت؟! لكن السعادة الصحيحة لا بالمال والبنين، بل بهذا الذي سنذكره:

57- ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾: فالخشية تأتي من التفكير. ﴿مُشْفِقُونَ﴾: يخافون العاقبة، هؤلاء هم السعداء، فكَّر، آمن، صارت له خشية، هذا هو السعيد، كل من آمن بربه صار خائفاً منه فصارت له الخشية منه، هؤلاء هم السعداء، أما أولئك الذين أُوتوا شهواتهم فمن ورائها شقوتهم.

58- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: سبب الخشية أنهم يؤمنون بآيات ربهم ويفكِّرون بها، منْ فكَّر بالآيات آمن بها؛ بمربّيه، عظَّم الآيات آمن بالله، بلا إلَه إلَّا الله فصارت له الخشية، هؤلاء هم السعداء لا أولئك.

59- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾: يعلمون أن كل شيء بيد الله، لا مربٍّ لك إلَّا الله وحده، الخير كله منه تعالى وحده، فعرف أن المربّي هو الله وحده، لا رزَّاق غيره، فهو سائر ضمن أمره.

60- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾: يعطي. ﴿مَا آتَوا﴾: من الخير. يعملون الخير، يعطون العطاء ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: من الله تعالى. ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾: أن الله هو الممد بفعل الخيرات، بفضله تم ذلك. كما يعلم أنه راجع إليه فيسأله، عارف أن الله سيسأله عما فعل وأنه مهما عاش لا بدَّ من ساعة. أعطاك ربك آلة عالية لا تضيّعها، فكِّر بها.

سورة المؤمنون: [61-70]

61- ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: بالعمل الطيب، لأنه ناظر أن عمله يرجع عليه. فكِّر وارجع إلى الصواب، فمن لا يفكِّر دون الحيوان، دون الحمار. ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾: للجنَّة، للسعادة. للجنَّة غداً.

62- ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: ما كلَّفك فوق طاقتك، يستطيع كل إنسان أن يعمل عملاً طيّباً ولو صغيراً. وقد أعطاك الله تعالى أهليّة لأن تصبح بأعلى الكمال، فكِّر لتصل لهذا. أعطاك آلة تامَّة تصبح بها بصيراً لا تستهوي بعدها هذه الدنيا وما فيها من مفاسد، ترى حقيقتها، وهذا تكليف غير صعب. انتسب للمدرسة تستهون بها هذه الرؤية للحقائق، أما إذا تشرّدت وتركت الأصول فلن تهوى إلَّا الرذيلة، ليس التلفزيون والراديو والطائرة وكل هذه المخترعات المدهشة إلَّا من صنع الإنسان، فالإنسان عنده إمكانية هائلة، عليه أن يستخدمها في إصلاح نفسه والسير ضمنَ أمر الله تعالى، وبإمكانه حتماً أن يعمل هذا. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾: من أعمالكم التي تعملونها، يسطِّر عليك عملك. ﴿يَنْطِقُ﴾: غداً عليكم. ﴿بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: حاشا لله أن يُظلَمَ أحدٌ في ملكه.

63- ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: مغمورة بحب الدنيا. ﴿مِنْ هَذَا﴾: ما ساروا بالحق، هذه الآلة أهملوها فصدأت. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾: كالتلفزيون. الآن أعمالهم منحطة، لكن إعراضهم سيسوقهم لأعمالٍ أدنى انحطاطاً منها. ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾: ساعون إليها، راديو، فيديو... فهم يستمرون على هذا إلى قيام الساعة.

64- ﴿حَتَّى﴾: يوم القيامة. ﴿إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾: إلى النار قبلهم. إذا أصاب الأغنياء أو أصحاب الشأن العتاة: ﴿بِالْعَذَابِ﴾: يفاجؤون بالعذاب فيبهتون. ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾: يبهتون، شاخصة أبصارهم ذعراً.

65- ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾: سيصيبهم صغار، المريض من ينصره من الطبيب؟

66- ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾: تُذكَّرون بها. ﴿فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾: تتراجعون.

67- ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: مستعظمين عليه أن كان رسولاً، ومستكبرين بما لكم من شأن دنيوي واختراع، تستكبرون عن سماع الحق وتجعلونه كأسماركم أحاديث لا فائدة تحتها. ﴿سَامِرًا﴾: تتسامرون باللهو واللعب والفسق، في سهراتهم يهجرون ما جاء به. ﴿تَهْجُرُونَ﴾: الحق.

الله تعالى أعاد الخطاب لأولئك المخاطبين ولنا نحن بالتالي:

68- ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾: ما هو لازم أن يفكِّروا! فيروا ما فيه من منطق وحق. ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: أما سبقه رسل... هل هذا غريب... أما أرسلت قبله رسلاً؟

69- ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾: أما قارنوا أعماله بأعمالهم؟! أما رأوا كماله، كلامه، عطفه، حنانه؟!: ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾: أفلم يروا كماله حتى ينكروا رسالته؟

70- ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾: تخيلات، يقولون بأنه يتخيَّل تخيلات من دون تفكير منهم ولا تمحيص. ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: أفلا يفكِّرون به. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾: لا ينكرون نبوته ولكن يكرهون الحق. ﴿لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾: كل إنسان يقول نفسي.

سورة المؤمنون: [71-80]

71- ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾: لو كانت الأمور تسير على حسب كيفهم. ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ﴾: لا مطر، السماء أصبحت لا تجود إلَّا باليسير. ﴿وَالْأَرْضُ﴾: لا نبات[11] ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾: وهذا الآن وقع، كل واحد سار بهواه فتغيَّر نظام الكون: زلازل، طوفانات، قحط، عدم أمطار. ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾: فكِّر ببدايتك، بأصلك، من أين جئت، أصل النطفة من أين جاءت؟ ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾

72- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾: أنت لا تطلب منهم شيئاً. ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾: منهم. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: لك.

73- ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: تدعو كل الناس أن يسيروا بطريق الحق كأنهم إخوة، أن يعاملوا بعضهم بالإحسان، الإنسان يعامل أخاه الإنسان بالإحسان، هذا كل ما طلبه الله منك. أين تفكيرهم؟

74- ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾: إن لم يؤمن باليوم الآخر هذا قانون، لا بدَّ أن يتنكب طريق الحق ولن يسير به. لو آمنت بالآخرة حقاً وبالحساب لاستقمت حقّاً. إن آية: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[12] لا يمكن أن ينفذها الإنسان إلَّا إذا سار ضمن القوانين، عليه أن يؤمن بالآخرة حتى يكون قد مشى ضمن القوانين هذه.

في أول السورة أخبرنا تعالى عن الأمم السابقة. الآن حذَّرنا تعالى مما أصابهم فقال:

75- ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾: أولئك السابقون، أي هؤلاء الذين هلكوا من الأمم السابقة ﴿وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: لازدادوا كفراً وطغياناً، ولكن رحمة منَّا بهم أهلكناهم.

76- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾: قبل الهلاك ابتليناهم لعلهم يرجعون. إن الأقوام التي ذكر الله من قبل عن هلاكها لم يُؤخذوا إلَّا بعد أن عُذِّبوا علّهم يرجعون ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾: ما خضعوا. ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: كل هذه الشدائد ما أثَّرت فيهم.

---

[11] انظر إلى الأنهار كنهر(بردى) مثلاً؛ الأنهار الآن آسنة، الطعام من هذا الماء الآسن، أنهار بلا أسماك، والآن هلاك البقر والأنعام، العواصف، الأعاصير، الفيضانات، الزلازل، البطالة، الإفلاس.

[12] سورة البقرة – الآية:284.

77- ﴿**حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾**:** باب الهلاك. ﴿**إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾**:** محرومون من كل خير هُيِّئ لهم، خسروا كل شيء، لا مالاً ولا ولداً ولا عملاً صالحاً في الآخرة. حتى لا تقع بهذا يا إنسان ولا تصيبك الشدائد فكِّر بهذا:

78- ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ**﴾**:** كنت لا شيء جعل لك السمع. ﴿**وَالْأَبْصَارَ**﴾**:** أيضاً فكِّر بها. حتى تسير ضمن القوانين عليك أن تفكِّر. ﴿**وَالْأَفْئِدَةَ**﴾**:** فكِّر بالسمع، بالبصر، كيف صارت هذه الأجهزة، فكِّر بأذنك، بعينك، من صنعها لك وخلقها؟ من رتب لك هذا الترتيب، كيف تسمع؟ كيف تُبصر؟ هل خلقت نفسك؟ ألا تشكر الله على هذه النعمة... ﴿**قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ**﴾**:** ربكم على هذا الفضل! ألا تشكره ولو قليلاً؟

79- ﴿**وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾**:** من أين خلقت؟ كيف جئت؟ من هو الذي أوجدك على ظهرها؟ ﴿**وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾**:** إن لم تفكِّر لن تصل للإيمان، بل تظل منغمساً في الشهوات والانحطاط.

80 - ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾**:** هل من أحد غيره؟ كل الأمور بيده. ﴿**وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾**:** ألا تفكِّر بذلك؟ ما سبب هذا الاختلاف؟ كيف أن الليل يطول ويقصر، دوران الأرض ألا تفكِّر به، بعظمة ربك الذي يدير الأرض بسرعة عظيمة ويسيِّرها، ما هذه القدرة؟ ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾**:** أما عندك شيء من تفكير كي تعقل! لمَ لا تفكِّر حتى تعقل وتؤمن؟! بعد الآيات الثلاث السابقة عاد تعالى إلى ذكر الأقوام السابقة.

سورة المؤمنون: [81-90]

81 - ﴿**بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ**﴾**:** جماعتك قالوا كما قال من سبقهم.

82 - ﴿**قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾**:** حيث أنهم ما عرفوا بدايتهم قالوا هذه الكلمة.

83 - ﴿**لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾**:** ما هذا القَصص المتتالي؟ ما فائدته؟ عدم تفكيره يجعله لا يفهم المراد.

84 - ﴿**قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا**﴾**:** من يدير شؤونها؟ ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾**:** إن كنتم أهل علم ومعرفة تعتزُّون بعلمكم.

85 - ﴿**سَيَقُولُونَ لِلَّهِ**﴾**:** كل الكفار يقولون ويدَّعون ذلك. ﴿**قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾**:** شيئاً، لمَ خُلقت؟ ما المراد؟ ألا تقول من هو هذا الإلَه؟ أفلا تقدِّر عظمته؟

86 - ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾**:** من المدبّر شؤونها؟ هل ثمَّة أحدٍ ينزِّل مطراً؟

87 - ﴿**سَيَقُولُونَ لِلَّهِ**﴾**:** إذا كان كما تقولون. ﴿**قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾**:** تنظرون بنوره لتروا طريق الحق، أفلا تفكِّر وتقبل عليه وتستنير بنوره! فقط كلام بدون تفكير؟

88 - ﴿**قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ**﴾**:** المخلوقات. من أجارك وأنت في الفلك المشحون وأنت جنين. من يتحدَّاه فيخلَّد ولا يموت... من يستطيع أن يصنع صنعه تعالى ليعلو عليه ويجور عليه، هل خلقوا خليَّة حيَّة؟! فكيف بما فوقها! من يجيرنا بالليل ثم يجيرنا بالنهار وبالشمس والقمر والأمطار والخيرات ونحن تجاه إمداد أنفسنا بها لعاجزون، من يجيرنا بالسمع والبصر والجسم؟

﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: لا يردُّ أمره أحد، ولا أحد يوقف حكمه. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: حسب ادِّعائكم، أنه حقّاً لله؟

89 - ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: ما هو الشيء الذي أعماكم عن النظر للحقائق، ما هو الشيء المغطي على وجهك؟

90- ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: بقولهم لله... لله، قول من دون تفكير وعقل، لو قال حقّاً لله لعرف الله، يقولها قولاً ولكن لم يفكِّر بها، إذن: فكِّر واعقل حتى لا تعدَّ كذَّاباً، ارجع للبداية واعقل لتعرف ربك، "من عرف نفسه عرف ربه".

سورة المؤمنون: [91-100]

91- ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾: كما قالت النصارى واليهود. ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾: كما ادَّعت العرب. ﴿إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: لحصل خلل في الكون. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: ما أرفعه عن أن يكون له ولد أو مُعين.

92- ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى﴾: أعلى وأعلى. ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: جميعاً بعدم تفكيرهم.

93- ﴿قُلْ رَبِّ﴾: الله تعالى يعلِّم رسوله أن يدعو: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾: من الهلاك وقت الساعة، عندما يستحقون الهلاك العام احفظني يا رب.

94- ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: احفظني من أن أكون معهم لشدَّة ما سيقع يومها. كل الأنبياء والرسل استجاروا من الساعة.

95- ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾: على خلاصك، على حفظك. **{كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ}**[13] كل إنسان والبلاء يصيبه بقدر ما يناسبه وبقدر حاله.

96- ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾: مع عملهم السيء عاملهم بما يقتضي صلاحهم، عاملهم بالحسنة: وأنت أيها المؤمن كن إنساناً لتخلُص من عذاب هذا اليوم، حتى تحفظ من ذلك اليوم يوم "الساعة" ادفع بالتي هي أحسن السيئة: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: لا تخفى على الله خافية، فانظر حنان الله وعطفه.

97- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: تزيين الشياطين. أعتز بالله من أن يكون للشيطان لوساوسه لهم سبيل أو أذى، كذلك إن عذت بالله ما من أحد يؤذيك بواسطة شيطان جاء له.

98- ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾: بوساوسهم. ذاتهم لا بواسطة أن يوسوس لك: باعتزازك تخلُص، كل من اعتزَّ بالله حفظه الله.

99- ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾: أهكذا يفعل هذا الإنسان؟ ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾: أهكذا حالتهم ساعتها؟! الله سبحانه لم يأخذ الإنسان إلا بعد فحص وتمحيص ولم يبقَ به أمل للتوبة والرجوع إليه سبحانه، فالله سبحانه في الآخرة يكشف للذي كفر وأعرض عنه، حينما يطلب العودة للدنيا مرة

---

[13] سورة يونس – الآية:103.

ثانية، هذه الحقيقة قائلاً له: يا عبدي لو رجعت للدنيا لن تستفيد شيئاً ولا طريق لك للتوبة والعمل الصالح، فيقول هذا الإنسان:

100- ﴿**لَعَلِّي**﴾**:** بعد أن بيَّن له تعالى، يقول الإنسان ويترجَّى ربه: لعلي ﴿**أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾**:** بهذه الدنيا. ﴿**كَلَّا**﴾**:** ساعتها لا رجعة، إن لم تنل الآن خسرت. ﴿**إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا**﴾**:** عند الموت يصحو الإنسان، لكن المسكين ضيّع الفرصة. ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ**﴾**:** العذاب من ساعة الموت. ﴿**إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾**:** ليوم البعث. يعودون كلهم نفوساً، وكذلك المؤمن عليه ألا ينظر إلَّا لله، وعليه أن ينظر إلى الناس نظرة واحدة إذ هم عبيد لله.

سورة المؤمنون: [101-110]

101- ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ**﴾**:** ساعة البعث تنفخ الروح في الصورة؛ بالجسد بعد أن نبت وخرج، ينبت الناس كالزرع ثم تنفخ الروح في صورهم. ﴿**فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ**﴾**:** لا أب ولا أم ولا قوم ولا أحد، كل واحد يقول: نفسي. ﴿**وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾**:** كلٌّ ملتهٍ بحاله، كل واحد ونفسه.

102- ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**﴾**:** مَنْ كان عملُه عالياً، هذا فكَّر إلى أن صلَّى فصار صاحب كمال ثم فعل الإحسان. ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾**:** سعادة أبديّة لا شقاء بعدها.

103- ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾**:** ما فكَّر، ما صلَّى، ما آمن، ما عمل. ﴿**فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾**:** خلقك ليعطيك عطاءً كبيراً، لكن ترى تضييعك ساعتها. ﴿**فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾**:** سقط في النار.

104- ﴿**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾**:** لهيبها يشوي وجهه... ﴿**وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**﴾**:** من الإرهاق.

105- يُخاطَبون: ﴿**أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي**﴾**:** ذكر لك اختلاف الليل، السمع، البصر، الشمس، القمر. ﴿**تُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾**:** الآيات الدالّة على الله ما سمعتم بها! أما سمعتم بمن سبق؟ ﴿**فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾**:** تنكرها، ما عبأتم بها.

106- ﴿**قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا**﴾**:** شهوات الدنيا، فحرماننا من الخيرات. ﴿**وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ**﴾**:** عن الحق. وما فائدة هذا الإقرار ساعتها؟ لكن يعلمون أنهم ظلموا أنفسهم والله تعالى لم يظلمهم. فالتكذيب سببه الشهوات الدنيوية. يجب أن تفكِّر بالبداية والآخرة عندها شهوتك تغدو رضاء الله فيفتح عليك، إذ تصبح صادقاً.

107- ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا**﴾**:** الآن، لكن ما الفائدة؟ ﴿**فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ**﴾**:** ولكنهم كاذبون، لو خرجوا لعادوا.

108- ﴿**قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا**﴾**:** خاسرين: ﴿**وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾**:** ولو رجعوا لفعلوا ما فعلوا.

109- ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ**﴾**:** لكم. ﴿**رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**﴾**:** شاهدتم من سلك ولكن أبيتم. هكذا كل مؤمن يدعو الله بأن يجعل شفاءه في دار الدنيا لا في الآخرة.

110- ﴿**فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا**﴾**:** سخرتم منهم. ﴿**حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي**﴾**:** هذا الاستهزاء ساقكم لهذا النسيان. ﴿**وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ**﴾**:** ما صار لكم ارتباط بهم، فما دخلتم بمعيّتهم على الله، ما رأيتم كمال الله. عدم ارتباطكم بهم جعلكم مع الشيطان فما رأيتم الكمال الإلّهي.

سورة المؤمنون: [111-118]

111- ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ**﴾: على ما فعلوا. ﴿**بِمَا صَبَرُوا**﴾: على تكذيبكم ومعاندتكم. ﴿**أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾: بالنعيم الذي لا نهاية له.

112- ﴿**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ**﴾: أيها المعرضون. ﴿**فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ**﴾؟

113- ﴿**قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾: ما درينا إلا ومضى العمر: ﴿**فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ**﴾: الملائكة.

114- ﴿**قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً**﴾: الدنيا مؤقتة، الآخرة مالها نهاية. الدنيا لمحة بالنسبة للآخرة. ﴿**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾: ما سيحلُّ بكم لما أعرضتم وما لعبتم.

115- ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ**﴾: يا عبادي. ﴿**أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**﴾: من دون فائدة، لعباً! هل تظنون هذه الدنيا أكل وشرب ولعب؟ كل هذه الكائنات خلقها من أجل هذه المدة القليلة؟ ﴿**وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾: أهكذا أوصلكم عدم تفكيركم؟

116- ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ**﴾: عن العبث. عن هذا الشيء، عن أن يخلقكم عبثاً. ﴿**الْمَلِكُ**﴾: مالكك. ﴿**الْحَقُّ**﴾: ضمن الحق، ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: لا رزاق، لا مسير سواه. ﴿**رَبُّ الْعَرْشِ**﴾: التجلِّي. ﴿**الْكَرِيمِ**﴾: لا شائبة له.

117- ﴿**وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ**﴾: لا يمكن له أن يأتي ببرهان على ذلك ﴿**فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾: الكافر آخرته هلاك.

118- ﴿**وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ**﴾: اشفني. ﴿**وَارْحَمْ**﴾: تجلّ عليَّ بفضلك. ﴿**وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**﴾: لا رحيم سواك ومنك تُشتق الرحمة يا رب.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النور: [01-10]

1- ﴿سُورَةٌ﴾: حصن وسور، سمَّاها تعالى سورة لأن الإنسان إذا عمل بها حُفظ. سور حافظ للإنسان، فهذه السورة كل من عمل بها وطبق ما فيها من أحكام وأوامر ونواهٍ صارت سوراً عليه، وجعلته في حصن حصين بالنور الإلّهي وأحاطت به الأنوار وصار معصوماً من المهالك والمحرمات، وحفظته من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة فلا يدخل عليه كدر، بلاء، شدائد قط. ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾: عليك يا محمد ﷺ، على رسولنا. ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: عليكم وعلى الخلق لتعملوا بها وهذا هو العهد، الله تعالى يبين لنا أنه أنزل هذه السورة لعباده فكل من عمل بها دخل ضمن هذه السورة فحفظ فصار أهلاً للجنان. ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: لأن فيها النور الذي يسطع على قلبك أيها المؤمن فتتفتح منك عين البصيرة وتغدو بالتقوى، بلا نور كيف يسير الإنسان! يجب أن يكون معك نور لتتجنب المهالك، كل من لم يعمل بها لا يدخل الجنان.

حتماً كان في حصن كل من اتبع ما فيها، الفرض تاركه هالك ومتبعه ناج. ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: ظاهرة مفهومة ترى ما فيها من الخيرات، فهي ظاهرة الدلالة والخيرات، تبيِّن لك الطرق التي تهلكك وطرق الخلاص منها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: فضله وحنانه عليكم، بدايتكم فتنالون التقوى، إن اتبعتم وفكرتم تَذْكُرُون فضل الله عليكم. إن لم يفكر الإنسان فلن يعمل، وإن لم يعمل فلن يدخل الجنة، فالإنسان إن لم يحتمِ بهذه الحياة بشيء عظيم لن يحفظ. هذه الأحكام والآيات هي:

2- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾: من زنى. ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: فيما تَدينُون فيه إلى الله من الحق والكمال، فيما أراد الله من الحق. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾: أي أن المؤمن يفعل ذلك، إن آمنت وجدت أنه ليس إليك أقرب من الله فتنادي القريب "لا عظيم مثله فتخضع إليه وحده". ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾: لأنك ترى إحسانه وحنانه وترى في إقامة الحد الخير لهما وللمجتمع ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: "الفائدة من الحد للزاني والمجتمع، هو يتأدب والمجتمع يخاف" كانت الدولة العثمانية مطبقة أحكام القرآن فكانت في عزٍّ، وعندما جاء سليمان القانوني وعطَّل الأحكام القرآنية تقهقرت الدولة.

3- ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾: الفعل كله بيد الله، لا يمكن للزاني أن يتعدى إلا على امرأة في نفسها الميل للزنى أو مشركة ليس لعرضها عندها قيمة ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾: إذا أراد إنسان القتل، السرقة، الزنى، لا يُسلَّط إلا على امرئٍ مثله، الطاهر زوجته طاهرة حتماً وبالعكس.

ذلك شرط لابد منه، فلا إلّه إلا الله، هو الذي يعطي هذه لذاك وهذا لِتِلك، ولا يُوقِع طاهرة مع فاجر: ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي المؤمن لا يزني والمؤمنة لا يُزنى بها.

وحُرِّمَ هذا العمل على المؤمنين، لأنه يجلب التعاسة، الرذيلة، جهنم. المؤمن لا يزني، كذلك زوجته طاهرة مثله.

4- ا ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: لشريفات الطاهرات يتهمونهن، طاهرة طيبة إن رماها أحد بالزنى. ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: هذا شرط الحكم. ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾: يتهمها وهي شريفة

يجلد /80/ جلدة: ﴿**وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا**﴾: لأنهم كذبوا وشهدوا زوراً، لا تُقْبَل لهم شهادة بعدها. ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾: خارجون عن طريق الحق وعن الحق.

5- ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا**﴾: من رحمته تعالى فتح لهم وللإنسان باب التوبة. ﴿**مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: سيبعث لهم الشدائد حتى يشفوا، أرسل لهم مصائب وشدائد وعندها التجأوا إلى الله فعندها يغفر لهم. إن رجعوا عن بهتانهم وتابوا عندها تقبل شهادتهم.

6- ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ**﴾: يشهدون عليهم أنهم فعلوا منكراً. ﴿**فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ**﴾: فإن شهد الزوج على زوجته أربعاً يقول: والله والله والله. ﴿**إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾: يُعفى مِنْ دفْع حقوق المرأة بطلاقه إياها.

7- ﴿**وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾: بعداً له عن رحمة الله، إن اتهمها بشيء لا أصل له فهو ملعون بعيد عن السعادة الكبرى: ﴿**إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾: لتهمته إياها إن كان ذلك كذباً.

8- ﴿**وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ**﴾: يُرفع الحد عنها إن حلفت: ﴿**أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾: تدرأ إقامة الحد عن نفسها ويقع الطلاق إن أقسمت أنه كاذب. ولكن الزوج لا يعطيها شيئاً.

9- ﴿**وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾: خلصت من الحد لكن حلّ بها الغضب.

10- ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**﴾: لأهلككم في الزنى والاتهام، لمسَّكم عذاب عظيم ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ**﴾: يتوب سبحانه على التائب ويفتح له باب الرجوع إليه دوماً. ﴿**حَكِيمٌ**﴾: ولكن يرسل لكم بلاء وشدائد لتعودوا إلى الحق.

سورة النور: [11-20]

11- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ**﴾: عن السيدة عائشة رضي الله عنها، اتهام عائشة عليها السلام. ﴿**عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**﴾: جماعة رموا السيدة عائشة كذباً. ﴿**لَا تَحْسَبُوهُ**﴾: يا محمد ﷺ ويا أبا بكر ويا عائشة: ﴿**شَرًّا لَكُمْ**﴾: أنتم كسبتم خيراً عظيماً ﴿**بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾: إذ أصبحتم باباً للتشريع، لا تحزنوا جعلكم باباً لظهور الشرع وسبباً في نزول الأحكام وتعريف الناس بها، كذلك أنتم يا مؤمنين لا تحسبوه شراً لكم لأنه أصبح قانوناً عاماً؛ فالرجل الطاهر زوجته لا يمكن أن تقع بالزنى، ولذلك اطمئن الكل.

﴿**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ**﴾: لكن الذين تكلموا "من افترى" كل واحد منهم له جزاء بحسب ما قال. كلٌّ بحسب كلامه. ﴿**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ**﴾: الذي بدأ بالقول في الموضوع وإشاعة هذا النبأ وتوسيعه. ﴿**لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: في الدنيا، لعله يرجع إلى الحق.

12- ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ**﴾: هذا الكلام. ﴿**ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ**﴾: بإخوانهم: ﴿**خَيْرًا**﴾: المؤمن يقول بنفسه أنا لا أفعل هذا الشيء فكيف برسول الله ﷺ وزوجته، ومنه تعلمنا الفضيلة والطهارة، أي يجب أن يقولوا إن رسول الله ﷺ لن تكون له امرأة زانية، كذلك لن تكون عائشة رضي الله عنها فاسدة وهي ما هي. (وهي على ذمة (وزوجة) سيد الطاهرين رسول الله ﷺ) هذا كان أجدر بكم، وهذا الحكم سارٍ في كل وقت: ﴿**وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾: هذا بهتان ظاهر. إذا سمع المؤمن بكلام باطل فيجب عليه أن يردَّه. "والناس الآن يظنون بالأنبياء إذ قالوا أحب داوود زوجة جندي عنده، سيدنا يوسف همّ بها، سيدنا محمد أحب زينب؛ وحاشاهم أجمعين عليهم السلام".

13- ﴿**لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ**﴾: هلّا أتوا بأربعة شهداء فلننظر. ﴿**فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ**﴾: ألا وإنهم لم يأتوا بهم ﴿**فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾: فهم كاذبون بدعواهم هذه حتماً.

14- ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾: لولا فضل الله عليكم أيها المتكلمون بهذا ﴿**وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾: لولا أن رحمكم الله لأصابكم البلاء بما أذعتم وتداولتم به بينكم. ﴿**لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ**﴾: أخذتم بالكلام عنه وإشاعته. ﴿**عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: بلاء فأهلككم، كذلك كل من يتكلم بحق مؤمن.

15- ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ**﴾: تتكلمون به. ﴿**وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**﴾: تتحدثون وتظنون بما ليس فيه شهداء، على الإنسان ألا يتكلم بمجرد السماع، المؤمن يحفظ كل جوارحه ليسعد دنيا وآخرة: ﴿**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا**﴾: هذا الاتهام هَيِّن!: ﴿**وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**﴾: وهذه الشهادة عظيم وقعها لدى الله تعالى، وسيجازى كل من تكلم بها على ما قال.

16- ﴿**وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا**﴾: يجب ألا نفيض بهذا. ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾: يا رب، أنت أعلم بطهارتها. ﴿**هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾: لن يكون هذا لنبيّك ورسولك. هذا كان الأوْلى بكم، المؤمن الشريف يرى للعرض قيمة كبيرة عنده فلا يتهم أحداً، وكذلك فهو لا ينسب المعصية لآدم عليه السلام لأن المعصية عظيمة في نظره.

17- ﴿**يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا**﴾: يحذركم الله من العودة لمثله، المؤمن يحافظ على لسانه وقلبه: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: المؤمن يدخل ضمن السورة ويطبقها.

18- ﴿**وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ**﴾: بحال كل امرئ. ﴿**حَكِيمٌ**﴾: يعطيهم العلاج المناسب.

19- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: وهم المنافقون الذين تكلموا أو نقلوا ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ هذا العذاب

20- ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**﴾: لأهلككم، لأهلك الذين تكلموا أو نقلوا. ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾: لكنها رحمته.

سورة النور: [21-30]

21- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾: لأن الأمر الصغير ينقلب إلى عظيم: ﴿**وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**﴾: تعهد أن يهلكك. ﴿**وَالْمُنْكَرِ**﴾: هذا عمله ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ**﴾: أيها المتكلمون. ﴿**مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا**﴾: ما بقي منكم أحد: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**﴾: منكم، كل من شاء الطهارة وتاب طهَّره الله تعالى.

فكيف تحصل الطهارة؟

تتم الطهارة بعد التوبة والرجوع إلى الله وعمل الإحسان، تُقْبِل النفس فتطهر: فبالشدائد التي يسوقها الله للإنسان يتوب الإنسان فيعمل المعروف وتقبل نفسه على الله وتطهر، فالإنسان إن وقع في إثم انطبع هذا الإثم في نفسه. لكن إن تاب وأقبل يزول هذا الشيء من نفسه، وبالموت والفناء يطهر جسدُه مما علق به. التراب طهور يطهِّر جسده، فإذا رجع بالآخرة يرجع الجسد طاهراً والنفس طاهرة فيدخل الجنة. فعلى الإنسان أن يُطَهِّر نفسه في دنياه، وقد يطهر في البرزخ من بعد شدائد وأهوال. والعاقل من يتوب في الدنيا قبل الآخرة وقبل الموت، العاقل من يطهِّر نفسه في دنياه، إن لم يطهر هنا لابد غداً من التطهير في القبر أو النار. ﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ**﴾: سميع لكلامك، إن كنت صادقاً وطالباً للطهارة. ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بما في نفسك.

22- ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى**﴾: لا يقسم أحدكم أن لا يعطي فقيراً كان قد مسه منه سوء، وكان الصدِّيق قد تأثر ممن رموا ابنته بالإفك، فأقسم ألا يعطيهم شيئاً، فأمره الله بالعفو والصفح.، فلكلٍ أن يعمل حسب نفسه ونشأته ﴿**وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: المفتري كان من المهاجرين، نزلت بحق أبي بكر رضي الله عنه لأن المفتري كان قريباً له، وقد وعده من قبل بالتصدُّق عليه فقطع عنه العطاء بعد الافتراء، كما كان يبرُّ شخصاً فقيراً فجاء هذا الشخص وتكلم بحق السيدة عائشة وحلف الصدّيق أن لن يعطيه شيئاً، فعاتبه الله تعالى وقال: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا**﴾: إن هم أساؤوا فيجب أن نعاملهم بالحسنى لا بعملهم. ﴿**أَلَا تُحِبُّونَ**﴾: أنتم. ﴿**أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾: فانظر لحنان الله تعالى ورحمته. ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: له، لا بدَّ أن يعاقبه، دع الأمور لله، أنت استمر على إحسانك له وهو سيؤدّبه الله، وهكذا إذا أصاب الإنسان سوء ممن يُحْسِن إليه فليصفح.

23- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ**﴾: بعد الآن، وبعد نزول الآية. ﴿**الْمُحْصَنَاتِ**﴾: أُحصِنّ بالإيمان فهنَّ طاهرات. ﴿**الْغَافِلَاتِ**﴾: البريئات من هذا الاتهام البشع، فهنَّ لَسْنَ بتلك الوديان أبداً ولا علم لهنَّ بما يتقوّلون عليهنَّ. ﴿**الْمُؤْمِنَاتِ**﴾: آمنَّ بالله تعالى: ﴿**لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: الذي تقوَّل عليهنَّ له عذاب في الدنيا والآخرة فالله سيعالجه، أنت أعطه وهو له عقابه.

24- ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ**﴾: لسانه يتكلم. ﴿**وَأَيْدِيهِمْ**﴾: يده تشهد، تتكلم. ﴿**وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: كله غداً يتكلم.

25- ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ**﴾: كل امرئ يُقاصَص على ما بدر منه أيّاً كان ﴿**دِينَهُمُ الْحَقَّ**﴾: ما دانوا إليه، ضمن الحق. ﴿**وَيَعْلَمُونَ**﴾: عندها. ﴿**أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**﴾: عادل... ﴿**الْمُبِينُ**﴾

26- ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ**﴾: المرأة على دين خليلها، كل واحد وله امرأة من جنسه، كما تكون أنت تكون زوجتك بحسبك ﴿**وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ**﴾: هذه قاعدة. ﴿**وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾: الطاهر له طاهرة: ﴿**أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ**﴾: عائشة رضي الله عنها زوجة المصطفى شريفة. ﴿**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾: بما قيل عنهم. ﴿**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾: حيث صارت باباً للتشريع. هذه شهادة من الله تعالى بطهارتها.

الآن وقاية من الزنى:

27- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ**﴾: حتى الأخ لا يدخل لدار أخيه إلا بإذن: ﴿**حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا**﴾: من وجود الرجال: ﴿**وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا**﴾: أهلها: من يؤول إليه الأمر وهو الرجل، ولو كان لدار أبيه على الإنسان ألا يدخل. الرجل صاحب البيت الذي يؤول البيت إليه: ﴿**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾: ما فيها من الخيرات.

28- ﴿**فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ**﴾: أطهر لكم، لك ولابنك ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾

29- ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ**﴾: دار غير مسكونة معروف أنه ليس فيها أحد والنيّة معروفة عند الله، بشرط ﴿**فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**﴾: الله عليم بنيتك وظاهرك.

30- ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾: تماماً بالكليَّة، وعلى المرأة أن تتستر متحجبة، الصور، السينما، المجلات، النساء المتبرجات، كلها تسوق للزنى ﴿**وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾: بعد غض البصر

يمكن للمرء أن يحفظ فرجه، بحفظ البصر وغضه يحفظ من الزنى، إذا غضّ بصره حَفَظَ فرجه وصار يحب زوجته، إن لم يغض لا يحب زوجته، إن لم يغض بصره يقع... ﴿**ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**﴾: أريح لقلبه... ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾.

سورة النور: [31-40]

31- ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**﴾: يحاولن قدر الإمكان لأن الرجل ظاهر الوجه، فعليها أن تتحجب ولا تنظر إلا بعين واحدة. ﴿**وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾: إن غَضَّتْ حُفِظَتْ، لا يكفي الحجاب الخارجي بل الإيمان: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾: الوجه، ما زينهن الله به. ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾: طولها وعرضها، الكفين والقدمين[1] ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾: بغطاء الرأس يغطين وجوههن وصدورهن. خُمُرِهِنَّ: ما تستر به وجهها، غطاء الوجه، يقال "فلان تخمر"[2]، تستر به صدرها: "فتحة الصدر": ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾: وجهها هذا هو الزينة الربانية. ﴿**إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ**﴾: أزواجهن "إلا لزوجها"... ﴿**أَوْ آبَائِهِنَّ**﴾: والدها، جدُّها: ﴿**أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ**﴾: والد زوجها، أعمامهن: ﴿**أَوْ أَبْنَائِهِنَّ**﴾: ابنها. ﴿**أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ**﴾: ابن الزوج، ابن زوجها "خالته زوجة أبيه"... ﴿**أَوْ إِخْوَانِهِنَّ**﴾: إخوتها. ﴿**أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ**﴾: أولاد إخوتها. ﴿**أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ**﴾: أولاد أخواتها: ﴿**أَوْ نِسَائِهِنَّ**﴾: المؤمنات أمثالهن، فلئن كانت نظرة المشركة للمؤمنة محرَّمة وظهور المؤمنة أمام المشركة، لئلا تنقل محاسنها لمشرك أو كافر فيقع في الهوى والأذى، أفلا يكون حريّاً بها ألا تظهر أمام رجل غريب وألا يراها، ومن هنا أتى الحجاب.

إذاً: نساء المؤمنين فقط، لأن المرأة الكافرة قد تصفها للرجال، فإذا كانت تصفها للرجال، فحرمت عليها؛ فهل يجوز أن تظهر للرجال؟! فالمرأة غير المؤمنة لا يجوز أن تنظر للمرأة المسلمة كيلا تنقل صفاتها: هذه المؤمنة عندها أمانة: ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**﴾: من الجواري، لأن المرأة المملوكة محدودة الحرية وهي في طريق الإيمان أو أنها آمنت. ﴿**أَوِ التَّابِعِينَ**﴾: للمملوكة، أولاد الجواري إن كان صغيراً: ﴿**غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ**﴾: الصغار، الذين هم تحت سن البلوغ فلم تتكون لديهم شهوة بعد، أي الذين لم يبلغوا الحلم: ﴿**أَوِ الطِّفْلِ**﴾: الأولاد الصغار ﴿**الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**﴾: لا يعرف وصف النساء: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ**﴾: لا تمشي مشية الشابات لكيلا تظهر أمسنة هي أم شابة.: ﴿**لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ**﴾: لا تمشي المرأة مشية تبين أنها شابة ممتلئة، إذا كانت المشية التي تظهر شبابها لا تجوز فكيف بكشف الوجه؟ ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ**﴾: طبقوا أوامره. ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: تفعلوا الخيرات فتكسبوا الجنان.

32- ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ**﴾: من مات زوجها، ومن لا رجال لهن. ﴿**وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ**﴾: إن كانوا صالحين هذا شرط، إذا كان عندك عبد أو جارية وآمن زوِّجْهُ: ﴿**إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾: يوسع الله عليهم. ﴿**وَاللَّهُ وَاسِعٌ**﴾: فضله ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بما يقتضي حاله، ما تستحق يعطيها.

---

[1] هذا السماح بظهور الكفين والقدمين قبل ظهور هذه الحضارة العارضة حيث كانت المرأة تعمل أعمالها المنزلية من غسيل وطبخ وجلي... كل ذلك بيديها فلا فتنة بهما ولا تعرف من خلالهما إن كانت شابة أم مسنة. أما بهذا الزمان وبسبب الرفاهية من غسالات وأدوات جلي كهربائية أتوماتيكية تظهر الفتنة من خلال كفيها وقدميها أنها شابة لذلك وجب سترهن.

[2] فالخمار هو غطاء الوجه (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) خمارها الساتر لوجهها، تستر به جيبها أي تستر به صدرها "فتحة الصدر".

33- ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: احذر الزنى: ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: إن كان لا يجد مالاً فليستعفف. ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾: الزواج "عقداً على مملوكة". ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: الأسرى ملك اليمين، من الجواري التي ما آمنت بعد: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾: فزَوِّجها. ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: تعلم إن زوَّجْتَه إياها أنه يوصلها للإيمان: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾: إن وجدته أهلاً يستطيع أن يدلَّها على الله، برّها أعطها شيئاً، هذه مثل ابنتك. ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾: وذلك بالحيلولة بينهم وبين الزواج. ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: لأمر دنيوي من مال وغيره، الجارية لا تمنعها من الزواج لتخدمك وتقوم بتدبير منزلك. من أجل خدمتها لك تمنعها من الزواج فتقع في الزنى: ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾: وإلا عاقبك على عملك. ﴿غَفُورٌ﴾: سيرسل لك شدائد... ﴿رَحِيمٌ﴾

34- ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾: ظاهرة، فيما سبق بيَّن لنا تعالى آيات مبينات لنا طريق سعادتنا، وأول السورة قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾: فريضة تطبيقها، فأهل الجنة يطبقونها، أهل النار لا يطبقون. ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: ممن لم يطبِّق ما حلّ به، الذين لم يسلكوا طريق الحق سمعتم كيف هَلكوا، كذلك شقاء عليهم في الآخرة، والذي فعل خيراً ما صار به.

﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾: الطالبُ التقوى الصادق هذا يتعظ بتلك الآيات، المؤمن الصحيح يكرّر هذه الآيات ولا يخالفها بشيء، فالمتقي طالب التقوى هو المؤمن الذي تهيَّأ للتقوى كطالب نال شهادة الثانوية العامة "البكالوريا" وتهيأ للجامعة.

مثل التقوى وحصولها:

35- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فما دوْرنا نحنُ وماذا نستفيد؟! إنك أيها الإنسان إنما ترى بنور الله ما في السماوات والأرض من آيات فتتَّعظ بها.

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: ماذا تفيدنا المشكاة فيها المصباح؟! في زجاجة. ومثل هذا النور الإلَهي، الذي تتقي به، في قلبك كمشكاة هي صدرك. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: نفسك. ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: وهي جسمك.

متى تجد التجلي الإلَهي بنفسك؟

متى تدرك الحقائق وتراها يا مؤمن لتسعد وتنال الخيرات المعدّة لك؟

هذا الجسم يصبح كالكوكب الدري حين يسطع نور الله على قلبك، وإنما تجد هذا التجلي بنفسك عند مشاهدتك لحقيقة رسول الله ﷺ التي هي ينبوع للخيرات.

ماذا نسمِّي هذه الروحانية؟

حقيقة النبوة العليا التي هي الشجرة المباركة إنما هي زيتونة يسري فيها التجلي الإلَهي كسريان الزيت في الزيتون، هذه الروحانية صفة نفسية في السر، لا مادية ظاهرية في المكان.

ماذا نسمي انضمام النورين؟

عند إقبال المؤمن على الرسول ﷺ ينضم النوران، نور المؤمن إلى نور النبي. وهذا الإلف والتآلف هو حقيقة الشفاعة التي بها يشرق طريق الحق أمام بصيرة المؤمن، من غير عنف ولا إزعاج بل ولا اعتصار أفكار أو إضرام نار التفكير.

من الذي يهديه اللَّه إليه ممن يشاء؟ طالب الحق يهديه الله إليه.

ما معنى ويضرب اللَّه الأمثال للناس؟ ويبين الله للناس سبيل الهدى.

لِمَ إنَّ اللَّهَ عليم بكل شيء؟ لماذا خُصَّ تعالى بذلك لا سواه؟ لأنه تعالى صاحب العلم الشامل والحب الكامل.

الآن بيان لطريق التقوى:

كيف الوصول للتقوى؟

بواسطة هذا الرسول العظيم ﷺ، ومن لم يصل إليها يظل أعمى في الآخرة. المؤمن بمجرد موته تعرج نفسه إلى الله مفتخرة بجسدها الطاهر فتظل لها صلة وإشراف عليه. من لم يعرف ربه يجثم بأرضه وجسده كله سفالة ودناءة، لذلك يلتهب قلبه ونفسه ناراً فيرسل له الشجاع الأقرع يسكِّن عليه آلامه وأوجاعه.

ولا تحصل التقوى إلا للمؤمن الذي عمل صالحاً. تتولد بنفسه ثقة فيطمئن من رضاء الله عنه لكن بدون شعور منه يكتسب من الله كمالاً يحب به أهل الكمال، يحب رسول الله ﷺ فيعرج بمعيته إلى الله.

نكرر ثانيةً:

ما هي التقوى وكيف الطريق إليها؟

﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾**:** به تَرى وبنوره ما في السماوات والأرض، كأن تقول الحُبَابة "زجاجة الكهرباء" نور الغرفة، أي بها ترى ما فيها. ولا تُرى السماوات والأرض إلا بنور الله. بنور الله ترى طريق سعادتك، بنوره ترى ما في السماوات والأرض، وبنوره ترى ما فيها من آيات فتتعظ بها، فما من شيء يُرى إلا بالله، أنت ترى الصور لكن الحقائق بالله "الحيّة منظرها جميل لكن في أنيابها السم ناقع، كذلك الدنيا كالحية" لا تُرى الحقائق إلا بالله. بعد الإيمان تصل للتقوى، الإيمان بالله قبله الإيمان بالتربية، التفكير بالموت والآخرة، إن صار الإنسان مؤمناً بالله فعندها يصل للتقوى، فكل ما في السماوات والأرض لا يُرى إلا بنور الله، ومن لا يستضيء بنور الله فهو في ظلمة لا يرى حقيقتها.

كيف الوصول لنور اللَّه:

﴿**مَثَلُ نُورِهِ**﴾**:** كيف يحصل لك. ﴿**كَمِشْكَاةٍ**﴾**:** "طاقة" غير نافذة وهي الصدر، أي قفص، وهو صدر الإنسان، الصدر "طاقة" فيها سراج، في القفص ضوء هو النفس. ﴿**فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾**:** يعني النفس، فالصدر فيه النفس. ﴿**الْمِصْبَاحُ**﴾**:** هو النفس. ﴿**فِي زُجَاجَةٍ**﴾**:** وهو الجسم الذي تسري فيه وبه النفس. تسري النفس في جميع أنحاء الجسم. ﴿**الزُّجَاجَةُ**﴾**:** إن صار فيها النور الإلَهي. ﴿**كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾**:** تدرُّ منه الخيرات، بالله تصبح تدرُّ الخيرات، يدرُّ عليك الخير أيها الإنسان إذ صرت ترى الخير خيراً والشر شراً، يصبح جسمك كله فعل معروف وإحسان، فإذا صار المؤمن وبنفسه هذا النور صار كله إحساناً. فالمؤمن يصبح وجهه جميلاً، وفعله خيراً، كله يدرُّ الخيرات. يعرف الواجب ويشعر به، وكل مساء يحاسب نفسه هل أدّى واجبه، هل طبَّق؟ لا يؤذي أحداً، يلمع وجهه حينئذ.

كيف صار كوكباً دريا؟

﴿يُوقَدُ﴾: هذا الكوكب يُشْعَل. حتى يصبح المؤمن كوكباً درّياً، المصباح يُشْعَل: **﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾:** نفس رسول الله ﷺ التي تشربت بالإقبال على الله، المصطفى عليه السلام هو الشجرة. **﴿زَيْتُونَةٍ﴾:** مملوءة بالزيت ولا تراه، كالزيت تُشعل. كشجرة الزيتون كيف أن الزيت سارٍ بها ولا يُرى، كذلك ﷺ التجلي الإلّهي سارٍ فيه، فهو سراج لأهل التقوى، فيه الخير الكثير مثل شجرة الزيتون مملوءة بالزيت ولا يُرى. الزيتونة: هل يُرى الزيت أنه سارٍ فيها، كذلك تجلي الحضرة الإلّهية سارٍ به ﷺ. **﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾:** ليست مخصصة لفئة دون فئة، أينما وكيفما اتجهت إليها وجدتها، أي متى أردت الصلة به يا مؤمن وجدته، إذا أحببت رسول الله ﷺ حيثما اتجهت اجتمعت به، فهو ﷺ للعالمين كلهم غير مخصّص بجماعة دون آخرين، رحمة للعالمين، فمن حيث اتجهت اجتمعت. الحب يتم بعد الإيمان وعمل الإحسان فالإقبال واشتقاق الكمال.

الكامل يحب أهل الكمال ويحب رسول الله ﷺ، هذا الإنسان حيثما اتجه تعلق قلبه برسول الله ﷺ. **﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾:** ذات علم إشراقي لا من الشرق ولا من الغرب بل من الله تعالى مباشرة **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾:** يكفي أن تصاحب النفس نفس رسول الله ﷺ حتى تستضيء وترى. **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾:** نفس المصطفى عليه الصلاة والسلام نورها الساري فيها من الله يضيء عليك إذا اتجهت نحوه، بمجرد صلتك برسول الله ﷺ ترى كمال الله، فالنور المحمدي يضيء عليك أيها المرتبط **﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾:** يشع هذا النور في نفسك، دون إضرام نار التفكير ولا اعتصار أفكار.

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: هذا النور من هذا النور. نور نفسك على نور المصطفى ﷺ فترى الحضرة الإلّهية، وهكذا نور نفسك مع نور المصطفى ﷺ فتهتدي للحق، لقد ارتبطت نفسك بنفس رسول الله ﷺ فهو سراج لأهل التقوى **﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾:** "وهذه حقيقة الشفاعة" لا يحصل هذا إلا للمؤمن الكامل فعندئذ يستطيع مصاحبة أهل الكمال. **﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾:** كل من طلب النور هداه الله إليه، كل من شاء اهتدى، كل من طلب، هذا ليس مخصصاً بشخص دون آخر، فالله تعالى ما قيَّد ذلك كل من شاء يحصل له، أنت تختار والله الفعَّال، لابد من صدق، وإن لم توقن بالموت لن تصدق، قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾**[3] فسر على الطريق الذي سار به الرسل الكرام تصل للتقوى. **﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾:** لكم. **﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:** إن كنت صادقاً هداك الله لهذا النور، الاختيار لك، إذن التقوى طريقها الإيمان. لكن ﷺ له أجل محدود، سينتقل رسول الله ﷺ وسيكون أناس هداة من بعده. "لابدّ من خلفاء" وبما أن حقيقته ﷺ باقية لذلك الارتباط من بعده يتم بمرشد يوصله إلى رسول الله ﷺ، أي أنَّ هذه الشجرة لها وقت وإن صورتها ستزول من الدنيا لكن حقيقتها باقية.

فكيف نتوصل إليها؟

36- إن هذه الشجرة ستمحى صورتها بعد مدة، ولكنَّ هنالك نفوساً تستطيع أن تُوصل بالنفوس المؤمنة الأخرى بالرابطة معها إلى الله تعالى: **﴿فِي بُيُوتٍ﴾:** فهذا النور تجده في بيوت، أنفس، إذ البيت هو النفس، أي تجد هذا النور أيضاً في النفوس التي يبيت فيها حب الله. إذن سينتقل رسول الله ﷺ وسيكون أناس هداة. **﴿أَذِنَ اللَّهُ﴾:** لها. **﴿أَنْ تُرْفَعَ﴾:** ترفع الأنفس المرتبطة بها إلى الله، ترتفع بالمرتبط بها، وأن ترفع الخلائق بها إلى الله تعالى بأن يُرفع هذا الإنسان إلى هذه الشجرة "توصله إلى رسول الله ﷺ" وهو باب الله. فهذا النور تجده في بيوت: **﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾:** في هذه البيوت، يُذكر فيها اسم الله، علمت أنه رؤوف رحيم كريم، صار لها عشق فصارت دوماً تذكره، أَذِنَ لها لأن

---

[3] سورة الأنعام – الآية:90.

اسم الله دوماً يُذكر، هذا المرشد يعرِّفك دوماً بالله الرحيم الودود وبحنان الله. ﴿**يُسَبِّحُ**﴾: الخلق بحمد الله ﴿**لَهُ**﴾: في هذه الأنفس، يُسبّح لله: ﴿**فِيهَا**﴾: بما فيها من أسماء وبما فيها من حب لله. ﴿**بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾: من الصباح إلى المساء ومن بدايته لنهايته، أي من وقت اتصاله بالشجرة إلى يوم موته، أي من يوم صار له عشق لله لنهايته، يسبّح الخلق لله ويرفع الأنفس المرتبطة به.

37- ﴿**رِجَالٌ**﴾: فروع الشجرة كثيرون لكن لهم مدّة محدودة فقط خلال حياتهم فما صفتهم هؤلاء الذين يرفعونك لهذا النور؟ ﴿**لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾: دوماً لا شيء يغيّبهم عن ذكر الله. دوماً صلتهم مع الله ولا شيء يغيبهم عن ذكر الله. ﴿**وَإِقَامِ الصَّلَاةِ**﴾: فعل ما يقيم صلته. دوماً مقبلون، فعله دوماً إحسان لكي يكون قلبه مرتبطاً بربه. ﴿**وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**﴾: لتحصل لهم الطهارة، إيتاء كل ما فيه طهارة نفوسهم. يخافون إن غفلوا عن الله لمحة. ﴿**يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾: أن تنقلب قلوبهم إلى أهوائها. لا يرى نفسه أنه وصل وأمَّن على نفسه، فيجتهد دوماً لئلا تنقطع نفسه عن الله.

38- ﴿**لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا**﴾: هذه الدلالة التي دلُّوا بها الخلق لا يضيِّعها لهم. ﴿**وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من شاء، الباب مفتوح، لو شئت لفتح عليك وأعطاك. ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾: بدون شيء بالصدق فقط، ما على الإنسان إلا الصدق، اصدق ترَ، الأمر يتطلب صدقاً منك، إن لم تصدق فلن تستفيد شيئاً، أما الصادق فما أسرع ما يصل للحق. لذلك عرَّفك ربك بأصلك، فكرّر هذا التفكير ثم تفكر بالنهاية، القبر، عندها تصدق مع ربك فيفتح لك باب الإيمان ومنه تصل للتقوى. واجب على كل إنسان أن يصل لهذا المقام وأن يعلِّم غيره.

39- ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: المنكرون لفضل الله، الكافر ما عرف لِمَ خلقه الله في هذه الدنيا، لم أرسله إليها، الذي ما عرف ربّه ما قدر الأنبياء، ما قدّر الرسول ﷺ. قال تعالى: {**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**}: أي المحروم من الخيرات، هؤلاء ما فكروا ما عظموا فما عرفوا ربهم، ظلوا في عمى، ما رأوا أن الله هو الرحيم العليم القدير، هذا هو الكفر. الكفران: نكران فضل الله. ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ**﴾: المنكرون لفضل الله. محبّو الدنيا، شغلهم في دنياهم: ﴿**كَسَرَابٍ**﴾: ينظرون إلى الحياة وما فيها كجدول ماء. ﴿**بِقِيعَةٍ**﴾: يغور في قاع، ممر ماء بأرض منحطة "سافلة منحطة"[4]، بئر أسفله يتراءى فيه ماء. سراب تتراءى له الدنيا ﴿**يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ**﴾: المتعطش للدنيا يظنه حياة وسعادة ويحسبه من تبعهم أنه فيه الحياة، يرسل دَلوَه فلا يجد شيئاً. ﴿**مَاءً**﴾: تتراءى له الدنيا سعادة وغنيمة. ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَهُ**﴾: جاءه الموت. ﴿**لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾: لم يجد هذا العمل شيئاً وعرف حقيقته أنه وَهْم. كذلك هذا اللاحق بالدنيا عند الموت لا يجد أنه من دنياه جنى شيئاً، كل اللذائذ تزول، وجد عمله كله خسارة بخسارة، ما استفاد منه شيئاً، إذ ما عمل شيئاً للحياة الآخرة، ما عمل إحساناً ولا خيراً. ﴿**وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ**﴾: ما رأى غير الله، يجد الله العادل. ﴿**فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ**﴾: على عمله، عمله لا قيمة له، جاء للدنيا ما حمل منها شيئاً. ﴿**وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾: يعطي كل واحد بحسب طلبه.

40- ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ**﴾: ظلمة فوق ظلمة. ﴿**فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ**﴾: عميق "ماء البحر في الأمكنة العميقة يميل إلى السواد" هذا المعرض دائماً بهبوط، مهما تكلمت معه ونصحته يبقى مصرّاً على الدنيا متمادياً في الخصومة مع الله ورسوله غارقاً بالدنيا وشهواتها من ظلمة لظلمة، هذا حاله. ﴿**يَغْشَاهُ مَوْجٌ**﴾: تأتيه أمواج بهذه الحياة من الهموم والغموم، نفسه دائماً بالشقاء. {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ**

[4] أعمالهم سافلة منحطة

مَعِيشَةً ضَنكاً﴾[5] عكس المؤمن دائماً بالسعادة. ﴿**مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ**﴾**:** وهذه بالميثاق، لَمَّا خان الإنسان ربه وأعرض وانقطع عنه، وبهذا الانقطاع عن حضرة الله سجن نفسه بالشهوة ولذّتها، ففقد السمع والبصر والذوق والنور وصار بالظلمات، تأتيه أمواج من الهموم والغموم والله سبحانه لرحمته به دبَّر له تدبيراً آخر ليخلصه مما به، فأنساه خيانته وأرسله للدنيا وأعطاه جسماً ووضع له الأنوار، كل هذا ليسترجع هذا الإنسان ما فاته وخسره. ﴿**مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ**﴾[6]: عند الموت يدرك الإنسان حقيقتها يرجع لأعماله وذكرياتها فيشاهد هذه الظلمات، وفي الآخرة يطلب النار. غير المستنير بالله لا يرى من الحقائق شيئاً، حبّاب الدنيا أعمى كشخص في بحر لا يرى شيئاً وهو كذلك منهمك في الدنيا غارق فيها كغارق في بحر لُجّي من فوقه موج، هذا حال من ليس له صلة برسول الله ﷺ، هذا حال من ليس له مرشد ترتبط نفسه به. ﴿**إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾**:** أعمى لا يرى شيئاً، لا نور معه وأعماله كلها سيئة. الأعمى هكذا حاله ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا**﴾**:** يهتدي به في حياته لأعماله. ﴿**فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾**:** الذي لا تقوى له أعمى. المؤمن بصلته برسول الله ﷺ أو شيخ عارف بالله تستنير نفسه بصحبته، أما هذا فيظل أعمى لا يرى من الدنيا شيئاً إلا زينتها وزخارفها.

سورة النور: [41-50]

41- حتى تستدل أيها الإنسان على نور الله ولكي تعرف رسول الله ﷺ وتحصل لك الصلة وحتى تعرف مرشدك لابد لك من طريق تسلكه لذلك قال تعالى:

﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾**:** فكِّر أيها الإنسان ﴿**أَنَّ اللَّهَ**﴾**:** المسيِّر لكل شيء. ﴿**يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾**:** هذا الترتيب لهذا الكون من يرتبه لك! هذا المطر كيف ينزل؟! هذه الأثمار من ينبتها! ألا تفكر بهذا الشيء كيف يحصل ويتولد؟! لو فكرت وعمقت ودققت بصدق لشاهدت أن كل ما في الكون يستمد من خيرات الله: الهواء، الماء، النور. ﴿**وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ**﴾**:** تخرج صباحاً من أعشاشها، تطير صفاً باسطة أجنحتها في الفضاء. ﴿**كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ**﴾**:** غايته في الحياة، أين رزقه، كل طير يعرف طريق رزقه. ﴿**وَتَسْبِيحَهُ**﴾**:** السير لهذه الغاية، سيره إليها. أفلا تفكر من الذي يسوق هذه الطيور لوظائفها ويعرّفها بأرزاقها، أليس هنالك من هادٍ ودالٍّ؟! هذا، أليس بدليل واضح لك يدلُّك! أليس هذا بدليل على أن الكون يسير بأمر الله وبتدبيره؟! إن لم تفكر بهذا فلن تحصل لك صلة برسول الله ولا نور من الله بل تظل أعمى. ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾**:** كله بعلم الله، مطلع على قلبك، على نفسك، يُسيِّرك بحسب طلبك، الطلب لك والفاعل هو الله.

42- ﴿**وَلِلَّهِ**﴾**:** لا إلّه إلا الله ﴿**مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾**:** له كل شيء، ألا تفكر بهذا؟ ﴿**وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾**:** وإليه المرجع، ألا تموت وتفارق الدنيا، أفلا تفكر بهذا؟

43- ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾**:** ألست ترى هذا؟ فكر أيها الإنسان فيما ترى. ﴿**أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا**﴾**:** يتبخر الماء من البحر. من يسوق هذه السحب، من يرسل الشمس تبخر الماء، من يجمع الذرات ويجعلها سحباً، يد من هي التي تسوق السحاب؟ من المسيطر على كل ذرة وهو معها؟ ألا تفكر حتى تستدل؟! هذا الشيء ألا يمكن أن تفكر به؟ ﴿**ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ**﴾**:** يجمعه. ﴿**ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا**﴾**:** كتلاً فوق بعضه. ﴿**فَتَرَى**

---

[5] سورة طه – الآية:124.

[6] الله تعالى يبيّن في هذه الآية الكريمة أن حقيقة هذا الإنسان المعرض الأعمى الذي لم تتفتح عنده عين البصيرة ظلَّ أعمى، فإن جاءه الموت نظر إلى أعماله فأخجلته وكانت عليه ظلمات بعضها فوق بعض كظلمات هذا البحر اللجي الشديد العميق.

﴿الْوَدْقَ﴾: المطر، الله سبحانه يوادد عباده بهذا المطر، فيجعل لهم منه ما يحبون من بنين وبنات وطعام وشراب وروائح وأشكال، ويقينا من العطش ومن فقدان الرزق ومن كل شقاء وحرمان، كذلك ينزله سبحانه بدقة قطرة... قطرة، فلو نزلت الأمطار دفعة واحدة لاستحالت الحياة بدمار المخلوقات... **﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾:** المطر، كيف **﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾:** تشرب، تسقي زرعك، مواشيك، من فعل هذا! أليس هذا دليلاً واضحاً على لا إلَه إلا الله؟! إن لم تفكر وتصل للإيمان لا تكتسب الكمال ولا ترتبط برسول الله ﷺ فتظل محروماً من النور، لا ترى الخير من الشر. **﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ﴾:** من هذه المجموعات والكتل "كتل كبيرة". سحب كالجبال العظيمة

﴿فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾: ثلج. **﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾:** يعطيه مستحقيه. **﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾:** يعطي كلاً ما يناسبه. **﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾:** خيره العظيم يدهش، الخيرات التي تنتج عنه، هذا الخير العالي إن فكرت به **﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾:** تصل للإيمان العالي، يَذهب ببصر نفسك إلى الحق ويعرّفك به، هذا الخير العظيم يُدهش العقول. أليس هذا بدليل على أن هناك خالقاً عظيماً وعلى أن الفعَّال هو الله؟

44- **﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾:** من يوالي الليل بالنهار، من يزيد في النهار يوماً بعد يوم، فيطوِّله ثم يقصِّره، أليس هذا بدالٍّ على أن هنالك يداً تصرِّف الكون؟ **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾:** إن لم تفكر ويحصل لك إيمان وعقل فلن تستفيد شيئاً، اسمع وفكر حتى تعقل.

45- **﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾:** فكر بهذا أيضاً، كلها أصلها من ماء. **{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}**[7] ماء كيف يحصل هذا الخلق منه؟ **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾:** كالحيّات، ما هذه القوة التي تساعدها على تسلق الجدران؟ **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾:** الإنسان **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾:** الخيل والبقر والجمال: **﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾:** لو لم يكن هناك خالق لكان الكل مثل بعض، لكن هذا الاختلاف دليل على أن هناك يداً تعمل في الخفاء فتعطي كلاً حقه. **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:** كل واحدة أعطاها حقها، الجمل له ثفنات مساند، كذا البقرة لها غباغب برقبتها للجر، أليس هذا بدليل على أن هناك خالقاً عظيماً؟! كل حيوان أعطاه نظاماً وأعضاء مناسبة له، ألا تعظِّم هذا الرب الكبير الذي رتب لك هذا الكون كله؟

46- **﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾:** إليكم **﴿آيَاتٍ﴾:** دالة على لا إلَه إلا الله. **﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾:** كلها آيات ينبغي التفكير بها، لا إلَه إلا الله، دالة عليها. **﴿وَاللَّهُ يَهْدِي﴾:** لنوره: **﴿مَنْ يَشَاءُ﴾:** كل من شاء الهدى هداه الله، لك الخيار وهو الذي يعطيك، عندها تعرف أهل الحق فترتبط معهم، تعرف رسول الله ﷺ فترتبط به فيشع هذا النور بقلبك فترى الحق. **﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**

47- **﴿وَيَقُولُونَ﴾:** كل الناس هذا قولهم: **﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾:** كثير يدّعون هذا: **﴿وَأَطَعْنَا﴾:** لكن مجرد ادعاء لا حقيقة له. **﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾:** ثم يُعرض عن الحق. **﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾:** هذا الكلام باللسان لا قيمة له: **﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾:** المؤمن ما هذه صفته، المؤمن لا يتولّى، يرى الله قريباً منه أقرب إليه من نفسه.

48- **﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾:** ضمن كتاب الله: **﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾:** عن ذلك، لا يرضى حكم الرسول، إذا كان الحق عليهم أعرضوا.

---

[7] سورة الأنبياء – الآية:30.

49- ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: وإن كان لهم رضوا بالحكم، إذا كان الحق له يخضع، وطالما الأمور عائدة لهم على هواهم يسرعون إليه.

50- ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: حب للدنيا. ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾: بالرسول أنه لا يدلُّهم على ما فيه سعادتهم: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: يظلمهم: ﴿وَرَسُولُهُ﴾: يعاملهم معاملة فيها إجحاف، يدلُّهم على ما فيه هضم لحقِّهم: ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: لأنفسهم بعدم طاعتهم. المؤمن يخضع ويذعن.

سورة النور: [51-60]

51- ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: هذه صفة المؤمن... ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

52- ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾: ينظر بنوره. الطائع الذي صارت له خشية وصار ينظر بنور الله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: هذا هو الفائز بالآخرة ونعيمها.

53- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾: للجهاد، وهم المنافقون. ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾: بدون قسم: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾: أنت معروف عند الله لا تقسم، إن الله ليعلم فعلكم ويريد منكم العمل لا القول، اخْرُجوا. من فعلكم يُعرف حالكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ﴾: بنتائج عملك عليك. ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: نتاج العمل لا القول.

54- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾: هذا الذي فيه السعادة. ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: كلامه ﷺ عن الله. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾: بما أُمِرَ به من التبليغ، من تأدية الرسالة، يبلِّغ ما طُلِبَ إليه تبليغه. ﴿وَعَلَيْكُمْ﴾: أن تسمعوا منه. ﴿مَا حُمِّلْتُمْ﴾: من الاستجابة ومن السماع والعمل، وكل امرئ له عمله. ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾: للحق، إلى الله تعالى، إن فكرت فعقلت كلمة لا إلٰه إلا الله تحصل لك رابطة بأهل الحق، وعندها ترى بنور الله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: يبين لك كل آية وتفصيلاتها، كل امرئ وما فيه.

55- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: إن أطعتم الرسول يا أصحاب محمد ﷺ هذا جزاؤكم، فإن لم ترتبط برسول الله ﷺ وأهل الحق فلا جدوى لك: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سيجعلهم حكام الأرض، خلفاء يحكمون إن ساروا كما أمر الله. أهل المدينة حكموا العالم. ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: ذو القرنين مَلَكَ العالم. ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾: ميلهم للحق ﴿الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾: تُطَبِّق تعاليم دينك؛ إن ساروا كما أمر الله يُسيِّرون الخلق كلهم عليه. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: كلمتهم نافذة وشأنهم عالٍ، يسري حكم المؤمن على الكافر. ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾: ذلك لأنهم يطيعونني، يسمعون كلامي، هذا هو الشرط، يجعلهم أوصياء على الخلق لأهليَّتهم كما يفعل الحاكم يولي الصالح على الأطفال القاصرين: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾: لا يطبق إلا كلامي، أنا الفعَّال وحدي. لا يصغون إلا لكلامي، لا يطبقون غير كلام الله. ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الحق.

56- وحتى تسيروا بهذا، حتى تتمكنوا في الأرض ويحصل لكم هذا الشأن: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: قوِّموا صلتكم بربكم تهتدوا، صلتكم بالله متِّنوها، تارك الصلاة لا خير فيه ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: الطهارة لنفوسكم، عندها تطهر نفوسكم، بالصلاة تزكو نفوسكم. ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: لا تخرجوا عن أمره بدلالته لكم في طريق معرفة الله، في التفكير بالبداية ثم النهاية ثم معرفة المربي فالمسيِّر، إن أقمت

الصلاة تُقبل وبالرسول تغدو كاملاً فتُولّى هذه التولية. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: إن فعلتم ذلك وأتقنتم تُنصرون وتَهتدون.

57- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: نكروا نعم الله وصار لهم الشأن في الدنيا "مهما كانوا أقوياء وكثيرين" لا تحسبن أنهم: ﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: أوَ يعجزون الله إن أراد بهم شيئاً؟! سيموتون ويُسألون، نهايتهم الموت فالنار: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: سيأخذهم، ونهايتهم أن لهم النار وبئس ا لمصير.

58- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: اتبعوا أيها المؤمنون هذه الأوامر وأطيعوا كي يحصل لكم النصر والظفر: ﴿لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: الجواري، الأسرى اللاتي يخدمنكم، العبيد، الذين أخذتموهم لتدلّوهم على الله، هم وأولادهم ليستأذنوا عند الدخول عليكم: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾: أولادكم، "لم يصلوا لمرتبة الرجال". ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾: إذا أرادوا الدخول يستأذنون، عَلِّموهم ذلك الاستئذان ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾: بهذه الأوقات الثلاثة هؤلاء يستأذنوكم، علّه يكون بينكم شيء خاص بكم: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾: بعد هذه المرات. ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾: بعدها يستطيعون الدخول دون إذن. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: يسأل بعضكم على بعض. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: الآيات: الدالة على منتهى الخير لكم والمعاملة الحسنة وإنشاء جيل فاضل: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: كل أمر من أوامره، ما ينتج عنه من خير. ﴿حَكِيمٌ﴾: هذا فيه حكمة.

59- ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾: صاروا رجالاً. ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾: أيضاً. عليهم أن يستأذنوا. ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: {حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا}[8]. هكذا يفعل لعل أمك عندها ضيوف. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ولا يحب أحد أن يرى أمه في حالة تكشف عورتها. لئلا تفاجأ، بل بالإذن تكون مستورة.

60- ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾: المسنات، العمياء أو العاجزة أو المريضة. ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: مقطوع الأمل في زواجهن، غير مرغوب فيهن للزواج، قالوا لا أحد يشتهيها! لكن الكبير يشتهي الكبيرة ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: يتفضلن "يتفضلن بثيابهن: يلبسن ثوباً واحداً" ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ ؟! فهل هذا الزعم الذي يزعمونه صحيح؟! زعموا وقالوا: مسنَّة لا حرج عليها أن تجلس مع الرجال وأن تكشف وجهها! وأن هذه المسنَّة لا أحد ينظر إليها؛ فليس عليها جناح!؟ الحقيقة، هذا الكلام غير صحيح فهذه المسنَّة هي قدوة لبناتها وأحفادها الفتيات، فإن رأينها غير محجبة ينهجن نهجها، هذا من ناحية ومن ناحية أُخرى كل إنسان ينظر إلى من هي بعمره، فالشاب ينظر إلى الشابات وكذلك المسن إلى المسنة، إذا حدث هذا وقع المجتمع بالزنى وتفشّى الانحلال الخلقي وتَقَطُّعُ الروابط الاجتماعية ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾: الخير لهن أن يستعففن، يجب عليها أن تتستر، هذا لا يجوز ولو أنها مسنَّة يجب عليها أن تتستر، يجب أن تطبق ما أمرها الله به من الحجاب الكامل الساتر، فهذا هو الخير وما دونه شر، فالكبير بالسن إنما يستهوي من هي مسنَّة، تفهم عليه. المسنّات سمّاهم الله تعالى بالقواعد[9] أي هنّ ركائز المجتمع، الأم، الجدة، هنّ قدوة إذا ما

---

[8] سورة النور – الآية:27.

[9] وهذه امرأة سيدنا إبراهيم العظيم عليهما السلام سمعت كلام الملائكة الكرام عندما بشّروا سيدنا إبراهيم بابنه سيدنا إسحاق صلوات الله عليهم أجمعين فدخلت عليهم وهي عجوز في صرة متحجبة متخفية. قال تعالى:(فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) سورة الذاريات – الآية:29. وهذا دليل على أن ستر الوجه للمرأة كان من

طبقوا أمر الله، بناتهن وحفيداتهن لا يتسترون حيث يَقُلْن: أمي وجدَّتي هكذا كانوا ورأيناهم. وبهذا يتدهور المجتمع وينحل ﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ**﴾: لأقوالكم، هذه القوانين والأنظمة والأقوال من عندكم لا من عند الله ما أنزل الله بها من سلطان. ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بنواياكم وما سيحدث معكم، جرَّاء سيركم بهذا، من خراب للمجتمع وتفكك للعلاقات وخيانات وحروب ودمار وقسوة.

سورة النور: [61-64]

61- ﴿**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ**﴾: أن يضع ثيابه مثلهن كما تقولون؟! هل يسمح له بالدخول على النساء؟ الأعمى عندما يسمع صوت النساء، ألا يشتهي؟ والنساء عندما يشاهدن الأعمى، ألا يشتهين؟ ﴿**وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ**﴾: كذلك؟! كما كنتم تقولون في الجاهلية؟ وتأتون به إلى مجالسكم وتسخرون منه وتضحكون وهو يكتوي بنار الشهوة. ﴿**وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾: كذلك؟! المريض ألا يشتهي؟ بالمشفى كثير من المرضى يقعون بهوى الممرضات ويقعون معهنّ بالفاحشة. ﴿**وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾: أن تضعوا ثيابكم، أي شخص يدخل على حريمك؟! "أيضاً هنا وردت الآية في صيغة الاستفهام الاستنكاري نقداً للمجتمع الجاهلي قبل الإسلام ولمن نهج نهجهم" دين الإسلام كله كمال، جاء الإسلام ونظَّم كل شيء. أليس من حرج على الأعمى أن يجلس معكن أو الأعرج ولا على أنفسكم الأقرباء كلهم أن يجلسوا هكذا مع بعضهم "نساء مع رجال" دون حرج ودون تستر؟ ﴿**أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آَبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾؟ هل هذا كله مباح؟! لربما كان الأب أو الأم أحوالهم المادية ضيّقة، هل يجوز أن يتثاقل الابن عليهما ويضايقهما؟! أليس عليه جناح إن فعل هذا؟! ألا يكفي أنهما ربياه؟! هل جزاء الإحسان المضايقة؟! فهل من يأكل ببيته حرّاً مرتاحاً كمن يضايق والديه؟: ﴿**أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ**﴾: كذلك لا يجوز، فلربما كان يتضايق ويستحي من أخيه، وكذلك لا يجوز أن ترى زوجة أخيك وتختلط معها لقوله ﷺ: **"الحمو الموت"**[10] فهذا يزرع بين الأخوة الحقد والبغضاء لما يعقبه من فحشاء ومنكر، فيقطع أقدس العلاقات بين الأخ وأخيه، الدخول والاجتماع رجالاً ونساءً! هذا غير مسموح به. ﴿**أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ**﴾: أيضاً هذه أليس عليكم جناح إن دخلتم هذه البيوت بشكل عشوائي ودون إذن صاحبها ودون حجاب بين النساء والرجال؟! فلربما في هذه البيوت نساء محرمات كابنة عمك أو ابنة خالك أو ابنة خالتك. ﴿**أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ**﴾: تجعلون هذه البيوت كبيوتكم التي تملكون مفاتيحها؟! هل بيتك كجميع تلك البيوت؟ إذن لكل بيت حرمته فلا يجوز الدخول على هذه البيوت دون استئذان كما يفعل الناس اليوم، العشائر والقبائل التي لا تتقيد بشرع أو دين ويحدث فيها الاختلاط، ويقول لك نحن أهل "أقرباء"، فيرى ابنة عمِّه وابنة خاله ومن ثم تقع الفواحش والمحرَّمات التي لا يرضى الله بها، إن هذا كله لا يجوز ولو كانوا أقاربك. ﴿**أَوْ صَدِيقِكُمْ**﴾: هل يجوز أن تدخل على بيته أيضاً هكذا حينما لا يكون موجوداً وتشاهد نساءه، أو دون استئذان ولا نظام أو قانون فتخرج عن طريق الإنسانية والمنطق والدين؟! أليس عليك جناح إن فعلت كل هذا؟! أين قوانين الإنسانية؟! يُدخل صديقه على عياله فيحدث الزنى وبعدها يقتلها من أجل شرفه؟ ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا**﴾؟ مجتمعين على مائدة واحدة، كلكم معاً نساءً ورجالاً "هذا غير مسموح به"، أي أليس عليكم جناح إن فعلتم ذلك نساءً ورجالاً "اختلاط" على مائدة واحدة، ودون حجاب؟! إذن بالإسلام (الفصل بين الجنسين) للرجال مجال وللنساء مجال، هذا شرع الله. ﴿**أَوْ أَشْتَاتًا**﴾: هل جميعاً مثل أشتاتاً، هل هذه مثل الفصل

ذلك العهد بل منذ أن خلق الله سيدنا آدم عليه السلام، وهو مفروض لنهاية الدنيا، كذلك هذا دليل على أن العجائز يجب أن يُستِّروا وجوههنَّ، لا كما يقولون بهذا الزمان لا مانع من كَشفِ وجهها لأنها مسنّة؟

[10] سنن الترمذي رقم/1171/

بين النساء والرجال، وهل فرض الحجاب كعدمه؟! إذن لكل مجاله. ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾: أبقوا نفوسكم بشاطئ السلامة، أنت حيث تضع نفسك، إذا شاهدت النساء وجلست معهن تشتهي وتقع، لا تدخلوا: حتى يَأذن لكم صاحبها "صاحب البيت". استأذن ولو كان بيت عمك، خالك، خالتك، لعلِ عندهم أحداً أو ابنة خالك... استأذن ولا تجتمعوا مع بعض، نساء مع رجال غير مسموح لهم: ﴿**تَحِيَّةً**﴾: بهذا الشيء تضحية وجهاد بهوى النفس المهلك، فيحيي الله قلبك بنوره، إذ بسلوك القانون الذي رسمه الله لك، تضمن سلامة نفسك وتتوارد الحياة على قلبك من الله، حيث تقف بين يدي ربك بالصلاة غير خجل من عملك ونفسك تكسبٍ ثقة برضاء الله عليها، فتقبل عليه تعالى وتتوارد عليها الحياة من الله... ﴿**مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً**﴾: فيها البركة والخير المتزايد، تصل بك للتقوى. ﴿**طَيِّبَةً**﴾: تطيب بها نفسك، وحياتك تصبح كلها سعادة، إذا ضَحَّيت بهذه الشهوة فالله يعطيك إياها من طريق ثانٍ ويثيبك عليها، الصحابة الكرام طبَّقوا هذا الشيء على أنفسهم فسادوا. دخولك يجب أن تطيب به نفسك؛ لا تنظر للأجنبيات: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾: تعقلون ما فيها من خيرات، هذا العقل يتم بالصلاة، فإن خالف الأوامر تخجل نفسه ولا يصلي، يقف بالصلاة صورة لا حقيقة، أما إذا أطاع الله وائتمر بأمره وانتهى بنهيه يقف بالصلاة بوجه أبيض فيصلي حقيقة فيعقل ما في الأوامر من خيرات (وليس لك من صَلاتك إلَّا ما عقلت)، والدين هو العقل ومن لا عقل له لا دين له.

62- ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ**﴾: مجتمعين في شأنٍ هام. ﴿**لَمْ يَذْهَبُوا**﴾: لم يتركوا الاجتماع. ﴿**حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ**﴾: إلا أن يأذن لهم رسول الله. لا يذهب إلا بإذن. هذه أصول وهذا أدب الإنسان مع الرسول ﷺ ومع خليفته من بعده ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ**﴾: فإذا أرادوا الذهاب لأمور خاصة بهم، فذلك ضعف في إيمانهم ومرض في نفوسهم فاستغفر لهم الله من هذا المرض والضعف: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ**﴾: اطلب لهم الشفاء من هذا الاستئذان: ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: لا تترك وتذهب عن المجلس.

63- ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾: إذا خاطب ﷺ أحدكم أو دعاه لأمر ما، لا يكن ذلك الأمر وكأنه خرج من بعض إخوانكم، بل إنه رسول الله ويجب أن يطاع لأنه فيه الخير كله "لا تظن أن ما يدعوك إليه ﷺ هو كما يدعوك إليه شخص عادي". دعوة الرسول ﷺ لا تجعلوها كدعوة غيره "كلامه ونصحه تمسك به" إياك أن تسمع من غيره دون الرجوع إليه، لا يرشدك سواه، دعك والسابقين قدوة سواه، حذارِ ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ**﴾: العلم هو الكشف، قد يكشف ويفضح الله. ﴿**الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا**﴾: متخفين، يتهربون من طاعة الأمر خفية. كذلك لا يسلّمون على رسول الله ﷺ عند خروجهم من عنده بعد انتهاء الدرس. إذاً بنفوسهم شيء. ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾: ليكونوا على حذر من عملهم هذا لأنه جهل وضعف إيمان: ﴿**أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾: بهذا التسلل. الذي ينسحب ويترك يُخشى أن يقع بشهوة منحطة إذ أنه بانسحابه يخجل، ينقطع عن الارتباط فيقع بشيء منحط... ﴿**أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾

64- ﴿**أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: ألا يدل كل ذلك على أن لله ما في السماوات والأرض، أما عرفت هذا بعد أن بيّن لك ما بيّنه؟ ﴿**قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**﴾: تعرفون ذلك... ﴿**وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفرقان: [01-10]

1- ﴿**تَبَارَكَ**﴾: خيره المتواصل على خلقه، تعالى خيره الكثير. ﴿**الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ**﴾: الذي يفرِّق بين الحق والباطل. ﴿**عَلَى عَبْدِهِ**﴾: إن الذي نزَّل القرآن على محمد هو صاحب الخيرات المشمول بها. أيها الإنسان فاستمع له واعمل بأمره: ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾: لم هذا الإنذار؟ هذا الإنذار لسعادة الإنسان، إذا كان الأمر وكما يقولون مقدَّراً من الأزل، فلماذا هذا الإنذار؟ أكثر الناس يقولون الأمر بيد الله. هذا صحيح، لكن الاختيار لك والفعل بيد الله، الله تعالى أرسل الرسل، أنزل الكتاب، أعطانا فكراً، جعل لنا آيات، كل هذا لنهتدي، قادر تعالى أن يجبر الإنسان إجباراً، لكن لو أجبرنا لما كان للإنسان غداً رقي، لأن الرقي بالعمل، فلو كان الأمر بالإجبار لتوقف الإنسان غداً عن الرقي لأنه لا يرى له عملاً.

2- ﴿**الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: كل شيء عائد إليه، كلها بيده ﴿**وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا**﴾: لا أحد مفضَّل أكثر من غيره، المسألة بالعمل ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ**﴾: الإمداد والخلق والإيجاد من الله، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه، وليس لرسول ولا لنبي ولا لولي فعل، الفعّال هو الله وحده وليس لأحد أي تصرف.

﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾: لكم. أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فكر أيها الإنسان بالجمل والخيل وغيرها، وكيف أعطاها الله خلقها وكوَّنها وسيَّرها لوظيفتها. ﴿**فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾: أعطى كل مخلوق ما يناسب خلقه. كل شيء خلقه جعله بمقدارٍ متناسبٍ مع الوظيفة التي خُلق لأجلها، فاليد ليست بالطويلة ولا بالقصيرة، وغدد اللسان والفم تفرز بمقادير دقيقة مناسبة لحاجة الإنسان.

3- كل هذا الفضل والحنان والعطف والإحسان: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً**﴾: أفبعد هذا يتخذون آلهة ممن خلق؟ ﴿**لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا**﴾: لا حول لهم ولا قوة. ﴿**وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾: في كل لمحة يموت من الإنسان شيء ويخلق شيء (تموت خلايا وتخلق خلايا بشكل دائم؛ مثال الكريات الحمراء. "لذا لم يقل خَلَقَ" فكلمة (يُخْلَقُونَ) تدل أن الخلق مستمر في الإنسان ذاته في كل لحظة)

﴿**وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا**﴾: لكم. ﴿**وَلَا حَيَاةً**﴾: لكم. ﴿**وَلَا نُشُورًا**﴾: أن ينشروا الخير على الناس، ولا ينشرون لكم شيئاً من الخيرات.

4- لمّا جاء رسول الله ﷺ وأنذر الناس: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ**﴾: كذب. ﴿**افْتَرَاهُ**﴾: افتراه على الله ﴿**وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آَخَرُونَ**﴾: المؤمنون من حوله، أصحابه. ﴿**فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا**﴾: لأنفسهم. ﴿**وَزُورًا**﴾: كذباً، منحرفاً عن الحق.

5- ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا**﴾: كتبها له أصحابه. ﴿**فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ**﴾: تتلى عليه. ﴿**بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾: يسردها صباحاً ومساءً على أصحابه وعلى الناس.

6- ﴿**قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ**﴾: ما تسرُّون. ﴿**فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: فاتحَهُم بما قالوا في سرِّهم، ما بين بعضهم، كشف لهم أحوالهم ﴿**إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾: خلقكم ليسعدكم ليغفر لكم.

7- ﴿**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ**﴾: مثلنا. ﴿**وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ**﴾: يسير معه. ﴿**فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**﴾: فيعينه على الإنذار.

8- ﴿**أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ**﴾: يكون غنياً. ﴿**أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ**﴾: بساتين وأراضٍ: ﴿**يَأْكُلُ مِنْهَا**﴾: نظرهم للمال. ﴿**وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**﴾: يتخيل تخيلات ويتكلم.

9- ﴿**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا**﴾: عن الحق حيث أنهم لم يفكروا.

﴿**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**﴾: للهدى، لمعرفتك، ما رأوا قيمة بيانك، لأنهم لم يفكروا ومن لا يفكر لا جدوى له، هل فكرت غداً بمصيرك، بحالك في القبر؟ ولو صدّق، حيث أنه لم يعقل فكل هذا سيزول. ستجيب بما عقلت، أما الحواس فهي للدنيا فقط، إذن ﴿**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**﴾: للهدى، ما لم يفكروا.

10- ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا**﴾: فيها، هل يظنون أن المال والضِّياع[1] خير للإنسان، ودليل عظمته، ورضى الله عنه[2]؟ ومع ذلك فالله قادر على إعطائك خير من ذلك، لكن هذا ليس بخير، الخير هو هذا الهدى المنزَّل عليك.

سورة الفرقان: [11-20]

11- ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ**﴾: بالآخرة وما فيها، كذَّبوا بالجزاء في الدار الآخرة: ﴿**وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا**﴾: أعتدنا له عذاباً مقدَّراً مسعَّراً مناسباً، حسبما قدَّم من عمل. مُحْرِقَة بحسب حاله وكفره.

12- ﴿**إِذَا رَأَتْهُمْ**﴾: النار: ﴿**مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**﴾: من عشرين ألف سنة، ثلاثين ألفاً، أكثر، أقل "من لحظة موتهم وانتقالهم من الحياة الدنيا إلى عالم البرزخ" ﴿**سَمِعُوا لَهَا**﴾: يسمعون صوتها: ﴿**تَغَيُّظًا**﴾: غيظها أسفاً عليهم، رحمة منها وشفقة على من يلقى فيها. ﴿**وَزَفِيرًا**﴾: وغضباً من أعمالهم.

13- ﴿**وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا**﴾: مكاناً ضيقاً: القبر، ضَيِّق شديد العذاب.

﴿**مُقَرَّنِينَ**﴾: مكتَّفين: ﴿**دَعَوْا**﴾: طلبوا. ﴿**هُنَالِكَ ثُبُورًا**﴾: هلاكاً، ولكن لا هلاك بل بقاء أبدي، الويل لهم.

14- ﴿**لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا**﴾: الله سبحانه يقول لهم: أنا بكل لحظة كنت فاتحاً المجال أمامكم للرقي والسمو، وليس فرصة واحدة. ﴿**وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا**﴾: على طول، الفرص التي أتيحت لكم أنتم ضيعتموها، أعطيتكم وأنتم ما أخذتم، حيث أنكم ما فكرتم، ما عقلتم بل ضيعتم سعادة أبدية، فلابد من مداواة دائمية.

15- ﴿**قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا**﴾: أيهما أحسن؟ أمن أجل متاع دنيوي تضيّع سعادة أبدية؟

16- ﴿**لَهُمْ**﴾: أهل التقوى. ﴿**فِيهَا مَا يَشَاءُونَ**﴾: ما يتطلَّب يعطاه. ﴿**خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا**﴾: حقاً لازماً، هو سبحانه قيّد وعده، ذاته بذاته.

---

[1] جمع ضيعة، وهي العقار.

[2] أي ليس ذلك الغنى والملك في هذه الدنيا بدليل على عظمة هذا الإنسان الغني ولا هو بدليل على رضى الله عنه أبداً.

17- ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ**﴾: جميعاً، جميع المخلوقات. ﴿**وَمَا يَعْبُدُونَ**﴾: الصلحاء الذين اتخذوا عنهم الأصنام. ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: أصل الأصنام: سيدنا شيث كان له أولاد صلحاء، لما ماتوا بكت عليهم جماعتهم، جاء الشيطان "إنسان متلبس بالشيطان" قال صوّروهم وتباركوا بهم ﴿**فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ**﴾! لا: ﴿**أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ**﴾؟

18- ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا**﴾: ما لنا هذه الصلاحية: ﴿**أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ**﴾: من مرشدين: ﴿**وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ**﴾: متَّعتهم بالدنيا من رحمتك ورأفتك وحلمك. ﴿**حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ**﴾: ذكرك، أمددتهم بفضلك فنسوا. ﴿**وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا**﴾: فارغين من كل خير، ما فيهم خير قط، الإنسان الحق إن رأى الخير، الإحسان، يزداد.

19- ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا**﴾: للعذاب عنكم: ﴿**وَلَا نَصْرًا**﴾: لا أحد يحول بينكم وبين المداواة. ﴿**وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ**﴾: أيها الخلق، من يظلم نفسه... ﴿**نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا**﴾

20- ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ**﴾: ردَّ تعالى عليهم: الرسول بشر مثلكم ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً**﴾: لقد جعلنا من مثلكم من تفتتنون بكماله فتقبلون عليه، يفتتن بعضكم بما يبدو من الخُلُقِ الكريم من البعض الآخر. السافل يُفتن بالسفالة، الطاهر يُفتن بأهل الطهارة: ﴿**أَتَصْبِرُونَ**﴾: غداً على النار. ﴿**وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾: بكم.

سورة الفرقان: [21-30]

21- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**﴾: لا يريدون الإقبال علينا، مطلبهم الدنيا.

﴿**لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ**﴾: بدله: ﴿**أَوْ نَرَى رَبَّنَا**﴾: طلبوا الرؤية. ﴿**لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ**﴾: كالشيطان: ﴿**وَعَتَوْا عُتُوًّا**﴾: متفتتين: ﴿**عُتُوًّا كَبِيرًا**﴾: هلاكاً كبيراً.

22- ﴿**يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ**﴾: لقبض روحه، يوم الموت تنزل الملائكة بالعذاب أو ملك الموت. ﴿**لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ**﴾: يصيح، يتطلب أن يحجب عنهم.

﴿**وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا**﴾: يلتمسون ملجأ مهما حقر، ملجأ يلتجئون إليه، استروني بمكان لا أحد يراني.

23- ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ**﴾: جاءهم الله سبحانه بأعمالهم التي نسوها، والتي كانت بعيدة عنهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3] يتجلى الله عليهم ليشاهدوها.

﴿**مِنْ عَمَلٍ**﴾: بناياتهم وسياراتهم... ﴿**فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾: إذ تَبَيَّن حقيقة عملهم، لم يكن لهم عمل إنساني فاضل، بل كله أذى، كل عمله للدنيا لا يفيده شيئاً ولا يدخله الجنة. إلى أين مصير هذه الحضارة، وأين ما سبقها؟

24- ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ**﴾: ساعة الموت. ﴿**خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا**﴾: في حال أحسن من دنياهم. ﴿**وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**﴾: من القيلولة، الراحة، مبسوطون مسرورون، وهذا هو البرزخ الذي يكون قيلولة، أي راحة على المؤمن.

[3] سورة المجادلة – الآية:6.

25- ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾: ساعة الموت، تنكشف الحقائق بعد أن تخرج النفس من الجسد، يرى الإنسان نتائج وحقيقة ما وصل إليه في دنياه، لتعود عليه أعماله بالهم والغم، تنكشف الغمة عن الإنسان حال موته فيرى مكانه، فإلى الجنة أو النار. ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾: لقبض روحه. هل نحن نتكلم كثيراً عن التفكير بالموت، أوليس الله خالقنا هكذا يتكلم؟

26- ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾: يفقد الإنسان إرادته كما يفقد المريض تحت يد الطبيب اختياره، هذه الساعة لابد أن تراها.

﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾: يا له من يوم شديد عليهم. لَمَّا ينزل لقبره ويرى أعماله لا يرى أصعب من هذه الساعة، فيسلّيه الله عن هذا بالشجاع الأقرع. بخلاف المؤمن؛ سرور إلى يوم القيامة.

27- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾: لنفسه. ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾: تتحسر نفسه. ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: سرت على كلام الرسول، سلكت معه إلى الله واتّبعته.

28- ﴿يَا وَيْلَتَى﴾: الويل عليه. ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾: صاحباً، اتَّخَذَ الضالين أخِلَّاء، ما اتخذ أهل الحق لأنه ما آمن عن طريق الموت، بحسب الصورة ظن وشاهد أن القوة والمال عند الضالين، لأنه ما فتّح، ما صبر، ما صدّق.

29- ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾: لم يجعلني أذكر الله وفضله وأَحْمَده. ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾: ما فكر بفضل الله، بالماء يشربه، ولا بالفاكهة يأكلها. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾: يخذله.

30- ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾: أنذرتهم وبيَّنت لهم فهجروا قرآنك، هذا أيضاً في عصرنا.

سورة الفرقان: [31-40]

31- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: في كل زمن لابد من وجود الصالح والطالح. ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: عدواً يعيب عليه أعماله، وكل مرشد وله عدو يعيب أعماله. ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾: لك، ليهديهم للحق. ﴿وَنَصِيرًا﴾: ينصرك عليهم.

32- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾: لم هذا التفريق والتنجيم ﴿كَذَلِكَ﴾: لقد نزل على قلبك جملة واحدة، نزلناه عليك لكن هم ما فهموا شيئاً. بإقباله عليه السلام على ربه طبع الله الحق في قلبه ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ﴾: آية بعد آية ﴿تَرْتِيلًا﴾: وإنما رتَّلناه تعليماً وتسهيلاً لكم، أنزلناه بعد ذلك مرتَّلاً عندما تدعو الحوادث إلى ذلك، والآن يُنَزِّله تعالى حسب الحوادث شيئاً فشيئاً. كذلك كل مؤمن ينطبع الحق في نفسه. إذا فتح القرآن وجده مطابقاً لما انطبع وصُبَّ في قلبه.

33- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: بأمر. ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: بيّنا لك الحق فيه، جئناك بأمثلة عالية، أعماله السامية العلية الإنسانية الكبرى. أوليس هذا كافياً لكي يتساءلوا أنه من أين هذا؟ ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: وتفسير عالٍ، الطلاق، الزواج، تعدد الزوجات، الزكاة.

فكلمة التأويل مأخوذة من أول وهو الله سبحانه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾[4] فالذي يُؤوّل يجب أن يرجع إلى الأول سبحانه وتعالى لأنه هو المتكلم ويتعرف عليه عندها يعرف معنى كلامه ومراده سبحانه

[4] سورة الحديد – الآية:3.

ويفهمه، وحتى يصل الإنسان للأول سبحانه يجب أن يكون مع الواصل الدائم مع الله وهو رسول الله ﷺ، فهو يوصلك بالله سبحانه الأول.

34- ﴿**الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ**﴾: يسحبون. ﴿**أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا**﴾: كل أعمالهم على الأرض كانت شراً ﴿**وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾: ضلَّ في الدنيا عن الحق فسحب على وجهه، كذلك ليس العذاب في الآخرة فقط وإنما في الدنيا أيضاً، وفيما يلي يبين الله لنا ذلك:

35- ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾: التوراة. ﴿**وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا**﴾: استجبنا له لَمَّا طلب ذلك، وأنتم كذلك إن طلبتم الخير لأنفسكم يستجيب سبحانه لكم.

36- ﴿**فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾: هذا فرعون وقومه، فاستكبروا وأبوا وما فكروا. ﴿**فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا**﴾: أخذناهم بشدة، كذلك نحن الآن إن لم نفكر يصبْنا ذلك.

37- ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ**﴾: أيضاً قوم نوح. ﴿**لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ**﴾: كذبوا سيدنا نوح، بعد الموت هؤلاء يشاهدون أنهم بتكذيبهم لسيدنا نوح كذبوا الرسل كلهم. ﴿**أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً**﴾: بياناً وشاهداً مرئياً. ﴿**وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ**﴾: لكل ظالم. ﴿**عَذَابًا أَلِيمًا**﴾: مداواة لهم.

38- ﴿**وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ**﴾: قوم سيدنا شعيب عليه السلام. ﴿**وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ**﴾: أمماً ورجالاً. ﴿**كَثِيرًا**﴾: كثيرين أولئك الذين هلكوا، وجميع هذه الأقوام كانت أعمالهم دنيئة لذلك أهلكناهم.

39- ﴿**وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ**﴾: مثلكم، فما تابوا فأهلكهم الله، كلهم بيّنا لهم الحق فلم يؤمنوا. ﴿**وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا**﴾: تقطيعاً تقطعوا، لَمَّا لم يؤمنوا أهلكناهم، هذا كله إنذار لنا.

40- ﴿**وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ**﴾: قرى قوم لوط. كل أعمالهم على الأرض شر. ﴿**أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا**﴾: إن قومك يا محمد ﷺ يعلمون القرية هذه. ألا يقتضي أن يعقلوا لماذا هلكت؟ ﴿**بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا**﴾: لم يؤمنوا بالبعث والحساب "البعث والنشور" ما طلبوا الهدى فما طلبوا الموت حيث ما فكروا.

سورة الفرقان: [41-50]

41- ﴿**وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا**﴾: بعد كل هذا البيان؟ ﴿**أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا**﴾: ألم يجد الله غيره يرسله رسولاً! ألا من غني أو كبير في قومه أو...؟

42- ﴿**إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا**﴾: ببيانه وحجَّته، بكلامه اللطيف المنطقي كاد يحولهم. ﴿**لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا**﴾: صبرنا على الفسق والأذى ﴿**وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ**﴾: عند الموت. ﴿**مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾: من الذي ضل عن الحق.

43- ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾: لم يفكر، ماشون بهوى أنفسهم لا طلباً للحق، جعل مطاعَهُ ومسيِّرَه هوى نفسه، فمال معه، هذا بيان لكلمة (إلَه) ومعناها المسيّر. ﴿**أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**﴾: تهديه! لن يسلِّمك نفسه كي ترشدها وتهديها، أنا أعطيته الإطلاق.

44- ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ**﴾: لا يسمعون ولا يعقلون، فقدوا تفكيرهم. ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ**﴾: كالجمال التي يجرها الحمار. الجمل تجره فلا يعارضك لكن لا فكر له... ﴿**بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾: الجمل ليس له فكر، لذلك لا مسؤولية عليه غداً حيث أدَّى وظيفته. سَمَّاهم الله تعالى (للكافرين) شر الدواب، شر البرية، أحط من جميع الخلق.

45- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: كيف نشر الليل، ألا تفكر بهذا الليل؟ ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾: لو شاء لجعل على الدوام ليلاً. ظَلَّ مقيماً على الكون؛ "ليل بلا نهار". ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: دليلاً على دوران الأرض. فحين ظهورها يُعرف ذهاب الليل وأنه سيعود، ويُعرف دوران الأرض، أفلا تفكر أيها الإنسان بهذا الخلق العظيم؟ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: على هذا الدوران، على التسيير الإلٓهي للكون، ألا تفكر كيف أنه تعالى يُسيّر الكون كله بنظام، ألا تفكر بالأرض ودورانها مع جبالها وأنهارها؟

46- ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾: كيف يتلاشى الظلام شيئاً فشيئاً؟ ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾: تدريجياً، أزلنا الليل بيسر ولطف دون ضوضاء.

47- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: يستركم. ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: وفيه النوم راحة واطمئناناً. ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ﴾: للعمل والسعي. ﴿نُشُورًا﴾: لكم. تنتشرون للعمل والكسب، تعمل فيه ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، أليس هذا الترتيب خيراً وفضلاً، ألا تؤمن بهذا المرتِّب؟

48- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾: تبشِّر بهطول المطر، يستبشر بها الناس، والفلاح: ويعرف منها أنه سينزل المطر "دليل على المطر". ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾: من كل أذى، ألا تفكر بهذا؟

49- ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾: أناساً، مخلوقات لا يعلمها إلا الله، من أين جاءت؟ كيف ترتبت؟ إن قوانين نزول الأمطار صحيحة، ولكن من الذي رتب ذلك الترتيب؟! من الذي يسوق الأمطار إلى بلد دون بلد آخر ويوزع الخيرات بالحق بين الناس، أليس هو الله؟

50- ﴿وَلَقَدْ﴾: بيّنا لهم كيف. ﴿صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾: في كل جزيرة، في كل بلد ومكان خزانات تصرِّف الماء بحسب الناس. ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: فضلنا وإنعامنا. أن لا إلٓه إلا الله. ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: كفر على طول.

سورة الفرقان: [51-60]

51- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾: ولكن ذلك لا ينفع ولو بعث لكل فرد نذيراً، إلا أن يفكر الإنسان بنفسه. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾: لكن لا لزوم لأن الإنسان ما لم يفكر فيعقل ويغدو مؤمناً فلا جدوى له، الإيمان تصل إليه بتفكيرك، الرسول ينقلك للتقوى إذا فكرت: النطفة، علقة، جنين، إنسان ثم الموت، فما لم تفكر بهذا وتعقل فلا جدوى. إن صار الإنسان مؤمناً يستطيع الاجتماع بالرسول ﷺ، يبحث عنه فيجده، انطبع فيه الكمال، فأخذ يبحث عن أهل الكمال كالذي نال الشهادة الثانوية، فصار أهلاً للبحث عن الجامعات. إذن المسألة راجعة لتفكيرك، إن آمنت عرفت أهل الحق فبحثت عنهم.

52- ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾: بهذا الحق، بالقرآن، أرهم الحق. ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾:

53- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: فرَقَ. ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: جمعهما. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: قاطعاً، لا يختلط الماء. ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾: لا يمتزجان، فمن الذي رتب هذا؟ إن الله سبحانه وتعالى فرق بين الماء العذب والماء المالح في هذه الأرض، وجعل هذا للشرب وذلك لأمور أخرى،

ولو امتزج الماء في الأرض لأصبح عديم الفائدة، فترى نبعاً مياهها حلوةً عذبة تخرج قرب بحر مالح.

54- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾: ما أصلك أنت؟ ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾: ولد، أقرباء. ﴿وَصِهْرًا﴾: وأصهاراً "بالتزاوج"، بنتاً يزوجها ليكون له بذلك صهراً. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: بقدر ويعطي كل شيء قدره، كل شيء وحقه على التمام.

55- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: أفبعد كل هذا البيان والإنعام والفضل ثم تطيعون إنساناً أو غيره لا حول له ولا قوة؟ ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾: رغم فضله تعالى يعاند كلامه، يعاند الحق.

56- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾: للعباد بالجنة. ﴿وَنَذِيرًا﴾: إن خالفوا، بعذاب كبير.

57- ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: لا أطلب منكم شيئاً. قل ذلك لهم، لعلهم يظنون بك الظنونَ، عرِّفهم بحالك وبحقيقة قصدك منهم. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾: الذي شاء هو الذي طبّق وسلك بطريق سيدنا إبراهيم عليه السلام بالتفكير. ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: مطلبي هو أن تهتدوا للحق، أريد تسييركم إلى الله لاكتساب الكمال، لا أريد منكم أجراً، ولكن من شاء أن يصل إلى الله أوصلته.

58- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾: اسبح بحمده. وسبِّح: عبادي بحمد الله {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[5] ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾: التتمة على الله.

59- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أربعة فصول وليل ونهار. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: تجلى على الكون. ﴿الرَّحْمَنُ﴾: تجلي الله بالرحمة على جميع الخلق، شقيّهم وتقيّهم. ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾: إن كنت لا تعرف هذا سلهم يدلُّوك، إن لم تكن تعرف فاسأل من يعرف رحمته وحنانه. سل عنه من يعرفه وخبره وآمن به.

60- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾: اطلبوا من الله. ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾: لا نرى شيئاً من رحمته. ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: بل نطلب من الإنسان ﴿وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾: بعدوا عن الحق، بعدوا وأعرضوا.

سورة الفرقان: [61-70]

61- ﴿تَبَارَكَ﴾: خيره المتواصل. ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: هذه النجوم وأفلاكها وسيرها "جمعها على بعض" ما الذي يمسكها. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾: الشمس. ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾: كيف يدور! كيف أنه واقف بالفضاء، ألا تفكر بعظمة الله؟

62- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: وراء بعض. ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾: ولكن هذا البيان عن الليل والنهار لمن أراد أن يذكر الله وفضله ويشكره. ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: على هذا الفضل، لولا الليل والنهار لما سار الكون بهذا الكمال.

63- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾: المطيعون لربهم. ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: من وراء تفكير، الكلمة يفكر بها وبكل عمل، يفكر في كل أمر قبل أن يُقْدِم عليه، على مهل يفكرون بكل أمر ويعتبرون.

---

[5] سورة الفاتحة – الآية:2-4.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾: ابْتَعَدُوا عنهم ولم يسمعوا اللغو. لا ينوون لهم في نفوسهم إلا كل خير ولا يتخاصمون معهم.

64- ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾: تبيت نفوسهم إلى الله مستمدة، طالبين العون.

﴿سُجَّدًا﴾: في أنفسهم، طالبين فضله. ﴿وَقِيَامًا﴾: قائماً بأمره، قائمين بالله.

65- ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾: مؤمن بها. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: لقاء عمله، من الغرامة، غرامة على ما اقترفته نفوسهم، لابد للمذنب من عقاب.

66- ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾: لهم. السكون والهدوء[6] ﴿وَمُقَاماً﴾: والإقامة فيها.

67- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: لا يدفع كل ماله ولا يقتر. ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾: بينهما، لا بخيل ولا مسرف.

لأنه إن دفع ماله كله ثم ظهر منه ذنب وضيّق الله عليه قد يكفر، يقول: فعلت كل هذا الخير وضيّق عليّ، واستثني أبو بكر رضي الله عنه إذ أعطى جميع ماله.

68- ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: أي نفس كانت. ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: المؤمن لا يزني. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾: آثم. جرمه غداً يلبسه.

69- ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: لما في نفسه من آلام بسبب بعده عن الله (يُضَاعَفْ): يتزايد عليه من حال لأشد، لأن الاعتياد يُضْعِف التأثير والإحساس ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾: على طول، فهل هذه حياة؟

70- ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ﴾: بعد التوبة الإيمان، من حنانه تعالى فتح الباب.

﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾: وبعد الإيمان العمل الصالح ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾: ولَمْ يضيّقْ عليه أولاً للمغفرة "هذا فكّر وتاب وآمن وعمل صالحاً من بعد أن رأى زيفَ الدنيا. هذا لا يشدِّد الله عليه، ليغفر له أي ليشفيه مما علق في نفسه بالإكرام لا بالشدائد.". ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيماً﴾

سورة الفرقان: [71-77]

71- ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾: فإنه لا يعود إلى الباطل، لا يرجع بعد ذلك إلى الباطل أبداً.

72- ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: الكذب. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾: نظيفاً لم يتلوث. إذا رأوا جمعاً يلغون في الله مروا بهم دون أن يلوثوا نفوسهم بدنسهم. لا يحمل في نفسه شيئاً، ذلك لأنه مضطر لأنْ يسير مع أهل الضلال، لكنه لا يُدخل إلى نفسه شيئاً[7].

---

[6] قال تعالى: {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} سورة الإسراء – الآية:97، تسكن نفوسهم إلى النار وتهدأ عليهم آلامهم النفسية التي لا تطاق، ولئلا يعتادوا على حرقها فيشعروا بآلامهم النفسية يزيدهم الله سعيراً ليخفف من آلامهم.

[7] قد يضطر المرء لأن يسير ويجتمع بأهل الضلال، لكن عليه أن لا يشاركهم أحاديثهم التي لا ترضي الله ورسوله أبداً، ويترفّع عن تلك المستويات الهابطة من أحاديث المعاصي ولا يعلّق قلبه بأحد منهم، بل يوجّه نفسه لله والرسول ﷺ حتى لا ينطبع بنفسه وتتلوث من دنس نفوسهم وحتى لا تسير في وديان الرذيلة والآثام التي هم بها يسيرون في أحاديثهم.

73- ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾: إذا ذَكَّرتَهُ بالقمر، فَكَّر بالقمر ولم يغفل عنه. ﴿**لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا**﴾: بل يفكر بها. يُكْبرونها ويفكرون بها ويتبعونها.

74- ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا**﴾: زوجة تقية، ليربي ولده تربية عالية. ﴿**وَذُرِّيَّاتِنَا**﴾: وأولادنا. ﴿**قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾: أن نكون دالِّين على الحق، ندلُّ على الحق، هذه مهمتك بالدنيا لتكون طبيباً "أمة وسطاً" هذه مهمتك.

75- ﴿**أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا**﴾: الجنة: يغرف فيها من تجلي الله، يغترف من التجلي الإلَهي، من غرف العطاء الإلَهي العظيم. ﴿**وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا**﴾: الحياة والسلم، تحية من الله.

76- ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**﴾

77- ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي**﴾: ما الذي يريده الله منكم أيها الناس؟ الكون كله لا قيمة له: ذرة. ما يطلب منك؟ ﴿**لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾: لولا أنه يدعوكم إلى طريق الحق، لولا أنه يدعوك للسعادة، للحق.

﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي**﴾: ما هي قيمتكم؟ ﴿**لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾: لكن رحمته تجعله يدعوكم إلى الجنة.

﴿**فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ**﴾: العذاب على من كذَّب وتولَّى. ﴿**لِزَامًا**﴾: ملازم لكم، دخولكم النار.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء: [01-10]

1- ﴿طسٓمٓ﴾: يا طاهراً من كل ذنب، يا سليماً من كل عيب، ويا محموداً عندي وعند كل المؤمنين. بما أنه ﷺ أدخلهم في السعادة صاروا كلهم يحمدونه على أفعاله وصفاته وأعماله، فصفات الكمال نتيجة الإقبال على الله وطالما هذا الخطاب يتكرر إذن وظيفة الرسول باقية.

2- ﴿تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: {لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}[1] معناه:

إن لم يكن الإنسان طاهراً مؤمناً لا يمسّه.

لذا خاطب الله تعالى رسوله بهذه الصفة العالية: يا طاهراً بإقبالك عليَّ وبذلك سلمت نفسك فأصبحت محموداً. ط: طاهر. س: سليم. م: محمود. طاهراً، سليماً من كل عيب، محموداً عندي وعند خلقي.

المؤمن بإقباله على الله يطهر فيقدّر أهل الطهارة ويرتبط برسول الله ﷺ فيدخل معه على الله ويفهم القرآن من مُنزِّلهِ تعالى.

القرآن لا يفهم معناه إلا كل قريب من الله "متعلق برسول الله ﷺ داخل معه على الله".

﴿تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: بهذا انطبع في نفسك الكتاب. بطهارتك وصفتك العالية صرت أهلاً لأن يُنزَّل عليك الآية[2] إذا نظر الإنسان إليها يُصعق بها فتنطبع في نفسه بمعية رسول الله ﷺ وينصبُّ في هذه النفس من أسماء الله الحسنى، وعلى هذه المشاهدة تبنى أعمال كبرى.

وهذه الآيات تبيّن الحقائق كلها، ويصبح كل شيء ظاهراً بيّناً. فالمؤمنون يشاهدون من أتى بهم إلى الدنيا، وكيف خلقهم، وكيف كان معهم عندما كانوا أجنة في بطون أمهاتهم، أما غير ذلك "الدنيا وشهواتها" فيزول وتبقى آثاره المرعبة.

3- ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾: متأثراً من عدم إيمانهم. من حبِّه لهداية الخلق راجع باللوم على نفسه. ظن ﷺ أنه هو الذي لا يستطيع أن يوصلهم إلى حضرة الله. والحقيقة أن حب الدنيا قوي بقلوبهم، يظنون أن الدنيا فيها شيء. والحقيقة أنه لا شيء فيها، فهو ﷺ ظن بنفسه أنه مقصِّر معهم وأنه من تقصيره لم يستطع جذبهم والدخول بهم إلى حضرة الله. دائماً سيد العالمين وخيرة الله من خلقه لا يظن بغيره بل يظن بنفسه، فكم هو ﷺ كامل ولطيف! فقال له تعالى لقد أدَّيت ما عليك بأعظم إمكانية، ولا أحد يستطيع أن يقوم بمثل ما أدَّيت.

4- ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آَيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾: إن لم يفكر الإنسان ولم يعقل فلن يستفيد شيئاً، ﴿إِنْ نَشَأْ﴾: بإمكاننا أن نسيّرهم بطريق الحق، لكن هذا غير مجدٍ لأن نفوسهم تبقى

---

[1] سورة الواقعة – الآية:79.

[2] يقولون أن هذا البناء آية في الروعة... هذه اللوحة آية في الجمال، هذا الجبل آية في العظمة... فالآية هي التي تملك الإنسان عندما ينظر إليها وتأخذ بكل مشاعره وأحاسيسه فيستغرق بها استغراقاً كليّاً مجذوباً لصفتها. والأمر أعظم بكثير تجاه آيات الكتاب عندما يشهدها الإنسان بقلبه بمعية رسول الله ﷺ ويرى ما فيها من أسماء الله الحسنى.

خبيثة. بيّن له رب العالمين أن الاختيار لهم والمسألة عندهم، والله خاطبه بذلك من شدَّة إلحاحه ﷺ على هدايتهم، فأجابه الله تعالى هذه سهلة عليّ لكن ﴿**فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ**﴾: الشيء الذي عانقوه من حب الدنيا هذا الشيء منهم هم، هم الذين عانقوه وأحبوه وأرادوه لنفوسهم، وإن نشأ ننزل عليهم من السماء آية لكن ما الفائدة؟ الرقي بالاختيار، وإذا هم لم يختاروا فما لهم رقي، نحن ننزل لهم آية تنسيهم كل شيء لكن لا فائدة من ذلك، المسألة عندهم، هم الذين يجب أن يلتفتوا ويعملوا ليأخذوا معهم هدايا لرب العالمين، يرقون بها.

5- ﴿**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ**﴾: ذاكراً أحوالهم. جاءهم بعلوم من ضمن علومهم واختراعاتهم. ﴿**إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ**﴾: إن سبب عدم إيمانهم بالحق هو إعراضهم عن الله وعن التفكير بخلقه.

6- ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوا**﴾: بهذا القرآن، بهذا العلم العظيم وما عبأوا به، اعتزوا بالشيء الذي استعظموه، وهو هلاك عليهم: ﴿**فَسَيَأْتِيهِمْ**﴾: سنبيِّن لهم ﴿**أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: غداً سيشاهدون حقائقه، لكن ماذا يستفيدون؟! وعند قيام الساعة الذي ليس فيه قابلية للإيمان يهلك.

7- ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾: ألا يقتضي أن يفكروا بهذا: الشمس، القمر، الرياح، ويتعرفوا إلى الإلٓه المدبِّر المسيِّر؟! الإنسان إن فكر وعقل ما في الكون من آيات اهتدى. التفكير في خلق الله هو طريق الإيمان. مياه أنهارهم آسنة، والأنهار أصبحت مجاري ومع ذلك يخرج منها ثمرات خالية من الشوائب والجراثيم، يخرج خضار وثمر كريم. فمن الذي خلق هذا وسواه؟! من الذي ينظِّف؟: ﴿**كَرِيمٍ**﴾: خالٍ من الشوائب لا جراثيم ولا مكروب فيه. الله تعالى يقول أَوَلم يروا: لو شاهدوا "طسم" لكانوا شاهدوا هذه اليد استناروا وتفتّحت بصائرهم. ولشاهدوا التجلي والإمداد من الله تعالى. قالوا: الحشرات النافعة فعلت هذا، التراب... لكن لو ارتبطوا به ﷺ لشاهدوا أنّ هذه الطعوم والأشكال والروائح الطيبة ليست من الأرض ولا من الحشرات...

8- ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً**﴾: دالة على لا إلٓه إلا الله. ﴿**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: حيث أنهم لم يفكروا وما عقلوا. لا يكون الإيمان إلا بعد التفكير والعقل، إن أرغمك الله إرغاماً على السير ضمن الحق فلن تدخل الجنة إذ ليس لك عمل.

هذه الآية تدلُّك على لا إلٓه إلا الله، توصلك لكل أسماء الله تعالى الحسنى، شيء يأكلونه ويشربونه وكل المخلوقات تجده طيباً ولذيذاً، هل صار لوحده؟! لو فكروا لآمنوا ولو آمنوا لما ظلوا بالعمى والهلاك ولجذبتهم الحضرة الإلٓهية بأنوار الحضرة المحمدية إلى الحقائق الأبدية.

9- ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ**﴾: يا محمد ﷺ: ﴿**لَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾: الذي لا يأتي الخير إلا منه سبحانه وتعالى، وبعد الموت يشاهدونها. ﴿**الرَّحِيمُ**﴾: مع كل هذا الإعراض عنه سبحانه وتعالى، يرحمهم ويمدّهم. ولو أنهم آمنوا بالمربي لَشاهدوا أن الله تعالى هو المربي المُمِدّ. الكرة الأرضية حجر يدور وعليه تراب، فهل هو الذي يُخرج هذه الخيرات والمخلوقات؟

﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾: وحده.

10- أمثلة: كيف ترك موسى عليه السلام فرعون وفرّ منه في سبيل رضاء الله: ﴿**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى**﴾: عندما حاز الأهلية استحق أن يكون رسولاً. ﴿**أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: مِثْلَ هذا الزمان، ظلموا أنفسهم، حبُّ الدنيا تغلغل كثيراً بقلوبهم، عندهم نبيّ يبيّن لهم الحقائق لكنهم لا يسمعون، ومن

حوله فقط مسلمون، وفرعون وجماعته مستهزئون بهم؛ ما عندهم مال ولا منصب لذلك ما عبأوا بهم. دائماً أصحاب الرسل لا يعطيهم ربُّ العالمين مالاً ولا دنيا حتى لا تشغلهم الدنيا ويلتهوا بها.

سورة الشعراء: [11-20]

11- ﴿**قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ**﴾: أما كفاهم فسقاً ورذيلة، ألا يُقبلون فيتقون، أما شبعوا من الدنيا، ألا يتقون ويرجعون إلى الله قبل أن ينتهي عمرهم! كل إنسان عنده إمكانية الوصول إلى التقوى، فرعون وقومه عندهم إمكانية التقوى: ﴿**أَلَا يَتَّقُونَ**﴾: الاختيار والتذكرة. كل الخلق لديهم الإمكانية للتقوى... {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ**}[3] السحرة بلحظة وصلوا لها، بهذا عاهدنا الله؛ أن نأتي للدنيا وننال التقوى، وهي الاستنارة الدائمية بنور الله.

12- ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ**﴾: لم يقل سيدنا موسى عليه السلام لا أذهب لعندهم، الرسول دائماً استعانته والتجاؤه إلى الله، لا يشتكي من أحد. كسيدنا يعقوب عليه السلام ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾:

13- ﴿**وَيَضِيقُ صَدْرِي**﴾: لجهلهم، نفسه عليه السلام صافية كالماء الرقراق، ونفوسهم عكرة (كسواد الفحم) مشحونة بالهموم والغموم، سيدنا موسى عليه السلام رسول ومؤيد من الله ذاق منهم الأهوال[4] فهو عليه السلام يخاف أن يضيق صدره من نفوسهم الخبيثة المعرضة وهو عليه السلام كله روائح مسك وهم أقذار. ﴿**وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي**﴾: بسبب الضيق النفسي. ﴿**فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ**﴾: يعاونني. وهو أكثر منه حلماً، حتى يكون معه ويساعده بحاله "بروحانيته" فيستطيع إقناعهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومع كل هذا الفسق، عندهم قابلية؟ لذلك فلا أحد يقنط من رحمة الله إلا الظالم.

14- ﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ**﴾: بنظرهم ﴿**فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾: أنا قاتل وأذهب إلى أهل القتيل! هذه كبيرة يا رب، أنت المعين، أعني يا رب على هذا.

15- ﴿**قَالَ كَلَّا**﴾: أنا معكم. أنت بيدي وهارون بيدي وهم بيدي لا يتحركون إلا إذا حركتهم أنا، لذلك لا يستطيعون مسَّك أو لمسك، أنت الآن رسولي. ﴿**فَاذْهَبَا بِآَيَاتِنَا**﴾: كلام الحضرة الإلٓهية، شَرحٌ مثل القرآن. اذهب وبلّغهم كلامي هم ما التفتوا لآياتي عسى أن يلتفتوا لآياتنا. ملاحظة: الفرق بين آياتي وآياتنا: آياتي: شمس... قمر... نجوم... كل ما في الأرض وما في السماوات كلها آيات.

آياتنا: كلام الحضرة الإلٓهية، شروح القرآن.

﴿**إِنَّا مَعَكُمْ**﴾: مع الخلق كلهم. فرعون بيدي، الكون كله بيدي. ﴿**مُسْتَمِعُونَ**﴾: أي مؤيدون لكم بالحول والقوة، وهذه بشارة لسيدنا موسى أنه سيحدث خير عظيم، وهذا ما حدث فحاشية فرعون سمعوا الكلام من المتكلم جل وعلا.

---

[3] سورة النساء – الآية:1.

[4] فنفسه عليه السلام صافية طاهرة وهم (فرعون وقومه) العكس تماماً من بعدهم عن الله تعالى وسلوكهم المعاصي والآثام صارت أحوالهم النفسية مرعبة، فذاق سيدنا موسى الأهوال من هذه الأحوال النفسية ومن رؤيته لأعمالهم ومعاصيهم وبعدهم الكبير عن الله تعالى.

16- ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ﴾: هذه هي الرابطة حيث يصبح الإنسان يتكلم بلسان المرتبط به. سيدنا موسى وسيدنا هارون هائمان ببعضهما حباً بالله، والاثنان واحد، وكل ما يقع بنفس سيدنا موسى كان يقع في نفس سيدنا هارون: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: مربيكم.

17- ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: يعلّمنا كيف على المرء أن يخاطب الآخرين. سيدنا موسى عليه السلام جاء فرعون بأسلوب، وأسلوبه من عين الواقع، قال لهم أنا لست طامعاً بملك ولا بمال. حتى لا يقول فرعون أن سيدنا موسى غايته أخذ الملك منه. وهذا ما ادَّعاه فرعون بعدها، لذلك سيدنا موسى طلب من فرعون فقط أن يرسل بني إسرائيل معه. وبالطبع فرعون لا يرضى بإرسالهم، لكن سيدنا موسى بهذا القول فتح المجال للنقاش مع فرعون والأخذ والرَّد.

18- ﴿قَالَ﴾: فرعون لموسى عليه السلام: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾: نحن ربيناك. يمنّ على سيدنا موسى ويستصغر شأنه. ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: ومكثت عندنا سنوات فمتى صرت رسولاً؟ ومن أين أتيت بالرسالة؟

19- ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾: قتلت القبطي، قتلت من عندنا قتيلاً: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: بإحساننا إليك ورعايتنا لك ﴿الْكَافِرِينَ﴾: بنعمتنا وفضلنا عليك.

20- ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾؟ الآية استفهام استنكاري؛ هل أنا مخطئ بعملي هذا إذ نصرت الحق؟ ألا يقتضي أن أفعل ذلك؟ لو كان العكس: إسرائيلي يعتدي على قبطي وتصرفت نفس هذا التصرف (بأن قتلت المعتدي) أما غدوت بنظركم بطلاً؟

سورة الشعراء: [21-30]

21- ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾: لأنكم ظلاّم. ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: لأني فديت نفسي في سبيله. هذا هو السبب: قدَّمت حياتي في سبيل الله، ضحّيت بالجاه والمال والملك، والله أعطاني هذا العطاء.

22- ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: هل كانت تربيتك لي إلا عن الظلم الذي كان سائداً في عصرك؟ فلولا ظلمك ما ألقت أمي بي ولما ربيتني. تربيتي سببها ظلمك، لولاك لنشأت بين أهلي ولم ترمِ بي أمي في النيل. من أجل رؤيا رأيتها صرت تقتل وتظلم وتستحيي؟ وبهذا أقام سيدنا موسى على فرعون الحجة.

23- خجل فرعون من نفسه، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: انكشف وأراد الهروب، عندها سأل سيدنا موسى وما رب العالمين، من هو، أين هو، من شاهده يمدُّ ويربي العالمين؟

إذا لم يكن للإنسان دليل من نفسه، ولم يشاهد الإمداد والتربية: فهذا ليس بإيمان وإنما هذا إسلام. فرعون قال أين ربُّ العالمين.

24- ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من ممدّهما! هل أنت؟: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: عرفتموه. سيدنا موسى نقل حاشية فرعون إلى اليقين صار لهم مشاهدات وصار لهم يقين، شاهدوا يدَ الله مهيمنةً على الكل. شاهدوا أنوارَهُ وجلالَهُ وجمالهُ، شاهدوا يد الله تمدُّ السماوات والأرض وما بينهما وأنَّ كلَّ شيء منه سبحانه وتعالى. لكن هذا ليس بسعيهم، "ومن أخذ البلاد بغير حرب هان عليه تسليم البلاد". سيدنا موسى عليه السلام هو الذي نقلهم. كل إنسان إذا خافت نفسه من الموت وقام الليل ونفسه صافية، إذا نظر وفكر بالنجم يؤمن.

25- ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾؟ لم يستمعوا إليه، ظلوا مع سيدنا موسى، فرعون لما شاهد حاشيته وهم وزراؤه وقادته وقد التفتوا لسيدنا موسى التفاتاً كليّاً وغابوا بالحضرة الإلٓهية أراد تحويلهم، فقال: ألا تستمعون؟ أنا إلٓهكم سلطانكم وملككم ولا تسمعون مني؟ ما التفتوا له ولم يشعروا بوجوده، والسبب أن سيدنا موسى جذبهم وأخذهم وغمرهم بالأنوار فذهب بسمعهم وبصرهم لشهود الحق والحقيقة وسماع كلامه تعالى. فصاروا مأخوذين بسيدنا موسى عليه السلام أما فرعون فما صار له هذا الشيء، ما صار له يقين.

26- ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: هكذا أجاب موسى عليه السلام. أراهم بداية الخلق والتربية، كل هذا بلمح البصر ونفوسهم سائرة معه عليه السلام شرح لهم كلام الله وأقام الحجة على فرعون. الحاشية التفتوا لسيدنا موسى لأنهم كانوا يعظمونه عليه السلام وبهذا الالتفات سحبهم سيدنا موسى عليه السلام ولم يبق عليهم إلا أن يَثْبُتوا على هذا الحال العظيم، وفي الثبات نبات.

27- ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾: هنا طار صواب فرعون. قال للحاشية أين أخذكم؟ موسى مجنون: أي ليس عنده ملك ولا مال ولا دنيا، هل العاقل يترك الكيف والبسط والدنيا والنساء ويذهب معه؟! ما عنده إلا الله، الله فقط، لا يتكلم إلا عن الله. فهل الدنيا فقط كلام عن الله؟! ليس عنده شيء محسوس ملموس.

هكذا شاهد فرعون الحق، الحق في نظره بالمحسوس والملموس، لكن بعد هذه الدنيا لا محسوس ولا ملموس، كله عقل وشهود نفسي ولا يبقى إلا الله وجناته التي تجري تحتها الأنهار.

28- ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: طالما الحاشية يعقلون فسيدنا موسى مستمر معهم ويُشهدهم الأنوار كلها "النور الحقيقي والصورة".

29- ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾: فرعون بالصورة ما شاهد شيئاً والحاشية أصبحوا بالحقيقة. المؤمن فقط يشاهد حقيقة الرسول.

30- ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾: بشيء منطقي معقول؟ الرسول يشاهد كل شخص ويخاطبه على حسب عقله. **"أُمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم"**. الحاشية شاهدوا[5]، فرعون لم يشاهد لذلك خاطبه بهذا الخطاب:

سورة الشعراء: [31-40]

31- ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: لم يصدِّق فرعون موسى عليه الصلاة والسلام.

32- ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾: ثعبان ضخم شكْله مرعب يستطيع ابتلاع الرجال لضخامته.

33- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾: فتغيّر وضع قوم فرعون كادوا يتحولون. وضع يده تحت إبطه الشريف فأضاءت بنور قوي أقوى من نور الشمس لكنه لا يؤذي العين بل بالعكس فإنه

---

[5] شهود الحق والحقيقة بعين البصيرة بواسطة رسول الله موسى عليه السلام وقد شاهدوا هذا بقلوبهم برفقتهم القلبية لسيدنا موسى، أما فرعون فأبى لعدم التفاته ولعدم استعظامه لسيدنا موسى عليه السلام.

يسعد ويسرُّ الناظر إليه. أظهر الله نوره هذا لعُمِي القلوب فصار يُرى بعين الرأس، الحضرة الإلّهية تُشاهد بعين النفس لكن الله سبحانه وتعالى هنا كشف نوره لعل، وهذه معجزة.

34- ﴿**قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ**﴾**:** موسى ساحر عليم بالسحر، وكانوا بزمن فرعون يقدِّرون السحرة مثل الآن، الآن يقولون عن الساحر أنه عالم، عالم مغناطيسي وهذا عمل شيطاني ﴿**عَلِيمٌ**﴾**:** يشاهد مشاهدات خفية، كل شيء مغطّى عنَّا هو يشاهده، الشيء الذي لا نراه هو يشاهده، هكذا ظن فرعون بسيدنا موسى عليه السلام، ظن أنه ساحر.

35- ﴿**يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ**﴾**:** سيدنا موسى تكلم من قبل بهذا، قال لهم: أنا ليس لي مطلب سوى أخذ بني إسرائيل وأتركم، لكن الحاشية ما استعملوا فكرهم وغيَّروا من حال لحال: ﴿**فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**﴾**:** ملك ويقول لحاشيته ماذا تأمرون! إذاً يريد بذلك تلافي الأمر. قال هذا من ذله عندما انهزم وانكشف، خاف منهم، قال لهم: ماذا تأمرون، كل هذا من عاره وذله، تواضع لهم من أجل أن يسحبهم لجانبه، وما فعلوه معه كتمه بقلبه، وحقد عليهم وقرر التخلي عنهم واستبدالهم. كل هذا بسبب ميلهم لسيدنا موسى، والدليل عندما قال للسحرة سوف أجعلكم من المقربين أي وزرائي. هنا فرعون تمسكن حتى يتمكَّن ويسحبهم لجانبه وبعدها يقتلهم.

36- ﴿**قَالُوا أَرْجِهْ**﴾**:** أخّره. أجِّله ليُكشف ضعف سحره ويرى الجميع ذلك: ﴿**وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**﴾**:** نحن عندنا سحرة عظماء.

37- ﴿**يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ**﴾**:** وكان لهم شهرة. قالوا لفرعون نحنُ لدينا علماء بالسحر، سحرة عظماء، أي رؤوس السحرة ليسوا كأي ساحر وإنما سحَّار: أي سابق وجامع السحرة حوله، كلهم تحت لوائه.

38- ﴿**فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾**:** يوم معين، معلوم: عند الكلّ. حضر فيه السحرة. أجّل المباراة ليوم عيد من الأعياد ليجتمع فيه الناس كلهم.

39- ﴿**وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ**﴾**:** الاجتماع بالعاصمة. دعوا الناس وجمعوهم من كل المدن والأنحاء، إلى مكان الفرح الأعظم.

40- ﴿**لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ**﴾**:** حيث تغيّر وضع الناس. إذن: منذ البداية فرعون نوى عدم الاتباع، فرعون معاند ومصرٌّ على الكفر ولا يريد أن يغيّر.

سورة الشعراء: [41-50]

41- ﴿**فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا**﴾**:** طلبوا رواتب حتى يعيشوا، لو كان عندهم شيء حق لجلبوا المال بالسحر. لكنهم يخدعون أبصار الناس ويخرجون الذهب والمال أمام الناس وكل هذا كذب بكذب، فقط أساليب خداع خبيثة "هيلمة على الناس". وهم دائماً متسولون ينتظرون الولائم، يحتالون على الناس ويطلبون الذبائح، ولكن ألاعيبهم وحيلهم على الخبثاء أمثالهم أما على غير الخبثاء فلا يستطيعون الاحتيال على أحد ولو كان من أبسط الناس، إذا لم يكن بالناس خبث فلا يستطيعون الاحتيال عليهم. ﴿**إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**﴾**:** إن غَلَبنا! ليس لهم فعل ولا حول ولا قوة وكل ما يفعلونه خيال وتخيُّلات، كلهم كذابون يؤثِّرون على أعصاب الناس ويخيّلون لهم. هم أرجل الشياطين، الشيطان يسوقهم للأعمال الخبيثة ولا حقيقة عندهم، وكل ما يفعلونه تخيّلات وخداع بصر وتأثير على الأعصاب بالوهم.

42- ﴿**قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾: سأجعلكم وزرائي. المقربون من السلطان هم الحاشية والوزراء والقادة، عندما مالت الحاشية مع سيدنا موسى عليه السلام فرعونُ حقد عليهم لكنهُ أخفى حقده وقرر الاستغناء عنهم عندما تستقيم له الأمور، كان فرعون يعتبر السحرة علماء "والآن في زماننا يقولون عالم مغناطيسي، وهم سحرة برداء علماء"، لذلك أجاب فرعون السحرة بقوله: ﴿**قَالَ نَعَمْ**﴾: أي سأنعم عليكم بإنعامات كبرى، سأعطيكم مُلك الحاشية، قصورهم، وقراهم، وأمنحكم أموالهم أيضاً بعد مصادرتها: كل هذا الحقد بسبب ميلهم مع موسى عليه السلام بالاجتماع الأول.

43- ﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا**﴾: أظهروا كل سحركم، أخرجوه الآن: ﴿**مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ**﴾: كيف كنتم بالماضي تلقون وتذهلون الناس وتأخذون عقولهم بل وجعلتم أنفسكم رسلاً وأنبياء دجلاً حتى اعتبروكم علماء حكماء من شدة التأثير عليهم، الآن ألقوا وأظهروا كل ما كنتم تلقونه بالسابق.

44- ﴿**فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ**﴾: كل ما بإمكانهم أظهروه: ﴿**وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ**﴾: فرعون الذي يعزنا ويرفعنا وسيعطينا المال والجاه والعز والدنيا: ﴿**إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ**﴾: بالعزة التي سيمنحنا إياها فرعون سنغلب موسى.

45- ﴿**فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾: الإفك: الخداعُ والدجل، وهؤلاء السحرة أعمالهم كلها لخداع الناس والناس مغرورون ومخدوعون بهم، فقط المؤمن بالآخرة لا يسمع لهم ولا يستطيعون خداعه. ألقى سيدنا موسى عصاه "والعصا لمن عصا" وهؤلاء عصوا الله ورسوله، إمداد سيدنا موسى عليه السلام حقيقي من الله سبحانه وتعالى، أما إمداد السحرة من الشياطين، لذلك العصا ابتلعت كل الشياطين التي أظهرها السحرة على الإطلاق وماتوا "هذا ما شاهده السحرة ولم يشاهده الناس بل شاهدوا الحبال والعصي أفاعي". هذه القصة يذكرها الله تعالى لنا لبيان فعله وكيف أنه جلَّ وعلا يدلّ الناس على الحق ويحاول ردَّهم.

46- ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾: للإنسان طريقان للإيمان: إن كان صغيراً فبالتفكير. أما إن كان كبيراً: فبالإعجاب. كما في أول السورة: الطاهر عندما يسمع الثناء (ط) يدخل مع رسول الله ﷺ على الله مستعظماً. كذلك السحرة باستعظامهم عمل موسى عليه السلام دخلوا معه على الله مستعظمين فآمنوا. بخلاف بني إسرائيل تصديقهم لم يوصلهم للحق، فما آمنوا بالله، وما عظموا رسوله ﷺ بل انتقلوا من كفر لكفر أكبر حتى يومنا هذا، وهكذا فما لم يؤمن الإنسان بلا إلٓه إلا الله فلن يفهم القرآن، المؤمن يفكر ويحصل له تعظيم فيجمع الناحيتين: إيمان وتعظيم. السحرة كانوا معتمدين على علمهم الذي كانوا يرونه عظيماً اعتماداً كليّاً، ويرون أنفسهم فوق الكل، فما يفعلونه لا أحد يستطيع فعله، "يضع يده بالنار، يضرب الشيش..." والآن هذا العلم الذي يعتمدون عليه انهار أمام علم سيدنا موسى عليه السلام النوراني الرباني العظيم. لذلك هووا على علم موسى عليه السلام فشاهدوا وجه الله الكريم بمشاهدته "بمعيَّته" عليه السلام ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾: سجدوا طالبين الفضل من الله سبحانه وتعالى، شاهدوا صاحب الفضل الحقيقي وأسماءه الحسنى فهاموا حبّاً وغراماً بالله.

47- ﴿**قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: شاهدوا العوالم كلها من الأزل حتى قيام الساعة إلى الآخرة بمعيَّة وبمشاهدة سيدنا موسى وهارون عليهما السلام، شاهدوا الإمدادات كلها من الله وأنه هو الذي يمدّ الخلائق كلها، وليس لأحد قيام أو وجود إلا به سبحانه وتعالى.

48- ﴿**رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾: عندما آمن السحرة هذا الإيمان عن طريق سيدنا موسى عليه السلام وشاهدوا الحقائق فرأوا أن سيدنا هارون عليه السلام قائم معه بالوظيفة أيضاً لأن سيدنا هارون عليه

السلام برابطة قلبية مع أخيه موسى عليه السلام وهما على قلب واحد فغدت النفسان وكأنهما نفسٌ واحدة.

49- ﴿**قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ**﴾: من خزيه وعاره قال للسحرة نحن لم نتفق على هذا، نحن اتفقنا على شيء وأنتم غيرتم وفعلتم العكس، الاتفاق أنا أعطيكم كل شيء وأجعلكم وزرائي ففعلتم العكس، عندها علّل ذلك بأن سيدنا موسى هو الذي علّمهم السحر، قال هذا لأنه لا يعرف شيئاً عن السحر. ﴿**إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾: من الأقوى، أنا بيدي الملك والسلطان وأنتم خالفتموني. ﴿**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ**﴾: فكيف سيصبح منظرهم بعد قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف يد من جهة ورجل من جهة. ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾: بعد القطع سيصلبهم ويعلقهم أجمعين بما فيهم سيدنا موسى عليه السلام.

50- ﴿**قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ**﴾: بلحظة آمنوا. المؤمن إذا عرف الحق، لا تبقى للدنيا قيمة عنده. الإنسان إن وجد كنزاً ملأ منه كل ما معه. فالدنيا مدرسة إن حصَّلت نلت غداً. "الجنّة: إقبال وخير ما تشتهيه الأنفس": ﴿**قَالُوا لَا ضَيْرَ**﴾: لا ضرر علينا بهذا، بل بسط ونعيم وسعادة، السبب: ﴿**إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ**﴾: انقلبنا إلى ربنا، أصبحت نفوسنا خارج أجسامنا فكيف نخاف! ليس لنا حاجة بهذا الجسم، قطِّع واعمل ما شئت. قالوا هذا لأنهم عرفوا أن الموت انطلاق إلى الحبيب العظيم وهو الله، الحبيب الذي في كل عمرهم كان يناديهم ويدعوهم لعنده ويعتني بهم حتى يقبلوا عليه، وهذا هو الإيمان الشهودي الحقيقي، وإذا لم يؤمن الإنسان بربه الإيمان الحقيقي فمن أبسط الأشياء يخاف ويرتجف قلبه، بدل أن يزداد سعادة وبسطاً ويعرف أنّه ذاهب إلى لقاء الحبيب جلَّ جلاله.

سورة الشعراء: [51-60]

51- ﴿**إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا**﴾: الذي يتعلم من العظماء يرى كل العلوم سخافات ولا يعبأ بها، علمه يفوق كل علم، هؤلاء كانوا سحرة أي أحط الناس، أعمالهم سيئة ولتكفيرها يلزمهم أعمال صالحة وهم لم يعملوا شيئاً بعد، لكن في المستقبل سيكون لهم أعمال، لقد أدركوا أن قصتهم سيتلوها تعالى على الأمم وبهذا يستفيدون، ولكن كيف عرفوا ذلك من قبل أن تنزل الآية؟ الله سبحانه إذا أراد أن يعلِّم الإنسان يعلِّمه بلحظة واحدة والله طبع بقلوبهم العلوم بلحظة، والمؤمن في ليلة القدر يطبع تعالى القرآن بنفسه. ﴿**أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: سيتبعنا خلق كثير وهم بصحيفتنا وبسببهم يغفر الله لنا. أعظم شيء دلالة الخلق على الله. والسحرة عرفوا أنهم سيصبحون باباً لغيرهم من المؤمنين وسوف تنتفع به أمم كثيرة بكل العهود والأزمنة. السحرة استجابوا بصدق، ليسوا كمثل الحاشية الذين انقلبوا بعد قليل.

52- ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى**﴾: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بأن فرعون سوف يلحقهم ليقتلهم: ﴿**أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي**﴾: اذهبوا بالسَّحَر "قبلَ الصُبحِ" حتماً فرعون سيلحق بكم وخذوا كل شيء معكم ﴿**إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ**﴾: من قِبَل فرعون، سوف يلحقكم. رب العالمين أخبرهم بذلك لأنه تعالى نظر بفرعون فوجد فيه إصراراً كلياً.

53- ﴿**فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**﴾: استنفار. حاشرين: حتى يحاصر فرعون بني إسرائيل، فكل قوة من مدينتها تتجه نحو بني إسرائيل، لأن القوات إذا جاءت لعند فرعون عندها لن يستطيعوا اللحاق ببني إسرائيل، لذلك قال لهم فرعون التجمع ليس بالعاصمة التجمع على بني إسرائيل، الأقرب ينقض عليهم.

54- ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾: قال لهم فرعون هؤلاء شرذمة، لا مال ولا سلاح عندهم، مجتمعون مع بعضهم البعض. فرعون درسهم وعرفهم: ﴿قَلِيلُونَ﴾ لكن ما داموا قليلين فلماذا وضع فرعون كل هذه القوات؟ ألا تكفي الجيوش التي عنده بالعاصمة؟ هذا التحريض لئلا يفلت ويفر من بني إسرائيل أحد، لذا جعلهم لجيوشه غنيمة، إذ قال لهم: لقد أَبَحْتُهم لكم انطلقوا عليهم، وهذا إغراء على إفنائهم فلا تبقى منهم باقية.

55- ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾: إنهم يغيظوننا. خلَّصونا العلماء، الكل أخذهم موسى وما رجعوا أبداً. حقاً ظلوا صادقين[6] وماتوا على هذا الحال، على التقوى. الكافر مهما عامله المؤمن بالإحسان ينكر ويلقي كل فضل وراء ظهره، بماذا أغاظ سيدنا موسى عليه السلام فرعون حتى قال هذا؟ ألم ينقذه من بلاءات كثيرة كالقمل والجراد والدم... كلها أنكرها. الجَحود الكافر لا خير منه.

56- ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾: لازم كُلنا نحذر منهم: يجب علينا أن نتماسك. قد ظهرت من موسى أعمال لا يستطيع أن يقوم بها أحد؛ عصا تنقلب إلى ثعبان؟ يد كلها أنوار. رأى فرعون من سيدنا موسى عليه السلام عجائب وغرائب.

57- ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: الله تعالى يطاول العبد، لكن إن أخذه أَخَذَه أخذةً واحدة. فرعون ملك عالمي عنده خيرات عظيمة. ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: كانوا في جنات وعيون، حدائق وقصور، الله تعالى جعلها لهم حتى ينالوا بها جنات أخروية، عندما لحقوا ببني إسرائيل خرجوا منها ولم يرجعوا لها أبداً. ما غيَّروا ما بأنفسهم، لو غيروا لغيَّر الله عليهم، فرعون عند الغرق غيَّر لكن بعد فوات الأوان، والله سبحانه وتعالى أخرج له جسده ليكون عبرة.

البلاء لم ينزل إلا على مصر، ما أصاب العراق ولا الشام، فقط مصر.

58- ﴿وَكُنُوزٍ﴾: أمَّة غنية، أمة فرعون ملكت أموالاً كثيرة منقولة وغير منقولة كان الله تعالى سيعطيهم بها جنات لو استجابوا: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: كان حاكماً وسلطاناً عالمياً. كله زال، فليكن طمعك أيها الإنسان بالآخرة لا بالدنيا.

59- ﴿كَذَلِكَ﴾: هذا قانون. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: بعد أن دُمِّرت مصر عاد إليها بنو إسرائيل وأعادوا بناءها وأورثهم تعالى مصر.

60- ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ﴾: كل الجيوش اتبعوهم ومن كل الجهات ﴿مُشْرِقِينَ﴾: صباحاً عند شروق الشمس ﴿مُشْرِقِينَ﴾: كما كانت نفوسهم مشرقة أيضاً، لحقوا بهم وهم مسرورون وفرحون بالغنيمة السهلة التي سيأخذونها من الأموال والنساء لكن ما عرفوا أن الهلاك فيها.

سورة الشعراء: [61-70]

61- ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾: عند الصباح رأى الطرفان بعضهما البعض: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾: رغم كل المعجزات العظيمة التي رأوها من سيدنا موسى، قالوا هذا القول؟ قالوا هذا لأنهم ما آمنوا الإيمان الحقيقي بلا إلّه إلا الله، فالذي لا يفكر لا جدوى منه.

---

[6] وهم السحرة الذين آمنوا بسيدنا موسى وهارون عليهما السلام. بقوا صادقين ولم يغيِّروا عن إيمانهم حتى وافتهم المنيّة على هذا الحال العظيم من الإيمان والتقوى.

62- ﴿**قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾: الإنسان يترقى من حال إلى حال. من قبل قال إني أخاف أن يقتلون، الآن قال كلا. سيدنا موسى أعطاهم درساً بهذه الكلمة، قال "كلا". وكلمة كلَّا: مشتقة من كلمتين كلٌّ ولا. والمعنى: أن سيدنا موسى عليه السلام قال لهم: الله لم يكلّ، ما ترككم، ما قصّر معكم أبداً لكنكم أنتم لم تؤمنوا الإيمان الحقيقي حتى تشاهدوا أن الله معكم. ما آمنتم حتى تشاهدوا. ﴿**إِنَّ مَعِيَ رَبِّي**﴾: أنا أرى ربي دائماً معي. آمنت به سبحانه وتعالى، أنتم لم تؤمنوا لذلك قلتم أنَّكم مُدركون، البحر من أمامكم وورائكم فرعون وجنوده. أما رأوا كم كان فرعون يطلب من سيدنا موسى عليه السلام أن يدعُو ربَّه كي يكشف الضرَّ عنهم، وكيف كان تعالى يستجيب له ويرفع عن قوم فرعون البلاء من قحط وقمل ودم وغير ذلك، {**وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ**}[7]

وفي كل مرة كان يستجيب تعالى لموسى عليه السلام أما بنو إسرائيل فما أصابهم شيء من هذا البلاء، إذن حتماً طالما أن معي ربي وأنا أراه سيهديني لطريق النجاة والخير لنا ولهم. سيدنا موسى عليه السلام لم يحتّم غرقهم إذ ربما غيَّروا.

﴿**مَعِيَ رَبِّي**﴾: موسى عليه السلام مشاهد أن الله تعالى معه دائماً، يستجيب له بإيمانه.

63- ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ**﴾: هل عصا موسى عليه السلام فعلت ذلك! كل ذلك حتى يفكروا ويهتدوا ﴿**فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾: كالجبال. أصبح البحر بأمواجه يبساً وجبلاً، كالجبل العظيم، وصار البحر طرقاتٌ وبينها جبال جمودية وقد سُمِّي الجبلُ طوداً لأنه طوى الود الإلّهي بما فيه من ماء مخزون فيه حياة البشر والشجر والنبات والحيوان، ومن هنا جاءت تسمية الأتقياء بالجبال أيضاً. لأنهم يطوون الودَّ الإلّهي للخلق جميعاً بالماء الغدق الحقيقي الذي بقلوبهم.

سؤال: هل لهذه المعجزة قانون؟ أربعة ملائكة جعلوا بلدة سيدنا لوط عليه السلام عاليها سافلها فكم طاقاتهم عظيمة، فكيف بطاقة الرسول ﷺ! نفسه ﷺ أعظم بكثير من الملائكة، طاقة رهيبة، سرى شيء من طاقة نفسه ﷺ إلى العصا ومنها إلى البحر فحدث ما حدث وارتفع الماء هذا الارتفاع الشاهق والله بهذه الآية يرينا شيئاً وطرفاً مما أمدَّ به رسله من طاقات وقوى عظمى.

64- ﴿**وَأَزْلَفْنَا**﴾: قرَّبنا فرعون وجنوده من شهواتهم ﴿**ثَمَّ**﴾: الشغف والحب لشهواتهم المنحطة، أرسل فرعون في المدائن حاشرين أن هؤلاء أخذوا معهم مواشي وأموال وأعراض وكلها مباحة للجند فبحبهم لهذه الشهوات اللّهُ تعالى قرَّبهم منها. وعندما رأى الجند بني إسرائيل رأوا شهواتهم قد قُرِّبت إليهم، هم أقوياء وبنو إسرائيل ضعفاء رأوا أنهم حتماً سينالون كلَّ ما يرغبونه: ﴿**الْآَخَرِينَ**﴾: قرَّبنا فرعون وجنوده: نزل في البحر.

65- ﴿**وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ**﴾: بنو إسرائيل لم يؤمنوا بالله إيماناً ذاتياً، في كل قصص القرآن أنجينا هوداً والذين آمنوا معه، صالحاً والذين آمنوا معه، شعيباً والذين آمنوا معه، أما بنو إسرائيل نجوا بمعية سيدنا موسى عليه السلام، لم يستحقوا النجاة ومع ذلك نجوا. أجمعين: لم يُغرق منهم أحداً.

---

[7] سورة الأعراف – الآية:134–135.

66- ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾: الذين تأخروا عن سيدنا موسى عليه السلام وعن رب العالمين.

67- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: هذه المعجزة آية عظيمة دالة على لا إله إلا الله، آية لبني إسرائيل كيف جمد البحر وصار جبالاً وطرقاً ومشوا فيه وغرق عدوهم أمامهم وهم لم يغرقوا! كل ذلك آية. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بكل زمان كل من لا يفكر حتى يعقل فما له جدوى. بنو إسرائيل لم يفكروا حتى يصلوا للإيمان، الأكثرية على ضلال. {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[8].

فرعون تأثر من إيمان موسى عليه السلام قال {... يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً}[9] لكنه خاف من قومه، حاشيته صدَّته عن الإيمان، لذلك عند الغرق قال آمنت بالذي آمَنَتْ به بنو إسرائيل، ولهذا أنجاه رب العالمين ببدنه، وقذفه أمام بني إسرائيل عسى إن فكر أحدهم وآمن واستنار يُخَفَّفُ عن فرعون من العذاب، كل ذلك آية.

68- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: يا محمد ﷺ. ﴿لَهُوَ﴾: وحده. ﴿الْعَزِيزُ﴾: كل العطاء والخير منه وحده سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحِيمُ﴾: هذا لا ينطبق على قومك، قومك مؤمنون. كل هذه الترتيبات من رحمته وحنانه سبحانه على الخلق.

69- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾: واتل من تلا أي: أعاد، اتل عليهم: أي أعد عليهم نبأ إبراهيم عليه السلام. كل ما قام به من سعي وأعمال حتى توصَّل لله، مسلكه الذي سلكه كيف فكر واهتدى.

70- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾: يا مساكين؟

سورة الشعراء: [71-80]

71- ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ﴾: نستظل بها وببركتها ﴿لَهَا عَاكِفِينَ﴾: أي عفوا وكفوا عمَّا سواها وعكفوا عليها، قالوا نحنُ لا نسمع إلا من هذه الأصنام ولا نريد أن نسمع من غيرها. والآن أيضاً لا يسمعون إلا من كتب الأجداد وتركوا القرآن. والآن من يعبد الله حقّاً؟! لا يجمع الناس إلا الإيمان، المؤمن للمؤمن. كانوا يعبدون أصناماً أما الآن فيعبدون بعضهم بعضاً، يعبدون الآباء والأجداد، الشكل تغيَّر لكن المضمون هو نفسه. كُتبُ الأجداد يدرسونها ويأخذون علومهم منها. تركوا القرآن ولحقوا بها، هل الصحابة عندما قاموا بفتوحاتهم كانت هذه الكتب موجودة؟ لم يكن إلا القرآن، إذن لابدّ من الرجوع إلى القرآن وسماع كلام الخالق لا المخلوق. قوم إبراهيم عليه السلام قالوا هذه التماثيل لأناس صالحين ونحن لا نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى. وهذا منشأ عبادة الأصنام، لها أساس عندهم كانوا يحبون أناساً صلحاء وما أن انتقلوا إلى ربهم حتى حزنوا عليهم، وبعد فترة جاءهم شيطان أنسي متلبس بشيطان جني وأقنعهم بأن يبنوا لهؤلاء الصالحين أصناماً تشبههم، صوَّروهم ومثَّلوهم بالحجر. وهكذا توالت الأجيال فنشأت عبادة الأصنام ووراء هذه الأصنام سحرة كهنة وشياطين يحققون شهوات الناس بالحرام، يقولون لهم الصنم لا يرضى إلا بذبح خروف أو اثنين أو أكثر فيذبحون لهم بعدها يقولون لهم: رضي الصنم، افعلوا ما تشاؤون، والآن يذبحون عند الأولياء ولا يطعمون الفقراء.

---

[8] سورة الأنعام – الآية:116.

[9] سورة غافر – الآية:36–37.

72- ﴿**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ**﴾: ما عندكم فكر! ما عندكم عقل! والآن ألا نرى من سبقنا أما مات! ماذا يكون جوابنا في القبر غداً؟! ألا تفكر بهذا الحال وبتلك الساعة؟! هل هؤلاء الذين مثلتم الأصنام بهم يسمعونكم؟ ماتوا وانتقلوا من زمنٍ طويل. إذا دعوتموهم هل يسمعونكم، هل يستجيبون لدعائكم؟! فقد ماتوا.

73- ﴿**أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ**﴾: هل يُنزلون لكم الأمطار إذا انقطعت عنكم؟ هل يأتون بالخيرات؟ ﴿**أَوْ يَضُرُّونَ**﴾: إذا حطَّمتموهم هل يضرونكم؟ هل يؤذونكم؟ سيدنا إبراهيم حطمهم وترك أكبرهم، هل آذاه أحد؟ لم يصب بأذى.

74- ﴿**قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾: قالوا لا نريد أن نسمع، والناس الآن لا تناقش بالمنطق، بل القول الحق تعارضه لأنهم لا يفكرون، فقط اتّباع الآباء. {**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...**}[10] إذن سيرنا الآن ما هو حق لو كنا على الحق لما تقهقرنا. وما النصر إلا من عند الله: إن ما صرنا مؤمنين أقوياء نرى الله معنا كيفما تحولنا فلن نسير بالحق، المؤمن معاملته إحسان مع كل الخلق لكن ضمن الحكمة {**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**}[11] تعامل اليهودي والنصراني كلاً بحسب ما يناسبه.

75- ﴿**قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ**﴾: هل شاهدتم حقيقة ما تعبدون؟ هل شاهدتموها رؤية قلبية؟

76- ﴿**أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ**﴾: الذين أقدموا على صنع هذه التماثيل وعبدوها؟

77- ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾: وكان وحده عليه السلام فما خاف منهم. قال لهم كلهم أعدائي، قال هذا من إيمانه بالله تعالى ولم يخف من أحد، أمَّة عظيمة جابهها! ولكن هل يعادي سيدنا إبراهيم حجارة؟ إذن وراء الأصنام شياطين وهي التي تزيّن للناس عبادتها. وهؤلاء أعداء لسيدنا إبراهيم.

78- ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ**﴾: وحده. سيدنا إبراهيم عليه السلام لفتهم للإيمان بالمربي، هو عليه السلام مشاهد خلقه، كيف خلقه الله تعالى في بطن أمه من نطفة ثم علقة فمضغة وعظام وكيف ركَّب له عظامه ثم كسا العظام لحماً، كل هذا لديه مشهود، فنور الأنبياء عظيم، لم ينقطعوا عن الله سبحانه وتعالى لذلك يشاهدون خلقهم. ولو التفت قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام إليه بالتقدير لشاهدوا بمعيته كيف خلقهم الله تعالى ورباهم في بطون أمهاتهم. فالرسول عندما يتكلم عن البداية والخلق إذا توجه له الإنسان وارتبط به يشاهد كيف خلقه الله تعالى وكيف ربَّاه.

إذن بمعرفة المربي يهدين، فالأساس أن تعرف المربي والله سبحانه وتعالى منه الهداية.

79- ﴿**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ**﴾: لا أحد غيره سبحانه تعالى. بعد أن يولد هذا الإنسان فالعناية الإلَهية به مستمرة بالطعام والشراب دون انقطاع، تربية دائمية.

80 - ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ**﴾: عليكم، حزناً عليكم من إعراضكم عن الله، إني لأمرض عليكم: ﴿**فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾: فهو سبحانه يشفيني، لا ما تعبدون أنتم "لا يسمو بالنفوس ولا يشفيها إلا الله، بإقبالك عليه تعالى تشفى" الله هو الشافي، الطب الليزري يقتل الخلايا، أما نور الله فإنه يحييها ويشفيها.

---

[10] سورة النور – الآية:55.

[11] سورة البقرة – الآية:269.

سورة الشعراء: [81-90]

81 - **﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾:** سيدنا إبراهيم لفتهم منذ البداية إلى الإيمان بالمربي، والآن يلفتهم للإيمان بالإلّه المسيِّر واليوم الآخر؛ فإن فكَّروا وآمنوا من خلال الآيات الكونية، رأوا النور الإلّهي سارياً بها ورأوا التسيير الإلّهي للكائنات كلها، وأنه تعالى لم يخلق الخلق عبثاً وأنه لابدّ من الحساب على كل فعل وتصرّف يبدر من الإنسان، وأنه تعالى لم يترك الإنسان وشأنه بل أحاطه بعنايته وإمداده وتسييره ورحمته، عندما يرى الإنسان هذه العناية يستقيم على التمام. إذن فالطريق ميسَّر، ولو أنهم صدقوا لشاهدوا.

المؤمن لا يخاف من الموت حيث لقاء الحبيب جلَّ وعلا، لكن يخاف يوم القيامة حيث الحساب بالمثاقيل، فكم هو عظيم حب الإلّه لهذا الإنسان إلا أنه سبحانه وتعالى عادل.

الخلاصة:

إذا سلك الإنسان مثلما سلك سيدنا إبراهيم عليه السلام آمن؛ فمتى استيقظ ليلاً وخاف على مصيره من الموت وفكر بالسماء آمن بالله، إذا آمن بالله يؤمن باليوم الآخر ويشاهده مشاهدة قلبية يقينية.

82 - **﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾:** هو سبحانه الذي يغفر لا ما تعبدونه أنتم. سيدنا إبراهيم رأى أن الله عادل وأنه سبحانه على صراط مستقيم "على الحق". ولكن ما هي خطيئة سيدنا إبراهيم؟ كل حياته الشريفة كان يستغفر لأبيه لكن عندما توفي أبوه على الكفر قال له رب العالمين توقف يا إبراهيم عن الاستغفار، لأنه قبل الموت كان بالإمكان أن يلتفت أبوك ويسير معك على الحق ويستفيد، أما الآن فلا فائدة من الاستغفار. استجاب سيدنا إبراهيم لأمر ربه وتوقف عن الاستغفار لأبيه، وعندما دعا لأهل مكة **{رَبِّ اجْعَلْ هذَا بَلَداً آَمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُم}**[12] هنا توقف سيدنا إبراهيم عن الدعاء وخصَّصه لمن آمن، وهو رحيم ويريد ذلك لكل الناس لكن خاف أن يدعو للذين كفروا فيكون دعاؤه خطأ، فقال له رب العالمين: **{وَمَن كَفَرَ}**: هنا سيدنا إبراهيم ظن نفسه أنه أخطأ، وهو بالحقيقة لم يخطئ عليه السلام حيث أنه بهذا استجاب لأمر ربه، قال له الله: ومن كفر من أهل مكة أرزقهم لأنهم ما زالوا أحياء، فيهم رجاء للإيمان لذلك يرزقهم، أما أبوك فقد مات ولم يعد له طريق للإيمان عن طريقك، هنالك ظن سيدنا إبراهيم أن عدم دعائه لأهل مكة كلهم كان خطأ، وبالحقيقة هي استجابة لرب العالمين، الله تعالى امتدحه لأنه قام بذلك طاعة لله، فهذه أقصى حدود الاستسلام والعبادة إذ لم يترك لنفسه اختياراً، سلَّم جميع رغائبه وميوله لله. الله تعالى اعتبرها طاعة واستسلاماً عظيماً وقد امتدحه وأثنى عليه. أما سيدنا إبراهيم فقد اعتبر نفسه أنه أخطأ بحق البشر. لذلك جاءت الآية: **﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾:** فقد اعتبر نفسه عليه السلام أنه أخطأ بحق البشر.

83 - **﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾:** حكماً عن بصيرة وعلم، التقوى يرى الخير خيراً والشر شراً: **﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾:** هذا كلام سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء. رغم كل أعماله ومقامه العالي فهو متواضع. الرسل والأنبياء هم أشد الخلق تواضعاً.

84 - **﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ﴾:** أن أتكلم بالحق ويظهر في الآخرة أنه حق وليس رياء. المؤمن يتحرى الحق حتى أنه لا يقول كلمة خلاف الحق وكل كلامه للبناء والإصلاح دوماً: **﴿لِسَانَ**

---

[12] سورة البقرة – الآية:126.

صِدْقٍ﴾: أناس من ذريتي، أنبياء ورسل يتكلمون بلساني، وقد استجاب له ربه وأرسل سيدنا إسماعيل تكلم بلسانه؛ وكذلك سيدنا إسحاق ويعقوب وسيدنا محمد ﷺ فسيدنا إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء والأنبياء، يتكلمون لأقوامهم عن الطريق التي سار بها عليه السلام وكيف آمن لكي يسلكوا ويؤمنوا بالله.

85 - **﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾:** من ورثة الرسول ﷺ الذي عنده الجنة، حتى يستمر النعيم والسرور من أجل الذين يُقبلون معه عليه السلام من المؤمنين ليغمرهم بأحوال قلبية عالية فلا يتحولون عنها بالصلاة. تلك الصلاة مع الرسول ﷺ حيث لا انقطاع فيها عن حضرة الله وعن السعادة والسرور، ولا شرود. أما الإنسان إذا صلى بدونه ﷺ فلا تحصل له أحوال ولا سعادة وبذلك تشرد النفس هنا وهناك، لذلك سيدنا إبراهيم طلب وراثة جنة النعيم ليمنحها لغيره.

86 - **﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾:** وهذه الرحمة العظيمة هي التي أوصلته لهذا المقام العالي (أبو الأنبياء) يريد نجاة أبيه من النار كان ذلك قبل موته. ابدأ بالإحسان مع من بدأك بالإحسان. رغم ضلال أبيه كان رحيماً به ويحاول هدايته رحمتهُ عظيمة بالخلق.

87 - **﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾:** تجلَّ عليَّ دائماً يا رب لكيلا أنقطع عنك، متى انقطع الإنسان عن الله أخطأ، ومتى أخطأ خجل من ربه.

88 - **﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾:** إذا التفت الإنسان للأهل، للزوجة، للمال، للبنين، يهلك ويخطئ الطريق.

89- **﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾:** سليم من كل شائبة ولا يتم هذا إلا بالصلة مع الله تعالى. إذا إنسان غداً عليه نمشة "المقصود بالنمشة هنا: خطأ يُخجِل النفس من خالقها مهما كان صغيراً" لا يدخل الجنة. يجب أن تسعى في الدنيا ليحصل لك العفو والمغفرة. العمل السيئ يلزم أن يرافقه عمل صالح، **{... إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السيِّئَاتِ...}**[13] "هذا هو العفو". أما المغفرة فبالإقبال على الله مع رسول الله ﷺ بالصلاة حيث تنغسل نفسك فتطهر. الذي يفضل الله ورسوله ﷺ على الخلق جميعاً وعلى أهله وولده وزوجته هذا هو الناجي السليم.

90- **﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾:** اقتربت، من الدنيا أزلفت للمتقين. **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}**[14] جنّة بالدنيا وجنة بالآخرة.

سورة الشعراء: [91-100]

91- **﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾:** للذي غوى. الغاوي جاء للدنيا ليكسب بها الجنات فغيَّر وأعرض عن الله ولحق الدنيا وشهواتها. عند الموت يرى مقامه في النار، أعماله تُبرز له الجحيم. كالذي حُكم عليه بالإعدام تكون المشنقة أمامه، أمام عينه. **{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}**[15]

[13] سورة هود – الآية:114.
[14] سورة الرحمن – الآية:46.

[15] سورة غافر – الآية:46.

92- **﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾:** الذين كنتم تسمعون كلامهم.

93- **﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:** ترون لهم فعلاً. **﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾:** هل يشفونكم، هل يدفعون العذاب عنكم؟ **﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾:** ما هو حالهم اليوم؟

94- **﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾:** مع بعضهم، انكبوا بالنار، جهنم التي في أنفسهم أعظم من النار بكثير لذا عندما يرون النار يشتهونها لما فيهم من آلام. ينكبون عليها لكي تسكِّن عنهم آلامهم، الإنسان ينكب على الكوب البارد لما فيه من ماء ليروي عطشه أو على شيء لذيذ، أما هؤلاء فينكبون على الجحيم بسبب ما فيهم.

95- **﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾:** كلهم. الشياطين الذين زيَّنوا للناس الشهوات وأضلّوهم.

96- **﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾:** بعضهم مع بعض بخلاف أهل الجنة على سرر متقابلين.

97- **﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:** تالله أي والله، والله: اعترفوا، قالوا: بالأزل أعطانا الله ما أعطانا ونحنُ نكثنا بالعهد وضللنا ولحقنا الشهوة ثم أعادها ثانيةً علينا في الدنيا، أعطانا وملَّكنا ونحن ضللنا عنه، عرفوا واكتشفوا أنفسهم أنهم كانوا في ضلال مبين.

98- **﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:** كنا نسمع كلامكم، ساووهم بالله جعلوهم أنداداً وصاروا يسمعون كلامهم من دون الله، جعلوهم أرباباً وآلهةً، السبب: لأنهم رأوا أن شهواتهم وأهواءهم عندهم[16] ولا تتحقق إلا عن طريقهم، ولأنهم ما سلكوا الطريق ما فكروا، وبالآخرة زالت الشهوات عنهم فوجدوهم حقراء أصغر ما خلق الله، فندموا على ما فرطوا.

99- **﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾:** الكفرة، وصلوا للآخرة وهم ما زالوا بالشرك، يقولون هؤلاء أضلونا والحقيقة: لا أحد يضل أحداً، هم وجدوا شهواتهم وأهواءهم عندهم فلحقوا بهم.

100- **﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾:** لا يقترب أحدهم من الآخر، بل كل منهم مشمئز من الآخر، الشفاعة هنا لا غداً. الشفاعة مع الأنبياء والرسل الذين لم ينقطعوا عن حضرة الله ولا عن نوره، ما دونهم انقطع عن الله فصار طفيلياً يعيش على المخلوقات غير المكلفة وليس من الله، أما الأنبياء الكرام فلا يأخذون إلا منه سبحانه وتعالى، وهؤلاء بما أنهم لم يستشفعوا في حياتهم الدنيا بالأنبياء والرسل المرشدين العالين، بالآخرة ليس لهم وجه أبيض وليس لهم شفعاء، والرسول لا يستطيع أن يشفع بهم بسبب أمراضهم الفتاكة وروائحهم النتنة، لذلك لا بدّ لهم من مسكِّنات تسكِّن عنهم ما بهم من أوجاع وآلام.

سورة الشعراء: [101-110]

101- **﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾:** أعز الناس للمريض يقول خذوه إلى الإسعاف والمشفى، وهؤلاء وضعهم يقتضي العلاج، فلا صديق حميم يقف في طريق علاجهم.

102- **﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:** انتهت الفرصة ولم يبقَ مجال للعودة "ما عاد في خواص "أي: ليس هناك جدوى، ما من جدوى" وإن عادوا لا يستطيعون. عندما شاهدوا المؤمنين

---

[16] عند أولئك الذين ساووهم بربِّ العالمين واتبعوا كلامهم. فلقد رأوا أنهم عن طريقهم تتحقَّق متطلباتهم الدنيوية من مال... جاه... سلطان... نساء...

وكمالاتهم وعطفهم وحنانهم تمنوا أن يكونوا مؤمنين لكن لا صدق عندهم ولا تفكير. لو كان عندهم صدق لأرجعهم الله، لكن لا صدق لديهم، والذي لا يصدق بالدنيا لا يصدق بالآخرة، والذي لا يسلك هنا بالدنيا لا يسلك هناك بالآخرة.

103- ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً**﴾**:** الدلالة التي دلَّها سيدنا إبراهيم. ﴿**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾**:** بيّن لهم كلاماً منطقياً معقولاً فما آمنوا. نحن الآن نشابههم في سيرهم: نخاف من زيد وعمرو والفاعل هو الله. قصة سيدنا إبراهيم آية، وصوله وإيمانه، لماذا لم يتبعوه؟ لماذا لم يطبقوا؟ عندما آمن سيدنا إبراهيم سخَّر الله له كل شيء حتى النار. كيف وقف بوجه النمرود وقومه، المؤمن شجاع، غير المؤمن متهور. كيف كسّر الأصنام، كل مؤمن يجب أن يعمل هذا العمل، وإذا لم يعمل فليس بمؤمن، أعمال الرسول ﷺ، الصحابة الكرام كرروها لكن نيته ﷺ عظيمة عليَّة[17].

104- ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ**﴾**:** أيها الرسول العظيم، يا رحمة للعالمين أرسلك الله، لم يعرفوا حقيقتك حتى تقاعسوا عن معرفة الله، فما اشتقوا من معين الخير والرحمة وما أفاضوا فكذبوا. ﴿**لَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾**:** منبع الخير، الخير كله من الله هو الشافي، هو المعطي سبحانه وتعالى لا يوجد إلٓهان اثنان، والرسل والأنبياء والمرشدون أدلاّء إلى الله وطرقٌ إليه جلَّ وعلا، لو سلكوا الطريق لشاهدوا الآيات ولرقوا رقياً لا مثيل له. ﴿**الرَّحِيمُ**﴾**:** وهذه بشارة للرسول أنه سيحدث إيمان وينتصر الحق.

105- ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾**:** بعد أن لبث فيهم 950سنة فما آمن معه إلا القليل.

لماذا "كذَّبت" وليس "كذَّبوا"؟ لو فكروا لكانوا رجالاً والذي لا يفكر هو مثل النساء، هؤلاء لم يشاهدوا ربهم بسبب شهواتهم. شهواتهم حجبتهم عن الله. الإنسان لا يستطيع التفكير الصحيح حتى تخاف نفسه من الموت، عندما تخاف النفس تتوجه إلى الفكر والفكر يرسم لها المخطط للإيمان، متى خاف الإنسان على مصيره وصل. لماذا "المرسلين" وليس "سيدنا نوح"، وهو رسولهم الوحيد؟ لأن كل الرسل ينهلون من مشكاة واحدة ووظيفتهم دائمة مع سيدنا نوح، وإذا كذبت القومُ نوحاً عليه السلام فقد كذبوا الرسل جميعاً.

106- ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ**﴾**:** الأخ هو الذي يدخلك بالسعادة والنجاة، والحقيقة أخوهم نوح عليه السلام أي: يشعر بآلامهم وأوجاعهم، نيَّتهُ نحوهم أن يكونوا من أهل السعادة دنيا وآخرة، وهذا هو الأخ الحقيقي يعيش فيهم ويحمل آلامهم وهمومهم ويتمنى هدايتهم. ﴿**أَلَا تَتَّقُونَ**﴾**:** دعوته واحدة ليروا حقائق الأمور بالله، ألا تتقون، أفلا تنظرون بنور الله؟! فالعهد مع الله بالأزل: التقوى أي الاستنارة الدائمة بنور الله، سيدنا نوح دعاهم لكن ما سمعوا منه، سمعوا من بعضهم البعض لو سمعوا منه عليه السلام لاتقوا.

107- ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ**﴾**:** أحمل لكم أنباء السماء بأمان وصدق. ﴿**أَمِينٌ**﴾**:** عليكم وعلى أعراضكم وعلى أموالكم. ليس له مطلب منهم إلا دخولهم الجنة، لا مطمع له عليه السلام فيهم ولا بأعراضهم وأموالهم ولا يريد منهم شيئاً. وهو الأمين على تبليغهم كلام ربه بالتمام.

108- ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾**:** كيف يتم ذلك؟ ﴿**وَأَطِيعُونِ**﴾**:** تحصل لكم التقوى بطاعتي: اسمعوا دلالتي كي تحصلوا عليها، هناك إسلام فإيمان فتقوى وطلب نوح عليه السلام من قومه التقوى، لا تحصل

---

[17] قام الصحابة الكرام بأعمال عظيمة تماثل أعمال قدوتهم العظيم ومرشدهم الكريم ﷺ، أما بالنوايا فنواياهم لا توازي نيَّته حيث نيَّته ﷺ أعظم وأعلى من نواياهم بكثير.

التقوى إلا بطاعة الرسول، آمنوا بالله لتعرفوني، إذا آمنتم بالله فالله سبحانه وتعالى يدلُّكم عليَّ وإذا دلَّكم صرتم بعلِّيين.

109- ﴿**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: الذين يطلبون على قراءة القرآن والموالد أجراً هؤلاء بدّلوا.

110- ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾: طريق التقوى أولاً: الالتفات مع الاستجابة بالتطبيق بإحسان أي مع الطاعة المقرونة بالإحسان، ثانياً: الإيمان المبني على التفكير والتدقيق بغية الوصول لرب العالمين.

سورة الشعراء: [111-120]

111- ﴿**قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ**﴾: صغار ما لهم قيمة. كبرهم مثل كبر إبليس حين قال أنه خير منه، أولئك الذين يحقِّرون المؤمنين، قبل بعثة الرسول ﷺ الكل كانوا بضلال مبين، ماذا كانت العرب في الجاهلية؟! الرسول هو النبع وهو الطريق إلى الله تعالى، فماذا يهمُّهم بأصحابه؟! أصحابه كانوا منحرفين والآن غيّروا وتابوا وأصبحوا أقماراً، فلماذا يأخذونهم قدوة؟ والحقيقة الكذاب يجد حِيَلاً حتى يبرر لنفسه.

كذلك أصحاب الرسل بالبداية لا يزيد عليهم رب العالمين من الدنيا حتى لا ينشغلوا بها، كالذي يدرس لا يُعطى مالاً لئلا ينشغل عن دراسته. قوم نوح نظروا لماضي أصحاب نوح عليه السلام، لماذا نظروا لهم وهم ليسوا قدوة؟! الحقيقة أنهم لاحقون الناس لا يريدون الإيمان لذلك قالوا لسيدنا نوح: ﴿**وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ**﴾: فقال لهم أنا لا علاقة لي بماضيهم ولا أنظر فيه، هؤلاء جاءوني وآمنوا، أعرفهم الآن مؤمنين تائبين آيبين إلى ربهم راجعين عابدين.

112- ﴿**قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: فلعلهم تابوا واستغفروا الله.

﴿**قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: من أعمال عالية أهَّلتهم حتى أوصلهم الله تعالى إليه وقبلهم في جنابه العالي العظيم.

113- ﴿**إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي**﴾: وإن الله هو الذي يتولاهم. ﴿**لَوْ تَشْعُرُونَ**﴾: لو عرفتم النعيم الذي يذوقه هؤلاء لتخليتم عن دنياكم: ﴿**لَوْ تَشْعُرُونَ**﴾: بما لهم من مكانة باتّباعي حيث صاروا بعلِّيين، صاروا بدرجات عالية. انظروا إلى العطاء الذي يأتي عليهم، فالله سبحانه يعطيهم عطاءات كبيرة، لو تشعرون بنعيمهم الذوقي المقيم كما يشعرون لإيابهم.

114- ﴿**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: كيف أطرد من استجابوا لطلب أرحم الراحمين وبه من ذاتهم آمنوا وهم خيار الخلائق، فطلبكم هذا مرفوض، هؤلاء لم يأتوني بل هم لربهم قاصدون ولرضاه طالبون فما يكون لي أن أطرد من لست أنا الذي يعطيهم بل ربي هو الذي يعطيهم ويجري الخيرات بسببهم، أنتم تطلبون مني ما لا أستطيع ولا صلاحيَّة عندي من الإلَه، أنا لا أفعل هذا. إذن أصحابه مؤمنون.

115- ﴿**إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾: من نار محرقة، فَكِّروا! هذه الحياة زائلة. أنا هادٍ مبين حكمة الله للناس جميعاً أبلِّغهم دلالة عالية. فبسبب رحمتي بكم وحناني عليكم وحبي لكم استجاب لي ربي، فأرسلني لتحذيركم من علاج مرير وحزن طويل وبكاء وعويل وندم حين لا ينفعكم الندم إن بقيتم على حنثكم العظيم وموبقاتكم المرعبة﴿**مُبِينٌ**﴾: أبيِّن لكم طريق النجاة وطريق الإيمان. قوم نوح عندما

نووا على نوح وأصحابه وصاروا يواجهون سيدنا نوح كندٍّ لندٍّ، أنذرهم وبيَّن لهم أنه سيصيبهم بلاءات السماء والأرض مصادقة على قوله.

116- ﴿**قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ**﴾: بالحجارة. عداءً، كان وقتها الإعدام بالرجم. كل هذا لأنه أقام عليهم الحجة، قرارهم هذا معناه أنهم لا يريدون الحق وأنهم مصرُّون على عدم الاتباع. لا يريدون الحق أبداً.

-117

﴿**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ**﴾: لا جدوى لهم.

-118

﴿**فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**﴾: افصل بيننا. ﴿**فَتْحًا**﴾: طلب من ربه أن يفتح على قلوبهم. ﴿**وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: بعد الحكم اليقيني من الله /950/ سنة ما لهم خواص.

عرف أن هناك خطر على جماعته لذلك طلب فتحاً وليس هلاكاً، قال احفظني يا رب ومن معي هؤلاء لا رجاء منهم أبداً لا يفكرون التفكير صدأ عندهم ونفوسهم أصبحت لا تمشي إلا بالانحطاط.

-119

﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ**﴾: أنزل الأمطار ونبعت الأرض ونجا بالسفينة. ﴿**الْمَشْحُونِ**﴾: بالعطف والرحمة والحنان بالبشرية جمعاء ليوم القيامة.

-120

﴿**ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ**﴾: ثم أي لا جزافاً كل شيء تحت الهيمنة والسيطرة الإلٓهية بدقة صارمة جازمة لا إلٓه إلا الله.

سورة الشعراء: [121-130]

-121

﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ**﴾: يا محمد. ﴿**لَآيَةً**﴾: أليس في غرق قوم نوح آية للناس دالة على العطف والحنان والرحمة كم صبر عليهم سيدنا نوح، كم تنبأ لهم. ﴿**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: كل الدلالة ضمن المنطق فما أفادوا شيئاً، إذا الإنسان لم يتحرك من ذاته بذاته فلن يستفيد شيئاً ولو كان أعظم الرسل معه ويدله، إذا هو لم يسلك الطريق طريق الإيمان فلا فائدة.

-122

﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ**﴾: يا محمد. ﴿**لَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾: الخير من الله. ﴿**الرَّحِيمُ**﴾: هذا الشيء لا يقع على قومك، صحابته فتحوا نصف الدنيا الهلاك لا يقع عليهم فما حدث مع قوم نوح ﷺ لا يحدث مع أمتك طالما هناك علاج من رب العالمين هناك أمل رحمة الله واسعة.

فلعلك باخع نفسك غير أن الله رحيم بالناس حرص رب العالمين علينا وتنبيهنا بالامتحان الرهيب لطريق النجاة إن فكروا.

-123

ثم عادَ القوم للكفر، مثلٌ آخر ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾: عندما يكذبوا رسولاً واحداً معنى هذا كذبوا الكل، كذبوا سيدنا آدم وشيث ونوح ولو آمنوا برسولهم لآمنوا بكل الأنبياء والرسل ووصلوا إليهم وأخذوا مما عندهم من خيرات أعدَّها الله لهم.

عاد: من العداوة عادوا الله لكن هل الله عاداهم؟ ومن العودة مهما سحبهم سيدنا هود إلى الله يعودوا ويرجعوا للدنيا وهذا حال الذي لا يجاهد نفسه ولا يسلك طريق الحق والإيمان ولا ينظم أوقاته.

نصائح: على الإنسان دائماً أن يُعمل تفكيره بكل أمر ولا يعمل عملاً إلا بعد أن يضع نيةً لله وهذه النية لها تأثير كبير، إذا ذهب إلى النزهة تكون نيته الهداية وإنقاذ أناس جهلة والخدمة لهم هذا الله يعطيه الكثير من الجنات على هذه النية، يذهب لينهاهم عن المحرمات التي فيها الهلاك.

-124

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: هذه دعوة الأنبياء جميعاً: التقوى. أخوهم: شاعرٌ بهم وبحياتهم حياة كلها شقاء وضنك ومشاهد نتائجها عليهم في الآخرة، مشاهد أن هذه اللذائذ سوف تنقضي ومن ورائها خسارة كبرى كالطالب الذي أهمل دراسته طول العام ووراءه الرسوب. بالإجرام والشهوات المحرمة "شرشحة" وذل دنيا وآخرة.

هود: سيدنا هود رسول كريم جاء للدنيا من أجل الهداية، فقط ليهديهم، الرسل والأنبياء أخذوا شهاداتهم من الأزل والله أرسلهم للمؤمنين زيادة فضل ومنّة منه تعالى.

ألا تتقون: كل إنسان بلغ التكليف عنده إمكانية ليصبح تقيّاً، كل من فكر صدق، إن لم يفكر لا يصدُق ولا يخاف ولا يتحرك الفكر عنده، التفكير بالمصير المرعب الذي سيأتيه بالموت ومن ثم التفكير بالكون وآياته للوصول ومشاهدة لا إلّه إلا الله.

قوم عاد كانوا دولة عظمى بالعالم، قوة كبيرة، فسقوا ومع هذا فتح الله لهم الطريق ليتَّقوا. الغريزة موجودة والشهوة أمامه، فكيف يتّقي والفرصة قد سنحت له ولا أحد يراه؟ النفس إن لم تشاهد البديل الأفضل والأجمل والأحسن لا تتقي، ولا تتخلى عن شهوتها.

125- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾: صرَّح لهم أنه رسول من الله، ذلك أنهم قد شهدوا من أعماله العالية وسمعوا بيانهُ العالي عن الله فقدّروه، لذلك صرَّح لهم برسالته.

﴿أَمِينٌ﴾: إذا سلكتم وطبقتم: تصبح حياتكم كلها سعادة ونعيم وسيادة وعز وجاه، وبعد الموت أمين عليكم أؤمنكم، لأنه عليه السلام رسول الله وخليفته والنور عنده، لذلك نفوسهم لا تنزل القبر ولا تصبح في الظلام بل تنتقل إلى الجنان مباشرة، والذي لا يكون مع الرسول بعد الموت فهو بالظلمات يهوي هوياً.

126- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: إن أطعتموني حصلت لكم تقوى. التقوى بطاعته عليه السلام إن فكروا وآمنوا وعظموه وأطاعوه وصلوا مباشرة للتقوى العليَّة الكاملة.

127- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: كالأم الحنون تحب ابنها أن يكون سعيداً، ولا غاية لها، فإن كان ابنها سعيداً فهي سعيدة وإذا كان متألماً فهي متألمة، ولله وللرسول المثل الأعلى، فرحمة الأم ليس لها وجود أمام رحمة الرسول، أين نظرها من نظره عليه السلام، أين عطاؤها من عطائه؟ ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لا يريد منهم شيئاً، النصر من الله تعالى، لا أريد منكم النصر، إن

آمنوا به عليه السلام أم لم يؤمنوا فأجره على الله، لن ترفعوني ولن تخفضوني ولا تزيدونني، لكنه الحنان والعطف عليكم.

128- ﴿**أَتَبْنُونَ**﴾: تبنون قصوراً رائعة هي آية في الجمال وتستخدمونها للّهو والترف ﴿**بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً**﴾: تبنون في أماكن روعة بإتقان مختارة. في كل مكان جميل تبنون مقهى تضيعون فيه الوقت. ﴿**تَعْبَثُونَ**﴾: مقاهي، مقاصف، منتزهات، بناء المقاهي والملاهي في الأماكن المختارة للهو والعبث وتضييع الوقت: أهذا يؤهلكم للجنة؟! كانوا يبنون القصور والفلل في كل مكان رائع؛ آية، أي إذا نظرت النفس لهذا المكان وهي طالبة ربها تستعظمه وتقبل على الله فيه. جاؤوا هم وعمروا فيها القصور والفلل من هذه الصخور فحوَّلوا الناس عن الله، حوَّلهم ذلك لبعضهم البعض بدل أن يحوِّلوهم لله، بنوا صخوراً بدل الأزهار والأشجار لأن قلوبهم قاسية مثل الصخر، همزوا الناس بالدنيا. وبالفعل هذه القصور أخذت عقول الناس.

﴿**تَعْبَثُونَ**﴾: تعبُّون وتبثُّون: أتوا للدنيا ليعبُّوا الكمال فعبُّوا الشهوات فامتلأت نفوسهم بعد هذا بالهمّ والغم والشقاء.

129- ﴿**وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ**﴾: معامل، مخازن، ظانين الخلود. المخازن وما فيها من حرير وألعاب ومعامل، أماكن التخزين والبيع، تزيّنونها. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ**﴾: تظنون أنكم ستخلدون، وتنسون الموت. كل ذلك زينة في الحياة تؤذي أوساط الناس وفقراءهم وتجعلهم يميلون إلى الدنيا وإلى الخسّة والبخل والشح ونكران فعل الخير والمعروف. والآن أعمارهم أقل من كل الناس الذين سبقونا ومع ذلك يبنون فيها كأنهم خالدون للأبد: معنى هذا أنهم اطمأنوا للدنيا، ولكن الدنيا سيتركونها بعد قليل وكذلك أولادهم سيتركونها، صنعوا وعملوا للدنيا ولم يعملوا للآخرة، ونسوا حياتهم الأبدية وضيّعوها.

130- ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُمْ**﴾: ببعضكم عند القتال: ﴿**بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**﴾: بوحشية. لفقدان الرحمة من قلوبكم إذا التحمتم بأمر كدتم أن يذهب بعضكم بنفس الآخرين بوحشية، قلوبهم قاسية وحضارتهم قائمة على القسوة والبطش بين بعضهم بعضاً، كل هذا حتى تتأمن أمورهم الدنيوية. صاروا أعداء بعضهم البعض، حياتهم كلها رعب، دائماً يبطشون ببعضهم، كل هذا للتعالي والكبر، أهذا طريق الإنسانية؟! هذا طريق الجهل، حياتهم بالدنيا شقاء وبالآخرة أشقى.

سورة الشعراء: [131-140]

131- ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾: انظروا لما تجرُّه عليكم هذه الأبنية والقصور وهذا الترف. الله سبحانه وتعالى صاحب الأسماء الحسنى وسيدنا هود خليفته ورسوله غمرهم بالحضرة الإلَهية وعيّشهم مع الذات الإلَهية فقال لهم: فاتقوا الله وأطيعون، طبقوا كلام الله وأطيعونِ حتى يثبت عليكم هذا الشيء الذي نلتموه، لأن الجسر يجب أن يقوم من طرفين، كذلك الطير لا يستطيع أن يطير بجناح واحد.

132- ﴿**وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ**﴾: من الخيرات. أقبلوا عليه وفكّروا بما أنعم عليكم، لكن ما طبقوا ولا آمنوا من ذاتهم. عيّشهم بالنعيم والسعادة وهم أحسُّوا وتنعّموا وسعدوا وصارت لهم أحوال وأذواق، لكن ما آمنوا من ذاتهم، فما الفائدة؟

الله سبحانه وتعالى فتح لهم الباب، لو آمنوا وصار لهم علم بلا إلَه إلا الله لصار لهم علم بأنه رسول الله. لكن هذه الأحوال القلبيَّة وما غمرهم به سيدنا هود جاءتهم بدون مقابل وبلا سعي، ثم ذهبت عنهم حين تحولوا وانشغلوا بالدنيا.

133- ﴿**أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ**﴾**:** غنم، أولاد. هنا فصَّل سيدنا هود لقومه، قال لهم ثمانية أزواج من الأنعام من خلقها لكم. ﴿**وَبَنِينَ**﴾**:** أبناؤكم كيف خلقهم من نطفة وأنتم كنتم كذلك؟! وهذا هو الإيمان بالبداية. ولو جاهدوا وفكروا بهذه النقطة ببدايتهم لوصلوا للإلّه سبحانه وتعالى ولنالوا التقوى العالية.

134- ﴿**وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾**:** بساتين. نعيم وعطاء كبير، الشام كانت جنة الدنيا بمناخها وأراضيها الخصبة وعيونها ومياهها العذبة الرقراقة.

135- ﴿**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾**:** إن لم ترجعوا. لابد ولا مهرب لأحد منه، المقصود هنا يوم القيامة، هكذا تكلم سيدنا هود عليه السلام مع قومه.

خائفٌ عليكم: هو رحمة للعالمين بزمنه، قال لهم إني أخاف عليكم من هذا الشيء الذي تؤمّون له، من هذه الشهوات والتي نتائجها عليكم خزي وعار عظيم، إذ يوم القيامة تنكشف الحقائق ويصبح الإنسان متلبساً بالعار وتصبح نار الله الموقدة شهوته ويرمي بنفسه فيها، خائف عليكم من هذا المسلك الذي تسلكونه، نتائجه عليكم عظيمة في الخسارة وسيتلوه نيران ملتهبة وشقاء أبدي.

136- ﴿**قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ**﴾**:** هذا سيرنا ومعتقدنا ولا نبالي بما تقول، لأنهم ما فكروا، أصرّوا على الحنث العظيم.

سيدنا هود عليه السلام وجيه في قومه وأعماله عالية وعظيمة. وَعَظَهم حتى يخرجوا من ظلمهم لكن ما سمعوا لأن القلب مشغول بالدنيا وشهواتها، الأذن تسمع لكن القلب إذا كان بعيداً لا يسمع، مع أنه كلام منطق وعالٍ ما سمعوا.

137- ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ**﴾**:** هذا ما سار عليه أجدادنا، فما بالك تريد أن تغيّر ما نحن عليه وما ورثناه من قبل؟! نظروا للسافلين المنحطين منهم وزادوا عليهم بالمحرمات، الدنيا للعمل "العمل الذي يكسب فيه رضاء الله تعالى" لا للنزهات، لابد من الموت.

﴿**خُلُقُ الْأَوَّلِينَ**﴾**:** من الأخلاق. قالوا الأولون طيبون "دراويش" وأنت مثلهم تتكلم: ما عندهم إلا الله، فقط الله الله، نحن نريد شيئاً محسوساً وملموساً. إن طبقنا كلامك ذهبت عنَّا الدنيا وشهواتها وشمُّ الهوى وهذا لا يناسبنا.

الأولون طيبون وأنت مثلهم وبأخلاقهم، أتوا بهذا الكلام، وكذلك أنت أتيت بهذا الكلام بسبب أخلاقك، وهذا الكلام ليس من الله، أقروا بأخلاقه.

138- ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾**:** قولك هذا كله لا أصل له. من مات ورجع؟ الله خلقنا وخلق الطيبات، نأكل ونشرب ونتمتع أما الذي تقوله فنحن لم نشاهده.

139- ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ**﴾**:** فأتاهم العذاب، أهلكم بالريح، الشيء الذي استحبوه وانبسطوا به كان سبب هلاكهم. ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً**﴾**:** أليس في هلاكهم بيان للذين كفروا واسترسلوا في الشهوات أنهم مهلكون؟! إذا الإنسان ما آمن من ذاته وسعى بجد وصدق لا يستفيد مهما سمع ﴿**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾**:** لا تلحق الأكثرية، دائماً الأكثرية على الضلال والأقلية على الصحيح. الأكثرية بدون تفكير، تبعية.

140- ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾**:** كل ذلك يقع ضمن الرحمة.

﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ**﴾**:** يا محمد: ﴿**لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾**:** بزمنك لن يحدث هذا الشيء، وسيأتي زمان نصف أهل الأرض يؤمنون بدلالتك، بل وكل أهل الأرض.

كل هذه الأمثلة يضربها الله ليبين أن الذي لا يفكر في الخلق فيستدل على لا إلّه إلا الله، أي لا مسيّر ولا فعال ولا مربي إلا الله، ثم لا يخشى ويستقيم، وكل ذلك فعله من نفسه وبدافع من ذاته، فإنه لابد سيكذب المرسلين وسوف لا يؤمن بآيات الله وسيصيبه ما أصاب الأقوام التي يضرب الله أمثالها للناس.

سورة الشعراء: [141-150]

ومثل آخر:

141- ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ**﴾: لأن هذا الكلام كلام الله، والرسل يأخذون من مشكاة واحدة. قوم ثمود عندهم الإمكانية لنيل العطاء الإلّهي جاءهم سيدنا صالح عليه السلام لينهض بهم بما عندهم من إمكانية.

ثمود: أي عندهم شيء ثمين من المردود الإلّهي، لو تلقوا الود الإلّهي لهم بإكراماته تعالى، أي عندهم وفيهم شيء من الخير، كل هذا حوّلوه إلى الدنيا الدنية لا للآخرة. قال ﷺ عن آخر الزمان: **"إن من ورائكم أياماً يرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج، قالوا يا رسول اللَّه ما الهرج؟ قال: القتل"**[18] وذلك بعدم إيمانهم، كل كمالات الأزل التي كسبوها من الله يضيّعونها على مذبح شهوات الدنيا، وقوم ثمود ضيعوا مكارم الأخلاق، ضيعوها في الدنيا الدنية كل هذا لأنهم ما آمنوا.

142- ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ**﴾: أرسل الله لهم إنساناً رحيماً عطوفاً يشعر بهم وبما عندهم وبما هم فيه. ﴿**أَلَا تَتَّقُونَ**﴾: حتى يجعلكم الله سادة الدنيا والآخرة. قومه ما فكروا بكمالاته، لو فكروا كانوا وصلوا للتقوى كسحرة موسى عليه السلام، هؤلاء عندهم إمكانيات لنيل الخيرات بقلوبهم لكنهم ضيَّعوها.

143- ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾: ما شاهدوا عليه شائبة ولا شاهدوا له عملاً سيئاً، كل أعماله كمال بكمال لذلك سمُّوه الأمين، لكن حين صار ينصحهم ويدلّهم على الله ويحذّرهم من حب الدنيا الدنية ردُّوه.

أمين على تبليغكم كلمات الله ونصائحه وخيراته وجناته، إن صدقتم.

144- ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾: عندما شاهد أنهم لم يسيروا بطريق دلالته الربانية وبيانه العالي قال لهم فكروا بآيات الله كيف عُني بكم في بطون أمهاتكم ورباكم وأمدكم بالسمع والبصر والأعضاء حبّاً بكم وأمدّ الكون من أجلكم، فإن نظروا وقدَّروا فضل الله وإحسانه ونعمه آمنوا، عندها يدركون عظمة بيانه وينالون من خيرات دلالته فيطيعونه، وبطاعته يطيعون الله فينالون الجنة عن طريقه ويعلمون أنه حقّاً رسول الله.

145- ﴿**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: دعوة الرسل كلهم واحدة وهي دعوة الخلق إلى الله. الرسول يريد قلبك وسلامته ولا يريد مالك، أجره فقط على رب العالمين.

146- ﴿**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا**﴾: ظانُّون البقاء، أتظنون أنه لا إلّه لهذا الكون قابض على ناصيتكم، روحكم بيد من؟ هل أنتم ﴿**آمِنِينَ**﴾: من الموت؟ الحقيقة الدنيا لا شيء فيها، كل شيء فيها من الله سبحانه، الكرة الأرضية حجر كبير يدور هل منه شيء؟ هذا الخلق والإبداع والمأكولات والبنين

---

[18] سنن الترمذي، رقم/2200/

والبنات، هل هذا كله من هذا الحجر؟! كيف تتركون المعطي صاحب البهاء وتعيشون مثل الأنعام طعام وشراب وجنس؟ هذه الدنيا لمن لم يفكر فيؤمن ويعمل فيها الصالحات، كلها عليه خسارة بخسارة وهي بالنتيجة دار البوار، لا تعلّق قلبك بها، توجَّه لممدّها لك الباقي الدائم.

147- **﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:** بلدهم كلُّها وديان وعيون مياه كثيرة، جنات دنيوية حدائق وبساتين ومزارع، ظانُّون البقاء بها ولا بقاء لهم فيها، لا يريدون تركها مع أنه لابد من تركها فخسارتها بالموت وبعدها يعقبها الندم وخسارة الحياة الأبدية. لستم بباقين، فكر بمن سبق، مات، صار تحت التراب.

148- **﴿وَزُرُوعٍ﴾:** رفاهية العيش. **﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا﴾:** ثمرها متسق ممشوق في الفضاء يهضم بسهولة فيفيدون منه **﴿هَضِيمٌ﴾:** فقط للأكل؟

149- **﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾:** منظمة مرتبة، تأخذون من الجبال الحجارة لتبنوا القصور الفخمة المنظمة المرتبة، كم بيّن الله تعالى وحذَّر من خطر تطاول البنيان وذلك لعظيم خطره على الناس، بنايات فيلات رائعة بالوديان، وهذه عند الله مذمومة: **﴿فَارِهِينَ﴾:** هاربين للشيء الهيّن، الدنيا قريبة وهيّنة، أما طريق السمو والآخرة فلا بدَّ للوصول إليها من جهاد، جهاد الهوى والنفس.

150- **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:** اسلكوا سبيل الإيمان، متى سلك الإنسان طريق الإيمان يصل لمعرفة رسوله لكن لابد أن يُكمل الطريق، الذي لا يجاهد بهوى نفسه ولا يفكر بالموت والكون وآياته لا تلتفت نفسه ولا تخاف، إذن لابدَّ من الجهاد بالشيء المتعلقة نفسه به، الغالي عليها؛ نساء، طعام، مال، كل إنسان له جهاد بشيء، فإن آمن من ذاته عرف رسول الله فأغناه وعفّ عن كل دنيّة. قل صدق الله **{لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ...}**[19] فآمنوا لتقدروا على الإنفاق مما تحبون.

سورة الشعراء: [151-160]

151- **﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾:** الذين أسرفوا على أنفسهم. **{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً}**[20] الذين أسرفوا على أجسامهم وأنفسهم أسرفوا للدنيا، أسرفوا الأموال الكثيرة على أشياء كماليَّة، وغيرهم يموتون من الجوع، ما نظروا لجانب ربهم؛ للفقراء والمساكين وحرموهم. المال جعله الله للإنفاق على المستحقين ليكسب الإنسان به جنات، لو آمنوا ما أسرفوا وما ضاعت عنهم خيرات الآخرة.

152- **﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾:** يحرّض الناس على الفساد. ينشرون بأفعالهم الفساد بين الناس، المفسد أهلك نفسه وأفسدها كالطعام عندما يفسد تخرج رائحته النتنة، وهؤلاء أفسدوا الناس حتى صارت الناس تحترق ألماً مما يشاهدون عندهم وهم محرومون، وحتى السماء والأرض أفسدوها، الاحتباس الحراري، التلوث، انظر إلى الأرض كيف كانت أنهاراً، ينابيع وأشجاراً وانظر إليها الآن قارن بين حالهم الأول وحالهم الآن.

---

[19] سورة آل عمران – الآية:92.

[20] سورة الإسراء – الآية:27.

153- ﴿**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ**﴾: مستور عليك ما في هذه الأمور والشهوات الدنيوية من لذائذ ونعيم. تتخيل تخيلات وتتكلم.

154- ﴿**مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآَيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾: إذن لا يزال هناك أمل فيهم، لم يقطعوا الحبل بعد ويريدون معجزة. قالوا له بالمنطق إذا كنت رسولاً نريد منك معجزة، وإذا لم تأت بها فأنت بشر مثلنا ولست رسولاً لله، فكيف نتبعك. عندها دعا الله أن ينزل معجزة. إن المعجزات خطرها عظيم فإن آمن القوم بعدها نجوا وإلا فالهلاك المحتَّم نصيبهم.

155- ﴿**قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ**﴾: وكانوا قد طلبوا منه ناقة ووراءها ولد، تخرج من الجبل فانشقت الصخرة وظهرت الناقة. ﴿**لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾: تشرب ماءكم يوماً، وفي اليوم الثاني فالماء لكم. يوم تشرب فيه الماء كله، واليوم الثاني أنتم تشربون فيه، سيدنا صالح جعل هذا الترتيب حتى لا يتوسعوا بالدنيا وينشغلوا بها، علاجاً وتخفيفاً لهم من حب الدنيا، إلا أن القوم شعروا أن هذه الناقة حرمتهم من الماء الذي فيه الثمر والنبات والمال فما رضوا بهذا.

156- ﴿**وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ**﴾: هذه ناقة الله ليس لكم حق بها، وهي ليست مسخرة لكم مثل غيرها فلا تمسوها بسوء. ﴿**فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾: المعجزة لا تكفي، إن لم يفكر المرء فيعقل فلا جدوى.

157- ﴿**فَعَقَرُوهَا**﴾: كل هذا ما قنعوا. ﴿**فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ**﴾: عندما جاءهم البلاء. إذا الإنسان ما آمن من ذاته بذاته لا فائدة له.

158- ﴿**فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: الإنسان ولو رأى المعجزات إن لم يفكر فلا جدوى، الزمان واحد، ففي كل عصر إن لم تفكر فمالك من خواص. ففي عصر رسول الله ﷺ من لم يفكر نافق، أما من فكر فقد آمن.

159- ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾: الرسول ﷺ من شدة رحمته وحنانه كان قلبه يغلي حرصاً على هداية أمته ولا يريد لهم الهلاك. عندما سمع وشاهد ما حدث بهذه القصة صار يبكي كثيراً، وتألم، وخاف على أمته، والله طمأنه، قال له هذا الشيء لن يحدث مع أمتك، وسيأتي زمان الكل سيؤمن فيه بالله ويفتحون العالم.

160- ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾: كما كذبت الأقوام السابقة.

سورة الشعراء: [161-170]

161- ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ**﴾: بيَّن لهم نتائج أعمالهم عليهم.

162- ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ**﴾: من الله لكم لإنذاركم. ﴿**أَمِينٌ**﴾: عليكم.

163- ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: انظروا بنور الله لتروا الحقائق. ﴿**وَأَطِيعُونِ**﴾: ما أبلّغكم به هو من الله سبحانه، فالواجب عليكم إطاعتي.

164- ﴿**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**﴾: لا أريد من دنياكم شيئاً. ﴿**إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: هو سبحانه الغني المغني.

165- ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: تنكحون الذكران دون الإناث، طاقة استعلاء وقوة رهيبة، لو استجابوا لتحوَّلت لخيرات لا حصر لها، حُوِّلت للمجاري. كان الهدف تحويلها لقربات إلى الله بأعمال تُبنى عليها جنات عُلا دائمية.

166- ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: تخرجون عن طريق الحق والإنسانية، وتتعدون القوانين الطبيعية.

167- ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾: نخرجك.

168- ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾: مبغض له، أتركُكم بسبب عملكم المنحط.

169- ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: خلِّصني منهم.

170- ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾: فأنجيناه لمكاسب عظمى وأعمال كبرى بعد الثقة، بالقدس ومكة.

سورة الشعراء: [171-180]

171- ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾: الارتباط خطر، كانت زوجته تحب قومها فكفرت "اغبرَّت من ميلها إلى قومها". ذلك لحبها لقومها مع أنها لا تفعل ولا تحب ما يفعلون، هكذا زمننا معظمهن. فحذار، إذ يحشر المرء مع من أحب.

زوجة سيدنا نوح عليه السلام حبها لابنها جرّها للكفر، الارتباط له أثر كبير، علّق قلبك بأهل الحق.

172- ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾: كلهم.

173- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾: حجارة من السماء أهلكتهم. مطر من حجارة، المطر السابق لاعتبارهم الإنساني، فلما فقدوه جاءهم مطرهم المعبِّر عما فيهم بحسبهم وما يناسبهم بعد انقطاع الرجاء منهم.

174- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

175- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

176- ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: البساتين والمزارع. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: حبابو الدنيا الهائمون فيها الذين استحبوها على الآخرة، كذَّبوا حيث لم يصبروا على شهواتها، بنايات، جنائن، نساء... والآن مسجلة وتلفزيون... كلها سبل للمهالك وبالصبر عليها الجنة، الفرق بين المؤمن والكافر هو حب الدنيا، الكافر أحبها واستغرقت نفسه بها فنسي ما خُلق له وشغلته ونسي سعادته، هذا الكافر يذكر القدرة الرَّبانية بلسانه لكن قلبه لها ناكر، وعند الموت يجد أن الدنيا لا شيء ويجد ينبوع كل شيء هو الله سبحانه وأنه نسيه وما ربح منه شيئاً وأضحى فؤاده بفقدان الدنيا هواء، ونوره ذهب عنه فأصبح أعمى وإلى الأبد، عندها يدرك هول تفريطه وتحل بساحته الحسرات والأحزان المبكية والخوف والرعب في انتظار محاكمته لخيانته، لذا نهض سيدنا شعيب العظيم المستنير المنير لإنارة قومه وجبر عثراتهم وإيقاظهم من رقادهم ونقلهم إلى السعادة والكسب العظيم...

177- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: ما استجاب قومه لمنطقه العالي ما استجابوا وللعمى أرادوا، بذل عليه السلام المستحيل في نصحهم وشقي لإسعادهم لكن حب الدنيا رأس كل خطيئة وما حل في قلبٍ إلا أهمَّه ونغَّصه وأضناه وفي الرذيلة والقسوة أمضاه.

178- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: أدلُّكم لما فيه أمان وسعادة الدارين.

179- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: أطيعوني، فكروا ثم كذّبوا. أنتم انظروا بأصل الوجود والإمداد والنماء والحياة لكيلا تفقدوا نعيمكم، فإن صدقتم فوصلتم عندها تعرفون قيمة نصحي لكم وإلى أي كسب وخير أرشدكم.

180- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أنتم تعلمونني بصحبتكم لي وخبرتموني على مدى الأيام وإني لكم محب وناصح لا أبغي كغيري تحطيمكم لإقامة أمجادي على شقائكم، وغناي على فقركم وعوزكم، وسعادتي على ألمكم، علمتم تفانيّ وتضحياتي لأجلكم، وبذلي دون لقاء ولا مردود منكم، وأنا لم أتبدَّل فَلِمَ أنتم من أجل دنيا منقضية تتبدلون تجاهي وتنكرونني لأني أريد لكم السعادة والجنات، فأنا لا أغشكم لأنني أدعوكم للتفكير، فالذي يغشكم لا يريدكم أن تفكروا فتكشفوه، فإني للتفكير والمنطق والفحص والتمحيص أدعوكم لأنجيكم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: كمالي الذي تشهدون به هل حصلت عليه إلا من ربي وربكم الذي يمد الكائنات لسعادتكم فما مملكتكم إلّا على مملكته تعالى مبنيَّة، فكيف ترفلون بالبسط والهناء لولا شمسه وقمره، وهواؤه وماؤه، وما أنتم له بمسيِّرين ولا خالقين ولا خازنين، أتنسون من لا ينساكم! فما أقساكم! وكفاكم حرباً لربكم بطغيانكم على عباده.

سورة الشعراء: [181-190]

181- ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: عاملوا الناس بالإحسان. فويلٌ للمطففين: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾: فتخسرون؟

قاعدة:

عمل الإنسان دوماً لا بدَّ وأن يعود عليه دنيا وآخرة "أَشْقِ تُشق أَسعِدْ تُسعد" اسلك سبل الإنسانية يسعدك الله، وأحب للناس ما تحبه لنفسك، أنت لا تحب أن يهضمك الغير فلا تهضم حقوقهم. الأعمال الحسنة تجرّ النفس للإيمان بالله {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[21] والمسيء المصرّ على إساءته يستحيل بلوغه منازل الإيمان. حين تضحّي النفس بالغالي عليها، يسهل قيادها لبارئها ونعيمها.

182- ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: إلى ماذا يدل سيدنا شعيب قومه وإلى أي شيء يدعوهم؟ أليس إلى العدل والإحسان والرضاء والمحبة، إذ السخط والألم من الهضم، فَلِمَ قومه يظلمون أنفسهم؟! دعاهم للاستقامة لكن لا استقامة بالأعمال والأقوال إن لم تدعمها وترفدها منابع عطاء قلبي معوّض، لكن بجهاد هوى النفس وبالتضحيات[22] بهذا يسوق الإنسان نفسه إلى الله فتسري إليه سبحانه وتكسب من ربها، عندها يصبح الإنسان صراطه عريضاً واسعاً، وجهاده ضئيلاً[23] أو معدوماً ويرى العدل مغنماً والإنفاق ربحاً لا يعدُلهُ ربح. فالقسطاس: هو الميزان، والمستقيم: أن يقيم الإنسان كل شيء بالحق فيخدم ويربح بالمعقول بدون ربا من الناس.

---

[21] سورة الأعراف – الآية:56.

[22] التضحيات: بميول النفس ومتطلباتها الدنيوية في سبيل القرب من الله تعالى.

[23] جهاده ضئيلاً: إذ اكتسبت النفس كمالاً من الله تعالى فأصبح الحق هواها وصار هواها شيئاً فشيئاً تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ من الحق عن الله تعالى.

183- ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: تبخس له البضاعة لتأخذها، تحقِّرونها لتأخذوها بثمن بخس. بهذه الآية تتجلى دعوة الإنسانية بأسمى معانيها فالعباد كلهم "قيمتهم غالية" عند الله فلا تكسر خاطر أخيك الإنسان وتملأ قلبه بالحسرة حين تخفض له من قيمة متاعه المضطر والمجبر لبيعه بسبب عوزه وفقره، فيذهب كسير الخاطر حسير النفس، وبهذا تحطِّم تحت قدمي أطماعك وجشعك المادي أنبل القيم الإنسانية، بدل مساعدته وجبر عثرته ومدّ يد المعونة لهذا المسكين ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: تبنون القصور على حساب آلام الألوف الذين في القبور من الفقراء الذين استنزفتموهم بجشعكم، ففي الفساد هلاك النفس والبلاء، تبنون وتتبرَّجون بما فيه ما يحرق قلوب الناس فتسوقونهم لسبيل الغواية والسبل غير المشروعة ليجاروكم، فتنسوهم ما خلقوا من أجله وهو معرفة الله لا النيل من الدنيا، وبهذا انحراف وأي انحراف، فتكونون ممن ينطبق عليهم قول الله العظيم: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى}[24] لا تستخفوا بالمبدأ فتصل بكم الصغائر إلى عظائم الأمور وكبائر الشرور، فالانحراف بادئ ذي بدء سهل وهين إصلاحه، لكن عند استفحاله من المحال إصلاحه، فتقعون في مصارع مساوئه. كل ذلك يجر الفساد بين الناس، فإني أحذركم وأنصحكم لتتلافوا الخطر قبل حلول ساعة عقيمة لا ينفع معها الندم فبسيركم بأهوائكم تجرون الناس للهلاك وتبنون من أنفسكم جسراً للنار، عندها كيف الخلاص ولا خلاص؟! فحذار قبل سوء البذار وحلول البوار.

184- ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾: الحقوا بالعلماء لتحصل لكم التقوى. النفس كالمرآة فإن صفت بالعزلة والخلوة عن الناس في الجبال أو زيارة القبور "الترب" أو بعد النوم. فاتجهت بتفكيرها لمن خلق "سبحانه وتعالى"، أو اتجهت للعظماء من الرسل والعلماء، سرت إليهم وتشرَّبت منهم صفاتهم الكاملة عندها تأنف من صفات الانحطاط وتبتعد عن كل ما يغضُّ من شأنها عند الله وبين الناس فتعفُّ عن كل ما يذلُّها، وتطلب ما فيه عزُّها وعظيم خيرها فتغدو عظيمة جليلة كريمة محسنة وقد تدثَّرت بالكمال، فكم ابتغى سيدنا شعيب العظيم عزَّ قومه ورفعتهم، وهم بماذا قابلوه؟

185- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: تتخيل تخيلات. قابلوه بعماهم المادي وباللؤم والظن غير المستند على حقيقة، ناسين بغمرتهم المنحطة كمالاته الرفيعة ولم يروا بمنظارهم المنحرف منطقه العالي الرفيع وبيانه السامي وكلامه الذي هو من الله، فما أضلَّ أعمالهم؟

186- ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: أنكروا الوحي وأصمُّوا أسماعهم عن نداء ربهم واعتبروه من الشيوخ الدجالين، فكان هبوطهم من سمائهم محتَّماً، وفقدانهم لمنزلتهم التكليفية مبرماً، وقالوا كلمة الكفر، ويا لهول ما قالوا، ظناً لا تحقيقاً، فقطعوا نفوسهم عنه بقولهم. ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: هذا ظنّنا. فكانوا كمن: {خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}[25].

187- ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: نزّل البلاء علينا، هذا هو الكفر. أنكروا ما سيحيق بهم وطلبوا منه قيام الساعة "ساعتهم" وهم يظنون الخلود فيما ليس لأحد من قبلهم، كذَّبوا بالزوال وما سيتلوه من وبال {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}[26]

188- ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: هو الذي ينزّل.

---

[24] سورة العلق – الآية:9–10.
[25] سورة الحج – الآية:31.
[26] سورة يوسف – الآية:103.

189- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾: سحابة غمَّت عليهم فأهلكتهم. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: جاءتهم غمامة أهلكتهم.

190- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

سورة الشعراء: [191-200]

191- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

192- ﴿وَإِنَّهُ﴾: هذا القرآن المبين المنذر. ﴿لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: على رسول الله ﷺ.

193- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾: سيدنا جبريل عليه السلام.

194- ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾: تبين لهم نتائج ما هم عليه من ضلال.

195- ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: مفصل ظاهر البيان، واسع البيان، ليس في القرآن إلا العربي لا فارسي ولا حبشي.

196- ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾: في الكتب المنزّلة من قبل.

197- ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أوليس من اللازم على علماء بني إسرائيل أن يصدِّقوا به؟ ألم يكفهم أن التوراة تؤيده من قبل؟

198- ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾: ولَكِنّا أنزلناه على رجل فطن يبين حكمة الله ومراده من الآيات.

199- ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾: ذلك لأنه لا يستطيع أن يبيّن ويفصح. لأنه لا يعرف معانيه. القرآن يفهمه قلب مؤمن.

200- ﴿كَذَٰلِكَ﴾: المجرم لا يفهم القرآن، تأويله خاطئ. ﴿سَلَكْنَاهُ﴾: معجماً غير مفهوم لإعراضهم عن الله سبحانه. ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: بما في نفوسهم من خبث ليخرج ما في نفوسهم. كيف يؤمن المرء ويدرك ويعرف ما لم يشاهد، بل كيف يطمئن ويثق بالغيبيات قبل أن يراها والإنسان عدو ما يجهل؟! أم كيف يؤمنون بكلام من لا يرون قدرته ورحمته "سبحانه وتعالى" وعظمته بقلوبهم وأبصارهم؟! وكيف يسيرون بقول من لم يلتفتوا إليه ويتخلوا عن ملموسهم ومحسوسهم الدنيوي في سبيل الوصول إليه تعالى، نفس المجرم فارغة يملأها بدنيء الدنيا وحين يتجه لرسول الله "الصافي النفس" لا يراه، بل إنه "هذا المجرم" يرى بمنظاره وبما في قلبه من لؤم، فيمقت رسولَ الله لتنافر الطباع إذ يرى برسول الله ﷺ الكامل المبرَّأ من كل عيب، يرى فيه القسوة والغدر والظلم، ويرى في آيات القرآن انحطاطه وفي الأنبياء النقص والرذيلة: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: لأنه هو هكذا اختار ومُصرٌّ على اختياره فلن يؤمن به، ولأنه يرى به "برسول الله، بالقرآن الكريم" ما هو مطبوع بنفسه المنحطة، إذاً فهذه الدلالة من استقامة وتفكير وشهود هي الطريق الوحيد الموصل للنجاة والنور وفيما سواها الهلاك العاجل والآجل.

سورة الشعراء: [201-210]

201- ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: فلعلهم يرجعون، إن أصابهم الرعب أو الخوف أو شديد المرض يلتجئون إلى الله حين ييأسون من الناس ويقررون على التغيير ويتعرفون على ربهم

بحال الشدة، فيهيئ لهم ربهم الرحيم بهم أسباب وسبل الوصول إليه، ويغدق عليهم من فيوضات رحمته وحنانه ويغني قلوبهم، عندها يقدرون عظيم دلالته حين يلمسون فوائدها ويجنون خيرات جناها فيكون لهم بذلك النجاة والفوز والفلاح. فكل ما يصيبك خير عظيم بحقك إن صبرت وفكرت، عرفت أن ما أصابك من شر هو من عند نفسك وما جنت يداك. أما إن أتت المصيبة ولم يفكر الإنسان وثار ونسب للغير ونسب الظلم للإلّه فهو مصرّ على كبره ولن تفيده مصائب وعلاجات الدنيا، فلينتظر العذاب الأكبر حيث لا وسيلة ولا شفاعة ولا حميماً يطاع، وكفى بجهنم حسيباً.

202- ﴿**فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾: يأتي الموت فجأة ولا مردّ له. لا يدرون متى هو.

203- ﴿**فَيَقُولُوا**﴾: ساعتها؟ ﴿**هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ**﴾: أنظرنا يا رب ساعة لعلنا نرجع.

204- ﴿**أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ**﴾: هكذا يفعل! أهكذا يطلبون ويريدون؟! يطلبون البلاء ونزوله كما طلب غيرهم {**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**}[27]. فيموتون أشنع الميتات وهم مفلسون ولدنياهم تاركون، وما هيأوا أنفسهم للمستقبل، للآخرة، عندها يندمون، لكن ما فائدة الندم إذ ذاك؟! ﴿**أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ**﴾: الله سبحانه يقول نحن ما خلقناهم للعذاب، خلقناهم للسعادة، نحن كشفنا لهم عن الحفر كيلا يقعوا بها، لا لكي يطلبوا الوقوع فيها، هذا الاختيار الذي مُنحوه فمن أجل أن يرقوا به لا ليهلكوا.

205- ﴿**أَفَرَأَيْتَ**﴾: أرهم ليتعظوا إن التفتوا: ﴿**إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ**﴾: إن عاشوا عمراً طويلاً. مهما عاشوا.

206- ﴿**ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾: من البلاء. أتاهم الموت.

207- ﴿**مَا أَغْنَى عَنْهُمْ**﴾: إذ لم تطبع حقيقتها في قلوبهم، مرت وما تحققوا، مضت فما أغنت، عرض زائل، والله سبحانه لا يريد لك الخسران. ﴿**مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾: إذا انبسط طول عمره ثم جاءته ساعة عذاب، عندها ينسى كل البسط الذي لاقاه في الحياة. الآخرة كلها نعيم: من حسن لأحسن.

208- ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ**﴾: إنذارات.

209- ﴿**ذِكْرَى**﴾: ذكَّروهم... ﴿**وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾

210- ﴿**وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ**﴾: شياطين الجن والإنس، كما قالوا وظنوا أن الشياطين تنبئ محمداً ﷺ.

سورة الشعراء: [211-220]

211- ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ**﴾: ليس طلبهم ذلك: ﴿**وَمَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾: لا يستطيعون أن يتكلموا به ولا أن يتقربوا منه. ما كان لهم أن يحملوا هذه الآيات الطاهرة، لم يُقْبلوا على الله سبحانه ولم يسطع النور الإلّهي عن طريق رسول الله ﷺ بقلوبهم ليروا ما فيه، عَصَوا آدم وخلفاءه الكرام.

---

[27] سورة الشعراء – الآية:187.

212- ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾: تصيبهم الشهب من السماء، تصعقهم فلا يقدرون على السماع. {لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ}[28] متى سمع كلام الله يهرب. الشيطان يقدم عند الغفلة "غفلة الإنسان عن ربه": الرسل محفوظون لدوام إقبالهم على الله سبحانه.

213- ﴿فَلَا تَدْعُ﴾: أيها الإنسان. ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾: أيها الإنسان.

214- ﴿وَأَنذِرْ﴾: يا محمد. ﴿عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: لأنهم صاحبوك وأعلم الناس بك، أهلك وجيرانك فهم يعلمون كمالك، الأقربون استجابة، والأقرب إليك منهم مودة ومحبة، وهكذا على الإنسان أن يبدأ بمن حوله من أقاربه. لتتعاونوا على جذب الآخرين إلى الخير المقيم، أرهم أن العشيرة غير باقية وغير دائمة فليست هذه الدنيا لأحد بدار قرار، وإنما الخير والنعيم والبقاء والحب الحقيقي بالدائم وهو الله سبحانه فإن تمَّ الإيمان ربحنا الاثنتين وإلا فستنقلب مودتنا عداوة، ونعيمها جحيماً، وبسْطنا نيراناً، فحذار.

215- ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: لكونه ﷺ في سماء لا ارتقاء لها وبعلو مذهل مدهش عظيم خاطبه الله تعالى وطلب منه أن يخاطب المؤمنين حسب عقولهم وأن يغمرهم بتجلٍّ إلَهي يستطيعون تحمله. ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: عاملهم بالرحمة واللين. غير المؤمن لا يستفيد من الهداية والنعمة العظمى، وبذا يضيع وجوده سدى وبما لا ينفعه غداً.

216- ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾: عشيرتك وضعفاء المؤمنين. ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أنا مبلغ عن حضرة الله لما يسعدكم، غير كلامي يشقيكم ويتعسكم، أنا لست وإياكم على الخير والشر، بل فقط على الخير أما على الشر فلا، أنا مع الحق ولو كان بجانب اليهودي، وبعدم سكوته ﷺ عن أخطائهم وهم يحبونه سوف يبتعدون عن سبل الهلاك والشر شيئاً فشيئاً ويستقيمون، ثم يلمسون عظيم فائدة مخالفة هواهم فيتبعونه، وبذا يعودون لجادة الصواب والخير الكثير لهم وللعالمين.

217- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾: لم يقل سبحانه وتعالى لرسوله توكل عليّ وإنما قال توكل على العزيز، إذ توصل ﷺ بكسبه وتفكيره العظيم إلى مصدر الخيرات كلها وهو الله سبحانه والله سبحانه يخاطب رسوله من ناحية شهوده ﷺ وكشفه وبذا يكرمه. ﴿الرَّحِيمِ﴾: الرحيم بك وبأهل طاعته من المؤمنين فهؤلاء المؤمنون ليس لهم إلا السعادة والخيرات، وبساعة الواقعة الكبرى هم الناجون الفائزون.

218- ﴿الَّذِي يَرَاكَ﴾: أنت مشاهد ذلك، تشهد برؤيتك أنه معتنٍ بك وأنك بأعين المحب الكريم الرحيم، فالله سبحانه دوماً متجلٍّ عليه ﷺ، وعنده عليه السلام تجده يقيناً.

﴿حِينَ تَقُومُ﴾: ب دعوتك إياهم للحق، حين تقوم للأهداف السامية والنوايا الخيرة العميمة العظيمة ناهضاً بمن معك من المؤمنين ومن سبقك من الرسل الكرام والسابقين من المؤمنين.

219- ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾: بارتباطهم بك ترقى بهم. عندما ترفع المرتبطين معك إلى المراتب العالية، هذه هي الشفاعة والرابطة وبها وبهذه المحبة تحصل التقوى. ﴿السَّاجِدِينَ﴾: الطالبين للفضل من الله. فلا سجود لساجد إلا بمعيّة الرسول وذلك حين يشهد ﷺ للمؤمن عن بدايته في الصلاة، إذاً لا صلاة بلا شفاعة وهو عليه الصلاة والسلام مرآة الحق المنير، وبدونه لا صلاة، بل مجرد حركات وأقوال بالظلام والنفس في سرح بأهدافها المظلمة بلا نور من الله.

---

[28] سورة الصافات – الآية:8.

220- ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**﴾: من هنا الاستجابة، الله سبحانه يسمع منك حين تأتيه بمعيَّة الرسول المبلِّغ عنه تعالى ما فيه الرحمة والنجاة والفلاح لك. ﴿**الْعَلِيمُ**﴾: عليم بصدقك وبسلوكك الحق تجاهه لذا يتجلى عليك بحبه ونوره وإشراقاته الحكيمة التي تملأ قلبك، وينعكس شعاع النفس على الفكر فتصبح عالماً بالمراد الإلَهي الخيِّر، تعلم أين أنت ومن أين ولِمَ أرسلت لهذا الوجود، وبهذا تكسب المكانة الرفيعة وتسمو عن عوالم الحيوان والشيطان الخاسر فتصل لمكانتك الإنسانيّة العليّة.

سورة الشعراء: [221-227]

221- ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ**﴾

222- ﴿**تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾: كاذب فاسق.

223- ﴿**يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**﴾: لابدّ من الإيمان الذاتي.

224- ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**﴾: اليوم أصحاب الصحف مثلاً.

225- ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ**﴾: كأصحاب الجرائد والصحف.

226- ﴿**وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾

227- ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا**﴾: منهم حسان بن ثابت. ﴿**وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**﴾: انتصروا للنبي ودافعوا عنه وعن المؤمنين ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النمل: [01-10]

يخاطب الله رسوله ﷺ بالمدح والثناء عليه لكي ترتبط نفوسنا بنفس المصطفى بروابط التعظيم والمحبة فيقول له:

1- ﴿**طسٓ**﴾: {**ط**}: يا طاهراً من الذنوب، {**سٓ**}: يا سليماً من العيوب، فقد بقي ﷺ إنسان الأزل في نشر من لم يزل، أي بقي على حاله الأوَّل مغموراً بالتجلّي الأعظم وهو لا يزال على هذا الحال، فما وضع ﷺ بقلبه غير الله وما شاكل غيره، لم يغيّر أبداً وعلى هذا صار بهذه الدنيا سليماً من كل نقيصةٍ، فإذا اتّجه إليه الناس واتّجه إليهم ليستغفر لهم فبلمح البصر يمحو عنهم الصفات الدنيئة ويبدلها بصفات كاملة عالية، كما بدّل سيدنا موسى للسحرة عندما عظّموه وقدَّروه؛ بدّلَ صفاتهم إلى صفات إنسانية كاملة.

﴿**تِلْكَ آَيَاتُ الْقُرْآَنِ**﴾: جعلناك تنطق بها، فهذه الآيات المعجزة، وهي صفتا الرسول ﷺ موجودة في القرآن، والله عزَّ وجلَّ يحدِّثنا عنهما، وهي بحق آيات كبرى، وهذه التي فاض بها على البشرية، لذلك كان فضل رسول الله ﷺ ليس له حدٌّ فيعرب عنه ناطق بفم. فعندما تعقلها بما يبيّنه الله لك بالقرآن تقدِّره ﷺ فترتبط به، أي يتعلَّق قلبك بنفسه الشريفة وهو الكتاب المبين، فهو الذي يبيِّنها لك ويكشف لك عنها لتنتقل منه إلى تعظيم صاحب الأسماء الحسنى، الله جلّ وعلا.

﴿**وَكِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾: بيّن الحكم ظاهر الأثر، هو ﷺ الكتاب المبين: يبيّن لك عنها، أي عن صفاته، أي عن {**طسٓ**} وعن أسماء الله الحسنى، وهو يريك كمالات الله ويدخلك في مداخل ما كنت تدخلها، لأنك تأخذ من إنائه وتشرب من مشاربه ماءً طاهراً نقياً ذراته، وترى من سراجه ويَنصَبُّ في نفسك ما صُبَّ في نفسه على قدر صدقك وإيمانك واجتهادك.

2- ﴿**هُدًى**﴾: فكلَّه بيان وآيات عن لا إلٓه إلا الله، يهتدي بصحبة رسول الله ﷺ إلى الله وذلك إذا آمن بلا إلٓه إلا الله. ﴿**وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: إن آمن يهتدي ويستبشر، بشرى بالخيرات بالدنيا والآخرة.

أيها الإنسان إن لم تحدث معك الآيات السابقة ولم تفهم القرآن ولم تصل للتقوى فاتبع طريق الإيمان الذاتي بالتفكير بالآيات وعندها حتماً ستفهم وتبصر كل شيء.

3- ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾: يحسنون صلتهم بالله. بإيمانهم يُحفظون من الخروج عن الحدود، إذ يرون الله معهم دوماً، بهذا تتولَّد ثقة بنفوسهم أن الله راضٍ عنهم عندها يصلُّون. إقامة الصلاة مع الرسول. هذا هو الإقبال، بعدها يقيمون الصلاة لغيرهم، إذن بإقامة الصلاة تتبدَّل صفات النفس من السوء إلى الكمال وهذا معنى الزكاة. ﴿**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾: فتزكو أنفسهم. فالزكاة: كل عمل يساعد على تزكية النفس. ﴿**وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾: بما فيها من أجر وعقاب، هؤلاء هم الذين يوقنون بالآخرة.

4- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ**﴾: لا يؤمنون أن الحساب آتٍ. ﴿**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**﴾: لإخراج ما في نفوسهم من شهوات. بإعراضهم كسبوا السوء. ﴿**فَهُمْ يَعْمَهُونَ**﴾: لا يرون ما في أعمالهم من شر، لا يرون ما سيعود عليهم من اقترافهم هذا العمل، فالعمه: عدم رؤية النتائج، والعمى: عدم رؤية الأشياء.

5- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾: هنالك لا يصيبهم إلا ما يزعجهم وينسيهم ما يسخطهم ويؤلمهم وهم الذين جنوا على أنفسهم، فهم لأنفسهم ماقتون، فلا يرضيهم إلا نار السعير. ﴿وَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ﴾: بذاتهم. ﴿الْأَخْسَرُونَ﴾: لا خاسر أشدّ خسراناً منهم، لأنهم خسروا الحياة الأبدية.

6- ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآَنَ﴾: هذا البيان. ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: بكل الكون. فإن أردت الله وشئت الحكمة والعلم فالزم غرزه ﷺ تتلقى أوامر ربك ونواهيه بالنور والبهجة والسعادة والسرور، فمن لا يصلي مع الإمام ﷺ فهو في خسارة في كل لحظة من وجوده الغالي المكسِّب للخير الأسمى المثمر والنعيم.

7- يريد الله أن يضرب مثلاً عن طريقٍ من طرق الإيمان، وهو طريق الرسل الذين اتبعوه، وهو التفكير بخلق الله وبالله من أنفسهم فاهتدوا إليه، ومَثَّلهم إبراهيم عليه السلام:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا﴾: كان يرعى مع أهله في سهلٍ ما، ولعل الوقت كان بارداً. ﴿سَآَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾: ما شأنها. ﴿أَوْ آَتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: حفنة من النار. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تتدفأ عليها.

8- ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾: أراد الله ليمثل لموسى عليه السلام حال قلبه وهو مشتعل بحب الله، وهذه النار هي نار الحب والهيام والأشواق بلقاء الحبيب الأعلى جلَّ وعلا، هذه النار هي نار حبّه لله مثَّلها له الله صورة أمامه. ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾: من هو مصطلٍ بنار الحب الإلّهي "محمد رسول الله ﷺ"، وجد سيدنا موسى من سبقه لهذا الحب والهيام وذلك بعالم الحقائق لا بعالم الصور، فالرسول له حال وقال، بالحال رأى سيدُنا موسى رسول الله السابق الأسبق والمجلِّي في هذا الميدان ميدان حبّ الله، رأى سيدَ الخلق مصطلٍ بنار العشق والحب الإلّهي. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: المرتبط به، كل من أحبك يصل إلى الله، يصبح المحب باباً إلى الله يعرج فيه من لاذ بجنابه، فالمرتبطون به ﷺ هم الرسل والأنبياء، وذلك بميثاق النبيين بأن يتَّبعوا ويلوذوا بالنّبي الأمِّي ويؤمّوا إليه بنفوسهم. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ما أعظم جلال الله.

9- ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾: المتكلم رسول الله ﷺ، يوجِّه سيدنا موسى إلى الله سبحانه وتعالى، فالرسول قاسم، والمعطي هو الله تعالى لذلك وجَّهه ﷺ لله، فصار مع الله تعالى عن طريقه ﷺ لأن ما سيناله سيدنا موسى من عطاءٍ لا يستطيع تحمله دون وسيط. أنّى لمخلوق بحاله الجسمي أن يتحمَّل هذا الثقل الجمالي العجيب، لذا كان الرسول الرحيم هو الملطِّف والمعدِّل والقاسم لعطاء النفس بحسب تحملها وبأسمى تلقّيها دون الخروج عن ثوبها الجسمي والانجذاب لمحبوبها فتترك وظيفتها الدنيوية، إذ لو اشتهت البقاء عنده تعالى بذاك الحال الجمالي فأصرَّت ولها الاختيار لاستجاب لها ربها الرحيم، لكنها تخسر أعمالها التي فيها درجات رقيّها، لذا كان ﷺ هو الوسيط الأكمل يكسِّبك برحمته الكثير دون أي خروج عن الوظيفة التي خُلقت لأجلها.

﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: لم يبقَ إلا الله مصدر حياة الكل وقيام الكل وذاب كل شيء في إناء الله الكريم فتمَّ الكسب العظيم والحب العميم.

﴿الْعَزِيزُ﴾: مصدر الوجود والنعيم والحب والبهاء والخير العميم.

﴿الْحَكِيمُ﴾: تبصرة للإمداد على الخلائق كلها من أزلها لأبدها، وتقسيم الإكرامات باستحقاقاتها لطالبيها، عندها تمّ بقاؤه عليه السلام بالله بمشاهدته وبمشاهدة توزّع خيراته على خلقه، فأمكن استمرار الكلام ووعي النفس لوظيفتها وزيادة وسائل رقيّها.

10- ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: الآية التي أعطاه إياها. ﴿فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾: من حركتها الشديدة، فخاف عليه السلام لأن نفسه الطاهرة النقية أبت أن يصدر منها إلا كل كمال وفضيلة ولأنه يعلم أن

تلك الأعمال هي من الشياطين. ﴿**وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ**﴾**:** هرب ولم يلتفت. ﴿**يَا مُوسَى لَا تَخَفْ**﴾**:** فنفسك الطاهرة لا يصدر منها مثل تلك الأفعال[1] وإن هذا ليس بسحر وإنما هي معجزة أيَّدتك بها لفرعون وملئه و: ﴿**إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾**:** فأنا اصطفيتك للناس بكلامي ورسالاتي، واصطنعتك لنفسي، فأنت بوادي الطهارة والكمال، لذلك أوحيت إليك لأنك بتلك الصفة العالية ونفسك تطوي معارج الكمال طيّاً، فأنا اخترتك رسولاً إلى فرعون وملئه، وأيَّدتك بتلك المعجزة لتكون لهم آية، وإني لا يخاف لدي المرسلون لأنهم لا يسبقونني بالقول، وكيف يخطئون الطريق ويخافون وهم بأمري يعملون.

﴿**يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾**:** مما يدل على عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام. المرسلون أطهار فلن يؤذيهم شيء، بعد أن يُكلَّف الرسول بالرسالة لا شيء يؤذيه أبداً.

سورة النمل: [11-20]

11- ﴿**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ**﴾**:** من غيرهم من الناس، وقع في المخالفة. ﴿**ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ**﴾**:** فعل المعروف وأقبل على الله. ﴿**فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾**:** محى الله من نفسه ما علق بها.

12- الآية الثانية: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ**﴾**:** اليد: رمز الأعمال العالية العظيمة. ﴿**فِي جَيْبِكَ**﴾**:** مركز النفس. ﴿**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ**﴾**:** فيظهر نور أقوى من نور الشمس، نور باهر مع بسط ونعيم. ﴿**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**﴾**:** لا يُؤذي النفس ولا العين. ﴿**فِي تِسْعِ آَيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾**:** خارجين عن طريق الحق.

13- ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آَيَاتُنَا مُبْصِرَةً**﴾**:** هذا كله طريق من طرق الإيمان بالله تعالى. ﴿**قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾**:** بُهتوا فاحتالوا بالقول.

وهكذا كل امرئ إذا لم يسلك السبيل التي سنّها الله تعالى لهذا الإنسان، فلن يفيده أن يرى المعجزات وخوارق العادات ولن يجعله ذلك من عداد المؤمنين.

14- ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا**﴾**:** أنكروها استكباراً. ﴿**وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**﴾**:** أنفسهم علمت أن ذلك الحق ولكن لم تعقل ما فيها. ﴿**ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾**:** نكرانهم نتيجة ظلمهم واستكبارهم. ﴿**فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾**:** ألا تعلم ماذا كانت نهايتهم؟!

ثم هناك طريق آخر يضرب الله مثله لنا وهو تذكير المرء بالله ودلالته، المثل بلقيس:

15- ﴿**وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا**﴾**:** العلم بأسماء الله الحسنى. ﴿**وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾**:** ﴿**وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾**:** المؤمن شكور. عندما آمنت جماعتهم واتقوا، أعطاهم الله فضلاً كبيراً "لجماعتهم"، أي جعلهم طرقاً له سبحانه وتعالى ووسيلة بينه وبين عباده، فالإنسان دون رسول لا يصل لشيء، وإذا أعطى الغني فقيراً يرى هذا الغني نفسه أنه هو الفقير وذلك بسبب ما يعطيه الله تعالى على عطائه لهذا الفقير.

---

[1] عندما رأى سيدنا موسى العصا تهتز كأنها جان، ظهر للوهلة الأولى أن في الأمر سحر، لذلك هرب ولم يلتفت من عظيم طهارة نفسه الشريفة التي تكره السحرة وأفعالهم القذرة، لذلك خاطبه الله تعالى: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾: فأنت طاهر النفس وليس للسحر والسحرة تأثير على ذاتك الطاهرة أو أذى وإن هذا الأمر ليس بسحر مطلقاً وإنما هو معجزة أيَّدتك بها

16- ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**﴾**:** ورث من أبيه النبوة والعلم والملك. ﴿**وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا**﴾**:** علَّمَنا الله. ﴿**مَنْطِقَ الطَّيْرِ**﴾**:** إذن هو يعرف لغة الطير، وكل الرسل تتكلم معهم، لكن بزمن سيدنا سليمان عليه السلام كانت معجزة ظاهرة أمام الناس. لو آمن الناس كما آمنوا لفتح الله عليهم كنوز أسراره، فالخلائق مطلقة ومسخَّرة لوظيفتك، لإيمانك أيها الإنسان. ﴿**وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾.

17- ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ**﴾**:** لعلَّه عليه السلام ذاهب في أمر من أمور الملك. ﴿**فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾**:** يُفرَّقون ويُنظَّمون، يُوزَّعون صنوفاً وصفوفاً في إعدادٍ قتالي**:** قبائل، عشائر، طير، جن... إلخ

18- ﴿**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**﴾**:** تلافت النملة أمرها وفكَّرت. ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾**:** دون علم منهم.

يريد الله ليُبيِّن أن النملة تفكِّر، وتفكِّر لما فيه خيرها وما يحفظها، أليس جديراً بالإنسان أن يفكِّر بما يحفظه في الآخرة؟!

19- ﴿**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا**﴾**:** تبسَّم عليه السلام لأنَّ قولها بشارة له، فالمخلوقات صارت تشهد بكمال أصحابه حيث صار بقلوبهم رحمة على الخلق، وهذا الكمال وهذه الرحمة ظهرت للكائنات، لذلك كانت هذه بشارة له أن الفتوحات سوف تستمر وسيهتدي على يديه أناس كثيرون وسيدخلون في دين الله أفواجاً. ﴿**مِنْ قَوْلِهَا**﴾**:** الأنبياء عليهم السلام لم ينقطعوا عن الله، حالهم كحال عالم الأزل ولا شيء مخفيّاً عنهم، يرون الماضي والحاضر والمستقبل ماثلاً لهم، والله سبحانه وتعالى لم يخفِ عنهم شيئاً، لأنهم ما غيّروا، وبذلك الزمان كانوا يقولون**:** لا إلَه إلا الله سليمان رسول الله، فما من نفس تطلب اللَّهَ تعالى إلا ويلبّونها مباشرةً نائمين كانوا أو مستيقظين. النَّملة عندما تكلَّمت ذكرت اسم سيدنا سليمان وهذا شيء يخصُّه عليه السلام لذلك سمعها والتفت لها وشاهدها وغمرها بنوره، أما ما دون الرسل والأنبياء انقطعوا عن الله بسبب الشهوة، وأصبحوا محجوبين بالشهوات، والشهوات متمثلة على الأرض، فأصبحت الأرض وشهواتها حجاباً بينهم وبين الله. ﴿**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي**﴾**:** مُدَّني بفضلك. ﴿**أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**﴾**:** النعمة**:** لئن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس، وهذه هي النعمة بالنسبة للرسل والأنبياء لما في قلوبهم من رحمة على الخلق، فجماعته كانوا مستقيمين بارتباطهم به عليه السلام ولولاه لَما استقاموا. الحال القلبيّ من الله تعالى وهو عليه السلام مهبط التجليات الإلَهية، وبواسطته عليه السلام صار أصحابه يعملون أعمالاً عظيمة. ﴿**وَعَلَى وَالِدَيَّ**﴾**:** والديَّ**:** سيدنا داوود عليه السلام، "وكان الناس فئتين، فئة مرتبطة بسيدنا داوود، وفئة ثانية مرتبطة بسيدنا سليمان". وأمه امرأة سيدنا داوود حيث لها علاقة بهداية النساء، مؤمنة تقيّة مرشدة للنساء في زمنها ولها مقام عالٍ. ﴿**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**﴾**:** هذا هو الشكر، أُقبل عليك يا رب وأعمل من الصالحات. ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾**:** الذين صلحوا للعطاء الإلَهي، الذين آمنوا بلا إلَه إلا الله، أي أدخلني بنفوسهم حتى تحدث الرابطة.

20- ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**﴾**:**

في غمرة هذا الاستعداد الكامل للقتال أوقف عليه السلام المسير وأخذ يسأل عن الهدهد، فلمَ؟

الهدهد**:** الهدى جاء عن طريق ما هدّى.

العظيم لا يطرق إلا أشياء عظيمة، ولو طرق شيئاً صغيراً يكون وراء ذلك قصد عظيم، سيدنا سليمان عليه السلام كان وراء كلامه هذا قصد عظيم، فقد جمع الجيوش وهمَّ بالخروج لضرب سبأ

وهم قوة ضاربة، ولم ينبِّئ أحداً من جيشه عن قصده. فجاء الهدهد وحقَّق المهمة بهدايتهم إلى الهدى، والله سبحانه أطلع سيدنا سليمان عليه السلام على الأمر، وبهذا الأسلوب حلّ وأنهى سيدنا سليمان عليه السلام القضية بالسلم دون حرب أو قتال، ولم يُقتَل أحدٌ وجاءوه مسلمين. وهكذا يريد الله تعالى أن تأتي الناس للهدى دون قتال، لأن الله لا يحب القتال لعباده، والله يريد أن يعلمنا درساً من وراء هذه الآية، ألا ننظر لكلام الرسول نظرة نقص، لأن هذه النظرة تُهلك صاحبها إذ تجعله يُعرض عنه ﷺ فيقع بالرذيلة.

سورة النمل: [21-30]

21- ﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ**﴾: إن كان له مخالفات. ﴿**أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾: يُبرِّئ من ساحته، بعذر واضح.

22- ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾: حتى جاء الهدهد.

كذلك يضرب الله تعالى مثلاً كيف أن الطير بما جُبلت نفسه على الطهارة والخير يعلم المفسد من المصلح والمؤمن من الكافر. ﴿**فَقَالَ**﴾: لسيدنا سليمان عليه السلام. ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾: ولكن كيف تكلم الهدهد مع سيدنا سليمان العظيم عليه السلام هكذا؟ الإنسان فقط هو الذي يقدِّر الرسول، أمّا الحيوان فلا يقدِّر الرسول لأنه غير مكلَّف، فالذي لا يقدِّر رسول الله ﷺ ليس له رقيّ ولا يصبح إنساناً ولا تحصل له ليلة القدر، والله يقول لنا بهذه الآية: إياكم أن تكونوا مثل الهدهد "حيوان"، فكل إنسان لا يقدِّر الرسول هو حيوان ولا يدخل الجنة، الذي لا يفكر لا يقدِّر الرسول، قدّر رسول الله حتى تخلص من الشهوات وتصبح صحابياً جليلاً.

23- ﴿**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾: لها ملك وسلطان واسع.

24- ﴿**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ**﴾: لأنها تنير وتفيد. ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**﴾: زيّن لهم حب الدنيا. ﴿**فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾: صدّهم عن الإيمان بالله وعن السعادة. ﴿**فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾.

25- ﴿**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: أليس جديراً أن يسجدوا لمن خلقهم. ﴿**وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾: يعلم ما تخفي في نفسك وما تعلنه من عمل.

26- ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: لا مسيّر إلا هو سبحانه. ﴿**رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾: رب التجلي العظيم.

27- ﴿**قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[2]: سيدنا سليمان عليه السلام يعطي البشر دروساً وعبراً عن طريق الطير. الطير مادة البحث ووراءه بحوث عظيمة عالية. الكاذب لا يقدّر الرسول. إذا أطاع الإنسانُ الرسولَ دخل الجنة، والدنيا مجموعة طاعات إن طبَّقها لا يقع بالمخالفة ولا بالشقاء.

28- ﴿**اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾: هكذا قال سيدنا سليمان عليه السلام للهدهد. ارمِ الكتاب واذهب لأي شجرة وانظر ماذا يقولون.

---

[2] الفرق بين الكاذب والكذّاب: الكاذب يصلي ويصوم ولكن لم يجعل لنفسه صلة مع ربه، كَذَبَ على نفسه، ما نظر "فكَّر" حتى يلمس الوجود الإلهي، لكنَّه مقرٌّ بالقرآن على غير بصيرة. أما الكذّاب فإنه ينكر الكتب المقدسة... ويشرب الخمر ... ويقع بالزنا. إذا الإنسان خاف من الموت صدق واجتمعت نفسه مع فكره، عندها يفكر ويشاهد الوجود الإلهي فتتشرب نفسه الكمالات، متى استوفى الكمال الكافي يقدّر الرسول ويشهد كماله العظيم فيتصاغر أمامه ﷺ وينهل من الله بمعيّته.

29- ولـمّا ألقي الكتاب إلى تلك الملكة وتبيَّنت ما فيه جمعت ملأها وعرَّفتهم بالأمر:

﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾: نظرت في الكتاب فأكبرته لسعة تفكيرها، فكَّرت وعرفت فيه المنطق. ﴿**كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾: بشارة حسنة. نفس أصيلة في غير موضعها، لو لم تكن كريمة لما تقبَّلته بهذا القبول الحسن، ولما وقع في نفسها هذا الموقع النبيل ولمزَّقته كما فعل كِسرى.

30- ﴿**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾: ليس من إرادة سليمان بل عن الله.

سورة النمل: [31-40]

31- ﴿**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾: يدعو فيه إلى الله. هكذا تُخاطب المرأة لأن من طبيعتها الخُلقية الخضوع، هذا قانونها الطبيعي تؤتى من الأعلى فتستجيب.

32- ﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**﴾.

33- ﴿**قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾: على الأمم، اختصاصنا الحرب ولا علاقة لنا بالسياسة. ﴿**وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾: لك الأمر وعلينا الطاعة والتنفيذ، الكلُّ مسلِّمٌ الأمر لها ومرتبطون بها.

34- ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا**﴾: أدركت قوة سليمان عليه السلام. ﴿**وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾: وهؤلاء كذلك سيفعلون، وهكذا سيفعل سليمان إذا دخل بلادنا. ﴿**وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾: حقيقة، أيّد الله هذا الكلام.

35- ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ**﴾: امتحاناً لغاية سليمان، لنرى هل يُشترى بالمال. ﴿**فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾: هذه ليست هدية، هذه رشوة. والسيدة بلقيس لها قبل إسلامها نيَّة الخديعة، قالت: إذا أُغري بالمال انتهى كل شيء. الذي يُشترى بالمال لابد أن ينكسر.

36- ﴿**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ**﴾: رسلها. ﴿**قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ**﴾: من علم ومن جميل عطاءاته وكبير إغداقاته. ﴿**خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾: لم يقبل الهدية، لأن هدفها عدائي ومن ورائها الخديعة. "رسولنا سيدنا محمد ﷺ قَبِلَ الهدية عندما تكون للتهادي والتحابب". بالازدراء والتعالي المبطّن بالرحمة من سيدنا سليمان أشعرهم بأنهم مكشوفون، ليتنازلوا عن قسط من كبرهم الأحمق ويبطئوا بالتمادي في الباطل ويصبح عندهم الإمكانية للالتفات للحق وأهله، وكان له ذلك فاهتدوا أجمعين.

37- ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا**﴾: في المواجهة. ﴿**وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾: أعلن الحرب للسلم.

معنى اسم سليمان: من المسالمة أي لديه قوة كبيرة عظيمة لكنه عليه السلام لا يستعملها إلا للسلامة.

38- فلمّا رجع المرسل وبيَّن لها وضع سيدنا سليمان عليه السلام تجاه هديتها وذكر لها مقالته، أزمعت على أن تأتي إليه بذاتها وقد عرَّفته بحضورها، ولـمّا بلغ سيدنا سليمان عليه السلام أنها قادمة إليه التفت إلى من حوله طالباً منهم أن يأتوه بعرشها:

﴿**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾:

الحزم والجزم والقرار القطعي عند المرسلين لأن قولهم من الله تعالى.

حكم سيدنا سليمان عليه السلام هذا الحكم عندما شاهد الهدهد خوفهم وجبنهم وشاهد أن الكل مسلِّمون الأمر للملكة بلقيس، وأيضاً علم ذلك لأن المرسلين الذين أرسلتْهم الملكة كانوا بمثابة جواسيس لها، لَمَّا شاهدوا قوة سيدنا سليمان عليه السلام خافوا ورجعوا إلى بلقيس فأخبروا قومهم بما رأوا فثبَّطوهم، حرب معنوية، وعندما وجدت الملكة أن طريق المال لم يُجْدِ مع سيدنا سليمان لجأت لطريق آخر، لطريق الفِتن.

39- ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ**﴾: معفَّر قلبه بالشهوات من عدم إقباله، أراد أن يحوِّل الناس إليه. ﴿**أَنَا آَتِيكَ بِهِ**﴾: بتصميم وصورة العرش. ﴿**قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**﴾: من الجلسة "من مجلسك هذا". ﴿**وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾:

وهنا تدخّل الذي عنده علم من الكتاب، لأنه يعرف مراد سيدنا سليمان ويعلم أنه عليه السلام يريده هو أن يأتي بالعرش رحمةً بالعفريت، لأنه ضعيفٌ أمام الفتن، وعند الملكة فتنٌ وإغراءاتٌ ونساء، أما المؤمن فبارتباطه لا يُفتن.

40- ﴿**قَالَ**﴾: المؤمن. ﴿**الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**﴾: الكتاب: ما كُتِبَ وما طُبِعَ من أسماء الله الحسنى، وما كُتِبَ من حقائق في نفس سليمان عليه السلام، وهذا المؤمن بارتباط نفسه بنفس سيدنا سليمان عليه السلام أخذ طرفاً من هذا الكتاب، وكان عليه السلام يصب في صدر أقرب الناس إليه ما صُبَّ في صدره الشريف، وصار لهذا المؤمن بارتباطه بسيدنا سليمان عليه السلام علم بأسماء الله الحسنى، أخذ طرفاً منها، صار التجلي الإلٓهي عليه بمقدار صدقه وإقباله. ﴿**أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾: بما قلَّ من لمح البصر. ﴿**فَلَمَّا رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ**﴾: سيدنا سليمان متوجّه إلى مملكة سبأ، والذي عنده علم من الكتاب شاهد بواسطة سيدنا سليمان عليه السلام العرش، أي القصر بكل دقائقه وتفاصيله. ﴿**قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾: أعظمَ سليمانُ عليه السلام فضل الله عليه فشكره. هذا يعني أنَّه حتى الرسل مخيّرون، وما نالوه ليس جزافاً بل بما عندهم من أهلية، {**وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**}[3] طالما الإنسان له الاختيار يخاف، والرسول ﷺ أشدكم خوفاً {**إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**}[4] وسيدنا سليمان عليه السلام له الاختيار، والله يسيِّره على حسب اختياره، وكانت على يديه تجري عجائب وغرائب. فالكفر هنا أن يعجب بنفسه وينسب الفعل لها، لكن {**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ**}[5]: نسبوا الفعل لأنفسهم.

﴿**وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾.

لكن هل العرش "القصر" نُقل كلُّه بأحجاره وبنائه وأثاثه؟

الحقيقة ليس من المعقول أن يُنقل القصر، سيدنا سليمان عليه السلام متوجِّه بنفسه للعرش، المؤمن الذي عنده علمٌ من الكتاب مرتبط به عليه السلام، توجه لسيدنا سليمان فشاهد العرش عن طريقه عليه السلام، الرؤية عقلية نورانية ليس لها علاقة بالأجسام، رؤية نفسية قلبية، سرى عن طريق الرسول وشاهد العرش "عرش بلقيس" وصار يدلُّهم ويعلّمهم ويصوّر لهم كل شيء أثناء بنائه. الصحابة وصلوا لهذه الدرجة. وكذلك قضية "يا سارية الجبل الجبل"، كذلك الصلاة بالكعبة مع

---

[3] سورة الأنعام – الآية:88.
[4] سورة الأنعام – الآية:15.
[5] سورة البقرة – الآية:102.

الإمام ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾[6]: لتجتمعوا برسول الله ﷺ.

لكن لماذا طلب سيدنا سليمان ممن حوله هذا الطلب؟ ذلك حتى تكسب نفوسهم ثقةً بعملها، فالمؤمن سوف يشرف على البناء والكساء أيضاً بشكل كامل. هو عليه السلام مشاهد وهذه الآية حضٌّ لنا لتقدير الرسول، فالتقدير يوصل لهذا الشيء، لهذا المقام.

ولـمّا رأى سيدنا سليمان عليه السلام العرش مستقراً عنده شكر الله تعالى على هذه النعمة، ثم إنه أراد أن يمتحن ذكاء هذه الملكة ويسبر غور تفكيرها، لأن المفكِّر صافي الذهن يستطيع أن يتبيّن الحق، ومن المأمول منه أن يُذعن للحق ويرضخ إليه، لذلك أمر سيدنا سليمان عليه السلام أن يغيِّروا لها بعرشها بعض التغيير:

سورة النمل: [41-50]

41- ﴿**قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا**﴾: أي ابنوا لها عرشاً واجعلوه مثل عرشها تماماً مع بعض التغيير. ﴿**نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ**﴾: أي إذا كانت ذكيّة ستهتدي بأن هذا العرش ليس عرشها، لأنه ليس من المنطق والمعقول أن يُحمَل العرش، وإن كانت غبية لا تهتدي.

42- ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ**﴾: وعندما سألها. ﴿**قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ**﴾: حصل لها الاستعظام، لذلك تفضل عليها بالزواج لأنها ذكية، وسيُخطط عن طريقها ليُدخل أهل اليمن بالإسلام دون إراقة دماء. لو كانت غبية لما تزوجها، ولو حدَّثَهم مباشرة عن إسلامها لرفضوا، ولكن سارت بما خطط له سيدنا سليمان بحذافيره فاهتدوا. ﴿**وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا**﴾: أنها ستؤمن لأنها فكّرت وأنها ذات خلق كريم. ﴿**وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**﴾: لله.

هنا بيان لطريق الإيمان الثالث وهو أن يبعث الله للمرء من ينبِّهه ويذكّره فيصحو من غفلته ويقبل على الله.

43- ﴿**وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: عندها القابلية لكن الدنيا شغلتها، غير أن الذي صدَّها عدم تفكيرها وعدم انتباهها لضلال ما كان يُعبد. ﴿**إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ**﴾: اتجهت بكفرهم على غير علم.

44- هناك طمع سيدنا سليمان عليه السلام في هدايتها، فأمرها بأن تدخل الصرح[7]

﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ**﴾: رأت الصرح ونظرت إلى أرضه. ﴿**حَسِبَتْهُ لُجَّةً**﴾: حسبتها لشدة صفائها ودقّة صنعها ماءً. ﴿**وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا**﴾: ليس فخذها كما دسَّت الشياطين. لئلا تبتل ثيابها. ﴿**قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**﴾: وفي هذه اللحظة استعظمت هذه الملكة التي أوتيت من كل شيء ما أوتيه سيدنا سليمان عليه السلام من الملك العظيم، واستصغرت واحتقرت نفسها بجانبه، ونظرت إلى سيدنا سليمان عليه السلام نظرة إكبار وإجلال، وهنالك وبهذه النظرة وبهذا التعظيم وإن شئت فقل بإقبال نفسها على نفس هذا الرسول العالية شهدت الحق وعاينته، فكانت نفسه عليه السلام لنفسها سراجاً منيراً رأت به عظمة خالقها وكمالات ربها، فاستسلمت لربها طائعة مذعنة. ﴿**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي**

---

[6] سورة البقرة – الآية:144.

[7] الصرح: موضع أرضه من زجاج متقن الصنعة، شفّاف يشفُّ حتى يصف ما وراءه، ولشدة نقائه وصفائه لا تراه بل تلمسه لمساً حتى يحسبه الرائي ماءً نقياً صافياً.

ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: بعماي السابق عن معرفتك والإيمان بك قبل مشاهدتي لجلال ملكوتك. ﴿**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:** جرى مع بلقيس كما جرى مع سحرة فرعون من الإيمان بعد الاستعظام. لقد شاهدت بمنظاره ما شاهدت، وانغمرت بنعيم جنّات سليمان بالنظر لوجه الله الكريم، فأشاحت محتقرة ملكها والدعاوى الباطلة القذرة، وأضحت في جنات النعيم، فتفضَّل عليها سيدنا سليمان بالزواج منها بغاية إسعادها وإسعاد قومها ولا مطلب له عندهم سواه.

كل هذه الأمثلة السابقة ومنها مثل النملة ومثل الهدهد تبيّن أن على الإنسان أن يفكر في مصيره وما سيؤول إليه أمره، هل هو إلى النعيم أم إلى الجحيم، وما الذي يجب عليه أن يعمله ليتجنَّب الهاوية ويسمو إلى الجنان.

45- ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾:** منهم من آمن ومنهم من لم يؤمن.

الذين لم يؤمنوا قالوا ائتنا بعذاب من عند الله، فأجابهم:

46- ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾:** تستعجلون بالعذاب. قالوا ليفعل الله بنا ما يريد. ﴿**لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾:** هكذا قبل أن تطلبوا الشفاء لنفوسكم! ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:** يغفر الله لكم.

47- ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾:** تشاءمنا. ﴿**بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ** ﴾: ما تفعلونه معلوم عند الله. إن ما يحدث لكم من إنذارات، هو من عند الله وليس بي حول وقوة. ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.**

48- ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾:** قبائل، هؤلاء الرهط ﴿**يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾:** امتلأ إناؤهم وتوسع بالشرور، والخير الذي فيهم أضاعوه ولم يبقَ عندهم إمكانية للرجوع إلى الله أبداً، والدليل:

49- ﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾:** نقتله، ضاقوا به ذرعاً، قرروا قتل الرسول والمؤمنين الذين آمنوا معه، وأقسموا على ذلك بالله. يعرفون الله لكن قولاً فقط {**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**}[8] ﴿**ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾:** لنبيتنه وأهله، لنقتل صالحاً وجماعته، مثلما حاولوا قتل رسول الله محمد ﷺ، حيث قررت اثنتا عشرة قبيلة قتله ليضيع دمه.

50- ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾:** دبّروا تدبيرات. ﴿**وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:** بأن يد الله فوقهم تسيِّرهم.

سورة النمل: [51-60]

51- ﴿**فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾:** التدبير الذي دبَّروه لرد الحق ماذا كان عاقبته. ﴿**أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:** دُمِّروا أجمعون، أي أنه لا إلٓه إلا الله، لا فعَّال لا مسيِّر إلا الله، إنه حين يستحق فلان الخير يرسل الله تعالى إليه من حقَّ عليه أن يفعل الخير، وحين يستحق فلان العقاب يرسل الله عليه من يريد الله أن يخرج ما في نفسه من شهوة خبيثة، وحين يصطدمان يصلح أمر هذا بإخراج ما في نفسه ويصلح أمر الآخر بردعه وتنبيهه علَّه يرجع إلى الله.

---

[8] سورة لقمان – الآية:25.

52- ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾**:** أنَّ الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه.

53- ﴿**وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾**:** ما دام فيه خيرٌ جارٍ فالله تعالى لا يتوفاه. وأنجينا المؤمنين المثابرين الذين لم ينقطعوا ولم يغيِّروا الطريق.

54- ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ**﴾**:** وهم أوَّل من فعلها، هذه الشهوة ثبَّتها الله تعالى على صفحات الأنفس حتى يكون لها الأثر الأكبر في توليد الأعمال وإعطائها قيمتها، فكلما كانت الشهوة التي يضحِّي بها الإنسان محبَّبة للنفس كلما كان العمل الناشئ عنها في نظر صاحبه عظيماً، ولكان رقي النفس وتساميها بهذه النسبة كبيراً أيضاً، فهؤلاء قوم ذووا نفوس قوية لم يسبق لشعب من الشعوب في السابق مثل طاقاتهم وقوتهم، فكانت فيهم طاقة استعلاء وقوة رهيبة لو استجابت للحق لدرَّت خيرات لا حصر لها، لو أنهم طهروا وضحّوا بهذه الشهوة الوسخة لسادوا الأمم ولهدوهم بمعية سيدنا لوط وسيدنا إبراهيم عليهما السلام، ولكنهم حوّلوها للمجاري "للشهوات السفلية"، كان الهدف تحويلها لقربات إلى الله بأعمال عالية تُبنى عليها جنات عُلا. ﴿**وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾**:** ضعة نفسكم وانحطاطها.

55- ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾**:** تجهلون ما في عملكم من شر. انحطوا كثيراً وصاروا يعملون الفاحشة.

56- ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾**:** يظهرون أنفسهم وحالهم أنهم كذلك؛ قالوا ذلك لما يَعلمه كل من يقارف إثماً أنه على غلط وأن عمله خبيث.

ترى بحسب وجهتك بما هو مطبوع بنفسك، فاجتهد لتقبل على الله وتغرف من كمالاته لترى الحقيقة ولتزداد كسباً.

57- ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ**﴾**:** بالقدس، لمكاسب عظمى وأعمال كبرى بعد الثقة. ﴿**وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا**﴾**:** عذبناها على قدر ما يلزم وليس كعذاب قومها. ﴿**مِنَ الْغَابِرِينَ**﴾**:** تلوَّثت بحبها لقومها، هكذا زمننا معظمهن فحذار.[9]

58- ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ**﴾**:** جعل عاليها سافلها، وعادت عليهم شهوتهم بالسوء. لَمَّا فقدوا إنسانيتهم جاءهم مطرٌ معبّرٌ عما في نفوسهم من قسوة وبحسبهم وما يناسبهم بعد انقطاع الرجاء منهم.

59- ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**﴾**:** عن طريقهم الشهود والحمد. ﴿**آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾**:** مصير نفسك بيدك، أنت ووجهتك، وأنت حيث تضع نفسك، جنات عُلا أو مجارٍ "شهوات منحطة نتيجتها الذلُّ والخسران"، يشهد حقيقتها المقرَّبون فيبكون وينتحبون لما ينتج عنها من نيران تطهير عند رجوع النفس لفطرتها الطاهرة عند الموت، ولات ساعة مندم.

كيف الوصول إلى الله وحلول تلك المنزلة الرفيعة؟ الطريق:

60- ﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾**:** من هنا محاورة النفس بالخلوات على الطبيعة لعقل هذه الحقيقة. هكذا يتم الإيمان الغيبي الثابت. ﴿**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**﴾**:** بعقلها تملكها أبداً، مع تجلِّي البهاء الربَّاني المتزايد المتسامي، ولا تتم إلا بالعلم والتضحية بالغالي

---

[9] معظم نساء الزمان تتعلق بأهلها ولو كانوا على سلوك غير قويم أو بوجهة الكفر

لنوال الباقي. ﴿**مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**﴾: هل من مسيّر فعّال مع الله يعينه على تسيير الأمور! ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾: هل تعادل غيره في الحب والطاعة؟!

سورة النمل: [61-70]

61- ﴿**أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا**﴾: تستقرون فيها مدة من الزمن حيث فيها كل ما تحتاجون من أجل حياتكم. ﴿**وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا**﴾: عيوناً كبيرة. ﴿**وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ**﴾: جبالاً تثبت الأرض، الله خلق الأرض وجعل لها الجبال تثبّتها في سيرها فلا تضطرب ولا تهتز، أفلا تفكر بهذه القدرة والعلم والرحمة؟! ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا**﴾: بين الماء الحلو والمالح. ﴿**أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: لو علموا لسَرَت نفوسهم بجناتها.

62- ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ**﴾: الإلّه، والبشر كلهم مقيّدون بضروراتهم. ﴿**إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾: الله تعالى الذي يكشف بالرياح والضياء والماء كل المضرّات والمزعجات. ﴿**وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ**﴾: بعضكم خلف بعض. ﴿**أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾: ألا تتذكرون فضله ولو قليلاً!

63- ﴿**أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾: بنجوم السماء، من الممدُّ بالطاقات الضوئية المباشرة وغير المباشرة ووسائل تلقيها من بصر وإحساس؟! ﴿**وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾: تعالى بسماواته.

64- ﴿**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾: بداية كل الأشياء مِن قِبَلِ مَنْ؟ هل من أحدٍ إلا الله؟ هل بمقدور مخلوق أن يخلق شيئاً غير ما خلق الله تعالى؟! شمس، نجوم، قمر، ثمار... هل من أحد يعيد الشمس من المغرب؟ القمر، الخلق، بخلق مماثلاً! شيء واقع، فمن المؤقِع؟ ﴿**وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾: من المسيطر على الشمس، النجوم، السماء ليبني بواسطتها؟! ﴿**أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.

65- ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ**﴾: السامون الذين يَسْمُون بغيرهم وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام. ﴿**وَالْأَرْضِ**﴾: كل الناس. ﴿**الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾: مالك الملك هو العالم به، الممدّ له، هو أعلم بما يمدّ، ومن لا يملك لا يعلم، بل الفاقد مفقود. فمن تتبع؟ إذا رب العالمين لم يُطلع أحداً على الغيب فلا يعرف أحدٌ شيئاً، حتى الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم لا يعرفون إلا إذا الله تعالى أطلعهم، سيدنا يعقوب عليه السلام لو عرف أن ابنه يوسف عليه السلام صار ملكاً، هل يحزن عليه؟ سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يعرف الملائكة {**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**}[10] ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾: أين ومتى تأتي المصيبة، ضربة "صدمة"، موت عزيز، مرض... ما عندهم شعور، أموات القلوب لا شعور لديهم لذلك يعصون الله ظناً منهم أن الله لا يحاسبهم. المؤمن لمس الوجود الإلّهي، يعرف أن الله سيحاسبه. ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾: لأعمالهم، بالموت والحياة، للجزاء على أعمالهم يبعثون.

66- ﴿**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ**﴾: هل علموا ما سيحل بهم في الآخرة؟ وهل علموا مصيرهم؟ الإيمان بالموت والإيمان بالسماء أقرب طريق للعلم بالآخرة. ﴿**بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا**﴾: من الآخرة لأنهم ما شاهدوها. لأنه عُرْفٌ وليس علمَ يقينٍ مبنياً على الشهود. ﴿**بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ**﴾: ما جاهدوا

---

[10] سورة البقرة – الآية:255.

بهوى أنفسهم فظلوا في العمى، {**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**}[11].
البداية: نفس البيت هم منها قادمون، نسوا بيتهم!

هؤلاء عجزوا عن علم الآخرة، ما وصلوا لها، اخترعوا وأبدعوا لكن كل اختراعاتهم وعلومهم لم تُمكِّنهم من معرفة ما يجري بعد الموت بلحظة! علمهم وحضارتهم لم يصلا بهم لشيء، والنبي ﷺ استعاذ من علم لا ينفع، يعرفون ظاهراً من الحياة الدنيا.

67- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: ما فكروا، نكروا. ﴿**أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ**﴾: أما هكذا كانوا.

68- ﴿**لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾: هكذا قال الأولون، نحن إن سرنا على هذا حُرِمنا من الدنيا وشهواتها.

69- ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾: انظروا إلى الذين ذهبوا قبلكم كيف كان حالهم! ما التفتوا لفقير ولا لمسكين، ما نظروا لربك، هلكوا عن بَكرة أبيهم، انظروا حياة المسلمين وحياة المجرمين وداخِلِيَّتهم. هذا التنظيم الكوني البديع هل هو لحياةٍ قصيرة مشحونة بالآلام ومفاجآت الأحزان؟! كل هذا الترتيب لأمر تافه! أم سيبنى عليه أمر عظيم يتناسب مع عظمته؟

70- ﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**﴾: كان ﷺ دوماً حزيناً على الخلق. ﴿**وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾: تدابيرهم ستزول وأنت تنتصر.

سورة النمل: [71-80]

71- ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: متى هذا الشيء.

72- ﴿**قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ**﴾: أصبح العذاب وراءكم، قريباً منكم. ﴿**بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾.

73- ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾: ألا تفكر بفضله سبحانه وتعالى؟

74- ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾: ما تُكِنُّ صدورهم من نوايا وما يعلنون من قول.

75- ﴿**وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾.

76- ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ**﴾: أكثر من الذي هم ﴿**فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾:

الحقيقة: إن رب العالمين يتكلم بالقرآن عن قصصنا نحن، والذي وقع مع بني إسرائيل وقع لنا، ومتى الإنسان آمن وصار له بصيرة يعرف ويرى أن هذه القصص تتكلم عنه.

77- ﴿**وَإِنَّهُ لَهُدًى**﴾: تهتدي بهذا الهدى. ﴿**وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: الإيمان كمال الإنسانية.

78- ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ**﴾: يرى المناسب، ما يناسب الخلق ويعاملهم به. ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾: مصدر الخيرات كلها. ﴿**الْعَلِيمُ**﴾: يعلم كل إنسان وما يستحق.

---

[11] سورة الحج – الآية:46.

79- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: سر بما يريك، رؤياك يا طاهر هي الحق. ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾: لا تبالِ بالرأي الاجتماعي، عليه السلام يرى استهزاءهم النفسي واستنكارهم واستهجانهم، ولا يعبأ برضاهم أو سخطهم، لا يهمُّه في رضاء الله أحدٌ.

80- ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾: المَعْنِيُّ هو القلب لا الثوب، أنت تتمنى نجاتهم لكنهم لا يأتون إلينا، بل يبغون من لم يُخلقوا من أجله، من لا يفيدونهم أبداً ويحملونهم اليوم لا غداً، لا ينقذونهم أو ينفعونهم حقاً، أصنام تستمد ممنْ هم منه لا يستمدون، يُلهونهم ولا يَهدونهم.

كل هذه الخلائق ما لم يطلبوا الوصول إليه تعالى فهؤلاء هم المقطوعون المتوجِّهون لغيرنا لا يسمعوننا، كلٌّ يسمع ما هو متَّجهٌ إليه، يتحركون بحركة الكون فبزواله ينقطعون وأبداً من الجنات لا يغرفون، بل هم هالكون ومن الله غير مالكين.

﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾: النفس لا تسمع إلا ما ترى، فالعبرة للقلب، فما فائدة الأذن إن كان القلب في صمم؟! فلن تتشرَّب النفس الكمال طالما وجهتها للأوحال، ما عليك إلا بسلوك سبيل الطهارة من الدنيء المسخَّر مهما بلغ. ففكِّر وانوِ وأَحسِنْ وثُرْ ليحق لك سماع ما أودع الله في شدو صوته الرحيم من حب إلَهي صافٍ لك، لترقى لمراتب العُلْويين وتعشق خيرك ومقامك العظيم، انستر به ﷺ وبربه تشفَ، ولا تُخفِ عيوبك فتنكشف يوم يقوم الأشهاد.

سورة النمل: [81-90]

81- ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾: النفس غير الثوب الجسدي الفاني فهي باقية وأنت هي، فما لم تتخلّ عن الدنيا بالتيقن بالرحيل فلن تتخلى عن ثوبها، وهو حجاب، وبعد الموت انقطاع كلّي عنه، وقد كان كالسراب، وبه الهبوط للمسخَّرين بل أدنى، ولا ينقذها منه إلا شوقها لبارئ الأرض والسماء، ولا شوق بلا شهود، ولا شهود بلا معرفة، والفكر هو الكشّاف المُذَكِّرُ لها ببداياتها، وكونها لا شيء، والله المُمدّ بكل شيء، ثم اليقين بالزوال فالالتفات عن الزائل. ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: السماع عن طريق الإيمان بآياتنا، بعد الإيمان بالآيات الكونية والتعلم والترقي من صف لصف حتى الطيران المطلق والكسب الكثير، فيسمع من العظماء ويتيه بالجنان.

82- ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: عندما يقترب عذابهم، وقع قول إبليس: **{لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}**[12] أُحَبِّبْهم بالدنيا وشهواتها حتى يقعوا فيها. ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾: مصنوعة من مواد تستخرج من الأرض. ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: وهذا حدث منذ أكثر من قرن، السيارة فيها من الآلات والهواتف وغيرها تكلم الناس. ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: هذا هو السبب حيث لم توقن نفوسهم بالموت. الدابة خروجها يدل على أن الناس لا يؤمنون.

في كل زمان يوجد أمّة أو أمم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وعليهم الأمل المنشود معقود بإنقاذهم إخوتهم، أما إذا وقع قول إبليس: **{لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}** وصدَّق عليهم ظنّه، فاتَّبعوه وأصبحت كافة القوى الضاربة للشر[13]، فأعمت الحضارة الإنسان عمَّا يحضّره العظيم رب العالمين، فأشاحوا عن بارئ السماوات وأصرّوا وصُمُّوا وامتلأوا بالخبث وأَبَوا الشهود والسماع والكشف، وأرادوا

---

[12] سورة ص – الآية:82.

[13] ميلها واتجاهها للشرور لا للخير

الطيران بأجسامهم لوجهتهم الإبليسية "خلقتني وخلقته[14]"، فهنالك "ولهم الخيرة" يُطبّق تعالى عليهم العلاج فيخرج خبثهم الذي سيكون فيه دمارهم، وبدلاً من أنك يا حبيبي "حبيب الله ﷺ" أنت تكلمهم لتسمو بهم وللجنات تكسبهم، تكون الدَّابة هي التي تكلّمهم "لقد داست السيارة كل الناس"، إذ وقعوا بالإبلاس وآمنوا بالناس ولم يؤمنوا برب الناس، ملك الناس، إلّه الناس حتى أن منهم آمن فما آمن. إذ مشوا وما مشوا، وما قدروا الله حقَّ قدره، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء.

83- **﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:** هنالك الطامة الكبرى والبَلِيَّة العظمى والله رحيمٌ، فهؤلاء لا يكلِّمهم الله ولا يهديهم إذ اتبعوا بني إسرائيل شبراً بشبر وهم مُعرضون، وحين يُفزَّع عن قلوبهم فيسمعون كلامه فهم عندئذ خجلون غير كاسبين، مؤاخذون لا مكرمون، بل بثياب التقصير محبوسون، فهذا الرب الرحيم يوقظنا وينبهنا لنربأ بأنفسنا عن هذا المستوى الفظيع مهما كلفنا الثمن، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه والله الغني.

84- **﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآَيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**.

85- **﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾**.

86- **﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أَلَمْ** يميّزوا بين أقواله ﷺ وأقوال العالمين؟ ألم يشاهدوا نورانيتهُ العظيمة ورأفته البالغة وحلمه الكبير وشجاعته وعلمه الذي لا مثيل له، وتأويله العالي الرفيع وحياته الحافلة بالكمال والعظمة والجلال وهو سراجهم المنير، فبدونه ﷺ فأنَّى يبصرون!

87- **﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾:** مرتمين على الله.

88- **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾:** هذا هو صنع الله الذي أتقنها وأبدعها على أكمل وجه وأتم تنظيم.

هذه الجبال العظيمة الشامخة العالية المحمولة على ظهر الكرة الأرضية، تراها بعينك جامدة ثابتة لا تتحرك ولا تتزحزح، ولكنَّها بحقيقتها تدور مع دوران الأرض بحجمها الهائل العظيم كما تمر السحب المحمَّلة بأطنانِ المياه، تمر برفق ولطف دون أن تزعج أحداً، وهذه الجبال كالسحاب الحامل للمياه والخير والحياة.

كذلك هناك نفوس عظيمة راسخة رسوخ الجبال في محبة الله وعشقه، فهي في ثباتها كالطود العظيم، تلك هي نفوس السادة الرسل والأنبياء الكرام عليهم السلام، ووظيفتها تثبيت الناس على الإيمان، كالجبال التي تثبت القشرة الأرضية من الانسياح.

89- **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾:** الذي يدلُّ دلالةً طيبة على الله. **﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾:** يضاعف الله له أجره حسب نيَّته. **﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آَمِنُونَ﴾:** عند القيامة والبعث.

90- **﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾:** استحبُّوا كلَّ شيءٍ واجهوه في الدنيا وغرقوا فيه، فكان عليهم حجاباً بدل أن يؤمنوا بالله من خلاله، فأورثهم نار الحسرة والندامة تحرقهم حرقاً، فتجعلهم ينكبّون على نار الله الموقدة. **﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**.

---

[14] لطفاً انظر كتاب عصمة الأنبياء، بحث: (سجود الملائكة الكرام لسيدنا آدم عليه السلام).

سورة النمل: [91-93]

91- ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا**﴾: حرَّم القتل فيها في الجاهلية.

﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا**﴾: الدنيا حرَّمها لأنها حجاب وعذاب، الدنيا ملعونة، ملعون من فيها إلا ذكر الله وما والاه، والذكر بالمشاهدة، عندما تزيل الحجب التي بنفسك عندها تشاهد أسماء الله الحسنى كيف تنصبُّ على الخلق. فالدنيا للإيمان فقط، والله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون ليؤمن الإنسان بالله، ويقدِّم الأعمال العالية التي بها جناته، وهكذا العهد مع الله سبحانه، لأن من شاهد الأدنى انحط، فعلى الإنسان أن يشاهد الأعلى، ومن عرف الخالق صَغُر المخلوق في عينه، والصلاة بحقيقتها كذلك وجهة إلى الله تعالى، وأي صورة بالصلاة تكون حجاباً بين العبد وربه. ﴿**الَّذِي حَرَّمَهَا**﴾: لأنها لم تحمل التكليف، فهي أدنى من عطاء المؤمن. الله حرَّمها دون إيمان أو رابطة، ومَن أراد الدخول بها، عليه أن يلبس كما يلبس رجال الإطفاء ألبسة تقيهم من النار، ولكي يستطيع الإنسان فعل ذلك عليه أن يتردَّى برداء أبيه العظيم سيدنا إبراهيم عليه السلام لكي يحوز الارتباط بعد الإيمان. ﴿**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**﴾: ولله كل شيء، فلِمَ تتعلَّق بغيره وتتركه وتلحق الدنيا! أنت أيها الإنسان ليس لك شيء منها، لك الجنة. الله سبحانه وتعالى ما خلقك لها وإنما خلقها لأجلك. ﴿**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾: المتكلم رسول الله ﷺ. العبادة لله وحده، لا يُسمع إلا القرآن الكريم.

92- ﴿**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾: الاختيار له، إن شاء الهداية سلك سُبلها. ﴿**وَمَنْ ضَلَّ**﴾: سمع وما طبَّق فما آمن. ﴿**فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾.

93- ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: قراءة الفاتحة في كل صلاة. ﴿**سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القصص: [01-10]

1- ﴿طسَمَ﴾: أصبحت طاهراً بإقبالك علينا، بعد التفكير واليقين أصبحت سليماً من كل العيوب وكذلك أصبحت محموداً عند الله والخلق.

إذن: ﴿طسَمَ﴾: {ط}: يا طاهراً لم تدنس نفسه بالدنيا، ولم تتلوث من أدرانها أبداً، وهو ﷺ في معارج الطهر يسمو محققاً ما خُلق لأجله من معرفة بالله وعدم الانقطاع عنه، في رقي متزايد وعروج في حضرة قدس الله مستمرٍّ متوالي وعِلْمٍ بطرفٍ من أسمائه الحسنى متعاظم متواصل لا يدانيه به أحد، وهو في مدرسة الطهر سالك وبإقباله على ربه سادر، وهذه مدرسة النبيين والمرسلين، فكان ﷺ فيها المعلّم والنبراس، فهو ﷺ النموذج الإنساني الأرقى لطالبي وجه الحق والحقيقة والمثل الأعلى والقدوة والنبراس لحاملي الأمانة، فالله يذكّرنا دائماً بصفاته العليّة الربانية. والرسول ﷺ نال منها مبتغاها وبلغ الحدَّ الأقصى الذي يمكن أن يبلغه إنسان، فكل من ارتبطت نفسه بنفسه الشريفة الطاهرة نقله في معرفة الله من حال إلى حال أعلى ومن رتبة إلى رتبة أرقى.

{سَ}: أي يا سليماً ليس عليك شائبة ولم تتسم بميسم الخطيئة ولا العيب، لأنه ﷺ لم يتزحزح عن الله أبداً، وهذه شهادة الله فيه لأنه جاء إلى الدنيا ولم يتلوّث بأوضارها أبداً، فهو بذلك سالم، وطالما أنه لم ينقطع عن الله أبداً ولم يزغ البصر إلى الدنيا طرفة عين، بل ظلَّ شاخصاً ببصيرته إلى الحضرة الإلّهية يستقي من الأسماء الحسنى ريّاً متواصلاً، فكان بذلك خُلُقه القرآن، ولازمته هذه الصفات العالية ولم تنفكّ عنه أبداً، فكان سالماً من الدنيا لأنه بالأصل سليم، فكلّ من اتّهم الرسول ﷺ بنقيصة أو نَسَبَ إليه الخطيئة فهذا الاتّهام مردود على صاحبه، لأنّ الله العظيم برّأه بوصفه أنه (سليم)، وعندما تعقل هذه الصفات الكاملة عنه عندها تحمده فترى أنه محموداً عند الخلق. {مَ}: أي يا محمود، فرسول الله ﷺ طبيعته الكمال كيفما التفت مشربه الكمال، ونحن به نكمل ونستضيء.

2- ﴿تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: كشف لك الحق، هذه الآيات المطبوعة فيه، وتلك الآيات التي تحلَّت نفسه الشريفة، أي هذه الصفات من طاهر وسليم ومحمود هذه الصفات التي اتّصف بها ﷺ بإقباله على الله يبيّنها لك، فإن عقلتها وقدّرته عليه السلام وعظّمته نقلك إلى حضرة الله، فهو ﷺ الذي يريك كمالات الله وأسمائه الحسنى، وهو كتاب الغيوب، وهو الكتاب المبين الذي يبيّن لك عن كل ما كان مستغلق عليك وفيه ﷺ أضحى بيّناً واضحاً جليّاً. ﴿الْمُبِينِ﴾: هذه الآيات تبيّن الحق، وكل من شاهدها نالها.

3- ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى﴾: مما أعطيناه بالحق. ﴿وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾: وما أصبناه بالحق. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: ينتفع بهذا طالب الإيمان.

أحوال الناس اليوم وقصصهم نفس القصص التي جرت مع بني إسرائيل، والذي آمن وصار له نور من ربه يفهمها. فبكل عصر وزمان هناك فرعون وآل فرعون وبنو إسرائيل.

4- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: قتل وأجرم. ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: اتَّبع سياسة فرّق تسد. ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾: لأنَّهم ما أطاعوا فرعون تماماً، وسلكوا مسلكاً مخالفاً لما يريده. ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾: أراه الله في المنام أن طفلاً من بني إسرائيل سيولد ويقتله. وهذه الرؤية تحذير من الله

لفرعون ليغيِّر سلوكه، لكن فرعون بدل أن يغيِّر ويتراجع ازداد في القتل والإجرام. ﴿**وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ**﴾: يستحق بنو إسرائيل مثل هذا، وهذه الإهانة ترجعهم إلى جادة الصواب.

﴿**وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ**﴾: عمل وسائِلَ ليفتن النساء ويَذهب بحيائهن حتى يقعن بالفساد والرذيلة. ﴿**إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾: كل هذا ضمن قوانين. جعل للفساد قوانين، وخرج بذلك عن الإنسانية وأقام كل ما من شأنه أن يثير الفتنة بين الناس.

5- ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ**﴾: استهان النَّاس أمرهم. ﴿**وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً**﴾: يقودون النَّاس. ﴿**وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾: يرثون الأرض. لا **إلَه** إلا الله.

وهذا الشيء تحقَّق بعهد سيدنا موسى وبعهد سيدنا داوود عليهما السلام.

6- ﴿**وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾: سيجعلهم خلفاء يحكمون إن ساروا بما أمر الله فأطاعوا سيدنا موسى عليه السلام. ﴿**وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾: مما رأى فرعون في منامه أن رجلاً من بني إسرائيل سيقتله، كل قوَّتهم بلمح البصر وبضربة عصا من سيدنا موسى ذهبت.

7- لَـمَّا أذاق الله بني إسرائيل على يد فرعون وبال أمرهم وآن لهم أن يكشف الله تعالى عنهم ما هم فيه، أخرج هذا المولود الجديد الذي سيكون على يديه تدمير ما كان يصنع فرعون وقومه إذا لم يغيِّروا ما بأنفسهم ويرجعوا عن غيّهم وظلمهم وبغيهم، وبواسطته سيكون خلاص بني إسرائيل مما حلَّ بهم.

﴿**وَأَوْحَيْنَا**﴾: في المنام. ﴿**إِلَى أُمِّ مُوسَى**﴾: أم سيدنا موسى عليه السلام من المؤمنات العظيمات سمعت الوحي، سمعت كلام ربها. آمنت والله تعالى خاطبها، امرأة بلغت هذا المقام والرجال لم يبلغوه! كل إنسان لديه هذه الإمكانيَّة، متى زال الوقر والفحشاء يسمع الإنسان الكلام من المتكلِّم جلَّ وعلا. ﴿**أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ**﴾: خافت عليه، مؤمنة تقيَّة لها شهود وسماع، شاهدت حقيقة ابنها السامية العالية. شاهدت أنواره لذلك خافت عليه وحزنت على فراقه. ﴿**فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي**﴾: من فقدانه. ﴿**وَلَا تَحْزَنِي**﴾: من طول غيبته. ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ**﴾: وهذا ما حدث. من هذه القصة نستدل على أن الله هو المسيِّر لأمور الكون كله، لا **إلَه** إلا الله، لا يقع أمر إلا بإذنه. ﴿**وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾: نبي رسول.

8- ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ**﴾: شاهدوه في اليم فأتوا به فرعون. ﴿**لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا**﴾: هكذا ظنّهم! المعاداة من الشيطان. الآية استفهامية؛ هل أرسله الله لقوم فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً؟! لا لم يرسله الله لهذا، أرسله رحمة بهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويدخلهم الجنة. لكنهم لم يؤمنوا فظنوا هذا وشاهدوا الصديق عدواً والعدو صديقاً. ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾: بهذا الظن، جاء عليه السلام ليسعدهم ويدخلهم الجنة، أخطأوا بهذا الظن، وظَنُّهُم هذا رجع عليهم، فأُغرقوا ودُمِّرت بلادهم.

9- ﴿**وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**﴾: آسية رضي الله عنها، زوجة فرعون عندما شاهدت سيدنا موسى قالت لزوجها: ﴿**قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ**﴾: نقيّة طاهرة شاهدت بسيدنا موسى الحقيقة، ما اغترّت بالملك ولا بالمال والشهوات ولم تنشغل بهذا عن ربها. ﴿**لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾: استجاب فرعون لها، حيث ألقى الله تعالى محبة موسى عليه السلام في قلبه، كل هذا من أجل أن يغيِّر "فرعون" ويرجع إلى ربه عن طريق هذه المحبة التي وضعها الله بقلبه. لم يقتل فرعونُ موسى

عليه السلام، فالله الرحيم يجعل من السمِّ دسماً[1]، وهو سبحانه ليس بحاجة إلى قوتكم وليس بحاجة لشيء ولا لأحد ولكن يناله التقوى منكم. ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾: لم يشعروا بما له من مقام عالٍ. ما عرفوا مقامه، شاهدوه طفلاً صغيراً كباقي الأطفال، لكن له حركات وأعمال غريبة. لو كانوا مؤمنين لعرفوه وعرفوا شأنه العالي، ولشاهدوا أنواره وحقيقته السامية، المؤمن بما له من نور يشاهد. غير المؤمن لا يشاهد حقيقة النبوة، كذلك لم يشعروا من قبل بسيدنا يوسف عليه السلام فباعوه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.

أما سيدتنا آسية زوجة فرعون، بإيمانها عرفت مقام سيدنا موسى وشاهدت حقيقته فأحبَّته حبّاً عالياً، امرأة نقيَّة طاهرة تحسُّ وتقدِّر وتحبُّ أجمل خلق الله الجامع للكمال الصوري والمعنوي، والرجال لا يشعرون!

10- ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا**﴾: لانشغالها على ابنها. ﴿**إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ**﴾: من الفرح لما علمت أن فرعون التقطه، إذ أن الله بشَّرها بذلك وبردّه إليها وهنالك عادت لها طمأنينتها. ﴿**لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا**﴾: لا إلّه إلا الله. ﴿**عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: حتى أن قلب الإنسان بيد الله، بالتجائها إليه سبحانه وتعالى ثبّتها وأراها مجريات الأمور وما سيجري فآمنت أن كل أفعال الله خير وسعادة، فازدادت إيماناً مع إيمانها.

سورة القصص: [11-20]

11- ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾: تتبَّعي أمره وما سيجري معه، فأم سيدنا موسى عليه السلام سارت بالقوانين ولم يعد للعاطفة النفسية فاعلية إلا ضمن قوانين فكرية بها الفلاح والنجاح، تماماً كنظام الكون، ومتى سلك المؤمن هذا السبيل فلا هزيمة أمامه. قالت أخته للنساء: أنها شاهدت صندوقاً في اليمّ فأعلمنها بمستقرِّه، بعض الصديقات بتدبيرٍ ما أدخلنها القصر، فكانت بتقدير أحكم الحاكمين في اللحظة المناسبة عندما عجزت المراضع عن إرضاعه. ﴿**فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾: دخلت بين النساء وما عرفن أنها أخته.

12- ﴿**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ**﴾: ذلك لأن كل شيء بيدنا. جاءوه بعددٍ من المراضع فأبى وما ارتضى ثدياً، وكيف يرضع وقد كفَّ الله فمه عن الرضاع وحرَّم عليه المراضع جميعاً. ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾: من قبل أن تأتي أخته، فلما أتت: ﴿**فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾: وما أن جاءت أمُّه حتى أقبل عليها، وأخذ يرضع منها رضاعاً متواصلاً، ففرحوا بذلك أشد الفرح وكفّلوها إياه، وهكذا غلبت إرادة الله العظيمة الخيّرة وتمت فصول هذا الحدث العظيم، وعاد سيدنا موسى عليه السلام إلى أمه، ولم ينجه تعالى من ذبح أعدائه فحسب بل أصبحوا حماةً له أيضاً، يكلؤونه بعيون الرعاية والمحبة والإكرام، ويغدقون عليه مادياً ومعنوياً، فكان منذ طفولته سيّداً على الجميع، كيف لا وهو متبنى الإلّه المزعوم فرعون. وهكذا يتولى تعالى الصادقين، فاصدق أيها الإنسان مع الله تعش من الدنيا بالجنات وتحظَ وتُحفُّ بالإكرامات الظاهرة والباطنة، وما خلقك ربك أبداً وتركك،

---

[1] فالله الرحيم يجعل من السمّ دسماً: أي جعل من قلب فرعون المليء بالخبث والبعد عن الله تعالى جعله يميل بالمحبة لسيدنا موسى أثناء طفولته، ويربيه في قصره لعله يستفيد من هذه العلاقة للسمو والعلو، كما استفاد السحرة الذين كانت نفوسهم كلها سموماً وخبثاً وبلحظة التفاتٍ لسيدنا موسى العظيم عليه السلام طهرت نفوسهم ودخلت على حضرة الله، ورأت الحق والحقيقة وأصبحت كلها طهارةً وسموّاً.

فإن وجدت خلاف النعيم فاعلم أنك خالفت سنَّة من سنن الإنسانية وحُدت لطريق الهلاك، فارجع لربك يرشدك لخطئك فتنوي التغيير فيزول عنك كل هَمٍّ وغَمٍّ وسوء مصير وتغدو من المقرّبين.

كل ما يأتي الإنسان من سوء فهو من عمله لكنه لا يدري، فاصْفُ أيها الإنسان وفكر واصدق طالباً المعونة من الله يكشف لك انحرافك، فتغيّر فتلقى كُلَّ عِزٍّ وخيرٍ وإكرامٍ بعد زوال كلّ الآلام.

13- ﴿**فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ**﴾: كما وعدها تعالى، ردَّ سيدنا موسى عليه السلام لأمِّه وأعاده إلى أحضانها فأمَّنَت واطمأنَّت. ﴿**كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا**﴾: عندها قرَّت عين أم موسى به عليه السلام. ﴿**وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾: ذهب الحزن عنها وعلمت أن وعد الله حق. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: أنه سبحانه وتعالى هو الفعّال والمسيِّر، لو آمنوا وساروا على الطريق التي بيَّنها الله لهم لغنموا من وجودهم وكسبوا علماً ورقياً وجناتٍ في الحياة وبعد الممات.

14- ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى**﴾: بلغ سن الرشد. ﴿**آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾: حكماً مبنياً على علم وشهود، إنزال الأمور منازلها ووضع الحق في مواضعه، والحكم لا يكون إلا بعد العلم ورؤية الحق. ﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾: كذلك كل من يسلك ويصبح من المحسنين نُعطه، والقصة التي ستأتي تبيِّن إحسانه عليه السلام.

15- ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا**﴾: كان خارج المدينة يفكِّر ويؤمن، وهكذا كل مؤمنٍ صادق لا يتعامل مع الله طلباً لإيمانه إلا خفيةً لصدقه بالطلب، لا للشهرة وليُقال فيضيع وجهته ويخسر صلاته ويكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، يريد عرض الحياة الدنيا. ﴿**فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ**﴾: رجل من بني إسرائيل من مريدي سيدنا هارون عليه السلام. ﴿**وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ**﴾: من القبط الكفرة. ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾: من شدة ثورة الحق بنفس سيدنا موسى كانت ضربته معبِّرة ساحقة ماحقة لباطل الظالم فقضت على باطله وعليه، وخرَّ القبطي المعتدي صريعاً ميّتاً. ﴿**قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾: تخاصمكما من عمل الشيطان. إن اعتداء القبطي على الإسرائيلي من عمل الشيطان، فلما رأى سيدنا موسى عليه السلام ما حلَّ بهذا الظالم بسبب ظلمه التفت إلى الإسرائيلي يعظه ويحذّره فقال: إن خصمك مات وحلَّ به ما ترى بسبب متابعته للشيطان فاحذر أن تطيعه في ظلم أحد لئلا يصيبك ما أصاب خصمك. ﴿**إِنَّهُ عَدُوٌّ**﴾: للإنسان. ﴿**مُضِلٌّ**﴾: يوقعه بالإجرام والفواحش ليحرمه من الجنة والسعادة. ﴿**مُبِينٌ**﴾: وهذا الشيء واضح بيِّن حيث وسوس للقبطي وحرَّضه للاعتداء على الإسرائيلي.

16- ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**﴾: بقتلي للقبطي فانكشف أمري وعرفوا بأني المطلوب. كنت بأمان والآن أصبحت بنظر فرعون مجرماً وصرت ملاحقاً، وبهذا عرَّضت نفسي للقتل والإعدام. لم يكن موسى عليه السلام يريد أن يكون جباراً يقتل الناس، فحزن على عمله وطلب من الله أن يمحو من قلبه هذا الحزن ﴿**فَاغْفِرْ لِي**﴾: بهذا الضيق. وطلب أن يشفيه من تعلّقاته النفسية وصحبته ومحبته لأهله وأصحابه القدامى الظـُّلاّم في قصر فرعون. ﴿**فَاغْفِرْ لِي**﴾: فحُلْ يا ربِّ بيني وبين فرعون واسترني عنهم، احفظني من شرّهم وأذاهم. ﴿**فَغَفَرَ لَهُ**﴾: حالَ الله سبحانه وتعالى بين سيدنا موسى عليه السلام وفرعون وستر بينهما، فأرسله تعالى إلى سيدنا شعيب عليه السلام وتعلَّم عنده ولم يستطع فرعون مسَّه بأذى، كذلك بهذا الضيق والحزن الذي أصاب سيدنا موسى زالت من نفسه كل متعلقاته القديمة أيام كان بقصر فرعون. ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾: الفعَّال هو سبحانه وتعالى لا فعّال سواه. غفر له وأنزل في قلبه نعيماً عظيماً، لذلك قال سيدنا موسى مخاطباً ربه:

17- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾: يا رب لا أستطيع إلا نصرة الحق، دائماً مع الحق بما أنعمت عليّ وتفضَّلت، تفضَّلت عليّ بنعيم عظيم. بهذا العمل شفيتني فزالت من نفسي كل العلاقات الوديّة مع الشياطين من الإنس.

ومن دعاء الرسول ﷺ: **"اللَّهُمَّ لا تجعلْ لكافر عليّ منّةً فيُحبُّه قلبي"، "اللَّهُمَّ ارزقني حبَّك وحبَّ من يحبك"**.

فيا أيها الإنسان، محبة المعرضين عن الله تورث الإعراض ومحبة الدنيا والكراهية والعداوة النفسية لله أرحم الراحمين بسبب التشرب النفسي اللاشعوري.

فهذا نبي ورسول طلب من الله أن يشفيه، فما حالنا نحن إن تعلَّقنا بالأغيار؟!

اترك الدنيا وأهلها الأشرار عملاً وقلباً قبل الخوف والموت على جفاء وبُعدٍ عن رب العالمين.

18- ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: فقط الذي لا فكر له لا يخاف، الأطفال يقفون أمام السيارة ولا يخافون. سيدنا موسى بقتله القبطي صار بنظر فرعون قاتلاً، وعند فرعون قانون وفي القانون القاتل يُقتل، وبهذه الآية يطلب سيدنا موسى عليه السلام من ربِّه العون والخلاص. ولكن مما يثبت صدق سيدنا موسى عليه السلام لنصرة الحق عودته لعمله البطولي في اليوم الثاني مضحيّاً بنفسه في سبيل نصرة الحق ورفع الظلم، فوقف ضد الباطل وأهله عن عمدٍ وسبق إصرار ولو كلَّفه ذلك حياته. ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾: قال للإسرائيلي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ﴾: لو لم يكن بنفسك شيء لما سلَّط عليك مثل هذا، غوي أي: مغيِّر؛ كان سالكاً بطريق الحق ثم غيَّر وسلك طريق الدنيا وشهواتها. هكذا قال موسى عليه السلام للإسرائيلي: أنت لست سائراً على الحق، أنت غيَّرت لذلك تسلَّط عليك القبطي الثاني، ولو لم تكن مستحقاً ما سلَّطه الله تعالى عليك وتغييرك هذا، ﴿مُبِينٌ﴾: ظاهرٌ من تسلطهم عليك.

19- ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾: سيدنا موسى. ﴿أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾: يريد قتل القبطي الثاني وقلبه كلّه بكاءٌ وأنينٌ عليه، فرحمته عليه السلام وحنانه على الخلق عظيم بما اشتقَّه من حضرة الله. ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾: ناقش القبطي الثاني سيدنا موسى، قال له: إن ما أفعله من أمر أبيك فرعون، هكذا أمر وأنا أنفذ، وإن شئت الإصلاح يا موسى فقتلي ليس طريقاً للإصلاح، ولكن اذهب لأبيك فرعون فهو من يُصدر الأوامر واطلب منه أن يُلغي هذا الأمر ونعود مثلما كنَّا. ناقشه بالمنطق وسيدنا موسى يقبل المنطق، نظر بكلامه فوجده صحيحاً وشاهد أن طريق الإصلاح الصحيح ليس بقتله فتراجع.

وبهذا العمل الذي قام به موسى عليه السلام مِنْ قَتْل القبطي خلَّص بني إسرائيل من ظلم فرعون وقتله أولادهم، حيث لم يبق هناك داعٍ لقتلهم، فالمراد هو قَتْلُ سيدنا موسى والآن انكشف[2].

20- ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾: استكمل إيمانه اليقيني وهو في عروج متزايد من كمال لأكمل. ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾: لقد شاع في المدينة أمر قتل القبطي وتبيَّن أن موسى عليه السلام هو القاتل، فصمَّم فرعون وملؤه على قتل

---

[2] إذ لَـمَّا قتل سيدنا موسى عليه السلام القبطي المعتدي "الأول" انكشف أمره أنه من بني إسرائيل وأنه هو الذي يجب أن يُقتل، فهو إذن الطفل الذي رآه فرعون في الرؤيا... وهو الذي يُشكّل التهديد لملك فرعون...

سيدنا موسى، وأراد الله أن يحفظ موسى ويخلِّصه من مكرهم وأذاهم، فساق له رجلاً مؤمناً اطَّلع على تلك المؤامرة وأخبر سيدنا موسى بها، وهذا كلّه يدلُّ على لا إلَه إلا الله.

سورة القصص: [21-30]

21- ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا**﴾: ترك الملك وذهب مهاجراً في سبيل الحق. ﴿**خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي**﴾: المهم، وأهمّ من كل مهم الالتجاء الحقيقي عند الشدة على الصائب[3]. إلى الله تعالى، وهنا مفتاح كل مستحيل وكل صعب مهلك مستغلق، من أجل ذلك كان الإيمان وضرورته البالغة لكل الناس. ﴿**مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾: لأنفسهم، فرعون وملؤه.

22- ﴿**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ**﴾: خرج من مصر وانتهى به المسير إلى بلاد مدْيَنْ. ﴿**قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾: الله كله رحمة وحنان وسوف يهديني لطريق النجاة والفوز.

توجَّه سيدنا موسى لمدْين وهو نبي، فسرت أنواره قبل أن يصل إليها بجسمه الشريف.

23- ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ**﴾: دليل على تحجُّب المرأة وابتعادها عن الرجال. شعر سيدنا موسى بحرجهن وأن مصاباً هائلاً أصابهن إذ لم يسبق لهن أن وقفن مثل هذا الموقف، فسألهن: ﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾: هنا إثبات الحجاب، وأنهما لم تخرجا إلا بعذر، كما جاء في الآية.

سيدنا شعيب عليه السلام نبيٌّ رسولٌ، أحسَّ بوجود سيدنا موسى عليه السلام وشاهد أنواره، لكن أثناءها لم يكن في بيته أحد من الرجال، لذلك أسرع بإرسال ابنتيه لهذا الهدف وبهذا العذر.

24- ﴿**فَسَقَى لَهُمَا**﴾: سقى لهما سيدنا موسى وهو معرَّض لخطر الموت، ولم يلتمس لنفسه عذراً مبرراً للانصراف إلى همومه وغمومه، خالف الرأي الاجتماعي المنحط السائد، وهاجم الناس لنصرة نساء مستورات ليس فيهن مطمع لمرضى القلوب، واعتزَّ بقوانين الإلَه وأقدم على نصرة كلامه بكل فخر واعتزاز حين يخجل أهل الانحطاط من الاقتراب منهنَّ للعار الاجتماعي السافل. ﴿**ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ**﴾: إلى ما تجلّى الله به عليه. التضحية سبب الرقي وبلوغ أعلى مقام. ولهذا خلق الله تعالى الناس وغرز فيهم الشهوات، ليكون لهم من مقاومتها في رضائه تعالى أرقى وأسمى المنازل. ﴿**فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾: ضحى بحياته وهزم الرعاة، وقدَّم المساعدة لبنات نبيٍّ رسولٍ ودافع عنهن، إنه عمل كبير، وبه نال من الله تعالى خيراً كبيراً، لم يصبه الغرور والزهو بالذات والكبر، بل زاده عمله هذا افتقاراً إلى ذي الفضل والإحسان، فلم يتَّجه لذاته بل استعظم فضل الله عليه وسجد لربه حامداً متذلِّلاً مفتقراً متطلِّباً المزيد من عمل الخير.

25- ﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ**﴾: الاستحياء: بالغ منتهى الحياء، برابطتها بأبيها سيدنا شعيب النبي العظيم امتلأ قلبها بالحياة الشريفة وتدفقت حياءً على مظهرها، فليس للشيطان إليها سبيل، وهي بين نبيّين، فانعدمت الصلات الأرضية. ﴿**قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ**﴾: كلام سيدنا شعيب عليه السلام هو كلام المكلَّف من الله تعالى، هنا طمأن سيدنا شعيب سيدنا موسى عليه السلام. ﴿**نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾: لو

---

[3] عن إيمان يقيني وشهود

أن سيدنا موسى ظلم القبطي بقتله لاشترك معه سيدنا شعيب بهذا الجرم إذ آواه وألجأه. وإن كلمة: ﴿**الظَّالِمِينَ**﴾ من سيدنا شعيب تبيِّن ظلم فرعون وقومه.

26- ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ**﴾: اقتحامه للسقاء وهو غريب وتعرضه لجميع الرعاء وهو وحيد. ﴿**الْأَمِينُ**﴾: على الأموال والأعراض، وهذه شهادة بعصمة هذا النبي الكريم عليه السلام من بنات نبيٍّ رسول أسمى وأعلى وأشرف من أن يكذبن أبداً ما دمن في حصانته عليه السلام

27- ﴿**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ**﴾: رغب سيدنا شعيب أن يجعل سيدنا موسى زوجاً لابنته لما رأى فيه من صفات، استعمال الصورة والحقيقة، فالكُمَّل وهم السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، أعمالهم كاملة بكافة الوجوه، وفيها نفع لابنة سيدنا شعيب عليه السلام أيضاً مع الاستغناء الكامل بالله، وعدم الاستغناء عن فضله تعالى. ﴿**عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ**﴾: والحجج: جمع حجة وهي السَّنَة، إن أكبر طموح للرسل والأنبياء أن يبلغ الإنسان هذه الشهادة العليا، ألا وهي الحج، فيستنير بنوره تعالى وتتفتّح بصيرته فيرى الخير خيراً والشر شراً ويحصل له عرف بأسماء الله الحسنى. ﴿**فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا**﴾: أي أن مدّة الثماني سنوات هي المهر الذي كان متعارفاً عليه في ذلك الحين، والعشر سنوات لكي يعطي سيدُنا شعيب سيدَنا موسى علومه كاملة إذ أن سيدنا شعيب شاهد سيدنا موسى وصدقه وطموحه وأنه سيبلغ المنازل العليا، أي سيصبح من حملة العرش وأن رسالته ستبقى آلاف السنين. وما مثل الفرق بين الثمان سنوات والعشر سنوات إلا كمثل طالب نال شهادة جامعية أو أكمل دراسته حتى ينال شهادة الدكتوراه. ﴿**فَمِنْ عِنْدِكَ**﴾: خيَّره حيث أن الاختيار له ولا إكراه. ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾: لك. أي ستنال ما تناله وتغرف ما تغرفه من علوم بالله تعالى خلال هذه السنوات ما يؤهلك لتتنزَّل عليك الرسالة.

28- ﴿**قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ**﴾: أي أكون قد أدَّيت المهر. ﴿**وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾.

29- ﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ**﴾: التجلي الإلّهي. ﴿**نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا**﴾: هذه النار هي نار حُبِّه لله، مثَّلها له الله تعالى صورة أمامه. ﴿**لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ**﴾: فلابد أن النار حولها من أوقدها، أي ليسألهم عن الطريق. ﴿**أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾: تتدفَّؤون.

30- ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا**﴾: سيدنا موسى عليه السلام. ﴿**نُودِيَ**﴾: أتاه النداء من قبل رب العالمين. ﴿**مِنْ شَاطِئِ**﴾: من شاطئ سيدنا محمد ﷺ، رسول الله بالأزل سما وعلا وأقبل على ربه إقبالاً فاق به كل السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، وقد شاهدوا سموَّه وسبقه وعلوَّه عليهم، وهم لم ينقطعوا عن الله لذلك هم بشهود دائمي، وميثاقهم أن يكونوا معه، قال تعالى: {**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ**}[4] إذاً: الرسول النبيّ الأميّ، هو الوادي الأيمن وسيدنا موسى على شاطئه. ﴿**الْوَادِ**﴾: لكل نفس وادٍ، والنفس تسري بوديان كثيرة، وسيدنا موسى بالوادي المقدس طوى. ﴿**الْأَيْمَنِ**﴾: هناك يُمن وأيمن والأيمن، وسيدنا موسى عليه السلام وصل لشاطئ الوادي الأيمن لذلك ظلَّ سيدنا موسى عليه السلام ألوف السنين يتلو كلام الله

---

[4] سورة آل عمران – الآية:81.

على الناس إماماً[5]﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾: مكان دخول الرسل والأنبياء على الله من الشجرة المحمدية، فلكلٍّ مدخل، سيدنا موسى ارتبط بسيدنا هارون أولاً ثم بسيدنا شعيب وبعدها بالشجرة المحمدية. ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: تحويل من حال لحال ليسلِّمه الرسالة، مملكة رسول الله ﷺ حَوَتْ كل الجنان، وسيدنا موسى عليه السلام شاهد جمال وجنات رسول الله فهام به عليه السلام، فقال له رب العالمين يا موسى أنت رسولي مثله، تعال عندي وأنا أعطيك، هو بالحال وأنت بالحال والقال، دخلت مقامه رفعناك وفتناك فتوناً.

سورة القصص: [31-40]

31- ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾: سيدنا موسى عليه السلام بوادي الطهارة، بالوادي المقدس طوى، يطوي الكمال طيّاً فمن حال لحال أعلى، وهو بمحادثة مع الله تعالى وأثناءها جرت هذه الحادثة حيث انقلبت العصا لِحَيَّة، سيدنا موسى يعرف أن هذه من أعمال السحرة، والسحرة بوديان الانحطاط والنجاسة، لذلك خاف لأنه عليه السلام طاهر ويكره وينفر من هذه الأشياء، كمن استحم وخرج إلى الشارع فشاهد جيفة تراه يهرب من قذارتها وروائحها النتنة، لذلك وصف الله تعالى حاله وطهارته وطهارة الأنبياء صلوات الله عليهم فقال: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ خوفاً من النجاسة ومدبراً إلى الله بالتجاء حتى يبقى له هذا الحال العظيم مع ربه وتطول معه المحادثة.

32- ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾: ضع يدك على صدرك فتخرج بيضاء حيث الصدر مستقر النفس، اليد دليل العمل، والرسل والأنبياء الكرام أعمالهم كلها عالية. سيدنا موسى عليه السلام سيقف موقفاً عظيماً، سيقف أمام فرعون الطاغية، لذلك أمره الله تعالى بأن يتذكر أعماله العالية، فقال له اسلك، أي: سلّك في نفسك أعمالك العالية شيئاً فشيئاً "تذكرة"، وبهذه التذكرة نفسه تكسب ثقة كبيرة فتقبل على الله إقبالاً عظيماً. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: على الناظرين إليها، كل من ينظر إليها لا تؤذى عيناه رغم أن نورها أقوى من نور الشمس ومع ذلك جميعهم يستطيع النظر إليها، والله بهذه الآية رحمة منه أراهم شيئاً من نور الآخرة على يد سيدنا موسى لعلهم يؤمنون. ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾: الجناح يطار به، فنفس رسول الله ﷺ الشريفة هي الجناح الذي يُطار به لله تعالى فهو يطير بالمقبلين بمعيَّته إلى الله، قال تعالى لرسوله: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[6] سيدنا موسى لا يستطيع تحمل هذا الإقبال العالي على الله تعالى لوحده دون منظم ووسيط، لذلك أمره ربه قائلاً: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [7]: أي: ارتبط برسول الله محمد ﷺ. وذلك حتى يستطيع التَّحمُّل، إذ ستحصل له رهبة عظيمة من لقاء الله سبحانه وتعالى. ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾: مشاهدات عظيمة كبيرة لها رهبة وعظمة في نفسه عليه السلام. ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾: اليد والعصا. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: خارجون عن الحق.

33- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾: المحادثة مع الله سبحانه وتعالى، سيدنا موسى قتل من قوم فرعون قتيلاً وعندما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون، قال سيدنا موسى لربه

---

[5] انتقل جسماً عليه السلام، لكن وظيفته القلبيّة سارية دائماً وهو إمام العالم "يقيم الصلاة للمؤمنين والأتقياء" حتى ظهور رسالة سيدنا عيسى الذي تولى هذه الوظيفة، وأصبح هو الإمام ومن ثم حتى ظهور سيدنا محمد ﷺ.

[6] سورة الشعراء – الآية:215.

7 وهذه مشروعية ضم اليدين إلى الصدر في الصلاة تعبر بحقيقتها عن الارتباط برسول الله ﷺ حتى تحدث الصلاة للمصلي على حقيقتها ويتم بمعيّة رسول الله ﷺ الدخول على الله.

يا رب أخاف أن يقتلوني، وبهذا يطلب المعونة منه تعالى، الرسل والأنبياء دائماً مفتقرون إلى الله تعالى لا يرون لأنفسهم حولاً ولا قوة، وبهذا الخطاب يطلب عليه السلام من الله العون وتهيئة أسباب الهداية لفرعون وقومه.

34- ﴿**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ**﴾: المؤمن يحب الخير للجميع. أثناء عودة سيدنا موسى من عند سيدنا شعيب طلب منه تعالى الذهاب إلى فرعون، فأحب عليه السلام أن ينال سيدنا هارون الخير والأجر من الله، فطلب من ربه أن يرسله معه ويرافقه. ﴿**رِدْءًا**﴾: وهذه الكلمة مشتقة من ردَّ ورأى، والمعنى أن سيدنا موسى عليه السلام طلب أن يكون سيدنا هارون معه ليردَّ عنه ما يراه من إعراض وكفر وانحطاط فرعون وقومه.

﴿**رِدْءًا**﴾: ترتكز نفسي عليه حينَ توجهي للمعرضين فرعون وقومه بقصد هدايتهم، فأعمالهم السوء جعلت نفوسهم سوداء منحطة، وبكلام سيدنا موسى معهم سيضيق صدره عليه السلام من رؤية حالهم هذا فلا يستطيع الكلام، عندها ينظر بسيدنا هارون فيرى الأنوار والتجليات الإلٓهية والجمال عليه، وبهذا يستعيد قوته ونشاطه ويعود عليهم مرة أخرى، فسيدنا هارون بهذا الموقف بالنسبة لسيدنا موسى محطة للراحة واستعادة للقوى أو كالواحة وسط الصحراء أو كالزهرة يشمها في كل حين. ﴿**يُصَدِّقُنِي**﴾: ينطبع به الحق كلام الله، فالتصديقُ هنا ليس بالقول وإنما بالقلب، حيث سيخط سيدنا موسى أنواراً وتجلياتٍ وحقائق أسماء الله الحسنى في نفس هارون عليه السلام. ﴿**إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ**﴾: فرعون وقومه.

35- ﴿**قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾: الخير يستجيب له الله تعالى مباشرة، والشر يؤجله مالم يجزم المخيَّر. ﴿**وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا**﴾: أنا معكما. ﴿**فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآَيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾: قانون عام، {**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**}[8]: النصر لهم وملازمهم وكل من اتَّبعهم بإحسان، له هذا.

36- ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ**﴾: جاءهم من ربِّه ببيان عالٍ سامٍ منطقي، بيَّن أنه عليه السلام رسولٌ من عند الله. ﴿**قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ**﴾: ما نظروا بكلامه، ببيانه، ما فكروا بدلالته، لو فكروا ما قالوا هذا.

37- ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾: لأنفسهم، الذي ظلم نفسه ما عرَّفها على الله لا يفلح، لا يناله خير، الخير من الله، إن فكرت وآمنت صبَّ عليك الخيرات، قد أفلح المؤمنون.

38- ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى**﴾: سيدنا موسى عليه السلام نبي ورسول عظيم وكان متبنى فرعون، أثَّر فيه بأحواله وأنواره وبلغ فرعون معه عليه السلام أحوالاً قلبية عالية، وبهذا التأثير نوى فرعون الإيمان وطلب من هامان أن يبني له صرحاً، أي: بيتاً من طين فيه ألواح زجاجية صافية حتى يرى السماء وما فيها من آيات من خلال نوافذ الزجاج وهو جالس في هذا البيت، فهو رجل كبير بالسن، وللوصول للإيمان بالله لابد من النظر في السماوات والتفكير بها. ﴿**وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾: تراجع عمَّا نوى وقال هذا عندما قام قومه "حاشيته" ووقفوا بوجهه، فخاف على ملكه وسلطانه أن يذهب منه، فقال إني لأظنه من الكاذبين، وقفوا ضده مثلما وقف ضدهم عندما تكلم معهم سيدنا موسى عليه السلام في اللقاء الأوَّل وأثَّر فيهم وشاهدوا عن طريقه ما شاهدوا من الحق.

---

[8] سورة المجادلة – الآية:21.

39- ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ﴾: استكبروا عن طاعة الله والرسول. ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: ما كان لهم أن يستكبروا، فلا فعل لهم ولا حول ولا قوة، جاؤوا عراة وسيخرجون عراة. وقد تبيَّن لهم أن سيدنا موسى مرسل من الله. ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾: سبب استكبارهم أنهم ما فكروا بالموت والرجعة لعنده سبحانه وتعالى. لو فكروا بالموت لخافت نفوسهم واستطاعوا التفكير بالكون وآياته، لكن ما فكروا لذلك ظنوا هذا الظن.

40- ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: أغرقوا في البحر. ﴿فَانْظُرْ﴾: أيها الإنسان اعتبر بمن سبق. ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: الذين ما ساروا بالحق ظلموا أنفسهم، عصوا الله ورسوله فحرموا أنفسهم من السعادة والجنة وجاءهم الهلاك.

سورة القصص: [41-50]

41- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾: حسب طلبهم صاروا أئمة الكفر. ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾: هكذا حالهم، كل من سار على نهجهم "بكل زمان فهو من آل فرعون" وسيلقى نفس مصيرهم، صاروا قدوة يهدون إلى النار لـمَّا ظلموا. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾: لا ينصرون لضرورة المداواة، ذهبوا للآخرة ولا عمل صالح لهم، فيحترقون والله يداويهم بالنار.

42- ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: بعداً عن الله بسبب كفرهم وإعراضهم وإنكارهم. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾: بلباس أعمالهم القبيحة لنفوسهم، بسبب روائحهم النتنة وأمراضهم المضنية وعللهم الخبيثة، فتراهم أذلّاء منكسرين.

43- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة، كان يتنزل من قبل الصحف. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾: تنزَّلت التوراة على موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون وملئه. ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ربَّهم وأسماءه الحسنى.

44- ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾: في مصر، لما أُغرق فرعون. ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: ما الذي جرى.

45- ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: تداولت الأيام. ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: الذين التجأ إليهم موسى عليه السلام. ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: الآن. ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: ولكنك مرسل مِنَّا إلى الناس.

46- ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾: حين ناجينا موسى، لَـمَّا كلَّمنا موسى. ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: أنزلنا إليك هذا البيان. ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: نذير مثلك. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: فضلنا عليهم فيؤمنون.

47- ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: ولولا عطفنا وحناننا على هذا الإنسان، حينما تصيبهم سيئات ما عملوا. ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: لولا بيَّنتَ لنا على لسان رسولك. ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بك.

48- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام. ﴿الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: بكلام الله. ﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾: أرادوا منه المعجزات. ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾: كفروا بعد المعجزات. ﴿قَالُوا سِحْرَانِ﴾: لم يجدوا ما يبرر إعراضهم إلا أن قالوا سحران. ﴿تَظَاهَرَا﴾: اتفق مع السحرة. ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾.

49- ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾: التوراة كلام الله، القرآن هذا البيان كلام الله، وكلاهما يهدي إلى الحق والسعادة والفضيلة، وكل قول لا يُقبل ما لم يرد بكتاب الله، هل من كتاب غير كتاب الله يدعو للمودّة والإنسانية والرحمة؟! ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: بطلبكم للحق.

50- ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: سبب إنكارهم وكفرهم أنهم لأهوائهم متبعون، يريدون الدنيا لا الآخرة. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾: لنفسه. أضل نفسه عن السعادة التي خلق من أجلها. ﴿مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾: لا يريد السير على كلام الخالق بل على كلام المخلوق لأنه يوافق هواه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الذي ظلم نفسه، ما آمن، كيف يهديه الله؟! كالمريض الذي لم يذهب للطبيب فهل يخلص من علته؟

سورة القصص: [51-60]

51- ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾: قول الله العظيم المُنزَّل على رسول الله ﷺ، فلم يبقَ لأحد من حجة، الصادق بطلب الحق والحقيقة يتبع ويهتدي، الكاذب ينكر. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: فضلنا وإحساننا عليهم فيقبلون على الله بمن جعله الله هادياً لهم وسراجاً منيراً.

52- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾: لأن القرآن والإنجيل والتوراة كلهم سواء في الحق لكن القرآن أكثر تفصيلاً. كثيرون جاءهم الهدى آمنوا وانطبع الحق بنفوسهم.

53- ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: شهد لهم رسول الله ﷺ فآمنوا. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾: شاهدوا بيانه، كلامه ودلالته من الله. ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾: لله. كله رحمة، حنان، عطف. من آمن حقاً وبما انطبع في نفسه من الحق إذا سمع بكلمة عن رسول الله ﷺ صدّقها كل التصديق، إذ يجدها مطابقة لما في نفسه، فبكماله يشهد طرفاً من كمال رسول الله ﷺ، وبما اصطبغ به قلبه من الحق يرى الحق الذي جاء به رسول الله، فيصدِّق بكلمات الله ورسوله ويصدِّق بالحق وأهله.

54- ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: في الدنيا والآخرة. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: على أنفسهم، جاهدوا فيها وصبروا على إخوانهم حتى آمنوا. ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: يعامل الخلق كلهم بالإحسان، يقابل السوء بالإحسان، ولكل ما يناسبه وعلى حسب الحكمة. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: ينفقون من علمهم ومالهم وجاههم، يعملون المعروف ليزدادوا إقبالاً على الله وصلاة.

55- ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾: الباطل، ألا كل ما خلا الله باطل. ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾: لأنهم عرفوا أن الدنيا فرصة ثمينة، فلا يضيّعون أوقاتهم باللغو الباطل، بل بفعل المعروف والإحسان والإقبال على الله. ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾: المؤمن يبتعد لئلا يلوث نفسه، الكافر نفسه كلها شهوات منحطة، تارك الصلاة لا خير فيه، المؤمن بغيته الله وما عنده، لذلك يبتعد عن اللغو وأهله ويترك بسلام.

56- ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: من رحمته ﷺ بالناس يتطلب هدايتهم، فأخبره الله تعالى أن الاختيار للإنسان ذاته ولا إكراه بالدين. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: كل من شاء الهداية هداه الله، الاختيار بيدك أيها الإنسان، فما دمت مستسلماً لشهواتك غير طالب الهداية والحق بصدق فلا يمكن أن تهتدي. إن شئت الهداية والاستقامة، ووجد ربُّك فيك الصدق رزقك مشيئة الاستقامة وهداك إليه، وهذه الآية تبيّن عدل الله في خلقه ورحمته بعباده، فلم يخص سبحانه بفضله أحداً، بل جعل نيل الفضل والجنة متوقِّفاً على مشيئة الإنسان واختياره. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: بطالبي الهداية لأنفسهم. أي الصادقون

بالطلب الذين بصدقهم سيسلكون بطريق الحق لا يبدِّلون ولو أطبقت عليهم أمم الأرض، ولهؤلاء الصادقين الشأن والنصر.

57- ﴿**وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**﴾: ما لم يؤمن الإنسان بالله إيماناً ذاتياً شهودياً يرى مع الله آلهة كثيرين، ويظن أن للمخلوق حولاً وقوةً وفعلاً؛ يَقتل، يُفقِر، يَسجن، لو آمنوا بالله المسيِّر ما قالوا هذا. ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا**﴾: رَدَّ أبرهة عن الحرم. حين يدخلون الحرم، يحرم القتل والنهب. ﴿**يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: لا إلَه إلا الله ما آمنوا بها، إيمانهم نقلاً لا عقلاً. {**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**}[9].

58- ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا**﴾: حين تفاخرت في الزينة والمال فأفسدت. ﴿**فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ**﴾: أين من سكن قبلك وحكم؟ ألا تفكر بمن سبق، هل من فعلٍ وحولٍ وقوةٍ لهم أما ماتوا؟ هو سبحانه وحده الفعَّال والمسيِّر، جاؤوا للدنيا وتمتَّعوا، أكلوا وشربوا وتزوَّجوا ثم ماتوا وتركوا كل شيء.

59- ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى**﴾: بإنكارهم الحق واتباعهم أهواءهم استحقوا الهلاك. ﴿**حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا**﴾: لا يهلكها ويدمِّرها حتى يرسل لهم رسولاً ينذرهم ويبيِّن لهم. كل الأقوام التي أُهلكت كان فيهم رسول دلَّهم وأنذرهم، لكن لـمَّا لم يستجيبوا جاءهم الهلاك. ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِنَا**﴾: الدالة على لا إلَه إلا الله، بيَّن لهم كلام الله الحق، دلَّهم على الإيمان والتفكير، وبيَّن لهم أسماءه تعالى الحسنى وأنه لا ظلم في الكون. ﴿**وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾: لأنفسهم، ما ترك الله سبحانه لهم طريقاً للهدى إلا واتبعه معهم، بالإكرام والإنعام ما ساروا، كذا بالشدة ما ساروا وأنكروا، إذاً لابد من الهلاك.

60- ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾: مال، منصب، جاه، مساكن، قصور، نساء. ﴿**فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا**﴾: كلُّهُ سيزول عنك وتتركه، مؤقت، ففتش عن الباقي. ﴿**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾: باقٍ ودائم، موجود لا حدَّ ولا نهاية له. ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾: زيَّن الله سبحانه الدنيا، وجعل ما جعل من زينة للنفس لا من أجل أن يغرق الإنسان بها وينسى ربَّه، هذه الزينة جعلها الله لتكون سبباً ووسيلة لك أيها الإنسان لتقبل بها عليه تعالى، حيث بجهاد نفسك بها إن كانت لا ترضي الله، تغدو أنت ذا وجه أبيض فتقبل على الله وبعملك العالي تنال الجنة.

سورة القصص: [61-70]

61- ﴿**أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ**﴾: رسول الله ﷺ وآله الكرام البررة لهم جنتان، جنة بالدنيا وجنة بالآخرة. ﴿**كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: حبَّاب الدنيا طالبها أعمى عمَّا سواها من جنات وسعادة. ﴿**ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾: من سجن القبر ورعبه وآلامه، هذا الإنسان الذي كرَّمه الله على العالمين ورفع شأنه حتى فوق الملائكة ينقلب عبداً مجرماً جاثياً مكلَّلاً بالعار على مشهد الخلائق يُحضر موجوداً، ما أعظمه من ذلٍّ وما أكبر حقارته يومئذ! هذا حال من تَمَتَّعَ بدنياه يُساق موجوداً إلى النار، لـمَّا يرى دناءته وما عمل من سوء ويرى ما ضيَّع على نفسه وما خسر مما أعدَّه الله له، هنالك تلتهب نفسه بنار الحسرة والندم فيطلب النار لتنسيه ما به من آلام، فَيُساق إليها.

[9] سورة يوسف – الآية:106.

62- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾: الذين كنتم تسيرون بدلالتهم، هذه عبادة الآباء والأجداد، ساروا على كلامهم دون مطابقته لكلام الله، أشركوا مع كلامه تعالى كلام الأجداد. ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنهم أهل علم ومعرفة، فأنكرتم كلامي ودلالتي ورسولي وسرتم على ما شرّعوه لكم من دينٍ مالم يأذن به الله.

63- ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: هؤلاء هم الشركاء المزعومون الذين صَدَقوا للدنيا الدنيَّة وصمُّوا أبداً. الضالُّون الـمُضِلُّون المبتدعون المخترعون القادة إلى الدنيا أئمة النار. أعرضوا فلم يُقبلوا على ربهم أبداً، أما الفكر والمصير والنهاية المعروفة فلم ينظروا إليها بل عَمُوا عن مستقبل ما بعد الموت واندمجوا بالدنيا وسُرُّوا بها، تعشَّقوها ولم يلتفتوا لما سواها فضلُّوا وحبطت أعمالهم. ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾: زيَّنا لهم الدنيا وشهواتها فاتبعونا وساروا معنا في الضلال، كانوا نفوساً كالبهائم لا ترى إلا اللحظة الحاضرة ولذّتها، فلم يفيدوا من فكرهم الذي يؤدي لعقلهم والخشية من النتائج والعمل لها قبل حلول الوبال عند الموت. ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾: شاهدوا كافة النفوس التي قضوا عليها فحكموا بذلك على أنفسهم وعلموا ما جلبوا عليهم من بلاء وتعس، لأن ذلك سبق وجرى عليهم واعترفوا بضلالهم وأنه سبب إضلالهم. ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾: والآن اكتشفوا الحقائق وشاهدوا أنه ما كان أحد حقاً يحبهم حباً مجرداً بل لاستغلالهم، هنالك تبرَّؤوا. ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾: نحن زيَّنا لهم فلحقونا لخبث نفوسهم اتبعوا أهواءهم. والحقيقة أنه لولا خبث نفوسهم ما تركوا الله واتبعوهم وساروا معهم، الخبيث يلحق الخبيث، هذا قانون.

64- ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: كل واحد منهم ملتهٍ بآلامه وأوجاعه، فلا أحد يلتفت لأحد. وتبيَّن أن لا فعل لهم، من شاهدها في الدنيا فاز وأفلح، ومن لم يشاهدها إلا في الآخرة "بعد الامتحان" كان من الخائبين النادمين، وسبب ذلك العمى لعدم سلوك سبل الإيمان ومشاهدة الحق في غير أهله. ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾: رأوا أن لابد من دخولهم النار علاجاً لهم وجزاءً على ما فعلوا. رأوا العذاب عندما توجَّهت واشتاقت نفوسهم لعلاج النار للخلاص من الحسرات والعار الذي ظهر لهم وبان. ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾: على هذه حسراتهم. لو أنهم تقبَّلوا الهداية وسلكوا مسالكها لوقوا ولكسبوا.

65- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: الله سبحانه وتعالى. ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾: أتتكم آياتي تُتْلى على رسلي من أجلكم لسعادتكم فما عبأتم وما استجبتم وما آمنتم، بل لكلامي ورسلي أنكرتم.

66- ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾: الأخبار. من لا يسلك النظم والقوانين التي رسمها رب العالمين فأعماله حسرات عليه، ومهما كانت صورتها عظيمة فنواياها سقيمة أرضية حين تنكشف حقيقتها. إن لم ينجح بالمشاهدة هنا فأنّى له أن ينجح هناك. ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: لا يلتفتون لحبيب، لأم، لأب، لصاحب، لِتَبَيُّن زوال الفاعلية، فلا عطف ولاحبّ، كلّه كان من الله وهم لم يؤمنوا، فما أعظم خسارتهم وحسرتهم لأنهم لم يؤمنوا!

67- ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾: الأساس: التوبة عن المنكر، عن المعاصي. التوبة: تغيير الوجهة، وإلّا فكل عمل ظاهره لله، باطنه للدنيا الدّنية. ﴿وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: إذن لا يتمّ الإيمان وعمل الصالحات إلا بعد تغيير الوجهة بالتوبة. ﴿فَعَسَى﴾: ما كل من دخل المدرسة خرج بالدكتوراه كثيرون ينقطعون. ﴿فَعَسَى﴾: إن صبر وصلّى وصابر ورابط فاتّقى الله. "وقليل من عبادي الشكور". فهم بإتمام التطبيق من أصحاب اليمين، أو لابد من علاجه إلا المتقين طالبي التقوى. ﴿أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾: المبصرين، أهلاً للعطاء الإلّهي.

68- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾: أهكذا يقولون! ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: ألم تكن لهم الخيرة؟!

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: يخلق العمل الذي يشاء تنفيذه. ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: يختار للإنسان ما كان اختار الإنسان لنفسه.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزَّه الله تعالى عن هذا بما أشركوا من قول مخلوق مثلهم، ينسبون إليه سبحانه الظلم لعباده.

والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى بالأزل عندما عرض عليهم الأمانة كان لهم الخيرة، لكن ضَيَّعوها بالشهوات والخيانة، لذا يخلق الله ما يشاء بناءً على ما بنفوسهم، أي: بما صمَّموا وأرادوا، وأنسب شيء لهم من أجل هدايتهم، فالموز أنسب شيء لزراعته في الساحل، كذلك أنت أيها الإنسان وَضَعَكَ ربك بأحسن بيئة لك وبالزمان المناسب لك، ولو اطَّلعت على الغيب لرضيت واخترت الواقع، فعلى حسب وضعك يخلق لك ربك، فهذا الذي خلقه لك وأرسله وما تَلَقَّاه وتجده من مرضٍ وفقرٍ أو عطاءٍ وإحسانٍ أنسب شيء لك، وعلى حسب حالك وما تستحق، فالأعمى أنسب شيء له العمى، والأعرج كذلك، وبهذا يزيل لك ربك كل العوائق والموانع التي تقف بطريق هدايتك ووصولك الجنة والسعادة.

وعلى هذا يكون ما نفهمه من هذه الآية الكريمة:

﴿وَرَبُّكَ﴾: يا محمد. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: فكل ما يجري هو أبدع ما يمكن، إذ ليس بالإمكان أبدع مما كان، إذ كله ضمن الحنان والحلم للرحمة وللعطف ابتغاء العطاء عند الانتهاء، أو الالتفات أو التوبة أو للبهاء. وإن لم يشاهدوا ذلك فلأن أحكامهم من مصدر عمى. إذن انظر بنور الله لوجه الله عندها تحكم، وتحمد ربك فلا تُعرض فتحكم غير الحق.

69- ﴿وَرَبُّكَ﴾: يا محمد ﷺ. ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: يُعْلِمُك ويكشف لك ما تُكِنُّ صدورهم من نوايا وما يعلنون من قول.

ما تخفي وما تعلن أيها الإنسان معلومٌ عند الله ورسوله. إذن عليك بالرابطة والاستنارة لتكون لك الحجة على الناس، فلا ينطلي عليك مكر الماكرين وخبث المندسين، فترحمهم ولعلك تنقذهم.

70- ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾: صاحب الأسماء الحسنى، كله سبحانه رحمة، حنان، عطف عليك أيها الإنسان. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا فاعل غيره، عندها تصل لفاتحة الكتاب وتدخل في رحاب مولاك، مولى رسولك العظيم. ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾: على كل ما يسوقه لخلقه. ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾: حكمه جارٍ على كل شيء بالحكمة والرحمة والحنان. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: بكل أموركم، كما تختار يعطيك.

سورة القصص: [71-80]

71- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: فكِّر بهذا. ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: ليل بلا نهار. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾: هل من أحد غيره سبحانه يأتيكم؟! ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾: كلام هذا الإلٓه العظيم الرحيم بكم.

72- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: نهار بلا ليل. ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: هل من أحد غيره يستطيع؟! هل من مسيّر غيره سبحانه يُسَيِّرُ الأرض ويُدوِّرها حتى يأتي النهار والليل؟! ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: ما في الكون من آيات، ألا تفكروا بهذا الكون العظيم لتعلموا أن لا إلٓه إلا هو، هو المسيّر الفعال فتؤمنوا به سبحانه وتعالى.

73- ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾: الليل لتسكن إلى الراحة بعد التعب، كم هذا الإلٓه رحيم بك، أليس بالليل النوم والراحة، لولا النوم ما حال الإنسان؟ والنهار لترى أعمالك. ﴿**لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾: بما قمتم به من أعمال صالحة تجعلكم تستطيعون الإقبال عليه سبحانه وتعالى.

74- ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾: أن لهم فعلاً وحولاً وقوة.

75- ﴿**وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**﴾: أرسل إليهم من يدلّهم منهم بالشكل والهيئة والصورة، وما استجابوا. ﴿**فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾: أين أعمالكم؟! أروني أعمالكم الصالحة. ﴿**فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾: غاب عنهم في الآخرة افتراؤهم الباطل الذي افتروه بالدنيا، وليس لهم أن يقولوا إلا الحق.

76- ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى**﴾: من بني إسرائيل. ﴿**فَبَغَى عَلَيْهِمْ**﴾: بغى عليهم بما في قلوبهم من مرضٍ وحب دنيا استطاع أن يؤثر عليهم بما أراهم من ذهب ومال. ﴿**وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ**﴾: شاهد معجزات سيدنا موسى وسمع دلالة الله منه عليه السلام، ولكن بدل أن يفكر ويؤمن بربه أحب الدنيا والمال، هو اختار وصمَّم على ما اختاره والله أعطاه ما شاء لنفسه. ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾: بالدنيا وما فيها.

77- ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ**﴾: اعمل المعروف والخير والإحسان. إن آمن الإنسان بربه إيماناً شهودياً جعل الدنيا وسيلة لآخرته، صار يعمل المعروف والإحسان لا بغية له إلا رضاء الله سبحانه وتعالى. ﴿**وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾: فالإنسان الحق هو الذي يجعل دنياه مطيَّة لآخرته ووسيلة لفعل المعروف والخير. ﴿**وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾: الذين يفسدون قلوب الناس بحب الدنيا.

78- ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾: ما رُزقته بفهمي وذكائي، أنا عملت وجمعت. فما قدّر نعمة هذا الرب الكريم وما تعرّف على مصدر هذا العطاء. ﴿**أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**﴾: يساقون سوقاً، فَلِمَ يُسألون وهم معروفون؟! كيف يُسأل وهو بحالة إسعافية؟! كالمريض المتألم وقد أحضرته سيارة الإسعاف وهو يصرخ من ألمه وذله وعاره، فهل يُسأل هذا أم يأخذونه للعلاج مباشرةً دون سؤال؟!

79- ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ**﴾: سار بالفساد بين الناس، أظهر غناه وما عنده ليفتنهم بالدنيا ويحوّلهم عن الله، ولتكون له الزعامة عليهم. ﴿**قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾: مُحبُّو الدنيا. ﴿**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ**﴾: مالت نفوسهم إلى ما عند قارون من مال. ﴿**إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾: بهذه الدنيا وبما عنده.

80- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾: بلا إلٓه إلا الله وأسمائه الحسنى. ﴿**وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾: ما أعدَّ الله لكم من جنات وسعادة خيرٌ من هذه الدنيا وما فيها وما عند قارون. ﴿**وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾: الذين صبروا عن شهوات نفوسهم وجاهدوا بأهوائهم، هؤلاء لهم العطاء من الله دنيا وآخرة.

سورة القصص: [81-88]

81- ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: لا ماله ولا دنياه نفعت حين البلاء ولم تمنع عنه ما حلَّ به، وجاءه البلاء بما قدمت يداه. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾: عندها.

82- ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾: تمنّوا ما عنده من مال ودنيا. ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾: إذا فيه خير. ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾: تعجّبوا كيف اشتهت نفوسهم ذلك، قالوا يا ويلنا لو كنا مثله لخسف الله بنا الأرض، الكافر مهما عمل واشتغل بالدنيا لا يفلح، أعماله لا توصله للسعادة بل بالدنيا شقي وبالآخرة نارٌ محرقة.

الذي فكر وآمن وصار له صلاة هذا هو الفالح، بالدنيا سعيد وبالآخرة له نعيم وجنات.

83- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا﴾: كل ما فيها من سعادة وجنات ونعيم مقيم جعلناها: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾: الذي يسمح لزوجه بالسفور والتزين أمام الرجال عمله هذا فساد لأنه بعمله هذا يجر المجتمع للزنا، كذلك لبس الذهب والحرير وبناء القصور والأبنية الضخمة إنما هو فساد لأنه يجر الفقراء لمثل هذا، فيسلكون السُبُل غير المشروعة لكسب المال. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: التقي لابد أن يرفع الله شأنه ويعلي جاهه بالدنيا، وفي الآخرة له الجنة على ما قدَّم من أعمال صالحة عالية.

84- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: الذي يدلُّ دلالة طيبة على الله. كل من آمن بربه وأحب رسوله وارتبط به هذا صار كلّه خيراً لا يتكلم إلا بلسان الرسول، صار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدلُّ الناس على الإيمان والتقوى. ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾: يضاعف الله له أجره حسب نيَّته، وفي الآخرة له أجرٌ عظيمٌ؛ عطاءٌ متنامٍ متزايدٌ لا ينقطع. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: كل من دلَّ دلالة رديئة، الذي ما آمن بربه ما صار له نور هذا أخذ عن الآباء والأجداد الذين قالوا: الأنبياء تخطئ، الله خلق هذا للنار وهذا للجنة. ويدلُّون الناس عليها "السيئة" ويحسبون أنهم مهتدون. ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: له جزاء كفاعلها.

85- ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾: رادُّك في كل زمان وعصر لتعيد وتتلو القرآن على كل مؤمن. الرسول ﷺ وظيفته باقية دائمة مستمرة، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾[10] ما من نفس تلتفت تجاه ربّها حتى تأتي وظيفته ﷺ معها، حياتي خيرٌ لكم ومماتي خيرٌ لكم، غابت صورته "جسمه الشريف" لكن حقيقته العالية "نفسه" باقية، ووظيفته تلاوة القرآن على كل مؤمن مصلٍّ حقاً يريد، فهو ﷺ يغمرك بالصلاة بأنوار وتجليات ربه ويقول لك الحمد لله، أي يتلو عليك الفاتحة وتشهد بنوره معانيها. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: هو سبحانه يدلُّك عليهم ويرشدك لإنقاذهم وهدايتهم، يُعلِّمكَ بعلمه سبحانه.

كان رسول الله ﷺ يكرر القرآن فأخبره تعالى أن بإمكانه تبيانه كلما شاء فقد طبع في قلبه. رسول الله ﷺ نال من ربه الكثير، نال جنات كبرى وسعادة وشاهد من ربه ما شاهد من أسمائه الحسنى، فأحب واشتهى ما نال لإخوانه، فأرسل الله له القرآن وجعل تلاوته بمعيَّته على مرِّ الأجيال والدهور، لأن نعيمه ﷺ وسعادته بإنقاذ الخلق وهدايتهم، وبسبب رحمته أصبح هذا فرضاً عليه، وبهذا حقق الله تعالى طلب رسوله الكريم.

---

[10] سورة البقرة – الآية:148.

86- ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾: نظر ﷺ بأهل قريش فشاهد ألا أمل فيهم وبهدايتهم، فهم كأرضٍ صخرية لا يمكن الزرع فيها، كذلك فهم لا يمكن أن يؤمنوا معه ولا طريق لهم للهداية، لذلك ما كان يرجو ﷺ أن يُلقى إليه الكتاب، لأن التنزيل من الله لأجل الناس وإرشادهم وهدايتهم لا من أجله ﷺ. ظلَّ معهم ثلاث عشرة سنة حدثت غزوة بدر ولم يستجيبوا، ثم غزوتا أُحد والخندق، وظلُّوا على كفرهم وإعراضهم، ثم بصلح الحديبية وضعوا عليه شروطاً، وبغزوة حنين بعد أن كُسِرَ المسلمون أوَّل القتال انقلب أهل مكة على رسول الله، وقالوا: مكة عاصمة العرب، وقد ظن محمد ﷺ أنه لا يوجد من يدافع عنها. لذلك كُلّه كان ﷺ لا يرجو أن يُلقى إليه الكتاب. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: كل الخير من الرحمة، نتيجة الرحمة يتولّد العمل، ولولا رحمة الأب والأم لما احتملوا تربية أولادهم، فكيف بمن هو رحمة للعالمين وقد شهد الله به: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ}**[11] وقد شرَّب الذين آمنوا معه هذه الرحمة، فما عرف العالم فاتحاً أرحم منهم. الكبار ما آمنوا لكن الصغار[12] آمنوا معه، الرسول لا يعلم الغيب، لا يعرف أن هؤلاء الصغار "الجيل الناشئ منهم" سيؤمنون وما كان ذلك بحسبانه، دلَّهم على الإيمان فآمنوا؛ دلَّهم على الإنفاق فأنفقوا، وعلى التفكير بالموت وبالكون ففكروا، حتى أيقنت نفوسهم بالموت وعقلوا لا إلٰه إلا الله، فالاستجابة كانت من الذرية، وما كان أصحاب محمد ﷺ إلا شباباً. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾: لن تكون. الآن بعد إيمان الصحابة أمره الله أن يَشُدَّ على أهل قريش، حيث كان ﷺ في البداية يلاطفهم، لكن الآن أمره الله بأن يحاربهم حتى يؤمنوا ويهتدوا.

87- ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾: لن تُصَدَّ، هل هناك يد أخرى معه سبحانه؟! هو الناصر. ﴿عَنْ آَيَاتِ اللَّهِ﴾: آيات الله: هي الآيات الكونية كالشمس والقمر والنجوم والكواكب والبحار كلها آيات دالة على رحمته وقوته سبحانه وتعالى. ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾: لكل شيء صورة وحقيقة، ولهذه الآيات الكونية حقيقة نالتها من الله تعالى، وحقيقة الآيات تنزل على كل من فكر بها وآمن بربه، صحابة رسول الله ﷺ شباب بسرعة آمنوا بالآيات وشاهدوا حقيقتها وأنوارها التي نالتها من الله، بعد إيمانهم هذا يتلوها عليهم رسول الله ﷺ، لكن تلاوته ﷺ بالتجلي الإلٰهي وأسمائه الحسنى، يعيدها عليهم بأنوار كبرى وعظمة غير التي شاهدوها من قبل بإيمانهم الذاتي، فهم شاهدوا نورها، أما مع رسول الله ﷺ يشاهدونها بالتَّجلي العظيم، فينطبع الحق بأنفسهم وتصبح مُلْكاً أبدياً لهم لا تزول عنهم، وما من أحد بمستطيع أن يصدَّهم عن هذا الإيمان لأن الاختيار لهم، والمؤمن لا أحد يقف بوجهه أو ضده، فقانونه غير قانون البشر، وقوانين البشر لا تنطبق عليه. ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾: الرسول لا يدعو لنفسه، لا يدعو إلا لله، وكل ما جرى معه بحياته من قصص وما قام به من عمل لا غاية له فيه إلا رضاء الله، مقصده ربّه فهو في بحور الإلٰه العظيم، لذلك أمره الله بالتكلم عن قصصه والتحدث عن أعماله، إذ بهذه القصص التي يسمعونها منه يصبح لهم تقدير ومحبة له، وبهذا التقدير والحب يرتبطون به ﷺ، فهو مغمور بربه وهم بالتبعية يُغمرون بالله جلَّ وعلا وتتفتح بصائرهم، فقصصه وأعماله كلها تدل على الله، على لا إلٰه إلا الله، وبها يدعو إلى الله لا لنفسه، والله أمره بالتحدث عنها. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لن تكون من المشركين. (اللا) هنا نافية: نفت الشرك عن رسول الله ﷺ، أي: لا يمكن أن تقع أنت بالشرك، أنت لا يمكن أن تكون من المشركين. فهو ﷺ مغمور بنور ربه **"والذي نفس محمد بيده"**.

---

[11] سورة آل عمران – الآية:159.

[12] الجيل الثاني فهم من الشباب، "أبناءهم" وليس المسنين

88- ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**﴾**:** أيها الإنسان، الخطاب انتقل من الرسول إلى المستمعين له ﷺ، أي**:** لا تسمعوا غير كلام الله، الذي يسمع عن غير الله هذا شرك، الذي يفتي من عنده لا من كتاب الله هذا شرك، كتاب الله لا تتركه وتأخذ من غيره من كتب الدسوس، اسمعوا لبيان رسول الله ﷺ، لا تتركوه وتتوجهوا لكلام غيره. ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾**:** لا مسيّر ولا فعّال غيره. ولا يأتيك بالخير ويسوقه إليك إلا هو سبحانه وتعالى. ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ**﴾**:** في الدنيا والآخرة، وما يناسبك يسوقه إليك بالحكمة. ﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾**:** غداً للسؤال والحساب والجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العنكبوت: [01-10]

1- ﴿الٓمٓ﴾: أحمد، لطيف، محمود: بهذه الأحرف أراد الله تعالى أن يفكِّر الإنسان ليصل إلى سبب وجودها في القرآن، وضعها سبحانه وتعالى حتى يفكِّر الإنسان ويقول لنفسه كل شيء له معنى فما معنى هذه الرموز؟ ولماذا وضعها الله تعالى؟ يا أحمد الخلق، يا لطيفاً: إذ يعرج بالأنفس المرتبطة به بلطف، يا محموداً عندي وعند الخلق.

2- قل لهم: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾: لا يكفي أن يؤمن المرء كما آمن الناس من قبل، بل يجب أن يفكر هو بنفسه ويستنبط. الكل يقول أنا مسلم وأبي وأمي مسلمان، والحمد لله على نعمة الإسلام. يقولون الحمد لله أننا لم نخلق ببلاد الغرب عند النصارى وخلقنا ببلاد المسلمين، وهو يسرق وينهب ويزني ويقول غداً نبينا يشفع لنا، هذا الإيمان المنقول عن الآباء والأجداد لا قيمة له، فهو لم يحجزهم عن الوقوع في الشهوات والمحرمات، ولا فرق بينهم وبين من يصفونهم ويسمونهم كفاراً. أعمالهم وارتكاباتهم واحدة وعلى نفس المسرى "والكل بالهوى سواء"، وإذا كان الأمر كما يدَّعون فغداً الأجنبي والشيوعي يحتجون ويقولون لماذا لم يخلقنا الله ببلاد المسلمين؟ ولله الحجة البالغة! والحقيقة أن ليس للإنسان إلا ما سعى، لابد من السعي للإيمان وأن يؤمن حتى لا يفتن ويقع بالمحرمات.

3- ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾: من صدق فمعلوم عند الله صدقه. ﴿**وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾: سيظهر كذب الكاذب.

4- ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ**﴾: أيظن أن المؤذي يستطيع أن يفعل ما يشاء! الذي أعماله كلها أذى بأذى بالأموال والأعراض. ﴿**أَنْ يَسْبِقُونَا**﴾: أن الله سبحانه غير مطّلع على عمله، ويسبق إرادة الله الخيّرة ويغلبها فيطفئ نور الله! ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[1] ﴿**سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾: يريدون أن يمحوا دين الله ويقضوا على الحق وأهله، حاولوا فما استطاعوا، وبالعكس الحق سوف يعمُّ ويهيمن على العالم وهذا قريبٌ. أعمالهم ونواياهم هذه ألا تسوؤهم؟ سوف تعود عليهم بالسوء والذل والشقاء بالدنيا قبل الآخرة.

5- ﴿**مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ**﴾: الصادق في طلب الحق. لقاء الله: التقوى، والتقوى هي مشاهدة وجه الله الكريم والتيقن من رحمته وحنانه ونوره. ﴿**فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ**﴾: لابد وأن الله تعالى يوصله لطلبه، الإنسان إن صدق في طلب الحق والتقوى لابد وأن الله تعالى يعطيه طلبه، وغير الصادق يصيبه العذاب، أما إن كان صدقه قليلاً وضعيفاً فالله سبحانه يرزقه الصدق وذلك إن فكَّر بالموت، فإذا خافت النفس وتيقنت بالموت، يزول الحجاب بينها وبين الله. الله سبحانه وتعالى لا يختبِئ ولا يخفي ذاته عن أحد، لكن الإنسان جعل الدنيا وشهواتها حجاباً بينه وبين الله. فهو سبحانه وتعالى الأول والآخر والظاهر والباطن، معك بجسمك وبكل ذرة من ذراتك. ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ**﴾: لما تقول، السميع لقولك أيها الإنسان. ﴿**الْعَلِيمُ**﴾: عليم بحالك وما يناسبه. لكن ما هو الطريق للوصول للإيمان والتقوى؟

[1] سورة التوبة – الآية:32.

6- ﴿**وَمَنْ جَاهَدَ**﴾**:** ابتعد عن الشهوات، لا يجاهد الإنسان إلا بعد الإسلام فالإيمان، لأنه صار أهلاً للجهاد. ﴿**فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ**﴾**:** العائد لها وعليها. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾**:** لا يريد إلا سعادتك.

7- ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا**﴾**:** بلا إلَه إلا الله، آمنوا أنه لا مسيّر ولا فعَّال في هذا الكون غيره سبحانه. ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾**:** شرط الإيمان العمل الصالح لكل الخلقْ. ﴿**لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**﴾**:** لنمحونَّ من أنفسهم ما يسوءهم. لا نريهم ما وقع منهم من جهالة، وذلك بأن نجري على أيديهم أعمالاً عظيمة تغطي سابقتها. ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾**:** ليس لهم إلا النعيم والإكرام.

8- ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا**﴾**:** لابد من الإحسان للوالدين، هم بدؤوك بالإحسان. ﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا**﴾**:** إلا أن يأمراك بمعصية أو مخالفة، فليس لأمرئ طاعة في معصية الله. ﴿**إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾**:** كل إنسان سيرى عمله وما سيعود عليه.

9- ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ**﴾**:** يميلون لأهل الكمال. يدخلون في الآخرة الجنة متآلفين فيما بينهم، صالحين للعطاء الإلَهي.

10- ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ**﴾**:** في غزوة أحد وما حصل لهم من هزيمة. ﴿**جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ**﴾**:** إن أصابه من الناس شيء، ظن أن ما أصابه هو من الناس لا من الله[2]، لم ينظر إلى ما في نفسه من حب للدنيا. ﴿**وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ**﴾**:** وإن أصابكم حسنة. ﴿**لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ**﴾**:** قالوا كانت بسببنا نحن سعينا. ﴿**أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ**﴾.

سورة العنكبوت: [11-20]

11- ﴿**وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾**:** معلوم عند الله من آمن. ﴿**وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ**﴾**:** سيظهر نفاق المنافقين.

12- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا**﴾**:** يدعون الناس إلى الخطيئة، الكافر يتمنى أن يسير الناس على ما هو سائر عليه. ﴿**وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ**﴾**:** كأن يقول فلانٌ: اذهب يا أخي وافعل كذا وكذا وحِمْلُ ذلك على رقبتي، فإني أحتمل ذلك أمام الله. ﴿**وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾**:** لا يستطيعون حمل خطيئة امرئ.

13- ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ**﴾**:** أي دلالتهم السيئة. ﴿**وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ**﴾**:** غير أنهم سيحملون أوزارهم وأوزار من دعوهم إلى الضلال. ﴿**وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾**:** على الله بدلالتهم السيئة. وبالكذب أنهم يحملون الخطايا عنهم.

14- والآن؛ مثال عن الذين لم يفكروا: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ**﴾**:** أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا نوحاً رسولاً لهم. اسم نوح من النواح والبكاء، لرحمته وحنانه على قومه كان دائم البكاء عليه السلام، لأنه مشاهدٌ ما سيعود عليهم سيرهم بالدنيا والآخرة. ﴿**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾**:** جاءهم ليسمو بهم ويرفعهم، لكنهم ما استفادوا رغم أن الطريق مفتوح لهم للسمو والعلو والرفعة بوجوده عليه السلام، لكن السناء ظلَّ من طرفه فقط عليه السلام. ﴿**إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾**:** بقي معهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، المؤمنون الذين نجوا مع سيدنا نوح هؤلاء عمَّهم الله بالخيرات وصار التنزيل عليهم،

---

[2] فالله تعالى صاحب رحمة وحنان بهذا الإنسان، يبعث له من الشدائد والمصائب بما صدر منه من عمل ليطهر له نفسه وما فيها من حب الدنيا.

وكان السلام عليه وعلى أمم ممن معه. كذلك عاموا على السفينة فوق الماء حين هلاك الكافرين. ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾: الآخرون غرقوا. ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾: لأنفسهم، لأنهم ما فكروا وما سمعوا كلام رسولهم.

15- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾: آية دالة على رحمته وحنانه سبحانه بعباده، وهي مذكورة في الكتب السماوية والصحف.

16- ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله، طبّقوا أوامره. ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: انظروا بنوره لتروا الخير خيراً وتسيروا به والشر شراً فتبتعدوا عنه. ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: العائد لكم، إن أطعتم وطبقتم عاد عليكم هذا بالخير والسعادة والعطاء. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

17- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾: أصناماً لا حول لها ولا قوة، لا تستطيع أن تحرك نفسها إن لم يحركها أحد. ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: كذباً. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: إذا انقطع ماء المطر هل يستطيعون أن يُنزلوه، أو يخرجوا لكم الزرع والنبات لتأكلوا؟ هؤلاء لا يرزقونكم السعادة... ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

18- ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: الرسول ليس بيده شيء فقط يبلغكم ما يأمره الله به في التبليغ، ويبيّن لكم نتائج سيركم.

19- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يقرّع الله تعالى الناس، ﴿يَرَوْا﴾: من الرؤية، والآية للحث على المشاهدة والرؤية. هذه للإيمان. ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: الله سبحانه وتعالى بذاته يبدئ الخلق، يُبدِئه ضمن قوانين حتى تفكروا بها وتؤمنوا بربكم، هل الشجر ينبت لوحده؟ والذين أنجبوا أطفالاً، هل هم شقّوا لهم فتحة العين والأنف والفم؟ هل الشمس تجري لوحدها؟ والقمر... كذلك الأرض هل بذاتها تدور؟ من يسيّر الهواء والغيوم، وينزل الأمطار؟ الآية تقول: هل شاهدوا أن الله سبحانه هو الذي خلق ويسيّر ما خلق! وما هذه القوانين التي وضعها الله، إلا لتفكروا وتؤمنوا بالله المسيّر لمخلوقاته. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: ترجع الخيرات كل عام. ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هيّن، كل هذا الخلق والإمداد والتسيير للكون سهل وهيّن على الله.

20- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾: انظروا لمن قبلكم أين هم الآن، أين السابقون من ملوك ورؤساء وأغنياء، الذين ملكوا الأرض وحكموها فما كان مصيرهم؟ أما ماتوا، أفلا تموت أنت؟ على الإنسان ألا يسير بهذه الحياة دون تفكير حسن لئلا يقع فيما وقع به غيره من هلاك. ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: إن آمن الإنسان وأحبَّ رسول الله الذي يدلّه على الله، أدخله ﷺ على الله سبحانه، هذه وظيفته. إن دخل الإنسان على الله يشاهد بدءَ الخلق الأول كيف صار، يشاهد الأزل وكيف عاهد ربه ألَّا ينقطع عنه، يشاهد الآخرة وما فيها من جنات للمؤمنين، وما فيها من شقاء وآلام وحسرات ونار للكافرين، فيوقن أن هناك حساباً وعقاباً. ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾: غداً، سيعيد خلق الإنسان بعد فنائه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: الإمداد والقدرة منه تعالى، تشاهد يد الله على كل شيء وترى كل شيء مما تطلبه. عندها لا تعتمد إلا عليه سبحانه.

سورة العنكبوت: [21-30]

21- ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: فللإنسان الخِيَرَة. ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾: البلاء مُخصَّص والرحمة مُخصَّصة، كل من يريد الرحمة يرحمه الله، وإنما عليه أن يسلك سبيلها. ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك.

22- ﴿**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾: أيها المعرضون عن الله. ﴿**وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾: المخلوق ليس بيده شيء، لا حول له ولا قوة، كل ما خلق الله بحاجة إلى ماء، هواء، طعام، إمداد للقيام بالأعمال، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى. الذي بحاجة لا يستطيع فعل شيء، لا يستطيع نصر نفسه فكيف ينصر غيره؟!.

23- ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ**﴾: ما نظروا، ما فكروا بالكون حتى يؤمنوا. ﴿**أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي**﴾: ظنهم بالله ظنّ السوء. ﴿**وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: على ما قاموا به من أعمال سيّئة.

24- ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ**﴾: لسيدنا إبراهيم عليه السلام، بعد أن دلَّهم وبين لهم طريق السعادة والنجاة: ﴿**إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ**﴾: قرَّروا قتلهُ ورميه بالنار. ﴿**فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ**﴾: ولكن لِمَ أذن الله أن يرموا رسوله بالنار؟ السبب: سيدنا إبراهيم أرسل لسيدنا إبراهيم ملَكاً ليُهلك طلب من ربه أن يسمح لقومه أن يرموه بالنار. فالله تعالى أرسل لسيدنا إبراهيم ملَكاً ليهلك القوم، لكن سيدنا إبراهيم لم يرضَ وقال للملَك: علمه بحالي يُغني عن سؤالي. لم يرضَ سيدنا إبراهيم عليه السلام، عسى إن رأى قومه المعجزة يؤمنون، ومع هذا لم يؤمنوا. ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ**﴾: دالة على لا إلّه إلا الله، وعلى رحمة الله وحنانه بخلقه، وهذه الآية بيان أن لا حول ولا قوة إلا بالله، لا نار تحرق، لا سيف يقطع إلا بإذن الله، كن مع الله يحفظك من كل سوء. ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾: لكل من يؤمن.

25- ﴿**وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ**﴾: لأجل مصالح دنيوية، تارك الصلاة لا خير فيه، كل ما يبدر منه شر، وإن كان ظاهر عمله خيراً، لا يعمل إلا لغاية، إن زالت المصلحة لا يعمل. ﴿**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: يظنون أنهم سيعيشون فيها أبداً. ﴿**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ**﴾: ينكر بعضكم بعضاً. ﴿**وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾: اللعن هو البعد، أهل النار أعمالهم خبيثة، وروائح الفواحش التي وقعوا فيها مرعبة، روائح نفوسهم نتنة لذلك يبتعد بعضهم عن بعض. إذا دخل الواحد على الآخر فإن روائح الثاني تقتله. أما أهل الجنة روائحهم عطرة من إقبالهم على الله، وكل لحظة بإقبال جديد ومكاسب جديدة لذلك يتقاربون. ﴿**وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ**﴾: المريض لابد له من دخول المستشفى للعلاج. ﴿**وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾: لا أحد يقف بطريق علاجه.

26- ﴿**فَآَمَنَ لَهُ لُوطٌ**﴾: لم يؤمن لسيدنا إبراهيم إلا سيدنا لوط عليهما السلام الذي بإقباله على الله صار له علم بأسماء الله الحسنى فصار يحكم بناء على علم، فتركه بقومه يرشدهم علّهم يسمعون، لكنهم انحطوا أكثر من آبائهم وارتكبوا الفاحشة. ﴿**وَقَالَ**﴾: سيدنا إبراهيم. ﴿**إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾: وهاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام من العراق إلى مكة حيث الكعبة، ليبحث عن أناس يسمعون الحق منه. قال في نفسه ليس من المعقول ألا يكون على الأرض أحد يريد سماع الحق، لكن أين سأجدهم؟! فذهب إلى الكعبة حتى يبحث عنهم ويجتمع بهم، وهناك وجد أصحابه إذ أن الحج لا ينقطع، والصالحون لا ينقطعون، وهؤلاء إما أن يذهبوا للحج أو يتوجهوا للكعبة، والرسول يشاهد الأجسام والنفوس، "الملتفتة إلى الله من الكعبة"، فهاجر إلى مكة وإلى بلاد الشام وصار معه مؤمنون.

﴿**إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي**﴾: تاركاً المنكر وأهله، ولو لم يهاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام ويترك قومه لجاءهم الهلاك. فالقانون إذا نوى القوم لرسولهم الشر فالهلاك حتماً ينزل بساحتهم من الله تعالى، لذلك رحمة منه عليه السلام تركهم وهاجر وترك فيهم سيدنا لوط عليه السلام، الذي اتبع معهم أسلوباً آخر غير أسلوب سيدنا إبراهيم عليه السلام، لعلهم بهذا الأسلوب يسمعون منه عليه السلام.

27- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾: زيادة فضل. ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: لسيدنا إبراهيم، على هذه التضحية والرحمة والحلم على قومه، وهب له وأعطاه سيدنا إسحاق ويعقوب عليهما السلام وجعلهم بصحيفته عليه السلام هم وأنوارهم وجناتهم. ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾: وجعل لذريَّته النبوة إلى يوم القيامة. ﴿وَالْكِتَابَ وَآَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: للعطاء.

والله سبحانه وتعالى أظهر بقصة سيدنا إبراهيم حنانه وحنان رسله الكرام صلوات الله عليهم ورحمتهم بأقوامهم.

28- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾: يأتون الرجال شهوة من دون النساء! ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: أوّل أُمَّة قامت بهذا الفعل الشنيع "اللواط" مهلك الحرث والنسل.

29- ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾: ما يعود عليكم بالأذى والضرر. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾: الشهوة العمياء أعمتهم عن سماع الحق، وهكذا كل إنسان ما لم يفكِّر لا يستطيع أن يسمع، فكِّر بالموت حتى تخاف النفس، إن خافت لجأت للفكر عندها يرسم لها الفكر طريق النجاة والخلاص ويستطيع المرء التفكير الصحيح، ويستقيم على أمر ربه، حيث عرف وشاهد أن للكون خالقاً ومسيِّراً، ولابدَّ من السؤال والحساب. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: ما صدَّقوا سيدنا لوط عليه السلام، طلبوا الهلاك.

30- ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾: أيّدني بحجج أدحض باطلهم.

سورة العنكبوت: [31-40]

31- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾: تبشره بابنه إسحاق. ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾: ظلموا أنفسهم بهذه الشهوة، وحرموها مما أعدَّ الله لها من نعيم مقيم.

32- ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾: الملائكة غير مكلَّفين لذلك لا يؤاخذون مهما قالوا، وهم هنا أخذوا الأمر من الله تعالى، أي استندوا على العظيم سبحانه، لذلك قالوا لسيدنا إبراهيم: نحن أعلم بمن فيها. المؤاخذة على المكلَّف "الإنسان" إذا تكلم بمثل هذا. الصحابة الكرام عظَّموا الرسول ﷺ فآمنوا وصارت الفتوحات على أيديهم. ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾: مع أولاده، بنات سيدنا لوط عليه السلام مُطبِّقات حدود الله وأسلموا لله عن طريق أبيهم سيدنا لوط عليه السلام، سلَّموا أمرهم إليه فلا مخالفة عندهم. ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: اغبرَّت نفسها بمحبتها لقومها.

33- ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: اغبرَّت نفسها بمحبتها لقومها، زوجة نبي كان لها واردٌ قلبيٌّ، لكن بتعلُّقها بقومها وحبِّها لهم انقطع عنها واردها القلبي وابتعدت عن الله ورسوله الكريم "زوجها"، فأصبحت نفسها مظلمة سوداء مغبرّة، والله بهذه الآية يعظنا ويحذرنا قائلاً: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[3]. إيَّاكم أن تركنوا لغير أهل الحق من المؤمنين، إن ركنتم لهم وتعلَّقتم بهم أصبحتْ ميولكم مثلهم، تميلون لما يميلون ويحبون من الفواحش، العبرة للقلب لا للجسم، والله ينظر لقلبك والمرء مع من أحب، وزوجة سيدنا لوط عليه السلام أحبت قومها والله نبّهها وحاول بكل الوسائل معها حتى تغيّر ويتحول قلبها، لكنها هي لم تُرد.

---

[3] سورة هود – الآية:113.

34- ﴿**إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ**﴾: سوف يأتيهم البلاء، زلازل في الأرض وبراكين، خسف بهم الأرض، جعل عاليها سافلها، والذي هرب أصابه حجر من السماء. ﴿**بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾: كل هذا ما كتبه تعالى عليهم، الله ما كتب على الإنسان إلا السعادة، لكن هم فسقوا وفسْقُهم عاد عليهم، وهكذا فكل أمة فاسقة مصيرها ما أصاب الأمم السابقة من الهلاك. الفسق يجرّ ويأتي بالبلاء.

35- ﴿**وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آَيَةً بَيِّنَةً**﴾: قراهم معروفة. ﴿**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾.

36- ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا**﴾: أرسل الله إلى أهل مدْين أخاهم سيدنا شعيباً عليه السلام، هؤلاء أوقعوا نفوسهم بإعراضهم وابتعادهم عن الله بالهمِّ والشقاء، وهو من رحمته بهم عليه السلام حمل آلامهم وشقاءهم المهلك حتى يخرجهم من الظلمات. ﴿**فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾: أطيعوا الله، ففي طاعته تعالى السعادة. اسمعوا كلامه سبحانه. ﴿**وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآَخِرَ**﴾: ما أعدّه الله لكم من جنات. كلَّمهم عليه السلام عن الآخرة ونعيمها وأنَّ الدنيا مدرسة وممرٌّ للآخرة. والعاقل لا يتعلق بها بل يجعلها مَطِيَّة للآخرة. ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾: لا تبثُّوا الفساد بقلوب العباد، لا تزيّنوا الدنيا وتبنوا القصور والمزارع فتجعلوا الناس يتسابقون إلى الدنيا. والفقير يحزن فيلجأ إلى الغش والتلاعب، وبهذا إفساد للنفوس. ما لهذا خلقكم الله تعالى.

37- ﴿**فَكَذَّبُوهُ**﴾: ما صدّقوا كلامه، ما ساروا على هديه، ما طبقوا ما أمرهم به. ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾: جاءهم البلاء والموت، صارت نفوسهم ترجف خوفاً ورعباً لـمَّا شاهدوا أعمالهم ومصيرهم. وهذا حال كل من يموت معرضاً عن ربه، يرى ما ساق الله تعالى له من إحسان وما ساقه هو لنفسه وما جلب لها. ﴿**فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ**﴾: ديارهم أصبحت ديار سوء وبلاء عليهم، بعد الموت ساحت نفوسهم بأعمالها الخبيثة وبالأمكنة التي نفّذتها وارتكبتها بها. ﴿**جَاثِمِينَ**﴾: من شدة الرعب والفزع أرجلهم لم تحملهم، وظلُّوا على هذه الحالة ولم يتهيأ لهم من يدفنهم، والجسد بعد قليل سوف يفنى، أما نفوسهم فلا تفنى وستظل جاثية إلى يوم القيامة.

38- ﴿**وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ**﴾: تفنَّنوا بالبنيان حتى أشادوا الأبنية والقصور الضخمة، جمعوا أموالاً كثيرة ولا فرق عندهم إن كانت من حلال أو حرام، غشّوا وجمعوا الأموال ومنعوها عن مستحقيها، ما نظروا لجانب ربهم ولا إلى محتاج، همهم "بسطهم وكيفهم"، والآن أبنية ضخمة وقصور وناطحات سحاب، فهؤلاء: ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**﴾: زيَّن لهم حبَّ الدنيا، فما عملوا للآخرة، عملوا لمستقبلهم الدنيوي المنقضي وتركوا مستقبلهم الأخروي الأبدي. ﴿**فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾: صدَّهم عن الإيمان بالله وعن السعادة. **"حب الدنيا رأس كل خطيئة"**. ﴿**وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**﴾: تفنَّنوا بالعلم الدنيوي، وكذلك الآن. الله ما أرسلنا لأجل الدنيا بل للآخرة ونعيمها.

39- ﴿**وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾: سيدنا موسى بيَّن لهم كل شيء وجاءهم بالمعجزات، لكنهم استكبروا عن طاعته وطاعة الله، بما لهم من شأن دنيوي، وكادوا لرسولهم موسى عليه السلام. ﴿**وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ**﴾: ما كانوا بعملهم هذا إلا تحت سمعنا وبصرنا. لم يعتبروا بالأقوام السابقة فأصابهم ما أصابهم، وكذلك نحن إن لم نعتبر فإنه مصيبنا ما أصاب الأمم السابقة.

40- ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا**﴾: قوم لوط. ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ**﴾: قارون. ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا**﴾: قوم فرعون. ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ**﴾: كل

هذه الأقوام أرسل الله تعالى لهم رسلاً ودلُّوهم فما أطاعوهم، فما من أمة متروكة. ﴿**وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾: بعدم اتِّباعهم.

سورة العنكبوت: [41-50]

41- ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ**﴾: اعتمدوا على غير الله، على مخلوق مثلهم لا حول له ولا قوة، والله بهذا المثل شبَّههم بضعفهم ووهنهم بالعناكب وبيوتها، والآن الذين اعتمدوا على تقنياتهم الحضارية ومخترعاتهم المتقدمة وظنوا بأنفسهم الحول والقوة ولم يعتمدوا على الله شبَّههم الله لضعفهم ووهنهم بالعنكبوت، حيث أن الحكم في عالم العناكب للأنثى كما في زماننا فلذلك كان بناؤهم كبناء العنكبوت، وهذه الحضارة التي بنوها والتقنيات التي أشادوها لا تقيهم إعصاراً، أو طوفاناً، أو زلزالاً، أو بركاناً، أو موتاً، فما أوهن ما استكانوا إليه. ﴿**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾: لو صار لهم علم بالله لأدركوا قيمة هذا المثل.

42- ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

43- ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ**﴾: الأقوام الماضية التي ما سمعت من رسولها ذكرها الله لنا. ﴿**نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ**﴾: لكي يعتبروا ويغيِّروا. ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾: بلا إلَه إلا الله.

والحقيقة لا يقدِّر أهل الإيمان إلا أهلُ الإيمان، ولا يعرف الفضلَ إلا ذووه، ولا يدرك عظمة ما في القرآن من عبر وأمثال إلا كلّ قريبٍ متحلٍّ بحلية الكمال.

44- ﴿**خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: بالتفكير تصل إلى العلم.

45- ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ**﴾: إلى كل الخلق. ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ**﴾: بيّن لِمَ يؤمن "الإنسان"، الصلاة... وكيف تكون... ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾: الصلاة الحقيقية المبنية على الإيمان فيها أحوال ومشاعر وأذواق وإشراقات تمحو من النفس النقائص وتبدلها بالكمال، فيغدو المصلي الحقيقي إنساناً فاضلاً سامياً يكره السفالات والتعدي ميّالاً لحب الخير والتضحية والإحسان لكل الخلق بسبب ما يناله بصلاته من النعيم، مستغنياً عن الحرام مكتفياً بنعيمه الذي يناله بالصلاة وبالحلال معرضاً وكارهاً للحرام، فنعيم الصلاة الحقيقية للسالكين بطريق الحق بصدق يبعدهم عن الحرام وأهله ويغنيهم فينتهون عن الحرام من الفحشاء والمنكر، وخشية فقدان نعيمهم القلبي وحرمانهم منه فيبتعدون عن الحرام ويكرهونه بذاتهم من ذاتهم بسبب صلاتهم، لا جبراً ولا إكراهاً، هم من ذاتهم ينتهون وتصح توبتهم. ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾: الصلاة الدائمة تكون برابطة الإنسان مع الرسول وبدونه ﷺ لا صلاة. ولابد للوصول إلى الرابطة من أن يَكْمُل الإنسان وتطهر نفسه، فيُدخله الرسول على الله ويشاهد هذا المؤمن أنوار الله وتجلياته وجناته. وهذه يصعب الوصول لها إلا في صلاة قيام الليل، فإذا قام الإنسان ليلاً وصلّى ركعتين وصار يفكر في آلاء الله وآياته الكونية أو يقرأ ما تيسَّر من القرآن الكريم بتدبّر وإمعان حتى يشاهد حنان الله ورحمته وأسماءه الحسنى فهذا هو ذكر الله.

﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾: صار للمؤمن هنا ذوق وعشق. بالصلاة من يقول لك أيها المصلي (الله أكبر)؟ الذكر هو استعظام ومحبة الله وفيه دائماً علم جديد ومشاهدات قلبية عليَّة، فالذكر لا يكون إلا بالشهود بمعية الرسول ﷺ وذلك بالارتباط به أو بالمرشدين الصادقين من بعده حيث يوصلون المرتبط بهم إليه ﷺ وبالرابطة به ﷺ لا تبقى هناك فتنة ولا يؤثِّر على الإنسان شيء من فتن الدنيا.

النهي يختلف عن المنع. النهي: هو أن يكره الوقوع بالمعاصي والشهوات المحرَّمة، بسبب ما ذاق هذا الإنسان من نعيم وسعادة وبما تشرّبه من ربِّه من كمال، فإذا فكر الإنسان بالكون وآمن بلا إلّه إلا الله وعقلها وعمل المعروف والإحسان تكسب نفسه كمالاً، وبهذا الكمال تحب رسول الله ﷺ وتشاهده عظيماً، وبهذا الحب ومشاهدة حقيقة رسول الله ﷺ ترتبط به فيدخلك على الله فتصبح بصلاة دائمة وبسعادة وسرور ونعيم لا يعدله شيء بهذا الكون، وبهذا لا يبقى ميل لشهوة منحطَّة. ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾: أعمالهم كلّها محفوظة عند الله.

46- ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾: من يهود ونصارى، ومن هؤلاء من سمع أن القرآن منطقيٌّ. ﴿**إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾: لاطفه وآنسه، لا تتشاحن معه لئلا يبتعد عن الله أكثر. بالتشاحن يبعد أكثر عن الله فيهلك، بشِّرا ولا تنفِّرا، بالمعاملة الطيّبة واللطف والإنسانية، هؤلاء فيهم خير عظيم. ﴿**إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾: هؤلاء شدُّوا عليهم. ﴿**وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**﴾: وأن التوراة حق والإنجيل حق. ﴿**وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ**﴾: بيّن لهم أن سيدنا عيسى عليه السلام بشر، الأجنة من يخلقها؟! ﴿**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾: لأنه كله رحمة وحنان وكل أسمائه حسنى.

47- ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾: من اليهود والنصارى. ﴿**وَمِنْ هَؤُلَاءِ**﴾: الذين بزمنك. ﴿**مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ**﴾: الذين ما فكروا فما شاهدوا فضل الله عليهم.

48- ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ**﴾: لم تقرأ في كتاب من الكتب. ﴿**وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾: ولم تخطَّ بيدك كلمة واحدة فأنت لا تجيد القراءة والكتابة، وهذه الآية تبيّن أنه ﷺ لا يقرأ ولا يكتب، فكيف يقولون أخذه ودرس عن غيره؟! فهذا يدل على أن القرآن من الله وحده. ﴿**إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾: الذين يحاولون إبطال الحق.

49- ﴿**بَلْ هُوَ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾: الراسخون في العلم، فهم الذين رأوها وعقلوا حكمتها، العلم بلا إلّه إلا الله وبأسمائه الحسنى. هؤلاء إن تُليت عليهم هذه الآيات صدَّقوا لانطباع الحق في قلوبهم مَثَلهم النجاشي وأبو بكر رضي الله عنه الذي انطبع الحق بقلبه قبل بعثة الرسول، فلمَّا أن كلمه الرسول قال له صدقت. ﴿**وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ**﴾: يرون الصورة بأعينهم ولا يرون الحقيقة بأنفسهم.

50- ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾: طلبوا معجزة. ﴿**قُلْ إِنَّمَا الْآَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ** ﴾: الأمور والآيات بيده سبحانه وما يجده مناسباً لخير الإنسان يفعله. ﴿**وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾: أبيِّن لكم وأنذركم من عذاب يومٍ عظيم.

سورة العنكبوت: [51-60]

51- ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾: هذا البيان العالي المنزَّل عليك ألا يكفي؟! أما هو دليل كافٍ على رسالتك؟! ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾: المؤمن يسمع هذا البيان فيطبِّق ويؤمن فيتذكر، الذي يُطبِّق ويؤمن هذا يستفيد وهو له رحمة، أما غير المؤمن بعدم تطبيقه وعدم سيره لا يستفيد.

52- ﴿**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا**﴾: هذا العلم وهذه الدلالة والقرآن شهادة من الله. ﴿**يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِالْبَاطِلِ**﴾: ساروا على كلام الآباء والأجداد، ونكروا بيانه العالي. ﴿**وَكَفَرُوا بِاللَّهِ**﴾: بلا إلّه إلا الله. ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾: لفضلنا وعطائنا وما أعددنا لهم من جنات.

بغير هذا الطريق وهذا البيان لا تصل إلى الله. والله منه الخير، والذي ما سار عليها ما وصل لله خسر خسراناً كبيراً.

53- **﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾:** طلبوا من رسول الله ﷺ معجزة. **﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾:** عندهم قابلية، لهم أجل مسمّى، هؤلاء سيفتحون العالم ومعظمهم صاروا أتقياء، لو استجاب الله لهم وبعث لهم معجزة ولم يؤمنوا لانتهت قضيتهم بالهلاك. **﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.**

54- **﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾:** يصرُّون، يريدون المعجزة. قال الله له: لا تُبالِ بهم الآن عليهم استحقاقات، هذا طريق هلاكهم لو استجاب لهلكوا، لو صدقوا فيها لكانت جهنم محيطة بهم **{وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ}**[4]. **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾:** أليس حتماً على الكافر أن تحيط به الذلة والحقارة بالدنيا ثم بالآخرة؟!

55- **﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾:** نيران، زلازل، براكين، لا تبقي ولا تذر. **﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.**

56- **﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾:** لا تتبع خطوات أهل الضلال، بل أطع الله ولو بمفردك وفتش عمن يسير سير الحق.

57- **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾:** النفس خالدة لا تموت، فقط تذوق الموت ذوقاً، تنقطع الروح عن جسمها فتخرج النفس من هذا الجسد وترجع إلى بارئها بعد أن تترك الدنيا وكل ما فيها، فلماذا التمسك بها؟!

58- **﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾:** الخيرات. **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾:** لا يبغون عنها حولاً، لا يتحوَّلون عنها، لا شيء يحوِّلهم عن هذا. **﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾:** بنعيم دائم، أجراً لهم على ما قدّموه من أعمال عالية.

الذين سمعوا وآمنوا وقدّموا الأعمال الصالحة، هؤلاء المؤمنون يغرفون من العطاء الإلٓهي الذي لا ينتهي، هذا العطاء للنفس، والنفس تغرف من الله الكثير، وكل إنسان على حسب حاله وقربه يغرف، فالرسول ﷺ غرْفُه من ربه كبير. وغرف الأتقياء غير غرف المؤمنين، غرفهُم جارٍ دائم متواصل، أما المؤمنونَ فيغرفون غرفة وراء غرفة، والكل جالس بغرفته عند النبي ﷺ وبمعيّته.

59- **﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾:** هذا النعيم لمن صبر عن الشهوات وجاهد نفسه وهواها. **﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:** مستسلم إلى الله تعالى، يتوكَّل على الله ويصبر.

60- **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾:** فلماذا أيها الإنسان تحمل هَمَّ رزقك؟! **﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾:** لأقوالكم. **﴿الْعَلِيمُ﴾:** بحالكم وما يناسبكم.

سورة العنكبوت: [61-69]

61- **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾:** تتحولون لغيره سبحانه وتعالى!، لو كانوا صادقين بقولهم ما تحوّلوا عنه، مالم يفكر الإنسان بالموت

[4] سورة الأنعام – الآية:109.

حتى يوقن به ويخاف فيفكر بهذا الكون ويؤمن بربه ويشاهد لا إلّه إلا الله، فلابدّ أن يتحول عنه ويفتن بالدنيا وما فيها من فتن وزينة.

62- ﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾: يعطي هذا ويجعله غنياً، يعطيه بلا حساب. ﴿**وَيَقْدِرُ لَهُ**﴾: كذلك لهذا الإنسان يقدر عليه، لا يوسع له ولا يعطيه. ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾: لأنه عليم بما يناسب هذا الإنسان، فلو أعطى الكثير للذي قدر عليه لما سار بالحق وكفر، ولو قدر على من أعطاه الكثير لكفر، فهو سبحانه عليم بكل إنسان وما يناسبه.

63- ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: ألا يحمد هذا المسيّر على هذه النعم؟ ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾.

64- ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ**﴾: كل ما فيها إن تعلّقت به فهو لهو ولعب وضياع، أنت ما خلقت للهو واللعب وتضييع الأوقات بل لغاية عظيمة، خلقك الله لتعمل صالحاً وتدخل بعملك الجنة، فالدنيا مدرسة والذي يلهو ويلعب يرسب وتنحط منزلته وله غداً الندم والنار. ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**﴾: الحياة الأبدية في الجنة لا نهاية لها، والواو والنون للديمومة. بالآخرة انتهى التكليف فلا تقييد، هناك السعادة ولك ما تريد. {**لَهُمْ مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**}[5].

﴿**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾: ما أعدَّه الله لهم من نعيمٍ وسعادةٍ، لو شاهدوا ما لعبوا وما التهوا بالدنيا. اصبر على شهوات الدنيا، ولا تستطيع الصبر إلا إن سرت بالقانون عندها تسعد دنيا وآخرة[6]

65- ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾: عند البلاء يدعو الله مخلصاً، لا يطلب إلا منه سبحانه. ﴿**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ**﴾: عندما أذهب عنهم الشدّة والبلاء وخلَّصهم مما هم فيه. ﴿**إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾: يجعلون لغير الله فعلاً، ينسبون الفعل لغير الله، يقولون فلان خلّصنا، الطبيب شفاني، فلان رزقني وأعطاني، فهل هذا يليق بك؟!

66- ﴿**لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ**﴾: من فضلنا. ﴿**وَلِيَتَمَتَّعُوا**﴾: بهذه الدنيا. ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾: نتائج تفريطهم، وما ستعود عليهم أعمالهم غداً.

67- ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا**﴾: ألم يروا أن مكة بلد آمن لا يستطيع أحد أن يلمسها بسوء، فمن الذي جعل هذا؟! ﴿**وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ**﴾: لا يقدر أحد على مسَّها بأذى. ﴿**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ**﴾: يزعم أن للناس فعلاً.

68- ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ**﴾: افترى من بعد أن بيَّن الله تعالى له الحق على حقيقته، جاءه بيان من الله وكذَّب به. ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ**﴾: له الذل والحقارة دنيا وآخرة.

69- ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا**﴾: استعن بالله ولا تعجز، ضَحّ براحتك دوماً، واطلب القرب من الله بخدمة الخلق والإحسان لهم واعمل المعروف. جاهد الهوى والنفس، لا تعطِ نفسك هواها المهلك، ولكن لا تستطيع فعل هذا إلا إن سرت بالقانون الذي وضعه الله لك وهو التفكير بالموت، والتفكير

---

[5] سورة ق – الآية:35.

[6] لا تحصل السعادة إلا لمن صلى الصلاة الصحيحة حيث علم وشهد فيها عظمة ربه وسامي صفاته وتنزل القرآن على قلبه هذا خرج من صنف الحيوان وانتظم في سلك بني الإنسان المتصف بالرحمة والإحسان والحنان، ومن مات ولم يصلِّ تلك الصلاة فقد أضاع حياته وخسر هذا العمر الثمين.

صباحاً ومساءً بالكون وآياته، وقم الليل للصلاة. ﴿**لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾: يهدك الله طريق الحق "التقوى"، وهي الاستنارة بنور الله عن طريق رسل الله صلوات الله عليهم، فتصل للسعادة والجنة، عندها تصبح من المحسنين للخلائق كلهم، كلّك عطف وحنان ورحمة حيث صرت إنساناً. ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾: ناصرهم، مؤيدهم، وسيجزيك الله على إحسانك بالإحسان.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الروم: [01-20]

1- ﴿الٓمٓ﴾: رموز خاطب الله تعالى بها رسوله ﷺ، يفهمها ويشاهدها كل من بلغ الكمال.

{ا}: أحمد، {ل}: لطيف، {م}: محمود.

الإيمان بالله أولاً ثم بالرسول ﷺ، والإنسان خُلق من أجل هذا الإيمان. بدايةً حتى يؤمن الإنسان بالله لابد من النظر في الكون حتى يقيم صلة مع الله، بعدها يتدرج في الإيمان والصلاة إلى أن يصل لدرجةٍ من الطهارة والكمال تجمعه مع رسول الله ﷺ فتنشأ الرابطة.

كل السور التي ابتدأت بالرموز مدنيَّة أو بأواخر العهد المكِّي، والسبب في ذلك أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لم يبلغوا بعد مبالغ الكمال التي تؤهلهم لمشاهدة حقيقة رسول الله وصفاته الكاملة وحدوث الرابطة معه ﷺ. مثال: الطالب في الصف الأول، هل تقول له [س+ع=3]؟ هل المعلم يعلمه بالرموز وهو بهذا المستوى؟ لكن حين يبلغ درجة معينة ويستطيع أن يدرك معنى الرموز يخاطبه المعلم بها. لذلك فالصحابة الكرام لم يخاطبهم الله تعالى بالرموز إلا حين بلغوا مبالغ كبيرة في الإيمان، واستطاعوا بإيمانهم وكمالهم أن يشاهدوا كمال رسول الله ﷺ. وسبب تكرار الرموز في السور أنهم لم يقفوا عند حد معيَّن في الإيمان، كذلك دخول أفواج جديدة بالتقوى. أما الآيات المكيَّة فكلها تتحدث عن الكون وآياته والتفكير به.

2- لا يعلم الغيب إلا الله، وقد أخبر تعالى حبيبه ورسوله ﷺ غيبيات وتحقق وقوعها فيما ذكره ﷺ بأنه مع هزيمة النصارى وكان دينهم إذ ذاك هو دين الله حين ضعفوا وانتصر عليهم المجوس عبَّاد النار حزن الصحابة الكرام، فبشَّرهم تعالى بأمر مغيَّب لا يعلمه البشر، أمر مستقبلي، بأن النصارى سوف ينتصرون ثانية على المجوس بزمن لا يتجاوز التسع سنوات وسيستردّون المسجد الأقصى كما سيتم عندها النصر على الوثنيين عباد الصنم وتُفتح مكة. وهذان خبران غيبيان فإن وقعا فهذا إثبات قاطع بأن القرآن كلام الله، وقد وقعا وهما من معجزات القرآن الكريم، وقعا بالزمن } 9سنوات) كما أخبر الله وربح سيدنا أبو بكر الرهان على المشركين ليثبت لعباد الصنم أن هذا الكلام كلام خالق الأكوان، والقرآن كلام الخالق بلا ريب ولا شك ولا جدل.

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾: قل لهم غلبت الروم، وهذا حدث بزمن الرسول ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم حيث احتل الفرس القدس، الصحابة الكرام حزنوا لأن الروم أصحاب كتاب فأنزل الله: **{وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}**[1].

3- **﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾:** يعلم الله الغيب وما هو واقع وبيده كل شيء، كل ذلك بالله؛ لا إلّه إلا الله.

4- **﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾:** لم يحدد رب العالمين الوقت، لذلك عندما راهن سيدنا أبو بكر زعماء قريش على مائة جمَل إن لم تعد القُدس إلى الروم خلال سبع سنين، وأخبر رسولَ الله ﷺ بهذا، فقال له

---

[1] سورة الروم – الآية:3.

الرسول ﷺ: لِمَ لم تراهن على تسع سنين لأن كلمة بضع تحتمل ثلاث أو سبع أو تسع سنين، فرجع أبو بكر وزاد الرهان حتى مائتي جمل[2]، وفي السنة التاسعة استطاع هرقل إعادة واسترداد القدس. **﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾:** حين غُلبوا وحين سيَغلبون، كله بإذن الله وإرادته، هزيمتهم ونصرهم بيد الله. **﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾:** سيفتح الله على أيديهم مكة.

5- **﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾:** أي بفتح مكة، وقد فتحت في السنة التاسعة أيضاً، فالله سبحانه وتعالى أخبر رسوله ﷺ وقال له عندما تنتصر الروم على الفرس تُفتح مكة. وعندما فُتحت مكة كان ﷺ يقول لأصحابه ألم أقل لكم هذا. وبفتح مكة سقط حكم الجاهلية في الجزيرة العربية. **﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾:** من طلب النصر ينصره الله. **﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:** كل ما يجري بين الناس ضمن رحمته.

6- **﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾:** بنصر المؤمنين. **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:** لا إلّه إلا الله، وأن النصر بيده سبحانه **{وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}**[3].

7- **﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾:** لا يعرفون حقيقة ما يرتكبون، بل ظاهراً. **﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾:** لا يذكرون الموت.

8- **﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾:** على الإنسان أن يفكر. **﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾:** كل شيء فيها ضمن الحق والعدل. **﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾:** منكرون ليوم الحساب؛ ما هم سيلقونه في الآخرة.

9- **﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾:** أولم يتفكروا فيمن سبقهم من البشر كيف آلت إليه عاقبتهم. **﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾:** رفعوها. **﴿وَعَمَرُوهَا﴾:** شيَّدوها. **﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾:** المشركون بزمن الرسول ﷺ. هذا العمران والترف فتنة وأذى للناس. **﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:** لا يظلم اللّهُ الناسَ، ولكن أعمال الناس تعود عليهم.

10- **﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى﴾:** ما يسوءهم. **﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾:** ما يرون من المخلوقات[4]. **﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.**

سورة الروم: [11-20]

11- ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: هو الذي يخرج لكم الرزق من الأرض، من الشجر، هو من ينبت النبات ثم يعيده في العام المقبل وهكذا ... **﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:** كلنا سوف نرجع إليه.

12- **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾:** ساعة الموت، ساعة القيامة. **﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾:** خالون من كل خير.

13- **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾:** ممن كانوا معهم في الحياة، من تابعيهم. **﴿شُفَعَاءُ﴾:** من يحمل عنهم شيئاً. **﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾:** انفض من أُشرِك بهم عمن مات، والذي كان يشرك بهم.

---

[2] على مدة أقصاها تسع سنين.

[3] سورة آل عمران – الآية:126.

[4] فكل ما أمامهم من مخلوقات خلقها الله تعالى في هذا الكون لم يفكروا بها لتدلهم على المسيّر على لا إلّه إلا الله لم يصدقوا أن التفكير في مخلوقاته تعالى يوصل للإيمان به تعالى.

14- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾: ينفرون كلٌّ من الآخر لكراهة نفوسهم.

15- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: بلا إلَه إلا الله. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: بعد الإيمان لابد من العمل الصالح، الإنسان بعمله يدخل الجنة. ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾: يتحوّل عليهم النعيم أحوالاً.

16- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بلا إلَه إلا الله، ما نظروا بالكون حتى يروا أن الله هو المسيّر. ﴿وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآَخِرَةِ﴾: أنكروا الآخرة. ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: يسارعون إلى العذاب لما في نفوسهم من الألم.

17- ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: ما أعظم فضله. ﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: فكر أيها الإنسان بالليل وفكر بالصباح كيف يتقلّبان، ألا يستحق النوم التفكير.

18- ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فيما يبدو لك من الخلق. ﴿وَعَشِيًّا﴾: وما هو خافٍ عليك. ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: ما ظهرت عليه من الحق.

19- ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: الرشيم من البذرة اليابسة. ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: والنباتُ يُخرج البذرة. ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ﴾: يوم القيامة. ﴿تُخْرَجُونَ﴾: كما أحيا الله الأرض بعد موتها كذلك ستخرج أنت.

أليست هذه الآيات بدليل على أن الله سيخرج الموتى يوم القيامة للحساب! فلمَ هذا الإنكار والآيات أمامك تدلك على هذا!

20- ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾: النبات من تراب، تأكله أنت فيأتي الولد من الغذاء.

سورة الروم: [21-30]

21- ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: أليست آية تدل على صانع الوجود؛ تقارب الزوجين، كيف يهتم الزوجان ببعضهما ويتركان ما دون ذلك. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: بالمودة والحب والرحمة. ﴿لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ﴾: لكم أيها المؤمنون.

الخطاب للمؤمنين، هؤلاء يستطيعون هداية نسائهم إلى الله، أما إذا لم يؤمن الإنسان إيماناً حقيقياً شهودياً لا يستطيع هدايتها، عندها لا إيمان بل هلاك، وحديث رسول الله ﷺ أنه بآخر الزمان يكون هلاك الرجل على يد أهله أو زوجته أو ولده.

﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: نفس مثلك مثلها، لكن رب العالمين حسب المؤهلات والمناسب جعلها ذكراً أو أنثى وألبس كل نفس الجسم المناسب لها فصار بينهما اختلاف نفسي وجسمي، والزواج رابطة نفسية أحلها تعالى، وهذه الآية تدعو المؤمنين ممن صارت لهم رابطة نفسية برسول الله ﷺ لهداية زوجاتهم إلى الإيمان.

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: تواضع وتنازل، قال لهم اسكنوا إليها، وليس فيها ليهتدوا. غير المؤمن يسكن فيها كواقع اليوم حتى أصبح المزاج جنسياً والكل يركض وراء المرأة حتى أصبحت هي القوَّامة.

22- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾: اللغات. ﴿وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾: الذين آمنوا بلا إلّه إلا الله.

23- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: فكر أيها الإنسان في النوم وقيمته، وكيف يكون، هل يدري المرء كيف ينام؟ ما هذه الآية العظيمة؟! لا يستريح الإنسان أو المخلوق إلا بالنوم. ﴿وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾: أنت لا تطلب إنساناً إلا لما يفيضه تعالى عليه من صورة أو عطاء. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: يصغون للحق، تُصغي قلوبهم وليس آذانهم ويطبقون ما يُتلى عليهم. هذا مَن طبّق بشغف وهيام وقوة حصل على السعادة وكسب الكمال وأعرض عن الانحطاط، أما مَن أصغى "بأذنه فقط" ونام بالشهوات غارقاً فيها فلا عليه سلام بل هو منبع لِذاته للآلام ومثواه العار والنار.

24- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾: الآيات. ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: إذا بدأ النبات بالنماء خاف الفلاح من انقطاع المطر عنه، وطمع بنزولها لبقاء نماء زرعه. تطمعون بالخير ونبات الزرع. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: تصبح الأرض جرداء يابسة خريفاً فيهطل مطر الشتاء فيحيي به الأرض ربيعاً فتعود ذات نضارة وخضرة وثمار وفواكه وزروع ومروج. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ما فيها من خيرات.

25- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾: فكر أيها الإنسان فكل شيء يقوم بما هو مطلوب منه بأمر من الله، ورؤية هذا الشيء لا تحتاج إلا لتفكير بسيط. ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾: يوم البعث. ﴿إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: تنبتون.

كذلك دعوة رسول الله ﷺ.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾: دعوة رسول الله ﷺ إذ دعاكم إلى الحق. ﴿إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: عنها، تخرجون عن طريق الحقّ. فلم الخروج عن الحقيقة والسعادة وإلى أين؟ أللشقاء والذل والحرمان!

26- ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كله عائد له بالإمداد والتسيير، كل شيء مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى. ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾: قائمون مستمدون الخير والحياة منه، يطلبون العون من الله شاءوا أم أبوا. هل يستطيع مؤمن أو كافر أن يستغني عن الهواء، الماء، الغذاء؟!

27- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: ألا ترى النبات؟ تزرع البذرة فتنبت. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: ثم تعود إلى الازدهار. ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لله أشرف الأعمال وأكملها وأتمها.

الله سبحانه وتعالى يخاطبنا بالأشياء التي نفهمها، قالوا من مات ورجع؟ قالوا إذا مات الإنسان وحلت به الآفات ارتاح، ما ميّزوا بين الجسد والنفس. **{نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ}**: النسيان. **{أَنفُسَهُمْ}**[5]. ما نظروا بنور الله ظنوا الجسد والنفس واحد.[6]

إذن: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الذي خلق السماوات والأرض أيصعب عليه إعادة خلق الإنسان مرة ثانية؟! أيهما أصعب خلقُ الإنسان أم خلق السماوات والأرض؟!

---

[5] سورة الحشر – الآية:9.

[6] نسيانهم لله أنساهم أنفسهم، فما ميّزوا بين أنفسهم الخالدة وأجسامهم.

الخلق دائم جارٍ لا ينقطع، من البيضة تخرج الدجاجة ومنها تخرج البيضة وهكذا... وهذا أمام أعينهم، فلماذا يقولون: لا يُعاد خلق الإنسان مرة ثانية؟! في كل العوالم الخلقُ والفناء دائم، تُخلق أشياء وتفنى أشياء.

﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾: فكل شيء له الفناء عداه سبحانه فهو المتفرد بالبقاء. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: وهو الحكيم بخلقه وما يناسبهم، وله وحده سبحانه الحكم والأمر عليهم.

28- ﴿**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾: لكم وللآخرين، هذا المثل هو: ﴿**هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾: العبد هل يملك؟! ﴿**فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**﴾: هل يشاركونكم في رزقكم وما تملكون؟ وكذلك هل تجد لله شريكاً فيما يدبّر من الأمور؟ يعني هل لأحد أن يكون شريكاً لله وقد خلقه الله تعالى؟! ﴿**تَخَافُونَهُمْ**﴾: هل تحسب لهم حساباً، هل العبد كالمالك؟ لا. ﴿**كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾: المملوك يخاف من الملك ولا يخاف من جندي مثله، كذلك أنت تحسب حساباً لإنسان مثلك لا لعبد عندك أنت مالكه، أنتم ألا تخافون الله! هو المالك سبحانه وأنتم لا تملكون شيئاً. ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾: إن لم يفكر الإنسان فلن يعقل، وإن لم يعقل فلن يؤمن.

29- ﴿**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾: ينسبون إلى الله ما هو براء منه، جعلوا للمخلوق فعلاً وجعلوه إلَهاً. ﴿**فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ**﴾: أضل نفسه عن الله، حيث ما فكر وما سلك طريق الإيمان، هذا من يهديه؟! ﴿**وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾.

30- ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ**﴾: فكر واستقم. ﴿**لِلدِّينِ حَنِيفًا**﴾: يجب أن تميل للحق لا أن تميل للباطل. ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾: فُطِرْتَ أيها الإنسان على الكمال. ﴿**لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾: المستعلي، المستقيم الذي يدين إليه الإنسان العاقل. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: لا إلَه إلا الله. إذ شغلهم عرض الدنيا الزائلة عن النظر بآيات الكون، وهكذا فالمسألة مسألة إقبال وإدبار، فمن فكر وأناب وأقبل على الله تحلّت نفسه بالفضائل وطهرت من العلل وامتلأت بالكمال ومن استكبر وأعرض انحطت نفسه وتلوّثت بالعلل المعنوية والأدران.

سورة الروم: [31-40]

31- ﴿**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ**﴾: راجعون تائبون إليه. ﴿**وَاتَّقُوهُ**﴾: انظروا بنوره لتروا الحقائق. ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾: لأنفسكم، لا تنقطعوا عن الله. ﴿**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: لئلا تكونوا مثل النصارى فتشركوا.

32- ﴿**مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا**﴾: صاروا مللاً وجماعات. ﴿**كُلُّ حِزْبٍ**﴾: جماعة. ﴿**بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾.

33- كذلك لا تنسَ فضل الله، حتى إذا أصابك شيء دعوت! ﴿**وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ**﴾: بلاء. ﴿**دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ**﴾: دعاء فقط دون إقبال ومعرفة. ﴿**ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً**﴾: أنقذهم. ﴿**إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**﴾: يجعلون لغير الله حولاً وقوة. فإلى ما أشركوا يتجهون فتنقطع نفوسهم عن الاستمداد العالي ويتمتعون بالانعكاسات العطائية على المشرَك به.

34- ﴿**لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ**﴾: بما أنعم الله عليهم، من فضله تعالى يأكلون وله ينكرون، بدل أن يسعدوا بما آتاهم الله يجعلونه حجاباً بينهم وبين منابع سعادتهم ويكتفون بالقليل المنقطع ولا يرون ربّهم وتجلّيه بل يرون حُجُبَهم. ﴿**فَتَمَتَّعُوا**﴾: ما دمتم مصرين ومعاندين لما يعود عليكم بكل خير فكلوا نصيبكم بهذه الدنيا، الدنيا بالنسبة للآخرة مدة قليلة. فلكم مطلق الخيار ولا إكراه. ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾:

ستشاهدون ما خسرتم من فضلٍ أعدَّه الله لكم، ستظهر لكم الحقائقُ حين الموت وسترون كم ضيعتم وفرطتم، عندها الندم الذي لا ينفع.

35- ﴿**أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا**﴾: ليس لأحد سلطان على قلبك ونفسك، الله سبحانه وتعالى ما أعطى لأحد حولاً ولا قوة. الكل به وبإمداده وتسييره قائم، وهذا ينفي أحاديث الدجال وسلطانه قطعاً. ﴿**فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ**﴾: هم جعلوا لغير الله فعلاً، بعدم إيمانهم جعلوا لله أنداداً فسمعوا منهم وأطاعوهم بما لم ينزل به سلطاناً.

36- ﴿**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً**﴾: مطراً أو مالاً.... ﴿**فَرِحُوا بِهَا**﴾: يفرح بأن ذلك كان من كسبه. فرحوا بها لا بربِّها! ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾: الله سبحانه كله رحمة وحنان، هم قدمت أيديهم وعاد عليهم عملهم بالسوء. ﴿**إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ**﴾: ييأس.

37- ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**﴾: الله سبحانه وتعالى هو الرزاق، يعطي من يشاء ويمسك عمن يشاء الرزق، كل أفعاله تعالى نتائجها خير لك. آمن من ثنايا الكون وأنت جزء منه وارجع لنفسك إن أصابك مالا يرضيك فهو تنبيه رحيم لخطر جسيم، فلا تطلب أيها الإنسان إلا منه هو وحده الرزاق. ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾: المؤمن يرى بهذا آيات دالة على رحمة الله وحنانه بعباده. يرى أن الله لو بسط الرزق لمن قَدَرَ له لبغى وازداد إثماً وبُعداً عن الله ولأصبح لا أمل له بدخول الجنة، فالمؤمن يحمد الله على كل حال.

38- ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى**﴾: كل قريب نسباً أو معرفةً. ﴿**حَقَّهُ**﴾: الذي وضعه تعالى بين يديك أمانة، ولا تسرف وتبذر به على مذبح الدنيا الدنية المنقضية، فحقك كفافك، وما زاد لكسبك وشأنك العظيم. ﴿**وَالْمِسْكِينَ**﴾: من لا أب له ولا أمّ، وفقير. ﴿**وَابْنَ السَّبِيلِ**﴾: عابر السبيل الغريب. ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ**﴾: هو خير عظيم. ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾: دنيا وآخرة.

39- ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا**﴾: أعطيتم من مال أيها الأغنياء. ﴿**لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ**﴾: لا يكثر عند الله. ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾. إن فعل أكثر ضاعف له أكثر أنت اعمل وهو يوسع عليك، بحسب النية تنال.

40- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: يوم القيامة. ﴿**هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾: هل لهم حولٌ وقوةٌ؟ ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾.

سورة الروم: [41-50]

41- ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ**﴾: بدا وطغى. ﴿**فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾: الجو والماء والطعام والعلاقات الاجتماعية والأسرية، الحياة ليست بحياة. ﴿**بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾: طلبتم سبل الإعراض فحلّت بساحتكم الأمراض فذوقوا إصراركم. ﴿**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾: **"أعمالكم عمّالكم تُكال لكم ثم تكال عليكم"**، كل إنسان عمله راجع عليه خيراً كان أم شراً. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾: ما هذا البلاء والعذاب إلا من أجل أن يرجعوا إلى الله. لعلّه يفكر ويعود عن هذا الطريق المرعب وتلك المثل العليا الأرضية "الرذيلة". انكشفت حقيقته فكانت كالسراب، حسبوا فيها الحياة والرفاه فإذا فيها السم الزؤام، فلعل بعد الاكتشاف يتم الرجوع فالارتشاف ويشفى بالإقبال على الله.

42- ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ**﴾:

عقِّبوا أحوال الأقوام وأحوال الأفراد عظيمهم وحقيرهم تجدوا أن الشرك "عدم إيمانهم بلا إلّه إلا الله" سبب تعاستهم، الشرك أن تؤمن بأن مع الله فعالاً آخر؛ أي تؤمن بأن للمخلوق قدرةً، يضرُّ وينفع، وهذا شرك وفيه يصل الإنسان إلى الكفر والضلال وإلى الشقاء.

43- **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾:** وجِّه نفسَك للحق المستعلي. **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾:** يتفرقون، كلٌّ يقول نفسي نفسي.

44- **﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾:** يلبسه يوم القيامة كالثوب. **﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾:** يزرعون.

45- **﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾:** لا يحب لهم طريق الكفر لما فيه من شقاء وتعاسة عليهم.

46- **﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾:** تبشر بالخير والمطر. **﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾:** بهذه الرياح. **﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾:** لتفعلوا الخيرات عن طريق التجارة. **﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. الله على نعمه، خلقك لتعامل الخلق بالإحسان لتعود إليه وتنال السعادة غداً.**

47- **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾:** أصبحوا خالين من الخير. **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾:** في كل زمان ينصر الله المؤمنين ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم. ولو أن الإنسان استقام ولو بمفرده لرفع الله شأنه وحفظه وحماه من كل ضيق وشدة.

48- **﴿اللَّهُ﴾:** صاحب الرحمة والحنان بك أيها الإنسان صاحب الأسماء الحسنى. **﴿الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾:** هو سبحانه بيده التسيير. لولا الهواء ما سيكون حالك؟! هلّا رأيت أيها الإنسان أن الله خلق الرياح ويرسلها بنظام كامل.. هل نظرت؟ هل فكرت؟ هل رأيت ما فيها من كمال؟ الكون كله كامل منظَّم خُلق من أجلك، وأنت أما جعل لك نظاماً لتسير عليه؟! **﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾:** تبخِّره من سطح الماء وترفعه. **﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾:** ينقله إلى حيث يشاء لينزل المطر. **﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾:** قطعاً. **﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾:** حبات المطر. فكلمة "ودق" مشتقة من (ودّ) و (دقّ) أي الدقة، فالله الرحيم المحب لنا يواددنا ويهادينا بإرساله لنا الأمطار المفعمة بالحياة والتي بها المواسم ونتاجها بدائع الأطعمة والمشروبات بما وضع الله بها من خصائص تدب الحياة على الأرض من بعد أن كانت خامدة وتزدهي بالأزهار والورود والبنين والبنات والأنعام كلها من مواددة الرحيم المحب لنا.

وكذلك هذه الأمطار يلفتنا تعالى إلى كيفية نزولها بدقة وانتظام فلا تصطدم قطرة مع قطرة أخرى في السماء، فلو حصل ذلك لنزلت إلينا بشكل شلال وخرّبت المزروعات والثمار وجرفت التربة ولما استفاد منها بشر، بل لكانت وبالاً على الناس، ولكنها بلطف الله ودقة صنعه يرسلها لنا بدقة قطرة بعد قطرة برقّة ولطف فلا تزعج النبات الضعيف ولا تدمِّر الزروع والأشجار. فما أعظم حنان الله وعنايته بنا!

وكذلك كلمة (ودق) يتضمن معناها المواددة والدقة والوقاية، فهي تقينا العطش والجوع والحرمان، فكم يحبنا تعالى. كل ذلك لتلتفت نفوسنا إليه سبحانه وتقدّر فضله ونعمه وهداياه فتنال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. **﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾:** يفرحون بنزول المطر.

49- ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾: المطر. ﴿مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾: ما فكروا فما قدَّروا، فظلّوا على ما هم عليه من الجحود والنكران.

50- ﴿فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: كل ذلك يدل على رحمة الله بخلقه. ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: ينبت النبات. ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: الخلق من ثمار وأنعام وبنين وإعادة خلقهم كل عام دليل لك أيها الإنسان أن الله: ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾: سيعيد خلقك مرة ثانية، كذلك إن أقبلت عليه يحيي قلبك بنوره تعالى. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادر سبحانه على هذا، والدليل خلق الكون وتسييره وإمداده سبحانه له.

سورة الروم: [51-60]

51- ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾: بلاء على الناس والنبات، هذه الريح جعلت الزرع أصفرَ يابساً. ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾: الله سبحانه أرسل لهم هذا البلاء والعلاج ليرجعوا إلى الحق، لكنهم ما التفتوا. لا الرخاء أجدى معهم ولا الشدة جعلتهم يؤمنون ويغيّرون ما بأنفسهم. ولم يفكروا حتى يعرفوا السبب، ما قالوا أن هذا البلاء من أعمالنا ومعاصينا، فلنبدّل ونغيّر، بل ازدادوا كفراً، لذلك قال رب العالمين مخاطباً رسوله:

52- ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾: من ماتت نفسه. الذين لم يقيموا لأنفسهم صلةً بي "أصحاب القبور، الشهوات والهوى المهلك". ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾: من أعرض عن الحق، فكيف يسمعونني على لسانك الطاهر الشريف. ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾: فإن لم يسلك الإنسان بذاته من ذاته بطريق الحق، ويسرْ على القانون؛ من التفكير بالموت حتى تخاف نفسه وتخشى على مصيرها ويفكر، في بدايته وفي الآيات ويشهد أن إلّه إلَّا الله شهوداً قلبياً، فلا فائدة منه مهما كلمته ونصحته.

53- ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾: لا تستطيع هداية الأعمى عن الحق. ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا﴾: من يصغي إليك[7] ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: فإنه يستسلم للحق ويذعن. يجب أن يطيع الإنسان بعد أن يؤمن، ليكون على بيّنة من أمره.

54- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾: كنت نطفة. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾: شاباً. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: شيخوخة. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

55- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾: الذين لم ينالوا من الله شيئاً، لم يسمعوا من الرسل بل سمعوا من الخاسرين. ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: لم نشعر إلا وذهب العمر، الدنيا مدة قليلة أما الآخرة لا نهاية لها، الدنيا لمحة بالنسبة إليها. ﴿كَذَلِكَ﴾: هي كذلك. ﴿كَانُوا﴾: بالدنيا. ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يتحوَّلون.

56- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: بأسماء الله الحسنى. ﴿وَالْإِيمَانَ﴾: بلا إلّه إلَّا الله. ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

57- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أنفسهم، ما دلُّوها على الله. ﴿مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يوم القيامة لا يُعاتب الإنسان على ما قام به من سيئ الأعمال وفعل، حيث لم يبقَ له طريق للرجعة والتغيير، ولا يستطيع أن يقدم أعمالاً صالحة تكسبه ثقة بنفسه فيقبل على الله، فما اكتسبه وناله في دنياه هو غاية ما وصل إليه ولن يستطيع أن ينال غير الذي ناله بالدنيا، لذلك لا فائدة من العتاب.

---

[7] للإيمان طريقان، الأول يسمع فيفكر فيعقل، الثاني يرى بعينه فيفكر فيعقل.

58- **﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾:** كل شيء بيَّنه الله لهذا الإنسان، ذكر له عن الأقوام الذين عارضوا وما ساروا بالحق وما أصابهم، وذكر الأقوام التي آمنت وما نالوه. ما فرّط الله تعالى في الكتاب من شيء ولله الحجة البالغة. **﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآَيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾:** ليردوا الحق، فلا فائدة من إرسال الآيات "المعجزات".

59- **﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:** الله سبحانه وتعالى كله رحمة وحنان على هذا الإنسان، يطبع على قلب المعرض المصرّ على الرذيلة فلا يريه ما وراء عمله ليُخرج له شهوته من نفسه وما فيها من خبث، فتخرج الشهوة، ثم يرسل له بعد خروجها بلاءً بما قدّمت يداه من عمل لعله يرجع إلى الحق.

60- **﴿فَاصْبِرْ﴾:** عليهم. **﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾:** وعدك بالنصر. **﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾:** عندئذ لن يستخفَّ بك الذين لا يوقنون.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة لقمان: [01-10]

1- ﴿الٓمٓ﴾: خطاب من الله سبحانه لرسوله ﷺ.

{أ}: يا أحمد الخلق، {لَ}: يا لطيفاً، من قربه ﷺ من الله صار لطيفاً يعرج بلطف بالخلق إلى الله. أي صار للعالمين شفيعاً، {مَ}: يا محموداً عندي وعند خلقي.

الذين آمنوا بلا إلٰه إلا الله وصارت لهم التقوى هؤلاء يسمعون خطاب الله تعالى لرسوله ويشاهدون قدره ومقامه وعظمته ﷺ عند الله.

2- ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: سنتلوها عليك لأنك أهل لأن تبلغها لعبادي. بتلك الصفات العالية التي نالها ﷺ طُبِعَ في نفسه الشريفة الكتاب. ﴿الْحَكِيمِ﴾: بك وبكل الخلق، حكمته سبحانه اقتضت أن ينزِّل عليك الكتاب، فأنت أحق الخلق به وهم لديهم القدرة إن استعانوا بك وآمنوا بالله ليبلغوا التقوى ويتنزل عليهم الكتاب، ولهذا أنزلت عليك الكتاب من أجلهم. لكن مع الأسف لا يوجد من يفكر في الآيات ولا حكمتها، إذا ما فكر كيف يستعظم القرآن؟! هذا القرآن لا يمكن فهمه إلا للطاهر، الطهارة بالصلاة، الصلاة بالاستقامة والثقة، الثقة والاستقامة بعد الإيمان بلا إلٰه إلا الله والتفكير بالآيات، التفكير لا يتم إلا بعد ترك الدنيا، ترك الدنيا لا يكون إلا بالتفكير بالموت واليقين من فراق الدنيا. فهذا الكتاب لا أحد الآن يعرف الحكمة منه بسبب عدم تفكيرهم.

3- ﴿هُدًى﴾: ليهتدي الناس به إلى الله وينالوا السعادة والجنات. ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾: المحسن بإحسانه للخلق يصبح قريباً من الله ورسوله وأهلاً لنيل الإحسان. أهل الإحسان رحمة الله قريبة منهم بسبب إحسانهم للخلق، فالله يحب المحسنين.

4- ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾: لأنفسهم. ﴿الصَّلَاةَ﴾: يفكرون بالكون ليؤمنوا بالله وترتبط نفوسهم برسول الله ﷺ ويعملون الصالحات ليتقربوا منه سبحانه وتدوم صلاتهم. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: الطهارة لأنفسهم، ولا تكون الطهارة النفسية إلا بالصلاة. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: هؤلاء أول الأمر فكروا بالموت حتى خافت أنفسهم واستقامت على أمر الله، بعدها فكروا بالكون وآياته فآمنوا، ثم بعدها فكروا بما أنزل الله على رسوله فعلموا أن الله قادر على أن يحييهم مرة ثانية، وعرفوا أنه لا بد من يوم سيسألون فيه عن أعمالهم التي عملوها بالدنيا.

5- ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾: هؤلاء يصلون لمعرفة المربي، مربيهم ومربي الكون كله. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: ينالون فضل الله عليهم بالدنيا والآخرة.

6- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: يكرهون سماع الحق بسبب حبهم للدنيا وللمعاصي ويُسرون بسماع الباطل من الأحاديث، هذا البيان أنزله الله علينا لنفكر ونعمل به، ففيه وحده السعادة ودخول الجنة وبغيره الشقاء. ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: المعرض عن ربه يسير بغير كلام الله ليضل نفسه وغيره عن طريق الحق. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: نصَّب نفسه مرشداً لغيره وهو بلا نور وليس على بصيرة من الله. ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: لا يعبأ بكلام الله ورسوله، فهو لا يحقق لهم أهواءهم ورغائبهم المنحرفة التي توصلهم للهلاك. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: الذل والحقارة لهم دنيا وآخرة.

7- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا﴾: وهذه الآن حاصلة بين الناس، فرسول الله ﷺ وضَّح لهم كل شيء، لكن ما سمعوا الحق منه وذهبوا لغيره، وإذا جاء من ذكَّره وأنذره وبيَّن له معاني كلام الله العظيم وما فيه من حقائق وبيان لم تأتِ البشرية بمثله وما سيناله إن اتبع الحق من العز والإكرام والجنات: ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾: استكبر على رسول الله ﷺ، ولّى وجهه شطر الدنيا وشهواتها معرضاً عن هذا البيان وهذه الدلالة السامية. ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾: ينكرها ولا يريد سماعها، سمع بأُذُنِه ولكن لم يدخل شيء لقلبه، فقلبه ظلَّ في صمم. حب الدنيا من مال وجاه ونساء وبنين غطّى عليه وسدَّ عن النفس مسامعها. ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: سدّاً، حبه للدنيا وشهواتها سدَّ عليه سماع الحق **"حب الشيء يعمي ويصم"** استغلق على قلبه بسبب ميله الأعمى للدنيا، فأمراضه وعلله جعلته يستحب الشر ويكره الخير لنفسه. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فالعذاب أنسب شيء له حتى يرتدع ويعود عن غيّه كذلك النار غداً له بشرى، كالمريض الذي يصرخ ألماً وجاء أحد من أقاربه يخبره بدخول المستشفى والعلاج، فهذا الخبر بشرى لهذا المريض، كذلك النار بشرى لهؤلاء المعرضين.

8- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: بالله، وآمنوا بما أنزله سبحانه على رسوله من بيان. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: بعد الإيمان العمل الصالح. ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾: جزاءً لهم على ما قدموا من أعمال صالحة.

9- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: مرتمون بأنفسهم عليها لا يبغون عنها حولاً. ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾: وعده صدق، وعدهم بالجنات ووفَّى سبحانه بوعده. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: هذا ما يريده لكم الله تعالى، أن تصلوا لهذا الكمال، ولن تصلوا إليه إلا بسيركم بكلامه وبيانه الحكيم المنزَّل على رسوله ﷺ، عندها تؤمنون به سبحانه فتنالون كمالاً فتعملون الخير والإحسان فتدخلون الجنة، ولكن كيف الوصول للإيمان؟

10- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: هذه فكِّر بها لتؤمن بالله، كيف أن السماوات بغير عمد محمولة في هذا الكون. ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبال. ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: لئلا تميد بكم وتضطرب في جريها "دورانها". ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: في الأرض. ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾: كل ما تحتاجه أيها الإنسان موجودٌ على الأرض، ففكِّر بفضل الله عليك. ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: لتشربوا وتسقوا أنعامكم وزرعكم. ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: كل ما خلق الله نافع مفيد لا ضرر فيه ولا أذى عليكم.

سورة لقمان: [11-20]

11- ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾: لكم، من أجلكم وأجل حياتكم. ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: الذين أشركتم بهم ولحقتموهم، هل المخلوق بمقدوره أن يخلق شيئاً لم يخلقه الله؟ هل يخلق لكم الماء والطعام والهواء؟ لو قطع الله عنكم هذا، ما مصيركم عندها؟! ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم فما دلوها على الله، هؤلاء اتبعوا غير كلام الله، ظنوا أن للمخلوق حولاً وقوة وأنه يعز ويرزق لذلك تركوا الله وساروا معهم. ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: ضلوا عن الحق والسعادة التي أعدها الله لهم.

12- ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾: علَّمه الله الحكمة من كل شيء أنزله عليه. ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾: علَّمه ليدل الخلق عليها فيؤمنوا بالله. ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ﴾: منكم أيها الخلق. ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: العائد عليها والسعادة والجنة لها. ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: بها "بالحكمة". ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: غنيٌّ عنكم ليس بحاجتكم بشيء، ويحمد على كل شيء سبحانه.

13- ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾: سيدنا لقمان يرشد ابنه طالب التقوى. ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: لا تشرك بأوامره سبحانه أحداً، غير كلام الله لا تتبع وتسمع، فلا طاعة لمخلوق مع الله، الإنسان مهما علا إن لم يسر على كتاب الله لا بد وأن يخطئ. أمَّا دلالة الله فكلها كمال. إذن اسمع

كلام من يبلّغك عن الله. ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾: في أذاه عليهم، كبير في نتائجه إذ حوّلهم عن طريق السعادة إلى الشقاء. من ينسب الفعل لغير الله هذا هو الشرك كذلك من يسمع ويتبع كلاماً مخالفاً لكلام الله {**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ**}[1]. بالشرك حتمية الوقوع بالمعاصي لوجود الدافع الغريزي الداخلي، وفقدان الوازع الخارجي "الإلّه".

14- ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ**﴾: وصيناه بوجوب معاملتهما بالإحسان والرحمة. إذ الإحسان لهما يجنب الوقوع بالشرك (صنائع المعروف تقي مصارع السوء}، فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه لأحد، فمن أنكر الفضل الإلّهي الملموس عليه من أعظم الناس عليه فضلاً لا عجب أن ينكر فضل الله ويبقى عنه مشيحاً، فمن لم يسلك طريق الشكر فلن يصل للمنعم المغدق الحق، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾: وهذه المدة كافية للطفل ثم بعدها يستطيع المولود الاعتماد على المأكولات الأخرى، فحليب هاتين السنتين فيه كافة العناصر والمركبات الضرورية لبناء جسم الرضيع حيث يُصبح قادراً على هضم وتمثُّل ما يأكله من مأكولات بأسنانه اللبنية، ومن جهة ثانية فهاتان السنتان من الرضاعة كافية لإقامة علائق المودة والحنان بين الأم وابنها، فبهذه المدة تتوثَّق الروابط النفسية من رحمة وحنان ومحبة بين الطرفين وذلك ما يريده الله تعالى. ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي**﴾: على هذا الفضل أن جعلت لك أبوين ووضعت في قلبيهما رحمةً وحناناً عليك كي يُربِّيانك ويرعيانك وهذه من عيون رعايتنا بك. أنت انظر إلى فضل الله، اشكر نعمه عليك، الشكر؛ من عرف نعمة الله بالإيمان هذا يشكر ويعمل صالحاً. ﴿**وَلِوَالِدَيْكَ**﴾: رد إليهم المعروف كما بدؤوك به، لا تضجر منهما، لأنك إن فعلت المعروف ترقى ويرقى أبواك. ﴿**إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾: النتائج، المرجع إليه سبحانه ولك أيها الإنسان على معاملتهما الأجر العظيم من ربك.

15- ﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا**﴾: الطاعة لله وحده، غير كلام الله لا تسمع ولا تطع أيها الإنسان ولو كانا أبويك. هل الأب خلق ابنه وركَّبه هذا التركيب البديع في بطن أمه؟ هل كان يعلم أهو ذكر أم أنثى؟ أم هو الذي يرزقه بالغذاء حتى نما وكبر؟ فمن الذي يدير الفصول الأربعة ويدير الكون كله وينزِّل المطر لينبت الزرع وينعقد الثمر ويُغلِّفها حتى تكون لهذا الولد؟ فهل للأب يدٌ وتصرفٌ في ذلك؟ فهل هو الذي صنع ابنه حتى يكون ملكه؟ هل هذا الولد صُنْعه أم صُنْعُ الله؟ ومن أخرج له من ثديي أمه الحليب الصافي النقي المناسب له وأمدَّه به إثر خروجه إلى هذه الحياة؟ فالذي يرزقنا ويسقينا وبالخير العميم يشملنا وبرحمته وعيون رعايته يكلؤنا هو أحق من كل مخلوق ولو كان أولي قُربى ولله الطاعة وحده ولا شريك له، وللوالدين الإحسان لأنهما بدآك بالإحسان. هكذا يقول سيدنا لقمان الحكيم لابنه. ﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾: لكن عاملهما بالإحسان، لعلهما بهذه المعاملة الحسنة يميلان للحق وبالمحبة لك، وبهذا تجر قلبهما للإيمان. ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾: هذا اسمع كلامه وأطعه. لا تسمع إلا كلام رسول الله ﷺ فهو عن الله سبحانه. ﴿**من أناب**﴾: أعرض عن الدنيا الزائلة فاستأنس بالله تعالى واستأنس به الخلق. ﴿**ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ**﴾: يوم القيامة. ﴿**فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: كل عملك محصي عليك، سيبينه لك غداً، لا يضيع مثقال ذرة، لا جنة بلا عمل. من دون عمل لن تدخل الجنة، صلّيت؟ صلاتك ماذا أنتجت لك؟ صومك، حجّك ماذا أنتج؟ بلا عمل لا تنال شيئاً، ألا يجب أن يكون بيدك شيء لكي تُقبل به على الله؟! هكذا يعظ سيدنا لقمان الحكيم ابنه.

---

[1] سورة المائدة – الآية:72.

16- ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ**﴾: الحديث عن العمل الصالح والآية تقول أيها الإنسان إن زرعت ازرع جميلاً. ﴿**فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ**﴾: أبوك، أمك ولو كان قلبهما قاسياً كالصخر أنت اعمل كل جهدك ليؤمنا بالله فلعلهما بلفتة منهما إليك يصلحهما الله، أي ازرع ولو في صخرة والله لا يضيع لك عملك. ﴿**أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ**﴾: وإن كان أبواك عاليَيْن، بالإيمان بتوجّه نفسك لهما تستفيد وتحصل لك الرابطة والمحبة حتى ولو كانت غير شعورية. ﴿**أَوْ فِي الْأَرْضِ**﴾: كافر وعامل والديه بالإحسان الله لا يضيّع له هذا العمل، يعطيه الله أجره بالدنيا من صحة ومال وجاه. ﴿**يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**﴾: هكذا يجب أن ترى أن الله محيط بالكائنات كلها من الذرات إلى المجرات فالإيمان شهود.

كذلك الآية تتحدث عن العمل السيئ ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ**﴾: قصور صخرية بغرف حجرية مغلقة إن ارتكبت بها ﴿**أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ**﴾: "الطيران". ﴿**أَوْ فِي الْأَرْضِ**﴾: أقبية السجون، أو نفسياً مع الشياطين والجن أو أي مكان. ﴿**يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**﴾: كيف لا وقيام هذه المخلوقات به تعالى وديمومتها بديمومة مناظرته جلّ وعلا لها، وإمداد الحياة بأنواعها لخروج الأعمال لحيز التنفيذ من الحي الخالق الموجد الحافظ لها ولبنائها والذي بها تعالى هو محيط.

﴿**إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ**﴾: نوره سارٍ بك دون شعور منك ومشاهد سبحانه لك ولعملك ولا يضيّع لك شيئاً. ﴿**خَبِيرٌ**﴾: بعباده سبحانه وما يناسبهم، فما حال الإنسان الظالم لنفسه يومها وقد تبدى له إجرامه وما أتى من أعمال صغيرها وكبيرها. ؟!

17- ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ**﴾: اذكر فضل الله عليك لنفسك ومن ثم لعباده. ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾: دل نفسك وغيرك على الخير والفضيلة. اذكر فضله، حنانه، عطفه "إن لم تذكر الله كيف تتصل به" عرّفهم به، ذكِّرهم بعطف الله وحنانه لتحصل لهم الصلة به، حيث جُبلت النفوس على حبِّ من أحسن إليها. ﴿**وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾: الصلاة الصحيحة فيها حياة وسعادة للقلوب، بها تغنى النفوس وترفل بالنعيم وبها ينتهي الإنسان عن فعل المنكر ويستطيع أن ينهى غيره عنه. ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾: بعد الصلاة الصحيحة يستطيع المرء أن يصبر، إذ الصبر من أعلى المراتب الإيمانية. واعلم أن ما أصابك من مكروه هو مما قدَّمت يداك، من نفسك، أرسله الله إليك ليطهّر نفسك من ذنوبها وعللها فتسعد. يجب أن تقول هذا البلاء لإخراج ما في نفسي، فتُب واصبر وأقرّ بنعمة الله في ذلك. صبر مع تقوى يُريك طريق معاملتهم الحسنة. ﴿**إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾: هذا فعل المؤمن القوي بالإيمان وهذا حاله مع الله ومع الناس. على المرء أن يُخرج غشَّه من نفسه فلا يبتليه الله تعالى، الابتلاء لما في النفس، يأتي الابتلاء منها، بأخطائها يأتيها للتنقية والتطهير، لا بمجرد الإيمان تدخل الجنة بل لابد من التطهير النفسي، فيعلم أن ما أصابه منه.

18- ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**﴾: لا تلتفت لكلام الناس تجاهك، لا تهتم بكلام أحد من الناس فلن يضروك ولن ينفعوك بشيء. خذ ما آتاك الله بقوة واذكر ما فيه، والذي يتعالى ويتكبر ويأكل حقوق الناس ويُصرّ على ذلك فقد عرّض نفسه لمواقف الذل. أعطِ كل صاحب حقٍّ حقَّه فتكون صاحب سلطان وإلّا فسوف تتعرَّض للإذلال. ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**﴾: تمرٌّ في هذه الحياة، تسير بلا قانون إلا اتباع الهوى أهواء النفس المتقلبة، ولا تشعر بأهمية ما تحمل من أمانة كي تعطيها حقها، بل تخون ما عاهدت ربك عليه. لماذا لا تؤمن؟ فلديك فكر وآيات الكون بين يديك! ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ**﴾: يتخيل في نفسه العظمة، ويتخيل حاله أنه قوي، غني، وأنه عظيم له شأن. ﴿**فَخُورٍ**﴾: يفتخر بما ناله من دنياه. هذا المختال الفخور الله لا يحبه.

19- ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾: بكل أمر تمشي به انوِ نيَّة لله فيها خير لك وللناس، كأن توجّههم إلى الله وتحدِّثهم بما سمعت عن الله، وكذلك انوِ الإيمان والتقرّب إلى الله بكل أمر تسير به، لا تُسلِّم نفسك

لأيٍّ كان، بل فكِّر قبل هذا. لا تكن تابعاً كأن تقول قال فلان وتكتفي دون تمحيص ورجوع إلى كتاب الله. ﴿**وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ**﴾: صوت النفس الأمارة بالسوء، لا تسر بما تقوله لك وتـأمرك به وتشتهيه بل اردعها عن معاصيها. غضُّ الصوت ألا يتكلم الإنسان بالباطل "أي لا يتكلم باللغو" المؤمنون الذين آمنوا بالله وانشغلت قلوبهم بآلاء الله وحب الله فهم لا يتكلمون إلا بما يوصل إلى الله. وكل حديث عن غير الله فهو لغو. ﴿**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾: ففي أصوات الحيوانات ما هو أقبح وأبشع، ولكنهم يصدرون أصواتهم ضمن الوظيفة والحاجة إلا الحمار فهو ينهق بلا حاجة ولا وظيفة بلا جوع ولا عطش ينهق في منتصف الليل أو عند الظهر بلا سبب. والذي يتكلم دائماً بلا سبب فمن قلة الأدب، فلا تكن أيها الإنسان مثله "لسانك حصانك إن صنته صانك". على الإنسان أن يتكلّم ضمن التفكير وحساب النتائج الخيِّرة والحسنة على المستمعين لكلامه. ولا يتكلم ناطقاً بأهوائه بل ضمن النية الحسنة والكلام الموجّه إلى منبع الخير "حضرة الله تعالى"، فهذا هو القول السديد الذي أوصانا الله تعالى به. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾[2].

20- ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: غيبي! أليس هذا واقعاً مشهوداً ملموساً، الله الكريم سبحانه كله إحسان، كل ما في السماوات والأرض من مخلوقات مسخّر لك أيها الإنسان ولأجلك خلقها الله، فكم أنت مكرَّمٌ عنده سبحانه، فانظر بإنعامات المنعم الحقيقي تحظَ به وتغنم مالم ينله مخلوق في الكائنات فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ**﴾: تتنعموا بها. لقد آنسك الله بكافة خلائقه ومعطياتهم الثمينة. ﴿**ظَاهِرَةً**﴾: لأجسامكم. ﴿**وَبَاطِنَةً**﴾: لنفوسكم، أفلا تكحّل عين نفسك بجلال جماله وقربه بالتوجّه إليه من ثنايا عطاءاته وإنعاماته! وأرسل لكم من بمعيَّته تقبلون عليه سبحانه فتشفى نفوسكم من عللها وسيئاتها التي تسوؤكم وتشقيكم، وتسعدون بهذه النعم. ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ**﴾: ينكر أن تكون الأمور كلها بيد الله، لشركه بالله يراها بيد فلان وفلان، هذا الكون العظيم وتسييره وإمداده ألا يدل على أن الله بيده وحده كل شيء. ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾: لا علم له بالله وأسمائه، هذا ما فكَّر، ما آمن ليحصل له العلم بالله بقوته وعظمته وتسييره سبحانه. ﴿**وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾: جاهل ويجادل وينسب الظلم والسوء لله، يقول: الله كتب على الإنسان الزني وشرب الخمر والمنكر والإجرام وينسى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[3].

سورة لقمان: [21-30]

21- ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾: ارجعوا لكتاب الله لا لقول فلان وفلان، سيروا بما أنزل الله على رسوله ﷺ فقط، كتاب الله اسمعوا، لا تطيعوا غيره سبحانه، الكتاب يأمركم بالسير بطريق الحق واتباع قوانين الهداية من استقامة على طاعة الله وتفكير بالكون وأعمال صالحة، بعدها تشاهدون الحق وتستنير نفوسكم فترون الحقائق. ﴿**قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا**﴾: رفضوا، ما ساروا بكتاب الله ودلالته لأنهم وجدوا أنها تخالف انحرافهم، لذلك ظلُّوا على عبادة الآباء والأجداد وهذه عبادة الأصنام. ﴿**أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾: ما جاءكم عن الآباء والأجداد إنما هو وحيٌ من الشيطان عدوكم الذي توعد بإضلالكم لتدخلوا النار، الكتب عن غير الله تنسب الظلم لله كما نسب إبليس غوايته لله، فكيف تسيرون بها!

[2] سورة الأحزاب – الآية:70–71.
[3] سورة النحل – الآية:90.

22- ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: يستسلم لله سبحانه، وهذا لا يكون بحقيقته إلا بعد الإيمان الشهودي بالله. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: للخلق جميعاً. ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: رسول الله ﷺ فإذا آمن الإنسان وأصبح كاملاً أحب سيد الكاملين ﷺ ولا يعود ينفك عنه بعد ذلك أبداً ولا يتراجع قط، وهذه هي الشفاعة، إذ هذا المؤمن الكامل يصاحب بنفسه نفس رسول الله فيدخل بمعيته ﷺ على الله وينال منه سبحانه وتعالى الشفاء والكمال ومشاهدة أسمائه تعالى الحسنى. ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: سيريه الله بعد ذلك آياته.

23- ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: ما فكر بالكون فما آمن بلا إلّه إلا الله، هذا بعدم إيمانه يقع بالفواحش والإجرام لأنه لا يرى الله قريباً منه، رقيباً. ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾: لا تحزن عليهم، رحمته ﷺ بالخلق جميعاً لذلك يتمنى لهم الهداية جميعاً. ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بالدنيا سيرهم بيدنا، ويوم القيامة نحن لا نتركهم فلابد من علاجهم. ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾: سنكشف لهم أعمالهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: عليم سبحانه بكل نفس وما يناسبها، هؤلاء صمَّموا على الكفر والشهوات والله يعطيهم ما أصرُّوا عليه، وبعدها لهم العلاج بالشدائد والمصائب لعلهم يرجعون للحق، فإن لم يرجعوا بهذه الشدائد والمصائب فلهم بعد موتهم عذاب القبر وأهواله، فإن لم يرجعوا بالقبر فلابد لهم من دخول النار علاجاً ودواءً لهم حتى يقبلوا على الله.

24- ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾: الآن نمتِّعهم بهذه الدنيا وشهواتها، فلا بد من ذلك لإخراجها من أنفسهم، فلهم الاختيار. ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: يوم القيامة. إن لم يرجعوا للحق ويؤمنوا بالله بعد الشدائد والمصائب، فلابد لهم من العذاب الشديد.

25- ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: جميعهم يؤمن بالخالق ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة، فالكون دليل قاطع على وجود خالق. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا إلّه إلا الله، ولا طرفاً من أسمائه الحسنى، فقط عرفوا أن هناك خالقاً لكنهم ما شاهدوا تجليه وتربيته وتسييره سبحانه لمخلوقاته، ولم يعرفوا أسماءه الحسنى.

26- ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كل ما فيهما عائد إلى الله بالإمداد والتربية والتسيير، فلا إلّه إلا هو سبحانه. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: غنيٌّ عنكم، وهو سبحانه يُحمَد على كل أفعاله وأعماله، فكلها خير لهذا الإنسان، وغداً المعرض يرى ذلك.

27- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾: لو أن كل شجر الأرض أقلامٌ تكتب معاني كلام الله. ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: وإذا كانت البحار حبراً لهذه الأقلام. ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾: كل الخيرات والفوائد من البحار التي فيها الماء {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}[4]، ولولا البحار والماء الذي فيها لكانت الأرض صحراء لا حياة فيها ولا خيرات، والله سبحانه بهذه الآية يخاطب الإنسان ويلفت نظره إلى ما سيناله من خير وجنات وسعادة أبدية بواسطة كتابه وبيانه المُنزَّل على رسوله الكريم وما فيه من فوائد لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ولكن الشرط أن يشاهدها ويعقلها، فإن عقل الإنسان معانيها نال هذا الخير والفضل العظيم والجنات، فبكلامه سبحانه المُنزَّل على رسوله جنات لا تنفد أبداً، وخيراتها لا تنتهي وتبقى لك أيها الإنسان دائماً وبتزايدٍ عليك، وكل هذا الشيء لا يناله الإنسان إلا إذا آمن بربه إيماناً شهودياً، فالله سبحانه يقول {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى

[4] سورة الأنبياء – الآية:30.

وَشِفَاء}[5] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: بإيمانك به سبحانه عزتك ورفعتك أيها الإنسان، وبكلامه رُقيُّك وعُلوُّك. ﴿حَكِيمٌ﴾: لذلك أنزل لكم الكتاب، لأجل أن تكونوا علماء وحكماء.

28- **﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾:** كل هذا هيِّنٌ على الله سبحانه وتعالى. **﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾:** لأقوالكم. **﴿بَصِيرٌ﴾:** بكم وبأعمالكم، وستجزون بها.

29- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾:** هذه فَكِّر بها لتصل إلى الإيمان بالله، هذا الليل وهذا النهار ألا يدلان على دوران الأرض وكرويَّتها؟ هذا التسيير ألا يدل على الله؟ **﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾:** سخرهما لك أيها الإنسان من أجل حياتك، فكم أنت غالٍ على ربك. **﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾:** لكل منهما مكان شروق وغروب وبوقت معين وبنظام لا اختلاف فيه، هذا النظام ألا يدل على لا إلّه إلا الله. **﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:** وستجزون بأعمالكم.

30- **﴿ذَلِكَ﴾:** ذلك الكون العظيم، وما فيه من آيات تدل على التسيير والتربية، كل ذلك يدلك أيها الإنسان إن فكرت به على أن الله هو المسير بالحق والعدل لكل ما يجري في السماء والأرض. **﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾:** وهو سبحانه الفعّال وحده المتصرف بهذا الكون، تصل إلى هذا وتشاهده إن فكرت كيف أن الله يولج الليل بالنهار، عندها تؤمن بلا إلّه إلا الله. **﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾:** انظر حال من سار على غير كلام الله أمماً وأفراداً وما وصلوا إليه من إجرام وشقاء، لا فعل لغيره سبحانه ولا أحد بمستطيع أن يدفع عنك شيئاً، ولا أن ينفعك ويعطيك ويمنحك. **﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾:** به تعلو نفسك أيها الإنسان وترقى في معارج القدس والطهارة والجنات والسعادة. **﴿الْكَبِيرُ﴾:** مهما رأيت من فضله، ففضله أكبر وأكبر، ومهما بلغت ورأيت من رحمته وحنانه فهو أرحم وأحن، ولا حدَّ ولا نهاية له ولأسمائه الحسنى، فله سبحانه أسلِمْ.

سورة لقمان: [31-34]

31- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾:** انظر إلى هذه الآية التي تحمل السفن في البحار. **﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾:** لولا القدرة التي وضعها الله في الماء لما سارت السفن عليه فما هذه القوة الدافعة لها بهذا الماء اللطيف؟! **﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾:** الدالة عليه، لتؤمنوا به وتسعدوا. **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾:** دالة على قدرة وعلم ورحمة من الله عليكم. **﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:** هذه الآيات يراها الإنسان بالإيمان بمعية رسول الله ﷺ، ولن يصل إليها مالم يصبر عن الشهوات، ويشكر الله على فضله؛ وذلك بالعمل الصالح.

32- **﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾:** إن جاءهم العذاب والمرض والشدة. **﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾:** عندها يلتجئون إلى الله وينسون من أشركوا بهم مع الله. **﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾:** خلَّصهم من الشِّدة. **﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾:** اغتنم فرصة الراحة والرخاء من بعد الشدَّة والبلاء وجدَّ في التعرُّف إلى الله تعالى حتى اهتدى إليه ووصل إلى الإيمان الصحيح، وهنالك تغمَّده الله برحمته وغمره بفيض من برِّه وإنعامه فجعل يشكر الله على ما ساقه إليه من قبل لأنه وجد أنَّ منْعه تعالى هو عين العطاء، وبلاءه وشدائده كانت لنفسه خير علاج ودواء وسبباً في ذلك الرخاء ولله الحمد على كل حال. **﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾:** ينكرها. **﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾:** هذا الذي يختر كفره إذا مرض أو... ثم لا يلبث بعد ذلك أن يعود كما كان وترجع نفسه إلى عكرها. **﴿كَفُورٍ﴾:** راجع لكفره.

---

[5] سورة فصلت – الآية:44.

33- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ**﴾: ابتعدوا عن المنكرات والمعاصي، واسلكوا طريق الإيمان واسعوا للوصول إلى النور لكي تتفتح بصائركم وتعملوا الصالحات وتدخلوا الجنات. ﴿**وَاخْشَوْا يَوْمًا**﴾: حين الموت ويوم القيامة. ﴿**لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا**﴾: كل إنسان وحمله على كتفه ولا أحد ينفعك عندها أيها الإنسان إلا إيمانك وعملك، فلا الابن بمغنٍ عن أبيه شيئاً ولا الأب كذلك بمغنٍ عن ابنه شيئاً، وكلّهم يقول نفسي نفسي. ﴿**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾: وعدكم بالجنات فلا تضيّعوها بالمعاصي والشهوات. ﴿**فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾: لا تخدعكم لذائذها وتُحوِّلكم عمَّا أعدَّه الله لكم من جنات وسعادة كبرى لا نهاية لها. ﴿**وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾: الشيطان لا يخدعكم، سواءٌ كان من شياطين الجن أو شياطين الإنس.

34- ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾: ساعة موتك أيها الإنسان لا يعلمها إلا هو سبحانه، ولابد لك من هذا اليوم فاعمل له. ﴿**وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ**﴾: الماء والحياة عليكم من السماء. ﴿**وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ**﴾: من ذكر أو أنثى، فهو الخالق لهما. ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا**﴾: ما سيحدث لها وما سيصيبها. ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾: تدفن. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾: بكم.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تأويل سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة السجدة: [01-10]

1- ﴿الٓمٓ﴾: {ا}: يا أحمد الخلق، صفة الحمد صفة ذاتية تنبع من نفس صاحبها، فكلما فكَّر الإنسان أكثر حمد الله أكثر، وليس أكثر من رسول الله حمداً لله، فهو ﷺ لم يترك تفكيره في هذه الدنيا لحظة واحدة، لذلك كان أحمد خلق الله لله سبحانه.

{لٓ}: يا لطيفاً، هو ﷺ دائماً مع الله لا ينقطع عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك، وكل من التفت إليه بالتقدير والمحبة والتعظيم صار بالتبعيَّة وبمعيَّته مع الله، فرسول الله ﷺ بلطف كبير منه يُدخل نفسك أيها المؤمن على الله ودون شعور منك، فترى نفسك معه سبحانه وتعالى تسبح بجلاله وعظمته وأسمائه الحسنى. هذا بعد الشعور بأحوال جميلة جليلة وأذواق وإشراقات قلبيَّة وهيام بالله بالصلاة.

{مٓ}: بهذا، أي بحمدك لي، وبلطفك بإدخال أنفس عبادي عليّ صرت محموداً عندي وعند عبادي المؤمنين، وغداً حين كشف الحجاب في الآخرة وتبيان الحقائق، الكل يحمدك على هذا ويعرف فضلك.

2- وبعد أن خاطب الله تعالى حبيبه في مطلع هذه السورة الكريمة بأسمى وأعلى صفات الحمد والثناء اتّجه هذا الرسول الرحيم لأداء وظيفته وتبليغنا بأن هذا البيان كلامه تعالى أمره بتبليغه: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: فمن أين تهدى إليك النعمة العظمى الباقية المُبقية المُسعدة أبد الآبدين، الآن وبالقبر للنجاة من أهواله، والقيامة وما بعدها؟ رسول الله ﷺ بتفكيره المتواصل وتضحياته الكبرى وأعماله العظمى استحق الكتاب فأنزله الله عليه. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: رسول الله ﷺ يبلغ الناس: هل هناك مماثل لي يستحق أن ينزّل عليه الكتاب[1]؟ لا شك لمؤمن أنه الحق من عند الله ويرى الحق أن يتنزَّل القرآن عليك، فهو ﷺ من شدة رحمته بالخلق طلب هدايتهم جميعاً، لهذا أنزل الله سبحانه الكتاب عليه بالحق والاستحقاق فلا خروج بهذا التنزيل عن الحق والعدالة. ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خالقنا ومربينا ومطعمنا هو الذي أنزل القرآن عليه، هذا الكتاب فقط الذي يربط البشرية كلها على تعدد جنسياتها وقوميَّاتها لا سواه وبه يصبح المرء أخ لأخيه الإنسان يعامله معاملة الأخ للأخ، والله يدعونا للإيمان به والالتفات إليه بالتعظيم والتقدير والمحبة لننال عن طريقه ﷺ الجنات الأبدية السرمدية التي عاهدنا الله تعالى أن نأتي إلى الدنيا وننالها، فالمائدة الربانية عنده ﷺ.

3- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: جاء بهذا القرآن والبيان من عنده لا من عند الله. سبكه من عنده بكلام مرتّب، فهو عبقري سبق أهل زمانه وجاء ببيانه وهو ليس رسول الله، ولكنه رسول نفسه غايته أن يحكم ويسيطر على العالم. يقولون ذلك ولا ينظرون، يقولون ولا يقارنون، يقولون دون هدف أن يؤمنوا. ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: هذا القرآن من عند الله، فكما صنْعه سبحانه لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله، كذلك كلامه لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله، فلو كان من عند غير الله لأتوا بمثله ولوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، وهذا ما لم يحدث ولن يحدث. ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾؟: ألم تتتالى

---

[1] رسول الله ﷺ يبلغ الناس: {تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}: فهل هناك مماثل لي يستحق أن ينزل عليه الكتاب.

الرسل والأنبياء قبلك؟ ألم يبشِّروا بك؟ أولست مذكوراً عندهم في التوراة والإنجيل فَلِمَ الإنكار؟! ﴿**لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾: بهذا البيان الذي أرسلته لك لترشدهم به لعلهم يسلكون طريق الإيمان ويهتدون فيخلصون من العمى الذي أوقعوا أنفسهم به ويخرجون منه إلى النور والجنات. ولكن كيف الطريق للإيمان بالله إيماناً قلبياً شهودياً؟

4- ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾: هذا هو الطريق؛ ليفكروا بخلقي العظيم حتى يهتدوا، ليفكروا بتلك السماوات والأرض وما فيهما من آيات دالة على رحمة وحنان وقدرة وعلم من الله. إن فكروا آمنوا هذا الإيمان العالي واهتدوا. ﴿**وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾: من العوالم. ﴿**فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾: جعل للأرض أربعة فصول وليل ونهار، يؤم إليهما خلق طعامنا وشرابنا وتربيتنا. فهذه الحقيقة الجارية السارية أنت وحدك تنبئهم بها عن لساني وبذلك تثبت أنك رسولي فيطيعون أمرك الذي هو في الحقيقة أمري. ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾: تجلّى على الخلق بالحياة والتربية والإمداد، وبدونه سبحانه لا حياة لهذه المخلوقات. فالحياة والروح والإمداد والطعام والشراب المادي "للأجسام" والنفسي "للقلوب" منه تعالى وحده.

﴿**مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ**﴾: مصيركم الحتمي بعد انتقالكم إليه والآن وأبد الآبدين فلا تتجهوا إلى غيره فتخسروا خيراتكم الأبدية، واستشفعوا بنفوسكم به تعالى ولا تنقطعوا عنه فتموتوا ولن تهتدوا إذن أبداً، إذ لا يدوم لك سواه ولا يغنيك عنه أحد، فالذي رافقك وربّاك ونماك في بطن أمك هو الذي يبقى معك بعد انتقالك من هذه الدنيا، وكما غمرك في هذه الدنيا بالحياة والطعام والشراب سيغمرك أيضاً بعدها بحياة دائمية. ﴿**أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾: ألا تفكرون ولو قليلاً بهذا الكون لتؤمنوا به سبحانه!

5- ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**﴾: يدبر أمر معيشتك وهدايتك، خلقك فقط للهداية، وكل شيء خلقه سبحانه لهذه الغاية أيها الإنسان، خلق الله تعالى لك هذا الكون ليس للأكل والشراب فقط، وإنَّما لتفكِّر بما فيه من آيات فتهتدي إليه سبحانه. ﴿**ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ**﴾: ولرحمته تعالى بك جعل رسوله الكريم وسيلة لك لتعرج نفسك بمعيَّته ﷺ إليه سبحانه، فرسول الله ﷺ نفسه مع الله دائماً لا تنقطع عنه ليلاً ولا نهاراً، وبمعيَّته يكون العروج إلى الله والصلاة والإقبال عليه سبحانه ونوال الجنات. ﴿**فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾: ما تناله بلحظةٍ أيها المؤمن مع رسول الله ﷺ من خيرات وجنات وعلوم ومعارف، هذه اللحظة خيراتها لا تعد ولا تحصى. فباللحظة التي يُدخلك بها على الله تنال خيرات وعلوم وجنَّات أكبر وأعظم مما يناله رجلٌ عَبَدَ الله ألف سنة لوحده[2] ولو كان بالصلاح والكمال وبكامل إمكانياته وبكل صدقه وبقي يرقى على هذه الحال ألف سنة.

6- رسول الله ﷺ يقول للمؤمن بالصلاة عندما يدخل بمعيته على الله ويشاهد بنوره الحضرة الإلَهية: ﴿**ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ**﴾: يُشهده ﷺ هذه المشاهدة القلبية وهذا هو الإيمان الشهودي اليقيني، يُريه ﷺ حضرة الله عن شهود، معه ﷺ تتعلَّم علوم الآخرة، ولا يبقى هناك شيءٌ مخفيٌّ عنك من حقائقها فتصبح عالماً بكل شيء. ﴿**وَالشَّهَادَةِ**﴾: ما هو حاصل في الدنيا الآن، تعلمه على حقيقته. ﴿**الْعَزِيزُ**﴾: الخير منه تعالى وحده للرسول وللإنسان وللخلائق، فلا تطلب الفضل من غيره سبحانه فتوقع نفسك أيها الإنسان بالشّرك. ﴿**الرَّحِيمُ**﴾: رباك ورحمك بأن أرجع لك البصر بعد العمى وأحلك بالنعيم والهناء بعد الشقاء، ألا تحمد الله على هذه النعمة! خلقك لهذا المقام، لتنال جنَّاته وتسعد وتستقر بها.

---

[2] أي لم يرتبط برسول الله ﷺ، لم يعبد الله بمعية رسوله بل عبده لوحده.

7- ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾: أعطى كل مخلوق ما يناسبه من أعضاء لأداء وظيفته في هذا الكون، وأعطى الإنسان الفكر ليهتدي به إلى ربِّه، فلا تضيِّع هذه النعمة بعدم تفكيرك، فتشقى وتخسر. ﴿**وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ**﴾: آدم عليه السلام. ﴿**مِنْ طِينٍ**﴾: كان عليه السلام خلقه من طين، تجلَّى عليه سبحانه فأصبح إنساناً. خلق الله تعالى جسم الإنسان من تراب أي من الأرض لتكون هناك موافقة بينه وبين الأغذية التي فيها بناء جسمه وعليها نماؤه فمنها نشأ وإليها يعود. فبم يعتز ويتمسك!

8- ﴿**ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ**﴾: أولاده. ﴿**مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ**﴾: كنت بصلب أبيك مع ملايين النطاف، ضعيف مهان لا تُرى بالعين، خلقك وأحياك وسوَّاك ومنحك الجسم والقوة وأعطاك التفكير، فكم فضل الله عليك أيُّها الإنسان كبير، ألا تفكر بهذا لتحمده سبحانه.

9- ﴿**ثُمَّ سَوَّاهُ**﴾: جعله كامل الخلقة. ﴿**وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ**﴾: نفخ فيه الحياة. ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ**﴾: انظر وفكِّر بفضل الله عليك بهذه النعم، لولاها ما حالك؟ ﴿**قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**﴾: لا تشكرون الله على هذه النعم إلا قليلاً! فكروا بها وبهذا الكون العظيم لتؤمنوا وتعملوا الصالحات، هذا هو الشّكر. ﴿**قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**﴾: ربكم على هذا الفضل! ألا تشكره ولو قليلاً!

10- ﴿**وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾: هل نُخلَق بعد الموت، كما يقول لنا؟ هل من المعقول أن يُعاد خلقنا مرة ثانية بعد أن تبلى أجسامنا وتختلط ذراتها في التراب ولا يبقى أثر لها؟! ﴿**بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**﴾: لأنّهم ما آمنوا بالله منكرون ليوم فيه الحساب، ومنكرون ما سيلقونه في الآخرة من سؤال وعقاب.

سورة السجدة: [11-20]

11- ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾: لابدّ من هذا اليوم، الملك الذي وضع الروح عند مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا وتكوّنه من نطفة هو الذي يسحبها بأمرٍ من الله عند الموت، فهو المُوكَّل بك أيُّها الإنسان بهذه الوظيفة. ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾: للسؤال والحساب.

12- ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾: هذه هي جهنَّم. ففي الآخرة يرى الإنسان المعرض إحسان رب العالمين له وفضله وكيف كان يقابل الإحسان بالإساءة، عندها ينكس رأسه من الذل والعار ويحترق بنار جهنم والندامة على ما ضيّع من جنات أبدية. ﴿**رَبَّنَا أَبْصَرْنَا**﴾: الآن عرفنا الحقيقة، حيث شاهدوا حقيقة أعمالهم وأنّها كلّها سيّئة. ﴿**وَسَمِعْنَا**﴾: سمعوا الصَّيحة، سمعوا كلام الحضرة الإلَهية، لكن لا يستطيعون الإقبال عليه سبحانه بسبب خجلهم. ﴿**فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾: أيقنَّا أنَّ الجنَّة بالعمل الصالح، لكنهم كاذبون بهذا الادّعاء لأنَّهم ولو عادوا إلى الدنيا فلن يفكِّروا ولن يؤمنوا بـ "لا إلَه إلا الله" ولن يعملوا الصالحات.

13- ولكنكم كنتم تقولون: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾: أن لو شاء الله لهدى كل نفس... فالله لم يكتب لنا الهداية... نسبوا كفرهم وضلالهم لله، لكن الحقيقة أن مشيئة الله بالهداية متوقفة على اختيار الإنسان وصدقه بالطلب، فكل من سار بطريق الهداية وصدق هداه الله إلى الحق والحقيقة، وصار له نورٌ من ربه وتفتَّحت بصيرته، والطريق لهذا أولاً: فكِّر بالموت، هذا أساس لكي تستطيع ترك الدنيا وشهواتها، ثانياً: الاستقامة على أمر الله، ثالثاً: اجعل لنفسك خلوات محدَّدة صباحاً حين الفجر ومساءً حين الغروب لتفكِّر بآيات الله من الكون، رابعاً: اعمل الخير والمعروف قدر المستطاع، إن وجد الله بك الصدق الكافي هداك وتجلَّى عليك بنوره فتصبح من المهتدين. ﴿**وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي**﴾: متى حقَّ القول من ربِّ العالمين؟ لـمَّا تعهَّد إبليس بإضلال النَّاس وتوعَّد لهم قائلاً:

{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} فردَّ الله تعالى عليه: **{قَالَ فَالْحَقُّ}**: كلامك هذا صحيح تستطيع إغواءهم لأنَّني أعطيتهم الاختيار، فهم مخيَّرون بالسَّير بالحق واتِّباعه أو بالسَّير معك واتباع طريق الرذيلة والإجرام. **{وَالْحَقَّ أَقُولُ}**: كل من سار ومشى على ممشاك له جهنَّم، كل من خسر الجنَّات بسيره معك فله علاج "جهنَّم بنفسه". **{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}**[3]: كالطّالب الذي هرب من المدرسة والثاني تبعه، الثاني يُطبَّق عليه قانون عقوبة الهروب مثل الأول.

إذاً حق القول مني أي للذي تبعك.

﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ**﴾**:** قال تعالى جهنَّم ولم يقل النَّار، هناك فرق بين نار جهنَّم ونار الله الموقدة، جهنم: عذاب النَّفس وسببه أن الله رشَّح هذه النَّفس لمقام عالٍ وجاهٍ كبيرٍ فضيَّعته بسبب سيرها المنحرف وحبّها للدنيا ومعاصيها ورذائلها فخسرت هذا المقام والجاه العظيم، هناك وعندما تشاهد عظيم خسارتها يحيط بها لهيب الحسرة والنَّدامة ولا يُطفئ هذه النَّار النَّفسية إلا نار الله الموقدة، فنار جهنَّم نابعة من حسرات النفس وعارها، أما نار الله فهي رحمة بهذه النَّفس حتى تنسى وتتحوَّل عن نيرانها الجهنَّمية التي لا تطاق، مثل هذه النفس كمثل رجل شرب الخمر فسكر وغاب عن وعيه فقام إلى أهله وزوجته وأبنائه وذبحهم جميعاً، ولما رجع إلى وعيه شاهد إجرامه وما فعل بيديه أمامه، ترى ما حال هذا الإنسان وما أكبر عذابه! وهل من شيء أصعب عليه مما يجده في نفسه من حسرة وندامة؟ كذلك هو حال الكافرين، فالنَّار مستشفى لهم، حالهم كمثل مريضٍ أصابه الألم فدخل المستشفى، فليس له إلا المسكِّن ليخفِّف عنه آلامه، كذلك النَّار لهؤلاء لتخفف عنهم ما هم فيه. ﴿**مِنَ الْجِنَّةِ**﴾**:** الجن مكلَّفون مثل الإنس، ولهم الاختيار بالسّير بالحق أو عدمه. ﴿**وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾**:** من الإنس الذين نسوا الله.

14- ﴿**فَذُوقُوا**﴾**:** المعرض عن ربه لـمّا يرى ما قام به من سفالة ورذيلة، يُلقي بنفسه بالعذاب ليتخلص مما بها من نار الحسرة والندامة والخسارة على ما ضيَّع وفرط. ﴿**بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**﴾**:** لحقتم الدنيا وشهواتها وما آمنتم بالله فنسيتم السؤال والحساب. ﴿**إِنَّا نَسِينَاكُمْ**﴾ **؟:** لا نحن لا ننساكم، حضَّرنا لكم الدواء المناسب. ﴿**وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ**﴾**:** على طول، ما كان يخلد إليه في دنياه من شهوات محرَّمة ومعاصٍ يزيد حريقه وحسرته في الآخرة. ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾**:** عملكم السيّئ الذي قمتم به بالدنيا عائدٌ عليكم الآن بالنَّار.

15- ﴿**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا**﴾**:** ببيانك هذا. ﴿**الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا**﴾**:** طالبين الفضل منه سبحانه. ﴿**وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾**:** يسبِّحون أنفسهم بفضل ربهم. ﴿**وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾**:** عن طاعة الله ورسوله.

16- ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾**:** لا ينامون الليل إلا قليلاً. ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا**﴾**:** من ناره. ﴿**وَطَمَعًا**﴾**:** بجنَّته وفضله. ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾**:** ينفقون في سبيل الله ولا يبخلون مما آتاهم الله من علم ومال وجاه وقوة.

17- ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ**﴾**:** من نعيم وجنَّات وسعادة لا نهاية لها. ﴿**مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾**:** تقرّ نفوسهم بهذا، بالسعادة والنَّعيم فلا يبغون عنه حولاً، فلا شيء يحوِّلهم عن جنَّاتهم والسعادة. ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾**:** الجنَّة بالعمل الصالح، والعمل الصالح بعد الإيمان، والإيمان بالتَّفكير، ففكِّر أيُّها الإنسان لتؤمن بالله وتنال منه سبحانه كمالاً فتعمل صالحاً.

---

[3] سورة ص – الآية:82–85.

18- ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا**﴾: هل عملهما وسيرهما واحد؟ المؤمن يدعو إلى الفضيلة والفاسق يدعو إلى الرذيلة، هل عمل الإثنين متماثل؟! ﴿**لَا يَسْتَوُونَ**﴾: عند الله وعند النّاس ولا يستوون في الدنيا ولا في الآخرة، فالمؤمن له الجنّات والفاسق بالنّدامة والحسرات والنّار.

19- ﴿**أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: الذين فكروا بالكون حتى آمنوا بلا إلّه إلا الله. ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: بعد الإيمان الأعمال الصالحة. ﴿**فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى**﴾: تأوي إليها نفوسهم لما فيها من سعادة ونعيم. ﴿**نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: لكل واحد منهم منزلة في الجنّة، ومنزلته على حسب إيمانه وما قدم من أعمال عالية صالحة.

20- ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا**﴾: خرجوا عن طريق الحق والفضيلة ووقعوا بالرذيلة. ﴿**فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ**﴾: هم بذاتهم يأوون إليها، يأوون بأنفسهم إلى النَّار ويطلبونها علاجاً ودواءً لما فيهم من أمراض أصابتهم ببعدهم عن الله وعدم إيمانهم ولما قدموه من أعمال سيئة، وكذلك لتُحوّلهم عمَّا في أنفسهم من آلام وحسرات وندامة على ما خسروه من جنَّات، فهي مكان إكرامهم، كما أن المريض مكانه المستشفى. ﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا**﴾: من النَّار، لمّا ينسوا آلامهم الجهنَّمية يخرجوا منها. ﴿**أُعِيدُوا فِيهَا**﴾: يُعادون إليها بعد خروجهم منها وذلك لمّا ترجع إليهم آلامهم النفسية ويشعروا بها ويتذكروا خسارتهم. ﴿**وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ**﴾: لتطهر نفوسكم. ﴿**الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾: كنتم بالدنيا تكذبون بها.

سورة السجدة: [21-30]

21- ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ**﴾: هذا مراد الله سبحانه من الشدائد، يُرسل لهذا الإنسان أقلّ ما يستحقّ من جزاء على ما قدَّم من أعمالٍ سيئةٍ، كلّ هذا ليسير بالحقّ وبطريق السَّعادة والجنَّات فينالها، ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾: لعلَّ هنا تبيِّن بوضوح أنَّ الاختيار مطلق لهذا الإنسان. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾: عن طغيانهم وقسوتهم وظلمهم ولؤمهم وليخلعوا ثياب البهيميّة الشيطانيّة ويرتدوا ثياب الإنسانيَّة، فإن آمنوا واستأنسوا بالله وصلّوا، أصبحوا إنسانيين حقّاً متقيدين بشريعة الله ولغدت الأرض جنات، وهذا مراد الله من خلقه.

22- ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾: لنفسه. فلا الملحد ولا الشيوعي ولا الكافر أو عباد النار أو الصابئ بأظلم منه، إذ وصل لمنبع الحياة وصدف عنه فحسرته أعظم. مرشح لرتبة كبرى وهبط... ما أعظم هبوطه! إذ سيُسري قلبه بالدنيا ويتدثر بحجبها منطوياً مبتعداً عن منابع النور والحق والحقيقة فينغمس في المكر والانحراف والزيغ عن الحق. ﴿**مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ**﴾: دُعي ليفكِّر بالكون وآياته ويؤمن بلا إلّه إلا الله فما آمن. والكائنات كلها تشهد له دالة على بارئها المنعم المغدق المتفضل عليها وعليك، فهلا طلبت؟ هلا نظرت؟ هلا دققت للوصول إلى الحقيقة؟ ﴿**ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا**﴾: فما نظر فيها ولا فكَّر بها ليؤمن بالله، هذا الذي ما آمن بالله هل من أحد أظلم لنفسه منه؟! فالذي سمع وأعرض عن الله ورسوله هذا عذابه في الآخرة أعظم وأشدّ من غيره. ﴿**إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**﴾: سنخرج من قلوب المجرمين ما فيها من خبث.

(المنتقم): يظهر ما بنفسه عند حلول الفرصة، فرحمته تعالى اقتضت إعطاءهم ما إليه صاروا، فبالدنيا يرغبون بالشهوات وغداً بالآخرة يشتهون العلاجات فلهم كل ما يشتهون، والله تعالى يأسف عليهم لأن الذي طلبوه من الدنيا له حدٌّ ونهاية وفيه متعة وخسارة ثم الخسارة الكبرى، اشتهى السعادة والجنان فأبوا إلا ما ارتؤوا، فأعطاهم منّة منه وفضلاً.

23- ﴿**وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾: التوراة. إحساناً عليهم كما آتيناكم القرآن وتمّ إحساني عليكم. ﴿**فَلَا تَكُنْ**﴾: أيُّها الإنسان كبني إسرائيل الذين لم يعبؤوا ولم يقدروا فلم ينهضوا من ذاتهم للتحقيق فالإيمان الذاتي بمن بيده مقاليد الكائنات. خطاب لكل من يسمع القرآن. ﴿**فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ**﴾: من دوماً أكرمك ويكرمك وأبداً لا يتركك وهو أبداً ملاقيك لو علمت لو دققت فآمنت "لو علمت لما انقطعت" فلا تدع فكرك جامداً ونفسك بالأغيار خامدة، اسعَ للإيمان واسلك مسلك البداية والنهاية واستعظام من بيده مقاليد الكائنات، إن لم ترَ نفسك ضعيفاً فلن ترَ القويّ ولن تلتجئ إليه ليطهرك وبالكمال يتحفك وبالمقربين يُحبك لتعيش في جنات لقائهم وتكسب جليل الأعمال وترقى لمكانتك العظمى. فلا تمر بمضافة دون التعرف على المضيف وشكره لتعرفه فتحظى دوماً بعطائه. ﴿**وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾: إحساناً عليهم كما تمَّ إحساني عليكم. أنزل الله على موسى الكتاب ليسير بنو إسرائيل به ويطبِّقوه ويهتدوا إلى الله تعالى، وأنتم كذلك الآن يا عبادي، أرسلت لكم رسولاً ومعه الكتاب.

24- ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾: بدلالتنا يهدون الخلق إلى الله، حيث أصبحت الناس تؤمُّ إليهم ليهتدوا بهم إلى الله. ﴿**لَمَّا صَبَرُوا**﴾: صبروا عن الشهوات المحببة فتولدت ثقة كبرى بنفوسهم فاتجهت بصدق ودارت دواليب فكرهم بالصواب والحق الذي لا يعاب. صبروا عن الحرام حتى جاءهم حلال.

﴿**وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾: أضحى القرآن بوجهتهم الصادقة منبعاً مشهوداً لقلوبهم يعيشون في آياته بعقولهم ويستغنون به حباً وهياماً عن المخلوقات، للنظر بعين الحب للخالق فاستغرقت نفوسهم بعطاءاته المباشرة من ينابيعه المغدقة المونقة بعطور وأنوار النعيم المقيم. فكانوا يفكِّرون بها ويؤمنون بما وراءها فوصلوا إلى اليقين. حيث من خلالها آمنوا وشاهدوا لا إلَه إلا الله فتيقَّنت نفوسهم برؤيته وبرؤية أسمائه الحسنى سبحانه.

25- ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: كل إنسان وعمله أمامه بين يديه، وسيعطيه الله حقَّه على ما قدَّم وعمل. ﴿**فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾: اليهود، وكذلك الآن لـمّا ما آمنوا بالله اختلفوا وصاروا شيعاً. لو آمنوا بالله الإيمان الحقيقي لأمّوا لله والرسول، ولما أمّوا لبعضهم البعض، ولما اختلفوا فيما بينهم، ولكن بإعراضهم عن طريق ودلالة رسول الله ﷺ أعرضوا عن طريق موسى وعيسى عليهما السلام واتجهوا للعصبيات الأرضية الإبليسية فحلَّ بهم الدمار والتعس والخسران.

26- ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ**﴾: أولم يفكِّروا لِمَ أهلكنا الأمم السَّابقة؟ أهلكناهم لـمَّا ما آمنوا بالله وعصوا الرسول، وبهذا انحطَّت أعمالهم فجاءهم الهلاك. ﴿**يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ**﴾: سكنوا ديارهم من بعدهم. ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ**﴾: لهم ليعتبروا بغيرهم. ﴿**أَفَلَا يَسْمَعُونَ**﴾: الحق ويسيرون به ليخلصوا وينجوا مما حلَّ بمن سبقهم.

27- ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ**﴾: الطريق للخلاص من الهلاك الإيمان بالله، إذن ليفكِّروا بفضل الله عليهم، وبنعمة الماء كيف يسوقه الله تعالى. ﴿**إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ**﴾: الأرض الصَّلبة التي لا زرع فيها ولا حياة بها. ﴿**فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ**﴾: ما حالك وما مصيرك أيُّها الإنسان لو جعت ولم تجد طعاماً تأكله وماء تشربه أفلا تموت؟ ﴿**أَفَلَا يُبْصِرُونَ**﴾: هذا الفضل عليهم، ويفكِّرون به ليؤمنوا بالله فيصبح لهم نورٌ منه سبحانه وتتفتَّح بصائرهم.

28- ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ**﴾: متى هذا اليوم الذي تدّعون أننا سنشاهد فيه كل شيء عملناه وسنحزن ونندم على ما خسرنا من جنَّات هي خير من هذه الدنيا ولذائذها التي نحن فيها. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: أنَّ هناك آخرة وسؤالاً وحساباً فأرونا هذا.

29- ﴿**قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ**﴾**:** عند الموت، ويوم القيامة. ﴿**لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ**﴾**:** كل النفوس تؤمن بهذا اليوم لكن لا ينفعها إيمانها، حيث لم يبقَ لها عمل تستطيع القيام به. ﴿**وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾**:** يوم القيامة لا يُؤخَّر عنهم العذاب لئلا يثور عليهم عذاب أنفسهم فيزدادوا آلاماً وأوجاعاً، حالهم عندها يصبح كمريض أُخِّر عليه الدواء المسكِّن، فكم يشعر ويعاني هذا المريض بالآلام والأوجاع؟! كذلك هؤلاء حالهم لو أخِّرت عليهم النار.

30- ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾**:** هؤلاء أعرض عنهم حيث قلوبهم مليئة بالخبث ولا يريدون التوبة ومُصرُّون على ما بأنفسهم، لذلك أعرض عنهم ولا تلتفت إليهم. ﴿**وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ**﴾**:** سيحل بهم الهلاك.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تأويل سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحزاب: [01-10]

1- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ**﴾: التقوى هي الاستنارة الدائميَّة بنور الله سبحانه وتعالى، ورسول الله ﷺ دوماً في رقي من تقوى لتقوى أعلى، ولكلِّ أمر استعانة بالله واتِّقاء جديد يتناسب والمشكلة التي يواجهها، فالتقوى في توسُّع وازدياد لا حدَّ ولا نهاية لها، فهو ﷺ في رقيٍّ وسموٍّ لا توقف لهما. والله تعالى لا نهاية له، وتقواه لا نهاية لها أبداً سرمداً ولكلِّ أمر تقوى جديدة، إذن فَرُقِيُّه ﷺ متتالٍ متوالٍ دوماً. والسادة الرسل والأنبياء الكرام لا ينقطعون عن حضرة الله تعالى طرفة عين لا بالليل ولا بالنَّهار، فهم صلوات الله عليهم دائماً نفوسهم مع الله مستنيرة بنوره سبحانه، ورسول الله ﷺ سيّدهم ونورهم، إذن: فلم هذا الخطاب من حضرة الله لرسوله بآية: {**اتَّقِ اللَّهَ**} وما سببه؟

سَببُ هذا الخطاب أن عادة التبني كانت شائعة ومنتشرة في الجزيرة العربية، ولا يكاد يخلو بيت من بيوتها إلا وفيه متبنى، والمتبنى إنسان غريب عن العائلة، فهو ليس ابناً، وبهذا يشتهي أمَّه بالتبني وأخته المزعومة، وكذلك الأمر فهم يشتهونه، ولهذا صار التبني سبباً في شيوع الفاحشة وانتشار الزنى في كل بيت يحويه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى وحين يموت الأب فالمتبنى يرث أمواله ويضحِّي بأمِّه وإخوته، ويسلب أموالهم ليرميهم بالفقر والذل حيث لا رحمة بقلبه عليهم كرحمة الابن الحقيقي بالنسب، هذا ما كان يحدث في الجزيرة العربية، والرسول يرى شرور هذه العادة على المجتمع وما تعود به على أصحابها من ضرر وأذى، فكان ﷺ يتمنى إلغاءها وزوالها لكنه لا يتكلم بكلمةٍ أو يُقْدِم على عمل إلا بأمرٍ وإذنٍ من الله سبحانه. في الجزيرة العربية قبائل كثيرة، منها من أسلم ومنها من لم يُسلم بعد، فإذا ما قام ﷺ بإلغاء عادة التبني فسوف تهبّ هذه القبائل بوجهه وتقف ضده، وكذلك المنافقون، لذلك بقي رسول الله ﷺ ينتظر أن يأتي الأمر من ربّه لإلغائها، فهو ﷺ يعلم أن الله لابدَّ وأن يأمره بإلغائها ولكن بالوقت المناسب، وبهذه الآية الكريمة جاءه ﷺ الأمر من ربّه: أن تزوج من زينب مُطلَّقة زيد "متبنَّاك"، ولكن ولئلا يقاومك أحد اتْقِ الله، أي: خلِّ قلبك معي واستنر بنوري فأنا سأعطيك عطاءً رهيباً وتجلِّياً وأنواراً ومدداً كبيراً وعظيماً لهذه المعركة التي ستقوم بها مع الكافرين والمنافقين لكي تسحق شياطينهم سحقاً فلا يستطيع أحدٌ مقاومتك. وبهذا المدد والعطاء الكبير والتجلي العظيم من الله على رسوله لم يستطع أحد أن يقاومه ﷺ أو أن يتكلّم بكلمة ولم يقف أحدٌ ضدَّه، فلقد سحق شياطينهم سحقاً، فنزل الرعب بقلوبهم، وحدث مع الكافرين والمنافقين ما حدث مع شياطين الجن لما جاء رسول الله ﷺ، حينها قالوا {**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً**}[1]. {**وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً**}[2] كذلك بخطاب الله تعالى لرسوله الكريم بهذه الآية ﴿**اتَّقِ اللَّهَ**﴾: بشرى له ﷺ ولفت نظر، أي: انظر إلى ما سيجرّه لك عملك هذا من مكاسب وخيرات عظيمة تعود عليك، حيث بإصلاحك هذا نزعت تلك الشرور والآثام من كل بيت من بيوت الجزيرة العربية، فصار ذلك عملٌ لك وبصحيفتك يا رسولي. ﴿**وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ**﴾: الذين ما آمنوا وما

---

[1] سورة الجن – الآية:8.
[2] سورة الجن – الآية:12.

استسلموا لله. لا تسكت على باطلهم. ﴿**وَالْمُنَافِقِينَ**﴾: أو ما يسمى بالطابور الخامس، هؤلاء جاهدهم واغلظ عليهم حتى يسلموا، تحوَّلْ عليهم بالمدد الذي أمدُّك به فلا يستطيعون مقاومتك، حنانك ورحمتك لا تظهرها لهم، هذا المظهر لا يناسبهم بل هؤلاء اشدد عليهم وهدِّدهم، فلكل إنسان معاملة تناسبه، أناس بالرحمة والحنان وأناس بالشدة والقوة، وهؤلاء الكافرون والمنافقون لا يناسبهم إلا الشدة، لذلك لا تسكت لهم.

﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾: بمعاملة الخلق جميعاً، وأنا ربُّك أُلبسك الثوب المناسب لكل واحد منهم، فأنا العليم بهم وبنفوسهم الحكيم بما يناسبهم.

2- ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾: لطهارة نفسه وعفّتها ولشرفه وّجدَ ﷺ صعوبةً بتطبيق هذا الأمر بالزواج من زينب، لكنه ﷺ عازمٌ على التطبيق لذلك قال له ربُّه اتبع ما أوحيت لك، أي: طبِّق ما آمرك وتزوج من زينب رضي الله عنها، وأنا ربُّك أعينك على هذا، فلا تسأل على أحدٍ منهم، ولا تبالِ بما سيقال عنك من أنها صغيرة بالسن وأنت كبير وتزوجت منها. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾: الله سبحانه مرَّر أهل الجزيرة العربية بتجارب كثيرة وبأحداث حتى عاينوا ضرر عادة التبني وأذاها عليهم، مما جعلهم عن خبرة منهم يدركون مضارها وينفرون منها.

أما المؤمنون الذين مع رسول الله ﷺ فبإيمانهم صار بقلوبهم كمالٌ، وبكمالهم أصبحوا ينفرون من الخبث والرذيلة، ويكرهون هذه العادة ويتضايقون منها، والله تعالى عليم بحالهم وأن نفوسهم أصبحت مهيَّأة لتقبل هذا الأمر عن كمالٍ وخبرةٍ منهم، حيث شاهدوا نتائج التبني الضارة وما في تلك العادة من شرور فنفروا منها، لذلك أنزل الله الأمر على رسوله بإلغائها وذلك بعد أن تهيَّأت كل النفوس لتلقِّيه.

3- ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾: هو ﷺ دائماً متوكِّل على ربِّه، وهذا الخطاب من الله لرسوله لصعوبة الأمر على نفسه ﷺ من شدَّة طهارته وكماله، أَمَرَهُ الله سبحانه وتعالى بالانصراف عنهم جميعاً والتوجّه إليه بالكليَّة، فكلمة توكَّل أي: سلِّم نفسك لي، لا تلتفت لأحد غيري، وهذا ما يسمى بالفناء بالله سبحانه. ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾: أنا أدبِّر لك الأمور كلها، أنت فقط عليك أن تسلِّمني نفسك بالكلِّيَّة وتنصرف عنهم وأنا أتوكل لك بكل شيء.

4- ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾: هذا لم يجعله رب العالمين، أي ما جعل ميل النفس للدنيا وشهواتها والآخرة وجناتها معاً، فالدنيا والآخرة لا يجتمعان بقلبٍ واحدٍ فميل النفس إما للدنيا وإما للآخرة. ﴿**وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾: وكانوا بالجاهلية يهجرون نساءهم، حيث الرجل يعطيها ظهره ولا يقربها أبداً ويعاملها كأمّه. ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ**﴾: المتبنى شخص غريب عن العائلة وليس ابنها، إنما الابن هو الذي خرج من صلب أبيه.

﴿**ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ**﴾: هذا ادّعاؤكم لا قول الله، ما ادَّعيتم به باطل يوصل للرذيلة والشقاء، والله تعالى لا يرضى به. ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ**﴾: كلامه فقط الحق، فهو سبحانه أعلم بعباده وما يناسبهم لسعادتهم. ﴿**وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾: كلامه يوصل للسعادة، إن سرتم بكلامه وطبَّقتم أوامره صرتم بالسعادة والجنات.

5- ﴿**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ**﴾: ردُّوهم لهم، ردُّوا المتبنَّى إلى أبيه الحقيقي. ﴿**هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ**﴾: هذا الشيء إن فعلتموه خلصتم من الشقاء وصرتم بالسعادة. ﴿**فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ**﴾: إن كنتم لا تعرفونهم. ﴿**فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ**﴾: عاملوهم كأخوة لكم في الدين، فما هو مُحرَّم عليكم محرَّم على هؤلاء الأدعياء، فشرع الله مطبَّق على الجميع. ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ**﴾: في الماضي.

﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: ما تصرُّون عليه. **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:** يغفر لكم ما وقع منكم في الماضي من أعمال، ويشفي نفوسكم مما حلّ بها من أدران، كل هذا رحمة منه سبحانه بكم.

6- **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾:** واجبٌ عليك أيها المؤمن ومن الفرض أن تُسلِّم نفسك لرسول الله، فهو ﷺ أولى بك من نفسك، أرحم بك من نفسك ومن أمك وأبيك. فالله تعالى بهذه الآية يرشدك إلى طريق السعادة والهداية، يقول لك: سلِّم نفسك لرسولي حتى تحيا، فحياة النفس تبدأ بك حينما تُسَلِّم نفسك له ﷺ، عندها تستنير فتسير إلى ما لا نهاية في جنات النعيم والحياة والسعادة، ودائماً في رقي. **﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾:** بعد انتقاله ﷺ لا يجوز أن تتزوج أزواجه لأن الإسلام يرفع المنازل ولا يخفضها، وبزواجهن من غير النبي تنخفض منزلتهنَّ الإيمانية وتتدنى، لأنه لا يوجد أعلى وأرقى وأكمل وأسمى من رسول الله ﷺ.

كذلك التعامل مع ملك اليمين التي تأتي بالحرب، إن كانت ابنة ملك فلا يتزوجها إلا أمير المؤمنين، إذ أن الإسلام يُعِزُّ ولا يُذِلُّ ويرفع المنازل ولا يخفضها. **﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾:** كلّنا من رحمٍ واحدٍ من أمّنا حواء، وأبونا واحد آدم عليه السلام، فالبشر كلهم إخوتك وهم أولوا أرحام لك، لكن هذا سكن قريباً منك وذاك سكن بعيداً عنك. **﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾:** لا تميّز أحداً عن أحدٍ بالمعاملة أيها الإنسان، فالكلّ أولى بالمعاملة الحسنة والتعاطف والرحمة والإنفاق والتواضع. **﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾:** الله تعالى خصَّص بهذه الآية الكريمة المؤمنين والمهاجرين أي إن هؤلاء أَولى بالمعاملة الطيبة، وحَذَّرنا من معاملة الكفَّار، لأن الجاهل الكافر إذا عاملته وساعدته تكون قد ساعدته على الضلال والغي، ويستعمل مساعدتك له ضد المؤمنين، لذلك فالإحسان لهذا الكافر أن تمنع عنه المساعدة ليعود للحق. **﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾:** الكفار الذين جاؤوا لعندكم وشعرتم بميل نفوسهم لكم بالمحبة والتقدير ولكنهم ما هاجروا ولا آمنوا بعد بالله، هؤلاء وإن هُم على هذا الحال أحسنوا إليهم وقدّموا لهم المساعدة إن استجاروا بكم. **﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾:** إن أقبلت على الله أيها الإنسان يُسطِّر بقلبك الرحمة والحنان فتعمل بهما. **﴿مَسْطُورًا﴾:** لقد ذكر الله لكم هذا في القرآن وكيف تعاملونهم وذلك بقوله تعالى: **{إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً}**[3]. هؤلاء استثناهم الله وأمركم بمعاملتهم بالإحسان[4].

7- **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾:** هذا ميثاق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين، أمرهم الله سبحانه أن يَؤُمُّوا جميعاً إلى النبي الأُمِّي ﷺ وأن يكونوا معه وتحت لوائه وطاعته، وأن يتابعوه بكل شيء لأن كل التعاليم والأوامر الإلٓهية والجنات تأتي على رسول الله ومنه ﷺ إليهم، قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ**

---

[3] سورة النساء – الآية:90.

[4] ونفهم من هذه الآية الكريمة: {إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ): أيُّ قريب لمعاهد لك هذا اتركه. {أَوْ جَآؤُوكُمْ): ولم يؤمنوا بعد. {حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ): هؤلاء جعلوكم كقومهم وساووكم معهم وبسعرهم لكن لا يزالون محتارين بين السير مع قومهم الكفار أو السير معكم، فنفوسهم لا تزال معلقة بقومهم. {أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ): إن ما عاملتموهم أيها المؤمنون بالإحسان وقلتم عنهم أنهم كفار فهذا تعدٍّ منكم عليهم، فإن قاتلتموهم فسوف يُسلِّطهم الله عليكم وينصرهم لأنكم خالفتم كلام ربكم، فأنتم بذلك تقاتلونهم لدنيا لا من أجل الله. {فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ): شيئاً فشيئاً. {فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً): لا تلتفتوا إلى السيئات التفتوا إلى الحسنات، إن مالوا لكم بالحب فباذلوهم وأعطوهم، لا تقولوا عنهم أنهم كفار، فهؤلاء صاروا أولياءكم فاعملوا كل الوسائل ليهاجروا إليكم ويهجروا قومهم ويؤمنوا بالله.

مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[5]

8- ﴿**لِيَسْأَلَ**﴾**:** الله سبحانه وتعالى. ﴿**الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ**﴾**:** حينما عرض الله تعالى الأمانة على سائر المخلوقات بعالم الأزل، طمع جميعهم بالكسب العظيم والنوال الكبير جزاء حملهم الأمانة، ولكن تراجعت سائر النفوس خوفاً وخشية الخسارة الكبرى إن هم نقضوا العهد، وبقي الإنسان ثابتاً؛ قَبِلَ حمل الأمانة وتصدَّى لها دون سائر العالمين طرّاً، فأكبر الله مغامرته وأثنى عليه. فقد كان حينها صادقاً بالعهد الذي قطعه على نفسه ألّا ينقطع عن ربِّه، ولما دبَّ الله الشهوات في النفوس وسلَّمهم الحرية في الاختيار هناك من أعرض عن ربِّه وغاص بالشهوات محجماً عن الإقبال على الله. والله الرحيم لم يدع هذا الإنسان في غفلته سادراً بل أرسله إلى الدنيا وبعث له رسلاً يدلّونه، والكون ليفكِّر به ويرجع إلى ربِّه ويعود عن إعراضه إلى الإقبال ومن الجفاء إلى الوفاء ويستبدل الخيانة بأداء الأمانة، وأهداه جميع الملكات ليعود لصدقه الأزلي عندما قال: "أنا لها يا رب" وعاهد على الوفاء. عندها كان صادقاً حقّاً، ولكن لم يُعِرْ لهذا بالاً ولم يلتفت لإكرام خالقه. وفي الآخرة يسأل الله: ﴿**الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ**﴾: أي يسأل الذين كانوا صادقين بحمل الأمانة دون سائر الكائنات كيف أضاعوا هذا الصدق الأزلي، وما الذي حوَّلهم عن الوفاء بالعهد إذ كانوا صادقين، لم استبدلوه بالكذب والخيانة وقلَّة الأمانة؟! ﴿**وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾**:** إذن هؤلاء كانت نتيجتهم الكفر والنكران. أعدَّ لهم النَّار ليتحوَّلوا بها عمَّا في أنفسهم من آلام وأوجاع لا تطاق، فنار الله أخفّ مما في نفوسهم من نيران جهنمية.

9- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾**:** لا تنسوها دائماً اذكروها، رسول الله فيكم؛ هذه هي النعمة الحقيقية، فهو ﷺ الوحيد الذي يستطيع أن يصل بنفوسكم إلى الله تعالى وجناته، وبدونه لن تستطيعوا الوصول لله تعالى ولا الإقبال عليه، حيث بمعيته ﷺ حين يُدْخِل نفوسكم على الله تشفى من عللها، وتعيشون بسعادة متنعِّمين بهذه النعمة، فهل من شيء أكبر من هذه النعمة عليكم بخيرها!

إن اجتمعتم على هذه النعمة "رسول الله ﷺ" لا أحد يستطيع مسَّكم بضرر، ودائماً النصر والغلبة لكم، كما حصل للمؤمنين من نصر في غزوة الأحزاب، ورجع الذين كفروا من هذه الغزوة أذلّاء حقراء مرعوبين مهزومين. الخير كله من الله، أنتم آمنوا به سبحانه لتنالوا الخيرات وترقوا وتكسبوا الجنَّات، فيُنعم الله عليكم بهذه النعمة "رسول الله".

في هذه الآية خطابٌ من الله تعالى لنا نحن، فالله يقول لنا: كما أنَّ المؤمنين زمن رسول الله ﷺ أيَّدهم الله ونصرهم على عدوهم وأنعم عليهم لـمّا آمنوا، كذلك أنتم.

﴿**إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ**﴾**:** اليهود أثاروا العرب قاطبةً وحرَّضوهم على قتال رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، وأغروا قريش بتمور خيبر لتلك السنة، الأحزاب معهم المال والسلاح، فجاؤوا لحرب المؤمنين، وحيث أنهم مؤمنون معتزون بالله سبحانه لذلك نصرهم الله على الأحزاب وأنتم كذلك اعتزُّوا بالله واجتمعوا على هذه النعمة ينصركم الله. ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا**﴾**:** بقليل من الهواء انتصرتم، أليس هذا صحيحاً؟ ألم ينصركم الله عليهم؟! ﴿**وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا**﴾**:** أرسل تعالى ملائكة بثَّت في قلوب الكافرين الرُّعب والذعر فانهزموا. فالمؤمنون دائماً مؤيَّدون بالنصر من الله بكل

---

[5] سورة آل عمران – الآية:81.

زمان ومكان. ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾: أيها المؤمنون. ﴿**بَصِيرًا**﴾: بكم، لأن أعمالكم ونواياكم عالية لأجل هذا نصركم.

10- ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾: حاصروكم من كل الجهات وبهذا انكشف إيمانكم. ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ**﴾: خوفاً. ﴿**وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾: فئة جبَّنوا وارتعبوا وظنوا بالله الظنون، خافوا من كثرة الأحزاب. ﴿**وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾: هؤلاء الفئة حالهم كحال بني إسرائيل مع سيدنا عيسى عليه السلام لـمَّا جاءهم، فالكلّ واعدوه وعاهدوه على النصر والقتال في سبيل الله، وما أن تحركت دولة اليهود ضدَّه عليه السلام حتى تخلّوا عنه، ولم يبقَ معه إلا الحواريون الأحد عشر مؤمناً. كذلك فعل بنو إسرائيل مع سيدنا داوود عليه السلام لـمَّا رأوا جيش جالوت الكبير بالعدد والعُدد خافوا وجبّنوا وقالوا {**لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ**}[6]: هربوا وتركوا سيدنا داوود عليه السلام في المعركة لوحده مع فئةٍ قليلةٍ من المؤمنين، لذلك: {**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ داوود وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**}[7]

وهؤلاء الذين كانوا مع رسول الله ﷺ بغزوة الخندق لـمَّا رأوا الأحزاب وعددهم خافوا وجبَّنوا، السبب: ما آمنوا بالله إيماناً حقيقياً شهودياً، فما شاهدوا أن الفعل بيد الله سبحانه بل شاهدوا الفعل لجيش الأحزاب، وقالوا: خذلنا الله والرسول، والقوة والسيطرة للأحزاب.

سورة الأحزاب: [11-20]

11- ﴿**هُنَالِكَ**﴾: حينها. ﴿**ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾: امتُحِنُوا بهذه المعركة وهذا العدد من المشركين؛ هل يريدون الدنيا وشهواتها أم الآخرة وجناتها؟ هل يَرَون الفعل بيد الله سبحانه أم لغيره؟ ﴿**وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾: حلَّ بهم البلاء، حيث الأحزاب من جهة، واليهود خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ من بعد أن عاهدوه، وكل هذا كان بلاءاً وامتحاناً من الله ليشفي قلوبكم أيها المؤمنون.

12- ﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ**﴾: الذين ما آمنوا بالله. ﴿**وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾: نفوسهم مريضة بحب الدنيا وشهواتها من حب للمال، للنساء وللبنين ويفضلونها على الله ورسوله، لكن هل هذه الدنيا وشهواتها تدوم لهم؟! ألا وإنهم سيتركونها بالموت، فلمَ التمسك بها وتفضيلها على الآخرة؟! فالدنيا ذاهبة عنهم وهم سيذهبون عنها.

المؤمنون بخروجهم للجهاد تحصل لهم صلة بالله، إذ بتركهم الدنيا وخروجهم للحرب حيث الموت والبرد والخوف والجوع والمشَقَّات، بهذه التضحية تحصل لهم الصلة بالله فتشفى قلوبهم من حب الدنيا، لذلك خاطب الله المؤمنين قائلاً: {**انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}[8]. {**انْفِرُواْ خِفَافاً**}: من الدنيا، اتركوا الدنيا وشهواتها وأخرجوها من نفوسكم "كبُّوها". {**وَثِقَالاً**}: بالإيمان، حيث بخروجهم للجهاد يكسبون بأنفسهم كمالاً وطهارة، وإن لم يخرجوا ويعملوا الصالحات فلن تحصل لهم صلة بالله، وبذلك تبقى بنفوسهم العلل والأدران والأمراض النفسية من صفات الخِسَّة والقسوة والطمع والتعدي. فهؤلاء المنافقون لأنهم ما آمنوا بالله إيماناً حقيقياً ما صار لهم إيمان عقلي شهودي فوقعوا بالنفاق، لذلك خاطب الله تعالى المؤمنين مُحذِّراً إياهم من عدم الإيمان، هذا وبيَّن لهم أنهم إن لم يصلوا للإيمان الشهودي فما هم عليه الآن

---

[6] سورة البقرة – الآية:249.

[7] سورة المائدة – الآية:78.

[8] سورة التوبة – الآية:41.

من إيمان فكري ليس بإيمان حقيقي، قال تعالى: **{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}**[9]

هؤلاء المنافقون لـمَّا رأوا جيش الأحزاب وعدده قالوا: **﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾:** أي بالنصر. **﴿إِلَّا غُرُورًا﴾:** كذباً، الرسول بيننا وسوف نُغْلَب، لذلك هربوا من الحرب.

13- **﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾:** يا أهل المدينة المنوَّرة. **﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾:** حيث أصبحت مكشوفة من كل الجهات للعدو. **﴿فَارْجِعُوا﴾:** اتركوها واهربوا، أنقذوا حياتكم حيث العدو من كل الجهات. **﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾:** يستأذنونه بتركهم المعركة ورجوعهم لأهلهم. **﴿يَقُولُونَ﴾:** ادَّعوا: **﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾:** قالوا له ﷺ: نساؤنا وأطفالنا وأعراضنا لا أحد عندهم يأتيهم بما يحتاجونه ونخشى عليهن من أن يُظلمن أو أن يصل الكفار إلى بيوتنا فيتعرَّضوا لنسائنا بالسوء وليس هناك من يذود عنهن ويحفظ شرفهن وعرضهن، لذلك نريد الرجوع إليهم لندافع عنهم. **﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾:** قالوا ذلك كذباً وزوراً. والحقيقة: أن هذا عذر واهٍ، فبيوتهم كبيوت المؤمنين بالمدينة بأمان والعدو أمامهم ولا صحة لكلامهم. **﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾:** هرباً من الحرب وخوفاً من الموت ورجوعاً لدنياهم. يخاطبنا الله تعالى ويحذرنا نحن بهذه الآيات ويقول لنا: أنتم لا تكونوا مثلهم، دائماً اذكروا نعمة الله عليكم لئلا يحدث لكم ما حدث معهم وتقعوا بالنفاق.

14- **﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾:** هؤلاء المنافقون مهما بيَّنت لهم ومهما أمدَّهم الله به عن طريقك، إن لم يؤمنوا بالله إيماناً شهودياً يبقَ الضعف والخوف والجبن بقلوبهم ولا يستطيعون الخلاص منه، ولو دخلوا عليهم واستعمروهم واستحيوا نساءهم ونشروا الفساد في كل مكان. **﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾:** قلوبهم كلها فتن، مفتونة بالشهوات، لذلك عند الشهوة يسرعون إليها ويسيرون مع الكفار لأنهم يلبّون لهم انحطاط نفوسهم، وينسون عداوتهم وتسليطهم عليهم. **﴿لَآتَوْهَا﴾:** بقوة، عندما يرون الشهوات يصبحون كالأسود فلا يهمهم شيء ومن أجلها يضحُّون بحياتهم ويموتون، عكس ما كانوا عليه بالإسلام حيث كانوا ضعفاء أمام الحق. **﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾:** لا يسألون عن شيء ويقعون بالفتن مباشرة، وإذا كان هذا عملهم إذن: يموتون بعد ذلك مباشرة إذ أنهم نالوا مطلبهم "شهواتهم" وليس لهم طلب ثانٍ، وما أفادت معهم الشدة وتسليط الأعداء ليغيّروا وجهتهم عن الدنيا للآخرة، إذن: لا يتمتَّعون بالدنيا بعد ذلك إلا قليلاً.

15- **﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾:** عاهدوه عن طريق رسوله ﷺ وذلك في بداية سيرهم معه ﷺ، عاهدوا الله أن: **﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾:** أن يؤمنوا وينصروا الحق. **﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾:** عهدهم بالأزل مسؤولون عنه، وكذلك عهدهم بالدنيا مع رسول الله ﷺ مسؤولون عنه، ولو آمنوا واتقوا لمحا الله لهم كل شيء، لكن لأنهم ما آمنوا ونكثوا عهدهم صاروا مسؤولين عن عهدهم وخيانتهم لكلا العهدين؛ بالأزل وبالدنيا مع رسول الله ﷺ.

16- **﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ﴾:** الهروب من الحرب لا يخلِّصكم من الموت إن جاء أجلكم. **﴿إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾:** الآن. **﴿وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:** لابدَّ أن يأتيكم الموت، هذه الدنيا ولذائذها قليلة أمام ما أعدَّه الله لكم من لذائذ وجنات ونعيم.

17- **﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾:** تولونه أموركم. **﴿وَلَا نَصِيرًا﴾:** ينصركم ويخلِّصكم مما أنتم فيه من شدائد.

---

[9] سورة الحجرات – الآية:14.

18- ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾: احذروا قد يكشفكم الله. ﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾: الحرب. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

19- ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: هؤلاء لا خير فيهم للمؤمنين، لا ينفعونكم بشيء ولا ينصرون الحق لأنهم ما آمنوا. ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾: أمر القتال. ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: خائفون مرعوبون من الموت، قالوا ما انتهينا من غزوة أحد إلا وجاءتنا غزوة الخندق وبها نهايتنا وموتنا. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾: انتهت المعركة وذهب الخطر عنهم. ﴿سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: تكلَّموا عليكم وصاروا يحتجُّون وينتقدون. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾: لا يذكرون خيراً فيكم أبداً. ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾: لو آمنوا ما قالوا هذا. ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: ذهبت أعمالهم وانحطَّت. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾: النصر على الأحزاب. ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: هيّن، فلا فعل لغيره سبحانه.

20- ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾: من رعبهم وعدم الاستناد النفسي "القلبي" إلى الله لفقدان الصلة به تعالى. ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾: بسبب الخوف المسيطر عليهم، يتمنّون لو أنهم أقاموا صِلَاتٍ مع أعدائكم ليأمنوا على أنفسهم، فهؤلاء لا فكر ولا عقل نامٍ لديهم. ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾: عن أخباركم وما أصابكم. ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾: إيمانهم بالدنيا وحبّهم لها أكبر بكثير من إيمانهم الغيبي غير التحقيقي "التصديق".

سورة الأحزاب: [21-30]

21- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: بكل مجابهة كبيرة أو شدَّة عظيمة أو مرض أو... ذكرى للمؤمن المرتبط برسول الله، فقد جابه ﷺ أعظم منها، فرسول الله ﷺ طريق للخلاص مما أنتم فيه، وهو قدوة إن سرتم على ما سار عليه وطبَّقتم ما يأمركم الله به خلصتم من كل ما يسوءكم ويهمُّكم. ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾: الإقبال عليه سبحانه. ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: ونوال الجنات. ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾: فَكَّرَ بصنعه سبحانه وتعالى حتى عرفه وعرف رحمته وحنانه. جلس يفكِّر بآلاء الله ولقائه في الحقول وفي المقابر وفوق الجبال ووراءها وعلى الأنهار والبحر ومع النجم والقمر والشمس والغيوم ثم أخيراً مع الإمام.

22- ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾: المؤمنون طموحهم عالٍ وعظيم، فهانت عليهم الصعاب، إيمانهم بالربِّ الكريم المحيط رب العالمين جعلهم يسيحون على كل العالمين. هؤلاء المؤمنون هم الذين فكروا حتى آمنوا وصار لهم يقين بالله والرسول، لما رأوا الأحزاب ما خافوا ولا جبّنوا لأنهم يعرفون أن الله سبحانه بيده كل شيء. ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: وَعَدُونا بالنصر عليهم، وتمَّ النصر. ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾: بهذا الثبات ازدادوا بمعرفة الله وأسمائه الحسنى ونالوا من جنَّاته، لم يطرأ عليهم أبداً وهنٌ أو خوفٌ أو فزع بل ازدادوا قوةً وإقبالاً وهيبة، وعاشوا بالنعيم والاطمئنان. السبب: ﴿وَتَسْلِيمًا﴾: لله والرسول، حيث لهم يقين وشهود لله عن طريق سراجهم المنير رسول الله ﷺ. استسلامهم بارتباطهم الكلِّي برسول الله ﷺ سلَّموا لشديد القوى فليستسلموا له تعالى فبه يقاتلون وبه يناضلون، فمن يواجه الله!

23- ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾: بكل زمان. قبل الارتباط القلبيّ برسول الله ﷺ أشباه الرجال، كن مع الرجل تكن رجلاً. ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾: عاهدوا الله على الإيمان والتقوى وصدقوا. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾: نالوا الشهادة. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾: الشهادة في سبيل الله. ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾: بالرابطة والإخلاص للرسول ﷺ والصدق مع الله، لأنهم مؤمنون ما بدَّلوا بل ازدادوا قوةً وإيماناً.

24- ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**﴾: لهذا خُلقت {**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً**}[10] كلّ كمالات رسول الله ﷺ بصدقه العظيم ولا صدق مع الدنيا ولا صدق بلا خوف، فمتى خافت النفس من الفراق والذلّ صدقت وحصل التفكير الصائب. ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ**﴾: كل إنسان وعمله. ﴿**إِنْ شَاءَ**﴾: إن ما تابوا سيرجع عليهم عملهم. ﴿**أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾: إن رجعوا للحق وساروا بالإيمان. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾: كل أفعاله تعالى للمغفرة، ليغفر لهم ذنوبهم ويشفيهم من عللهم. لكي يعاملهم تعالى بعد الغفران باسمه الرحيم ويعطيهم الجنات. لأنه تعالى رحيم لا يريد لهم دخول النار ويريد لهم السعادة والجنات.

25- ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا**﴾: رجعوا مخذولين. ﴿**وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾: لم يكلِّفهم فوق طاقتهم فردَّ الله الأحزاب عنهم. ﴿**وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾: لا شيء يحول دون إرادته.

26- ﴿**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾: اليهود الذين خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ. ﴿**مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾: من رسول الله ﷺ، فخرجوا من ديارهم. ﴿**فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا**﴾: منهم من قاتلتموهم وقتلتموهم وانتصرتم عليهم ومنهم من أُخِذ أسيراً.

27- ﴿**وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**﴾: جعلها غنائم لرسول الله ﷺ الذي كان النصر بسببه وبوجهه ﷺ. ﴿**وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾: كل شيء عنده بقدر وبالوقت المناسب يجريه.

28- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا**﴾: أطلقكن. من هنا يظهر سمو الإسلام والحرية للمرأة ومَنْحِها كل القيم الإنسانية الاختيارية بالمنطق والإقناع من مصدر قوة لا إجبار ولا إكراه عندها يكون الوازع ذاتي عندهن، فليست المرأة بمتعة ولا شهوة ولا أداة بل هي مخلوق مكرَّم، إن أرادت وإلا فلها اختيارها، بفراق جميل لعلّه بالمستقبل يثمر. وتلك هي الرحمة والإنسانية الحقة.

تحمل هذه الآية الكريمة تحذيراً وتهديداً من الله تعالى لزوجات رسول الله ﷺ قبل الوقوع، فالآية الكريمة تبيّن موقف زوجاته الشريفات وتحذِّرهن وذلك عندما عزم رسول الله ﷺ على التسري بالسيدة مارية القبطية لِمَا رأى ﷺ عندها من الاستعداد للإيمان والأهلية للتبليغ عنه بما تتمتَّع به من ذكاء وفطنة تجعلها أهلاً لتبليغ بنات جنسها أوامر ربِّها عن رسول الله ﷺ. لذلك أراد ﷺ التسري بها إذ ستبلغ من بعد هذا التسري بما لديها من استعدادٍ للإيمان مبالغ الإيمان العالي بمعيَّته ﷺ فتصبح زوجة من أمهاتنا، وحقاً هذا ما كان فبعد أن كانت جاريةً غدت بزواجه منها ﷺ مثلهنَّ.

فعندما عزم ﷺ على التسري بها تولَّد في قلوب زوجاته الطاهرات غيرةً منها وأوّلهنَّ السيدة عائشة والسيدة حفظة رضوان الله عليهن، والله تعالى لم يرضَ لهنَّ هذا الحال من الغيرة على جسمه الشريف ﷺ لذلك خاطبهن قائلاً: ﴿**إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا**﴾: هل تردنَ الجسم أم الحقيقة؟ فجسمه ﷺ كباقي البشر أما حقيقته سامية عالية، حبّه لله عظيم، وبهذا الحب والإقبال يستطيع ﷺ سحب الكائنات وجرّها إلى الله بلمحة واحدة، وهو أهون عليه من طرفة عين، فهو للعالمين أرسله الله، ولما سمعت زوجاته الشريفات هذا الخطاب والتهديد من حضرة الله لهنَّ في قوله تعالى: ﴿**فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا**﴾ تراجعن وصبرن على ما في قلوبهنَّ من غيرة على رسول الله ﷺ، وبهذا الصبر صار لهنَّ التجاء إلى الله سبحانه ومغفرة، فارتفعت منازلهنَّ ومراتبهنَّ

---

[10] سورة الأنعام – الآية:115.

عند الله، لذلك خاطبهنَّ بعد توبتهنَّ ورجوعهنَّ عن معارضة رسول الله ﷺ مادحاً إياهنَّ بآية: **{يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء}**[11]

29- **﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾:** الجنات والسعادة. **﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ﴾:** للصابرات على أمر الله، حيث بالصبر إحسان لأنفسهنَّ. **﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾:** وذلك الأجر بمعيَّة رسول الله ﷺ حيث بطاعته ينلن من الله فضلاً كبيراً.

30- **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾:** كيف زوجاته الشريفات، وهنّ مع رسول الله ونفوسهنَّ تسبح بجناته ﷺ يقعن بالفاحشة؟!

هذا ما لم يحدث ولن يحدث، لكن إذا ظللنّ مُصِرَّات على موقفهنَّ من زواجه من سيدتنا مارية فالرسول سوف يطلقهن، وبطلاقهن تنقطع رابطة نفوسهنَّ معه ﷺ وبهذا الانقطاع عنه قد يقعن، حيث فعلن الكبيرة، تركن وضحَّين برسول الله ﷺ ولم يسألن عنه، وبهذا لا يبقى لهنَّ قيمة عند الله "تنحط منزلتهن"، وقد يخطر على البال سؤال كيف أن زوجاته الشريفات بعد انتقاله ﷺ لم يحدث معهن هذا الشيء؟ السبب لأن الطلاق يقطع الرابطة القلبية بين الزوجة والزوج، فتزول المحبة ويحلّ محلها البغض والكراهية، أما بحال الوفاة تبقى المحبة وتستمر الرابطة النفسية، وهو ﷺ وظيفته دائمة عليهنَّ بحياته وبعد انتقاله، وترقيته لهنَّ بمنازل القدس بعد انتقاله تستمر لذلك دائماً نفوسهنَّ بعروج معه ﷺ بحياته وبعد انتقاله، فهذه الآيات لها مناسبة حتى نزلت "أسباب نزول" وهي معارضتهن لزواجه ﷺ من مارية، ولولا هذه المناسبة لما نزلت هذه الآيات.

سورة الأحزاب: [31-40]

31- **﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾:** من تصل منكنَّ للتقوى وللصلاة الدائمة بالله. **﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾:** حيث كسبت بصلاتها كمالاً عظيماً فلا بد وأن تعمل صالحاً. **﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾:** أجركن مضاعف. **﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾:** حياة سعيدة في الدنيا والآخرة فلا نغص ولا شقاء يُصيبكنَّ.

32- **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾:** نَلْنَ هذه القيمة وهذه العظمة عند الله بسبب زواجهنَّ من رسول الله، ولولا زواجهن منه ﷺ ما نلْنها. **﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾:** المرأة كلها عورة حتى صوتها، فلا يحقُّ لها حين التكلم مع الرجال بحال الضرورة أن تترك صوتها على طبيعته، لكيلا يكون للشيطان مجال أن يدخل على مرضى القلوب. **﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾:** مُحبُّ الدنيا وشهواتها يطمع بها، لذلك عليها حين التحدُّث مع الرجال أن تُخشِّن صوتها. **﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾:** اللازم فقط تكلَّمْن به، وهذا الخطاب والقانون ليس فقط لزوجات رسول الله ﷺ وإنما ضمناً لنساء المؤمنين كافة[12]

33- **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾:** لأن فيها عملكن الثمين المنتج ألا وهو تربية البنين والبنات وإعداد جيل للمستقبل صحيح في الجسم والعقل. لا تخرجن إلا بحال الضرورة. **﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾:** خروجهن بالحشمة. **﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾:** لأنفسكنَّ حتى تستطعن تطبيق ما آمركنَّ به من أوامر. **﴿وَآَتِينَ الزَّكَاةَ﴾:** الطهارة لها، وطهارة النفس لا تكون إلا بالصلاة. **﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾:**

---

[11] سورة الأحزاب – الآية:32.

[12] جاء التخصيص في هذه الآية لنساء النبي لأن زلّة عالم بهلاك أمة، فنساء النبي بلغن درجة عالية فهن أسمى وأعلى وأرقى نساء العالمين والمسؤولية هنا أكبر وأعظم، فالآية تخصصهن لأنهن قدوة للنساء المسلمات، لعظيم خطر زلتهم ومنه يعمم على نساء المسلمين بالتبعية.

بكل الأوامر، طَبّقنها. ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾: هذه الأوامر رحمة منه سبحانه عليكم ليطهّركم.

34- ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى**﴾: عليكنَّ من الله عن طريق رسوله ﷺ. ﴿**فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾: إذن لا يحق للمرأة أن تخرج من بيتها وتذهب لسماع الدرس في الجامع. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا**﴾: بكم. ﴿**خَبِيرًا**﴾: بنفوسكم، لذلك أنزل لكم هذه الآيات.

35- ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً**﴾: شفاءً لهم. ﴿**وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾: لهم الجنة.

36- ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾: والقول الفصل في هذه القصة أن زينب رضي الله عنها عندما أصبحت شابة استشارت رسول الله ﷺ في أمر زواجها فأشار عليها ﷺ بالزواج من زيد بن حارثة، وقد شقَّ على زينب رضي الله عنها وعلى أخيها عبد الله أن تكون أخته القرشية تحت عبدٍ رقٍّ اشترته خديجة وأعتقه رسول الله ﷺ، لكن الله تعالى الذي عَلِم في زينب تلك الأهلية لتحقيق هذا الأمر الصعب، أراد أن يبطل تلك الاعتبارات القائمة في النفوس على العصبية وحدها، وأن يدرك الناس جميعاً أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فأنزل الله الآيات على رسوله ﷺ مبيّناً لزينب وجوب الطاعة. ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: لا يطيع أوامرهما. ﴿**فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾: ضلَّ عن الحق والسعادة، وهنالك أذعنت زينب وأخوها لأمر الله، وتزوج زيد منها.

37- ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ**﴾: أي بنعمة الإيمان. ﴿**وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ**﴾: بأن أطلقت أساره وأعتقته، ثم اتخذته ابناً. ﴿**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ**﴾: حيث لم يطب العيش بين السيدة زينب وزوجها، واشتكى زيد ذلك لرسول الله ﷺ أكثر من مرة واستأذنه في طلاقها، فكان ﷺ يأمره بأن يمسك عليه زوجه. ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ**﴾: أي وتخفي ما أدركته مما سيوقعه الله من التشريع منتظراً الوقت الذي سيبديه الله فيه لعباده.

أدرك رسول الله ﷺ ضلال ما كانت عليه العرب من اعتبار المتبنّى كالابن من النسب، وعرف ما ينشأ عن هذا الاعتبار من دخول المتبنى على عيال الإنسان وحريمه وما يجرّه هذا الالتصاق بأفراد الأسرة من المفاسد والوقوع في الزنى وضياع الأنساب. كما عرف الحكمة الإلٓهية من أمره تعالى زيداً بالتزوج بزينب وأدرك أنه لابدّ أن يأمره الله تعالى بعد تطليق زيد زينب بأن يتزوج ﷺ بها ليهدم تلك الاعتبارات القديمة الخاطئة وأن يبين للناس أنَّ المتبنى إنّما هو أمرؤ غريب عن الأسرة يجوز لمن تبناه أن يتزوج بزوجته بعد طلاقها منه بخلاف الابن من النسب. كل ذلك عرفه ﷺ غير أنه ما كان يُبدي شيئاً من أوامر التشريع إلّا بعد نزول الوحي.

﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ**﴾: تجد الصعوبة في بيان ذلك للناس. وصف تعالى الحالة القائمة في نفس رسول الله ﷺ وما كان يجده من الصعوبة في الإقدام على هدم تلك العادة الجاهلية المتأصّلة في التبني قبل نزول الوحي. ﴿**وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾: فلمّا أنزل الله الأمر عليه بوجوب التزوج بزينب بعد طلاقها من زيد وانقضاء عدّتها أقدم ﷺ على تطبيق الأمر الإلٓهي عن طيب نفس لأنه يعلم أن الله أحقّ أن يخشاه. ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾: وقد تزوج منها رسول الله ﷺ بعد انقضاء عدّتها بأمر

من الله، وخلَّص ﷺ أهل الجزيرة العربية من شرور هذه العادة وما كانت تجرُّه عليهم من فواحش وأضرار ودمار للأسرة والمجتمع.

38- ﴿**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾: أنّى لنبيٍّ يشاهد الحقائق بنور الله أن يعبأ أو يبالي بالصور وهو يرى أن الفعَّال هو الله وحده. ﴿**مِنْ حَرَجٍ**﴾: مانع. بيَّن تعالى أن الرسول لـمَّا جاءه الأمر الإلٓهي بالتزوج بزينب رضي الله عنها تقبَّل ذلك عن طيب نفس منه ودون أدنى تردّد على الرغم مما فيه من الصعوبات. ﴿**فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ**﴾: من تشريع إلٓهي، طالما هذه وظيفة المكلَّف، والمأمور بها من أرحم الراحمين وأن ذلك ممن سنَّ الشرائع العليم تعالى بالطبائع وفيه رضاه بل وفي ذلك إنقاذ الناس من الخزي والفحشاء والمنكر، وأنه ﷺ عن الدنيء عازف فلا حرج عليه فيما فرض الله له. ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ**﴾: من الأنبياء. ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**﴾: فليست المسألة بمحمد ﷺ بل بالله، وليست التشريعات منه ﷺ فلا يصدر أمرٌ عنه، إذ أنه ﷺ وحيٌ يوحى {**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**}[13]. فهذا الأمر الإلٓهي بالتزوج من زينب رضي الله عنها واقع لابد منه.

39- ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ**﴾: وصف الله تعالى جرأة الرسل في تطبيق الأوامر الإلٓهية وعدم تردّدهم وخشيتهم من أحد. هم نجوم أفلاك الحقيقة وشموس اليقين، قدوة البشر ومهبط الوحي الأمين، وهم الذين لا يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون، والله الهادي لطريق الخير بلا شذوذ. الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم هم مبلِّغون للخلق ما يأمرهم الله به من بلاغ وأوامرٍ لهم. ﴿**وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا**﴾: من الناس. ﴿**إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾: يحاسب ويدافع عنهم وينصرهم، لابد أن يجزيهم الله على عملهم بما يتناسب ومواقفهم العالية.

40- ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ**﴾: رسول الله ﷺ ليس له أولاد ذكور، فكيف تقولون: أن زيداً متبناه وهو ابنه والرسول أبوه! وهو ﷺ لا ولد له. ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ**﴾: كلامه وأعماله ﷺ كلّها بوحيٍ من الله، قدِّروه عظِّموه تَعْظُموا، هو لا يمشي بقوانينكم الخرقاء البائدة الفاسدة، بل يسنّ من عند الله العليّ الكامل سُنن الخيرات والسعادة والنصر، فهو رسوله لذلك تزوج من زينب رضي الله عنها. ﴿**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾: رسول الله ﷺ قال لهم على لسان حضرة الله أنا خاتم النبيين، أعلاهم ومحيطٌ بهم جميعاً، ولو أتوا بمثل ما تقولون من أن التبني من عند الله لأتوا بهذا التشريع عن طريقي ولعلمت أنا بهذا. فكيف تقولون وتدَّعون أن التَّبني منزَّل من الله؟! ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾: الله سبحانه يُعْلِمني بكل شيء، فكلامكم وادعاؤكم لا صحة له.

﴿**عَلِيمًا**﴾: أشار تعالى إلى علمه بأن البشرية مهما امتد بها الزمن لم يبقَ لها أمر من أوامر التشريع إلا وبيَّنه لها على لسان رسوله الكريم فلذلك لا نبي بعده وهو خاتم النبيين.

﴿**عَلِيمًا**﴾: ليعلِّمكم إن سلكتم وصدقتم ما لم تكونوا تعلمون. الطريق:

سورة الأحزاب: [41-50]

41- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾: ذكِّروا أنفسَكم بمواطن الإقبال على الله "بالشهود"، التذكر يكون لشيء رآه الإنسان من قبل. المؤمن آمن شاهد ربه، شاهد الحقائق هذا المؤمن لا يستطيع أن يعيش بلا غذاء قلبي لذلك دائماً يعمل لئلا تنقطع نفسه عن الله.

---

[13] سورة الحاقة – الآية:44–46.

42- ﴿**وَسَبِّحُوهُ**﴾**:** الاختيار لكم والأمر عائد لكم إن شئتم، التفتوا لله حتى يتجلَّى تعالى بأسمائه الحسنى عليكم فتروي النفس بما يصحبها من نعيم وسعادة وجنات وأنوار، أغدقوا من سنا أسمائه الحسنى على قلوبكم تتيهوا فخاراً، وتحيا نفوسكم علواً وترقى ببهاء الله وتتسع آفاقها وتسجد هابطة في بحار تجليات حبيبها محبّها، فتشهد آفاقاً لم تكن تعلمها وتنغمر في ماء غدق تُفتن به فتوناً، وتطوي في معارجها مرتشفة من معين المحيط الأكبر اللامتناهي.

ولكن كيف يتم هذا التسبيح؟

من الذي يقول لك سبّحوه؟ هو السراج المنير ﷺ. إذن: عن طريق رسول الله ﷺ وبصحبته القلبيَّة يتم هذا التسبيح. ﴿**بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾**:** حين الدخول والخروج، ببداية كلّ أمر كن معه، استغرق به لا تدخل لعملك وأنت غافل عنه جلَّ وعلا، لا تدخل دارك دون ذلك ولا تخرج فارغاً، لا تدخل مجلس الأصحاب أو الأعداء إلا به تعالى "تربت يداك". دلُّوا الخلق على الله وسبِّحوا أنفسكم به سبحانه.

﴿**بُكْرَةً**﴾: صباحاً تكون النفس صافيةً من مشاغل الدنيا فبسرعة تتجه إلى آلاء الله وإلى الله.

﴿**وَأَصِيلًا**﴾: مساءً. فكلمة أصيلاً مأخوذة لغوياً من الأصل. إذ الإنسان بالأصل نفس بلا جسم، فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان. ولكن بانقطاع الإنسان عن ربه وعن نوره بقي مرهوناً بجسمه وبالأنوار المادية، ونفسه المسكينة في ظلام مسجونة، وطالب الإيمان في المساء وعند غروب الشمس إن فكّر وخاف من الظلام وأنه أيضاً سيغرب ويذهب عنه جسمه بالموت ويبقى نفساً مجرّدة وهو على ما هو عليه لم يستنر بنور ربه وسينزل القبر، فإذا خافت النفس ظلام القبر ووحشته وصَدَقت بالساعة المسائية وطلبت النجاة من الله يرسل الله لها رسوله بنوره فتستنير وتطمئن، أما المؤمن الواصل، للموت عاشق وأكبر درجات فرحه لحظات خروجه من الدنيا للتفرّغ لشهود المحبوب.

43- كيف لا و: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ**﴾**:** فمن علِمت حبَّه أحببته، ومن كان لك بكليَّته فكن له بكليَّتك، فلمَ تنقطع عنه تعالى، أوَ إرادياً؟!. حذارِ، تذكر دوماً مواطن إقبالك عليه ونمِّها وحذار من سوء البذار بنفسك، دوماً ارتبط بباب الله ﷺ وارتع برحماته وفضله وعطاءاته تكن أسعد الناس. ﴿**وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ**﴾**:** من ظلمات الناس الذين كنتم تدلُّونهم على الله وترشدونهم. ﴿**إِلَى النُّورِ**﴾**:** إن أردت النجاة من كل تعس وغبن وألم فهو تعالى دوماً يريد، فإن اشتهت نفسك قربه تحتَّم القبول ووقع السبح النفسي بجلال جمال كمالات الله. ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾**:** رحمة منه سبحانه يتجلَّى عليهم ويخلِّصهم من كل ما يسوءهم. ليس رحيماً بالصحابة الكرام فحسب بل ذلك لكل مؤمن بكل زمان، فكل من التجأ لجانب الله وقاه وأسعده وعلّاه وبالجنات العلا موئله ومثواه، فمعاملاته تعالى للمؤمن تختلف بكل الوجوه عن المعرض، إذ يستره تعالى ويرعاه وسيكرمه بما لم يكرم به أحداً من العالمين.

44- ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ**﴾**:** الأمان عليهم إلى أبد الآبدين. ﴿**وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا**﴾**:** خالياً من كل ما ينغِّصهم، فهم في حياة وسعادة متزايدة ودائمية.

45- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾**:** بهذا الشرف العظيم والحب الكريم يخاطب بارئنا حبيبه ﷺ المرضي المحمود، هذه وظيفته ﷺ يتنبَّأ الحقَّ من ربِّه ويريك إيَّاه. فأطع رسول الله علّك تحظى بما حظي بمشاهدة نبوَّته. ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا**﴾**:** ﴿**إِنَّا**﴾: بصيغة الجمع تتضمن أنوار ورحمات وبحار فضل وإحسان وحنان الله وتجلّيات العلا بأسمائه الحسنى. ﴿**أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا**﴾: شاهداً لهم لآيات الكون، ولكن لمن يشهد رسول الله ﷺ وكيف يشهد؟ يشهد للذي آمن بالله واستقام فصلَّى، يشهد لمن فكَّر بالموت حتى خافت نفسه، وخاف من النتائج التي ستعود عليه من سيره بغير الحق، وخاف النار في الآخرة، هنالك طلب الحقَّ والحقيقة، فنظر في الكون وآياته وفكر به فشاهد ربَّه من خلاله، ورأى الله معه،

قريباً منه رقيباً عليه ومشاهداً له فاستقام، وباستقامته على طاعة ربِّه يحصل لنفسه ثقة بأن الله راضٍ عنها فتؤمن به سبحانه، وبمعيَّة رسول الله ﷺ تُقبل على الله، هذا المؤمن يشهد له رسول الله ﷺ التربية لهذا الكون والتجلي الإلٓهي عليه والخلق والخالق والإمداد بالأنوار، ويشهد له أسماء الله الحسنى وكيف أن الله متجلٍّ على الكون بعلمه ورحمته وقدرته. ويشهد للمؤمنين إيمانهم فيمزجه رحيقاً واسعاً أبيّاً دائماً سرمدياً لا تبغي النفس عنه حولاً. ﴿**وَمُبَشِّرًا**﴾**:** لمن فكّر وشاهد، للذي آمن يبشره بالجنة، بشارات مشهودة ذوقيَّة يعيها القلب المؤمن الصادق. ﴿**وَنَذِيرًا**﴾**:** للمعرض الذي ما فكر فما آمن، ينذره من مصائب الدنيا وعذاب القبر والنار.

46- ﴿**وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ**﴾**:** للمقبل، يعرج فيه إلى الله، **"إنما بُعثت معلماً"، "إنما بُعثت لأُتمم مكارم الأَخلَاق"**. ﴿**بِإِذْنِهِ**﴾**:** لمن تولَّدت في نفسه ثقة يُقبل بإذنه: الطاهر يدخل، لا يكون هذا إلا إذا سار الإنسان بالقوانين التي رسمها الله له وبيَّنها على لسان رسوله ﷺ، وهي التفكير بالموت والاستقامة على أمر الله والتفكير بالكون عندها يأذن الله لرسوله. فليس في قلبه ﷺ إلا الله، والجسر لا يقوم إلا بطرفين، فمن لم يصدق فلن يأذن الله لرسوله بإضاعة عمره الثمين معه للسدى مع من لن ينتفع اليوم ولا غداً. ﴿**وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾**:** هذا المؤمن صار له رسول الله ﷺ سراجه ونوره يرى به الحقائق، يرى الخير خيراً والشر شراً، صار يرى بعين القلب حقيقة الدنيا، وهذا المؤمن يفدي رسول الله ﷺ بكل شيء، لأنه يرى أن الفضل والجنّات والنوال الذي جاءه كان عن طريقه ﷺ، وبسببه.

47- ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾**:** بما سينالونه من عطاء كبير بسبب إيمانهم وأعمالهم. ﴿**بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا**﴾**:** لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، الدنيا مجموعة طاعات إن طبَّقها الإنسان وصل ونال الجنات.

48- ﴿**وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾**:** لا تسكت لهم. ﴿**وَدَعْ أَذَاهُمْ**﴾**:** لا تهتم بما يقولون. ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾**:** لك، وكيلاً على الكون كلِّه بالتسيير والإمداد والتربية.

49- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ**﴾**:** عقدتم عليهنَّ ولم تدخلوا بهنَّ، ولم تنشأ العلاقة الزوجية من مودة ورحمة. ﴿**فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا**﴾**:** إن أراد الرجل إلغاء العقد وحلّه ليس عليها عدة الطلاق. ﴿**فَمَتِّعُوهُنَّ**﴾**:** أعطها ما يجبر خاطرها، وقد جاء التفصيل في قوله تعالى: {**لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ**}: عليك أن تقدِّم لها ما تَجبُر به خاطرها، بعقدك عليها ثم طلاقك منها تكسر خاطرها ولذلك متِّعها، أي: أكرمها على حسب حالك ريثما تتأهل وتتزوج. {**حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ**}[14]: إن كنت من أهل الإحسان هكذا تفعل. ﴿**وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا**﴾**:** دون تفرقة ودون خصام يجب أن تكون سموحاً. فلا تختلف معها ولا تأخذ كل ما أعطيتها إياه من مهر أو هدايا أو ما شابه ذلك، فلتكن معاملتك إنسانية تجبر خاطرها وتجعلها مسرورة لا مكسورة الخاطر.

50- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ**﴾**:** به ﷺ وصلنَ للكمال وصارت نفوسهنَّ أجمل وأحلى ما خلق الله، وهذه الآية تعني أن زواجه ﷺ منهن جميعاً كان بأمر من الله له، ولو لم يأمره ربُّه بالزواج منهنَّ لظل على سيدتنا خديجة رضي الله عنها ولم يتزوج بعد انتقالها، لكن تطبيقاً لأمر الله وطاعة له تزوَّج منهنَّ. ﴿**اللَّاتِي آَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ**﴾**:** شرط الزواج دفع المهر والأبدية، ورسول الله ﷺ دفع

---

[14] سورة البقرة – الآية:236.

المهر لهنَّ، وهذه الآية تنفي ما قيل عن زواجه من زينب رضي الله عنها من أنه لم يدفع لها مهراً. ﴿**وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ**﴾: أي النصر كان بوجهه ﷺ فقط، لذلك تزوج ملك اليمين ممن كنّ زوجات زعماء أقوامهم أو بنات لهم. ﴿**وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ**﴾: فقط، حيث كان الإسلام بذاك الوقت ضعيفاً ولا يجوز التزوج من الكافرين وأصحاب الكتاب. ﴿**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ**﴾: هذه مؤمنة عالية هامت بحب النبي وطلبت من الله هذا الطلب، ليس لها تعلّقات بجسمه الشريف، هدفها سامٍ ونيّتها عالية، والله لم يجبرها على الزواج بل جعلها مشروطة إن أرادت هي وأراد رسول الله ﷺ، هذه المرأة كلَّما ذُكِر رسول الله ﷺ أمامها ثارت نفسها حباً، فالنبي كل شيء بحياتها وهو هدفها وطلبها، لذلك حقٌّ على الله سبحانه أن يحقّق لها طلبها. ﴿**إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: خالصة له فقط، لأنه ﷺ هو الوحيد الذي يستطيع أن يرقِّيها بالإيمان والتقوى وغيره لا يستطيع. ﴿**قَدْ عَلِمْنَا**﴾: قد علمنا المؤمنين حيث وصلوا لدرجة عالية من الإيمان والتقوى فأصبحوا مع رسول الله لا ينقطعون عنه ﷺ وبهذا الحال العالي لا يتعلَّقون بالأجسام، وبهذا السمو لا فتنة. ﴿**مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾: أي رُباع، أربع فقط للمؤمنين هذا ما فرضه الله عليهم، فلا يكلف الله تعالى نفساً فوق طاقتها، فالطاقة البشرية كما حدَّدها ربُّ العالمين لا تستطيع أن تقوم بواجباتها لأكثر من أربع زوجات وأربعين ولداً، لأن الأب مسؤول عن تربيتهم تربية كاملة، فالمسؤولية كبيرة، والنتائج عليه خطيرة إن لم يحسن التربية "التربية الصالحة" فالنار مصيره وإن أحسن فالجنة مأواه. ولكن كيف تزوَّج رسول الله ﷺ بأكثر من أربع زوجات؟

لقد تزوّج ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام قبل الرسالة وقد بلغت من عمرها أربعين عاماً وتزيده عمراً ﷺ خمس عشرة سنة، فما تزوج غيرها إلا بعد وفاتها رضي الله عنها وكان قد تخطى الخمسين من العمر.

أما السيدة سودة بنت زمعة عليها السلام، فهي لم تكن ذات قسط من الجمال أو الثروة أو المكانة الاجتماعية، وتزوج رسول الله ﷺ منها بعد أن غدت منقطعة في تلك الديار النائية من بعد أن توفي زوجها في سبيل الله وهي لن تعود لأهلها الذين كانوا لا يزالون على الكفر.

وما تزوج بعائشة وحفظة رضي الله عنهما إلا توثيقاً لعرى الارتباط بين الصديق والفاروق اللذَيْن كانا له بمثابة الوزيرين.

ولم تكن زوجه زينب بنت خزيمة عليها السلام حين تزوج بها ذات جمال وشباب، وإنما كانت زوجاً لعبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر فعوَّضها ﷺ عن زوجها بزواجه منها إكراماً لها، وكذا كان أهلها على الكفر.

ولقد تزوج من أم سلمة عليها السلام حين استشهد زوجها في أحد فلما أمضت عدَّتها خطبها رسول الله ﷺ فاعتذرت لكثرة أبنائها وكونها تخطَّت سن الشباب، فتعهَّد لها رسول الله ﷺ بالعناية وتربية أبنائها.

وقد كان بزواجه ﷺ من زينب بنت جحش عليها السلام هدم تلك الاعتبارات القديمة الخاطئة من اعتبار المتبنى كالابن في النسب وما يجره هذا الالتصاق بأفراد الأسرة من المفاسد والوقوع في الزنى وضياع الأنساب.

وكان في زواجه من جويرية بنت الحارث المصطلقية عليها السلام إسلام قومها بني المصطلق بعد أن كانوا على عداء تام مع المسلمين، حتى أن أباها الحارث زعيم بني المصطلق لَـمَّا علم بإكرام

وفادة ابنته وهي بالأسر جاء مسلماً مذعناً لرسول الله ﷺ حتى قيل: ما كانت امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية.

وبمصاهرته ﷺ لأهل مصر بزواجه من مارية القبطية عليها السلام تمَّ إنقاذ الإسلام بعد ستة قرون من الفناء الحقيقي، فزواجه منها ﷺ كان فيه ربط سياسي إنساني مع النصارى. فأهل مصر كلهم أقباط ثم صار منهم المسلمون وبقي منهم الأقباط وهم الذين نهضوا لنصرة الإسلام مع الملك الظاهر.

وسبب زواجه ﷺ من صفيَّة عليها السلام بنت حيي بن الأخطب "زعيم بني قريظة" لأنه لا يجوز زواج ابنة زعيم بالكفر إلا من زعيم بالإسلام إذ الإسلام يرفع شأن الإنسان.

وكان زواجه ﷺ من ريحانة بنت القريظة عليها السلام التي أسلمت فأعتقها ﷺ ثم تزوجها لتوثيق عرى الارتباط مع الذين آمنوا من اليهود سادةً وعامَّة ولتقريب وتأليف قلوب اليهود للإسلام والسلام.

أمّا زواجه بأم حبيبة عليها السلام بنت أبي سفيان، كان سبباً مباشراً بإسلام أبيها زعيم قريش وبالتالي حفظ دماء القرشيين الذين آمنوا فيما بعد.

فزواجه ﷺ من زوجاته كلّهنَّ زواجٌ إنسانيٌّ ولغاياتٍ عاليةٍ إنسانيةٍ، وقد عملت زوجاته الشريفات مرشدات لنساء المؤمنين بحياته وبعد انتقاله ﷺ ولم يظلمهنَّ بزواجه لهنَّ لأنه أدخل نفوسهنَّ على الله، فعاشت بالجنات لذلك لم يخطر على بالهنَّ بعد انتقاله ﷺ بالتزوج من غيره، لأنهنَّ محصَّناتٌ بالنور والجنات والسعادة والشيء الذي ينَلْنه عن طريقه ﷺ لا ينَلْنه من شيء آخر في هذه الدنيا، إذاً فطاقاته ﷺ النفسية تختلف عن طاقات البقية من بني البشر من الرجال جميعاً، وبسبب استطاعته الكبيرة هذه وطاقاته العظيمة أمره الله بالتزوج من هذا العدد للإنقاذ والإرشاد وللسير قُدماً بمركبة الإسلام في العالم أجمع.

﴿**لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ**﴾: هؤلاء المؤمنون سموا وعلوا بالإيمان لذلك لا يمكن أن يظنوا بك أيَّ ظن لأنهم يعرفون كمالك وسموَّك وأنك لا تتعلَّق بامرأة وتترك ربّك ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾: شافياً رحيماً، دائماً سبحانه يرحمهم ويرقِّيهم من حال لحال أعلى، فالشفاء والعطاء عليهم مستمر لا ينتهي وقد بلغوا هذه المنزلة بالدنيا.

سورة الأحزاب: [51-60]

51- ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ**﴾: الله سبحانه أعطى لرسوله رتبة عالية سامية لما في نفسه الشريفة من كمال، أعطاه حرية التصرّف والصلاحيّة ليمنح كل زوجة من زوجاته حسب ما تستحق، فإذا ما اشتهت إحداهن الكمال والأخرى لم تشتهه، يستطيع أن يغيِّر ويبدِّل، فهي عندما تتنازل لغيرها من زوجاته ترقى والثانية تستفيد وترقى، وهذه الصلاحيَّة من الله لرسوله لما في نفسه من كمال وعلم ومعرفة بأحوالهن النفسية. ﴿**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ**﴾: كل ذلك بأمر من الله فلا جناح عليه ﷺ بفعل ذلك. ﴿**ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ**﴾: أدنى وأقرب لهن حيث بهذه التضحية يحصل لهنَّ القرب من الله وتقرّ أعينهن بالإقبال عليه سبحانه من حال لحال. ﴿**وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ**﴾: بتطبيقهنَّ أمر الله والرسول كلهنَّ يرضين، وذلك بالذي نَلْنَه منه ﷺ. ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾: من كمال. ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا**﴾: بنفوسكم. ﴿**حَلِيمًا**﴾: عليكم.

52- ﴿**لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ**﴾: من بعد نزول هذه الآية عليك، السبب لأن زوجاته الطاهرات الشريفات أصبحن كافيات لإرشاد نساء العالم، وهذه الآية دليل على أن كل شيء قام به رسول الله ﷺ كان بأمر من ربه. ﴿**وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ**﴾: في حال الطلاق أو الموت، وهذه شهادة من

الله لزوجاته الطاهرات أنهنَّ أصبحن كاملات، وجاءت هذه الكلمة: **{تَبَدَّلَ}** ولم تأتِ: (تُبَدِّل) لأن الرسول لا يُبَدِّل الله بشيء من الدنيا، فهو ﷺ لا تعلَّق له بالنساء ولكن زوجاته هنَّ اللاتي يتقلَّبن به "رقيّاً"، وهو ﷺ يتقلَّب بربه ويقلِّبهن بالجنات من حال إلى حال. **﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾:** ولو أعجبك جمال نفوسهن من إقبالهن على الله لا يحقّ لك، وإن كنَّ أهلاً للإرشاد ومؤمنات ونفوسهن أجمل من نفوس زوجاتك لكنَّهنَّ لسْنَ أصلح منهنَّ للدلالة على الله وإرشاد نساء المؤمنين، والدليل أن هناك أجمل منهنَّ قوله سبحانه وتعالى: **{عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً}**[15] ولكن لماذا لم يسمح الله له بالزواج؟ السبب لأن الله تعالى مطَّلع على الآجال والمدَّة الباقية في حياته الشريفة ﷺ لن تكون كافية مع هذه الزوجة الجديدة، فرسول الله ﷺ اقترب أجله، والمدة المتبقية من حياته الشريفة غير كافية لتتخرج زوجاته الجدد من عنده مرشدات، لذلك لم يسمح الله تعالى له بالزواج فالرسول يتزوج ليربيها ويعلّمها الدلالة على الله تعالى وهي تعلّم النساء، فالمدة غير كافية لكي يتخرجن من عنده مرشدات، ولا تكفي للتشرب القلبي المغني وانعقاد الرابطة القلبية معه إذ بعد انتقاله ﷺ لا يحق لهن الزواج من غيره وسيكون في هذا ظلم لهن لا يرضاه تعالى. علماً أن زوجاته أهليَّتهنَّ أعلى وهنَّ كافيات للإرشاد، لذلك لم يسمح الله تعالى له بالزواج بنزول هذه الآية الكريمة. **﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾:** بحالة واحدة فقط يجوز وهي إن جاءت ملك يمين من الحرب وزوجها أو أبوها كانا زعيمين وملوك قوميهما وعندها القابلية السريعة لتكون مرشدة بهذه الحالة يتزوجها الرسول ﷺ لأن الإسلام يُعزُّ ولا يُذلُّ، وهذه الآية لم تنطبق على النبي بعد نزولها وإنما انطبقت على أصحابه من بعده. **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾:** عينه سبحانه دائماً على الخلائق لا يغيب عنه شيءٌ مما في نفسك، لكن لا يتدخل باختيارك أيها الإنسان وكل شيء مُسجَّل عنده **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}**[16].

53- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾:** والطعام هنا ليس المقصود فيه ذلك الطعام المادي من مأكل ومشرب، فليس بيت النبي بمطعمٍ أو فندقٍ، إنما المقصود بالطعام في الآية الكريمة الغذاء النفسي فكما للجسم غذاء لديمومة الحياة، كذلك للنفس غذاء لتواصل الحياة القلبية وعدم الانقطاع عن الله وهذا الغذاء تجده عند رسول الله ﷺ وفي مجالسه التي هي روضة من رياض الجنة، تُنال بها العلم والمعرفة والنعيم القلبي الذي يروي النفس ريّاً ويغنيها عن الدنيا الدنيَّة وملذَّاتها وبهرجها الزائل المنقضي المحرَّم فهذا الغذاء القلبي عند رسول الله ﷺ دائمي لما بعد الحياة الدنيا وبه تنال الجنات والمكرمات وهو الغذاء الحقيقي الباقي للنفس.

والله يُعلِّم المؤمنين آداب الدخول على بيت رسول الله ﷺ، فالرسول لديه مشاغل وأعباء كبيرة فلا يجوز الدخول إلى بيته إلا ضمن مواعيد محدَّدة ونظام وضمن الإذن والأدب، وهذا النظام لم يكن معروفاً عند العرب في الجاهلية حتى جاء الإسلام ونزلت هذه الآية الكريمة لتعلّم المسلمين النظام في أيام أو أوقات الدروس النظامية، كساعة حضور درس الجمعة ودرس قراءة القرآن وحفظه ووقت كتابة دروس الوحي وغيرها فبذلك يهذّب طباعهم ويشذّب عاداتهم ويقوّم الاعوجاج.

﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾: ليكن همّك الحقائق والعلم والمعرفة ولا يكن نظرك إلى الصورة من أثاث البيت وبنائه وفرشه وزينته فهذه الأمور الشكليّة والصور لا يعبأ بها إلا من خفَّت همَّته وضعفت عزيمته،

---

[15] سورة التحريم – الآية:5.

[16] سورة آل عمران – الآية:5.

أما أصحاب الطموح العالي فهم ينظرون إلى اللُّب ويتركون القشور والسفاسف من الأمور، يفكرون ويعقلون ما يتلى عليهم من العبر والقصص النبوية والآيات.

﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾: ضمن دعوة من قبل رسول الله ﷺ وضمن الأنظمة المذكورة أعلاه للدروس.

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾: أي إذا استفدت أنت ونلت مرادك وعثرت على غذائك القلبي وانتهى الدرس فافسح المجال لغيرك واترك المجال لرسول الله ﷺ ليتفرغ لشؤونه ومهامه الجسام الخاصة وأمور الأزواج والأبناء، فهو رحمة للعالمين قاطبة ويؤسّس لبناءٍ عظيم يدوم قروناً، فلديه من المشاغل الكثرة فلا تعرقل مسيرة الأمة بجلوسك، كما لزوجاته رضي الله عنهن لكل واحدة يوم تتشرب به العلوم والمعرفة لتكون هادية لبنات جنسها من المؤمنات. **﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾:** الرسول ﷺ رحيم ولطيف وحليم يؤانسك ويلاطفك، من حنانه الشديد لا يتكلم بكلمة أو يلمّح بوجوب الانصراف خشية أن يُجرَحَ أحدٌ أو يُعْرِض فيهلك. **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾:** هذا الشيء يثير عليه بسببك حفيظة زوجاته بحقهن، فالوقت عند رسول الله ﷺ ثمين جداً والثانية من الزمن لها قيمة، فلا تقتل وقت النبي فهذا يؤذيه، والرسول رحيم وحليم وحنون. **﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾:** لا يقول لأحد انصرف خشية أن ينكسر خاطره، وبالتالي ينقطع عن رسول الله وبذلك يكون قد انقطع عن الله لأن رسول الله هو حبل الله المتين.

﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾: الله يبيِّن الحق ويضع النظام الكفيل بسعادة البشرية جمعاء أفراداً وأمماً ولتدوم السعادة قروناً.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: هذا قول الله تعالى الذي هو أعلم بقوانين العباد وسبل خيرهم وهو المحبّ الرحيم بهم يأمرهم بالحجاب ويبيِّن حكمته لنساء الرسول ﷺ اللواتي هنَّ قدوة لنساء المؤمنين ليتبعوهن بالحجاب.

فإذا وفد وافد لبيت رسول الله ﷺ ولم يجد أحداً "لم يكن فيه سوى النساء" بيَّن الله نظام الحديث أن يكون ضمن الحاجة وأن يكون من وراء حجابٍ ساترٍ لمحاسن المرأة كلها، فلا يتلوَّث القلب بجرثوم الشهوة المهلكة، ويبقى من المرأة حديثها الذي هو من وراء حجاب ويجب أن يكون الحديث جدياً للغاية وحازماً. **﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾:** لطهارة القلب من أن يتلوث بجرثوم الشهوة في حال معاينة محاسن المرأة وجمالها، فالحجاب الغاية منه سلامة القلب وطهارة النفس. **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾:** المؤمن لا يصدر منه هذا العمل الشنيع، المؤمن حريص أشدّ الحرص على عدم مضايقة النبي وإيذائه. **﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾:** لا يجوز لأحد من المؤمنين أن يتزوج إحدى نساء النبي من بعده. هذا لأن الزواج إنما هو رابطة نفسية كما في عقد القران: "زوجتك نفسي بنفسي لنفسك"، وبهذه الرابطة النفسية ينهض القويُّ بالضعيف إلى مدارج الإيمان، ويأخذ الرجل المؤمن بيد المرأة إلى الجنات ويشرِّبها من مشربه العالي ويغدق عليها بما أنعم الله عليه من العطاءات والجنات، فهو شفيعها ليصل بها إلى رضاء الله والجنَّات، وهكذا صنع رسول الله ﷺ من زوجاته الطاهرات داعيات إلى الله مرشدات لبنات جنسهن المؤمنات، وأنقذهن من الظلمات إلى النور، فمن هو أسبق من رسول الله وأعلى منه حتى يأتي من بعده ويشرب أزواجه من التجليات الإلٰهية العظمى أكثر مما شرَّبهن رسول الله ﷺ؟!.

طبعاً لا يوجد أحد أعلى وأعظم من رسول الله، والإسلام ليس فيه انخفاض بل دوماً للعلوِّ والسموِّ والرفعة ولا يرضى بالتراجع، لذلك حُرِّم على المؤمنين الزواج من زوجات رسول الله ﷺ من بعده تحريماً على التأبيد. **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾:** مخالفته عظيمة جداً. فبعد أن كانت تأخذ من

أعلى باب وأعظم نوال عن طريق سيد الرسل والأنبياء تنخفض مرتبتها وتأخذ من أحد المؤمنين! هذا لا يرضى الله به أبداً.

54- ﴿**إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾**:** يعلم ما تخفون وما تبدون من الرضى وعدمه فلا شيء يخفى عليه سبحانه.

55- ﴿**لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ**﴾**:** هؤلاء الذين سيذكرهم الله لا يكلمونهن من وراء حجاب ولكن في اللباس والحشمة. ﴿**فِي آَبَائِهِنَّ**﴾**:** آباؤهنَّ. ﴿**وَلَا أَبْنَائِهِنَّ**﴾**:** أولادهن. ﴿**وَلَا إِخْوَانِهِنَّ**﴾**:** أخوها. ﴿**وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ**﴾**:** أولاد الأخ. ﴿**وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ**﴾**:** أولاد الأخت. ﴿**وَلَا نِسَائِهِنَّ**﴾**:** نساء المؤمنين فقط يجتمعن بهنَّ، أما نساء الكفار فلا يجوز لهنَّ الاجتماع معهنَّ والكشف أمامهنَّ، لأن عرض الكافرة رخيص عليها ولا قيمة له بنفسها كذلك أعراض غيرها من النساء، لذلك فهي تنقل صفاتهنَّ وتصف أشكالهنَّ لأزواجهنَّ الكفار، ولئلا يحدث هذا فتشيع الفتنة حرَّم الله على نساء المؤمنين الاجتماع بنساء الكافرين. ﴿**وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**﴾**:** سمح الله للمؤمنات بالاجتماع بملك اليمين ولو كانت كافرة، السبب لأنها أسيرة وطاقاتها مكبوتة فلا يخرج منها أذى، ويجب أن تجتمع بنساء المؤمنين لتتعلم منهنَّ أمور الدين وتشاهد كمالهن فتميل بنفسها لهنَّ ولله وللرسول. ﴿**وَاتَّقِينَ اللَّهَ**﴾**:** لتكن غايتكن دائماً رضاء الله والعروج بأنواره وتجلياته وجناته. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا**﴾**:** مشاهد لكم بكل شيء.

56- ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾**:** المدد والنور والتجليات السامية ينبوعها حضرة الله على مهبط التجليَّات الإلَهية حضرة النبي العظيم ومنه ﷺ تنتقل إلينا من جنابه العالي الرفيع بالروحانية المحمدية العظمى.

فالله المصلي المتجلي المعطي وهو ﷺ (القاسم) بأسمى صلاة وصلة ونوال، فكن دائماً مع رسول الله ﷺ. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ**﴾**:** أوصلوا نفوسكم به، اربطوا نفوسكم بنفسه الشريفة كي تصبحوا مع الله. فهو تعالى دائم الصلة والاتصال بالتجليّات القدسية على النبي، فهو ﷺ باب الله ومن أتاه من غيره لا يدخل، لذا يأمرنا تعالى: ﴿**وَسَلِّمُوا**﴾**:** اخضعوا لأوامره التي يبيّنها لكم عن حضرة الله. ﴿**تَسْلِيمًا**﴾**:** تاماً مطلقاً. إذا أردت النوال والعطاء من الله تجده عند النبي، فهو الطريق إلى الله، والحياة القلبية لك من الله.

57- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾**:** يتكلمون عليهم بالسوء، يتكلَّمون بما لا يليق بهم ولا بكمالهم، كمن يقول إن الله كتب على أناس الجنة ودخولها وكتب على آخرين النار ودخولها هكذا بلا سبب. ﴿**لَعَنَهُمُ اللَّهُ**﴾**:** هؤلاء لهم البعد عن السعادة والجنات وعن الله ورسوله، ولا نصر لهم على الكفار لأنهم مثلهم بسبب ظنهم السيئ هذا بالله ورسوله، فهم لا يستطيعون الإقبال على الله والارتباط "الاستشفاع" برسوله ﷺ. ﴿**فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾**:** في الدنيا معذَّبون، وإن لم يتوبوا ففي الآخرة كذلك لهم عذاب مهين أمام الخلائق على ما قالوا وادَّعوا به بما لا يليق بحضرة الله تعالى ورسوله ﷺ.

58- ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا**﴾: بشيء ما فعلوه واتهموهم به ظلماً[17]. ﴿**فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا**﴾: احتمل فوق جرمه جرماً آخر من أثر البهتان على المؤمنين. ﴿**وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾: هؤلاء مصرّون على الشَّر ومصمِّمون عليه وهذا واضح من خلال كلامهم واتِّهامهم المؤمنين.

59- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾: الحجاب هو حجب الرؤية بالكليَّة وانعدام المشاهدة، وهذه الآية دليل واضح قاطع على أن وجه المرأة عورة ولا يرضى الشرع بكشفه وسفوره، إذ لو سمحت هذه الآية بكشف الوجه لَعُرِفن، والله يقول: ﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ**﴾ أي: لئلا يعرفن، وهذه الآية شملت حجاب نساء المؤمنين جميعاً من القمة، أي: نساء رسول الله ﷺ الطاهرات إلى كافة المؤمنات بكل زمان إلى نهاية الدوران، وهي حجّة على كل من يفتي بسفور المرأة وكشف وجهها.

60- ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ**﴾: المنافقون سمعوا الحق من رسول الله ﷺ وتركوا عبادة الأصنام وساروا بالإيمان وضحُّوا، إلّا أنهم لم يؤمنوا بالله الإيمان الحقيقي الشهودي فتراجعوا حتى وقعوا بالنفاق، وهؤلاء المنافقون صاروا بعد ضعفهم ونفاقهم يعملون ضدَّ الإسلام وضدَّ المؤمنين. ﴿**وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾: حبّ الدنيا وشهواتها. ﴿**وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ**﴾: أو ما يسمونهم الطابور الخامس، وهم الذين أشاعوا بغزوة أحد خبر مقتل رسول الله ﷺ، هؤلاء إن لم ينتهوا ويتراجعوا عن أعمالهم ضدَّ الإسلام والمؤمنين، لنأمرنَّك بحربهم. ﴿**لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ**﴾: تقتلهم لا من أجل أرض ولا عرض، لذلك نصره الله عليهم وجعلهم أتقياء وأدخلهم الجنّة، هؤلاء يخافون من رسول الله ﷺ ولا يحسبون حساب أحد غيره لذلك جاء التهديد من الله إليهم بأنه ﷺ سوف يأتي لتأديبهم ولكلٍّ حسب ما قام به من أعمال، فالقاتل يُقتل، والسارق تُقطع يده، والزاني يُجلد ويُنفى.

كل إنسان يُغرى بالشيء الذي بنفسه، ورسول الله ﷺ ينفتن ويُغرى بالحق بإصلاحهم وتقويم الخطأ بضربهم والقضاء على الرذيلة وإحلال الفضيلة، والحق خلاص المسلمين منهم ومن أذاهم. ﴿**ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**﴾: يخرجون من البلاد طرداً. وهذا ما حدث لليهود. **"لا يقوم في الجزيرة العربية دينان"**.

سورة الأحزاب: [61-70]

61- ﴿**مَلْعُونِينَ**﴾: مبعدين عن الله ومن قِبَلكم لاستحبابهم وعمالتهم للأدنى، للكفار. ﴿**أَيْنَمَا ثُقِفُوا**﴾: كلمة الثقافة مشتقة من ثَقَفَ أي شَذَّب وهَذَّب وسَوَّى طباعه، والإنسان جاء للدنيا ليهيِّئ نفسه ويثقفها ويهذبها، والنفس لا تتثقَّف وتتهذَّب وتتغير طباعها إلا بالإيمان بالله ورسوله، لذلك خاطب الله المؤمنين بهذا الخطاب، أي: عندما تصبحوا أعلى منهم وذلك لا يكون إلا بالإيمان والتقوى عندها ينطبع الحق والحنان والرحمة في نفوسكم عندها تكونون قد ثقفتموهم ولكم النصر عليهم، يُقاصَصون بغية إصلاحهم وإلّا: ﴿**أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا**﴾: حذّرهم، وهكذا حُكم عُبّاد الأصنام والنار لأنه لا منطق لديهم، لكن هذا التهديد من الله تعالى عن طريق رسوله أفلحَ بهؤلاء المنافقين المرتدين إلى وثنيتهم، حيث من بعده تابوا وساروا بالحق وآمنوا بالله.

---

[17] الله تعالى عادل ولابد إلا أن يكون هناك أشياء وأخطاء خفيّة على هذا المؤمن، فالمؤمن مُبتلى يُعجِّل الله له العقوبة. لكن المؤمن القوي له ثقة بالله يلتجئ له فيريه ذنبه فيتوب، فإن تاب فطريق الإقبال مفتوح حيث الشفاء، عندها يُظهر تعالى براءته بين الناس، ثم يعود على أخيه الإنسان الذي تكلَّم بالسوء عليه، فيردّه عن ضلاله كما هو بدايةً كان سبباً في تنبيهه إلى ذنبه.

62- ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ**﴾: كل الأنبياء والمرسلين ساروا على هذا القانون الإلَهي، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة على كر الدهور ومرور الأجيال أن يحيد عن سنتهم وأن يهادن المنافقين أعداء الدين بل يحاربهم بكل سلاح، إذ هم العدو فاحذروهم قاتلهم الله فأنى يؤفكون. ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾: لأنه تعالى عكسهم فهو سبحانه للإحسان وهم للإساءة فلا مكان لهم لديه تعالى إلا في مثوى النيران.

هذا الحكم قانونٌ سارٍ إلى نهاية الدوران، عُبّادَ الأصنام يُقتَلون لأنه لا منطق لديهم.

63- ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ**﴾: والتي بها رعب وأهوال وتصفية هؤلاء المنافقين المرجفين. ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾: عندما تكلم رسول الله ﷺ للمؤمنين الذين آمنوا بفكرهم فقط من أجل أن ينهضوا للإيمان والتقوى، حين تكلَّم معهم عن ساعة البلاء كلهم تمنَّى وقوعها وبدأوا يسألون عن وقتها، وبدلاً من أن ينقذوا أنفسهم أخذوا يسألون عنها فقط ولا يستعدّون للوقاية من بلائها. فهل أيها السائل تهيّأت لتنجو من الهول العظيم، وهل وصلتَ نفسك بمن هو فوق الحوادث وبه وحده الأمان عند هلاك الزمان؟ هل كسبت في إيمانك خيراً إذ لا ينفع نفس إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل! كذلك أجابهم الرسول ﷺ: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ**﴾: أيها السائل. ﴿**لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾: ساعة موتك قد تكون قريبة قبل الهلاك العام، وأنت أيها السائل لم تؤمن، فما مصيرك عندها وماذا أعددت لها؟!

64- ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا**﴾: لكلٍّ عذابٌ بسعر، على حسب ما قدم من عمل يجزى به.

65- ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾: من آلامهم وخزيهم يخلدون إليها. ﴿**لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾: لا يجدون من ينصرهم ويخلصهم مما هم فيه.

66- ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ**﴾: أمرنا الله بالإيمان فما آمنا، الكافر غداً يتمنى أنه لو أطاع وآمن وعمل الصالحات ليدخل الجنة. ﴿**وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**﴾: رسول الله ﷺ بيَّن لنا كل شيء عن الله فما أطعنا وما طبَّقنا.

67- ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا**﴾: هؤلاء هم السبب بعدم طاعتنا لك، سِرنا بكلامهم حتى وصلنا لهذا المصير. ﴿**فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾: ضللنا طريق السعادة بعدم الإيمان.

68- ﴿**رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾: لأنهم كانوا سبب ضلالنا، لكن لكلٍّ منهم ما يناسبه وما يستحق وعلى حسب ما عمل وقدَّم.

69- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى**﴾: وهم اليهود لا تكُن مثلهم، لـمَّا ذهب سيدنا موسى عليه السلام ليأتِيَ بالتوراة لبني إسرائيل جاء السامري وتكلَّم مع بني إسرائيل وغرَّر بهم وخدعهم، قال لهم إن موسى نسي أن يقول لكم أن المال ضروري فهو الذي يجعلنا أقوياء، فيجب علينا أن نعمل من أجل الحصول عليه والتنعُّم به، وبهذا القول ميّل قلوبهم لحبِّ الدنيا والمال وحوّلهم عن الوجهة للإيمان بالله والرسول، وبهذا آذى رسول الله موسى عليه السلام وكذلك بنو إسرائيل لم يطبِّقوا بقوة عندما أمرهم أن يذبحوا بقرة، **{قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}**[18]، فجوابهم هذا إيذاء له عليه السلام وقولهم: **{قَالُواْ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا**

---

[18] سورة البقرة – الآية:67.

جِئْتَنَا}[19] وفي هذا إيذاء له أيضاً. ﴿**فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا**﴾: لما رجع سيدنا موسى إلى قومه أصلح ما خرّب السامري وثَبُتت براءته مما اتهمه به. ﴿**وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾: بإيمانه وأعماله الكبرى صارت له الرفعة والوجاهة، كذلك الذين اتَّهموا رسول الله ﷺ وقالوا عنه أنه أخطأ بقضية (عَبَسَ وَتَوَلَّى)[20] وعاتبه الله، وقصة تأبير النخل وغيرها، فقد آذوا رسول الله ﷺ بهذا القول، والله سبحانه وتعالى نفى ذلك الادِّعاء والاتِّهام عن رسوله ودافع عنه وبرّأه مما اتهموه به، فقال سبحانه: **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[21]

كذلك الذين قالوا عن رسول الله ﷺ أنه أخطأ بأسرى بدر، فالله تعالى برَّأه من هذا الاتهام بقوله سبحانه: **{لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**[22]. ولم يقل سبحانه لمسَّكَ، فالخطاب بهذه الآية ليس لرسول الله ﷺ وإنما للمؤمنين الجدد الذين لا يعرفون قانون الأسر[23].

كذلك قالوا عن سيدنا آدم عليه السلام أنه عصى ربَّه، فبرَّأه الله مما قالوا بقوله تعالى: **{فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}**[24] طعنوا وشكُّوا بالرسل والأنبياء جميعاً والله برأهم وقال عنهم **{بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}**[25]

الذين يتكلمون بالسوء ويطعنون بالأنبياء الكرام معنى هذا أنهم طعنوا بالله، لأنه سبحانه هو الذي اختارهم. هؤلاء لسان حالهم يقول إن الله اختار أناساً ليسوا أهلاً للتبليغ والإرشاد وهاهم يخطئون. وأيُّ شكٍّ بالرسول يجعل الإنسان لا يستطيع الإقبال على الله، لأن هذا الشك حقيقته شكٌّ بالله سبحانه.

70- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**﴾: أقبلوا علي باختياركم واستنيروا بنوري بمعيّة رسولي من طرق إيمانكم وبتضحياتكم. اعملوا الخير والمعروف حتى تحصل لكم الصلة بالله وتطهر نفوسكم فتدخلوا بمعية رسول الله ﷺ على الله ويحصل لكم نورٌ ترون به الحقائق. ﴿**وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾: إن تكلَّمتم بالحقائق عن شهود ونور من الله تُسدُّ طرق الشيطان فلا يعد له مدخل عليكم. لا تتكلموا إلا بكلام الله الذي يبيّنه لكم على لسان رسوله ﷺ، فقط تكلموا بالقرآن. قل أشهد أن لا إلَه إلا الله وأنت على ما تقول مشاهد. لا تقل زوراً أشهد، قل ناقلاً هذه الدلالة وأنت عليها بنور محمد ﷺ شهيداً تثمر لك ثماراً ليوم الدين.

سورة الأحزاب: [71-73]

71- ﴿**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾: هذ البيان يدلُّكم على فعل الخير والمعروف. ﴿**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾: التي في نفوسكم، وما وقع منكم من آثام في الماضي الله سبحانه يشفيكم منها فلا تتذكرونها. ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: كل من سار وطبَّق وجاهد بهوى نفسه وفكَّر بالكون وآمن هذا أطاع. ﴿**فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا**﴾: فاز بالجنة والسعادة الأبدية. هؤلاء صحابة محمد ﷺ في كل زمان.

---

[19] سورة الأعراف – الآية:129.
[20] لطفاً انظر كتاب (تأويل جزء عمَّ) للعلّامة الإنساني محمد أمين شيخو قدّس سره "تأويل سورة عبس".
[21] سورة القلم – الآية:4.
[22] سورة الأنفال – الآية:68.
[23] لطفاً انظر كتاب (حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين) للعلّامة الإنساني محمد أمين شيخو قدّس سره.
[24] سورة طه – الآية:115.
[25] سورة الأنبياء – الآية:26–27.

72- ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ**﴾: وما فيهن من أنفس، وما اشتملن عليه من مخلوقات. ﴿**فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا**﴾: عرض الله تعالى على المخلوقات جميعها في الأزل الأمانة وهي حرية الإرادة والاختيار، عرض على هذه المخلوقات "الأنفس" أن يملِّكها الاختيار وأنه سبحانه سيخرجها من دار ليس فيها أعمال إلى الدار الدنيا لتعمل الخير والمعروف باختيارها، وبهذه الأعمال ترقى في الجنات من جنة لجنة، وبيّن الله تعالى لها خطورة الأمر إن جاءت إلى لدنيا وما استنارت بنوره ولم تعمل صالحاً فإنَّ لها النار علاجٌ ودواءٌ، فأبت النفوس حملها وخافت إلا فئة واحدة غامرت هذه المغامرة العظيمة ورضيت وعاهدت ربّها ألا تنقطع عنه طرفة عين. ﴿**وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا**﴾: تمنوا حملها لكن خافوا من الخسارة. ﴿**وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ**﴾[26]: بمحض إرادته لم يجبره أحد، كذلك الجنّ حملوها. ﴿**إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾: هذه الآية لا تعني إثبات الظلم والجهل للإنسان، إنما هي كلمة مدح وإكبار، وقد جاءت بصيغة الاستفهام الاستنكاري محذوفة أداته زيادة في تقرير المعنى المراد، وإنها تقول: أكان الإنسان ظالماً لنفسه بعهده هذا مع ربه وقبوله الاختيار؟ وهل كان جاهلاً ما وراء حمل الأمانة من الجنَّات؟ أم أنه عرف ما وراء ذلك من سعادة لا تتناهى فتقدَّم وغامر وكان بذلك أكرم المخلوقات؟ لا لم يكن ظالماً لنفسه لأنه عرف ما وراء حملها من سعادة وجنات لا تتناهى وعلو منزلته بين جميع الكائنات.

73- ﴿**لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ**﴾: الذين ظنوا بالله ورسوله ظن السوء، ظنهم السوء هذا أوصلهم إلى الإشراك بالله، وهذا الشرك جعلهم يقعون بالسوء والأعمال المنحطة. ﴿**لِيُعَذِّبَ**﴾: دوماً يفرّغ لهم إعراضهم لعل. ﴿**وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾: على من آمن وأقبل فيشفيه ويعطيه، يرجع عليهم بالخيرات. ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾: لكل من سار بالحق، فكَّر وآمن وعمل صالحاً، يغفر له ويرحمه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

[26] كلمة الإنسان: تتضمن كِلا الإنس والجان، لأن كلمة إنسان تعني كل من استأنس بالله واتصل به، فكان الجن الذي حمل الأمانة متصلاً مستأنساً بالله، فالجن حين حملهم الأمانة تشملهم كلمة إنسان فهم المكلفون وكانوا عند حمل الأمانة صادقين بعهدهم مع الله، ألا ينقطعوا عنه تعالى وعن نوره.

تأويل سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة سبأ: [01-10]

1- ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: يُحمد على كل فعل وعطاء، فعن حضرة الله لا يصدر إلا كل خير، فهو سبحانه لا يعامل الخلق إلا بأسمائه الحسنى. ﴿**لِلَّهِ**﴾: المسيّر لخلقه المطاع في كل شيء، فهو سبحانه المسيّر للإنسان لكن حسب اختياره وبالحق وبالاستحقاق، ومسيّر الخلق كافة. ﴿**الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: كل ما في السماوات وما في الأرض عائد له بالتسيير والإمداد وجميع الخلق راجع إليه سبحانه بالتربية. ﴿**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآَخِرَةِ**﴾: حين ينكشف الأمر، في الآخرة الكل يحمد الله على ما ساق لهم وأعطاهم وما أعدَّ لهم من جنة أو نار. ﴿**وَهُوَ الْحَكِيمُ**﴾: كل ما يسوقه الله لك أيها الإنسان فهو محكم وكامل ومناسب لك، حكم به لأجل شفاء نفسك مما فيها من أدران، فهو سبحانه طبيبها، يسوق لك ما يسوقه لينقذك من النار وتدخل الجنات. ﴿**الْخَبِيرُ**﴾: بكلِّ الكون وبك أيها الإنسان، خبير بالأنفس ويعلم كل تقلباتها ويعاملها حسب المناسب وبما فيه خيرها وسعادتها.

2- ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ**﴾: من ماء ونبات. ﴿**وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا**﴾: أيضاً من ماء ونبات. ﴿**وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾: المطر. ﴿**وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا**﴾: من بخار الماء، فكل ما يجري في الكون بعلمه سبحانه.

كذلك نحن أرسلنا الله لهذه الدنيا لتعود نفوسنا إليه وتستوطن به سبحانه وترتع في جناته السرمدية، لكن من الناس من ولجت نفوسهم في الأرض واستوطنت بها وبملاذِّها، ومنهم من فكر وآمن وخرجت نفسه من الدنيا إلى الله سبحانه، كذلك أنزل الله من سماواته العلا نفوس الرسل والأنبياء الكرام لينقذوا الناس ويرفعوهم إلى الله، فآمن بهم أصحابهم واتّقوا وعرجت نفوسهم بسماوتهم العليَّة.

﴿**وَهُوَ الرَّحِيمُ**﴾: بالمؤمنين. ﴿**الْغَفُورُ**﴾: يغفر لهم ما في أنفسهم من علل وأمراض ليدخلوا الجنة، الذين ساروا بالتفكير هؤلاء شفاء نفوسهم بالرحمة والحنان والعطاء لا بالمصائب والعلاجات وليس لهم من الله إلا الإكرام، لذلك تقدم بهذه الآية الكريمة اسم الله الرحيم على اسمه الغفور على خلاف ما ورد ذكره بغيرها من آيات القرآن الكريم وفق الترتيب: الغفور الرحيم.

3- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: الذين ما آمنوا قالوا. ﴿**لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ**﴾: أنكروا القيامة والبعث والحساب. ﴿**قُلْ**﴾: لهم يا محمَّد، ردَّ عليهم ﷺ. ﴿**بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ**﴾: لابد منها. ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ**﴾: بإقبالي على ربي سبحانه وتعالى أشهدني يوم القيامة والآخرة وما فيها من جنات للمؤمنين ونارٍ للعاصين، وكل ما هو غائب عنكم الآن أنا أعلمه، فما أقوله لكم وأخبركم به هو عن شهود ويقين ولابدَّ لكم أن تصلوا إليه. ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**﴾: علمي من الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء، فهو سبحانه أراني وأشهدني وعلمني هذه العلوم. ﴿**فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾: مكتوب على كل ذرة أين وجهتها إذا صار البعث، كالجنود إذا صوّت البوق.

4- ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: كل واحد وعمله راجع عليه، هؤلاء بالدنيا عملوا الصالحات فلا بد أن يجزيهم الله على أعمالهم. ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾: شفاء لنفوسهم. ﴿**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾: عطاء عظيم القدر، نقي.

5- ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آَيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾: يجادلون دون رغبة في الحق. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾: عذاب متواصل دنيا وآخرة، بالدنيا شقاء وبالآخرة ليس لهم إلا جهنم والنار عليهم متزايدة مستمرة.

6- ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: العلم بلا إلّه إلا الله، وأسمائه الحسنى. ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾: يرون ما يدلهم الرسول عليه فيه الخير والسعادة، فلقد حلُّوا بها "الآيات" وعاشوا بجناتها ونعيمها. هؤلاء يعلمون ترابط الآيات ويفقهون معانيها. ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾: بتطبيقهم لكلام الله آمنوا ونالوا كمالاً منه سبحانه فحسنت أعمالهم وعلموا أن ما أنزله الله على رسوله ﷺ يوصل إلى طريق الإنسانية والسعادة، فحمدوا الله الذي أوصلهم للصراط المستقيم، أي: "رسول الله ﷺ" فهو الطريق لهم إلى الله، وهو ﷺ الذي يوصلهم إلى الجنات.

7- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يستهزئون. ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: تناثرت رفاتكم. ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: يدَّعي أنه سيعاد خلقنا مرة ثانية بعد أن نصبح تراباً. قالوا هذا لأنهم ما آمنوا، هؤلاء فقط يؤمنون بالمحسوس والملموس أي بالمادة بهذه الدنيا فقط وينكرون ما وراءها من حقائق.

8- ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كل الخلق تعترف أن هناك خالقاً، لكن حيث ما آمنوا بلا إلّه إلا الله لم يحصل لهم نورٌ من الله ليروا به الحقائق، لذلك كذبوا وأنكروا أن يكون بيانه ﷺ من عند الله. ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: مرتج عليه الحق. ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ﴾: الذين ما فكروا بالموت لتتيقن نفوسهم من فراق الدنيا وتخاف فيؤمنوا بما بعد هذه الدنيا، هؤلاء لو فكروا بالموت لما أنكروا واستهزأوا، بل لخافوا، عندها يستطيعون التفكير بالكون للوصول إلى الإيمان بلا إلّه إلا الله لكن بسبب عدم تفكيرهم أوقعوا أنفسهم بالشقاء، فهم. ﴿فِي الْعَذَابِ﴾: دائماً مُنغَّصون ومُعذَّبون بدنياهم وبالشقاء والإجرام، وغداً بالآخرة ليس لهم إلا عذاب النار بسبب ما قاموا به من أعمال سيئة. ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾: بعيدون عن السعادة.

9- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: أفلا يفكرون بما يرون من الخلق من يصرِّفها؟ وكل هذا من أجلهم رحمة بهم وحناناً عليهم ليلتفتوا إلينا ويسعدوا، ألا يدل هذا على أننا: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ﴾: تنشق. ﴿بِهِمُ الْأَرْضَ﴾: بالزلازل. ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾: عذاباً. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: فما حالهم ساعتها، وهل من أحد يستطيع أن يخلِّصهم مما حلَّ بهم إلا الله؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً﴾: لهم دالة على رحمتنا وحناننا وقوتنا. ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: يعتبرُ المنيبُ الراجعُ إلى الله بهذه الآيات التي في هذا الكون.

10- انظر أيها الإنسان إلى ما يعامل الله تعالى به المؤمنين الطائعين وانظروا إلى ما نالوا من ربهم من كمال خرجوا به للناس ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾: هؤلاء نالوا بفضل تفكيرهم وإيمانهم فضلاً وأصبحوا أئمة. ﴿يَا جِبَالُ﴾: فيا علماء بني إسرائيل، كبار القوم ورؤساؤهم، وهم الذين صار لهم رابطة قلبية بسيدنا داوود عليه السلام. ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾: أوبوا الخلق وأرشدوهم إلى الله بمعيته عليه السلام. ﴿وَالطَّيْرَ﴾: ويا صغار المؤمنين، صغار الناس وعامتهم، كذلك افعلوا. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾: ليصنع ما يحتاجه من معدات للحرب وغيرها.

سورة سبأ: [11-20]

11- ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾: "الدروع للحرب" لتقي المقاتلين ضربات العدو، وهي زرد من الحديد يلبسه المقاتل، رسول الله ﷺ كان يرتدي درعين بدل الواحد لأنه ﷺ قدوة، فلئلا يأتي من بعده أحد ويقول رسول الله ﷺ لم يرتدِ الدرع وأنا كذلك سنَّةً واقتداءً برسول الله لا أرتدي، فرسول الله ﷺ رغم أنه ممنوع ليس لأحد عليه من سلطان ولا أحد يستطيع مسّه أو لمسه بأذى وضرر، رغم ذلك كان يرتدي الدرعين لأنه ﷺ هو القدوة. ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: حدّد العدد والطول ليكون اللباس متناسباً، كذلك في القتال كان سيدنا داوود يضع الخطط الحربية ويحدد لكل مقاتل مكانه وما يجب عليه القيام به. ﴿وَاعْمَلُوا﴾: يا عبادي. ﴿صَالِحًا﴾: اعملوا الصالحات. ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: مشاهد عملكم وممدكم بالقوة والنصر وستجزون عليه بالجنات.

12- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾: كذلك أعطينا سليمان إمرة الريح، فكانت تحمله وتحمل جيشه إلى المكان الذي كان يريد الذهاب إليه. ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: كانت الريح تنقله في برهة الصباح، أي: في فترة لا تزيد عن ساعة مسافة لو أراد أن يمشيها الإنسان على قدميه لاحتاج إلى شهر. ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: النحاس الذائب، سهَّلنا له صناعته والاستفادة منه لصناعة الأدوات والأسلحة اللازمة. ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: وقد سخَّر تعالى لسيدنا سليمان الجن أيضاً يستعين بهم في صنع الأسلحة وبناء الأبنية وصنع القدور الكبيرة لطعام الجند، الفرق بين الجن والإنس أن الأول نفسه لابسة جسده والثاني جسده لابس نفسه، ولكن في زمن سيدنا سليمان عليه السلام ظهروا بأجسامهم يغدون ويروحون إلى أعمالهم مثل الإنس تماماً ولا فرق في ذلك الزمان بالهيئة، وهم يعملون أعمالاً ظاهرة بالمادة وهذا خاص بزمنه عليه السلام. ومن بعده ليس لهم تأثير على المادة إطلاقاً. فلكلٍ من الإنس والجن جعل الله له ما يناسب من ترتيب وحسب قدراتهم النفسية وما كمن فيها، فالطالب في المرحلة الابتدائية يضعون له في المدرسة الألعاب وفي كتبه الصور، أما طالب الجامعة فلا شيء له من هذا. فالإنس أقوى من الجن[1] لذلك جعل أجسامهم لابسة لأنفسهم أما الجن فلضعفهم أمام الشهوات والفتن جعل لهم هذا الترتيب ليخرجوا ما فيهم ثم بعدها يلتفتون للإيمان، وقد سخَّر الله سبحانه لهذا الرسول الكريم بسبب نواياه العالية شياطين الجن، وكان عليه السلام يأمرهم بصناعة الأدوات والأسلحة وفي أعمال البناء، كل هذا ليُشغلهم بالخير عن فعل الشر. ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: أمر سليمان لهم قاهر، لا يُخالف. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: فلكل واحد منهم عذابٌ بسعر أي على قدر ما شذَّ وفعل.

13- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾: للحرب التي كان يقوم بها سيدنا سليمان لرد الناس إلى الحق. يصنعون له السلاح لمحاربة العدو. ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾: أدوات مماثلة لما لدى العدو لئلا ينسبوا أسباب النصر عليهم للسلاح ويقولوا لو أننا نملك ما يملك سليمان من سلاح لانتصرنا عليه. ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾: صحون طعام عميقة يوضع فيها طعام الجند. ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾: للطبخ، أوانٍ كبيرة يُطبَخ فيها الطعام للجند، وهكذا فما من مطلب طلبه هذا الرسول الكريم مما فيه معونة على نشر الحق إلا وأعطاه الله إياه[2]. ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾: برابطتهم بسيدنا داوود عليه السلام أصبحوا يؤوبون الخلق إلى الله لإخراجهم من الظلمات إلى النور. ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾: وهم الذين رغبوا في اقتفاء منهاج الرسول بغية ردِّ الخلق إلى الحق، وكما أخرجهم رسول الله ﷺ من الظلمات

---

[1] أقوى في القدرات والملكات الفكرية والإمكانيات والطاقات النفسية.

[2] وقد ذكر لنا تعالى ما ذكره ليشجعنا على أن نطلب من فضله العظيم ويرينا أن المؤمن إنما يطلب الدنيا لتكون سبباً ووسيلة له إلى اكتساب رضاء الله ونفسه تطلب ما تطلبه لا لشهوة دنيوية وإنما لتتوصل إلى أعظم قدر ممكن من فعل الخير، والإنسان الحق هو الذي يجعل دنياه مطية لآخرته ووسيلة إلى فعل المعروف.

إلى النور، فهم أيضاً عازمون على إخراج إخوانهم وأخواتهم من نسب أبيهم آدم وأمِّهم حواء عليهما السلام، وهؤلاء هم الأقلة المصطفاة.

14- ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ**﴾: سيدنا سليمان لمّا جاءه الموت كان جالساً مطرقاً برأسه متكئاً على منسأته "أي عصاه وسميت منسأة لأنها أخرت ظهور نبأ وفاته".. فلما قُبضَ ظلَّ على هذا الحال حيناً، وكان قد كلف الجن أن يقوموا بأعمال فاستمروا ينجزونها وهم لا يدرون بموته. وقد مضى على هذا الرسول حين من الدهر وهو على هيئة الجالس، يحسبه الرائي نائماً أو مطرقاً مفكّراً، ولهيبته في القلوب ما كان يجرؤ أحد على إيقاظه فلما تقادم الزمن عليه جعلت دابة الأرض "السوس" تأكل عصاه إلى أن أصبحت ضعيفة واهية لا تقوى على حمل جسده الشريف هنالك خرّ على الأرض وظهر أمر موته. ﴿**فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ**﴾: عندها تبيَّنت الجن واكتشفت أمر موته عليه السلام، ويكون ما نفهمه من كلمة: ﴿**تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ**﴾: أي: ظهر أمر الجن أنهم لا يعلمون الغيب، فلا تؤمن أيها الإنسان بالجن وسحرها وعلمها. وانكشفت حقيقة هذا النوع من المخلوقات للناس وأنهم كغيرهم من المخلوقات، وبهذا يريد تعالى أن ينبّهنا إلى عدم الاعتزاز بقول السحرة والمنجمين الذين يدَّعون معرفة الغيب بواسطة الجن. ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[3].

﴿**أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾: لما لبثوا يقومون بما كلَّفهم به سيدنا سليمان عليه السلام من الأعمال الشّاقة رجاء أن يثوبوا إلى رشدهم وينقادوا إليه فيهتدوا بهديه ويسيروا في طريق الحق.

15- انظر أيها الإنسان لقوم لم يتفكَّروا ولم يؤمنوا ما حل بهم؟ ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ**﴾: وهي مدينة في اليمن سميت سبأ لحسنها ولجمالها فقد كانت تسبي وتأخذ عقول الناظرين إليها. ﴿**فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ**﴾: كانت تسمى اليمن السعيد. ﴿**جَنَّتَانِ**﴾: لـمّا كانوا سائرين بأمر الله وطاعته، جعل الله تعالى لهم هذا الخير والفضل والعطاء. ﴿**عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ**﴾: كمثل مدينة دمشق فهي مقسومة إلى غوطتين الغوطة الشرقية والغوطة الغربية وبكلتيهما أشجار مثمرة وأنهار. ﴿**كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ**﴾: اعملوا الخير والمعروف. ﴿**بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾: كانوا أهل خير والله قد غمرهم بفضله وإحسانه وخيراته.

16- ﴿**فَأَعْرَضُوا**﴾: أنكروا نعمة الله واستغشوا ثيابهم؛ نواياهم السيئة لبست نفوسهم لذلك أعرضوا عن رسولهم والتهوا بالدنيا. ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾: فاضت الأنهار وسالت عليهم، عمَّهم البلاء وعرَّاهم مما هم فيه من خيرات وذهبت عنهم حضارتهم وانهارت. ﴿**وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾: أصبحت أراضيهم ذات ثمر حامض، فبعد أن صارت نباتاتهم ومزروعاتهم تسقى بالماء الآسن أصبح لا طعم لها ولا رائحة، من بعد أن كانت زكية تسقى بمياه عذبة. ﴿**وَأَثْلٍ**﴾: نباتات صحراوية قليلة. ﴿**وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ**﴾: نبات نافع.

الحادثة في هذه الآية تتكلم عن انهيار سد مأرب في اليمن[4] وأن أهل اليمن لـمَّا كانوا سائرين بطاعة الله جعل الله لهم بلادهم جنتين لكن حين كفروا وأعرضوا أرسل الله عليهم البلاء.

---

[3] سورة النمل – الآية:65.

[4] وقد ذُكر بكتب التاريخ أن سبب انهيار هذا السد العظيم فأرٌ استطاع خرق السد فهدمه وانهار عليهم، ونتيجة هذا الانهيار خرجت الهجرات السامية منها، والحقيقة هذا الكلام غير صحيح، فالفأر لا يستطيع خرق سد عظيم كسد مأرب

17- ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾: سبب هذا البلاء معاصيهم وكفرهم وإنكارهم نعم الله عليهم. ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾: لـمَّا ما ساروا بالحق واستحبُّوا الحياة الدنيا على الآخرة ضيَّق الله تعالى وشدَّد عليهم بأنواع من الشدائد ليرجعوا للحق، ولـمَّا ما رجعوا للحق وما تابوا انهارت سدودهم وجاءهم البلاء رحمة من الله بهم. وبعد هذا البلاء وهذه الشدة هاجروا إلى المدينة المنوَّرة واستوطنوا بها واستفادوا من هذا الدرس وتلك المصيبة، وحين جاءهم رسول الله محمد ﷺ وسمعوا منه القرآن عرفوا أنه الحق وآمنوا به وقد ذكر الله تلك الحادثة وأمر رسوله أن يذكرها لأصحابه، قال تعالى:

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً}: الله سبحانه لم يذكر اسم القرية لأنها معروفة عند أصحاب رسول الله. {كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً}: عندما كانوا سائرين بالحق ومطبقين أمر الله. {يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ}: لا يوجد أمة متروكة سمعوا كلامه وما طبقوا. {فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}[5]: ظلموا أنفسهم بعدم اتباعهم له.

18- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾: لا يتعب المسافر ولا يعطش ولا يجوع. رحمة بهم فلا مسافات طويلة بين بعضها. ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾.

19- ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: لا نريد هذا الفضل الذي يأتينا عن طريق الرسول، الإنسان بالأسفار يكشف عوالم جديدة وعجائب وغرائب، وهؤلاء قالوا باعد بين أسفارنا أي: كشوفاتنا، فهم لا يريدون كشوفات أخروية من الله عن طريق رسولهم[6] حيث أصرُّوا على حب الدنيا ولم يريدوا الله ورسوله، بل يريدون كشوفاتهم الدنيوية من اختراعات وحضارة وغيرها فالله سبحانه يريد أن يكشف لهم الآخرة وما فيها من جنات وسعادة وهم لا يريدونها وقولهم هذا ليس بألسنتهم ولكن أعمالهم السيئة تدل على قولهم وإنكارهم للآخرة. ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: ظلموها بكفرهم بالله وعدم طاعتهم لرسول الله وعدم إيمانهم. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: يتحدث بأمرهم الناس. ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دالة على رحمة الله وحنانه وحرصه على هداية الناس. ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: صابر على نفسه وعلى غيره. ﴿شَكُورٍ﴾: مقبل على الله لا يعمل إلا الخير والإحسان.

20- ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: بقوله لأغوينهم أجمعين. ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾: ساروا بأمره، ساروا بالانحطاط من الشهوات والإجرام. ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: هؤلاء بسبب إيمانهم كسبوا كمالاً من الله فما ساروا مع إبليس.

سورة سبأ: [21-30]

21- ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: لا فعل للشيطان، هو فقط دعاهم وهم استجابوا له وساروا معه لِما في أنفسهم من خبث. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾: فإبليس كاشف

وما فيه من صخور وأحجار كبيرة، ونحن نعلم أن بكل السدود هنالك فتحات داخل السد لتصريف ما هو زائد من المياه، وإذا انهار أحد السدود التي بزمننا، هل تُهجر البلاد بلا رجعة؟!

[5] سورة النحل – الآية:112–113.

[6] خلق الله تعالى النفس لتنال الجنان وتعرج في صلاتها به تعالى من حال إلى حالٍ أعلى في شهود وارتقاء وسياحة عُلويّة بمعية رسوله الكريم ﷺ، فرسول الله ﷺ نقل الصحابة وبعدها نقلوا العالمين لهذه المراتب والأحوال العالية، فالنظر بالعين هلاك والنظر بالنور المحمدي يشاهد تجليات الله عليه.

لحقيقة نفوس الناس، فعندما يسلّطه الله تعالى على الناس، يبيّن الله سبحانه ويكشف لهم حالهم وما هم عليه من ضلال لئلا يُخدعوا ويظنوا بأنفسهم خيراً وأنهم من أصحاب الجنة. ﴿**وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾: حافظ لأقوالهم وأعمالهم.

22- ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: الشركاء الذين أشركتم بهم مع الله وتظنون أن لهم فعلاً وحولاً وقوة، هؤلاء. ﴿**لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ**﴾: ليس لهم فعل وتسيير لأي شيء في هذا الكون لا صغيراً ولا كبيراً، هل هم الذين يسيّرون الشمس والقمر والنجوم؟ أم هم الذين يأتون بالطعام وبالهواء ويسيّرونه، هل لهم يد في تسيير الليل والنهار ودوران الأرض. ﴿**وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**﴾: لا يستطيعون نصر أحد منكم وأنتم كذلك لا تستطيعون نصرهم فلا فعل لغيره سبحانه.

23- ﴿**وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾: محبة الرسول ﷺ أو المرشد الكامل من بعده ﷺ لا تكون إلا بعد استقامة وكمال. ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾: ساعة الموت وبما فيها من آلام وأهوال وعذاب بهذه الساعة يفزَّع عن قلوبهم أي يذهب الشيطان عنهم. ﴿**قَالُوا**﴾: قال لهم الملك في القبر. ﴿**مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**﴾: وهذه الآية دليل على سؤال الملائكة للإنسان بالقبر، ولا يكون السؤال إلا بالقبر وليس حين الموت لأن الميّت قبل أن يُدفن في القبر يبقى مشغولاً بمن حوله، والمشغول لا يشغل ولا أحد يسأله، أما حين يُدفن ويُصبح وحيداً في القبر تأتي الملائكة وتسأله، وسؤال الملائكة رحمة من الله بهم حتى يتخلّصوا من الحال الصعب الذي هم عليه. ﴿**قَالُوا الْحَقَّ**﴾: وهذا مصير النفوس التي انغمست بالدنيا وركبها الشيطان فهي والحالة هذه لا تستطيع سماع الحق، ولكن لـمَّا يأتِ الموت يفرّ الشيطان فتسمع الحق. عندها يعرفون ما جاء به رسل الله من الحق عن ربهم، ويشاهدون حقائق أعمالهم وما جرّته لهم في قبرهم وما ستجرُّه عليهم في الآخرة من نار. ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾: يعلمون عندها أنهم خسروا مشاهداتهم العلية الكبيرة لحضرة الله.

24- ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: من ينزل الأمطار ويخرج الأثمار. ﴿**قُلِ اللَّهُ**﴾: هل من أحد غيره سبحانه؟! المسيّر للشمس والغيوم والهواء والأرض، أليس هو الذي يخرج لكم خيرات السماء والأرض؟ ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾: أعملنا واحد؟ هل أعمالنا مثل أعمالكم؟

25- ﴿**قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا**﴾: كما ادعيتم. يدعي الكفار أن الرسول ﷺ وصحبه الكرام يحرمون أنفسهم الخيرات وملذات بالدنيا ومتعها فهم بهذا قد حرموا أنفسهم من الملذات أي مجرمون، قالوا هذا لأن منظارهم أصبح معكوساً. ﴿**وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾: فلكلٍّ عمله.

26- ﴿**قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا**﴾: يوم القيامة. ﴿**ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا**﴾: يحكم. ﴿**بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**﴾: يعلم كل إنسان وما يستحق.

27- ﴿**قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ**﴾: الذين جعلتم لهم فعلاً مع الله، أروني هل لهم من فعل بهذا الكون؟ هل لهم تدخل بدوران الأرض وسير الشمس والقمر؟

﴿**كَلَّا**﴾: لا فعل لهم بشيء، وهم جميعاً كَلٌّ على الكون محتاجون إليه في الطعام والشراب والهواء وكل متطلباتهم. ﴿**بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ**﴾: كل الخير والتسيير والإمداد بالتربية منه سبحانه فقط وليس لأحد فعل ولا فضل بهذا الكون سواه. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: بفعله مع خلقه.

28- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾: أرسلناك للناس جميعاً حتى تكفّهم عن الدنيا وشهواتها إلى منبع السعادة والخير. ﴿بَشِيرًا﴾: للمؤمن بالجنة، تبشّره بها إن آمن بالله. ﴿وَنَذِيرًا﴾: للمعرض الكافر، تبيّن له ما سيكون حاله حين الموت وما سيحل فيه بالآخرة من آلام وشقاء ونار إن لم يؤمن بالله. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: هذا الخير الذي يأتيهم منك.

29- ﴿وَيَقُولُونَ﴾: بعد كل ما بيَّنْتَه لهم من حقٍّ ومنطقٍ. ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنذرَهم ﷺ وحَذَّرَهم من الهلاك إن لم يتوبوا، وبيَّن لهم كل شيء، فبدل أن يؤمنوا كذَّبوا به وأنكروا وقالوا متى هذا الوعد إن كنت صادقاً.

30- ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾: لكم آجالكم. ﴿لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾: متى استحقيتم الهلاك يأتيكم.

سورة سبأ: [31-40]

31- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الذين ما فكَّروا تكبَّروا على رسول الله لذلك قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾: مهما كلمتنا به لا نؤمن لك. ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى﴾: هذا ما كان يثير بكاء ونحيب رسول الله ﷺ، أنت لو ترى ما أنزلوا بأنفسهم من تعس وشقاء وحرمان. ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾: لا يتقدمون ولا يتأخرون وهم مشاهدون الخسارة العظمى الدائمة.. ما أصعب حاله في هذا الموقف. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: للسؤال والحساب. وقد شاهدوا ما أكرمهم به ولؤمهم المتمادي بإصرار على العمى المتعمد من قبلهم والرحمة طيلة حياتهم من قبل الله. ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: يقول الضعفاء لأسيادهم الذين ساروا معهم بالدنيا وأطاعوهم. ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: لولا أن أطعناكم وسرنا بكلامكم لكنَّا آمنَّا بالذي سمعنا من رسل الله، ولَـمَا صرنا إلى هذا الحال.

32- ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: الشركاء الذين استعلوا على غيرهم بما كان لهم من شأن دنيوي. ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: للذين ساروا معهم. ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى﴾: هل نحن صددناكم من أن تؤمنوا؟! ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾: الحق على لسان رسول الله. ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾: لا، نحن لا علاقة لنا بهذا، ما صددناكم بل كنتم أنتم مجرمين لا خير ولا كمال فيكم، لذلك لحقتم بنا فلوموا أنفسكم ولا تلومونا، كنتم بالدنيا تنتظرون كلمة باطل كي تسيروا في الضلال حسب ما في نفوسكم من شهوات. إذن فلا حجَّة لأحد غداً ولا عذر له فكلٌ يسير ويعمل على حسب ما أوعى هو في نفسه، فآمن أيها الإنسان بالله ليشفي الله نفسك من الخبث ويبدله بكمال وفضيلة فتعمل بكمالك الخير والصالحات.

33- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: الذين اتبعوا غيرهم واتَّخذوهم أدلَّاء وأولياء، ولم يتخذوا الله ورسوله أولياء. ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: ساداتهم الذين استكبروا عليهم. ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: كحال الدنيا الآن. ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾: مكرتم ودبَّرتم لنكفر بالله ونشرك به. ﴿وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾: مماثلين له. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾: الطرفان، على ما فرطوا وخسروا من فضل وجنات. ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: لما شاهدوا ما سيحل بهم. ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أعمالهم السيّئة بادية أمامهم تمنعهم من الإقبال على الله ونوال جناته. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: كل واحد وعمله راجع عليه فلا ظلم.

34- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾: نبي، رسول ينذرهم ويحذّرهم من عاقبة أعمالهم وعدم السير بالحق. ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: أهل الترف الذين امتلأت قلوبهم خبثاً وشهوات. ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: خوفاً على دنياهم كفروا وكذّبوا الرسل.

35- ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾: اعتزّوا بما لديهم من مال وولد وقوة، لذلك كذّبوا رسلهم وما ساروا معهم بالحق. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: كما تقولون، أنكروا الآخرة والحساب والعقاب.

36- ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: للإنسان الاختيار، والله سبحانه يعطي كل إنسان ما يشاء ويختار، فكل من شاء وطلب يعطيه. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: بمقدار ما يناسبه وبقدر ما بنفسه يعطيه. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: لجهلهم بأفعال الله. ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحكمة من هذا المنع والعطاء.

37- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾: أعطاك الله تعالى المال لتفعل به الخير والمعروف، كذلك الولد بالتربية الصالحة هو بميزان أبيه، إن لم تفعل الخير بالمال والبنين لن يفيداك شيئاً ولا يقرباك زلفاً من الله، فهما والحالة هذه يزيدان البعد والـحُجُبَ بين العبد وربه. ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: هذا كسب بنفسه خيراً عظيماً، حيث بإيمانه وتقواه نال من الله كمالاً يفيض به أعمالاً صالحةً، وبهذه الأعمال يرقى ويزداد قرباً من الله ويعلو مقامه وترتفع منزلته عند الله سبحانه. ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾: يكون الجزاء على العمل الصالح عطاءً غير محدود، والضعف هنا تعني مضاعفة الجزاء من ضعف إلى ضعف بزيادة لا نهاية لها، وكرمه تعالى أكبر وأكبر يضاعف الأجر أضعافاً لا حدّ لها والله ذو الفضل العظيم. ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: خلقنا الله لعمل الخير والمعروف ولهذا أخرجنا للدنيا، حيث بالعمل الصالح ندخل الجنة. {ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[7] ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾: في الجنة يغرفون بنفوسهم من التجلي الإلٓهي والعطاءات الإلٓهية. ﴿آمِنُونَ﴾: لا شيء يخرجهم عن السعادة فلا كدر ولا هَمَّ ولا شقاء يُصيبهم.

38- ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾: الدالة على الله. ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: لخبث نفوسهم يسعون لرد الحق. ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ﴾: في النار. ﴿مُحْضَرُونَ﴾: من قبل الملائكة، مثلهم كالمجرم حين يُحضره الشرطي.

39- ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: لا ينقص عليهم شيئاً يعطيهم ويفيض عليهم ليفعلوا الخير وينالوا الجنات. ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: حسب المناسب. ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾: يعيده عليكم أضعافاً مضاعفة. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: لهذا خلقك، لتنفق وتعمل ويعطيك خير الآخرة وجناتها.

40- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: يوم القيامة يجمع الله الخلق جميعاً. ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾: بوحي منكم وإلهام كانوا يتبعون الضلالة، فتجيب الملائكة:

سورة سبأ: [41-50]

41- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: يطيعونهم. ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾: لخبث نفوسهم لحقوا شياطين الجن وأطاعوهم وظنوهم ملائكة، فقادوهم للمعاصي والمخالفات.

---

[7] سورة النحل – الآية:32.

42- ﴿**فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ**﴾: شياطين الجن وشياطين الإنس. ﴿**نَفْعًا وَلَا ضَرًّا**﴾: الحكم لله، ما يراه مناسباً يجريه وليس لأحد فعل سواه سبحانه. ﴿**وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: أنفسهم، لأنهم ما آمنوا بالله ولا أطاعوا رسوله. ﴿**ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾: بالدنيا.

43- ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ**﴾: إذا شهد لهم رسول الله ﷺ عن بداية خلقهم والمربي لهم ومسيرهم، فلقد جاءهم من ربه بما لم يأت بمثله أحد من العالمين، دلهم على الإيمان والتفكير ببدايتهم كيف كانوا نطفة، إن فكروا كما دلّهم استعظموا وأشهدهم ﷺ "السراج المنير" بنوره بدايتهم وصاروا مؤمنين، وصار لهم منه تعالى نور وبصيرة يرون بها الحق حقاً والباطل باطلاً، لكنهم بدل أن يفكروا ببيانه العالي: ﴿**قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ**﴾: كباقي الرجال فلا ميزة له عن غيره، ما عرفوا حقيقته وأنه رسول كريم جاءهم ببيان من ربه. ﴿**يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ**﴾: غايته أن يمنعكم من السير فيما جاء به الآباء والأجداد العظماء لتكون له الزعامة عليكم، ولكن ما ورثوا عن آبائهم غير الدسوس والخرافات حتى أصبحوا بسيرهم على كلام الآباء أحطّ الأمم فلا عزة لهم ولا كرامة. ﴿**وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ**﴾: كذبٌ، كذَّبوا ببيانه ﷺ عن الله لأنه يعارض أهواءهم المنحرفة. ﴿**مُفْتَرًى**﴾: يتكلم بأشياء جديدة لم نسمعها من قبل، العلماء كلهم يقولون خلاف ذلك. فالذي جاء به إنما هو من عنده، لا من عند الله كما يدَّعي. ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾: واضح بيّن أنه سحر. تخيُّلات يتخيلها ويتكلم بها، غيبيَّات وأشياء خفيَّة لا نعلمها؛ يقول: أنّ في الصلاة سعادة لا شيء يعدلها، كذلك في الإنفاق والتضحية والاستقامة والكف عن الشهوات سعادة وحياة للقلوب، نحن ما خلقنا لهذا، نحن خلقنا لنأكل ونشرب ونتمتع بالنساء والأموال.

44- ﴿**وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا**﴾: الآية جاءت بصيغة الاستفهام الاستنكاري فالله سبحانه وتعالى بعد إنكارهم رسالته ردّ عليهم: أوَمَا آتيناهم من كتب؟! أما أرسل الله في الماضي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن؟ هل هذا غريب أن يرسل لهم دلالة وبيان بعد أن ضاع الحق؟ ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ**﴾: أما أرسلت للأقوام السابقة رسلاً ينذرونهم كما تنذرهم أنت الآن وتبين لهم نتائج سيرهم المنحرف دنيا وآخرة، فلم الإنكار والتكذيب؟!

45- ﴿**وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: كما كذب قومك الآن بك. ﴿**وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ**﴾: المعشار واحد من ألف، قومك ضعفاء لا قوة لهم ولا حضارة ولم يبلغوا واحداً من ألف مما عند الأمم من العلوم والحضارة ورغم ذلك كذَّبوا. ﴿**فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾: بماذا عاد عليهم نكرانهم نعمتي ورسلي ودلالتي، جاءهم الهلاك وأُهلكوا وقومك كذلك مصيرهم[8] إن لم يؤمنوا، حذَّرهم ﷺ من الهلاك.

لكن هل من مَخلص من هذا كله؟

46- ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ**﴾: هذه طبقوها لأن النجاة والخلاص والفوز ومعرفة الحق والحقيقة بها. ﴿**أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى**﴾: قال لهم ﷺ أنا أطلب منكم أن تسمعوا هذا البيان وتقرؤوه وتفكِّروا به وتقارنوا بينه وبين أقوال العالمين إن كان طلبكم الحق والحقيقة اسمعوا.

[8] كذلك نحن إن لم نسر على الحق فسوف يصيبنا ما أصاب من كذبوا من الأمم السابقة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح صلوات الله عليهم أجمعين، وما أخبر به ﷺ من أشراط الساعة تحققت فالآن هجر الناس كتاب الله وساروا على ما جاءهم من آبائهم وأجدادهم دون النظر مع توافقها مع كتاب الله، وخرجت النساء كاسيات عاريات وحدث التطاول في البنيان وتفشت اللواطة والربا والرشوة ولم يبق إلا وقوع الساعة والعلم عند الله أن وقتها صار قريباً جداً.

﴿وَفُرَادَى﴾: طبِّقوا ما يأمركم الله به على لسانه، إن فكَّرتم وطبَّقتم بعدما سمعتم وقرأتم تصلون لله وتشهدون نوره وأسماءه الحسنى والطريق:

1-التفكير بالموت حتى تخاف النفس.

2-الاستقامة على طاعة الله والابتعاد عن المحرَّمات، وعمل الخير قدر المستطاع.

3-التفكير بالكون وآياته.

اسمع كلام المرشد بما يدلك به عن الله ثم فكِّر بعدها بالآيات لتصل إلى الإيمان. **﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾:** تتفكرون لوحدكم أو تستعينون بأحد إخوانكم، قارنوا بين هذه الدلالة وكلام البشرية جمعاء. **﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾:** إن آمنتم بالله إيماناً حقيقياً شهودياً تعلمون أنه ﷺ ليس مستوراً عنه شيءٌ من الحق والحقيقة، فكلامه ﷺ من الله وعن شهود للحقائق لأنه سميع عليم. قال تعالى: **{فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ}**[9]

عظِّموه عن رؤية ومشاهدة لحقيقته السامية العالية لذلك نصروه فالله تعالى يطلب منا بهذه الآية أن نسمع هذا البيان ونفكر ونقارن بين ما جاء به من بيان ودلالة وبين أقوال السابقين إذ أن كافة البشر لا تستطيع أن تأتي بمثل هذا العلم، إذن فهذا البيان من الله منزل على رسوله.

كل ما في الكون صنع الله، لا أحد يستطيع أن يصنع مثله ولو بعوضة. كذلك كلام الله سبحانه لا أحد يستطيع أن يتكلم بمثله إذن هذا القرآن من الله وهو رسول الله.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: ينذركم ويحذِّركم لئلا تدخلوا النار غداً.

47- **﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾:** ما آخذه منكم ليس لي وإنما لكم، أنا لست بحاجة لكم ولأموالكم، فهو ﷺ يأخذ من الغني ليعطي الفقير فيستفيد الغني بهذا الإنفاق ويكسب عملاً والفقير يحمد الله على هذا الفضل والعطاء، وكل هذا عن طريقه ﷺ. **﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾:** أنا غايتي الله، لا غاية لي من دنياكم شيئاً، لا المال ولا النساء ولا الجاه بالشيء الذي أريده منكم، غايتي أن تدخلوا الجنة وبهذا لي أجر من الله. **﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾:** لا شيء يخفى عليه سبحانه يراني ويراكم ويعامل كلاًّ بما يستحق.

48- **﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾:** القرآن كله منطق وحق ويوصل للسعادة والخير ولشهود الحقائق. **﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾:** يعلم سبحانه القرون الماضية والقادمة، وأنتم إن آمنتم بالله وصارت لكم رابطة برسوله يُعلِّمكم الله ويشهدكم ما غاب عنكم، حيث يجمعكم رسولكم بالرسل جميعاً فتشاهدونهم وتؤمنون بهم وتشاهدون أقوامهم وما جرى لهم، وهذه غائبة عنكم دونه ﷺ، لكن به وبنوره ﷺ تشاهدون هذه الحقائق بما علَّمه وأشهده الله.

49- **﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾:** جاءكم الحق الآن من ربكم وسيظهر على غيره وسيزهقُ الباطل. **﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾:** ماذا في الباطل من ضلال وما هو أثره في الآخرة.

50- **﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾:** إن سِرْتُ بهوى نفسي أكون قد ضللت، أنا لا أسير إلا بما يأمرني الله به وعلى كتابه وبوحي منه سبحانه. **﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾:** العائد عليها بالضلال والشقاء. **﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾:** الفضل فضله هو سبحانه يَدُلُّني ويرشدني إلى الحق وأنا أدلكم عليه. **﴿إِنَّهُ**

---

[9] سورة الأعراف – الآية:157.

سَمِيعٌ﴾: لكل نفس ولما تريد وتطلب، فيعطيها ما أصرَّت عليه. ﴿**قَرِيبٌ﴾:** قريب منها سبحانه، فآمنوا به لتروا ذلك.

﴿**سَمِيعٌ قَرِيبٌ**﴾: الله سميع لقولي قريب مني. ذلك حاله العالي الرفيع فكل من تكلم بحق الأنبياء معناه أنه ينفي كلمة "إن الله سميع قريب"، فكأن الله لا علم له بآدم حتى اصطفاه وهذا غير صحيح فالله تعالى اصطفاهم لعلو نفوسهم وكمالهم.

سورة سبأ: [51-54]

51- ﴿**وَلَوْ تَرَى﴾:** الذين كفروا فما آمنوا بالله ولا أطاعوا رسولهم. ﴿**إِذْ فَزِعُوا﴾:** حالهم حين الموت ويوم القيامة بالفزع والرعب. ﴿**فَلَا فَوْتَ﴾:** لا خروج لهم عن هذا الحال الرهيب، فالرعب والفزع والألم ملازمٌ لهم لا يفارقهم. ﴿**وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾:** فالله سبحانه وتعالى قريب وقريب من الإنسان، وغداً حين الموت يرى الإنسان هذا.

52- ﴿**وَقَالُوا آَمَنَّا بِهِ﴾:** غداً حين الموت ويوم القيامة جميعهم يؤمنون بالله لكن لا فائدة من إيمانهم هذا حيث لا عمل صالح لهم، فهل نظر الإنسان لهذا الكون نظرات المتأمل المستبصر وقادته نظراته وهداه تفكيره إلى شهود عظمة هذا الكون ورؤية ما فيه من إحكام الصنع ودقة التكوين فهدته فكرته ووصلت به نظرته إلى أن لهذا الكون خالقاً عظيماً ورباً حكيماً وإلٰهاً قديراً. ﴿**وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾:** أنَّى لهم القرب ونفوسهم بعيدةٌ عن الله القريب منها.

53- ﴿**وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾:** نسبوا الفعل والحول والقوة لغيره تعالى. ﴿**مِنْ قَبْلُ﴾:** بالدنيا، بسبب أهوائهم المنحرفة وليحققوها كفروا بالله. ﴿**وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾:** كلامهم لا دليل لهم عليه. ﴿**مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾:** ما آمنوا بالله تعالى ليروه قريباً منهم.

54- ﴿**وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾:** زال كل ما يربطهم بهم. ﴿**كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾:** الذين سبقوهم وساروا على سيرهم.

﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا﴾:** بالدنيا. ﴿**فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾:** شكُّوا بالله ورسوله فتحوَّلوا لحب الدنيا وشهواتها، وبحبهم للدنيا تحوَّلوا عن إنسانيتهم وارتكبوا أعمالاً إجرامية، فأصبحوا مخلوقات مرعبة بصورة إنسان.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تأويل سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فاطر: [01-10]

1- ﴿**الْحَمْدُ**﴾**:** على المرء أولاً أن يؤمن بالله حتى يفهم معنى هذه الآية الكريمة، إن آمن بالله سبحانه عرفه وعرف طرفاً من أسمائه الحسنى، عندها يعرف أن الله يُحمد فيحمده على كل شيء، يحمده على الصحة والمرض، والغنى والفقر، وعلى الهموم والأحزان وعلى كل ما يسوقه سبحانه له.

ما لم يفكر الإنسان ويؤمن بالله لا يحمده تعالى تمام الحمد. فالحمد إذاً:

﴿**لِلَّهِ**﴾**:** المسيّر لكل مخلوقاته بالرحمة والحنان، والمطاع بكل شيء. ﴿**فَاطِرِ**﴾**:** خالق، منشئ، فطره: أنشأه. ﴿**السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ**﴾**:** أجعل الملائكة كي يديروا الكون؟ فهل سبحانه بحاجة لهذا وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؟! بل لا فعل لغيره تعالى. والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى يقول بهذه الآية: ﴿**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا**﴾: لكم يا عبادي. ﴿**أُولِي أَجْنِحَةٍ**﴾: أصحاب اختصاصات، يُقال جناح القلبية، جناح الأذنية، جناح العينية... فالله سبحانه جعل للملائكة وظائف متعددة يؤدونها لك أيها الإنسان، وكما أن الجناح رمز الطيران لذلك وصف سبحانه الملائكة بأنهم أولوا أجنحة، فهم يطيرون بنفسك أيها الطالب للإيمان إلى الكعبة حيث نفس رسول الله، فيعرج بها ﷺ إلى الله، ومنه سبحانه تَنال هذه النفس نوراً فتغدو بصيرة مستنيرة ولهذا خلقنا الله تعالى. لقد كلَّف الله سبحانه ملائكته الذين ملَّكوا أنفسهم له كلَّفهم بوظائف لا عجزاً ولا ضعفاً وإنما رحمة بهم ليروا أنهم عملوا، وبهذا يحافظون على المرتبة التي وصلوا لها بإقبالهم عليه سبحانه وتعالى فلا يهبطون منها.

﴿**مَثْنَى**﴾**:** اثنان على كتفي الإنسان: رقيب وعتيد، يكتبان أعماله وأقواله. ﴿**وَثُلَاثَ**﴾**:** الثالث الذي ينادي الإنسان وهو ملك الإلهام يلقي الإلهامات في النفس ويناديها للإيمان والتفكير بالكون. ﴿**وَرُبَاعَ**﴾**:** والرابع ملك الموت، وهو المتكفل بأمرٍ من الله تعالى بوضع الروح حين خلق الإنسان، وسحبها حين الموت. ﴿**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾**:** يزيد على حسب إيمان كل إنسان فيجعلها مرافقة له تدافع عنه. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾**:** بل الله الذي يعطي كل شيء المقدار المناسب له.

2- ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ**﴾**:** عطاء، رزق أو أرسل لهم رسولاً إن آمنوا بلا إلٓه إلا الله على الطريق التي بيَّنها تعالى فأقبلوا عليه، رفع الله شأنهم وسما بهم دنيا وآخرة. إن علموا أن الفعل بيد الله تعالى حقَّق ظنهم وفتح عليهم الدنيا ليكسبوا أعمالاً صالحة قربات وزلفى منه تعالى، ففتح لهم كنوزه ظاهرةً وباطنةً، وأراهم عظيم برّه ومزيد إحسانه، وسبّحهم بفضله وجعلهم مفاتيح خير العالمين. ﴿**فَلَا مُمْسِكَ لَهَا**﴾**:** إن أرسل رسولاً وأيَّده بكتاب وآمن أصحابه به وبدلالته فمن يستطيع أن يمنع نشرها على عباده؟! ﴿**وَمَا يُمْسِكْ**﴾**:** إن أمسك تعالى ولم يرسل لعباده رسولاً يدلُّهم. ﴿**فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ**﴾**:** هل من أحد غيره سبحانه بيده وبمقدوره أن يأتي برسول وبكتاب من عند الله؟! بيده تعالى الكائنات فاطلب منه فهي زائلة، استمدّ منه تعالى لا منها قبل فوات الفرصة وانقضاء العمر المحدود، فكلها تنفد وما عنده لا ينفد. فَوَجِّه وجهتك إليه تعالى تغنى فوق العالمين. ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾**:** فكل خير منه تعالى لا منها، معزّتك به تعالى. يحب لكم الخير لذلك ما منع رسله عنكم. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾**:** يعطي ضمن الحكمة، فلكل أمة ما يناسبها وما تستحق.

3- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾: اعرفوها، فتّش، ابحث عن المنعم الحقيقي، فكروا بها لتحمدوا الله على هذا العطاء الكبير. ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾: فكر أيها الإنسان بفضل الله، هل يستطيع أحد أن يرزقك غيره؟ والطريق لمعرفتها الإيمان بالله: ﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾: يسيّر الكون كلّه من أجلك أيها الإنسان ومن أجل طعامك وشرابك، ولتؤمن به سبحانه فتنال منه الكمال وتعمل الصالحات وتدخل الجنات. ﴿**فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾: إلى أين تتحوَّلون ولديكم التفكير لإرشاد النفس لمصير كل من تتجه إليه إلا الله.

4- ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ**﴾: ما آمنوا بك وكذَّبوك بلحاقهم "باتباعهم" الدنيا الدنية، فكتبوا على أنفسهم الذلّ والعار والنار، أنت الرحيم بهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. ﴿**فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ**﴾: اذكر عبدنا نوح وما قاسى، وإبراهيم وما تحمّل، وموسى وما لاقى من فرعون وملئه من بهيمية وتعنّت قومه، ويونس وكيف طفح به الكيل وهدَّته رحمته، فاصبر ولا تحزن عليهم، فعليك التبليغ ولهم الاختيار، فهنالك رسل قبلك قد كُذّبوا مثلك. ﴿**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾: كل إنسان يعطيه الله حسب ما في نفسه، فلا تحزن عليهم ولا تتأثر. إني عليم قدير، مكري أكبر من مكرهم، فرحمتي واسعة وعلاجاتي كبيرة فلا تستيئس بسبب تعنّتهم الأعمى وعنادهم الأحمق، فأنا معك ناصرك ومؤيّدك. هنالك انطلق عليه السلام بتجدد وعزم أعظم مُستَمَدٍ من الله محذّراً وموعظاً.

5- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾: أنت بيّن لهم إنه لابد وأنهم راجعون لله، وأنهم سوف يُبعثون وأن الله سيسأل كل واحد منهم عمَّا عمل بدنياه وسيُجزى به بالجنة أو النار. ﴿**فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾: لا تنخدعوا بما فيها من شهوات وملاذ، فكلها زائلة والله تعالى هو الباقي. آمنوا بي لكيلا تغرَّكم الحياة الدنيا، ولا يكون هذا إلا بالتفكير الصائب الكامل، عندها تصلون لأصل الأصول من بيده الملك والملكوت. ﴿**وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ**﴾: يخدعكم. ﴿**بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾: الشيطان الذي توعَّد بإضلالكم، وذلك بتزيين الدنيا وشهواتها بأعينكم لتُفتنوا بها وتحبونها فتنسوا الآخرة وجناتكم التي أعدها الله لكم. إن أشحتم بقلوبكم عن مُحبّكم سبحانه، استلمكم عدوكم فماذا يفعل بكم؟

6- ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ**﴾: يريد لكم الشقاء والألم، وأن يجعلكم بالذلّ والخيبة والانحطاط والعداء، وأن يحرمكم من الجنات المُعدَّة لكم. ﴿**فَاتَّخِذُوهُ**﴾: بالإيمان بالله. ﴿**عَدُوًّا**﴾: احذروا منه، لا تسيروا بسيره وتعملوا عمله. ﴿**إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ**﴾: أصحابه الذين أحبُّوا الدنيا مثله. ﴿**لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾: يأمرهم بالفحشاء والمنكر وعمل السوء، وفي الآخرة لهم النار على قدر ما قدَّموا وعملوا من أعمال سوءٍ.

7- ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾: لهم النار ليخلصوا من آلامهم وأوجاعهم وينسوا حسراتهم وندامتهم على ما فرطوا به. ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾: شفاء، تشفى نفوسهم من عللها، وذلك بالإقبال عليه تعالى، فما قدَّمت تجاه مرضاة المنعم المتفضّل يجعلها تقبل على ربها رضائياً تلقائياً، فتدخل عليه تعالى بوجه أبيض من الطرق التي سبق أن آمنت به بواسطتها فكرياً وتشرَّبت صفات الكمال، وتشتق الرحمة والعطف والحنان والشجاعة وحبّ الخير. ﴿**وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾: جنات لا نهاية لها جزاء لهم على ما عملوا من خير وإحسان. تلك هي الحياة الحقَّة، ولمثل ذلك خلق الله الكريم خلقه ولكنوزه أوجدهم، وليحظوا بكل طموحاتهم، ولديه تعالى المزيد.

8- ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ**﴾: ترك الله وأنكره وأصبح يرى نفسه فعّالاً. الشيطان منَّاهم بالدنيا وما فيها وفتنهم بها، فصار هذا الإنسان يرى ما في الدنيا من شهوات أحسن مما عند الله، لذلك سار بغير كلامه تعالى، سار على كلام المخلوق وترك كلام الخالق. ﴿**فَرَآهُ حَسَنًا**﴾: صار منظاره معكوساً، يرى الرذيلة أحسن من الفضيلة، يرى كشف وجه المرأة أحسن من ستره، ويرى الحرام أفضل من

الحلال. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾: إن نصحت هذا المرء قال أن الله يضل من يشاء، هكذا كتب عليّ الله أن أقع بالضلال. ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: لو كتب الله لي الهداية لاهتديت وما وقعت بهذا لكنَّ الله كتبه. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾: على هؤلاء. ﴿حَسَرَاتٍ﴾: يتأثر عليهم من رحمته بهم ويتمنى لهم الخلاص ولا مناص، فيشقى لشقائهم ويشتد به النحيب والبكاء ويذهب به الألم الذي يصهر نفسه في بوتقتهم، ولا يرضى الله لحبيبه أن يذهب عن نعيمه الذي يستحقه وسماواته الرضيّة لمن ارتضى بكل دنيّة، فهو تعالى يحوّله عنهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: عليم بهم وبما يناسبهم ومشاهد أحوالهم، لذلك يعطيهم ما أصرُّوا عليه من خبث وغداً سيجزون به.

انظر أيها الإنسان إلى فعل الله، كلّه خير، فهل يعقل أن يكتب الضلال على شخص وآخر يكتب له الهداية!

9- ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾: يرسل الرياح قبل المطر. الفضل فضله سبحانه، هو أرسلها لا غيره، من الذي يحرك الرياح ويسيطر عليها لتحمل ذرّات بخار الماء من الأنهار والبحار ثم تجمعها جمعاً وتسير بها بنظام وتنقلها إلى أماكن بعيدة معيَّنة بحاجة لها! ولولا ذلك لمَاَ أكلت أيها الإنسان طعامك، هل الرياح هي التي تفعل هذا؟ أليس من قوة عظيمة عاقلة هي التي تفعل هذا! كل هذا جعله ربّك لتتفكَّر وتتعرَّف عليه. ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: فتأتي بالغيوم، ألا تفكر بهذه اليد التي ساقت السحب، هل من أحد يفعل ذلك غيره سبحانه وتعالى! كذلك إن آمن الإنسان بربّه يُرسل الله إليه رسوله حاملاً معه حياة القلوب والنفوس فيسحبه ﷺ من عالم المادة إلى مقام الحضرة الإلَهية وإلى الجنات، فالله سبحانه ما خلقنا للأكل والشراب مثل باقي الكائنات وإلا لجعلنا مثلهن. ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾: لا نبات فيه. ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: دبَّت فيها الحياة وأخرجت الزرع والأثمار بعد أن كانت ميتة لا حياة فيها.

﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾: الصنع واحد، كالخزانة والقاطع[1]، كلاهما يحتاج إلى منشار ومطرقة وعدة كاملة. إن فكرت بهذا وآمنت تعرف أن الذي خلقك سيبعثك ثانية وأن ذلك على الله يسير، فالذي ساق الرياح والأمطار وأحيا الأرض وأخرج منها المزروعات ألا يحييك مرة ثانية ويخرجك؟! هذا الخلق والبعث متكرِّر فما وجه العجب؟ ولِمَ الإنكار! من بعث الزرع والأثمار وأحيا الأجنة في بطون أمهاتهم؟ أوَلم يكونوا أمواتاً فبعثوا؟ ويوم القيامة يكون الخلق الثاني للناس سراعاً كالنبات، إذ انتهت المدرسة فلا دروس ولا اقتباس من كمالات الذات الإلَهية، فلقد كان الخلق التدريجي بالدنيا للتفكير والعقل، وبالقيامة فُتِحت الكتب وانتهى التكليف، والآن إعلان النتائج للخاسر والفائز، والنشور يتم عن طريق الإنبات الأرضي.

10- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾: العزَّة من الله وحده، وذلك بسيرك أيها الإنسان بالحق والعدل وبطاعتك لله تعالى. ﴿جَمِيعًا﴾: بيده سبحانه كل شيء. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: الإرشاد الحق يُحفظ عند الله ليكافئ عليه. ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾: والعمل بهذه الدلالة ترفع الإنسان. ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الذين يعملون السوء ويخططون لردِّ الحقِّ. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يذهب ولا يستفيدون منه شيئاً وسيفشل.

سورة فاطر: [20-11]

[1] أثاث منزلي مصنوع من الخشب يُستخدم للجلوس.

11- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: فكر بهذا: كيف من التراب خلق طعاماً وصار الطعام نطفة وخُلِقتَ منها. ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: ذكراً وأنثى. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: كله بعلمه تعالى. ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾: كل كبير وصغير. من يعيش عمراً طويلاً، ومن يموت دون سن التكليف. ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: كله بعلم الله مكتوب. ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هين لا شيء يصعب عليه سبحانه.

12- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾: البحر المالح والأنهار، وقد سمّى الله تعالى نهر النيل: يمّاً، أي: بحراً. ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: فرّ عنه كل أذى وآت إليك، فكم وكم من أقذار في البحر ينقّيها تعالى بنظام الأمطار ويسوقها إلى القطبين لتأتي إلينا على شكل ينابيع عذبة. ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾: تشربون منه وتسقون زرعكم ومواشيكم. ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: بحر مالح لا يُسقى منه، كذلك هل حياة المؤمن كحياة الكافر؟! ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: سمك بحري وسمك نهري، من أين أتت الأسماك بأنواعها للبحار؟ قبل الأكل سمِّ الله لكي تفكر. هذه بعض المنافع، فكّر بها تصل للكثير منها. إن فكَّرت حين الأكل تقدِّر خالقك وترى حنانه وكرمه عليك، فتقبل نفسك عليه سبحانه وتأكل من بحور الله وأسمائه الحسنى، هذا هو طعام أهل الجنة وهو للمصلّين فقط. الكافر بعصيانه يأكل من بحور اللذائذ القذرة فتعود عليه بأمواج من الهمّ والغمّ والشقاء، قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً}[2]. ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: لؤلؤاً ومرجاناً، انظروا عنايتي بكم، أريد أن أسعدكم في الدنيا فكيف في الآخرة. ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: السفن. ﴿فِيهِ مَوَاخِرَ﴾: تشق عباب البحار. ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: لتفعلوا الخيرات عن طريق التجارة. كل هذا جعله الإلٓه لتروا أن الفضل فضله فقط لا فضل غيره فتكونوا عبيداً له سبحانه لا عبيداً للعبد. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعلكم إن فكرتم تشكرون. تنقذون إخوانكم من بني آدم، وبهذا يكون شكر الله على فضله وعطائه.

13- ﴿يُولِجُ﴾: يُدخل: ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ﴾: ويُدخل: ﴿النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: وهذا دليل عل كروية الأرض ودورانها. ﴿وَسَخَّرَ﴾: لكم. ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: فضلاً منه عليكم لتؤمنوا. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: بنظام ودقة. تحدث يومياً مع كل تعاقب ليلٍ ونهارٍ. ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: هذه أفعاله. ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾: بيده سبحانه كل ما خلق. ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: الأولياء الذين تسيرون معهم. ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾: قشرة على نواة التمر، فهؤلاء لا يملكون ولو شيئاً بسيطاً، ليس بيدهم فعل شيء مهما كان صغيراً في هذا الكون.

14- ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾: الأصنام حجارة لا تسمع. ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: غيرهم من الأحياء الذين أطعتموهم. ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لا فعل لهم، لا يمنعون عنكم موتاً، ولا يرفعون عنكم مرضاً، ولا يخلقون لكم طعاماً. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: ينكرون اتّباعكم لهم. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: هو الخبير بالنفس.

15- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾: المحتاجون لفضله في كل شيء، هو الممدّ بالهواء، وبالماء، من ينزل المطر؟ ومن يخرج الثمر؟ ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾: عنكم، ليس بحاجة لكم بشيء، جاء بكم للدنيا لتَغْنوا ولتنالوا منه تعالى الفضل والجنات. ﴿الْحَمِيدُ﴾: يُحمَد على كل ما يسوقه للإنسان.

---

[2] سورة طه – الآية:124.

16- ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: الذي خلق الكون كلّه لا يصعب عليه إذهابكم. ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: وخَلْقكم خلقاً جديداً حيث بالآخرة النفس تنقلب وتحيط بجسدها والسيطرة تصبح لها لا للجسد، فحالنا في الآخرة عكس حال الدنيا ويختلف عنها.

17- ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بصعب، الذي خلق الإنسان من تراب ثم من طعام ونطفة أيصعب عليه خلقك أيها الإنسان مرة ثانية؟!

18- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: لكن ضمن الحق فلا أحد يحمل حمل أحد. من لم يؤمن ويكسب في إيمانه خيراً فلن يحمل حمله وينجو به أحد وأنّى للصحيح أن يأخذ بمعيته المريض للنزهات إذ لا يناسبه إلا الدواء والعلاج المرّ. ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: النفس العظيمة المثقلة بالتجليات القدسية الإلّهية، تدعو بما فيها من خيرات للعالمين. ﴿إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: ولو كان المدعو ابن سيدنا نوح عليه السلام أو أبا سيدنا إبراهيم أو عمّ رسول الله ﷺ. إذن أين أماني الشفاعة الموهومة؟ فلا جنّة إلا بعملك الطيب. فلن يرفعك إلا عملك الذي لا يطيب إلا بإيمانك الذاتي. ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾: هذا يَحْذَر. وعلامته أقام الصلاة. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: فهو يقيم الصلاة ويتزكى. ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: وصار يعمل المعروف. ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾: العائد عليه بالخير. إن صَدَقت دخلت مدرسة السمو لتتطهر من كلّ ما يغضّ من شأنك، فبالعلم الفكري النفسي الشهودي تميّز الغث من السمين، والنقي المؤهّل لسبل التقى من المُجرثم المكرب المؤذي، فدرست بمدارس العظماء وأنفت من فكرة البقاء فيما ليس له بقاء. ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: المرجع إليه غداً، ولو علمت فإليه المصير بكل أمر من أمورك.

19- ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾: في سيرهما ورؤيتهما. ﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: فكيف بأعمى القلب "البصيرة" الذي ما صار لنفسه نورٌ من ربه لأنه ما فكر فما آمن. الفرق بين عمىً لا نور ولا استنارة بعده إلا حريق وهج الألم، والبصيرة المشعّة بالشهي المحبوب المرغوب التي لا تناقص ولا انطفاء لها بعدها أبداً.

20- ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾: الذين هم في الشهوات والانحطاط والفسق. فكلُّ ظلال يحجبك عن الله ينطبع بنفسك ويقف حاجزاً بينها وبين نور الله وكلّ علم بغير الله وأسمائه العُلى ظلام. ﴿وَلَا النُّورُ﴾: الذين استناروا وصاروا يعملون الخير والإحسان. من استنار بنور الله الباقي على رسوله والمتجدد من ربّه شاهد الحقائق ونَعِم بالحقيقة.

سورة فاطر: [21-30]

21- ﴿وَلَا الظِّلُّ﴾: من ظلّله الله بالتجلي والفضل عليه ﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾: من عادت عليه شهواته بالنار وبِحَرّ جهنم في نفسه. فاتقِّ بظلِّ الله "تجلّيه الجمالي الجلالي البديع الرائع الهني" عن أن تتق بالنار لتنستر عن العار والخسارة التي لا تعوَّض يوم لا ظلَّ إلا ظلّه أو النار.

22- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾: الذين حييت قلوبهم "نفوسهم" بإقبالها، من يفعل الخير والمعروف. ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: من ماتت نفسه بعدم إقبالها على الله فما عمل خيراً. هل يستوي الرسل الكرام وصحابتهم البررة من أحيوا نفوس عوالم "خلق كثيرة" بالله وكانوا سبب خلودهم في المسرَّات والنَّعيم والخلود لكل خير مقيم الذين اعتزوا بربهم فرفع شأنهم دنيا وآخرة عن المنقطعين التعيسين السيّئين الذليلين أولئك الذين يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام والكواسر من الوحوش ولا مستقبل لهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾: من طلب السمع يُسمعه الله. فكل من صدق بالطلب ودليل صدقه سلوكه العالي

واستقامته وإعراضه عن سُبل الانحطاط، فتسري دلالته تعالى لقلبه ويتشرَّب الكمال الإلَهي من طريقه تعالى ويتذوَّق المعاني ويشعّ النعيم بقلبه شاملاً كل ذرة بجسمه ويغدو من أهل النعيم المقيم. ولا سماع إلا لمن ثابر على إيمانه وقدَّمه على ما سواه، فمتى أصاخ القلب لمرشده يسمعه. ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾: من قُبرت نفسه في شهواتها، انقبر بالدنيا، المدفون بشهوته وامتلأ إناؤه بها فكيف يصل النور إلى نفسه وأنَّى لها أن تسمع!

23- ﴿**إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ**﴾: مبلِّغٌ ومُنذرٌ، الاختيار لهم، أنت خوِّفهم من المصير، بيِّن لهم ما سيكون عليه حالهم بالموت ويوم القيامة، إن خافوا أجدى الإنذار بهم وتابوا، وإن ما خافوا وما فكَّروا فلا تستطيع أن تسيِّرهم بالإيمان.

24- ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ**﴾: عندما صرت أهلاً اخترناك وأرسلناك لهم لِمَا في قلبك من رحمة عليهم وطلباً لهدايتهم، ولِما عندك من أهليَّة تامة لتكون رسولاً تُبلِّغهم كلامي. ﴿**بَشِيرًا**﴾: تبشِّر كل من سار بالإيمان بأن له الجنة. ﴿**وَنَذِيرًا**﴾: تنذر أهل الفسق والضلال بالنار. ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ**﴾: هلكت. ﴿**إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾: سبق أن أُنذرت.

﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾: أمة رسول الله ﷺ كل من أتى بعده، فإن فُهمت الشفاعة بالمعنى الشائع عند العوام لن يدخل أحدٌ بعد الرسول ﷺ النار[3].

25- ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ**﴾: ما آمنوا معك. كذّبوا دون تفكير وتأمّل واستعراض جليل ما قدَّمت وما تعبت وما خاطرت حتى مُنحت عظيم ما مُنحت. ﴿**فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: مثلهم كذبوا رسلَهم من بعد أن بيَّنوا لهم كل شيء، ومن بعد ما جاؤوهم بالمعجزات فما آمنوا. ﴿**جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾: طريق الخير من الشر، طريق الحق، جاؤوا لهم بالحق وطريق السير به. ﴿**وَبِالزُّبُرِ**﴾: الشيء البيان الذي لا يُرَدُّ، الأمر القاطع. ﴿**وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾: الجامع لطريق الإنسانية المبين للحق.

البيِّنات: الرسل بيَّنوا للناس طريق الإيمان والتقوى وذلك بالتفكير بالآيات، كأس الماء إن فكر الإنسان به يوصله للحضرة الإلَهية، لكن التفكير تسبقه الاستقامة على أمر الله والطاعة، حيث بهذه الاستقامة تكسب النفس ثقة أن الله راض عنها عندها تستطيع الإقبال عليه تعالى، ولن تستطيع أن تفكر بالكون ما لم تتيقن بالموت وفراق الدنيا، فالرسل الكرام بيَّنوا لك الحقِّ والحقيقة والدِّين وبيَّنوا لك طريق الجنات.

الزبر: {**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ**}[4]. يقال زبر الشجرة، أي: قطع الأشياء المؤذية منها، الزبر: البيان الذي جاء به الرسل الكرام قاطع للباطل، كامل وكله منطق.

الكتاب المنير: كل من سار بهدي الأنبياء والمرسلين وارتبطت نفسه بنفسٍ مشرقةٍ بنور ربِّها طُبِع الحقُّ فيها وصار بذلك إنساناً، حيث يَتبيَّن له الحقّ وتظهر الحقائق أمامه ماثلةً فلا يقع بشرٍّ بعدها أبداً، بل يسير بطريق الإنسانية.

26- ﴿**ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: الذين أعرضوا بالشهوات فما آمنوا. ﴿**فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾: نكرانهم لنعمتي والحقّ المبين بمَ عاد عليهم؟!

---

[3] فالله تعالى عادل لم يحرم أمةً من فضله دائماً يبعث المبشرين والمنذرين وإن كانت الشفاعة بالمفهوم الذي فهمه عوام الناس، فلماذا إذن المبشرون والمنذرون والمرشدون من بعده ﷺ؟

[4] سورة الأنبياء – الآية:18.

27- أنتم حتى تخلصوا من الهلاك فكِّروا بهذه الآية الكريمة لتؤمنوا بربِّكم وينطبع الحقّ والكمال بنفوسكم، فتعملوا الخير وتدخلوا الجنَّة: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾**:** أليس هذا دليل على وجود خالق عظيم مدبِّر؟ كيف هذا الماء ينزل من السماء؟ ألا تفكر بهذه الآية! ﴿**فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا**﴾**:** ثمار تأكلونها وتتمتعون بلذائذها وطعومها ذات ألوان مختلفة. ﴿**وَ**﴾**:** خلق: ﴿**مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ**﴾**:** قطع. ﴿**بِيضٌ وَحُمْرٌ**﴾**:** خلق ذو حجر أحمر وأبيض. ﴿**مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا**﴾**:** وحجارة ذات ألوان مختلفة عنه. ﴿**وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾**:** وخلق غيرها غريب عنه، غريبةٌ سوداءُ تختلفُ عن سابقتها، فيها "غرائب" كما يحصل داخلها الفحم الحجري.

28- ﴿**وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**﴾**:** لكلٍّ نهج وخلق خاص. ذات أشكال وحجوم وألوان مختلفة. ﴿**كَذَلِكَ**﴾**:** هذا الشيء إن فكرت به كذلك يدلّك على وجود خالق. ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾**:** من حصل له علم به تعالى وبأسمائه الحسنى، هذا فقط يفهم القرآن، علماء اللغة ما فهموا من القرآن معنىً واحداً بل إنهم أبعد الناس عن فهمه: **{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}**[5]

بالإيمان بالله وبرسوله يُفهم القرآن، بما يولّده هذا الإيمان من خشية تحجز صاحبها عن محارم الله وبهذا يكسب طهارة فيفهم القرآن بمعيّة الإمام.

القواعد اللغوية لم تكن بعهد النبي ولا بعهد أصحابه رضوان الله عليهم، وحين وضعت أصول اللغة في العهد العباسي ضاعت المعاني وتوقفت الفتوحات، ونشأت الجبرية والقدرية والمعتزلة، واختلفوا بالمنهج والمفاهيم وصاروا ضد بعضهم بعضاً.

﴿**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾**:** يسيّر هذا التسيير لكي يشفي عباده، يطهروا بالإقبال عليه تعالى ويأتيهم الخير ويدخلوا الجنة.

29- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ**﴾**:** على غيرهم، يبيّنونه للناس. ﴿**وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾**:** الصلة مع الله تعالى. ﴿**وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**﴾**:** جاهدوا وأنفقوا مما رزقهم الله من مال وجاه وعلم. ﴿**سِرًّا وَعَلَانِيَةً**﴾**:** حسب الظرف. ﴿**يَرْجُونَ**﴾**:** يصبح لهم رجاء وطلب. ﴿**تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ**﴾**:** لن ينقطع خيرها.

30- ﴿**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ**﴾**:** كاملةً، عطاء إثرَ عطاء، دائماً بالجنات من جنة لجنة أعلى. ﴿**وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾**:** إلى ما لا نهاية. ﴿**إِنَّهُ غَفُورٌ**﴾**:** يشفي لكم نفوسكم حين تقبلون عليه. ﴿**شَكُورٌ**﴾**:** يشكر لكم أعمالكم الصالحة بالعطاء والجنات والسعادة.

سورة فاطر: [31-40]

31- ﴿**وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ**﴾**:** كل ما طُبِع في قلبك من إقبالك على الحق أنزلناه عليك يا محمد وذلك لتبلغه للناس. ﴿**هُوَ الْحَقُّ**﴾**:** يوصل للسعادة والإنسانية والعدل. ﴿**مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾**:** "يدي جبريل". لما جاء به جبريل عليه السلام. ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾**:** يوحي لكلٍّ في نفسه ما تأهّلت إليه ووصلت[6].

---

[5] سورة التوبة – الآية:97.

[6] يطبع الله تعالى الحق في نفس الإنسان بناءً على صدق هذا الإنسان مع الله وأهليته، رسول الله ﷺ بصدقه وأهليته العظمى نال الكتاب وطبع الله تعالى الحق في قلبه.

32- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: من بعدك نطبع هذا الحق في قلوب أهل الإرشاد ليكونوا مرشدين ليهدوا الناس.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: بيَّنا الكتاب أي الحق الذي كُتب في نفوسهم "الرسل".

﴿فَمِنْهُمْ﴾: من الناس. ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: من المبَلَّغين ظلمها بإهلاكها، كل كافر قاسي القلب ظالم لنفسه ولغيره. ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: مؤمن، ذاك الذي يطمع في الجنة، اقتصد في الأعمال. هذا سمع بيان رسول الله ﷺ تاب وأعرض عن المعرضين وسار مع أهل الحق، اقتصد فلم يعد يقع في المحرمات، صار يحاسب نفسه وأهله على كل شيء، هذا صار له صلة ولم تحصل له صلاة، الصلة فيها انقطاع، أما الصلاة لا انقطاع بها عن حضرة الله ولا تكون إلا برابطة نفس المؤمن برسول الله ﷺ. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: السابق بالخيرات قدَّم الرسول على كل شيء فصار له صلاة وذلك فضل كبير من الله، هؤلاء هم السابقون السابقون أهل التقوى والإرشاد. سبق: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: يُطْلِقه الله للعمل، لعمل المعروف والإحسان، هذا أصبح مرشداً كاملاً لذلك يسمح الله له بالإرشاد، إرشاد الناس إلى الحق. هذا السبق: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: اطلبه أيها الإنسان يعطك الله، لا تطلب الدنيا وشهواتها.

33- ﴿جَنَّاتُ﴾: نعيم. ﴿عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾: جنات كثيرة متتالية. ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: من شيء يَسرُّهم. يساورهم سرور عظيم من إقبالهم على الله فيزدادون جمالاً وجلالاً. ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾: مما يُذهب عنهم السوء، ذهب عنهم السوء بسبب ما قدموه في السابق من أعمال صالحة ذهبت "قاموا بها في الدنيا". ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾: ومنظراً يتلألأ أمامهم بازدياد. ﴿وَلِبَاسُهُمْ﴾: ثيابهم. ما يُغطّي نفوسهم. ﴿فِيهَا حَرِيرٌ﴾: حر من كل شائبة، هم أحرار مطلقون.

34- ﴿وَقَالُوا﴾: أهل الجنة. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾: يحمدون الله بالجنة أن أذهب عنهم كل ما يحزنهم فلا يتذكرون شيئاً من أعمالهم التي مضت قبل إيمانهم. ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾: غفر لنا ما بأنفسنا وشفاها مما بها. ﴿شَكُورٌ﴾: شكر لهم أعمالهم فأعطاهم عليها الجنات، لذا يُحمد سبحانه على هذا الفضل والإحسان.

35- ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: الإقامة الدائمية بالجنَّات الأبدية. ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب. ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: جهد. ما استطاع وغُلِب[7].

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: إن لم يشتغل "في هذه الدنيا" حُرِم. هناك بدون شغل.

36- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كفروا بالله حيث ما نظروا بالكون وما فكروا به فكفروا برسلهم وما أنزل الله عليهم من بيان. ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾: الذل والحقارة والنار عليهم دنيا وآخرة بسبب ما قاموا به من أعمال. ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾: لا فناء بالآخرة ولا موت لهم فكل ما خلق الله باقٍ. ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾: لئلا يتذكروا خسارتهم وتضييعهم وما أعدَّ لهم من مقام عالٍ فيتألموا لذلك، فهي دائماً بازدياد عليهم لئلا يعتادوا عليها. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾: قانون لكل كافر، هذا حال كل من لم يؤمن بالله ويعظِّمه.

---

[7] كل ألم وشقاء وتعب من الشيطان الذي توعد بإضلال الخلق وإغوائهم، لذلك حذّرنا تعالى منه قائلاً جلَّ وعلا: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} سورة يسٓ – الآية:60. وهؤلاء أهل الجنة بإيمانهم بالله ومحبتهم لرسول الله ﷺ ردوا كيد الشيطان فما استطاع إضلالهم فانهزم وغُلب.

37- ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: في المستقبل. ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾: من الصطو والصراخ؛ فرغم كل ما هم فيه والحالة التي آلوا إليها إلا أنهم متكبرون. صطو: يرون حالهم "غير متواضعين لله" وأن نفوسهم فيها صطو رغم أنهم يصرخون يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، وما قولهم ربّنا إلا كقول إبليس معترفاً بربوبيته تعالى وعزته كما جاء في الآيات الكريمة: **{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}**[8]، **{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}**[9]. ورغم كل ذلك ما كان متواضعاً لربه، لو كان متواضعاً لما أبلس عليه الأمر ولسجد ودخل على الله تعالى.
لا شيء حائلاً بينهم وبين ربهم إلا كبرهم، متى تواضعوا هنا بالدنيا أو هناك بالآخرة دخلوا على الله وخلصوا من حالهم.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾: عرفوا أن الجنة بالعمل الصالح. ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾: من سوء، فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾: جعلنا لكم في الدنيا أعماراً لتفعلوا الخير. في عالم الأزل انقطع الإنسان فعمي وصمّ وفقد كل شيء إلا لذته التي ما إن يأتي إلى الدنيا حتى يجدها على المخلوقات، فالله تعالى أعاده وعمَّره: وضع له العينين بدل البصيرة التي فقدها بانقطاعه، وضع له الأنف ليشم فيه بدل شمّه النفسي، واللسان ليذوق به ويعبّر عما يجول في نفسه بدل ذوقه الحقيقي... والسمع بدل سمعه الحقيقي... وبذلك عمَّره الله تعالى بالكون، فهو جزء من هذا الكون حيث هناك ترابط، فلولا الهواء لا يسمع ولا يشم.. فترتيب الأذن مثلاً وخلقها يتوافق مع الهواء الذي يهزُّ عظيماتها بتواترات معينة لينشأ السمع، ولولا الهواء ما استطاع التنفس ولا الشم... الخ مما في الكون. ﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾: وكل ذلك حتى يتذكر ربَّه، فكل ما في الكون من آيات وما في نفسه يذكّره بربه ويدلُّه عليه. ﴿مَنْ تَذَكَّرَ﴾: هل أحد منكم تذكَّر. ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: جاءكم رسول الله أنذركم وأرشدكم، وما من أحد منكم تذكّر! ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾: في الآخرة لا أحد ينصرهم ويخلّصهم.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾: بالماضي "في الحياة الدنيا"، والآن لو عمَّرناكم مثل طلبكم: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾: في هذا العمر الثاني، لن تتذكَّروا فيه **{لَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ}**[10] ﴿مَن تَذَكَّرَ﴾: من تذكَّر منكم بالعمر الأول؟! لا أحد منكم تذكَّر، ولو فيه بارقة أمل لكنَّا أعدناكم، لكن لا أحد منكم تذكَّر حتى نردَّكم رغم أنه: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: رسول الله ﷺ وأنذركم حتى تتذكروا لكنكم ما تذكَّرتم!

38- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مشاهد ومطَّلع على كل شيء في هذا الكون، ويطلعك أيها الإنسان على غيبه إن آمنت واتقيت. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: لو علم فيكم الخير لوضع فيها الخير، لو رجعتم إلى الحياة الدنيا لما سرتم بالحق. عليم ومشاهد كل ذرة من ذرات نفسك فلا يخفى عليه سبحانه شيء من نفسك.

39- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: متعاقبين، يخلف بعضكم بعضاً. ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: العائد عليه بالسوء والحرمان ولا يضر الله شيئاً. ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: يمقت لهم هذا السير لما سيجر لهم من حسرات. ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: لا يضرون إلا أنفسهم.

40- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: الذين جعلتموهم آلهة لكم وظننتم أن لهم حولاً وقوة وفعلاً فسرتم معهم. ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾: ماذا خلقوا حتى لحق الكافرون

---

[8] سورة الحجر – الآية:39.
[9] سورة ص – الآية:82.
[10] سورة الأنعام – الآية:28.

بهم؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هل من غيره سبحانه يحرّك الشمس والقمر والرياح ويسوق السحب وينزل الأمطار وينبت المزروعات والأثمار لتأكلوا؟!

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾: هل آتينا الشركاء كتاباً حتى لحق الكافرون بهم! أمرناكم بالسير به حتى سرتم بسيرهم؟! ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾: لظلمه لحق الظالمين وصاروا يعدونه غروراً، صاروا يمنّونهم ويخدعونهم بما عندهم.

سورة فاطر: [41-45]

41- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: هذا الذي يُسمع كلامه. بيده تعالى السماوات والأرض خالقهما ومربيهما ومسيرهما، هل يستطيع أحد أن يمسكهما من بعده؟! ﴿أَنْ تَزُولَا﴾: أن يزول الخير منها. ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾: وقف المطر مثلاً، هل من أحد غيره سبحانه يستطيع إنزاله؟! ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: حليماً عليكم يمدّكم هذا الإمداد ليشفيكم، حليماً على خلقه يطاولهم حتى يتوبوا.

42- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: اليهود حلفوا بالله. ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رسول الله. ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾: بعداً عن الله. والسبب:

43- ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: أن يخضعوا للعرب. ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾: قاموا بِخُدع وسيئات تسوء الناس. ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾: سيقع عليهم، الماكر مكره عليه لا على غيره. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ما حلَّ بمن مكر بالرسل مثلهم. ماذا تنتظر من هذه الحياة؟ ﴿إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾: طالما لم يؤمنوا لا يصبح لهم دولة ولا يكونون أمة ذات سيادة، وهم دائماً بالذُّل وتحت الحكم "محكومون من قِبَلِ غيرهم"، قال تعالى: **{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}**[11]

﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: سيقع عليهم. كل أمر يجري بنظام. غير الإيمان بالبداية والنهاية والتفكير بآلاء الله لا يوجد قانون بديل يحفظ النفس من الوقوع بالمحرمات. ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾: الماكر مكره عليه لا على غيره، بعدم إقبالهم على الله لا تشفى نفوسهم مما بها من علل وصفات سيّئة، لذلك لا يمكن أن يتحوَّلوا عن هذا الحال من سلب للأعراض والأموال والفتن والضلال ما لم يؤمنوا ويتبعوا رسول الله ﷺ، ولابد لهم من العلاج لأن الاستكبار الذي في نفوسهم كبير.

44- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: لينظروا ويفكروا كيف أن من سبقهم قد طبقت سنة الله عليهم لـمَّا عصوا. ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: بادوا وكان هلاكهم هيّناً على الله. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾: بهم لذلك أهلكهم. ﴿قَدِيرًا﴾: جاءهم الهلاك على حسبهم وبالوقت اللازم والمناسب لهم.

45- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾: ليست المؤاخذة: ندّاً لندٍّ. ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾: المخلوقات غير المكلفة مُسخّرة للإنسان فإن هلكت الناس أطلقهم تعالى لنعيمهم وانتهى تسخيرهم. ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: ليوم معلوم عنده سبحانه. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾: جاءهم الموت. ﴿فَإِنَّ

[11] سورة آل عمران – الآية:112.

اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾: يعلم سبحانه ما يناسبهم في الدنيا ويعطيهم، وكذلك في الآخرة يعلم سبحانه ما يناسبهم من علاج ودواء بسبب ما وصلوا إليه من حال ومرض.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تأويل سورة يسٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يسٓ: [01-10]

1- ﴿**يسٓ**﴾**:** هذه الأحرف خطاب مباشر من الله لرسوله، أما ببقية السور مثل (الٓمٓ، حمٓ)، فالخطاب فيها لرسول الله ﷺ عن طريق الوحي، عن طريق جبريل عليه السلام، فكلمة **{يسٓ}**: الياء: أداة نداء لمن أُنزل عليه القرآن والسين رمز لسلامته ﷺ. فكلمة **{يسٓ}** تقول: يا سالماً منذ الأزل باستدامة صلتك بربك. فلم ينقطع ﷺ عن الله طرفة عين منذ الميثاق وإلى ظهوره في الدنيا، ويا سليم النفس، يا سليم القلب من كل شائبة، فهو سالم سليم من صدقه العظيم بحبه لربّه الذي فاق به صدق الخلائق كلّها، وحبّ أهل الدنيا لشهواتها، فهو يؤثِّر بالكل ولا يتأثَّر بإعراضهم عن ربهم ولا يتأثر بميولهم لشهواتهم، بل يؤثِّر بهم ويسحبهم لربهم ويقرّبهم منه تعالى بقربه هو ﷺ. وبهذا الخطاب بهذه الصفات العالية يتحرَّك قلب المؤمن الكامل، إذ أنه لـمّا يسمع خطاب الله المباشر لرسوله مادحاً إياه يتوجَّه إليه بالمحبة والتقدير.

﴿**يسٓ**﴾: يا سالماً يا سليماً، الله يخاطب رسوله الكريم ويهنئه بسلامته ويطمئن الأنبياء بأنه سالم سليم فليبقوا معه مرتبطين به ﷺ فهو لم يغيّر وبقي السابق الأسبق، فمنذ الأزل عندما تراجعت الخلق ونكست سارع بنفسه الشريفة لمساعدتهم يريد رفعهم وإنقاذهم، فرفع مَنْ رَفع وأنقذ من أنقذ وبقي طاهراً ما تأثَّر أبداً بهم "بإعراضهم" فكان سالماً.

2- ﴿**وَالْقُرْآنِ**﴾**:** ما جئت به من القرآن والمعاني يشهد لك أنك سليم. سالم في الأزل وسليم في الدنيا لذلك أتيت لهم بهذا القرآن من عند ربك لما لديك من أهلية. ﴿**الْحَكِيمِ**﴾**:** بخلقه تعالى، فكل آية تأتي من الله بمناسبتها ومحلّها وعلى حسب ما وصلت إليه النفس من قدرة على التحمّل يتنزَّل عليها القرآن، فكلامه ﷺ كله بوحي من الله.

3- ﴿**إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾**:** الصفات الكاملة العالية التي خاطبه الله بها في كلمة **{يسٓ}**، وهذا القرآن الحكيم الذي لم يأت أحد بمثله شاهدان على أنك من المرسلين.

4- ﴿**عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾**:** إن سيرك على الصراط المستقيم؛ على طريق الإنسانية، والإنسانية هي أن تأنس بالله تعالى فيستأنس بك كل مخلوق، وهو ﷺ جاء ليدلَّ الناس على طريق الإنسانية والطهارة والكمال. فما جئت به من الحقّ من عند ربك هو الذي يوصل الخلق للسعادة والنعيم والجنات، لا ما هم سائرون عليه من قوانين وأنظمة وضعيَّة أوصلتهم للشقاء والحرب والجرائم.

5- ﴿**تَنْزِيلَ**﴾**:** هذا البيان تنزيل من صاحب الرحمة والحنان على خلقه، فالله سبحانه يقول لرسوله: إن سيرك يا محمد ﷺ على الصراط المستقيم كان سبباً لتنزيل القرآن عليك. هذا القرآن فيه الخير كلّه، وفيه الجنات من العزيز. ﴿**الْعَزِيزِ**﴾**:** إن سرت أيها الإنسان على ما أنزل الله على رسوله وطبَّقته جاءك الخير، فالخير فقط من الله سبحانه وبالسير بدلالته. وبعث لكم رسوله ﷺ لكي تلتفتوا إليه وتؤمنوا به وتطبّقوا بيانه فيوصلكم إلى الله تعالى لتنالوا خيره وعندها يتجلَّى عليكم باسم: ﴿**الرَّحِيمِ**﴾**:** خلقك للسعادة والجنات. حيث يغمركم بخيره وعطاءاته ولا حاجة لشدائد، فلا يتجلَّى عليكم باسم الرحمن بل باسم الرحيم.

وقد نزَّله على رسوله ﷺ وبعثه لكم لأنكم انقطعتم عنه تعالى بالأزل، فجاء بكم إلى الحياة الدنيا.

6- ﴿لِتُنْذِرَ﴾: الشاذّين المعرضين عن ربِّهم علَّهم يخافون من سوء المصير فيتوبون ويؤمنون بالله. ﴿قَوْمًا﴾: قومك. ﴿مَا أُنْذِرَ آَبَاؤُهُمْ﴾: بمثله، (ما): هنا بمعنى: (الذي). أي: أنت تنذرهم بالبيان الذي أتى آباءهم من قبل، فلِمَ الإنكار؟! ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾: عنه، غافلون عن بيانك الذي تبيّنه لهم عن حضرة الله.

7- ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾: قول إبليس انطبق عليهم. ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾: لأنهم لم يؤمنوا بربّهم امتلأت نفوسهم بالخبث فلا يمكن أن يتابعوك. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: كل من لم يؤمن بلا إلٓه إلا الله أو ليس عنده طلب للإيمان سيهلك في ساعة البلاء.

8- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾: بعدم تفكيرهم امتلأت نفوسهم بالشهوات المنحطّة، وكل إنسان ما لم يفكر بالكون وآياته ليصل إلى الإيمان بلا إلٓه إلا الله هذا حاله، وسوف يسحب لعمله بأغلال شهوته، الصحب الكرام لولا تفكيرهم بالموت وبالكون وإيمانهم بالله لما استطاعوا نصر رسول الله ﷺ ولما فتحوا فتوحاتهم العظيمة للبلاد. ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾: ما بأنفسهم من شهوات وخبث قوي مستحكم. ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾: نهضوا للشهوات ولم ينهضوا للخير، لا يستطيعون الدنو من الحقِّ أبداً فهم منصرفون في إخراجها "يُلْقَوْنَ في نار جهنم". قاموا الآن بهذه الحضارة ومن ثم سيزولون ولا يبقى شيء من هذه الدنيا وحضارتها في الساعة، ساعة الهلاك، فهم الآن مسحوبون لهذه الدنيا وغداً سيُمحون ويزولون معها.

9- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾: الشهوة التي بنفسه من إعراضه عن ربّه سدَّت عليه مشاهدة ما في عمله الآن من سوء سيرجع عليه بعد قضائها. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: كذلك سدَّت عليه مشاهدة ما سيعقبه "العمل" من ندم. ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: أعطيناهم طلباتهم. ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: غطَّت عليهم كل شيء وسدَّت عليهم منابع النور، فهم لا يبصرون الحقائق لأنهم ما آمنوا، لو آمنوا لصار لهم نور من الله ورأوا الشر بأعمالهم وما وقعوا بالانحطاط.

10- ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾: طالما هم بالإعراض عن الله تعالى وعدم التفكير بالموت والكون لا ينفع معهم شيءٌ من إرشادك لهم، وهذا لم يحدث مع صحب رسول الله ﷺ. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بارتكابهم الشهوات والأعمال المنحطَّة لا يحصل لهم شعور بالقرب منه تعالى ولا ذوق ولا رؤية لفضله وأسمائه الحسنى.

سورة يسٓ: [11-20]

11- ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾: كل من سلك في طريق الحق وذلك بالتفكير بالموت ثم الاستقامة على طاعة الله والتفكير بالكون ليحصل له الإيمان بلا إلٓه إلا الله إيماناً شهودياً يقينياً، هذا تنفعه الذكرى. ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾: الخشية تُولِّد الطاعة والاستقامة، هؤلاء بخلواتهم وتفكيرهم آمنوا بالله وشاهدوا نوره وفضله وتسييره الخيّر من بعد أن غاب عنهم الوجود الإلٓهي بسبب انقطاعهم عنه سبحانه في عالم الأزل قبل مجيئهم للدنيا، هؤلاء جاؤوا للدنيا فكَّروا بالكون فآمنوا وأعادوا صلة نفوسهم بالله تعالى. ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾: هؤلاء لهم البشرى بشفاء أنفسهم مما حلَّ بها بالماضي، فهذا رجع وتاب وآمن وباب التوبة مفتوح دوماً "والصلح بلمحة". مهما ارتكب الإنسان إن تاب قَبِلَهُ الله تعالى مباشرة، وهذا له شفاء من الماضي كلّه، الله تعالى يمحو ماضيه من نفسه. ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: لهم الجنة بالدنيا والآخرة، فهم سعداء في الدارين، لا شيء يُشقيهم ويُنغِّصهم بسبب ما قدَّموا من أعمال صالحة، "كريم" عطاء عالٍ لا شائبة فيه.

12- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾: هؤلاء الذين يتَّبعون الذّكر ستحيا قلوبهم بإقبالهم علينا، وكذلك كل من أقبل علينا يحيا بكل زمان ومكان. ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: نكتب لهم أعمالهم، فهم بإقبالهم على الله نالوا كمالاً منه سبحانه، لذلك سيفعلون الخير بعد ذلك وسنكتبه لهم ونجعله بصحيفتهم، فكلّ أعمالهم محفوظة لهم ولا نضيع مثقال ذرة. ﴿وَآَثَارَهُمْ﴾: ليس أعمالهم فقط وإنما نكتب ما خلّفوا من جميل وإحسان، أي: وسنكتب لهم كذلك كل ما سيعقب هذا العمل من أثر طيب. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ﴾: جمعناه وحفظناه لهم. ﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: ستظهر لكل إنسان أعماله يوم القيامة وستكون بادية ظاهرة له وسيؤمُّ إليها ولا يغيب عنه شيء منها، فإن كانت أعمال الإنسان طيّبة صالحة أمَّ إليها ودخل بها الجنة وإن كانت غير ذلك فإلى النار.

13- بهذه الآية يحذرنا الله تعالى من الهلاك لذلك أورد لنا مثالاً كيف هؤلاء القوم سكان أنطاكية هلكوا عن بكرة أبيهم لما عاندوا الحق وكادوا له ولأهله:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: اذكر لهم ما جرى لهؤلاء لـمَّا كذَّبوا بالحق. ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: يُقال أن عيسى عليه السلام أَرسَلَ من قِبَلِه رسلاً إلى أنطاكيّة[1].

14- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾: رسولان دلّاهم على السير بطريق الإيمان والحق. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: كذَّبوا بدل أن يفكروا ويؤمنوا. ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾: لنبلّغكم وندلّكم على طريق الحق والسعادة فلا غاية لنا إلا هدايتكم.

15- ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: لا ميزة لأحد منكم علينا. ما شاهدوا كمالهم إذ ليس لهم نور ليروا به كمال وجمال الرسل. ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾: أنكروا أن يُنزل الله على بشرٍ من شيء، أنكروا الرسل. ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾: بما تقولون وتدَّعون.

16- ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾: إن فكرتم بالمربي وفضله عليكم آمنتم بالله فيصبح لكم نورٌ منه تعالى، عندها تعلمون أن الله أرسلنا لكم.

17- ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أرسلنا إليكم لنبيّن لكم الحق والسير به وليس لنا عليكم من سلطان، ليس لنا إلا التبليغ والبيان، ولكم الاختيار.

18- ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: إن كلامكم سبَّب لنا الشؤم والتعاسة فدعونا وشأننا، تشاءموا منهم إذ جفّت الأنهار وجاءتهم المصائب والشدائد والعلاجات مذ دعوهم وكذَّبوا دعوتهم فأنكروا الحق ولم يسيروا به، ولو أنهم ساروا بالحق ما حدث لهم هذا. فبسبب تكذيبهم شدَّد الله سبحانه وتعالى عليهم وأرسل لهم المصائب والشدائد فلعلَّهم يرجعون ويسيرون مع الرسل. ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: وكان الإعدام وقتها الرجم بالحجارة. ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هدَّدوهم بالتعذيب والقتل.

19- ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾: إنَّ تعاستكم من أنفسكم وليس لنا يد في ذلك. ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾: أجابوهم: أن ذلك الحال الذي حلَّ بكم بسبب ما أنتم عليه من إعراض وسفالة، وإن أعمالكم وإنكاركم للحق جعلكم تقعون بهذه المصائب والشدائد فهي من أنفسكم وليست من أحد.

---

[1] وهم من صحابة سيدنا عيسى عليه السلام فهم رسل عن رسول الله عيسى عليه السلام، فوظيفته عليه السلام باقية. وكانت أنطاكية ذات شأن كبير، ملتقى الأجانب ومحطة لكل القادمين من الغرب إلى بلاد الشام، ولذلك كانت أوّل ما قدم إليه المرسلون لأهميّتها.

20- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾: رجل آمن بالرسل. إذن غير المؤمن لا ينصر رسول الله ﷺ.

هذا الرجل بتفكيره بالكون وإيمانه بالله أقصى المدينة ومباهجها ومُسلِّياتها وترفها عن نفسه، وبذلك هاجر لربه من بعد أن ضحَّى بما يتمسك به عميان البصيرة، تخلَّى عن الصورة ابتغاء الحقيقة، لذلك سمَّاه تعالى رجلاً، لأنه مسيطر على نزواته وميوله الحيوانية. لـمَّا علم هذا الرجل أن القوم تآمروا على قتل الرسل ذهب إليهم. ﴿يَسْعَى﴾: لرضاء ربِّه ولدلالة قومه ونصحهم. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾: قال لهم هؤلاء مرسلون من عند الغني سبحانه وتعالى، اتَّبعوهم وسيروا معهم وطبِّقوا كلامهم ففيه نجاتكم وسعادتكم وخلاصكم من الشقاء والآلام دنيا وآخرة.

سورة يسٓ: [21-30]

21- ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾: بيَّن لهم صفات الرسل وكمالهم؛ إنهم ممن لا يسألكم أجراً ولا غاية لهم بدلالتهم إياكم إلا هدايتكم وسعادتكم، فهم لا يريدون منكم مالاً ولا نساءً ولا جاهاً، الناس اليوم جميعهم يتعاملون مع بعضهم بغية منافع مشتركة، يعملون لدنيا يصيبونها أو امرأة ينكحونها أو مال أو جاه، والحقيقة إنهم يعملون لسراب وغرور. ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: فبماذا يكلمونكم أليس بالحق؟ انظروا إليهم وإلى سيرهم ترونهم ملائكة يمشون على الأرض بكمالاتهم، وإن التفتّم إليهم وفكرتم نلتم خَيرَي الدنيا والآخرة.

22- ﴿وَمَا لِيَ﴾: أيُّ شيءٍ لي حتى أعاند هذا الرب الكريم؟ أيُّ حقٍّ لي وعلى أيِّ شيءٍ أستند؟ ألا أهلك إن فعلت ذلك؟! ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾: بيَّن لهم بياناً كاملاً عن الإيمان: خلقني ومنحني وتعهدني بالخلق والتصوير والإمداد المادي والمعنوي والدنيوي، قال لهم: هذا الخالق المربي لي هو سبحانه الذي أدين له بالطاعة المطلقة لِما يتفضّل عليّ من إنعامات وإحسان غير محدود. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: بكل أموركم وحوائجكم، وسترجعون إليه يوم القيامة للمحاكمة والسؤال والحساب. أجاب ذلك بعد أن سألوه أأنت معهم كذلك.

وهكذا نجد أنه لا ينصر الدين حقّاً وعملاً إلا المؤمن، فالمؤمن ساعة خطر الموت ينكشف سعيه الصادق مع ربِّه، فالشجاعة لا تُسْتَمَدُّ إلا مِنَ اللهِ، إذ تعقل النفسُ الوجودَ الإلَهي فتستعين به فيمدّها تعالى بإقدامٍ يفوق إقدام العالمين، إذ يشاهد المؤمن أن الله سبحانه هو الفعّال المحرِّك للكل وأنهم بيده تعالى.

23- ﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً﴾: كيف أتَّبع هذه المعتقدات التافهة بعد إيماني بالله! فهل من مسيِّر فعّال غيره؟ وكيف لي بعد أن عرفت ما عرفت عن الله تعالى ورحمته أن ألتجئ لغيره! كيف أتركه سبحانه إلى من لا يملك لي شيئاً؟ وإليه تعالى مرجعي ومرجعكم، فبأيِّ وجهٍ ألقاه وتلقونه، أبوجه اللؤم والجحود! ولم يكن أبداً تعالى هكذا تجاهي ولا تجاهكم، وبإشاحتي أخسِّر نفسي من مكاسب إقبالي فتخسر غداً تجارتي وأصبح غداً من النادمين المتحسِّرين. ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾: إن كان كتب عليَّ القتل. ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾: لا يستطيعون مدّ أجلي. ﴿وَلَا يُنْقِذُونِ﴾: لا ينقذوني من الموت ولا من أي شيء كتبه الله لي، قال لهم: الله سبحانه وحده يزيل وجهة ضرري فضلاً منه ورحمة وحناناً علمتُ بهذا أم لم أعلم، إن لم يجتهد الإنسان ويَجِدّ حتى يعاين ويرى رحمة ربِّه فلن يتم إيمانه ولن يستفيد من معالجة الله له بالشدائد بل ويراها قسوة وهضماً. كما يرى الجاهل معالجات الأم الرحيمة والأب الشفوق والطبيب الناصح ظلماً وهضماً ولله المثل الأعلى، يرسل الضّر من فقدان مال ومرض ليتحول الإنسان عن الفاني الزائل إلى الباقي سبحانه وتعالى. عندها يمنح هذه

النفس عطاءً سامياً لا يزول يكون ملك لها أبد الآبدين، فضرّه تعالى إيقاظ لنفسك من سبات مرعب بأحلامٍ خُلَّبيَّةٍ ماكرةٍ نتائجها الهلاك والنار.

24- **﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:** إن فعلت هذا أكون ضالاً دنيا وآخرة، بالدنيا ضائع ملتجئ لِمَا يضرني من المحرَّمات واللذائذ المهلكة وبالآخرة ينتظرني المستقبل المجهول المظلم.

بعد أن علم قومه اتِّباعه رسل الهدى قتلوه، فسأله الملكان في القبر من ربّك فأجابهما:

25- **﴿إِنِّي آَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾:** لإيمانه بربه وجهه أبيض، عندما جاءت الملائكة تسأله أجابهم: إني آمنت واستدللت على ربي وبه مستعين، فاسمعوا إرشادي عن ربي. اسمعوا كشاهدين مشاهدين لاعترافي وتصريحي الاستجابي الرضائي الحبي.

26- **﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾:** حصلت له التقوى ودخل بالسعادة وذاق نعيماً دونه نعيم العالمين [2] ورغم ما فعله قومه معه "قتلوه" ما كان نفسانياً حاقداً عليهم بل كان إنسانياً، وأحبَّ لقومه أن ينعموا بنعيم القرب الإلّهي وصرّح بذلك قائلاً: **﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾:** هكذا المؤمن يذكر بالحسنى الذين أساؤوا إليه، فالمؤمن لا يحمل في قلبه غلاً على أحد، فهذا المؤمن حتى بعد انتقاله ظلَّ يتمنى الخير لهؤلاء الكفرة.

27- **﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾:** بهذا الإقبال على الله المبني على تضحياته الكليّة، أَكبرَ فضل الله عليه فقال للملائكة: الله سبحانه شفاني من كل ما يسوءني بهذه التضحية التي ضحيتها ومحا بنوره تعالى من نفسي كل ظلام. حتى أن هذا النور سرى إلى جسده فحوَّله عن كل ما مضى فكان الشفاء تاماً نفسياً وجسدياً فلا فناء لجسده. **﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾:** بالجنات، حيث أخذت نفسه تغرف وتقطف من كريم عطاءات المولى جل وعلا.

28- **﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾:** وردت الآية الكريمة بصيغة الاستفهام لتدلَّ على الإقرار وثبوت الأمر، أي: ألم نُنزِل العذاب عليهم بعد أن أنذرهم الرسل ولم يستجيبوا؟ ألا تعلمون يا قريش كيف أنّا أنزلنا على قومه البلاء والمصائب حينما عاندوا وأعرضوا وأنزلنا عليهم الملائكة لقبض أرواحهم فماتوا. لم تَدُم لهم الدنيا، وكذلك الذين أووا واتجهوا إليهم من دون الله ما استطاعوا أن يُخلِّدوهم في الدنيا أو يردُّوا عنهم الموت والعذاب. **﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾:** ليس بالحتم أن نُنزِّل البلاء، إذ لو رجعوا للحق لما نزل عليهم البلاء، فالله سبحانه بهذه الآية يقول لنا: نحن ما كتبنا عليهم الشقاء والهلاك والخسران ولكنّهم كتبوه على أنفسهم.

29- **﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً﴾:** كيف حصل ذلك؟ **﴿وَاحِدَةً﴾:** صيحة واحدة، فكم هذا الإنسان ضعيف! هؤلاء القوم ما كان لهم فعل كمثل الذين قبلهم مِن الذين أُهلِكوا. صيحة: صحوا بعد الموت، نفوسهم ذهبت عنها شهواتها فصحوا **"الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"**. **﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾:** أما خمدوا؟ ماتوا ولم يبق بهم حراك، فهل للسلاطين والحكام الذين سبقونا من حسٍّ وأثرٍ الآن؟ وكذلك نفوسهم لم تَسْمُ بل بقيت دون رقي، خسِرت رقيَّها وما أعدَّه الله تعالى لها، بقيت سجينةً رهينةَ عملها وليس لها رقيٌّ ولا مكاسب، فهم من ذاتهم خامدون وذلك بسبب أعمالهم المنحطة.

30- **﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾:** ما أعظم هذه الحسرة التي ستعتريهم، كم يتحسر الإنسان عند الموت ويوم القيامة لِمَا فرَّط في جنب الله، سيرى أن هذا الكلام أتاه من الله مباشرة على لسان رسوله فنبذه،

---

[2] كل الخلق من غير المكلفين وكذا المكلفين ممن لم يلتفتوا لربهم واعتمدوا على دنياهم دونه بالنعيم والسعادة والسرور.

يتحسَّرون إذ لم يطيعوا الرسل ولم يؤمنوا بل كفروا ونزل بساحتهم الغضب والهلاك، وهؤلاء قومك سوف يتحسَّرون على ما ضيَّعوا من جنات ونعيم إذ لم يؤمنوا بالله ويعملوا صالحاً. ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ**﴾: من عند الله يدلّهم ويرشدهم إلى الإيمان والأعمال الصالحة لئلا يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأقوام ولئلا يخسروا الجنات غداً ويتحسَّروا ويندموا على ما فرطوا في جنب الله. ﴿**إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: لا يعبؤون بقول الرسول، لا يطبقون ما يأمرهم به فلا يؤمنون فيقعون بالانحطاط. لو قدّروه لطبّقوا ما يدلُّهم ويرشدهم إليه، لكن عندما لم يقدّروه: **{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً}**[3] لم يطبّقوا ولم يؤمنوا فأتاهم البلاء: **{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ}**.

سورة يسٓ: [31-40]

31- ﴿**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ**﴾: أقوام استقرت بهذه الدنيا، قرَّنوا بها، حضارة.. بناء.. أموال.. أصحاب قوة. ﴿**أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾: أفلا يرون الذين يذهبون بالموت فلا يرجعون؟! ويرجعون إليه تعالى. ألا وإنهم على هذه الطريق سائرون.

32- ﴿**وَإِنْ كُلٌّ**﴾: كلّهم، كل من مات من الأقوام السابقة. ﴿**لَمَّا**﴾: وهؤلاء الأحياء والذين سيأتون من بعدهم أيضاً وهكذا حتى يوم القيامة. ﴿**جَمِيعٌ**﴾: ليوم القيامة، الله يجمع الكل. ﴿**لَدَيْنَا**﴾: كلهم لدى الله سواء بهذه الحياة وما بعد الموت وبالآخرة، الكل بكنف الله، يمدُّهم ويربِّيهم ويعاملهم بأسمائه الحسنى. ﴿**مُحْضَرُونَ**﴾: موجوداً للعلاج والمداواة. سيُحضَرون غداً يوم القيامة للسؤال والحساب وستكون حسرتهم كبيرة على ما خسروا من مقامٍ عالٍ وجناتٍ كانوا سينالونها لو أنهم طبقوا كلام الحق وساروا به.

33- ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ**﴾: إن لم يفكِّروا بالأقوام السابقة فليفكروا بالآيات التالية وما خلق: ﴿**الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ**﴾: أفلا ينظرون إلى الكون ويفكرون به، ليفكروا بحال الأرض قبل نزول الأمطار والحياة عليها، كيف هي ميتة لا حياة فيها ولا نبات.

﴿**أَحْيَيْنَاهَا**﴾: بالأمطار. ﴿**وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا**﴾: فنبتت بالزرع والنبات، من جعل لك أيها الإنسان هذه الصنوف المتنوِّعة في تركيبها وطعمها ومنافعها من الحبوب والنبات. ﴿**فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ**﴾: انظر أيها الإنسان لرحمة الله بك، كلّ هذا لأجلك، فلماذا تلتفت عنه سبحانه لغيره ممن لا يملكون لك رزقاً ولا حياة ولا نشوراً!

34- ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ**﴾: أشجار مثمرة يُسرُّ الإنسان بالنظر إليها. ﴿**وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ**﴾: جعلنا فيها ينابيع لتمدكم بالماء صيفاً وتسقي لكم مزروعاتكم ومواشيكم.

35- ﴿**لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ**﴾: لتتمتعوا بلذائذها وتمدّكم بالقوة والطاقة. ﴿**وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**﴾: هذا خلقنا ولم تعمل أيديهم منه شيئاً. هل الإنسان أتى بالشمس لتبخِّر مياه البحر؟! هل أتى بالرياح تحمل بخار الماء إلى الأعلى وجعله سحباً وأنزل الأمطار! هل يدوِّر الأرض ليأتي بالليل والنهار ولولاهما لما نبت زرع؟! هل وهل! هل من أحدٍ غير الله يفعل هذا؟ فلِم الإعراض عنه سبحانه! ﴿**أَفَلَا يَشْكُرُونَ**﴾: ألا يشكرون الله على هذا الفضل؟! أفلا يقبلون عليه سبحانه ويعملون صالحاً؟!

---

[3] سورة الإسراء – الآية:94.

36- ﴿سُبْحَانَ﴾: ما أعظمه. ﴿الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: كل شيء زوج إلا الله فردٌ صمد. ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾: كل ما خلق الله من نتاج الأرض حتى أنت أيها الإنسان من نتاجها، الأب أكل الطعام فتشكلت النطاف كذلك الأم أكلت فتشكل منها الجنين. ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: كما للجسم زوج كذلك للنفس زوج، فانظر إلى نفسك مع من هي تزاوجت، هل مع رسول الله ﷺ أم مع غيره؟ (المقصود بذلك إنما هي الرابطة القلبية برسول الله ﷺ والاستشفاع به "الشفاعة")، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: عندما لم يؤمنوا بالله ورسوله واستحبُّوا الدنيا على الآخرة وأصرُّوا على شهواتهم، أخرج الله لهم ما بأنفسهم وما استحكم فيها من فتن، فهو تعالى منحهم الاختيار وهم أرادوا واختاروا الدنيا فقط، فلهم ما اختاروا، حيث مكَّنهم الله من وسائل الحضارة والمدنيَّة فعادت عليهم بالبؤس والشقاء. هذه الحضارة ما كانوا ليستطيعوا أن يقيموها لولا أنَّ الله أطلعهم عليها وذلك لإخراج ما في أنفسهم. هل البترول كان معروفاً؟ السيارات هل كان أحد يعلمها؟! هل يتصور أحد أن يطير الحديد على البروج؟! لو أنهم آمنوا وتفتَّحت منهم البصائر لكانوا علموا حقيقة هذه المخترعات وما ساروا بوسائل الحضارة والكفر بل لرفضوها بعد أن رأوا حقيقتها وما ستجرّه لهم من شقاءٍ وتعاسةٍ في الدنيا وخسران الآخرة.

صنعوا السيارات والطائرات وسائل نقل ضخمة وسريعة تنقل الخيرات من طرف من الأرض إلى طرف آخر بعيد، تنقل خيرات بلاد فقيرة لبلاد فاحشة الغنى بأسعار عالية، فتزداد الأسعار ارتفاعاً في البلاد الفقيرة ليموت الفقير جوعاً ولا يجد قوتاً من الخيرات التي تجود بها بلاده في حين يزداد الغني ترفاً ورفاهية، ومن هنا يحدث التفاوت الطبقي وينتشر الإجرام والسرقات، سرقات شعوب وأمم. كل هذا بسبب وسائل النقل السريعة والضخمة، سيارات، طائرات، بواخر حديثة... هذه ما كانوا يعرفونها سابقاً، ولا شك أن هذا مما خلفته الحضارة من أضرار، ناهيك عن وسائل التدمير والقتل والحروب. لو آمنوا لهدوا بعضهم إلى الحق وطريق الإنسانية وما قتلوا بعضهم.

صارت سوق الشيطان رائجة وأُغلقت أبواب الرقي والسمو. منحهم الله وسائل الحضارة عندما لم يؤمنوا بالله ورسوله، لو آمنوا لشاهدوا أنواره ﷺ وما يصبُّه الله عليه من تجلٍّ وجنات وانفتنوا فيها ولم يغترُّوا بالدنيا وشهواتها.

كذلك ليفكروا بآيتي الليل والنهار وما فيهما من عظمة ورحمة عليهم.

37- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: الليل يغمر النهار فلا يبدو من نوره شيءٌ، ثم ينزع الله النهار من الليل ليعود وينير الأرض، ألا تدلُّ هذه الآية على رحمةٍ منه تعالى وحنانٍ؟ ما حالك أيها الإنسان لولا الليل والنهار؟!

38- ﴿وَالشَّمْسُ﴾: كذلك هي آية لك أيها الإنسان تدلُّك على رحمة الله وحنانه عليك وعلى خلقه جميعاً، فلولاها ما نبت زرع وما أكل إنسان. ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: إن جريها بقدر معلوم عند الله، يسيّرها به، لا يتبدل، فهي في الفضاء بموضع مناسب للأرض من حيث بعدها وموقعها وحجمها وحرارتها وتجري بمسار لا تخرج عنه، فمن الذي جعل هذا كلَّه وربط وظيفتها مع الأرض؟ أليس الله سبحانه وتعالى بعليم قدير حتى جعل هذه الشمس في موضعها وموقعها المناسب لنا، يمدّها بالحرارة والضياء، وكل ذلك من أجل خير هذا الإنسان وسعادته. ثم إن هذه الشمس غداً يوم القيامة ستعود نفساً وتخلع عنها ثوبها الذي ألبسها الله تعالى لتستقر عند بارئها بالنعيم الذي وعدها به بعد أن أدَّت وظيفتها في خدمة الإنسان ولهذا تجري لتستقر غداً بالسعادة والنعيم.

39- ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾: العرجون: من العروج. والقديم: تكرار منازل القمر منذ قديم الزمان لم يتبدَّل ولم يتغيَّر، نظام ربَّاني صارم في الدقة.

القمر يولد هلالاً ويزداد حجماً يوماً بعد يوم حتى إذا ما انتصف الشهر أصبح بدراً كاملاً ثم يبدأ بالتناقص فيعود كما كان في بداية إشراقه "نحيلاً"، هذا حاله في الحياة الدنيا وهو مطابق لما كان عليه من حال نفسي في عالم الأزل قبل الحياة الدنيا فهو يتنقل من منزلة لمنزلة أعلى في القرب من الله تعالى ثم يتراجع عنها، ثم يعود إلى منزلة القرب مرة ثانية وهكذا إلى نهاية الدوران.

40- ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: كل ما خلق الله سبحانه زوج، وهذه الشمس لا تصل للقمر ولا يمكن أن تدركه بجرمها وتخرج من مسارها لمساره، إنما هي فقط ترسل أشعتها إليه، فليس لديها هذه البغية والطلب لذلك لا يمكنها الله تعالى من الوصول إلى القمر، ومعنى الإدراك هنا أي الوصول إلى الشيء ولمسه. ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾: الليل دائم اللحاق بالنهار لكن لا يسبقه ولو سبقه "تجاوزه"، وهذا لا يكون، لما استطاع أن يغطيه ولأصبحت الأرض بنهارٍ دائمٍ بلا ليل وهذا لا يكون. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: كلٌّ يجري في نظام ودقة متناهية. كلٌّ يجري في مساره المخصص له فلا يخرج عنه، وهو راضٍ في هذا السبح وديمومته إلى يوم القيامة بسبب ما يغزوه الله تعالى به من نعيم يهيم فيه ويرضخ مستمراً في سباحته.

سورة يسٓ: [41-50]

41- ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ﴾: ألا يكفي لهم دليلاً قاطعاً على خلقنا وتربيتنا وتسييرنا. ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: هذا الطفل في بطن أمّه يسبح في الرحم ضمن الكيس، هذا الرحم جامع ومزوَّد بالشرائط الضرورية لحياة الإنسان من حرارة وغذاء وأوكسجين، فمن جعل هذا في الرحم وشحنه بكل ما يلزم لحياة الجنين؟ مالم يفكر الإنسان بهذا فلا جدوى له من الإيمان والهداية، إن فكر بأصله وأنه كان نطفة ضعيفة يسبح مع ملايين النطاف لشاهد ذاته أنه لا شيء وأن الله أمدَّه بكل شيء ومنه تعالى كل شيء، عندها يتنازل عن عجبه بنفسه ويخضع لربّه ورسوله ﷺ فيؤمن بالله.

42- ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾: كذلك جعلنا ذات الخلق عند الحيوان ليركبوا عليه ويحملهم ويحمل أثقالهم.

43- ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾: في الدم الذي يسبح فيه في رحم أمه. ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: هذا الجنين لا يتكلم فيصرخ. ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾: لا يستطيع إنقاذه أحد.

44- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾: لكن ذلك رحمةٌ وفضلٌ من الله عليكم، كل إنسان فكر بهذا يرى رحمة الله به وبكل مخلوقاته سبحانه. ﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾: جعل الله تعالى لكلِّ إنسانٍ عمراً محدوداً فلا يموت الإنسان قبل أجله ولا بعده فَلِمَ الخوف ويومك يومك لا يزيد ولا ينقص؟!

45- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: آمنوا بالله، استنيروا وانظروا ما تفعلون، فلا تواقعوا شيئاً بهذه الدنيا إلا بنور الله {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[4]. فالرسول الكريم ﷺ يوصلك لنور الله لترى به، زوجتك تظنّها مُلكك فهل أنت خلقتها وأمددتها بالحياة؟ وتظن أن عندها شيئاً وتطلب منها "اللذة" وبالحقيقة هي فقيرة لله ومحتاجة لإمداده تعالى، والكل من الله، فالتفت إليه تعالى ولا تدخل هذه الدنيا إلا بنور الله حتى ترى إمداد الله في كل شيء ومن الله كل شيء، إن أقبل الإنسان على ربه

[4] سورة النور – الآية:35.

صار له منه سبحانه نور يرى به الحقائق، يرى حقيقة الأعمال فلا يقع بمنكر أبداً. **﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾:** الآخرة، فكِّروا بآخرتكم، فكِّروا بالموت حتى لا تتعلَّق النفس بهذه الدنيا، فكِّروا بمصيركم بعد الموت. إن استنارت النفس بنور الله تستطيع أن تسري للآخرة وتشاهد ما فيها وما أعدَّ الله لها من جنات فتعمل الخير والإحسان لتنالها. **﴿لَعَلَّكُمْ﴾:** إن استنرتم. **﴿تُرْحَمُونَ﴾:** عندها تأتيكم الرحمة.

46- **﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ﴾:** مع كل هذه الآيات الدالَّة على الله لا يفكرون بها. **﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾:** لعدم تفكيرهم ما قدَّروا الإحسان الإلٓهي عليهم، كلها آيات دالة على الله ورحمته وعلمه وتسييره ومع ذلك معرضون عنها لا يفكرون بها ولا يرون منها شيئاً، مالم يفكر الإنسان بهذه الآيات لا يهتدي إلى الله فلا يقدِّر الفضل والإحسان الإلٓهي عليه.

47- **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾:** أنفقوا مما آتاكم الله من فضل، من جاه وقوة ومال، ليس للإنسان إلا العمل الصالح في الحياة. **﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:** الذين ما فكَّروا بالآيات فما آمنوا هؤلاء ما عرفوا ما في الإنفاق من خير يعود عليهم لذلك بخلوا على أنفسهم وعلى غيرهم، وقالوا: **﴿لِلَّذِينَ آَمَنُوا﴾:** الذين يدلُّونهم على الإنفاق والعمل الصالح. **﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾:** فهل نطعم من أفقره الله؟ والله غنيٌّ، لو شاء لأغناه، فحتماً أفقره لعلَّة في نفسه، فهل نطعمه نحن والله قادر على إطعامه؟! قالوا هذا بخلاً منهم بسبب شحّ أنفسهم، نظرهم مقلوب، تحدَّثوا بمنطق أعوج يلبّي شحّ أنفسهم وحرصهم على الدنيا. ولكن الصدقة تفيد الإثنين، ذلك ليرقى مُعطِيها رقياً إلى الله وليرجع مُعطَاها أيضاً إلى الله لما يصيبه من ذل وصغار، فكم في الصدقة من فضل، وهي دليل الصدق.

الله سبحانه جعل رزق الفقير عند الغني لينفق ويعمل صالحاً ويدخل غداً الجنة، هؤلاء ما عرفوا ذلك فأسرفوا على أنفسهم بالشهوات وحرموا الفقير من حقِّه، وظنّوا بالمؤمنين الذين يدلُّونهم على الإنفاق أنهم يريدون حرمانهم من الشهوات كما يحرمون هم أنفسهم، فقالوا لهم: **﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾:** عن السعادة. **﴿مُبِينٍ﴾:** هذا الشيء ظاهر بحرمانكم أنفسكم شهواتها.

قالوا: يا من تدعوننا إلى التضحية والإنفاق أنتم بعيدون عن الحق. وهكذا نظر محب الدنيا، منظاره معكوس يرى الهدى ضلالاً والأمين خائناً. ويمنونهم بالآخرة وفضل الله:

48- **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.**

49- **﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾:** الموت مصيرهم ونهايتهم، حين الموت يسمعون نداء الله لهم، هذا النداء الذي ما سمعوه في الدنيا بسبب معاصيهم وانشغالهم بشهواتهم التي كانت حجاباً بينهم وبين الله سبحانه، عندما يسمعونه "نداء الله لهم" يصطدم الخبث الذي في نفوسهم مع كمالات الله فيعيشوا بجهنم. **﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾:** يموت الإنسان وهو يقوم بأعماله من بيع وشراء ومخاصمات.

50- **﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾:** ليس لهم من أمرهم شيء. **﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾:** لا رجعة لهم، فلقد تقطعت الأسباب بينهم وبين أهلهم وأصحابهم الذين كانوا معهم بالحياة الدنيا.

سورة يسٓ: [51-60]

51- **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾:** في هذا الجسد تنفخ الروح. **﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾:** القبور سمَّاها تعالى أجداث لأن هذه الكلمة تحمل معنى التجديد ومعنى الجث "الجثة" أي جسد الإنسان بعد موته، فجثتك أيها الإنسان سوف تتجدد ويُعاد خلقها مرة ثانية يوم القيامة.

وكذلك كلمة الأجداث تحمل معنى الجَدّ، أي: أن هذا الشيء حاصل لابد منه، وهو جدٌّ وليس هزلاً. ﴿**إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ**﴾**:** تُجمَع الذرَّات المتبعثرة في مختلف الأماكن وينبتون كأنهم البقلة، وبعدها تنسلُّ النفوس إلى أجسادها وتحيط بها، فنفس هذا الإنسان الخاسر "الذي لم يوفِ بعهده مع ربِّه" المتعلّقة بذرَّات جسمها الفاني وبعد خلقه ثانيةً تعود هذه النفس وتنسلّ من مواضع تعلّقها لتحيط بهذا الجسم بعد خلقه ثانية وعودة هذا الإنسان للحساب.

52- ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا**﴾**:** من بعثنا من قبورنا؟ المرقد: ما كانوا عليه من حال يعيشون به في القبر، فلقد كانوا راقدين بالرعب والآلام والأوجاع، وهؤلاء المعرضون من هول وعظيم ما مرَّ بهم من عذابٍ في البرزخ أصبحوا بذهولٍ عمَّا حولهم فلا وعي لهم لشيء، ولكن بهذه اللحظة عندما دبَّ الله الروح بأجسادهم ولبست نفوسهم هذه الأجساد وعوا إلى حالٍ أفظع مما كانوا عليه في القبر، لذلك قالوا من بعثنا من مرقدنا؟ قالوا هذا خوفاً مما سيأتي عليهم من فضائح أعمالهم المخفيَّة الخبيثة أمام الله تعالى وأمام الخلائق أجمعين، فكل شيء فعلوه كبيراً كان أم صغيراً سوف يظهر يومها بالمثاقيل. ﴿**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ**﴾**:** به على لسان رسله. ﴿**وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾**:** أخبروكم وحذَّروكم فما عبأتم.

53- ﴿**إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾**:** ناداهم الله بالدنيا ودعاهم للإيمان فما سمعوا وظلُّوا بالشهوات نائمين، فهؤلاء كانوا بالبرزخ بحالٍ من الرقود لا النوم، والله تعالى يناديهم الآن للسؤال والحساب فيصحون من حالهم "الرقاد" الذي كانوا عليه في القبر لرعبٍ أعظم، فالخوف من أعمالهم الخبيثة يجعلهم بالرعب.

فالصيحة هي نداء الله ليصْحوَ الإنسان، وبها سيقوم هؤلاء الخامدون على حالٍ جديدٍ صعبٍ ومرعبٍ غير الذي كانوا عليه في البرزخ. ﴿**فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ**﴾**:** يساقون إلينا موجوداً مقيَّدين وأعمالهم أمامهم بادية وهم بالذل والحقارة.

54- ﴿**فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**﴾**:** كل إنسان ينال حقَّه، يقال لهم أنتم الذين ضيَّعتم على أنفسكم الجنات بأعمالكم السيئة وبعدم سيركم بطريق الحق فلا ظلم عليكم. ﴿**وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾**:** ما يعمله الإنسان في الدنيا يرجع عليه وهو مجزيٌّ به، فلا ظلم غداً.

55- ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾**:** كل من آمن وعمل صالحاً صار من أصحاب الجنة. ﴿**الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾**:** مسرورون بما يفيض الله عليهم من لذائذ وعطاءات.

56- ﴿**هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ**﴾**:** الذين زاوجوهم من أهل التقوى والصلاح، ومنهم زوجاتهم في الدنيا. والآية تشتمل كل من زاوجهم وماثلهم في مرتبتهم، هؤلاء: ﴿**فِي ظِلَالٍ**﴾**:** أي تجلِّي الله عليهم بالسعادة والجنات. ﴿**عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ**﴾**:** على ما يرون من أعمالهم، يتكئون عليها في رقيِّهم. متكئون على أعمالهم الصالحة العالية التي قاموا بها في الدنيا، لأن العمل نور الحياة وغداً أعمالهم تنقلب أمامهم أنواراً، وهم يستندون عليها بإقبالهم على الله ونوال الجنات.

57- ﴿**لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ**﴾**:** ما يتفكهون به لذة وسروراً. ﴿**وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ**﴾**:** ما يطلبون يجدونه حاضراً أمامهم، وما يطلبون إلا الحق.

58- ﴿**سَلَامٌ**﴾**:** يقال لهم: الأمان والسلام عليكم، الحياة الدائمية الأبدية لكم، هؤلاء سلموا من كل أذى، في الدنيا سلموا وكذلك سلموا في القبر من أهواله وعذابه، فلقد كانوا بالسعادة والنعيم، وفي الآخرة

ليس لهم إلا الجنات. ﴿**قَوْلًا**﴾**:** هذا القول قول الله، هو سبحانه وعدهم بهذا. ﴿**مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**﴾**:** رحيم بالمؤمنين.

سورة {**يسَ**} قلب القرآن واسمها اسم من أسماء رسول الله ﷺ، نظر الله سبحانه برسوله الكريم فوجد نفسه سالمة سليمة ما تعلَّقت بالدنيا أبداً، ما تعلَّقت إلا به سبحانه وتعالى.

فلقد استوعب ﷺ كلام ربه "القرآن" بقلبه ونشره للخلق، فرسول الله ﷺ هو قلب القرآن، والله سبحانه يصبُّ القرآن على قلب رسول الله والرسول يصبُّه في قلوب أصحابه وهي كما قال ﷺ: **"يسَ لمن قُرئت له"**.

إن ترتيب الآيات في السورة وترتيب السور كما نراها الآن في كتاب الله العزيز يختلف عن ترتيب نزولها زمن الرسول ﷺ، فترتيب السورة والقرآن ككل ترتيب توقيفي. فكان ﷺ يقول: **"ضعوا آية كذا في الموضع كذا"** وتمَّ هذا بوحي من الله عن طريق جبريل عليه السلام، وبهذا الترتيب التوقيفي غدا القرآن الكريم ليس محصوراً في زمن واحد بل هو لكل زمان وعصر، وبنظرة واحدة لسورة (يسَ) نرى أن مجرياتها وأحداثها تنطبق تمام الانطباق على أهل هذا الزمان، لذلك (يسَ) لمن قرئت له، أي: للأموات الذين ماتت قلوبهم بحب الدنيا تُنذرهم لينتبهوا ويتداركوا مصيرهم، فتحيا قلوبهم بـ (يسَ) قبل فوات الأوان وانتهاء فرصة هذه الحياة الغالية.

59- ﴿**وَامْتَازُوا الْيَوْمَ**﴾**:** تنحوا جانباً، تميَّزوا وافترقوا[5] ﴿**أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ**﴾**:** الذين ما عملوا بحياتهم خيراً.

60- ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ**﴾**:** ألم آخذ عليكم موثقاً وعهداً يا بني آدم؟[6] ﴿**أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**﴾**:** ألّا تطيعوا أحداً غيري وغير رسولي، وأن لا تسيروا إلا بدلالتي وكلامي. ﴿**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾**:** أَظهرتُ لكم عداوته وما فعله مع أبيكم آدم، وما أضمر في نفسه من نوايا خبيثة لإضلالكم وحرمانكم من دخول الجنة.

سورة يسَ: [61-70]

61- ﴿**وَأَنِ اعْبُدُونِي**﴾**:** أطيعوا كلامي وما أُبَيِّنُه لكم على لسان رسولي، فكِّروا بآيات الكون حتى تؤمنوا وتستطيعوا طاعة الله وتطبيق أوامره. ﴿**هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾**:** طريق الإنسانية، إن سرتم على كلامي وطبَّقتموه سرتم بالحق والعدل وعشتم بالسعادة ولكم الجنات. فالله تعالى بعثنا إلى هذه الحياة الدنيا للربح فقط، إذ عرض علينا الأمانة حتى نكسب بدل الجنَّة الواحدة جنات كثيرة لا نهاية لها، وليس في قاموس الله تعالى خسارة أبداً، فالخسارة من الإنسان ذاته بنقضه عهده مع خالقه وعدم طاعته.

62- ﴿**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا**﴾**:** أما شاهدتم مَنْ قبلكم لـمَّا ما ساروا بالحق ماذا حلَّ بهم وما صاروا إليه من إجرام وشقاء! أما شاهدتم ما عاد عليهم عملهم؟ لماذا ما فكرتم؟! ﴿**أَفَلَمْ تَكُونُوا**

---

[5] عنهم عن الناجحين أصحاب السلام.

[6] لماذا هذا العهد يختص فقط بني آدم وليس الجن معهم؟ لأن هذه الآية تختص بواقعةٍ معيّنةٍ وهي عندما بيّن الله تعالى عداوة إبليس لسيدنا آدم وجعل ذلك درساً وعبرةً لبنيه من بعده وذلك في حادثة الأكل من الشجرة، ولذلك جاءت الآية للتخصيص لبني آدم.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: ما آمنتم ليصبح لكم نور فتروا وتعقلوا ما وراء معاصيكم من شرور تعود عليكم فتجتنبوها، لذلك وقعتم بالذي وقع به مَنْ قبلكم ولم تعتبروا بهم.

ونفصّل بعض التفصيل في كلمة ﴿جِبِلًّا﴾: بهذه الحياة الدنيا عندما أصبح الإنسان بجسمه، جُبلَ بهذه الحياة الدنيا، أي أن تكوين جسمه صار من مواد هذه الأرض، فكلمة: ﴿جِبِلًّا﴾: تضم جميع البشر، فالكل لهم أجسام معتمدة بنشأتها على الأرض ومنتوجاتها، أما هذه الآية الكريمة فهي تختصُّ الراسبين الضالّين. الأنبياء الكرام مثلنا بالنسبة لحياة الجسم ونشأته فهم يأكلون ويشربون... لكنّهم ليسوا على شاكلتنا بنفوسهم العالية التي لم تشاكل إلا الله تعالى.

63- ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾: هذه دار المداواة لِمَا حلَّ بكم من أمراض وآلام، الله سبحانه من رحمته يعالج هذا الإنسان ولا يتركه، لذلك يريه يوم القيامة أعماله التي قام بها بالدنيا، والتي سببت له هذا المصير الذي أوقع نفسه فيه، لينشغل بها عن حالته الصعبة ويعلم أنه هو السبب في مصيره هذا لا غيره، فهذا العلم يخفِّف من مصابه الكبير، فكما أن نار الله الموقدة نار الحريق جعلها الله للعلاج والمداواة كذلك نار جهنم أيضاً جعلها تعالى لمداواة وعلاج ما حلَّ بنفس من أعرض عن ربه وكفر، فهي رحمة من الله تعالى بهم لينجوا ويدخلوا الجنّات. ﴿**الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾: أخبرتكم بكل هذا عن طريق رسولي وحذَّرتكم منها لكنكم ما عبأتم.

64- ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾: ذوقوا ألمها، وهم يصرُّون عليها ويصبرون على ألمها لشدة عذاب جهنم التي بنفوسهم. فالله تعالى يقول في محكم التنزيل واصفاً حالهم هذا: **{فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}**[7] ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾: بآياتنا الدالَّة على لا إلّه إلا الله، ما نظروا وما فكروا بها لذلك كفروا بالله.

65- ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾: لمّا تنكشف لهم الحقائق لا يستطيعون الكلام، فالختم حاصل بثبوت إدانته بأعماله ولا سبيل للإنكار، عندها يتطلب العلاج ويقبله. ﴿**وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ**﴾: بما فعلوا من أعمال. ﴿**وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ**﴾: بخيانتهم عهدهم مع الله وميثاقه. ﴿**بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾: تشهد عليهم بخيانتهم، خانوا عهدهم وميثاقهم مع الله، فتشهد عليهم بما عملوا في الدنيا من سوء ووقعوا به من فواحش ومعاصٍ.

66- فقال الذين كفروا لرسول الله ﷺ لم هذه الشهوة في نفوسنا ألا وإنّا نقع بالغي مما ليس لنا قوة على ردِّه. فأجابهم تعالى:

﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ**﴾: لأخذنا من أنفسهم هذه الشهوة والميول. بالإمكان انتزاع الشهوة من الإنسان. ﴿**فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ**﴾: فساروا في هذه الحياة فكيف يأكلون ويشربون وينكحون. ﴿**فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**﴾: ذلك سيُفقد الإنسان التسابق نحو فعل المعروف والدخول بالعمل إلى الجنّة، إذن لن ينالوا الجنّات التي من أجلها جاؤوا إلى الدنيا[8].

67- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾: لأذهبنا عقولهم وأعطيناهم كل شهواتهم فأصبحوا كالحيوان، فلا علاج لهم بالدنيا فلا نرسل لهم رسلاً، لكن رحمته سبحانه اقتضت علاجهم حتى لا

---

[7] سورة البقرة – الآية:175.

[8] في الواقع إن الله يترك الإنسان ينفذ الشهوات التي استحكمت بنفسه، ومن ثمّ تأتي العلاجات والعقوبات والتي من الممكن أن تؤدي إلى التغيير والرجعة إلى الصراط المستقيم. إن الله قادر على أن يرسل لمن أراد أن يرتكب حراماً ألماً... فيغيّر رأيه ولكن تبقى بنفسه وتشغلها وتبقى حجاباً فلذلك يتركه يرتكب حتى تخرج من نفسه ثم يأتي العلاج والمداواة.

يهلكوا أبد الآبدين، لقد رفع الله سبحانه مكانة هذا الإنسان بالفكر، وبالإمكان نزع هذا الفكر منه ولكنه سيصبح كالبهائم. ﴿**فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً**﴾**:** لا يستطيعون ذهاباً ولا إياباً ولابد لهم من مرشد. ﴿**وَلَا يَرْجِعُونَ**﴾**:** لا يستطيعون السير بالحق ولا يبقى لهم طريق للهدى.

68- ﴿**وَمَنْ نُعَمِّرْهُ**﴾**:** ولكن ألا يرون ما يكون عليه حال الإنسان الجاهل المعرض حين يكبر ويصبح مُسِناً. ﴿**نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ**﴾**:** يذهب عنه فكره، يصير جاهلاً كالطفل بل أضل، ويبقى على اختيار ما اختاره في شبابه فلا يستطيع التغيير والرقي، كذلك يصيبه العجز والمرض فلا يستطيع ممارسة الشهوات. ﴿**أَفَلَا يَعْقِلُونَ**﴾**:** شيئاً من هذا الواقع الذي أمام أعينهم ويفكرون به لتترك نفوسهم الدنيا وليسلكوا طريق الحق ويؤمنوا بالله فلا يخرفوا، المؤمن حقاً لا يخرف.

69- ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ**﴾**:** لرسولنا. ﴿**الشِّعْرَ**﴾**:** علَّمناه القرآن، والقرآن لا شعر فيه، الشعر كذب بكذب لأنه لغة المشاعر، قال تعالى: {**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**}[9]. الشعر لغة الشهوات والمشاعر، من قوة شهوته يعبّر بأشكال وألوان مختلفة، والذين على شاكلته يتّبعونه. كلامه وبيانه ﷺ ليس شعراً، أي: ليس تلاعب بالمشاعر والأحاسيس بل كله حقائق يوصل للحق والعدل والنظر بنوره تعالى ومشاهدة الحقائق. ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لَهُ**﴾**:** رسول الله ﷺ ليس لديه هذا الطلب، ما التفت عن الله لغيره لذلك لا يستطيع التكلّم بالشعر، بلغة المشاعر والكذب فهو لا ينطق إلا بالله والذي جاء به ﷺ لا يستطيع بشر أن يأتي بمثله، فهذا القرآن وهذا البيان هو من عند الله وهو ﷺ ما انقطع عن الله تعالى، فالله نظر إلى البشر فشاهد الكلَّ نائمين بالشهوات إلا هو ﷺ مستيقظاً ناظراً إليه سبحانه غير مقطوع عنه، لذلك خاطبه بهذا القرآن وأنزله عليه.

﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ**﴾**:** إذا توجَّهت له ﷺ يذكِّرك بكل شيء، وتشاهد حنان الله وفضله وعالم الأزل وكل شيء من الحقائق التي غابت عنك بسبب انقطاعك عنه سبحانه وتعالى "تماماً كما حدث للسحرة مع سيدنا موسى". ﴿**وَقُرْآنٌ مُبِينٌ**﴾**:** هذا القرآن وهذا البيان والعلم الذي جاء به ﷺ ألا يدلُّ أنه رسولٌ من عند الله؟ ﴿**مُبِينٌ**﴾: يبيّن لك الطريق الذي يجب أن تسلكه في حياتك، طريق الجنة، يبيّن لك الحلال من الحرام.

70- ﴿**لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا**﴾**:** من حييت نفسه بالله، كيف حييت نفسه؟ سمع من رسول الله ﷺ عن الإيمان، فكَّر بالموت حتى خافت نفسه، فكَّر بالكون، آمن، شاهد لا إلّه إلا الله شهوداً قلبياً فطهرت نفسه، بعدها أقبل على الله بمعيَّة رسول الله فأنزل الله على نفسه الحياة والنور والسعادة. ﴿**وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾**:** يعطيهم شهواتهم لأنهم لا يريدون الحق والسير به بل يريدون السير بالفساد والانحطاط والمعاصي والظلم، لذلك حقَّ عليهم قول إبليس: {**وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**}[10]

سورة يسَ: [71-80]

71- ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا**﴾**:** من غنم، بقر، ماعز، إبل، ليتنعموا بها، ألا ينظرون ويفكرون بهذه المخلوقات التي خلقها الله سبحانه لهم من أجل أن يتنعموا بها. ﴿**فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**﴾**:** لولا أن خلقها الله لهم فكيف يملكونها؟! لو آمن الإنسان حقّاً لرأى أن الله تعالى هو الذي خلقها، ومنحنا إياها لنملكها، فما أرحمه سبحانه وكم له من نعمٍ علينا!

---

[9] سورة الشعراء – الآية:224–226.

[10] سورة الحجر – الآية:39.

72- ﴿**وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ**﴾: ذلَّلها لنا، لولا هذا التذليل ما استطاع أحد أن يسوق جملاً. فبالأصل هذه المخلوقات نفوس لم تحمل الأمانة، ومن رحمة الله تعالى بنا أنه ذلَّلها لنا بما يغدق ويفيض عليها من نعيم قلبي وسرورٍ غامر تجده في ذاتها... ولذلك ترى هذه الحيوانات تتحمّل المشاق ومذلّلة للإنسان يركبها... يأخذ خيراتها وهي راضخة مسرورة بعطاء الله تعالى لها مقابل خدمتها لهذا الإنسان. وكذلك كلمة: ﴿**وَذَلَّلْنَاهَا**﴾ تحمل معنى: أن لو كانت هذه الحيوانات بريَّة أو متوحشة فلن يستطيع الإنسان تربيتها والاستفادة منها، فالله تعالى ذلَّلها لنا بأن جعلها أليفة. ﴿**فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ**﴾: بعضها خلقه للركوب كالجمل. ﴿**وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ**﴾: لحمها.

73- ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ**﴾: صوفها وجلودها. ﴿**وَمَشَارِبُ**﴾: حليبها. ﴿**أَفَلَا يَشْكُرُونَ**﴾: ألا يقبلون على الله سبحانه لينالوا كمالاً ويعملوا الصالحات ليدخلوا بها غداً الجنات. الله تعالى يعطينا هذه النعم، كاللحم والحليب وما فيه من مشتقات كثيرة لنتنعّم بها، وكل ذلك دون مقابل إنما هو إحسان إلٰهي للإنسان؛ ﴿**أَفَلَا يَشْكُرُونَ**﴾: أي كما أنه تعالى يُحسن لهم فليحسنوا لغيرهم وليقدّموا الأعمال عندها تقبل نفوسهم على الله.

74- ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ**﴾: بعد هذه الدلالة وهذا البيان الذي بيَّنه لهم رسول الله ﷺ أنه لا مسيّر ولا فعّال ولا مطاع في هذا الكون إلا الله، بعد كل هذا، هؤلاء المعرضون اتَّخذوا غير الله سبحانه آلهة لهم والتجأوا إليهم بدل أن يلتجئوا إلى الله.

تركوا رسول الله وما أَنزل الله عليه من بيان وساروا مع غيره، ساروا مع أناس مثلهم لا حول ولا قوة لهم لينالوا من دنياهم العز والمال والجاه والنصر بظنِّهم.

75- ﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ**﴾: لكن هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة عاجزون عن نصركم ورفع أي شيء عنكم من مرض وشدائد وجوع، فهم ذاتهم لا يستطيعون نصر أنفسهم، ولن يستطيعوا تخليصهم من الموت لـمَّا تحضرهم الملائكة موجوداً ولا تخليص أنفسهم. ﴿**وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ**﴾: الإنسان يصبح ذليلاً لمن يطلب منه العون مع عجز المطلوب عن التحقيق، وبهذا أذلوا أنفسهم باتِّباعهم لغير الله، فالذين اتخذوهم آلهة يُذلّونهم لِمَا في قلوبهم من قسوة.

76- كم تحزن لأقوالهم الباطلة ومن هم عميٌ: ﴿**فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ**﴾: لِمَ تحزن لأقوالهم الباطلة وردِّهم السيّء؟! فلا يحزنك قولهم. ﴿**إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ**﴾: نعلم ما في أنفسهم من نوايا وخبث لذلك لا بد من إخراجها لهم. ﴿**وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾: كذلك ما يظهرونه من أعمال، فلا تحزن. هؤلاء تسييرهم بيدنا، أنا من رحمتي بهم لا أتركهم.

77- ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾: هذه لو فكروا بها، لو فكروا كيف أن هذه النطفة التي هي من الطعام والشراب والتي هي من التراب كيف صارت إنساناً سوياً لرأوا فضل الله عليهم وإحسانه لهم ولآمنوا بالله سبحانه. ﴿**فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾: بعد كل هذا الفضل والإحسان يخاصم ربَّه بلا سبب ويجهر بالعداء له سبحانه.

78- ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾: قالوا كيف يرجع الإنسان مرة ثانية ويُبعث من بعد أن أصبحت عظامه تراباً؟!

79- ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾: أجابهم رسول الله ﷺ على لسان حضرة الله قائلاً لهم: أما خلقكم الله أول مرَّة من تراب؟ فهل يصعب عليه سبحانه إعادة خلقكم مرة ثانية من تراب؟! انظروا،

أليس هذا الخلق الذي تنكرونه جارياً أمامكم الآن من خلق إنسان وحيوان؟ فلِمَ الإنكار؟! **﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾:** عليم بما يناسبهم، لذلك أعطى لكل مخلوق حقّه.

80- **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾:** فلو ظلَّ أخضراً فكيف يشتعل! **﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾:** جعل لكم هذا لتشكروا وتلتفتوا للمنعم وترقوا. لا من أجل أن تذهبوا للشهوات وتحترقوا بها، هذا غير متوقع أن تذهبوا للنار وتحرقوا أنفسكم بها.

سورة يسَ: [81-83]

81- **﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾:** أيهما أصعب، خلق السماوات والأرض أم خلقكم أنتم مرة ثانية؟! فكروا بهذا. **﴿بَلَى﴾:** سيعيد خلقكم مرة ثانية. **﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾:** وسيخلق لكم ما يناسبكم من جنات إن آمنتم وعملتم صالحاً، ومن نار لعلاجكم من أمراضكم إن أعرضتم، فهو سبحانه عليم بكم.

﴿الخَلَّاق﴾: ينظر ربك لقلب الإنسان، فعلى حسب حاله يخلق له ما يناسبه في هذه الدنيا وما يشتهيه، بناية، سينما... كل ما استحكم بنفسه من أي شيء سيُعطاه من وسائل الحضارة، هاتف، طائرات، سيارات... فإنه تعالى عليم بنفوسهم يخلق لكل مرض ما يناسبه.

82- **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:** بكلمة وبإرادة منه سبحانه يكون خلق كل شيء.

83- **﴿فَسُبْحَانَ﴾:** ما أعظمه، لا يصعب عليه شيء. **﴿الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾:** كل هذا الكون بيد الله تعالى يربّيه ويسيّره ويسبّحه بفضله. **﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:** بعد هذه الحياة، ليس لك إلا الله، راجع إليه. وستُسأل أيها الإنسان عمَّا عملت وقدَّمت بحياتك، فاعمل صالحاً. وحذار من سوء البذار.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تأويل سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الصافات: [01-10]

1- من قانون النفس البشرية أنها لا تصغي ولا تلتفت ولا تعظِّم دلالة من يدلّها ويرشدها إلا إذا رأت طرفاً من عظمته، لذلك ساق الله سبحانه لهذا الإنسان من الآيات الدالة على عظمته وقدرته وعلمه تعالى لتلتفت النفوس إليه جلَّ وعلا مستعظمةً عندها تصغي لدلالته وعالي إرشاده، لذلك قال تعالى: **﴿وَالصَّافَّاتِ﴾:** هذه النجوم والأبراج الكبيرة القوية بترابطها، السابحة في أفلاكها الواسعة، هذه النجوم المرتَّبة المنظَّمة المصفوفة في السماء انظر بها، فكِّر بعظمتها ووظائفها، كيف هي بالسماء محمولة؟ إن فكَّرت بها قدَّرت خالقها وعظَّمته سبحانه عندها تلتفت نفسك إليه تعالى وتؤمن به. **﴿صَفًّا﴾:** مصفوفة بكمال مطلق، وليس من كمال ونظام أكمل مما هي عليه الآن.

2- **﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾:** المتماسكة، متماسكة في الفضاء، فكيف تسقط ويد الله عليها تحملها وتسيِّرها وتمدُّها. **﴿زَجْرًا﴾:** تماسكاً وتجاذباً قوياً لا خلل ولا ضعف فيه أبداً. والتفكُّر بها يزجر الإنسان ويردعه عن المعاصي.

3- **﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾:** تكرِّر عليك أيها الإنسان عطاءها لتناله، هي طلبت هذا والله حقَّق لها طلبها. هي لم تنقطع عن حضرة الله لأنها لم تحمل التكليف ولم تخالف، وتريد أن تصل بمن يطلب ربّه عن طريقها لما هي واصلة إليه، فكل من خاف الخسارة ونظر إليها طالباً ربّه تهبه من مشاهداتها، فيشاهد ربّه بمقدار ما تشاهده هي، لقد كرَّرت له عطاءها بأن تلت عليه ما فيها. **﴿ذِكْرًا﴾:** خَلْقُها ونظامها يذكِّرك أيها الإنسان بخالقك العظيم كما ذكَّرت إبراهيم الخليل عليه السلام حين نظر إليها مفكراً بها وبعظمتها **{فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ}**[1]. وكذلك إعادة ظهور النجوم المتتالية يومياً لتذكّر الإنسان بخالقه. بالتفكير فيها تكون تذكرة لك أيها الإنسان أن الإلّه واحد.

4- **﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾:** تقول النجوم إن مسيِّر هذا الكون واحد. حين تفكر بها أيها الإنسان تدرك أن الإلّه واحد وتؤمن به سبحانه وبوحدانيته، وهذا هو التوحيد؛ ذلك أن ترى النفس أن الله سبحانه قائم بالكون وهو مربيه ومسيِّره وليس لأحد فعل أو تصرف في الكون معه، عندها ترى أيها المؤمن أن لا ظلم بالكون لأن يده تعالى تسيِّر الكل.

5- **﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾:** وليس التسيير فقط وإنما الإمداد المتواصل لتتم التربية. **﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾:** في كل يوم تشرق الشمس بزمن ومكان معيَّنين ومختلفين عن اللذَين قبلهما. كذلك فهو تعالى ربُّ القمر والنجوم وغيرها.

6- **﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾:** زيَّناها بالكواكب، وزيَّن الكواكب بالأنوار، لذلك كان هناك أقوام يعبدونها لجمالها وكانوا يحلفون بعظمتها ويقولون: "وحق زُحَل".

لكن لماذا زيَّنها الله؟ لتلفت نظر الإنسان ويفكر بها ويؤمن بالله، فالبائع يزيِّن المتجر ويزين البضائع ليلفت نظر الناس لعلهم يشترون مما عنده. **﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾:** السماوات لا تُرى بالعين وإنما يُرى

---

[1] سورة الصافات – الآية:88.

ما فيها، فهي لا تُرى إلا بالنفس، ولو كانت تُرى بالعين لحجبت ما بعدها، لذلك ترى السماء الدنيا مزدانة بكواكبها.

7- ﴿**وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ**﴾: الشياطين لا تصل إلا للسماء الدنيا سماء الكواكب فقط، كذلك الإنس ليس بإمكانهم الوصول إلى سماء النجوم أو الشمس، فهم ما زالوا بالثواني الضوئية، أما الدقائق فلم يصلوا إليها، فأقرب نجم يبعد عن الأرض أربع سنوات ضوئية، وإذا أرادوا الوصول إليه فهم بحاجة لمراكب سرعتها كسرعة الضوء، وهذا مستحيل لأن المادة تتلاشى بهذه السرعة وتصبح ضوءاً، وحتى شياطين الجن لا يمكنها الوصول للنجوم، ولا يكون الوصول إليها إلا بالإيمان وبمعيَّة رسول الله ﷺ، حيث بالتقوى تخرج هذه النفس من جسمها فتستطيع بالنور الوصول إلى النجوم، وتشهد بمعيَّته ﷺ تجلِّي الله تعالى عليها وإمداده لها بالأنوار.

8- ﴿**لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى**﴾: الملائكة. ﴿**وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ**﴾: بأنوار الملائكة.

9- ﴿**دُحُورًا**﴾: فيعودون منهزمين مدحورين وقد أصاب كلاً منهم الرعب. ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ**﴾: يصيب كلاً منهم، يصيبهم كالرصاص[2]

10- ﴿**إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ**﴾: استرق من الأوامر وتلك آخر شهوة أخرجها الله له وتكون نهايته الحتمية، وانتهى أجله. ﴿**فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾: يدخل ضمنه فيحرقه وهذا لمن صمّم على السماع.

سورة الصافات: [11-20]

11- ﴿**فَاسْتَفْتِهِمْ**﴾: اسألهم. ﴿**أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا**﴾: قل لهم هل هذه السماوات والأراضين وما بينهما أصعب أم خلق الإنسان؟ ﴿**إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ**﴾: طري لزج. فأنت أيها الإنسان أصلك من تراب وماء أصبحت طيناً، وإن تعلَّقت بالدنيا ولم تنهض بالإيمان إلى جناتك التي تخلَّيت عنها فتذكر أصلك الجسدي الذي هو من طين. فلِمَ لا ترجع من الآن بنفسك إليه تعالى لتنال ما أعدّ لك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

12- ﴿**بَلْ عَجِبْتَ**﴾: أنت تعجب من إنكارهم رغم ظهور الأدلَّة والبراهين لهم. ﴿**وَيَسْخَرُونَ**﴾: وهم يسخرون من كلامك "من هذه الدلالة التي تدلُّهم بها على الله".

13- ﴿**وَإِذَا ذُكِّرُوا**﴾: بالحق وباليوم الآخر والموت. ﴿**لَا يَذْكُرُونَ**﴾: لا يرون حقيقة كلامك لأنهم ما آمنوا بالله.

14- ﴿**وَإِذَا رَأَوْا آيَةً**﴾: دلالة وبياناً أو مظهراً من مظاهر القدرة. ﴿**يَسْتَسْخِرُونَ**﴾: لا يعبؤون، نفوسهم منصرفة لدنياهم ولتحقيق شهواتهم.

15- ﴿**وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ**﴾: ما تدَّعيه ليس إلا خيالات وأوهام. ﴿**مُبِينٌ**﴾: ظاهرة.

---

[2] شياطين الجن تستطيع الصعود إلى السماء الدنيا لاستراق السمع، الملائكة تقذفهم بالنور الإلَهي فيهربون، فمن دنا أجله يمكّنه الله من استراق السمع لكن بعدها يرسل عليه شهاب ثاقب، هذه الشهب تتبعه فتخترق نفسه لتصل إلى جسمه فتقتله قبل وصوله الأرض لإخبار السحرة بما سمع من مغيبات، وبذلك لا يسمح الله تعالى لهم في تنفيذ مآربهم ونواياهم الخبيثة في تحويل الناس إلى السحرة "شياطين الإنس" وإيقاعهم بالمعاصي والرذائل.

16- كيف: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾: هل سنرجع خلقاً سوياً بعد الموت؟ ما هذا الكلام؟

17- ﴿**أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ**﴾: كذلك سيرجع آباؤنا الذين مضوا؟

18- ﴿**قُلْ نَعَمْ**﴾: لابد من ذلك. ﴿**وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ**﴾: أنتم في هذا الكون محفوظون، أنتم وما عملتموه لا يضيع شيء منه. وستُلْقُون أنتم بأنفسكم إلى النار وتندفعون إليها لأن المريض يندفع في سبيل الشفاء.

19- ﴿**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾: كيف تستبعدون البعث؟! فبصيحة واحدة يُصبح الخلق جميعاً بين يدي ربهم. ﴿**فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ**﴾.

20- ﴿**وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ**﴾: يوم الحق والعدل، يومها يعرفون ذلك.

سورة الصافات: [21-30]

21- ﴿**هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ**﴾: الحكم. ﴿**الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾: بعدم تفكيركم بالموت ما آمنتم بالله فكذَّبتم وأنكرتم هذا اليوم.

22- ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: أنفسهم، ما دلُّوها على الله، ما فكروا بالكون. ﴿**وَأَزْوَاجَهُمْ**﴾: ومن زاوجهم واتبعهم وشافعهم وكل من ماثلهم، فآكلو الربا في زمرة، وشاربوا الخمر في زمرة كذلك. ﴿**وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾: يطيعون.

23- ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ**﴾: دُلُّوهم. ﴿**إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾: على طريق الجحيم.

24- ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾: يسألهم ربُّ العالمين كي يخفف عليهم العذاب، إذ يعلمون بهذا السؤال أن جرمهم من صنع أيديهم.

25- ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ**﴾: لم لا ينصر الذين اتُّبِعُوا الذين اتَّبَعوا؟

26- ﴿**بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ**﴾: للمداواة من شدة آلامهم النفسية، مذعنون لحكم الله الحق.

27- ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ**﴾: التابعون الذين ساروا على كلام غيرهم وما ساروا على كلام ربِّهم، هؤلاء يسألون "المتَّبَعين" الذين أشركوا بهم مع الله وسمعوا كلامهم.

28- ﴿**قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ**﴾: عن طريق الحق والخير، كنتم تقولون أن كلامكم حق.

29- ﴿**قَالُوا**﴾: أجابوهم: ﴿**بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾: ليس ذلك ذنبنا وإنما كنتم أنتم غير مؤمنين بالحق.

30- ﴿**وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ**﴾: لسنا بمسيطرين وقادرين على نفوسكم، كان الاختيار لكم وأنتم اخترتم هذا. ﴿**بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ**﴾: متجاوزين الحق تريدون الشهوات ولذائذها لذلك سرتم معنا.

سورة الصافات: [31-40]

31- ﴿**فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ**﴾: هذه النتيجة التي انتهينا إليها هي النتيجة الطبيعية لإعراضنا في الدنيا.

32- ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾: أضللناكم بما ضللنا. ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾: نحن كنا غاوين وأنتم استمعتم إلى قولنا فغويتم.

33- ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: كلهم مُعَذَّبون.

34- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾: هذا قانون لكل من يسير على غير كلام الله سيقع بالإجرام وسيحلّ بساحته العذاب. ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: الذين ما فعلوا الخير.

35- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: لا مسيِّر إلا الله لهذا الكون ولكم. ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يستكبرون ولا يؤمنون بها.

36- ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾: هل نترك ما ألفينا عليه آباءنا ونسير بكلامه ﴿لِشَاعِرٍ﴾: لمتخيِّل، يتخيَّل ويتكلَّم. ﴿مَجْنُونٍ﴾: مُغطَّى عليه كل شيء من لذائذ الدنيا وشهواتها.

37- ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾: من عند الله. ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾: من أتى قبله من الرسل، كلامه مُصدِّقٌ لهم ومطابق لما جاء به الرسل.

38- ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾: في الدنيا بما أجرمتم وطغيتم، فكلٌّ ضالٌّ شقيٌّ ومعذبٌ.

39- ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ما عملتم بالدنيا من عمل رجع الآن عليكم فلا ظلم.

40- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: خلصوا من كل شائبة، أي ليس لكم إلا الرسل والأنبياء لتنجوا بمعيَّتهم، وهذه الآية الكريمة فيها حضٌّ وحثٌّ على اتِّباع المُخْلَصين.

سورة الصافات: [41-50]

41- ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾: عطاء عظيم بما آمنوا وعملوا الصالحات.

42- ﴿فَوَاكِهُ﴾: يتفكَّهون، إنه عطاء يُلِذُّهُم[3] ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾: خاليةٌ نفوسهم من الشوائب.

43- ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: من جنة لجنة أعلى إلى ما لا نهاية وهم بالنعيم والسعادة يتقلبون.

44- ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾: إن كنتم بخير فأنا بخير، يتقابلون بهذا السرور، كلهم فرِحٌ سعيد فهم في تقابل بهذا الفرح.

45- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾: كأس ملأتها أعمالهم العالية فأصبحت عوناً لهم على الإقبال على الله.

46- ﴿بَيْضَاءَ﴾: صافية نقية. ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾: للطالبين الذين سلكوا، فيها اللذائذ كلّها والسعادة لمن يشرب بها.

47- ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: أذى. ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾: لا تنقطع عنهم ولا هم ينقطعون عنها.

48- ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾: تغضُّ بصرها حياءً. نساؤهم مقبلات وملتفتات إلى الله بمعيَّة أزواجهن.

---

[3] باعث للّذة فيهم.

49- ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ﴾: خاليات من الشوائب. ﴿مَكْنُونٌ﴾: مخبأةٌ لا يراها أحد إلا زوجها. لئن كانت نساء الجنة محجبات عن الآخرين فكيف يجب أن تكون نساء الدنيا؟!

50- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: أهل الجنة. ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: من أين لنا هذا النعيم وهذه الخيرات.

سورة الصافات: [51-60]

51- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: الآيات السابقة كانت تتكلم عن أهل الجنة في الآخرة، والذي قال هذا القول رجل من أهل الجنة، وحيث أن الله يسأل عن صحبةِ ساعةٍ[4] لذلك سأل هذا الرجل عن قرينه أي صاحبه الذي كان معه بالدنيا يريد الاطمئنان عليه وعلى مصيره، وهذا الصاحب كان يقول له بالدنيا:

52- ﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾: بما يقوله الرسول؟! أن من بعد هذه الحياة حياة ثانية فيها سعادة وجنات؟ هل صدّقت هذا الكلام؟

53- ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾: هل هذا ممكن ومعقول؟ بعد أن نموت ونصبح تراباً وعظاماً هل نردّ ونحيا ثانية! ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: محاسبون على أعمالنا، ما هذا الكلام؟!

54- ﴿قَالَ﴾: لصحبه، هذا الرجل سأل الذين معه بالجنة عن صاحبه: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾: ألا تنظرون، هل أحد منكم شاهده ليدلّني عليه، فجمعه الله سبحانه وتعالى بصاحبه.

55- ﴿فَاطَّلَعَ﴾: عليه، الله سبحانه أطلعه عليه فشاهده وشاهد أحواله وما هو عليه من سوء. ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: هو والجحيم سواء في الاحتراق، هو والنار شيء واحد، نار جهنم مشتعلة بنفسه بسبب ما قام به وقدم من أعمال سيئة، شاهده بنار الله الموقدة محيطة به لتنسيه ولتحوّله عن نار جهنم المشتعلة به.

56- ﴿قَالَ تَاللَّهِ﴾: تالله: ما يتلوه الله على رسوله من مشاهدات ودلالة ومن أسمائه الحسنى فيريها الله للمؤمنين فيشاهدون تسيير الله لخلقه بأسمائه الحسنى كلّها بمعيَّته ﷺ.

وعلّم آدم الأسماء كلها فهي أسماؤه تعالى الحسنى، كذلك علّمها لرسول الله ﷺ ولكل نبي ورسول.

الإيمان على الإنسان والتقوى على الله ورسوله، بعد الإيمان تحصل للمؤمن التقوى حيث يُدخل رسول الله ﷺ المؤمن على الله فيشاهد هذا المؤمن طرفاً من أسماء الله الحسنى كلُّ اسمٍ على حدى. ﴿إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾: كدت تُهلكني في الدنيا بتزيينك المنكر لي، لكن ما تلاه الله على رسوله من مشاهدات ودلالة هي التي حالت بيني وبين الوقوع فيما كنت تقع به، كدت توقعني بهذا المصير. لكن لماذا لم يقع؟ لأنه آمن واتقى وهجر المنكر وأهله وصاحب الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، الصاحب ساحب، والإنسان يُعرَف بصاحبه، (قل لي من تصاحب أقل لك من أنت)، فعلى المؤمن ألا يصاحب إلا المؤمنين أمثاله[5]

---

[4] الله تعالى يسأل عن صحبة ساعة: بمعنى على الإنسان أن يغتنم لقاءه بأخيه الإنسان الضال ويهديه لطريق الحق في كل فرصة.

[5] سؤال هام: يستطيع الإنسان التخلص من رفيق السوء، لكن كيف الخلاص من الزوجة والولد إن كانا من أهل السوء؟ لا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله والوصول إلى التقوى حيث تستشفع نفس المؤمن بنفس رسول الله ﷺ، وبهذه الرابطة القلبية الشريفة لا يبقى تأثير لأحد لا زوجة ولا ولد على هذا المؤمن، فكل طاقات شياطين الإنس والجن لا تذكر أمام

57- ﴿**وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي**﴾: فضل من الله. بتفكيري وإيماني بلا إلّه إلا الله وإطاعتي لنعمة ربي رسول الله ﷺ. ﴿**لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾: لولا أنني أطعت رسول الله ﷺ وآمنت بربي، وبإيماني به سبحانه آمنت برسول الله ﷺ فصرت أرى بنوره ﷺ الخير خيراً فآتيه والشر شراً فأجتنبه لكنت الآن من المحضرين إلى النار إجبارياً موجوداً بسبب ما كنت سأصل إليه من حال جهنمي نتيجة أعمالي الخبيثة.

58- ﴿**أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ**﴾: كما كنت تقول لي في الدنيا.

59- ﴿**إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى**﴾: نموت فيها بلا رجعى. ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾: هذا ما كنتَ تقوله لي في الدنيا، حيث كنتَ منكراً للبعث والسؤال والحساب.

60- ﴿**إِنَّ هَذَا**﴾: ما أنا فيه الآن. ﴿**لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾: فزت بالسعادة والجنات.

سورة الصافات: [61-70]

61- ﴿**لِمِثْلِ هَذَا**﴾: الفوز العظيم والنجاة الكبرى. ﴿**فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾: ليسعوا للوصول لهذا النجاح والفوز وذلك بالإيمان العالي والأعمال الصالحة.

62- ﴿**أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا**﴾: في الجنات من جنة لجنة على الدوام بالسعادة والنعيم، أهذا الحال أفضل ﴿**أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ**﴾: أم هذه الدنيا الدنيئة، شهوات الدنيا المنقضية والتي نهايتها الهلاك والشقاء!

﴿**شَجَرَةُ الزَّقُّومِ**﴾: هي لذائذ الدنيا، يأخذها الإنسان بشكل سريع، فالدنيا تمرُّ مرّاً سريعاً. وكلمة زقوم مأخوذة من (زقَّ) أي: مرَّ، ومنها الزقاق، فكلّ الملذات والطعوم يأخذها الإنسان بلسانه وتمرُّ وتنقضي سريعاً، فلذائذ الدنيا تمضي وجميع شهواتها تنقضي بممارستها، ثم وكأنها ما كانت.

63- ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً**﴾: يفتتنون بها حيث يظنون فيها وبلذائذها السعادة والهناء. ﴿**لِلظَّالِمِينَ**﴾: ضيَّع حياته وجناته بها، الذين ما آمنوا ما عرفوا ما عند الله من جنات ونعيم هؤلاء ظلموا أنفسهم بميلهم للدنيا ولذائذها حيث حرموها من الجنات.

64- ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ**﴾: أصل حب الدنيا ينتهي إلى الجحيم، تنبت في نفوس عميت فَضَلَّت وأَضَلَّت فاحترقت، النفس ببعدها عن الله ووقوعها بالشهوات المحرمة والمعاصي تشتعل فيها النار وهذه هي نار جهنم والتي لا تطفئها إلا نار الله الموقدة، لذلك خاطب تعالى المؤمنين قائلاً لهم ومحذراً {**وَلَا تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**}[6].

65- ﴿**طَلْعُهَا**﴾: مظهرها. شهواتها والميل لها. ثمرها منكر ووَبال. ﴿**كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾: محرقة مثل رأس هذا الذي شاط واحترق، الشيطان ببعده عن الله احترق وهلك وكل بعيد عن الله وعن الحقّ واقع بالمعاصي يصيبه الاحتراق ويهلك.

طاقة رسول الله، فيمدّ ﷺ هذا المؤمن بها. لذلك فالتقي لا أحد يستطيع الوقوف أمامه ولا يحزن إن جاءته ابنة سيئة لأنه بصبره عليها وجهاده بالوقوف بوجه ضلالها ينال الكثير من فضل ربه، حيث بنفسها طاقات شريرة كثيرة كأن تكون فاتنة غاوية لغيرها، فبإحسانه لها وذلك بكبته لهذه الطاقات والشهوات الجهنمية التي بنفسها لن تستطيع تنفيذها، فكم له أجر عظيم على هذا.

[6] سورة هود – الآية:113.

66- ﴿**فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا**﴾**:** مقبلون عليها يعبُّون من لذائذها المحرَّمة المنقضية الفانية. ﴿**فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ**﴾**:** نفوسهم، حبّهم للدنيا قوي مستحكم، أترعوا وملأوا نفوسهم بالشهوات، مهما نالوا منها لا يشبعون ويطلبون المزيد.

67- ﴿**ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ**﴾**:** بعد وقوعهم فيها، بعد وقوعهم بالمعاصي والفواحش والإجرام. ﴿**عَلَيْهَا**﴾**:** على النفس وما اكتسبت من حبِّ الدنيا. ﴿**لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ**﴾**:** نغص في حياتهم الدنيا، يعيشون بعدها بالضيق والهم والشقاء، يشعرون بالنار في داخلهم فلا يعرفون للسعادة طعماً لذلك يلجؤون للخمور والمخدرات لينسوا ما بهم ثم بعدها للانتحار، لو كانوا سعداء بحياتهم ما انتحروا.

68- ﴿**ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ**﴾**:** ليس لهم في الآخرة إلا النار ليتحولوا عن نار جهنم التي فيهم.

69- ﴿**إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ**﴾**:** ما فكروا، ساروا على سير آبائهم رغم ضلالهم.

70- ﴿**فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ**﴾**:** يركضون متَّبعين آباءهم على عمى.

سورة الصافات: [71-80]

71- ﴿**وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ**﴾**:** فما اعتبروا بغيرهم.

72- ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾**:** جاءهم من دلَّهم وبيَّن لهم نتائج سيرهم المهلك عليهم وبيَّن لهم طريق النجاة والسعادة فما ساروا.

73- ﴿**فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ**﴾**:** كل من لم يفكر ولم يسمع انظروا نتائجه وما حلَّ به من هلاك دنيا وآخرة.

74- ﴿**إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾**:** فإنَّ الله منجّيهم مع الذين آمنوا معهم أجمعين لأنهم فكروا وطبَّقوا ما أمرهم الله ورسوله.

75- ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ**﴾[7]: أجبناه بما هو خير لهم إذ خَلَصوا "قومه" من تزايد طغيانهم عليهم عندما أُهلكوا، وبما هو خير لنوح وقومه المؤمنين إذ خلصوا من مضايقة قومهم لهم ومن الكرب الذي لحق بهم.

76- ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ**﴾**:** المؤمنون ﴿**مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ**﴾**:** من الهلاك والغرق.

77- ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ**﴾**:** صاروا أصل البشر ومنهم نسلوا.

78- ﴿**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ**﴾**:** جاء من نسلهم ذرية وآمنوا حتى صاروا أمماً مؤمنين.

79- ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾.

80- ﴿**إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾**:** ذلك بما أحسن نوح، أصبح محسناً بعد أن آمن.

سورة الصافات: [81-90]

[7] إن كلمة ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾: تبيّن أن دعاء سيدنا نوح عليه السلام على قومه كان في موضعه وضمن الرحمة والعدل ولا خطأ فيه لأن بقاءهم بالدنيا وهم لا خير فيهم يرتجى سيزيدهم عذاباً وخسارةً في الآخرة.

81- ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

82- ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآَخَرِينَ﴾: الذين ما آمنوا.

83- ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾: من شيعة نوح عليه السلام. ﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾.

84- ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: بقلب طاهر نقي، أقبل على الله فامتلأ كمالاً فسلم قلبه. أقبل مفكراً ليتعرف على الله وهو صادق عالي النيَّة.

85- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: تطيعون.

86- ﴿أَئِفْكًا﴾: كذباً ﴿آَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾: تريدون مسيِّرين غير الله فلا مسيِّر إلا الله سبحانه.

87- ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ماذا تظنون بهذا الربّ الكريم مربي الخلق جميعاً!

88- ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾: في هذه الصافات الزاجرات، فكَّرَ في الكون ورأى عظمة الله، قد يكون دعاهم إلى التفكير فسألوه بِمَ نفكِّر فدلَّهم على النجوم والتفكير بهذا الكون للوصول إلى الإلّه المسيِّر.

89- ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾: إني خالٍ وإني ضعيف وإنني لمفتقر إلى ربي "أأنا الذي لا أفهم وهؤلاء المشركون على الحق؟!". قال ذلك بسبب حزنه عليهم.

90- ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾: لم يستمع إليه أحد، دلّهم على الإيمان بالله والسعادة وذلك بالتفكير بالكون وآياته فما ساروا على ما دلّهم عليه.

سورة الصافات: [91-100]

91- ﴿فَرَاغَ إِلَى آَلِهَتِهِمْ﴾: (راغ): رأى الغي وما هم عليه من ضلال والذي يعود عليهم بالشر والشقاء دنيا وآخرة، سيدنا إبراهيم عليه السلام نبي ورسول شاهد بنور الله أن سلوك قومه ومعتقداتهم وطريقهم لا خير لهم بهذا كله. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: مخاطباً إياهم باستهزاء ومتعجباً منهم ومن إنكارهم.

بعد أن بيَّن لهم طريق الإيمان "قال ألا تأكلون؟" لماذا لا تؤمنون بالله العظيم وتقبلون بنفوسكم عليه سبحانه لتأكلوا من طعام أهل الجنة الذي وعدكم الله به على رسله، كما الجسم يأكل ويشرب كذلك القلب يأكل ويشرب من معين الحضرة الإلّهية وذلك عن طريق الرسل.

وموقف سيدنا إبراهيم هذا من قومه سدنة الأصنام كموقف سيدنا آدم من إبليس حين دعاه الله للسجود لآدم كي ينال الجنات عن طريقه.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: لقد رأى عليه السلام ببصيرته الشياطين التي تغرِّر بالناس من خلف الأصنام وتخيِّل لهم أن للأصنام فعلاً، ليبقوا على عبادة الأصنام والسير بالضلال... هنالك خاطبهم سيدنا إبراهيم أن يكفُّوا عن هذا الطريق "إضلال الناس" ويلتفتوا لله فهو خاطب الأصنام صورةً أما حقيقةً فخطابه موجَّه لسدنة هذه الأصنام من شياطين الجن، يدعوهم للتوبة والعودة إلى الله تعالى لتنهل نفوسهم وتأكل من إقبالها على الله، فتنال الكمال وتهجر الأكل من الدنيء والنيران. ولو أرادوا واستجابوا لندائه لأوصلهم عليه السلام ولدخلوا على الله تعالى بمعيَّته وصار غذاء نفوسهم الشهود العالي لأسماء الله الحسنى.

92- ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ**﴾**:** بالحق، كيف لم تسرِ الحياة القلبية والأنوار والتجليات الإلّهية القدسية بقلوبكم بعد أن بيَّنت لكم كل شيء؟ لماذا لا تستجيبون لله لتنالوا الحياة والسعادة منه سبحانه، لا تنطقون أي لا تتجاوبون. لم ينالوا منه عليه السلام شيئاً، ما أخذوا من الجنات والحياة التي يصبّها الله بقلبه، فالمائدة عنده عليه السلام.

93- ﴿**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ**﴾**:** كسَّرهم وكان فعله حقاً وخيراً، أقام الحجَّة على قومه وجرَّدهم بمنطقه العالي كلَّ أسلحتهم وهيَّأ لهم نفوسهم ليستجيبوا للحق وأبعد الشياطين التي كانت تؤزُّهم وتمنعهم من أن يسلكوا طريق الإيمان، ﴿**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ**﴾: بما منَّ الله عليه من قوة جسمية حطَّم الأصنام. وقوة نفسية قتل الشياطين، شياطين القوم كلَّهم. لذلك قالوا واعترفوا بعدها بضلالهم كما ذكر تعالى: {**فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ**}[8]، أي اعترفوا أن لا فعل لأصنامهم ورجعوا للحق، قالوا نحن مخطئون لكن بعد اعترافهم وإقرارهم عادوا للضلال، ولم يلبث الشيطان أن دخل عليهم، لذلك قال تعالى: {**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ**}[9].

94- ﴿**فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ**﴾**:** تهافتوا إليه جماعات جماعات.

95- ﴿**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ**﴾**:** تجعلونهم آلهة؟ كيف هذا؟ تنحتون من الصخور تماثيل وتقولون عنها أنها آلهة أيعقل هذا؟

96- ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾**:** وقد خَلَقَهم الله وخَلَقَكم، قال لهم: هل هذه التماثيل هي التي خلقتكم في بطون أمهاتكم؟! هل يستطيعون خَلْقكم وهم لا حول لهم ولا قوة ولا يتحركون إلا أن تحركوهم! ﴿**وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾: أنتم والتماثيل التي تصنعونها وتعبدونها من خَلقِ الله، أي: الذي تنحتون من تماثيل وأصنام هذه حجارة مخلوقة مثلكم، فكيف تعبدونها؟!

97- ﴿**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا**﴾**:** المنجنيق لشدة النار التي أضرموها. ﴿**فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ**﴾**:** قرَّروا رميه في النار وحرقه.

98- ﴿**فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا**﴾**:** سوءاً. ﴿**فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ**﴾**:** دنيا وآخرة. أسفل الخلق إذ فعلوا فاحشةً ما سبقهم بها أحد من العالمين.

99- فخشي النمرود فأمره بالخروج من البلاد: ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾**:** أنتم لستم أهلاً للنصح فلعلَّ الله يهدي على يدي غيركم، ترك العراق وذهب إلى مكة وبعدها إلى بلاد الشام "القدس".

100- ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾**:** جمعه الله بالصالحين وآمنوا معه وصار له جماعة مؤمنة.

سورة الصافات: [101-110]

101- ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾**:** هو إسماعيل عليه السلام. بسبب أعماله عليه السلام وتضحياته استحقَّ هذا العطاء الكبير وهذا الفضل العظيم.

---

[8] سورةالأنبياء – الآية:64.

[9] سورةالأنبياء – الآية:65.

102- ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ**﴾: سار برفقته "برفقة أبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام" إلى الله وآمن. ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾: ما رأيك، هل توافق؟ سيدنا إبراهيم عازم على تنفيذ أمر الله بالذبح لكن استشار ابنه لأن الأمر متعلقٌ به، فإن قبل إسماعيل عليه السلام ذبحه وإن لم يقبل فالاختيار له ولا إكراه في الدين فهو عليه السلام من ناحيته مُقدم على هذا الأمر وقد أدَّى ما عليه أمام الله، لكن يبقى الأمر متعلق بغيره لذلك طلب رأي إسماعيل عليه السلام.

عندما كبر سيدنا إسماعيل عليه السلام وظهرت منه علامات النبوَّة وصار يسعى بإيمان الناس هنالك أحبَّه سيدنا إبراهيم وعشقه ولكن عندما جاء الأمر من الله بأن يذبحه قال سمعاً وطاعة يا ربّ، وبذلك ظهر صدقه واستسلامه وحبّه لله فوق كلّ حبّ.

﴿**قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾: لأنه يعرف أن أباه نبي ورسول عظيم لا يمكن أن يدخل عليه شيطان أبداً، فرؤياه إذن أمر من الله، الله أرحم وأحن وليس منه إلا الخير فافعل ما أمرك به تعالى.

﴿**سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾: بعد أن سعى إلى الله وتوصَّل إلى معرفته قال هذا، بالإيمان والتقوى يستسلم الإنسان إلى الله ورسوله.

103- ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا**﴾: استسلما للأمر وأرادا تنفيذه. ﴿**وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾: تلا هذا الاستسلام تطبيق عمليّ بصدق وشدَّة هائلة، أي ذهب ليطبِّق أمر ربِّه مباشرة. وهكذا المؤمن الصادق يطبِّق بشكل عملي. لذلك ناداه الله بسرعة:

104- ﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾: ناداه الله يا إبراهيم توقف، وهذا النداء يدلّ على سرعة تطبيق سيدنا إبراهيم عليه السلام أمر ربّه، كذلك كلّ مؤمن يسمع من رسول الله ﷺ ويطبِّق مباشرة، يسمع عن التفكير فيذهب ويطبق، يسمع عن الإنفاق والصدقة على الفور ينفق ويتصدق، فالمؤمن إنسانٌ عمليٌّ يطبِّق كلّ أوامر ربّه بعد سماعه من رسول الله ﷺ أو المرشد الصادق من بعده.

105- ﴿**قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا**﴾: ظهر صدقك واستسلامك لي. كذلك ظهر صدق إسماعيل عليه السلام واستسلامه لربّه، عندها نال الرسالة، وكذلك سيدنا إبراهيم صار إماماً للعالمين و: ﴿**إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾: نالا الرسالة بالحقِّ وعن أهليّة وليس هبة. كل من أحسن نعطيه.

106- ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**﴾: إن هذا امتحان واضح على عُلوِّ مكانة إبراهيم عليه السلام، اختبار يظهر فيه إيمان المؤمن، الكافر يُبتلَى لإخراج ما في نفسه والمؤمن يُبتلَى لإظهار ما في نفسه من خُلُقٍ وكمال[10].

107- ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾: لما طبَّق سيدنا إبراهيم عليه السلام كلمات ربه التي أمره بها وآخرها ذبح إسماعيل عليه السلام خاطبه تعالى: **{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً}**[11].

فلنيَّته العالية عليه السلام ورحمته بالناس جعل الله وظيفته في الإيمان باقية على كلِّ مؤمن إلى يوم القيامة يساعده عليه السلام وينهض بِه إلى الله، وبهذا يحصل للمؤمن نور من الله العظيم يستطيع أن ينحر وساوس الشيطان ويحرقه، ولذلك يقول هذا المؤمن في الصلاة داعياً: "اللهم صلِّ على

---

[10] بهذا البلاء والامتحان نجح سيدنا إبراهيم نجاحاً كبيراً ورقي رقياً عظيماً وسما وعلا حتى غدا إمام الناس إلى يوم القيامة وإلى آخر الدوران.

[11] سورة البقرة – الآية:124.

سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صلّيت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم"، وكل هذا بسبب اقتدائه بسيدنا إبراهيم وسلوكه الطريق التي سنّها لنا وذلك بالتفكير بالكون للوصول إلى الإيمان **{وَاتَّخِذُواْ مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}**[12].

108- **﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ﴾:** آمنوا عن طريقه عليه السلام وأعماله جارية إلى يوم القيامة.

109- **﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾:** الأمان والسعادة والجنات عليه من الله تعالى وعلى من اتبعه وذلك بسلوك طريقه ﷺ، فيكون عليه الأمان والجنات بمعيَّة رسوله.

110- **﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:** قانون عام، هذه الآية تبيّن عدل الله بخلقه وأن عطاءه سبحانه مبنيٌّ على قواعد وقوانين ثابتة، إبراهيم نال بصدقه، إسماعيل كذلك، وأنتم يا عبادي لابدَّ من ظهور صدقكم في طلبي وعملكم، فكلٌّ من يسعَ ينل من عطاء ربه على قدر سعيه.

سورة الصافات: [111-120]

111- **﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾:** بنا وبأسمائنا.

112- **﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:** على ما قدَّم وضحَّى وقام به من أعمال عالية.

113- **﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾:** بعدم إيمانه بالله.

114- **﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾:** ثبَّت الله قلبهما حين وقفا ضد فرعون لما في هذا الموقف من صعوبة.

115- **﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾:** الكرب على قومهما مما كان يفعل فرعون مع بني إسرائيل من قتل الأطفال واستحياء النساء.

116- **﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾:** على فرعون. **﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾:** ولينصرن الله من ينصره.

117- **﴿وَآَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾:** التوراة[13].

118- **﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.**

119- **﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآَخِرِينَ﴾:** صار معهم مؤمنون.

120- **﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾:** نجاهم الله من فرعون وملئه ورفع شأنهما.

---

[12] سورة البقرة – الآية:125.

[13] رسول الله ﷺ آتاه الله الكتاب المبين أما سيدنا موسى الكتاب المستبين، رسول الله ﷺ انطبع القرآن "الكتاب" بنفسه الشريفة من الأزل قبل مجيئه الدنيا، سيدنا موسى عليه السلام انطبع الكتاب بنفسه في الدنيا بالألواح. قال تعالى: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً} سورة الأعراف – الآية:145، بالدنيا اجتهد سيدنا موسى والله أعطاه ونال الكتاب، فلقد رقى في هذه الدنيا رقيّاً كبيراً بأعماله الكبرى التي قدّمها.
مبين: أي أن رسول الله محمد ﷺ من الأزل عرف القوانين وما يلزم كل نفس وما تحتاج واطّلع ﷺ على طباع البشر كلها فكان مع ربه ومع الناس.
مستبين: أي أن سيدنا موسى تعلم هذه القوانين بالدنيا وليس بالأزل، فقد كان بالأزل مع ربه وجاء إلى الدنيا واستبان الكتاب فيها.

سورة الصافات: [121-130]

121- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: كل محسن هذا له بكل زمان ومكان.

122- ﴿إِنَّهُمَا﴾: سيدنا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام. ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

123- ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أرسله الله إلى قومه، معنى (إلياس): أي أن سيدنا إلياس عليه السلام سالم وسليم لا عيب فيه ولا نقص، لا في الأزل ولا في الدنيا، وكل من صاحبه بنفسه سلم بمعيّته ويئس الشيطان منه، فلا مدخل له عليه ولا يستطيع الدنوّ منه.

124- ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: ألا تستنيرون بنور الله، وتنظرون بالنور بدل العمى القلبي، ولا يكون ذلك إلا بتقدير رسول الله ﷺ سفير الحقّ ومهبط الأنوار الإلَهية. دعا قومه للإيمان بالله والتقوى، والتقوى هي أن يصبح للمؤمن نور من الله فلا ينقطع عنه سبحانه، وهذا يحصل بمعيّة رسولهم سيدنا إلياس عليه السلام.

125- ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: صنم خاص بهم سموه بعلاً، نسبوا الصنم لسيدنا إبراهيم عليه السلام، فهو أبو العرب وأبو بني إسرائيل، ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: هكذا قال لهم سيدنا إلياس، أي: هذا الصنم الذي شبهتموه بالإنسان الصالح هو زوج مثلكم، مخلوق لا يرزقكم ولا يأتي بشيء من عنده، هو مثل الأرض البعل لا خير فيها إلا إذا أمدَّها الله بالأمطار والخيرات، كل الخير من الله فكيف تنسبون لغيره الفعل؟ ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾: أتتركون الله الذي يخلق لكم الأثمار والورود والزهور والبنين والبنات والطعوم الطيبة المذاق، فهل لأحد يد في ذلك غير الله؟! تركتم الله الذي أحسن كل شيء خلقه ولحقتم صنماً لا حول له ولا قوة!

﴿الْخَالِقِينَ﴾: خالق اسم فاعل بمعنى اسم مفعول أي مخلوق، كأن تقول أرض واطئة بمعنى موطوءة وبناء دارس بمعنى مدروس أي أصبح أطلالاً وإلا فلا معنى لمقارنة الله الخالق بخالقين آخرين وتقول هو أحسنهم، إذ لا خالق سواه واسم الفاعل لا زمان له فهم خُلِقُوا ويُخْلَقُون وسَيُخْلَقون.

126- ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: الخير والتربية والعطاء والنماء منه سبحانه وتعالى لا من غيره، شرح لهم عليه السلام عن بدايتهم كيف كانوا نطفة والتي هي من الطعام والشراب، فكيف الله ربَّاها ونمَّاها حتى جعل منها آباءهم وكيف هم خلقوا منها، كذلك دلَّهم على النهاية أي الموت ليفكروا به لعلّ نفوسهم تخاف فتلتجئ إلى الله وتطلب الإيمان. فَلِمَ التبعيَّة للآباء الذين ماتوا وأخذوا عملهم، وهل الآباء بغنى عن فضله وكرمه تعالى؟! أما كانوا مفتقرين له؟

127- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: ما طبَّقوا، رفضوا كلامه، لم يفكروا ببيانه وسامي دلالته فحلَّ البلاء وأتاهم الموت. ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: كالمجرم الذي يؤتى به موجوداً للمحاكمة. ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾: في النار "موجوداً"، ذهبوا إلى ربهم بلا إيمان وبلا أعمال صالحة.

128- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: هذه صفة الأنبياء والرسل الكرام فقط، وكل من ارتبط بهم يصبح بحصنهم ويصبح من المُخلِصين فلا تمسه النار. هؤلاء لهم الإكرام والإنعام.

129- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: هناك من آمن به عليه السلام أنه رسول الله وطبَّقوا كلامه وآمنوا بالله وقاموا بفتوحات عظيمة رفَعوا راية الرحمة الإلَهية، ونشروا دلالة الله بين العباد، وامتدت دلالته لأجيال كثيرة حتى صُفِّدت الشياطين وانكسرت ويئسوا من مجابهته عليه السلام.

130- ﴿**سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ**﴾**:** إلياس ومن تبعه، فكل من سار معه من المؤمنين وآل إليه فعليه السلام والأمان والسعادة والغبطة والعزة والكرامة دنيا وآخرة. الأنبياء الكرام من الأزل سالمون وهنا بالدنيا سالمون وكل من صاحبهم طهرت نفسه وسَلِم، ومما تدلُّ إليه الآية الكريمة أن هناك أناساً آمنوا به عليه السلام ودخلوا معه على الله فسَلِمُوا وطهروا وهم بالآخرة من السالمين، هؤلاء خضعوا له وانضمُّوا إليه وصاروا تحت لوائه، فكلمة إلياسين جمع لكلمة إلياس، مما يدل على أنه أصبح معه فئة من المؤمنين الناجين، هؤلاء المؤمنون سلامٌ عليهم أي أمان دنيا وآخرة، لقد دخلوا هذه المغامرة "الدنيا" ونجوا ونجحوا فصاروا مَعْرِفَةً والكل يهنِّئهم ويبارك لهم، قال تعالى: **{فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}**[14]

سورة الصافات: [131-140]

131- ﴿**إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾**:** آمنوا وأحسنوا لأنفسهم ولغيرهم وكل من آمن معهم بصحيفتهم، وهذا قانون، فكل من آمن وأحسن يجعله الله من آل ياسين.

132- ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**﴾**:** الله سبحانه وتعالى يقول لنا بهذه الآية، إن إبراهيم العظيم فكر وآمن وكذلك أصحابه، وأنتم فكروا لتؤمنوا وتصبحوا بالأمان وتنالوا الجنات، إن لم تؤمنوا لابدَّ وأن تتعالوا على بعضكم بعضاً، وهذه صفة إبليس، صفة كل من أبلس عليه الأمر، فلا تكونوا مثله.

133- ﴿**وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾**:** كان من قوم النمرود فلما دعاهم إبراهيم تبعه لوط وآمن معه وصار نبيّاً.

134- ﴿**إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ**﴾**:** من الهلاك.

135- ﴿**إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ**﴾**:** غَبِرت لحبِّها لقومها وارتباطها بهم، هلكت بحبِّها لقومها.

136- ﴿**ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ**﴾**:** قومه الذين ما آمنوا وقعوا بالفواحش لذلك دُمِّروا.

137- ﴿**وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ**﴾[15]: لئن لم تؤمنوا بالله فستسلكون طريقهم وتفعلون فعلهم. إن مكان قوم لوط كان معروفاً بزمن الصحابة الكرام، ولم يكن أحد منهم يرضى أن يقيم أو يخيِّم في مناطقهم فكانوا يجتازونها بسرعة لنفورهم من عملهم الخبيث.

138- ﴿**وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾**:** وهنالك من سرت هذه الفاحشة في بلدانهم سريان النار في الهشيم، ولكن قاموا بها وفعلوها بالخفاء سرّاً دون إعلانها. أفلا تفكرون وتعقلون ما في الليل من خيرات بدل أن تسهروا الليل وتعملوا الفواحش فيه. **"الدين هو العقل[16] ومن لا عقل له لا دين له"**، أي اعقلوا

---

[14] سورة آل عمران – الآية:185.

[15] بما أن القرآن الكريم لكل زمان فإن هذه الآية تنطبق على هذا الزمان بالمدلول الآتي: وتحقّق مدلول هذه الآية في زمن شرار الخلق إذ أن هذه الفاحشة عمَّت أهل الأرض، واليوم لا تخلوا أمَّة أو قرية من هذه الفاحشة. فجاء هذا التنبيه الشديد للمؤمنين الذين لم يبلغوا الإيمان الشهودي بعد {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ}: وأينما سار المرء في هذا الزمان فهذه الفاحشة سارية فيه واقعة في البيوت. {مُصْبِحِينَ}: هنالك من أعلن زواج المثلين بشكل رسمي علني في كثير من دول العالم.

[16] العقل: هو رؤية الحقيقة بعين البصيرة كي يكون للمرء وازعاً من نفسه ورادعاً لها، وفي هذا حث لكل مؤمن على هذه الرؤية والإيمان الشهودي حيث أن النفس البشرية مؤهَّلة لاكتساب كل فضيلة بإقبالها على الله وكذلك لديها الطاقة لاكتساب كل صفات الدناءة بإعراضها عن الله.

كي لا يصيبكم ما أصابهم، دقّقوا بالكون وبالموت حتى تشاهد أنفسكم الحقائق بنور الله ورسوله فتستهووا الفضيلة وتكسبوها وتنفروا من الرذيلة وتصدُّوها.

139- ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾: جاء قومَه مرسلاً من عند الله، معنى اسم يونس من الأنس فهو عليه السلام مستأنس بربه وجاء الدنيا ليستأنس قومه به ويدخلهم على الله فيأنسوا بالقرب منه تعالى وينالوا السعادة والجنات.

140- ﴿**إِذْ أَبَقَ**﴾: أبى البقاء مع قومه بعد أن ملَّ منهم لعدم استجابتهم له، كانوا قوم سوء سادرين بالغي يرتكبون المعاصي، جاءهم وبيَّن طريق الحقّ ومع ذلك ما ساروا معه. ﴿**إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾: إلى السفينة هارباً من قومه، من شدة ما عاناه هذا الرسول من قومه من الضيق بسبب ما قاموا به من الصدود والإنكار.

سورة الصافات: [141-150]

141- ﴿**فَسَاهَمَ**﴾: هذه الآية الكريمة تبيِّن حبَّ هذا الرسول العظيم لفعل الخير ورحمته بعباد الله، على الرغم من أنه راكب وليس عليه شيء إلا دفع الأجرة فقط ومع ذلك ساهم بالتجديف حبّاً بعمل الخير ورحمة وحناناً على أصحاب السفينة فساعدهم. ﴿**فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ**﴾: من المغرقين. جاءه الدور بالتجديف فغرق، ولكن لماذا غرق سيدنا يونس؟ الأنبياء الكرام بنور الله يرون ما لا يراه الناظرون ليس بزمانهم فقط بل للأزمنة كلها ماضيها ومستقبلها وحاضرها، سيدنا يونس عليه السلام نبيٌّ مُرسلٌ من عند الله وظيفته دائمة، عندما توجَّه إلى قومه الذين تركهم شاهدهم غيَّروا وتابوا وقرَّروا الإيمان، وبهذه المشاهدة انصعق من السعادة ففقد توازنه وغرق، حيث كانت هذه أكبر من توقعاته، إذ طيلة المدة التي قضاها معهم يدلّهم على طريق الإيمان ويرشدهم لم يكن هناك ثمّة استجابة ترتجى منهم، أمّا الآن فلقد تغيَّرت قلوبهم ومالت للحق تطلب الإيمان، وحصل هذا بعدما تركهم سيدنا يونس فأرسل الله لهم من الشدائد والبلاءات ما لا عهد لهم بها، فلمّا كان معهم عليه السلام كانوا برغد وسعادة وبتركه لهم فقدوا ذلك، هنالك قارنوا بين ماضيهم وحاضرهم فعرفوا السبب، وتذكروا نصائحه وإرشاده عليه السلام فقرروا التوبة والسير بالإيمان وتطبيق دلالته.

142- ﴿**فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ**﴾: لـمَّا غرق ابتلعه الحوت. ﴿**وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾: لائماً نفسه منكسراً إلى الله، عرف بالحال أنه لو لم يكن قد عمل شيئاً لما غرق فلام نفسه ورجع إلى الله وهو يعرف الطريق. الأنبياء الكرام عليهم السلام دائماً ينسبون التقصير لنفوسهم، والله تعالى يتركهم على ظنهم وذلك للرقي.

143- ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ**﴾: السابحين بفضل الله وحمده.

144- ﴿**لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾: لما نجا من الهلاك، ولكنَّ إنابته ولومه لنفسه أنقذاه. ولولا أن يونس فكَّر وتعرَّف إلى السبب الذي جلب له هذه الشدة ورجع إلى ربه شاكراً فضله فنال ما نال من الدرجات العالية بهداية قومه لجعلناه ينال ذلك الفضل الإلَهي والعطاء عن طريق آخر فنبقيه مُضيَّقاً عليه مغموماً في بطن الحوت، وبصبره على هذا البلاء واستسلامه ورضاه بما نسوقه له مع عدم علمه بالسبب نرفع درجته ونبلِّغه ما تأهلت له نفسه من المنازل العالية.

وهذه الآية دليل على عدم فناء أجساد الأنبياء. "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

145- ﴿**فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ**﴾: أنقذه تعالى إلى اليابسة.

146- ﴿**وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾**:** استظلّ تحت أوراقها فكانت هذه الشجرة ذات أوراق كبيرة رحمة به لئلا يتأذى جسمه الشريف.

147- ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾**:** آمنوا به ونشروا دلالته. وجاءت هذه الآية الكريمة بشرى من الله تعالى لرسوله الكريم محمد ﷺ بالنصر، ومنها عرف رسول الله ﷺ أن الجزيرة العربية كلّها ستفتح عليه، وكذلك بعد إيمانهم ستفتح عليهم الشام والعراق وفتوحات أخرى كبرى.
مائة ألف بحياة سيدنا يونس الشريفة أو يزيدون بعد انتقاله عليه السلام، لذلك قال رسول الله ﷺ:
"حياتي خيرٌ لكم ومماتي خيرٌ لكم".

148- ﴿**فَآمَنُوا**﴾**:** أكرمناه بهم جميعاً، فليصبر الإنسان ولا ييئس. ﴿**فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾**:** جعلنا حياتهم هنيئة إلى حين موتهم.

149- ﴿**فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ**﴾**:** أيقال لصاحب هذه العظمة مثل هذا القول!

150- ﴿**أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا**﴾**:** قالوا عن الملائكة أنهم بنات الله. ﴿**وَهُمْ شَاهِدُونَ**﴾**:** أشاهدوا هذا؟! هل شاهدوا خلق الملائكة وأنهم إناثٌ حتى قالوا هذا القول! قولهم هذا زور.

سورة الصافات: [151-160]

151- ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ**﴾**:** كذبهم ﴿**لَيَقُولُونَ**﴾**:** يدَّعون.

152- ﴿**وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾**:** بادِّعائهم أن عيسى عليه السلام ابن الله.

153- ﴿**أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ**﴾**:** فَضَّل البنات على البنين!

154- ﴿**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾**:** كيف نسبتم البنات لله وكذلك سيدنا عيسى قلتم أنه إلّه.

155- ﴿**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾**:** تَذَكَّرون هذا الخلق وهذه النعم وتفكِّرون، أفلا تفكرون بهذا الكون لتروا عظمة الله ووحدانيته.

156- ﴿**أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ**﴾**:** هل من دليل ظاهر على كلامكم!

157- ﴿**فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾**:** من أن لله ولداً.

158- ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا**﴾**:** من كفرهم وإعراضهم نسبوا للجن والشياطين معرفتهم الغيب، وجعلوا لهم حولاً وقوةً كإحضارهم الكنوز والملوك بزعمهم. ﴿**وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**﴾**:** سُخِّرت الجن لسليمان عليه السلام وظلت تعمل بعد موته وهي لا تدري أنه مات حتى نخر الدود عصاه فخر جسده الشريف على الأرض.

159- ﴿**سُبْحَانَ اللَّهِ**﴾**:** ما أعظم تسبيحه تعالى، السماوات، الشمس، القمر، النجوم، الأرض، كل شيء عائد له. هم لا حول لهم ولا قوة، الفعل بيده، كل شيء هو يسبِّحه. ﴿**عَمَّا يَصِفُونَ**﴾**:** منزَّه تعالى عما وصفوه من صفات لا تليق به سبحانه.

160- ﴿**إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾**:** لم نجعل لأحد عليهم سلطاناً فليسوا بمحضرين في العذاب.

سورة الصافات: [161-170]

161- ﴿**فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ**﴾: ما تطيعون وما أنتم عليه من زينة وتفاخر.

162- ﴿**مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ**﴾: لا تستطيعون أن تفتنوا أي إنسان. لا يُفتتن بالباطل إلا من كان في قلبه ميل له وبعد عن الله.

163- ﴿**إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ**﴾.

164- ﴿**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾: كل واحد وعمله وجلاؤه بيده، الرسل والأنبياء الكرام أتوا للدنيا وقدّموا أعمالاً ولهم على أعمالهم العظمى مقام عند الله، فلكل واحد منهم صلوات الله عليهم أجمعين مقام على حسب ما قدم من عمل، مقامهم وعملهم معلوم عند الله وعند بعضهم، فهم لم ينقطعوا عن الله، كذلك أهل التقوى، وغداً كل إنسان ستكون أعماله ظاهرة مكشوفة له وللخلائق جميعاً.

165- ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**﴾: لا فعَّال غيره سبحانه، هذه النجوم العظيمة من صفَّها بالسماء ورتَّبها ويحملها ويحرّكها ويمدّها، فكِّر بهذا لتؤمن بلا إلَه إلا الله. حين يتوصَّل الإنسان إلى عقل كلمة لا إلَه إلا الله يتوصل إلى من يسيّر هذه النجوم.

ببداية السورة: {**وَالصَّافَّاتِ صَفّاً**}: وهي النجوم التي تنظم سير الكون وتصفّه من قمر وشمس وأرض.. فالنجوم والكواكب هي المسؤولة. أما في هذه الآية فإن الله تعالى يوضِّح لنا: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**﴾: أي بالحقيقة فإن الله تعالى بأسمائه الحسنى الذي ينظم ويصفّ الكون بما فيه، فهو تعالى المسيِّر المنظِّم لهذا الكون وهذه حقيقة لا إلَه إلا الله. يقولون أن النجوم لها فعل كذا وكذا... وبالحقيقة: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**﴾: لا إلَه إلا الله.

166- ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾: لك يا إنسان بأن الفعَّال هو الله. الله سبحانه يتجلَّى عليك وعليها بأسمائه الحسنى والكلّ يسبح بفضله وإنعاماته. إن وصلت ترى أنَّ الله يسبّح.

﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾: قال تعالى: {**وَالصَّافَّاتِ صَفّاً، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً**}: أي إذا فكَّر الإنسان بالصافات صفاً: بسير الكون وانتظامه شاهد لا إلَه إلا الله {**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**}، عندها: {**فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً**}: تزجره هذه الآيات فلا يعود يتجرَّأ على المعصية "يستقيم" حيث أنه شاهد ربه قريباً منه فما عاد يعصيه "انزجر"، فهذه الآيات تزجره زجراً عن المعصية، وهنا يوضِّح لنا الله تعالى حقيقة ذلك بقوله الكريم: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾: أي أن الذي سبَّح لهذا الإنسان نفسه في هذا الجلال الإلَهي وأشهدها ملكوته تعالى حتى انزجرت إنما هو الله تعالى، والحقيقة ما كانت لتنزجر وتستقيم لولا هذا التسبيح، ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾: فالله تعالى هو الذي يُشهد النفس ما يُشهدها ويُعطيها ما يُعطيها لتستقيم على أمره سبحانه وتعالى، عند هذا {**فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً**}: عندها تصفو نفس هذا الإنسان لسماع الحق، لسماع الذكر.

167- ﴿**وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ**﴾: يضعون لأنفسهم تبريرات.

168- ﴿**لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ**﴾: قالوا الوحي نزل على رسول الله وأصحابه ولم يتنزل علينا نحن. لو كنا مثل أولئك الذين اتَّبعوا الأنبياء أو كانت بيئتنا مثل بيئتهم لكنَّا مثلهم وعباداً صالحين.

169- ﴿**لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾: قالوا عن رسول الله ﷺ: أنه حين يتكلم بالوحي لا يخطئ، ونحن لو نزل الوحي علينا لكُنَّا مثله أنبياء فهو لا ميزة له علينا. هذا ما وصلوا إليه بعلومهم، لو كانوا مؤمنين ما تكلّموا عن رسول الله ﷺ بهذا الكلام، ولعرفوا مكانته وسُموَّه وأنه ﷺ معصوم لا يخطئ.

170- ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾: لذلك كفروا به، كفروا بدلالته وبيانه. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: سيعلمون غداً أن ما تكلموا به على رسول الله ﷺ وما وصفوه من صفات لا تليق به إنما هي صفاتهم وضعوها ونسبوها له، لذلك وبهذا القول صاروا أحط الخلائق مذلولين.

سورة الصافات: [171-180]

171- ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾: الحق لابدّ وأن ينتصر ويظهر ويسود في العالم وهذا الشيء لابدَّ منه في زمن سيدنا عيسى عليه السلام حين مجيئه في المرة الثانية، فلابد أنَّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون، سيدنا عيسى، سمَّاه الله تعالى "المسيح" لأنه سيمسح الكفر من الأرض[17]

172- ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾: النصر لهم ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[18]

173- ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾: وكذلك المؤمنون سيكون لهم الغلبة والنصر على الكافرين بمعيته عليه السلام.

174- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: اتركهم حتى يحين الوقت، لذلك هاجر ﷺ من مكة إلى المدينة. ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: حتى حين ترى هلاكهم، لحين العودة والنصر.

175- ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: لكن بيِّنْ لهم ما سيؤولون إليه من مصير، دُلَّهم وبَيِّنْ لهم، تابعهم بأنظارك فهناك أناس عندهم الإمكانية للسير بالحق والإيمان. ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: هزائمهم، سوف يرون ما يوعدون، سيرون نتائج كفرهم وتكذيبهم وستعود عليهم، شاهدوا النتائج في غزوة بدر وغزوة أحد والخندق وزعماؤهم قتلوا.

176- ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: يستعجلون الهلاك بالمعاصي ويريدون قتلك والتخلص منك، عادوك وخالفوك من أجل شهواتهم ومعاصيهم وبهذا يستعجلون البلاء عليهم.

177- ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾: العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ﴾: تستاء نفوسهم لـمَّا يروا أعمالهم الخبيثة، هزائمهم عادت عليهم بالسوء. ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾: الذين سمعوا الحق وما ساروا به، حين الموت ينزل العذاب بهم حينما تنكشف لهم الحقائق، فيأتيهم الشجاع الأقرع وهو مَلَك، يأتي حسب أعمال الإنسان وعلى صورتها، سمي بالثعبان الأقرع أو الشجاع الأقرع لأن هذا المعرض كان بالدنيا شجاعاً في الوقوع في المحرمات والآثام، فالله سبحانه أمره بأوامر فعصى وما طبّقها، ما سأل عن ربِّه، صار يقتل ويعتدي ويفعل ما يشاء ويظن أن له فعلاً وحولاً وقوةً، ويقول للناس افعلوا كذا وكذا وكل ما تفعلونه برقبتي. أقرع: من التقريع، أي: حين يشاهد عند الموت عمله السيِّء الذي قام به في الدنيا هنالك يُقرِّع نفسه لأن فطرة الكمال رجعت إليه ولم يبقَ بنفسه شهوة، فيأتيه الملك بصورة عمله ويقرِّعه فيعتريه "هذا المعرض" رعب هائل كبير، ويظل هذا الملك يعالجه بهذا لينسيه ما هو فيه من أحوال أشدّ هولاً ورعباً إلى يوم القيامة، وكل هذا إنما هو رحمةٌ من الله تعالى وتخفيفٌ على هذا المعرض مما حلَّ به من أحوال لا تطاق، وهذا حال كل إنسان ليس له إيمان ونور وليس له إمام.

178- ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: بصلح الحديبية رسول الله ﷺ قبل معهم بكل ما وضعوه من شروط وهو منتصر. الآن لا تأخذ مكة لأن فيها أناساً سيصبحون مؤمنين.

---

[17] للمزيد لطفاً انظر كتاب (السيد المسيح رسول السلام يلوح بالأفق) للعلاّمة الإنساني محمد أمين شيخو قدّس سره.
[18] سورة المجادلة – الآية:21.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: بعد الموت، اتركهم لا تتوجَّه لهم بأنوارك يا محمد فلا فائدة من هذا ولابدَّ لهم من العلاج والدواء والعذاب لنجاتهم. ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: من القبر ليوم القيامة لا تلتفت إليهم، لحين يمكن إنقاذهم والتفاتهم إليك أنا أخبرك بهذا.

179- ﴿وَأَبْصِرْ﴾: الآن النتائج، جاءت الآية الكريمة: ﴿وَأَبْصِرْ﴾ مقتصرة عليه ﷺ ولم تأتِ (أبصرهم) فهي لم تشملهم ذلك أنهم وقبل موتهم كان عندهم القابلية في التغيير والتوبة والنجاة أما الآن "بعد الموت" فلا يستطيعون، فهو ﷺ وظيفته دائمة وليس له حاجة بهم. ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: العذاب، نصرُك عليهم لابدّ منه.

180- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾: يا محمد. ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: لابد من نصرك عليهم. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: بألسنتهم وكتبهم، ما قالوه عنه ﷺ من أنه أخطأ وأنه سُحر وغير ذلك.

سورة الصافات: [181-182]

181- ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾: سلام عليهم من كل سوء، الأمان عليهم مثل سيدنا يحيى وسيدنا يونس عليهما السلام فلم يصبهم شيء، كذلك كل من آمن معهم من المؤمنين محفوظون بمعيَّتهم فلا يُصيبهم السوء.

182- ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: يُحمد الله على كل ما يسوقه ويرسله للإنسان من مرض وفقر وإحسان وغيره.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة صٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة صٓ: [01-10]

1- ﴿صٓ﴾[1]: يا صادق، كل الخلق عاهدوا الله سبحانه وتعالى في الأزل على أن يصدقوا في حمل الأمانة وكان رسول الله سيد الصادقين، بالأزل صدق رسول الله ﷺ مع الله صدقاً هائلاً فاق البشرية به وأقبل عليه سبحانه ووصل سدرة المنتهى، أي: المكانة التي لم يصل إليها أحد، ولـمّا جاء للدنيا صدق ووصل في صدقه مع الله فيها كمثل صدقه في الأزل لذلك أعطاه الله ما أعطاه، ونال من ربِّه ما لم ينله أحدٌ من الله، ووصل في الحياة الدنيا لسدرة المنتهى، ومن محبّته لله أحبَّ خلقه سبحانه ورمى بنفسه عليهم لهدايتهم، ووظيفته بهذا الصدق العظيم مستمرة أبد الآباد. لذلك خاطبه الله بهذا الخطاب يا صادقاً معنا في حبّنا ويا صادقاً بعطفك على خلقنا أجمعين "رحمة للعالمين"، فالصدق أساس، ولن يصدق الإنسان بطلب ربِّه والإيمان به إلا إذا فكَّر بالموت وتيقَّنت وخافت نفسه منه عندها يصدق.

ولكن من أين أتى ﷺ بهذا الصدق الذي تميّز به عن الخلائق أجمعين؟

ذلك لأنّه قدّر إكرام ربّه وإنعامه وفضله منذ الأزل، إذ رأى أن الله يعطي وليس بحاجة لأحد، واستجاب لربّه بكل طاقاته نتيجة تقديره إكرامه وإنعامه تعالى، وظهر ذلك في الميثاق "ألست بربكم؟"، فقد استغرق في بحور الحضرة الإلَهية وخلّف كل الخلائق وراءه، وسما وعلا حتى صار بالأفق الأعلى.. فصدقه ﷺ وغيرته على الخلق غلبت وجمعت كل صدق الأنبياء والمرسلين والعالمين، فهذا الصدق جاء من اندفاعه من ذاته ﷺ من تقديره لعطاء الله وفضله وإحسانه وإنعامه، فلذلك تميَّز بهذا الصدق.

﴿**وَالْقُرْآنِ**﴾: دليل صدقه ﷺ أن الله أنزل عليه القرآن، أي وهذا القرآن يشهد بصدقك، فمن رحمته وحنانه بالخلق جميعاً ولّاه الله أمور عباده، حيث بصدقه جمع صدق الكلّ من رسل وأنبياء وصالحين وزاد عليهم، لذلك جعل الله سبحانه دلالة خلقه وعطاءه تعالى لخلقه عن طريقه ﷺ، فأنزل عليه هذا البيان "القرآن" الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، أظهر به سبحانه صدق رسوله وأحواله وأقواله وأعماله ومحبته لله وللخلق ولعمل الخير والإحسان. الله تعالى يكلِّم البشرية عن طريق رسوله ﷺ بالقرآن، القرآن: كلام الله، عندما انقطع الناس عن الله صار الرسول ﷺ يكلِّمهم بالقرآن، فإذا التفتوا إليه بالتقدير تفتَّحت منهم البصائر ورأوا ما في القرآن من حقائق. ﴿**ذِي الذِّكْرِ**﴾: إن قرأته أيها الإنسان تتذكر أسماء الله الحسنى وأن محمداً صادق، حيث بتوجه الإنسان لصاحب القرآن رسول الله ﷺ تنزاح الحجب عن نفسه فتتذكر النفس وتشاهد، تتذكر الأزل وعهدها مع الله وتشاهده، وتتذكَّر الجنة التي كانت فيها فترجع لها ومن ثمَّ جنات متتالية، وتتذكر المسؤولية الملقاة على عاتقها وأنها حملت الأمانة، فهل وفَّت؟ وتتذكر الآخرة وما فيها ولا تستطيع بعدها اقتراف أيَّة مخالفة، لأنها أصبحت ترى ما نتائج المعصية عليها، ترى النار والسموم التي فيها... كل ذلك تراه بواسطة رسول الله ﷺ

---

[1] في الكتابة تُستخدم الرموز وأحرف بدايات الكلمات ففي مجال الجيش مثلاً يُقال (م – ط) أي سلاح مضاد طيران ويُقال (م – د) أي مضاد دبَّابات كذلك في الجامعات يرمز بحرف (د) إلى من نال درجة الدكتوراه... وهنا بهذه السورة حرف (ص) المخاطب به رسول الله ﷺ.

لأنه هو خليفة الله وهو المتكلم بلسان الله. كما حدث للسحرة مع سيدنا موسى عليه السلام حين توجَّهوا إليه فشاهدوا كل هذا.

2- ﴿**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: الذين ما فكروا وما آمنوا، الذين ما قدَّروا رسولهم وعلومه وبيانه هؤلاء ﴿**فِي عِزَّةٍ**﴾: معتزُّون بما لهم من شأن دنيوي واختراع، لذلك كفروا به ﷺ وبدلالته، عزّة إبليس {**أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ**}[2]، فقد تكبَّر على سيدنا آدم، وسيدنا آدم أراد أن يرجعه للجنات وأعاده لكنه هو تركها، وكذلك هؤلاء. ﴿**وَشِقَاقٍ**﴾: ثم الكافرون مستكبرون عنك بعد هذا العلم والبيان ومنشقُّون، أصبحوا خصوم الحق وأعداءه، وقفوا ضدَّ رسول الله ﷺ وبدأوا يقاومونه، وبهذا تراهم دائماً بالهمِّ والضيق والشقاء والضنك رغم كلِّ تنعّمهم بدنياهم، كذلك هم أيضاً بشقاقٍ مع بعضهم متفرّقون متباغضون.

3- ﴿**كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: أهلكناهم لـمَّا استحقوا الهلاك، أهلكناهم بأعمالهم السيِّئة وتكذيبهم ومعاداتهم لرسل الله، فبهذا أصابهم الهلاك. أنتم لا تكونوا مثلهم، لقد حكموا على أنفسهم بالهلاك وستأتيهم الساعة الكبرى ويخسرون الدنيا والآخرة. ﴿**مِنْ قَرْنٍ**﴾: من أقوام هم أشدُّ منهم قوة وحضارة، هؤلاء قرَّنت نفوسهم في الشهوات بقوة، لا يريدون إلا الحياة الدنيا، ومن أجلها بنوا حضارات قوية دامت قرناً، أي: مائة عام، كذلك قومك وحضارتهم {**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**}[3]، الحقائق لا يعرفون منها شيئاً. ﴿**فَنَادَوْا**﴾: لما حلّ بهم البلاء، والموت نادَوا يا الله خَلِّصنا، لكن دعاءهم غير مستجاب، وليس هناك من مهرب. عند الموت ذهبت الشهوات وظهرت الحقائق. بالدنيا ما التجأوا إلى الله، فقط حين أتاهم الهلاك نادوا واستغاثوا بالله وطلبوا العودة للدنيا.

﴿**وَلَاتَ**﴾: لو أنَّهم نادوا بالحياة لاستجاب لهم تعالى، ذلك لأنه بإمكانهم التغيير والتوبة وعمل الصالحات ليصبحوا من أهل الجنَّة، أمّا هناك وبعدما خسروا كل شيء لم يعد ثمَّة أمل يُرتجى، إذ أنهم بالحياة الدنيا ما صَدَقوا، وذهبوا عنها خاسرين ولم يعد هناك مؤهلات الاختيار والأعمال، مثل فرعون عندما ذهبت الدنيا عنه نادى فهل صار من أهل الجنة؟ أم أنه بالعذاب ولم يستفد، كمثل طالب بعدما انتهى الفحص ورسب، قال الآن أريد أن أنجح! قال تعالى: {**وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**}[4].

فهذه الفرصة "فرصة الدنيا" لا تُعاد ولا تُكرر مرَّة ثانية حيث لا فائدة لهم من الرجوع إليها، ولو رجعوا فسيعودون لإعراضهم، كذلك لو أبقاهم الله في الدنيا ولم يهلكهم فلن يستفيدوا شيئاً وسوف تزداد شرورهم ويزداد إجرامهم بحق أنفسهم لذا فهلاكهم خيرٌ لهم من بقائهم في الدنيا.

﴿**حِينَ مَنَاصٍ**﴾: لكن هيهات هيهات، نفوسهم بدل أن تزداد نوراً على نورهم الأزلي الذي نالوه من ربهم بالأزل، لكنها على العكس من ذلك فقد ناصت وانطفأت وبالبرزخ ليس لهم نور، أضواؤهم بالقبر أضواء نيرانية، لأنَّهم غاصوا بالظُّلمات وغرقت نفوسهم ولم يعد لهم أنوار. هؤلاء المعرضون ينادون وهم لا يرون الله، فمن ينادون! وبمن يستجيرون؟! لقد ضيَّعوا كل شيء، ولو ردّوا إلى الدنيا لعادوا لعنادهم.

4- ﴿**وَعَجِبُوا**﴾: تحقَّقوا من رسالته بتفكيرهم وشاهدوا بأعينهم كماله ﷺ وأعماله العظمى لكنّهم لم يعبؤوا، ما طلبوا الله والإيمان به، فضَّلوا الدنيا وشهَواتها على الآخرة وجنَّاتها، وغيرهم أنكروا

---

[2] سورة ص – الآية:76.
[3] سورة الروم – الآية:7.
[4] سورة الأنعام – الآية:28.

رسالته ظنّاً منهم أنَّ الله لم يعد يُرسل عظماء، قالوا العظماء بالماضي فقط. ﴿**أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ**﴾: رجلٌ من بينهم. ﴿**وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ**﴾: قالوا هذا لأنَّهم بجلوسهم معه ﷺ كان يحصل لهم أحوالٌ قلبيَّةٌ، ويتحوَّل شقاؤهم وضيقهم إلى سعادةٍ يعيشون فيها، الإنسان ما لم يصلْ لربه ويؤمن به تبقى نفسه بعللها وأمراضها، فيأتيها الشقاء مما بها ومن سيِّئ أعمالها. هؤلاء بجلوسهم معه ﷺ وبتوجّهه إلى أنفسهم بأنوار ربِّه تشفى نفوسهم من عللها وأمراضها وتتبدَّل بالصحة والسعادة، لذلك قالوا عنه ساحر! لكن هل الساحر يدعو إلى الله؟

الساحر يدعو لنفسه لا إلى الله والإيمان به، وهو ﷺ لم يدعُ لنفسه بل دعا لله. ﴿**كَذَّابٌ**﴾: كل هذا عزوه للشياطين لأنَّهم ما فكروا، وبذلك كذَّبوه وقاوموه، اتَّهموه بالكذب بكل ما جاء به من علوم وبيان لأن معتقداتهم ومبادئهم ظهرت تافهة سخيفة أمام بيانه وعلومه، لذلك اتهموه بالكذب، وادَّعوا أنَّ له هدفاً وغايةً من وراء دعوته وسيحققها على أكتافهم، لذلك حاربوه.

والحقيقة أن السَّبب في قولهم هذا: ﴿**سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾، أنَّهم لا يريدون أن يؤمنوا.

5- ﴿**أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾: قال لهم ﷺ "لا إلّه إلا الله"، يده تعالى مسيّرة للخلق جميعاً لكن حسب اختيارهم وعلى مستحقِّين مثلهم، وهو سبحانه الفعّال لما يريد ويشاء ولما فيه خير الإنسان ولا ظُلم بهذا الكون، أثبت لهم ذلك بالأدلَّة والبراهين، ورغم ما بيَّنه لهم ﷺ من العدل الإلّهي في هذا الكون أنكروا بيانه وقالوا كيف لا ظلم والواقع أمامنا نراه... نرى ظالماً ومظلوماً، فردَّ عليهم ﷺ المظلوم ظالم ولولا ظلمه لغيره لَمَا جاء أحدٌ وظَلَمَهُ، ولولا أنه استحقَّ هذا لَمَا أصابه شيء من مكروه.

لم يسمعوا منه ﷺ، اتبعوا كُبراءهم وهم سائرون على كلام آبائهم وأجدادهم وما ورثوه منهم، قال لهم رسول الله ﷺ: لا نسير إلا بالقرآن كلام الله، السير عليه فقط وليس على كلام غيره وأن تجعلوهم آلهة لكم تسيرون على كلامهم وهو ليس من القرآن في شيء. فلم يتخلّوا عن كلام أجدادهم وما ساروا معه بالحق والقرآن، وأعرضوا عن الله وعن رسوله.

﴿**إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾: وغيرهم من الذين كفروا تعجَّبوا من بيانه ودلالته، قالوا جاء بأشياء عجيبة ورهيبة لم يستطع أحدٌ أن يأتي بمثل ما أتى به، كلُّها منطقيَّة ولا أحد يستطيع الردَّ عليها. لكنه لا يوافق هواهم إذ لا يريدون إلا الدنيا لذا...

6- ﴿**وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ**﴾: أصحاب السلطة والجاه والمال، الزعماء، أرذلهم، المترفون بالدنيا وشهواتها. ﴿**أَنِ امْشُوا**﴾: بطريقكم، امشوا على ما أنتم سائرون عليه الآن من علومٍ وشهواتٍ ومعتقداتٍ. ﴿**وَاصْبِرُوا**﴾: قالوا هذا لأنه ﷺ أقام الحجَّة عليهم وبيَّن لهم كل شيء، بيَّن لهم الحقّ ظاهراً جلياً ومع ذلك كابروا، عرفوا الحقّ وانحرفوا عنه. ﴿**عَلَى آَلِهَتِكُمْ**﴾: هذه عبادة الأصنام، استبدلوا بالصنم الثابت أصناماً أخرى كحبِّ النساء والأولاد والمال. ﴿**إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**﴾: لابدَّ وأنَّ له غاية في هذه الدعوة، قالوا هذا تبريراً لأنفسهم ولأعمالهم. كلّ البشر سائرون على خلافه. هل كلُّهم على خطأ وهو وحده على صواب؟! كل الناس تريد هذا الشيء الذي نحن نريده.

7- ﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآَخِرَةِ**﴾: الملل الدينية مثل اليهود والنصارى وغيرهم، وهذا تبريرٌ ثانٍ، قالوا: اليهود دينهم سماوي ولهم كتاب وهم مؤمنون بالآخرة والسؤال وبالجنة والنار ومع ذلك فهم يرابون ويعملون بالأموال والفائدة وليسوا مثله، كذلك النصارى فرجال دينهم سهَّلوا لهم أمور الدين من اختلاط وربا وغير ذلك، والكلّ ليسوا مثله!

﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**﴾: هذا التشديد وهذا الكلام والبيان من عنده وليس من عند الله، على الرغم من أنه لم يدرس، فقد اختلقه من أفكاره، لأنه ذكي عبقري تفوَّق على زمانه، يأتي بأمورٍ لا يستطيع أحد

الإتيان والقيام بها. ظنُّوا أن الأمور شكليَّة ولم يعرفوا أنها حقائق يعيشون فيها، وبهذا أضاعوا الجنَّات في الدنيا. وإذا أضاعوها هنا فسوف يضيعونها هناك بالآخرة. لم يوفوا بالعهد..

8- ﴿**أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا**﴾: ألم يجد الله عظيماً من القوم سواه! هو واحد منَّا ولم يتعلَّم العلوم مثلنا ولم يدرسها ولو أن هذه العلوم التي أتى بها هي من عند الله لأنزلها علينا نحن الذين تعلَّمنا ودرسنا.

غيرهم قالوا: هو ليس من أمَّة عظيمة قوية لها حضارة ولا هو من الفلاسفة والعلماء والحكماء بل هو أُمِّي فكيف يختار الله رجلاً أُمِّياً من بين هؤلاء العظماء؟! قالوا هذا وهم لا يعرفون معنى كلمة أمِّي وإنها مديح من الله له ﷺ؛ بأن كل الرسل والأنبياء والأتقياء وأهل الإيمان إنما هم آمون إليه بعلومهم وجناتهم ومعارفهم. كذَّبوا به شرقاً وغرباً.

﴿**بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي**﴾: هكذا أجابه الله تعالى، قال له: إنهم في شكٍّ من لا إلّه إلا الله، يشكُّون بأسمائي وإني عليم حكيم أعطي كل ذي حقٍ حقَّه، هذا الشكّ والتكذيب بي، فأنا ربّهم وهذا كلامي وليس الشكّ بك، فهم غير مؤمنين بي وأني سأحاسبهم، رأوا الكون بيت ليس له صاحب فراحوا يحقِّقون شهواتهم وانحطاطهم وإجرامهم فيه. ﴿**بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ**﴾: مساكين، لا يأتون للحقّ إلا عن هذا الطريق، طريق العلاج والشدائد والمصائب والأمراض عندها يعرفون كل شيء ويقرُّون به، وإن لم يرجعوا فعند الموت يعترفون ولكن ما الفائدة من إيمانهم عندها واعترافهم: {**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً**}[5].

9- ﴿**أَمْ عِنْدَهُمْ**﴾: هؤلاء الذين يدَّعونهم آلهة، الذين ساروا معهم وتركوا الله من أجلهم، هل يملكون لهم الخيرات؟ ﴿**خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ**﴾: هل عندهم الأمطار والهواء ويخرجون لهم الثمار والطعام حتى لحقوا بهم وتركوا الله؟ كذلك خزائن الله نفس رسوله ﷺ وما يُنزِّل بها سبحانه من أنوار وجنات وعلوم، فرسول الله ﷺ قال: **"الله المعطي وأنا القاسم"**[6].

الصحابة عندما التفتوا للرسول نالوا خزائن رحمة ربك وهدوا الأمم إليها فكانوا يسيرون بالحقائق، فهل عند الكفرة ما عند الرسول ﷺ؟! ومشى فيه الصادقون أصحابه فانكشفت لهم الحقائق والآخرة والعهد. هل الكفرة يستطيعون أن يُشهدوا أتباعهم هذا الشيء باللذائذ التي لديهم "بهذه الفواحش والتعدي والأذى"؟ وهل أعطى الله غيرهم من الذين يدَّعون أنهم مرشدون لله أم أعطى رسوله! هل وصلوا للإيمان بالله تعالى وشاهدوا أسماءه الحسنى وآمنوا بها حتى جعلوا أنفسهم مرشدين؟! فكيف يستطيعون أن يَصِلوا بغيرهم إلى الله وهم لم يَصِلوا إليه تعالى ولم يُصلُّوا الصلاة الحقيقية؟ أمَّا إن التفت الناس لرسول الله ﷺ فإنه يوصلهم بالله ويصِل بهم إلى الجنات والنعيم والأنوار.

﴿**الْعَزِيزِ**﴾: كل الخير منه سبحانه ينزله على رسوله، وهو الذي وهبه هذا الفضل بأعماله وتضحياته وإيمانه وجهاده، فالله تعالى أعطى رسوله ﷺ عطاءً لم يعطه لغيره أبداً، أعطاه الأنوار والجنات، وهم ليس لديهم هذا بل هم في الظلمات لأنهم ما عظَّموا ربّهم وما آمنوا به، بل عظّموا بعضهم وعظَّموا أصحاب العلوم والحضارة والانحطاط.

---

[5] سورة الأنعام – الآية:158.

[6] حديث شريف

﴿**الوَهَّابِ**﴾**:** الله تعالى عطاؤه ليس مشروطاً بل بالإحسان دون مقابل، فليلتفتوا إليه تعالى ولرسوله ﷺ يعطِهم جنَّاتٍ لا نهائية، فهو سبحانه الوهَّاب المنَّان.

10- ﴿**أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾**:** هل هم خلقوا الشمس والقمر، هل يسيّرون هذا الكون العظيم؟ هؤلاء شاهدوا لأنفسهم حولاً وقوة وظنُّوا أنهم مالكون لهذا الكون وأن الطاقات والقدرات عندهم وبيدهم، إذاً إن كانوا كذلك فليرونا ما هم صانعون: ﴿**فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ**﴾**:** هم طالبون الرقي إذاً ليخلقوا كوناً ثانياً أفضل من هذا وليأتوا بغلال أحسن وأفضل مما يخلقه الله لهم، ليخلقوا خليَّة ويضعوا الحياة بها، إن كان بيدهم أن يفعلوا شيئاً في هذا الكون من تسيير وخلق فليُرونا. فليمسكوا بزمام الأمور بدل الله في تسيير وخلق هذا الكون وإمداده... عندها نصدِّقهم ونسير معهم. أم أنهم غداً سيموتون وسيذهبون إلى جهنَّم فهل يردُّون عن أنفسهم شيئاً؟! وهل يردُّون عنَّا إن أوردونا هذه الموارد؟! هل يوجد أحد يفكِّر بذلك؟ ما زالت تملكهم الأهواء الإعراضية، عندما أعرضوا عن الله تعالى، ويظنُّون أنها كل شيء وبعد قليل يجدونها سراباً، عند الموت لا يبقى لهم شيء.

إن كانوا على حق ليصلوا للسعادة والجنات. لماذا هم بالشقاء والآلام والإجرام؟ رسول الله ﷺ يوصلهم للسعادة ولله سبحانه وذلك إن التفتوا إليه ﷺ.

سورة صٓ: [11-20]

11- ﴿**جُنْدٌ مَا**﴾**:** هذه الكلمة للتحقير، فقدوا قيمتهم بعدم تفكيرهم. إن هم إلا آلات تنفذ ما يُملى عليها، وليسوا إلا فئة من هؤلاء الأحزاب الذين كذَّبوا الرسل. الجندي دائماً تحت الأمر وينفذ دون تفكير، وإذا الإنسان ما فكر ليس بإنسان، هؤلاء عبيد لشهواتهم، الشهوة أعْمَتهم وأصمَّتهم عن الحقيقة ورؤيتها ومنعتهم من التفكير، لذلك انحطَّت قيمتهم عند الله وعند الناس.

﴿**هُنَالِكَ**﴾**:** لما تركوا التفكير ابتعَدوا عنَّا "عن الله تعالى" وعن رسولنا الكريم وعن أهل الحق. ﴿**مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ**﴾**:** هُزِمُوا لأنهم من الأحزاب، أي متفرِّقون فيما بينهم متباغضون بعضهم مع بعض. هؤلاء الذين يقاومونك هم جند لا قيمة لهم وسيكون حالهم مثل حال جندي فارٍ من الحرب، لابد أن يحصل هذا الشيء وسيُهزمون ولابد أن يعلو الحق وستشاهد هزيمتهم، فهؤلاء سيأتيهم العلاج والشدائد وستنزل بهم كيفما وأينما تحرَّكوا. طالما جعلوا أنفسهم آلهة فليَرُدّوا عن أنفسهم أو غيرهم. من هم هؤلاء الأحزاب؟

12- هذه الأقوام الماضية وما حدث معها يشابه ما يحدث بهذا الزمان لذلك ذكرها الله تعالى لنا: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ**﴾**:** المؤمنون الذين كانوا بزمنه أقلَّة وبزمانك كذلك المؤمنون الذين معك أقلَّة، لكن وإن كانوا أقلة وأهل الكفر كثر فالنصر لكم كما نصر الله نوحاً والمؤمنين بزمنه عليه السلام. لقد بعث الله الطوفان، وهكذا سيأتي بلاء عام كما جاء قوم نوح.

﴿**وَعَادٌ**﴾**:** كانوا أشدَّ من قومك وأقوى والله دمرهم ونصر المؤمنين ﴿**وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ**﴾**:** ذو القوة الراسخة، ذو البأس والسلطان، كانت دولته قوية ضاربة وحضارته عظيمة وقبورهم "الأهرامات" تدلّ على عظمتها، ورغم ذلك ذهبوا وأُهلكوا وأورث الله الأرض المستضعفين من بني إسرائيل الذين آمنوا مع موسى عليه السلام.

13- ﴿وَثَمُودُ﴾: كذَّبت وقاومت رسولهم وكادت لقتله. ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾: كذلك بهذا الزمان انتشرت هذه الفاحشة[7] ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: أصحاب المزارع والفيلات والخمائل والديكورات، هؤلاء كذلك ما سمعوا من رسولهم. ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾: الذين تحزَّبوا لغير الحق، تحزَّبوا للباطل وما سمعوا من رسلهم وما أطاعوهم.

14- ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: فكلّ من سبق ذِكرهم من أقوام كذَّبوا الرسل، ألم يقل فرعون: **{ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى}**[8]. ألم يحاولوا قتل سيدنا عيسى عليه السلام، وقوم عاد عادوا رسولهم ولكنه انتصر عليهم، هؤلاء الأقوام ماذا كان مصيرهم؟ أنتم ألا تخشون ذلك المصير أم أنكم لا تموتون إن جاء البلاء؟! تعيشون أبداً! تكذيبهم سبب هلاكهم. ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾: جاءهم الهلاك بالماء والأعاصير والنار والزلازل، وقومك كذلك إن لم يرجعوا للحق ويسيروا عليه فستأتيهم الساعة كما أتت الأحزاب. كذَّبوا رسلهم ومع الرسل الحق، فجاءهم البلاء "يا لطيف" دنيا وبرزخ وآخرة.

15- ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾: الذين بزمانك. ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: ناداهم الله فما استيقظوا. عندما يموتون يناديهم الله تعالى، وتزول الدنيا وشهواتها. هنالك يسمعون الصيحة ولكن يكونون قد هلكوا. ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾: ستكون ساعة البلاء والهلاك عليهم أشدّ من كلِّ ما أتي على الأمم السابقة، وليس فوقها شيء يعلوها بالشدة والعظمة **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}**[9]. وهؤلاء قومك لن يستيقظوا بعد الموت على الجنات والنعيم وإنما على النار والعذاب.

16- ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾: قالوا: إن كان ما يقوله محمداً ﷺ صحيحاً فعجِّل عذابنا واقطعنا، وبهذا قطعوا آخر خيط عنكبوت بينهم وبين ربّهم، قرَّروا الكفر، لا يريدون إلا هذه الحياة الدنيا وملاذِّها، لا يريدون الجنة بالآخرة، يريدون تحقيق طلباتهم بالدنيا فقط وبمخالفة الله. قطعوا صلتهم مع الله بسبب ما قطن في نفوسهم من شهوات، هذا القول عملي؛ أعمالهم ومعاصيهم وارتكاباتهم تدلّ عليه، تدلّ على كفرهم بالآخرة وأنهم لا يريدون إلا الحياة الدنيا.

لم ينظروا لفقير أو مسكين بل العكس، فسادٌ وظُلمٌ وتعدِّي أفرادٍ على أفراد وأممٍ على أمم، هل هذا هو طريق الإنسانية، طريق الرحمة؟! بهذا السلوك تُنال الجنَّة!

17- ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: اصبر على ما يتقوَّلونه عليك من أقوال، ليقولوا ما شاءوا، وقد قالوا عنه ﷺ الكثير، قالوا أنه سُحِرَ من قبل بنات لبيد اليهودي، وأنه أخطأ، وأنه أحبَّ النساء كما ورد زوراً في قصة زينب عليها السلام وهو ﷺ براءٌ من كل ما نسب إليه.

الحقيقة أنهم عندما طلبوا الدنيا يريدون شهواتهم فقط ولا يريدون الآخرة، والسبب في ذلك إنكارهم ليوم الحساب، منكرون للقيامة "مَنْ مات ورجع؟" لذلك خاطب الله تعالى رسوله طالباً منه الصبر: **{اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ}**.

لكن ما هو الربط بين الساعة وذكر سيدنا داوود؟!

الحقيقة أن هذا الذكر: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: بشارة لرسول الله ﷺ في ظهور الحق وهيمنته على الكون. فلقد جاءهم سيدنا داوود وكان حال وواقع "أصحابه" بنو إسرائيل: **{أُخْرِجْنَا**

---

[7] فلقد انتشرت هذه الفاحشة الآن وأخذت رخص رسميَّة في بعض البلدان.

[8] سورة غافر – الآية:26.

[9] سورة الحج – الآية:1.

مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا}[10]: تشرَّدوا وباتوا أذلّاء... ولم يعد لهم وجود أبداً. فهل هناك أذلّ من أولئك، وعندما جاءهم سيدنا داوود وجمعهم تراجعوا وهربوا **{لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ}**[11]، وبالرغم من كل ذلك فقد نصره الله وأجرى الخير على يديه وآبت الخلق إلى الله بمعيَّته.

﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ**﴾**:** هذا الجبل الراسخ بالتقوى. وهذه بشرى لرسول الله ﷺ بالنصر حيث بزمن سيدنا داوود عليه السلام صارت نهضة إيمانية كبرى فالكلّ آمن معه، وأنت يا محمد ﷺ سوف يحدث لك هذا. ﴿**ذَا الْأَيْدِ**﴾**:** ذو العطاء وفعل المعروف، صارت له عليه السلام أعمال كبرى على يد أصحابه المؤمنين وحدثت فتوحات عظيمة، وأنت كذلك يا محمد سوف يؤمنون بك وستحدث الفتوحات ويعمُّ الإسلام وسينهار الكفر إلى يوم القيامة.

﴿**إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾**:** كانت له أعمال خيِّرة لأنه دائم الرجوع إلى الله، وكان عليه السلام يُؤوّبُ الخلق ويرجّعهم إلى الله والكل يؤوب إليه.

18- ﴿**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ**﴾**:** أولو الإيمان الراسخ القوي، أي: علماء عصره الكبار أهل الشهود واليقين هؤلاء كانوا مسخَّرين له، سخَّرنا معه رسلاً وأنبياءً لنصرته، فمن سيقاوم؟! وأنت يا محمد ﷺ كذلك سيحدث معك هذا.

كذلك سيدنا عيسى عليه السلام عند قدومه سيسخر له الله تعالى أمثال من سخَّرهم لسيدنا داوود عليه السلام، فالحق لا يُقام بالأوهام وعلى أولئك الناس النائمين بالشهوات وإلى الآن لم يخرجوا من أوهامهم وشهواتهم، وهم يريدون الخروج ولا يعرفون إلى ذلك سبيلاً، سبب ذلك ضعفهم الإيماني، ولكن غداً الله تعالى يُخرجهم. ﴿**يُسَبِّحْنَ**﴾**:** الخلق. ﴿**بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ**﴾**:** يدلون الناس على الله صباحاً عند الفجر ومساء حين المغرب والعشاء. علماء عصره يُعينونه على إرشاد الخلق.

﴿**الْعَشِيِّ**﴾: الأعشى، أي: الأعمى. المسلمون الضعفاء الذين لـمّا تتفتّح منهم البصائر تحصل لهم غفلة وانقطاع فيعشون لكنهم سرعان ما يعودون لرابطتهم مع رسول الله عليه السلام فيعودون للاستنارة، فهؤلاء الجبال أهل الإرشاد إذا الناس أعرضت وغفلت عن الله يُذكِّرونهم ويرجعون بهم إليه تعالى ليخرجوا من الظلمات إلى النور والاستنارة.

﴿**وَالْإِشْرَاقِ**﴾: ويزيدهم الله أنواراً وعطاءات بالصلاة، فتشرق نفوسهم بها. هؤلاء المنطقيُّون من الشباب مثل شباب رسول الله ﷺ وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً، طاقاتهم جديدة رهيبة لم يضيّعوها بالشهوات. بل صرفوها بكليَّتها للإيمان، عندها ما استطاع أحدٌ الوقوف بطريقهم، فالله تعالى أمدَّ تلك النهضة الإسلامية الكبرى بزمن سيدنا داوود عليه السلام وصار النصر على الكفر حليفهم في أقطار الدنيا كلِّها حتى صار اليهود أثناءها: **{خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}**[12] والحقيقة أنهم لم يرتقوا تلك المنزلة العالية إلا لأنهم آمنوا..

19- ﴿**وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً**﴾**:** ومَنْ دون هؤلاء العلماء، أولو الإيمان الصغير "عامّة الناس؛ عامّة المؤمنين" كلهم يهرعون بهداية الناس فالكل يعمل لصالح داوود عليه السلام، فصارت الجنة على الأرض. ﴿**كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ**﴾**:** راجعون إليه بالرأي والمشورة وإلى دلالته عليه السلام. كلّهم يدعون إلى الدين، للاستقامة والإحسان والفضل. هو عليه السلام أوَّاب إلى الله دائماً بكل أموره يرجع إلى الله

---

[10] سورة البقرة – الآية:246.

[11] سورة البقرة – الآية:249.

[12] سورة آل عمران – الآية:110.

وهم يَؤوبون له. يَؤوبون معه إلى الله فصاروا بالجنة والسعادة والله تعالى أنعم عليهم بطلباتهم بطريق عُلوي راقٍ.

هذه الآيات بشارة أن الحق سيظهر وترجع الجنة على الأرض فيحيا الناس حياةً ملؤها السعادة بتطبيق شرع الله، وطوبى لمولود ذلك الزمان.

20- ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ**﴾: ثبتناه وقويناه حيث الجميع آخذٌ حقَّه واستحقاقه، بعدله عليه السلام لم يبقَ عليه خوف من أحد، كذلك سرى حكمه على الأمم المجاورة وصار له الهيمنة والقوة عليهم بالحق. الله تعالى جعل ملكه أقوى مُلْك في العالم.

﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ**﴾: من كل أمر، عرف مراد الله من أحكامه ودلالته وخلقه، ويعلم التصرف الحكيم بكل شيء بالسياسة والحرب والعطاء وإعطاء كل ذي حقٍّ حقّه. ﴿**وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾: كلامه عليه السلام هو الحق لا يُناقَش، الكلام الفصل والحكم عنده. كلامه في أيِّ أمرٍ إنما هو الكلام الفصل الصحيح الكامل وما عداه خطأ لأن كلامه من حضرة الله.

سورة صٓ: [21-30]

21- ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ**﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ وهذا الخطاب لا يعني أن رسول الله لا يعلمها وإنما النبأ من أجل جماعته حيث صار عندهم إيمان وأهليّة ليشاهدوا هذه القصة، فرسول الله ﷺ لا يتكلم إلا عن شهود ولمن يستطيع الوصول إليه ولمن وصلوا للشهود من المؤمنين، وذكر الله تعالى هذه القصة مبشّراً رسوله الكريم بأصحابه الذين رقوا بالإيمان ووصلوا لهذه الدرجة العالية وإمكانية شهود هذه الآيات. ﴿**نَبَأُ الْخَصْمِ**﴾: الخصم الملائكة ومعهم شهودهم فترتيبه تعالى كامل، كل قضية يجب أن يكون لها شاهدان، لذلك جاءت كلمة: {**تَسَوَّرُوا**} بالجمع، أي: الملكان والشهود معهم.

﴿**إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**﴾: نزلوا على داوود عليه السلام، وكان لداوود يوم يختلي فيه مع الله ويوم للناس ويوم لأهله، فلما كان عليه السلام في المحراب "مكان محاربة الشياطين" ليردَّ وساوسهم التي يُلقُونها في صدور الناس أرسل الله له ملكين، ذلك ليُعلِّمه ويبيّن له أن الانصراف في محبَّة الله وعشقه عن النظر في أمور الناس لا يليق بمثله، بل يجب أن يكون مع الله ومع الناس بآن واحد.

22- ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ**﴾: دخلوا عليه مكان خلوته. ﴿**فَفَزِعَ مِنْهُمْ**﴾: عند نزول الملائكة عليه عليه السلام كان مستغرقاً بشهود عظمة الله وأسمائه الحسنى، وفجأة نزل عليه في مكان خلوته نفرٌ من الناس، فهذا الحدث حوَّله عن حال استغراقه العظيم بالله تعالى لذلك فزع، وهذا الخوف طبيعي ويحدث مع الجميع حتى الرسل والأنبياء لأن الخوف مركون بكل إنسان وهو أنواع، لكنه عند الرسل والأنبياء ليس خوف جبنٍ وإنما خوف احترازي ولأخذ الحيطة.

﴿**قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ**﴾: بالعدل. ﴿**وَلَا تُشْطِطْ**﴾: لا تطيل الشرح، لا تطيل الحكم بل اختصر. ولكن كيف تجرَّأت الملائكة على سيدنا داوود وخاطبته بهذا الخطاب وبصيغة الأمر وهو نبي مرسل وهم من جنوده؟ السبب إنهم مرسلون من الله والله سبحانه أمرهم بالتكلم معه بهذا الخطاب والملائكة {**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}[13].

[13] سورة التحريم – الآية:6.

وداوود عليه السلام لم يُعر هذا انتباهاً وتجاهل كلامهم فهو يريد الحكم بالقضية بسرعة ليرجع إلى الله ويلتفت إلى إقباله عليه تعالى، وهذا هو سبب سكوته عليه السلام لهم وعدم محاسبتهم، فهو عليه السلام حينها لم يكن قد عرفهم بعد أنهم ملائكة إذ جاءوه بهيئة بشر خصوم، فمن واجبه محاسبتهم كسلطان، فلا يجوز أبداً التطاول مع الحاكم السلطان إذ هذا يُضعف من هيبته وبالتالي من هيبة المملكة، فيجب محاسبتهم ولكن سيدنا داوود لم يفعل هذا، وكل أحداث هذه القصة تُظهر حبَّ سيدنا داوود العظيم لربه واستغراقه بالشهود والعشق الإلَهي. وأن الله يحب أن تؤتى عظائم الأمور ويكره سفاسفها، أي يا عبادي لا تهتموا بالأشياء الصغيرة "الدنيا" وتتركوا الأهم "الجنات والسعادة الأبدية". فالأمر واضح وبيّن وهذه الشهود أمامه. ﴿**وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾: إلى الحق.

23- ﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**﴾: يسرح بهن. ﴿**وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾: أسرح بها. ﴿**فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا**﴾: طلب أن يجعلها في كفالته. ﴿**وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾: عنَّفني ليمنعني، قال لي أني فقير، وبعدها أخذها مني وضمَّها إلى نعاجه.

24- ﴿**قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ**﴾: تعجّل داوود عليه السلام بحكمه ليلتفت إلى ربه، فالقضية كفالة وليست سلباً، الأخ قال لأخيه أنا أتكفَّلها لك وأنت اعمل عملاً ثانياً تعيش منه بدل أن تصرف كل وقتك على نعجة واحدة، ولك ما يأتي منها من صوف ولبن، وعند الطلب أعيدها لك ولا أريد أجراً لقاء خدمتي لك، فالأخ العاقل لا يترك أخاه في الخطأ بل يمنعه من الخطأ ويجبره إن لم ينصَع له. ﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ**﴾: المتشاركين في أمر. ﴿**لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾: لا يعطون حقَّ غيرهم ويسلب بعضهم بعضاً. ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: المؤمن لا يفعل هذا بل يُضَحّي بما عنده، المؤمن يعرف حقَّه ولا يطمع بحقِّ غيره. ﴿**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**﴾: لئن كان في زمن سيدنا داوود عليه السلام زمن النهضة الدينية نجد أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات قلائل فما بالك بهذا الزمان؟! ترى المسلم فيعجبك دينه حتى تحتكّ معه بالدرهم والدينار، وهنا يظهر معدنه وإيمانه أهو مؤمن صادق أم مسلم كاذب. الدين معاملة، يظهر صاحب الدين بالمعاملة. وبعدما حكم سيدنا داوود بينهم ونصحهم وأدى ما عليه من واجب ووعظهم، ثم لم يرهم إلا وطاروا أمامه، فعرف أنهم ملائكة، ورآهم بأنوارهم وجمالهم كالألماس، ففهم أن الله بعثهم لينبهه لأمر هام. ﴿**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ**﴾: أن في نفسه شيء فأخرجنا له هذا الشيء، إذ فُتِن بحب الله وهيامه فيه وساحت نفسه بجمال الله وجلاله. ظنَّ سيدنا داوود عليه السلام أن الله تعالى بيَّن له أنه لا يصلح للخلافة وليس هو بأهل لها وأنه تعالى سيسحبها منه، لأن مقام الخلافة يستوجب التفرّغ لشؤون الناس وله بقيام الليل مع ربه خلوة. لذلك: ﴿**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ**﴾: طلب من ربه أن يشفيه من هذه السهوة والعفو عنها، وأن يستطيع أن يجالس الناس ويعيش بأحوال كل واحد ويذوق آلامهم، فهذا الجهاد الأكبر بالنسبة للأنبياء، وأن يغمره دائماً بتوجيهه وهديه، فبيَّن له ربُّه أنه هو الأهل للخلافة لا سواه وإنما هذه الدنيا دار عمل وغداً في الآخرة التفرغ لي. ﴿**وَخَرَّ رَاكِعًا**﴾: خاضعاً بنفسه لأمر ربه، استعظم ربَّه على ما أرشده إليه ودلَّه عليه ولرحمته به وبعباده. استعظم هذا الأمر الإلَهي والترتيب الذي رتّبه الله له وأطاعه. ﴿**وَأَنَابَ**﴾: فلمَّا علم داوود أنه تعجل بالحكم ندم وعلم أن ما حدث إنما كان إظهاراً لما في نفسه وتعليماً، فرجع إلى الطريق التي يقتضيها مقام الخلافة، أعاد كل أيامه للخلق، فجلس في قضاء المصالح لا تصرفه وجهته لله عن خدمة الخلق "ولا خدمة الخلق" عن الوجهة إلى الحق.

25- ﴿**فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ**﴾: أزالها سبحانه وتعالى ومحاها من نفس سيدنا داوود عليه السلام. ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى**﴾: هذا الحب السامي لا نضيّعه له، سنعطيه إياه بعد انتقاله، الآن هو يضحّي من أجل الناس والله يعطيه درجات عالية وقرباً كبيراً بأعماله الكبرى العظمى التي قام بها. ﴿**وَحُسْنَ مَآَبٍ**﴾:

حسن رجعة إلى الله سبحانه. رجع بالجلال والجمال والبهاء والعظمة وبين يديه هداية الأمم ولا شائبة عليه.

ولكن كيف لم يكشف سيدنا داوود بنوره النبوي العظيم أن هؤلاء الخصم هم ملائكة مرسلون من عند الله؟ الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يُخفي أمراً عن رسله فمن يكشفه؟ فالنور منه سبحانه وتعالى ونور سيدنا داوود منه، فلَم يحوّل اللَّهُ نورَ داوود لهذه القضية ولهذا الاتجاه، حيث الخير الكبير في أن يجري تعالى هذا الدرس والتنبيه لسيدنا داوود عليه السلام ويلفت نظره إلى شيء عظيم.

26- ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾: مبلّغاً عني وحاكماً بين الناس. ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾: كن معي ومعهم. ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى**﴾: حبك لربك وانصرافك عن الناس، كل واحد يهوى شيئاً، فواحد يهوى الشيطان وآخر يهوى الله كهوى داوود عليه السلام العُلوي العظيم، وبهذا درس من الله لسيدنا داوود؛ أن هواه العُلوي هذا ليس وقته الآن إنما فقط بقيام الليل ثم بالآخرة. ﴿**فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: عن طريق إنقاذ عبادي من النار وهدايتهم. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ**﴾: من الناس. ﴿**عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: عن الله، فلا يؤمنون وهؤلاء من غير الأنبياء. ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾: النار لهم، لذلك عليك أن تَعجَل جاهداً لإنقاذهم وتترك هوى نفسك العالي. ﴿**بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾: هؤلاء نسوا الله ونسوا الآخرة وانشغلوا بالشهوات عنها، انشغلوا بالمال والبنين والنساء، لذلك اِلْحقْ بهم لتنقذهم من النار، دُلَّهم وبيّن لهم.

27- ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا**﴾: بغية الأكل والشراب والنكاح ومن أجل جمع المال، ليس من أجل هذا خلقناهما وإنما من أجل أن تفكروا بهما وتؤمنوا بالله.

﴿**ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: هذا ظن الذين ما آمنوا بالله، لا يعرفون إلا التمتُّع بالدنيا والأكل والشراب والنكاح. هم عاهدوا الله أن لا ينقطعوا عنه، وعندما جاؤوا إلى الدنيا انقطعوا فبعث لهم رسوله وبعث لهم تذكيرات وأرسل لهم علاجات، وأبوا إلا الدنيا، وهذه الدنيا نتيجتها الخسارة، خسارة الجنات حيث مشاهدة وجه الله الكريم، خسارة شأنهم العظيم الذي جاؤوا من أجله.

﴿**فَوَيْلٌ**﴾: لهم نار جهنم بعدها نار الله الموقدة. ﴿**ويل**﴾: (وي): كلمة للتعجب، هم يتعجّبون كيف خالفنا عهدنا وكم ولَّى عنا من خيرات. ﴿**لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**﴾: هؤلاء إن لم يؤمنوا بلا إلّه إلا الله ليس لهم في الآخرة إلا النار على ما تمتَّعوا به في دنياهم.

28- ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾: هل هذا منطق! وهل بهذا عدل أن نجعل المفسد الذي يؤذي البشر ويضلّ غيره ويتعدّى بالحرام، مثل الذي يصلحهم ويهديهم ويسعدهم ويصل بهم للجنات؟! هل نساوي بينهم بالدنيا والآخرة؟ ظنوا أن الأمور فوضى بلا حساب ولا عقاب فلا يهمهم إن نالوا الدنيا بالحلال أو بالحرام، ﴿**الْمُتَّقِينَ**﴾: الذين اتقوا الوقوع في المعاصي والفواحش والإجرام، عكس "الْفُجَّارِ": عميان القلوب. الذين فجروا بهذه الحياة الدنيا، أظهروا كفرهم وأجرموا بحق أنفسهم وبحق غيرهم، فهل نسوّي بينهم يوم القيامة؟!

29- ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ**﴾: هذا القرآن لتخرج الناس من الظلمات والشقاء إلى النور والسعادة. ﴿**مُبَارَكٌ**﴾: حاوي التوراة والإنجيل والزبور والصحف السابقة. كثير الخيرات، خيراته لا تنتهي. ومن سار بهديه ينال المكرمات في الدنيا ومن ثم في الآخرة، وبه ساد الصحب الكرام الأمم وصاروا ملوكاً من أجل أن يكسبوا أعمالاً كبرى من هداية وإنقاذ البشر لينالوا عليها جنات بالآخرة. ﴿**لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾: ليفكِّروا بها ويطبِّقوها. ﴿**وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾: الذين لبُّوا نداء ربهم بمعيَّة رسولهم، فكَّروا

وآمنوا فصلُّوا. ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾[14]. واستمراراً للنهضة الإيمانية التي حدثت بعصر داوود عليه السلام أرسل له سليمان، لذلك قال تعالى:

30- ﴿**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ**﴾: بسبب نواياه العالية والكثيرة لذلك وهبه الله سيدنا سليمان نبيّاً مرسلاً، فجمع الله في داوود وسليمان حبَّ الخير مع حبِّ الله، وهذه صفة المصطفى ﷺ كان فعّالاً للخير عاشقاً لله. ﴿**نِعْمَ الْعَبْدُ**﴾: أنعم الله عليه لِينعَم الخلقُ به بما أنعمه الله عليه من عطاءات وجنات. أنعمنا عليه بهداية الخلق على يديه، السبب: ﴿**إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾: راجع إلى الله بكل أمر، فلم ينقطع عن ربِّه، مثلما عاهد وفّى.

سورة صٓ: [31-40]

31- ﴿**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ**﴾: بوقت متأخر وقت العشاء، حيث جاءت الخيل من الجري والتدريب. ﴿**الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ**﴾: كان يُدرِّب الجياد "الخيول الأصيلة" فكان عليه السلام متلهِّفاً للقيام بالفتوحات من حبه لهداية الخلق.

32- ﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ**﴾: أحببت ردَّ الناس إلى الحق بإعدادي الخيل للجهاد ولكني جُرتُ على الجياد بتكليفها فوق طاقتها بالجري. أي: تجاوزت الحدَّ في حبّي لعمل الخير وزدت عمّا ذكرني به ربي من إعطاء كل مخلوق حقّه وعدم تكليفه بأكثر مما يطيق. ﴿**عَنْ ذِكْرِ رَبِّي**﴾: أوصاني الله وذكرني ألّا أتعبها وأن أرفق بها لكني نسيت فذكَّرَني الله. ﴿**حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾: لم يعد يراها لبعدها فحزن وأشفق عليها، وبهذا صار له خجل من ربه بسبب إتعابها، ومن خجله وحيائه منه تعالى انحجبت نفسه الشريفة عن علمها بتصريف الأمور، ولكنه لم ينقطع عن الله.

33- ﴿**رُدُّوهَا عَلَيَّ**﴾: طلب الخيل ليعتذر لها. ﴿**فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ**﴾: صار يمسح بين أرجلها لأعناقها ليجفف لها عرقها ليذهب عنها التعب، وهذا عُرفٌ عند "السيّاس" ويسمى بالتدليك الرياضي، هو عليه السلام مسح لبعض الخيول ثم أكمل أصحابه المهمة. كذلك توجَّه للخيل بما يسوقه الله على نفسه من أنوار ونعيم وصبَّه عليها وهي عانقت هذا النعيم وطربت به طرباً فذهب عنها كل ما بها من تعب.

34- ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ**﴾: بعمل الخير. أخرجنا ما كمن في نفسه من حبّ الخير للخلق جميعاً، وأظهرنا للعيان ما شُغف به قلب هذا الرسول الكريم مِنَ التفاني في خدمة الخلق، وذُكرت قصته في الكتب السماوية وتكلم بها الرسل والأنبياء. ﴿**وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ**﴾: الكرسي ما يتكئ عليه الإنسان، سدَدنا عليه ما كان عليه من علم (لأن من معاني الكرسي في اللغة: العلم والمشاهدة ويثبت لك هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾[15] أي: أحاط علمه بما تحتاج أن تقوم به السماوات والأرض. وإذاً فكل ما يقع عليه نظر نفسك من الحقائق إنما هو كرسي لهذه النفس. ﴿**جَسَدًا**﴾: غطاء، سترنا عنه علمه، فدائماً يرى الخيل أمام عينه وكيف أتعبها. انقطع العلم عن سيدنا سليمان وتغيَّرت حالته ولكنه لم ينقطع عن ربه، الأنبياء لا ينقطعون أبداً. ﴿**ثُمَّ أَنَابَ**﴾: اعترف بهذا، بعدما اعتذر من الخيل رجع لربّه. لقد رأى نيَّته العظيمة وعلوّها "هداية البشرية" فلم يعد لإتعابه الخيل أثراً في نفسه عليه السلام.

---

[14] سورة فصلت – الآية:44.

[15] سورة البقرة – الآية:255.

35- ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي**﴾: ارفع من نفسي هذا الحال الذي وقع مني فلا أعود أقصّر في حقّ مخلوق حبّاً بمخلوق آخر. ﴿**وَهَبْ لِي مُلْكًا**﴾[16]: عظيماً، وسبب طلبه هذا أن الناس بزمنه عليه السلام كانت تحبُّ وتستجيب للمظاهر والملوك لذلك طلب سيدنا سليمان هذا الطلب ليكون له عوناً على توجيه الناس للحق وهدايتهم ودخولهم الجنة وهذا الطلب لزمانه فقط. ﴿**لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**﴾: من الملوك المضلين بزمنه. ذلك لأنه يحب فعل الخير ولكي يهدي الناس. ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾: المعطي.

36- طموحه عليه السلام كبير ونواياه عالية وكبيرة فهو يريد إنقاذ الخلق جميعاً من النار، والخيل تستغرق وقتاً طويلاً من الزمن في الوصول لهدفه، لذلك وهبه الله هذا العطاء، فسخر له الريح للسرعة ولتحقيق طموحاته ونواياه العظيمة. ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ**﴾: تسير كما يأمر. ﴿**رُخَاءً**﴾: طيّعة له، لا تأتي ضده بقوة من الجهة المقابلة إنما رخاء، نسمات بسيطة لطيفة. ﴿**حَيْثُ أَصَابَ**﴾: حيث يشاء، لأي مكان يأمرها به فتتحول إليه، فالمسافة التي يقطعها سيراً بشهر صار يقطعها بساعة {**غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**}[17].

37- ﴿**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ**﴾: يبنون له ما يريد من حصون وقلاع. ﴿**وَغَوَّاصٍ**﴾: حيث كانوا يغوصون في البحر والأرض. مثل الآن: المنصات البحرية والآبار النفطية، إذن: كان هناك تقدم وتطور عند علم البشر ولكن حوّلها سيدنا سليمان لخدمة الإنسان والخير والفتوحات "للهداية".

38- ﴿**وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾: ممن يريدون أن يخالفوا أوامره ويعصوه يحبسهم في المكان الذي يريد وأينما كانوا، يحبسهم بالنور الإلّهي فلا يتحركون ولا يخرجون منه لئلا يحترقوا فيموتوا. وهكذا شغَّل فريقاً منهم لينصرفوا عن شرورهم وفريقاً حبسهم فنظفت الدنيا وصارت سعادة على الأرض وجنة.

39- ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ**﴾: الله سبحانه أعطى الرسول الصلاحيات المطلقة بالتصرف كما يشاء، كل هذا لرحمته عليه السلام ونواياه العالية في هداية الخلق إلى الله سبحانه. ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾: الله سبحانه لا ينقص عليه شيء لأنه تعالى يراه عاقلاً راشداً منيراً مستنيراً، فالله بهذه الآية أيضاً يقول لنا هل أعطي أو أمنع بغير حساب؟ أهكذا نعطي ونمنع دونما سبب في العطاء أو المنع؟!

40- ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى**﴾: قرب. وهذه الآية دليل آخر أن سيدنا سليمان ما عليه أية خطيئة، فهو يأخذ من الله هذا التجلي العظيم والعطاء الكبير الذي به يتجلّى على الخلائق بزمانه ويجعلهم في الجنات. ﴿**وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾: وحسن رجعة، بعد انتقاله رجعة كبيرة وعالية بسبب أعماله العظيمة في هداية الخلق.

سورة صَ: [41-50]

41- ﴿**وَاذْكُرْ**﴾: يا محمد. ﴿**عَبْدَنَا أَيُّوبَ**﴾: قصة سيدنا أيوب عليه السلام مشابهة تماماً لما جرى مع رسول الله سيدنا محمد ﷺ، لذلك قال له سبحانه اذكر عبدنا أيوب الذي صبر على قومه حتى جاء الأمر له بالهجرة، فهاجر إلى قوم أشداء آمنوا معه ورجع بهم إلى قومه، عندها استعظموه وآمنوا معه وصارت بعهده عليه السلام نهضة إيمانية عظيمة، وأنت كذلك فاصبر على قومك. ﴿**إِذْ نَادَى**

---

[16] هذا دليل أنه لم يقع من سيدنا سليمان أي خطأ، فالذي يخطئ لا يتجرَّأ بالطلب ويستحي ممن أخطأ في حقه. أما سيدنا سليمان عليه السلام فهو يعلم تماماً أنه لم يصدر منه خطأ، إنما أتعب الخيل قليلاً بالتدريب لعلوّ نيّته وحبّه في هداية الخلق وإنقاذهم من الشقاء والنار إلى السعادة والجنات.

[17] سورة سبأ – الآية:12.

رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾: بعناد قومي لي وبسبب ما يوسوس الشيطان به في نفوس قومي وما يضع فيهم من شكوك وشهوات، ذلك أن قومه لم يؤمنوا معه عليه السلام. ﴿**بِنُصْبٍ**﴾: عناء وتعب، فلا ألبث أن أقيم لهم البراهين والحجج حتى يوافيهم بوساوسه حول ما كنت بيّنته لهم بعد خروجهم من مجلسي. ﴿**وَعَذَابٍ**﴾: التألم النفسي الذي كان يجده هذا الرسول على أولئك الضالين رحمة بهم وحناناً عليهم، أيوب ما شكى إلا لربه والمؤمن هكذا. لقد طال بأولئك القوم الأمد وهم على ذلك الحال من البعد حتى لم يعد سيدنا أيّوب عليه السلام يحتمل أبداً، فشكا بقلبه لربه فقط لا لغيره، فأجابه الله تعالى:

42- ﴿**ارْكُضْ**﴾: هذه الكلمة تصف حال نفس هذا الرسول الكريم فلقد كان عليه السلام بكرب عظيم على قومه والآن جاءه الفرج حين علم الخير بالمكان المهاجر إليه فطار مسرعاً إليه من سعادته وفرحه. ﴿**بِرِجْلِكَ**﴾: اخرج من بلدك الذي أنت فيه والذي لاقيت ما لاقيت فيه من الضيق المعنوي بسبب المعارضات إلى بلد آخر، أمره الله بالذهاب من قريته إلى قرية أخرى فيها الماء لأن في أهلها الأهلية للإيمان، كما كان أهل المدينة فهاجر إليهم رسول الله ﷺ. ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ**﴾ أي: بلد قريبة من بلده الأصلي، ولكن أهل هذه البلدة طيّبون ولهم مواصفات حسنة عكس قومه الأصلي. ﴿**هَذَا مُغْتَسَلٌ**﴾: هؤلاء سوف يؤمنون، وسيدنا أيوب عليه السلام سوف يغسل لهم نفوسهم بالأنوار والتجلّيات الإلّهية القدسيّة التي ينزلها الله عليه وسيعود عليه هذا بالسعادة والإقبال على الله. ﴿**بَارِدٌ**﴾: ليس بنفوسهم نار المعصية ولا حرارة الشهوات والآثام، نفوسهم طيبة. كلّهم أنوار أمثال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. ﴿**وَشَرَابٌ**﴾: هؤلاء نفوسهم مهيئةٌ للتقوى، سوف يصبحون من الأتقياء حين يشربون عن طريقك من التجلي الإلّهي. شراب المتقين من الماء الغدق، بهذا النعيم الذي يعيشونه لا يَقبلون الحرام ولا ذرة منه أبداً، عندهم شيء يكفيهم "الله كفاهم بالجنات" فكيف لهم أن ينزلوا للدنيا من أجل شهوات تافهة.

43- ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ**﴾: آمن معه أهل القرية الثانية ورجع بهم إلى قومه فآمنوا. هذه القصة مواساة للنبي ﷺ فأهل مكة كانوا بادئ ذي بدء كقوم أيوب بالقسوة والبعد عن الله ولا يقبلون السير بالحق أبداً ولكن بعد ذلك استجابوا بالشدة.

بالبداية أهله لم يكن فيهم أمل للهداية لكن بعدها آمنوا، كيف آمنوا؟ بهذه الآية أعطى الله النتيجة كأن تقول انتصر فلان ثم تذكر كيف انتصر، فالله سبحانه بيَّن السبب في الآية الثانية: ﴿**رَحْمَةً مِنَّا**﴾: بهؤلاء وهؤلاء "أهله وأهل القرية الثانية". قومه كانوا لا يريدون الإيمان بالله ولرحمته تعالى بهم أعاد سيدنا أيوب إليهم مع المؤمنين فآمنوا معه عليه السلام. ﴿**وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾: من هم أولو الألباب؟ أهل الإيمان، ناداهم الله للإيمان به فلبّوا نداء ربّهم وآمنوا ولم يخونوا، نظروا إلى اللبّ ولم ينظروا للقشور، الدنيا كلها قشور، فمهما نال الإنسان المعرض منها ومن لذائذها يظل بالشقاء ثم بعدها يذهب للخمور والمسْكرات. أولو الألباب يتذكرون ويحصل لهم أنوار ويصبحون بعالم الحقائق وبالآخرة، وهم ما يزالون بحياتهم الدنيا قبل موتهم يعيشون بالجنة. وهذه القصة ذكرى لهم، فيعرفون منها أن الله سيمكّنهم "إذ أنهم أتقياء" من هداية الناس في كافة الأمصار فيهتدي الناس على أيديهم رغم كبير معاندتهم في بداية الدعوة، فالمؤمنون ينهضون لهداية الكرة الأرضية.

وقد أراد تعالى أن يفصّل لنا كيفية اهتداء هؤلاء القوم فقال تعالى:

44- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾[18]: خذ من الذين آمنوا بك وارجع على قومك الْأُوَّل حتى يؤمنوا كما رجع رسول الله ﷺ فاتحاً مكة. ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾: أمره أن يأخذ فئة منهم وأن يجعل قيادتهم بيده فيضرب به أولئك المعاندين تهديداً، فآمنوا معه أيضاً. ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾: لا تتردد ولا تضعف ولا تتراجع عن المضي في دعوتك وكن صابراً عند لقاء عدوك، سيدنا أيوب عليه السلام نيَّته عالية وعازم على أن يهدي العالم، فقال الله له لا تحنث وابقَ على هذا الطموح ولك هذا، فالأمور كلّها تهيَّأت لك لأجل هذا. ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾: بصبره تفضّلنا عليه بما تفضّلنا به وجعلنا هداية قومه على يده، أعظم شيء هو الصبر. صبر صبراً عظيماً على قومه فلم يضجر ولم يشتكِ إلا لله. ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾: أنعمنا عليه بالعطاءات والفتوحات، أمم كثيرة آمنت وأسلمت على يديه وأنقذها من النار، والسبب: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: راجع بكل أموره إلى الله، فاسم أيوب يعني: أنَّه رَجَّعَ وأوَّبَ الخلق إلى الله تعالى، وواجب على كل إنسان أن يؤمن بالله سبحانه حتى يرجع إليه حين الشدة فلا يكفر.

45- ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ﴾: صلوات الله عليه الذي علَّمنا الإيمان وطريق سلوكه. ﴿وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: أيضاً صارت نهضة إيمانية بزمنهم. ﴿أُولِي الْأَيْدِي﴾: أولو الفضل والمعروف، أجرى الله على أيديهم أعمالاً عالية وعظيمة، فآمنت أناس كثيرة عن طريقهم، وأيَّدوا الحق حيث كانوا أئمة للناس والناس تصلِّي معهم، فأيّ إنسان يطلب ربه يصلِّي معهم. قدَّموا لهم يد الرابطة القلبية والهداية إلى الله والوصول للجنات. ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾: دلُّوا الناس على الهدى، دلُّوهم على التقوى، وبواسطتهم صار للمؤمنين نورٌ وتقوى وتفتَّحت بصائرهم وصاروا من أصحاب البصيرة.

46- ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾: بما أخلصوا لنا في تذكيرهم بالدار الآخرة. ﴿بِخَالِصَةٍ﴾: جعلناهم خالصين من الشوائب، هؤلاء عباد الله المخْلَصون، نفوسهم ما حوت إلا الله وكمالاته فلا شائبة فيها، من الأزل عاهدوا ربهم ووفوا بعهدهم معه فما انقطعوا عنه سبحانه طرفة عين. جاؤوا للدنيا للهداية فقط، لا يتعلَّقون بشيء من الدنيا أبداً ولا يمكن أن يتزحزحوا عن الله، فكل من تعلّق بهم يخلّصونه من حبِّ الدنيا ويُخرجونه من الظلمات ويُدخلونه الجنات. ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾: يذكِّرون الناس الذين نسوا ربّهم بيوم الحساب، ويُذكِّرونهم بالجنات والطريق لنيلها، وكلّ من أحبَّهم وارتبطت نفسه معهم برابطة المحبّة خلصت نفسه من حب الدنيا ومن الهم والشقاء والضنك والنار، وتذكَّر العهد وتذكَّر الآخرة والأزل فوفّى بالعهد.

47- ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾: طاهرين لا دنس فيهم، نواياهم عالية: إنقاذ الخلق ورضاء الله، لذلك اختارهم الله للإرشاد وهداية البشر. ﴿الْأَخْيَارِ﴾: الخير كله يأتي عن طريقهم.

48- ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ﴾: أخَّر الله ذكر سيدنا إسماعيل وقدَّم ذكر سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كل هذا رحمة وحناناً باليهود، قدَّم ذكر أنبيائهم "إسحاق ويعقوب عليهما السلام" من أجل أن يقبلوا دعوة الرسول محمد ﷺ. أما من حيث المراتب فالله أعلم بمقاماتهم العظمى. ﴿وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾: خير الخلائق على أيديهم بزمانهم وبكل زمان، وظائفهم باقية لا تنتهي وخاصّةً سيدنا إبراهيم عليه السلام.

49- ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾: لكم أيها الخلق، كونوا معهم، إياكم أن تموتوا وأنتم لستم معهم، فهؤلاء الرسل والأنبياء مقامهم عند الله عظيم. إن سرتم معهم صار لكم مقام عظيم بمعيَّتهم. ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: الدرجة

---

[18] الضغث: هو كل من اختلط واجتمعت أفراده في أصل واحد رغم تباينها واختلافها، وهو أيضاً كل مجموع مقبوض عليه بجمع الكف، والضغث هنا: تعني الجماعة المختلطة من أصحاب ذلك الرسول الكريم الذين هاجروا معه من قريته والذين آمنوا به من ذلك البلد الذي هاجر إليه إشارة إلى اجتماع قلوبهم على الله رغم اختلاف مساكنهم وأنسابهم.

الثانية دون الأنبياء. منكم يا عبادي كل من سعى وآمن بي وصار له نورٌ مني. ﴿**لَحُسْنَ مَآبٍ**﴾**:** الذين ينالون شهادة "لا إلَه إلا الله" في الدنيا من بعد أن نكثوا عهدهم مع الله في الأزل لهم حسن رجعة، رجعتهم لله تكون عظيمة بما يجعل الله على أيديهم من أعمال كبيرة في هداية الخلق عن طريق رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين، فماذا يجدون:

50- ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾**:** لهم سرور متتال متتابع لا ينتهي، دائماً من حالٍ لحالٍ أعلى ومن جنةٍ لجنةٍ أعلى، فمجيئنا للدنيا لنوال خير عظيم، حيث بالأزل كنا بجنة واحدة أما بعد التكليف ونزولنا الدنيا فسننال جنات كثيرة وأنواراً عظيمة بأعمالنا الصالحة. ﴿**مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ**﴾**:** يقبلون على الله دونما حجاب بمعيَّة رسلهم صلوات الله عليهم، لا يقفون عند درجة واحدة دائماً طيران في الجنات.

سورة صٓ: [51-60]

51- ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا**﴾**:** معتمدين على ما فعلوه في الدنيا وقاموا به من الصالحات. ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا**﴾**:** لا يخجل مِنْ طلبِ ما يريد لما يتكئ على أعمال عالية، يطلبون منه سبحانه لأن أعمالهم عالية ووجوههم مبيضّة بسببها، الإنسان إذا عمل السوء يخجل ولا يستطيع الطلب. ﴿**بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ**﴾**:** لذائذ كثيرة، فاكهة عالية، أنقذوا نفوساً كثيرة من النار. ﴿**وَشَرَابٍ**﴾**:** تجلي الله عليهم يغني نفوسهم، هذا الشراب نفسي، وللنفس سعة كبرى أكبر من الكون، لهم ما يشتهون.

52- ﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ**﴾**:** ذوات حياء وخجل. ﴿**أَتْرَابٌ**﴾**:** مماثلة لصفاتهم، مساويات لهم في الكمال.

إن الله سبحانه وتعالى وصف المرأة في الجنة بذات الحياء وغضِّ البصر لما في ذلك من جمال وكمال، فما بال النسوة في هذه الأيام قد رُفِعَ عن وجوههن الاحتشام.

53- ﴿**هَذَا مَا تُوعَدُونَ**﴾**:** وعد الله حقّاً. ﴿**لِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾**:** وعدكم بالجنات والسعادة ولكن اسعوا لتكونوا أتقياء.

54- ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا**﴾**:** هذا الذي يجب أن تسعوا له وجئتم من أجله، وليس الدنيا وشهواتها من مال ونساء وبنين "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة". الدنيا من يأخذها؟! لا أحد، تأتي أجيال وراءها أجيال يذهبون كلهم ولا يأخذون معهم شيء. ﴿**مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ**﴾**:** رزق الدنيا يذهب وبتناقص، أما رزق الآخرة دائماً بازدياد.

55- ﴿**هَذَا**﴾**:** الذكر الآن عكس من سبق ذكرهم "المتقين". ﴿**وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ**﴾**:** الذين ركضوا وراء الدنيا وشهواتهم فانحجبوا بها عن رؤية الله وأسمائه الحسنى وطغت عليهم. ﴿**لَشَرَّ مَآبٍ**﴾**:** شر رجعة، بالآلام والحسَرات والندامة رجعتهم، ولهم بعدها النار علاجاً ودواءً بقدر ما تمتّعوا بالدنيا، فكم فرح قوم نوح وعاد بدنياهم وانبسطوا وارتكبوا ما ارتكبوا ومن ثم ماذا كانت النتيجة؟ وإلى الآن هم بآلام جهنّم. انتقلوا وذهبوا لعالم الحقائق ورأوا ما فعلوا بأنفسهم، هم لم يأتوا على هذا العهد "أن يرسبوا بالدنيا"، بل جاؤوا ليربحوا الجنات. فماذا ينتظر هؤلاء الراسبون؟ شرور الرجعة. جهنّم تشتعل فيهم:

56- ﴿**جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا**﴾**:** هم، فقدوا وخسروا ما أعده الله لهم، خسروا مقامهم العظيم والجنات وصاروا أدنى الخلائق وأحطّها. فتلهب بنفوسهم نار حقيقية.

﴿**فَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾: أعمالهم السيئة عادت عليهم بجهنم وبالبؤس، وهذا البؤس الذي أحَلُّوا أنفسهم به يمهّد لهم دخول النار. فهذه الدنيا وحضارتها وزينتها، والسبل المنحطَّة التي سلكوها ستعود عليهم بالبؤس والحسرات في القبر وفي الآخرة، لا يبقى لهم منها إلا الذكريات، فلقد فقدوا كل شيء ولا يستطيعون العودة للدنيا، خسروا الدنيا وكذلك خسروا الآخرة.

57- ﴿**هَذَا**﴾: الذي أعدّوه لأنفسهم من معاصٍ وإجرام. ﴿**فَلْيَذُوقُوهُ**﴾: تذهب الصورة وتبقى الحقيقة "نيران" وبسببه: ﴿**حَمِيمٌ**﴾: الألم العظيم الذي يستر عنهم ما بأنفسهم من ألم. النار حتى تسكّن لهم آلامهم النفسيّة وتحولهم عن حالهم الصعب. ﴿**وَغَسَّاقٌ**﴾: مظلم. وكذلك حالهم كان في الدنيا بالضيق والهمّ والنار، وهم بالظلمات بلا نور من الله تعالى. ساقوا لأنفسهم الأشياء التافهة الحقيرة النتنة.

58- ﴿**وَآَخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ**﴾: مماثل له وكان صاحبه في الدنيا. قرينه، قرناؤهم الذين زينّوا لهم الدنيا وشهواتها والمعاصي.

59- ﴿**هَذَا**﴾: أيضاً. ﴿**فَوْجٌ**﴾: جيل أو أمَّة من أهل النار. ﴿**مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ**﴾: النار. ﴿**لَا مَرْحَبًا بِهِمْ**﴾: على العكس من حال أهل الجنة، على سرر متقابلين متحابين. أهل النار ينفرون ويحتقرون بعضهم بعضاً بسبب روائحهم النفسية الكريهة، فكلٌّ يلعن ويبتعد عن الآخر، لا يريدون دخولهم النار معهم والسبب: ﴿**إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ**﴾: يؤجّجونها علينا.

تدل الآيات على أنه رغم أن أهل النار في النار لكنهم يرون الذي يصل للنار محتقر ذليل، فيسبُّون بعضهم.

60- ﴿**قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا**﴾: قدَّمتم لنا سبل الحرام وما فيه معصية الله. يخاطبون آباءهم وأجدادهم والأجيال الذين دخلوا قبلهم النار، إذ اتبع الأحفاد ما ادَّعى به الأجداد والآباء وما شيَّدوه من دنيا وزخرفها. ﴿**فَبِئْسَ الْقَرَارُ**﴾: بئس العمل الذي أدَّى بنا إلى هذا القرار "المنزل والمرقد". صرنا أسفل سافلين، وبشيء يعود دائماً بالبؤس علينا فلم يعد هناك بسط ولا نعيم، فلقد حُرِمنا ذلك أبد الآبدين.

سورة صٓ: [61-70]

61- ﴿**قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا**﴾: أيضاً هؤلاء يوجد قبلهم من قدَّم لهم. ﴿**فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ**﴾: ضاعف لهم العذاب والنار.

لقد بيَّن تعالى معنى هذه الآية الكريمة في سورة إبراهيم، قال تعالى: {**وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً**}: ماتوا. {**فَقَالَ الضُّعَفَاءُ**}: الذين كانوا تبعاً لغيرهم. {**لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ**}: لرؤسائهم، قالوا لهم أنتم آباؤنا وأجدادنا، أنتم الذين علَّمتمونا هذا وسرنا عليه حتى صرنا بهذا المصير. {**إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً**}: أنت لِمَ تجعل نفسك تبعاً، لِمَ لا تفكِّر! {**فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ**}: لا مهرب لنا، لا مخلص. {**سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا**}: نحن الطرفان. {**مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ**} عملنا سنلقاه.

62- ﴿**وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ**﴾: كنا نهزأ بهم ونراهم جهَّالاً لا يعرفون للحياة من معنى، ونقول عنهم الأقاويل كذباً وزوراً "متعصِّبين كثيراً" دراويش لا يفهمون، يضيّعون على أنفسهم "البسط والكيف".

63- ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾: سخرنا منهم، كنا نحتقرهم كثيراً، وما لحقنا بهم ولا سرنا بسيرهم على الحق. ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾: لا نراهم بالنار. بحثوا عنهم فلم يجدوهم فإذا لم يكونوا بالنار فأين هم؟ وإذ بهم صاروا من أهل الجنّة، فهم لم يكونوا متوقعين إلا أنهم أشرار. وإذ بهم غير ذلك تماماً، تمنّوا لو سلكوا معهم.

64- ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾: الحقيقة أن أهل النار كلّهم متخاصمون متفرّقون متباغضون يسبُّون بعضهم وينسبون الآلام لبعضهم، فما زالوا بالشرك قابعين، ما رجعوا لله. كل إنسان ما لم يؤمن بربِّه ولم يسر بدلالته تعالى هذا مصيره في الآخرة، بهذا الزمان لا يثبت على الحق إلا من آمن بالله، سمع وطبَّق، هذا يثبت أمام الفتن بإيمانه.

65- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾: وظيفتك إنذارهم، تنذرهم بهذا المصير من أجل أن يرجعوا عنه وكفاهم كبراً وكفراً، إلّهوا بعضهم. إن خافوا: آمنوا ونجوا ودخلوا الجنَّة. والحقيقة أنه: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾: لا مسيّر إلا هو سبحانه يسيّرك حسب ما في نفسك من نيَّة. ﴿الْوَاحِدُ﴾: لا يوجد إلّه ثانٍ معه، وحده مسير الخلق والكون، كل شيء يُسيِّره تعالى ضمن علمه وإرادته وحسبما يشاء. ﴿الْقَهَّارُ﴾: لا شيء يخرج عن أمره سبحانه. كلّهم سيميتهم وسينزع منهم ما هم فيه من دنيا، فكلها له تعالى وليست لهم، وهو تعالى المربي لكل الخلق:

66- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: انظر بالكون ترَ هذه الخيرات والمواسم التي تأتينا، هو الله لوحده يرسلها لا أحد يشاركه، يدوّر السماوات والأبراج والشمس والقمر ويرسل الأمطار، ترى تسييره وأن يده مبسوطة على الخلق جميعاً، ويخلق البشر ويُطعمهم ويربّيهم وينمّيهم وينقلهم من حال إلى حال ويقلِّب السماوات والأرض. ﴿الْعَزِيزُ﴾: الخير منه فقط سبحانه. ﴿الْغَفَّارُ﴾: أتى بهم إلى الدنيا "هؤلاء الذين أعرضوا" من أجل أن يشفيهم ومن أجل أن يرجعوا له، فإن تاب الإنسان وترك الدنيا وأعرض عنها وجاهد نفسه بها وصبر على هجرها، هذا نفسه تكسب ثقة برضاء الله عنه فيصلِّي فيشفيه الله مما علق بها وذلك بالنور الذي ينزله تعالى بقلبه، فلا يقع بعدها بإثم ويكره الوقوع بالمعاصي.

67- ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾: أمر الدار الآخرة عظيم. ما جاء به رسول الله ﷺ من قرآن خيره عظيم عليكم لِمَا فيه من جنات وسعادة أبديَّة تنالونها عن طريقه ﷺ، رسول الله يتنبَّأ لكم الحقَّ من ربِّه، فالذي يسمع منه ﷺ ويطبِّق ما يدلّه عليه ينجو من عذاب الدنيا ونار الآخرة، والذي لا يسمع ولا يطبِّق يخلد في الآخرة في النار، وهو شقيٌّ بدنياه مهما نال منها وأخذ.

68- ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾: عنه ﷺ وعن بيانه ودلالته. أمر الدار الآخرة عظيم. و﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾: كيف تعرضون عنه؟!

عودٌ على بدء:

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾: ما هو النبأ العظيم؟ وهذا النبأ العظيم أنتم عنه معرضون! النبأ العظيم: هو الله تعالى. ﷺ يتلو علينا: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾. ويطلب تعالى منه: ﴿قُلْ هُوَ﴾: أي أن هذا {الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} الذي سيشفيكم، أنتم معرضون عنه! وكلّ واحد يهيم بصنمٍ ثانٍ، هائمون ببعضكم ومتعلّقون ببعضكم وتاركون الله معرضون عنه تعالى. هذا النبأ العظيم الذي إن التفتّم إليه حزتم خيرات الدنيا والآخرة، **"ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كلَّ شيء وإن فتّك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء"**. وإن فتّك: غداً عند الموت، فاتك كل شيء: فلا يعود لك ولا يرجع أولئك الذين تحبّهم، أحبابك وأموالك وأملاكك وجاهك كل هذا

سيذهب عنك. أما إن استغلَّه واستثمره لله {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}[19]. عندها يرفع الله شأنه في الدنيا والآخرة ويُعطيه عطاءً لا يزول، ما له من نفاد. أما هذه الدنيا فتنفد عند الموت وكل إنسان يترك كل شيء، ولو كان ملكاً عند الموت يترك ملكه ويأخذه غيره... أما إن أعرضتم عن الله فقد أعرضتم عن جناتكم ونعيمكم وخيراتكم ونجاحكم وعزَّتكم حتى أنّ الكافر استعلى عليكم.

69- ﴿**مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾: أنا لم أكن حين قرَّر الملكان الشكاية لداوود عليه السلام فمن أين أتيت بذلك؟ أليس هذا وحياً من الله! كذلك لم يكن لي علم بما في أنفس الملائكة حين أحبّوا أن يختصّوا أنفسهم بالخلافة[20] "طلبوا الخلافة لأنفسهم" عندما قال الله عن سيدنا آدم عليه السلام: {**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**}[21]. ثم سجدوا بعدها لآدم عليه السلام، فمن أين أتيت أنا بهذه العلوم؟

ما كان لي من علم، الآن علمتها والآن رأيتها ورأيتهم كيف تكلَّموا وماذا حدث، وعرضتها عليكم وبيَّنت لكم هذه الحقائق كلها "القرآن مشهود"، وبيَّن ﷺ حبّ سيدنا آدم لله وكيف تعالى أرى الملائكة ذلك وحذَّركم من عداوة إبليس.

70- ﴿**إِنْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾: لئن لم يوحِ إليّ فمن أين لي العرفان! ﴿**إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾: أحذركم وأبيّن لكم طريقكم الخطأ، آمنوا حتى تعودوا لرؤية الحقائق. الدنيا لا تغني من الآخرة شيئاً، فإن لم يستغل المرء الحياة الدنيا، عند الموت لا يبقى شيء وأضاع الدنيا والآخرة، والذي يعرض عن ربه وبيانه مصيره هكذا كمصير إبليس. لذلك ساق تعالى الآيات عن حال إبليس حيث بيّن فيها سبحانه أن الإعراض عن رسوله وعدم الإيمان به سببه الكبر، وكل من لا يتَّبع رسول الله ﷺ فهو سالكٌ مسلك إبليس.

سورة صٓ: [71-80]

71- ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ**﴾: الله تعالى يخاطب حبيبه ﷺ وعندما يخاطبه يعيد له الموقف والحدث كاملاً بأشخاصه وأشيائه وكلامه، وكذلك إن التفت الإنسان وارتبط برسول الله ﷺ يحصل له ذلك. ﴿**لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**﴾: آدم عليه السلام، سأجعله خليفة عليكم وعلى الخلائق.

ولكن لماذا يُخبر الله تعالى ملائكته بذلك؟! فهل الملك السلطان يُخبر جنوده بما سيفعله بشؤون المملكة؟! "ولله المثل الأعلى".

لو لم يقل لهم ذلك وخلق سيدنا آدم وقال للملائكة اسجدوا، ألا يسجدون؟!

الملائكة ملَّكوا نفوسهم إلى الله، لا يخالفون كلام الله {**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}[22]. فلِمَ قال لهم: {**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**}؟

---

[19] سورة المنافقون – الآية:8.

[20] لطفاً انظر كتاب: (تأويل الأمين) للعلّامة الإنساني محمد أمين شيخو قدّس سرَه.

[21] سورة البقرة – الآية:30.

[22] سورة التحريم – الآية:6.

ـ نظر ربُّ العالمين للملائكة فوجد لديهم الاستطاعة لنيل مرتبة ثانية "أعلى" فحركهم لينالوها، قال الله لهم: إني سأخلق بشراً وهذا البشر سيكون خليفتي، فقالوا: نحن أحقُّ بالخلافة، فهؤلاء الذين حملوا الأمانة وادّعوا أنهم لها، هاهُم خانوها "الجن المفسدون" يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.

الملائكة ليسوا هكذا، الملائكة كلهم خير ولا يصدر منهم إلا الخير ودائماً يسبِّحون النفوس بحمد الله ويُلقون الإلهامات في النفوس: يا عبد الله ارجع إلى الله آمن، اذكر ربك، فكِّر...

فإذن: هم أفضل من هؤلاء المفسدين وظنوا أن سيدنا آدم مثل غيره من الجن السابقين، فقالت الملائكة: نحن أحقُّ بالخلافة. قالوا ذلك بنفوسهم.

فأجابهم الله تعالى: لا لستم أحق من آدم، ولستم أعلى من آدم، بل آدم أعلى منكم وأرقى، وأنا أعلم الطاقات التي عنده، لم ينقطع عني وهو سيد الخلق وهو الذي سيدخل بالنفوس على الجنات، أنتم لا تستطيعون، ها أنتم تخاطبونهم فلا أحد يسمعكم ولا أحد يردّ عليكم. فسأرسل بشراً سيهديهم ويدلّهم.
إذاً اشتهت الملائكة هذا المقام الذي أخذه سيدنا آدم عليه السلام، فقال لهم الله: لا مقدرة لديكم على هذا الأمر وأشهدهم ذلك بالواقع العملي:

أولاً: تجلَّى الله عليهم بأسمائه الحسنى كما تجلَّى على سيدنا آدم وقال لهم إذا كنتم أعلى منه أسلّمكم الخلافة أما إذا هو أعلى فيجب أن تستسلموا له عندها يرفع شأنكم بأن ينقلكم لدرجة أعلى وأسمى مما أنتم عليه الآن. وبالفعل عرض تعالى أسماءه الحسنى عليهم وعليه عليه السلام وهم بدأوا يتحدثون بالذي لديهم. يعلمون بعضاً من الأسماء الحسنى أما سيدنا آدم فيعلم تسعاً وتسعين اسماً، وعندما كان يتحدث عنها يأتي لهم بجنات وتجلِّيات يذوبون ويهيمون بها هياماً، فوجدوا أنفسهم لا يُذكرون أمام سيدنا آدم عليه السلام فأقرُّوا وسجدوا.

وأراهم الله دليلاً ثانياً: فقال لهم تعالى:

أنتم بمحبَّتكم لي لا تخالفوني أبداً، فانظروا هل محبَّتكم لي أكبر أم محبة آدم؟ فأنتم إذا أمرتكم أمراً تطيعون مهما كان هذا الأمر، أما هو عليه السلام عندما أمرته ألَّا يأكل من الثمرة وجاء الشيطان وقال له: "إذا أكلت منها تزداد حباً لله ولا تنقطع أبداً" تكلم له بحبيبه، فمن حبِّه لله نسي الوصية "وصية الله". فأجابوا كلهم: لا نخالف أمرك أبداً، ولكن آدم عليه السلام حبّه لله جعله ينسى **{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}**[23]: على المعصية، فعندما وجدوا أنفسهم ودرجتها في محبة الله ووجدوا الحب الهائل الذي عند آدم عليه السلام أقرُّوا له إقراراً كاملاً وسجدوا **{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}** [24]

72- **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾:** ضعوا له الطاعة واعلموا أنه أعظم معرفة منكم فأقبلوا عليّ بواسطته واستدلُّوا بدلالته.

73- **﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾:** دليل أن الملائكة جميعاً سجدت وأن إبليس ليس منهم. وليس هو كما جاء ببعض التفاسير من أن إبليس كان طاووس الملائكة... فهذه الآية تنفي هذه المزاعم أصلاً وأنه منهم.

---

[23] سورة طه – الآية:115.
[24] سورة الحجر – الآية:30.

74- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾: إلا الذي أبلس عليه الحق فعمي وضلَّ فاستكبر. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: كان كافراً بالله من قبل، فما أغواه الله كما نسبَ لحضرة الله، وليس كما تقول الناس اليوم من أن الله كتب عليهم الفواحش والمعاصي ودخولهم النار.

75- ﴿قَالَ﴾: لحرص الله على هدايته خاطبه بهذا وبسرعة. ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾: تذكَّر إبليس إعراضه القديم ورجع إليه، فلم يسجد لآدم عليه السلام وما أطاع الله. ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: رسل الله أجمل الناس خَلقاً وخُلقاً. خلق صوري كامل وكمال معنوي بإقبالهم العظيم عليهم السلام على الله تعالى. ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: على آدم بأصلك وأنك خُلقت من نار وهو من طين. ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾: بما لك من شأن بين قومك. وجّه الله تعالى لإبليس هذا التقريع بصيغة الاستفهام لكي يتراجع عن كبره وعلوّه ويسجد لخليفة الله آدم عليه السلام، فانظر لرحمة الله حتى بالمعرضين.

76- ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾: اعتزَّ بأصله الجسدي أنه من نار وأن آدم من طين.

77- ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: من هذه النيَّة الخبيثة التي أخرجتك من الجنة. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: دائماً بالعذاب مرمي.

78- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: البعد إلى يوم القيامة بسبب نواياك السيِّئة وما سيقع منك من عمل.

79- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: طلب البقاء إلى يوم القيامة.

80- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾: لك هذا، لِمَا وقر في نفس الشيطان من الخبث وحبِّ الإضلال سيظل حتى الساعة، ولقد طلب ذلك ولكن الله أجابه بأنه سيبقى حتى يخرج ما في نفسه من الخبث فقال فإنك من المنظرين ولكن:

سورة صَ: [81-88]

81- ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: حيث لا يبقى في نفسك شيء إلا وقد استنفذته، لأن ما بك من خبث لن يخرج إلا بهذه المدة الطويلة.

82- ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: الكل، جميعاً سوف أوقعهم بحب الدنيا والفتن وأُحوِّلهم عن السير بطريق الحق.

83- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين خلصوا من حب الدنيا حيث عرف أن الرسل والأنبياء ناجحون من الأزل وناجون فلا يستطيع أن يفتنهم أو يغويهم أبداً.

84- ﴿قَالَ فَالْحَقُّ﴾: أجابه الله بأن كلامه حقّ وصحيح، فالخلق لهم اختيارهم إن اختاروا طريق الدنيا وشهواتها تستطيع غوايتهم، الشيطان يُسلَّط على مستحقِّين، أنتم لا تعملوا عمله، لا تستحبوا الدنيا على الآخرة. ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾: هذا حقٌّ عليّ، كل من سار بسيرك وممشاك تستطيع غوايته وله جهنم.

85- ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: كل من خسر يقع بجهنم وله علاج في الحياة الدنيا والآخرة.

86- ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**﴾: إنّي لأدلّكم وأرهق نفسي فهل طلبت أجراً على ما أبدي لكم؟ ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾: لا أتصنَّع الإحسان.

87- ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾: وهذه الآية بشارة من الله لرسوله الكريم بالنصر والإيمان، فالكل سيسير بما جاء به ﷺ من قرآن وعلوم وبيان ويؤمنون به وهو للعالمين.

88- ﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ**﴾: سترون هذا بعد قيام الساعة، سيقع عليكم ما أخبركم به رسولي.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تأويل سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الزمر: [01-10]

1- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: أيها المؤمن إذا فكرت بهذا القرآن وجدته من عند الله العزيز الحكيم.

2- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: بما أنت أهل له، لم ينزل هكذا اعتباطاً بل على من يستحق. ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾: دلّ الناس وأرشدهم إلى الله، فبقلبك الرحمة والحنان والشفقة عليهم ولكن لا تمل إليهم بل لله.

3- ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾: أليس له الحق المطلق. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أتسمع دلالة غير دلالة الله! ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾: يدّعون ذلك ولكن أعمالهم ونفوسهم رديئة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: باتّباعهم غير كلام الله صاروا فرقاً وأحزاباً، وكل حزب بما لديهم فرحون، الله يحكم بينهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾: لا يهديهم بسبب إصرارهم على كذبهم وكفرهم.

4- ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ﴾: لو أراد على حسب ادعائكم وهو لم يرد. ﴿أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: كيف يتخذ ولداً مما خلق؟! أهذا منطق؟ فلو أراد الله اتخاذ ولد هل يخلق فلاناً ثم يتخذه ولداً؟ كيف يعقل ذلك؟ كأن يتخذ أحدنا دمية صنعها بيده صديقاً أو أباً أو أخاً هل يعقل ذلك!

﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزّه عن ذلك. ﴿هُوَ اللَّهُ﴾: صاحب الأسماء الحسنى والإمداد الشامل. ﴿الْوَاحِدُ﴾: كان ولا يزال ولا يتعدد، لا يوجد إلّهان اثنان، لو حدث هذا لصار نظامان فهل في الكون نظامان؟

الكون سائر بنظام واحد وهو وحدة متآلفة متكاملة ولا شيء به كامل لوحده. الكل بحاجة للآخر، الشمس بحاجة للهواء وللماء وللتراب حتى تبخِّر وتُخرج الزرع. والزرع بحاجة للشمس والهواء والتراب، كماله سبحانه وتعالى عليهم وبهذا صار كل شيء كاملاً، الكامل هو الواحد الأحد ولا يوجد كامل غيره سبحانه.

﴿الْقَهَّارُ﴾: إرادته هي النافذة ولا شيء يعجزه، الكل بحاجة لإمداده وتربيته وتسييره سبحانه.

5- ﴿خَلَقَ﴾: هو الذي خلق: ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: لتؤمنوا بلا إلّه إلا الله وحده لا شريك له. ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾: فكر بهذه القدرة، كيف هذه الأرض تدور؟ فهل سبحانه بحاجة لأحد في شيء. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: لأجلكم، من أجل معاشكم. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: بوقت ونظام معين، يده سبحانه على الخلق جميعاً.

﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾: أليس هو الفرد بوجوده. ﴿الْغَفَّارُ﴾: للذنوب، أليس ذلك النظام دليلاً على أنه سبحانه واحد، وأنه طالب المغفرة والشفاء لك؟

6- ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: من آدم عليه السلام، خلق الله كل البشر والنفوس من نوع وسويَّة وماهيَّة واحدة، فلا فرق ولا ميزة ولا اختلاف بين بعضهم، كلهم في الأصل من نوع واحد، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء عليها السلام، أصل البشر من آدم

وحواء. فمن ذا الذي يجعل ذكراً وأنثى في رحم الأم، فهذا الخلق والتكوين بناءً على ما نالت كل نفس من الله بعد أن دبّ الشهوات بها بعالم الميثاق، فجعل لكل نفس الجسد الأنسب لها، لذلك جعل هذا ذكراً وهذه أنثى، كلاً منهما زوجاً للآخر. ﴿**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**﴾: لتتكون هذه النطفة، غنم، ماعز، بقر، جمل، الإنزال بالنسبة للنفوس نزلت من نعيمها إلى وظيفتها في أن تكون لهذا الإنسان المكلّف المشرّف غذاءً له وخادمة مقابل أن تأخذ شهواتها، أما الإنزال بالنسبة للأجساد فعن طريق الأمطار التي فيها الحياة فتخرج المزروعات والأثمار ومنها تتشكل الأجساد، ومن أجل تأمين معاشكم. ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**﴾: من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين. ﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ**﴾: أدوار ثلاثة: نطفة ثم علقة ثم مضغة. ﴿**فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ**﴾: هذه الأدوار الثلاثة كان الإنسان فيها مبهماً غير معروف ما نوعه وما جنسه، نطفة لا تُرى بالعين لدقة حجمها ثم علقت في جدار الرحم مع البويضة غير معروفة النوع وغير متميّزة الخلق ثم مضغة، قطعة دم لا أعضاء فيها ولا تمايز.

الناس كلهم في ظلمات "ما عدا السادة الأنبياء والمرسلين أنوار الحق" وذلك حين أعرض الإنسان بالأزل عن الله ونور الله وارتمى على الشهوات انقطع عن الله ووقع بالظلمة الأولى، وحين ولجت نفسه الجسم غدا بظلمته الأولى داخل ظلمة الجسم الثانية ثم خرج إلى الدنيا ولبسها، أحاطت بنفسه الظلمة الثالثة ظلمة الدنيا. وحجبها للنفس عن الله منبع النور فكان:

1- بحجاب الإعراض عن الله وفقدان نوره الأزلي بسبب لبسه للشهوات بلا نور الله.

2- حجاب الجسم فوق حجاب الإعراض.

3- حجاب الدنيا حيث لبسها ونسي الماضي.

﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ**﴾: الذي يمدكم ويربيكم. ﴿**لَهُ الْمُلْكُ**﴾: مالك كل شيء، بيده حياتك يا إنسان ونماؤك وبقاؤك، وبيده مقاليد السماوات والأرض لا يخرج شيء من قبضته. ﴿**لَا إِلَه إِلَّا هُوَ**﴾: لا مسيّر في هذا الكون سواه سبحانه. ﴿**فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾: إلى أين تتحولون! ولأي شيء تصرفون عنه سبحانه! هل المخلوق يأتيك بالليل والنهار؟ وبالأمطار والطعام والشراب؟ هو الذي خلقك ويمدك ويسيّر أعضاءك، فكيف تنصرف عنه وتتحول لغيره سبحانه؟!

7- ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ**﴾: إن تكفروا جميعاً بماذا تضُّرون الله؟ الإيمان والعمل الصالح من أجلكم حتى ترقوا بعملكم وتدخلوا الجنة، ليس سبحانه بحاجتكم في شيء. ﴿**وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾: لرحمته بكم يمقت لكم الكفر ولا يرضاه لكم لما سيجره لكم من آلام ونار، أبعد هذا هل يُعْقَل أن الله خلق الإنسان ثم ألقاه في النار هكذا وألقى آخرين في الجنان هكذا؟ عجباً! ﴿**وَإِنْ تَشْكُرُوا**﴾: تعملوا الخير والمعروف. ﴿**يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾: حيث بعملكم الصالح تدخلون الجنة وهذا مراده سبحانه من خلقكم. ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾: لا يحمل أحد ثقل أعمال أحد، كل إنسان عمله وحمله على كتفه فلا أحد يحمل عن أحد شيئاً من عمله. ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: عليم بأنفسكم.

8- ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ**﴾: بلاء، شِدَّة، جاءه مرض أو فقر أو غيرهما. ﴿**دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ**﴾: يدعو حين الشدَّة، يطلب من الله الخلاص منها. ﴿**ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ**﴾: رفع سبحانه الشِدَّة عنه. ﴿**نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ**﴾: ينسى فضل الله عليه، ينسى ما عاهد الله عليه وقت الشدة. ﴿**وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾: من له حول وقوة في الكون مع الله تعالى؟ يقول فلان خلَّصني وفلان أعطاني ورزقني

والطبيب شفاني، يشرك مع الله إلهاً آخر. ﴿**لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا**﴾: سيتمتع الكافر في الدنيا قليلاً وظاهرياً. ﴿**إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**﴾: بسبب إشراكه بالله.

9- ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾: دائم الوجهة من وقت استيقاظه حتى نومه. ﴿**سَاجِدًا**﴾: طالب العون من الله. ﴿**وَقَائِمًا**﴾: بفعل المعروف. ﴿**يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي**﴾: هل يستوي هذا الذي إن قام أو نام يذكر الله وفضله؟ ﴿**الَّذِينَ يَعْلَمُونَ**﴾: ما هذه الحياة وإلى أين المصير بعدها. ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: الذين ما آمنوا وما شاهدوا لا إلّه إلا الله هل يستوون مع الذين يعلمون؟ ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾: أصحاب القلوب الحيَّة.

10- ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ**﴾: انظروا بنور الله، لا يكفي الإيمان وإنما يجب أن يذكر المؤمن الله في أوقات خاصة يحدِّدها كي تقبل نفسه على الله فتستنير فينظر كيف الطريق، ولن يخطئ عبد أبصر بالله، وإنما يأتي الخطأ والزلل من العمى (اللهم أرنا الحقَّ حقّاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه). ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا**﴾: عملوا الإحسان والخير. ﴿**فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ**﴾: حياة حسنة طيبة بالسعادة والنعيم دائماً. ﴿**وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ**﴾: فمن خاف على نفسه أمراً فليضرب في الأرض. ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾: على حسب نيَّتهم، بالصدق، طلَّقوا الدنيا بالتفكير فأعطاهم الله عطاءً عظيماً.

سورة الزمر: [11-20]

11- ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾: هكذا أمرني الله.

12- ﴿**وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**﴾: لله بتطبيق أوامره، أبدأ بنفسي في تطبيق الأوامر، كذلك كنت أول المسلمين حينما نادى الله قبل المجيء للدنيا "ألست بربِّكم". كان رسول الله ﷺ أول المقبلين.

13- ﴿**قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي**﴾: إن سرت برأيي وسايرتكم. ﴿**عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾: يوم القيامة أكون فيه متألماً، لذلك ما يأمرني به ربي أسير عليه، لا أتبع إلا ما يوحى إليّ.

14- ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**﴾: إنني أطيع الله وحده.

15- ﴿**فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ**﴾: لكم الاختيار. ﴿**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ**﴾: خسروا أهليَّتهم العالية باكتساب الخيرات. ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: سيرون الذين كانوا معهم في الدنيا قد تباعدوا عنهم في الآخرة ولعنوهم. ﴿**أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾: أفليس ذلك خسراناً؟ هل من خسارة أكبر من خسارة الجنة ومشاهدة وجه الله الكريم؟

16- ﴿**لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ**﴾: لو فكر الإنسان في لهب شمعة هل يستطيع أن يضع أصبعه عليه مدة من الزمن، فكيف سيصبر على عذاب شديد لا يعرف منتهاه. ﴿**ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ**﴾: ليسلكوا طريق الحقِّ والإيمان. ﴿**يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**﴾: آمنوا بالله لتتقوا وتنالوا نوراً فلا تخطئوا الطريق، طريق الجنات.

17- ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ**﴾: المنكرات، بالأزل النفوس طغت بلذائذ الشهوات فانحجبت عن جنَّاتها وعلومها وأسمائه تعالى الحسنى، الطاغوت: ما طغى عليهم بالماضي قبل مجيئهم للدنيا والذي قطعهم عن الله ونوره، هؤلاء جاؤوا للدنيا، جاهدوا بهوى أنفسهم المهلك وبالشيء الذي طغى عليهم

فآمنوا ورجعوا للصلة مع الله ونجحوا. ﴿**أَنْ يَعْبُدُوهَا**﴾**:** ما أطاعوا هوى أنفسهم. ﴿**وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ**﴾**:** رجعوا إليه سبحانه بالتوبة وآمنوا به. ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى**﴾**:** بالجنة ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ**﴾**:** يا محمد ﷺ بها.

18- ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ**﴾**:** قول الله، يستمعون من رسول الله ﷺ أو المرشد الصادق من بعده. ﴿**فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾**:** يطبقون ما يأمرهم به الله على لسان رسوله ﷺ. ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾**:** الصادقون لبُّوا نداء ربِّهم فصار في قلوبهم حياة وسعادة.

19- ﴿**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ**﴾**:** فأين الشفاعة الموهومة؟ هذه الآية تنفي الشفاعة المزعومة يوم القيامة. إنما الشفاعة تقارب نفسين بالحب والتقدير والتعظيم فتميل الثانية حيث تميل الأولى، فمن أحبَّ رسول الله ﷺ لكماله مال معه إلى الله فأحبَّ الله فينطبع في نفسه الكمال، ولن يحبه إلا إذا استقام على أمر الله. وعند الإقبال مع الرسول على الله يرى كمال الله وأسماءه الحسنى فينظر بها إلى ما يُعرَض له فيرى فيه الحق ويميز الخبيث من الطيِّب.

20- ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ**﴾**:** كل من وصل للتقوى وارتبط برسول الله ﷺ بعد أن آمن. ﴿**لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ**﴾**:** على الأعمال. أي جنات، دائماً من جنة لجنة أعلى، الإنسان إن دخل غرفته ينستر بها ولا أحد يراه، كذلك بالآخرة جنة الإنسان لا أحد يراها، مستورة عن غيره، الغرفة: من الغَرْف، والغَرْفُ هنا نفسيٌّ وليس جسدياً أي ما يأخذه المؤمن بالآخرة من عطاءٍ كبير من ربه وجنات لا نهاية لها. فالعطاء من الله للنفس، والنفس غَرْفها من الله كبير، ولكلٍّ على حسب ما وصل إليه من درجة، فالأتقياء غَرْفهم أكبر من غَرْف المؤمنين، غرفهم جريان دائم عليهم أما المؤمن يغرف غرفةً فيعيش فيها فترة ثم تأتي غيرها، وهكذا غرفة وراء غرفة تصبح غرفات والكل جالس بغرفته عند النبي ﷺ. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾**:** كذلك لهم نعيم مادي بصورة مستمرة. ﴿**وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ**﴾**:** وعده سبحانه حق.

سورة الزمر: [21-30]

21- ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾**:** هل من أحدٍ تصل يده إلى السماء وله الحكم فيها وبمجريات أمورها؟ هل من غيره سبحانه يفعل هذا؟ فالله عزّ وجلّ يحضّنا لكي نسعى للوصول بالأصول فنحصل على هذه الرؤية ونرى أن يد الله هي المتصرّفة في شؤون الكون كلّه ونتوصل لمشاهدة أن لا إلّه إلا الله. ﴿**فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ**﴾**:** هذه المياه تنزل ثلوجاً في القطبين ثم تأتي عبر أقنية لكل بلد وقطر، فكِّر أيها الإنسان بهذا لترى فضل الله عليك ورحمته بك، فلقد جاءك تعالى بكلّ احتياجاتك فسلك لك المياه العذبة الرقراقة الصافية الآتية من الأقطاب ببرودتها الشديدة، كل ذلك هدايا يُوادِدك الله بها ولكي تفكّر في هذه النعم فتحب الله على ما يغزوك به من نعمه فتستنير بنوره فترى الخير من الشر وتنال الخير. أليست هذه الآية بمعجزة لكل من فكَّر! ﴿**ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا**﴾**:** ماء السماء فيه الحياة، بهذا الماء يخرج الزرع، لولا المطر ما أكلت أيها الإنسان طعاماً. ﴿**مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ**﴾**:** كل نبات وثمر بلون وطعم ورائحة؟ فيد من عملت وتعمل هذا؟ من أين هذه الألوان المتنوعة المتعددة وهذه الصبغات المختلفة، من الذي لوَّن وأخرج وهي في الأصل بذرة ميتة، يدُ مَنْ أوجدت وأبدعت، ألا يجدر بك أن تفكّر وتدقق في هذا كله حتى تتوصَّل لتلك اليد المسيّرة الحنونة الرحيمة؟ ﴿**ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا**﴾**:** كذلك حالك في الدنيا وما تمر بها من أدوار أيها الإنسان، فالقصد معرفة الله لا الدنيا الدنية، فهذا كلّه زائل ومنقضٍ والله هو الباقي الذي لا يزول، فابحث عن الدائم جلَّ فضله ليدوم لك العطاء منه. ﴿**فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا**﴾: يفقد الحياة والنضارة والاخضرار. إذن من الممد له الذي أخرجه ودبَّ فيه الحياة ومن ثم قطعها عنه؟ ماذا تنتظر؟! أليس حريٌّ بك أن تتعرَّف عليه جل شأنه؟! ﴿**ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا**﴾: لا حياة فيه. وهكذا الدنيا تبدأ جميلة نضرة ثم لا تدوم

بل تفنى وتزول، والإنسان يخرج طفلاً ثم شاباً يتمتّع بالقوة والنشاط والجَمال ثم لا يلْبث أن يهرم ويشيخ ويموت فلا باقي إلا الله، فكل ما تتعلق به من الدنيا نهايته إلى الفناء والزوال، وأنت أيضاً أيها الإنسان لك بداية ونهاية. ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾: إنما يذكر تلك الحوادث ويتذكر خالقها وموجدها "أولو الألباب" أصحاب القلوب الحيّة بالله "المؤمنون"، أولئك اهتموا باللبّ وتركوا القشور فتفتّحت منهم عين البصيرة، الذين فكّروا واهتدوا هذه الآية تذكّرهم بربهم وبنهايتهم.

22- ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**﴾: آمن، فاتقى، فاستسلم لله. ﴿**فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾: صار له نور يميّز به الحقَّ من الباطل. ﴿**فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾: لهم الويل، وكم ولّى عنهم من خيرات! الذين جاؤوا للدنيا وما عرفوا ربهم، ما آمنوا به خسروا الجنات. ﴿**أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾: عن السعادة والجنة، ضلُّوا الطريق إليها.

23- ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾: هذا البيان الذي بيَّنه الله على لسان رسوله ﷺ وهذه الدلالة أحسن شيء لك وتناسبك أيها الإنسان، الله سبحانه خاطب رسوله بهذا البيان مكالمة. ووظيفته ﷺ دائمة، وانتقاله ﷺ بالجسد لا يؤثر على وظيفته ولا يوقفها، فالنفس خالدة لا تموت، فقط أنت أيها الإنسان اجتهد واتقِ لتسمع حديث الله المنزل على رسوله، الصحابة الكرام سمعوا حديث الله لرسوله بالصلاة. ﴿**كِتَابًا**﴾: ما كتب في نفس رسول الله ﷺ، الله سبحانه كتب بنفس رسول الله ﷺ الحقائق وهذا الحديث، وكل من آمن واتقى يسمعه ويراه. ﴿**مُتَشَابِهًا**﴾: بالخيرات متشابهاً في خيراته مثل التوراة والإنجيل، كلام الله سبحانه لكافة رسله واحد ولو اختلفت الألفاظ لكنَّ المعنى واحد. ﴿**مَثَانِيَ**﴾: متماسك مترابط، لا يمكن للإنسان أن يسمع حديث الله وكلامه المنزل إلا عن طريق رسول الله ﷺ، فمتى صاحبت نفسك نفسه الشريفة يصب ﷺ ما كتب في نفسه في نفسك أيها المؤمن، **"ما صُبَّ في صدري شيء إلا وصَبَبَته في صدر صاحبي أبي بكر"**. إذن: {**مَثَانِيَ**}: تدل على التثنية وارتباط نفوسهم بنفسه ﷺ، وكما تدل على الثناء الذي قام بنفوسهم تجاه رسول الله لما نالوا عن طريقه ﷺ. ﴿**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾: هل يخشى من لم يشاهد؟ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ونجحوا بها، تقشعر جلودهم حين يسمعون ويشاهدون حيث يكون التأثير على النفس بالبداية قوياً صاعقاً، فالآية هي التي تأخذ بكل مشاعر الإنسان وأحاسيسه وحواسه حين عقْلها أي: مشاهدتها بالنفس، فكلامه تعالى الذي ألقاه على رسوله قول ثقيل بالخيرات والأنوار، والإنسان به ينال خيرات عظيمة بنفسه لذلك ينصعق بها وهذا الشيء ينعكس على جسمه. ﴿**ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ**﴾: وهذا من طبيعة النفس البشرية بالبداية تقشعر ثم بعدها تلين وتسترسل بما شاهدت من آيات. رسول الله ﷺ لـمّا أتاه الوحي من الله تأثر تأثراً كبيراً لِما نال وشاهد. ﴿**وَقُلُوبُهُمْ**﴾: تصبح نفوسهم دائماً في تقلُّبٍ بالله، دائماً من مشاهدة لمشاهدة أعلى لأسمائه تعالى ومن إقبال لإقبال أسمى. ﴿**إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ**﴾: ما بيَّنه الله هو الذي تهتدي به وذلك بالسير ضمن أوامره. ﴿**يَهْدِي بِهِ**﴾: من أراد الهداية وسعى إليها. ﴿**مَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من شاء وطلب الهداية وسعى إليها يهديه الله، المشيئة هنا للإنسان ذاته، له الاختيار، إن شاء الهداية سلك طريقها وسار بقانونها، إن تاب وفكر بالكون وآمن اهتدى.

﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ**﴾: نفسه عن الله، الإنسان بعدم سيره بالحق وعدم تفكيره بآلاء الله يُضل نفسه عن الهداية، الله سبحانه لا يضل أحداً. {**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**}[1]. ﴿**اللَّهُ**﴾: هو سبحانه الفعّال المسير لكل ما في هذا الكون، من الذي يسيّر الشمس والقمر والنجوم وهذه الأرض بدورانها؟ أليس الله سبحانه هو المسيّر الفعّال! الذي ما فكَّر ما آمن ما شاهد الـمُسيّر هذا ضلَّ نفسه عن الله، حيث ما أشهدها تسييره سبحانه الخيّر وأفعاله بهذا الكون، لأنه ما نظر في آياته، ما فكر بالقمر والشمس ودوران الأرض،

---

[1] سورة الليل – الآية:12.

فضلّت نفسه عن المسيّر لهذا الكون، فما آمنت به تعالى. ﴿**فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾**:** هذا الذي ما فكر وما سار بالحق ولا يريد الإيمان بالله وله الاختيار، فمن يستطيع هدايته؟ مهما عامله الله ومهما جاءته مصائب وشدائد لا يسير بالحق، فمن لا يؤمن بذاته من ذاته فلا علاج له.

24- ﴿**أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ**﴾**:** وجّه نفسه لله وللرسول، فاستنار بنوره ﷺ وشاهد الخير خيراً فاتَّبعه والشر شراً فاجتنبه. ﴿**سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾**:** هل يستوي من يسير على الحق ينظر بنور الله ليفرق الخير من الشر هذا هل يستوي مع غيره ممن هو في ضلال؟ ﴿**وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾**:** ما جرَّته لكم أعمالكم.

25- ﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ**﴾**:** فلينظر الإنسان لمن قبله ماذا جرى لهم ﴿**مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾**:** جاءهم العذاب وهم مطمئنون بدنياهم، وقد نسوا ما خُلقوا لأجله.

26- ﴿**فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾**:** انخزوا بالدنيا، أعمالهم السيئة عادت عليهم بالذل. ﴿**وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾**:** فلو كانوا يعلمون لما فعلوا ما استحقُّوا الخزي به.

27- ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾**:** بيّنا لهم كل شيء لهدايتهم. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾**:** لهم الاختيار، إن شاءوا سلكوا فاهتدوا وإن ما ساروا بالقوانين ضلوا، الذي فكر بالكون آمن فصار له نور، هذا يتذكر الله وعهده معه وأسماءه الحسنى، الذي ما آمن ظلَّ على خيانته ونسيانه لربه.

28- ﴿**قُرْآَنًا عَرَبِيًّا**﴾**:** واضح بيّن، واسع المعاني. ﴿**غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾**:** يوصل للسعادة والإنسانية إن ساروا به. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾**:** يصبح لهم نور يرون به الحق حقاً والباطل باطلاً.

29- ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا**﴾**:** لكم أيها الناس، قارنوا بين سير وحال الرجلين:

﴿**رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ**﴾**:** رجل اختلف فيه أصحابه كلٌّ يدلُّه ويوجهه وجهة، فصار يقول كما يقول الناس ويفعل كما يفعلون، هذا الرجل مُسيَّر بلا تفكير. تابع لغيره حيث تتحقق شهواته وطموحات دنياه عندهم، مصلحته عند فلان وفلان... أينما جلس يتحدث عن معارفه من الأشخاص ذوي الحظ الدنيوي ويفتخر بذلك، جمعتهم المصالح الدنيوية، فإذا ما انتهت بينهم انقلبوا ألدَّ الأعداء لبعضهم. ﴿**وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ**﴾**:** وآخر له صاحب واحد يدلّه على الحق، مستسلم لرسول الله ﷺ لما رأى منه من منطق وكمال وحق. مثل سيدنا أبي بكر رضي الله عنه فقد استسلم لرسول الله استسلاماً لم يستسلمه أحد، فماذا كانت النتيجة؟ لقد ظهر وصدر منه خير عظيم لم يظهر من أحد، لقد كسر رضي الله عنه دولتين عظيمتين "الفرس والروم" وفتح بلاداً... خيره وفضله كبير، كل هذا لأنَّه سلَّم أمره لرسول الله ﷺ.

﴿**هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا**﴾**:** مع بعضهم، هل هذا مثل هذا! طبعاً لا يستويان، فالفرق شاسع عظيم. فانظر إلى أحوال المسلم وآثار ارتباطه بالصادقين ونتائجها. ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾**:** فكِّر بهما أيها الإنسان، ألا يُحمد الله أن دلّك هذه الدلالة العالية وأنزل لك هذا البيان والقرآن على رسوله ليدلّك به. ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: يتلوها رسول الله ﷺ، لكن قلَّ من يسمعها، لم يروا حقيقته العظمى ﷺ، لم يروا "الحمد لله" والسبب في ذلك: ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾**:** ما عندهم علم بأسماء الله الحسنى، لو علموا بأسماء الله الحسنى لاستسلموا، ما رأوا الرحمة والحنان والجلال والسبب هو عدم إيمانهم؛ ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ لا إله إلا الله. لو فكر بالكون لآمن بربه وشاهد (لا إله إلا الله) عندها يسلّم أمره لرسول الله ﷺ. ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: ما في القرآن من خيرات تعود عليهم إن ساروا به.

30- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾: لكلٍّ أجل ومدة في هذه الدنيا، ما جعل سبحانه لأحد الخلد في هذه الدنيا.

سورة الزمر: [31-40]

31- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: مع بعضكم، أهل النار متعادون متفرقون، كلٌّ يلوم الآخر بخلاف أهل الجنة على سرر متقابلين.

32- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: لنفسه. ﴿مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾: قال هذا من عند الله وما هو من عند الله. ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾: بالحق الذي بلَّغه إياه الرسول. ﴿إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾: ألا يستحق هذا الحقارة والذل!

33- ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾: أي: تحرَّى الصدق حتى كُتب عند الله صديقاً مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: استناروا بنور الله وأصبح لهم رسول الله ﷺ مرشداً ودليلاً.

34- ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: جنات دائمية، ما يطلبونه يجدونه حاضراً أمامهم. ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين دلُّوا الخلق على الله بكلامه سبحانه، أحسنوا لأنفسهم ولغيرهم بالإيمان.

35- ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: ليمحو الله من نفوسهم أسوأ الذي علق بها فوقعت بالإثم. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فيرى عمله وما وصلت إليه نفسه من الكمال في الجنة فيرقى به ويرقى.

36- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾: أليس الله كفؤاً؟ هل من أحد يستطيع القيام بشؤون الخلق؟ هل يستطيع أحد أن يؤذي الرسول ﷺ؟ هذه الآية نفي لكل ما يسمع من أحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أوذي. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: فليس لهم حولٌ ولا قوة. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: من يضل نفسه عن الله فلا يستطيع أحد هدايته.

37- ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾: يهدها إلى الله وبالله. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾: لا أحد يستطيع أن يضله. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾: ألا ترى كيف يعيد الله عمل الإنسان عليه إن كان خيراً وإن كان شراً.

38- ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: كل يقرّ بأن الخالق هو الله، لا يستطيعون الإنكار لظهور الأمر. ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: الذين تظنون أن لهم فعلاً وحولاً وقوة. ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: مرض أو أشياء أخرى. ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾: هل هؤلاء الأصنام يستطيعون كشف الضر وخلاصي منه. ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾: بخير. ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾: يمنعونه عني. ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: يكفيني ربي. ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: كله رحمة وحنان على الخلق، المؤمن يتوكل على الله ويوكّله أموره ويسلّمه اختياره لأنه شاهد حنانه ورأفته به وبالخلائق جميعها.

39- ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: اعملوا لتلك الحياة الدائمة في الدار الآخرة التي خُلقتم من أجلها. ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: لها. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

40- ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: في الدنيا قبل الآخرة لكم عذاب فيه الخزي. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾: دائمي في الآخرة، النار ستكون عليكم.

سورة الزمر: [41-50]

41- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن. ﴿لِلنَّاسِ﴾: لتبلّغه لهم فيسيروا فيه وتشفى نفوسهم من عللها. ﴿بِالْحَقِّ﴾: لأهليتك أنزله عليك، لأنك صاحب رحمة وحنان وشفقة على عبادنا.

﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾: الاختيار له إن شاء الهداية سلك سُبلها، أطاعك. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾: سمع وما طبَّق فما آمن، هذا لا بد أن يضل ويقع بالمعاصي والآثام. ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: العائد عليها لا على غيره، بالدنيا شقاء وبالآخرة نار، هذا فقد سعادة الدارين. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: أنت فقط بلّغ ولست مسؤولاً عنهم.

42- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾: الإنسان مؤلَّف من جسد وروح ونفس، الجسد هو مركب النفس خلقه الله لها لتستعين به على قضاء حوائجها ولتعمل به الصالحات.

والروح هي الإمداد الإلٓهي بالحركة لهذا الجسم، بها يعمل ويتحرك وكل هذا لينفذ للنفس ما تطلب وتختار والنفس هي الذات الشاعرة ترى وتسمع وتلمس عن طريق الجسم وهي التي رضيت بحمل الأمانة في الأزل وعاهدت ربَّها على عدم الانقطاع عنه سبحانه وهي التي تتنعم بالجنات بعملها الطيب وتتألم بالنار إن عملت السوء، ومعنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ أن الله يأخذها من الجسد ويسحبها منه، وهذه الآية الكريمة تذكرة للإنسان كي ينظر إلى إمكانية الاختيار المعطى له، ويبيِّن له تعالى كيف يسحب منه الاختيار في الآخرة والمثال عنه في الدنيا هو النوم. ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾: لا يردّها إلى جسدها فيحصل الموت، يمسكها عنه "الجسد" سبحانه حين انتهاء الأجل فلا تستطيع الرجوع إليه والسريان به. ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى﴾: التي لم ينتهِ أجلها يرجعها إلى جسمها. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: إلى حين انتهاء أجلها. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: من يفكّر ويقدّر فهذه الآيات يعتبر بها ويعظّمها، فالموت شيء والوفاة شيء ويكون الاستيفاء بعد الموت أو حين النوم وعلى ذلك كانت وفاة عيسى عليه السلام فهو نائم، أليس الذي خلق الكون بقادر على حفظ إنسان نائم مدة من الزمن!

43- ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾: ليس لأحد فعل أو تصرّف بهذا الكون، الذين اتخذتموهم شفعاء هل خلقوا شيئاً غير الذي خلقه الله؟ هل يحرّكون الشمس والقمر والغيوم والرياح؟ هل يسقونكم أو يطعمونكم! ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾: لا يملكون لكم حياةً ولا نشوراً وليس بيدهم شيءٌ! فكيف تتخذونهم شفعاء لكم وتعتمدون عليهم ولا تعتمدون على الله وتتوكلون عليه؟! ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: ما عندهم عقل، ليس بقلوبهم رحمة وحنان عليكم، ما عقلوا شيئاً عن الله.

44- ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾: له التسيير وهو الفعّال وحده وبيده الخير والسعادة لكم دنيا وآخرة وليس لغيره فعل بملكه. ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لله الملك، فمن الذي يتصرَّف بملكه غيره! "كما أن صاحب المتجر هو الذي يتصرف بمتجره". ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: أنتم وشفعاؤكم راجعون إليه بكل شيء بالطعام والشراب والهواء والتسيير والتربية، وغداً ترجعون إليه يوم القيامة للسؤال والحساب.

45- ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾: إذا ذكّرتهم بالله وحذّرتهم من فعل السوء، إذا ذُكِرَ عدل الله وأنه سيحاسب الإنسان على عمله اشمأزوا. ﴿اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: تراه يغفو ويتثاءب فلا يسمع لك. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: إن حدثته عن غير الله، ذكرت لهم الشفاعة. ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يصغي وينسر.

46- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾: ما أعظمك. ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خالق السماوات والأرض ومظهر ما فيهم من خصائص، مظهرهما على نظام وقوانين عظيمة. ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ﴾: ما هو مغيّب عن هذا الإنسان في نفسه الله سبحانه يعلمه، إن آمنت ورأيت رحمته يعلّمك أيها الإنسان ما غاب عنك من عيوب وأمراض في نفسك فتسعى للشفاء منها، قبل الإيمان إن رأى الإنسان عيوب نفسه يقنط لأنه غير مشاهد رحمة الله. ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: ما سينتج عنها "عن نفسه" في هذه الساعة[2] ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾: تعطي كلاً حقه وما يناسبه يوم القيامة. ﴿فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في الدنيا.

47- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: فكم لحظات هذا العذاب شديدة! ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: رأوا رحمته ورأفته وعدله وإحسانه. ﴿مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: مما لم يكن يعرفون في الدنيا ولا يتوقعون في الآخرة لما امتلأت به نفوسهم من دنايا. لم يظنوا بالله في الدنيا الظن الحسن.

48- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: تبين لهم من أعمالهم ما يسوءهم، رأوا ما ستعود عليهم أعمالهم من سوء وعذاب. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: لبسهم هذا الثوب، ثوب العار والندم والسوء أمام الخلائق كلّها، وكل ذلك سببه استهزاؤهم فما ساروا بالحق.

49- ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾: نادى يا الله أنقذني. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا﴾: فإذا كشفنا ما به. ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾: قال كما قال قارون أوتيته بكدّي ومعرفتي، ينكر فضل الله عليه. ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾: لإخراج ما في نفسه من خبث وشهوات علّه بعد خروجها من نفسه يسلك بالحق، هذا كالطفل الذي يطلب من أبيه لعبة ويصرُّ عليها مشغولاً بطلبها عن دراسته فالأب يشتري له اللعبة علّه يدرس وينجح، وكذلك حال هذا الكافر وما يعامله الله به. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الله هو المعطي والممسك وهو القابض والباسط للرزق وغير الرزق فاطلب منه واستقم، ولا تقل إن لم أفعل هذا فلن أحصل على ذلك، فلقد قالها غيرك وظن غيرك أنه قادر على الكسب الذي يريد فما أغنى عنه ذلك شيئاً.

50- ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: قارون قالها. ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: لما جاءهم البلاء والموت ما نفعهم قولهم ولا ما نالوا من مال وجاه.

سورة الزمر: [51-60]

51- ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: عاد عليهم عملهم بالسوء "بسوء المقر". ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾: ممن يقول مثل قولهم. ﴿سَيُصِيبُهُمْ﴾: كما أصاب الذين من قبلهم. ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: سيرجع عليهم عملهم بالسوء والعذاب. ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: الله في شيء، سيموتون ويرجعون إلى الله.

52- ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾: ما شاهدوا بأمّ أعينهم! ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: فالله يقدر على حسب طلبه وحسب ما يناسبه. إذا كان لاثنين خمسون غنمة فأحدهما أخذت غنماته تلد كل غنمة غنمة والثاني لا تلد غنمه شيئاً. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دالة على علم ورحمة من الله بالإنسان. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: المؤمن يرى معاملة الله لعباده بالرحمة والحنان والحكمة من هذه المعاملة فيسجد له سبحانه ويخضع.

---

[2] هو لا سواه أبداً يعلمك، منحك السمع والبصر والحواس، ويمنحك إن أقبلت عليه قلباً مستنيراً

53- ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾: أسرفوا على أنفسهم بالماضي قبل معرفتهم طريق الحق والسلوك به. ﴿**لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾: يشفي نفوسكم مما علق بها من علل وأمراض، يغفرها جميعها حينما تقبل عليه تطهر نفسك. ثق أيها الإنسان برحمة الله وحبه لك وحنانه عليك. ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾: يمحو السيئات كي يرحمك فيعطيك.

54- ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ**﴾: عودوا إلى ربكم. ﴿**وَأَسْلِمُوا لَهُ**﴾: ولكن لتحصل المغفرة ارجع إلى الله تائباً واستقم، استسلم إلى الله. ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾: فمن ينصركم حين تقعون هلكى.

55- ﴿**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: اتبعوا هذا البيان وهذه الدلالة، دلالة رب العالمين هذه فيها خيركم. ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ**﴾: الموت. ﴿**بَغْتَةً**﴾: فجأة. ﴿**وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾: ملتهون بالدنيا ومشاغلها.

56- ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ**﴾: لئلا تندموا وتتحسروا وتقولوا عند الموت. ﴿**يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾: المعرض يتحسَّر حسرتين، الحسرة الأولى: حين الموت، لَمَّا يموت الإنسان ينكشف الغطاء عنه فيشاهد الأزل ويشاهد عهده مع الله وكيف خان ربَّه وانقطع عنه سبحانه وتعالى بلا سبب فيتحسَّر على ما فرَّط وضيَّع من خيرات وأنوار في الأزل.

الحسرة الثانية: بعد أن فقدت هذه النفس سمعها وبصرها بانقطاعها عن الله ولرحمته تعالى بها عوَّضها عن البصيرة بالبصر وعن السمع النفسي بالأذن، عوَّضها بهذا الجسم عن كل شيء فقدته حتى ترجع إلى ما كانت عليه، فجاؤوا للدنيا والتهوا بالشهوات ولم يطلبوا غيرها وما سمعوا من رسول الله ﷺ، وهذه هي الحسرة الثانية حيث ضيَّعوا هذه الفرصة في الحياة الدنيا وما رجعوا للصلة بالله وخسروا ما أعدَّه تعالى لهم من عطاءات. فعند الموت يحصل لهم حسرتان على هاتين الفرصتين وكيف ضيَّعوهما. ﴿**وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾: غير مبالين وغير عابئين، شاهد الآيات الكونية من شمس وقمر ونجوم فما فكر بها ليصل للإيمان، سمع بيان ربه من رسول الله ﷺ فما التفت إليه، حبُّ الشهوات أعماه وأصمَّه عن سماع الحق.

57- ﴿**أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾: أرسلت لكم من يدلكم ويرشدكم وأنزلت بياني وكلامي عليه فلا حجَّة لكم بشيء. هم نسبوا غوايتهم لله. قالوا: "حتى الله يهدينا". مع أن الله تعالى ما خلقهم إلا للهدى.

58- ﴿**أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ**﴾: حين يأتيكم الموت وتُكشف الحقائق لكم. ﴿**لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً**﴾: عودة للدنيا. ﴿**فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾: لكي أعمل الإحسان، بالموت يرى الإنسان الحقائق ويعلم أنه جاء إلى الحياة الدنيا لفعل الخير والإحسان.

59- ﴿**بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ**﴾: عن التفكير بها. ﴿**وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾: أصبحت بذلك من الكافرين الناكرين بسبب عدم التفكير بها.

60- ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ**﴾: دلّوا الناس دلالةً باطلةً باسم الدين، جاؤوا بدلالة من عندهم لا من عند الله، قالوا كشف الوجه ليس بحرام، الربا بنسبة قليلة لا مانع منه، ساروا على جهل آبائهم وأجدادهم وما ورثوه عنهم. ﴿**وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ**﴾: من أعمالهم السيئة ودلالتهم الخلق بغير كلام الله. ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾: الذي لم يفكر بما يقول ويفتي، ولا بما يأمر الله فلم يعرف الحق هذا تكبَّر على ربه، سار برأيه لا بكلام الله ودلالته، هذا له الذل والحقارة دنيا وآخرة.

سورة الزمر: [61-70]

61- ﴿**وَيُنَجِّي اللَّهُ**﴾**:** من هذا العذاب. ﴿**الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾**:** الذين آمنوا بعد أن فكروا بالكون هؤلاء صار لهم نورٌ من ربهم فلم يقعوا بشيء لا يرضى الله به. ﴿**بِمَفَازَتِهِمْ**﴾**:** بما فازوا به من جنات بسبب إيمانهم العالي وأعمالهم الصالحة. ﴿**لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ**﴾**:** لا يتذكرون شيئاً يسوءهم. ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾**:** على الدنيا وتركهم لها حيث نالوا الجنة والنعيم.

62- ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾**:** بهذا الكون. ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾**:** متوكل أمره فليس لأحد حول ولا قوة.

63- ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾**:** الجمال، العظمة، القدرة، ... من الله، ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ**﴾: وما قلّدها من جمال هو من الله. ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾**:** ما فكروا بالكون وما فيه من آيات دالّة على لا إلٓه إلا الله. ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾**:** فضلنا وما أعددنا لهم من جنات وسعادة.

64- ﴿**قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ**﴾**:** أن أطيع وأسترشد. ﴿**أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**﴾.

65- ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ**﴾**:** لئن أتيت بشيء من عندك من دلالة أو قول. ﴿**لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾**:** فلن يثمر. ﴿**وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾**:** أي أن الله تعالى حذَّر رسله من أن يأتوا من عند أنفسهم بدلالة أو قول كي يرشدوا الناس بل يجب أن يتَّبعوا ما أنزل الله بحذافيره ويطبقوه بتمامه ذلك لئلا تحبط أعمالهم في سبيل الحق، والله أعلم بمن خلق وهو أدرى بالذي يصلحهم ويسعدهم ويهديهم إلى الحق.

﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: هذه الآية الكريمة جواب للجاهلين الذين ورد ذكرهم بالآيات الكريمة التي قبلها: **{قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ}**.

فهؤلاء يطلبون من رسول الله ﷺ أن يأتي بشيء من عنده أو كلام غير كلام الله وأن يعبد غير الله فكان الجواب لهم:

﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾: أي قل لهم أيضاً "وهذا جواب لهم": ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: فلئن اتَّبعتُ غير كلام الله أكون قد أضعت السبيل لإنقاذكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور، والرسول ما فعل ذلك، وهذا دليل أن الرسول ﷺ ما جاء بشيء ولا قول من عند نفسه بل كلّه من عند الله، فالرسول: رسول الله ولا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

قال تعالى: **{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}** [3]

66- ﴿**بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ**﴾**:** أطيع. ﴿**وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾**:** والشكر أن تبذل مما أعطاك الله.

---

[3] سورة يونس – الآية:15.

﴿**بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِّنْ الشَّاكِرِينَ**﴾: بل تفيد الإضراب وهي تنفي ما قبلها وتثبت ما بعدها، إذن رسول الله ﷺ لم يتكلم من تلقاء نفسه ولا كلمة ولا يتكلم إلا بكلام الله وبوحي من الله ولا يعبد غير الله.

67- ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾: لم يفكروا بالكون وبما فيه من آيات حتى يصلوا للإيمان بلا إلَه إلا الله ويشاهدوا أن الله وحده الفعّال المتصرف بملكه سبحانه. وكذلك لم يعظِّموا رسول الله ﷺ ولم يقدّروه حتى ينالوا ليلة القدر، فتعظيم رسول الله ﷺ يوصلك لتعظيم الله، فيريك ﷺ عظمة الله وجلاله وجماله تعالى. ﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ**﴾: لا كما يظنون أن الكون محكوم بقوانين تسيّره أو الطبيعة، حينها "يوم القيامة" يرون أنه لا ظُلْم في الأرض بين مخلوقاته. ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: يرى الكافرون يوم القيامة ذلك، يرون أنها كانت بقبضته تعالى وهو سبحانه ممدها ومسيرها والفعل كله له وبيده. ﴿**وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ**﴾: كذلك السماوات كانت طريقاً للإيمان. ﴿**بِيَمِينِهِ**﴾: الأرض والسماوات وكل ما فيهما مُسَيَّرٌ لخير هذا الإنسان. ﴿**سُبْحَانَهُ**﴾: مبرّأ. ﴿**وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾: من أن لأحد فعلاً وحولاً غيره لهذا الكون.

68- ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**﴾: رُدَّت الروح إلى الجسد، الصور هو الجسد فإنه مادة كما وأن القرن الذي ينفخ فيه مادة، نبتوا كما تنبت البقلة. ينفخ الله الروح أي الحياة بالأجساد، الجسد بلا روح لا يتحرك لذلك بعد أن يعيد الله خلق الأجساد يرسل النفوس إليها ثم ينفخ الروح بالجسد، هذا الجسد في الآخرة لا عمل له إلا للذكرى والتذكّر وليس لحمل النفس، فأهل الجنة حينما ينظرون إلى أجسادهم يتذكرون أعمالهم العالية التي قاموا بها بالدنيا وبواسطتها يقبلون على الله تعالى وينالون الجنات، أما أهل الكفر حين ينظرون إليها يتذكرون ما قاموا به من أعمال سيئة فيندمون ويرمون بأنفسهم في النار للعلاج فيها، فهذا الجسد باق بقاءً بلا عمل.

﴿**فَصَعِقَ مَنْ**﴾: منْ للعاقل، الحديث عن المكلفين الذين كلَّفهم الله بحمل الأمانة فخانوا عهدهم معه سبحانه. ﴿**فِي السَّمَاوَاتِ**﴾: الذين علوا في الأرض وسموا فيها بالمناصب والمال والجاه وصارت لهم أعمال كبيرة بالإجرامات مثل فرعون وآله وغيرهم. ﴿**وَمَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾: كذلك الفقراء الذين ما ساروا بالحق. ﴿**إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾: ممن آمنوا وعملوا الصالحات. إذ خافوا بالدنيا على مصيرهم فوقاهم الله شر ذلك اليوم. ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى**﴾: لبسته النفس. ﴿**فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾: إلى أعمالهم.

69- ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾: أنار الله هذا الكون فلم يعد ثمة شمس ولا قمر، كذلك لا أحد عنده نور باستثناء السادة الرسل والأنبياء، لأن الناس خانوا عهدهم واستغرقوا بالشهوات ونسوا ربّهم وأنواره وجاؤوا للدنيا عمي القلوب، لذلك وضع الله لهم أعيناً وأرسل لهم أنواراً عن طريق النجوم والشمس والقمر والنهار وهذه الأنوار لا ترى النفس بها الحقائق وإنما رؤية الحقائق تكون بنور الله ونور رسوله ﷺ وذلك بالإيمان بالله والرابطة النفسية برسول الله ﷺ، عندها يرجع للإنسان نوره الأزلي الذي فقده بالشهوات ويصبح له نور من الله يزداد بازدياد إيمانه وأعماله الصالحة، وغداً يوم القيامة بنوره سبحانه يري كلّ نفس ما عملت في حياتها وما فعلته في الدنيا بالموقع والأشخاص، ولولا نوره سبحانه تظل الأنفس في عماها لا ترى شيئاً، إذ لم يعد هناك ضياء الشمس والقمر. أشرقت: أي يشرق نوره تعالى في الأنفس جميعها فترى ما عملت في الدنيا من أعمال وتشاهدها. ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ**﴾: ما كتب في نفسك أيها الإنسان تراه يوم القيامة مجموعاً لك حاضراً أمامك وبالمثاقيل. ﴿**وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ**﴾: الشهداء: المؤمنون الذين شهدوا الحقَّ للخلق.

{**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**}[4]، جمع كلمة شهيد بالنسبة لغير الأنبياء والرسل شهداء، أما بالنسبة للأنبياء والرسل تجمع بـ (أشْهَاد) وهي من الشّهد، أي: العسل، لأنهم أجمل وأغلى وأحلى ما خلق الله. ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾: أعمالهم تعود عليهم.

70- ﴿**وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ**﴾: كل نفس تأخذ حقَّها. ﴿**وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾: بالدنيا.

سورة الزمر: [71-75]

71- ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا**﴾: كل جماعة بحسب درجة كفرهم وإعراضهم. ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾: لكل فئة من الناس حسب أعمالها باب. ﴿**وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا**﴾: الملائكة. ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى**﴾: جاءنا وكفرنا بهم، ما آمنا فوقعنا بالأمراض لذلك لا بد من العلاج. ﴿**وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾: يلزم الكافر العذاب بسبب ما في نفسه.

72- ﴿**قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾: أبواب جهنم: الموبقات التي وقعوا بها فأوصلتهم إلى جهنم. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾: الذين تكبروا عن التفكير، ما فكروا بالكون ولا بدلالة الرسل ليؤمنوا.

73- ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا**﴾: جماعات، المتقين وأصحاب اليمين كلٌّ مع رسولهم الذي بعث فيهم. علموا أن هناك شيئاً شهيّاً فانسحبوا له وانساقوا إليه، سيقوا على حسب طلبهم، أي توجهوا للشيء الذي سيعيشون به أبد الآبدين إلى الجنات فساروا إليها. ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾: أبواب الجنة ثمانية، أبوابها الأنبياء والرسل الكرام، فعن طريقهم ومن خلالهم تدخل أيها الإنسان على الله وتشاهد بهاءه وجماله مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ﴿**وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا**﴾: الملائكة الكرام. ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**﴾: الأمان والاطمئنان عليكم، الجنة والسعادة والنعيم لكم أبد الآبدين. ﴿**طِبْتُمْ**﴾: بإيمانكم وتقواكم طابت نفوسكم فعملتم صالحاً. ﴿**فَادْخُلُوهَا**﴾: بأعمالكم. ﴿**خَالِدِينَ**﴾: بها.

ملاحظة:

في الآية الكريمة التي تتكلم عن أهل التقوى ودخولهم الجنّة، وصف تعالى دخول المتقين الجنة بقوله: ﴿**وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ فوردت كلمة فُتحت مضافٌ عليها حرف الواو، أمَّا حين أوردها تعالى يصف الذين كفروا وجهنَّم فجاءت الكلمة مجرَّدة من حرف الواو (فُتِحَتْ) وهذا يدل على رحمة الله الكبيرة بهم، لأن أهل الكفر والضلال حالهم كحال المريض وقد دخل بمرحلة الخطر فأسعف إلى المستشفى حيث تفتح له الأبواب بسرعة لإسعافه وإنقاذه، أمَّا أهل التقوى وكما يقال في المثل العامي "الذي لعند أهله على مهله" فهم في الإكرام والإنعام منذ انتقالهم بالموت، ولقد قدَّم تعالى ذكر الذين كفروا بالآيات على ذكر أهل التقوى للدلالة على هذا المعنى.

74- ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ**﴾: بالجنة التي على رسله. ﴿**وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ**﴾: أعطانا حرية العمل في الدنيا لنكسب الجنة. ﴿**نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ**﴾: بالدنيا، وذلك بالأعمال الصالحة التي فيها الجنات. ﴿**حَيْثُ نَشَاءُ**﴾: الآن يجب أن تتبوَّأ من الجنة حتى تسترجعها بالآخرة، فالله سبحانه سوف

---

[4] سورة البقرة – الآية:143.

يكرِّر أعمالكم مرة ثانية وستشاهدونها، استعن بالله عن طريق رسوله واعمل صالحاً. ﴿**فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾**:** الجنة بالأعمال الصالحة.

75- ﴿**وَتَرَى**﴾**:** يا محمد ﷺ. ﴿**الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**﴾**:** الملائكة ما طلبوا التكليف والتشريف لذلك هم حول العرش وليس في العرش، العرش: التجلي الإلّهي عن طريق الأنبياء الرسل أصحاب الصحف والكتب الثمانية. ﴿**يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾**:** وظيفة الملائكة نقل التجلي الإلّهي لنفوس المؤمنين والمتقين: {**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**}[5]. ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ**﴾**:** من قبل أهل الجنة وأهل النار كلاهما يقول: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾**:** كل المخلوقات تحمد الله على ما حكم بينها وأعطاها.

والحمد لله ربِّ العالمين.

---

[5] سورة فصلت – الآية:31.

تأويل سورة غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة غافر: [01-10]

1- ﴿حمٓ﴾: عندما يقرأ القارئ المعوذة الأولى "سورة الناس" ثم ينتقل إلى الثانية "سورة الفلق" ويعرف خلق الله ينتقل إلى الصمدية وأن الله أحد ثم في سورة المسد "تبَّت" يعلم كيف أن للمعرض الخسران، وفي سورة العصر يعلم أن أَتْبَاع محمد ﷺ الذين أحبوه وأطاعوه هم الناجحون ويصير القارئ أيضاً من أتباع محمد ﷺ فتستنير بصيرته وتحصل له التقوى فيقول قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون لأنه عرف الحق، ومن ثم يبيِّن الله له أن: إنَّا أعطيناك الكوثر وبعدها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، وهذه بداية تَعَلُّم الإنسان للإقبال على الله والاستنارة بنوره، وهنا أيضاً في هذه السورة الله سبحانه افتتحها بصفات محمد ﷺ لأن النفس تميل إلى الكمال فتميل لرسول الله ﷺ فتدخل معه على الله فتستنير فترى آيات الله.

﴿حمٓ﴾: خطاب من الله سبحانه للمصطفى أي يا حامداً، يا محموداً، يصبح المرء حامداً إذا رأى صفات مولاه. وكل مؤمن آمن وشاهد ربَّ العالمين تهيم نفسه بالله حباً ويصبح حامداً لما يتفضل الله عليه من جنات، فبهذه الأحرف خاطب الله تعالى رسوله الكريم لكي يسلك المؤمن مسالكها، فرسول الله ﷺ لـمَّا آمن بربه صار حامداً لله محموداً عند الله وعند الخلق.

2- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: لـمَّا سَما رسول الله ﷺ وعلا بالأزل نال من الله نوالاً عظيماً، نال جنات وعلوماً عظيمة لا مثيل لها فهذا الكتاب ناله ﷺ بإقباله واجتهاده، والله تعالى أنزل على رسوله الكريم ما كان قد ناله ﷺ، أنزله بشكل ألفاظ "لفظاً" فهذا التنزيل وهذه الألفاظ وراءها حقائق يجب على الإنسان الوصول إليها ليرى ويشاهد، ولن يصل إليها إلا بالإيمان بالله ورابطة نفسه برباط المحبة والتقدير لرسول الله ﷺ.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: هذا الكتاب الذي طُبع بنفس رسول الله ﷺ هو من الله وليس من الرسول، دلالته وبيانه مُنزَّل عليه من عند الله. ﴿الْعَزِيزِ﴾: الواحد الفرد بكماله، كماله سبحانه مطلق، الخير فقط منه تعالى. ﴿الْعَلِيمِ﴾: عَلِمَ الله سبحانه وتعالى أهليَّة محمد ﷺ فأنزل عليه الكتاب لِمَا صار في قلبه من الحنان والعطف والرحمة بالخلق، وأن إنساناً لا يولي إنساناً في وظيفة جزافاً بل بحسب أهليَّته فكيف برب العالمين.

رب العالمين عليم بكم أيها المؤمنون وبكل نفس، فمتى آن الأوان فالله سبحانه يعطيها ولكن أنتم اعملوا.

3- ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾: يمحو من النفس ما علق بها إن هي أقبلت عليه، لابدَّ وأن يغفر الله للإنسان فيجب ألا يلجَّ. الذنب هو الشهوة الخبيثة العالقة بالنفس وهذه لا تزول إلا بالصلة به تعالى بعد الإيمان. ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾: يقبل الله سبحانه التوبة. إذا وقع الإنسان بالمعاصي ثم تاب فآمن ثم صلَّى والتجأ إلى الله فهنا تُقْبَل توبته إن أراد التوبة، إذ التوبة لا تتم إلا بعد الصلاة، تارك الصلاة ملعون. ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾: شديد: لأن المعرض إذا وقع فدواؤه شديد، ومن وراء هذه الشدة خير عظيم كما حدث لبني إسرائيل **﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ**

﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاَءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1]. أي عظيم خيره عليكم لأنهم كانوا مستغرقين بالدنيا وبهذه الشدائد التفتوا إلى الحق وساروا مع رسولهم الكريم موسى عليه السلام، العقاب: يتعقَّب الإنسان على كل عمل أو قول أو خاطر، فهو سبحانه مُعَقِّبُك أينما سرت.

﴿ذِي الطَّوْلِ﴾: يده سبحانه تطول كل شيء، صاحب قوة لا نهاية لها وهذا الكون لا يذكر أمام قوته، يده طائلة بالإحسان والمعالجة؛ يضيّق على من شذَّ ويحسن لمن أحسن وإذا لم يرجع من يعالجه سبحانه عندها يأخذه. **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾:** مُسيّر الكل، لا يوجد غيره مُسيِّر لهذا الكون، الإنسان، الحيوان، الشمس والقمر والشجر، الأراضي، كلّها بيده سبحانه يُسيِّرها، كذلك الجن وشياطينها فلا تخشَ أحداً أيها الإنسان، إن كنت مستقيماً طاهراً فلا سلطان لأحد عليك كلّه بيده سبحانه وتعالى، إن شذّ الإنسان يداويه ليتوب. **﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾:** الرجوع.

4- **﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:** لا يعرف الخير مما في الكون من أعرض عنه تعالى، الكافر الذي ما فكَّر وما عظَّم الله تذكر له الآية فيجادل فيها مع أنها ظاهرة. كل من لم يؤمن بلا إلّه إلا الله إيماناً شهودياً لابد وأن يجادل، حيث أنه لا يعرف ما في الكون من خير بسبب كفره وإعراضه عن الله. **﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾:** لا تطمع بهدايتهم. **﴿تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾:** ما يصلون إليه من مراتب في الدنيا، عن قريب يزول سلطانهم.

فما هم فيه من مناصب ورتب وجاه كله سيزول من هنا بحياتهم الدنيا نهايتهم تعيسة أمراض وآلام وعذاب... **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾**[2]. هؤلاء سوف يأتيهم من العذاب من الآن بالدنيا وعند الموت ينزل بهم عذاباً لو نزل بأهل الأرض جميعاً لأهلكهم، وكل هذا رحمة من الله بهم ليتحوَّلوا عمَّا بهم من عذاب نفسي لا يطاق.

5- **﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾:** كذَّبوا رسولهم كما يكذبونك الآن. **﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾:** يريدون أن تكون الأمور على هواهم لا على هوى رسلهم العالي الربَّاني في السير بالحق والفضيلة لذلك همَّت كل أمة برسولها. **﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾:** جعلوا لغير الله فعلاً بهذا الكون، لَحِقوا "المخلوق" من لا فضل له ولا يخلق ولا ينزل مطراً، وتركوا الخالق الرزَّاق. **﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾:** لا يريدون الحق والسير به ولا أن تسير الناس عليه، لذلك قاموا يحاربونه خوفاً على دنياهم. **﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾:** ماذا حلَّ بهم أخيراً.

6- **﴿وَكَذَلِكَ﴾:** هذا قانون لكلِّ من مالَ للدنيا وشهواتها ولم يطلب الله وجادل بالحق. **﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾:** يعطيه الدنيا وشهواتها. **﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:** كفرهم يجرّهم إلى العمل المنحط. **﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾:** عملهم المنحط عاد عليهم بهذا المصير، عاد عليهم بالنار.

7- **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾:** يحملون التجلّي الإلَهي، الرسل يحملون الفيض الإلّهي ودوماً الله متجلّي عليهم. **﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾:** المرتبطون بهم. **﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾:** يُسبِّحون الخلق، يبيّنون للخلق حنان الله وفضله ويؤمنون به، لَـمَّا يسمع الخلق عنهم يؤمنون به سبحانه، كذلك هم يَسْبَحون بفضل الله ويحمدونه. **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾:** يدلُّون المؤمنين على المغفرة، إذا ارتبطت أيها الإنسان بهم ودخلت معهم على الله يحصل لك الشفاء النفسي وهو المراد بالمغفرة.

---

[1] سورة البقرة – الآية:49.

[2] سورة طه – الآية:124.

﴿**رَبَّنَا**﴾**:** لسان حالهم يقول: ﴿**وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾**:** يتمنون لهم ولجميع الخلق الخير والنجاة من النار.

8- ﴿**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾**:** جنات دائمية. ﴿**الَّتِي وَعَدْتَهُمْ**﴾**:** بها على رسلك. ﴿**وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾**:** يطلبون لهم الشفاء ويُفوِّضون لله الأمر لأنه عزيز حكيم، كل الخير منه سبحانه ويعامل الخلق بالحكمة وبما يناسبهم.

9- ﴿**وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ**﴾**:** في الدنيا، أهل الإرشاد لـمَّا يدخلوا بمن معهم على الله لسان حالهم هكذا يقول: استرهم يا رب عن فعل السيئات لئلا يدخلوا النار. ﴿**وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ**﴾**:** المؤمن لا يقع بالسيئات وبالإيمان يُوقى الإنسان من الوقوع فيها. ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾**:** يوم القيامة. ﴿**فَقَدْ رَحِمْتَهُ**﴾**:** الذي ما عمل السيئات جرَّ لنفسه الرحمة. ﴿**وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾**:** بالجنّة ونعيمها.

10- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾**:** ما فكروا، ما آمنوا بلا إلّه إلا الله، الله سبحانه أرسل لهم رسلاً وأنبياء يدلُّونهم وملائكة دوماً ينادونهم، وخَلَقَ لهم الكون ليفكِّروا به ويؤمنوا بربهم، لكن هم ما فكروا ولا آمنوا حتى ينقذوا أنفسهم من العذاب، هؤلاء حين الموت ويوم القيامة تنكشف لهم حقائق نفوسهم ويرون ما ارتكبوا من أعمال سيئة فيمقتون ما وصلوا إليه من حال سافلٍ وقذر.

﴿**يُنَادَوْنَ**﴾**:** غداً يوم القيامة. ﴿**لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾**:** يمقت تعالى هذا العذاب لكم وأحوالكم أكثر مما تكرهون ذلك لأنفسكم لأنه رحيم بكم، كذلك مقت الله لأعمالكم. كم أنتم متألّمون من أنفسكم فقد كان تعالى لا يرضى لكم هذا الحال في الدنيا. ﴿**إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ**﴾**:** في الدنيا. ﴿**فَتَكْفُرُونَ**﴾**:** أهكذا فعلتم! حتى صرتم إلى ما صرتم إليه، جاءتكم رسلٌ ودعوكم للإيمان بالله تعالى لتسعدوا وتخلصوا من حالكم هذا فما آمنتم وكفرتم بهم.

سورة غافر: [11-20]

11- ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ**﴾**:** هذه الآية إثبات عالم الأزل.

الموتة الأولى: حين وُضِعت النفس في ظهر آدم عليه السلام.

الموتة الثانية: ثم حين أعرضت النفس بالشهوات في الدنيا.

الموت هو الانقطاع عن الله تعالى، بالأزل كانوا بحياة وصلة مع الله وسبحانه متجلٍّ عليهم بالحياة والأنوار ولـمَّا واثقهم الله وهم واثقوه بعدم الانقطاع عنه سبحانه خانوا عهدهم وغاصوا بلذائذ الشهوات فانقطعوا عن ربهم مصدر الحياة وماتت نفوسهم حينها.

﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا**﴾: نسبوا موتهم لله مع أنهم هم أماتوا أنفسهم باختيارهم الشهوات وظنهم بالله ظن السوء كظن إبليس حين قال لربه بما أغويتني، نسب الغواية لله ولم ينسبها لنفسه وهؤلاء كذلك من الأزل ظنهم بالله ظن السوء ورغم انكشاف الحقائق لهم في الآخرة ينسبون السوء لله تعالى، السبب انكشفت لهم حقائق الأمور لكن ما انكشفت لهم الحضرة الإلّهية وما شاهدوا أسماءه تعالى الحسنى فما عرفوا شيئاً عنه سبحانه وظل هذا الظن بالله يساورهم لذلك يقال لهم في الآخرة: **{ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ**

الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ}[3]، {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ}[4].

عودٌ على بدء:

قالوا "أَمتَّنا اثنتين" كذلك في بطن الأم كنت جنيناً أيها الإنسان لا عمل لك وفي القبر أيضاً سحب تعالى الروح من الجسم فتوقفت حركته. في بطن أمنا كنا ضعفاء لا عمل لنا، وكذلك في الآخرة.

﴿**وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾**:** الحياة الأولى: في عالم الأزل، في الأزل أعطى الله الإنسان حرية الاختيار وكان بشهود لحضرة الله. الحياة الثانية: وكذلك بالدنيا أحياهم بواسطة الجسم حيث استعادت النفس بصرها وسمعها وذوقها لترجع إلى ما كانت عليه وتتصل بربها. ﴿**فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا**﴾**:** عدم تفكيرنا ببدايتنا ونهايتنا جعل شهواتنا الدنيوية تبعدنا، اعترفوا بعد أن شاهدوا أعمالهم بواسطة الملائكة، مجرم اعترف ولكن هل يغيّر ويتوب؟ الله يقول: **{وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}**[5]. ﴿**فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**﴾**:** هل من طريق لخلاصنا مما نحن فيه.

12- ﴿**ذَلِكُمْ**﴾**:** ظنكم السوء بالله وعدم تفكيركم جرَّكم للّحاق بشهوتكم وما أخرجتم الشهوة من نفوسكم. ﴿**بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ**﴾**:** لطاعته. ﴿**وَحْدَهُ**﴾**:** أي بيده كل شيء لا قوة إلا به. ﴿**كَفَرْتُمْ**﴾**:** بهذا ما صدقتم وأنكرتم. ﴿**وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ**﴾**:** أي أن هناك مِنْ فعّال غير الله ومسيّر. ﴿**تُؤْمِنُوا**﴾**:** تؤمنون بالشرك أن لفلان فعل يرزق ويعطي ويمنع والطبيب يشفي، وفلان يقتل ويسجن، وأن بهذا الكون ظلم.. ﴿**فَالْحُكْمُ لِلَّهِ**﴾ الحكم له سبحانه. الحول والقوة والأمر لله المسيّر، الذين أشركتم بهم بحاجة إلى من يطعمهم ويسقيهم، لا فعل ولا حكم لهم. فلِم أشركتم به ومنه تعالى كل شيء. ﴿**الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ**﴾**:** مهما شاهد الإنسان من فضله ورحمته فهو أعلى وأعلى لا حدّ لعلوّه وهو أكبر وأكبر. وهذا يشاهده الإنسان في الصلاة.

13- ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آَيَاتِهِ**﴾**:** يريكم آياته لتؤمنوا به سبحانه أنه المسيّر الفعّال فلا تقعوا بالشرك ولا تكفروا. هذا دليل واضح لتؤمنوا بلا إلّه إلا الله فتقبلوا عليه ويشفيكم ثم يمدّكم بالخيرات. ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**﴾**:** الرزق من السماء، حياة النباتات والمزروعات وروحانيتها من السماء، في الأمطار مواد الحياة على الأرض مثل الفيتامين، فلو سقي الزرع بماء الأنهار فقط دون أن ينزل المطر، لنبت الزرع بلا ثمر، ما حالك عندها، فانظر فضل الله عليك. عندما تفكر بهذا وتستدل على الله تتذكر. ﴿**وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ**﴾**:** إن لم ترجع إلى أصلك لا تتذكر، أصلك نطفة إن فكر الإنسان بهذه النقطة يرى فضل الله عليه ويشاهد ضعفه فيتنازل عن كبره وإعراضه فيؤمن ويتذكر حاله الأول نفساً مجردة ويرجع إلى جنَّته في عالم الأزل ويزداد بعد ذلك بالجنات في الدنيا والآخرة.

14- ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ**﴾**:** يا مؤمنين اطلبوا منه سبحانه الشفاء. ﴿**مُخْلِصِينَ**﴾**:** يجب أن تكون دعوتك خالصة لله لا لغاية. ﴿**لَهُ الدِّينَ**﴾**:** الخضوع للحق ولله وحده، الميل الحق له سبحانه، لا تشارك بأمره أحداً. ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾**:** لا يهمّكم أحد، لا تنشغلوا بهم. ليس لأحد سلطان على المؤمنين. (المؤمن اللّه وليّه).

---

[3] سورة فصلت – الآية:23.

[4] سورة الفتح – الآية:6.

[5] سورة الأنعام – الآية:28.

15- ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ**﴾: ليس لعطائه وجناته نهاية مهما قلت عنه سبحانه عظيم فهو أعظم وأعظم ومهما قلت رحيم فهو أرحم وأرحم ومهما قلت أوّل فهو أوّل وأوّل وليس له حدّ ولا نهاية، كل هذا يراه المؤمن بمعيَّة رسول الله ﷺ فعندما يُدخِل ﷺ المؤمن على الله يشاهد هذا المؤمن مشاهدات من أسمائه تعالى الحسنى وجماله وبهائه ما يصعق نفسه ويظن هذا المؤمن أنه لا يمكن أن يشاهد أكبر منها، لكنه عندما يُقدِّم أعمالاً صالحة عالية ثانية يشاهد مشاهدات أكبر من الأولى فيعلم أن الله سبحانه لا حدّ ولا نهاية له، وكل هذا يشاهده المؤمن في الصلاة.

﴿**ذُو الْعَرْشِ**﴾: هو سبحانه صاحب الفيض يفيض عليك بالخيرات. ﴿**يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ**﴾: يلقي تعالى "التجلِّي الإلَهي" الحياة والإمداد والإلهام، كل من صدق ألقى الحقَّ في قلبه وجرى على لسانه وأمدَّه الله بحياةٍ قلبيةٍ وتجلٍّ عالٍ. للجسد روح موجودة ومركونة بكل كائن حي وللنفس روح، هذه الروح للمكلَّفين الناجحين من الإنس والجن فقط وهي روحانية عظيمة تأتي حين إقبال النفس على الله وبها يشاهد المؤمن حقيقة النبوة العليا ويشاهد الحكمة من كل أمر وينطبع القرآن بنفسه، حتى ولو لم يفكر تأتيه تجليات وأنوار ومشاهدات لأسمائه تعالى الحسنى ينزلها الله بقلب المؤمن فلا يبغي عنها حولاً وهي غير محصورة بأُناس دون آخرين بل هي لكل طالب لها صادق بطلبه. ﴿**عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾: المشيئة هنا للإنسان كلّ من شاء يعطيه الله، كل من أراد الحياة وتوجَّه إلى الله بطلبها ألقاها عليه. ﴿**لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ**﴾: يوم القيامة، يوم يتلاقى الإنسان مع من خلقه وربَّاه، فاحذر أن تقابله وأنت على غير الإيمان وليس معك شيء من الأعمال الصالحات.

16- ﴿**يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ**﴾: بارزون بأعمالهم، كل إنسان تظهر أمامه أعماله مكشوفة بين يديه. زالت عنهم حجب شهواتهم فتبدَّت الحقيقة سافرة أن المُلك له تعالى ولا إلَه سواه. ﴿**لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ**﴾: وهم يشاهدون ذلك، أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء. ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾: اليوم قولوا وأقِرُّوا لمن الملك في الدنيا، في البرزخ، في القيامة. ﴿**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾: عندها يجيب لله الواحد القهار. المؤمن يجتهد ليرى ذلك في الدنيا. ﴿**الْوَاحِدِ**﴾: الكامل الوحيد، لا يوجد غيره كامل وما من إلَهين اثنين إنما إلَهكم إلَه واحد. ﴿**الْقَهَّارِ**﴾: معنى اسم القهار أي أن الله أعطى لعباده حرية الاختيار لكن وإن كان لهم الخيرة والاختيار إلا أن تسييرهم إلى ما اختاروا من عملٍ بيده سبحانه فمنه الحول والقوة والإمداد، فالظالم يُسلَّطُ على ظالم مثله كان قد ظلم من قبل والسارق لا يتسلط ولا يسرق إلا مِن مُستحِق سارق مثله والمال الحلال يحفظه الله تعالى، كذلك المرأة الطاهرة التي لا تريد الحرام لا يستطيع أحد أن يتسلَّط عليها ولو اختار ونوى فالله يمنعه ولا يقع اختياره إلا على امرأة طلبها الزنى مثله. {**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ**}[6] والله حَرَّم الظُّلم على نفسه وجعله مُحرَّماً بين الناس، فالله سبحانه لا يسلط أحداً على أحدٍ غير مستحق فإذا اعتدى قوي على ضعيف وتمكن منه يكون هذا الضعيف معتدٍ على أضعف منه. فكل ما قيل عن أذيَّة السادة الأنبياء وتعذيبهم لا أساس له وحاشا لله أن يجعل لأحد عليهم سلطاناً، وكلها من الدسوس لا أصل لها والله مانع رسله.

17- ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ**﴾: كل إنسان وعمله إن كان عمله صالحاً فإلى الجنة وإن كان غير ذلك فإلى العذاب والنار، ما تعمله اليوم تلقاه غداً فلا شفاعة هناك إن لم تحصل لك صحبة مع رسول الله ﷺ في الدنيا وشفاعة. ﴿**إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾: بلحظة يحاسب الخلق هذا للجنة وهذا للنار، يسرع في حسابهم يوم القيامة، فمن أين أتى قولهم أن الناس يقفون في ذلك اليوم ألوف السنين، والله سريع الحساب؟! لو أوقف طبيبٌ مريضاً بباب داره مدة فما يقال عنه؟

---

[6] سورة النور – الآية:26.

18- ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾: يا محمد "ﷺ". من عطفه وحنانه تعالى علينا يحذرنا من هذه الوقفة المخزية غداً بين يديه، ويقينا من تلك الحسرة التي تنتاب يومئذ قلوب المجرمين. ﴿يَوْمَ الْآَزِفَةِ﴾: يوم خروج الروح، حين الموت يُزَفُّ لله. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾: الخرخرة، الروح عند الحلقوم. ﴿كَاظِمِينَ﴾: لا يستطيع الإعراب عمَّا في نفسه من الألم، لا يستطيع الكلام للتعبير عمَّا يشعر به من ألم، ومتى زال البصر انكشفت الحقائق، يرى البلاء فيصيح نفسياً لذلك لا يُسمع صوته. ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾: ساعة الموت يبكون، ولكن ليس لأحد فعل.

19- ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾: طرفة عينك أيها الإنسان. ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾: وما يدور بخلدك من أفكار وخواطر ونوايا يعلمها الله.

20- ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي﴾: يحكم. ﴿بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾: العبد مثلك مملوك لا فعل له ولا يعطي ولا يمنع فكيف تسلِّم نفسك له وتترك ربك. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: ما في غيره. ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾: لِمَا تطلبونه. ﴿الْبَصِيرُ﴾: بكم.

سورة غافر: [21-30]

21- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: ليفكِّروا. ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: ما هي نتائج مَنْ قبلهم لَمَّا ما ساروا بالحق! ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: الملوك، الرؤساء الذين حكموا العباد والبلاد ما حَلَّ بهم بعدها؟ ﴿وَآَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: ما تركوا من قصور وغيرها. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: عادت عليهم شهواتهم الخبيثة بالهلاك. ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾: من يستطيع أن يدفع عنهم البلاء؟ لا أحد.

22- ﴿ذَلِكَ﴾: ما أصابهم وحَلَّ بهم من عذاب وهلاك، سببه: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بيَّنوا لهم كل شيء، بيَّنوا لهم طريق الإيمان والنجاة. ﴿فَكَفَرُوا﴾: ما ساروا بكلام الله، كفروا وأنكروا دلالتهم وبيانهم عن الله. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: بالمصائب والعلاجات علَّهم يرجعون للحق، لَمَّا ما رجعوا ماتوا وتركوا دنياهم وشهواتهم. ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: يتعقَّب الإنسان المذنب ليحاسبه ويداويه.

23- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾: أرسلناه لقومه رسولاً كما أرسلناك إلى قومك رسولاً. ﴿بِآَيَاتِنَا﴾: جاءهم بالنصائح، دلَّهم على الله والإيمان به تعالى ليخلصوا من فسقهم وضلالهم. ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: معجزات ظاهرة مكشوفة، أيَّدناه بالمعجزات: العصا، اليد يضمّها عليه السلام إلى جناحه تخرج بيضاء... وغيرها من المعجزات الأخرى.

24- ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾: إلى فرعون وجماعته ليؤمنوا بالله، أرسله ليدخلهم بالسعادة، يخرجهم من الظلمات والشقاء إلى النور. ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾: كذَّبوا لأنهم ما رجعوا لبدايتهم وما فكروا بنهايتهم، بدل أن يؤمنوا قالوا هذا، اتهموه بالسحر ليموِّهوا على أنفسهم.

25- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: بالبيان العالي، بكلام ربِّه المنزَّل عليه. ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾: لو آمنوا لشاهدوا كلامه من عند الله صاحب الرحمة والحنان بهم والمتجلِّي بأسمائه الحسنى عليهم. ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ﴾: بدل أن يتوبوا ويسيروا بالحق راحوا يقتلون أبناء بني إسرائيل. ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾: خذوا نساءهم ليكون النسل لكم. ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: مهما كادوا لردِّ الحق سيفشلون وسيعلو الحقُّ على الباطل وأهله.

26- ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى**﴾: خاف على ملكه أن يزول عنه. ﴿**وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ**﴾: يغيّر ويبدّل ما أنتم عليه الآن من قوانين عظيمة تسيرون عليها وقد ورثتموها عن آبائكم العظماء، كلّ هذا ليكسب الرأي العام والحاشية. ﴿**أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾: التفرقة، يُفرّقنا بكلامه، عرف فرعون ما لكلامه عليه السلام من تأثيرٍ قوي، فقال هذا مع أنه عليه السلام ما جاء إلا ليجمعهم بالله ولسعادتهم فقط.

27- ﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ**﴾: لا أحد له فعل غير الله سبحانه، إني معتزٌّ بالله فافعلوا ما تشاؤون فلن يصيبني إلا ما أذن الله فيه. ﴿**مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ**﴾: يرى نفسه كبيراً ولا يفكر. ﴿**لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾: يوم القيامة.

28- ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ**﴾: المؤمن فقط عند الشدة يظهر ويقف موقف الحق، هذا المؤمن من آل فرعون أي من الأقباط، كتم إيمانه عنهم لكنه بهذا الموقف ظهر مدافعاً عن موسى عليه السلام ضد فرعون وآله، لم يبالِ بأحدٍ منهم ولم يخف على مصيره، فَدى بنفسه في سبيل نصرة الحق. ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾: المؤمن قال لهم: موسى ليس له طلبٌ غير الله لم يطلب ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً، فقط طلب من فرعون أن يرسل معه قومه بني إسرائيل، لِمَ تقتلونه ولم يقل شيئاً يستحق عليه القتل، وما هو الذنب الذي جناه؟! ﴿**وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾: جاءكم بدلالة عالية منطقية بيّنة، كذلك جاءكم بالمعجزات وأنتم شاهدتم ذلك بأعينكم. ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: وكان معلوماً عند فرعون وجماعته أن الله خالق الكون لكنهم كانوا ناكرين أنه المربي. ﴿**وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا**﴾: خاطبهم حسب مفهومهم، إذا كان كاذباً يأخذ قومه ويرحل، هو طلب بني إسرائيل، ليس له مطمع، وإذا ذهب ماذا يضرّكم! ﴿**فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ**﴾: العائد عليه، وسينكشف. ﴿**وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**﴾: نخاف أن يصيبنا مما يقول. وكان عليه السلام قد تكلم معهم عن الإيمان بالله ونتائج تكذيبهم عليهم إن لم يؤمنوا وما سيحدث لهم وسيصيبهم في البرزخ والآخرة من آلام وعذاب، المؤمن من آل فرعون كرَّر على قومه ما قاله موسى عليه السلام وبيَّن لهم؛ أن ما يصيبكم الآن من شدائد وعذاب هو بعض الذي وعدكم به موسى من بلاء الدنيا وهذا كلّه لا يُذكر أمام الموت. وقد أرسل لكم الله القمل والجراد والدّم والضفادع، لو ظلَّ عليكم القمل والجراد... ماذا تعملون؟! كم أنقذكم، وإلى الآن لم يطلب غير بني إسرائيل. وهذا دليل صدق كلامه وأنه على حق. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾: طبع المسرف ردّ الحق.

لقد أصغى قوم فرعون حينما تكلم ذلك الرجل لأنه منهم ويعتمدون عليه ولكن موسى غريب عنهم، ثم أن الله تعالى القادر أعان موسى برجلٍ من قوم فرعون فقاوم الاثنان أمَّة بجملتها وذلك أن الله بيده مقاليد الأمور وهو القاهر القادر ولا حول ولا قوة إلا به.

29- ﴿**يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ**﴾: كان لفرعون يومئذ كيان وسيطرة على كل من حوله من الأمم وكذلك على قومه. ﴿**فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا**﴾: هل يستطيع أحد ردّه؟ ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى**﴾: تسيرون كما أقول واحذروا مخالفتي. ﴿**وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾: كل كافر يرى الضلال رشاداً ويسير عليه ويريد غيره أن يسير عليه.

30- ﴿**وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ**﴾: الذين تحزَّبوا ضدّ الله ورسله، أخاف عليكم أن يصيبكم ما أصابهم من هلاك، إن وقفتم ضد موسى عليه السلام يأتيكم الهلاك.

سورة غافر: [31-40]

31- ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾: لذلك أرسل الله من يرشدكم ويدلّكم على الخلاص.

32- ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾: يتنادون ساعة البلاء من خوفهم.

33- ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾: تعدون هاربين. ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: ساعتها، لا أحد يخلصكم. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: من لم يؤمن بلا إلّه إلا الله ما له خواص[7]، فارجع لبدايتك ونهايتك حتى ترى التربية ومنها تصل إلى لا إلّه إلا الله وتشهدها.

34- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جاءهم بكلام الله وبيانه كما يُبيِّن لكم الآن موسى عليه السلام كلام ربِّه. ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾: مات حزناً وألماً وإشفاقاً عليكم، سيدنا يوسف نبيٌّ دائماً متنبِّئ من ربه بالحق، شاهد عليه السلام بزمنه ضَعْفاً في قومه وشاهد أن هذا الضَعْف سوف ينعكس على مَنْ سيأتي مِنْ بعدهم "ذريَّتهم" ويضعفون أيضاً، رسول الله ﷺ قال: **"شيَّبتني هود وأخواتها"**، أما عن أصحابه فقد كان راضياً.

﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾: الناس يقدِّسون فلاناً بعد موته لأنه لا ينهاهم عن شيء ويعارضونه في حياته لأنه ينهاهم عن شهواتهم. هؤلاء قوم فرعون قالوا عن سيدنا يوسف بعد انتقاله "لن يأتي الزمان برجلٍ مثله بالكمالات"، أمَّا بحياته عليه السلام أجدادهم ما عرفوا ذلك لأنه لَمَّا كان معهم خافوا على شهواتهم ومكانتهم فقاوموه لكن بعد موته ذهبت المنافسة. هذا ما قاله المؤمن وذكَّرهم به. ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾: مَرَّ بالدنيا وما رجع لبدايته ونهايته، يمر ولا يؤوب.

35- ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ﴾: يُنكرون تسيير الله لها وينسبون الفعل لغيره تعالى، أنكروا أن تكون الأمور كلها بيده سبحانه. ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾: لا دليل لهم على قولهم هذا. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾: لا يريد لهم الله ذلك الشرك لأنه يحرمهم من الخير الذي أعدَّه لهم ويحرمهم من السعادة والجنة في الآخرة. ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: وكذلك الذين آمنوا يتأثرون عليهم. ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: تكبُّره بعدم تفكيره ببدايته ونهايته جعل عنده جبروت فصار عنده خبث كثير.

36- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ﴾: سيدنا موسى والرجل المؤمن استطاعا أن يؤثرا في فرعون، غلب الرجل المؤمن فرعون بالمنطق والحجَّة وأثَّر فيه إذ كان من قومه، وكان محبوباً ومقرَّباً لديهم وصاحب حكمة ورأي، وبرابطته بسيدنا موسى أصبح تأثيره رهيباً عليهم مما جعل فرعون يطلب الإيمان، لذلك طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحاً. ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا﴾: منظاراً أرى به السماوات وهذا دليل على مبلغ ما وصل إليه الفراعنة من علم، وهذا المنظار يتوضَّع في غرفة من الزجاج الصافي "مرصد" لتحمي فرعون من البرد ليلاً لأنه رجل كبير بالسنِّ. ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾: أسماء الله الحسنى، فرعون يعرف أن الاستمرار بملكه والوصول إلى غاياته لا يكون إلا إذا سلك بقوانين الآخرة، عرف هذا حين دلّه سيدنا موسى على الله.

37- ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾: من يُنزل المطر ويدير أمر الكون، الوصول لله لا يكون إلا عن طريق التفكير بالسماوات. ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾: لا يمكن للمرء أن ينكر وجود الله مهما تعالى وتكبَّر، سيدنا موسى كان ابن فرعون بالتبني وله تأثير كبير على فرعون وقد نال فرعون من موسى عليه

[7] من لا يؤمن بلا إلَه إلا الله ما له خواص: "خواص كلمة عامية شائعة" تفيد المعنى هنا: أن لا فائدة فلابد أن يتراجع وينتكس عن طريق الحق من لا يؤمن بلا إلَه إلا الله.

السلام أحوالاً عالية وشعر بمشاعر النبوَّة[8] عن طريقه عليه السلام لذلك طلب الإيمان بالله. ﴿**وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**﴾: استدرك فرعون فكذَّب زعمه، تلافى قوله خوفاً على الملك لَمَّا وقفت الحاشية ضدَّه، إذن فالإقرار يحصل من الجميع لكن ذلك لا يعني شيئاً إذ لابدَّ من العقل النفسي أي الشهود. ﴿**وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ**﴾: شهوته غلبت عليه، حبُّ الملك والسيطرة. ﴿**وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ**﴾: من قبل حاشيته، فخاف. ﴿**وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾: تدابيره لم تغن عنه شيئاً، خسر خسراناً كليّاً أبديّاً، فهو لم يستطع دحض الحق بمعارضته وإجرامه وعادت عليه تدابيره بالخسران، في الدنيا خسر ملكه وهلك، وفي الآخرة خسر ما أعدَّه الله تعالى له من جنات ونعيم فأصبح من أهل النار والخالدين فيها.

38- الآن بيان للدعوة إلى الله وكيفية التدرُّج بها: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ**﴾: بما أبيّنه لكم من كلام الله. ﴿**أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾: طريق السعادة والنجاة.

39- ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ**﴾: مدة مؤقتة وستتركونها بالموت، الدنيا قليلة بالنسبة للآخرة. ﴿**وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾: إن آمنتم وعملتم صالحاً تدخلوا الجنة وتستقروا بالنعيم الأبدي الذي لا نهاية له.

40- ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا**﴾: يعود عليه عمله بالسوء على قدر ما عمل. ﴿**وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾: حتى يكون العمل صالحاً؛ شرط الإيمان، ذلك لأن لكل عمل غاية في نفس فاعله ولا تصلح النيَّة إلا بعد الإيمان حيث يرى المؤمن ربه ناظراً إليه متجلّياً عليه بعطائه لذلك يعمل لله وليس له غايةٌ إلا رضاءه. ﴿**فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**﴾: بسبب ما قدَّموا من أعمال صالحة عالية. ﴿**يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾: عطاءات لا نهاية لها على نواياهم العالية.

سورة غافر: [41-50]

41- ﴿**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ**﴾: بالإيمان تنجون من العذاب وتدخلون بالسعادة وتنالون الجنات ذلك بما تقدمونه من أعمال صالحة إنسانية. ﴿**وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ**﴾: بالمعاصي والشهوات الخبيثة يقع الإنسان بجهنم ويدخل النار.

42- ﴿**تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ**﴾: المسيّر لكل شيء. ﴿**وَأُشْرِكَ بِهِ**﴾: أن أجعل للمخلوق فعلاً وحولاً وقوة! ولا فعّال غيره سبحانه. ﴿**مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ**﴾: المؤمن رأى ربّه ورأى تسييره ولذلك لا يرى لمخلوق فعل مع الله. ﴿**وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ**﴾: كل الخير منه سبحانه، به تعالى تنالون عِزَّ الدنيا والآخرة. ﴿**الْغَفَّارِ**﴾: الشافي لأنفسكم من عللها وأمراضها وشهواتها الخبيثة، كل هذا رحمة منه لتنالوا سعادة الدارين.

43- ﴿**لَا جَرَمَ**﴾: هل من شيء قليل يُثبت خلاف هذا؟! هل هناك أي دليل صغير يُثبت أنَّما تدعونني إليه له دعوة، أي له فعلٌ؟! ﴿**أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا**﴾: ليس له حقيقة ولا يوصل للسعادة بل للشقاء والإجرام والنار، مخلوق مثلهم لا حول له ولا قوة. لا فعّال إلا الله ولا أحد يمدّك سواه. ﴿**وَلَا فِي الْآَخِرَةِ**﴾: بالشرك لا ينال الإنسان الجنة بل النار مثواه. ﴿**وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ**﴾: جميعاً

---

[8] مشاعر النبوة: شعور القرب من الله تعالى وما ينال المرء الذي يتقرَّب من السادة الأنبياء أو يقدّرهم أو يحبّهم من مشاعر عالية "أذواق أو بوارق أو مشاهدات علويّة" عن طريقهم من الله تعالى، وهذه الأحوال العالية لا تحدث إلا بصحبتهم أو بحبهم والقرب منهم.

﴿**وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ**﴾: الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي والفواحش. ﴿**هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾: لهم النار في الآخرة علاجاً ودواءً.

44- ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ**﴾: في الآخرة وتعضون بنان الندم. ﴿**مَا أَقُولُ لَكُمْ**﴾: ما أرشدكم إليه الآن، ستعلمون في الآخرة أنه الحق. ﴿**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ**﴾: هو المتوكل بي وبكم. ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾: يعطي كل إنسان حقه.

45- ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا**﴾: من محاولتهم قتله، لم يستطع فرعون وجنوده أذاه بل نصره الله عليهم جميعاً. لا إلّه إلا الله، الكل بيده سبحانه، القرآن كله للدلالة على لا إلّه إلا الله وأن الفعل بيده سبحانه، كل شيء بيده تعالى المؤمن والكافر والضعيف والقوي، إن آمن الإنسان بها خلص من الشرك. ﴿**وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾: غرقوا جميعاً وماتوا وتدمَّرت بلادهم.

46- ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا**﴾: الكافر يرى ساعة موته مصيره المحتوم كما يرى المحكوم عليه بالإعدام المشنقة أمام عينه. ﴿**غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾: يرون العذاب في الليل والنهار مثل المحكوم عليه بالإعدام يرى حبل المشنقة كلما أفاق وكلما أغفى. ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ**﴾: يوم القيامة. ﴿**أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾: لما فيهم من آلام وأوجاع شديدة.

47- ﴿**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ**﴾: الكل يضع اللّوم على غيره، يلومون بعضهم بعضاً. ﴿**فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ**﴾: الذين كانوا تبعاً لغيرهم. ﴿**لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا**﴾: لرؤسائهم. ﴿**إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا**﴾: في الدنيا سرنا بأمركم. ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ**﴾: تحملون عنا شيئاً من عذابها؟

48- ﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا**﴾: الذين وضعوا القوانين وأمروا الناس بالسير بها وسيّروهم عليها، وهم لخبث نفوسهم رضوا بها واتبعوها لأنها تناسب هواهم وتحقق لهم شهوات أنفسهم، الخبيث يتبع الخبيث والطيب يتبع الطيب. ﴿**إِنَّا كُلٌّ فِيهَا**﴾: بالنار. ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ**﴾: لابدَّ منها، يميل كلٌ حسب ما في نفسه من شهوة إلى أمثاله، لو لم يكن أولئك المستضعفون في الفساد مثل فرعون لم يتَّبعوه لذا فقد حكم الله عليهم جميعاً بالنار جزاء أعمالهم.

49- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ**﴾: أهل النار. ﴿**لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ**﴾: خزنة جهنم وليس النار وهم الملائكة الذين كانوا معهم بالدنيا "الرقيب والعتيد"، هذان الملكان[9] يَعرضان لهم أعمالهم السيئة التي قاموا بها في الدنيا علاجاً لهم لكي يروا أن ما آلوا إليه من مصير هم كانوا السبب فيه ولا علاقة لأحدٍ به، وهذه الحقيقة تخفِّف عنهم الكثير من آلامهم. وجهنم إنما هي الحال الذي تعيش فيه النفس جرّاء فقدانها كل شيء بعدما رجعت لفطرة الكمال، أي جرّاء فقدانها الجاه العظيم الذي كانت ستناله بطاعتها لربِّها وإيمانها به، فلقد خسرت مشاهدة وجه الله الكريم والجنات، فلَبِسَها حالُ الخسارة والعار، وأعمالها الإجرامية باتت ماثلة أمامها وأمام الخلائق وبذا تحترق بنار الحسرة والندامة فلا تجد إلا حريق النار، نار الله الموقدة نار الرحمة لتطفئ النار التي في هذه النفس. الملائكة يرون ما تحتاج هذه النفس من علاج فيخزّنون فيها وسائل المداواة.

﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ**﴾: إلى الآن متكبّرون على الله، قالوا للملائكة ادعوا لنا ربكم ولم يقولوا ربَّنا كل هذا لأنهم ما آمنوا بالبداية ولا النهاية. ﴿**يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ**﴾: التخفيف من الذي نؤم إليه، أي فترة مؤقتة نرتاح بها من النار. عملياً التخفيف حاصل بنار الله الموقدة، ولكن لطالما أن النار "نار

---

[9] جاءت الصيغة للتعبير عن الرقيب والعتيد بصيغة الجمع "الملائكة"، "هؤلاء": حيث لكل إنسان رقيب وعتيد وبالتالي فخزنة جهنم هم مجموعة الملائكة "الرقيب والعتيد" لكل الناس الذين دخلوا النار.

الله الموقدة" هي لتخفيف نار الحسرة والندامة وألم الخسارة والعار، فَلِم يطلبون التخفيف يوماً من العذاب، أي يطلبون تخفيفها؟ في الحقيقة إن المعرض رضيَ بالنار ومع ذلك فآلامها لا تُحتمل، مَثَلُ المتألِّم الذي طلب عملية لخلع ضرسه دون مخدِّر فهو يصرخ من الألم ويطلب التخفيف، وكذلك حال الذين في النار.

50- ﴿**قَالُوا**﴾**:** الملائكة لهم. ﴿**أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾**:** تُبيِّن لكم أن الدعاء لا يجدي إلا من نفس صاحبه بعد أن يُقْبِل على الله ويطهر، أما جاءكم رسل ومرشدون دلُّوكم على الله. الملائكة لفتوهم لرسلهم عسى أن يتوجَّهوا لهم فيخلصوا من هذا الحال. ﴿**قَالُوا بَلَى**﴾**:** جاءنا رسل وبيَّنوا لنا. ﴿**قَالُوا**﴾**:** الملائكة ﴿**فَادْعُوا**﴾**:** أنتم اطلبوا منه تعالى بواسطتهم، أنتم المتألِّمون لذلك توجَّهوا لله عن طريقهم ليشفيكم الله. وسبب هذا أن الإنسان لا يمكن أن يكلِّم الله ويصل دعاؤه إليه سبحانه إلا عن طريق رسوله الكريم، وهنا الملائكة دلّوهم على الطريق وذكَّروهم بما بيَّنه لهم رسلهم من قبل من أن الدعاء لا يجدي إلا من نفس صاحبه بعد أن يُقبل على الله ويطهر، فكل من أتى أهل الحق ولو لحظة واحدة حصل له فيها دخول معهم على الله يخرج من النار. ﴿**وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾**:** طالما مصرّون على كبرهم وإعراضهم فلابدَّ لهم من العلاج والمداواة بالنار. لا يستطيعون التوجّه بقلوبهم إلى الله من خزيهم وعارهم، من أعمالهم السيئة، فلا يستطيعون الدعاء الخالص، بل هم في ضلال... في ضياع عن الدعاء الصادق المستجاب.

سورة غافر: [51-60]

51- ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا**﴾**:** قانون لا يخطئ. وكل ذلك وقع بالحروب والوقائع حتى شمل المؤمنين الصادقين والصحب الكرام. ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾**:** لابدَّ من النصر للمؤمنين. ﴿**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾**:** يمكّن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم. ﴿**وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾**:** الرسل. ﴿**الْأَشْهَادُ**﴾: مأخوذة لغوياً من الشهود ومن الشُّهْد، والشُّهْد هو العسل الخالص برحيقه وإكسيره ونقائه ولا يحوي إلا المغذيات.

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ}[10]: رسولهم الذي شهد لهم الحق ويُشهدهم الحق ويَشهد عليهم، فالأشهاد هم السادة الرسل الأنبياء العظام وكذلك هم خيرة الخلق وأعلاهم وأنقاهم فهم بمثابة الشهد الخالص لا يتطرق لهم الفساد والتلوث مهما طال الأمد.

هم يحوون الخيرات الخالصة من الله للبشر، فهم خيرة الله من خلقه وصفوته من عباده اجتباهم هادين مهديين لم تتلوث قلوبهم من حبّ الدنيا أبداً بل ملكهم حب الله وحده، فما في قلوبهم ولا أفكارهم إلا الله كما الماء العذب النقي ذرات نفوسهم الطاهرة التقية النقية المترعة بالتجليات القدسية، أقمار الحقيقة وشموس التقيين وبصحبتهم الجنات العلية السرمدية. المؤمنون بمعيَّة رسلهم يدخلون الجنة في الآخرة، وليس لهم إلا النعيم والسعادة.

52- ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ**﴾**:** مهما اعتذروا لا ينفعهم الاعتذار، لذلك لا يؤذن لهم بالاعتذار حيث انتهت الفرصة ولا فائدة منه. ﴿**وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ**﴾**:** البعد عن الله، تتباعد نفوسهم عن الله خجلاً فلا يستطيعون الإقبال عليه سبحانه بسبب أعمالهم السيئة. ﴿**وَلَهُمْ**﴾**:** على أعمالهم. ﴿**سُوءُ الدَّارِ**﴾**:** النار تسوؤهم.

---

[10] سورة النساء – الآية:41.

53- ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾: يوصل الناس بالارتباط معه عليه السلام إلى الله. ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾: الكتاب ما كتب في نفسه عليه السلام من حقائق التوراة، ولكن بني إسرائيل لم يعملوا بذلك بل ساروا بالعقائد الفاسدة.

54- ﴿هُدًى﴾: كل من يأت بعد موسى عليه السلام يستطيع الانتفاع بالتوراة بقراءتها. ﴿وَذِكْرَى﴾: تذكّرهم بالله وأسمائه الحسنى. ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: هذا الشيء يحصل لكل من فكر وآمن وشاهد لا إلّه إلا الله فعقلها، أولو الألباب: الذين لَبُّوا نداء ربِّهم عن طريق رسولهم وأطاعوه، هؤلاء دائماً تجلِّي الله سبحانه بالحياة على قلوبهم.

55- ﴿فَاصْبِرْ﴾: لرحمته عليه السلام خاطبه الله بهذا وأمره بالصبر. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: لابد من النصر والفرج. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: مما يقع بنفسك منهم، لا تستكثر من التحسُّر على مَنْ عَصوا مِنْ خلق الله لِمَا سيحلُّ عليهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: بيّن فضل الله لمن آمن معك وأنعم بهم عليك من المؤمنين. ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: بمجلسيك صبحاً ومساءً. أما خلال النهار فعليهم العمل.

56- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ﴾: لا يعرفون ما فيها من خير. ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾: لا مستند لهم على أقوالهم. ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾: يريدون الاستعلاء في الحياة الدنيا وتحقيق شهواتهم ونواياهم الخبيثة. ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾: مهما نالوا وعاشوا لابد لهم من الموت الذي يقضي على جميع آمالهم ولن يبلغوا ما أصرّوا عليه وصمَّموا. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: منهم. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لقولك. ﴿الْبَصِيرُ﴾: بحالك ونيَّتك، فلابدَّ وأن ينصرك عليهم.

57- ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾: فما قيمتك أيها الإنسان، أليس خلق السماوات والأرض أعظم من خلقك؟ أفلا يثبت ذلك البعثَ وأنك ستعود إليه سبحانه، فما حالك ساعتها وأنت بين يدي ربك وعملك بارز أمامك. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون عن الله وأسمائه الحسنى شيئاً، ولا يعلمون لا إلّه إلا الله وأنه سبحانه الفعّال المسيِّر ويده على الخلق جميعاً.

58- ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾: عند الله. ﴿الْأَعْمَى﴾: الذي ما آمن ما شاهدت نفسه الحقيقة. ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: الذي آمن وصار يشاهد بنور الله الحقائق. ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾: هل عملهما سواء. ﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: ما أصاب من سبقكم، ألا تفكِّرون ولو قليلاً بهذا الكون لتؤمنوا!

59- ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ﴾: ساعة الموت. ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: لا شك فيها. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: يعتقد الناس بالموت ولكنهم لا يؤمنون به، إن الإيمان بالموت معناه دوام الذكرى له وأن ينهاك عن الاستغراق في الدنيا والعمل لها.

60- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾: اطلبوا منه سبحانه لا من غيره. ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: إن كنتم قريبون مني مؤمنون بي مطبقين أوامري أستجب لكم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: الذين ما طلبوا الله، ما نظروا بالكون وما فكَّروا فيه. ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: سيلقون بأنفسهم في النار ليتحوَّلوا عما فيهم من جهنم.

سورة غافر: [61-70]

61- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: تستريحون فيه من بعد العناء والتعب طوال النهار، فكِّر بفضل الله عليك أيها الإنسان بالنوم، ما حالك لو تعبت ولم تستطع النوم؟ ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: لترى وتقوم بعملك فيه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: لولا الليل والنهار ما حالك أيها الإنسان،

ألا تفكر بفضله سبحانه عليك؟ ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾: الله على هذا الفضل، لا يعملون للآخرة بل لدنياهم.

62- ﴿**ذَلِكُمُ**﴾: مسيّر الليل والنهار ومسيّر الأرض. ﴿**اللَّهُ**﴾: صاحب الرحمة والحنان بكم والمتجلِّي بأسمائه الحسنى عليكم. ﴿**رَبُّكُمْ**﴾: ممدكم بالحياة. ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: لا مسيّر ولا فعال غيره سبحانه هو الخالق المربي الرزاق. ﴿**فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾: كيف تتحولون عنه لغيره من المخلوقات وليس لهم حول وقوة ولا يملكون لكم حياة ولا نشوراً ولا يرزقونكم شيئاً!

63- ﴿**كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾: كل من لم يؤمن بالله عن طريق التفكير بالكون لابدَّ وأن يتحوَّل عن الله سبحانه لغيره ويقع بالشرك والكفر.

64- ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا**﴾: تستقرون فيها مدة من الزمن، فيها كل ما تحتاجونه من أجل حياتكم. ﴿**وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾: السماء منها الخير، بواسطتها تنزل الأمطار فيخرج الزرع وتسقون أنعامكم، فهي التي تبني لكم هذا. ﴿**وَصَوَّرَكُمْ**﴾: جعل هذا ذكراً وهذه أنثى ولكلٍّ جعل له لوناً وشكلاً وطولاً حسب ما يناسبه. ﴿**فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**﴾: جعلكم على هذه الصورة الكاملة. ﴿**وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾: الأنواع المختلفة من المأكولات. ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ**﴾: فكروا بفضله عليكم وتربيته لكم. ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ**﴾: خيره المتواصل مستمر لا ينقطع عنكم. ﴿**رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾: ممدها بالحياة والتربية.

65- ﴿**هُوَ الْحَيُّ**﴾: مصدر حياتك وحياة الكائنات كلها والكون، الحياة والإمداد منه سبحانه. ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: المربي المسيّر لكل ما خلق. ﴿**فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾: كلامه تعالى هو الحق فلا تَمِلْ لغير بيانه وكلامه، الشرك: أن يسير الإنسان بغير كلام الله. ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: يُحمد على كل ما يسوقه لكم.

66- ﴿**قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: الله نهاني أن أسير على غير كلامه وأن أطيع سواه. ﴿**لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي**﴾: لا أسير بهواكم من بعد أن أنزل الله عليَّ هذا البيان وهذا العلم وبيّن لي كل شيء. ﴿**وَأُمِرْتُ**﴾: بما نلته من ربي من إقبال وعلم ومحبة له. ﴿**أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: مستسلم له لأنال الخير منه، ما يأمرني به أبلّغه لكم فلا أسمع غير كلامه.

67- ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ**﴾: فكر بأصلك مما خلقت؟! الطعام كله من التراب يأكل الأب فيصبح الطعام نطفة. ﴿**ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾: الطعام صار نطفة، فكر بهذه الآية كيف أصبح الطعام نطفة أليس مِنْ يَدٍ فعلت هذا! ﴿**ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ**﴾: علقت في الرحم، مَنْ خَلَقَ الرحم وجعل فيه ما جعل من الأشياء اللازمة والشرائط المناسبة لتصبح هذه العلقة إنساناً؟ ﴿**ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا**﴾: صارت هذه النطفة إنساناً كاملاً ألا تفكر بفضله عليك؟ خَلَقَكَ ضعيفاً بحاجة إلى الطعام والشراب وهيَّأ لك كل ما تحتاج وأنت طفل. ﴿**ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ**﴾: تصبح شاباً قوياً، من جعلك قويّاً من بعد أن كنت ضعيفاً؟ ﴿**ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا**﴾: تكبر وترجع ضعيفاً من بعد أن كنت قوياً. ﴿**وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى**﴾: شاباً. ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾: قبل الشيخوخة. ﴿**وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى**﴾: لكلٍّ جعل له أجلاً فإذا جاء الأجل لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون. ﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾: كل هذا جعله لتفكر وتؤمن به فتشاهد أسماءه الحسنى التي يعاملك بها وتعقلها.

68- ﴿**هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾: بيده سبحانه، فكر أيها الإنسان كنت لا شيء، من جعلك شيئاً وتجلّى عليك بنوره وأحياك؟ من هو الذي يميتك بعد أن أحياك وستترك كل شيء وتفارقه، مهما عشت لابد لك من الموت. كذلك إن أقبلت أيها الإنسان على ربّك أحيا نفسك بالأنوار والتجلّيات والسعادة، وإن

أدبرت عنه وتحوَّلت لغيره مات قلبك وحلَّ بك الشقاء. ﴿**فَإِذَا قَضَى أَمْرًا**﴾: أراد شيئاً. ﴿**فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾: بكلمة منه سبحانه يكون خلق كل شيء.

69- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ**﴾: يعترضون ويقولون لم هذه ولم هذه، كل هذا بسبب ما في نفوسهم من شكوك بالله. ﴿**أَنَّى يُصْرَفُونَ**﴾: انصرفوا إلى الرذيلة، ما انصرفوا للحق والتفكير بالله، هؤلاء نهايتهم الضلال.

70- ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ**﴾: الذي أنزل على محمد ﷺ. ﴿**وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾: سيرون نتائج تكذيبهم، بتكذيبهم سيقعون بالمعاصي وأعمال السوء وستعود عليهم أعمالهم بالآلام والشقاء وغداً لهم النار.

سورة غافر: [71-80]

71- ﴿**إِذِ الْأَغْلَالُ**﴾: الشهوات. ﴿**فِي أَعْنَاقِهِمْ**﴾: شهواتهم ساقتهم للخبائث، جرَّتهم للسفالة والانحطاط، لو فكروا ما وقعوا بها. ﴿**وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ**﴾: يقيّد ويسحب بها.

72- ﴿**فِي الْحَمِيمِ**﴾: بأعمالهم الإجرامية وشهواتهم المنحطة أصبحت نفوسهم ناراً، اشتعلت بهم نار جهنم. ﴿**ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾: فطرة الكمال عادت لهم وظهروا أمام الخلائق، فصار لهم العار وتشتعل في نفوسهم النار "نار المذلة" وتشتدّ بهم، لذا يجرُّون إلى النار ليخلصوا من العلل والأدران التي فيهم، يسجنون فيها لتطفئ لهم نار جهنم.

73- ﴿**ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ**﴾: الذين كنتم تسيرون بدلالتهم.

74- ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا**﴾: ذهبوا عنّا، رأوا الحقيقة لا يوجد غير الله، لا أحد له فعل. ﴿**بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا**﴾: الحقيقة ما كنَّا ندعو، كنا متَّبعين أهواءنا وشهواتنا ومصالحنا عند زعمائنا. شهدوا على أنفسهم بالكفر حيث شاهدوا أن لا فعل لغيره سبحانه. ﴿**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ**﴾: مرضى القلوب يسهِّل لهم شرب الدواء ليخرج ما بأنفسهم من شهوات خبيثة ثم بعدها يعالجهم بالشدائد ليعودوا.

75- ﴿**ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾: تفرحون بالشهوات المنحطَّة حين تحققونها. ﴿**وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾: ساروا دون قوانين وأنظمة، حملوا الأمانة وضيَّعوها ولم يسلكوا بالقوانين وبكلام الله، فقط ساروا "بالبسط والكيف".

76- ﴿**ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾: لكل جماعة ما يناسبهم وما يلزمهم من علاج، أبواب المفاسد سبعة:

1-المال الحرام، 2-والأكل بالحرام، 3-والنساء، 4-والسلطان، 5-والخمر، 6-والميسر، 7-والتعلق بالابن رغم ضلاله. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى**﴾: مكان. ﴿**الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾: بالدنيا، هؤلاء في الدنيا تكبَّروا عن التفكير بآيات الله وعلى الله ورسوله، تكبَّروا أي ما ساروا بالحق ما أعجبهم قانون الله فساروا على غير قانونه تعالى.

77- ﴿**فَاصْبِرْ**﴾: عليهم. ﴿**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ**﴾: بالنصر. ﴿**حَقٌّ**﴾: لابدّ وأن ينصرك الله لأنك على حق. ﴿**فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ**﴾: من الهلاك. ﴿**أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ**﴾: لرحمتك لا تستطيع أن تراهم وقد وقع بهم الهلاك. ﴿**فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾: للمداواة والعلاج.

78- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾: يا محمد. ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾: بالقرآن. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾: بمعجزة. ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾: لكلٍّ ما يناسبه، الذين ساروا بالباطل إلى النار، والذين ساروا بالحقّ إلى الجنة. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾: الذين يريدون إبطال الحقّ، خسروا النعيم والجنات وما أعدَّه الله لهم.

79- ﴿اللَّهُ﴾: انظر فضله عليك وبما خلق لك أيها الإنسان. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾: ما تتنعم به. ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾: منها ما يُرْكَب كالجِمَال. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: لحمها، كالغنم والماعز وغيرها.

80- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: صوفها وجلدها. ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا﴾: على الأنعام. ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السفن. ﴿تُحْمَلُونَ﴾: تحملون أنتم وأثقالكم.

سورة غافر: [81-85]

81- ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: في خلقها وتذليلها لكم. ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾: وأنتم ترونها بأعينكم.

82- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: لينظروا ويفكروا بمن سبق أمماً وأفراداً. ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الذين كذَّبوا بالحق وما ساروا عليه ماذا حلَّ بهم؟ بماذا عادت عليهم أعمالهم؟ أما هلكوا! ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: شيَّدوا الأرض وعمروها أكثر مما عمرتموها، آثارهم إلى الآن باقية مثل الأهرامات. ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: لَمَّا جاءهم الهلاك والموت كل ما بنوه وكل قوتهم وحضارتهم لم تنفعهم.

83- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بيَّنوا لهم طريق الإيمان والتقوى وذلك بالتفكير بالكون والسير على أوامر الله. ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: أنكروا الحق وما ساروا عليه، رأوا علومهم وحضارتهم أحسن مما عند رسلهم. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: وقع عليهم ما أنكروه وحل بهم البلاء.

84- ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: جاءهم الموت. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾: آمنوا بلا إلّه إلا الله. ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾: حين الموت كل إنسان يشاهد الحقائق، هؤلاء علموا لَمَّا جاءهم الموت أن الحول والقوة لله ولا فعل ولا قوة لغيره سبحانه.

85- ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: لا يفيد الإيمان حين الموت، الله تعالى أرسلنا للدنيا لنعمل الصالح الطيب، لكن حين الموت انتهت الفرصة ولم يعد بمقدور الإنسان أن يعمل ويغيِّر. ﴿سُنَّتَ اللَّهِ﴾: هذا قانون لكل مستكبر على الله ورسوله. ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾: هذا ما جرى للأقوام الماضية. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾: خسروا ما أعدَّه الله لهم من جنات كانوا سينالونها بإيمانهم لو فكروا، الكافر كل من لم ينظر بالكون ويفكر بآياته ليؤمن، هؤلاء ما نظروا ما فكروا فأنكروا نعمة الله عليهم وخسروا الجنة.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تأويل سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فصلت: [01-10]

1- ﴿حم﴾: يا حامداً، يا محموداً، رسول الله ﷺ حمد الله سبحانه لـمّا عرفه ورأى كماله فأقبل عليه وارتشف من كماله فأصبح محمود الصفات ومحمود العمل عند الله وعند الناس. لهذا أنزل عليك الكتاب.

2- ﴿تَنْزِيلٌ﴾: بما حَصَلْت عليه من صفات صار تنزيل الكتاب وقد أُنْزِل القرآن جملة واحدة على قلب النبي ﷺ، بيانك لهم هو الذي ينزل عليك. ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: إن ساروا على بيانك وطبقوه عندها يقبلون على الله بمعيَّتك، وبهذا الإقبال تشفى نفوسهم من عللها وأدرانها ويرتشفون الكمال، فيحمدون الله على ما تفضَّل به عليهم من شفاء وعطاء. ﴿الرَّحِيمِ﴾: كل هذا لأن ذاته سبحانه رحيم، ليدخلهم الجنة ويسعدوا، هذا مراد الله من خلقكم، فلا غاية له تعالى إلا سعادتكم.

3- ﴿كِتَابٌ﴾: كتب الله الحق في نفسك، كتب الله حقائق القرآن في نفسك يا محمد ﷺ. ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: بُيِّنت ووُضِّحت بحسب الوقائع. ﴿قُرْآنًا﴾: ما تقرأ على الناس، أقواله وأعماله ﷺ كلها قرآن وبوحيٍ من الله سبحانه وهذه هي العصمة، بيانك لهم. ﴿عَرَبِيًّا﴾: واسع البيان غير ضيِّق، ظاهر البيان واضح. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يعلمون لا إلّه إلا الله، يظهر المراد منه لمن له قابلية للعلم بالله، لمن حصل له العلم بلا إلّه إلا الله.

4- ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: لهم، هذا القرآن بشيراً للمؤمن، ونذيراً للكافر، وظيفته ﷺ يبشِّر أهل الحق، يبشِّرهم بالجنة، وينذر أهل الفسق والضلال والكفر مما سيصيبهم في الدنيا من مصائب وعلاجات، وما سيحلّ بهم في القبر من عذاب وفي الآخرة من نار. ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: عن بيانك يا محمد، ما صدّقوا بسبب ما فيهم من خبث نتيجة إعراضهم عن الله. ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: من إعراضهم لا يسمعون، النفس هي التي تسمع، هؤلاء قلوبهم متوجِّهة لغير الله فكيف يسمعون؟!

5- ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾: في ستر، مرتاحة، لسنا محتاجين لما تدعونا إليه، كنّوا للدنيا ولذائذها مع أنها زائلة، بدل أن تكنَّ قلوبهم لما عند الله ورسوله من جنات أبدية خالدة، قالوا ما لنا حاجة قلوبنا مستورة مستريحة. ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: مما تأمرنا به. ﴿وَفِي آَذَانِنَا وَقْرٌ﴾: لا نريد سماع بيانك، لا نريد أن نسمع إليك. اذهب عنا. ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: ستر بيننا وبينك. ﴿فَاعْمَلْ﴾: بما ترى. ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾: بالذي نشتهيه في دنيانا، عاملون بما نحب.

6- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾: لي ما للبشر وعليَّ ما عليهم. ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾: ولكن أعلم طريق الحق، أشتهي مثلكم لكن بهذا الوحي عرفت السير القويم. ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: المسيِّر للوجود واحد. ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: افعلوا الخير وانتهوا عن الشر، سيروا بنوره تعالى، آمنوا به لتسعدوا وتدخلوا الجنة. ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: اطلبوا منه سبحانه الشفاء مما علق في نفوسكم، إن أقبلتم على الله صار لكم الشفاء وصار لكم نور منه تعالى به ترون حالكم وحالي مع دلالة الله بعضهم بعضاً. ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾: المشرك هو الذي يجرُّ تعاسةً وشقاءً لنفسه، هؤلاء ما ساروا ببيانه وبما أرشدهم إليه ﷺ لذلك أشركوا، وبإشراكهم عملوا السوء، وبعملهم السوء ذهبت عنهم الجنة "خسروها" وخسروا الخير الذي أعدَّه الله لهم، وأحلُّوا أنفسهم بالشر والهلاك والشقاء بالدنيا والآخرة.

7- ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: لا يقبلون على الله لتزكوا نفوسهم، هؤلاء بسبب إشراكهم لا يفعلون الخير الذي يرفع اسمهم، بل عملهم سيّءٌ لا يستحسنه أحد. ﴿وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: لا يحسب حساباً للآخرة ومسؤوليَّته فيها.

8- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الذين ساروا في طريق الحق بعد أن خيّرهم الله بين الطريقين. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: لهم الجنة على عملهم الطيّب. بسبب الاختيار الذي أعطيه الإنسان.

9- هذه السورة وتحديداً هذه الآيات تتكلم عن بداية الخلق، خلق السماوات والأرض بعد أن كانت نفوساً مجرّدة لا حجم ولا حول ولا قوة لها، وكيف أمدّها الله بناءً على طلبها أن تكون مُسخَّرة للإنسان، فالله سبحانه يشرح ويفصّل لنا بها كل حدث جرى في عالم الأزل ويبيّنه على لسان رسول الله ﷺ لأنه ما انقطع عن الله سبحانه وتعالى، ونحن إن تعلَّقنا برسول الله ﷺ وصار لنا به ارتباطٌ نفسيٌّ ومحبةٌ هنالك يعيد علينا تعالى ويكرّر هذه المشاهد والأحداث التي أشهدها الله لرسوله فنراها بمعيَّته، فهو ﷺ من جعله ربّنا سراجاً منيراً لنا، لذلك قال تعالى:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾: أيُكفر بهذا الخالق! الذي جعل لها الليل والنهار، إذن الليل والنهار موجودان على الأرض دون السماء وأنوارها، فالله سبحانه جعل للأرض ترتيباً كاملاً دون هذه السماوات، اليوم من أمَّ يَؤمُّ، فالله تعالى جعل حال الأرض يؤم إلى هذين اليومين "الليل والنهار" أو جعلها الله في يومين ليل ونهار. ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾: مماثل، لو عرفوا الله بالإيمان ما جعلوا معه شركاء بالفعل والتسيير. ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: ممدُّ العوالم كلها بالتربية والإمداد.

10- ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: الجبال سمّاها تعالى رواسي لأنها تثبّت الأرض من الانسياح. ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾: على ظهرها. ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾: جعل لها أنظمة يكون بها خيرها متواصلاً، فهي كل عام تأتي بخيرات جديدة. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾: قدّر لكل نبت زمناً وكيفية نبات، هناك محاصيل شتوية وهناك محاصيل صيفية، منها تخرج أشجاراً ومنها نبات. ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: في أربعة فصول، الفصول الأربعة: شتاء، ربيع، صيف وخريف. ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾: جعل تعالى هذا النظام لضمان حياة كل المخلوقات، وهذه الأنظمة يدركها كل إنسان ولا يحتاج الأمر للسؤال، فالكل يعلم ويرى الفصول الأربعة والليل والنهار.

سورة فصلت: [11-20]

11- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: تجلَّى الله عليها بأسمائه الحسنى كلها وأذاقها النعيم وأطربها به عندها سألها التسخير بعد أن أغراها بأسمائه كلها، فرضيت. ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾: إلى السماء وليس على السماء لأن هذا الشيء رحمة وتنازل من الله فلقد أعطاها أجرها سلفاً حتى يشجّعها على القبول. ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾: السماء نفس لا شيء فيها، والنفس كالمرآة بحسب ما يصبّ الله فيها يكون حالها وتصبح فيه. الأرض؛ لَمَّا عرض الله عليها العمل والتسخير لخدمة الإنسان رضيت على الفور، والله تعالى حمد لها هذا الموقف ورضيَ عنها لذلك سمِّيت أرض، أي: أرضت الله بعملها هذا، أمَّا السماء فقد غيّرت عهدها مع الله تعالى من بعد أن رضيت بالخدمة والتسخير لهذا الإنسان المكرم وبتراجعها عن عهدها هذا وتأخُّرها عن تلبية خالقها انطفأت أنوارها وزالت عنها فأصبحت نفسها دخاناً بعد أن كانت صافية نقية تتلألأ بالأنوار. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾: بهذه الآية الكريمة يبيّن لنا الله تعالى كيف شجَّع السماء وحثَّها على التلبية والاستجابة، حيث قرن الأرض معها بالطلب مرة ثانية، وأراها كيف

أنَّ الأرض رضيت واستجابت، كل هذا حنان من الله عليها لتفي بعهدها ولتعود لها أنوارها ونعيمها[1].
﴿**ائْتِيَا**﴾: لوظيفتكما. ﴿**طَوْعًا**﴾: برغبة ورضا أي لا أريد جبراً، الله سبحانه لا يجبر أحداً، عندها رضيت السماء ورجعت إلى عهدها الذي عاهدت الله عليه بالتسخير، وبهذا ربحت من ربِّها ربحاً كبيراً وصارت سبع سماوات، وازدانت بالكواكب والأنوار وأخذت عطاء عظيماً من ربِّها. ﴿**أَوْ كَرْهًا**﴾: بالإكراه لا أريد، أنا لا أجبر أحداً، ليس هذا من أسمائه سبحانه. ﴿**قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾: لك يا رب أتينا عن رضى.

12- ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾: لما رضيت السماء ربطها وربط وظيفتها سبحانه وتعالى بنظام الأرض، فأصبحت سبع سماوات متحدة متناسقة في العمل مع الأرض في الليل والنهار. ﴿**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ**﴾: الوظيفة التي تقوم بها بعد أن جعلها سبع سماوات. ﴿**أَمْرَهَا**﴾: ما يجب أن تقوم به من عمل. ﴿**وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا**﴾: التي تدين إليها أيها الإنسان. ﴿**بِمَصَابِيحَ**﴾: زينَّاها بالكواكب والشمس والقمر وأنوارها. ﴿**وَحِفْظًا**﴾: يده سبحانه عليهم يحفظهم من السقوط علينا وعلى الأرض، فالكل يسير بمداره ووظيفته على الكمال. ﴿**ذَلِكَ**﴾: كل هذا من أجلك أيها الإنسان المُكلَّف الغالي على ربك، ذلك جعله ربك لك حتى تؤمن به تعالى وترجع إليه وتنال ما أعدَّه لك من جنات. ﴿**تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾: الذي تُدعون لطاعته. العزيز: كل الخير يأتي منه تعالى لا من غيره، العليم بأنفسكم وما يناسبها لذلك جعل لكم هذا الترتيب فإن فكَّرتم بصنعه قدَّرتم الصانع جلَّ وعلا فتقبلوا بأنفسكم عليه وتعملوا الصالحات وتدخلوا الجنة.

13- بعد هذا البيان وهذا التفصيل ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا**﴾: عن طاعته، عن سماع كلامه. ﴿**فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً**﴾: عذاب فيه فزع. ﴿**مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾: كالساعة التي جاءت قوم عاد وثمود لَمَّا أعرضوا عن الله وكذَّبوا رسلَهم وما أنزل الله عليهم من بيان ودلالة.

14- ﴿**إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ**﴾: أرسل الله لهم رسلاً ليبلغوهم كما أرسل إليكم. ﴿**مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ**﴾: في حياتهم. ﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾: من بعدهم. ﴿**أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ**﴾: اسمعوا كلام الله لتسعدوا، لا تطيعوا غيره سبحانه وتعالى بأن تسيروا على غير كلامه فتقعوا في الشقاء والآلام. ﴿**قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً**﴾: بدلاً منكم. اعترضوا على رسلهم: أن كيف يرسلهم الله بشراً، قالوا لو شاء الله لأنزل ملائكة. صحيح يمكن لله أن ينزل ملائكة، ولكن ألا يجب أن نفكِّر بالكلام الذي نسمعه أحق هو أم لا؟ ﴿**فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾: ما دمتم بشراً مثلنا فلن نطيعكم.

15- ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾: اعتزُّوا بقوتهم، سيطروا. ﴿**بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾: كانوا دولة عظمى كالدول العظيمة اليوم، كانوا مسيطرين على الأمم حيث عندهم البناء والحضارة والسلاح ويتفاخرون بذلك أمام الأمم، مستبصرون بعلوم الدنيا كأمم هذا الزمان. ﴿**أَوَلَمْ**

---

[1] الله تعالى صاحب رحمة وحنان على خلقه ويريد لهم الكسب الدائم ولا يريد لهم الإعراض والخسارة أبداً، فكما جمع تعالى السماء المتراجعة عن عهدها مع الأرض الملبّية له تعالى بعهدها وطلب منهما "ائتيا" لوظيفتكما حيث كسبكما وعطاؤكما الأبدي، وبذلك لَمَّا شاهدت السماء تلبية الأرض ومسارعتها وهنالك تأثَّرت بها ولبَّت نداءه تعالى وبالتالي تداركت أمرها وعادت لكسبها، تماماً "ولله المثل الأعلى" كما تجمع إدارة المدرسة الحكيمة الطالب الكسول مع الطلاب المجتهدين فلعله يتأثر بهم فينجح مثلهم. وهذا تماماً كان قد فعله الله تعالى مع إبليس عندما جمعه مع الملائكة وطلب منهم السجود لسيدنا آدم عليه السلام فلعله يتأثر بهم ويسجد مثلهم لينال ما أعدَّه الله له من جنان وعطاء عظيم عن طريق رسوله الكريم سيدنا آدم العظيم عليه السلام ولكنه أبى واستكبر وخسر، فالله تعالى جمعه مع الناجحين "الملائكة الكرام" لعلّه يتأثر بهم فيسجد مثلهم ويدخل من باب سيدنا آدم عليه السلام. كل هذا الترتيب الحكيم من رحمته تعالى بخلقه جميعاً، فالله تعالى لا يريد لخلقه الخسارة أبداً بل يريد لهم الربح الدائم يريد لهم أن يأخذوا من عطائه العظيم بشكل مستمر ودائم.

يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: لو أطاعوا رسولهم وآمنوا بالله لشاهدوا هذا وما استعلوا على غيرهم. **﴿وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾:** يرونها وينكرونها.

16- **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾:** له دوي؛ تدوي ذات صرير، جاء وصف الريح بهذه الكلمة: **{صَرْصَراً}** لتدل على كيفية نزول الهلاك بهم فلقد جاءهم بالتدريج شيئاً فشيئاً، أي ضربة بعد ضربة، ففي البداية وأوّلاً "صرَّت" أي: جَمعت ودمَّرت لهم كل شيء مما كانوا يتفاخرون ويعتزون به، فرأوا حضارتهم من أبنية ومزارع وقوة "بُنى تحتية" وهي تنهار وتُدمَّر أمام أعينهم، ثم وفي المرحلة الثانية "صرَّتهم" أي قضت عليهم وأهلكتهم بعد أن قضت على حضارتهم. **﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾:** عليهم، فهم "المناحيس" حيث خسروا بالدنيا كل شيء بنوه من حضارة، وذهب عنهم البسط واللذائذ وكذلك بالآخرة خسروا الحياة الأبدية والجنات.

﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بالدنيا ظهر ذلّهم أمام الأمم التي كانوا يحكمونها حيث زالت عنهم حضارتهم فذاقوا مرارة الخسارة والحرمان والفقر وحاق بهم الذلُّ والخزي أمام العالم بعد انهيار حضارتهم فأصبحوا فقراء يستجدون من غيرهم وذلك قبل أن تهلكهم الريح. **﴿وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَخْزَى﴾:** كذلك لهم الخزي في الآخرة أمام الخلائق، حيث أعمالهم السيِّئة ستراها الخلائق كلها فيلبسهم الذِّل والعار. **﴿وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾:** عندها لا ناصر لهم.

17- **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾:** بمعجزة أقرُّوا بها، طلبوا معجزة فأرسلنا إليهم ناقة مع ابنها. **﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾:** أعرضوا عن الله، ما أقبلوا على الله ورسوله ليصبح لهم نور منه تعالى يرون به الحقائق. **﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾:** عذاب فيه إهانة، جاءهم العذاب لـمَّا عصوا رسول ربّهم ولم تغنِ عنهم قوتهم وحضارتهم شيئاً. **﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:** من أعمال سيئة، أعمالهم عادت عليهم بهذا العذاب.

18- **﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾:** من الفريقين قوم عاد وقوم ثمود. **﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾:** مع التقوى، وبكل زمان الله تعالى ينجي المؤمنين ويحفظهم من البلاء.

19- **﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾:** يوم القيامة ليس لهم إلا النار لتطفئ نار خزيهم وندمهم وجهنم التي بنفوسهم. **﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:** يساقون كلٌّ لمكانه المناسب، كلٌّ له عذاب على حسب أمراض وعلل نفسه.

20- **﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾:** بما سمعوا، الإنسان مسؤول عن سمعه، الأذن تزني وزناها السمع. **﴿وَأَبْصَارُهُمْ﴾:** وما أبصروا، العين تزني وزناها النظر. **﴿وَجُلُودُهُمْ﴾:** ما لمسوا من حرام. **﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:** يوم القيامة جوارحه كلها تتكلم وتشهد عليه بكل شيء فعله في الدنيا.

سورة فصلت: [21-30]

21- **﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾:** الجسد حيادي، ثوب أعاره الله لهذه النفس مساعدة لها لتخرج من عماها وترجع إلى الله وتستنير، وغداً يشهد عليها. **﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾:** لا تلومونا وارجعوا لعملكم الذي أوقعكم بهذا. **﴿الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾:** غداً ينطق عليك هذا الجسد بما فعلته أيها الإنسان في الدنيا من عمل. **﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾:** نفساً بلا جسد. **﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:** في كل أموركم، الخِيرَة لكم، كما تختارون يعطيكم، ارجعوا إليه ليغيِّر حالكم.

22- **﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾:** يقال لهم أنتم في الدنيا ما عبأتم بكل هذا وما صدَّقتم بالذي يصيبكم الآن. **﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾:**

ظننتم أنه سبحانه بعيد لا يراكم لأنكم ما آمنتم، لذلك ما رأيتم أن الله قريب منكم بل ظننتم أنه بعيدٌ عنكم غير مشاهد أعمالكم.

23- ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ**﴾: ظنكم أنه بعيد لا يراكم. إنه لا يعلم أن الله تعالى ناظر إليه. ﴿**أَرْدَاكُمْ**﴾: رماكم بالهلاك. ﴿**فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: فضله وسعادتكم. على الإنسان أن يسعى للإيمان وللوصول إلى الله ليراه قريباً منه ناظراً إليه، فلا يقع بعدها بمنكر بل يعمل العمل الصالح.

24- ﴿**فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**﴾: المكان الموافق لهم، كما أنَّ المريض مكانه المستشفى كذلك هم، النار توافق ما فيهم من آلام وهي المكان المناسب لهم. ﴿**وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**﴾: لا يفيدهم العتاب، متى يعاتَب الإنسان؟ إذا كان قابلاً للرجوع عن ذنبه.

25- كيف خرج الشر من نفوسهم وارتكبوا ما ارتكبوا من أعمال السوء؟

﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ**﴾: في الدنيا قيَّضنا لهم بعد أن استحكمت الشهوات في نفوسهم، بعثنا عليهم من شياطين الإنس أو الجن الذين اختاروا الدنيء من الفعل. ولكن كيف تخرج الشهوات من نفوسهم؟ ﴿**فَزَيَّنُوا لَهُمْ**﴾: زيّنوا لهم فعل السوء، ﴿**فَزَيَّنُوا لَهُمْ**﴾: سمحنا للقرناء فعل ذلك لنخرج ما في نفوسهم من خبائث الشهوات التي في أنفسهم الناتجة من إعراضهم عن الله سبحانه، فلعلَّهم إن نفَّذوها ومن بعد الشدائد يسيرون بالحق. لو فكَّروا وساروا بالحق لأرسل الله عليهم الملائكة، ذلك أن الملائكة ملَّكوا نفوسهم لله كي يجعلهم أداة خير، فإذا صدق الإنسان بطلب الحق أرسل الله له ملائكة يرشدونه السبيل. ﴿**مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾: الحال[2]، من الدنيا وشهواتها. ﴿**وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾: المستقبل. ﴿**وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ**﴾: في العذاب. ﴿**فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ**﴾: مضت. ﴿**مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**﴾: الذين خانوا عهدهم مع الله فما آمنوا. ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**﴾: جميعاً خاسرين فضل الله المُعدّ لهم.

26- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: بعد هذا البيان الذي أنزله الله من أجلهم ومن أجل أن يسعدوا بدأوا يكيدون ويخطِّطون لرد الحق. ﴿**لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ**﴾: قولوا أنه باطل، أدخلوا فيه ما يمحق منه الحق. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾: محمداً ﷺ.

27- ﴿**فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: كأولئك. ﴿**عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: إذا ارتكب أحدهم جريمة السرقة والاعتداء و... ثم القتل فحُوْكِم أُخِذَ بالجرم الأشد عقوبة، كذلك عند الله تعالى.

28- ﴿**ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ**﴾: في الآخرة، يوم القيامة. ﴿**النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ**﴾: يتهافتون عليها كي يخلدوا إليها. ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾: رأوها وأنكروها، ما فكروا ليروا عظمتها وينتقلوا منها لعظمة الله تعالى، رأوا صورتها بأعينهم لكن ما رأوا بأنفسهم الحقيقة والأنوار وأن الله ممدها.

29- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: عند فراقهم لهذه الدنيا. ﴿**رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ**﴾ شياطين الجن ﴿**وَالْإِنْسِ**﴾: الذين كانوا سبباً في ضلالنا، آباؤنا وأجدادنا الذين ساروا قبلنا على غير كلامك وهديك فتبعناهم وسرنا على سيرهم. ﴿**نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ**﴾: لا أحد يُضلُّ أحداً، الطيب لا أحد يضلّه، هم أضلُّوا أنفسهم بما فيها من خبث وشهوات.

30- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ**﴾: لكن المؤمنين. ﴿**قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾: بالبشارات والاطمئنان. ﴿**أَلَّا تَخَافُوا**﴾: بعد الآن دائماً بالسعادة والنعيم. ﴿**وَلَا تَحْزَنُوا**﴾: على الدنيا، حيث وجدوا

---

[2] الآن، الحاضر

خيراً منها بعد الموت فلا يحزنون عليها. ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾: بها على لسان رسلي، لما آمنوا بشَّرهم رسلهم بالجنة.

سورة فصلت: [31-40]

31- ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: نحن كنا نرشدكم إلى طريق الهدى في الحياة الدنيا. ﴿وَفِي الْآَخِرَةِ﴾: كذلك نحن أولياؤكم، وليس لكم إلا السعادة والجنات. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾: من اللذائذ. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: ما يطلبونه يجدونه حاضراً أمامهم، ولا يطلبون إلا الحق.

32- ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾: يتنزَّلون بجنات كثيرة وليس بجنة واحدة.

33- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾: رسول الله ﷺ، هل من إنسان أحسن منه؟ ﴿مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾: دلالته وبيانه كلها يدعوك بها إلى الله وإلى الجنات والسعادة. ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: جاهد الناس ليؤمنوا بالله ويدخلوا الجنات. ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: مستسلم إلى الله تعالى بكل أموري.

34- ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾: هل فعلك وفعلهم سواء. ﴿ادْفَعْ﴾: لهم. ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: ما عاملهم ﷺ بعملهم بل بالرحمة والإحسان لهم. ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾: حين تعامله بالإحسان. ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: فانظر إلى رحمته تعالى بعباده، هذه ثمار الإيمان بالله، أن نكون متحابّين بالله متراحمين مع بعضنا بعضاً. هذه هي الزبدة من غاية وجودنا في الحياة، أن ندخل في السلم كافة.

35- ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾: هذه الحالة العالية. ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على أمر الله حتى رأى، حتى حصلت له التقوى ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ ليس يظفر بمرتبة الإحسان إلى العدو. ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

36- ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾: أيها الإنسان. ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: حَدَّثَك بشيء لا يرضى الله به. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: التجئ إلى الله تعالى. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لندائك. ﴿الْعَلِيمُ﴾: بنفسك، يدافع عنك ويرد الأذى ويخلِّصك مما أنت فيه.

37- ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ﴾: الدالَّة على عظمته سبحانه وتعالى. ﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾: فكِّر بهما وبتعاقبهما لتصل لعظمة الخالق. ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: كل الخير والفضل من الله الذي يُسيِّر ويمد الشمس والقمر، القمر جماد هل لوحده يسير ويدور؟ هل له فكر وعيون؟ الله سبحانه هو الذي يُسيِّره ويمده، ولا خير إلا منه سبحانه. الذي فكَّر عظَّم، الذي ما فكَّر ما عظَّم هذا وقع بالشرك. ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: لا تطلبوا الخير منهما ليس القمر هو الذي يسبب المدّ والجزر ولكن الذي جعل فيه هذه الخاصيّة وخلقه هو سبحانه، الخير منه. ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: ارجع إلى الله هو الذي جعل فيهن الخير، اطلبوا الفضل منه سبحانه لا من المخلوق، لا تسجدوا لبعضكم البعض ولا للشمس ولا للقمر ﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾: جاءت خَلقهُنَّ للتصغير، أي لا شيء منهن بل كل الخير من الله، ارجع إليه بالإيمان يعطيك ويتفضل عليك بالجنات، أنت إنسان مقامك عالٍ، خلقك من أجله ومن أجل جناته لا من أجل غيره. ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: تفعلون هذا، تطيعون الله، لا تسجدوا لبعضكم بعضاً، لا للغرب ولا للشرق بل كونوا مع رسول الله ﷺ وأطيعوه، فهو ﷺ لم يأخذ علومه لا من الشرق ولا من الغرب بل من الله، وبطاعته ﷺ تطيعون الله.

38- ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾: عن هذا الكلام، استكبروا وما ساروا ببيانك الذي بينته لهم عن الله. ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: فالمقبلون الذين صار لهم علم بلا إلَه إلا الله وأسمائه الحسنى. ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾: يسبحون نفوسهم بفضل الله حتى ينالوا الخيرات، ويدلُّون غيرهم على الله. ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾:

رأوا الله هو الرحيم الشفوق المتفضِّل عليهم لذلك نفوسهم بصلاةٍ دائميَّةٍ مع الله لا ينفكون عنه سبحانه طرفة عين.

39- ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ**﴾: لك أيها الإنسان لتفكر بها. ﴿**أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً**﴾: ساكنة جرداء لا حياة فيها. ﴿**فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ**﴾: المطر. ﴿**اهْتَزَّتْ**﴾: دبَّت الحياة فيها. ﴿**وَرَبَتْ**﴾: نمت بالنبات والأثمار، الأرض بنزول الماء والحياة عليها تُظهر ما فيها من خيرات، فمن غيره سبحانه يفعل هذا؟ هل لأحد يد أو فعل بهذا؟ هل من أحد يُشرِق الشمس ويسلِّط أشعتها على البحار لتبخر الماء؟ فكر بهذا لتعظم ربك وترى رحمته وحنانه فتقبل عليه وتدخل الجنة. ﴿**إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا**﴾: أحيا الأرض بالماء وأنبتها. ﴿**لَمُحْيِي الْمَوْتَى**﴾: يوم القيامة يحييكم مرة ثانية، يبقى للإنسان بعد موته بذرة صغيرة يكون منها منطلقه في الحياة الآخرة. ﴿**إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: قادر على خلقك وبعثك، الحياة والخلق والإمداد منه سبحانه.

40- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا**﴾: الذين لا يدركون حقيقتها لذلك انطلقوا يسعون في الأرض فساداً ظناً منهم أن الله ظالمهم. ﴿**لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا**﴾: نعلمهم وسيجزون بعملهم. ﴿**أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾: أيهما أحسن يا عبادي؟ الدنيا مؤقتة وجهاد الهوى والنفس فيها قليل ثم يعقب هذا الجهاد السعادة لكم في الدنيا، وكذلك في الآخرة لكم الجنات على ما قدَّمتم من أعمال صالحة. ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾: لكم الاختيار، الله سبحانه أعطى الأنفس اختيارها ولا ينازعها فيه. ﴿**إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾: مشاهد أعمالكم، وسترون هذا يوم القيامة وعندها الندم لا ينفع.

سورة فصلت: [41-50]

41- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ**﴾: إن من يكفر بالقرآن ويتمسك بالتوراة أو الإنجيل فهذا دليل منه على أنه كافر بالتوراة والإنجيل ولو آمن بهما لآمن بالقرآن. ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾: كلامه سبحانه إن سرت به وطبَّقته جاءك الخير، كل الخير بالقرآن.

42- ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ**﴾: كل ما فيه حقّ فهو تنزيل من الله صاحب الأسماء الحسنى على لسان رسوله ﷺ. ﴿**مِنْ حَكِيمٍ**﴾: بنفوسكم وما يناسبها لذلك أنزله عليكم ولا حكم إلا به. ﴿**حَمِيدٍ**﴾: يُحمد الله على ما أنزل من بيان لما فيه خيركم وسعادتكم.

43- ﴿**مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ**﴾: الذين ذكروا في القرآن أو لأي رجل صالح يهدي إلى الحق، ماذا قيل لهم؟ {**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**}[3] فما قام به الأولون "الذين لم يؤمنوا" من قول أو فعل لا يختلف من حيث الجوهر عما قالوه الآن، فإن لم يتوبوا ويؤمنوا بك: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ**﴾: يا محمد ﷺ. ﴿**لَذُو مَغْفِرَةٍ**﴾: من رحمته تعالى لا يتركهم بل يُرسل عليهم الشدائد ليعودوا لسعادتهم. ﴿**وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ**﴾: لا يترك لهم صغيرة ولا كبيرة، معقّب لنفوسهم، وفي كل لحظة يُرسل لهم المصائب ليغفر لهم، فالشدائد ليشفيك لأنه تعالى رحيم بك أيها الإنسان عطوف عليك.

44- ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً**﴾: ضيّق المعاني، وهذا ما لم يكن بل هو واسع المعاني مبين. ﴿**لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ**﴾: بُيّنت ووُضّحت، غير المؤمن لا يفهم كلام الله العظيم لأنه في وادي الجاهلية يرتع ويَصِمُ القرآن بأنه أعجمي غير واضح. والرسول الكريم ﷺ يخاطبهم على حسب عقولهم:

[3] سورة الذاريات – الآية:52.

﴿**أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾: غامض وظاهر هل يعقل هذا؟! كيف ظاهر بيّن واضح لأناس مؤمنين وغير مفهوم لكم! ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى**﴾: يستضيء به المؤمن، واضح بيّن له، كله آيات دالة على لا إلٓه إلا الله، المؤمن بصحبة رسول الله ﷺ يهتدي بها إلى الله وإلى عمل المعروف والإحسان ويتجنب المهالك، وبه تستنير نفسك ويصبح لها نور وبصيرة. ﴿**وَشِفَاءٌ**﴾: بالإقبال عليه سبحانه تطهر نفسك وتشفى من الأدران، فلا تشتهي إلا الخير والفضيلة وذلك بالكمال الذي اشتقَّته من الله، فتكره الرذيلة وتعافها. ﴿**وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ**﴾: شهواتهم ملازمة لهم لا ينفكون عنها فهي سدٌّ تسدّهم عن فهم كلام الله وتمنعهم من الإقبال عليه سبحانه. ﴿**وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى**﴾: لا يرون الحق الذي بالقرآن، ولا يرون الخير فيه ولا يفقهون معانيه السامية. ﴿**أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**﴾: يسمع صوتاً ولكن لا يفقه شيئاً. يسمع ألفاظ القرآن ولا يرى ما وراءها من سموٍّ وعلوٍّ وجناتٍ.

45- ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾: التوراة. ﴿**فَاخْتُلِفَ فِيهِ**﴾: كذلك الآن اختلفوا معك بالحق، متى اختلف اليهود فيه؟ اختلفوا فيه من بعد موسى عليه السلام وذلك لأنهم ساروا على أهوائهم المنحرفة ونسبوا ما ساروا فيه لله ولسيدنا موسى عليه السلام، ثم صارت الأجيال من بعد ذلك يأخذون دينهم عن طريق ما كُتب لهم من الكتب المليئة بالكذب والضلال لا عن طريق التوراة، ولـمَّا لم يرجعوا لكتاب الله ورأوا أن كل ما هو مكتوب من كتب إنما هو مجرَّد خرافات هنالك هجروا الدين للكفر وللحضارة وللعلوم الدنيوية كما هو حاصل الآن، أعداء الإسلام كلامهم كله من الكتب والدسوس والشكوك وليس من القرآن، رجعوا إلى الأقوال الخاطئة وكتبوا منها وقالوا محمد فعل كذا وكذا، غيرهم قالوا كشف الوجه ليس بعورة، الربا بنسبة قليلة ليس بحرام، رجعوا إلى كتب الآباء والأجداد وأخذوا عنهم ولم يأخذوا عن الله وبهذا هجروا القرآن. ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ**﴾: بأن لكل واحد منهم أجلاً ويوماً. ﴿**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾: لجاءهم الهلاك. ﴿**وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ**﴾: (مِنْهُ) وليس فيه، لأنهم لو رجعوا لكتاب الله لما حدث لهم الشك، ولكنهم رجعوا لما قالوا عنه من شروح وتفاسير ما أنزل الله بها من سلطان، فكل واحد منهم فَسَّر التوراة من بعد موسى عليه السلام على حسب هواه وكما يريد. ﴿**مُرِيبٍ**﴾: بهجرهم لكتاب الله تحوَّلوا من حالة لحالة أدنى وذلك بسبب الشكوك، وهكذا حتى انحطوا.

46- ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ**﴾: العائد له، له السعادة دنيا وآخرة. ﴿**وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾: أذاه يرجع عليه، عمله السوء يسوءُه. ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾: كل إنسان وعمله عائد عليه، الجنة بالعمل الصالح والنار بالعمل فلا ظلم.

47- ﴿**إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾: ساعة موت الإنسان، عندئذ يقطع رزقه ويوصل رزق غيره. ﴿**وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى**﴾: من بشر وحيوان ونبات، يعلم الله كلاً وما تحمل من ذكر وأنثى، ولا يعلم الغيب إلا الله. ﴿**وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**﴾: كل هذا بعلمه سبحانه. ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي**﴾: الذين جعلتم لهم حولاً وفعلاً وقوة مع الله فسرتم على كلامهم. ﴿**قَالُوا آذَنَّاكَ**﴾: فهم يطلبون الإذن بالكلام لأنهم لا يستطيعون الكلام. ﴿**مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ**﴾: الآن شاهدنا الحقيقة لا فعل لغيرك يا رب.

48- ﴿**وَضَلَّ عَنْهُمْ**﴾: ذهب عنهم. ﴿**مَا كَانُوا يَدْعُونَ**﴾: من أن لغير الله فعلاً وحولاً وقوةً. ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾: في الدنيا. ﴿**وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ**﴾: مهرب من العلاج، لا بد لهم من النار للمداواة.

49- ﴿**لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ**﴾: لا يفكر لماذا جاءه الشر ولِمَ عاملناه هذه المعاملة، ييئس ويقنط من رحمة الله عند الشدة، الله عامله بهذا رحمة به وحناناً عليه حتى لا يخسر الآخرة.

50- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾: أعطيناه مالاً أو جاهاً وصحة وقوة. ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾: من بعد فقر وإهانة ومرض. ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾: ينكر فضلنا عليه وينسبه لنفسه ولغيرنا. ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: كل هذا لا أصل له. ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ ؟: (هنا استفهام) هل أجد الحسنى؟! ينكر الآخرة وما فيها. ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾: يوم القيامة. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾: تنكشف أعمالهم. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: النار عليهم.

سورة فصلت: [51-54]

51- ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: ما كان لهم اسم ولا عندهم شيء، أعطيناهم مالاً وجاهاً وصحة وأغناهم الله بفضله المادي والمعنوي بعد اجتماعهم مع الرسول ﷺ وهو النعمة الكبرى. ﴿أَعْرَضَ﴾: لم يكمل الطريق بالإيمان، لم تتفتح عين البصيرة منه، بل أعرض عن ربه، يرى أنه بجهده نال ما نال. ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾: أهكذا يجدر بالإنسان إن أكرمه الله وأعطاه أن يمسك يده ويقابل عطاء الله له بالمنع عن عباده؟! ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾: ابتعد عن الله ورسوله. ما الذي جعله يجانب الله ورسوله؟! بدل أن يضعهما بقلبه جانبهم ووضع الشهوات الدنيوية من ولد وزوجة.. فاستحقّ بذلك العلاجات المرة ليعود لصوابه.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الشر الذي بنفسه عاد عليه. أخلص للدنيا فعادت عليه بالشر، أرسل الله له ذلك ليقطع المنكر وأهله ويعود للحق وأهله. ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: يطلب من الله أن يخلِّصه مما فيه. يعترض على ربّه لماذا بعثت لي هذه... وهذه... لماذا أفقرتني... لِمَ أمرضتني؟! أهكذا يفعل بي؟! ماذا فعلت حتى سلّط عليّ "والعياذ بالله".

52- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾: بياني هذا. ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: ما أقوله لكم، الله أمرني به لأبلغكم إياه. ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾: أنكرتم وما آمنتم به. ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾: منكم، بحبكم للدنيا ولذائذها ضللتم طريق السعادة. ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: خائفون على دنياهم لذلك يشاقّونك، كل هذا من بعدهم عن الله.

53- ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾: سَيَرون حقيقة ما تكلم به ﷺ من بيان. ﴿فِي الْآفَاقِ﴾: ما ترك شيئاً ﷺ إلا وأخبرهم به، وتفوق على علوم وحضارات الأزمان في كافة المجالات، فالله أطلع رسوله على المستقبل. ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾: تكلّم ﷺ عن الأشخاص. ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾: كما أنه يخاطب كل نفس بما يخصَّها ويغمرها بحال عالٍ يذهب عنهم شقاءهم ويبدلهم بالنعيم، وهذه آية لهم في أنفسهم ليؤمنوا بأن كلامه ﷺ حقٌّ من عند الله. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: لا شيء يخفى عليه سبحانه، وهو الذي أطلع رسوله الكريم على كل شيء، فوظيفته ﷺ مع المؤمن والكافر، للمؤمن رفع درجات وللكافر ليدفع عنه البلاء ويفشل خططه.

54- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: في شك لأنهم ما آمنوا بلا إلّه إلا الله فما شاهدت نفوسهم لذلك شكّوا. ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾: كل عملهم بعلمه سبحانه ولا فعل لهم، وكل إنسان يعطيه الله ويسوق له بحسب ما في نفسه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تأويل سورة الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشورى: [01-10]

1- ﴿**حمٓ**﴾: يا حامداً لفضلي وإحساني وتسييري الذي كله خير لعبادي، لقد أشهدهم ﷺ على أن كل شيء ضمن العدل والحكمة، ويا محموداً: بمقامك العالي الذي ارتقيت إليه أصبحت محموداً عندي وعند الخلق، فكل من يريد الله والخلاص يحمد الله عن طريقه عليه الصلاة والسلام.

2- ﴿**عٓسٓقٓ**﴾: (ع): يا عيناً بك أُرى. كل أسمائي تُرى عن طريقك.

(س): يا سليم النفس من كل شائبة، يا سليم القلب.

(ق): يا قريباً مني فأحببت للخلق أن يكونوا قريبين مني.

﴿**عٓسٓقٓ**﴾: وأيضاً عندما أصبح ﷺ عيناً للصحب الكرام يرون به أصبحوا عيوناً للخلق يوصلونهم لرسول الله ﷺ وهو يدخلهم على الله وبرابطتهم برسول الله أصبحوا سليمين وحصل لهم القرب من الله.

3- ﴿**كَذَٰلِكَ**﴾: نتيجة لِما وصلت إليه من مقام عالٍ فقد أوحى إليك الله هذا القرآن لتبلغه للناس. وكذلك كل من بلغ تلك الصفات العالية صار أهلاً ليبلّغ الناس كلام الله. ﴿**يُوحِي إِلَيْكَ**﴾: لأنك رسول الله. ﴿**وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾: كل الرسل كلامهم من الله ويدلُّون عليه سبحانه وتعالى. ﴿**اللَّهُ**﴾: صاحب الأسماء الحسنى. ﴿**الْعَزِيزُ**﴾: الذي لا يأتي الخير إلا منه، فهو المتفرّد بكل خير وكمال. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: بخَلْقه.

4- ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: كل ما في الكون راجع له سبحانه بالإمداد والتسيير. ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾: مهما رأيت من أسمائه الحسنى فهو أعلى وأعلى، ومهما استعظمت منه سبحانه فهو أعظم وأعظم، ولا حدَّ لعلوّه وعظمته، وكل هذا يراه المؤمن بالصلاة، ولا تكون الصلاة الحقيقية إلا بمعيَّة رسول الله ﷺ لذلك بدأ تعالى السورة بمديح رسوله الكريم ﷺ.

5- ﴿**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ**﴾: إن وظيفة السماء هي أن تصل بالإنسان لربها إن نظر فيها مفكِّراً طالباً الوصول لربّه وربّها، هذه السماوات لم تنقطع عن الله وتريد أن تصل بهذا الإنسان للإيمان بالله، لكن عندما لا يؤمن الناس من خلالها ويبقون على كفرهم وإعراضهم رغم كل الآيات التي فيها من نجوم وشمس وقمر و.... فمن شدة رحمتها بهذا الإنسان الذي أعرض عن ربه تتألَّم عليه دائماً، وتكاد تترك وظيفتها وترجع كما كانت نفساً مجردةً. ﴿**مِنْ فَوْقِهِنَّ**﴾: بصيغة التأنيث لأن نفوسهم لم تسمُ بالإيمان ومتعلقة بالشهوات الأرضية فهؤلاء متعلِّقون بالنساء، صورتهم رجال وحقيقتهم أشباه رجال "نساء"، هذه صفة كل من لم يؤمن لأنَّه دائماً مرتبط بأمّ الدنيا "المرأة" {**إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً**}[1]، فمعاملتهم وخطابهم يأتي بالتأنيث للتخفيض من شأنهم مثل النساء الكافرات والحيوان والجماد. والذين لم يؤمنوا أخفض شأناً من الأنعام وأضلُّ سبيلاً. ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾: تلقي الملائكة الإلهامات في النفوس: يا عبد الله ارجع إلى الله،

---

[1] سورة النساء – الآية:117.

يا نفس ابحثي عن سعادتك، لا يَفْتُرون عن نداء هذا الإنسان الغافل ويبقون معه يذكّرونه حتى الموت. ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾: يستغفرون لهم عن طريق الرسل والأنبياء عليهم السلام، يطلبون لهم الهداية والشفاء، هذه وظيفتهم لا يتخلَّوْنَ عنهم. {**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**}[2].

﴿**أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾: يدلُّونهم على الله صاحب الأسماء الحسنى والإقبال عليه، أقبلوا بنفوسكم عليه ليشفيكم وتدخلوا الجنة. ﴿**الْغَفُورُ**﴾: يُرسل لهم علاجات حتى يشفيهم. ﴿**الرَّحِيمُ**﴾: كل هذا رحمة بهم.

6- ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءَ**﴾: ساروا على غير دلالة الله، ساروا على دلالة الكفار ورأوا أن سيرهم حسنٌ. ﴿**اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ**﴾: لا يتركهم على كفرهم، رحمته تعالى تقتضي علاجهم، لذلك يرسل لهم المصائب والأمراض والفقر والذلّ ليعودوا إلى الحقّ. ﴿**حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ**﴾: لا يسمح لهم بالتعدي على أحد إلا ضمن الاستحقاق. ﴿**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**﴾: أنت بلِّغ فقط، وهم لهم الاختيار فإن شاءوا ساروا بالحق.

7- ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾: بألفاظ وأسلوب مكشوف، واسع البيان، بَيّن فيه ﷺ كل شيء، بَيّن معنى الصلاة والصوم والحج والحكمة من الأوامر الإلٓهية كلّها. ﴿**لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾: مكة، حيث العالم كلّه حولها. ﴿**وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ**﴾: يوم القيامة حيث ستُجمَع الخلائق كلّها للسؤال والحساب. ﴿**لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾: لا شك فيه، الكلُّ ينال فيه حقه بالحق. ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾: فريق بالسعادة وفريق بالشقاء كل حسب عمله، ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

8- ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾: لو شاء سبحانه لأجبرهم على السير بالحق لكن لا فائدة من هذا ولا يدخلون الجنة، فالجنة ودخولها بالاختيار[3] والأعمال الصالحة. وبالحقيقة لا يستطيع المخلوق أن يتقرب بعمله إلى خالقه خطوة، وليس يمكن أن يجد له قيمة إذا لم يكن لهذا المخلوق في عمله حرية واختيار، إن آمن الإنسان من ذاته عمل صالحاً، عمله هذا يكسبه ثقة بأن الله راضٍ عنه فيستطيع الإقبال عليه تعالى ودخول الجنة، أما إن كان مجبراً على الإيمان والاستقامة والعمل فلا تحصل لنفسه ثقة ولا تستطيع الإقبال على الله ولا دخول الجنة. ﴿**وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ**﴾: كل من شاء منكم، آمن وعمل صالحاً أدخله الله الجنة. ﴿**وَالظَّالِمُونَ**﴾: لأنفسهم، الذين ما آمنوا ما عملوا إلا السوء. ﴿**مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ**﴾: في الآخرة. ﴿**وَلَا نَصِيرٍ**﴾: ينصرهم.

9- ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾: من أجل الدنيا وتحقيق ما بنفوسهم من شهوات. ﴿**فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ**﴾: الكل محتاج لفضله سبحانه، أنتم ومن أشركتم بهم محتاجون، فكيف والَيْتُموهم وتركتم الله المعطي الرزَّاق! ﴿**وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى**﴾: إن أقبلت النفس على الله صار لها حياة قلبية، وكذلك سيحييكم غداً يوم القيامة ويبعثكم للسؤال والحساب. ﴿**الْمَوْتَى**﴾: إن أدبرت النفس عنه تعالى تموت وتفقد الحياة. ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: قادر على إمدادك وسعادتك، يعطي كلاً بمقدار حاله وعمله.

10- ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾: ردُّوه إلى كتاب الله، لا تسيروا بغير كلام الله. ﴿**ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**﴾: الكل بيده سبحانه يربِّيهم ويُمدُّهم ويسيِّرهم. ﴿**وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾: راجع إليه بكل شيء.

---

[2] سورة غافر – الآية:7.

[3] لطفاً انظر كتاب (عصمة الأنبياء) بحث حرية الاختيار للعلّامة الإنساني محمد أمين شيخو.

11- بيَّن لنا رسول الله ﷺ عن لسان الحضرة الإلٓهية طريق الخلاص والنجاة والوفاء بعد الجفاء، فكِّر بهذا لتنجو: ﴿**فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: مُخرجها ومُظهرها على حسب كسبها وطلبها الأزلي الفطري، فالسماوات والأرض مخلوقات غير مكلفة ولم تحمل الأمانة لكنّها طلبت التسخير وخدمة الإنسان، والله سبحانه أنشأها وسخرها من أجل حياتك ومعاشك ومن أجل أن تؤمن وتتوصَّل من خلال التفكير بما فيها من آيات إلى لا إلٓه إلا الله.

﴿**جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً**﴾: جعلكم زوجين ذكراً وأنثى، لكن هل خلقكم لأجل أن تتزوجوا! ألهذا خلقكم فقط أم لغاية أسمى وأعلى؟ الله سبحانه قال **{مِنْ أَنْفُسِكُمْ}** ولم يقل من أجسامكم، لأن النفس ترتبط بالنفس الأخرى بالرابطة الزوجية فتدخل بها على الله ولهذا خلقكم تعالى، وهذا فضل منه سبحانه حتى الأعلى يرقى بالأدنى. إن صارت لكم الصحبة القلبية مع رسول الله ﷺ والتقوى فتتزوجون لأجل أن تنقذوا أزواجكم لا لأجل الشهوة، ما لهذه الشهوة المجرَّدة خلقكم الله تعالى. ﴿**وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا**﴾: كذلك الأنعام تتزوج وتأكل وتشرب، إن ظننتم أنكم لهذه الغاية خلقتم صرتم كالأنعام بل أقل منها. ﴿**يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾: كنتم لا شيء، كنتم ذرَّات لا تُرى بالعين المجرَّدة ثم جعلكم سبحانه وتعالى إنساناً كاملاً، فأنت قائم بالله، والكون كلّه قائم فيه سبحانه، فلا حركة ولا سكون إلا به، فالتكوين الجسدي صار عن طريق الذرَّات، ولو نظر الإنسان لبداية خلقه لوجد أنَّه كان ذَرَّة "نطفة" يسبح مع ملايين الذرَّات، من بينهم أخرجك الله تعالى وكوَّنك. كل هذا الترتيب جعله الله ليتنازل الإنسان عن عُجْبه بنفسه فلا يتكبَّر على خالقه ولا على غيره من الخلق، وليفكر بفضل الله وليقبل عليه سبحانه ويدخل الجنة.

وكل ما تنالونه من لذَّة وسرور في هذه الدنيا إنما هو منه تعالى، لكن خذوه بنوره لئلا تحتجب نفوسكم عنه سبحانه وتدخل جهنم. ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾: هو سبحانه وتعالى منبع الجمال والجلال، فلا تلتفت للمخلوق وتترك الخالق، فالله بجماله وبهائه وجلاله لا شيء يماثله، فلا يمكن أن يُشبَّه تعالى بشيء، وهو ليس بشيء ولكنه خالق كل شيء. ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ**﴾: لدعائكم ولما تريد أيها الإنسان وتطلبه، ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ**﴾: مع كل نفس وذرة. ﴿**الْبَصِيرُ**﴾: بحال كل إنسان، بصير بك وبما يناسبك.

12- ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: كل ما في الكون عائدٌ له سبحانه بالتسيير والإمداد والتربية. ﴿**يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾: للإنسان الاختيار، إن كفر وطلب الدنيا وما فيها يعطيه الله لكن لا عطاء له في الآخرة، كل من شاء يعطيه. ﴿**وَيَقْدِرُ**﴾: عطاؤه سبحانه بمقدار ما استقرّ بنفس هذا الإنسان المعرض وبما يناسبه لا زيادة ولا نقصان. ﴿**إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾: لأنه تعالى عليم فهو يعطي كل إنسان ما يناسبه.

13- ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا**﴾: فالذين من قبلنا شرعهم مثل شرعنا من صلاة وصيام وزكاة وحج وقوانين زواج وطلاق وحجاب وأوامر ونواهٍ، فالدين والشريعة واحد ولا اختلاف بينهما أبداً، وليس هناك غير ثلاث ديانات: اليهودية، والنصرانية، ثم جاء الإسلام وتنزَّل كتاب الله القرآن الكريم ليهيمن على بقية الكتب ويتضمَّنها.

﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا**﴾: من هذه الآية استدل البعض فزعموا أن سيدنا آدم عليه السلام ليس نبياً ولا رسولاً، وهذا الزعم غير صحيح. فلو وردت الآية الكريمة بصيغة تشمل سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام : (شرع لكم ما وصَّى به آدم)، لكان يحق للأخ أن يتزوج أخته، هذا من جهة، ومن جهة ثانية: لم يكن هناك بعصر سيدنا آدم عليه السلام مُنكِرٌ لوجود الله ولصحفه المنزَّلة

على سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام، وكان الإنسان العاصي يعترف بذنبه وعصيانه، لذلك لم يظهر التشريع حتى ظهر قوم طعنوا بدين الله وحوّلوا الناس عنه. قال تعالى: **{وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً}**[4]. فأرسل الله لهم سيدنا نوح عليه السلام وأيَّده بالصحف والتشريع ليحاججهم ويجابههم ويقاومهم بالحجة والمنطق، فقالوا له: **{قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}**[5]. بعصر سيدنا آدم عليه السلام حدثت حادثة واحدة وهي قتل قابيل لأخيه هابيل، وقد عالجها الله بالصحف وكانت هذه الصحف تناسب زمن سيدنا آدم عليه السلام وتفي بغرضها. وظلَّت الصحف تتنزَّل على الرسل والأنبياء عليهم السلام وتتَّسع تشريعاً حتى اكتملت، وبزمن سيدنا موسى عليه السلام أُنزلت التوراة حيث جَمعت الصحف المنزلة كلها، فسيدنا آدم عليه السلام أُنزلت عليه الصحف بما يناسب زمانه وأولاده فهو عليه السلام نبي مُرسَل.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: الآن من القرآن. **﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾:** كلامهم واحد، كلهم دعوا إلى الله وطاعته. **﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾:** طبقوا ما يأمركم الله به.

إذن: دين الله واحد لجميع الملل والنحل على مرِّ الدّهور والأزمان، ولكن دسَّ الداسّون على الأديان وحرَّفوا كلام الله عن مواضعه وبدَّلوا وغيَّروا من عند أنفسهم ما لم يُنزِّل الله به سلطاناً وشوَّهوا الأديان.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: يصعب عليهم أن يروكم سائرين بالحق ومتحابين لأنهم يريدون الشهوات والسفالة. **﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾:** كل من شاء ورجع إلى الله بالتوبة والإيمان يجتبيه الله.

14- **﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾:** بنو إسرائيل إلى يهود ونصارى. **﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾:** سيدنا عيسى عليه السلام سمَّاه الله تعالى **﴿الْعِلْمُ﴾**: لأنَّه وُلِدَ من غير أبٍ، وتكلَّم في المهد، وأتى بمعجزات دالة على أنه رسول من عند الله. **﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾:** النصارى قالوا عنه إله، واليهود كذَّبوا به وبرسالته. **﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾:** بأن لكل منهم أجلاً يموت فيه، وأن أمرهم مؤجَّل ليوم ظهور سيدنا عيسى عليه السلام مرة ثانية، لذلك فالمسلمون عندما دخلوا بلاد الشام فاتحين، أبقوهم وحافظوا على كنائسهم ومعابدهم وعرضوا عليهم الإسلام، وعندما رفضوه فرضوا عليهم الجزية يدفعونها عن يدٍ وهم صاغرون.

إذن: أمرُ أهل الذمّة "اليهود والنصارى" يُرجأ لحين ظهور سيدنا عيسى عليه السلام من بسببه اختلفوا ليَحُلَّ لهم الخلاف. **﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾:** لأهلكهم الله جميعاً.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: الذين بعهدك من يهود ونصارى. **﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾:** حصلت لهم الشكوك بما وصلهم من تفاسير خاطئة مُضِلَّة، تركوا كتبهم ولحقوا التلمود.

15- **﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾:** جاهدهم بالقرآن، بلِّغهم ما أنزلتُ عليك من بيان، أظهر الحقَّ الذي فيه حياة القلوب، لأن اليهود والنصارى أضاعوا كلامي وحرَّفوا الكلم عن مواضعه ولا يريدون إلا الدنيا ومفاسدها ولم يبقَ أحدٌ سائراً بالحقِ من بعد أن أخفوا كتاب الله وضيَّعوه.

---

[4] سورة نوح – الآية:22.

[5] سورة هود – الآية:32.

إذن: من أجل ذلك أظهرْ كلامي الحق وأنقذْ عبادي. ﴿**وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾: استقم بالتبليغ ضمن أمري، كان ﷺ يتمنّى أن يتكلَّم بالآيات كلها لإنقاذهم، ولكن الله هو المحيط بالأنفس والعليم بما يناسبها، فطلب منه سبحانه ألا يعجل بالقرآن وأن ينتظر الوحي ﴿**وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾: بواسطة الوحي: بشارات أو إنذارات.

﴿**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾: لا تسايرهم. لا تسكت لهم عن أخطائهم. ﴿**وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ**﴾: على رسله. ﴿**وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**﴾: لأسيِّركم بالحق لتسعدوا.

﴿**اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ**﴾: ما دمتم مصرِّين على إعراضكم مهما نصحتكم وبيَّنت لكم لا تتحوَّلون عن ضلالكم، أمركم موكول لسيدنا عيسى عليه السلام.

﴿**اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا**﴾: الإيمان بالله يجمع. ﴿**وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾: مصيري ومصيركم عنده سبحانه يعلمه.

16- ﴿**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ**﴾: اليهود والنصارى. ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ**﴾: من قِبَلِ أصحابه رضوان الله عليهم حيث آمنوا بالله واستجابوا له عليه الصلاة والسلام، وهذه الآية رد على أهل الكتاب، يقول الله سبحانه وتعالى لهم: ماذا كان أصحابه ﷺ قبل بعثته فيهم؟ لقد كانوا عبّاد أصنام ولكنهم رضوان الله عليهم استجابوا له، كان الأولى بكم أن تستجيبوا له أنتم لأنكم أبناء الأنبياء والمرسلين وأصحاب كتاب. ﴿**حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾: حيث أَذِنَ الله للمؤمنين بالانسياح عليهم لـمَّا اعتدوا، وكتب لهم النصر عليهم. ﴿**وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ**﴾: بما قاموا به من أعمال ضدَّ المؤمنين. ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾: على أيدي المؤمنين، وهذا ما حدث بالفتوحات التي قادها الصحب الكرام.

17- ﴿**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ**﴾: أنزل القرآن على رسول الله عليه الصلاة والسلام، بالأزل قبل مجيئه للدنيا أنزله على قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام، وفي الحياة الدنيا أنزله تعالى عليه من أجلنا، وهذا فضلٌ وحنانٌ منه تعالى ورحمة بخلقه. ﴿**بِالْحَقِّ**﴾: بالعدل وبالحق والاستحقاق أنزله على قلبه الشريف ﷺ. ﴿**وَالْمِيزَانَ**﴾: نفسه العظيمة ﷺ أنزلها الله لنا من سماوات إقبالها العظمى، فهي ميزان الكمال ومقياسه، فقد أنزله تعالى من سماواته العليَّة وجمعنا به ﷺ من أجل أن نرقى بمعيَّته، نزوله ﷺ من سماواته العليَّة له عليه من الله تعالى أجر ولنا نحن أجرٌ على ارتقائنا بمعيَّته عليه الصلاة والسلام، كلامه ﷺ منزَّل وهو ﷺ منزَّل من الله.

﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ**﴾: ساعة البلاء والهلاك. ﴿**قَرِيبٌ**﴾: لأنها عائدةٌ على الإنسان، فهل يرى أنه قريبٌ منها وأنْ لابدّ من وقوعها؟

18- ﴿**يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا**﴾: لجهلهم لا يعلمون ما فيها من هول عظيم. ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: بلا إلّه إلا الله واتقوا صار لهم نور، هؤلاء لرحمتهم وحنانهم. ﴿**مُشْفِقُونَ مِنْهَا**﴾: على الخلق، يتمنَّون أن يؤمن الناس لئلا تقع عليهم الساعة. ﴿**وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ**﴾: لابدّ منها، فإن لم يؤمن الناس بالله ويرجعوا للحق فلابدّ لهم من التطهير والعلاج بها. ﴿**أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ**﴾: لا يصدِّقون بها. ﴿**لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾: بعيدون عن الله.

19- ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ**﴾: سبحانه معك دون أن تشعر، نوره سارٍ بيدك، بعينك، بجسمك كله، وكل الكون قائم به جلَّ وعلا. ﴿**يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من طلب أعطاه الله ومنحه، هو سبحانه وتعالى الرزَّاق، لا رزَّاق غيره. فليؤمن الإنسان أن الله هو الرزَّاق. ﴿**وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾: كل الخير منه سبحانه.

20- ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ**﴾: كل من طلب الآخرة وعمل من أجلها. ﴿**نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ**﴾: نعطيه ونهيّئ له الأسباب ليزداد إقبالاً وأعمالاً. ﴿**وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا**﴾: له الاختيار، طَلَبَ الدنيا وكفر بالآخرة. ﴿**نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾: يعطيه الله تعالى ما شاء لنفسه واختار حسب ما يريد، والحقيقة أنه مهما نال الإنسان من هذه الدنيا فهو أمام عطاء الآخرة لا يذكر. ﴿**وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾: ضيَّع حياته سدى، ما كسب منها شيئاً، وليس له في الآخرة شيءٌ مما أعدَّه الله له من عطاءٍ وجنات.

سورة الشورى: [21-30]

21- ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ**﴾: جعلوا المخلوق شريكاً مع الله! ﴿**شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ**﴾: ساروا على ما شرّعوا لهم من تفاسير مُضِلَّة، ساروا على قوانين وأنظمة من وضع أناس آخرين ودانوا لها. ﴿**مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾: ما لا يرضى الله تعالى به، حيث لا يوصلهم للسعادة والجنة. ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ**﴾: بأن لكل واحد منهم أجلاً. ﴿**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾: بالهلاك. ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: على إشراكهم هذا.

22- ﴿**تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا**﴾: خائفون مما عملوا من سوء، فهم لم يعملوا بدنياهم خيراً. ﴿**وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ**﴾: لابدّ لهم من العذاب، عملهم السوء سيعود عليهم. ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: بالله. ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ**﴾: بالسعادة والحبور. ﴿**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾: ما يطلبون. ﴿**ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾: يتفضل الله عليهم بعطاء كبير.

23- ﴿**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ**﴾: يبشّرهم عن طريق رسول الله ﷺ. ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾: فالعمل الصالح بعد الإيمان وبه دخول الجنة. ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾: لا مطلب لي منكم إلا أن تصلوا للسعادة والجنات. ﴿**إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾: إن آمنتم صار لكم صلاة وكمال فتعاملون بعضكم بعضاً بالمودة والخير والإحسان. ﴿**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾: له أجرها وزيادة. ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾: يشكر لكم أعمالكم ويعطيكم عليها الجنات.

24- ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾: ادَّعوا أن هذا القرآن جاء به ﷺ من عنده لا من عند الله. ﴿**فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ**﴾: في هذه الآية تقريع من الله تعالى لهم، فالوحي من أجلهم لا من أجله ﷺ. {**وَقُرْآَناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**}[6]، القرآن مطبوع بنفسه الشريفة ﷺ وقد تنزَّل عليه كله، فإن ختم تعالى على قلبه الشريف ولم يتكلَّم به ﷺ عندها من يستطيع من الخلق غيره ﷺ أن يأتيكم بالقرآن؟ لا أحد منكم يستطيع أن يأتي بهذه المعاني.

﴿**وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ**﴾: لكن رحمته سبحانه وتعالى اقتضت ألا يختم على قلبك الشريف وذلك لترجع الناس للحق ويسيروا به. ﴿**وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**﴾: لأجل أن يهتدي الكلُّ ويدخلوا الجنة. ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: يعطي كل إنسان بحسب ما في نفسه.

25- ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ**﴾: التوبة الصحيحة لا تكون إلا عن طريق عباده صلوات الله عليهم أجمعين، بالرابطة القلبية بالإمام يَدخُل بنفسك على الله بالصلاة فتنتهي النفس عن الفحشاء والمنكر ويمحو الله من النفس كلَّ ما يسوؤها وذلك بما يغدق عليها من نعيم وعطاءات قلبية سامية. ﴿**وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾: كل شيء بعلمه سبحانه، عملك معلوم عنده.

---

[6] سورة الإسراء – الآية:106.

26- ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: المؤمن يستجيب لربِّه ولدلالة رسوله ﷺ يفكِّر، يطبِّق، ويعمل صالحاً. ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾: عطاؤه سبحانه وتعالى متزايد، وفضله إلى ما لا نهاية. ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: على تكذيبهم وإعراضهم، وعلى ما أنتج هذا الإعراض من عمل السوء.

27- ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾: لو أعطاهم الكثير. ﴿لِعِبَادِهِ﴾: المؤمنين. ﴿لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾: لفسدوا. ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾: ألا ترى أن رسول الله ﷺ دعا ربَّه أن اجعل رزق آل محمد كفافاً. ﴿مَا يَشَاءُ﴾: ما يناسبهم لئلا ينشغلوا بها عن الله ويقعوا بحب الدنيا فلا يؤمنوا. ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: هو سبحانه أعلم بالمؤمنين وما يناسبهم.

28- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: المطر. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾: من نزوله. ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: يخرج لهم النبات والأثمار من الأرض. ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾: متولٍّ أمور معاشك في الدنيا، فلا تقلق. ﴿الْحَمِيدُ﴾: يُحمد سبحانه وتعالى على كل أفعاله.

29- ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ﴾: الدالة على رحمته وحنانه بخلقه. ﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من أجل حياتك ومعاشك أيها الإنسان، لولا السماء والأرض ما حالك؟ ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾: إذا جاء الإنسان للدنيا وفكَّر آمن بربه وارتبطت نفسه بنفس رسول الله عليه الصلاة والسلام، عندها تتحرَّر من سلطان جسمها وتنطلق نفسه بمعيَّة رسول الله ﷺ بالنور الإلّهي وتغدو سامية وبسماوات رسول الله العُلويَّة، أما إذا لم يفكِّر ولم يؤمن وأتبع نفسه هواها وأخلد إلى الأرض، والشهوات كلها من الأرض فتهوي نفسه إلى باطن الأرض وتصبح أرضية. ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: كل ما يدب على الأرض فهو دابة، والنفس هنا لها علاقة بالجسد لذلك سُمِّيت دابَّة. ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾: يوم القيامة يجمع الله الأوَّلين والآخرين، وأهل النار كل أمة تلعن أختها، ويتلاومون ويتبرَّأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا، وإذا اتقى المرء وتفتحت منه عين البصيرة فيرى السابقين ويشاهد إذا شاء من الدنيا أحوالهم، فالله يجمعه بهم كما رأى السحرة "الذين سجدوا لسيدنا موسى عليه السلام" أحوال أهل الجنة وأهل النار.

30- ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ﴾: من شدائد ومصائب وأمراض. ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أعمالكم عادت عليكم، الخير من الله، الشر من أنفسكم. تُبْ، ارجعْ إلى الله يرفعها عنك ويخلِّصك، فكل أذى وضرر وشر يصيب الإنسان هو ليس من الله وإنما من الإنسان ذاته، فهذه الحروب وهذا الإجرام من قتل وتعذيب وخراب وكل ما نراه اليوم من شقاء وآلام هو من سير الناس ذاتهم، سيرهم المنحرف عن الحق أوصلهم لهذا وهو ليس من الله، فالله سبحانه ما أخرجنا لهذا الوجود إلا ليهبنا ويعطينا بدل الجنة الواحدة جنّات كثيرة متعددة متسامية. ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾: مما في أنفسكم، فبهذه الشدة التي يرسلها الله لهم يلتجئون إليه تعالى فتزول من قلوبهم علل وأدران كثيرةٌ ويرتفع عنهم البلاء الذي استحقوه، فإن فكروا بعد ذلك وتابوا وآمنوا يشفيهم الله ويطهِّر قلوبهم، أما إن لم يتوبوا ولم يؤمنوا فيبقى في نفوسهم جرثوم الشهوات ثم لا يلبثون أن يعودوا بعد الشدة للمعاصي والآثام.

سورة الشورى: [31-40]

31- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: الموت مصيركم، لا مهرب لكم منه، انظروا وفكروا بمن قبلكم أما ماتوا؟ ما هي نتائج أعمالهم؟ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: ساعتها. ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يواليكم وينصركم.

32- ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾: الماء لا يحمل قطعة حديد ولا حجراً صغيراً، فكيف يحمل هذه البواخر ذات الأوزان الكبيرة؟ ما هذه القوة التي تحملها، ومن أوجد قوانين هذه القوة؟ المؤمن يرى بهذه القوانين والظواهر آيات دالة على الله فيستعظم من خلالها ربَّه ويرى أن الله أوجد وأبدع هذه القوانين وهو سبحانه وتعالى ممدُّها. ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾: هذه السفن في البحر كأنها جبال عظيمة.

33- ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾: فهو تعالى يُرسل الرِّيح عليهم وعلى سفنهم، وهو سبحانه يوقفها عنهم وهذا من غضب الله عليهم. ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾: على ظهر البحر. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ﴾: دالَّة على رحمة الله وحنانه. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: كل من صبر عن شهوات نفسه وقدّم أعمالاً صالحةً يرى هذه الآيات ويُدرك حقيقتها، أما غيره فيراها من اختراع الإنسان.

34- ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾: يُغرقهم، يُهلكهم بما كسبوا هلاكاً كاملاً لا بقاء لهم بعده.. ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾: بعملهم. ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾: يعفو الله بهذا الغرق الكثير مما في نفوسهم، كما حصل لفرعون حين غرق. فبهذه الشدائد وهذا الهلاك تزول من أنفسهم علل وأدران كثيرةٌ وهذا يخفف عنهم من آلامهم وعلاجاتهم في البرزخ والآخرة.

35- ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِنَا﴾: يحتجُّون ويقولون لم هذه ولم هذه، وهم لا يفقهون من الحق شيئاً، جادلوا لأنهم ما فكروا ولا يريدون سلوك طريق الحق. ﴿مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ﴾: مهرب عند الموت.

36- ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: مؤقت كله ستتركه غداً. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾: مما يناله المعرض من لذائذ ومتع الحياة الدنيا. ﴿وَأَبْقَى﴾: دائم لا ينتهي، وراء عمل المعروف إقبال على الله ونعيم وجنات. ﴿لِلَّذِينَ آَمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: دائماً مسلِّمون أمورهم إلى الله، شاهدوا رحمته وحنانه عليهم فاستسلموا له تعالى، طاهر القلب يستسلم.

37- ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾: يبتعدون عنها وعن كل ما يوصل إليها لما فيها من أذى وضرر وشقاء. ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا﴾: لله. ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: لا يحملون بنفوسهم غلاً على أحد. في حالة الغضب يظهر ما انطوى بنفس الإنسان، فإذا كان مُقبلاً على الله يظهر منه الخير والحنان والرحمة والمحبة، كاللبن إذا حركته تخرج الزبدة.

38- ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: فكروا بالكون وآمنوا وعملوا صالحاً، أحبُّوا رسول الله ﷺ فآمنوا به وصارت لهم التقوى بمعيَّته ﷺ. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أقاموا الصلاة لأنفسهم، ومن ثم للخلق ويأمرون الناس بالمعروف. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: لا يبخلون مما أعطاهم الله من مال أو جاه أو علم.

39- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾: التعدّي، هناك من تعدَّى عليهم. ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾: ينتصرون المثل بالمثل. ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾: سبب نصرهم الدائم أنهم أتقياء مرتبطون برسول الله ﷺ فالنصر دائماً معقود بلوائهم.

40- ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾: يردُّون السيئة أو الاعتداء بمثله. ﴿فَمَنْ عَفَا﴾: تنازل عن حقِّه وسامح به عن مقدرة، المؤمن إن جاءته مصيبة يعلم أنها من الله وأنه سبحانه هو الفعَّال وقد أرسلها إليه على يد شخص ما بسبب عمل بدر منه، ويعلم أن هذه المصيبة للتنقية وللتطهير لذلك يعفو، قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ

وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[7]. ﴿وَأَصْلَحَ﴾: نفسه، فتَّش عن السبب الذي جلب له هذه المصيبة فغيَّر وتاب. ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: له أجر من الله على هذا العفو. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: المعتدين، نفسك أمانة عندك، لا تظلم فتظلمها وتحرمها من السعادة والجنات.

سورة الشورى: [41-50]

41- **﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾:** ليس عليهم مؤاخذة.

42- **﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾:** المؤاخذة والقصاص على الذين يظلمون الناس. **﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾:** يريدون الفساد. **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:** دنيا وآخرة.

43- **﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾:** الله تعالى يبتليك ليُخرج لك ما في نفسك، على الإنسان أن يقول: هذا البلاء لإخراج ما في نفسي وتطهيرها، وهو من حبِّ الله وعطفه عليَّ، فهذا البلاء نعمة منه سبحانه وتعالى. **﴿وَغَفَرَ﴾:** المؤمن لا يحمل بنفسه حقداً على غيره ولو أصابه منه مكروه، لأنه يعلم أن هذا شركٌ بالله، لذلك يغفر لغيره. **﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾:** هذا حال وفعل المؤمن القوي.

44- **﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾:** من يضلل نفسه عن الله، حيث أنه ما فكَّر فما آمن وما شاهد لا إلَه إلا الله. **﴿فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ﴾:** من يولِّيهِ طريق الحق، الاختيار له، إن لم يُقبل هو من ذاته على الله فلن ينال الكمال منه سبحانه. **﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾:** يوم القيامة. **﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ﴾:** إلى الدنيا لنؤمن ونعمل صالحاً ونسير مع رسول الله. **﴿مِّنْ سَبِيلٍ﴾:** هل إلى هذا من طريق؟

45- **﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾:** على النار. **﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾:** عندما ترى النفس أعمالها المنحطة تخشع، أي: يحلُّ بها الذلُّ وتتكسر خوفاً وخجلاً، خوفاً من مصيرها وما سيحل بها وخجلاً من إساءتها أمام ربها وأمام الخلائق كلها. **﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾:** ما أعدَّه الله لهم من الجنات. **﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾:** أصحابهم. **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾:** يرون هذه الخسارة. **﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾:** على طول.

46- **﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:** المريض لا أحد يعترض ويمنع دخوله المستشفى، لابدّ له من العلاج للشفاء. **﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾:** من يضلل نفسه عن الإيمان بلا إلَه إلا الله. **﴿فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾:** ليس له من طريق للسعادة إلا بالرجوع للتفكير بآيات الله والإيمان من خلالها بلا إلَه إلا الله.

47- **﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم﴾:** آمنوا بلا إلَه إلا الله، فكِّروا لتصلوا لهذا. **﴿مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾:** بعد الموت لا رجعة لك إلى الدنيا أيها الإنسان. **﴿مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ﴾:** تلتجئون إليه، ليس لكم إلّا اللّه وأنتم ما آمنتم فكيف تلتجئون إليه؟ **﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيرٍ﴾:** لا تستطيعون أن تنكروا.

48- **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾:** عنك وعن بيانك، ما ساروا معك، ما طبقوا ما تأمرهم به. **﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾:** حافظاً لهم من الوقوع بالمعاصي، الاختيار لهم. **﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾:** أنت بلِّغهم فقط. **﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾:** إذا أعطاه الله ما يريد من مال وجاه وغيره. **﴿فَرِحَ بِهَا﴾:** يفرح وينسب هذا لسعيه. **﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾:** من فقر أو مرض أو حرمان. **﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾:** سبب هذه المصيبة عمله. **﴿فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾:** ييئس ويقنط ويكفر بالله.

---

[7] سورة فصلت – الآية:34.

49- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لماذا اليأس والقنوط؟ انظر بالكون وفكِّر، ترَ أنه كله راجع لله، إن رجعت لله بالتوبة وسرت بالحق وغيَّرت ما في نفسك يغيِّر الله عليك. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: الخلق بيده سبحانه ما شاء يخلق. ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً﴾: من شاء يجعل الله نسله إناثاً فقط، فهذه مشيئة الله عزَّ وجلَّ وحكمته ولا علاقة لها بالإنسان أبداً.

الهبة: هي العطاء دون مقابل، فالله تعالى يعطيك كل شيء دون مقابل منك، وكذلك الذراري في أصلاب الآباء فهي بالأصل هبة من الله تعالى دون أيِّ مقابل، وهي هبة غالية على قلوبنا، فالأبناء أكباد الآباء. يذكِّرنا الله تعالى بهذا الفضل لنلتفت إليه فنحمده ونرى فضله وإحسانه وكرمه فنحبه ونُقبل عليه. ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾: ومن شاء يجعل نسله ذكوراً، فالله يختار ما فيه الخير للإنسان، فإن كان الخير أن يُرسل للإنسان أنثى فيبعث له أنثى، إذ بيده تعالى الخير، وإن كان الخير أن يُرسل للإنسان ذكراً فيبعث له ذكراً.

50- ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾: فالله تعالى هو الذي يزوجهم، بناءً على ما بنفوسهم من طلب وهوى يبعث لهم أزواجاً: فمن كان ممن آمن بالله واتصل بربِّه واشتق منه الكمال وغدت نواياه عالية وغاياته سامية من وراء كل عمل يعمله لِمَا حازه من صفات إنسانية كاملة وغدا تقياً يأتمر بأمر رسول الله ﷺ وينتهي بنهيه فهذا لا يتزوج إلا لغايات إنسانية سامية لا شهوانية بهيمية، فتراه لا يهتم بالشكل واللون وما تهواه الأنفس لأنه غني بقلبه، بل يُؤثِر الزنجية المتقدمة في العمر إن كان في زواجه منها رضاء الله ومكاسب أخروية بإنقاذها والأخذ بيدها للهدى، فتراه يقدِّم رضاء الله وعمل الإحسان على كل شهوة دنيوية، فهذا الذي يزوجه الله عن طريق رسوله يعطيه ثواب الدنيا والآخرة ويزوجه زواجاً من أرقى وأسمى الوجوه، ويسوق له أشرف وأطهر النساء، ويرسل له أولاداً صالحين ويجعلهم بصحيفة أعماله لأنه سار بما اختاره الله له لا بما اختار هو لنفسه، وإن كان المرء ممن غلبت عليه شهواته وأحب العاجلة ولم ينتظر اختيار رب العالمين له، بل هو اختار لنفسه، فذهب يبحث عن نصيبه ويجد في البحث ويهتم باللون والعمر والشكل لهوى في نفسه وشهوة دنيوية منقضية، فهذا يعطيه الله طلبه، يزوجه ويوليه ما تولى ويطلقه لما أراد هو واختار ولا يحيف عليه شيئاً من شهواته بل يخرج له كل طلباته ورغائبه. فهذا طلب شهوته بالحلال، فالله يعطيه ولا ينقصه شيئاً ولكن ليس له رقيٌّ وسموٌّ لأنه هو الذي اختار لنفسه ولم ينتظر اختيار الله له، بل استعجل ولم يتريَّث فله ما اختار، فيزوجهم الله بناءً على ما بنفوسهم من طلبات.

﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾: لا ينجب أولاداً، كذلك فالإنسان إن استعجل على الدنيا وشهواتها وتزوج برأيه وما سار برأي رسول الله ﷺ ينجب أولاداً لا يستفيد منهم لآخرته شيئاً وبهذا يكون عقيماً، أي: محروماً من الابن الصالح، حيث لا نيَّة عالية كانت من وراء زواجه. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾: لكلٍّ على قدر نيَّته، فهو يعلم ما يناسبهم لنفعهم في الآخرة فيرزقهم بقدره، وقد زوَّجهم من قبل بما يناسب درجتهم في الإيمان والقرب من الله تعالى.

سورة الشورى: [51-53]

51- وقال الكافرون لِمَ لا يكلِّمنا الله فأجابهم:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً﴾: والمقصود بكلمة: ﴿وَحْياً﴾ في هذه الآية الكريمة: إنما هو الكلام اللفظي من حضرة الله سبحانه وتعالى، ولكن الله تعالى لا يكلِّم أحداً من البشر إلا عن طريق رسول الله عليه الصلاة والسلام، والسبب في ذلك أن النفوس في عالم الأزل بالميثاق انقطعت عن حضرة الله تعالى وذهب سمعها وبصرها وذوقها إلا الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فما

انقطعوا. إذن: كيف يكلّم الله من لا يسمع ولا يبصر؟ فالإنسان لا يسمع إلا بالرابطة، برابطته مع رسول الله ﷺ ذلك أنه ﷺ ما انقطع عن الله أبداً وهو دائماً معه تعالى.

﴿**أَوْ مِنْ وَرَاء حِجَابٍ**﴾**:** بالمنام، فالدنيا وجسم الإنسان يشكّلان حُجُباً على نفس هذا الإنسان، لذلك يأتي رسول الله ﷺ ويعرج بهذه النفس من حجابها وشهواتها بلطف منه ﷺ عند ذلك تستطيع هذه النفس سماع كلام ربّها جلّ وعلا. ﴿**أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً**﴾**:** يرسله للدنيا بوجوده الجسدي الخلقي. ﴿**فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**﴾**:** يوحي القرآن على لسانه، ويكون خطابه تعالى لخلقه بواسطته ﷺ وبالكتاب الذي معه، حيث يأمره الله بتبليغ المؤمنين، ويكون هذا التبليغ خطاباً من الله لهم على لسان رسوله. ﴿**إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾**:** الإنسان في عالم الأزل بالميثاق انحطَّت منزلته انحطاطاً كبيراً بإعراضه عن الله، على خلاف السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم فلقد ظلّوا بالسموّ والعلوّ، لذلك لا يمكن لك أيها الإنسان أن تخاطب ربَّك ويخاطبك سبحانه إلا عن طريقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

52- ﴿**وَكَذَلِكَ**﴾**:** أرسلناك لترفع نفوس البشر إلى الله، لذلك: ﴿**أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا**﴾**:** جبريل ﷺ. ﴿**مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ**﴾**:** لم تكن تتكلَّم بذلك البيان وهذه الدلالة قبل الرسالة، فقد كان ﷺ في الأزل نفساً مجرَّدة من الجسد وذلك قبل مجيئه للحياة الدنيا، وعندما بعثه الله تعالى لهذه الحياة الدنيا ألبسه لباس الجسد، ونسي ﷺ كل شيء، لكنه لم ينسَ صلته بالله، ولم ينسَ أنه جاء لعمل الخير والإحسان، وعندما بلغ مرحلة الكمال بأعماله الشريفة أنزل تعالى عليه الرسالة وأطلعه على القرآن وطبعه في نفسه الشريفة. {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ**}[8]. ﴿**وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً**﴾**:** جعلنا الإيمان عن طريقك نوراً، كذلك يتلو رسول الله ﷺ عليك أيها المؤمن القرآن نوراً كما نزل عليه نوراً. ﴿**نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾**:** المؤمنين. فرسول الله ﷺ مطَّلع على كل الناس وهو على دراية بإيمانهم ودرجاتهم ومراحلهم، وما أن يصل الإنسان لمرحلة الإيمان الشهودي حتى يشفع به ﷺ ليريه بنوره أسماء الله الحسنى. ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾**:** إلى طريق السعادة، فالقرآن الكريم هو هدي رب العالمين لكل الصادقين السالكين، هو نور يهتدون به في ظلماء حياتهم وبدون تطبيق تعاليمه يضحي الإنسان بلا قانون ولا نظام بل يمشي خبط عشواء ويخوض في بحار لا يدري من أين أبحر فيها وإلى أين سيرسو.

53- ﴿**صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾**:** كل شيء عائد له سبحانه بالخلق والإمداد والتربية والتسيير. ﴿**أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾**:** كلها مرجعها إلى الله.

والحمد لله رب العالمين.

[8] سورة الدخان – الآية:3.

تأويل سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الزخرف: [01-10]

1- ﴿**حمٓ**﴾: يا حامداً ويا محموداً، يا من أصبحت قريباً مني فأحببت هذا الخير لمخلوقاتي .

2- ﴿**وَالْكِتَابِ**﴾: يشهد لك بهذا، يشهد بأنك حامدٌ لله محمودٌ عند الله وعند الخلق. ﴿**الْمُبِينِ**﴾: ما جئت به ظاهر بيّن حق يوصل للإنسانية وللسعادة.

3- ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾: واسع البيان، بإقبال نفسه الشريفة ﷺ على الله انطبع الحق بها، ووصل من العلم بأسماء الله الحسنى ما لم يدانِه فيه أحد من العالمين لذلك أنزل سبحانه وتعالى عليه القرآن مفصَّلاً منطقياً ليبيّنه للناس. ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾: هذه غايتنا، غاية الله من إنزال القرآن على رسوله أن يعقل الناس بقلوبهم ما فيه من خيرات، من فكر وآمن، هذا يعقل وينطبع الحق والخير بنفسه ويعرف ما في الصلاة من خير وما في الصيام والحج من خيرات، فالتفكير بهذا الكون ثم عقل النفس هو الذي يجعل الإنسان يرى القرآن عربياً.

4- ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ**﴾: هذا القرآن تجده أيها المؤمن في أمّ الكتاب، مطبوع في نفس رسول الله عليه الصلاة والسلام، ما لم يفكر الإنسان ويؤمن يرَ القرآن غامضاً، إن تاب ورجع إلى الله ثبّت تعالى معاني القرآن بنفسه، وطبع فيها الحق عندها نفسه تؤم إلى الكتاب أي ما كتب الله فيها ولا يعمل إلا به ﴿**لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾: بهذا القرآن ﷺ سما وعلا وأصبح شفيعاً للعالمين، وصار يعرف الحكمة من كل أمر، وأنت أيها الإنسان سموّك وعلوّك بالقرآن، وبه ترى طريق النعيم والجنة وتدخلها، وبه تصبح حكيماً.

أصحاب رسول الله ﷺ لـمّا آمنوا كتب الله الحق بنفوسهم وأمُّوا إلى الكتاب، به علوا وصاروا علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.

5- ﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ**﴾: لا بل رحمتنا تدعونا لعلاجكم ودلالتكم، لذلك أرسلنا رسولنا وأنزلنا عليه هذا البيان لعلكم تسيرون بالحق.

6- ﴿**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ**﴾: أرسلنا للذين قبلكم رسلاً وأنتم كذلك أرسلنا لكم، فهل هذا غريب! لِـمَ الإنكار؟!

7- ﴿**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ**﴾: يتنبأ لهم الحق ويخبرهم به ليؤمنوا ويعملوا وينالوا الجنات. ﴿**إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: لا يعبؤون به ولا يطبّقون ما يأمرهم ويدلّهم عليه.

8- ﴿**فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا**﴾: جاءهم الهلاك لما استهزأوا قبلكم وما ساروا بالحق ولا بدلالة وبيان رسلهم. ﴿**وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ**﴾: مثل الذين من قبلهم، ما اعتبروا بغيرهم، وأصبحوا هم عبرة لغيرهم.

9- ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**﴾: ما من إنسان إلا ويقرُّ بوجود الخالق ولا يستطيع الإنكار رغم كفره وإعراضه، ذلك لوجود الأدلة والبراهين، ولئن سألته عن الله ليقول: "كل الخير منه: الماء، الهواء، الطعام... وهو عليم بكل شيء"، يقول ذلك قولاً غير مبني على تفكير وإيمان.

10- إذا كنتم تقولون ذلك فهل فكرتم بـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: ممهدة بكل وسائل العيش من أجل حياتك أيها الإنسان، وجعل لها قوانين وأنظمةً تأتيك الخيرات من خلالها مستمرةً دون انقطاع. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: ينابيع في الأرض تأتيك منها المياه من القطبين. ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لو فكَّرتم بهذا الفضل لاهتديتم إلى خالقكم، ولشاهدت نفوسكم أنواره وأسماءه الحسنى سبحانه وتعالى وصرتم مؤمنين.

سورة الزخرف: [11-20]

11- ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بقدر اللزوم وعلى حسب الحاجة لا من دون حساب. ينزل الأمطار لهذه الينابيع ليمدّها بالماء، ينزل الماء ويجعله في مستودعات، ثم يخرجه لكم عن طريق الينابيع والأنهار بمقادير ومعايير[1]، فلا تطغى عليكم بمياهها ولا تجف، بل تبقى طوال العام تمدُّكم وتمدُّ زرعكم بالماء. ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾: أخرج بهذا الماء النبات والثمرات من الأرض بعد موتها. ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: يوم القيامة، كما تخرج الثمرات والنباتات من الأرض أنتم كذلك سوف تخرجون، فالذي أحيا الأرض وأخرج النبات والأشجار وخلق الأجنة في بطون أمهاتها أما هو قادر على جمعكم وإخراجكم يوم القيامة ؟!

12- ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: كل ما خلق الله أزواج، ذكر وأنثى. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ﴾: السفن في البحار. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الجمال. ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾: تحملكم وتحمل أثقالكم، وتنقلكم من مكان لآخر ما كنتم لتبلغوه إلا بشق الأنفس.

13- ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾: عندها تسبح بفضل ربك وجناته وأسمائه وترى فضله عليك وتقول سبحان الذي سخر لنا هذه الأنعام والفلك. ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: ما كنا لنستطيع أن نركب عليها لولا أن سخَّرها الله لنا وذلَّلها وطوَّعها لنا. هؤلاء فتّحت منهم البصائر لذلك يقدّرون نِعَم الله وتسييره الخيّر وتسخيره لهذه المخلوقات.

الآيات التي ساقها الله لكم لتفكِّروا بها وتتوصّلوا للإيمان بالإلّه العظيم، إن فكَّرتم بهذه النعمة وقدَّرتم آمنتم بالله، عندها يبلِّغكم الله التقوى مع الرسول.

14- ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾: تعودون لحالكم الأول يوم خلقكم الله نفوساً، تسري نفوسكم مع السراج المنير رسول الله ﷺ بالسمو والعلو والجنّات، وإن كانت أجسامكم على الأرض ولكن نفوسكم مع الله، تسري برابطتها برسول الله ﷺ إلى الأزل والآخرة فتشاهدهما، وتصبحون علماء حكماء كأصحاب رسول الله ﷺ الذين كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء. ثم إن كلمة: ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ مشتقة من: الانقلاب، فلقد أرسلك الله للدنيا وألبس نفسك جسدها، فهل تنقلب إليه تعالى وتعود لصلاتها الدائمة به جلَّ وعلا؟ أم أنها تبقى في الدنيا وشهواتها ولذائذها، أي تبقى بالخيانة؟

15- ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً﴾: جعلوا مع الله آلهة، اعتمدوا على غيره تعالى من الأصنام وممن لا فعل لهم. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾: يبقى ناكراً نعم الله، وخائناً لعهده مع الله سبحانه ما لم يتقِ ويصبح بالنور. ﴿مُّبِينٌ﴾: كفره ظاهر بيّن، بأعماله وأقواله.

---

[1] لطفاً انظر كتاب مصادر مياه الينابيع في العالم للعلّامة محمد أمين شيخو.

16- ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾: كما ادّعيتم أن الله جعل الملائكة إناثاً له وخصَّكم أنتم بالذكور! هل هذا منطق؟ هذا الذي تتمنونه واخترتموه ألا يجعلكم تقعون بالسوء والفحشاء والمنكر؟ إن حقَّق الله لكم ما تريدون ولم يرسل لكم بنات عندها سيغدو نسلكم كلّه ذكوراً فقط فكيف للنسل أن يستمر، والشهوة بأنفسكم فكيف ستنفذونها وعلى من؟ النتيجة سوف تقعون باللواط، ألا يسوءكم هذا الترتيب الذي اخترتموه لأنفسكم ؟!

17- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: الإنسان ما لم يؤمن لا يعرف خيره من شره، لا يعرف الحق، البنت إن ربَّاها أبوها تربية صالحة ففيها خير عظيم وبها نوال الجنات.

18- ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾: بالترف والخمور والفجور مع النساء وفي القصور... ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: هذا كيف يلتفت إلى الله ويستطيع التفكير بنعمه، هذا خاصم الله، صار يرى الله ورسوله أعداء له ويعمل بالخفاء لردِّ الحق ومحاربته.

19- ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾: سمَّاهم الله تعالى ملائكة لأنهم حين عرض جلَّ وعلا الأمانة عليهم خافوا من حملها، ولم يطلبوا لأنفسهم الإرادة والاختيار، بل ملَّكوها لله سبحانه ولذلك سُمُّوا ملائكة، كذلك فقد عزفت نفوسهم عن الدنيا وشهواتها، فلا شهوة بأنفسهم الطاهرة ولا ميول لهم لغيره سبحانه وتعالى. ﴿الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾: دائماً بالطاعة لا يعصون الله ما أمرهم. ﴿إِنَاثاً﴾: بناتٍ له. ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾: حتى جعلوهم إناثاً؟! لا علم لهم فيهم، فالملائكة ليسوا ذكورا ولا إناثا، فلا شهوة بأنفسهم. أمَّا أولئك المعرضون فهم ما شهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ويدَّعون أن الملائكة إناث! قولهم هذا زورٌ وبهتانٌ. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾: يوم القيامة على هذا الافتراء الذي افتروه.

20- ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾: يضعون لأنفسهم الحجج وينفون عن ذاتهم المسؤولية في كفرهم وإشراكهم وذلك بنفيهم الحرية في الاختيار والمشيئة عن أنفسهم، فينسبون أعمالهم السيّئة لله؛ وبأنه سبحانه كتب عليهم هذا. ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾: قولهم هذا لا علم ولا سند لهم به من كتاب الله. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: عند سماعهم الحق وإقامة الحجّة عليهم يسكتون، فلا يتكلمون بشيء، وغداً يوم القيامة سيكونون بين يدي الله ويشاهدون الحقائق فلا يستطيعون الكلام.

سورة الزخرف: [21-30]

21- ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً﴾: هل أنزل الله عليهم كتاباً أمرهم فيه أن يفعلوا الفحشاء والمنكر حتى قالوا إن الله قدَّر عليهم هذا ؟! {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[2]. فما تختاره وتصرّ عليه أيها الإنسان يسيّرك الله له ويعطيك إياه. منحك تعالى حرية الاختيار وبها تدخل الجنة. ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل القرآن. ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾: هل أقوالهم هذه من الله حتى استمسكوا بها!

22- ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾: آباؤنا العظماء ساروا على هذا، لكن هل من المنطق والحق أن يسير الإنسان على ما خطّه الآباء والأجداد دون تفكير وتمحيص ورجوع إلى كتاب الله؟! الآن الكتب تنسب الظلم لله، والأعمال الدنية للأنبياء الكرام، فهل هذا صحيح؟! وهل من المنطق أن

---

[2] سورة النحل – الآية:90.

نسير عليها؟! ﴿وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾: نسير بسيرهم، عارضوا رسول الله ﷺ بلا تفكير ولا منطق. الله أعطى الإنسان التفكير ليفكِّر لا من أجل أن يهمله ويتبع زيداً وعمرو.

23- ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كذلك حال كل أمة لم تفكر ولم تسِر على كتاب الله. ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾: ينذرهم ويحذرهم من معتقداتهم التي تعود عليهم بالسوء والشقاء. ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: أراذلها. ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾: قوانين وأنظمة وعلوم عظيمة. ﴿وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾: سائرون بسيرهم.

24- ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ﴾: ببيان عالٍ سامٍ من حضرة الله. ﴿بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آَبَاءَكُمْ﴾: يهديكم إلى الإنسانية والسعادة والجنات. انظروا ما جرَّ لكم سيركم مع الآباء. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: مصمِّمون على الكفر.

25- ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: أخرجنا ما في نفوسهم من شهوة لكن جرثومها لم يزل موجوداً. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: فكر أيها الإنسان وانظر نتائجهم، وماذا حلَّ بهم، هذا حال كل من هجر كتاب الله وسار على قول المخلوق.

26- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾: مثال يحتذى للحُرّ، التفكير الخالص المتحرر من عقيدة اتباع الآباء والأجداد. سيدنا إبراهيم عليه السلام لـمّا فكَّر بالكون آمن فاستطاع أن يخالف البيئة والمجتمع الذي نشأ فيه، لم يجارِ الناس في سيرهم المنحرف ولم يوافق أباه على ضلاله، نظر فيما يعكف عليه أبوه وقومه مفكراً متسائلاً؛ أيمكن لصنم نحته إنسان بيده أن يكون خالقاً مربياً ؟! وهل يستطيع هذا الصنم الذي لا يقوى على أن يمسك ذاته بذاته أن يمسك السماوات والأرض؟!

﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾: هذه الكلمة تبيِّن عصمة الرسل والأنبياء عليهم السلام، وأنهم لا خطيئة لهم ولم يقعوا بالزلل، فهذه الكلمة: ﴿بَرَاءٌ﴾ لا تنطبق إلا على السادة الأنبياء والرسل، فهم ومنذ الأزل ما انقطعوا عن حضرة الله وكذلك جاؤوا للدنيا وما انقطعوا عنه تعالى لحظة. ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾: من عقيدة اتباع الآباء والأجداد، كذلك اليوم ساروا على ما خطّه لهم الأجداد والآباء دون الرجوع إلى كلام الله القرآن ومطابقته معه، عبدوا الآباء والأجداد وبهذا أشركوا مع الله حيث سمعوا كلاماً غير كلامه تعالى وساروا على دلالة غير دلالته السامية.

27- ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقني وأنعم علي، ولا يزال ينعم بإكراماته وعظيم فضله، فهو الذي يجب أن يُسمع كلامه ويُطاع، لا كلام المخلوق واتّباع الأصنام الذين لا فضل لهم بشيء. ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾: لما فيه هدايتكم وإنقاذكم من الضلال والشقاء والنار، وإن لم تؤمنوا ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ إلى قوم غيركم يؤمنون بالله معي، لذلك تركهم وهاجر.

28- ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ عقبه: أبناؤه. إن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، إذن عقبه: الأنبياء والمرسلون من بعده صلوات الله عليهم أجمعين؛ سيدنا إسماعيل وإسحاق ويعقوب وبقية الأنبياء ومنهم سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام، والكلمة هي ذاتها التي أوصى بها سيدنا يعقوب أبناءه: **{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}**[3].

---

[3] سورة البقرة – الآية:133.

إذن: ﴿جعلها كلمة باقية في عقبه﴾: ما آمن لسيدنا إبراهيم إلا سيدنا لوط عليهما السلام، فلقد سار عليه السلام بما سار عليه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فكَّر وآمن، لذلك فقد تركه سيدنا إبراهيم عليه السلام في قومه ليدلّهم على الإيمان وليرشدهم إلى التقوى. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتركون ضلالهم ويرجعون إلى خالقهم بمعيَّة لوط عليه الصلاة والسلام، لقد تركهم وهاجر لأنَّهم ما ساروا معه، لكنه من رحمته بهم ترك فيهم سيدنا لوطاً عليه السلام يحذِّرهم ويرشدهم فلعلَّهم يسيرون معه.

29- ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾: أعطيتهم كل شهواتهم وطلباتهم ليسيروا بعدها بالحق. ﴿هَؤُلَاءِ وَآَبَاءَهُمْ﴾: الخطاب لأهل قريش عبدة الأصنام الذين يسمعون من رسول الله القرآن، فلقد تلا ﷺ عليهم قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام. ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: القرآن، جاءهم رسول الله ﷺ ببيان عال ودلالة سامية. ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر، أعماله العالية بيّنة واضحة، بيانه وعلومه تدلُّ على أنه رسول الله، بَيَّن لهم معاني كلام الله سبحانه وتعالى بالأدلّة والحجج والبراهين، وجاءهم ببيانٍ منطقيٍّ وحق يوصل للإنسانية والسعادة.

30- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: جاءهم الحق من عند ربهم وعرفوا أنه الحق. ﴿قَالُوا﴾: بسبب خبث نفوسهم وإصرارهم على الرذيلة والمعاصي. ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾: قالوا يتخيَّل ويتكلَّم، فكلامه خيال يفتقد للمحسوس الملموس بعيد عن مدركاتنا المادية ونحن لا نؤمن بالتخيُّلات وإنما نؤمن بما هو محسوس وملموس، فهل نترك هذه الدنيا وما فيها من نساء وطعام وشراب وملاذ ونسير معه؟! إن سرنا على كلامه فإنما نحرم أنفسنا من كل هذا ونخسر ملذاتنا ومتعنا.

والحقيقة أنه ﷺ لم يحرمهم من شهواتهم بل حرمهم من الحرام الذي يجر لهم الآلام والشقاء والخسران، قال لهم بدل أن تأخذوا شهواتكم بالحرام وفي معصية الله وتحلّوا بالشقاء خذوها بالحلال.

قالوا عن بيانه العالي المنطقي إنه سحر وكلامهم هذا مردود عليهم، فلا يمكن أن يكون هذا القرآن وهذا البيان سحراً، فالسحرة يتكلمون بكلام مبهم غير مفهوم وهو ﷺ خاطبهم بالحجة والمنطق بما هو واقع بين أيديهم. لكنهم لا يريدون الحق لذلك أهلكوا أنفسهم وقالوا سحر، وهم يعرفون أنه ليس بسحر. هذا البيان المنطقي العالي هل يمكن أن يكون سحراً ؟! أيكون تخيُّلات؟!

﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾: أنكروا رسالته ﷺ وما جاءهم به عن الله، كل هذا من أجل أن تبقى لهم دنياهم ويحققوا شهواتهم وأهواءهم المنحرفة.

سورة الزخرف: [31-40]

31- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآَنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾: منظارهم معكوس، يقيسون العظمة بالصورة، بالملك والمال والجاه والدنيا، لذلك قالوا: هناك من هو أحق منه بالرسالة إن كان رسولاً، نحن لدينا عظماء، زعماء قبائل. ﴿مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾: مكة والمدينة حيث لم يكن بالجزيرة قرى ظاهرة غيرهما وما تبقَّى كانوا رُحّلاً، طلبوا أن ينزل القرآن على رجل من هاتين القريتين كأبي جهل وأبي لهب أو عبد الله بن أبي بن سلول، ذلك لأنهم أصحاب جاه ومال، عظَّموا هؤلاء ولم يعظِّموا رسولهم، رأوه يتيم أبي طالب، لذلك خاطبهم الله تعالى:

32- ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾: هل هم الذين خلقوا هذا ابن ملك وهذا ابن خادم، وذاك غنياً وهذا فقيراً ؟! ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الله الذي يخلق الناس ويرزقهم، وهو تعالى الذي يبعث بالأمطار أو يحبسها، لا تجري الأمور حسب هواهم، هم يتطلبون وفق أهوائهم والله يريد الخير الدائم لهم، يسوق الأنسب لهم حسب حالهم، فالذي خلقهم هو أعلم بما يناسبهم لذلك جعل

لكل واحد منهم ترتيباً، ما خلقهم لأجل الدنيا بل لشفائهم منها وللخير الدائم لهم وليس للفاني الزائل المنقطع، الدنيا لا قيمة لها عند الله تعالى، وهو يريد لنا الجنات لذلك جعل هذا الترتيب على علم منه سبحانه لهدايتهم أجمعين. سيدنا داوود عليه السلام كان سقّاءً، وسيدنا محمد ﷺ راعياً، وسيدنا موسى عليه السلام ألقى بالدنيا تجاه مرضاة الله، فالدنيا ليس لها قيمة عند الله وهي زائلة وعند الله الجنات الأبدية.

﴿**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾: كل إنسان بمهنته سيد، النجار بمهنته، والحداد والخياط... وكلٌّ بمهنته سيّدٌ يحتاجه غيره لمهنته. ﴿**لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً**﴾: كل واحد مسخَّر لغيره، هذا يعمل لهذا وهذا يصنع لهذا، يتعاونون في الدنيا لعمل الخير والإحسان ثم بعدها يذهبون إليه سبحانه وهو عنهم راضٍ بما قدَّموا من أعمال صالحة فيدخلهم الجنة. ﴿**وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾: من الوظائف والرتب والعلو في الدنيا، {**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**}[4].

33- ﴿**وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾: هذه الآية تتكلَّم عن هذا الزمان وأهله وتشرح أحوالهم وأعمالهم، الآن حدث هذا وصار الناس أمة واحدة، قِبْلَتُهم الدنيا أمُّوا لها وليس للآخرة وجناتها، تركوا الله ورسوله ولا يريدون إلا الحياة الدنيا واطمأنوا بها. ﴿**لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ**﴾: باتباعهم الدنيا وشهواتهم كفروا بالرحمن لذلك يعطيهم الله ما أصروا عليه. ﴿**لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّنْ فَضَّةٍ**﴾: ما نراه اليوم من تزيين للأسقف والديكورات ذات الألوان الفضية. ﴿**وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ**﴾: الأدراج المتحركة، المصاعد الكهربائية في الأبنية الحديثة "الأسنسولات بواسطتها يصعدون".

34- ﴿**وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً**﴾: الغرف في البيوت العربية لها باب واحد أما في الأبنية الإفرنجية فلها عدة أبواب، باب يُطلُّ على الشُّرفة "البلكون" وباب على غرفة الاستقبال "الصالون" وباب...الخ، وهذا حال الأبنية الحديثة اليوم "البنايات". ﴿**وَسُرُراً**﴾: ينسرُّون بها حيث تسري نفوسهم لها وهذه تشمل الأسرة الفخمة الفاخرة من "الموبيليا"، كذلك السيارات والطائرات حيث كان السفر قطعة من العذاب ولا يستطيع المسافر السير أكثر من أربعين كيلو متر في اليوم، أما الآن فالسفر إلى الصين لا يستغرق تقريباً إلا يوماً واحداً ويمكن للمسافرين بواسطة الطائرة النوم في مقاعدهم المريحة وهي تسري بهم في السماء. ﴿**عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ**﴾: يتكئون عليها في تنفيذ أعمالهم ورحلاتهم السياحية وهم مسرورون ويرون البحار والجبال تحتهم ويتمتَّعون بمناظرها.

35- ﴿**وَزُخْرُفاً**﴾: "ديكورات" يصرفون عليها الأموال الطائلة وهي ليست إلا لحياة فانية زائلة أنستهم الحياة الدائمية والجنات الأبدية الآخروية. ﴿**وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: الدنيا كفقاعات الصابون تظهر وتكبر ثم بعد ذلك تذهب وكأنها ما كانت، وكذلك الدنيا سوف تذهب عنهم ولا يبقى لهم منها إلا أعمالهم. ﴿**وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾: السعادة والجنات عند الله، اطلبه تنلْها. المتقون بإيمانهم بالله ورسوله صار لهم نور به شاهدوا الخير من الشر، رأوا السعادة والجنة عند الله لذلك آمنوا به وقدَّموا أعمالاً صالحة لينالوا ما عنده سبحانه من عطاء وجنات، ورأوا الشر كل الشر بطلب الدنيا وشهواتها، فما مراد الله إلا أن يكون الناس في الجنات وليس له هدف إلا شفاءهم وإعطاءهم وإسعادهم.

36- ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً**﴾: الآية شرطية: ﴿**وَمَن يَعْشُ**﴾ والأعشى هو الأعمى عن الحق، ما شاهد الحقائق، أعماه حب الدنيا عن مشاهدتها، هذا يدنو الشيطان منه،

---

[4] سورة النحل – الآية:96.

ويوسوس له بسبب ما في نفسه من خبث، يشمُّ الخبث الذي فيه ويوسوس له فيزين له الشهوات ويوقعه فيها، يدله على الدنيا والنيل منها. ﴿**نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً**﴾: لإخراج ما في نفسه من خبث. ﴿**فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾: صاحب ملازم له، والصاحب ساحب، فيسحبه للفواحش والمعاصي ويوقعه بها.

37- ﴿**وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾: عن سبيل الله، بأعمالهم هذه يمنعون الناس عن الإيمان بالله والوصول لجناته، حيث أنّ الفقير عندما يرى ما عند أهل الدنيا من ترف وزينة وزخارف يتمنى أن يكون مثلهم، فينطلق بالعمل جاهداً من أجل الوصول لهذا سواء من حلال أو حرام فلا يهمه إلا الجمع والمنع. ﴿**وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾: إلى السعادة، يظنون أن السعادة بهذه الزخارف وبالمال والنساء والأولاد وبهذه الحضارة ووسائلها، والحقيقة أن أولئك هم المغبونون الذين ما آمنوا ما صار لهم نور من الله يقولون هذه نعم أنعم الله بها علينا.

38- ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَنَا**﴾: هذا الذي كفر بالرحمن يومَ القيامة. ﴿**قَالَ**﴾: لقرينه، لصاحبه الذي صاحبه بالدنيا وأضله. ﴿**يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ**﴾: ليتني بالدنيا ما سمعت كلامك وما سرت معك ولم أنزل لعالمك ولا خرجتَ لعالمي، وبقي كلٌّ بعالمه لا يعرف أحدنا الآخر، ولم تحدث هذه الإجرامات. ﴿**فَبِئْسَ الْقَرِينُ**﴾: صحبتك لي عادت عليّ بالبؤس والشقاء والنار.

39- ﴿**وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ**﴾: يوم القيامة. ﴿**إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**﴾: لابدّ لكما أنتما الاثنان من عذاب النار علاجاً لكما ودواءً.

40- ﴿**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ**﴾: هذا لم يسمع بسبب إعراضه عنك وعن الله، من أصمَّ نفسه عن سماع الحق مهما سمع إن هو لم يلتفت بنفسه ويفكر ويعقل فلن يستفيد شيئاً. ﴿**أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ**﴾: ما آمنوا ما صار لهم نور ليروا حقيقتك السامية العالية، ينظرون إليك ولا يفقهون شيئاً من كلامك. المؤمن ينظر بنور الله فيشاهد الحقائق، أما هؤلاء لا نور لهم ليعرفوا الحق من الباطل. ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾: أضلَّ نفسه عن السعادة، دائماً بالشقاء. سيرهم وضلالهم مكشوف لكن الأعمى حبَّاب الدنيا لا يرى ذلك بل يتمنّى أن يكون الكل مثله.

سورة الزخرف: [41-50]

41- ﴿**فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ**﴾: بالوفاة، الخطاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام، نذهبن بك قبل البلاء حيث ﷺ لرحمته وحنانه لا يتحمَّل أن يشاهد ما سيحل بهم من عذاب حين الهلاك. ﴿**فَإِنَّا مِنْهُمْ مُّنتَقِمُونَ**﴾: نخرج لهم ما في قلوبهم، أعمالهم سوف ترجع عليهم، فالرسول ﷺ لما كان بينهم يدعوهم ويرشدهم كان لديهم الإمكانية والقابلية للاستجابة والإيمان، لكن بانقضاء أجله وهم لم يؤمنوا به، هنالك لابدَّ أنهم سينكبُّون على الدنيا بملء طاقاتهم ويتصارعون عليها، وسترجع عليهم أعمالهم بالبؤس والشقاء والتعاسة والبوار.

42- ﴿**أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ**﴾: من الهلاك. ﴿**فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ**﴾: أن نهلكهم الآن، نرسل لهم إعصاراً، طوفاناً، زلازلَ... ولكن رحمة الله وحنانه تمهلهم ولا تهملهم عسى أن يستجيبوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فإن صمَّموا وقرَّروا أن لا يستجيبوا لنداء الله بمعارضتهم لرسوله حلَّ بهم ما حلَّ بغيرهم، فلكلٍّ ما يناسبه وما يلزمه، فالعذاب لكلٍّ على حسب ما قدم من عمل فلا ظلم، كذلك ﴿**مُّقْتَدِرُونَ**﴾: على حفظك فنجعلك لا تتأثر عليهم.

43- ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: دُلَّ من معك من المؤمنين بهذه الدلالة العالية السامية. ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: قل لهم هذا الشيء الذي تدلّهم عليه وتُذكِّرهم به من التفكير بالبداية والتفكير بالموت هو الموصل لسعادة الدارين الدنيا والآخرة.

44- ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: حتى رسول الله ﷺ يتعلّم من ربه بالقرآن، ويعلِّم المؤمنين. ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾: يوم القيامة حيث يجمع الله الرسول مع القوم ويسأله: أما بلَّغتهم، فيُجيب الرسول: بلى يا رب بلَّغتهم جميعاً دون استثناء، وهم يقرُّون بذلك ويقولون بُلِّغنا، فعندئذٍ يُسألون عن أعمالهم ويُحاسبون بما قدَّموا.

45- ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آَلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾: أي قل لهم هل من دليل أو أثارة من علم في كتبكم المقدسة؟! أي: أقم عليهم الحجة من كتبهم "سواء يهود أو نصارى"، وكانت الكتب إذ ذاك لم تُحرَّف بدليل الآيات الكريمة:{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ}[5]. {قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[6].

فالسؤال الوارد في الآية الكريمة هو الطلب من اليهود والنصارى ليرجعوا لكتبهم السماوية ويبحثوا فيها ليجدوا أن لا دليل لدعواهم الباطلة في الرسالات السماوية المنزلة على رسلهم.

46- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: رغم فسقهم وضلالهم وظلمهم ما تركهم، أرسل لهم موسى عليه السلام ليدلَّهم ويرشدهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور رحمةً من الله بهم.

47- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِآَيَاتِنَا﴾: الدالة علينا وعلى عطفنا ورحمتنا بهم. ﴿إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾: ما عبأوا.

48- ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آَيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾: ابتلاهم الله بالشدائد، أرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وكلما اشتد عليهم البلاء التجأوا واستجاروا بسيدنا موسى عليه السلام ليكشفه عنهم. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: وهذه الكلمة تدل على حرص الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان ورأفته به، وشديد عطفه عليه. هذا من جهة، ومن جهة ثانية تدل على إمكانية الإنسان وقابليته للتوبة والهداية إذا هو شاء وأراد، وتنفي كل زعم باطل من أن الله سبحانه كتب الشقاء والنار على أناس من قبل أن يرسلهم إلى الحياة الدنيا. ﴿يَرْجِعُونَ﴾: إلى الحق، كل هذا رحمة منه تعالى بهم، هذه رحمته بالمعرض فكيف رحمته تعالى بالمؤمن؟

49- ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾: على الرغم من كل ما رأوه من سيدنا موسى عليه السلام من معجزات ما آمنوا، وقالوا عنه ساحر. ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: اطلب من ربك أن يرفع عنا هذه الشدائد. ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾: إن خلَّصتنا من هذه الشدائد والمصائب سوف نؤمن لك.

50- ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾: إن لم ترجع النفس من ذاتها وتفكر بآيات ربها فمهما رأت من آيات، ومهما ساق الله لها من الشدائد لا ترجع عن غيِّها، وإن هي رجعت وتابت إثر الشدة

---

[5] سورة المائدة – الآية:66.

[6] سورة آل عمران – الآية:93.

فلابدّ لها بعد فترة من زوال الشدة عنها من أن تنكث وتعود لغيّها وسابق سيرتها إن لم تُتبِع تلك التوبة بالتفكير طالبةً الإيمان اليقيني بالله تعالى.

سورة الزخرف: [51-60]

51- ﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾: السائرون بالانحراف، حبّابو الدنيا ينفتنون، المؤمن صار له نور فلا أحد يستطيع أن يخدعه، فرعون لـمّا رأى ميل القوم لموسى عليه السلام خاطبهم بهذا الخطاب ليلفتهم لِـمَا عنده من دنيا وأموال.

52- ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ**﴾: أليس الخير منّي، فأنا أُعطيكم وأهبكم. ﴿**مِّنْ هَذَا**﴾: من موسى. ﴿**الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**﴾: فهو فقير لا دنيا ولا مال ولا جاه عنده. ﴿**وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**﴾: واحد من الشعب لا ميزة له عن غيره، ويتكلم بأمور غيبية لا نراها ولا نفهمها، أمور غير موجودة بالمادة، يقول جنَّة ونار، وآخرة وحساب وهذا كله لا نراه.

53- ﴿**فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ**﴾: إن كان رسولاً.

54- ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ**﴾: خدعهم بما عنده من دنيا وعزٍّ وجاه. ﴿**فَأَطَاعُوهُ**﴾: لخبث نفوسهم. ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ**﴾: نفوسهم منحرفة من البداية، وتريد الانحراف والفسق، لذلك ما أطاعوا رسولهم موسى عليه السلام بل أطاعوا فرعون، لولا فسقهم ما أطاعوا فرعون.

55- ﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا**﴾: كان بالإمكان توبتهم ورجوعهم إلى الحق فالله سبحانه وتعالى قدّم لهم كل شيء وعاملهم بأسمائه الحسنى لكنهم أصروا على الكفر والمعاداة لذلك خرجوا من الدنيا مأسوفاً عليهم. ﴿**انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ**﴾: في اليم. ﴿**أَجْمَعِينَ**﴾: كلهم مع فرعون.

56- ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ**﴾: جعل الله قصصهم وهلاكهم عبرة لغيرهم من الأجيال.

57- ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً**﴾: قريش قالت لرسول الله ﷺ أن النصارى أمَّةٌ كبيرةٌ قويةٌ تحت حكمها أمم كثيرة وها قد جعلوا من عيسى وأمه إلَهين يعبدونهما من دون الله، ونحن كذلك نعبد الأصنام مثلهم. ﴿**إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾: عن المثل، وذلك حين شرح لهم ﷺ عن حقيقة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنه رسول من الله أجرى سبحانه على يده المعجزات، وهو ليس إلَهاً كما يدَّعون.

58- ﴿**وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ**﴾: قالوا نحن نعبد صنماً لا يأكل ولا يتغوط أما النصارى فيعبدون من يأكل ويتغوط فمن عبادته أفضل؟ ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً**﴾: ما قالوا ذلك إلا للجدل، حيث أنهم جادُّون في معارضتك، لا يريدون الحق والسير به مهما بيَّنت لهم. ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾: خاصموا الله ورسوله، لا يريدون الله ورسوله بل يريدون الحياة الدنيا، اتخذوا إبليسَ أباً لهم من أجل المخاصمة، هو قال: "أنا خير منه" وهم قالوا: آلهتنا خيرٌ.

59- ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ**﴾: رسول الله ﷺ تكلَّم لقومه عن سيدنا عيسى عليه السلام بأنه رسول من عند الله مستسلمٌ لأوامره سبحانه. ﴿**أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ**﴾: جعله الله خليفته وأنعم عليه بالإنجيل والأنوار والتجليات القدسية. ﴿**وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾: ليقتدوا به فلا يضلوا عن الحق.

60- ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ**﴾: لكن ذلك لا يناسب لو جعلنا. فالله تعالى خاطب رسوله ﷺ قائلاً له: قل لهم لو نشاء لجعلناك أنت وباقي الرسل والأنبياء ملائكةً، لا تأكلون

ولا تشربون ولا تتغوطون، لكن لو جعلناكم ملائكة لاحتجُّوا وتذرَّعوا وقالوا عنكم إذا دعوتموهم للإيمان: أنتم ملائكة لا شهوات بأنفسكم لذلك سرتم بالحق، أما نحن فلا نستطيع السير بالحق معكم، لأن بنفوسنا شهوات وضعها الله بنا تمنعنا من السير بالحق. لذلك أرسل الله رسلاً منكم أيها البشر كي تعرفوا الفارق بين سيركم وسيرهم وتروا كمالهم وتدخلوا بمعيتهم على الله.

سورة الزخرف: [61-70]

61- ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾: عيسى عليه السلام مجيئه في المرة الثانية علامة على الساعة، ووقوعها. تقول: المنارة علم للبر، أي: برؤية المنارة تستدل على قرب وصولك للبر. وسيدنا عيسى عليه السلام علم للساعة، أي: أن قدومه عليه السلام ينبئك بوقوع الساعة. ﴿**فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ**﴾: أشراط الساعة جميعها تحقَّقت ولم يبقَ إلا ظهور سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، فما حالك إن جاء سيدنا عيسى وأنت مقصِّر لم تؤمن بعد بربك؟ وما هو موقفك أمامه عليه السلام في زمن كله عظماء ومؤمنون؟ إذا خاف الإنسان من هذا الموقف ومن أهوال الساعة يجدُّ بالإيمان ويسعى للوصول بالأصول للإله العظيم. ﴿**وَاتَّبِعُونِ**﴾: لتنجوا منها سيروا بما أدلكم عليه من دلالة وبيان من عند الله. ﴿**هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾: قل لهم لقد جئتكم ببيان يوصلكم لطريق الحق والسعادة، لا طريق للإنسانية وللوصول إلى الحق والسعادة إلا بسيرهم وتطبيقهم كلام الله.

62- ﴿**وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**﴾: أيها الناس لا يمنعكم الشيطان من السير بكلام الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، الشيطان وعد بإضلالكم وذلك بتزيين الدنيا بأعينكم لتقعوا بالفتن والفواحش. ﴿**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾: لا يريد لكم السعادة والسير بطريقها.

63- ﴿**وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ**﴾: جاء بني إسرائيل بالمعجزات: وُلد من غير أب، وتكلم بالمهد، أحيا الميت، وأبرأ الأكمه والأبرص، كل هذا دليل على رسالته عليه السلام. ﴿**قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ**﴾: بيَّنت لكم التوراة على حقيقتها والحكمة من كل آية. ﴿**وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ**﴾: وكانوا مختلفين مثل الآن بالتفاسير والشروح. ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: اسلكوا طريق الإيمان لتشاهدوا الله معكم متجلّياً عليكم، ولكن كيف تصلون لهذا؟ ﴿**وَأَطِيعُونِ**﴾: بطاعتي، بما بيَّنته لكم على لسان الله سبحانه وتعالى وأمرني به.

64- ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**﴾: اسمعوا كلام ربكم، أدعوكم لعبادة الله وسماع كلامه، لا لعبادتي وسماع كلامي، أنا رسوله أبلغكم ما يأمرني به. ﴿**هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾: كلامه تعالى هو الذي يوصلكم للسعادة والجنات، لا كلام المخلوق.

65- ﴿**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ**﴾: اختلفوا في الكتاب والحق من بعد أن جاءهم سيدنا عيسى عليه السلام موضِّحاً ومبيِّناً كل شيء، اختلفوا من بعد ما ردُّوا الحق. ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: الذين ردُّوا الحق وكذبوا به. ﴿**مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾: يوم القيامة.

66- ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ**﴾: ماذا ينتظرون؟ أن تأتيهم الساعة؟ أن يأتيهم ما جاء على الأمم السابقة الذين فسقوا قبلهم؟ ﴿**أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً**﴾: على حين غفلة وهم ملتهون بالدنيا وشهواتها. ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾: من دون شعور منهم، مطمئنون بالدنيا وما فيها ويظنون الخلود فيها، عندها يعرفون الحق ويحلُّ الندم فيهم ويقعون بالحسرات، يومئذٍ لا فائدة من معرفتهم هذه.

67- ﴿**الْأَخِلَّاءُ**﴾: الذين تخللت نفوسهم بالشهوات ومع بعضهم، بدل أن يتخلَّلوا برسول الله ﷺ ليُدخلهم على الله. ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾: يوم القيامة. ﴿**بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾: أعداء متنافرون، كلٌّ يلوم الآخر على ما

فعل وضيّع. ﴿**إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾: هؤلاء تخاللوا برسول الله ﷺ ثم مع بعضهم من بعد أن آمنوا واتقوا، وذلك لينهض القوي بالضعيف.

68- يقول لهم الملائكة يوم موتهم على لسانه تعالى: ﴿**يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾: بالقبر ويوم القيامة. ﴿**وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾: على الدنيا حيث نلتم أحسن منها، نلتم الجنات.

69- ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾: فكَّروا بالكون وآياته، بالشمس والقمر والليل والنهار، فآمنوا وصار لهم نور من الله شاهدوا به الرحمة والعطف والحنان، عندها أطاعوا واستسلموا له سبحانه عن طريق رسولهم.

70- ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ**﴾: في النعيم الأبدي والسعادة الدائمة. ﴿**أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ**﴾: المتقون أزواج، ما صاحبوا إلا أمثالهم، صاحبوهم بمعية رسول الله ﷺ. ﴿**تُحْبَرُونَ**﴾: نفوسكم تتحبَّر بأسمائه الحسنى سبحانه وتعالى، فلا ينفكُّون عنها أبداً، الله سبحانه دائماً معهم وهم ينعمون بشهود أسمائه جلَّ وعلا. ذلك أنهم أحبُّوا الله وبرّوا بعهدهم وصانوه فلم يخونوا، فزرع رسول الله ﷺ بنفوسهم الحق وانصبغت بصبغة الكمال "صبغة الله"، فما وضعه ﷺ بهم لا يزول.

سورة الزخرف: [71-80]

71- ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ**﴾: هؤلاء بتقواهم ورابطتهم برسول الله ﷺ صارت أعمالهم كلها صحيحة صالحة، فيطاف عليهم بها ليتذكروها ولتحف بهم خيراتها. ﴿**مِنْ ذَهَبٍ**﴾[7]: من أعمالهم الصالحة التي قدَّموها ومضت عنهم، لكنها تتكرَّر عليهم باستمرار، فهذه الأعمال التي قدَّموها في حياتهم الدنيا، تذكّرهم بها الملائكة وتعرضها وتكرّرها عليهم ليقبلوا بواسطتها على الله ويرتقوا من جنة لأعلى باستمرار. ﴿**وَأَكْوَابٍ**﴾: تنكب نفوسهم عليها لما فيها من لذائذ. ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ**﴾: كل ما تشتهيه الأنفس تجده حاضراً أمامها. ﴿**وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ**﴾: من مشاهدات لأسماء الله الحسنى وإقبال عليه تعالى وشهود طرفٍ من جماله وبهائه جلَّ وعلا. ﴿**وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: هذا حالكم إلى ما لا نهاية.

72- ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: الجنة بالأعمال لا بالدعاء، ولن يدخل الإنسان الجنة إلا بأعماله الصالحة.

73- ﴿**لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ**﴾: لذائذ. ﴿**مِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾: في الدنيا والآخرة.

74- مقابله: ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ**﴾: الذين ما آمنوا بالله وما أطاعوا رسوله عليه الصلاة والسلام، فما أقبلوا عليه سبحانه لينالوا كمالاً منه وليعملوا خيراً، هؤلاء ليس لهم عمل صالح. ﴿**فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾: حالهم هذا دائم، الندامة والآلام ونار الذل والعار بنفوسهم، وليس لهم إلا النار تنسيهم ما بهم وما خسروا من مقام كريم.

---

[7] فالذهب ذو قيمة عالية وغالية، وهو لا يتبدل كغيره من المعادن الرخيصة، فبأعمالهم ابيضت وجوههم وأقبلت على ربها فاشتقت صفات ذات قيمة عالية ثبتت فيهم، وغدت قلوبهم كالذهب غير قابلة للتغيير أو الخسران، بل هم بسبب ما قدموه في السابق من أعمال في رقي ومكاسب كبرى متزايدة.

75- ﴿**لَا يُفَتَّرُ عَنْـهُمْ**﴾: العذاب لئلا يعتادوا عليه، حيث إذا فُتِّرت عليهم النار يشعرون بآلامهم النفسية، لذلك كل لحظة تزيد بألمها عن سابقتها وذلك رحمةً بهم. ﴿**وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾: فلا عمل طيب يقدِّمونه بين أيديهم ليدخلوا به الجنة، بالدنيا ما عملوا خيراً.

76- ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ**﴾: مدرسة فيها خير الأساتذة والوسائل فالحق على التلميذ لأنه ما درس. ﴿**وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾: هم سطروا على أنفسهم هذا المصير، بعدم إيمانهم وعدم فعلهم الخير والصالحات ظلموا أنفسهم؛ حرموها من الجنة.

77- ﴿**وَنَادَوْا**﴾: عند اشتداد الألم. ﴿**يَا مَالِكُ**﴾: عندما يجرُّ الشرطيُّ المجرم يكون مالكاً والمجرم مملوكاً، كذلك المَلَك حين يكون بوظيفته ويسوق المجرم إلى العذاب فهو مالك، ويخاطبه المجرم على حسب وظيفته التي يراه فيها: {**يَا مَالِكُ**}. ﴿**لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾: كالمريض الذي دخل المستشفى، ثم بدأ ينادي ويصرخ: "أخرجوني منها"، فهل هذا المريض صادق؟ طبعاً لا، إنه غير صادق، والدليل على كذبهم أنَّ الملك أجابهم: ﴿**قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ**﴾: أنتم ما كثون بالنار بذاتكم، لم يجبركم أحد على دخولها، لو كنتم صادقين لتخلَّيتم عن تكبّركم على ربكم، فهذا الذي يحجبكم عنه سبحانه وعن جناته، فلِمَ لا تتنازلون عنه فتدخلوا الجنة؟!

78- ﴿**لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ**﴾: على لسان الرسل، جعل تعالى آياتٍ ورسلاً وفكراً وحواسَّ وهزاتٍ في الحياة لنفكِّر ونؤمن به، ولئلا يكون مصيرنا مثل هؤلاء المجرمين. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾: فهم حقيقةً لا ينكرون في قرارة نفوسهم نبوءته عليه الصلاة والسلام، وإنما يكرهون السير معه بالحق بسبب أهوائهم.

79- ﴿**أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً**﴾: خلقوا شيئاً أو رتّبوا، كادوا ليردوا الحق وخططوا بإحكام لهذا، لأنهم سئموا من الحق لـمَّا جاءهم على لسان رسول الله ﷺ وضجروا منه خوفاً على دنياهم وأهوائهم، ﴿**فَإِنَّا مُبْرِمُونَ**﴾: كل شيء يحوله الله للرحمة، سيفشلون وسينتصر الحق.

80- ﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ**﴾: الله سبحانه معهم بقلوبهم وأجسامهم، هو المربي الممد لهم، يسمعهم ويعلم سرّهم، فكيف ظنوا هذا ؟! ﴿**وَنَجْوَاهُمْ**﴾: مؤامراتهم مع بعضهم بعضاً، وتخطيطهم وتعاونهم على الشر والسوء للقضاء على الإسلام. ﴿**بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾: الملائكة معهم تكتب عليهم أقوالهم وأعمالهم، وسوف يرون هذا بالموت ويوم القيامة، وسيندمون أشد الندم.

سورة الزخرف: [81-89]

81- ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ**﴾: إن كان هذا حقاً أنَّ عيسى ابن مريم هو ابن الله وإلَه. ﴿**فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾: فأنا محمد أكمل الخلق وأشرفهم. قدموا برهاناً لأسير معكم.

قال رسول الله ﷺ: **"أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم"**، فالرسول ﷺ يتنازل لمستواهم ويناقش ادعاءهم أنَّ الله اتخذ ولداً وبكلامهم الذي لا أصل له، يناقشهم به بالمنطق على حسب عقولهم، فيقول لهم: إن كان للرحمن ولد إذن لاختارني أنا، لأن الأمر بالحق والاستحقاق، فأنا أقرب الخلق للرحمن. فإن كان كلامكم صحيحاً إذن لاصطفاني لأنّي أحمد الخلق وهذا موجود عندكم في الإنجيل. {**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**}[8].

[8] سورة الصف – الآية:6.

ولكن هذا لم يحصل ولا يكون أبداً، ولا ينبغي أن يكون للرحمن ولد، أي الله سبحانه وتعالى ليست لديه هذه البغية وذلك المراد. فمن أين جئتم بادعائكم هذا الذي لا وجود ولا أصل له؟! من الذي يخلق الأجنة في بطون أمهاتها ويسيِّر الأبراج والنجوم في أفلاكها؟ أيُّ مخلوق يفعل ذلك أيّ نبي وأيّ رسول يقوم بهذا ؟! ليس هناك فعَّال سوى الله.

82- ﴿**سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: هذه الآية دحض لكلامهم، ما أعظمه سبحانه! كل ما في السماوات والأرض يسبح بفضله تعالى وإمداده وتربيته وهو سبحانه يسبِّحهم بهذا العطاء، هل المخلوق يستطيع أن يسبِّح الشمس ويمدّها بالأنوار والحرارة؟ وهل يستطيع أن يسبِّح الأرض بفضله، وينزِّل عليها الأمطار والحياة وينبت الزرع ويخلق الأثمار ويمدّها بالطعوم والروائح والأشكال إذن فأين حقيقة ادّعائكم بأن عيسى عليه السلام إلّه، فهل هو يفعل شيئاً من هذا؟ أما كان عليه السلام وأمه يأكلان الطعام؟ فهل الإلّه يحتاج للطعام؟ إذن فكيف تقولون بأنَّه إلّه! ﴿**رَبِّ الْعَرْشِ**﴾: الممد بالتجلّي الإلّهي على هذا الكون بالخلق والقيام والحياة، الكون موجود قبل عيسى عليه الصلاة والسلام، شمسه وقمره ونجومه. ﴿**عَمَّا يَصِفُونَ**﴾: يشبِّهون الله بإنسان.

83- ﴿**فَذَرْهُمْ**﴾: أنت بلَّغتهم، ما عليك إلا البلاغ، وعلينا الحساب، بتعلّقهم بالشهوات صغرت نفوسهم حتى صارت مثل الذرات، إذ ما توسعت بالله وأنواره وتجلياته، ما أقبلوا عليه سبحانه وتعالى. ﴿**يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا**﴾: بدنياهم، لهم الخيرة، ملتهون بالزوجة والولد والمال، يظنون السعادة بهم، لذلك دعهم لما أرادوا وصمَّموا عليه، لا إكراه في الدين. ﴿**حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾: بالموت، ويوم القيامة حينها تنكشف لهم حقائقهم وحقائق أعمالهم ويرون مبلغ خسارتهم فيصرخون ألماً وندامة على ما فرَّطوا، وتشتعل فيهم نار جهنم، وهذه النار لا تطفئها إلا نار الله الموقدة، نار الرحمة الإلّهية.

84- ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ**﴾: مسيِّر، هذه الآية رد على الذين ادعوا أن الله خلق ثم استوى فوق السماء السابعة، لا يتدخل بما يجري على الأرض، والله تعالى يقول: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ**﴾، أي: كل شيء في السماوات والأرض يؤول إليه سبحانه فهو مسيِّرهم، وإذا كان كما ادَّعوا أن الله خلق وترك، فهذا يعني وعلى حسب زعمهم أن الإنسان إلّه الأرض ومسيِّرها، ولكن هل الإنسان هو الذي يحرِّك قلبه ودمه وأعضاء جسده؟ هل هو الذي يحرِّك الأرض ويدوِّرها ويأتي بالفصول الأربعة؟ إذاً كل ما زعموه باطل لا أصل له، وهذه الآية تنفي زعمهم بشكل قاطع وتبيِّن حقيقة "لا إلّه إلا الله" وأنه تعالى هو المسيِّر في السماوات وهو المسيِّر في الأرض. ﴿**وَهُوَ الْحَكِيمُ**﴾: بخلقه، يسيِّرهم حسب اختيارهم وعلى مستحقين أمثالهم. ﴿**الْعَلِيمُ**﴾: بما يناسب كل إنسان من فقر وغنى وعز وذل وأمراض وشدائد، وكل هذا رحمة منه سبحانه بهذا الإنسان ليرجع إلى الحق والسعادة، لذلك لا يتركهم الله سيعالجهم.

85- ﴿**وَتَبَارَكَ**﴾: توالى خيره، سبحانه خيره وإمداده دائم لا ينقطع، كل عام تأتي الأمطار وتنبت الأرض وتأتينا بالأثمار والأنعام والشراب. ﴿**الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾: بيده سبحانه كل ما في الكون فهو المالك، وليس لغيره تعالى تدخُّل ولا تصرُّف بشيء. ﴿**وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾: ساعة موتك أيها الإنسان يعلمها الله باللحظة. ﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾: بكل أموركم وحوائجكم. فأنتم قبل الحياة وأثناءها وبعدها لديه سبحانه ولكن لا تعلمون.

86- ﴿**وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ**﴾: الأصنام لا تملك الشفاعة. فما معنى الشفاعة؟ الشفاعة لغةً هي الازدواج وربط شيئين، أي: ارتباط نفسين مع بعضهما، نفسك مع نفس رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكما قال رسول الله ﷺ: **"المرء مع من أحب"**، فإذا كان المرء مع من أحب فهو متصل النفس به مرتبط القلب، وإذا كان رسول الله ﷺ بسبب حبه العظيم لله دوماً مع الله، فكل

محبٍّ لرسول الله بحسب هذا القانون النفسي الذي بيَّنه ﷺ وبحسب التبعية فهو دوماً مع الله، ولكن لمن تحصل هذه الشفاعة وهذه الصحبة؟ هذه الشفاعة لا تكون إلا لمؤمن طاهرٍ شارفت نفسه على الكمال، وغدا الحق هواها، وباتت تنفر من الرذيلة، هذا المؤمن تحصل له الشفاعة برسول الله ﷺ فيصاحب بنفسه نفس رسول الله الشريفة الطاهرة، فيدخل ﷺ بها على الله وتنال منه سبحانه الشفاء والكمال، وتشاهد أسماءه الحسنى فلا تنفك عنه تعالى ولا عن رسوله ﷺ. وتدوم هذه الصحبة إلى أبد الآبدين، فهي العروة الوثقى لا انفصام لها، إذن حقيقة الشفاعة تبدأ من الحياة الدنيا، وتمتد للآخرة وتدوم، وكل ما يقال عن الشفاعة بأنها لأهل الكبائر فلا أصل له. **{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}**[9].

﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾: بل من يشهد لك بالحق فهذا يستطيع أن يُمشّيك وكلامه عن الله لا نقلاً. **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:** المؤمنون يعلمون هذا، لأنه ﷺ أدخلهم على الله وأوصلهم للعلم أي لشهود أسماء الله الحسنى.

87- **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾:** يعترفون بالله لكن هذا الاعتراف ليس بإيمان، لذلك قال تعالى. **﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾:** إلى أين هم متحوِّلون، لماذا يسيرون بغير كلامه ويقعون بالمعاصي إن كانوا مؤمنين!

88- **﴿وَقِيلِهِ﴾:** كلام رسول الله، الدلالة على الله، وجاءت الآية: **{وَقِيلِهِ}** ولم تأتِ (قوله) لتدلَّ على حزن رسول الله ﷺ لعدم إيمانهم بقوله وعدم تطبيقهم تعاليمه لذلك تأثر ﷺ وتفطّرت نفسه عليهم ألماً وانكساراً، لذلك جاءت: **{وَقِيلِهِ}** بالكسر، لأنهم ما آمنوا، فلوا آمنوا به لكان كلامه ﷺ عليهم أمراً وسار قوله عليهم وهم خاضعون له. **﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾:** هذا بيان لكماله صلوات الله وسلامه عليه نَدِماً متحسّراً على قومه مثل سيدنا نوح إذ عاندت قريش دعوته ﷺ.

89- **﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾:** اصفح عن أعمالهم. لا تفاتحهم بأعمالهم وتقصيرهم، دعهم على ظنّهم أنهم جيّدون، إذ لو كشف لهم أعمالهم وليس لديهم طلب للتصحيح يتركونه وينفضّون عنه ويخسرون آخرتهم. **﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾:** أطع كلام الله تعالى ولا تعلّق نفسك بهم. **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:** عند الموت أو عند الساعة يعلمون نتائجهم، سيقع عليهم كل ما أخبرتهم به.

والحمد لله رب العالمين.

[9] سورة الجاثية – الآية:21.

تأويل سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الدخان: [01-10]

1- ﴿حمٓ﴾: حامد ومحمود، (ح): رسول الله ﷺ وفَّى بعهده مع الله من الأزل، وأقبل عليه إقبالاً عظيماً فصار له نور عظيم شاهد به فضل الله وإحسانه وتسييره الذي كلّه خير، فحمد الله حمداً كبيراً لم يدانه به أحدٌ من العالمين. وكل إنسان آمن وصار له نور يرى إحسان ربه فيحمده، وهذا الشيء يحصل بكل وقت خاصةً في شهر رمضان في ليلة القدر.

(م): أي يا محموداً عندي وعند الخلق، كل الكائنات تعرف فضل رسول الله ﷺ عليها، إلا من أعرض عن ربه من المكلفين "الإنس والجن"، وهؤلاء حين ينكشف الغطاء عنهم بالموت ويوم القيامة يعرفون فضله ويحمدونه عليه الصلاة والسلام، ولكن لا فائدة من معرفتهم هذه حينها.

2- ﴿وَالْكِتَابِ﴾: يشهد لك بهذه الصفات الكاملة، بإقبالك على الله إقبالاً عالياً متسامياً كتب الله الحق بنفسك، فكلامه ﷺ وأعماله وخُلقه كلُّها قرآن وبوحي من الله، وهذه هي العصمة. ﴿الْمُبِينِ﴾ : ظاهرٌ، بيِّن أنك رسول من الله، علمه، أعماله، صفاته عليه الصلاة والسلام، تضحياته كلها تدل على أنه رسول الله.

3- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ﴾: أنزل سبحانه القرآن على رسوله في ليلة من ليالي رمضان في العشر الأواخر منه. ﴿مُبَارَكَةٍ﴾: كثيرة الخيرات عليك بما أفاض الله على نفسك من الخير، خيراتها متزايدة لا تنتهي، مباركة على كل إنسان آمن، حيث ينال بمعية رسول الله ﷺ خيرات لا يعلمها إلا الله، وبها يرقى. ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾: منذرين عن طريق هذا الرسول بهذا الكتاب، من عصى بالنار **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}**[1]. لذلك أنذر ﷺ الفرس والروم وأنذر البشرية من البطشة الكبرى.

4- ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ﴾: بالتقوى التي تحصل للصائم بليلة القدر يصبح له نور من الله بمعية رسول الله ﷺ عندها يستطيع هذا المؤمن أن يفهم القرآن ومعانيه، ويصبح للإنسان التقوى فيرى الخير خيراً والشر شراً. ﴿حَكِيمٍ﴾: تتبين للمتقي حكمة أوامر الله ومرادها والخير منها على الخلق، يرى الحكمة من الأوامر الإلَهية كلها فيدافع عنها ويطبقها، كل ما في القرآن ضمن الحكمة.

5- ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾: لكن هذا الشيء حصل بإذن منّا عن طريق الملائكة، نحن أنزلناه للناس على لسان الملائكة، حيث هو سبحانه يرسل الملائكة وينزل القرآن بقلوب المؤمنين فينالون التقوى. بالنسبة لرسول الله القرآن نزل عليه بليلة واحدة، ونزل على أصحابه خلال ثلاث وعشرين سنة كان فيها رسول الله ﷺ يتلو عليهم القرآن. ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: للناس؛ رحمة منه سبحانه حتى يؤمنوا به وبرسوله ويدخلوا الجنة.

6- ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: هذه الأوامر رحمة منّا على الناس رغم أنهم غير مستحقِّين، لكن لرحمته سبحانه بهم أنزل القرآن عليهم لعلَّهم يؤمنون. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم. ﴿الْعَلِيمُ﴾: بحالكم، بنفوسكم وما يلزمها.

---

[1] سورة ق – الآية:45.

7- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: المربي لكل شيء، أفلم يجعل للإنسان قانوناً! التقوى لا تحصل إلا بعد مرحلة ابتدائية هي معرفة المربي. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: تعلمون ما في السماوات وما في الأرض، ما فيها من خير.

8- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا مسير ولا مطاع ولا فعال في هذا الكون غيره سبحانه، فلا تلتفت لغيره أيها الإنسان. ﴿يُحْيِي﴾: بالإقبال عليه سبحانه وتعالى تحيا نفوسكم، كل من آمن وأقبل على الله أحيا له قلبه بالأنوار والتجليات. ﴿وَيُمِيتُ﴾: بالإدبار عنه تعالى تموت النفس، وترتمي على الدنيا وما فيها، حيث تصبح طفيلية تتطفَّل وتأخذ من المخلوق وتترك الخالق، وكذلك يحيي الله الخلائق ويميتها، فما من أحد يستطيع أن يحيي ذبابة أو خلية واحدة، الحياة فقط منه وبيده سبحانه. ﴿رَبُّكُمْ﴾: مربِّيكم وممدّكم، فلِمَ لا تلتفتون إليه سبحانه وتقبلون عليه؟ حتى تقبلوا عليه فكِّروا بالآيات، وببدايتكم ونهايتكم، كل من لم يسلك بهذا يضيّع وقته سدى. ﴿وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما مضى من أجيال سبقونا.

9- أفبعد هذا البيان:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾: شكُّوا في هذه الربوبية بسبب لعبهم، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾: جاءهم ﷺ من الله بالقرآن وشروحه التي لم تأتِ على أمة من الأمم قبلهم ومع ذلك شكُّوا برسالته عليه الصلاة والسلام، ما فكَّروا ببيانه، ما جعلوا لأنفسهم خلوات بينهم وبين ربهم، خلواتهم كانت مع بعضهم لعباً وتساليَ ومزاحاً وهرجاً.

10- ﴿فَارْتَقِبْ﴾: يا محمد. ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾: دخان القنابل، ودخان الغازات السامة، ثم دخان حرائق الغابات الكبيرة، ودخان الحرائق التي تحدثها الانفجارات على منطقة معينة محدودة من كثرة الحروب. وكذلك هي يوم الساعة المعلوم حين تقع الحرب بين الشرق والغرب ويغشى دخانها، أي: الغبار الذري أقطار السماوات والأرض، ويتم دمار معظم الدول الكبرى إلى الأبد، ويهلكون كما هلك مجرمو الأقوام السابقة.

سورة الدخان: [11-20]

11- ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يغشى الناس وليس المؤمنين، الناس الذين نسوا الله، هؤلاء عمَّهم الخوف والفزع، المؤمنون لا ينتابهم شيء.

12- يقول الكافرون ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: الآن آمنا بك وبما وعدت، إن ظهور الدخان في الأماكن الساخنة بالحروب والفتن من جراء القنابل والمتفجرات يجعل الناس يستغيثون بربهم ليكشف عنهم البلاء.

13- ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾: كيف يتذكَّرون ويذكرون رحمتي في هذه الشدة وهذا البلاء وقد كانوا أعرضوا عن الرسول يوم الرخاء ﴿مُبِينٌ﴾: بيانه وأعماله وكماله كل هذا يدل على أنه رسول من الله، ﴿مُبِينٌ﴾: بيّن لهم كل شيء وحذَّرهم مما سيقع لهم إن لم يؤمنوا.

14- ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: تركوه وتوجهوا للكفرة، ذهبوا لأهل الدنيا والحضارة، الكل تركه. ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾: قالوا عن رسول الله أنه قد علَّمه بحيرا الراهب، ذلك ما قاله المقوقس في مصر. ﴿مَجْنُونٌ﴾ : أنكروا رسالته لأجل الدنيا وشهواتها، قالوا عنه مجنون، أي: مستور ومخفي عنه كل شيء من لذائذ الدنيا ويريدنا أن نكون كذلك، كيف لا نذهب للملاهي ونتمتع بالدنيا؟ هذا غير معقول!

15- ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾: يقف البلاء قليلاً لأن هذه المنطقة التي غشاها الدخان قد تضرع سكانها إلى الله، وتعهَّدوا أن يؤمنوا به بعد أن يكشف عنهم العذاب، ولكن ادعاءهم هذا لا يلبث طويلاً، وأنهم سوف يعودون إلى ما كانوا عليه. ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾: إلى العذاب الشديد. فقط وقت الشدة تابوا، وعندما زالت عنهم رجعوا لضلالهم وفسقهم، ومع علم الله بهذا لكنه أمهلهم رحمة منه سبحانه بهم فلعلهم يؤمنون، فما آمنوا وأصرُّوا على كفرهم وإعراضهم لذلك لابدّ لهم من البطشة الكبرى. ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾: ثم تقف الأهوال قليلاً لتعود من نوع آخر على يد المهدي عليه السلام ويأتي عيسى عليه السلام فلا يبقى كافر على وجه الأرض ولا تعود الحروب بعدها أبداً ويعيش الناس في أمن وسلام. هذا إن آمنوا معه عليه السلام لكن إن ما رجعوا بالتوبة والإنابة بعد الحرب المطهرة فسوف تأتيهم الساعة من الله زلازل وبراكين تذهب بهم وبما بَقِي لهم من حضارة ويزول معها كل الكفرة.

16- ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾: هذه ساعة الزلزلة أو قيام الساعة فتزول الحضارة عن بكرة أبيها. ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾: مخرجون ما في نفوسكم من شهوات وانحطاط بهذا البلاء لعلكم بعدها ترجعون إلى الحق، إن ما رجعوا سيطردون من هذه الدنيا طرداً، كما يطرد الطالب الكسول المهمل من المدرسة.

17- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: مثال كيف أخرجنا ما في نفوس من قبلكم: فرعون. ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: موسى عليه الصلاة والسلام، ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: كامل لا شائبة فيه خالٍ من العيوب والنواقص، أنتم لا تكونوا مثل قوم فرعون.

18- ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾: أقبلوا عليَّ وأطيعون. إن أطاعت النفس صار لها ثقة أن الله راضٍ عنها فتستطيع الإقبال عليه سبحانه، لو أطاعوا رسول الله وفكَّروا به وبشمائله وأعماله العالية لتوجَّه ﷺ إليهم بنفسه الشريفة وأخرجهم من الظلمات إلى النور كما حدث مع السحرة حين توجَّه سيدنا موسى عليه السلام إليهم شاهدوا طرفاً من أسماء الله الحسنى، وشاهدوا الأزل والآخرة وتكلَّموا عنها. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ : رسولٌ من الله لكم، أمينٌ عليكم وعلى أنفسكم أُدخلها على الله سبحانه وذلك إن أطعتم وآمنتم.

19- ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾: لا تستكبروا عن طاعته. الذين ما أطاعوا الله هؤلاء متكبرون عليه تعالى. إذا شخص ما أطاع أمر سيده وتعليماته فهذا يعني أنه مستصغر شأنه مستكبر عليه. ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: معجزات، العصا، اليد، وغيرها من معجزات.

20- ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾: إنني معتز بالله فأجمعوا كيدكم ثم لا تنصرون، وهكذا فالرسل جميعاً محفوظون، عندما كادوا لسيدنا موسى قال لهم عليه السلام أنا معتز بالله ربّي، فمهما كدتم وفعلتم سوف تفشلون فأنا بيده سبحانه وأنتم بيده. كادوا له لكنهم ما أفلحوا، وكذلك كل مؤمن تقي مرتبط برسول الله ﷺ لا أحد يستطيع لمسه أو مسه بأذى مهما كادوا له، فالمؤمن الذي آمن من آل فرعون وواجه قومه وجابههم ما استطاع أحدٌ منهم لمسه بأذىً، بل عاد عليهم مكرهم بسوء العذاب، قال تعالى: {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ}[2].

سورة الدخان: [21-30]

---

[2] سورة غافر – الآية:45.

21- ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾: أنا لا أجبركم، إن كنتم لا تريدون الإيمان بالله: ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾: فاتركوني وأصحابي، دعونا وشأننا، وهكذا لا يقاتل الإسلام إلا من يقف في طريق الحق أما من لم يقف فيدفع الجزية صاغراً.

22- ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾: المجرم: العديم من الخير، فرعون وقومه عديمو الخير، فلا رجاء بإيمانهم قط، وهذه نظرة النبوة، حيث نظر فيهم سيدنا موسى عليه السلام فوجدهم في الفسق والمعاصي والانحطاط غارقين وليس لهم ذرة طلب للإيمان بالله سبحانه فلا خير فيهم، كل هذا شاهده عليه السلام بنور الله لذلك دعا بهذا الدعاء.

23- ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾: أمره الله بالهجرة من مصر. ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾: من قِبل فرعون، لحق بهم فرعون وجيوشه ليقتلوهم.

24- ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾: على مهل لا تعجل مسرعاً، قل للذين معك لا تخافوا. هاجَروا والبسط والسرور يلازمهم وهم بالسعادة القلبية. عند البلاء يغمر الله سبحانه المؤمنين بنعيم نفسي ليحوّلهم عن هلاك القوم الكافرين فبينما المعرضون بالرعب والشقاء والكوارث يكون المؤمنون بالأحوال السامية الممزوجة بالغبطة والسرور، ونفوسهم ترتوي من التجلّيات الإلّهية ريّاً وترتشف من معين الحضرة الإلّهية بمعية إمامهم. ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾: فأُغرقوا وتدمَّرت بلادهم حيث عندما انشق البحر وقع بالجهة الثانية من بلادهم زلزال فهُدِّمت كل أبنيتهم ومصانعهم ومالهم من حضارة.

25- ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: الله سبحانه وتعالى أعطى فرعون وقومه الدنيا كاملة، لعلهم يسيرون بالحق، لكن بعدم سماعهم الحق من سيدنا موسى عليه السلام خسروا كل شيء، خسروا دنياهم وما فيها من بساتين وأراضٍ غنَّاء خضراء، وكذلك خسروا جناتهم الأبدية وما سينالونه عن طريق رسولهم موسى عليه السلام من خيرات كثيرة عظيمة لا تنقطع أبداً في الآخرة كان قد كتبها الله لهم لو أطاعوا وساروا بالإيمان والحق.

26- ﴿وَزُرُوعٍ﴾: تركوها كلها، زرعوا الدنيا بالأشجار وما زرعوا للآخرة أعمالاً ليدخلوا بها الجنة. ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: بالدنيا كانوا حاكمين وبمقام كريم فتركوه، وكذلك خسروا مقامهم العالي الذي أعدَّه الله لهم في الآخرة.

27- ﴿وَنَعْمَةٍ﴾: ليست نِعمة، إنها عادت عليهم بالسوء، إن ما فيه الأغنياء من ترف يسمى نَعمة بالفتح، ذلك أنه إمداد لهم ثم يأخذهم الله بما كسبوا. ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾: همُّهم الدنيا وشهواتها والتلذُّذ بما فيها من أموال ونساء وأولاد وطعام وشراب، وهذه اللذائذ حجبتهم عن حضرة الله والإيمان به وحرمتهم مما أعدَّه تعالى لهم من جنات، فعادت لذائذها عليهم بالهم والغم والشقاء بالدنيا قبل الآخرة.

28- ﴿كَذَلِكَ﴾: هذا قانون عام. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آَخَرِينَ﴾: وسيرث الأرض المؤمنون بعد هؤلاء القوم، قوم فرعون تدمرت أبنيتهم الشامخة، وذهبت حضارتهم ومصانعهم ولم يبق بمصر منهم أحد، والله أورثها المؤمنين بعدهم حيث بعد فترة أعادوا بناءها وعاد السكان إليها وسكنوا فيها من بعد أن أزال الله سبحانه الفساد منها ونظفها مما بها.

29- ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾: لم يحزن عليهم أحد لفسادهم، لا أهل السماء ولا أهل الأرض. ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾: لم يُمهلوا لحظة حين جاء أجلهم لأنهم لم يعد فيهم خير أبداً وما بقي

عندهم ذرة تفكير، إبليس طلب من الله أن ينظره لأنه ما أخذ شهواته بعد، أما فرعون وقومه أخذوها كلها وما بقي لهم شيء وأجلهم انتهى.

30- ﴿**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾: نجوا بمعية سيدنا موسى وهارون عليهما السلام. ﴿**مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾: مما كان يفعله فرعون بهم من تقتيلٍ وتذبيحٍ لأولادهم واستحياءٍ لنسائهم.

سورة الدخان: [31-40]

31- ﴿**مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا**﴾: متكبراً، كان حاكماً عليهم ودولته قوية عالية في الأرض، {**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**}[3]. ﴿**مِنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾: أسرف على نفسه، ضيَّع المُلك من بين يديه، وأضاع ما كان سيناله لو آمن مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، لو أطاع وآمن لظهرت على يديه أعمال كبرى كان سيصبح بها ذا شأنٍ كبيرٍ ومقامٍ عالٍ عند الله وعند الخلق، فكل الفتوحات التي كانت ستحدث مكتوبة من الله له وسيجعلها جلَّ وعلا بصحيفته إلا أنه أسرف بها، ضيَّعها وما عمل لها، عندها كتبها الله تعالى لغيره وجعلها على يد سيدنا ذي القرنين عليه السلام.

32- ﴿**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ**﴾: لبني إسرائيل. ﴿**عَلَى عِلْمٍ**﴾: منّا، عندهم الإمكانية للإيمان. ﴿**عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾: وخاصةً بزمن سيدنا داوود وسليمان عليهما السلام، لذلك خاطبهم الله سبحانه بزمن رسول الله ﷺ وذكَّرهم بما كان لهم من مقامٍ عالٍ عنده سبحانه علَّهم يؤمنون، فقال جلَّ وعلا: {**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**}[4].

33- ﴿**وَآَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآَيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ**﴾: بزمن فرعون وبعده، جاءتهم بلاءات كثيرة، حيث كان فرعون يذبِّح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وبعد فرعون مال عليهم الجبل وجاءهم بلاء المسخ حيث صاروا قردة وخنازير، كما أرسل عليهم الطاغية بختنصر.

34- ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ**﴾: خطاب من الله لرسوله ﷺ: هؤلاء اليهود الذين بزمانك وبعد كل هذا الابتلاء والآيات تجدهم يقولون:

35- ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ**﴾: أنكروا البعث والنشور، أعمالهم تدل على إنكارهم هذا، وإن كانوا يقولون بلسانهم أن هناك بعثاً ونشوراً، فلو أنهم كانوا صادقين ومؤمنين بهذا القول لما أنكروا رسالته ﷺ ولما كانت أعمالهم كلها أذى وفساداً وإفساداً.

36- ﴿**فَأْتُوا بِآَبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: هذا لسان حالهم، قالوا من مات من آبائنا ورجع إلى الدنيا؟ إذاً أنكروا كل شيء، والحقيقة لو أن عندهم إيمان بالآخرة أو ثابروا على التفكير بمصيرهم بعد الموت لما عملوا شيئاً من سوء، كذلك أهل هذا الزمان ممن يَدَّعُون الإيمان، لو عندهم إيماناً بالآخرة ما ارتكبوا الفواحش والمعاصي والآثام، ولما ساروا بالحرام من ربا وسفور وغير ذلك من محرّمات استهانوا بها.

37- ﴿**أَهُمْ خَيْرٌ**﴾: هؤلاء الذين يدَّعون اتباعك وأنهم من أمّتك يا محمد عليه الصلاة والسلام، فهم يصلُّون ويصومون ويذهبون للحج لكنهم واقعون بالمعاصي والآثام، صلاتهم لم تنههم عن الفحشاء

---

[3] سورة القصص – الآية:4.
[4] سورة آل عمران – الآية:110.

والمنكر، أعمالهم كلها سلب ونهب. ﴿**أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: أعمالهم متشابهة مع أعمال قوم تُبَّع الذين تبعوا غيرهم من الأمم الضالة ولحقوهم بالكفر والتبعية العمياء على غير هدى ولا كتاب منير، لذلك هلكوا وأصابهم التباب، وكذلك هؤلاء إن ما تابوا ورجعوا للحق وآمنوا بك فسوف يأتيهم الهلاك فلا يظنُّوا أنهم أحسن حالاً منهم وأنهم على خير. ﴿**أَهْلَكْنَاهُمْ**﴾: بذنوبهم وأعمالهم. ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ : لا خير فيهم قط.

38- ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**﴾: لقد جرى لبني إسرائيل ما جرى لهؤلاء وكل ذلك بالحق لا لعباً منّي، لكلٍّ سُنَّة يسير عليها، وكذلك أنت أيها الإنسان فقد جعل الله تعالى لك قانوناً ونظاماً كما جعل للسماوات والأرض قوانين وأنظمة، فإن خرجت عن قانونك ونظامك جاءك الهلاك، فالدنيا ليست للهو واللعب والملاهي.

39- ﴿**مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾: السماوات والأرض ما خلقهما الله إلا بالحق ضمن نظام وقانون ليؤمن الناس عن طريقهما ويصلوا للكمال. قل لهم هل من أحد يعمل عملاً ليكسب مالاً ثم يرمي بالمال؟ هل من عاقل يبني بيتاً ثم يهدمه؟ هذا الكون العظيم ما مراد الله سبحانه وتعالى من خلقه؟ أليس لهذا الكون قانون؟ أنتم جزء من هذا الكون، كذلك خلقكم بالحق ولكم قانون، فكيف يظن هذا المعرض أن للكون قانوناً وهو لا قانون له؟ هؤلاء قوم تُبَّع والذين من قبلهم ما ساروا على القانون لذلك أُهلكوا وهلاكهم كان بالحق، وأهل زمانك إن ما ساروا على القانون سوف يأتيهم الهلاك بالحق كمن قبلهم.

﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: لقلّة التفكير فيها لا يعلمون ما فيها من خير، لو فكروا بالسموات والأرض لنالوا خيراتها والخيرات التي أعدَّها الله لهم.

40- ﴿**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ**﴾: يوم القيامة، يوم يفصل الله المجرمين عن المحسنين ويقضي بين الخلق بالحق. ﴿**مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾: موعدهم جميعاً.

سورة الدخان: [41-50]

41- ﴿**يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا**﴾: إنك يا من تسمع كلام غير الله لن يفيدوك شيئاً بل سيعودون عليك أعداء وينكرون اتباعك لهم. هؤلاء الذين يسمعون كلام الناس ويتولَّون مبادئهم، هؤلاء الناس على شفا الهلاك فكيف ينصرون وينقذون غيرهم؟ ﴿**وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾: إن الذين سمعتم كلامهم هم هالكون فكيف يَنصرون ويُنقذون غيرهم؟ كيف ينصر مشرفٌ على الهلاك؟

42- ﴿**إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ**﴾: من آمن بلا إلّه إلا الله هذا له الرحمة، المؤمن الله وليّه في الدنيا والآخرة ويُسخِّر له كل شيء من أجله، المؤمن عرف رحمة الله، شاهدها، آمن بها، صار رحيماً، قدَّم أعمالاً، بأعماله يُدخله الله الجنة. ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ**﴾: قادر سبحانه على كل شيء، وليس لهذا المؤمن إلا الخير والسعادة. ﴿**الرَّحِيمُ**﴾: به.

43- ﴿**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ**﴾: كنَّى تعالى بالشجرة عن الدنيا لكون الميل إلى الدنيا أنواع، فمن الناس من يحب المال أو الجاه أو الزخرف أو النساء... فشجرة الزقوم هي: لذائذ الدنيا الدنيئة وشهواتها المنقضية والتي نهايتها الهلاك والشقاء، يأخذها الإنسان بشكل سريع، فالدنيا تمرُّ مروراً سريعاً. وكلمة: (زقوم) مأخوذة من: (زقَّ) أي: مرَّ، ومنها الزقاق، فكل الملذات والطعوم يأخذها الإنسان بلسانه وتمرُّ وتنقضي سريعاً وكأنها ما كانت، فلذائذ الدنيا تمضي وجميع شهواتها تنقضي بممارستها، ثم وكأنها ما كانت.

44- ﴿**طَعَامُ الْأَثِيمِ**﴾: كل من أكل منها أثم ووقع في الرذيلة، إن الإنسان لينظر إلى المرأة فيدخل في قلبه سهم سام منها فيهلكه، ﴿**الْأَثِيمِ**﴾ هو الذي أحب الدنيا وغاص بها وبرذائلها ومعاصيها. أما إن لم يرتكب الإنسان الفواحش فهو ليس بآثم، فإن أقبل الإنسان على الله حين يبلغ سن التكليف، محا الله له من نفسه ما علق بها من ذنوب في الأزل. أما إن لم يُقبل على ربه تنشط الذنوب في نفسه فيقع بالمعاصي ويصبح أثيماً. نحن عاهدنا الله سبحانه في الأزل ألا ننقطع عنه، فعلى الإنسان حينما يأكل ويشرب ويتزوج أن يكون مع الله دون انقطاع، فحب الدنيا كلما زاد بالنفس زادت الحجب بينها وبين ربها.

45- ﴿**كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ**﴾: ليس في بطنه شيء ولكن في بطنه جرثومها يفتك به. والمهل هو القطران الملتهب يغلي في البطون، فترى مظهر المعرض عن الله من أهل الترف والنعيم لكن داخله شقاء وآلاماً، والنيران تعصف بنفسه. قال تعالى: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}**[5].

46- ﴿**كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾: عذابها كزيت حار يغلي في بطن الإنسان في الدنيا قبل الآخرة، هذه الشهوات تشتعل بنفسه كأنها حمم نارية، ولكن حب الشيء يعمي ويصم وشهوات الدنيا تُخدِّره وحبها يطغى على النفس فلا تشعر بهذه النار، لذلك تُعدّ نسبة الانتحار في الدول التي تنتشر بها المعاصي والفواحش كثيرة جداً. وغداً في الآخرة جرثوم الشهوات يحرقهم حرقاً، لذلك يرمون بأنفسهم في نار الله الموقدة للخلاص من آلامهم التي لا تطاق.

47- ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ**﴾: يخاطب رب العالمين الملائكة آمراً أن تعرض على هذا الغافل سلسلة أعماله وتريه إياها فيعتلها، أي: يحملها. ﴿**فَاعْتِلُوهُ**﴾: حمّلوه أوزاره في عنقه، أروه إياها حتى يرضخ للعلاج، ومن ثم احملوه إلى المستشفى، وهذه رحمة منه سبحانه وتعالى بهذا المعرض، حيث جرثوم الشهوات حمم نارية تغلي بنفسه كغليان الزيت. ﴿**إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾: إلى مركز العذاب، بإعراضه عن ربه أصبحت نفسه سواء مع الجحيم، أصبحت ناراً، فالله يأمر الملائكة أن يعطوه الدواء المناسب بسعر وبقدر مساوٍ لما بنفسه من جحيم بحيث يُطفئ ما فيها من نار جهنم.

48- ﴿**ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ**﴾: هو يطلب العذاب كالمريض المتألم يطلب سيارة الإسعاف لأخذه إلى المستشفى. بالآخرة يعلم المعرض بأن الله أرسله للدنيا ليفكر ويؤمن، ليفكر ببدايته كيف كان نطفة، وبالنهاية بالموت الذي لابد منه، فيؤمن بربه ويشاهد أسماءه الحسنى لكنه ما فعل، ما فكر بهذه الآلة "الفكر" ليرجع بواسطتها إلى الله، لذلك يندم ندماً شديداً على ما ضيّع من مقام عالٍ، وهنالك يطلب العلاج.

49- ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾: قد كنت في الدنيا تظن أنك عزيز كريم، يقال له هذا إهانةً له، فينسى ما به من ألم نفسي، كصاحب العظمة الذي يصاب بمصيبة ويأتي من يبصق في وجهه فيتحوَّل عن حاله النفسي، كان يظن أن له حولاً وقوةً، يُعزُّ ويُذلُّ ويُعطي ويَمنع وأنَّه قادر على كل شيء، لكن هل الإنسان "هذا المخلوق الضعيف" يستطيع أن يأتي بالليل والنهار والطعام؟ هل أتى بشيء غير الذي أتى به الله تعالى حتى يعطي غيره؟ والحقيقة أنه لا معطي غيره سبحانه.

50- ﴿**إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ**﴾: تنكرون وتكذِّبون وتخدعون أنفسكم به لأنَّكم ما آمنتم بالله.

---

[5] سورة طه – الآية: 124.

سورة الدخان: [51-59]

51- ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ**﴾: المتقي أصبح في مأمن من العذاب الذي يأتي على أهل النار دنيا وآخرة، لأنه أعمل تفكيره للوصول للإلٓه، فكَّر بالآيات فآمن واتقى واستنار بنور الله عن طريق السراج المنير رسول الله ﷺ فما وقع بالمعاصي، ما غاص بالدنيا، لذلك لا يأتيه العذاب أبداً، فهو في أمان أبدي.

52- ﴿**فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾: جنة وراءها جنة وهكذا إلى ما لا نهاية، وهو في شهود لأسماء الله الحسنى.

53- ﴿**يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ**﴾: مما أسند إليهم من عمل صالح، كما يلبس الكافر أثواب العذاب والحميم كذلك يلبس المؤمن حُلَلاً من أعماله الصالحة. ﴿**وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾: عملهم أمامهم يلمع عليهم، وهم بلهفة وشوق وشهيَّة للإقبال على الله سبحانه. ﴿**مُتَقَابِلِينَ**﴾: كلٌّ متقابل مع الآخر في حُليةِ عمله اللامعة، والله سبحانه يمدّهم بالتجلي والحياة والجمال، لذلك كل واحد منهم يرى الآخر جميلاً فتهفو نفسه إليه ويأخذ ما عنده ويعطيه.

54- ﴿**كَذَٰلِكَ**﴾: قانون، كل من سلك مسلك أهل التقوى وآمن له هذا العطاء، متى استحقّ الإنسان يعطيه الله سبحانه هذا العطاء بالدنيا قبل الآخرة. ﴿**وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾: يحار بها حين ينظر إليها وتحار به هي حين تنظر إليه، كلٌّ ينظر فيرى نفسه في الآخر، حين ينظر المتقي بزوجته يتحيّر بجمالها النفسي ويتساءل من أين أتاها هذا الجمال؟ والحقيقة أن هذا حاله قد انعكس عليها فشاهدها بذلك الجمال، وهي كذلك ترى حالها به، والعطاء الإلٓهي منصب عليهما.

55- ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ**﴾: ما تشتهيه نفسه يجد لذته، بالآخرة كل شيء يشتهيه الإنسان يأتيه ويسري بنفسه، بكلمة: (كن) يجده حاضراً أمامه ويتلذَّذ بطعمه. ﴿**آمِنِينَ**﴾: من فقدان هذا النعيم بل حالهم دائماً بازدياد بلا نغص ولا كرب.

56- ﴿**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ**﴾: فقدان الخير والحرمان منه، فالبقاء أبدي ولا خوف عليهم. **{لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}**[6]. ﴿**إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ**﴾: حين وقف عملهم في الدنيا. ليس لهم غير هذه الموتة، ومع ذلك روح المؤمن تخرج بسهولة كخروج الشعرة من العجين، أما الكافر فبالعكس تماماً إذ تخرج روحه بالخوف والرعب والآلام، خروج روحه من جسده كنزع الحرير من الأشواك، هذا عليه يوم عسير.

﴿**وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾: بتقواهم حصلوا على النور الإلٓهي وشاهدوا ما في المعاصي من نيران وجحيم فتجنبوها ولم يواقعوها، رأوا النيران سارية فيمن يقترف المحرمات فاتقوا الوقوع فيها، كذلك حفظهم تعالى وستر عنهم أعمالهم السيئة التي مضت قبل إيمانهم، وذلك حين أقبلوا عليه سبحانه وسرى النور الإلٓهي إلى قلوبهم فشفيت من عللها، وانمحت من نفوسهم السيئات وما يستوجب العذاب فلا يذكرونها.

---

[6] سورة ق – الآية:35.

57- ﴿**فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ**﴾: كل ذلك حناناً وإحساناً من الله سبحانه لهم. ﴿**ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ : فازوا بالسعادة الأبدية والنعيم، الدنيا مدرسة جاؤوها واجتهدوا فيها ففازوا بما أعدَّ الله لهم عن طريق رسوله الكريم من جنات.

58- ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾: هذا البيان الذي جاء على لسانك يفهمه كل إنسان، كلامه ﷺ ليس فلسفة مبهمة بل هو مبسَّط ومفهوم واضح بيِّن. ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾: ما فيه، متى آمن الإنسان بربه تذكر، يتذكر ربه ويرى أسماءه الحسنى ويتذكر الأزل وأن هناك بعثاً.

59- ﴿**فَارْتَقِبْ**﴾: يا محمد ﷺ. ﴿**إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ**﴾: المؤمن يرتقب اليوم الموعود به والكافر يرتقب اليوم الموعود به كذلك.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجاثية: [01-10]

1- ﴿**حمٓ**﴾: يا حامداً لفضلي وخيراتي، ويا محموداً عندي وعند خلقي، المؤمن عندما يسمع هذا الثناء والمديح من الله يتلى على رسوله، تتوجه نفسه نحو رسول الله ﷺ بالمحبة والتقدير، وبهذا التوجه تنعقد الرابطة فيزداد المؤمن نوراً بإقبال نفسه على الله بمعية رسوله عليه الصلاة والسلام ، وبهذا الإقبال يكتب الله لهذا المؤمن أعمالاً عالية صالحة تتناسب مع إقباله، وبهذه الأعمال يدخل المؤمن الجنة، {**ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}[1].

2- ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾: إن صار للمؤمن رابطة برسول الله ﷺ يرى أن هذا الكتاب المطبوع في نفس رسول الله الشريفة إنما هو تنزيل من حضرة الله على رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، غير المؤمن لا يعلم هذا، يقرُّ بذلك قولاً لكن نفسه ما شاهدت هذا التنزيل، ولا يُعتبر هذا الاعتراف والقول إيماناً، وإنما هو مجرَّد نقلٍ عن الآباء والأجداد. ولكن كيف يعلمون أن هذا الكتاب منزّل من عند الله العزيز؟ يعلمون ذلك عن طريق التفكير بما في السماوات والأرض، ولذلك قال سبحانه وتعالى:

3- ﴿**إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: إن فكر الإنسان بالسماء والأرض استعظم صنع الله، ومنه ينتقل إلى تعظيم الله سبحانه فيؤمن بالله ويصبح له نور من ربه، ويرى في خلقهما آيات دالة على علم ورحمة وحنان منه سبحانه وتعالى، ثم يتابع هذا المؤمن إيمانه فيفكر في خلقه.

4- ﴿**وَفِي خَلْقِكُمْ**﴾: كذلك أيها الإنسان فكر في خلقك كيف كنت نطفة، هذه النطفة من أي شيء تكونت؟ كيف صارت النطفة علقة ثم مضغة ثم عظاماً ولحماً حتى صار خلقك أيها الإنسان منها؟ أليس هذا دليلاً على أن هناك خالقاً خلق، وربّاً يربي ويمد حتى صارت هذه النطفة إنساناً كاملاً! ﴿**وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ**﴾: خلق الدواب يكون بإنزال الأمطار التي تحمل الحياة وهذه الحيوينات تُبثُّ بثّاً من السماء إلى الأرض، فالسماء تمطر والأرض تنبت الزرع وتخرج الضرع، وكل ما دبَّ على الأرض فهو دابة، وكل هذا يدل على يدٍ رحيمة تخلق وتُحيي. ﴿**آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾: الذي فكَّر بالسماء وعظمتها وآمن هذا أيقنت نفسه بما شاهدت، أيقنت بوجود الإلَه، شاهدت أنواره سبحانه، هذا يستطيع التفكير بخلقه وبما في الأرض من آيات والوصول منها لله سبحانه وتعالى والإيمان به.

5- ﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾: فكِّر أيها الإنسان بدوران الأرض، كيف تدور؟ وما هذا الاختلاف بين الليل والنهار من زيادة لنقصان ومن نقصان لزيادة، وما الفائدة منه؟ لولا هذا الاختلاف وتبدلاته بحسب الفصول ما أكلت طعامك. ﴿**وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ**﴾: كذلك فكِّر بالمطر كيف نزل على الأرض؛ الشمس بخَّرت، والرياح حملت، ثم الغيوم تشكَّلت، وكيف نزل هذا الماء قطرات ثم منه خرجت خيرات الأرض من نبات وأثمار. فكِّر بهذا كلّه، إذن أليس هناك من يد تعمل وتسيِّر وتنظم؟ ﴿**فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾: الحياة نزلت مع المطر، لولا هذه الحياة ما خرج ثمر. ﴿**وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ**﴾: انظر وفكِّر بالهواء، كيف أن هناك رياحاً باردة وأخرى حارّة، ورياحاً شرقية

---

[1] سورة النحل – الآية:32.

ورياحاً غربية، فمن الذي بيده تسيير كل هذا؟ ﴿**آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾: إن فكر الإنسان بتلك الآيات آمن وصار له نور من الله، عندها يرى ويؤمن برسول الله ويعلم أن ما أُنزل عليه ﷺ من بيان هو من حضرة الله سبحانه. ﴿**يَعْقِلُونَ**﴾: العقل: هو ما توعيه النفس وما تختزنه فيها، من بعد أن شهدت أنّ لا إلّه إلا الله، فتعقل طرفاً من كمالاته سبحانه، وتتمثّلها وتستقر فيها، ولا يكون العقل هذا إلا برفقة الإمام والاقتداء به، أما دونه فلا يعقل الإنسان شيئاً، لأن الحقائق لا ترى إلا بنور رسول الله ﷺ السراج المنير.

6- ﴿**تِلْكَ آَيَاتُ اللَّهِ** ﴾: الدالة عليه سبحانه. ﴿**نَتْلُوهَا عَلَيْكَ**﴾: يا محمد عليه الصلاة والسلام، الرسول الكريم شاهد الآيات كلها، وكل من آمن بالله من خلالها فرسول الله ﷺ يتلوها ويكرّرها عليه مرة ثانية بالتجلّي والنور، فيشاهد هذا المؤمن عظمة الله وأسماءه الحسنى عن طريقه ﷺ . ﴿**بِالْحَقِّ**﴾: لأنك أهل. ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآَيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ**﴾: إن ما آمنوا بعد هذه الأدلة وهذا البيان، فبماذا يؤمنون بعده؟!

7- ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ**﴾: الذي ما آمن بهذا الحديث تحوَّل للدنيا وشهواتها، فكم خسر؟! وكم ولّى عنه من خيرات كبرى وسعادة عظمى لأنه متحوّل عن الحق ومصرٌّ على حبِّ الدنيا، يضع الدنيا حجاباً بينه وبين الحق. ﴿**أَثِيمٍ**﴾: واقع بالمعاصي والفواحش والآثام.

8- ﴿**يَسْمَعُ آَيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ**﴾: يسمع عن التفكير بالشمس والقمر والكون، لكنه لا يفكّر ولا يطبّق، فهو يسمع دلالة الرسول ويقرُّ بها ولكنه مازال يريد الشهوات المنحطة السافلة، السماع وحده لا يكفي، إن لم يرَ الإنسان ربه معه كيفما التفت لا فائدة، ولو أنه أقرَّ ببعض الآيات إلا أنَّ نفسه وحب الدنيا يغلبانه. ﴿**ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا**﴾: مثل استكبار إبليس على آدم عليه الصلاة والسلام، إصراره على حب الدنيا وشهواتها يجعله لا يفكر ولا يؤمن. ﴿**كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾: هذا العذاب ليتحوَّل عن آلامه النفسية التي لا تطاق، فالعذاب أنسب شيء له حتى يرتدع ويعود عن غيّه، كذلك في الآخرة فهذا المريض لا يناسبه سوى المستشفى وما فيها من طبابة ووسائل للعلاج، وكذا تجده ممنون النفس طيب الخاطر ممن يسعفه ويُدخله المستشفى رغم ما يلقاه فيها من حمية وأدوية مرة وعمليات، ونبأ قبوله بالمستشفى نبأٌ سار وبشارة بالنسبة له.

9- ﴿**وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آَيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا**﴾: كان يضحك إذا حدَّثه أحد عنها وعن الإيمان بالله. لا يعبأ بالآيات حتى لو عقل بعضها واستعظمتها نفسه، فإذا ما خرج من عند الرسول يقول: سَحَرَنا، جَذَبنا إليه وينكر كلَّ شيء. ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾: فيه إهانة، الذل والحقارة عليهم دنيا وآخرة.

10- ﴿**مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ**﴾: غداً، بالموت ويوم القيامة، ترجع النفس إلى فطرة الكمال فيرى هذا المكذب المعرض أعماله واستهزاءه، فتشتعل فيه نار الخزي والعار تلذعه لذعاً. ﴿**وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا**﴾: من الدنيا من مال ومناصب... كل هذا لا ينفعهم. ﴿**وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ**﴾: كذلك الذين أشركوا بهم وظنُّوا أنَّ لهم حولاً وقوةً وفعلاً فساروا معهم، هؤلاء لن ينفعوهم يوم القيامة، وسيكونون لهم أعداء وينكرون اتباعهم لهم. ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: بعد مقارفتهم شهواتهم علهم يرجعون للحق، للسعادة، للخير حيث عرفوا وانحرفوا.

سورة الجاثية: [11-20]

11- ﴿**هَذَا هُدًى**﴾: بياني هذا لكم لتهتدوا إلى الله وتنالوا السعادة وتدخلوا الجنة. ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾: ما فكَّروا بها. ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ**﴾: لهم البؤس والبلاءات من فقر وأوجاع ومصائب بسبب تكذيبهم وأعمالهم.

12- ﴿**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ**﴾: كل شيء بيده سبحانه، هو الذي سخَّر لكم البحر فجعل له هذا القانون، كيف هذه المياه اللطيفة تحمل مئات الأطنان فوقها فلا تغرق؟! ﴿**لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ**﴾: من أجلكم. ﴿**بِأَمْرِهِ**﴾: لولا هذه الخاصية والقدرة التي وضعها الله في الماء لما حملت السفن. ﴿**وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾: لتفعلوا الخيرات عن طريق التجارة. ﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾: الله على هذه النعم إذا فكَّرتم، كل هذا جعله لكم حتى تفكروا وتشاهدوا الفضل والإحسان من ربكم، وتعملوا الصالحات وتدخلوا الجنة.

13- ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾: كل ما في السماوات والأرض مسخر لك ومن أجلك أيها الإنسان، ففكر بفضل الله عليك حتى لا تنكر هذا الفضل. ﴿**مِنْهُ**﴾: كل هذا الحنان والعطف والرحمة منه سبحانه، وليس من أحد غيره. ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ**﴾: دالّة على علم وقدرة ورحمة وحنان الله. ﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾: ولا يفيد شيئاً من هذا من لا يفكِّر، إن لم يفكِّر الإنسان فلا خير فيه ولن يصل للإيمان، إن فكَّر الإنسان استدلَّ ورأى هذه الآيات وآمن بربه.

14- ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا**﴾: الإنسان لا يحقد على العصا إذا ضُرب بها، المؤمن لا يهاجم أحداً، بل يلاطف المعرض ويترك خيطاً من عنكبوت بينه وبين هذا المعرض فلعل هذا المعرض عن ربه عند الشِّدة يتذكَّر كلام المؤمن وإحسانه له فيفكِّر ويرجع إلى الحق تائباً، لأنه إذا هاجمه المؤمن أو أغلظ القول له فلن يرجع للحق ولابدَّ أنَّ مصيره لجهنم. المؤمن لا يحمل بنفسه على أحد، ولو أساء إليه فهو يغفر له ويكظم غيظه. ﴿**لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ**﴾: لا يريدون الله والإيمان به، إذا أمُّوا إلى الله أصبحت أيامهم كلها سعادة لكنهم لا يريدون، لذلك لاطفْهم حتى لا يزدادوا كفراً وإعراضاً. ﴿**لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾: عملهم سيعود عليهم، الله سبحانه وتعالى يعطيهم ما أصرُّوا عليه من شهوات ثم بعدها يعالجهم، فيرسل لهم الأمراض والشدائد لعلهم يرجعون.

15- ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا**﴾: آمن وعمل الصالحات. ﴿**فَلِنَفْسِهِ**﴾: العائد له، عمله يعود عليه بالخير والسعادة والعطاء دنيا وآخرة. ﴿**وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾: إن ما آمن الإنسان بربه وما أقبل عليه سبحانه لا يكسب كمالاً، ويكون عمله كله سوءاً وسيرجع عليه بالسوء. ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾: للحساب فينبِّئكم بما كنتم تعملون.

16- ﴿**وَلَقَدْ آَتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ**﴾: لما فكَّروا واستدلوا وصارت عندهم الأهلية آتاهم الله الكتاب، طبع الحق بنفوسهم بمعيَّة رسلهم. ﴿**وَالْحُكْمَ**﴾: صار لهم الحكم والسيادة على غيرهم. ﴿**وَالنُّبُوَّةَ**﴾: جعل من نسلهم الأنبياء. ﴿**وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾: على هذا الحال العالي الذي وصلوا إليه. ﴿**وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾: رفع الله شأنهم بين البشر إذ جعلهم هداة للحق.

17- ﴿**وَآَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ**﴾: صاروا على بيّنة من كل أمر. ﴿**فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ**﴾: سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، الإنسان مهما رأى من معجزات إن لم يفكِّر ويؤمن فلا جدوى له، هؤلاء كم رأوا من معجزات سيدنا عيسى عليه السلام ! ومع ذلك اختلفوا. ﴿**بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾: حسداً، انقسموا إلى نصارى ويهود، النصارى ادَّعوا أن عيسى عليه السلام ابن الإلّه، واليهود قالوا عنه المسيح الدجال. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي**﴾: يحكم. ﴿**بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾: سيرون حقيقة ما اختلفوا فيه.

18- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾: يا محمد عليه الصلاة والسلام، أرسلناك وأيَّدناك بالقرآن. ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾: سِرْ عليها. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا تسايرهم من أجل هدايتهم، لا تسكت لهم، سِرْ على ما آمرك به.

19- ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: لا يمكن أن يسيروا معك بالحق، هذان الفريقان تعقّد الكفر في أنفسهم، وحَلُّ خلافهم سيكون على يد عيسى عليه السلام . ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: يتعاونون مع بعضهم لرد الحق وإفساد الناس. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾: يدافع عنهم وينصرهم، قل لأصحابك هذا لئلا يهتمُّوا بهم، أنا الفعَّال.

20- ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾: الآن جاءتكم تذكرة بهذه الدلالة، جاءكم بياني على لسان رسولي لتؤمنوا ويصبح لكم من الله نور وبصيرة، فكِّروا بما سبق من الآيات لتهتدوا، مرّت آيات دالّة على طريق السعادة وآيات بيَّنت طريق الشقاء، أراكم تعالى القانون الذي به تهتدون. ﴿وَهُدًى﴾: إن لم يؤمن الإنسان بلا إلّه إلا الله إيماناً شهودياً لا يمكن أن يهتدي ولا أن يرى حقيقة هذا البيان. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: أنزل سبحانه هذا البيان رحمةً بكم لتشفى نفوسكم بالإقبال عليه وتسعدوا وتدخلوا الجنة. ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: شاهدوا "لا إلّه إلا الله"، أيقنت نفوسهم بالله، فالموقن: مَنْ صار له يقين بالله، فهو يرى حكم الله ودلالته وما فيها من خير.

سورة الجاثية: [21-30]

21- ﴿أَمْ حَسِبَ﴾: أهكذا يظنُّون. ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الإنسان إن جُرحت يده فإنَّها تؤلمه وتسوؤه، كذلك الذين يقعون بالمعاصي والفواحش وقوعهم هذا يعود عليهم بالسوء والشقاء، حياتهم تصبح كلّها ضنكاً، فكما الجرثوم يدخل الجرح ويسوء الإنسان ويؤلمه، كذلك هذا المعرض بوقوعه بالفاحشة تُجرح نفسه لتدخل منها الجراثيم وبعدها تصبح حياته كلها شقاءً وسوءاً وآلاماً. ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ﴾: نعاملهم. ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: مثل بعضهم بعضاً! ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾: حياتهم في الدنيا والآخرة سواء! هل نجعلهم مثل بعضهم؟ المؤمن سعيد دنيا وآخرة، والكافر شقي دنيا وآخرة. ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: هذا الذي ساروا عليه من إجرام وفواحش يعود عليهم بالسوء والشقاء دنيا وآخرة.

22- ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: كل شيء بقدر، لو نقصت المسافات بين الأجرام أو ازدادت لاختل نظام الكون، كذلك جعل الله لك أيها الإنسان قانوناً لتسير عليه. المؤمن سار بالقانون فأنتج خيراً، هذا يعطيه الله بقدر ما يستحق، وكذلك الكافر تأتيه الشِّدة بقدر عمله. ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: يجب على الإنسان أن يفكِّر ويستدلَّ بآيات الله وإلا يضلّ عن سعادته وسيُجزى على ما قدَّم بجهنم وبالنار. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا ظلم، عمله سيعود عليه بالسوء بقدر ما عمل وأساء.

23- ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾: انظر لهذا المعرض الذي سار بهوى نفسه، شهواته وأهواؤه هي التي تسيِّره، همُّه تحقيقها ولو كانت على حساب وآلام وشقاء غيره، فإن طغت الشهوة وحب الدنيا على قلب المرء أعمته فهو لا يرى سواها لذة، تراه عبداً لشهواته. ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾: ينفذ له شهوته بعد أن أعمته، فتفرغ منها نفسه. ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾: لا يُريه ما وراء عمله وما يعود عليه من شدائد وعلاجات، لو رأى لما قام بعمله ولما نفَّذ شهوته ولظلَّت بنفسه فلا يستطيع الإيمان، لذلك رحمة من الله لا يريه ما وراء عمله، حتى تفرغ الشهوة من نفسه، ثم يحلُّ به العلاج والشِّدة لعلَّه يسير بالحق ويؤمن. ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾: هذا المعرض مهما عاملته ومهما تكلَّمت معه، هل تفيد به النصائح وهو على إصراره؟ إذا هو لم يؤمن بالله ولم

يتعرَّف عليه ولم تلتفت نفسه إلى كل هذا التسيير الخيِّر فكيف سيهتدي؟! ﴿**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾: أنتم أيها المؤمنون، فكِّروا بالكون وفكِّروا ببدايتكم حتى ترجعوا إلى الله ويصبح لكم نور منه، فتذكروا عهدكم معه وتذكروا أسماءه الحسنى، عندها تستطيعون أن تدلُّوا الخلق على الله.

24- ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا**﴾: ما آمنوا بالآخرة لذلك صارت الدنيا مبلغ همّهم، لا يعرفون منها إلا اللذائذ والشهوات. ﴿**نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾: أي: هل سنحيا بعد الموت؟! هل هناك حياة أخرى بعد مماتنا؟! نحن لا نصدق بكل هذا، أنكروا البعث. ﴿**نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾: وغيرهم يقول: أن الحياة طبيعة، نموت ويأتي بعدنا جيل جديد، لا إلٓه في الوجود، والطبيعة كل شيء وليس هناك آخرة. ﴿**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾: ما هي إلا تقلبات الأيام وقوانين طبيعية، فكما أن البذرة تُزرع وتكبر وتُصبح شجرة وتثمر ثم بعدها تتساقط أوراقها وتموت، كذلك نحن تحت هذا القانون ستمر علينا السنون ونكبر ونموت، هذا ما حدث لآبائنا وسيحدث لنا وسيكون من بعدنا لذريتنا "هذا ادِّعاؤهم". وعند هذا الظن لم يعودوا يحسبون حساباً لأعمالهم، ويظنون كل شيء يأتي ويذهب ظواهر طبيعية وعمل الأيام وليس هناك آخرة ولا يعرفون سوى حياتهم الدنيا التي تدرُّ عليهم بالحياة والصحة والشباب ثم تنزوي عنهم وتنحسر النضارة، ﴿**وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾: هل عندهم برهان لما يقولون. كل هذا ظنٌّ. ما لهم به علم، لو وصلوا لربهم وآمنوا به تعالى لصار لهم نورٌ يشاهدون به حال من يموت وما صار إليه من نعيم إن كان مؤمناً أو شقاء إن مات على غير الإيمان.

25- ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ**﴾: إذا قال لهم عليه السلام : انظروا بالكون، فكِّروا بالشمس والقمر، بالليل والنهار لتصلوا للإيمان، وتتعرَّفوا على ربكم، عندها تعرفون أن بعد هذه الحياة الدنيا حياة ثانية. ﴿**مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآَبَائِنَا**﴾: ليخرجهم الله من قبورهم ويكلمونا، عندها نؤمن لكم، هم كاذبون بهذا الادّعاء ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآَناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً**﴾[2]. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: أننا مبعوثون.

26- ﴿**قُلِ**﴾: يا محمد ﷺ، رسول الله ناقشهم وردَّ عليهم بالحجة والبرهان، قال لهم: ﴿**اللَّهُ يُحْيِيكُمْ**﴾: لـمَّا كنتم نطفة من أحياكم؟ وجعل لكم السمع والبصر وهذه الأعضاء، هل من أحد غيره فعل هذا ويفعله الآن؟ إن الذي خلق أول مرّة أمر الإعادة هو أيسر عليه، وهذا الخلق الجاري والمواسم المتتابعة ألا تدلّ على حيٍّ يبثُّ الحياة في كل شيء؟ ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**﴾: حين الموت، يقطع عنكم الإمداد بالروح فيموت الجسد. الذي أحيا هذا الإنسان ثم يميته، هل لهذا فقط خَلَقَ وفعل ما فعل بلا غاية ولا هدف؟ انظروا فكِّروا هل من أحد منكم يعمل ويخترع بلا غاية ولا هدف ثم يهدم ما عمل؟ أهذا يكون؟! ﴿**ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾: الذي خلقكم أوَّل مرَّة من تراب أما هو بقادرٍ على أن يُعيد خلقكم مرَّةً ثانيةً يوم القيامة؟ ﴿**لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾: هذا اليوم حق لا شكَّ فيه، لا محالة واقعٌ، عدله سبحانه يقتضي هذا لينال كل إنسان حقَّه، المسيء سيجازى على عمله، والمحسن له الجنة والسعادة، كالمدرسة فيها النجاح للمجتهد والرسوب للكسول المهمل. ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: هذه الحقائق لأنَّهم ما آمنوا، لو أطاعوا وآمنوا لصار لهم نور شاهدوا به الخلق والإمداد وشاهدوا به يوم القيامة.

---

[2] سورة الرعد – الآية:31.

27- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كما أن الكون كلّه عائد بالتربية والتسيير والخلق لله كذلك أنتم وأجسامكم محتاجون لفضله سبحانه بالإمداد والتسيير والتربية، أفلا تتفكَّرون بهذا. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: يوم القيامة. ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾: الذين يحاولون إبطال الحق.

28- ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾: هذه الآية تنفي الكثير مما يقال عن يوم القيامة من غرق الناس بالعرق والناس وقوفٌ، والمقصود بالأمة الجاثية الأمم التي هلكت مغضوباً عليها، فهي تبقى تحت التراب جاثيةً على ركبها بهذا الحال النفسي، لم تجد من يدفنها ويكفّنها ويغسّلها لحظة هلاكها، وهي ومنذ هلاكها وإلى يوم القيامة تبقى جاثية على ركبها تندب حظّها وتتحرَّق بأعمالها الخبيثة، وأما أجساد هذه الأمم فلم يوجد أحدٌ ليدفنهم، أو يترحَّم عليهم قبل فنائهم وغداً يوم القيامة تحترق نفوسهم بنيران خسارتها التي لا تطاق، ولا يستطيع تسكين آلامها آنياً إلا نار الله الموقدة التي تَشغلها وتُلهيها عن آلامها النفسية الجهنمية التي لا تُطاق. ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾: بهذا الحال النفسي من الخنوع والذلّ والعار يلزمها، جاثية على ركبها دليل على حالها المخزي والسبب بذلك:

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾: ترى وتشاهد ما كُتب عليهم وجمع لهم من أعمال إجرامية قاموا هم بها بالدنيا، فلكل أمة أعمالها وعللها، وأمراضها التي تختلف عن الأمة الأخرى ولها علاجٌ وعذابٌ بحسب ما قدَّمت فهم ليسوا سواءً بالدرجة الجهنمية. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: لا ظلم، الجزاء من جنس العمل.

29- ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾: ما كتبناه من أعمالكم يدمغكم اليوم. ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ﴾: يتكلَّم عنكم. ﴿بِالْحَقِّ﴾: دون زيادة ولا نقصان، ما يعمله الإنسان بدنياه يجده حاضراً ماثلاً أمامه كما هو في الآخرة. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾: نكتب عليكم. ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أعمالكم كلها محفوظة لدينا، فالله يثبت عليك عملك أيها الإنسان وعنده نسخة كاملة من أعمالك مثبّتة عليك.

30- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: بالله. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: بعد الإيمان عمل الصالحات. ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾: في جنته. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾: فازوا بالسعادة الأبدية.

سورة الجاثية: [31-36]

31- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ما فكروا فما شاهدوا أسماء الله الحسنى، كفروا برحمته وعدله. ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾: عن طريق رسولي، أما أرسلت لكم من يدلّكم على الإيمان، فلمَ لم تؤمنوا؟ ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾: سبب الإيمان المعرفة، سبب الاستقامة المعرفة، سبب الكفر عدم المعرفة، استكبروا عن معرفة آيات الله. ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾: ما عملتم خيراً أبداً، أعمالكم كلها ظلم وتعدٍ وإجرام، ما آمنتم لتنالوا الكمال وينطبع الحق بنفوسكم وتعملوا به.

32- ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: وعدَ الله تعالى المؤمنين بالجنَّة، ووعد الكافرين بالنار والعذاب. ﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: لا شكّ أنها واقعة. ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾: ما سعوا لمعرفتها. ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾: كيف نترك ما نراه أمام أعيننا، ونعمل لشيء لم نره ولا يقين لنا به؟!

33- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: تبين لهم من أعمالهم ما يسوءهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: أعمالهم ونواياهم السيّئة تلبسهم وتحيط بهم. ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: في الدنيا، ما عبأوا بكلام الله ورسوله.

34- ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ﴾: هل ننساكم من المداواة والعلاج؟! هذا لا يكون، لا يضلُّ ربي ولا ينسى أحداً من فضله. ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: الشهوات أنستكم الآخرة والعمل لها، أنستكم ما فيها

من جنات وسعادة. ﴿**وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ**﴾: يأوون إليها لما في أنفسهم من آلام لا تطاق، بدخولكم النار تتحولون عما بكم من آلام جهنمية. ﴿**وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾: لا أحد ينصركم ويدفع عنكم العذاب.

35- ﴿**ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا**﴾: يُقال لهم هذا العذاب لأنكم ما فكَّرتم بآيات الله لتؤمنوا به تعالى. ﴿**وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾: ظننتم السعادة بالمال والجاه والمنصب والأولاد والنساء، وخدعتكم أنفسكم بهذا. ﴿**فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾: حيث لا فائدة يوم القيامة من العتاب، يومها لا يُعاتب، إذ لم يبقَ له طريق للرجعة، فلا جدوى من العتاب، فلن يستطيع أن ينال غير ما ناله في دنياه، فليس له من عمل وليس له إلا النار علاجاً ودواءً له.

36- ﴿**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ**﴾: يُحمد على جميع أفعاله من شدائد وأمراض ومصائب ونار للمعرضين، وكذلك يحمده المؤمنون لما يتفضل به عليهم من عطاء وجنات. ﴿**رَبِّ السَّمَاوَاتِ**﴾: الإيمان أولاً عن طريق السماء، إن فكَّرت بها وبعظمتها وخيراتها ترى أن الله يُحمد على جميع أفعاله. ﴿**وَرَبِّ الْأَرْضِ**﴾: بعد التفكير بالسماء يأتي النظر والتفكير والإيمان عن طريق الأرض وما جعل الله فيها من آيات، فيصل الإنسان لربه ويرى أنَّ أفعاله سبحانه كلّها رحمة بهذا الإنسان وحنانٌ عليه، ويُحمد عليها لما فيها من الخير. ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: بعد الإيمان بالله عن طريق السماوات والإيمان بالله عن طريق الأرض، يأتي الإيمان العالي برسول الله ﷺ فبإيمانك به أيُّها المؤمن وبمعيَّته ونوره العظيم تشاهد العوالم كلّها، وأنه تعالى ربُّ العالمين، وتؤمن بالله وترى أن كل شيء منه خير وسعادة لكل ما خلق.

37- ﴿**وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: كل ما تراه أيها المؤمن في هذه العوالم من عظمة وقوة وقدرة وجمال وعطاء هو من الله سبحانه وتعالى ألبسه لهذه المخلوقات، فلا تلتفت لغيره وتتركه، أقبل عليه ليعطيك أكثر مما أعطاها. ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾: العزّة كلّها تنتج عن عدم السقوط أو الخطأ أو الظلم، فالقاضي العادل عزيز النفس بسبب عدله ولو أخطأ لذلت نفسه. فالعزّة بالإيمان تُنال، بالإيمان يفيض الله على قلب المؤمن بعطاءات كبرى فيصبح غنياً يستغني بها عن الدنيا وشهواتها، فلا يعود يرضى بالرخيص الدنيء من الشهوات فما عنده أغلى وأسمى وألذّ وأشهى، يُصبح فاضلاً كاملاً لا يخطئ، فلا ينظر إلى ما عند المخلوق ويطمع به. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: يعامل كل الخلق بالحكمة.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحقاف: [01-10]

1- ﴿**حمٓ**﴾: حامداً لله محموداً عند الخلق، هذه الأحرف خطابٌ من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ يُظهر تعالى من خلاله بعضاً من صفات رسوله الكريم العالية العليَّة. أي: يا حامداً لفضلي وخيراتي وإحساني وتسييري الذي كلّه خيرٌ لهذا الإنسان. ويا محموداً، أي: يامن صرت قريباً مني وأحببت للخلق أن ينعموا بهذا القرب فصرت محموداً عند الخلق أيضاً.

ولكن لِمَ هذا المديح من حضرة الله تعالى لرسوله الكريم؟ وماذا نستفيد نحن منه؟

كل إنسان لديه الإمكانية للإيمان بلا إلّه إلا الله ومشاهدة حقيقتها، وذلك بأن يسير بالقانون الذي وضعه الله له، وهو التفكير بالموت ذلك المصير المحتوم والتفكير بالكون وما فيه من آيات فيصل للإيمان، إن آمن الإنسان هذا الإيمان العالي صار له نورٌ من الله وأصبحت نفسه تسمع وترى، فعندما يسمع المؤمن هذا الخطاب من الله تعالى يُتلى على رسوله الكريم تتوجه نفسه بالمحبة والتقدير والتعظيم لرسول الله ﷺ فترتبط برابطة الحب والتقدير، وبهذه الرابطة يُدخلها ﷺ على الله فتنال بمعيَّته من ربِّها جنات وعلوماً لولاه ﷺ ما بلغها هذا المؤمن وما نالها أبداً. وبهذه الرابطة الشريفة تفهم من معاني آيات كتاب الله المنزَّلة على رسوله والمطبوعة بنفسه الشريفة وتشهد من حقائقها العالية، فيغدو هذا المؤمن عالماً فقيهاً مستنيراً لا ينقطع عن ربه أبداً. وكل هذا النوال وتلك المرتبة إنما كانت بمعيَّته عليه الصلاة والسلام، وهذا هو مراد رب العالمين لك أيها الإنسان وهذا سبب خطابه تعالى لرسوله بهذه الصفات العالية، فآمن لتصل لتلك الدرجة السامية فتسعد.

2- ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ**﴾: بهذه الصفات التي اكتسبها صار تنزيل الكتاب عليه عليه الصلاة والسلام، هذا البيان الذي تظهره للخلق من الله والذي طلبته مني لهم، فهو ﷺ ولرحمته الكبرى التي نالها من ربه كان يطلب من الله سبحانه أن يعلِّمه كيف يُخرج الناس من الظلمات إلى النور والسعادة وأن يكون معلم الناس للإيمان. فأنزل الله عليه هذا البيان، وصار ﷺ يدلُّ الناس به ليؤمنوا وينالوا الخير والجنات. ﴿**مِنَ اللَّهِ** ﴾: ما أتى به ﷺ هو من عند الله، هذه العلوم التي بين أيدينا أبداً لا تكون إلا من الله صاحب الأسماء الحسنى والمتجلِّي بها على خلقه جميعاً. ﴿**الْعَزِيزِ**﴾: الذي يأتي الخير منه فقط، فلا خير من غيره سبحانه. ﴿**الْحَكِيمِ**﴾: ما تستحق نفوس الخلق، رسول الله ﷺ بسعيه وتضحياته وأعماله استحقَّ فأنزل عليه سبحانه هذا البيان.

3- ﴿**مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾: خُلقت أيها الإنسان، والكون كله خُلق لأجلك، ليس لعباً بل كلّه آياتٌ دالةٌ على حنان وعطف وإحسان لك. ﴿**وَأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾: انظر أيها الإنسان وفكر كيف جعل الله لك هذا الكون وأحكمه بقوانين وأنظمة، فالشمس والقمر لهما أوقات لا تختلف على مر السنين، فالشمس تشرق وتغرب بوقت معين، الليل والنهار بوقت معيَّن، الصيف والخريف والشتاء والربيع بوقت معيَّن وكذلك دوران الأرض. ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: كفروا لأنهم ما فكروا بهذا الكون فما عرفوا عظمة الله ورحمته وحنانه وفضله. ﴿**عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ**﴾: أفبعد هذه الآيات وعظمة الكون يعرضون عن الهدى، بعد هذا كله تلتفت ولا تفكر مَن المربي والمسير؟ (كلّه على شانك وأنت مش داري، كل هذا من أجلك وأنت غير عابئ؟!)، هل يليق بك! هل جزاء الإحسان إلا الإحسان!

4- ﴿قُلْ﴾: الله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ بنقاش هؤلاء المعرضين رحمةً منه عليهم وحناناً، لعلَّهم يفكِّرون فيتراجعون عن إعراضهم وكفرهم ويدخلون جنَّته، فقال لهم رسول الله ﷺ : ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: في من يؤمنون أنهم لهم حول وقوة فأشركوا بهم. ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾: هل الإنسان الذي خُلق من نطفة بمقدوره أن يخلق شيئاً من الثمار؟ أو يأتي بشيء جديد غير الذي يخرجه ربُّ العالمين. ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: انظر هل مَنْ يأتي بالشمس من المشرق ويغربها! هل مَنْ يأتي بالغيوم ويهطلها أمطاراً ذرات! هل مَنْ يأتي بالهواء، بالقمر، هذه الكواكب، النجوم... غير الله! هل الذين أشركتم بهم من صنم وإنسان لهم فعل بهذا! ﴿اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾: التوراة، الإنجيل، الزبور. هل أتوا بهذا من قبل؟ هل ذكروا أن لأحد غير الله فعلاً وحولاً وقوةً؟! ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾: أروني أي أثر من آثار عملهم أو خلقهم أو قدرتهم، أو شيء صغير يدل على فاعل مع الله. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: بهذا الادعاء.

5- ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: مخلوق مثلك تطلب منه ولا تطلب من الله! كم أنت أعمى! هل من ضلال وجهل أكبر من جهل هذا الذي يدعو من دون الله ويطلب من غيره سبحانه؟ ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: مهما دعاه لا يستجيب له. إن جاع، هل يستطيع هذا المخلوق الذي أشرك به أن يخلق طعاماً! إن عطش، هل ينزل الأمطار! إن مات، هل يُرجِع لجسده الحياة! ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾: هؤلاء الذين أشركتم بهم وظننتم بهم الحول والقوة ماتوا وأخذوا عملهم، إن هم إلا بشر لا حول لهم ولا قوة ولا يملكون لك موتاً ولا حياةً، والأصنام حجر تصنعه بيدك ثم تطلب منه!

6- ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: عند الموت ترى أن القوة لله جميعاً، فلا فعل لغيره تعالى، الآن الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا[1]، لذلك حين الموت يرون حقائق الأمور وأن المسيِّر لهذا الكون الله وحده، ويوم القيامة الذين أشركوا بهم يقولون لهم قد كنتم كاذبين خبثاء اتبعتمونا لما في نفوسكم من شهوات تريدون تحقيقها عن طريقنا لذلك اتبعتمونا وما كان لنا عليكم من سلطان، إنك يا من تسمع كلام غير الله لن يفيدك شيئاً بل سيعود عليك، أخوك، أمك، صديقك، حبيبك سيكونون لك أعداء وينكرون اتباعك لهم.

7- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: وإذا شهد لهم محمد ﷺ عن بداية خلقهم والمربي لهم ومُسيِّرهم. ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ﴾: حين يظهر الحق للكافر يحتال بقوله هذا سحر، كل هذا الذي تقوله سحر، أنت مسحور. ﴿مُبِينٌ﴾: كلام الأوائل خرافات، نحن خلقنا لنأكل ونتمتَّع في هذه الدنيا، نساء، سينما، قهوة، شم هوى، "بسط، كيْف".

فائدة:

لعلَّ سائلاً يسأل: كيف يشهد رسول الله ﷺ للخلق عن بداية خلقهم؟

وفي الجواب نقول:

رسول الله ﷺ بعدم انقطاعه عن ربه لم يغب عنه شيء من أسرار الخلق، وهو ﷺ لا يتكلَّم إلا بوحي من الله وعن شهود بنوره، فكلُّ ما يتلوه من بيان وقرآن إنما هو مشهودٌ له بنور ربه. والله سبحانه جعل رسوله الكريم سراجاً منيراً لأنفسنا وأسند له هذه الوظيفة، ولو أن هؤلاء المعرضين فكَّروا

---

[1] الآن الناس نيام إذا ماتوا زالت من أنفسهم الشهوات فانتبهوا لما غفلوا عنه في دنياهم، غفلوا عن الله، ما سعوا للوصول إليه سبحانه وتعالى بالإيمان.

بكلامه والتفتوا له ولبيانه بالتعظيم والتقدير لآمنوا، وهنالك يشهدهم ﷺ بنوره بداية خلقهم، أي: كيف خلقهم الله في الأزل نفوساً، وكيف قبلوا حملَ الأمانة حين عرضها الله تعالى عليهم، وعاهدوه على الإيمان وعدم الانقطاع عنه سبحانه إن أرسلهم للدنيا.

8- ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ**﴾: يتكلَّم بأشياء لم نسمعها من قبل، العلماء كلهم يقولون خلاف ذلك. ولقد قالوا ما قالوا لأنه ﷺ خالف كفرهم وضلالهم فاتهموه بالافتراء على الله، لكن هل كتبهم وتفاسيرهم وعلماؤهم على صواب؟! لينظروا في أقوالهم ويفكروا إن لو كانوا على حقٍّ هم وكلامهم ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من انحطاط وذل وهوان. ﴿**قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**﴾: الله سبحانه أمر رسوله بأن يردَّ عليهم: إني أخاف الله فهل تملكون أن تمنعوا عني عذاب الله، إنه سميع عليم لقولي وحالي ولا تملكون عني شيئاً غداً يوم الله إن افتريته ولكنّي أدعوكم لترك الدنيا الدنية التي تعود عليكم بالشقاء والتعاسة. فكِّر ثم كذِّب. ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾: تتحدثون فيه، لكن قولك وعملك معلوم عند الله، الملائكة على كتفيك تكتب كل كلمة وعمل تقوم به. ﴿**كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾: أنتم تدعون للنار وأنا أدعوكم إلى الجنان. ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾: أدعوكم إلى الله لتشفى نفوسكم من الدنيا وتدخلوا الجنة في الآخرة وتعيشوا سعداء في الدنيا. خُلقت لهذا، هذا مراد رب العالمين لك أيها الإنسان.

9- ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ**﴾: قد أتى قبلي كثير من الرسل دَلُّوا هذه الدلالة، دَلُّوا على لا إلَه إلا الله. ﴿**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي**﴾: ماذا سيصيبني في هذه الحياة الدنيا والآخرة. ﴿**وَلَا بِكُمْ**﴾: المسألة في الصدق. ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ**﴾ : ولكني أستقيم على أمر الله، وإنما بياني هو من الله. ﴿**وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ**﴾: للكافر المعرض، وأنذر الناس بما سيحيق بهم إن ما آمنوا بالله. ﴿**مُبِينٌ**﴾: أُبيِّن للمؤمن طريق إيمانه وسعادته وطريق دخول الجنة.

10- ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾: غداً سترون أن هذا البيان أتاكم من الله مباشرة. ﴿**وَكَفَرْتُمْ بِهِ**﴾: نكرتم ذلك، أنكرتم ما أنزل إليكم ربكم من الهدى. ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ**﴾: أتى من بعدي، عيسى عليه السلام فرع من الأصل، يشهد بهذا الكتاب وهذا البيان حين يأتي ويبلغه للناس ثانية. ﴿**فَآمَنَ**﴾: فآمن من آمن، وشهد لأهل زمانه هذا البيان وآمن معه أهل زمانه وأنتم لم تؤمنوا؛ ما سيكون حالكم عندها وما هو مصيركم! ﴿**وَاسْتَكْبَرْتُمْ**﴾: واستكبرتم الآن ولم تفكّروا بأصلكم ومصيركم. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: الله يطلب شفاءك، وأنت تتحوَّل عنه! كم أنت تحرم نفسك من خيرات أعدّها الله لك! فمن ظلم نفسه لا يهتدي حتى يخرج الخبث والظلم من نفسه.

سورة الأحقاف: [11-20]

11- ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ**﴾: أي أن عيسى عليه السلام لو كان فيه خيرٌ لما سبقونا بالإيمان به؟! ولكن اليهود لم تؤمن به وكذَّبوه. ﴿**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**﴾[2].

---

[2] {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا..}: المعرض أعمى لا يرى إلا الصور، المؤمن يرى بقلبه حقائق الأمور، بالنور الذي معه يرى الخير ويطلبه ويرى الشر فيتجنَّبه، عكس المعرض حيث لا إيمان له ولا نور، يرى الدنيا وشهواتها فيقع فيها لأنه لا يرى ما فيها من هلاك وشقاء عليه. {..لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ..}: هذا الطريق، ها هم "المؤمنون" فقراء نحن لدينا شهادات ندخل بها "المرحاض (بيت الخلاء)" بلا ماء، (لهذا أوصلتهم علومهم، ولقد أوصلتهم أيضاً للفجور والإجرام والتعدي والفواحش والخمور واللواط، ويظنون أن هذا تقدمٌ وحضارةٌ وثقافةٌ). {...وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}: وإذا لم يسلك طريق الحق ليعلم كلام الله فسيقول هذا كلام الأوائل، لأنه أعمى "يقول هذا القول"، من

وخلاصة القول: إن رسول الله ﷺ دعا الكفار للإيمان بالقرآن وحذَّرهم من ذلك اليوم الذي سيأتي فيه عيسى عليه السلام ويتلو هذا الكتاب ثانية ويؤمن به الناس، فماذا يكون حالكم معشر الكفار إن كفرتم الآن وآمن به قوم بعدكم، فكم ستكون خسارتكم يوم القيامة. فأجابوا بأن اليهود قد كفروا بعيسى عليه السلام ولو وجدوا فيه خيراً لآمنوا به فما هذا الاعتداد به وبمجيئه؟ فأجابهم عليه الصلاة والسلام بأنَّ احتجاجهم باطل إذ آمن اليهود قبله بموسى عليه السلام فلِمَ آمنوا هذا الإيمان؟

12- ﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ**﴾**:** من قبل القرآن. ﴿**كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً**﴾**:** قد آمن به بنو إسرائيل، آمنوا بالتوراة. ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ**﴾**:** ثم جاء القرآن بعده. ﴿**لِسَانًا عَرَبِيًّا**﴾**:** بيّناً ظاهر المعاني والحقائق واسع البيان، هذه الآية تدل على أن الكتب السماوية اثنان التوراة والقرآن وما بينهما "الإنجيل والزبور" تأويل وتصحيح، التوراة كتاب الله ظل محفوظاً إلى عصر رسول الله ﷺ بدليل الآية: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيهِمْ مِّنْ رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾[3]. إلا أن التحريف أُدخل على التوراة بالتفاسير التي فسَّرها علماؤهم من بعد انتقال سيدنا موسى وهارون عليهما السلام، لذلك أرسل الله سيدنا داوود بالزبور وبيَّن عليه السلام ما حدث بين الفترتين بين التوراة والزبور. وكذلك بالنسبة للإنجيل: بيَّن به تعالى الانحراف الذي ألصق على التوراة بالتفاسير الخاطئة "التلمود" وكشفه على حقيقته حيث أوّله سيدنا عيسى عليه السلام على حقيقته بأقواله وأعماله، فالإنجيل شرح للتوراة. ﴿**لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾**:** أنفسهم بعدم سيرهم بالحق. ﴿**وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ**﴾**:** حيث بعمل الإحسان يبيض وجه الإنسان ويقبل على الله وبالإقبال الجنة.

13- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾**:** هؤلاء آمنوا، عرفوا أن المربي هو الله. ﴿**ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾**:** فعلوا الخير وانتهوا تماماً عن المنكر. ﴿**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾**:** لأنهم آمنوا، إن آمن الإنسان بربه يصبح له نورٌ من الله يرى به الحقائق فلا يفعل سوءاً، وبعدم فعله السوء لا يصيبه مكروه فلا يخاف. ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾**:** على الدنيا وفراقها، حيث نال من ربه السعادة والجنة فلا يحزن عليها بعد الموت.

14- ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾**:** يتنعمون بلذائذ الإيمان. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾**:** يخلدون لهذه الجنة في نفوسهم من إقبالهم على الله. ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾**:** من الصالحات.

15- ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ**﴾**:** هو سيدنا سليمان عليه السلام. ﴿**بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا**﴾**:** كما أحسنوا إليه. ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا**﴾**:** أمه حملت به ولم تكن تريد الأولاد، حملت به عليه السلام رغماً عنها. ﴿**وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا**﴾**:** ولد في الشهر السابع أي مدة الحمل ستة أشهر. ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾**:** كان حمله ستة أشهر، وسنتان رضاعة فصارت المدة ثلاثين شهراً. ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي**﴾**:** مدَّني بفضلك. ﴿**أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**﴾**:** بأن جعلتني باباً لك في هداية الخلق إليك. ﴿**وَعَلَى وَالِدَيَّ**﴾**:** أبوه وأمه حيث كانت أمه مؤمنة مرشدة للنساء. ﴿**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**﴾**:** هذا هو الشكر أن يعمل الإنسان، لا مجرد قول بلا عمل وتضحيات. ﴿**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾**:** راجع بكل أموري إليك يا رب. ﴿**وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾**:** لأوامرك يا رب.

لقد جعل الله تعالى ترتيباً عاماً للأنبياء الكرام صلوات الله عليهم أجمعين واقتضت حكمته العالية بأنه لا يأمرهم ولا يوحي إليهم بتبليغ الناس كلامه وشرعه قبل سن الأربعين وحكمته تعالى في هذا

عشرين سنة (هذا التأويل تُلي بالخمسينات من القرن الماضي، فكلمة: "من عشرين سنة"، أي: في ثلاثينات القرن الماضي.) كانت النصارى واليهود متحجّبين فلِمَ أنت ترجع إلى الأوائل؟ نحن رجعنا إلى الحق، هذا معنى رجعي.

[3] سورة المائدة – الآية:66.

الترتيب أنه أتاح لهم خلال الأربعين سنة الأولى من عمرهم الشريف بأن يحتكوا بكل شرائح المجتمع ويتعرفوا على طبائع الناس جميعاً ويخبَروا كل أصناف الناس، ثم وبعد الأربعين يكون قد تحقّق لهم النضوج هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الله تعالى خلال هذه السنوات من عمرهم الشريف يعطيهم حقهم فيفسح المجال أمامهم لتقديم الأعمال العظمى، والتي هي كلها شرحٌ عمليٌّ للقرآن ولتكون هذه الأعمال قرآناً يتلى على مر الأزمان. وما أن تنقضي هذه الأعوام الأربعين من عمرهم الشريف والتي تترجم الحق الذي بنفوسهم والكمال العالي الذي اكتسبوه من ربهم بعدم انقطاعهم عنه طرفة عين حتى تتحول أعمالهم هذه إلى دلالة الخلق على الله والإيمان به سبحانه وتبليغ كلامه تعالى وشرعه.

16- ﴿**أُولَئِكَ**﴾: الرسل. ﴿**الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ**﴾: عن طريقهم. ﴿**أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا**﴾: حيث بمعيَّتهم يكسب أهل الجنة أعمالهم الطيّبة، وبهم صلوات الله عليهم يرتقي المؤمنون في درجات القرب من الله تعالى وينالون أعمالاً كبرى ويدخلون الجنة. ﴿**وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ**﴾: ما عمل أصحابهم من معاصٍ في الماضي قبل إيمانهم. ﴿**فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ**﴾: هؤلاء يدخلون الجنة في الدنيا قبل الآخرة. ﴿**وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾: على لسان رسلهم.

17- ﴿**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ**﴾: هو الغلام المذكور في سورة الكهف والذي قتله الخضر عليه السلام . ولكن لِمَ قتله؟ لقد غيّر هذا الغلام ما عاهد الله عليه بميثاقه معه في عالم الأزل، وظهر بنكوثه أنه سيكون كافراً ولا جدوى له مهما عاش[4]، بل وليس هناك ثمّة أمل يُرتجى في إيمانه ودخول الجنة، لذلك جعل الله عمره قصيراً فأمر سيدنا الخضر عليه السلام بقتله. هذا القتل في حقيقته رحمة بهذا الغلام، حيث أنه إن عاش وبلغ سن التكليف فلابدّ وأن يعمل السيئات، وبعمله يدخل النار خالداً فيها أبداً، لذلك رحمةً به أمر الله بقتله لينجو، وبهذا القتل دخل في النعيم. ﴿**أُفٍّ لَكُمَا**﴾: أمه وأبوه من أهل الصلاح والإيمان، هذا الولد صار يتأفّف من سيرهما بالإيمان. ﴿**أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ**﴾: أبعث يوم القيامة ﴿**وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي**﴾: ماتوا وأصبحوا تراباً ولن يعودوا. ﴿**وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾: يطلبان العون من الله لهداية ابنهما ويدلانه على طريق الإيمان ويحذرانه من يوم القيامة وما فيه من أهوال، وأما هو فينكر. ﴿**فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾: كل هذا خرافات.

18- ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ**﴾: من العذاب، هؤلاء امتلأ قلبهم بالخبث والشهوات، والله تعالى يُخرج من نفوسهم ما أصرّوا وصمَّموا عليه، وإن لم يرجعوا فلهم العذاب ومأواهم النار جزاءً لهم وعلاجاً ودواءً لعللهم وأمراضهم. ﴿**فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ : مصيرهم كمصير الأمم التي جاءت للدنيا ولم تؤمن، ثم ذهبت إلى ربها بلا إيمان ولا أعمال صالحة. ﴿**مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**﴾: خسروا ما أعد الله لهم من فضل وجنات.

---

[4] هذا الغلام من الولدان المخلدون والذين هم فئة من النفوس قبلت بحمل الأمانة وغامرت هذه المغامرة العظيمة حيث أحجمت السماوات والأرض والجبال ومن فيهن. فقبل تعالى ذلك منها. لكنه نظر لهم بعين رحمته وحنانه فوجد أنه ليس لديهم إمكانية لأداء الأمانة والوفاء بالعهد، بل على العكس سوف يفسدون ويفسقون وبالتالي مصيرهم إلى النار فرحمهم تعالى وأماتهم دون سن التكليف وجزاهم على قبولهم حمل الأمانة مع عجزهم بنعيم عالٍ لا رقي بعده وجعل لهم وظيفة ينعمون من خلالها وهي خدمة أهل الجنة {يطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ} سورة الواقعة - الآية:17. ومثال على ذلك لو أن أباً عرض على أبنائه حملاً ثقيلاً فتصدى الأبناء جميعهم لهذا الحمل ومن جملة الأبناء كان هناك ابن مريض، نظر الأب إليه فرآه لا يستطيع ولا يقدر على ذلك الحمل فلا يكلفه فيه لعلمه المسبق بعدم إمكانيته وعدم مقدرته بسبب مرضه ولكن يكافئه على قبوله وعدم تراجعه.

19- ﴿**وَلِكُلٍّ**﴾: من أهل الجنة وأهل النار. ﴿**دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا**﴾: كل واحد منهم على حسب عمله لا جزافاً. ﴿**وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**﴾: الكلُّ سينال حقَّه واستحقاقه. ﴿**وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾: كل إنسان وعمله عائد عليه، **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}**[5]. وحاشا لله أن يظلم أحداً.

20- ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ**﴾: الله سبحانه وتعالى لا يجبر أحداً من هؤلاء الكفار على دخول النار، إنما يعرضها عليهم عرضاً وهم الذين يدخلونها، فأعمالهم وذلّهم وحقارتهم تمهد لهم دخول النار. ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا**﴾: بكفركم وإعراضكم أذهبتم عنكم السعادة والجنة، فما آمنتم وما عملتم صالحاً لتقبلوا على الله وتطيب نفوسكم فتدخلوا الجنة. ﴿**وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا**﴾: هذا هو السبب، فلقد استمتعوا بالدنيا وشهواتها، فضلُّوا وحرموا أنفسهم ما أعدَّ الله لهم من جنات وسعادة أبدية. ﴿**فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**﴾: دناءتهم وحالهم وخزيهم جرَّ لهم عذاباً منحطاً، وهذا العذاب يسوءهم ويذلّهم أمام الخلائق يوم القيامة. ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾: عن طاعة الله، ما نظرتم بالكون وما فكرتم به فما آمنتم، لذلك ما عرفتم رحمة الله وحنانه عليكم. ﴿**فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾: بميلهم للدنيا وشهواتها خرجوا عن طريق الحق والإنسانية، ظلم وتعدٍّ، خمر وفواحش.

سورة الأحقاف: [21-30]

21- ﴿**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ**﴾: وهو سيدنا هود عليه السلام الذي سعى لهداية قومه والأخذ بيدهم من الشقاء والآلام إلى النعيم والسعادة والجنات.

كانت هداية قومه دعوةً مُلحَّة في نفسه، لذا سُمِّي هوداً من الهداية، وكان يحب لهم الهداية والجنات الأبدية أما هم فكانوا يحبون قتله وموته، جاء ليرفعهم دنيا وآخرة ويدخلهم الجنات الأبدية ويُذهب عنهم الأمراض والعلل، فهو من جانبه آخاهم وسعى لإنقاذهم فما كان من طرفهم إلا العداء والمكابرة بأن ناجزوه مناجزة فتحداهم وكسر رؤوسهم، إذ ذلّوا تجاه هذا الجبل البشري النبوي الشاهق السامي ولم يستطيعوا أن يقابلوه بالمحسوس الملموس أبداً، لم يقبلوا أن يسيروا مع رسولهم الذي آخاهم ليدخلهم جنات ربهم بل عادوه وناجزوه واعتزوا بملكهم وحضارتهم **{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}**[6]. ذلك لأنهم لم يؤمنوا فما شاهدوا أن الله خالقهم وفوقهم وبيده زلزالهم وتسليط العواصف عليهم، وبيده الريح الصرصر العاتية تنسفهم نسفاً فلا تبقي لهم أثراً.

﴿**إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ**﴾: بالبلاء، والأحقاف جمع مفرده حقف، وعلى حسب القاعدة اللغوية الشهيرة لابن جني "أن أصل الكلمة في اللغة من حرفين وما زاد في المبنى زاد في المعنى" وكلمة (حقف) مأخوذة: من حقَّ، وحفَّ.

فالذي قدَّموه من أعمالٍ استحقوا عليها البلاءات والشدائد والأمراض، فما جاءهم من شيء وحفَّهم من عذاب إلا بالحق والاستحقاق: **{فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}**[7]. أعمالهم رجعت عليهم بالتمام، فهذه الشرور التي بنفوسهم عندما ترجموها لأعمالٍ منافية للإنسانية وخرجت لحيز العمل، انعكست عليهم وجاءت البلاءات وحفَّتهم وحاقت بهم، وما هذه البلاءات إلا ليرجعوا عن غيهم وينهجوا طريق الإنسانية التي رسمها الله لهم ليغدوا مؤمنين وينالوا جنات ربهم.

---

[5] سورة الزلزلة – الآية:7–8.
[6] سورة فصلت – الآية:15.
[7] سورة النحل – الآية:34.

﴿**وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ**﴾: كل هذه البلاءات والمصائب التي حلَّت بساحتهم ما هي إلا إنذارات لهم تنذرهم مغبة أعمالهم والآن استحقوا الهلاك بسبب أعمالهم، وكان عليه السلام يحدّثهم ويُخبرهم عمّا سيقع لهم بسبب انحرافهم وكل ما تنبّأ لهم وقع عليهم، فكلامه عليه السلام وحيٌ من الله.

﴿**وَمِنْ خَلْفِهِ**﴾: عالجهم الله قبل مجيئه عليه الصلاة والسلام، كل الصالحين تحدثوا عن هذا البلاء المريع القادم إليهم وأنذروهم منه لعلهم يرجعون فيؤمنون ليرتفع عنهم البلاء، إلا أنهم أصرُّوا على كفرهم وعنادهم، فكانت تأتيهم الشدائد ثم جاءتهم ريحٌ صرصر عاتية انتهت بالهلاك النهائي.

﴿**أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ**﴾: كل الصالحين والأنبياء والمرسلين قالوا لهم لا تسمعوا غير كلام الله في الصحف التي لديكم على لسان رسلكم ولا تتبعوا السبل المُضلَّة عنه تعالى، فالعبادة مبنيَّة على سماع كلام الله والعمل به.

﴿**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾: لا يأتي العذاب والبلاء الشامل العام النهائي فجأة، إنما تسبقه شدائد مستمرة ومصائب متوالية لعلّهم يتوبون وإلى الله يؤوبون لكي يرتفع عنهم البلاء العام الذي لا يُبقي لهم باقية. فالله لا يريد هلاكهم إنما يريد سعادتهم، وما هذه البلاءات إلا رحمة في حقهم تنبههم لعلهم يرجعون عن طريق الطغيان إلى سبل السلام إلى هذه الدلالة الإنسانية السامية.

22- ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آَلِهَتِنَا**﴾: لتحولنا عما سار عليه آباؤنا وأجدادنا العظماء وما ورثناه عنهم من علوم، وتريد أن تغيّر لنا حياتنا وتحوّلنا عما نحن عليه من حضارة وعلوم وفنون وملاءٍ فيها "البسط والكيف". ﴿**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا**﴾: من العذاب والهلاك. ﴿**إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾: كذَّبوا برسولهم وما عبأوا بما حذرهم به، قالوا له: كل كلامك لا أصل له، هذه الحضارة نِعَمٌ من الله أنعمها علينا.

23- ﴿**قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ** ﴾: إنَّ وقتها صار قريباً جداً، لأنكم كذَّبتم كلامه سبحانه. ﴿**وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ**﴾: أنا أُخْبركم بالذي يخبرني الله به. ﴿**وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ**﴾: لأنكم ما آمنتم بالله ما صار لكم نورٌ منه سبحانه لتروا الحقائق، تجهلون ما سيصيبكم من هلاك نتيجة أعمالكم وفسقكم وتكذيبكم لدلالة الله.

24- ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ**﴾: الريح ساقت سحباً. ﴿**قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**﴾: ظنوا البلاء مطراً سوف ينزل عليهم بالخيرات. ﴿**بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ**﴾: البلاء الذي طلبتموه. ﴿**رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: هلاك لكم.

25- ﴿**تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾: دمرت حضارتهم ولم تُبقِ منها شيئاً. ﴿**فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ**﴾: ترك الله سبحانه وتعالى بعضها للعبرة. ﴿**كَذَلِكَ**﴾: هذا قانون. ﴿**نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**﴾: أمثالهم، المجرمون هذا جزاؤهم ومصيرهم، الذي لا يفكر حتى يؤمن هذا لا خير فيه أبداً، الخير من الله، هؤلاء ما فكروا فما أقبلوا على الله تعالى فلم يشتقوا وينالوا خيراً منه سبحانه ليعملوا صالحاً، إن لم يؤمن الإنسان بلا إلّه إلا الله لن ينال الإقبال ولا الكمال، هذا مجرم بحق نفسه وحق المجتمع، كذلك أهل هذا الزمان فسدوا وأفسدوا غيرهم بالبناء والملاهي والمعاصي والفجور، بنوا حضارةً لهم ظانين الخلود بهذه الدنيا، واستكبروا على الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، لا يريدون سماع الحق ولا الإيمان، وإن لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله فلهم مثل ما أصاب قوم عاد.

26- ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ**﴾: قوم عاد كانوا سادة العالم بما لديهم من علوم ومعارف دنيوية أقاموا بها حضارتهم. ﴿**فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ**﴾: أيها العرب، أي مكنّاهم لقوم عاد في الشيء الذي ما مكنّاكم فيه. الخطاب للعرب تأنيباً لهم حيث ما كان لهم قوة ولا شأن في العالم تماماً كما هو الحال الآن، والله

بهذه الآية يخاطبنا قائلاً: هؤلاء قوم عاد أعطيناهم الدنيا وكانوا مستبصرين فيها بما لديهم من علوم، بعلومهم بنوا حضارتهم وصاروا أقوياء، اعتزُّوا واستكبروا بها على رسولهم فما أطاعوه، أنتم ليس عندكم شيء فلِمَ تقاومون رسولكم وتقفون ضدَّ الحقّ؟ ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً**﴾: تقدموا بالعلوم الدنيوية كدول الغرب بهذا الزمان. ﴿**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾: حين استحقوا الهلاك، لم تحمهم علومهم وحضارتهم وقوتهم، ما منعت عنهم الهلاك، كذلك الآن كل علومهم وقوتهم لا تستطيع أن تمنع عنهم الزلازل والأعاصير والأمراض والبلاءات التي تصيبهم كل يوم. ﴿**إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ**﴾: شاهدوا الآيات لكن ما فكروا بها لينتقلوا إلى الأصل، فرغم إقرارهم بها ما آمنوا ليصلوا إلى الإلٰه. ﴿**وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: أحاط بهم عملهم، نزل العذاب بهم بالحق. أنتم احذروا أن تفعلوا فعلهم.

27- ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى**﴾: بيان لقريش، وكذلك للعرب بعد أن تقوم الساعة، الآن أهلكنا ما حولكم ممن كنتم تعتزون وتتفاخرون بهم، وتظنون أن لهم حولاً وقوة فاتبعتموهم رغم إجرامهم وسيرهم المنحط. ﴿**وَصَرَّفْنَا الْآَيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾: الهلاك لمن في القرى ولكن بقايا البيوت دليل لمن أراد أن يتذكر، حيث أن هذا الهلاك يكون عبرة للإنسان ليعتبر بغيره فيتوب ويؤمن بربه ويرجع إلى الحق.

28- ﴿**فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ**﴾: فهل يستطيعون نصرهم. ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آَلِهَةً**﴾: من اتخذوهم قرباناً، كذلك من اتخذوا القرابين والآلهة شركاً يتصيدون بها هؤلاء. ﴿**بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ**﴾: كذبهم. ﴿**وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾: ببعدهم عن الله أشركوا به سبحانه ونسبوا الفعل لغيره.

29- ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ**﴾: بيد الله تسيير الإنسان والجن، هؤلاء الجن جاؤوا مجلس رسول الله ﷺ مسالمين بعد أن نفرت نفوسهم من الدنيا وأهلها وما فيها من مكر وإجرام وخيانة، لذلك طلبوا الحق والحقيقة، والله تعالى جمعهم برسوله ﷺ ليهتدوا. ﴿**يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآَنَ**﴾: سمعوا دلالة رسول الله ﷺ عن الله. ﴿**فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا**﴾: الإنصات هو السماع النفسي، الأذن تسمع الأصوات المادية وأما النفس فتسمع وترى حقيقة كلام الله السامية بنور رسوله وبمعيته عليه الصلاة والسلام، وهذا متاح لكل من آمن الإيمان الحقيقي، وهؤلاء النفر من الجن آمنوا. ﴿**فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾: يمكن للمرء أن يبدأ بالإنذار قبل التفسير والبيان والأحكام، هؤلاء آمنوا وذهبوا إلى قومهم من الجن ينذرونهم وينصحونهم ويدلونهم على الإيمان.

30- ﴿**قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا**﴾: القرآن، وهو جامع الكتب السماوية كلها. ﴿**أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى**﴾: رجعوا للأصل للتوراة ولم يذكروا الزبور والإنجيل، لأنهما شرح وتفصيل للتوراة. الإنجيل شرح وبيان لمعاني التوراة وهو كتاب دلالة على الله والإيمان به وليس كتاب تشريع، الصحابة الكرام بلغوا التقوى في مكة وما نزل التشريع عليهم إلى أن انتقلوا للمدينة المنوّرة حيث تقلَّد رسول الله ﷺ مهامّ الحكم إضافةً للدعوة إلى الله ودلالة الخلق على الإيمان، لذلك وبعد أن أصبح ﷺ الحاكم كان لابد من تطبيق الأحكام على الناس فأنزل الله تعالى أحكامه وتشريعه في المدينة المنوَّرة. أما بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام لم يصبح الملك العالمي ولم يؤمن أهل زمانه بالله، لذلك فالإنجيل لا يحتوي على الأحكام والتشريع. ولقد اعتمد النصارى على العهد القديم أي التوراة. كذلك الزبور فهناك أشياء ما عرفوها في التوراة حتى جاء سيدنا داوود عليه السلام وبيَّنها، ومعنى الزبور هو: البيان القاطع الذي لا يُرد ففيه براهين لدحض ما أُلصق بالتوراة من تفاسير باطلة. ﴿**مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾: على كلام موسى عليه السلام . ﴿**يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ**﴾: الهداية للحق. ﴿**وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: وإلى طريق الحق، أي: كيفية الوصول إلى الحق.

سورة الأحقاف: [31-35]

31- ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾: أجيبوا رسول الله بالطاعة والإيمان، بإيمانهم عرفوا أن كلامه ﷺ من الله سبحانه وتعالى وأنه رسول الله. ﴿وَآَمِنُوا بِهِ﴾: آمِنُوا بالله لتعرفوا أنه رسولٌ من الله. ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: يشفي لكم نفوسكم مما علق بها من الذنوب. ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: في الدنيا والآخرة.

32- ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾: الإجابة بأن تؤمنوا بلا إلّه إلا الله إيماناً شهودياً، إن آمن الإنسان بربِّه وشاهد لا إلّه إلا الله، فقد أجاب داعي الله. ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾: لن يعجز الله. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: هرباً، سوف يموت ويرجع إليه سبحانه وتعالى. ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: عن السعادة.

33- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾: لو فكروا بهذا لعلموا أن الله الذي خلق السماوات والأرض بهذا الكمال وهذا النظام قادر على أن يحييهم بعد موتهم، ولا يصعب عليه إعادتهم مرة ثانية، كما لم يصعب عليه خلق هذا الكون العظيم، لو فكروا ما أنكروا البعث بل لخافوا واستدلوا على لا إلّه إلا الله. ﴿بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فكما خلق الله السماوات والأرض وكل ما في هذا الكون وأمدَّه ويمدُّه بالقوة والحياة، كذلك أنت أيها الإنسان فهو تعالى قادر من بعد أن تصبح تراباً أن يخلقك مرة ثانية ويمدَّك بالحياة والحركة.

34- ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: العرض كافٍ لأن يلتهب هذا الكافر لما في نفسه من الآثام. ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾: أليس هذا العذاب وهذه النار بالعلاج المناسب لكم ولآلامكم وأمراضكم؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾: بلى لا يناسبنا إلا هذا. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بالدنيا كفرتم بالإحسان والمعروف، ما نظرتم ولا فكرتم بنعم الله تعالى عليكم، التفتُّم للمخلوق وأعرضتم عن خالقكم.

35- ﴿فَاصْبِرْ﴾: على قومك، لابد أن يرفع الله شأنك ويهتدي قومك. ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾: كل الرسل الوارد ذكرهم بالقرآن الكريم، والعزم من العزيمة والإرادة على الفعل والعمل وهم صلوات الله عليهم أجمعين بسبب إيمانهم العالي ورحمتهم بالخلق لا تفتر عزائمهم عن هداية الناس مهما تكن الظروف، دائماً يعملون من أجل هدايتهم قال تعالى: **{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}**[8] فالإنسان تفتر عزيمته عندما يخطئ. وهم صلوات الله عليهم معصومون عن الخطأ والزلل ولا شائبة فيهم يمكن أن تؤدي بهم للفتور. ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾: لا تستعجل لهم الإيمان فالإيمان سعي ذاتي ينبثق في النفس نتيجة الصدق في طلب الحق والحقيقة، وأما هؤلاء الذين معك إذا هم ما طلبوا الإيمان فلا فائدة ترتجى منهم. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب يوم القيامة. ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾: الدنيا مؤقتة، كل الدنيا كأنها ساعة. ﴿بَلَاغٌ﴾: أنت بلِّغ ذلك للناس عامة. ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن طريق الحق والإنسانية.

والحمد لله رب العالمين.

[8] سورة الأنبياء – الآية:20.

تأويل سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة محمد: [01-10]

1- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: نكروا نعمة الله، أنعم الله عليهم برسوله ﷺ وأنزل عليه القرآن، فأنكروه وأنكروا دلالته وبيانه، أنكروا رسالته، ذلك لأنهم ما فكروا، لو فكروا وقارنوا بين كلامه ﷺ وكلام السابقين لآمنوا. ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: وصدوا غيرهم عن سبيل الله، لم يكتفوا بكفرهم وإنكارهم بل تكلَّموا عنه ﷺ بالسوء ليمنعوا غيرهم عن الإيمان وليُوقعوا الناس بالكفر والرذيلة، فالكافر يحب أن يصبح الكل مثله بالكفر والضلال. ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: هذا الشيء سبَّب لهم الابتعاد عن عمل الصالحات. الصلاة الحقيقية بمعيَّته عليه الصلاة والسلام، ولا يكتسب الكمال إلا بهذه الصلاة، أما هؤلاء فما آمنوا وما صار لأنفسهم صلاة فلم يكسبوا كمالاً من الله ليفيضوا به فوقعوا بحب الدنيا وسعوا لها واقترفوا المعاصي والإجرام، وعملوا ليُوقعوا غيرهم بحبها وليُبعدوهم عن رسول الله ﷺ.

2- ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾: بلا إلّه إلا الله، سمعوا من رسول الله ﷺ عن الإيمان فآمنوا. كيف آمنوا؟ أولاً فكَّروا بالموت فخافت نفوسهم والتجأت للفكر، بعدها نظروا بالكون وفكَّروا به فعرفوا أن لهذا الكون خالقاً ومربياً ومسيِّراً وأنه لابدّ من السؤال والحساب، عندها خافوا فاستقاموا على أمره سبحانه ولم يقعوا بمعصيةٍ، بعدها آمنوا وصار لهم نورٌ من الله.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: بعد إيمانهم هذا عرفوا أن العمل الصالح هو الذي يقرِّبهم من حضرة الله ويُدخلهم الجنَّة، فصاروا يعملون الصالحات. ﴿وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾: بالنور الذي معهم شاهدوا أن كلامه ﷺ مُنزَّلٌ عليه من ربه فآمنوا به. ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: يوصل للخير والسعادة والإنسانية، يوصل للحق سبحانه فسلكوا به.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: إذا مات الإنسان ثم حيي ثانية لم يعد لما جرى على يده من عمل سيِّئ أثر، ذلك لأن النفس طهرت من الدنيا بالله. أما إن لم تطهر فالموت لا يُنقِّيها.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: لا يعكر صفوهم شيء، بإيمانهم بالله في الدنيا وإقبال نفوسهم على الله طهرت مما بها من علل وأدران وزال عنهم كل شيء من أعمالهم السيئة التي عملوها بالماضي فلا يتذكرون منها شيئاً، كذلك أجسادهم تخرج من القبور طاهرة نقية، وبهذا لا شيء يُخجلهم من ربهم في الآخرة. ذلك الإيمان العالي اسعَ في الوصول إليه أيها الإنسان.

3- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: سبب كفرهم أنهم ما فكروا بالموت ولا بالكون، ولأنهم ما فكروا. ﴿اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾: اتبعوا الدنيا وشهواتها، تركوا الله والإيمان به واتبعوا بعضهم بعضاً ظناً منهم أن للمخلوق حولاً وقوة، فساروا على كلام من لا فضل له عليهم، وتركوا كلام الخالق الرزاق المتفضل عليهم. ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: سعوا للآخرة، واتبعوا ما أنزل الله على رسوله من قرآن.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾: يضرب لهم الأمثال ليفكروا ويقارنوا، انظر أيها الإنسان وفكِّر بحال وأعمال الفريقين: الذين ساروا بالباطل والذين ساروا بالحق مع رسول الله ﷺ.

4- ﴿فَإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالحرب. ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾: موته خيرٌ له من بقائه حيّاً معرضاً عن ربه، قتله سيوقف عنه شروراً كثيرةً، وبهذا تخفيف له من عذابه وناره في الآخرة. ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾: قويت شوكة الإسلام بعد أن كسروا شوكة الكفر، وصارت لهم الكلمة والقوة. ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾: إن أثخنتموهم يحق لكم أخذ الأسرى منهم، قبل الإثخان لا يحق للمسلمين أخذ الأسرى من عدوهم[1]، وقد جعل تعالى هذا القانون لحكمةٍ عاليةٍ، فعندما تكون دولة هذا الأسير أقوى من دولة المسلمين فهو لن ينظر لهم بعين التقدير، بل على العكس تماماً، إذ سينظر للمسلمين نظرة سيّئة ويرى فيهم من صفات الغدر بأسرهم له ما يجعله ينفر منهم ومن دين الإسلام، وبتلك النظرة لن يبقى له طريق للإيمان والنجاة. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فهذا الأسير وهذه الأسيرة "السبيَّة" قد يُؤثِّرون بضعاف النفوس من المسلمين حيث تميل نفوس الضعفاء من المؤمنين لهم بالتقدير والإعجاب لما لقوم هؤلاء الأسرى من قوة وحضارة، فيتشربون منهم الكفر والضلال. لهذا كله لا يحق للمسلمين أخذ الأسرى حتى يثخنوا في الأرض. ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾: وهذا حنان من الله تعالى ورحمة بالمشركين والكافرين علّهم يؤمنون. ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: تنتهي. ﴿ذَلِكَ﴾: هذا الشيء من قتال المشركين وقتلهم أو فدائهم رحمة من الله بهم، وهذه هي الغاية السامية من القتال والجهاد، فالمؤمنون نالوا من الله سبحانه رحمة وحناناً وانعكس هذا على خلق الله، إذ بالنور الذي معهم شاهدوا ما يعود على المشركين من شقاء في الدنيا، ونار وعذاب في الآخرة لذلك رحمة بهم يجاهدونهم بالقتال ليعودوا إلى الحق والسعادة وليدخلوا الجنَّة في الآخرة، لذلك خاطبهم تعالى عن طريق نبيّه الكريم ﷺ بسورة الأنفال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[2]. ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: كل الأمور بيده سبحانه ولا فعل لغيره ولا نصر إلا به. ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾: خُلقنا للامتحان، حيث بهذه الحرب وهذا الجهاد يظهر كمال المؤمن وتظهر نواياه العالية ويكتسب عملاً صالحاً يدخل به الجنَّة، وأما بالنسبة للكافر فهذه الحرب والفدية إنما هي خدمة له ليعود للحق ويدخل الجنَّة غداً، هذه غاية المؤمنين من خروجهم للجهاد، لا لأجل دنيا من مال وحُكم ونساء، بل رحمةً بالمشركين ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، والله بيّن لهؤلاء المشركين هذه الحقيقة في سورة التوبة بقوله الكريم: {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[3]. ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: جاء داعي الجهاد فنهض هؤلاء للقتال ولـمَّا يصلوا للإيمان الشهودي بعد، إيمانهم كان فكرياً، سمعوا الحق وجاء داعي الجهاد فلبّوا الدعوة بسرعة، واستشهدوا في سبيل الله وهم على هذه الدرجة من الإيمان التصديقي. ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: الله سبحانه وتعالى تعهَّد هؤلاء الذين ضحَّوا بحياتهم في سبيله وفي سبيل نصرة الحق، استشهادهم وعملهم هذا سوف يتفرَّع عنه أعمالٌ كبرى وعظيمة، كالشجرة وما يتفرَّع عنها من أغصان وثمار تؤتي أُكلها كل حين، وهؤلاء هم شهداء غزوة بدر فعلى عملهم ذاك وتضحيتهم بأرواحهم تمَّ نشر الإسلام والقرآن، وكل عمل من أعمال الخير والصلاح تعمله البشرية جعله الله بصحائفهم، فالله لم يتركهم بل يجمع لهم نتائج تضحيتهم شيئاً بعد شيء، وغداً يريهم الله نتائج عملهم كاملة.

---

[1] قال تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} سورة الأنفال – الآية:67.

[2] سورة الأنفال – الآية:70.

[3] سورة التوبة – الآية:5.

5- ﴿**سَيَهْدِيهِمْ**﴾: لنور رسول الله، وبنوره ﷺ يشاهدون النور الإلَهي ويقبلون عليه سبحانه ويرون حقيقة تضحيتهم هذه وما جرَّته لهم من أعمال كثيرة وخيرات عظيمة جعلها الله بصحائفهم. ﴿**وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ**﴾: عندها تطمئن نفوسهم ويزول عنها ما يشغلها ويقلقها حيث علموا أنهم سيدخلون الجنَّة.

6- ﴿**وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ**﴾: بأعمالهم التي جمعها لهم. ﴿**عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾: في الدنيا، لم يعيشوا في الدنيا بأحوال أهل الجنَّة، إنما سمعوا عنها سماعاً وعرفوها عرفاً، وحين قُتلوا في سبيله تعالى شاهدوا حالهم في الآخرة وأنهم سيدخلون الجنَّة.

7- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ**﴾: نفسك أمانة عندك إن أوصلتها إلى الله تكون قد نصرت الله. ﴿**يَنْصُرْكُمْ**﴾: هذا قانون بكل زمان ومكان، المؤمن ينصره الله لأنه سائرٌ بالحق، سائرٌ بكلام الخالق[4]. ﴿**وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾: بالحرب وغيرها. يرفع شأنهم على العالمين، لأن نواياهم صارت عليّة لإنقاذ كافة البرية، يُهيّئ الله النصر من قلب العدو، فلا تقف بوجههم المؤامرات مهما كثرت، فلا استحقاق عليهم يوجب العلاج والهزيمة وذلك لطهارة قلوبهم ونقاء سرائرهم، ولله الأسماء الحسنى إذا أطعته تكون قد نصرته وتخللت أسماؤه في قلبك وسِرْتَ بها فانتصرت، وإن عصيته انخذلت وانكسرت.

8- ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: ما فكروا، ما آمنوا بلا إلَه إلا الله هؤلاء مثل اليهود. ﴿**فَتَعْسًا لَهُمْ**﴾: دائماً بالهمّ والشقاء، ولا يعرفون طعم السعادة بسبب أعمالهم السيئة. ﴿**وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾: إذ لم يصلّوا ليعملوا صالحاً، أعمالهم كلها ضلال ولإضلال غيرهم عن السير بالحق.

9- ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾: هذا هو السبب، فهم ما آمنوا بما أنزل الله لهم على رسوله الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كرهوا أن ينزِّل الله على غيرهم النبوة والرسالة. وبهذا: ﴿**فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾: تدنت، صارت كلُّها فساداً وللإفساد: زنا، خمور، لواط...

10- ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾: هؤلاء الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله! ﴿**فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: لينظروا ويفكروا بالسابقين ماذا حلَّ بهم لـمَّا كذَّبوا بالحق؟ وما هي نتائج أعمالهم؟ وبمَ عادت عليهم؟ ﴿**دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾: جاءهم الهلاك وماتوا. ﴿**وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا**﴾: إن ما تابوا فمصيرهم ما أصاب مَنْ قبلهم مِنَ الأقوام.

سورة محمد: [11-20]

11- ﴿**ذَلِكَ**﴾: قانون، فكل أمَّة تشذُّ وتقاوم الحق وتكذِّب به فمصيرها الهلاك. وهذا القانون ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الأمم. ﴿**بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: المؤمنون يؤيدهم الله وينصرهم ويعزّهم ويرفع شأنهم لأنهم أهل للنصر، وفي الآخرة يدخلهم الجنَّة. ﴿**وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**﴾:

---

[4] هناك فرق بين الإيمان التصديقي والإيمان العقلي الشهودي، التصديق هو ظنٌّ وتصوّر وهذا غير الشهود والعيان، إن فكَّر الإنسان وأوصل نفسه إلى الله وأقام حدود الله عليها وذلك ضمن قوانين رسمها الله له أوّلها: التفكير بالموت والنهاية حتى يخاف الإنسان من الفراق وزوال الدنيا عندها تصدُق نفسه وتستجيب له وتسري للفكر هذه الآلة التي تفكك حتى يرى الإنسان الأمر على حقيقته وتطلب منه أن يرسم لها مخطّط الوصول إلى الله عن طريق آيات الكون: شمس، قمر، كوكب... حتى يؤمن كما آمن سيدنا إبراهيم عليه السلام: {وكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}: هذا يكون قد نصر الله فينصره الله بكل المواقف، إذن: الذين اتقوا فوقهم، هؤلاء صلُّوا الصلاة الصحيحة بمعيّة الإمام فشاهدوا من غِناه وثراه ﷺ وتنعموا بعطائه واستغرقت نفوسهم بمشاهداته، فجعلوا الناس تسلك هذه الطريق وأخرجوهم من الظلمات إلى النور وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.

لا فعل لغيره سبحانه، هؤلاء ببعدهم عن الله انحطُّوا فتولّوا شهواتهم الدنية ودنياهم الرخيصة فحاشا لله أن يتولّاهم بالنصر، لذلك سيأتيهم الهلاك في دنياهم ثم في الآخرة ليس لهم إلا النار ولا أحد يستطيع نصرهم وتخليصهم من العذاب.

12- ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ**﴾**:** من الآن، في الدنيا يدخلون الجنَّة، دائماً بالنَّعيم والسعادة، ومن إقبال على الله وشهود لجماله وأسمائه إلى إقبال أعلى وأسمى وهكذا. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾**:** الخيرات المادية. ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ**﴾**:** يجب أن يرثى لحالهم، هؤلاء كالأنعام ما فكروا ما عرفوا لِمَ أرسلهم الله للدنيا، فحرموا أنفسهم من السعادة والجنَّات التي أعدَّها الله لهم. ﴿**وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**﴾**:** المكان المناسب لعلاجهم، كالمستشفى فهي المكان المناسب لعلاج المريض.

13- ﴿**وَكَأَيِّنْ**﴾**:** كم وكم. ﴿**مِنْ قَرْيَةٍ**﴾**:** أعرض أهلها عن الله وقاوموا رسلهم وكذَّبوا بالحق. ﴿**هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ**﴾**:** الآن من مكة. ﴿**أَهْلَكْنَاهُمْ**﴾**:** جاءهم الهلاك. ﴿**فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ**﴾**:** قوَّتهم وحضارتهم وتدابيرهم ما أغنت عنهم شيئاً.

14- ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾**:** سمع الحق من رسول الله عليه الصلاة والسلام، فكَّر وآمن وأقبل على الله وصار له منه سبحانه وتعالى نورٌ، شاهد به أن الله هو المربي المسيِّر الفعَّال لما يريد، أي بإيمانه ونوره استبان الحق والحقيقة، هل هذا المؤمن: ﴿**كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ**﴾**:** كمن يرى كلام المخلوق ودلالته أحسن من كلام ربِّه ودلالة رسوله، ويستحسنها ويعمل بها ويراها رغم شذوذها وسوئها تقدماً وحضارة. ﴿**وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**﴾**:** وما سبب اتِّباعهم لدلالة المخلوق من دون الخالق إلا لأنهم سائرون بهوى أنفسهم وواقعون بالمعاصي.

15- ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ**﴾**:** يمثِّل تعالى لنا الجنَّة بأشياء مادية مفهومة لنا ضمن إدراكنا ليقرِّب لنا حقيقتها العالية إذ في الجنة: (مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). ﴿**الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**﴾**:** هؤلاء صار لهم نورٌ به شاهدوا الحق حقاً فاتبعوه، وشاهدوا الشر شراً فاجتنبوه، شاهدوا ما وراء معصية الله العظيم من شقاء وشرور فما وقعوا بمعصية. ﴿**فِيهَا أَنْهَارٌ**﴾**:** النهر دائم الجريان لا ينقطع وكذلك اللذائذ لا تنقطع عنهم وهي بجريان دائم عليهم. ﴿**مِنْ مَاءٍ**﴾**:** كلمة الماء رمز للحياة، فتجلِّي الله عليهم فيه الحياة والبهجة والسرور تفتتن النفوس به، ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً، لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**﴾[5] ﴿**غَيْرِ آسِنٍ**﴾**:** متجدد، دائماً بازدياد، فلا نغص يمازج حياتهم ولا شائبة تعكِّر صفاءهم. لذلك لا يتحوَّلون عنه، ولا يخرجون به عن السعادة والنعيم والحياة وهم دائماً بازدياد، ﴿**وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ**﴾**:** صافٍ نقي فيه غذاء لأنفسهم. ﴿**لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ**﴾**:** لا عكر ولا شائبة فيه، دائمون على هذا الحال من الصفاء والنقاء، وكلما زاد إقبالهم على الله أكثر يتذوقون لذائذ أعظم وأكبر. ﴿**وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ**﴾**:** تقول: خامره الشك، أي: مازجه وداخله، وهذا النعيم وهذه اللذائذ تخالط نفوسهم وتغطِّيها، فمشاهداتهم وعقلهم بنور الله يمازجه الغبطة ولذائذ وأذواق كل واحدة ولها طعمة تخمرهم فينصرفون بها عن كل شيء إلا الله. ﴿**وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى**﴾**:** العسل فيه شفاء للمرضى ووقاية ومنعة ضد المرض، وكذلك تجلّي الله عليهم بأسمائه الحسنى وجماله سبحانه يشفي قلوبهم حيث لم يبقَ فيهم درن، ويحميهم من الزلل، ولهم به منعة وحصانة وحماية من الخطأ يمدّهم بالنشاط والقوة، ويقيهم من كل سوء فلا ملل ولا شقاء، فكل طعم أحسن من سابقه وكل لحظة أعلى من التي قبلها. ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾**:** من ثمرات جهادهم وتضحياتهم، أعمالهم الصالحة

---

[5] سورة الجن – الآية:16–17.

أثمرت وعادت عليهم بهذه اللذائذ. ﴿**وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾: هؤلاء تربَّوا تربية عالية، صلحت نفوسهم بالنور الإلّهي وهو لهم ستر يحول بينهم وبين المخالفات، صاروا كُمَّلاً وقدوة لغيرهم. دائماً من حال لأعلى بالإقبال والطهارة. ﴿**كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ**﴾: يخلد إليها بسبب ما فيه من أمراض وآلام، كما يخلد المريض إلى المستشفى، وكما يخلد المسافر في حرِّ الصيف تحت ظلٍّ وارف، فهي المكان المناسب لعلاجه. ﴿**وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾: هذا الشراب يحمُّ نفوسهم ويؤلمهم وكل هذا رحمة بهم.

16- ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ**﴾: يا محمد ﷺ. ﴿**حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ**﴾: هؤلاء منافقون ما طبقوا، ما آمنوا فما صار لهم وعي ولا شهود لكلامه عليه الصلاة والسلام، لذلك حين خرجوا من عند رسول الله: ﴿**قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾: بلا إلّه إلا الله وبأسمائه الحسنى. ﴿**مَاذَا قَالَ آنِفًا**﴾: سيرهم بهوى أنفسهم جعلهم لا يسمعون الحق، المنافق أذنه سمعت لكن قلبه لم يسمع، ما صار له التفات لرسول الله بسبب إعراضه لذلك لا يفقه ما يقوله ﷺ من بيان وإرشاد. ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾: قلوبهم مليئة بالشهوات لذلك يُطلقهم الله لها. ﴿**وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**﴾: وقعوا بالشهوات والفواحش.

17- ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا**﴾: إلى الحق بمعيَّة رسول الله ﷺ. ﴿**زَادَهُمْ هُدًى**﴾: هؤلاء المؤمنون دائماً من حال لحال أعلى ومن معرفة وعلم إلى معارف وعلوم جديدة أعلى وأوسع. ﴿**وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾: آمنوا بلا إلّه إلا الله، فصار لهم نورٌ من الله يفرِّقون به بين الحق والباطل، وبهذا النور عرفوا رسول الله ﷺ وآمنوا به.

18- ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ**﴾: ماذا ينتظرون؟ أليس الموت نهايتهم ومصيرهم؟ ﴿**أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً**﴾: فجأة دون أن يحسبوا للموت حساباً. ﴿**فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا**﴾: الشيب والضعف. ﴿**فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ**﴾: الإنسان بحياته الدنيا يستطيع الإيمان والقيام بالأعمال الصالحة، أما بعد الموت يزول الفكر والجسد ويذهب الكون عنه، فلا يستطيع الإيمان والعمل الصالح.

19- ﴿**فَاعْلَمْ**﴾: يا محمد ﷺ. ﴿**أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾: اعلم هذا من أجلهم، كل إنسان فكر وآمن بلا إلّه إلا الله إيماناً شهودياً، رسول الله ﷺ وظيفته أن يعيد له إيمانه ويكرره عليه، لكن إيمان المؤمن معه ﷺ يكون مزداناً بالتجليات الإلّهية القدسية العظمى وبأسمائه سبحانه وتعالى وبهذا توسع هائل لإيمان المؤمن ما كان ليصل إليه لولا رسول الله عليه الصلاة والسلام، إذاً فاعلم من أجل المؤمنين الذين معك حتى يشاهدوا لا إلّه إلا الله بمنظارك العالي، وأنتم أيها المؤمنون اعلموا بكل أمر وعن شهود أنه لا إلّه إلا الله، سيروا بسير الرسل والأنبياء وانظروا بمنظارهم وبشهودهم لا بمنظاركم وإيمانكم فقط، لذلك قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُواْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[6]فرسول الله ﷺ يُشهد المؤمنين حقائق القرآن كلها وأسماء الله الحسنى، ويطبعها بقلوبهم حيث بعد انتقاله سيكونون أمة وسطاً يدلون الخلق على الله والإيمان به سبحانه: ﴿**كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[7]

﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾: أقبل عليّ لأحول وأستر عنك، فلا يقع بنفسك شيء مما علق في نفوس المؤمنين من ذنوب حيث إن نفوسهم لم تشفَ بعد من الذنوب. رسول الله ﷺ بسبب رحمته بالمؤمنين يتوجه

---

[6] سورة آل عمران – الآية:164.

[7] سورة البقرة – الآية:143.

بنفسه لهم ليطهرهم، وبهذا التوجه قد يقع بنفسه شيء من ذنوبهم، لذلك طلب الله منه أن يقبل عليه ليمحو له من نفسه ما قد يعلق بها من ذنوب هؤلاء المؤمنين بسبب رحمته ﷺ بهم **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ}** [8].

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: أما استغفاره للمؤمنين وللمؤمنات فإنه ﷺ مهبط التجليات الإلۤهية، فبوجهته بالنور الإلۤهي إليهم حين صلاتهم فإنه يُذهب عنهم إصرهم، أي: إصرارهم على حب الدنيا الدنية، والأغلال التي كانت عليهم، أي: الشهوات الدنيئة التي ارتكبوها، وتزدان نفوسهم بالكمالات وحب الفضيلة، كذا مثل الصلوات الخمس بمعيته ﷺ **"أرأيت لو كان بفناء أحدكم نهر يجري يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، ما كان يبقى من درنه؟ قالوا: لا شيء. قال: فإن الصلاة تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن"**[9] خمس لقاءات مع الرسول ﷺ بالكعبة تذهب عنهم كل ما علق بهم. وهذه عامّة وليست لزمانه فقط، بل على مرّ الأزمان والأجيال وإلا لاستحال إيمان المؤمن، فإذا رسول الله لم يتوجَّه لهم بالنور الذي معه ﷺ كيف يطهرون وتطير نفوسهم بالإيمان والتقوى إلى الله؟ **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾:** أيها المؤمنون، النفس مع رسول الله ﷺ تتقلب من حال لحال أعلى بالأنوار والتجليَّات والمشاهدات والجنَّات فلا تقف عند حد. **﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾:** مثواكم الجنَّة وليس لكم إلا الإكرام، إذ المثوى: مكان الإكرام، وكلٌّ له مرتبة عالية بحسب صدقه مع ربه. فالله سبحانه يُعلم رسوله بأحوالهم، والرسول يبشرهم، فلا تخفى على الله منكم خافية، ولا تشفى نفس إلا بربها وهذا هو الطريق إلى الله تعالى بالصلاة إذ فيها للمؤمن الصادق ما يغنيه عن لذائذ الدنيا الدنية وينهى نفسه عن الفحشاء والمنكر، والخيرات الباقية الدائمة للنفس تنال كلها بالصلاة: **{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}**[10].

20- **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾:** الذين آمنوا علموا ما في الجهاد من خير عظيم وجنَّات، فتمنّوا أن يأتي أمر الله لهم بالجهاد. **﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾:** هؤلاء المنافقون نفوسهم متعلقة بالنساء والأموال والأولاد لذلك يخافون القتال. **﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾:** خائفين. **﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾:** يخافون القتال خوفاً من الموت، كل هذا لأنهم ما أطاعوك، رسول الله ﷺ دلَّهم على الإيمان فما آمنوا، كانوا يسيرون برأيهم لا برأي رسول الله عليه الصلاة والسلام، متكبّرين عليه ومخالفين لأمره لذلك يخافون الموت. **﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾:** فالأولى لهم الطاعة.

سورة محمد: [21-30]

21- **﴿طَاعَةٌ﴾:** ما طلب ﷺ منهم إلا الطاعة، هذا هو المطلوب أن تطيعوا أمر رسول الله عن الله سبحانه. فالمؤمنون الذين أطاعوا سيدنا داوود ﷺ وطبّقوا أمره فما شربوا من ماء النهر قاتلوا وانتصروا رغم عددهم القليل أمام جيش جالوت، وما جبّنوا بل قالوا: **{كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}**[11]، الذين ما أطاعوا أمره وشربوا الماء خالفوا وصيَّته عليه الصلاة والسلام، وبهذه المخالفة هربوا خوفاً من الموت: **{قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ}**[12]

---

[8] سورة الكهف – الآية:28.
[9] سنن ابن ماجه رقم /1367/.
[10] سورة التوبة – الآية:103.
[11] سورة البقرة – الآية:249.
[12] سورة البقرة – الآية:249.

﴿وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: كلامه ﷺ كله ضمن المنطق والخير والحق، يدل به على عمل الخير والمعروف ويوصل للسعادة والجنَّات، فلم لا تطيعون وتطبقون أمره! ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾: بالقتال، أي مدَّ سبحانه وتعالى أمر القتال بالقوة والإمداد والنصر، عندها لا يستطيع أحد أن يواجه المؤمنين وينتصر عليهم فلا فعّال ولا مسير غيره سبحانه، ومما تدلُّ عليه كلمة {عَزَمَ الْأَمْرُ}: أن الله تعالى ضَمِنَ لهم النصر بالقتال بشرط ألا يخالفوا أمر الرسول ﷺ. ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾: لو أطاعوا وآمنوا لما خافوا ولخرجوا للجهاد ونالوا خيراً كبيراً وجنَّات متتالية.

22- ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾: وأنتم على هذا الحال ولم تبلغوا الكمال بعد ولم تشف نفوسكم من أمراضها وعللها. ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: صار لكم الحكم على غيركم من الخلق وأنتم على ما أنتم عليه من الضعف ومخالفة الرسول. ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: تذهبون للهو والملذّات وتتركون عمل الخير والمعروف، أنتم ما خلقتم لهذا بل للإيمان وعمل الصالحات. ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾: تقتّلون بعضكم بعضاً لتبقى لكم دنياكم، وبهذا ظلم لأنفسكم ولغيركم من الناس، ومن أجل ذلك كلّه فالله تعالى لا يولِّيكم.

23- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: لأنهم ما آمنوا خافوا وما خرجوا للجهاد وبذلك لعنهم الله، أنتم أيها المؤمنون آمنوا الآن لا تطلبوا غير الإيمان وشفاء أنفسكم، إن آمنتم الإيمان العالي صار بقلوبكم رحمة على الخلق عندها يجعلكم الله ولاة عليهم. ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾: البعد عن الله والإعراض عنه سبحانه أصمَّ هؤلاء المنافقين عن سماع الحق. ﴿وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾: وقعوا بالمعاصي والارتكابات، حيث أنهم ما رأوا نتائج أعمالهم وما ستعود عليهم من شرور في الدنيا قبل الآخرة.

24- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: هذا هو طريق السمو والعلو والشفاء، ليفكروا ببيانك الذي تبيّنه لهم، وليطبقوا ما أمرهم الله به، إن فكروا به صار لهم تعظيم، فتقبل نفوسهم بمعيتك وتشفى مما بها ويصبح لهم بصيرة ونور. ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾: شهواتهم تمنعهم من التفكير بهذا البيان، عدم إيمانهم بالله سبَّب لهم البعد عنه سبحانه فامتلأت نفوسهم خبثاً، طالما حبُّ الدنيا بالقلب فالإيمان لا يدخله، أخرج حبَّ الدنيا من قلبك، وذلك بالتفكير المتواصل بالموت والتيقن منه.

25- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾: تراجعوا عن السير بالحق والإيمان. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾: على لسان رسول الله ﷺ. ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: زيَّن لهم ما في أنفسهم من شهوات. ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾: زادهم خبثاً وشهوة أكثر.

26- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾: وهم اليهود، فهؤلاء يعرفون أن محمداً ﷺ رسول الله وينكرون رسالته حسداً وبغياً أن ينزّل الله رسالته على غيرهم، لذلك صاروا يتآمرون على رسول الله وعلى المؤمنين، وجاء من المنافقين والكافرين من أعانهم. ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾: الله يعلم ما أخفوا من نوايا وتدابير لردِّ الحق، الكل بيده سبحانه لذلك كلما كادوا وأوقدوا ناراً للحرب على المؤمنين أطفأها الله.

27- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أَخبِرْهم كيف سيكون حالهم ساعة الموت، وما هو مصيرهم عندها؛ الروح يسحبها ملك الموت من الجسد بأمرٍ من الله، والنفس بانسحاب الروح من جسدها وبرودته تنسحب معها حتى تصل للحلقوم عندها توقن بالموت وهنا يحدث النزاع، حيث ينكشف الغطاء عن النفس فتشاهد مصيرها وحالها في القبر والآخرة. النزاع سببه أن النفس لا تريد الخروج من الجسد، فهي لم تهيّئ شيئاً لحياتها الجديدة التي ستحل بها، فلا نور لها ولا صديق، ولا طعام ولا شراب، لذلك يحدث النزاع، وخلاله تشاهد حقيقة ما قامت به من عمل، حيث تمرُّ بها أدوار حياتها

تستعرضها كلها خلال زمن قصير، عندها يتحرَّق هذا المعرض ندماً على ما فرط وقام به من أعمال سيئة وما فعل بحياته، وبعد هذا تخرج النفس من الجسد.

هذه النفس في الدنيا كانت ترى عن طريق العين، وتسمع عن طريق الأذن، وتتذوق عن طريق اللسان، وتتنفس عن طريق الأنف، الجسد كله مسخَّر لها وهي الآمرة الناهية عليه، والآن ها قد خرجت منه ولم يبقَ لها أمر ولا سيطرة عليه، وهي بحاجة لأن ترى وتسمع وتتذوق وتتنفس وكل هذا ذهب عنها، عندها تهوي من هذه الأكوان المادية في الظلام والرعب، تهوي إلى المجهول وهي بالضّيق والاختناق والظلام، وليس لها من تستجير به أو تلتجئ إليه، لأنها ما آمنت بالله ورسوله لينقذها من هذا الحال الرهيب. **{وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}**[13]، وبعد هذا الهويان تتحوَّل النفس وتذهب إلى جسدها بالقبر، عندها ومن رحمة الله بهذا المعرض يرسل له ملكاً بصورة حنش أقرع يعالج به بالضرب والشدّة والرعب إلى يوم القيامة، لذلك قال تعالى: ﴿**يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ**﴾: ما واجهته هذه النفس بحياتها في الدنيا وما استلذَّت به من حرام ومعاصٍ وفواحش، فكل شيء واجهته وتحوَّلت إليه وكان سبباً في هلاكها وخسارتها وحرمانها لمشاهدة ربِّها، عندما تتوجه إليه تتحرق ألماً وندماً عندها تأتي الملائكة وتضربها رحمةً بها، لتحوّلها عنه وعن حالها الرهيب المرعب الحزين هذا. ﴿**وَأَدْبَارَهُمْ**﴾: يضربون هذه النفس الخاسرة لئلا تتوجه وترى مبلغ خسارتها نتيجة ما قامت به من أعمال سبَّبت لها الإدبار عنه سبحانه وعن جنَّاته، أما إذا كانت هذه النفس مؤمنة وصار لها حبٌّ لرسول الله ورابطة معه ﷺ وعملت صالحاً، فالله سبحانه منذ انتقالها يصبُّ عليها من أنواره وتجلياته، وهي بتوسع دائم فتعيش بالسعادة والجنَّة، وهذا ما يجعلها لا تشعر بالزمن طيلة حياة البرزخ إلا وكأنها لحظات وانقضت وقد صار يوم القيامة.

28- ﴿**ذَلِكَ**﴾: هذا العذاب وهذا الرعب الذي يحدث لهم عند الموت سببه: ﴿**بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ**﴾: ساروا بهوى أنفسهم، ما آمنوا ليكسبوا من الله الكمال والرحمة. ﴿**وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ**﴾: ما سألوا عن رضاء الله. ﴿**فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾: انحطت أعمالهم، صارت كلها ظلماً وتعدياً، طلبهم الدنيا ولأجلها عملوا لا من أجل الآخرة ونعيمها.

29- ﴿**أَمْ حَسِبَ**﴾: أهكذا يظن. ﴿**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾: حب الدنيا وشهواتها. ﴿**أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**﴾: يظنون أن الله لا يريد أن يطهِّرهم؟ وأنه سبحانه كتب عليهم الفحشاء والمنكر وما قاموا به من معاصٍ وإجرام، أهكذا يظنُّون؟

30- ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ**﴾: نفوسهم خبيثة وأعمالهم وأقوالهم تدلُّ عليها. ﴿**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾: قولهم جميل مرتب، يتكلمون بالفصاحة واللغة ليأخذوا بعقول الناس ويخدعوهم بزخرف القول غروراً، لكن قلوبهم خبيثة. ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾: مشاهد أعمال الخلائق كلها. إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

سورة محمد: [31-38]

31- ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ**﴾: هذه الدنيا للامتحان، ليُخرج الله ما في الأنفس من خير أو شر وليُظهر حقيقتها، الله سبحانه وتعالى أعطى الأنفس الاختيار في السير لأعمالها، إن آمن الإنسان بربه وصلّى كسب كمالاً من الله، فيُظهر الله تعالى هذا الكمال بالأعمال الصالحة، أما إن أعرض عن ربه اكتسب خبثاً

[13] سورة الحج – الآية:31.

فيُخرجه الله له، وغداً بالآخرة يَظهر متلبّساً بعمله. ﴿**حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ**﴾: بأموالهم وأنفسهم. ﴿**وَالصَّابِرِينَ**﴾: عن الشهوات، وحين البأس "الحروب"، وفي البأساء والضرّاء. ﴿**وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾: نظهرها للعالمين.

32- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: بما أُنزل على محمد ﷺ. ﴿**وَصَدُّوا**﴾: غيرهم. ﴿**عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: عن الطريق الموصل للإيمان بالله. ﴿**وَشَاقُّوا الرَّسُولَ**﴾: حاربوه، أو تكلَّموا عليه بالسوء. ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى**﴾: من بعد ما بيَّن لهم رسول الله كلَّ شيء. ﴿**لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا**﴾: العائد عليهم، حرموا أنفسهم من خير كبير كان سيأتيهم لولا كفرهم. ﴿**وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ**﴾: ستتدنى وتنحط أعمالهم أكثر مما هي عليه الآن.

33- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ**﴾: بدلالته لكم، أمركم بالتفكير ببدايتكم، ماذا كنتم؟ كيف خُلقتم من هذه النطفة؟ من ربَّاكم في بطون أمهاتكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة؟ أَمَركم بالتفكير بالنهاية "بالموت"، وبالتفكير بالكون وآياته من شمسٍ وقمرٍ وغيومٍ. إن أطاع الإنسان ربه بهذا وفكر صار له حب وتقدير لله تعالى، عندها يؤمن بربِّه وتعقل نفسه طرفاً من الكمالات الإلٓهية وتنصبغ بها وذلك على قدر حبّها ووجهتها. ﴿**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾: كيف تتحقَّق إطاعة الله؟ بإطاعة رسوله ﷺ واتِّباع ما أرسله إليك على لسانه ﷺ. ﴿**وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾: إن ما آمن الإنسان تصبح غايته قول الناس لا ربّ الناس، وإن خالف رسول الله ﷺ بطل عمله.

34- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾: باب المغفرة مفتوح لهم، لكن بكفرهم بمحمد ﷺ وإصرارهم عليه، لم يبق لهم طريق للغفران، فهو ﷺ طريقهم وبابهم لله وهم كفروا به وأنكروه وحاربوه، فكيف يدخلون على الله وتشفى نفوسهم دونه عليه الصلاة والسلام ؟!

35- ﴿**فَلَا تَهِنُوا**﴾: أيها المؤمنون. ﴿**وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ**﴾: فوقهم، فوق الذين كفروا. ﴿**وَاللَّهُ مَعَكُمْ**﴾: بالنصر والتأييد. ﴿**وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾: لا يضيِّعها لكم، سيعطيكم أجرَها كاملةً وزيادةً.

36- ﴿**إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**﴾: اللعب هو ممارسة الأعمال التي لا مردود لها ولا فائدة منها، ويعقبها الحزن والحسرات والندم لأنها حوّلته وألهته عن الهدف الأسمى لوجوده. الدنيا مدرسة؛ إن لعب الإنسان والتهى بها فلا نجاح له، إذ رسب في الآخرة. ﴿**وَإِنْ تُؤْمِنُوا**﴾: بلا إلٓه إلا الله. ﴿**وَتَتَّقُوا**﴾: ليصبح لكم نور من الله. ﴿**يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ**﴾: يعطيكم خيرات الدنيا والآخرة على ما قدمتم من أعمال عالية، الله سبحانه ما حرمكم من شيء، لكن آمنوا به لتعلموا أن كل شيء منه سبحانه لا من المخلوق. ﴿**وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ**﴾: ألا يسألكم أموالكم! الحقيقة أن الله تعالى ليس بحاجة لمالك ولا لشيء منك، ولكنه يريد لكم السعادة، إن أنفقتم في سبيل الله فالعائد لكم من أجل سعادتكم وحباً بكم ورحمة، إن آمن الإنسان واتقى أعطاه الله الدنيا والمال، الصحابة الكرام ما سألهم الله أموالاً بل جعلهم سلاطين الدنيا، لم يعملوا إلا بالإرشاد وكل شيء مسخّر وخادم لهم، الذين عملوا بالصناعات والمهن هم اليهود والنصارى، أما الصحب الكرام لا وقت لديهم للعمل بالمهن المختلفة، هم فقط للإرشاد والأخذ بيد الناس لإنقاذهم وهدايتهم، عملوا بالتجارة لأجل الهداية فقط، إذ عندما يرى الناس أخلاقهم ومعاملتهم يميلون لدينهم "الإسلام" ويعتنقونه إذ إن الدين المعاملة.

37- ﴿**إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ**﴾: الخطاب للذين ما بلغوا الإيمان والتقوى بعد، إن سألكم فليحفّكم بالخيرات، لأجل هذا يسألكم الإنفاق، حيث بهذا الإنفاق والتضحية "إن كانت كبيرة ومحببة على

أنفسكم" تُقبلون على الله وتنالون التقوى عندها يحفّكم الله بفضله وجنَّاته وتجلِّيه الدائم عليكم. ﴿**تَبْخَلُوا**﴾**:** أوَ تبخلون بعد هذا؟ هل تبخلون بعد أن عرفتم ما في الإنفاق من خير لكم أم تنفقون وتضحُّون بالغالي عليكم من مال وغيره؟ فهو تعالى يحفّكم بعطاءاته لئلّا تبخلوا على أنفسكم. ﴿**وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ**﴾**:** يطهِّركم ويشفي نفوسكم من الميول الخبيثة ويستبدلها لكم بالكمالات، المؤمن يبحث عن الأعمال الصالحة ويضحِّي في سبيل رضاء الله وينفق مما آتاه الله من فضل.

38- ﴿**هَا أَنْتُمْ**﴾**:** أيها المتقون. ﴿**هَؤُلَاءِ**﴾**:** الذين ما بلغوا الإيمان والتقوى، أي أخصُّ وأعني هؤلاء الذين وقف حب الدنيا والمال حجاباً بينهم وبين ربهم. ﴿**تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾**:** هؤلاء ادعوهم لينفقوا. ﴿**فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ**﴾**:** بالإنفاق. ﴿**وَمَنْ يَبْخَلْ**﴾**:** البخيل عدو الله لما في قلبه من قسوة. ﴿**فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ**﴾**:** حرم نفسه من خير عظيم وكبير كان سيناله من وراء إنفاقه. ﴿**وَاللَّهُ الْغَنِيُّ**﴾**:** عنكم وعن إنفاقكم. ﴿**وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾**:** المحتاجون لفضله تعالى في كل شيء. ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا**﴾**:** عن الحق، عدم الإنفاق وعدم الجهاد بهوى أنفسهم سيجعلهم يتركون السير بالحق. عندها: ﴿**يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**﴾**:** مؤمنين. ﴿**ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾**:** أبداً، فكم ستحزنون غداً بالآخرة على تفريطكم هذا وعدم إيمانكم!

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفتح: [01-10]

1- ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾: بهذه الآية يخاطب الله سبحانه رسوله قائلاً: بإقبالك علينا فتحنا لك من معرفة أسمائنا فتحاً مبيناً ظاهراً، ولقد قال الله لرسوله: **{لَكَ}**، ولم يقل: (عليك)، وتحمل كلمة: **{لَكَ}** معنى التخصيص لرسول الله ﷺ وليس لمن حوله، لأن رسول الله ﷺ هو الذي طلب ووقف بباب الله ففتح له الله، وكل من يقف هذه الوقفة يفتح الله له من الكمال. كما يقول الله: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}**[1]. عن الليلة التي عرف فيها رسول الله ﷺ قدر الله تعالى فأنزل الله لذلك عليه هذا الحق العظيم والفرقان المبين. فجاء بما لا يستطيع أحد المجيء بمثله ولا حتى سورة من مثله أو معنى كلمة من كلماته، لقد عجز الإنس والجن عن ذلك وإلى يوم القيامة، هذا لأنه مؤيّدٌ من ربّ العالمين ولأنه ما تزحزح ولن يتزحزح عن الله أبداً. إذن: **{لَكَ}** فقط. وهو ﷺ يصبّ القرآن في قلوب أصحابه تباعاً، **"ما صُبَّ في صدري شيء إلّا وصببته في صدر أبي بكر"**. ﴿**فَتْحًا مُبِينًا**﴾: ظاهراً أنه من عند الله فكل طالب حقٍّ مجَّ الدنيا الزائلة وطلب الحقيقة المجردة، صار القرآن مبيناً له، وبك وبنورك يا رسول الله أصبح كلام الله ظاهراً واضحاً وبلحظة إن التفتوا إليك ينطبع بنفوسهم الحق والقرآن، فكل من صاحبت نفسه نفسك الشريفة، بلمح البصر سِرْتَ بها بلطف إلى بحور من فضل الله وعطفه ورحمته فاشتقت الكمال منه ومُحي منها الإعراض والأمراض فتبيّن لها كل شيء مزداناً ومكللاً بالجنات والأنوار، وبهذا تكون قد وفّت بالعهد، وكلّ ذلك إنما يتم مع سيد الخلق، فهو ﷺ بهذا باب الله، بدونه لا يكون الدخول على الله وفهم معاني كلام الله، الله سبحانه أعطى هذه الصلاحية له ﷺ .

2- ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ**﴾: ما كان عالقاً بنفسك من حنانك على الخلق ومن حزنك عليهم، فعندما نظر الرسول ﷺ قبل رسالته إلى خلق الله فوقع في نفسه الحنان والألم على هؤلاء ففتح الله عليه بالرسالة وأبان له الحكمة من ابتلاء الناس بالمصائب، وهداه الكيفية التي يدل الناس بها ليسيروا في طريق الحق ويخلصوا من عذاب الدنيا والآخرة. وبشيء من التفصيل نقول:

رأى ﷺ قبل الرسالة ظلماً بين الناس أفراداً وأمماً، فهذا يتسلَّط على هذا، وهذا ينال من حق هذا، والقويُّ يقتل الضعيف والغني يستغل الفقير، لقد رأى إجراماً ومجرمين وتعدّياً، وهذا ما يأباه لنفسه ولغيره، ولا يصبر على جورٍ وظلم يحدث على مرأى عينه، لذا كان ينطلق صواعقَ يهدُّ عروش الظلم والكفر والظلام هدّاً، لما يثور في نفسه من كوامن الرحمة والحنان، عندما يرى الظلم بين الناس يَنقض على رؤوس الفتن بطشاً، وبهذا ظهرت منه أعمالٌ فردية عظمى، وأظهر الله لنا بذلك شيئاً من طاقاته الكبرى عليه الصلاة والسلام، وظهر اندفاعه للحق وإزالة الباطل، وكل هذا إثبات لصدقه في طلبه هداية الخلق، ولـمّا رأى سبحانه منه صدقاً كاملاً وعزماً ثابتاً فتح له من البيان والعلم بالحق والاستحقاق، وأعطاه القرآن الكريم الذي تكون به الهداية العامة والشاملة التي تشمل البشرية كلها وهذا ما يلبي طموحه عليه الصلاة والسلام، فبالقرآن تنتشر الهداية والنور ويعمُّ الضياء، الله بيَّن له أنه لا ظلم بالكون، فالكل تحت قبضته تعالى، والله لا يُمكِّن الحاكم الظالم إلا من الخبثاء

---

[1] سورة القدر – الآية:1.

الظالمين الأشرار، ولا يُسلِّط المجرم الغاشم إلا على امرئٍ سبق منه ظلم وصدر عنه تعدٍّ، وهكذا حكم العدالة في البرية سارٍ، أراه تعالى الحكمة من كل أمرٍ ليطمئن ويسلِّكهم طرق الهداية بالقرآن: **{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ}**[2].

﴿**وَمَا تَأَخَّرَ**﴾: بعد الرسالة أيضاً وحبك لهداية الناس، لذا قال تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}**[3]، فلابد للرحمة في نفس رسول الله ﷺ أن تغلب حيناً، فأراد تعالى أن يبين لرسوله أن الأمر بيد الله، واعلم أنه لا إلٓه إلا الله، أي: لا مسير للكون إلا الله، فالمؤمن والكافر الله سبحانه يهدي كلاً منهما إلى الخير له، فلا تحزن ولا تك في ضيق مما يمكرون.

فبإقباله ﷺ على الله ودوام التجليَّات والأنوار الإلٓهية على نفسه ﷺ الشريفة، وانصباب نفسه الشريفة على نفوس البشر حناناً وعطفاً وحبّاً لله ورحمةً، تغمر نفسه الطاهرة النقية السامية نفوس البشر الملوَّثة بالدنايا لإنقاذهم، ولئلا تعلق بنفسه الشريفة من شوائبهم يحول التجلي الإلٓهي الأعظمي على نفسه التقية وأنوار الله التي تمحو تلك الشوائب والكدورات من أصلها، وتستر نفسه من انتقال أدرانهم لنفسه الطاهرة الكريمة، وبذا يستره الله من كل شر ومرض من أمراضهم النفسية فيُذهب عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وتبقى ذرات نفسه الشريفة طاهرة نقية كالماء العذب النقي. تُمحى أدرانهم القلبية وتُستبدل بالكمالات وتزداد نفسه الشريفة بدوام التجلي ثقة واستنارة وعذوبة وسمواً وعلواً.

﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾: غفر: بمعنى ستر، أي: بهذه المعرفة التي حصلت لك بربك من إقبالك العالي عليه سترت نفسك بنوره تعالى، فحفظت من الوقوع في الذنوب فيما تقدم الرسالة وبعدها.

﴿**وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ**﴾: أتمَّها الله عليه، ففي الأزل كان ﷺ السابق الأسبق، وليتمَّ عليه في الدنيا أيضاً وليكون السابق الأسبق. وقد أتمَّ نعمته عليه لأنه ﷺ رحمةٌ للعالمين، وقد أتمها عليه فاهتدى بهديه ثلاثة أرباع الكرة الأرضية وستهتدي الأمم إلى يوم القيامة.

﴿**وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**﴾: يدلّك على الصراط الذي يوصل الناس إلى طريق الحق، جعله الله الطريق الموصل إليه للعالمين جميعاً، بالأزل كان ﷺ الطريق للرسل والأنبياء الكرام، والآن في الدنيا فأقرب طريق للوصول إلى الله فهو عنده. بلمح البصر يوصلك ﷺ إلى الله، دون شعور منك يسحبك ﷺ من الكائنات ويدخلك على الله بالصلاة، ولكن الشرط أن ترتبط نفسك بنفس رسول الله ﷺ الطاهرة الزكية.

3- ﴿**وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ**﴾: إذن النصر له لا لغيره، لا يأتي النصر للمسلمين إلا عن طريقه ﷺ. هنا تخصيص لرسول الله. ﴿**نَصْرًا عَزِيزًا**﴾: يؤيدك على من يعترضك، مهما خبا ضياء الحق فلابد أن يسطع من بعد. وهذا كله بصحيفتك ولك. ﴿**نَصْرًا عَزِيزًا**﴾: نصر لا مثيل له، أعظم من كل انتصار، وسيكون القرآن ظاهراً على غيره من الباطل وستؤمن الناس وتسير به إلى يوم القيامة.

4- ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: السكينة: ثقة النفس وثباتها بما يلقيه تعالى فيها، أنزل بقلوب المؤمنين الهدوء والطمأنينة. ﴿**لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ**﴾: فالإيمان يزداد حسب العمل والتفكير، كلما عمل الإنسان أكثر وضحَّى ازداد إيمانه، وكلما فكر بالله ومعاملته وأسمائه ازداد حباً

---

[2] سورة النساء – الآية:105.

[3] سورة محمد – الآية:19.

لله وإقبالاً عليه وازداد إيمانه. ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: كل شيء بيد الله وهو سبحانه يجنّدهم للخير ويؤيد بهم رسوله والمؤمنين. فهو سبحانه متولٍّ لأمور المؤمنين ومؤيدهم وناصرهم برسول ﷺ. {**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ**}[4] ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا**﴾: بنواياكم أيها المؤمنون وبالخيرات التي سوف تنالونها. ﴿**حَكِيمًا**﴾: يضع الأمور في موضعها لذلك وضع بقلوبكم الهدوء والطمأنينة.

5- ﴿**لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ**﴾: بإقبالهم على الله نالوا منه سبحانه وتعالى كمالاً وبهذا الكمال قدَّموا الأعمال الصالحة والتي بها يدخلون الجنة. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾: الخيرات المادية. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾: مقبلين بنفوسهم عليها. ﴿**وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**﴾: ما يسوءهم، على من آمن ألَّا يهتمَّ بما في نفسه من ذنوب حصلت قبل الإيمان إذ لابدّ من أن يغفرها الله في الدنيا ويكفّرها في الآخرة. ﴿**وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾: هذا ما يريده لك الله أن تفوز بالجنة والسعادة لا الفوز بالدنيا ولذائذها ومناصبها.

6- ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ**﴾: ولكن لِم هذا العذاب وما سببه؟ ﴿**الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ**﴾: ظنُّهم السوء بالله منعهم من الإيمان بالله والصلاة، وأصبحت نفوسهم لا تستطيع الإقبال عليه سبحانه، إن ما أقبل الإنسان على الله لا ينال كمالاً ولا يعمل صالحاً وينحط عمله.

قالوا كتب الله على أناس الجنة وكتب على غيرهم النار، أغنى فلاناً وجعله سلطاناً وأفقر فلاناً وجعله ذليلاً، وبهذه الأقوال وغيرها نسبوا الظلم لله وابتعدت نفوسهم عنه سبحانه ولم تستطع الإقبال، كذلك ظنوا السوء برسل الله صلوات الله عليهم بما نسبوه لهم من أقوال وأعمال لا تليق بهم.

من يظن بالله ظن السوء فهو مشرك ومنافق. ﴿**عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**﴾: ستعود عليهم أعمالهم وأسواؤهم وظنهم السيئ الخاطئ، حيث بهذا الظن ستنحط أعمالهم. ﴿**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾: من جرَّاء عملهم، غضب لِما عملوا من سيئات. ﴿**وَلَعَنَهُمْ**﴾: أبعدهم عن المؤمنين الصادقين لئلا يزدادوا بأعمالهم بعداً ونفوراً. كذلك ظنهم بالله ظنَّ السوء يجعلهم يبتعدون ويعرضون بأنفسهم عن الله. ﴿**وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾: هذا الظن سيعود عليهم بالذل والحقارة والعذاب وبما يسوءهم دنيا وآخرة ومصيرهم النار.

7- ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾: الملائكة، الأمراض، المصائب، الجراثيم، الزلازل والبراكين كلها جنود مجندة عند الله، وكل هذا لخير الإنسان، فهو تعالى عزيزٌ لا يأتي منه إلا الخير، حكيم بعباده وما يناسبهم فكل ما يرسله الله لهم من مصائب إنما هي لهدايتهم ورجوعهم للحق والسير به.

8- ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا**﴾: تشهد الحق للناس، بنوره ﷺ العظيم الذي ناله من الله يُشهد المؤمنين الحق وأسماء الله الحسنى. ﴿**وَمُبَشِّرًا**﴾: للمؤمنين، تذكر أحوال الماضين والحاضرين. ﴿**وَنَذِيرًا**﴾: للكافرين. كذلك يذكر أحوال الأقوام الماضية.

9- ﴿**لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ**﴾: بلا إله إلا الله، وأنه تعالى هو المسيّر الفعال ولا فعل لغيره سبحانه. ﴿**وَرَسُولِهِ**﴾: إن آمنتم بلا إلَه إلا الله صار لكم نورٌ به تشاهدون كمال رسول الله ﷺ وتؤمنون بأنه رسول من عند الله. ﴿**وَتُعَزِّرُوهُ**﴾: تقدرون هذا الرب، تعظمون قدره بما يبينه لكم رسول الله ﷺ من أسمائه وكماله سبحانه وتعالى. ﴿**وَتُوَقِّرُوهُ**﴾: الإكبار، تحترمونه وتجلونه. ﴿**وَتُسَبِّحُوهُ**﴾: بعد ذلك الإيمان تجعلون

---

[4] سورة البقرة – الآية:257.

نفوسكم تسبح بفضله. ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: تسبِّحون نفوسكم بالله من الصباح إلى المساء، كذلك ﴿بُكْرَةً﴾: منذ أول إيمانك أيها المؤمن. ﴿وَأَصِيلًا﴾: وحتى مالا نهاية له.

10- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: يعاهدونك على الطاعة، والذي يبايع المرشد كذلك يعاهد على الطاعة والاستقامة. ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾: الرسول وكيل عن الله في الأرض. ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ﴾: العهد. ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: يعود عليه عمله، العائد على الإنسان، هو الخاسر لا غيره. ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾: المبايعة: بمعنى المشاركة باعوا نفوسهم وأموالهم لله.

جاءت كلمة: {عَلَيْهُ} مرفوعة مع العلم أن قاعدتها اللغوية العامة هي أن تكون مكسورة: "عليهِ".

عندما خرج المسلمون مع رسول الله ﷺ من المدينة قاصدين البيت الحرام معتمرين رفض أهل مكة دخول المسلمين وكان صلح الحديبية، بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه للمفاوضة مع قريش، ولما تأخر سيدنا عثمان ظنَّ المسلمون أن المشركين غدروا به وقتلوه، فكانت بيعة الرضوان. بايع المسلمون رسولَ الله على الشهادة في سبيل الله، إذ أنهم لم يخرجوا للقتال ولم يعدُّوا له العدة إنما كان خروجهم للعمرة فقط، وفوجئوا بهذه الحادثة. فبايعوا الرسول ﷺ على القتال في سبيل الله حتى الشهادة، ومعنى المبايعة هنا هي أخذ العهد والمواثيق، وهي المشاركة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد باعوا نفوسهم لله وللرسول، وشاركوا رسول الله بأن لهم الجنة فضحُّوا بالغالي وبأعز ما يملكون **"والجود بالنفس أسمى غاية الجود"**. لذا ضمَّهم رسول الله ﷺ بعهدهم هذا، وغمرهم بحاله الشريف القدسي، فارتفعوا إلى مراتب ومنازل ما كانوا ليبلغوها لولا مشاركتهم ومبايعتهم لرسول الله على الموت. بايعوا الرسول أي: بايعوا الله، هو ﷺ خليفة الله في أرضه وسفيره. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: بلغوا في هذه البيعة التقوى. قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾: والتقوى هي الاستنارة الدائمية بنور الله فقد شاهدوا أسماء الله الحسنى عن طريق رسول الله ورفعهم رسول الله ﷺ ونهض بهم، وبضمِّه لهم وانضمامهم له وهو ﷺ دوماً مع الله لذا صار لهم الدخول على الله وبلغوا مرتبة التقوى. واسم "الله" هو لفظ الجلالة المفخم الجامع لأسماء الله الحسنى كلها.

وإذا بدا لنا أن المبنى تضارب مع المعنى ونظر الإنسان بكلام ربه نظرة المفكر لوجد أن المبنى يتبع المعنى ويخضع له، ولوجد أن المبنى جاء بهذه الصيغة ليبيِّن المعاني السامية العلية من وراء ذلك. فاللغة العربية تخضع للمعاني القرآنية السامية العلية، فالمعنى هذا لا يأتي بالخفض والكسر أي (عليهِ) إنما هو بالرفع والضم (عليهُ)، فالمعنى هنا يتضمّن الرفعة والعلو والسمو، فهم بهذا العهد الذي عاهدوا الله والرسول عليه سموا وعلوا ودخلوا مدخلاً كريماً على الله، وغدوا بقلوبهم في الجنات ولن يخرجوا منها، وهذه الشهادة تختلف عن أي شهادة أخرى، هنا الشهادة عن طريق رسول الله ﷺ بذاته وبمشاركته، ففيها الدخول على الله تعالى من أعظم باب، وبه ﷺ يتم بلوغ درجات عليَّة لا يستطيع المرء بلوغها دون رسول الله وبها الرفع والنهوض، {عليهُ}: أي على العهد ولا يمكن أن تكون هذه إلا بالرفع وليس بالخفض وهذا الرفع ليس بعده خفض أبداً.[5]

---

[5] ومن الأمثلة الواردة بالقرآن عن الذين سموا وعلوا عن طريق رسولهم وسراجهم المنير السحرة الذين قدَّروا وعظَّموا سيدنا موسى عليه السلام فدخلوا من بابه على الله، وبذلك ارتفع قدرهم وسموا فوق العالمين، وضحَّوا بالدنيا وما فيها إذ قالوا لفرعون: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}: لا قيمة لها عندنا، شاهدوا الأزل والآخرة وتحدثوا عن أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار، وذلك بلمح البصر ودونما أن يسمعوا هذا البيان العالي من أحد، إنما فقط

إذن {عليهُ} هذا الرفع دلَّ على علو شأنهم ورفعتهم بدخولهم المدخل السامي عن طريق رسول الله ﷺ الذي لا انخفاض بعده. إذن حتى الحركات من كسر ورفع ونصب لها معانٍ سامية في القرآن الكريم. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إن لله تسعةً وتسعين اسماً مجموعة في لفظ الجلالة المفخَّم "الله". وهؤلاء الصحابة الكرام عندما بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة عملياً بايعوا الله تعالى بلفظ الجلالة المفخَّم والذي يدلُّ على كامل الأسماء الحسنى وذلك ما تشير إليه الآية الكريمة في مطلعها: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ إذن هم بايعوا الله تعالى واسم الله جامع لكافة الأسماء الحسنى، وبذا صار لهم الدخول على الأسماء الحسنى جميعها، وفي تتمة الآية: ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ**﴾ كذلك سوف تأتي حصراً باللفظ المفخَّم "الله" لأنهم بالأصل عاهدوا الله والوفاء سيكون مع الله "باللفظ المفخَّم"، ولا يصح أبداً أن يكون: لفظ "الله" باللفظ المرقَّق، لأن لفظ "الله" المرققة هو اسم واحد من أسمائه الحسنى ويعني المسير المطاع، وجاء الضمير بهذه الآية مرفوعاً ليأتي اسم الله بعده مفخماً وليبين لنا الله سبحانه وتعالى ما حصل للصحابة الكرام وما وصلوا إليه من حال رفيع ومقام عال من شهود لأسمائه كلها بهذه المبايعة حيث دخلوا بمعية رسول الله ﷺ وشاهدت أنفسهم أسماء الله الحسنى كلها، ولو جاء الضمير عليه مجروراً فالمعنى لا يطابق حال ما وصل إليه الصحابة الكرام لأن لفظ الجلالة سوف يأتي مرققاً ويدل على شهودهم فقط لهذا الاسم وليس الأسماء كلها وهذا لا ينطبق لما وصلوا إليه.

سورة الفتح: [11-20]

11- ﴿**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ**﴾**:** من تخلَّف عن الجهاد. الإنباء قبل حدوث الشيء دليل على أن محمداً رسول الله.

إن المرء ليخفي عن الشيخ ويخفي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلا يكلمه الرسول بشيء على علمه، ولكنه لا يستطيع أن يخفي من الله شيئاً.

﴿**شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا**﴾**:** أسباب واهية. ﴿**فَاسْتَغْفِرْ لَنَا**﴾**:** ادع الله لنا، وهذا القول يشبه من يقول: ادع لي. ﴿**يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾**:** يظهرون عكس ما في قلوبهم فهم كاذبون. ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا**﴾**:** لا يفيد هنا شيئاً دعاء الرسول وطلبه المغفرة، ليس الأمر بالدعاء، لابد للذي تستحقه أن يصيبك. ﴿**بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾**:** أي أن الحقيقة ليس اعتذاركم بل تنوون شيئاً آخر، فالله عليم بنفوسكم وما تخفون وهو سبحانه خبير بكم.

12- ﴿**بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا**﴾**:** أي سيُقتلون فلا يرجعون إلى أهلهم أبداً. ﴿**وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾**:** زيَّن لكم الشيطان عدم الخروج ورضيتم بهذا. ﴿**وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا**﴾**:** فارغين من الحق، فارغ قلبكم من الخير، همُّكم دنياكم.

13- ﴿**وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾**:** هذا كفر، وكفره سوف يسوقه للانحطاط وأعمال الشر والسوء. ﴿**فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا**﴾**:** هؤلاء لا نتركهم. كلٌّ منهم وله عذابٌ بسعر ما عمل، كما تُسعَّر البضائع بحسب قيمتها، كذلك هؤلاء عذابهم مُسعَّر لهم.

بارتباط نفوسهم بنفس سراجهم المنير سيدنا موسى عليه السلام وتقديره وتعظيمه، فبعد أن كانوا في أسفل سافلين أضحوا في علِّيين، ونهوض بعد انخفاض وعزٍّ بعد انكسار.

14- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: انظر أيها الإنسان هل لأحد غير الله ملك؟ كل ما في الكون ملك له وهو مسيَّر بأمره، انظر بالشمس بالقمر بالليل والنهار وبالمطر والرياح، مَنْ غيره سبحانه بيده أمرهم وأمر ما في الأرض من آيات؟ ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: كل من شاء المغفرة وسعى لها شفى الله له نفسه من أمراضها وعللها التي تعود عليها بالشقاء والآلام. ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: العذاب لمن لم تطهر نفسه بالدنيا، هذا ما آمن بربه، ما أقبل على الله لتشفى نفسه لذلك لابدّ له من العلاج بالنار، المشيئة لك أيها الإنسان والأمر راجع إليك. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

15- ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾: يقولون غير ما قاله رسل الله فيغدون في سخط الله. ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

16- ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: قوم خيبر. ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

17- ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: لا مؤاخذة عليهم بعدم الخروج للجهاد. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ﴾: يسير بالطاعة ويؤمن به سبحانه. ﴿وَرَسُولَهُ﴾: أنه رسول الله، بالإيمان يعرف الإنسان رسول الله ويؤمن به. ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: هذا له الجنة والسعادة دنيا وآخرة. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾: عن طاعة الله ورسوله. ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: غداً يحترق قلبه على ما ضيَّع وخسر من جنات فيرمي بنفسه في النار ليسلى آلامه وخسارته.

18- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ببيعة الرضوان، حين ذهب عثمان ليفاوض قريشاً وظن المؤمنون أنه قد قتل. ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾: عند الحديبية. بهذه البيعة رضي الله عنهم لأنهم حصلوا على الشفاء القلبي، أي: محا عنهم كل الأمراض والعلل. ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من خير ونوايا عالية. ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: أي ليس بصحيح قول من قال بأن عمر رضي الله عنه عارض الرسول وأن المسلمين استاؤوا من تساهل رسول الله مع قريش، وأحجموا عن أداء الشعائر الدينية التي يقوم بها الحجاج والمعتمرون، فهذه الآية تنفي هذه المزاعم الباطلة، فالله أنزل السكينة على المؤمنين الذين كانوا مع رسول الله ﷺ. ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: فتح خيبر.

19- ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾: لخيبر أموال كثيرة يأخذها المؤمنون دون قتال، فبعد أن دبَّ الرعب في قلوب يهود خيبر استسلموا وهربوا. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

20- ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: بشَّرهم بفتوح العراق والشام وكسر الروم والفرس. ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾: فُتحت خيبر دون قتال لحقن الدماء. ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: فَتْحُها دون قتال دليل على لا إله إلا الله، وأن الأمور كلها بيده سبحانه وهو الفعال. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: إلى طريق الحق، الإنسان إن سلك طريق الحق والإيمان سعد دنيا وآخرة، وهذا مراد رب العالمين من مجيئك أيها الإنسان لهذه الدنيا، أن تؤمن وتعمل صالحاً ليَبْيَضَّ وجهك فتستطيع الإقبال عليه سبحانه وتدخل الجنة.

سورة الفتح: [21-29]

21- ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾: فتح مكة. وكذلك لم يستطيعوا في هذا العام أداء العمرة لأن صلح الحديبية نصَّ على عودة المسلمين في هذا العام إلى المدينة. ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾: أمرها منتهٍ عند الله، قد كتب الله فتحها لكم، وببيعة الرضوان نلتم التقوى وهذه هي الغاية من العمرة وتلك أعظم

من المعارك، بما أن الغاية قد تحقَّقت. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: سوف يحدث هذا الفتح "ستفتح عليكم".

22- ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لو قاتلكم أهل مكة حين الفتح لانتصرتم عليهم وانهزموا، لأنهم بالأصل مهزومون والمسلمين منتصرون. ﴿لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: يستعينون بهم لقتالكم.

23- ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾: هذه السُّنة لا تتغير على كرّ الزمن وتواليه، ليس على المؤمنين جمعاً فحسب، بل عليهم فرادى.

فهذا قانون: المؤمنون لا ينكسرون ولا يُهزمون أبداً ولو كانوا أفراداً، قرية صغيرة كالمدينة المنورة كسرت العرب والفرس والروم.

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: أي: لا يمكن لكافر أن يتغلَّب على مؤمن إلا أن يكون بنفس المؤمن شيءٌ أو أن يكون قد بدر منه عمل وإساءة.

24- ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾: بيده سبحانه كل شيء، هذه الآية تثبت أنه لم يحدث قتال حين فتح مكة، ولم يقاتل خالد بن الوليد فيها كما ادّعوا، وكل ما يقال من هذا القبيل في كتب التاريخ لا أساس له، وهذه الآية الكريمة تنفيه نفياً قاطعاً. ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: جعلكم الظافرين وخذلهم دون حرب. وقد بيّن ﷺ ذلك بقوله: هذه مكة ألقت إليكم فلذات أكبادها. كما قال خالد بن الوليد: أصبحنا أهل مكة كمن وُضع في جبٍّ، فأيُّ حجر يُلقى فيه يسقط علينا. عندها ذهب مؤمناً إلى رسول الله وقد فتحها ﷺ ولم يُرِق فيها قطرة دم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: أيها المؤمنون، الله سبحانه مشاهد لأعمالكم وما في قلوبكم من نوايا عالية لذلك كتب لكم هذه الأعمال وفتح عليكم مكة وجعل فتحها بصحائفكم.

25- ﴿هُمُ﴾: أهل مكة. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بمحمد ﷺ. ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: لم يرضوا بدخولكم مكة للعمرة. ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾: عاد ﷺ بالأنعام إلى المدينة. ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾: يكاد الهدي الذي أعده رسول الله ﷺ أن يذبح، ولكن لم يبلغ محله فلقد عاد ﷺ بالهدْي إلى المدينة ولم يقصّر ولم يذبح، وهذه الآية تنفي ما ذُكر في كتب التاريخ من أنه ﷺ حلق وذبح وأمر الناس ثلاثاً بأن يحلقوا ويذبحوا، فما فعل أحدٌ منهم هذا إذ كما يروى دخل على سيدتنا أم سلمة غاضباً يشتكي لها، فأشارت عليه، وقالت له: أنت القدوة، احلقْ واذبحْ أمامهم، والكل يتبعك. وعندما فعل هذا، الكل حلق وذبح.

والله يقول: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾: تقول عكف الرجل بالمسجد، أي: انزوى وانعزل وابتعد عن الناس، والهدي معكوفاً، أي: لم يحصل هدي. ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾: كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما الذين علم الله أنهم سيؤمنون، وهناك رجال ونساء لم يستكملوا إيمانهم بعد في مكة، عندهم بعض النقائص حتى يكملوا إيمانهم ويهاجروا إلى المدينة لحاقاً برسول الله ﷺ مع المهاجرين، لا أحد يعلمهم غير الله ورسوله، وهذا هو السبب الذي جعل رسول الله ﷺ يقبل بشروط صلح الحديبية المجحفة بالظاهر، وعدم سماح الله لرسوله بقتال أهل مكة. ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: أنتم يا أصحاب رسول الله ﷺ لا تعلمونهم، الله يعلم بهم ويُعلم رسوله فقط. ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾: أن تدوسوهم، الوطء قد يؤدي إلى الموت، إن حدث قتال ونجوا من الموت قد يُصابون بإصابات خطيرة من كسور أو فقدان بعض الأطراف بالقتال ويصبحون عجزة، هؤلاء المؤمنون الأخفياء الذين لم تعلموهم قد تصيبهم إصابات تمنعهم من الأعمال وممارسة الحياة بشكل طبيعي، فلو قُطعت يد خالد بن الوليد هل يستطيع القيام بالفتوح التي قام بها في العراق والشام؟ ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾: معرَّة:

مأخوذة من التعرية، أي: تصيبكم تعرية من الخيرات التي سوف تظهر على أيديهم. عَلِم الله أن هؤلاء سوف يؤمنون ويظهر على أيديهم خيرٌ كبيرٌ، والله بهذه الآية خاطب المؤمنين الذين أحبّوا قتال قريش، قائلاً: لو حدث قتال وقُتِل هؤلاء المؤمنون الأخفياء أو أصيبوا كنتم خسرتم هذه الخيرات التي أتت عن طريقهم بقتلكم إياهم، فلكل واحد منهم نوايا وميول يمتاز بها عن الآخر، فكلنا يعرف أن عكرمة سبب النصر في اليرموك، وخالد بن الوليد وما له من فتوحات في العراق والشام وغيرهم. ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾: أنتم غير مشاهدين لهذه الحقائق أما رسول الله فهو ﷺ على علم بذلك وشهود لذا لم يسمح لكم بالقتال. ﴿**لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾: هذا هو السبب، وهؤلاء المؤمنون والمؤمنات عندهم هذا الطلب، فسوف يدخلون برحمة الله، والله سيجزيهم على أعمالهم ويعطيهم، لذلك عقد رسول الله ﷺ صلح الحديبية إكراماً لهؤلاء المؤمنين والمؤمنات ورضي بشروط قريش. ﴿**لَوْ تَزَيَّلُوا**﴾: تنحوا أو لم يكونوا هناك مع قريش، أي: لو ظهر هؤلاء المؤمنون الذين لم يستكملوا إيمانهم بعد وهاجروا من مكة إلى المدينة. ﴿**لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾: لسمح الله ورسوله لكم بقتال أهل مكة ولنصركم عليهم وانهزموا وذلوا[6].

26- ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾: كيف خاطبوا النبي ﷺ والمؤمنين؟ خاطبوهم كأنهم هم المنتصرون عليهم، تعنَّتوا وتشدَّدوا بالشروط، خاطبوهم بما يشعل في نفوسهم العصبية الجاهلية. ﴿**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ**﴾: حتى صبر وحَلِم عليهم وتحملهم. ﴿**وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾: كذلك أنزل بقلوب المؤمنين السكينة حتى تحملوا وصبروا. فما قيل عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أنه اعترض، وقال لرسول الله: "أنرضى الدنية بديننا؟"، هذا لا أصل له، فالله تعالى يقول أنزل السكينة على المؤمنين، فما من أحد خالف ولا عارض رأي رسول الله، والكل قبل ورضي برأيه ﷺ وصبر.

ولكن طالما أن رسول الله ﷺ يعلم أن وقت فتح مكة لم يحن فَلِم ذهب بأصحابه من المدينة المنورة إلى مكة، ولِمَ هذه المبايعة وقتال أهل مكة غير مسموح به الآن؟ الجواب: ﴿**وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾: لينالوا التقوى، وهذا أقصى ما يريده الله ورسوله للمؤمنين أن يبلغوا التقوى، أي أصبحوا بالنور مع الله بمعية رسول الله ﷺ لا ينقطعون عن الله ورسوله لحظة.

حالهم أصبح كحال الأنبياء الكرام، نوالهم التقوى ليس بالشيء القليل، وبُني عليه خير كبير، امتدَّ مئات الأعوام والناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وهذا الحال الذي وصلوا إليه أفضل من الفتح بكثير ذلك أنهم أصبحوا أطباء، سيعملون على هداية الناس بعد انتقال رسول الله ﷺ. ولولا بلوغهم التقوى ما حدثت هذه الفتوحات ولما اهتدى الخلق مئات السنين. ﴿**وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا**﴾: بالتقوى. ﴿**وَأَهْلَهَا**﴾: لنيلها. ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾: عليم بأعمالهم وإحسانهم، وعليم بحالهم وبما يناسبهم، لذلك ألزمهم التقوى جزاءً لهم على ما عملوا وصبروا، ولم يضيّع لهم من أعمالهم شيئاً.

---

[6] وعلى وجه المثال نقول: أبٌ رحيم وبين يديه أطفال صغار وتعرَّض لعراك أو شجار مع بعض الأعداء المجرمين، في البداية يتهاون معهم قدر المستطاع ولا يصطدم حتى يُؤمِّن هؤلاء الأطفال، لكيلا تزهق أرواحهم أو يتأذوا ومن ثم يعود على المجرمين بالشدة والبطش، وذلك من الحكمة وليس من الضعف

27- ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾: التي رآها رسول الله ﷺ أن مكة ستفتح. ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ﴾: دون قتال. ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾: حلق الشعر، ويجب ألا يبقى منه شيء على الرأس[7].

﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾: لمن كان في رأسه مرض ولا يستطيع الحلق بالموس هذا يُبقي من شعره قليلاً على رأسه. ﴿لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

28- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾: بهذه الدلالة وهذا البيان العظيم. ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: لابدّ وأن يظهر الإسلام على جميع الأديان ويسود، هكذا حكم الله سبحانه وتعالى فمن يقف أمام حكم الله؟ وهذا ما حصل إذ ظهر دين سيدنا محمد ﷺ وأصبح ذا قوة. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: لا شيء يخفى عليه سبحانه وتعالى، فكل ما يجري بالكون وعلى الأرض بعلمه تعالى وإمداده وتسييره، وهو سبحانه شهيد على نيَّة رسوله ورحمته بعباده، لذلك لابدّ أن ينصره وينصر دينه.

29- ﴿مُحَمَّدٌ﴾: معنى اسم محمد عليه الصلاة والسلام، أي: كامل الأوصاف، جامع للكمال الصوري والمعنوي ولا شائبة فيه. ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾: الله تعالى يشهد بأن سيدنا محمد رسول الله وهذه الآية تبين أن رسول الله ظهر وانتصر، ظهر بالمدينة المنورة، "يا من بالمدينة المنورة أظهرك الله". ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: كل من آمن وارتبطت نفسه بنفسه ﷺ وبكل زمان ومكان، وليس فقط من الصحب الكرام. ﴿أَشِدَّاءُ﴾: المؤمن قبل رابطته برسول الله ﷺ لا يستطيع ولا يحقّ له أن يشدَّ على غيره خوفاً من الخطأ والظلم، أما بعد الرابطة فيحقّ له أن يشدَّ ويهدَّ على غيره لأنه صار بالنور، بقلبه رحمة وحنان ويستطيع علاج غيره. ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾: من رحمتهم بهم ليردُّوهم إلى الحق والسعادة والجنات، وهذه هي الغاية من القتال والشدة على الكفار. ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾: هذه علامتهم، لا يختلفون مع بعضهم بعضاً، بل كلٌّ منهم يُجلُّ ويحترم ويخدم الآخر، ذلك أنَّ الخلاف من الشيطان، والشيطان لا سبيل له على المؤمنين الذين هم مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[8]

وكذلك فهذه الآية الكريمة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ تنفي وبلا شكٍّ ما تناقله المؤرِّخون والرواة حول الخلاف المزعوم بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع خالد بن الوليد بعد عزله من قيادة الجيش، ثم لو كان هناك خلاف بينهما لرجع سيدنا خالد وانقلب على سيدنا عمر حيث الجيش كله بيده، وكذلك لا يُعقل أبداً كما ورد ببعض الكتب السابقة أن يتصارع طفل له من العمر ثمانية أعوام مع شاب في الثامنة عشر من عمره ويصرعه، فهذه القصة محض اختلاق.

كذلك أيضاً إن هذه الآية الكريمة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ تنفي ما زعم التاريخ من خلاف معاوية بن أبي سفيان مع سيدنا علي بن أبي طالب. والرسول ﷺ قال: **"اختلاف أمتي خير"**، لأنهم كما قال ﷺ: **"علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء"**، ويفهم على سياستهم من كان في مرتبة الصحابة من التقوى، وما دون ذلك فإنهم يخطئون فَهْمَ ما يقوم به أولئك العظماء رضوان الله

---

[7] هذه الآية دليل عل أن الحلق بالموس، يقال حلَّقت الطائرة أي ارتفعت، قبل حلق الشعر يكون الشعر أعلى شيء بالإنسان، ومحلقاً فوق الرأس، وعند الحلق بالموس لا يبقى شعر على الرأس ويصبح هو المحلِّق وأعلى شيء، لذلك أتت الآية {مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ} لتبين أن الحلق بالموس. فالمؤمن لا يهمه ولا يبالي بحلق شعره كاملاً، فالصورة لا قيمة لها بنفسه وهو لا يبالي بما يقوله الناس ولا تهمه النساء، لا يهمه إلا رب الناس، المرأة يهمها شعرها وفيه فتنتها وإذا حلقت ذهب الكثير من حُسنها.

[8] سورة النحل – الآية:99.

عليهم، لذا يجب على المرء أن يتجنَّب الخوض الخاطئ بحقهم، قال ﷺ: **"إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"**، وكذلك قال تعالى: **{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**[9]: أي لا تتحدثوا عنهم إلا بالخير هكذا يأمرنا الله.

مثلهم رضوان الله عليهم كمثل اختلاف الليل مع النهار، وكاختلاف الشتاء والصيف، وإنك لترى ما ينتج عن هذا الاختلاف من مواسم وخيرات، فصحب رسول الله ﷺ حازوا على نصيبٍ عالٍ من الحكمة تجعل من الخلاف بينهم إن اقتضى الأمر نوعاً من التخطيط والتدبير المُحكم، فظاهره الخلاف وحقيقته التفاهم والتآخي والرحمة، فكل ذلك للخير ولدفع مركبة الإسلام، وهكذا كل مؤمن يكون في قلبه العطف على إخوانه، والله أصدق القائلين، فهو أصدق من أولئك الذين اتهموا المؤمنين بالتنازع على الدنيا ومناصبها. وهم قد طلَّقوا الدنيا وغدوا مع أهل السماء فلا يستطيع أن يغرّر بهم شيطانٍ ولا تفتنهم دنيا أو يَستميلهم حبُّ ذات، وقد شهد بهم تعالى وهو الخبير العليم، فقال: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}**[10].

﴿تَرَاهُمْ﴾: يا محمد ﷺ. **﴿رُكَّعًا﴾:** طائعين. **﴿سُجَّدًا﴾:** طالبين الفضل من الله لهم ولغيرهم، لذلك قاموا يدلّون الناس على الحق وعلى الإيمان، فخرجوا لفتوح العراق والشام، وتخليصهم من نير استعمار البيزنطيين وعباد النار، وكل هذا بمعية رسول الله ﷺ فهو بملاحظةٍ قلبيةٍ لهم، ومشاهد أعمالهم وأحوالهم وقد رضي لرضاء الله عنهم. **﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾:** غايتهم هداية الخلق وليس جمع المال، فقد فتحوا العالم بالتجارة أكثر من السيف، أي: بالمعاملة الإنسانية، ولقد كانت التجارة هي الوسيلة التي تؤمن لهم الاجتماع مع الناس لدلالتهم على الله وهدايتهم. **﴿وَرِضْوَانًا﴾:** طلبهم بأعمالهم هذه رضاء الله عنهم، وإقام الصلاة لنفوسهم ولغيرهم، وبهذا رضي الله عنهم. **﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾:** نور في وجوههم أي في نفوسهم، ذلك أن نفوسهم دائماً متوجهة إلى الله سبحانه وهم بالنور وبشهود لأسمائه تعالى الحسنى لأنهم بمعية رسوله ﷺ فغدت وجوههم لامعة مشرقة.

﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: كل هذا لأنهم آمنوا وعملوا صالحاً، آمنوا بالبداية رأوا أنهم كانوا نطفة والله خلقهم منها، لقد شاهدت أنفسهم أنهم ما كانوا شيئاً والله تعالى هو الذي منه كل شيء، لذلك تنازلوا عن العُجب بنفوسهم وتخلوا عن ذاتهم لله ورسوله. **﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾:** لقد بيَّن التوراة والإنجيل مثلهم، كالأسباط إخوة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، وكذلك الحواريون الذين حاوروا سيدنا عيسى وآمنوا به عليه الصلاة والسلام، وكذلك أصحاب سيدنا داوود عليه الصلاة والسلام، كل هؤلاء اتقوا وكان طلبهم هداية الناس، فالمدرسة مفتوحة في كل زمان ولكل أمة لمن يرغب ويريد، والمعلمون موجودون ولم يحرم تعالى زماناً منهم.

ولكن من الذي أوصلهم لهذا الكمال وكيف وصلوا؟

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: هؤلاء المؤمنون اجتمعوا برسول الله عليه الصلاة والسلام، وسمعوا بيانه ودلالته فعرفوا أن ما في الدنيا من مال وجاه وولد وزوجة وشهوات هي الحجاب بينهم وبين الله سبحانه، وهي سبب انقطاعهم عن حضرة الله، فكّروا وأخرجوا الشطء من نفوسهم، أي: الدنيا وشهواتها، الشطء: مأخوذة من: (الشطن): وهو البعد. و(الوطء): وهو الدوس والدعس، فالدنيا وشهواتها أبعدت نفوسهم عن حضرة الله، وقطعتها عنه، لذلك داسوا عليها عندما فكَّروا، قالوا ما الذي قطعنا عن الله؟ نظروا فرأوا أن الشيء المحبَّب إلى أنفسهم من الشهوات هو الذي قطعهم

---

[9] سورة البقرة – الآية:134.

[10] سورة الحشر – الآية:9.

فضحّوا به ورموه من قلوبهم. فبالتفكير ينبت الإيمان بالقلب **{لَنْ تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}**[11]

إذا ضحى الإنسان بالدنيا وفكر وآمن، هنا يأتي دور رسول الله ﷺ وعمله مع هذا المؤمن. **﴿فَآزَرَهُ﴾:** آزر هذا الإيمانَ محبةُ رسول الله ﷺ والدخولُ بمعيَّته على الله. **﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾:** قَوِيَ هذا المؤمن، والله سبحانه وتعالى يقول: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}**[12]

فإن كان الغصن ضعيفاً ينكسر، أمَّا إذا نما واستغلظ متن وتعذَّر كسره، كذلك مراتب الإيمان في ذات المؤمن تتدرَّج فيكون بداية كالطفل "ضعيف صغير" ثم ينمو ويكبر ليصبح صبيّاً ثم ينضج ويبلغ سن الرشاد والقوة. **﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾:** نضج، تعهده الزارع فكَبُرَ، رسول الله ﷺ يتعهد هذا المؤمن، ينضج المؤمن على ما يسوقه الله له من أعمال عالية نتائجها النور والإقبال عن طريق رسول الله ﷺ. **﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾:** محمد صلوات الله عليه وكل الرسل والأنبياء عليهم السلام. **﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾:** يُفشل خطط الكفار ويُحبط مساعيهم ونواياهم الخبيثة، وكل هذا ليرجعوا إلى الحق والسعادة، أي: مثل المؤمنين كحبة قمح نبتت فتعهدها الزراع، فغلظ سوقها ثم أنبتت سنابل، كذلك رسول الله فقد غرس في نفوس المؤمنين بذور الإيمان، فنبتت وتفرَّع المؤمنون وكثروا، مما يُعجبُ الرسول ﷺ ويسرّه ويغيظ الكفار ويؤلمهم. **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾:** هذا الوعد لكل المؤمنين، بكل زمان ومكان. **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾:** المؤمن يبحث عن العمل الصالح ويعمله، لأنه يعلم أنه سببٌ للإقبال على الله. **﴿مِنْهُمْ﴾:** الصحب الكرام وكل من آمن من بعدهم بصحائفهم ولهم على إيمانهم أجر، فهم الذين فتحوا البلاد ونشروا الإسلام، وكانوا سبباً في هداية المؤمنين. **﴿مَغْفِرَةً﴾:** كل شيء فعلوه بالجاهلية غفره الله لهم بالنور، وشفيت نفوسهم منه. **﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾:** صاروا كالأنبياء: نفوسهم شموس، من شدة الأنوار التي يصبُّها الله عليهم حتى شمل هذا الأجر أجسادهم؛ فلقد حرَّم الله على الأرض أن تأكلها تكريماً لهم، وبارتباط قلوبهم برسول الله ﷺ غدوا مرشدين يدلُّون الناس على الحق، الإرشاد لا يكون إلا بتولية من الله.

والحمد لله رب العالمين.

---

[11] سورة آل عمران – الآية:92.

[12] سورة التوبة – الآية:123.

تأويل سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجرات: [01-10]

الآيات الكريمة التالية تشمل "أهل الذكر" الأتقياء الأنقياء الأئمة المرشدين.

المؤمنون يطبِّقون ما يأمر به الله تعالى في هذه الآيات، فيغدون من أهل البصيرة مع البصر ولكن لا يعيشون إلا بالبصيرة، وتبين هذه الآيات للمؤمنين طريقة التعامل مع المرشدين الصادقين من بعد رسول الله ﷺ. **{وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}**[1]، **{وَلْتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[2].

بهذه السورة الكريمة يلفت تعالى نظرنا ويرشدنا إلى كيفية التعامل ضمن التوقير والتعظيم والتقدير مع الرسول ﷺ ومع المرشدين الصادقين من بعده، وكيف يجب علينا أن نخاطبهم ونتحدث إليهم ذلك أنّ مجلس المرشد الصادق هو مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما قال سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حين دخل مجلسه رجلٌ أعرابي: "أيدخل أحدكم مجلس رسول الله وفي عينيه أثر الزنا؟ فقال الأعرابي: أوَحي بعد رسول الله. قال سيدنا عثمان: لا يا أخي ولكنها فراسة المؤمن"[3].

فعلى الطالب الصادق أن يلتزم هذه الآيات الكريمة فيعاملهم ضمن الاحترام والتعظيم والتبجيل لأنهم هم الأبواب لرسول الله، وهو ﷺ باب الله للمؤمنين، فتوقيره وتقديره وتعظيمه يجعل النفس تلتفت إليه وترتبط به برابطة التقدير وتدخل بمعيته على الله لأنه ﷺ دوماً مع الله، فيغدو المؤمن المرتبط قلبياً برسول الله ﷺ مع الله بالتبعيَّة، وبذلك تشفى النفس مما بها من علل وأدران وتنال العطاء المعدّ لها والجنات.

لذا حباً بنا ينبهنا الله ويرشدنا لئلا نقع في الخطأ مع العظماء وبذلك تنقطع نفوسنا عنه تعالى فتهلك.

1- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾:** الخطاب للمؤمنين. **﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾:** إياكأن تقطع حديث رسول الله وتقدِّم حديثك على حديثه. فكلامه ﷺ من الله مباشرة **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}**[4]. وبدروسه الجنات الأبدية والعطاءات الإلٓهية.

هناك من هم حديثو العهد بالإسلام وقد قاموا بنصرة الحق ومؤازرته، فعندما يدخل أحدهم مجلس رسول الله ﷺ بوجه أبيض وثقة كبيرة بعد أن قدَّم عملاً طيباً أو وقف موقفاً مشرِّفاً في نصرة الحق، فيبادر بالحديث عنه، فيكون بذلك قد وقع في الزلل والخطأ من حيث لا يدري وهو يحسب أنه يحسن صنعاً. فالله ينبهنا لأن نترك الحديث في المجلس لخليفته ﷺ ولا نبادر فيه بحديثنا. كما كان الصحب الكرام رضوان الله عليهم يجلسون في مجلسه ﷺ وكأنَّ على رؤوسهم الطير، لا يتكلم أحدٌ منهم إلا إذا طلب الرسول الكريم منه وسأله، وكيف يتكلمون وهم يشاهدون عن طريقه ﷺ وبكلامه العالي

---

[1] سورة الأعراف – الآية:181.
[2] سورة آل عمران – الآية:104.
[3] فيض القدير [1 – 142].
[4] سورة النجم – الآية:3.

أسماء الله الحسنى والجنات والأزل والآخرة، وبكلامه ﷺ كلام الله المزدان بالتجلِّي القدسي تسمو نفوسهم لعليّين، فإن تكلّم أحدهم وقطع حديث رسول الله ﷺ فيكون بذلك قد قطع نفسه وقطع المستمعين عن هذه المشاهدات العليّة والأنوار المحمدية العظمى.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أيها المؤمنون انظروا بنوره سبحانه وتعالى، إن آمنتم واتَّقيتم يصبح لكم نور ترون به كمال رسول الله عليه الصلاة والسلام، فيوسّع لكم استنارتكم وبصيرتكم، فترون الحقائق بنوره ﷺ الموصل لنور الله وترون أنه ﷺ **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}**[5].

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم. **﴿عَلِيمٌ﴾:** بنفوسكم وأحوالكم.

2- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾:** لا تضعوا رأيكم مع رأي النبي وتتكلموا في مجلسه وهو يتكلَّم، أنتم أصغوا وتابعوا لتُرحموا وتُشفَوا، لقد جاء ﷺ والناس فوضى في الجهل غارقون، وفي الضلال سادرون وآراؤهم منحرفة، فظلَّ يجاهد ويخالف المجتمع وتياراته السافلة حتى وصل بالصحابة للكمال. وذلك بسماع كلامه وعدم مخالفته **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}**[6]. لأن كلامه ﷺ من الله، والله يخاطبك أيها المؤمن عن طريقه.

إن أمرك وأرشدك لأمرٍ فطبِّقْه دون تردُّد، ولو خالف المجتمع المضلَّ الهالك وإن خالف أهواء النفس المهلكة، لأن هوى النفس هو الذي أعماها عن الحق بالأزل. أطعْ رسول الله عليه الصلاة والسلام، لأن بطاعته طاعةً لله، والعائد لك دنيا وآخرة، **{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}**[7]، **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}**[8].

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: رسول الله ﷺ لطيف رحيم ودود يؤانس أصحابه ويلاطفهم ويتواضع وينزل لمستوى كل واحد، حتى يظن الإنسان أن رسول الله رفيقه وصديقه. فإياك أن يثبت هذا الظن بنفسك أيها المؤمن، وأن ترى رسول الله ﷺ كأحد إخوانك وتجهر له بالقول وكأنه زميلك، وهنا يأتي دور التفكير فانظر وتذكر أعماله العظام وجهاده المقدس وطهارة نفسه الشريفة، هل أنت مثله؟!وكم كنت بعيداً عن الله قبل مجيئك لعنده! والآن وبعد اجتماعك به ﷺ ألست تعيش قلبياً بالسمو والنعيم بفضله؟ وهو يسبغ عليك أنواراً من الله، فأنت بالسعادة والغبطة مغمور.

أما إن نظرت له نظرةً مجرَّدة من التعظيم والتقدير فجعلته كأحد إخوانك وجهرت له بالقول وبادلته الحديث كما تفعل مع أخٍ أو صاحب، هنالك سوف يحبط عملك وتنحط منزلتك لأن النفس لا تلتفت إلا للأعلى منزلةً والأعظم قدراً، ولا يلتفت الإنسان لمن هو مثله ولا يستعظمه.

﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾: حتى لا تنقطعوا عن الله بإعراض نفسه عنكم، وبإعراض النفس عن اللهتكتسب السوء ويقع الإنسان بالفتن والشهوات المنحطة. فكما قلنا يجب على المؤمن أن يعظِّم ويوقِّر رسولالله، لأنه ﷺ باب الله والموصل لنور الله، فمهما لاطفك ومازحك لا تبادره أنت بالمثل، بل زِدْه في قلبكتعظيماً. حتى بالسير معه فلا تتقدَّم عنه في المسير، ارجع للوراء قليلاً، واترك بينك وبينه خطوة، وبكل أمرقدِّمه على نفسك، واجعله فوقك لتنال منه المكرمات والعطاءات. فالأرض المنخفضة تشرب الماء منالأعلى لا من مثلها.

---

[5] سورة النجم – الآية:3–4.

[6] سورة النساء – الآية:64.

[7] سورة النساء – الآية:80.

[8] سورة النور – الآية:52.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: دون شعور منك، تظن أنك تبادله الأحاديث، وأنه كأحد إخوانك، وبهذا الظن يخسر الإنسان علوّه من دون شعور، وتغدو ميولاته أرضية وتغلبه أهواء نفسه الدنيوية، وهو لا يعلم أنّسبب تحوّل ميولاته للدنيء إنّما هو انقطاع نفسه عن رسول الله ﷺ.

3- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: لا يضعون رأياً لهم ولا يتكلمون في مجلسه إلا أن يؤذن لهم، ويتكلمون معه ضمن التعظيم والتبجيل فينالون عن طريقه الخيرات، فهو ﷺ جاء هادياً لهم ومنقذاً. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾: هؤلاء الذين يعظِّمون رسول الله ﷺ قد تهيَّؤوا لنوال الخيرات وللاستنارة الدائمية بنور الله عن طريقه عليه الصلاة والسلام، وبهذا التعظيم والتقدير تنعقد الرابطة معه ﷺ ويصل الإنسان للتقوى، وحيث صار معه نور يرى كمال وجمال وأنوار الله ورسوله، ويرى حقائق الأشياء بمعيَّته ﷺ فلا يقع بالشر ويفعل الخير. هؤلاء: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: يشفيهم الله، وبعد الشفاء يأتي العطاء. ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لِـمَا يقدِّمون من جليل الأعمال التي كان نوالها بفضله وسببه عليه الصلاة والسلام، إذ بعد الشفاء يرزقهم الله أعمالاً عظمى كبرى مشابهة لأعمال رسول الله وإن كانت نواياه ﷺ لا تداني فهي أسمى بكثير، إلا أن تلك الأعمال تعود عليهم بالنعيم والجنات دنيا وآخرة.

4- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾: الحجر: هو الفاصل والمانع، تقول: حَجَرَ الماء، أي: منعها. وهؤلاء عندما لم يؤمنوا بالله ويستنيروا بنوره ظلّوا في الظلمات، ظلمة إعراضهم الأزلي الذي حلُّوا فيه عندما انقطعوا عن الله في عالم الأزل، فلقد لبستهم الشهوات وغدوا في ظلمتها، ثم جاؤوا إلى الدنيا ولبسوا أجسامهم فغدوا في ظلمة الجسم أيضاً، إضافة لظلمة الشهوات، ثمّ إنّ هذه الدنيا وهذا الكون كلُّه إنّما هو الظلمة الثالثة. وتشكّل هذه الظلمات الثلاث حجباً وموانعَ تحول بينهم وبين رؤية النور الإلّهي، ولذلك فهذه الحجب حجبتهم عن رسول الله ﷺ ورؤية حقيقته وكماله وأنواره وجماله الرباني.

هؤلاء وحيث إنّهم لم يؤمنوا الإيمان الحقيقي، فهم ينادونه ﷺ من وراء الحجرات، أي: من وراء شهواتهم المادية وظلماتهم النفسية، تلك التي غرقوا فيها فأحاطت بنفوسهم.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا يكون العقل إلا بالنور، وهؤلاء لا نور لديهم لأن نفوسهم محجورة في الظلمات المادية فهم لا يرون حقيقته ﷺ سراجاً منيراً، رأوا الصورة فقط.

الطريق للنجاة: التفكير بالموت واليقين بالفراق، ومن ثم النظر بآيات الله، فتصل النفس للإلّه. وبالصلاة تزول الحجب عنها وتتبدل بالأنوار، عندها يقدر هذا المؤمن رسول الله ﷺ فيشاهد حقيقته السامية ﷺ وأنه أجمل وأعظم وأرحم خلق الله، فتتعلق نفسه به وتستنير استنارة دائمية.

5- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾: صبروا عن الشهوات، ما أعطوا نفوسهم هواها لأن هواها هو الذي أعماها، لو أنهم جاهدوا واجتهدوا وطبقوا القوانين وآمنوا بلا إلّه إلا الله: ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾:باللحظة التي يطلب بها الإنسان ربَّه، يرسل له رسوله عليه الصلاة والسلام، ليريه كمال الله ونوره وعظمته وفضله سبحانه وتعالى. إذن باللحظة التي يؤمن بها الإنسان، يخرج إليه ﷺ بحقيقته، يخرج إليه بنوره ويأتيه بالتجلي القدسي والمشاهدات العليَّة لأسماء الله الحسنى، فيخرج من الظلمات إلى النور ويصبح تقياً برابطته القلبية برسول الله ﷺ.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: إن آمنوا يشفيهم الله ويرحمهم بإرسال رسوله فيدخلون الجنات بمعيته ﷺ.

6- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ**﴾: بخبر، قد يكون له غاية ونيَّة خبيثة من وراء ذلك. ﴿**فَتَبَيَّنُوا**﴾: لتكونوا على بيّنة مما قال، تأكَّدوا من صدقه. ﴿**أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ**﴾: لئلا تظلموا أحداً. ﴿**فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾: تندمون على ظلمكم إياهم، وهذا يمنعكم من الإقبال على الله، حيث تغدو نفوسكم خجلى من هذا العمل.

7- ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ**﴾: أوصلوا أنفسكم للعلم، آمنوا بلا إلّه إلا الله لتشاهدوا حقيقته ﷺ وتعلم أنفسكم أنه رسول الله. إياكم أن تموتوا دون أن تصلوا لهذه الدرجة من التقوى والعلم. ﴿**لَوْ يُطِيعُكُمْ**﴾: وأنتم على هذا الحال بلا إيمان. ﴿**فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ**﴾: مما ترون. ﴿**لَعَنِتُّمْ**﴾: لعاد عليكم هذا بالضر والأذى والشدة. ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ**﴾: بنواياكم العالية ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾: بما جعل فيهمن سعادة وحياة لمن يسلك الطريق ويؤمن. ﴿**وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**﴾: لما فيه من شقاء وأذى عليكم.

﴿**أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾: أرشدوا أنفسهم ودلُّوها على الله، ثمّ بعد ذلك صاروا أمةً وسطاً، يرشدون الخلق ويدلّونهم على الله والإيمان به.

8- ﴿**فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً**﴾: كل هذا فضل وعطاء كبير من الله، أنعمه عليكم بواسطة رسوله ﷺ. ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**﴾: بما في أنفسكم من نوايا عالية، لذلك جمعكم به ﷺ. ﴿**حَكِيمٌ**﴾: بكل الخلق وما يناسبهم.

9- ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾: إن حدث بينهم قتال ونزاع، وهذا من ضعف الإيمان، فلابد وأن إحدى الطائفتين على خطأ، فإذا كانت على خطأ فلا يصح دعم الباطل إطلاقاً، يقول ﷺ: **"قل الحق ولو على نفسك"**[9]، **"قل الحق وإن كان مُراً"**[10]، فلا يصح لأي فرد من أفراد الطائفة تأييد الباطل ومناصرته، ولو كان الذين على الباطل أولي قربى، بل ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم... فالمؤمن ينصر الحق أينما وُجد، فهو لا يؤيّد إلا الحق ولا يخشى في الحق لومة لائم.

﴿**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾: اسعوا لإصلاح وحلِّ الخلاف بينهم. ﴿**فَإِنْ بَغَتْ**﴾: تعدت وظلمت. ﴿**إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**﴾: لأنها متعدية وظالمة، قاتلوها لعلها تفيء. ﴿**حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾: ترجع إلى الحق. ﴿**فَإِنْ فَاءَتْ**﴾: رجعت إلى الحق. ﴿**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا**﴾: كل واحدة وحقها ضمن العدالة. ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾: هكذا يحبكم.

10- ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾: هذه هي الأُخوَّة التي أقرّها الله، فجميع المؤمنين تآخوا فيما بينهم بالله وهذه هي الأخوَّة الدائمية المعتمدة والتي لا تزول بزوال الدنيا، أما أخوَّة النسب فهي منقضية بانقضاء الدنيا. قال تعالى عن حال المعرضين في الآخرة: {**فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ**}[11]. ﴿**فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾: هؤلاء إخوانكم، فاسعوا للإصلاح بينهم، المؤمنون متحابُّون متعاونون، كل مؤمن يشعر بأخيه ويفديه بنفسه. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: لا تميلوا لأحد منهم دون الآخر ولو كان ذا قربى.

﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾: تصيبكم الرحمة وتأتيكم الخيرات، بعملكم هذا تُرحمون وتُؤجرون على فعلكم الطيب.

سورة الحجرات: [11-18]

---

[9] المشيخة البغداديّة ج4 رقم الحديث: 24

[10] مسند أحمد رقم الحديث: 3153

[11] سورة المؤمنون – الآية:101.

11- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ**﴾: لا يستخفّ قومٌ بقومٍ ويتعالوا عليهم. ﴿**عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾: عند الله ورسوله. ﴿**وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ**﴾: كذلك لا تسخر نساءٌ من نساءٍ، بأن يتعالين ويتكبرن على بعضهن بعضاً بالتباهي والتفاخر بالأنساب والملك وغيره... ﴿**وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾: تعيبوا بعضكم بعضاً، إذ اللمز هو العيب، تقول: لمز فلان فلاناً، أي: عابه، والمعنى أن يعيب المرء على الآخرين أحوالهم في وجههم أو على مسمع منهم، وذلك بأن يعمل أعمالاً يُظهر فيها للآخرين نقصهم، ويخرج على الناس بزينة تفوق زينتهم وتبخسها في أعينهم، وبهذا العمل يكون قد حرم نفسه من الإقبال على الله وقطعها عن الصلة وعابها بما ألصق بها من صفات ذميمة ومن العيوب النفسية الناشئة عن محبة الدنيا. هذا الشيء إن فعلتموه يعود عليكم بالشر، ويجرّ لأنفسكم العيوب والنواقص فتقعون بها. ﴿**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**﴾: تنعتون غيركم باسْمٍ ولقب يكرهه. ﴿**بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ**﴾: هذه تعود عليه بالبؤس. ﴿**بَعْدَ الْإِيمَانِ**﴾: هذا الشيء يخرجكم عن دائرة الإيمان ﴿**وَمَنْ لَمْ يَتُبْ**﴾: من بعد ما بيَّنت لكم. ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾: لأنفسهم بإصرارهم على المخالفة والمعصية سيقعون بالذل والحقارة، فالله سبحانه من رحمته لا يتركهم بلا علاج.

12- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾: الظن المتسرع العاطفي غير المبني على أسس يقينية ثابتة لما فيه من أذى فيجعلكم متباغضين مع بعضكم بعضاً. ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾: على بعضكم بما ليس لكم حق السماع إليه. ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾: لا يتكلَّمْ أحدكم على الآخر بالسوء فهذا يحزنه فتصبحون بعدها أعداء وتذهب ريحكم ويطمع الكافر بكم ويأت لحربكم. ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾: لم يكن هذا المثال يتلى على سبيل صورة بيانية ومجرَّد تشبيه لإيصال الفكرة وبيان خطورة الغيبة فحسب، بل القرآن الكريم كله حقائق ثابتة، وما كان حديثاً يُفترى للبلاغة والصورة البيانية فقط، إنما هذا المثال حقيقة ثابتة حاصلة في عالم الحقائق والنفوس.

أما في عالم الصور فهذا لا يكون أبداً، والله تعالى يقول أنتم تكرهون أن يأكل أحدكم لحم أخيه وترفضون وتشمئزون منه لو حصل ذلك في عالم المادة والأجساد، إلا أنه في الحقيقة كل امرئ يتكلَّم على أخيه بالأذى وبما يسوءه بغيابه، فهو يأكل لحمه ويمزّقه تمزيقاً وهذا يكون واقعاً حقاً في عالم الحقائق والنفوس، إذ النفس لها سريان واسع تتبع أعمالها وأقوالها، فالمرء بحديثه وكلامه تسري نفسه إلى المواطن التي يتكلَّم عنها، فإذا تكلّم على أخيه سرت نفسه إليه بالظلام، وبحالة البعد والانقطاع عن الله، لأن عمله هذا مخالف لحدود الله. وبهذا السريان المذموم تصطك نفسه بنفس المتحدَّث عنه، فعندما تتكلّم بما يحزنه ويؤلمه يحدث هذا التوجّه النفسي الذي يورث الألم والهمَّ والحزن في قلب من تتكلم عنه، وإنما تمزّقه أيَّما تمزيق وتحرّقُ نفسه حرقاً، لأنك تتوجه لعيوبه ونواقصه وتتكلّم عنها وهذا حقاً يؤلمه ويحزنه، سواء كان ذلك العيب حقيقياً أمكان بهتاناً وكذباً، فكلا الوجهين مرفوضان إذ إنهما يُحزنان المتكلَّم عليه ويؤذيانه أيَّما إيذاء.

ولا يقتصر معنى الغيبة على الكلام في حالة الغياب فقط إنما يتعدى للنظر أيضاً فالذي ينظر لمحاسن المرأة ويستهويها مثلاً ويختلي بنفسه ليتصوّرها ويتمثّلها بالفواحش والمنكرات، فما هذا إلا من أكلة لحوم البشر والله حرَّم هذا قطعاً بقوله تعالى: {**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**}[12] فالنفس تسري وتتصور الجسد لتتصل للنفس وتمزّقها وتورثها الهم والغم والضنك، بل وتمزقها ألماً، فبهذا التوجه تسري النفس في الظلام وقرينها الشيطان لتتلذّذ بالمعاصي والحرام، فيكون بهذا الفعل

[12] سورة الأعراف – الآية:33.

قتل نفسه وقتل مَن توجّه إليها بالحرام أيضاً، إلا أن الأعمى "أعمى البصيرة" تأتيه الآلام النفسية المضنية والهم والغم والكرب وهو لا يدري منشأ ذلك وسببه، بل إنّه يتخبط في الظلمات خبط عشواء.

وكذلك كل من يتكلّم عن أخيه المسلم بالسوء وبالأذى فهذا أيضاً من أكلة لحوم البشر، لأنه بالحقيقة بهذا العمل إنما يأكل منه أكلاً ويمزق نفسه تمزيقاً ويورثها الهمَّ والغمَّ والكرب بعمله هذا، من حيث لا يدري. إلا أن المسلم الحق من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم، فهو ستَّار، لا يذكر بلسانه عيب امرئ.

﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: اسعوا للإيمان والتقوى ليحصل لكم نور من الله فتروا ما في هذه النواهي من أذى وضرر عليكم وعلى غيركم فلا تقعوا. ﴿**إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ**﴾: إن تبتم يرجع عليكم بالنعمة والخير. ﴿**رَحِيمٌ**﴾: بكم، يشفيكم ويدخلكم الجنة.

13- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**﴾: كلُّكم من أبٍ واحدٍ (آدم عليه السلام) وأمُّكم واحدة (حواء عليها السلام)، أنتم إخوة، فلِمَ التعالي على بعضكم بعضاً. ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾: على الله، لتدلُّوا بعضكم بعضاً على الخير والإيمان والتقوى. ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾: المكرَّم عند الله الذي وصل للتقوى، لا أنسابكم ولا أموالكم هي التي ترفعكم عند الله، بل إيمانكم وتقواكم وأعمالكم الصالحة. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ**﴾: بأحوال أنفسكم وما أنتم عليه، عليم لأنه سبحانه وتعالى محيط بكل شيء. ﴿**خَبِيرٌ**﴾: بكم، خبير بنفوسكم وما يناسبكم، إن تبتم فلكم الإكرام، وإن عصيتم وما طبَّقتم ما أمركم به فلكم الشدائد لترجعوا وتتوبوا.

معنى اسم الله (الخبير)، أي: إن الـمُخبَّأ بنفسك أيها الإنسان ظاهر عند الله ومُشَاهد "يعلم السرَّ وأخفى" السرُّ: الشيء المخبَّأ. وبناءً على هذا، فالله سبحانه يعامل الكل بما يناسبهم لأنه تعالى خبير بهم. إن الله سبحانه وتعالى نظر في الأزل للأنفس كلها مُقبلها ومُعرِضها، فشاهدها وعلم ما كمن فيها وما أصرت عليه، فأعطى سبحانه كلَّ نفسٍ ما يناسبها، فجعل لها الأم والأب المناسبين، وخلقها في الزمان والمكان المناسبين، ويعلم سبحانه خلجاتها وتقلباتها وما يلزمها من علاج ودواء، حتى تسير بالحق وترقى، ويُظهر لها تعالى من خفاياها إن أمكن الشفاء، فهو سبحانه خبير بالأنفس يعاملها حسب المناسب وبما فيه خيرها وسعادتها.

14- ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا**﴾: بالله. ﴿**قُلْ**﴾: لهم. ﴿**لَمْ تُؤْمِنُوا**﴾: بعد، ما صار لهم إيمان عقلي شهودي فوقعوا بالنفاق، الإيمان شهود أنتم لم تصلوا للشهود بعد، فالله يُحذِّر مَنْ اقتصر إيمانه على التصديق أن هذا ليس إيماناً حقيقياً. ﴿**وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾: هذا إسلام وليس إيماناً. ﴿**وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾: قلوبكم ما استنارت بعد بنور الله، ما صار لكم تقوى وبصيرة. والطريق لهذا: ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: سيروا بما يأمركم به رسول الله ﷺ عن الله. ﴿**لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا**﴾: لا يضيّع لكم من أعمالكم شيئاً، وستنالون عليها أجراً كبيراً وعظيماً. ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**﴾: يتجلّى عليكم بالنور ليستر عنكم ما بدر منكم في جاهليتكم ويشفيكم. ﴿**رَحِيمٌ**﴾: خلقكم ليسعدكم ولتتنعموا بالجنات.

15- ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ**﴾: آمنوا بلا إلَه إلا الله إيماناً شهودياً، شهدت نفوسهم أنوار الله سبحانه وأسماءه الحسنى. ﴿**وَرَسُولِهِ**﴾: صار لهم شهود لكماله ﷺ حين آمنوا بالله وتواضعوا لرسول الله ﷺ وقدّروه وعزّروه وسجدت نفوسهم لعظمته كما سجد إخوة سيدنا يوسف ﷺ له، وكما سجد سحرة فرعون لسيدنا موسى عليه السلام وبلقيس لسيدنا سليمان ﷺ. ﴿**ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾: بإيمانهم العالي هذا لم يعُد شيء في الدنيا من لذائذ وشهوات يمكن أن يحوِّلهم عن الله وعن صلاتهم به سبحانه، حيث صاروا بالجنات والسعادة فكيف يتحوَّلون! وإلى أيِّ شيء! ومنه تعالى كل شيء.

﴿**وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ**﴾**:** أنفقوا مما أعطاهم الله. ﴿**وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾**:** جاهدوا بهوى أنفسهم، ما أعطوها هواها المهلك، كذلك لـمّا جاء داعي القتال خرجوا للجهاد في سبيل الله. ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾**:** صدقوا ونالوا، أنتم اصدقوا مثلهم لتنالوا.

16- ﴿**قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾**:** هذا الربُّ العظيم الذي خلق هذا الكون وجعل له هذا الترتيب والتنظيم ويمدّه ويسيّره، ألا يعلم كل شيء يجري فيه؟ ألا يعلم كل شيء عنك أيها الإنسان وما يناسبك؟ الله سبحانه محيط بكل شيء، لذلك جعل لك هذه القوانين إن سرت عليها بلغت السعادة، ولأجل هذا خلقك. فلِمَ تضعون قوانين من عندكم وتسيرون عليها؟!

﴿**وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾**:** كل ما يجري في الكون بعلمه، أفلا يعلم كل شيء عنك أيها الإنسان.

17- ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**﴾**:** لكن ماذا كنتم من قبل؟ ما حالكم قبل أن تجتمعوا برسول الله، كنتم بالذل والانحطاط والشقاء فرفع الله شأنكم به ﷺ. ﴿**قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ**﴾**:** بالهدى حيث أنزل دلالته على رسوله. ﴿**أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ**﴾**:** الذي فيه سعادتكم. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾**:** ترون ذلك الفضل والمنَّ عليكم بالإيمان.

18- ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾**:** عنده سبحانه علم الغيب، مطَّلع ومشاهد لكل شيء، وإظهار المغيَّبات راجع إليه تعالى، فكلُّ ما يجري في السماوات والأرض إنما هو بعلمه وبإذنه وبإمدادٍ منه جلَّ وعلا. ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾**:** ناظرٌ مطَّلعٌ مشاهد عملك أيها الإنسان وستحاسب على كل ما قمت به وفعلته.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة قَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة قَ: [01-10]

1- ﴿قَ﴾: عندما أصبح سيدنا يوسف عليه السلام قريباً من ملك مصر سلّمه الحلَّ والعقد، فجعله عزيز مصر وخازناً لبيت المال "وزير مالية"، أي: سلَّمه أرزاق الناس. ولله المثل الأعلى، ورسول الله ﷺ بتفكيره وإيمانه وتضحياته الكبرى وأعماله العظمى سما ﷺ بسماوات عُلا لم يستطع أحدٌ من الخلق الوصول إليها، وبهذا الإقبال العظيم على الله حظي ﷺ بمرتبة من القرب لم يحظَ بها أحدٌ من العالمين، ولم يصل أحد إلى هذه المكانة "مقام القرب" التي وصلها لذلك سيّده الله تعالى على الخلائق، وأعطاه الله عطاءً لم يعطه لأحد من البشر، فإذا عظّم الإنسان رسول الله ﷺ لم يعد للشيطان عليه مدخل ليلاً ولا نهاراً، لأنه ﷺ مستغرق بإقباله على الله وأقرب الخلق إليه، فقد خوَّله الله هداية العباد وأمدَّه بكل سبل الإرشاد، ولذلك ناداه الله بهذا النداء عن طريق الوحي بالقرآن، إذ قال له: يا {قَ}: أنت القريب مني، فهو ﷺ أصبح أقرب الخلق إلى الله، وكل من أحبَّه دخل به ﷺ على الله وأدخل محبة الله بقلبه وصار قريباً من الله، بالقريب ﷺ ترى القريب عزَّ وجلَّ قريباً منك، فالله تعالى دائماً يناديك وهو تعالى معك، ولكن القريب منه تعالى يسمع ويفهم نداءه ومراده، وليس من مخلوق أقرب من رسول الله ﷺ إلى الله. والدليل على قربه ﷺ أنه جاء بالقرآن المجيد الذي لن يستطع أحد أن يفهمه مثل فهمه ﷺ العالي.

﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾: شاهد على ذلك القرب، ﴿الْمَجِيدِ﴾: العالي، لذلك فهذه الدلالة التي جاء بها ﷺ لا أحد يستطيع أن يأتي بكلمة منها ولا أن يأتي بعمل من أعماله أيضاً، ذلك أنه لا يستطيع بشر أن يعلو ذلك العلو ويقطف الخيرات للبشرية مثل رسول الله ﷺ لذلك يخاطبه سبحانه وتعالى بأعلى صفات التمجيد، بما حصل عليه من بيان وعلوم سامية اضمحلَّت أمام علوِّها علوم البشر، وتلاشت حضارات الأمم على مرِّ العصور وكرِّ الأزمان أمام مبادئ الإسلام وقوانين القرآن التي تكفل السعادة للبشرية جمعاء فيما لو سارت بها.

2- ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: السبب أنَّهم لم يصدِّقوا أن الله سبحانه وتعالى يُرسل في هذا الزمان عظماء، أرسل بالماضي فقط لكن هل يعقل هذا؟ أيعقل مدرسة دون أساتذة يدرِّسون ويقرؤون ويشرحون المنهاج للطلاب؟

أين العدالة إذا ميّز أمة دون أمة فأرسل لواحدة ولم يرسل للأخرى! وحاشاه سبحانه، ففي زمن سيدنا آدم عليه السلام كان هو وسيدنا شيث عليهما السلام، زمن سيدنا إبراهيم، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط وبعدهم يعقوب ويوسف، وزمن سيدنا موسى، موسى وهارون وشعيب، وزمن سيدنا داوود، داوود وسليمان، وزمن سيدنا زكريا، زكريا ويحيى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين.

﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: وهؤلاء فئة ثانية نظروا إلى أقواله وأعماله فرأوا فيها العَجَب، شاهدوا كماله ولطفه وبيانه وعلمه فتعجبوا، حيث أنّ أعماله تعجز الخلائق عن القيام بمثلها وكذلك أقواله، لذلك تعجبوا. قالوا: كنا نسمع بإبراهيم وموسى وعيسى، أما الآن وبزمننا هذا يأتي إنسان مثل تلك النماذج السابقة وبأوزانهم! يفوق بعلومه كلَّ علمٍ وحضارة فلم يبقَ لنا إلا اتباعه أو الهلاك.

3- ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**﴾: هذا هو سبب عدم إيمانهم وتصديقهم، ما آمنوا بالآخرة ولم يفكّروا بالموت، قالوا من مات ورجع؟! بعد أن نصبح تراباً وذرَّات هل نعود مرة ثانية للحياة! أنكروا البعث والحساب والقيامة، لأنهم يريدون السير على أهوائهم المنحطة وشهواتهم الدنيّة ورذالاتهم، ولم يروا ما تنتجه في نفوسهم من نار، بل شاهدوها "بالوجه العكسي" محبوبة فيها السعادة، حقيقة الفاحشة: نار تشتعل بالنفوس، يراها المتَّقون.

4- ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ**﴾: كل إنسان وله أتربته، ذرَّات جسد الإنسان خُلقت من الثمرات والأطعمة، وهذه الثمرات والأطعمة من تراب الأرض. فكما جمعنا هذه الذرَّات أوّل مرة وركَّبنا لها سمعاً وبصراً وحساً... قادرون على جمعها ذاتها مرة أخرى يوم القيامة.

﴿**وَعِنْدَنَا**﴾: لك أيها الإنسان. ﴿**كِتَابٌ**﴾: جامع لك كلّ شيء. ﴿**حَفِيظٌ**﴾: فيا إنسان أعمالك وأقوالك مسجَّلة عليك، وسيعود لك ترابك وهو محفوظ لك، فلا يوجد شيء عبثاً، وستعود عليك نتائج أقوالك وأعمالك.

5- ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ**﴾: الحق: هو الله، الله سبحانه وتعالى خاطبهم على لسان رسوله ﷺ وتجلّى عليهم بأنواره وأسمائه الحسنى من خلاله ﷺ. فالله يُكلِّمنا بالقرآن من خلاله عليه الصلاة والسلام، وهم كذَّبوا، ولكن ماذا بعد تكذيبهم وإعراضهم عن الله؟

﴿**فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ**﴾: بسبب تكذيبهم دلالة الله صارت حياتهم كلُّها مرَّة وممجوجة مجّاً، فانظر إلى حال الناس اليوم، وضعوا سنناً لأنفسهم توافق أهواءهم، سرقة وغشاً وفساداً تليها الأحقاد والظلم والمذلة، فعاشوا بالشقاء والآلام والضيق والهموم، بالجرائم والحروب والظلم والتعدي على بعضهم بعضاً فأصبحت الحياة لا تطاق، وأصبح الإنسان ذئباً على أخيه الإنسان وعدوّاً له. اتّبعوا قوانين تنتج قانون الغاب، الأقوى يتغلّب على الأضعف، متنافرون متباغضون، وحوش في ثياب إنسان. فلو اتبع الناس القوانين الإلّهية لساد السلام والحب والوئام ولأضحى الإنسان أخا الإنسان وحبيبه، فشتّان بين حكم الله الحكيم وقوانين البشر الوضعيَّة؟!

6- ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ**﴾: هذا الخطاب للذين أنكروا الآخرة والبعث حتى يخلصوا من عماهم وكبرهم وحالهم هذا الذي وصلوا إليه. جعل الله لهم قانوناً إن سلكوا به وصلوا للسعادة ألا وهو التفكير، إذن: ليفكروا في خلق السماء، بهذه النجوم السابحة في الفضاء، بالقمر، الشمس على أي شيء حُملت، إن فكروا بها آمنوا كما آمن سيدنا إبراهيم عليه السلام وبإيمانهم ينالون الكمال من ربهم ولا يعملون إلا صالحاً وتصبح الجنة على الأرض. ﴿**كَيْفَ بَنَيْنَاهَا**﴾: بغير عمد، ما أعظم بناءها! ألا يدل خلقها على الله؟ ﴿**وَزَيَّنَّاهَا**﴾: لكم لتلفتكم إلى الله وتفكروا بها فتؤمنوا به تعالى.

﴿**وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**﴾: السماوات مترابطة متعاونة مع بعضها ولا خلل فيها. نمدّكم بالخيرات والحياة عن طريقها، وكذلك أنتم إن آمنتم بربكم تكسبون كمالاً وتصبحون متعاونين رحماء فيما بينكم، ولا يصدر منكم إلا الخير، وتدلّون الناس على الإيمان والحياة والسعادة.

إذن: الإيمان أولاً عن طريق السماء حيث لا توجد فيها شهوات تحوّل الإنسان عن بارئه، بعد الإيمان بالله عن طريق السماء يأتي الإيمان به سبحانه عن طريق آيات الأرض، لذلك ذكر تعالى الأرض بعد ذكر السماء، قال تعالى:

7- ﴿**وَالْأَرْضَ**﴾: فكِّرْ بها أيها الإنسان لترى رحمة الله تعالى وحنانه عليك، حيث أنه سبحانه متجلٍّ عليها لتخرج لك ما تحتاج من طعام وشراب. ﴿**مَدَدْنَاهَا**﴾: جهَّزنا لك الأرض بكل لوازم حياتك، مددناها لك بالطعام والشراب والفواكه واللذائذ، فكل طموحاتك وشهواتك موجودة فيها. ها هُم

استخرجوا النفط والمعادن المختلفة، والله يعطيهم من ثروات الأرض لتفريغ شهواتهم، فهم اختاروا ولهم اختيارهم. ﴿**مَدَدْنَاهَا**﴾: الإنسان يرى الأرض مستوية ممهّدة بالرغم من تحدّبها.

﴿**وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾: والشيء العظيم فيها تلك الجبال الشامخة العظيمة التي تثبّتها بمسيرها ودورانها، وكذلك فإنّ نفوس الجبال العظيمة تثبّت الأرض تجاه ما يحدث عليها من معاصٍ كثيرة. إن آمنت بالله من خلال تلك الجبال صار لك إيمان عظيم لا يزحزحك عنه شيء من فتن الدنيا وشهواتها.

﴿**وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾: جعل الله تعالى لك أيها الإنسان جبالاً عظيمةً من النور وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام يدلونك ويرشدونك إلى الله لتؤمن به سبحانه، وكلُّ من أحبَّهم واعتصم بالله بمعيتهم صار إيمانه قوياً مثل الجبال لا يتزعزع.

﴿**وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾: انظر إلى الورود وجمالها وروائحها، كل واحدة بلون لأنها اشتقّت شيئاً من أسماء الله الحسنى، فالوردة البيضاء اكتسبت من نور الله فابيضت، والحمراء تجلَّى الله عليها فاحمرت حياءً منه سبحانه على ما تفضَّل به عليها، هذه الورود حين تنظر إليها تبث في نفسك البهجة والسعادة والسرور بما أودع الله بها من عطور وجمال.

8- ﴿**تَبْصِرَةً**﴾: هذه الأشياء التي مرَّ ذكرها إن فكَّرت بها وأعرضت عن الدنيا وآمنت بالله عن طريقها يصبح لك نور من الله وبصيرة، فما هي البصيرة؟

البصيرة: أن ترى النفس المؤمنة بذاتها لا عن طريق العين المادية التي بالجسد ولا بواسطة الأنوار المادية الكونية من شمس وقمر وغيرهما، وإنما بالنور الذي اكتسبته من ربها بإيمانها.

﴿**وَذِكْرَى**﴾: تذكّر الإنسان بالأزل، بالجنة. النفس بإيمانها بالله وبنور رسول الله ﷺ تتذكَّر الله وأسماءه الحسنى.

﴿**لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ**﴾: هذا الإيمان لكل عبد منيب يترك الدنيا ويرجع إلى الله، يضحِّي بمشتهياته الغالية بغاية الإيمان ومرضاة الله، والله سبحانه وتعالى يبدله أعظم منها ويعيدها له مضاعفة مزدانة بالتجلّي القدسي، تغدو له جنات حقيقية، عطاءات لا نهاية لها، متزايدة أبد الآباد إذ ضحّى بالفاني فنال الباقي. من بعد أن فكَّر وقال لنفسه: من أين هذا الجمال لهذه المخلوقات؟ ومن أودع فيها هذه الفتن؟ طلب خالقها وربها ولم يطلبها. طلب الدائم رب العالمين وترك ما ينال عن طريق المخلوقات من اللذائذ والشهوات المنقضية ورجع إلى الأصل، رجع إلى أصل الجمال وخالقه ومودعه بالمخلوقات، هذا يشاهد الحقائق بنور الله ويتذكر.

9- ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾: كما أن الله سبحانه ينزل من السماء ماء، كذلك يُنزل تعالى في قلوب هؤلاء المؤمنين الأتقياء بواسطة رسوله العظيم، ماء الحياة القلبية الحقيقية {**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَّاءً غَدَقاً**}[1]: وهذا الذي فيه الحياة والسعادة والهناء للإنسان، تجلٍّ من الله على القلوب عظيم، وكل من شرب منه تعاف نفسه الدنيا ولا تعود تلتفت إلى تفاهاتها وشهواتها ولذائذها المنقضية، لأنه أصبح غنياً بالله ورسوله وبغنىً عنها.

﴿**مُّبَارَكاً**﴾: فيه الخير والبركة، متزايدٌ بالخيرات عليك أيها الإنسان، به تعمل صالحاً لنفسك وللخلق حيث أصبحت بالنور إنساناً استأنست بربك، فتأنس الخلائق كلها بأنسك وتسعد بك. ﴿**فَأَنْبَتْنَا بِهِ**

[1] سورة الجن – الآية:16.

﴿جَنَّاتٍ﴾: كما أن الأمطار من السماء تُحيي الأرض وتُنبت فيها الزرع، كذلك الماء الغدق الذي ينزل في نفوس وقلوب المؤمنين يجعلهم دائماً بالسعادة والهناء، بالجنات، يرتقون من جنة لجنة أكبر وأكبر مع الله. جنات حقيقية يعيشها المؤمن بنفسه، جسده بهذه الدنيا ونفسه مستغرقة بالجنات، ضحّى بالغالي على قلبه فصار غالياً على ربه، عندها يرزقه الله على تضحياته ذريّة صالحة.

﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾: يُرسل الله لهم أبناء يتمّمون أعمالهم ويكملون مسيرتهم ويكونون بصحيفتهم، هؤلاء منَّة الله على المؤمنين، فكل من اتقى وسُقي بهذا الماء يرزقه الله ذريّة تحصد الشر والكفر وتزيله من الأرض.

10- ﴿وَالنَّخْلَ﴾: وكما أن الله سبحانه يخرج من الأرض أشجار النخل ذات الثمار الحلوة النقية التي لا شائبة فيها، كذلك المؤمن زوجته وأبناؤه وبناته الذين اختارهم الله له، فالله يستقصي لهم من أزواجهم وذرياتهم ويختار لهم الأفضل، وذلك بسبب إيمانهم ونواياهم الخيّرة العالية، ليكملوا لهم المسيرة في هداية الناس، فالصحب الكرام رضوان الله عليهم فتحوا العراق والشام، ثم بعد انتقالهم إلى الدار الآخرة أكمل أبناؤهم لهم المسيرة ففتحوا الصين والهند والأندلس... ﴿بَاسِقَاتٍ﴾: عاليات، علوا بإيمانهم وتقواهم وبنواياهم. ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾: أبناء عالون يهدون الناس ولا يخرج منهم إلا الخير، ساروا بالقوانين الإلٓهية كاملة، ونظّموا أمور الخلق بشرع الله، وسار الناس بالإيمان فوصلوا بمعيّتهم إلى السعادة، فصارت حياتهم عزّاً وسعادةً دنيا وآخرة.

سورة قّ: [11-20]

11- ﴿رِزْقاً لِّلْعِبَادِ﴾: هذا الرزق الباقي، صاروا أبواباً للخلق، عن طريقهم يأخذون النور والجنات ويتشربون. الله سبحانه يعطيهم عن طريق رسوله عليه الصلاة والسلام، وهم يعطون الناس مما أفاء الله ورسوله عليهم من أنوار وتجليات وجنات، تزول السماوات والأرض، والذي يضعه الرسول في قلوب المؤمنين لا يزول، هذا هو الرزق الحقيقي الدائم الذي لا ينتهي، ولأجل هذا فليسعَ الإنسان لا من أجل رزق الدنيا، الله سبحانه متكفل برزق الدنيا، أما رزق الآخرة فبإيمانك أيها الإنسان وأعمالك الصالحة.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾: هؤلاء أحيوا بالله قلوب الناس الميتة، فقد وصل الإسلام إلى الصين والهند وهكذا سيحصل غداً، حينما يعود السيد المسيح عليه السلام ثانية. قبل الإيمان تكون النفس ميتة معتمدة ومرتمية على المخلوق لا على الخالق، وما عند المخلوق ينتهي وتملُّه النفس، وما عند الخالق فلا ينتهي. المؤمن دائماً بحياة وجنات وسعادة فلا ملل.

﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾: ولكن النفس عندئذ تكون لابسة الجسد، الإنسان يجب أن يخرج من الدنيا مكلَّلاً بالأعمال الطيبة والإحسان لخلق الله كافة، هذا لكل من فكر وآمن بالله وأحب رسوله، وارتبطت نفسه بنفسه الشريفة ﷺ هذا تخرج نفسه من شهوات الدنيا وشقائها، من تعلّقاتها المادية إلى الله وجنانه وإلى السعادة، وهذا لكل من سلك بالإيمان وطبَّق ما أمره الله به. والله يريدنا أن نخرج من الدنيا كما يخرج الأتقياء بالنجاح والفلاح، لا خروجاً كما هو الإحضار موجوداً للمجرمين مقيدين للسؤال والحساب.

والآن أنتم إن لم تؤمنوا بالله ورسوله فمصيركم كمصير من هلك من الأمم السابقة وستهلكون كما هلكوا لـمَّا كذبوا رسلهم وما آمنوا:

12- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قومك الذين كذَّبوا بك وببيانك. ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: فجاءهم البلاء العام، وكذلك قومك إن لم يؤمنوا فسوف يأتيهم الهلاك وسيكون عامّاً. ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾: كل الأقوام الذين جاؤوا ورسوا بالدنيا ورسبوا فيها. حب الدنيا وزخرفها كان سبب رسوبهم، ولم تدم لهم الدنيا وزينتها بل هلكوا عنها ورسبوا أبد الآبدين، فكانت الدنيا وما فيها كرغوة الصابون وزالت وكأنها ما كانت، وعاد عليهم إعراضهم وكفرهم لأجل دنيا منقضية ولن تعود فخسروها بكفرهم برسولهم، وخسروا أخراهم. ﴿وَثَمُودُ﴾: ضيَّعوا كل مودة، جاءهم رسولهم بشيء عظيم ولكن ضيَّعوه لأنهم ما آمنوا حتى يثبت في نفوسهم، والله لم يتركهم، فما أبقى تعالى لهم من حضارتهم شيئاً.

13- ﴿وَعَادٌ﴾: أهلكهم الله لمَّا عادَوا الحق ورسوله، كانت عاد أقوى أمّة ضاربة في العالم، وسيدنا هود عليه السلام واجههم لوحده، وكسر باطلهم، لم يخف عليه السلام بل قال لهم: **﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾**[2]. لأنه مستقيم على أمر الله، فمن سيتسلَّط عليه؟ هم كانوا يريدون النيل منه ولم يستطيعوا. ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾: أغرقه الله ودمر بلاده لما نوى القتل والشر لموسى عليه السلام وبني إسرائيل. ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾: سيدنا لوط عليه السلام من رحمته بهم وحنانه عليهم آخاهم ودعاهم فما استجابوا، ولكنهم عندما لم يؤمنوا وقعوا بفعلٍ دنيء لم يكن له مثيل بالرغم من أنهم كانوا مؤهَّلين لمراتب عالية، فبانحطاطهم جاءهم الهلاك من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وكذلك الآن سوف تأتيهم نار القنابل من فوقهم والزلازل من تحتهم وتدمرهم.

14- ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: الأيكة: البساتين، أقاموا المزارع والبساتين في داخلها الفتن والمحرَّمات، فَجَروا بإعراضهم وأخرجوا أمراضهم. ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾: تبعوا غيرهم من الأمم الضالة ولحقوا بهم بالكفر والتبعية العمياء للآباء بدلاً من الإيمان المبنيّ على التفكير والاستدلال والعقل، لذلك هلكوا وأصابهم التباب إذ باعوا آخرتهم بدنياهم.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: هذا سبب هلاكهم، أنتم احذروا. ولا تكذِّبوا لئلا يصيبكم ما أصابهم. ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: وقع عليهم ما توعدهم الله به من الهلاك، نار جهنّم أحاطت بهم. عليكم بالإيمان، وكل ما في الكون يدلكم على الله.

15- ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: كيف ينكرون البعث ويقولون أئذا متنا وكنا تراباً أئنا لفي خلق جديد؟ أما خلقناكم وخلقنا الأجيال، هل تعبنا بالخلق والعطاء، هل قصّرنا على أحد من المخلوقات؟ ألم يخلق آدم قبلهم؟ هل صعْبٌ أن نعيد الخلق مرة ثانية ونبعثكم للسؤال والحساب؟ أيهما أصعب: الاختراع الأول للمذياع أم تكرار صنعه؟ إذن لم الإنكار والتكذيب؟ آدم أبوكم خلق من تراب ولم يصعب علينا خلقه وأنتم سترجعون تراباً بعد الموت، فهل صعب علينا إعادة خلقكم مرة ثانية من تراب؟ وهذا البيت المعمور "الكون" أليس الخلق جارياً فيه؟ أليس له صاحب يخلق ويرتب وينظّم؟! بيت فيه كل ما يلزم، أمن المعقول لوحده ترتَّب؟! ألا يدلُّ هذا على يدٍ خلقت وتخلق وستخلق، فكيف نكروا البعث والقيامة؟!

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: لكن لبسوا الدنيا وأصرُّوا عليها لذلك كذَّبوا وفضَّلوا الدنيا على الأنبياء والرسل الكرام. الدنيا وشهواتها حجاب تحجب الإنسان عن ربه، هؤلاء بكفرهم وإعراضهم ووقوعهم بالمعاصي والفواحش لبسوا الدنيا فالتبس عليهم أمر الآخرة وأنكروها.

---

[2] سورة هود – الآية:55.

16- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: الآيات تتكلم عن حياة الإنسان الذي أعرض عن ربه، كان بجنة أزلية واحدة، خلقناه من أجل أن نعطيه جنات بدل الجنة الواحدة لئلا يمل، ولكن عندما حاز الاختيار تردَّد، قال: الآن صار معي الاختيار أفعل ما أريد.

ولكن بماذا ولماذا يعرض عن ربه؟! أمن أجل هذه الشهوات؟! أليست هي من الله؟! الله خلقها وهو يمدّك بها. أليس الجمال كله منه تعالى؟! ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: النفس توسوس لذاتها، أي: تطلب وتسعى لتحقيق أهوائها، كذلك الشيطان يوسوس ويزين لها، وهنا يأتي دور الفكر. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: الروح التي نمدّه بها، الله قريب منا، إمداده يسري بكل جارحة وذرة من ذرّاتنا، معنا أينما اتجهنا، الله أقرب من السواد للبياض بعينك، أقرب إليك من نفسك ومن جسمك، هذا العطاء الذي تعيش فيه كله من الله. هذا هو الإيمان الحقيقي، أن يرى الإنسان ربّه أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه، وهذا المؤمن عندما يسمع الآية من تاليها رسول الله، وهو مرتبط قلبياً به ﷺ عندها يرى الله قريباً، هو ﷺ لا ينقطع عن الله، فبه ﷺ ترى وتشهد قرب الله منك.

17- ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾: كل ما تقوم به من عمل أيها الإنسان وما تلفظه من قول فالملائكة تتلقَّاه وتسجّله عليك، فهما كما يتلقيان يكتبان بلا زيادة ولا نقصان.

﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾: أعمال الخير. ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ﴾: أعمال الشر. ﴿قَعِيدٌ﴾: لا يتركون الإنسان، فالله سبحانه كلّفهم ووكّلهم به.

فالله وكّل بنا ألطف وأحسن خلقه. فلو كانت الأمور مقطوعة أزلياً كما يدعون فلِمَ أرسلنا تعالى للدنيا؟ ولم أرسل لنا كتباً ورسلاً يدعوننا للتوبة والإيمان، ولِمَ يقول تعالى لعلَّهم يرجعون؟! لعلَّهم يهتدون؟!. كذلك ما ذنب من كتب الله عليه أنه شقي "حاشاه تعالى"؟ قال تعالى: **{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ}**: أي ملائكة يحفظون أعمالكم فلا يغيب منها شيءٌ، **{كِرَاماً كَاتِبِينَ}**: أي يكتبون عليكم ما يصدر عنكم من أعمال، **{يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}**[3]: جاءت كلمة: **{يَعْلَمُونَ}** بصيغة المضارع لتفيد أنَّ حصول المشاهدة والعلم لديهم يكون عند صدور الفعل من صاحبه وليس قبل ذلك.

18- ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾: أعمالك وأقوالك مسجَّلة عليك، وغداً سوف تُكشف هذه الأعمال أمام الله والخلائق أجمعين وأمامك أيها الإنسان. الملائكة لا يعلمون ما في نفسك، إذ النفس تتكلَّم في سرّها، ولكنها غير مؤاخذة ومحاسبة عليه إلا حين صدوره باللفظ والقول. ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾: مشاهد. ﴿عَتِيدٌ﴾: أقوياء ومهمتهم جمع الأعمال، لا يغفلون عن عمل من أعمالك، وإن غفل أحدهم فالثاني يذكّره، وهم دائماً بالنعيم مغمورون، نعيمهم وسرورهم بالوظيفة الموكولة لهم، وهم حياديون لا يتدخّلون بالإنسان واختياره، يراقبون أعماله فقط، فهذان الملكان معه في الدنيا لا عمل لهما سوى جمع أعمال الإنسان، وينزلان معه في القبر يسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

والحقيقة أن مع كل إنسان أربع ملائكة: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ}**[4]، وهؤلاء الملائكة هم:

---

[3] سورة الانفطار – الآية:10–12.
[4] سورة فاطر – الآية:1.

(ملك الإلهام): وهذا الملك دائماً يخاطب نفس الإنسان: "يا عبد الله ارجع إلى الله، تب، آمن، انظر في الكون، فكِّر". لقوله تعالى على لسان الملائكة: **{وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}**[5].

(ملك الموت): وهو الموكَّل من الله بوضع الروح وسحبها حين الموت: **{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}**[6]

(رقيب وعتيد): لتسجيل الأقوال والأعمال وحفظها عليك.

19- **﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾**: جاءت المعرضين فأصبحوا سكارى من شدة الألم، فأنستهم كل شيء بالوجود من الرعب والخوف، على عكس المؤمنين.

الذي يسكر يصبح في عالم ثانٍ، يذهب بسكرته عمَّا حوله ويعيش في عالم آخر، كذلك المحتضر يغيب عن الدنيا ولا يعي ما حوله، يذهب إلى عالم آخر، وهذه هي سكرة الموت. **﴿بِالْحَقِّ﴾**: كل إنسان أعطاه الله ما يريده وأخذ حقَّه في هذه الدنيا بالكامل، ما أنقص عليه سبحانه من شيء، أعطاه الذي اختاره ولم يمت إلا بوقته وأجله، الكافر أخذ ما طلب، والمؤمن أخذ ما طلب واختار، وبالموت يكون خروج هذا الإنسان من الدنيا، فهو إما راسب وإما ناجح، فالدنيا مدرسة. ولكن الآية وردت هنا بالذمّ "للراسبين".

﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: هل خلد أحد ولم يمت؟ أين الأنبياء والسلاطين فلماذا الخوف؟ يومك لا يزيد ولا ينقص، تهرب من الموت ولا تفكر به! تناسيت فما خطر على بالك الموت، كنت تهرب منه حين ذكره لك وتلتهي بالدنيا لتتحول عنه وتنساه، والآن ها قد جاءك ما كنت منه تحيد. هو خائف من عمله، خائف من رسوبه. المؤمن لا يخاف من الموت لأنه لا يخاف من لقاء حبيبه.

20- **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾**: ينفخ الله الروح بالأجساد فتقوم، ولهذا سُمِّي يوم القيامة بهذا الاسم حيث يُعاد خلق الأجساد بعد فنائها ثم تلبس كل نفس جسدها الخاص بها. **﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾**: في الدنيا كانوا يقولون: **{أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}** الآن أيقنوا لم يعد مجال للإنكار. الذي لم يخرج من الدنيا بطريق السمو بطريق النور، سيخرج ويساق موجوداً لأنه مجرم، والله تعالى لا يتركه، وعيد الله له: أن هيَّأ له علاجات شديدة. هناك وعد، وهناك وعيد، الله سبحانه وتعالى وعدهم بالجنات إن آمنوا وعملوا صالحاً، لكنّهم ما آمنوا. لذلك أصبح هذا الوعد وعيداً، فالعار والخجل والندم حالهم، والنار مثواهم.

سورة قَ: [21-30]

21- **﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾**: تأتي بعملها، جاؤوا إلى المحاكمة مقيَّدين والملائكة تدفعهم. **﴿مَّعَهَا﴾**: كل نفس ما ساقته من أعمال في الدنيا تأتي في الآخرة ظاهرة به أمام الخلائق. **﴿سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾**: الملكان الرقيب والعتيد، كل شيء يا إنسان شاهد عليك أو لك، وكل إنسان يعرف نتيجته. **﴿سَائِقٌ﴾**: يسحبه بأعماله للمحاسبة، **﴿شَهِيدٌ﴾**: يشهد عليه إن أنكر، متابعان له لا يتركانه، يُحضرانه موجوداً.

22- **﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾**: بالدنيا. **﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾**: كنت غافلاً بالشهوات، نائماً باللذائذ عن الإيمان بالله وعن هذا الذي سيصيبك الآن، حب الدنيا وأهلها وشهواتها يعمي ويصمّ، فهي حجاب بين العبد وربه،

---

[5] سورة البقرة – الآية:30.

[6] سورة السجدة – الآية:11.

وهذه الشهوات هي التي حجبت هذا المعرض عن مشاهدة الآخرة، لذلك ما عرف ربه وما عرف أن هناك آخرة فيها جنة ونار. ﴿**فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ**﴾: في الآخرة لا شهوات تحجب النفس عن رؤية الحقائق، الدنيا زالت، والشهوات ذهبت، والكون ذهب، والكل رجع نفساً كما كان قبل أن يلبسه تعالى ثوب الوظيفة.

﴿**فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾: تصبح النفس كلها أعيناً وحينها يشاهد هذا الإنسان الأزل والآخرة وأحوالها، يرى الحقائق، ولكنه لا يستطيع أن يرى الله لأنه غيَّر وبدَّل، خالف وخان، فهو خجل من الله، يرى كل أعماله والخلائق تشاهدها أيضاً.

البصر يجب أن يكون من الآن، فعليك أن تصل لهذا البصر والشهود من الحياة الدنيا لتتلافى أمرك قبل فوات الأوان. ما الفائدة عند الموت أن يكشف الغطاء ولا يستفيد عندها الإنسان شيئاً؟

23- ﴿**وَقَالَ قَرِينُهُ**﴾: الإنسان إما أن يكون الرسول صاحباً له، وإما أن يكون الشيطان قريناً له، المؤمن يصاحب رسول الله، الكافر قرينه الشيطان: **{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}**[7]. ﴿**هَذَا مَا لَدَيَّ**﴾: الشيطان يريد أن يبرهن لله أنه أعلى من هذا الإنسان: **{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً}**[8]، الشيطان هو من أغرى هذا الإنسان وأوقعه بالفواحش والإجرام من بعد أن زيَّن له ما بنفسه، والآن يريد ليثبت لرب العالمين صحة كلامه، وبظنه أنه يحاجج ربّه، قال: رفعت آدم عليَّ وكرَّمته وأمرتني بالسجود له، انظر أعمال ذريته، وهو يعني بهذا إثبات قوله أنه أفضل من آدم عليه السلام. ﴿**عَتِيدٌ**﴾: هذه أعماله، لقد أحصى كل الفواحش والإجرامات والأعمال التي ارتكبها الإنسان المعرض: يا رب هذا الذي فضَّلته عليَّ انظر ماذا فعل، انظر لأعماله كلها مكر وخداع، سرقات، رشاوى، حروب، إنه عتيد قوي بما قام به من أعمال إجرامية وفواحش، أعماله كلها خبيثة.

24- ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ**﴾: هذا جواب الله لهذا القرين، أمر سبحانه وتعالى الملائكة "الرقيب والعتيد"، أن تريه أعماله وأن يحكم هو بذاته على نفسه، هل أعماله التي قام بها إنسانية وتؤهّله لدخول الجنة؟ أم أنها خلاف ذلك؟ فعندما تشاهد النفس العمل الذي قامت به تعيش فيه، فإن كان خيراً عاد عليها بالسعادة والجنات، وإن كان سيئاً عاد عليها بالضيق والضنك.

﴿**كُلَّ كَفَّارٍ**﴾: من كفر لكفر، كلما فتح الله له باباً للهداية والإيمان أغلقه بسبب كفره وعجبه بنفسه وازداد بكفره حتى أضحى يكفِّر غيره **{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ}**[9]: ﴿**عَنِيدٍ**﴾: قلبه أقسى من الحجارة، لم يدخل شيء من دلالة الله لقلبه، يرى لنفسه فعلاً وحولاً وقوة وهو ليس لديه شيء، متكبّر معاند للحق، عاند الله حين أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام، وعاند رسوله بالدنيا وعاند دلالته، وهذا حال كل من ينكر دلالة الرسل.

25- ﴿**مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ**﴾: منع نفسه ويمنع غيره من فعل الخير، يريد الشر ويسعى ليضلَّ كل الناس مثله، يريد أن يحلل الربا وكشف وجه المرأة. كان يقاوم الحق وأهله، كذلك يوسوس لكل سائر بالحق ليحوِّله عنه. ضد الخير، فلا يصدر عنه خير مطلقاً وإن كانت صورة عمله حسنة فالشر وراءها مستكنٌ، تارك الصلاة لا خير فيه، الصلاة هي الحياة وفيها الخير. ﴿**مُعْتَدٍ**﴾: معتدٍ على الأموال

---

[7] سورة الزخرف – الآية:36.
[8] سورة الإسراء – الآية:62.
[9] سورة الأعراف – الآية:16.

والأعراض، أعماله كلها سلب ونهب وإجرام وفواحش. ﴿**مُّرِيبٍ**﴾: يبث الشكوك والدسوس والظنون في الحق ليُضلِّل البشر كما هو ضال، ويشكك الإنسان بالآخرة فيوسوس له قائلاً: "من مات ورجع إلى الدنيا وأخبر أن هناك آخرة؟ هذا لا أصل له"، كذلك يلقي الوساوس في قلوب السائرين بالحق ليشكِّكهم برسول الله؛ "لِمَ فعل رسول الله هذا؟ ولمَ قال هذا؟". وبهذه الوساوس يحوِّل الناس عن الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وبهذه الأعمال والنوايا الخبيثة تحوَّل إلى مخلوق ثانٍ، أصبح أقسى وأبشع مخلوق. مثلما هو ضال يريد إضلال الناس جميعاً.

26- ﴿**الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ**﴾: إلّهه هواه الذي أعماه، رأى فعَّالاً مع الله، ما آمن بربه، هذا سبب قيامه بأعماله هذه، شاهد لنفسه حولاً وقوة وأنه يستطيع أن يضلَّ ويغوي ويفعل ما شاء وأراد. بعدم إيمانه نسب الفعل لنفسه ولغيره. ﴿**فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ**﴾: عندما شاهد أعماله هذه كلها، وشاهد ما خسر من جنات ومقام عالٍ بدأت الآلام النفسية الرهيبة تستعر به وتكويه بلهيبها الذي لا يطاق، فأمر الله الملائكة بأخذه إلى النار لينسى آلامه ويتحوَّل عنها ويخلص من حالته المرعبة، فهو بحاجة إلى تطهير شديد فكله مكروب.

27- ﴿**قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ**﴾: عندما وجد أن هذه الصفات انطبقت عليه أصابه الذلّ والانكسار وتبرأ منه، قال: ﴿**رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ**﴾، صار يتنصل. ﴿**وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾: هو يا ربِّ كان في ضلال عنك بعيد، الخبث والشهوات التي بنفسه أبعدته عنك وجعلته يلحق بي.

لكن إذا ضلَّ هذا الإنسان فإذا كنت لا تريد هدايته فدعْه وشأنه ولا تزده ضلالاً! إذا كنت لا تريد هدايته فدعْه وشأنه ولا تزدْه ضلالاً، ما هذه القسوة! الشيطان ببعده عن الله صار قلبه قاسياً مثل الحجر مرعباً أكثر من الوحوش.

28- ﴿**قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ**﴾: لا فائدة من كل هذا الخصام، كل واحد منكم وله عمله وسيجازى عليه، ولا تزر وازرة وزر أخرى، لا أحد يستطيع أن يضل غيره، طالب الحق والهداية الله يهديه، أما إن لم يطلب ويسعَ فلن يهتدي. ﴿**وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ**﴾: خوَّفتكم من هذا المصير وحذَّرتكم، أرسلت لكم رسلاً وبيَّنت لكم عن طريقهم كلَّ شيءٍ وأنذرتكم من هذا اللقاء.

فائدة:

المؤمن لا يلوم غيره ولو كان الحق معه، بل يرجع لنفسه ويحاسبها ويفتش عمَّا بدر منه وكان سبباً في أن تسلط عليه غيره، فيصلح خطأه.

29- ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**﴾: رب العالمين موجود لا تخفى عليه خافية، يقول الله عزَّ وجلَّ: أنا موجود وأمدُّ الكل ولم أتغيَّر بعطائي وإمدادي، أنا كنت معكم، لست بغائب عنكم، فكيف يُبدَّل القول؟ الذي يبدِّل القول هو غير مشاهد. كذلك هم عاهدوا الله بالأزل ألا ينقطعوا عنه سبحانه إلا أنهم خانوا وغيَّروا وخالفوا عهدهم مع ربهم.

﴿**وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾: الظلم ظلمات، والنور من الله {**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**}[10] فالظلام يأتي من الإعراض عنه، هو لا يترك الإنسان ولكن المعرض هو الذي يتركه. كذلك يقول الله سبحانه وتعالى لهم أنتم بالأزل كنتم بالنور، جئتم للدنيا انقطعتم عني وصرتم بالظلام، هذا الظلم والظلام الذي أنتم عليه الآن ليس مني وإنما من انقطاعكم عني، أنا بالدنيا لم أترك أحداً يظلم أحداً، فلا يلومنَّ

---

[10] سورة النور – الآية:35.

أحد منكم نفسه، لا تلوموا بعضكم بعضاً، لولا الخبث الذي بنفوسكم ما تسلَّط عليكم أحد، أنتم ظلمتم أنفسكم.

ظُلْم بالكون لا يوجد، كل إنسان يأخذ حقه، يد الله سبحانه وتعالى على جميع خلقه وهو سبحانه المسيِّر لهم على حسب ما في نفوسهم.

30- ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ**﴾: الذين ماتوا كفاراً، ذهب عنهم جاههم، يطلبون العذاب الشديد لما فيهم من آلام نفسية. فيهم جهنم، فما هي جهنم؟

المقصود بجهنَّم إنما هو حال النفس المريضة ذاتها، هذه النفس التي رشَّحها الله لأمرٍ عظيم وذلك حين عرض عليها الأمانة بالأزل وبأن تكون سيدة الكائنات، وتنال من ربِّها نوالاً وجناتٍ وجاهاً عظيماً كبيراً، ولكن بمجيئها للدنيا ووقوعها، نامت عن جاهها ونسيت مقامها العالي، ولبسها حال العار والذل بالآخرة، عندها تسمى هذه النفس بجهنم، والله بهذه الآية يتكلم عنها حسب الحال الذي لبسته وصارت إليه حيث أصبحت بأسفل سافلين، الله سبحانه يخاطبها قائلاً:

﴿**هَلِ امْتَلَأْتِ**﴾: امتلأتِ دواءً وعلاجاً ونيراناً؟ الله يمدّها بكل شيء يلزم لعلاجها، هؤلاء المعرضون يطلبون النار والعلاج ليتحوَّلوا عن آلامهم النفسية التي لا تُحتمل، والله سبحانه يقول لهم بعد أن يعطيهم العلاج: (أما اكتفيتم؟)، كالطبيب الذي يقول لمريضه بعد أن أعطاه المسكّن: هل أعطيك المزيد أم اكتفيت بما أعطيتك؟ كل هذا حتى لا تألف النفس العلاج حيث بإيلافها تتذكَّر وترجع لآلامها، لذلك تتطلَّب الزيادة: ﴿**وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ**﴾: دائماً تريد مسكّنات أكثر وتتطلب المزيد بسبب أعمالها التي تعود عليها بالآلام والحسرات التي لا تطاق، تخاف الرجوع والتذكر، وهذه الآية تدلّ على أن العذاب ليس من الله وإنما من الإنسان ذاته، والنفس هي التي تطلب الدواء والعلاج والنار من ربها، وهي التي تخلد بالنار {**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}[11]، والذي يحول بينها وبين النار إنّما هو عدوٌّ لها، لأن عذاب جهنم في نفوسهم أشدُّ ألماً من عذاب النار.

سورة قَ: [31-40]

وعلى خلاف حال المعرضين:

31- ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾: ﴿**أُزْلِفَتِ**﴾: قُرِّبت، من الآن بالدنيا المؤمن يرى الجنة ويعيش فيها لكن في الآخرة علمٌ أوسع وأشمل، المتقون الذين صاحبوا رسول الله ﷺ واستناروا بنوره الذي أوصلهم لنور الله، هؤلاء في النعيم والجنة من الحياة الدنيا وقبل انتقالهم منها، الجنة هي مشاهدة وجه الله الكريم {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**}[12]، وهؤلاء المتقون من الدنيا وصلوا لهذه المشاهدة، فكروا بالكون، آمنوا واتقوا وصار لهم رابطة برسول الله بعد أن فكَّروا ببيانه ﷺ. قدَّروا إمامهم وعظَّموه وقرَّروا السير معه، فصاروا بالجنة وبشهود لجمال الله سبحانه، وبهذه الجنة لا يوجد إلا الحق والحقائق، فغدوا يدلّون غيرهم على الجنان، وكل من سلك هذا المسلك العالي بصحيفتهم، وكلّما دخل أحد بالنعيم المقيم، هم يزدادون رفعةً وعلواً.

32- ﴿**هَذَا مَا تُوعَدُونَ**﴾: جميعاً، هذا ما يقوله رسل الله لأقوامهم: وعدكم الله الجنة إن آمنتم وقدمتم الأعمال الصالحة، كل من سار بالقوانين التي سنّها الله تعالى سوف تكون هذه نتيجته، فقد جعل الله

---

[11] سورة البقرة – الآية:39.

[12] سورة القيامة – الآية:22–23.

تعالى في الحياة الدنيا مجموعة قوانين إن طبَّقها الإنسان نال وفاز بشيء عظيم. ﴿**لِكُلِّ أَوَّابٍ**﴾: أواب مشتقة مِنْ: (آَب -يؤوب)، آب من السفر: أي رجع وعاد للوطن. والوطن هو: المستقر الدائمي، والحقيقة أنّ الدنيا ليست بدار قرار. إذن: الوطن الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى لأنه هو الدائم. فهذا الإنسان الذي ضحّى بالدنيا الفانية وعاد لربه آيباً، كلّما تحوَّلت نفسه عن الله يرجع بها إليه تعالى، كلّما سها يسارع ويعود لربه ولسعادته. راجع بكل أمر إلى الله، علامته أنه يفكر بالكون ويؤمن من خلاله بالله. ﴿**حَفِيظٍ**﴾: بصلته بالله وإيمانه محافظ على أعضائه وجوارحه، عينه لا تنظر إلى محرَّم من النساء، أذنه كذلك لا تسمع المحرَّم، ولا يعمل السيئات وبهذا يحفظ نفسه من الوقوع بالمعاصي[13].

هؤلاء كيف وصلوا لهذا الحال؟

33- ﴿**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**﴾: بعد أن غاب عنهم الوجود الإلّهي بسبب انقطاعهم عنه سبحانه وتعالى، رجعوا وفكَّروا بالكون فآمنوا بالله ووصلوا نفوسهم به سبحانه فرأوا الله مُطَّلعاً عليهم ورأوا عظمة الله وجلاله وبهاءه، فحصلت لهم خشية واستعظام فخشعوا حيث إنّهم كيفما التفتوا رأوا الله معهم، كيف سيخالفون العظيم؟! وكيف تتحوَّل نفوسهم عنه سبحانه وتعالى ومنه كلّ شيء ؟! كلّ هذا نالوه بتفكيرهم وإيمانهم بخلواتهم وجهادهم بهوى أنفسهم الذي كان قد قطعهم عن الله في الماضي.

﴿**وَجَاءَ بِقَلْبٍ**﴾: النفس حين تتقلب من حال لحال بالجنات تسمى قلباً، وهؤلاء في الدنيا رجعوا إلى الله وصارت نفوسهم تتقلب بالله، فمن إقبال عليه سبحانه إلى إقبال أعلى وأسمى، ومن جنة لجنة أوسع وأكبر إلى ما لا نهاية. ﴿**مُّنِيبٍ**﴾: المنيب: هو الذي ضحَّى بالدنيا ولذائذها، ضحّى بالغالي المحبّب على قلبه ورجع إلى الله، فأعطاه الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أعطاه الجنة. كل إنسان لابدَّ من وجود شيء ما غالٍ على نفسه ومستحكم حبّه في قلبه، هذه الشهوة الغالية إن ضحّى بها لرضاء الله أناب إلى الله ورأى أسماء الله الحسنى، عند ذلك تنمحي باقي الشهوات من نفسه كلّها، فتصبح نفسه مستنيرة ولا تمشي إلا بالنور.

34- ﴿**ادْخُلُوهَا**﴾: يقال لهم ادخلوا الجنة. ﴿**بِسَلَامٍ**﴾: بأمان، أمان عليكم، الجنات لكم، هذا سَلِمَ، لا يعود للظلام أبداً، دائماً بالنور والسرور والحبور، هذا يرى الله قريباً يعطيه وهو يأخذ منه، هذا هو العهد. إن صارت النفس مع الله ليس لها إلا السعادة والإكرام فلا يصيبها مكروه ولا خوف عليها. ﴿**بِسَلَامٍ**﴾: في الدنيا كانوا مشغولين عن نعيمهم وجنّتهم بغيرهم، فهم مع الله ومع الناس والمشاغل، أمّا في الآخرة فيتفرغون لها ويصبحون مع الله فقط. ﴿**ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ**﴾: خالدون بالجنات والسعادة على طول أبد الآبدين.

35- ﴿**لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا**﴾: في الآخرة ما تطلبه النفس تُعطاه حيث انتهى التكليف وصار لها التشريف، في الدنيا تنال متطلّباتها ضمن قوانين، أما في الآخرة فما يطلبه الإنسان يجده فوراً أمامه "كن فيكون". ﴿**وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾: من التجلّي والعطاء والجنات والمشاهدات، دائماً من زيادة لزيادة،

---

[13] ولكن كيف استطاع حفظ جوارحه والجمال أمامه؟ فكيف لا يحب الجمال ويعشقه؟ أهو حجر؟!هذا يأتيه من الله تعالى واردٌ قلبي، فهو يخشى أن ينقطع عنه وارده وتنقطع صلاته إذا قارف المعاصي وخالف الإلّه، يخشى زوال النعيم الذي يعيشه، لذا يُضحّي بالزينة والجمال الصوري مهما كانت غالية على قلبه، فالله تعالى خلق الدنيا وزينتها لترقى بها بإعراضك عنها في رضاء الله، إذا فكَّر بالآيات أعرض عن الزينة، وبهذا الإعراض يُقبل على الله وبهذا الإقبال يَعمل الصالحات، والله لن يَتِرَه أعماله، فيُغدق على قلبه ما يكفيه ويغنيه عنها، لا يأخذ شهواته إلا من الله المعطي، وبما يرضي الله.

يعطيهم أكثر من توقّعاتهم، فلا تقف النفس عند حد، ونالوا هذا كله لأنهم كانوا سبباً لهداية الأمم، حيث نقلوهم للسعادة الكبرى، لذا خيرات الأجيال وواراداتها تأتيهم كلها.

36- ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ**﴾: إنذار للبشرية. القرن: الشيء الثابت، هؤلاء بالتفاتهم للدنيا أشاحوا عن مبدع السماوات والأرض وقرَّنوا بالدنيا بما اخترعوا من اختراعات، وبما أقاموا من حضارات اطمأنُّوا إليها واستغنوا بها عن جنات ربهم حيث ظنوا الخلود بهذه الأرض ونسيت أنفسهم الموت، حالهم كحال أهل هذا الزمان.

﴿**هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً**﴾: أمم جبارة بنوا ما بنوا وغاصوا بالبحار ونقّبوا في الأرض، صار لهم قوة كبيرة في الأرض أكثر من أهل هذا الزمان، انظروا بمقارنة بسيطة إلى بناء الأهرامات وأبنية هذا الزمان. ﴿**فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ**﴾: والآن كذلك ينقبّون عن النفط والفحم وغيرها. ﴿**هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ**﴾: عندما يأتيه الموت من يدفعه عنه؟ الذين أقاموا هذه الحضارات وقرَّنوا بالدنيا هل نجوا من الموت؟ هل دامت لهم حضارتهم؟ هل نفعتهم بشيء أو ردَّت عنهم البلاء حين جاءهم؟ ﴿**هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ**﴾: هل يعودون للدنيا ويرجعون إليها؟ هل من محيص فيها ثانية، كما كانوا قبل الموت؟ الحقيقة ليس هناك رجوع أبداً، ولا يبقى لهم إلا ذكرى أعمالهم، وذكراهم هذه تحرقهم حرقاً. وكذلك أنتم إن لم ترجعوا إلى الله سيصيبكم ما أصابهم.

37- ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى**﴾: من يستفيد من هذه الذكرى ويشاهد هذه الأمور ونتائجها؟ من يتذكر عهده بالأزل مع الله ويتذكر اليوم الآخر والسؤال والحساب؟

﴿**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾: يتذكر هذا من كانت نفسه تتقلب بأسماء الله الحسنى وبالجنات، المؤمن دائماً نفسه بإقبال على الله ومشاهدة أسمائه تعالى الحسنى، ودائماً من جنة لجنة أعلى، وكل ذلك بمعية رسول الله، ولولاه ﷺ ما صار لهذا المؤمن هذا التقلُّب بالله سبحانه، ولا وَصَلَت وصَلَّت نفسه بالكعبة. ﴿**أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ**﴾: لرسول الله، للإمام. والمقصود بهذا السماع إنما هو سماع النفس وليس الأذن، {**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**}[14]. ﴿**وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾: آمن وصار يشاهد بمشاهدة الرسول، مشاهد لكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام، هذا المؤمن شهيد لأنه شاهد بإيمانه (لا إلَه إلَّا اللَّه)، صار له نور عندما يسمع كلام رسول الله عن ربه يشاهد معانيه، وإذا ما تلا رسول الله ﷺ عليه مثلاً قصة سيدنا يوسف ﷺ يُكرّرها الله عليه ويُعيد له أحداثها، فيراها ويعقلها بمعية رسول الله ﷺ.

38- ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾: فكِّرْ مَن خلق السماوات وأوجد فيها ما أوجد من نجوم عظيمة سابحة وكواكب وشمس وقمر؟ من خلق الأرض وجعل لها هذا الدوران. ﴿**فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾: جعل لها أربعة فصول وليلاً ونهاراً. ﴿**وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ**﴾: لم يتوقف النظام لحظة، من الذي يمد النجوم العظيمة؟ من يحركها؟ فكر بهذا لتؤمن ويحصل لك نورٌ من الله فترى الممد لها سبحانه. ﴿**وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ**﴾: ما غُلِبنا على أمرنا، لم نغب، ما غِبنا عن الكون، فالإمداد جارٍ عليه من الله، لو تركه الله لحظة لصار عدماً، هو تعالى الصمد الذي يمدُّ ولا يستمد من أحد ولا يعتريه ضعف ولا نقصان، أي: خلق سبحانه وتعالى السماوات والأرض ولم يمسّه تعب أو نصب، هذه الآية تنفي ما قاله بنو إسرائيل من أن الله تعب "وحاشاه" وفي اليوم السابع ارتاح.

39- ﴿**فَاصْبِرْ**﴾: رحمته ﷺ كبيرة وحنانه على الخلق عظيم، شاهد رب العالمين رسوله على هذا الحال من الحنان والرحمة فقال له: ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**﴾: فليتكلموا ما يشاؤون، أصحاب القوانين

---

[14] سورة التحريم – الآية:4.

الشيطانية الباطلة وضعوا قوانين من عند أنفسهم وسيَّروا الناس عليها. اتركهم واترك أقوالهم، واصبر نفسك مع المصلِّين. ﴿**وَسَبِّحْ**﴾: المؤمنين الذين معك، انهض بالمصلين المقتدين بك، وهم فلينهضوا بالذين معهم، الصلاة نجاح البشرية. ﴿**بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾: اقرأ عليهم الفاتحة، بالصلاة. ﴿**قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ**﴾: صلاة الصبح. ﴿**وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾: صلاة الظهر والعصر. وهاتان الآيتان تبيِّنان أوقات الصلوات الخمس.

40- ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ**﴾: صلاة المغرب والعشاء. ﴿**وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**﴾: بعد الإيمان بالبداية، وهذه هي الصلاة الوسطى، أي: أن تكون أيها الإنسان بين هذه الصلوات الخمس بصلاة مع الله، فلا تنقطع عنه سبحانه، ولكن كيف يصل الإنسان لهذه الصلاة الدائمية مع الله؟ إذا فكر الإنسان بأصله وأنه كان نطفة مع ملايين النطاف تسبح، وأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، والله سبحانه جعله شيئاً، جعله إنساناً كاملاً ناضجاً، ربَّاه ويربِّيه ويُمِدُّه بما يحتاج، إن فكَّر بهذا وآمن وشاهد بدايته، أضحت نفسه لا تنفك عن الله سبحانه وتعالى، دائماً بشهود له سبحانه حيث إن العُجب الذي كان بنفسه والذي حجبه عن الله زال عنه، عندها يستغرق بالله ويعشقه وله يسجد، وأقرب ما يكون الإنسان لربه وهو ساجد، وبهذا السجود يسلِّم قياده لرسول الله الدائم الإقبال على الله، فيصبح هذا المؤمن بالتبعية دائماً مع الله بمعية رسوله عليه الصلاة والسلام، لا تنفك نفسه عنه ولا عن الله سبحانه.

سورة قَ: [41-45]

41- ﴿**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ**﴾: المنادي رب العالمين سبحانه وتعالى، دائماً ينادي الخلق لكن هم لا يسمعون هذا النداء، بسبب إعراضهم عنه سبحانه بالشهوات. ﴿**مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ**﴾: عندها يرون أن الله قريب، ولكن ما الفائدة؟ يرون ويسمعون، يشاهدون ويعترفون ويقرون ويقولون يا ويلنا، كم ضيَّعنا في جنب الله! كان الله معنا، قريباً منا، أقرب إلينا من حبل الوريد ولم نلتفت إليه.

42- ﴿**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ**﴾: عندها وبذلك الوقت أصبحوا يسمعون نداء الله وكلامه لهم حيث زالت الشهوات من أنفسهم وزال عنهم الجسد. ﴿**بِالْحَقِّ**﴾: آمنوا لكن ما الفائدة من إيمانهم ساعتها؟ ﴿**ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ**﴾: هذا الخروج إجباري "موجوداً" وتأتي الملائكة وتسأله، تقول له: **{مَنْ رَاقٍ}**[15]: هل رقيت في هذه الدنيا ووفَّيت بعهدك؟ من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرجل الذي أرسل لك؟

43- ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ**﴾: هذه الآية دليل على لا إلّه إلا الله، بيده سبحانه وحده الإحياء والموت، كذلك أيها الإنسان بإقبال نفسك عليه سبحانه تحيا بالأنوار والتجليات والمشاهدات والسعادة، وبإدبار نفسك عنه تعالى وإعراضها تموت وتقع في الشقاء. ﴿**وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ**﴾: من الآن ليوم الصيحة.

44- ﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً**﴾: يخرجون من سجن القبور وعذابها وأهوالها، ويسيرون مسرعين مرعوبين إلى النار بسبب ما فيهم من آلام وخسران، يلتجئون إليها لينسوا أوجاعهم وعارهم وندمهم، فالنار رحمة لهم من الله سبحانه وتعالى. إذن: تشقَّق الأرض عنهم، فهم مسجونون تحت التراب ليوم القيامة في الظلام بلا أنيس ولا جليس، قلبه تعلَّق بالدنيا، إذن فليبقَ بالغربة والوحشة، الخير من الله وهو لم يتعرَّف على الله، رأى الخير من هذه الأرض لذا بقي مسجوناً فيها رهيناً. ﴿**ذَلِكَ حَشْرٌ**﴾: يومها تُجمع الخلائق كلها. ﴿**عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾: سهل عليه سبحانه وتعالى إخراجكم وخلقكم وجمعكم للسؤال والحساب والجزاء، بكلمة: (كن) كل النفوس تخرج وتلبس أجسادها وتأتي للحساب

---

[15] سورة القيامة – الآية:27.

وكل هذا بلمح البصر **{وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}**[16]، كما هو الحال الآن الخلق جارٍ بيسر وسهولة، كذلك أمر الإعادة ثانية سهل ويسير.

45- ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ**﴾: الله عليم بأقوالهم، وهو سبحانه يُعلم رسوله ﷺ بها، الله تعالى يعلم ما يناسب كل نفس ويجريه، وهؤلاء يتكلَّمون على رسول الله ويظنّون به الظنون. رأوا عللهم وظنُّوها فيه من أجل دنيا زائلة لم يضحّوا بها، فبقيت عللهم بنفوسهم، إذا لم يفكِّر المرء ولم تتطلب نفسه الشفاء والصلاح والنجاة، يرى عيبه بالرسول فيظن به الظنون، هذه صفة كل إنسان لم يؤمن ولم يفكّر.

﴿**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ**﴾: كلُّك رحمة وحنان ولطف عليهم، فلماذا يظنون بك ويتكلّمون عنك هذه الأقوال. يقول سبحانه وتعالى لرسوله: اتركهم، لهم اختيارهم، فلم يمنع ﷺ المنافقين من حضور مجلسه بالرغم من علمه بما يرتكبونه بالخفاء بل ستّر عليهم. ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ**﴾: المؤمن يتذكر الأزل والأبد والآخرة، هو نسي والرسول يذكِّره بعد أن آمن. ﴿**مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾: هذا الذي آمن وعرف أن هناك آخرة وصار يعمل لها، هذا الذي يخضع ويترك الباطل ويستفيد من هذه الذكرى ويشاهد مع رسول الله ﷺ ويعيش بالجنات.

والحمد لله رب العالمين.

[16] سورة البقرة – الآية:202.

تأويل سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الذاريات: [01-10]

لقد خلق الله تعالى الإنسان وميَّزه عن باقي الكائنات بالفكر، وخلق له الكون وجعل فيه آيات دالَّة عليه سبحانه، وجعل تسيير هذا الكون ضمن نظام وقوانين دقيقة، ذلك ليفكِّر هذا الإنسان ويهتدي، إن فكَّر بما في الكون من آيات وخلق استعظمه وباستعظامه لهذا الكون ينتقل إلى استعظام خالقه ومربيه ومسيِّره فيؤمن به تعالى إيماناً شهودياً يقينياً. إذن التفكير أساس ولا يؤمن الإنسان إلا بواسطته، لذلك بدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببعض الآيات الكونية لنفكِّر ونهتدي، فلفت نظرنا إلى المطر؛ هذه الذرّات من الماء المتماسكة ينزل ذرَّات، كيف تُحمل هذه الذرَّات من بخار الماء؟

1- **﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾:** أشعة الشمس التي تسطع على مياه البحار والمحيطات وتغوص فيها على عمق مائتي متر تقريباً، فتبخِّر مياهها وتذروها ذرَّات على شكل بخار الماء متفرقةً تصعد في السماء، وعملية التبخير لا نراها بأعيننا، حتى تتشكَّل مجتمعة غيوماً. من يحملها لك ويأتيك بها ذرَّات على شكل قطرات؟ لو نزلت هذه الذرات كتلة واحدة لدمَّرت ما على الأرض ولما استفاد منها أحد، فانظر أيها الإنسان إلى رحمة الله وعطفه وحنانه وفضله عليك.

2- **﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾:** كيف تُحمل هذه الذرات على شكل سحب تحمل الحياة إلى النبات، فخيرات الخلق كلها محمولة بالغيوم وتأتي عن هذا الطريق **{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}**[1]. **﴿وِقْرًا﴾:** هذه الذرَّات أصبحت سحباً تحمل ماءً ثقيلاً، فالوقر هو الحمل الثقيل، فالغيوم تحمل أطناناً لا عدّ لها من المياه، فهي تحمل أحمالاً ثقيلة من المياه وتتضمن مياه أنهار العالم وينابيعها، كما تتضمّن المخلوقات البشرية التي حملت التكليف، وكذا الأنعام والنباتات وجميع المخلوقات.

لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، وقبل أن يلتقي فيها جيشه بجيش قريش فيقع بينهما القتال، لقي في طريقه شيخاً من العرب، فسأله عن محمد وقريش، وما بلغه من خبر الفريقين... فقال له الشيخ: لا أُخبرك حتى تخبروني ممن أنتم؟

فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك.

فقال الشيخ: خُبِّرت أن قريشاً خرجت من مكة وقت كذا، فإن كان الذي خَبَّرني صدَقَ، فهي اليوم بمكان كذا "للموضع الذي به قريش"، وخُبِّرت أن محمداً خرج من المدينة وقت كذا، فإن كان الذي خَبَّرني صدق فهو اليوم بمكان كذا "للموضع الذي فيه رسول الله"، ثم قال الشيخ: ممّن أنتم؟

فقال رسول الله: نحن من ماء.

ثم انصرف، فجعل الشيخ يقول: نحن من ماء! من ماء العراق، أو ماء الشام، أو ماء مصر...!

وكان الرسول ﷺ يقصد بقوله من ماء الآية الكريمة: **{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}**[2].

---

[1] سورة الذاريات – الآية:22.
[2] سورة الأنبياء – الآية:30.

3- ﴿**فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا**﴾: ثم تجري هذه السحب رغم وزنها الهائل بيسر وسهولة، وتسير هذه السحب دون صوت، فهذه الكميات الهائلة من المياه تحملها السحب وكأنها جبال تسير دون ضوضاء، وإذا طارت طائرة وحلَّقت في الأجواء تُصِمُّ بضجيجها آذان من تحتها من أهل الأرض، أما الغيوم والتي تحمل هذه الأوزان الثقيلة تسير وتجري وفيها مليارات من الأطنان من الماء تسير دون ضجيج وليس لها أصوات. هذا صنع الإلٓه الرحيم اللطيف، وتجري بلطف إلى البلاد التي يريدها الله، وبنزولها أمطاراً تَسُرُّ وتجلب البشرى للبشر إذ بهطولها تخرج المواسم والخيرات والأرزاق ويُسَرُّ بذلك الناس إذ تيسّر أمور معاشهم وطعامهم وشرابهم.

4- ﴿**فَالْمُقَسِّمَاتِ**﴾: تنزل مياهها بمقدار وبمكان معيَّن، تهطل بأمكنة معيَّنة ويذهب كل ما فيها من حياةٍ لمكانه المناسب، فالذي يأتي منها للبشر غير الذي يأتي منها للنبات والشجر والطيور والأنعام، فلكلٍّ منها ما يناسبه.

والحقيقة: يدُ الله هي التي تُجري كلَّ هذا وليس هذه الذرَّات، إنما الله خوَّلها هذه الوظيفة والله من ورائها الممد، فتلك الذرَّات لا فكر لديها لتدير وتخلق وتُنمي وتمدُّ بالسمع والبصر والفكر والأعضاء، هذه الأطعمة والأشكال والحجوم والألوان والبذور والبنين والبنات كلها من الله، فهل هذه الذرَّات تفهم حتى تُخرج كل هذه الأشياء؟ إذا الإنسان لم يؤمن يقع بالشرك، يقول: قوانين وأنظمة "طبيعة" وينسى الله فيقع بالشرك ويرضى به.

﴿**أَمْرًا**﴾: فيها أمر من الله لحياتك ومعاشك أيها الإنسان. لولا الماء ما أكلت طعاماً فلا حياة لك: فكِّرْ بهذا الفضل عليك، من جعل لك هذا؟ من خلق لك الماء وأنزله وأنبت به النبات وأحيا به الأرض؟ إن فكَّرت بهذا الفضل والعطاء آمنت بلا إلٓه إلا الله إيماناً شهودياً فيصبح لك نورٌ من الله سبحانه عندها تشاهد وتعلم أن وعد الله حق.

5- ﴿**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ**﴾: هذا الرب العظيم الذي خلق ورتب هذا الترتيب لصادق بما أخبركم به عن لسان المصطفى عليه الصلاة والسلام، فرسول الله صادق بكل ما جاءكم وأخبركم به، فكلامه وبيانه ودلالته كلها من الله خالق هذا الكون العظيم ولم يأت ﷺ بشيء من عنده، وكل ما تكلَّم به ﷺ واقع لا محالة.

6- ﴿**وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**﴾: إن آمن الإنسان بربه وآمن برسوله يعلم أن يوم البعث حق واقع فيدين للحق ويسير به ولا يخرج عنه، أما غير المؤمن فلا يدين للحق إلا عند الموت عندها تنكشف له الحقائق فيندم، أهكذا أيها الإنسان لا تدين للحق إلا بالموت! وما الفائدة عندها أن تدين وتشاهد وتؤمن والفرصة فاتتك وذهبت عنك، فالمدرسة انتهت وأغلقت الأبواب؟

﴿**وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**﴾: دين الله الحق سيسود على جميع الأمم، هذا وعد الله، والله متمّ وعده، فجميع البشر سيخضعون لدين الله الحق حتماً.

7- ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ**﴾: انظر بالسماء أيها الإنسان وفكر بها؛ هذه السماء العظيمة المتماسكة كواكبها مترابطة مع بعضها متشابكة فلا خلل فيها ولا اختلاف ولا يستطيع كوكب الخروج عن مداره المخصص له وكل ما فيها متعاون متضافر مترابط مع بعضه بعضاً ويد الله مهيمنة عليه ومسيّرة له، لذلك جاءت بهذا الكمال. وكما أن هذه السماء مترابطة وعن طريقها العطاء والخير كذلك كلامه سبحانه الـمُنْزَل على رسوله كامل لا خلل ولا اختلاف فيه مترابط كترابط الكون وبه الخير والسعادة لكم إن سرتم به وطبقتم ما أمركم به على لسان رسوله ﷺ.

أما أنتم أيها المشركون:

8- ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾: عن الحق، لقد عاهدتم الله بالأزل على عدم الانقطاع عنه ونكثتم بالعهد فأصبح لكل واحد قانون ونظام مختلف عن الآخر، كل واحد له رأي مختلف. هذا حال كل داعٍ لم يؤمن بربه ولم يسعَ للوصول للإيمان بالله ليحصل له نور فيرى به الحق حقاً، هذا الداعي سيكون قوله مختلفاً عن الحق ومخالفاً لما أنزل الله من بيان ودلالة على رسوله[3]. إذن: ما يسير الناس عليه اليوم من قوانين وضعية من لدن البشر كلها اختلافات وأخطاء، أما ما عند الله ورسوله فكله منظّم وكله فضل وخير ونعيم وسعادة وسرور.

9- ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾: يتحوَّل عن قول الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وأهله الصادقين، هذا حال من لم يؤمن بربه ويهجر كلام الخالق بل يروي من الناس على الناس الإفك ويظنّه "بعماه عن الحق" أنه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، لا يسير إلا بالإفك والضلال، يبتعد عن الحق وأهله وما أُنزل عليهم، ويُبعد غيره عن الحق ممن أُفك مثله. ﴿مَنْ أُفِكَ﴾: من وقع وعبَّ من الشهوات والمحرمات، من ابتعد عن الحق ظانّاً أنّ الدنيا تمنحه كلَّ شيء، هذا الذي سار بالإفك وما آمن، المؤمن لا يتبع ولا يسير بغير كتاب الله، المؤمن له نورٌ من ربه وله محبة لرسوله، لذلك مهما سمع من كلام مخالف لكتاب الله لا يصدِّق، ويعلم أنَّ ما سمعه إفك وكذب وزور ولا يسير به.

10- ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: الذين يرون الحق ويعرضون عنه، يسكتون عن النطق بالحق بعد أن أظهره الله وبيَّنه، ويحاولون إسكاته خوفاً من فقدان دنياهم من جاه ومال وشهوات، هذا من يحمل أوزاره يوم القيامة شاهدةً عليه حيث يمكنه ويستطيع أن يتكلَّم بالحق ولكن لا يتكلَّم، هؤلاء قتلوا أنفسهم لذلك سوف يأتيهم البلاء وسَيَخِرُّ السقف عليهم وسترميهم دنياهم وما استعجلوه منها من شهوات ومعاصي ومحرمات بنار جهنم ونار الله الموقدة.

سورة الذاريات: [11-20]

11- ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: أعرضوا عن الله واتجهوا للشهوات واستحوذت عليهم، لا يريدون الصلة بالله ورسوله أبداً، قطعوها نهائياً. غارقون في الدنيا وشهواتها، غمروا أنفسهم بالمعاصي والفواحش والإجرام فأعمتهم أعمالهم عن رؤية الحق وأصمَّتهم عن سماعه، فانعكست عليهم آثارها بالهموم والغموم إلى ما شاء الله. ﴿سَاهُونَ﴾: ساهية قلوبهم عن الحق وعمَّا أعدَّه الله لهم من جنات وفضل وعطاء في الآخرة. لا يُعملون تفكيرهم إلّا بشهواتهم، لو استعملوه في سبيل الله لما صاروا إلى ما صاروا إليه، تقول: سها فلان، أي: لم يعِ ما حوله، لم يعد يسمع ويُبصر **{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}**[4].

12- ﴿يَسْأَلُونَ﴾: استهزاءً وتهكماً. ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾: يستهزئون بالساعة والحساب، أنكروا البعث والنشور والحساب وذهبوا لدنياهم يعبّون منها فوقعوا بالفواحش والمعاصي والإجرام فليس لهم في الآخرة إلا النار.

---

[3] المرشد الصادق هو الذي يُعرِّف الناس بكمال الله ويبين لهم رحمته سبحانه وتعالى بعباده وعدله في خلقه ولا يقول للناس كتب الله على أناس الجنة وكتب على أناس النار، المرشد الصادق يعرِّف الناس بكمال رسل الله وأنبيائه الذين شهد الله لهم بطهارة قلوبهم وعصمتهم وجعلهم وأعمالهم مناراً وهداةً للعالمين ليقتدوا بهم إلى يوم القيامة، فلا يقول لهم إن الرسول ﷺ أخطأ أو سُحر، ولا يقول عن سيدنا آدم عليه السلام إنه عصى ربه، ولا يتكلم بالسوء ويتهم سيدنا يوسف ﷺ بالفاحشة ولا سيدنا داوود العظيم عليه السلام بحبه للنساء وإبراهيم عليه السلام بالكذب.

[4] سورة البقرة – الآية:18.

13- ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: يفتنون بهذه النار التي يريدون أن يرموا بأنفسهم فيها، افتتانهم بالنار ذلك أن من شدة آلامهم يلقون بأنفسهم فيها كما يلقي المريض نفسه بين يدي الطبيب. ولكن ما سبب فتنتهم بالنار وإلقاء أنفسهم فيها؟

الإنسان في الآخرة يرجع لفطرة الكمال التي فطره الله عليها، وعندما تتراءى له أعماله الخبيثة يقع بالعار والخجل من ربه وينفضح أمام الخلائق كلها إنسها وجِنّها وملائكتِها، ويرى ويشاهد مبلغ خسران ما أعدَّ الله له فيندم لذلك ندماً شديداً فتشعل في نفسه نار جهنم، أي: نار الحسرة والندامة على ما ضيَّع وخسر، ونار الشهوات المحرمة وأعماله الخبيثة تلهب بنفسه، عندها يرى هذا المعرض نار الله الموقدة أخفّ من النار التي فيه بعشرات المرات فيفتن بها وبوسائل علاجها ويرمي بنفسه بها لتسكِّن له آلامه الجهنمية التي لا تطاق فيحس بها وبآلامها وحريقها فيهرب ويخرج منها ولكن عند خروجه منها تتراءى له أعماله الخبيثة مرة ثانية ويحس بنارها وألمها فيرجع إلى النار ويرمي بنفسه فيها مرةً ثانيةً ... وهكذا، فالله سبحانه وصف حالهم هذا قائلاً: **{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}**[5].

14- ﴿**ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ**﴾: ذوقوا ما فتنتم به في الدنيا من الشهوات. ﴿**هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾: في الدنيا، تلك الشهوات التي أضعتم من أجلها عهدكم مع الله وتركتموه ونقضتم الميثاق، استعجلتموها بالمعاصي والآثام والكذب والإجرام فبماذا عادت عليكم؟ في الدنيا شقاء وفي الآخرة نار، عدم تفكيركم جرَّكم لاستعجالكم الشهوات بمعصية الله حتى وصلتم لهذا الحال[6].

وعلى النقيض:

15- ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾: المتقون هم الذين فكَّروا أولاً بالموت فخافت نفوسهم، بعدها فكَّروا بالكون، فآمنوا بلا إلَه إلا الله، وأقاموا الصلاة لأنفسهم مع الله وأقبلوا عليه سبحانه وصار لهم نورٌ منه تعالى، بنور الله صاروا يتقون الوقوع بالشهوات المحرمة والمعاصي والأعمال الخبيثة وذلك بارتباطهم برسول الله ﷺ. التقي يشاهد بنور الله طريق الخير والسعادة لذلك يفعل الخير والمعروف والأعمال الصالحة، هذا له الجنة، في الدنيا يعيش بجنة وسعادة وبالآخرة يتنقَّلُ في الجنات من جنة لجنة أعلى ومن إقبال لإقبال، كراكب قطار يتنقل بمشاهدة المناظر من منظر لمنظر، وكذلك حال الأتقياء في الجنة دائماً بمشاهدات لأسماء الله الحسنى بلا توقف ولا انقطاع.

16- ﴿**آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ**﴾: آمنوا بالمربي، ساروا بالمنطق والتفكير والحق وصار لهم حجة قوية من ربهم، وكل شيء ينالونه يرونه من الله المعطي، هو يطعمهم، يسقيهم، يُنمّيهم، يُزوّجهم. يأخذون من ربهم فقط لا من غيره، صبروا فأعطاهم الله عطاءً مذهلاً أبدياً، وهم متلهِّفون مشدوهون لما يفيض عليهم ربهم من فضل وعطاءات وجنات. ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ**﴾: هذا هو سبب سعادتهم ودخولهم الجنة، كانوا محسنين للخلائق كافّة، وليس لهم أهداف دنيوية، ينظرون لجانب ربهم، يرحمون عباد الله، يعتنون بالفقير والمسكين، والله شكور، هم يرحمون عباده وهو يعطيهم أكثر وأكثر ويغنيهم، لذا لا يطمعون بما في أيدي الناس لأنهم ينالون من الله نوالاً لا مثيل له في الدنيا وزخارفها، المحسن هو الذي يحب الخير للناس كافةً.

---

[5] سورة الرحمن – الآية:43–44.

[6] والآن جاؤوا بحضارة وتقنيات متقدِّمة، فسمّوا عصرهم: (عصر السرعة)، يريدون الجنة على الأرض ولكن بغضب الله.

17- ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾**:** يقومون لصلاة الليل وبهذا وصلوا لهذه الدرجة العالية. المؤمن يرى النوم خسارة له لذلك يجاهد به، هؤلاء يقومون الليل يفكِّرون ويسبِّحون أنفسهم، ويبكون خوفاً من المصير وخوفاً على إخوانهم من البشر. دائماً بصلة واتصال مع الله بمعية رسول الله ﷺ فيعرجون بقلوبهم بمعارج قدسية ويعوِّضهم الله كلَّ ما فاتهم بالماضي وهم يأخذونه ويحافظون عليه لا يتركونه أبداً.

﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾: كانوا لا ينامون قليلاً من الليل أي قبل الشمس أو بعد الفجر، لا ينامون عند محين صلاة الصبح.

18- ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ**﴾**:** يدعون ويستغفرون في أنفسهم دون صراخ وهم دائمون على هذا. هؤلاء المؤمنون غايتهم رضاء الله لا الخلق، لذلك يدعون ويطلبون من الله بقلوبهم لا صياحاً لِعلمهم بأن الله سميع عليم قريب، بعض الناس يصرخ بالدعاء مع أن الله سميع قريب {**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**}[7].

﴿**وَبِالْأَسْحَارِ**﴾: هذه بقيام الليل وإقبال النفس على الله. بنفوسهم ابتعدوا عن الدنيا، قلوبهم لم تتعلَّق بالشهوات الأرضية، نفوسهم عالية مع الله والرسول، وإن نزلوا للدنيا فللوظيفة، الدنيا وسيلة للجنات، شهوات الدنيا لا تخفضهم بل ترفعهم.

﴿**هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾**:** هم دائماً تائبون منكسرون في نفوسهم وسرائرهم لله. دائماً يطلبون الشفاء لأنفسهم ولغيرهم، ويؤوِّبون الخلق إلى الله بمعية رسول الله عليه الصلاة والسلام، هدفهم هداية الخلق. الرسول يستغفر لهم وهم يستغفرون للخلق، وكما أن رسول الله ﷺ أوصلهم للهداية والنور، صاروا يَصلون بالناس لما وصلوا إليه، قال رسول الله ﷺ: **"فضلي على أدناكم كفضل أدناكم على سائر الناس"**.

19- ﴿**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ**﴾**:** حقٌّ صريح يدفعونه وهم راضون، أي: يخصِّصون مبلغاً شهرياً ثابتاً لا يقطعونه أبداً بحيث يستطيعون الاستمرار والمواظبة على هذا المبلغ وعدم التراجع عنه "ساقية جارية ولا نهر مقطوع". ﴿**لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾**:** لأصحاب الحاجة المستحقين، علموا أن هذا المال حق عليهم للفقراء لذلك لا يصرفون أموالهم على أشياء غير ضرورية للترف والرفاه.

20- ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ**﴾**:** دالّةٌ على لا إلّه إلا الله، دالة على رحمته سبحانه وتعالى وحنانه وعطفه على الخلائق كلها. ﴿**لِلْمُوقِنِينَ**﴾**:** يراها من أيقن بالله، المؤمن يرى هذه الآيات، غيره لا يراها، لذلك الإيمان أساس، الإيمان أولاً عن طريق السماء بعدها التفكير عن طريق الأرض، فالسماء لا شيء فيها يُشغل النفس ويحولها عن الإيمان بالله، أما قبل الإيمان إن فكَّر الإنسان في الأرض وبما فيها يتحول ولا يستطيع التفكير لأن كل شهواته وميوله بها وعليها.

أما هؤلاء الأتقياء، انتقلوا بإيمانهم من السماء إلى الأرض، ورأوا أن الحضرة الإلّهية مع كل الخلائق، فلا شيء يقطعهم، بل يرتفعون ويعلون بها، وكلما ازدادت الفتن ازدادت صلتهم بالله، ازدادت جناتهم، لا يفتنون بها بل يُفتنون بربها.

سورة الذاريات: [21-30]

[7] سورة البقرة – الآية:186.

21- ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ**﴾: كذلك في خلقكم آيات دالة على الله وعلمه ورحمته وقدرته، فكِّر كيف خُلِقْتَ؟ من أين جِئْتَ؟ كنت نطفةً، من ربَّاك في بطن أمك وجعل لك ما جعل من أعضاء وأجهزة؟ لـمَّا نزلت من بطن أمّك من ربَّاك؟ من أخرج لك الحليب من ثدي أمك؟ أليست هذه آيات لك أيُّها الإنسان لتؤمن بالله! ﴿**أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾: إن لم يفكِّر الإنسان ببدايته ونهايته ولم يعرف أصله فلا جدوى له.

22- ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾: ينزل الله الحياة مع الأمطار فتدخل في الثمار، هذه الأمطار التي تهطل حاملة الحياة للأرض، دونها لا يُثمر الشجر ولا النبات، فكم من مرَّةٍ سُقي الزرع بماء الأنهار فقط فنبت ولكن دون ثمر، لكن إن نزل المطر ولو لمرة واحدة على الأرض يكفي لتحمل الأشجار والنباتات أثماراً. ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾: وكما للأجسام حياة كذلك فإن للقلوب حياة وأرزاقاً وهي دائمية، النفس لا تموت تذوق الموت ذوقاً، وعدمٌ لا يكون، هؤلاء المتقون نفوسهم معلقة مع أهل السماء، لأنهم آمنوا عن طريق السماء المادية وشاهدوا ما وراءها وهو الحق من ربهم، شاهدوا أهل السماء وعاشوا معهم بالجنات من الدنيا.

23- ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ**﴾: هذا الرزق وما يدلكم عليه الرسول حقٌّ وفيه الحياة لأنفسكم إن فكَّرتم به وآمنتم صار لكم حياة ونور من ربكم. ﴿**مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾: أي مثل هذه الحياة السارية في أجسامكم والتي تجعلكم ترون وتسمعون وتنطقون، كذلك الحياة القلبية المتواردة عليكم عن طريق رسول الله عليه الصلاة والسلام، حياة حقيقية تسري في قلوبكم وهي أسمى وأعلى وأبهى وبها السعادة والمسرات والنعيم المقيم.

24- ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ**﴾: ضيوفه الملائكة الكرام: ﴿**الْمُكْرَمِينَ**﴾: الطاهرين الأنقياء[8].

25- ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ**﴾: دخلوا على سيدنا إبراهيم عليه السلام بهيئة بشر. ﴿**فَقَالُوا سَلَامًا**﴾: السلام هو الأمان. ﴿**قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**﴾: لم يعرفهم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، نفوس قومه بإعراضهم عن الله ووقوعهم بالفواحش والمحرمات أصبحت قذرة تفوح منها رائحة القذارة والإنتان، سوداء مظلمة، أما هؤلاء الضيوف من إقبالهم على الله نفوسهم تتلألأُ بالأنوار وروائحها تفوح بالمسك والعطور، لذلك لم يعرفهم سيدنا إبراهيم عليه السلام وقال عنهم: {**قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**}، أي: أنكر أن يكون بقومه مثلهم.

26- ﴿**فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ**﴾: إكراماً للضيف، دليل على كرمه صلوات الله عليه رغم أن عددهم قليل ذبح لهم عجلاً سميناً، هذا هو الكرم النبوي.

27- ﴿**فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ**﴾: ليأكلوا. ﴿**قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ**﴾: فلمْ يأكلوا لأنهم ملائكة، استغرب عليه السلام وقال لهم لِمَ لا تأكلون.

28- ﴿**فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**﴾: ظن أنهم أعداء، فإن امتنع الضيف عن تناول طعام مضيفه فهذا يدل على نية شر بنفسه تجاه المضيف، هذا الخوف الذي خافه سيدنا إبراهيم عليه السلام خوف احترازي لا خوفٌ عن جبن، الرسل لا يعرفون الجبن ولا يدخل إليهم خوف الجبناء أبداً لأنهم مؤمنون بلا إلٰه إلا الله، فالجبن من الشيطان، والشيطان لا سلطان له على أنبياء الله ورسله أبداً، الجبن يأتي من أعمال الإنسان السيئة وظلمه لغيره. ﴿**قَالُوا**﴾: الملائكة الكرام. ﴿**لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ**﴾: كشفوا له بأنهم ملائكةٌ أرسلهم الله تعالى إليه، وبشَّروه بقدوم سيدنا إسحاق عليه السلام رسولاً من عند الله

---

[8] الملائكة سُمُّوا ملائكة لأنهم ملَّكوا اختيارهم ونفوسهم لله، عندما عرض الله الأمانة، قالوا يا رب نحن لا نريد شيئاً لا نريد الشهوات ولا التكليف ملَّكنا نفوسنا لك لذلك سُمُّوا ملائكة كراماً أي كاملون لا شائبة بهم.

وذلك حتى يخفّفوا وقع نبأ هلاك قومه عليه. ﴿عَلِيمٍ﴾: عليم بأسماء الله الحسنى، مؤمن بلا إلّه إلا الله، له علم بربه أنه رحيم، كريم، عليم.

29- ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾: امرأة سيدنا إبراهيم عليه السلام سمعت كلام الملائكة الكرام عندما بشَّروا سيدنا إبراهيم بابنه سيدنا إسحاق صلوات الله عليهم أجمعين فدخلت عليهم في صرّةٍ، أي: متحجّبة متحفّظة وهذا دليل على أن ستر الوجه كان من ذلك العهد بل منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وهو مفروض لنهاية الدنيا، كذلك هذا دليل على أن العجائز يجب أن يستُرن وجوههنَّ لا كما يقولون بهذا الزمان لا مانع من كَشفِ وجهها لأنها مسنة. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: ضربت وجهها بيدها لحبها الكبير لزوجها سيدنا إبراهيم ﷺ. وقالت للملائكة أكرمناكم وأطعمناكم، وبعد هذا كله تريدون أخذ زوجي مني وتزويجه بامرأة غيري وهو حياتي، ولكن بعد أن علمت أنهم ملائكة وأن الغلام سوف يأتي منها قالت لهم أنا: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: فكيف يأتيني غلام؟! والولد بحاجة لخدمة ورعاية وهذا فيه جهد كبير عليَّ وعلى زوجي.

30- ﴿قَالُوا﴾: الملائكة. ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾: وأنت على هذا الحال والغلام منك. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾: لأنه عليم بك وبزوجك، وعليم بنواياكما العالية لذلك سوف يرسل لكما غلاماً عليماً، حكمته اقتضت هذا، لكن سيدنا إبراهيم عليه السلام أحسَّ أن هناك شيئاً كبيراً خطيراً لم تخبره الملائكة به، فسألهم:

سورة الذاريات: [31-40]

31- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: بعد أن بشَّروه بسيدنا إسحاق عليه السلام نظر إليهم فأحسَّ برعب ورأى أن هناك أمراً جللاً لا يزال في نفوسهم لم يخبروه عنه، لذلك قال لهم ألهذا فقط جئتم؟ فقط جئتم لهذه البشرى أم لكم مهمة ثانية، رغم عظمة هذه البشرى لم تحوّله عن رحمته بقومه، الملائكة بشَّروه بهذه البشرى قبل أن يخبروه بهلاك قومه لتخفّف عنه المصاب ومع ذلك لم تتحوَّل نفسه عن رحمته بقومه وخوفه على مصيرهم.

32- ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾: قوم لوط عليه السلام ليس فيهم خيرٌ قط، من لا يؤمن ويقبل على الله لا يظهر منه خير، حيث لم يكتسب من الله كمالاً، فكل ما يظهر من الكافر من خير فهو كذب وخداع وغايته منه شيطانية. هؤلاء القوم بإعراضهم عن الله وقعوا بالانحطاط ولم يبقَ فيهم خيرٌ قط لذلك استحقوا الهلاك.

33- ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾: سيأتيهم الهلاك من فوقهم ومن تحت أرجلهم، بركان وزلازل خسفت الأرض بهم والهارب أصابه حجر.

34- ﴿مُسَوَّمَةً﴾: مسمّاة لصاحبها الذي استحقَّها فلكل واحد منهم له وباسمه حجر سيصيبه على حسب ذنبه. ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: الذين أسرفوا على أجسامهم بالشهوات المنحطة.

إذن: ما يقوله العوام أن الرحمة مخصّصة والبلاء يعمّ، هذا غير صحيح فالعدالة الإلّهية تقتضي أن تعطي كلَّ ذي حقٍّ حقّه، وهذا قانون، المؤمن لا يصيبه مكروه **{مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ}**[9]. البلاء لأصحابه المجرمين.

---

[9] سورة النساء – الآية:147.

35- ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: أولاد سيدنا لوط عليه السلام كانوا سائرين بالحق مع أبيهم لذلك أخرجهم ونجّاهم من الهلاك.

36- ﴿**فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾: بيت سيدنا لوط، كذلك يأتي معنى البيت هنا: النفس لما يبيت بها من الحق أو غيره، فكان سيدنا لوط عليه السلام مستسلماً إلى الله ومن معه كانوا مؤمنين، ارتبطوا بأبيهم سيدنا لوط عليه السلام برباط المحبة والتقدير واستسلموا لله عن طريقه عليه الصلاة والسلام، إلا امرأته هلكت لأن نفسها اغبرَّت بحبها لقومها، اتَّسخت نفسها فجاءها الهلاك بمقدار ما تستحق.

37- ﴿**وَتَرَكْنَا فِيهَا آَيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾: طالب الخير لنفسه وطالب الحق يفكِّر بهذه القصة ويتعظ، المؤمن يرى رحمة الله من خلال هذه الآيات فيزداد حبّاً لله وتقرباً إليه، فهذه القصة تُبيِّن رحمة الله تعالى بهم، أهلكهم إذ بهذا الهلاك خلَّصهم مما سيعملون من شرور أكثر فيما لو استمرت حياتهم، فكلما عاشوا أكثر ازدادوا عذاباً في الآخرة.

38- ﴿**وَفِي مُوسَى**﴾: كذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام آيات دالة على رحمة الله وحنانه بخلقه. ﴿**إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ**﴾: ليهتدي ويهتدي قومه معه. ﴿**بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾: أيدناه بمعجزات ظاهرة واضحة رآها فرعون كالعصا واليد والدم والقحط وغيرها...

39- ﴿**فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ**﴾: لم يلتفت فرعون لموسى عليه السلام ولم يتب، ركن إلى ما عنده من عزٍّ وجاه وسلطان، ركن إلى الدنيا بدل أن يركن إلى الله والرسول. ﴿**وَقَالَ سَاحِرٌ**﴾: اتهمَ سيدنا موسى عليه السلام بالسحر. ﴿**أَوْ مَجْنُونٌ**﴾: لا شيء من دنيا عنده، حارم نفسه من اللذائذ والشهوات.

40- ﴿**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾: لامَ نفسه عندما أدركه الغرق ولكن ذلك لم يُجْدِهِ شيئاً.

سورة الذاريات: [41-50]

41- ﴿**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**﴾: كذلك كان هلاكهم رحمة من الله بهم. قوم عاد عمَّروا الأرض وبذلوا في عمارتها كل ما أوتوه من إمكانيات، جاءهم سيدنا هود عليه السلام رسولاً من ربهم دلَّهم وأرشدهم لكنهم عارضوه، فأرسل الله عليهم الريح العقيم، أي: تلك الريح التي لا تحمل خيراً.

42- ﴿**مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ**﴾: أهلكتهم ودمَّرت حضارتهم فلم يبقَ منها شيءٌ وتركوا دنياهم وأورثها الله قوماً آخرين. ﴿**إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ**﴾: أصبحوا كذرات الغبار.

43- ﴿**وَفِي ثَمُودَ**﴾: وهم قومٌ أرسل الله لهم سيدنا صالحاً رسولاً حذَّرهم وأرشدهم وبيَّن لهم الحق لكنهم عصوه وما ساروا بأمره ﷺ. ﴿**إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ**﴾: طاولهم ربُّ العالمين وأعطاهم كل رغباتهم وشهواتهم.

44- ﴿**فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**﴾: عصوا شيئاً فشيئاً، ما طبَّقوا ما أمرهم الله به، ما ساروا بطريق الإيمان، ما فكَّروا وما آمنوا. ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾: جاءهم الهلاك فانصعقوا من شدته رعباً. ﴿**وَهُمْ يَنْظُرُونَ**﴾: مكثوا مشدوهين لا حياة فيهم.

45- **﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾:** عندما جاءهم الهلاك. **﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾:** على الشيطان وعلى أنفسهم وشهواتها.

46- **﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾:** كذلك جاءهم الهلاك. **﴿مِنْ قَبْلُ﴾:** أُهلكوا قبل قوم سيدنا إبراهيم وقوم عاد وثمود. **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾:** خرجوا عن طريق الحق والإنسانية لذلك جاءهم الهلاك، لولا فسقهم ما جاءهم الهلاك.

أنتم حتى لا ينزل بكم الهلاك، جعل لكم سبحانه وتعالى طريقاً للخلاص منه وهو التفكير بالسماء لتؤمنوا بلا إلّه إلا الله، إن آمنتم خلصتم من الهلاك.

47- **﴿وَالسَّمَاءَ﴾:** انظر أيها الإنسان في السماء مفكِّراً متأملاً، إن فكَّرت بها وبعظمتها تعلم أن للسماء خالقاً عظيماً ورباً ممداً وإلّهاً مسيِّراً بصيراً فتستقيم على طاعته ولا تعمل السوء. **﴿بَنَيْنَاهَا﴾:** لكم لتفكِّروا وتؤمنوا بلا إلّه إلا الله فيصبح لكم نور من ربكم. **﴿بِأَيْدٍ﴾:** بقوتنا، بقوة لذلك فلا خلل فيها، بل كل ما فيها سائر بنظام لا يخرج عنه. **﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾:** لك أيها المؤمن، إيمانك وعطاؤك عن هذا الطريق فكلما فكَّرت بالسماء رأيت عظمتها ومنها تنتقل إلى عظمة الله غير المتناهية وشاهدت نفسك أكثر وأكثر من أسماء ربِّك الحسنى[10].

48- **﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾:** لكم بكل ما تحتاجون إليه لتأمين حياتكم ومعاشكم من جبال وبحار وسهول وأنهار ومعادن مختلفات وأحجار وأنعام ونباتات وهواء. **﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾:** خلق لك كل هذا لتتنعم به، مهَّد لك ما فيها لتستعمله وتنتفع منه، فماذا يكون حالنا لو لم يتفضل الله علينا بهذا الفضل والعطاء؟

وفي الحقيقة ما أرسلنا الله للأرض للأكل والشراب فحسب، بل هناك غاية أعظم وأسمى، الله بعثنا ومهَّد لنا ما في الأرض ليُنعم علينا بالهداية والاستنارة، والإنسان تميّز عن سائر المخلوقات بالفكر ليستعمله في الوصول لربه، والدنيا مزرعة الجنان، وفيها خيرات كثيرة يجنيها المؤمن، فرشها الله لنا بالأنوار والعطاءات الإلّهية وحدّد لنا المكان وهو الكعبة حيث الاجتماع مع الإمام رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكافة الرسل عليهم الصلاة والسلام إذ بمعيّتهم تتمهَّد السبل لنيل التقوى والاستنارة الدائمية بنور الله وهذه هي غاية الحق من إيجاد الخلق، ليُنعم علينا بالتجليّات الإلّهية والجنات عن طريق رسله **{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}**[11].

49- **﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾:** كل ما يقع تحت نظرك أيها الإنسان مما خلق الله كلُّه أزواج: ذكر وأنثى، وجعل بينهما تآلفاً وتجاذباً وجعل لكلٍّ منهما ما يناسبه ويحتاج إليه من أعضاء لتنتظم الحياة، ويستمر الوجود والبقاء وليتم الله عليك أيها الإنسان المكرّم النعمة والإحسان، فكله من أجلك

---

[10] إن صدق المرء وخافت نفسه حينها يصل لربه عن طريق التفكير بهذه الآيات التي في السماء وساعتئذٍ يبعث الله له رسوله ﷺ بالحال النفسي يساعده ويؤازره، {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} سورة آل عمران – الآية:163. وهنا تأتي وظيفة الرسول فهو ﷺ يُري هذا المؤمن بالنور الإلّهي آيات الكون بشكل أوسع ورؤية أشمل وأرقى، فهو يُوَسِّع له المشاهدات بأسماء الله الحسنى انطلاقاً من النقطة التي آمن من خلالها. الإنسان لديه القابلية للتوسّع بأسماء الله الحسنى ونيل الرحمة والحنان والرقي من الله وهذا مشروط إن ارتبطت نفسه بنفس رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي لم ينقطع عن الله طرفة عين والنموذج الأكمل لحاملي الأمانة، فتشرق على نفسه الأنوار ويعيش فيها.

[11] سورة آل عمران – الآية:194.

ولسعادتك وخدمتك. ﴿**لَعَلَّكُمْ**﴾: إن فكَّرتم بهذا الفضل والإحسان. ﴿**تَذَكَّرُونَ**﴾: تذكرون رحمة الله بكم وحنانه وعطفه عليكم، تذكرون أسماءه الحسنى وكيف يعاملكم ربكم بها، إن فكَّرتم تستطيع نفوسكم أن تتوجه إلى الله وتصل إليه سبحانه وتؤمنوا به.

50- ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾: أقبلوا عليه سبحانه وتوبوا، ولكن كيف الفرار إلى الله أي: الإقبال عليه سبحانه؟ لا يستطيع الإنسان الإقبال على الله والإيمان به ما لم يسلك بالقوانين التي وضعها الله له وذلك بالتفكير بما في الكون من آيات من بعد اليقين بالموت حيث يستطيع الإنسان ترك الشهوات التي تقف حجاباً بين الإنسان وربه، إن ما فكَّر الإنسان بالموت وتيقنت نفسه من فراق الدنيا وخافت لا يستطيع ترك الدنيا، ولا الالتفات إلى كلام الله ورسوله ولا التفكير بخلق السماوات والأرض. ﴿**إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ**﴾: رسول من الله لكم أبلغكم ما يأمرني الله بتبليغه لإخراجكم من الظلمات إلى النور. ﴿**نَذِيرٌ**﴾: أنذركم من الهلاك ونار محرقة. ﴿**مُبِينٌ**﴾: بيَّنت لكم كل شيء.

سورة الذاريات: [51-60]

51- ﴿**وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ**﴾: فعَّالاً مسيِّراً، لا فعل لغيره سبحانه ولا مسيِّر سواه، الذي يخاف من مخلوق ويظن أنَّ به الحول والقوة هذا جعل مع الله إلّهاً آخر، أشرك بالله، لكن هل الذي أشركتم به هو الذي يُسيِّر الكون ويأتي بالليل والنهار؟ ويسيِّر الكواكب والرياح والسحب؟ هل يأتي برزق لك؟ إن توقف قلبه أيستطيع إمداده بالحركة والقوة؟ إن احتاج لكأس من الماء ولم يجده فما حاله؟ ألا يموت؟ ﴿**إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾: دلَّهم على الإيمان وحذَّرهم، قال لهم ﷺ إن ما آمنتم بلا إلّه إلا الله سوف تقعون بالشرك وستصبح حياتكم شقاءً وفي الآخرة مثواكم النار، والحقيقة أن المؤمن له نور من ربه يرى ما صار إليه الناس من شرك وما هم عليه من ضلال ومن شقاء وآلام وحروب، غيره لا يرى هذا.

52- ﴿**كَذَلِكَ**﴾: هذا قانون، كل إنسان لاحق للدنيا وشهواتها وواقع بانحطاطها وفواحشها، يموِّه على نفسه، ويتَّهم الأنبياء والمرسلين الكرام ويتقوَّل عليهم. ﴿**مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾: كلهم كان يقول ذلك القول، إذا ما آمن الإنسان يرى نقائصه وعيوبه وعلله النفسية برسول الله الكامل المبرَّأ. اتَّهموه ﷺ بالسحر، بأنه يتخيَّل ويتكلَّم بما تُمليه عليه الشياطين، وبهذا أنكروا رسالته، وقالوا أنه مجنون، مستور عنه الحق، لو آمنوا بالله ما قالوا هذا القول ولشاهدوا كماله ﷺ وأنواره، وعلموا أن بيانه وكلامه من حضرة الله.

53- ﴿**أَتَوَاصَوْا بِهِ**﴾: أن يقولوا ذلك! هل توارثوا هذا القول عن بعضهم بعضاً! ولكن ما سبب هذا القول؟ ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾: سببه طغيانهم، خروجهم عن طريق الحق والفضيلة، فهم واقعون بالفواحش والمعاصي والإجرام، يظنون كل البشر مثلهم، ما فيهم كمال ليعرفوا كمال رسول الله ﷺ لذلك قالوا ما قالوا.

54- ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ**﴾: دعهم، اتركهم، هكذا أمر الله رسوله فهم لا يريدون الإيمان ولا الحق والسير فيه، يريدون الدنيا والانحطاط، لذلك قال له ربه اتركهم أنا أعطيتهم الاختيار ولهم ما يريدون. ﴿**فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ**﴾: فلن تلام عليهم، لن تلام على تركك إياهم.

55- ﴿**وَذَكِّرْ**﴾: بالقرآن، بيِّن للمؤمنين الذين معك ولطالبي الإيمان، ذكِّرهم بأسمائي الحسنى ومعاملاتي وفضلي وإحساني إليهم. ﴿**فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: بإرشادك لهم وبيانك عن أسمائي الحسنى. وبحبهم وتعظيمهم وتقديرهم لك يقبلون علي فيصبح لهم نورٌ وتتفتح بصائرهم وينالون الفضل والإحسان وبهذا نفْعهم.

56- ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾: ليطيعوا فيروا طريق الحق فيسعدوا، لهذا خلق الله الجن والإنس، وقد تقدم ذكر اسم الجن بهذه الآية على الإنس إشارة إلى أنهم سبقونا بالتكليف ونزولهم إلى المدرسة أي الدنيا[12].

57- ﴿**مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ**﴾: الله تعالى ليس بحاجةٍ إلى مخلوقاته بشيء، فهو بيده كل شيء، لا غاية له من خلق الإنس والجن إلا سعادتهم.

58- ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ**﴾: انظر من الذي ينزّل الأمطار وينبت الزرع والأثمار؟ هل من أحد غيره؟ لكن الإقرار وحده لا يكفي لابدَّ من الإيمان المبني على التفكير. ﴿**ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾: هو القوي وحده، لا قوة إلا به سبحانه.

59- ﴿**فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: الذين ما دلُّوا أنفسهم على الله من الإنس والجن، وما ساروا بطريق الإيمان ولا فكَّروا. ﴿**ذَنُوبًا**﴾: مما علق بنفوسهم. ﴿**مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ**﴾: مثل ذنوب قوم سيدنا نوح وقوم سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط وقوم سيدنا موسى وعاد كما مرَّ ذكرهم بالآيات السابقة من هذه السورة. هؤلاء بدلاً من أن يهدوا أصحابهم لحقوا بهم ونقلوا الفساد لبلادهم. ﴿**فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ**﴾: على المعاصي مثلهم، ليحذروا.

الذنب: هو النية السيئة والشهوة الخبيثة بالنفس، وهذه النية والشهوة تتراءى للنفس وتنشط عندما تشاهد شيئاً من مشتهياتها أمامها فتثيرها (مثال: سارق وشاهد نقوداً)، لذلك قال رسول الله ﷺ: **"الفتنة نائمة لعن اللَّه من أيقظها"**[13]. إذا خرج الذنب من النفس، أي: وقع الإنسان بالشهوة الخبيثة التي بنفسه صار سيِّئةً أو إثماً. ولو التجأ إلى الله وفكَّر بالموت وأقبل على ربه لشفاه الله من هذه العلة النفسية وما وقع فيها. ﴿**ذَنُوبًا**﴾: وهي مجموعة الذنوب العالقة بالنفس، وهي أحياناً تكون خفية وغير ظاهرة للإنسان ذاته ولا يعرفها، وإذا شاهدها على غيره يستنكرها لكن إن ما آمن وأقبل على ربه سوف يقع بها، هذه الذنوب والشهوات والعلل والأمراض النفسية كلها تنمحي من النفس بالصلاة الصحيحة وتطهر النفس وتشفى منها وتنقلب إلى حسنات ومكرمات وتصبح باباً لرقي النفس ولمكاسبها الأخروية بالأعمال الصالحة ولنيل الجنات.

---

[12] ولكن لِم جعل تعالى هذا الترتيب، أي: جعلنا نوعين إنساً وجناً؟ لـمَّا عرض الله سبحانه الأمانة بعالم الأزل هناك من رضي بحملها وهناك من لم يرضَ، الذين رضوا بالتكليف وحمل الأمانة، بالميثاق وعند دبِّ الشهوات بهم حدث تمايز، نظر سبحانه إلى النفوس جميعها ليرى صدقها معه فشاهد تمايزاً بينها واختلافاً، الذين غاصوا بالشهوات واستحكمت بهم بقوة وصار لهم طاقات وأهلية في بلوغ مراتب القرب الكبيرة أقل من البقية ممن حمل التكليف من الإنس، سمَّاهم: (جن)، أي: سترهم عن عالم الإنس الذين هم أقل غوصاً بالشهوات وفصلهم عنهم، فالطالب ذو الطاقات المحدودة أو الطالب الكسول بالمدرسة إذا اجتمع مع الطالب المجتهد فهو يؤثِّر عليه لذلك يتم المباعدة بينهما، ولم تستطع الجن أن تبلغ مراتب النبوة كما ذكر تعالى على لسانهم: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا} سورة الجن – الآية:11. وبسبب ضعفهم جعل الله لهم صفات جسدية مناسبة لما في نفوسهم من شهوات، حيث ظلَّت نفوسهم محيطة بأجسادهم، وهم لا يختلفون بالشكل عن عالم الإنس إلا أنَّ خَلق أجسادهم أساسه من نار ونحن من طين، فالتمايز على حسب الإمكانيات والفصل بيننا وبينهم لئلا يؤثروا بضعفهم على إيماننا. الذين يخرجون بنفوسهم من عالمهم لعالم الإنس يُسمَّون شياطين، والذين ينزلون بنفوسهم من الإنس لعالمهم يسمون شياطين، عالمهم مثل عالمنا الأرض واحدة والكون واحد يأكلون ويشربون ويتزاوجون ويتوالدون. كذلك جعل الله سبحانه الإنس نوعين رجالاً ونساءً رحمة وحناناً منه سبحانه وتعالى، وفصل بينهم والسبب أن النساء أضعف من الرجال، لذلك ولَّى سبحانه الرجال عليهن ليُقوِّموهن ويساعدوهن في الدخول إلى الجنة، فقال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...} سورة النساء – الآية:34.

[13] الجامع الصغير /4/104/

60- ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: الذين ما فكَّروا إن لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله ويؤمنوا به. ﴿**مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾: عند الموت وكذلك يوم القيامة حيث سيقع عليهم ما أخبرهم به رسول الله ﷺ من حقائق وسيكون مصيرهم الشقاء والنار.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطور: [01-10]

1- ﴿**وَالطُّورِ**﴾: هو التجلّي الإلّهي العالي الذي يكون به نتاج الثمرات والمخلوقات جميعاً، وهنا دعوة للتفكير بهذا الخلق والتطوّر من حال لحال آخر كما الزهرة والنبتة والإنسان منذ أن كان نطفة فعلقة فمضغة فلحماً وعظاماً فإنساناً سوياً.

كل هذا يحدث من الطور أي من تلك الصفة الإلّهية الكاملة والشأن الإلّهي الذي يتجلّاه الله بأسمائه الحسنى على القلوب والأجساد والكائنات، وأعظم تجلٍّ وأعلاه على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهذا كله بالحق والاستحقاق لذلك أنزل عليه ﷺ هذا التشريع الإلّهي.

فالطور أيضاً تعني ذلك التشريع الإلّهي العالي الذي نزل على قلب سيد المرسلين.

2- ﴿**وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ**﴾: في نفس المصطفى عليه الصلاة والسلام، مسطور بنفسه الشريفة أسماء الله الحسنى وحقائق القرآن، وألفاظه سطرت في المصحف ونشرت على أمم الأرض، فإذا أردت الحق والحقيقة فلا تجدها إلا عند رسول الله عليه الصلاة والسلام، والطريق إليها: آمن بالله عندها تحب رسول الله وتؤمن به، وبنوره عليه الصلاة والسلام تشاهد تربيته وتجلِّيه تعالى وأسماءه الحسنى وينطبع الحق بنفسك وتشاهد الحقائق.

كل من فكر بشمائله عليه الصلاة والسلام وأعماله وبيانه ودلالته وتوجهت نفسه بالمحبة لرسول الله صار مع الله فهو عليه الصلاة والسلام مع الله لا ينفك عنه طرفة عين وبمحبتك له يعرج بك ﷺ إلى الله سبحانه وتغدو من أهل القلوب ومن أصحاب البصائر.

3- ﴿**فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ**﴾: منشور عليكم كله لطف وعذوبة، بيان رقيق لطيف، فهذا التجلِّي الإلّهي العظيم منشور على الخلائق كلها وأعظمه على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكل إنسان طلب الله بصدق فإن نفس رسول الله ﷺ تسري لنفسه بلطف فيُدخلها على الله ويخرجها من ظلمات العمى إلى عوالم النور، إلى الحضرة الإلّهية، وهذا لا يكون إلا للذي فكر وصدَق بطلب ربه، من بعد أن هجر الدنيا وشهواتها وجاهد بهوى نفسه، هذا يُدخله رسولُ الله ﷺ على حضرة الله، في البداية تحدث لهذا المؤمن أحوال ثم أذواق بعدها مشاهدات فشهود دائمي لحضرة الله، وكل هذا بمعيته ﷺ وهذه هي الشفاعة، وهي مُرافقةُ نفسك لنفس رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة فلا تقع بعدها بسوء ما دمت مستقيماً.

بعد أن ذكر لنا تعالى طريق التقوى والفوز بالمكرمات وهو بأن نفكر بكلام الله المنزَّل على رسوله، وبالطور أي التجلي الإلّهي والتشريع القرآني كطريق أولى ذكر لنا تعالى بعدها طريقاً ثانية وهي طريق التفكير بالكون وآياته فقال تعالى:

4- ﴿**وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**﴾: هذا الكون معمور بكل وسائل الحياة، فهو بيت البشر فيه الماء والهواء والكلأ وكل ما في الكون مسخر للإنسان أما باقي الكواكب فلا حياة عليها وهي معامل للأرض، كذلك قليلٌ من التفكير بالكون يوصلك إلى الإيمان بلا إلّه إلا الله، فكِّر به مَنْ عمَّره لك؟ أيعقل أنَّ بيتاً فيه ماء وكهرباء وأثاث وُجِدَ وتَعمَّرَ وترتَّبَ لوحده دون صاحبٍ تعهَّد بناءه وترتيبه...؟! فهل أصحاب

الحضارة هم من بنى هذا الكون العظيم؟ الإنسان أتى لهذا الكون عارياً ويذهب عنه عارياً، إذن فكر بالذي عمَّره لك وجعل السماء سقفه والأرض فراشه، وهل فكرت بهذه الأرض وكل ما تحتاجه موجود عليها، من الذي ينبت الشجر ويطعم الخلائق كلها ويسقيها؟ من الذي يمد الكائنات بالتربية جيلاً بعد جيل ويعطيهم كلَّ طلباتهم؟ من الذي رباهم وسوَّاهم؟ ماذا كانوا قبل أن يخلقهم الله؟

5- ﴿**وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ**﴾: هذه السماء الواسعة العظيمة، فكر بها كيف هي مرفوعة من كلِّ الجهات بلا عمد، من زيَّنها بهذه الأضواء بالكواكب بالشمس بالقمر، من الذي يسيطر عليها وعلى جميع مخلوقاتها وجعلها مسخرة لك، الذين فكروا بها آمنوا، سموا وارتقوا وصارت سماؤهم عالية، من خلال التفكير بالسماء وصل سيدنا إبراهيم عليه السلام لربه وآمن به.

6- ﴿**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾: المسجور من أن يطغى على اليابسة، فهو مستقر على الأرض فلا ينحدر وذلك بتأثير ضغط النجوم على الأرض وعلى مياهه فتجعله لا يجور ولا يخرج من حفره، تزجره عن التجاوز والطغيان بهذا التأثير غير المرئي، فلو طغت البحار على اليابسة ماذا يحدث؟

يدُ من تسيطر على البحار تمسكها فلا تجور ولا تخرج عن حفرها رغم كروية الأرض؟ ما أعظم يده تعالى وما أرحمها! فقد مسَّها تعالى بالتجلِّي الإلَهي لذا تراها لا تجور على البر.

كل هذه الآيات جعلها الله لكم لتؤمنوا، وقومك يا محمد إن لم يفكروا بها ويسيروا بدلالتك ويؤمنوا فلا بدَّ أن العذاب واقع بهم.

7- ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**﴾: كل ذلك مما سبق ذكره من الآيات السابقة يدل على أن هناك خالقاً وحساباً، إن فكرت فيما سبق لوجدت أن العذاب يوم القيامة واقع، فإن لم يؤمن الإنسان بربه فلابد له من العذاب بهذه الدنيا للتطهير والعلاج لعله يرجع إلى الله وجناته، فإن لم يرجع فله في القبر عذاب، وإن لم يرجع فلابد له من النار.

8- ﴿**مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ**﴾: المريض من يحول بينه وبين دخوله المستشفى وعلاجه بها؟ أحبُّ الناس إليه يقول خذوه إلى المستشفى، كذلك هذا الإنسان الذي أمرض نفسه بما وقع فيه من فواحش وإجرامات وتعدٍّ ومعاصٍ، هذا لابدَّ له من دخول النار للعلاج والتطهير، وهو يطلبها لشدة ما فيه من آلام لا تطاق، فالنار تنسيه آلامه وأوجاعه، دواؤه مرٌّ، وهذا الدواء لابدَّ منه.

9- ﴿**يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً**﴾: يوم القيامة السماء تدور الدورة الأخيرة وتذهب عنك إلى غير رجعة، هذه السماء سيتوقف دورانها ودوران الكون كله وستعود كما كانت بالأزل نفساً مجردة، فما حالك أيها الإنسان ساعتها وأنت لا نور لك ولا إيمان والفرصة انتهت وذهبت عنك؟ بالدنيا كنت تستطيع الإيمان والعمل الصالح أما بالآخرة فلا عمل تستطيع القيام به، عندها تعرف مبلغ خسارتك فتحلُّ بك الندامة والحسرات، لقد خسرت الدنيا والآخرة وأوقعت نفسك بالعذاب والنار.

10- ﴿**وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً**﴾: كذلك الجبال تتحرك حركتها الأخيرة يوم القيامة، وتسير ذاهبة لنعيمها الذي أعدَّه الله لها لقاء تسخيرها لخدمة هذا الإنسان المكرَّم عند الله، حيث تعود كما بدأها الله نفساً مجردة عما ألبسها الله من ثوب فيه العظمة والقوة.

﴿**سَيْرًا**﴾: أبديّاً لا رجعة لها على الإطلاق فالمدرسة انتهت وظهرت النتائج، الذي ما آمن وقع بحب الدنيا وشهواتها وبهذا أمرض نفسه، وغداً حين الموت ويوم القيامة لا يستطيع الصلاة والإقبال على الله سبحانه لتشفى نفسه من عللها، لذلك لابدَّ له من النار للعلاج والتطهير، إذا الإنسان ما تدارك

أمره في الدنيا واستدل بالآيات الكونية الناطقة بعظمة الله وحنانه ذهبت الفرصة عنه وخسر خسراناً أبدياً.

الذي ما نظر بالكون واستدل على لا إلّه إلا الله فمعنى هذا أنّ قلبه مشغول بحب الدنيا، وهذا لا طريق له للإيمان والهداية إلا الرجوع للتفكير بالموت والتيقن منه حتى تترك نفسه الدنيا وشهواتها، عندها يستطيع النظر والتفكير بالآيات الكونية فيؤمن بربه.

سورة الطور: [11-20]

11- انظر ما سيكون مصير وحال الذين لم يؤمنوا يوم القيامة: ﴿**فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ**﴾**:** هؤلاء لهم الويل يوم القيامة، فما هو الويل وما سببه؟ في ذلك اليوم تنكشف لهم الحقيقة فيشاهدون ما خسروا وما ولّى وذهب عنهم من جنات وعطاءات وسعادة أعدها الله لهم، خسروها بسبب ما قاموا به من أعمال سوء حرمتهم الجنة، كذلك يتعجبون من جهلهم فالله سبحانه دعاهم إلى وليمةٍ كبيرة وإلى خيرات الكوثر وهم بجهلهم أَبَوا الذهاب إليها، وذهبوا إلى المنقطِع الدنيء! ذهبوا إلى الدنيا، والدنيا شهوات قليلة منقضية ومنقطِعة. ﴿**لِّلْمُكَذِّبِينَ**﴾**:** كذبوا بما جاءهم به رسول الله ﷺ عن ربه من بيان عال، دلهم على الإيمان فما آمنوا، قال لهم إن فكرتم بالكون وآياته تشاهدون ربكم، فما صدَّقوا كلامه وما فكروا، فما صار لهم نور من الله ليتذكروا عهدهم الذي عاهدوا الله عليه بالأزل ألا ينقطعوا عنه سبحانه وتعالى إن جاؤوا للدنيا. ولكن ما سبب تكذيبهم هذا؟

12- ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ**﴾**:** السبب أنهم خاضوا بالمعاصي والفواحش، خاضوا بالدنيا وشهواتها بدل أن يفكِّروا ويتعرَّفوا على ربهم، استهلكوا كل طاقاتهم وشهواتهم بها، وبهذا جعلوا أنفسهم تخوض بالهمِّ والغمِّ والشقاء، حيث غرقت بالخاوي الفارغ من السعادة {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**}[1]. ﴿**يَلْعَبُونَ**﴾**:** الدنيا مدرسة أرسلنا الله إليها لندرس وننال شهادة "لا إلّه إلا الله"، هؤلاء بدل أن يدرسوا التهوا فيها، انشغلوا بأموالهم وأولادهم ونسائهم فنسوا الله ونسوا ما أعدَّه لهم سبحانه من جنات {**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**}[2].

13- ﴿**يَوْمَ يُدَعُّونَ**﴾**:** الله سبحانه يدعو هؤلاء المكذبين إلى العلاج بالنار الجهنمية لما فيهم من أمراض وآلام لا تطاق بسبب خسارتهم وعارهم يدعون رحمة بهم وهو سبحانه يمقت لهم هذا المصير وغير راضٍ لهم عنه لكن لابدَّ لهم من الدخول فيها للعلاج والتطهير، حالهم كحال مريض يصرخ ألماً فجاءه الطبيب ودعاه للدخول إلى المستشفى للعلاج وليخفف عنه ما به من آلام، ولله المثل الأعلى. ﴿**إِلَى نَارِ**﴾**:** النار أنواع وهي هنا نار الخزي والعار أشعلت بنفوسهم وهي أشد من نار الله الموقدة.

الله سبحانه بهذه الآية يقول لهم انظروا إلى حالكم، هذا ما صرتم إليه. ﴿**جَهَنَّمَ**﴾**:** صرتم بجهنم بنار الخزي والعار أمام أنفسكم وأمام الخلائق، هذا الشيء يجبرهم للدخول إلى النار غداً. ﴿**دَعًّا**﴾**:** جاءت بهذا اللفظ لأنه سبحانه لا يريد لهم هذا المصير ويمقته لهم.

---

[1] سورة طه – الآية:124.
[2] سورة الحشر – الآية:19.

14- ﴿**هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾: أخبركم رسول الله ﷺ بها، قال لكم الآثام والإجرام والفواحش والحرام ستعود عليكم بنار جهنم، نار سوف توقد بنفوسكم في الدنيا قبل الآخرة ولا تطفئها إلا نار الله الموقدة في الآخرة، فما صدَّقتم وكذَّبتم كلام رسولي لأنكم كنتم ملتهين بلذائذ الشهوات المهلكة، هذه اللذائذ جعلتكم تكذِّبون بهذه النار وبكلامي المنزَّل على رسولي، رأيتم الدنيا وشهواتها حلوة جميلة، شاهدتم صورتها ولم تشاهدوا حقيقتها فأوقعتْكم بنارها {**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**}[3].

15- ﴿**أَفَسِحْرٌ هَذَا**﴾: لا يوجد نبي ولا رسول جاء قومه إلا قالوا عنه ساحر، لما يرون منه من عجائب وغرائب يظنونها سحراً وهي ليست بسحر، بل حقائق، يقال لهم: هل هذا سحر؟ هل ما أخبركم به رسول الله ﷺ غيبيّات وخيال كما ادَّعيتم أم أنه حقيقة؟ كنتم في الدنيا تقولون نحن لا نؤمن إلا بالمحسوس الملموس، الدنيا أمامنا محسوسة وملموسة، ونحن نؤمن بها، أمّا الله والجنة والنعيم والنار كلها تخيّلات لا نرى منها شيئاً. الآن انكشف الغطاء عنكم وذهبت الشهوات بلذائذها التي كانت تحجب الآخرة والجنات ومشاهدة حقائقها، فهل ما أنكرتموه حقيقة أم خيال؟ ﴿**أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ**﴾: إنكاركم وتكذيبكم لأنكم ما آمنتم بالله فما صار لكم نورٌ تبصرون به الحقائق، شاهدتْ أعينكم ولم تشاهد نفوسكم، والعين ترى الصور ولا ترى الحقائق لذلك كذّبتم.

16- ﴿**اصْلَوْهَا**﴾: ذوقوا ألمها، النار المغلفة بالشهوات الدنية طلبوا الدخول فيها للذَّتها الجهنمية بالدنيا، وهو سبحانه قال لهم: {**اصْلَوْهَا**} هي مشيئتكم، حيث الشهوات المحرمة وأعمالهم السيئة أشعلت بنفوسهم ناراً. ﴿**فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا**﴾: هي أعمالكم ظهرت لكم بعد الموت، رأوا الحقائق بزوال الصور، عند خروجه من الدنيا يشعر بألم نار جهنم التي بنفسه. ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ**﴾: لابدَّ لكم من العلاج والمداواة. ﴿**إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: أعمالكم السيئة عادت عليكم بهذا، وما ربكم بظلام للعبيد، ليس الله سبحانه وتعالى الذي كتب عليكم النار لكن ما ارتكبتموه من ارتكابات وإجرامات لبستكم وعادت عليكم بهذا العذاب والحريق والمصير.

17- ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ**﴾: المتقون هم الذين آمنوا وصار لهم شفاعة برسول الله عليه الصلاة والسلام، هؤلاء صار لهم نورٌ يرون ويتقون به الوقوع في المعاصي التي تجرُّ لهم الهلاك. ﴿**فِي جَنَّاتٍ**﴾: هذا ما يريده الله لكم، أن تدخلوا بالجنات والسعادة في الدنيا والآخرة وتشاهدوها. ﴿**وَنَعِيمٍ**﴾: بسبب ما قدموه من أعمالِ خير ومعروف في الدنيا كانوا بنعيم وبصحة وغنى وجاه وعزٍّ، وفي الآخرة عطاء دائم كامل خالٍ من الشوائب فلا نغص ولا شقاء معه.

18- ﴿**فَاكِهِينَ**﴾: أهل الجنة دائماً بتفكّه وتلذّذ، بسط، سرور، نعيم، لذائذ لا يحلم بها أهل الدنيا رغم كل ما أوتوا فيها من شهواتهم الدنيوية، فلو اجتمعت لذائذ الكون كلّها لا تعادل شيئاً بسيطاً مما يتذوَّق ويتنعم به هذا التقي، بل لا يوجد مجال للمقارنة ولا للتشبيه. ﴿**بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ**﴾: مسرورون بما يعطيهم ويتفضَّل عليهم ربهم من جنات. فلا يأكلون ويتنعمون إلا بالتفاتٍ وصلاة مع الله فهو سبحانه الذي يُطعمهم ويسقيهم. ﴿**وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ**﴾: بسبب إيمانهم وتقواهم صار لهم نورٌ من الله شاهدوا به الحقائق فما عملوا إلا صالحاً. ﴿**عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾: كانوا من أهل النار قبل أن يسيروا بالحق ولكن لـمّا سلكوا وصدقوا نالوا الجنان، فالذين كفروا في دنياهم يعيشون بنار وجحيم، نفوسهم ملتهبة من الانحطاط والدناءة والإجرام وفي الآخرة كذلك بالجحيم وسيدخلون في النار {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ**

[3] سورة التوبة – الآية:35.

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[4]. أما المؤمنون بإقبالهم على ربهم وقاهم ربهم وحفظهم بتقواهم من عذاب الجحيم دنيا وآخرة.

19- ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا**﴾**:** فكما أنّ للجسم طعاماً كذلك للنفس طعام، وطعام النفس ما يغدقه الله عليها من حياة وسعادة وجنات ومشاهدات، فالصلاة بمعيَّة رسول الله ﷺ فيها طعام وشراب ﴿**هَنِيئًا**﴾**:** ما نلتموه لا نغص فيه ولا شقاء، بل السعادة والهناء لكم به. ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾**:** بصلاتهم كسبوا كمالاً من ربهم فقدَّموا أعمالاً صالحة أهلتهم لدخول الجنات.

20- ﴿**مُتَّكِئِينَ**﴾**:** مستندون بإقبالهم على ما قدموه في دنياهم من أعمال طيبة عالية. ﴿**عَلَى سُرُرٍ**﴾**:** حين مشاهدتهم لأعمالهم يُسرُّون، لأنها سبب رقيِّهم وتنقلهم في الجنات من جنة لجنة أعلى. ﴿**مَصْفُوفَةٍ**﴾**:** واحدة بعد واحدة. ساروا بالقوانين والأنظمة لذا جاءهم العطاء الإلٓهي كاملاً غير منقوص، من جنة لجنة أعلى وصار النعيم والسرور يأتيهم ضمن قوانين وأنظمة. ﴿**وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾**:** الله هو الذي يزوّجهم، إن صبر الإنسان واتقى عندها يزوّجه الله من أجل إنقاذ زوجته وإخراجها من الظلمات إلى النور وليس من أجل شهوة عمياء. لقد كان هؤلاء المتقون سبباً في إيمانهن ودخولهن الجنة، وبالآخرة كذلك هم لهنَّ أزواج.

الرجل ينظر لزوجته فيرى فيها ما تحار به نفسه، وسبب هذه الرؤية الجمالية أن حاله العالي ينعكس عليها فيراها بهذا الحال، وهي كذلك تنظر لزوجها فترى فيه ما تحار به من جمال وأنوار، وكل هذا بسبب ما يتجلى به الله عليهم من أسمائه وجماله سبحانه وتعالى.

سورة الطور: [21-30]

21- ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾**:** بالله ورسوله إيماناً شهودياً. ﴿**وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ**﴾: فالإنسان مسؤول عن ذريته كأبنائه وأحفاده، الآباء آمنوا ونجحوا وبعدها سعوا في إيمان أبنائهم وأحفادهم فأفلحوا ونجحوا بهم. ﴿**أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾**:** كذلك الذرية آمنوا ونجحوا فأدخلهم الله الجنة وجعلهم في صحائف آبائهم. الآباء نواياهم عالية وعلى نواياهم أرسل الله لهم ذريةً صالحة تابعت أعمالهم وطموحاتهم الكبرى، وثبَّتوا الدين وساعدوا آباءهم ودعموا الحق، ومثال على ذلك: والد موسى بن النصير الذي كان طموحه فتح الأندلس، أرسل الله له من ذريّته "موسى بن النصير" الذي أكمل مسيرة أبيه وحقَّق طموحه. ﴿**وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾**:** لم ينقص الله سبحانه وتعالى من أعمالهم شيئاً، أعمالهم التي عملوها بالدنيا أخذوا عليها أجرهم بالكامل. ﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾**:** كل إنسان رهين كسبه وما قدمت يداه من عمل إن خيراً فله الجنة، وإن كان غير ذلك فله النار.

22- ﴿**وَأَمْدَدْنَاهُمْ**﴾**:** هم يطلبون المدد والعطاء والله يمدّهم ويعطيهم طلباتهم. ﴿**بِفَاكِهَةٍ**﴾**:** هذه فاكهة أهل الجنة، وهذه الفاكهة تحوي النعيم كله حيث التمتع فيها نفسي، ﴿**وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ**﴾**:** وفي الجنة اللذائذ تلتحم بنفوسهم، كذلك نفوس المؤمنين والأتقياء تلتحم بالمحبة مع بعضهم بعضاً، وتلتحم أولاً برسول الله ﷺ وذلك لتوافقها معه.

23- ﴿**يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا**﴾**:** النفس في الآخرة تكون كأساً للفضل الإلٓهي، يصب الله فيها من فضله وأنواره وجناته، وأعظم عطاء يُصبُّ في نفس رسول الله عليه الصلاة والسلام، لذلك ترى المؤمنين في الجنة ملازمين لرسول الله ﷺ لا ينفكُّون عنه آخذين مما أفاض الله عليه من جنات عظمى ما

---

[4] سورة طه – الآية:124.

كانوا ليصلوا إليها ويبلغوها لولاه ﷺ. والمؤمنون أيضاً يأخذون من بعضهم هذا العطاء الإلّهي بقوة ولهفة وشوق وبرضا مما أفاض الله عليهم من جنات ومشاهدات وعلوم بأسمائه الحسنى، وحيث أن كل واحد من أهل الجنة يأخذ من ربه عطاء فعندما يشاهده أحد من المؤمنين يشتهيه ويطلبه ويجذبه منه بقوة ولهفة لأنه يراه عظيماً طيباً لذيذاً، والله المعطي وهو تعالى دائماً متجلٍّ عليهم بعطائه ولا يُنقِصُ عليهم شيئاً، فالذي يعطي مما عنده من جنات يزيده الله عطاءً وغنى وجنات وسعادة. ﴿**يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا**﴾: كأس ذكر الله، وهل أفضل من ذكر الله حديثاً. ﴿**لَا لَغْوٌ فِيهَا**﴾: بهذه الكأس، لا يوجد فيها غير عطاءات الله وجناته فلا زعل ولا أحقاد بين أهل الجنة ولا شيء يزعجهم ويخرجهم عن السعادة والهناء. ﴿**وَلَا تَأْثِيمٌ**﴾: لا تغيير ولا تراجع ولا أشياء مؤذية أو مزعجة فيها، بل كل ما فيها كمال وهناء والكل بصفاء فيها وسعادة ورضا فلا يتعدى أحد على أحد.

﴿**يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ**﴾: هذه أمور قلبية، فهؤلاء المتقون يتذكرون رسول الله ﷺ ويذكرون صفاته وأعماله ومزاياه وخصاله الحميدة فيهيمون فيه هياماً وتزداد عليهم الأنوار حتى تغمرهم، فينسوا وجودهم لا بل ينسون الوجود كله، وهم هائمون بالله هياماً، فتكون النفس قد انغمرت وسرت بالأنوار الإلّهية وتنال بدل الجنة جنات، وعلى هذا عاهدنا الله، فلِمَ لا نرجع للوفاء بعد الجفاء؟

24- ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ**﴾: الذين ماتوا لهم وهم صغار، أولاد المؤمنين الذين من أصلابهم هؤلاء ماتوا قبل سن التكليف وهم أطفالٌ، هؤلاء الغلمان يجعلهم الله خدم آبائهم أهل الجنة وهذه الخدمة لهم عليها أجرٌ ونعيم وكسب من الله فهم لأهل الجنة غَلَّةٌ، أي ربح. ﴿**كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ**﴾: هؤلاء الغلمان ليس لهم أعمال سيئة لذلك نفوسهم مثل اللؤلؤ، دائماً تتلألأ بالأنوار الإلّهية المنصبة عليهم، وبهذه الأنوار صار لنفوسهم نقاء وصفاء رهيب منذ موتهم، والله تعالى لا يرينا حقيقتهم بالدنيا لئلا ننفتن بجمالهم، أما بعد حصول الارتباط القلبي برسول الله ﷺ فالمؤمن يرى حقيقتهم لأن الرابطة برسول الله ﷺ ومشاهدة جماله وما عنده من جنات تُذهب كل فتنة، إذ يرى المؤمن مشاهدات أعظم بكثير مما يراه على الغلمان من جمال. ﴿**مَكْنُونٌ**﴾: تكنُّ لهم النفس لجمالهم ونقائهم وصفائهم.

25- ﴿**وَأَقْبَلَ**﴾: أهل الجنة ﴿**بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾: أهل الجنة مجتمعون، أما أهل النار متفرقون متلاومون ﴿**يَتَسَاءَلُونَ**﴾: عن النعيم الذي يُصَبُّ عليهم ما سببه؟

26- ﴿**قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ**﴾: كنا في أهلنا ولكننا كنا مشفقين من عملهم، عرفوا السبب فيما يأتيهم من نعيم وجنات، هؤلاء آمنوا وصار لهم نور من الله ورسوله فشاهدوا الحال المرعب للذي يموت على الكفر وعدم الإيمان، من خوفهم على مصير أهلهم من الوقوع بهذا، ومن رحمتهم بهم وشفقتهم عليهم وقفوا ضد أهوائهم وشهواتهم المهلكة. سهروا الليالي وهم يفكرون ويخططون لإنقاذ أهلهم من أبنائهم وأزواجهم وآبائهم، فما الفائدة إذا رضي أبوك عنك بالدنيا وهو كافر ولم تعمل لإنقاذه من النار، يجب أن تنقذه مثلما ربَّاك.

27- ﴿**فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا**﴾: بشفاء أنفسنا لمَّا سعينا وعملنا لإنقاذ أهلنا من النار. ﴿**وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ**﴾: السمُّ حقيقته نار، وقانا نار السموم التي يعيش فيها كل بعيد عن الله واقع بالفواحش والآثام، حقيقة المعاصي سموم للنفس وتعود عليها بالشقاء، وهؤلاء عند الموت تزول شهواتهم الدنيوية فتنكشف نفوسهم الملتهبة وتعود عليهم بحريقها، هذه النيران القلبية هي السموم التي عنتها الآية الكريمة "فالسم: كالنَّار تشتعل في جسم الملدوغ"، كانت بالدنيا لا تظهر لهم لأن الشهوات القوية تسترهم وتغطي عنهم هذه السموم فهي في قلوبهم مخفية، وعند الموت تزول الشهوات وتبقى هذه السموم

في نفوسهم وتظهر وتضطرهم أن يلقوا بأنفسهم المسمومة بنار الله الموقدة لتنسيهم ألم عذاب السموم هذا، وهؤلاء المتقون رأوا أنهم لو لم يؤمنوا كانوا سيصيرون إلى السموم.

28- ﴿**إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ**﴾: آمنا به سبحانه في الدنيا، فكرنا بالآيات الكونية وعظمتها وجاهدنا بهوى أنفسنا عندها صار لنا حبّ لرسول الله ﷺ ورابطة معه فشاهدنا بمعيته نور الله وأسماءه الحسنى وصرنا نخاطبه سبحانه وتعالى وندعوه، صرنا نخاطب حاضراً لا غائباً عنا، فالذي يؤمن بالله يدعو الله ويصبح دعاؤه مستجاباً فلا يحتاج لمخلوق، ولا يطلب إلا من الله. ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ**﴾: برّ بوعده ووفى، وعدنا بالسعادة والخيرات والجنات وأعطانا إياها، وهذا منٌّ من الله وفضل لأنه سبحانه رحيم. ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ**﴾: هو تعالى أظهرنا، كنا في الدنيا مغمورين بالشهوات وأشغال الدنيا. هؤلاء وفّوا بعهدهم ووعدهم، كانت نفوسهم بالدنيا، الآن نفوسهم توسّعت بالله فأحاطت بالكائنات، أخذوا شيئاً لم تأخذه السماوات ولم تحمله الأرض لأنهم غدوا أعلى منها شأناً، وهم المكلَّفون. ﴿**الرَّحِيمُ**﴾: رحمنا بالإيمان وبالأعمال التي قدَّمناها، اسم "الرحيم" خاصٌّ بالمؤمنين.

يقول الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ: طالما أن الخيرات تجري والنفوس ترقى وتخرج من النيران والسموم للجنات والرقي، وذريتهم كذلك، فاستمرَّ أنت وذكِّر.

29- ﴿**فَذَكِّرْ**﴾: كل من يفكر بالكون ويؤمن بالله، ﴿**فَمَا أَنْتَ**﴾: يا محمد ﷺ. ﴿**بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ**﴾: ادَّعى الكفرة واتَّهموا رسول الله ﷺ أن كلامه من إيحاء الشياطين والسحرة، قالوا عنه كاهن، الكهنة هم الذين عاشروا بنفوسهم شياطين الجن وصاروا يتكلّمون بلسانهم، كلامهم غامض مبهم وعاطفي وزخرف القول، فهم يؤثِّرون بعواطف الناس لذلك ظنَّ الناس أنهم من أهل الصلاح، وهم بالحقيقة يعيشون في الظلام ويدلُّون الناس على الفحشاء والمنكر وكلامهم لا منطق فيه، أما رسول الله فكلامه حق، كله أنوار وجنات، وكله إنسانية ويدل على السعادة والفضيلة ويجعل الناس متحابين متباذلين. ﴿**وَلَا مَجْنُونٍ**﴾: أنت لست مستوراً ولا محجوباً عن الله والحق، أنت بالنور وتتكلم بالحق والحقيقة وتدل عليها، أنت أقبلت واستنرت فأنعم الله عليك بالقرآن وبيبانه وأنواره وصرت تتكلم به. فليس مستوراً عنك الخير، بل كل الخيرات والجنات عليك، والعطاءات كلها عن طريقك، أما هم يرون أنك تحرم نفسك من خيرات الدنيا، سيقولون ويتهمونك بأنك ساحرٌ مجنون فلا تُعِرْ ذلك اهتماماً واستمرَّ في دعوتك.

30- ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ**﴾: غيرهم وجدوا أن ما يأتي به النبي ﷺ نَظمٌ جميلٌ من الشعر، شاعر ليس له مثيل وأتى بكلام عالٍ لا مثيل له، عبقري ولم يستطِع غيره أن يأتي بمثل ما أتى به لذلك سمَّوه العبقري الأول. والحقيقة أنّهم كذَبوا بهذا الادعاء لأن للشعر ستة عشر بحراً أوزانها معروفة، وكلامه ﷺ ليس من هذه الأبحر ولا من أوزانها فكيف قالوا عنه شاعر! ﴿**نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾: تمنَّوا موته، قالوا تكلم في سنِّ الأربعين والآن هو رجل كبير بالسن ونحن لا نستطيع التأثير عليه ولا شراءه بالمال والنساء، لذلك كادوا لقتله وحين لم يستطيعوا قالوا: سنوات قليلة ويموت ونخلص منه ثم ومن بعد موته نستطيع التأثير على أصحابه وشراءهم بالمال والنساء.

سورة الطور: [31-40]

31- ﴿**قُلْ تَرَبَّصُوا**﴾: انتظروا نتائج نواياكم هذه. نواياهم شريرة وستعود عليهم، تربَّصوا لرسول الله بالشر والأذى، والحقيقة إن لم يتوبوا ستعود عليهم تدابيرهم ونواياهم بالهلاك، والنصر له ﷺ. ﴿**فَإِنِّي مَعَكُمْ**﴾: أنا أبغي لكم الخير والسعادة ومعكم لأجل هذا، لأجل أن تنالوا الجنة، معكم لا أتركم حتى تبلغوها، لذلك عندما انتصر عليهم ﷺ تابوا وآمنوا وصاروا من أهل الجنة. ﴿**مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ**﴾: أنتم

تنتظرون موتي، وأنا كذلك أنتظر الموت وأتوقعه في كل حين ولا أخاف منه، أنا هائم بربي أتمنى في كل لحظة لقاءه، ولكن أنتم أيضاً سوف تموتون فماذا سيكون حالكم عندها؟

32- **﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾:** أحلامهم الذهبية بالدنيا، أحلامهم بالقضاء على الدين وأهله وأن يسود الباطل بعد انتقاله ﷺ. **"الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا"**، فهم نيام ويحلمون بشهواتهم الرخيصة من جنس وتعدٍّ وغيره، والله يحقّق لهم ما اختاروه، ولكن بعد هذا المنام وعند اليقظة بالموت، فما الذي سيحلّ بهم؟ إنهم سيستيقظون والسموم تسري فيهم. **﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾:** تكبَّروا على ربهم وخلقه وعباده بهذه الأساليب الملتوية، طغوا وخرجوا عن الحدود الإنسانية، فلا إنسانية لديهم، أعمالهم كلها قتل وسلب وإجرام وخداع، اختراعاتهم وحضارتهم وأسلحتهم وحروبهم تدلُّ على ما في قلوبهم من قسوة وإجرام، **﴿طاغون﴾**: بانقطاعهم عن الله صاروا حثالة لا وزن ولا قيمة لهم كالزبد المحمول على الماء، محمولين على المخلوقات غير المكلفة، يطلبون منها ولا يطلبون من الله، اعتمادهم عليها لا على ربها، ضيَّعوا التشريف والتكليف وصاروا مع الخدم المسخَّر لهم بدل أن يكونوا مع الله ويكونوا أسياداً عليهم ويكون الكل ممن يتبارك ويستأنس بهم. هؤلاء ما شاهدوا إلا الصور، ما شاهدت نفوسهم الحقائق وغداً بعد الموت وفي الآخرة لا يوجد إلا حقائق.

33- **﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾:** دون تفكير ببيانه العالي ودون حجة ولا منطق أنكروا أن يكون هذا البيان من عند الله، قالوا هذا القرآن من عنده وليس من عند الله، وتكلَّمه وتقوَّله لجماعة بسطاء لا حضارة ولا ثقافة عندهم، أما نحن أصحاب حضارة وثقافة ولا ينطلي علينا ما يقول. غيرهم قالوا نحن أصحاب لغة وأدب وبلاغة وهو رجل أمِّي فكيف نتبعه ونسير معه! وحتى كلمة "أمِّي" لا يعرفون معناها. وهناك من قال: إن ما تكلم به مقتبس من التوراة والإنجيل، أخذه من كلام غيره من السابقين وادَّعى أنه أتى به عن الله. **﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**: هم في الواقع غير مؤمنين وإلا لآمنوا عند سماعهم بهذا البيان، لو آمنوا أو كانوا من طالبي الإيمان ما قالوا هذا القول، غير المؤمن لا يعرف أن بيان رسول الله هو من عند الله.

34- **﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾:** وهذا تحدٍّ للبشرية قاطبةً، فهو ﷺ فَرْدٌ جاء بهذه الدلالة وهذه العلوم والمعاني وأنتم أمم، اجتمعوا وأْتوا بحديث مثله أو بكلمة واحدة أو معنى ومفهوم واحد مما جاء به عليه الصلاة والسلام، هل عرفوا لمَ الحج ولِمَ الصوم والصلاة وما الحكمة من كل هذا؟ كلامهم كله لغوٌ لا حقيقة فيه، لذلك زَهِدَ الناس بالقرآن وتركوه وذهبوا إلى أصحاب الحضارة في هذه الأيام. **﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾:** بادعائهم أنه تقوَّله وليس من عند الله.

35- **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾:** هل خُلقوا من غير شيء؟ ما فكروا ببدايتهم وأنهم خُلقوا من نطفة لذلك استعلوا على ربهم وعلى من أرسله تعالى لهدايتهم، هل صار هذا الخلق صدفة؟ ودون خالق وصانع؟ **﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾:** لأجسامهم كما ادَّعوا أنَّ الأب هو خالق ابنه، لكن هل الأب يعرف ابنه وهو ببطن أمه إن كان ذكراً أم أنثى؟ إن ذهبت عين ابنه هل يستطيع أن يخلق له عيناً ويعيدها له! أليس من اللازم والمفروض أن يشاهد الإنسان هذه اليد التي خلقت وتخلق؟ "الإيمان إقرار باللسان والقلب" فهو شهود.

36- **﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾:** هل هم الذين خلقوا السماوات والأرض! هم جاؤوا للدنيا ووجدوها مخلوقة قبلهم، الله سبحانه وتعالى جاء بهم للدنيا وأراهم الكون وتسييره ليفكروا ويؤمنوا، الإيمان أولاً عن طريق التفكير بالسماء، لو فكروا لآمنوا مثلما آمن سيدنا إبراهيم ﷺ ولشاهدوا أنوار الإله وعظمته وجلاله ولعرفوا رسولهم وما أنكروه ولا أنكروا بيانه ودلالته. **﴿بَل لَا يُوقِنُونَ﴾:** فكر بالموت أولاً بعدها بالسماء، إن فكرت بهذا وآمنت يصبح لك نور من الله وترى به حقيقة لا إله إلا

الله فتوقن نفسك، بعدها إن فكرت بالأرض تزداد إيماناً مع إيمانك، هؤلاء ما سلكوا هذا الطريق، نفوسهم ما شاهدت الحقيقة، لو سلكوا لآمنوا وشاهدوا طريق الجنة وسعوا إليها، اليقين عن طريق التفكير بالسماء أولاً، ثم بعدها التفكير بالأرض وآياتها، الكل عنده الإمكانية للإيمان والتقوى، وهذا الذي يجعل الإنسان الكافر غداً يرمي بنفسه في النار حيث كان عنده الإمكانية والأهلية وضيَّعها بعدم تفكيره.

37- **﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾:** يا محمد، هل يستطيعون أن ينزلوا الأمطار إن انقطعت؟ هل يستطيعون إخراج النبات والأشجار والأثمار من الأرض؟ البذرة بحاجة إلى ماء وهواء وليل ونهار وفصول أربعة حتى تنبت، هل بيدهم فعل هذا؟

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾: طبع الله بقلب رسوله ﷺ أسماءه الحسنى من رحمة وحنان وعطف وأنوار وجنات وسعادة وخزّنها في ذاته الشريفة، فهل هؤلاء الذين يدلُّون الخلق على الله بغير هدى ولا نور أقبلوا على الله؟ هل وضع الله بقلوبهم أسماءه الحسنى وجعلهم خزائن لفضله وإحسانه وجناته كما جعل رسول الله ﷺ؟

﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾: على الكون، هل هم الذين يمدُّون الكون بالتربية والتسيير ويرزقون الناس حتى صاروا يصطون ويتعدُّون على غيرهم من الشعوب المسكينة، ويسرقون خيراتها ويتركون الفقراء للجوع يَفتِكُ بهم، وهم مع شعوبهم بالترف يعيشون، أعمالهم كلها استعلاء، وكل فردٍ منهم يدّعي لنفسه الفعل "الألوهية".

38- **﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾:** هل يستندون على شيء من الحقائق؟ أخذوا علومهم عن الإغريق واليونان واللاتين "نظريات أرخميدس وفيثاغورث و...." وغيرهم أخذوا علوم دينهم من المخلوق وليس من الخالق، يقولون عن فلان وعن فلان وعن فلان، كلامهم كسلَّم يصعدون عليه ليصلوا إلى مبتغاهم وبهذا هجروا كتاب الله، واليهود قبلنا ضاعوا وأضاعوا دينهم بمثل هذا، حيث هجروا التوراة كلام الله ولحقوا أحبارهم وما كتبوه لهم من تفاسير ما أنزل الله بها من سلطان. **﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾:** ليأتوا بدليل على كلامهم من كتاب الله، كذلك الذين يستشهدون بأقوالهم ماتوا وذهبوا.

39- **﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾:** عابوا عليه ﷺ أن ذريته إناث، حيث لم يستطيعوا أن يجدوا مأخذاً عليه ﷺ وعلى بيانه العالي، ما فهموا الحكمة من إرسال الله تعالى البنات له، لو فهموا الحكمة ما عابوا عليه ذلك.

النبي ﷺ من الأزل هو السابق الأسبق والله سبحانه أرسل له أولاداً ذكوراً ثم قبضهم قبل سن التكليف، وكل هذا حباً برسوله ليظل السابق الأسبق ولئلا تتدنى مرتبته.

كذلك كلامهم متناقض، فقد تركوا ربهم ودينهم من أجل شهوة النساء وحباً بالإناث، وبالنقيض لذلك، فعندما تأتيهم البنت يرفضونها! لكن لو لم يرسل الله لهم البنات فمن أين يأتي الصبي؟ كذلك المرأة إن أنجبت ذكراً تتكبر وتقول لزوجها أنا أتيت لك بذكر، أما إن أنجبت بنتاً تسكت وتقول الله بعثها. وغيرهم قال لله البنات ولنا الذكور.

40- **﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾:** الجامعات الدراسية تأخذ من طلابها أموالاً وأقساطاً طائلة لقاء تدريسهم. أنت هل تسألهم أجراً لقاء دلالتك لهم؟ هل أعطوك شيئاً؟ ذلك لم يحدث أبداً بل كان ﷺ ينفق عليهم ويعطيهم. فلقد أنفق أموال سيدتنا خديجة رضي الله عنها وكانت من أثرياء مكة على المستحقين، ثم بعدها كان ينفق عليهم أموال الفيء. كل الرسل لا تسأل أجراً. **﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾:** هل كلَّفتهم

وفرضت عليهم ما لا طاقة لهم به؟ هل غرَّمتهم بشيء حتى عادوك؟ أنت عندما دعوتهم للحق تريد هدايتهم ولا غاية لك بشيء إلا سعادتهم.

سورة الطور: [41-49]

41- ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾: هل عندهم علم الغيب؟ هل يعرفون ماذا سيحدث لهم في المستقبل أو بعد ساعة؟ إذن، لماذا تمسَّكوا بقوانين وضعية هم سنّوها وتركوا تشريع الإلّه العظيم خالقهم ومربيهم؟ هل هم مالكون لأجسامهم حتى يحكموا غيرهم بقوانينهم ويسيِّروهم عليها! هل هم مالكون الكون وهل هم من وضع له نظاماً يسير عليه؟! هؤلاء انقطعوا عن ربهم ولم يؤمنوا، أما رسول الله ﷺ ما انقطع عن الله سبحانه وتعالى، وكلامه ﷺ عن الله، لذلك يجب أن يسيروا وفق إرشاده وكلامه. ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: بهذه القوانين التي كتبوها وساروا عليها كتبوا الهلاك والشقاء والدمار على أنفسهم وعلى غيرهم، قوانينهم من صنع المخلوق، وهذه نتيجتها الدمار والهلاك، لقد تصرفوا بمصائر الناس، وهم لم يخلقوا الناس حتى يُسيِّروهم على قوانينهم دون قانون الإلّه فيهلكوهم، غداً في الآخرة عند كشف الحجاب سيشاهدون أعمالهم هذه وما ستعود عليهم ويعلمون أن لهذا الكون خالقاً ومالكاً، وهم ما ساروا على قوانينه تعالى، فما حالهم ساعتها؟

42- ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: نواياهم سيئة، كادوا وعملوا تدابير لردِّ الحق، حاربوا الله ورسوله وخططوا لذلك. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾: نواياهم وأعمالهم سوف ترجع عليهم بالدمار والهلاك، البناء الذي بنوه سوف يخرُّ عليهم ويدمرهم والنصر لله ورسوله. فرعون كم كاد لسيدنا موسى عليه السلام! فماذا كانت نتيجته وقومه؟

43- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: تولَّهوا بالأصنام وتركوا الخالق الذي منه كل شيء، ألَّهوا شهواتهم ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[5]. كل فئة وكل جماعة جعلوا لأنفسهم آلهةً غير الله، بالماضي صنعوا أصناماً وجعلوها آلهةً لهم وعبدوها، ثم جاء فرعون فأطاعوه وعبدوه وساروا بقوانينه، واليوم ساروا بقوانين المخلوق وتركوا قانون الخالق، لكن هل المخلوق هو الذي يسيِّر الشمس والقمر والسحاب؟ وهل هو من ينزِّل الأمطار وينبت الزرع ويحرك القلوب والأجسام حتى يسيروا على قانونه ويتركوا قانون الإلّه؟ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: ما أعظم تسبيح الله! ما نظروا لتسبيح الإلّه العظيم لمخلوقاته، ما فكروا بهذا، انظروا كيف يسبِّح الله الشمس والقمر والنجوم والكائنات كلها ويمدها ويربيها بالطعام والشراب، ويده سبحانه مشرفة بالرحمة والحنان والعطف على الخلق جميعاً.

هل الذين اتخذتموهم آلهةً بيدهم فعل هذا؟ هل أجسامهم بيدهم؟ إن كانوا آلهةً كما تظنون ليردّوا عن أنفسهم الشيخوخة والموت!

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: بسيرهم بكلام وقانون المخلوق أشركوا، كذلك الذين يُفْتون بغير كلام الله والذين ساروا بفتواهم أشركوا بالله ما لم ينزِّل به عليهم من سلطان.

44- ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾: دلالة على تحجُّر قلب الكافر واستهتاره، قالوا كل ما يحدث في الطبيعة نتيجة قوانين وعوامل طبيعية تحدث بالصدفة، ضغوط جوية مختلفة تحدث فتُحدِث سحباً وأمطاراً وحرارةً وبرودة...، وبهذا العلم أنكروا الله فأصبحوا

---

[5] سورة الفرقان – الآية:43.

كالأطفال لا تفكير لديهم، جُنُّوا وأُعجب غيرهم بجنونهم وساروا عليه! لكن هل تنتظم أمور الشعب والرعية دون سلطة تنفيذية تسيِّرهم على ما شرَّعوه لهم ؟! فكيف تنتظم أمور الكون وسيره دون خالق مسيِّر كما يدَّعون؟

45- ﴿**فَذَرْهُمْ**﴾: رسول الله ﷺ مشاهد حالهم ومصيرهم، وما سيعود عليهم عملهم وإنكارهم هذا بعد الموت ويوم القيامة من أهوال وعذاب ورعب ونار، لذلك من رحمته ﷺ وحنانه عليهم كان يتمنى هدايتهم ويعمل لها، فقال له ربه ذرهم، أي: اتركهم، هؤلاء صمَّموا وقرروا على الكفر، ولا يريدون التوبة والتغيير والهداية، مهما عاملتهم وبينت لهم وسعيت لهدايتهم فلا فائدة منهم. ﴿**حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**﴾: هؤلاء الغافلون الساهون اللاهون بشهواتهم الرخيصة، حينما يأتيهم الموت تلك الساعة التي يفقدون فيها كل شيء بلحظة واحدة، يفقدون الكون كله جملةً وتفصيلاً. حتى جسدهم الخادم لرغائبهم يصبح جثةً هامدةً وتبقى أعمالهم شاخصة إليها أبصارهم قد أثقلت كاهلهم لما فيها من جرائم وانحطاط، وتستيقظ لديهم فطرة الكمال التي فطر الله الناس عليها، عندها يرون خسارتهم ماثلةً أمام أعينهم وينتبهون ويا لهول ما ينتبهون إليه، انتبهوا بعد فوات الأوان وضياع الفرصة عليهم، وفي الحديث الشريف: "الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا"، فهم المرشّحون لبلوغ أسمى درجات العلى فوق السماوات سمواً، ولنيل أعلى الجنات التي جاؤوا إلى الدنيا من أجلها، والآن في هذا اليوم العصيب يرون عظيم خسارتهم لتلك الجنّات ولمشاهدة وجه الله الكريم التي ما خُلق الإنسان إلا لأجلها، ومن جانب آخر يرون إكرام الكريم لهم وعنايته الفائقة بهم ورحمته ورأفته وحنانه عليهم وكيف أنهم قابلوا كلَّ هذا الإكرام بالجفاء وواجهوا هذا الإحسان بالجحد واستقبلوا هذا الحنان والرحمة بالسخط والتمرد، وكانوا عن إنعام المنعم وإحسان المحسن نائمين، وقابلوا الإحسان بالإساءة فما صدر منهم إلا كل اعتداءٍ وظلم وإثم، ساعتئذٍ يلبسهم ثوب من الذلّ والهوان لهول ما فرَّطوا ولعظيم ما أضاعوا من مشاهدة وجه الله الكريم ونيل جنّاته وخيره العميم، ولدنيء ما صاروا إليه من ذلّ وحقارة، شأنهم أدنى وأحطّ من جميع المخلوقات، قال تعالى: {**أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**}[6]، {**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**}[7].

فهذه الحقيقة التي كان الكافر غافلاً عنها يراها ماثلة أمامه تأخذ مجامع قلبه فينصعق بها ذهولاً ولا يرتد إليه طرفه من هول ما يرى، فالألم يعصف به ونيران الخزي والعار الذي يلبسه تحرقه حرقاً، فالصعق هو حقيقةً نار العار والخزي الذي يلبسه. إذ الصعق هو النار "كما في الصعق الكهربائي"، وكذلك هؤلاء الكافرون يكتوون بنار خزيهم وعارهم حين معاينتهم لخسارتهم المقامات والجنات التي رُشّحوا إليها، إذ أصعب شيء عند الإنسان أن يُصبح في الدنو بعد العلو والسمو، والذلّ بعد العزِّ والجاه، عندها لا يريد رؤية أحد {**وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً**}[8].

46- ﴿**يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾: أعمالهم التي قاموا بها في دنياهم لا تنفعهم في الآخرة ولا تكسبهم شيئاً مما أعدَّ الله لهم من جنات وعطاء. ﴿**وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾: المريض من ينصره فيمنع عنه العلاج والدواء؟ بل على العكس من ذلك، فأحبُّ الناس له أبوه وأمه يقولان خذوه للمستشفى والعلاج؛ وهؤلاء كذلك لابدَّ لهم من النار والعذاب للعلاج والتطهير.

---

[6] سورة البينة – الآية:6.

[7] سورة الأنفال – الآية:55.

[8] سورة الفرقان – الآية:22.

47- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: الذين اتَّبعوا الكفرة بكل شيء، وساروا بسيْرهم، وأُعجبوا بهم وبحضارتهم واختراعاتهم، هؤلاء كان لديهم الإمكانية للإيمان والتقوى والقدرة على نشر الحق، وإنقاذ هؤلاء الكفرة، لكنهم بدل أن يؤمنوا ويسيروا بالحق ساروا معهم لأنهم ما آمنوا وفتنوا بهم وبحضارتهم. ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: عذابهم أقل من عذاب المُتَّبَعين. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لأنهم ما علموا وما شاهدوا لا إلَه إلا الله اتبعوهم، لو آمنوا وعلموا ما اتّبعوهم.

48- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: حنانه ﷺ ورحمته على البشر كبيرة وعظيمة "ولكن الله سبحانه وتعالى أرحم وأحن" لذلك خاطبه تعالى قائلاً: اصبر وانتظر النتائج، النصر لابدَّ حاصل لك والفرج قريب[9]. ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: عين الرحمة والرأفة والحنان والعظمة والبهاء والجلال، إنك برعايتي وبأسمائي الحسنى، تجلي الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: سبِّح هؤلاء المؤمنين الذين معك والذين آمنوا بك، سبِّحهم بما يتجلَّى به عليك ربك من جنات وأنوار. ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: في نهارك، الظهر والعصر[10].

49- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: صلاة المغرب "من غياب الشمس حتى غياب الشفق الأحمر"، وصلاة العشاء "من غياب الشفق الأحمر لطلوع الشفق الأبيض". ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾: عندما تذهب النجوم شيئاً فشيئاً، صلاة الفجر أو الصبح. هذه هي الصلوات الخمس من أجل أن تتحوَّل النفس عن الدنيا إلى الله، يجب على الإنسان أن يلتزم بالقوانين ويتابعها.

الصلاة الصحيحة لا تكون إلا مع رسول الله ودونه ﷺ لا صلاة للمصلي، وبمعيَّته ﷺ تحصل للمؤمن الصلاة الدائمية وعدم الانقطاع عن الله، وهذه الصلوات الخمس إنما هي محطات تقوية حتى لا ينقطع المؤمنون عن الله وعن صلاتهم به سبحانه وتعالى.

والحمد لله رب العالمين.

[9] وهي بشارته عليه الصلاة والسلام لهذا الزمان حيث لابدَّ من أن يعمَّ الإسلام العالم، وسيأتي رسول الله عيسى عليه السلام والكل سيأتون لعنده مسلمين مؤمنين ومُقرِّين به، الآن حكم الله بإرسال سيدنا عيسى عليه السلام مُؤيَّداً من الله بالنصر، فمن يقف أمام خليفة الله ويحول دون إرادته سبحانه بالنصر؟

[10] دين الإسلام كله أنظمة، وكله كمال وذوق وفهم، هناك قوانين وأنظمة، فوقت القيلولة هذا وقت الراحة من النهار. {حِينَ تَقُومُ}: من مجلسك الإرشادي إلى القيلولة وذلك وقت الظهيرة "صلاة الظهر". وكذلك حين تقوم من القيلولة لمجلسك للاجتماع بالناس وإرشادهم، وذلك وقت العصر "صلاة العصر".

تأويل سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النجم: [01-10]

كل الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بشَّروا بمن يليهم من الرسل: سيدنا موسى بشَّر بسيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، وسيدنا عيسى بشَّر بسيد الخلق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وكذلك هذه الآية بشارة من الله تتلى إلى يوم القيامة في كتاب الله العظيم، فكم لصاحبها من شأن عظيم عند الله وقد بشَّر به البشرية جمعاء، فقال تعالى:

1- **﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾:** وكما في هذا الكون المادي نجوم كذلك في عالم الحقائق القدسي نجوم وهم السادة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين، ونجمهم الأعظم إنما هو رسول الله ﷺ. إذن:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾: رسول الله ﷺ حين أقبل على الله، وقد سمَّاه تعالى: **﴿النَّجْمِ﴾** وذلك لما ظهر منه وما نتج عن إقباله ﷺ وما نال من تجلّيات وأنوار وجنان وخيرات لبني الإنسان، يمكنهم أن ينالوها عن طريقه ﷺ إن هم آمنوا بالله واتقوا. في عالم الأزل كان ﷺ السابق الأسبق ذلك أنه صدق مع الله أعظم صدق فأقبل عليه إقبالاً عظيماً سبق به كل السادة الرسل والأنبياء عليهم السلام، وكذلك بالميثاق ما غيَّر ﷺ وظلَّ على صدقه وإقباله العظيم، وهوى على الله وجناته وأنواره ونال من ربه نوالاً عظيماً لم يستطع أحدٌ من السادة الرسل والأنبياء أن ينال مثله، فكان ﷺ النجم الأعظم لهم وللخلائق أجمعين، فهو أعلاهم وأكثرهم من الله كسباً وأشدهم سطوعاً وأنواراً. كذلك حين أسرى به الله تعالى إلى المسجد الأقصى لتحويل الوجهة أي القبلة إلى البيت الحرام في مكة، اجتمع بالرسل والأنبياء عليهم السلام في المسجد الأقصى وصلّى بهم "بنفوسهم الطاهرة" إماماً، هنالك شاهد ﷺ نفسه الشريفة وعلم أنه أعلى الخلائق قاطبة وإمامهم جميعاً فصار له ثقة وإقبال كبير على الله وبهذا الإقبال اكتسب كمالات جديدة عظيمة من ربه أنالها لإخوانه الأنبياء والرسل فسموا ورقوا به رقياً كبيراً، وبهذا صار له حب عظيم لله على ما تفضَّل به عليه من فضل، وبهذا الحب العظيم هوى على ربه، فشاهد مشاهدات كبرى لكمالات ربه وأسمائه الحسنى وصل بها سدرة المنتهى، أي: تلك المنزلة والمكانة التي لم يصل إليها أحد من العالمين سواه.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾: ما أعظمها! وهل من حدث أعظم من هذا الحدث؟ وما أعظم ما أتى به ﷺ من خيرٍ وشفاءات وأنوار وجنات للبشر. **﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾**: إذا جاء بجسمه الشريف وعرفوا مكانته العظيمة والتفتوا له بعين التقدير، فهل يترك فيهم سوءً يُنكِّد عليهم حياتهم أو ألماً أو همّاً أو ضعفاً أم أنه يُذهِب عنهم مسبّبات البلاء ويُكسبهم كلَّ النعيم والخير العميم، ويصبغهم بصبغة من الله فيغدون حقاً رحماء إنسانيين، وينالون ما أعدَّ الله لهم من خيرات لا حصر لها، كيف لا وهو ﷺ يُذهِب عن المؤمنين إصرارهم على حب الدنيا والأغلال التي كانت عليهم، ويزكّيهم ويطهّر قلوبهم من عللها وشوائبها وأدرانها، ويمحو كل موجبات الشقاء والآلام والبؤس، ويخلّصهم مما سيؤول بهم إلى سوء المصير، فيصبحون أهلاً للعطاء الإلّهي.

هذا النجم الشاهق الذي يبشّر الله البشرية ويَعِدهم به ليخلّصهم وينقذهم حين اشتداد الآلام والأحزان والطغيان، فالله مؤيده وناصره نصراً عزيزاً، حيث ترفرف راية الحق خفاقة إلى يوم القيامة حتى ولو بعد حين.

ثم إن كلمة: {إِذَا} الواردة في هذه الآية الكريمة شرطية فهي تبيّن أن الأمور متوقفة عليك أيها الإنسان وعلى اختيارك. فإن شئت أيها الإنسان هوى رسول الله ﷺ عليك بالأنوار والتجلّيات وأسماء الله الحسنى وأشهدك كمالات ربه، وكل إنسان مؤهلٌ لأن يهوي عليه ذلك النجم العظيم رسول الله، فكل من آمن بالله وفكَّر ببيانه ﷺ وشمائله وعلومه فعظَّمه وأحبَّه هنالك يهوي عليه ﷺ. فإذا هوى عليك أيها المفكِّر، يا من أهملت هواك وأيقظت وأثرت تفكيرك. هوى عليك بثقل حب الله لك وأنواره الإلّهية ومشاهداته العليَّة العُلويَّة السَّنيَّة وجناته تعالى وبهائه، جلَّ تعالى ما يشهدك إياه ففي بحور القدس حللت فهِمت بأسمائه تعالى العلا فغدوت عالماً بصيراً إنساناً سامياً كريماً، ونلت ما لا تناله العوالم بدنياهم واختراعاتهم وإبداعاتهم السخيفة الدنيّة وعلوت فوق العالمين، وهذا الحدث وهذا النوال ليس خاصاً بزمان دون زمان أو مكان دون آخر فهو يحدث بكل زمان ومكان فوظيفته ﷺ دائمة وحقيقته باقية.

2- ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ**﴾: ما تاه ﷺ عن الحق: هذه الآية شهادة من الله سبحانه وتعالى لرسوله بالكمال وعدم الضلال ومن أصدق من الله قولاً، ما ضلَّ ﷺ أبداً لا في الأزل ولا في الدنيا وإلى الأبد.

﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وما غَوَى**﴾: ما ضلَّ ﷺ عنك ولا عن سواك من ذوي القابلية لأخذ ما آتاك العظيم جلَّ وعلا، فهو دائماً قائم بالوظيفة يعطف على الخلائق كلها لحبِّ الله تعالى إياها فهو رحمة للعالمين، فالمفكِّر يكشفه ﷺ ويعلمه، فهو بعدها دوماً بالعروة الوثقى ولا انفصام لها.

﴿**وَمَا غَوَى**﴾: وما وقع في الإثم، ذلك أنه ما غيّر عن حبه لله ولا لحظة، وإن نفسه الشريفة تغمر الخلق لإنقاذهم ويؤثر فيهم ولا يزال يغمرهم بحبه وحنانه ولكنه لا يتأثر بهم وبإعراضهم وأمراضهم فهو يؤثِّر ولا يتأثر، فما غيَّر وما ضلَّ وما غوى طيلة هذا العمر المديد "من الأزل إلى الأبد"، وذلك بسبب حبِّه العظيم لله تعالى ذلك الحب الأقوى من حب الخلائق لشهواتها.

﴿**وَمَا غَوَى**﴾: لم ينقطع ﷺ عن الله طرفة عين، ما ضلَّ عن الله وما شاهد إلا الله وليس بقلبه ﷺ إلا محبَّته سبحانه، جاء للدنيا وانتقل منها وما تعلَّم إلا من الله. ولو كان لرسول الله ﷺ خطيئة واحدة لكذَّبت قريش بهذا القرآن ولقالوا أنت وقعت بكذا وكذا وهذا القرآن غير صحيح. ولكن هذا لم يحدث مطلقاً، وقد سمَّوه من قبل البعثة بالصادق الأمين وشهدوا باستقامته.

الله تعالى بهذه الآية الكريمة يشهد لنا بكماله ﷺ وعظمته، فما الحكمة من هذه الشهادة وهذا التعظيم؟

ذلك حتى نحبَّه ونرتبطَ به ونصلَ لنوره ﷺ الذي يوصلنا لنور الله، وبهذا تخرج نفوسنا من الظلمات إلى النور ومن الشقاء إلى السعادة والجنة، لأنه سبحانه يحبنا أن نكون من السعداء. إذ بحبه وتقديره نُحفظ فلا نضل ولا نغوي. رسول الله ﷺ ناصحٌ أمين كريم خالٍ من الشوائب والنواقص، والله يشهد فيه خلاف ما شهد به عُمي القلوب الذين وصفوه بصفاتٍ لا تليق به عليه الصلاة والسلام، والحقيقة أن كل ما وصفوه به بما لا يليق بكماله العالي إنما هو انحرافهم ظنوه فيه وحاشاه ﷺ. وهو في الحقيقة فيهم.

3- ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾: وبهذه الطهارة والمعرفة لم يعد يتكلم إلا بالحق، فكم هواه ﷺ بالله عالٍ! وكم كسبه من الله عظيم! فمع كل هذا الكسب وكل هذه العظمة فهو لا يعتمد على نفسه ولا يطلب إلا من ربه ولا يعتمد إلا عليه. وكذلك لا يترك تفكيره لحظة، استغل طاقاته الفكرية بأقصى الحدود البشرية، لذا فهو مستسلمٌ بكلّيته إلى ربه، دسر نفسه وغاص في بحور المحبة الإلّهية والله أفاض على نفسه الشريفة بكل الكنوز الأخروية والخيرات والجنات، هذا النجم العظيم ﷺ أبداً لا يخطر على قلبه إلا الله وكل أفكاره بالله، ولسانه بالله ينطق، فما نطق من قول وما أتى به من بيان فهو

من حضرة الله وكلامه سبحانه وتعالى، فكلامه ﷺ عن شهود من الله، وفيه الأعطيات والجنات والأنوار لمن يلتفت إليه.

غيرُه ﷺ من الناس يتكلم لكن كلامه مجرَّد هواء خالٍ من الحقيقة والأنوار، أما هو ﷺ ففي كل حياته ما نطق عن الهوى، فكان كلُّ كلامه حقائق عظيمة من الله وعن الله.

4- **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾:** لم يتكلَّم إلا بوحي من الله وبكلام الله، يسمع من الله ويتكلم، يتعلم منه سبحانه ويعلِّم، لم يَسرْ بهواه العلوي بل بأمر الله، فهو دائماً مستسلمٌ لله سائرٌ بأمره سبحانه.

﴿وَحْيٌ﴾: كلامه ﷺ وأعماله وحركاته كلُّها وحي، كلُّه ﷺ مُقدَّس، فالحقيقة أنه سلَّم نفسه وميوله بالكليّة إلى الله، فكلامه هو كلام الله.

﴿يُوحَى﴾: إليه القرآن من أجلكم، لذا لا يستطيع أحد أن يأتيَ بكلمة مما أتى به ﷺ. والحقيقة أن تعظيم الله لرسوله الكريم لنلتفت إليه، فكل من التفتت نفسه لنفسه الشريفة ﷺ بالمحبة والتقدير دخل به على الله ونال السعادة والكمال.

5- **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾:** علَّمه الله الذي لا حول ولا قوة إلا به، فهذا العلم الذي أحاط بالخلائق كلها معرضها ومقبلها، إنسها وجنها، مؤمنها وكافرها، هذا العلم جاء به رسول الله ﷺ من ربه الذي بيده السماوات والأرض لذلك لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، طبع الله فيه ما كان وما هو كائن وما سيكون، ومع هذا فهو ﷺ لا ينطق إلا بوحي من الله وحين يأمره تعالى، فيعطي كلَّ مؤمن حقّه واستحقاقه وما يناسبه وينهض به إلى الله. والحقيقة أن رسول الله ﷺ يتنزَّل عليه التجلِّي الأعظم بسبب صدقه مع ربه، فطاقته الحبيَّة لله عظيمة، أقوى من كل الطاقات والقوى الإعراضية، فلذا علمه سيسود عليهم ولو كانوا عليه لِبَداً، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: **﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[1]. والله يخصُّه بالمدد والعلم... لا يخصُّ غيره من الكفار، وبهذه الطاقة الحبيَّة لله لو التفتت إليه نفوس أهل الأرض جميعاً لأدخلهم على الله ونقلهم من الكفر إلى الإيمان.

6- **﴿ذُو مِرَّةٍ﴾:** حين فكَّر وأقبل بقوة على الله مرة بعد مرة. **﴿فَاسْتَوَى﴾:** فنضج واستوفى كماله، بلغ الجمال والكمال الأسمى والأعلى عندما ظهر بهذا الوجود. وثبّت الكمال الذي ناله في الأزل، دائماً طلبه رضاء الله وكل أعماله لرضائه سبحانه. من حنانه ورحمته يرتمي على البشر بروحانيته الشريفة لإنقاذهم. ولقد قدّم من الأعمال الكبرى ما أذهل به الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، ولكن الدسوس من ذوي النفوس الحاقدة على الإسلام محتها من الكتب فغابت عنّا.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾: يقول تعالى في كتابه الكريم: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ﴾**[2]

ونذكر قول الصدِّيق رضي الله عنه يصف فيه طالباً من طلاب رسول الله ﷺ: **"والله لأُنسين الروم وساوس الشيطان بخالد"**.

فخالد بن الوليد ذلك القائد الذي لم يُقهر جعل أعداء الله في حالة من القلق والخشية والخوف، يترقّبونه في كل لحظة، مما جعل المرارة تغزو قلوبهم. فإذا كان هذا شأن خالد وهو أحد طلّاب رسول الله ﷺ فكيف بالرسول ﷺ ذاته، فبه ﷺ انطفأت نيران فارس، وبه كانت هزائم المشركين عبّاد الصنم، وبه كان النصر في كل المواقع والغزوات واقعاً، فجعل بذلك حياتهم مرّة مراراً وتكراراً، وما ذاك

[1] سورة المجادلة – الآية:21.
[2] سورة الحشر – الآية:6.

إلا ليعودوا لما خُلقوا من أجله ويتركوا ما خُلق من أجلهم، ليرجعوا إلى الحق، ليلتفتوا إلى مصيرهم الأبدي وليتخلّوا عن كبرهم متواضعين لله ورسوله فيفوزوا بالجنان. بهذه الأعمال الكبرى بلغ ﷺ ما بلغ من القرب والرقي فاستوى، أي: استوفى كماله.

7- ﴿**وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى**﴾**:** في أعلى مراتب الإنسانية التي لم يبلغها أحد، فحبه لله ولعباده وحنانه وعطفه عليهم لم يماثله به أحد فغدا منقذاً للثقلين الإنس والجن، فالأفق هو أبعد مدى للرؤية، والأعلى: هناك عالٍ وأعلى والأعلى، فالأعلى أرفع درجة، فهو ﷺ في حاله النفسي بلغ الدرجة الأرفع بين سائر المخلوقات في عالم الأزل، وعندما قارنت النفس الجسد أيضاً بقي في المرتبة والدرجة الأعلى، وفاق كل الرسل والأنبياء عليهم السلام والخلائق أجمعين وسما فوقهم.

8- ﴿**ثُمَّ دَنَا**﴾**:** اقترب من الله أكثر. ﴿**فَتَدَلَّى**﴾**:** فألقى بنفسه ﷺ عليه جل جلاله. أي إنه بقي يزداد قرباً حتى استسلم بكليّته لربه على الدوام، فكان ﷺ يقول **"والذي نفس محمدٍ بيده"**، عند ذلك تدلّى على الخلائق بما كسبه ﷺ من خيرات وجنات وأنوار، كلٌّ بحسبه فكتب الحق في صدور المتقين السالكين الصادقين، فالله المعطي وهو ﷺ القاسم.

9- ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾**:** أقصى القرب الإلهي، أصبح ضمن التجلي الإلّهي منغمساً. قال جلّ وعلا: فإنك بأعيننا[3].

10- ﴿**فَأَوْحَى**﴾**:** الله تعالى. ﴿**إِلَى عَبْدِهِ**﴾**:** رسوله. ﴿**مَا أَوْحَى**﴾**:** كما أوحى بالماضي. أوحى له القرآن ليبلّغه، ففضل الله عظيم على كل الخلائق، وما أعطى تعالى أمةً وحرم أخرى، الكلٌّ مشمول بالفضل والعطاء برسول الله عليه الصلاة والسلام، ولكن الاختيار لك أيها الإنسان.

يجب علينا أن نؤمن حتى نستفيد من رسول الله عليه الصلاة والسلام، الصحابة الكرام آمنوا واتقوا فاستفادوا وعلموا مراد رسول الله ﷺ.

سورة النجم: [11-20]

11- ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾**:** رؤيته لأسماء الله حق.

﴿**الْفُؤَادُ**﴾: هو لب النفس ومركز المشاعر والعواطف والهوى والحبّ والميول، فميوله ﷺ كلها ملك لله وما ترك لنفسه شيئاً، ولم يبقَ بنفسه إلا الله، لقد دسر مشاعره بالله وشوقه وهيامه وحبّه كلها لله، فغدت نفسه أكمل وأسمى شيء بالوجود فصار ﷺ وحياً يوحى، والله علّمه وأعطاه ما لم يعطِ أحداً سواه في العالمين.

---

[3] بما أن الحب الإلّهي هو سر الحياة وقوتها، ويرمز القوسان إلى حاجبي العينين دلالةً على الحب الصافي، فهو ﷺ بمثابة العينين لكل تقي ونبي يشهدون به جلال ربهم وجماله وحنانه وعطفه، فهو يجمع العظماء الصادقين على مشاهدة خالق الجمال ومبدع كل الفتن السامية والكمال، وقد خاطبه تعالى بقوله الكريم: {كهيعص} خطاب مدحٍ وثناءٍ بأسمى آيات الكمال، والمعنى من هذه الآية الكريمة {كهيعص}: يا كاملاً، بكمالك صرت هادياً للخلق، وأنت العين التي تُرى بها أسمائي وجناتي. فهو عين العيون للمرسلين والنبيين وسيدهم، النبي الأمّي الذي يَؤمُّون إليه كما جاء بميثاق النبيين، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ} سورة آل عمران – الآية:81.

وبما أنه ﷺ ما أبقى لنفسه شيئاً، لذا أراه الله تعالى، فقال له: {**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**}[4]. لقد رأى معاني القرآن كلام الله رب العالمين، وبيَّنها وأنقذ العالمين.

12- {**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى**}: الذين آمنوا عظَّموا وقدَّروا رسول الله، رأوا برؤيته ﷺ وشاهدوا بمعيَّته أسماء الله الحسنى، أما الذين ما آمنوا فما قدَّروا ولا عظَّموا رسول الله، هؤلاء ما شاهدوا برؤيته، إذ ما التفتوا إليه ﷺ حتى يصبحوا له مرآةً ينطبع فيهم الحق والكمال، فيغدون هداةً يستطيعون إنقاذ الخلق من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة والجنة.

13- {**وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى**}: نزل عليه القرآن ورأى معانيه، وكانت النزلة الأولى في ليلة القدر في غار حراء عندما تنزل القرآن عليه ﷺ، وهذه الليلة في شهر رمضان وبها كلَّف الله رسوله بالرسالة {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**}[5]. أما النزلة الثانية فحصلت حين أُسري به ﷺ حيث صلى بالرسل والأنبياء عليهم السلام وبالمتقين إماماً، وهنالك عَلِم رسول الله ﷺ مقامه، وأنه أعلى الخلائق لذلك هوى على ربه نزلة أخرى شاكراً له على ما تفضَّل به عليه، فأنزل الله تعالى عليه القرآن مرة ثانية بمعان جديدة عالية بلَّغها إخوانه من الرسل والأنبياء عليهم السلام، وبهذه النزلة صار له علم بكل شيء، ما كان وما سيكون، شاهد السابقين واللاحقين، ومن أجل تحقيق وظيفته العظمى بالشفاعة. عرف نفسه أنه شفيع العالمين.

الحقيقة أن حياته الشريفة ﷺ كلَّها ليالي قدر، وكل ليلة أعلى من سابقتها، إلا أن الله سبحانه وتعالى بهذه السورة يبيِّن حدثين عظيمين أثَّرا في حياة رسول الله الغالية وأثَّرا بكافة النبيين والمتقين والعالمين.

14- {**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**}: نهاية الكمال: تلك المكانة والمنزلة العالية التي بلغها ﷺ ولم يستطع أحدٌ الوصول إليها إطلاقاً فلا نبي مرسل ولا مَلَك مقرَّب، فهو ﷺ استسلم بكليّته لله وبلغ الدرجات العلى وحلَّق بكسبه بالرحمة والحنان والعطف والحب على الخلائق، فلقد بلغ ﷺ نهاية الكمال، أي أعظم ما تستطيع الطاقة البشرية بلوغه واستيعابه، ولذلك ساد العالمين ﷺ وصار يدرُّ الخير عليهم، وبهذا حقَّق مراد الله الكامل من خلقه، وبهذه المكانة التي وصل إليها نال من ربه جنات عظمى، وكل من التفت إليه ﷺ بالتقدير والتعظيم والمحبة أدخله ﷺ في جنات ربِّه.

15- {**عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**}: هذه هي الجنة التي يأوي إليها المحب، تأوي إليها الخلائق كلها من رسل وأنبياء، ومتقين ومؤمنين، فالكل يأوي إلى ما عنده ﷺ من جنات كبرى وعظمى.

مَنْ تواضَع لله رفعه، الله رفع رسوله رفعة لا مثيل لها، فالخيرات والجنات والأنوار تدرُّ عليه بشكل دائم متوالٍ، وهو يدرّها عليهم من هذه المكانة العالية، بلغ مكانة لا وقوف عندها ودائماً وبكل لحظة نفسه تنتقل من جنات لجنات أعلى ويعبِّر عنها بقوله لك في الصلاة بكلمة "الله أكبر" في الركوع والسجود.

16- {**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى**}: أصبح دائم الإقبال مستديم الصلة بهذه الدرجات العُلا، وكل ذلك ناله بعمله وتفكيره ﷺ خلال حياته الشريفة في الدنيا، إضافة لصدقه بالوفاء بعهده في الأزل، والله

---

[4] سورة النساء – الآية:105.

[5] سورة القدر – الآية:1.

سبحانه يعطي كل ذي فضلٍ فضله، ولذلك أعطاه ما أعطاه، وعطاءات الله للأنبياء والرسل عليهم السلام كلها عن هذا الطريق العظيم، فهو ﷺ إمامهم وهذا ميثاقهم[6].

17- ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾: لم ينحرف بصره عن ربه للدنيا ولو للمحة، فلم يلتفت للدنيا أبداً لا بقلبه ولا بفكره، ومن هنا جاءت عصمته وعظمته عليه الصلاة والسلام، فلقد جاء للدنيا وانتقل منها وما تعلقت نفسه الشريفة الطاهرة إلا بالله، وبقيت بالأنوار والتجليات القدسية كالماء العذب الطاهر النقي ذراتها.

﴿**وَمَا طَغَى**﴾: ولم يتجاوز أبداً، كان يرى نفسه أقلّ من الجميع فهو أشدُّ الناس تواضعاً مع أنه أسماهم وأفضلهم وأرقاهم وأكملهم وأجملهم وهو من يرقى بهم، لكن لماذا هو بالحقيقة سيد الكائنات؟

18- ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾: رأى من قدرته وعلمه وحنانه وحكمته تعالى، رأى تلك الرؤية الكبرى لكم وللرسل والأنبياء عليهم السلام، وبهذه الرؤية العظمى أحاط بإخوانه الرسل والأنبياء الكرام، لذلك لا أحد ماثله بما جاء من علم وبيان، فكان سيدهم وأسبقهم حباً لله وعلماً به، والكل من معينه العالي ينهل.

19- ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ**﴾: فهل رأيتم أيها المشركون المعرضون من آلهتكم كما رأى رسول الله ﷺ من ربه؟ هل الأصنام التي صنعتموها أرتكم شيئاً من آيات الله وأسمائه الحسنى، من رحمته وحنانه تعالى؟ كذلك اليوم هجر الناس كتاب الله وما أنزل على رسوله وذهبوا إلى بعض كتب الأولين والتي يُنسب في سطورها الظلم لله والحطُّ من منزلة رسوله عليه الصلاة والسلام، فهل بسيركم بهذه الكتب المخالفة للقرآن الكريم وصلتم إلى مشاهدة حقائق كلام الله؟ هل أولئك الأولون أروكم الحقَّ من خلال كتاباتهم المخالفة لكلام الله؟ هل أروكم طرفاً من أسماء الله الحسنى! هل أروكم أنوار الله وجمال الله وبهاء الله وعظمة الله! هل كسبتم كمالاً بسيركم معهم وفق كلامهم، وهل يستطيعون فعل شيء؟!

﴿**اللَّاتَ وَالْعُزَّى**﴾: كان سدنة الأصنام والسحرة من العرب يتولّون خدمة الآلهة المزعومة ويقولون للعرب: إن كنتم تريدون أن تحققوا كل أمانيكم فهذه اللات الآلهة تحقق لكم ما تشاؤون.

ولشرح معنى: (اللّاتَ) نقول: اللّات مأخوذة من: (ليتَ)، فحسب زعم أولئك أن أماني الناس تتحقق بواسطة هذه الآلهة شريطة أن يقدّموا لها الذبائح والأموال.

والحقيقة أن الأماني لا تنتج شيئاً، وبمثل هذه الطريقة الخبيثة كان سدنة الأصنام "السحرة" يخدعون الناس ويسلبونهم أموالهم، ويقولون: (الْعُزَّى) هذه تجلب لكم النصر، فالذي يطلب النصر والعزّة والعلو، فتلك "العُزَّى" تحقِّق لكم ما تطمحون إليه من العلو والرفعة والعزّة، شريطة أن تهبوها القرابين فتقدموا لها الأموال والذبائح.

20- ﴿**وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**﴾: كذلك كل أمانيكم الجنسية، فهذه "مناة" الآلهة تحققها لكم "هذا ما يقوله السدنة السحرة للعرب" فلكل مُسمًّى مدلول لاسمه، فأسماء الأصنام التي كان العرب يعبدونها ويتخذونها آلهة من دون الله تدل على اعتقادات العرب بتلك الآلهة. لم يعرفوا أن الخالق جلَّ وعلا

---

[6] {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} سورة آل عمران – الآية:81.

هو وحده الفعّال المتصرف بشؤون الكون كله وهو الذي بيده الخير والرفعة، والعزّة لله جميعاً، وهو الذي يرفع الضرّ وحده.

في هذا الدرك المنحط كان العرب حينما جاءهم رسول الله ﷺ **{وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً، يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً}**[7] فأنقذهم ﷺ من تلك الضَّلالات والجهل وحقَّق لهم العزة بالحق **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}**[8] وجعلهم هداة مهديين.

سورة النجم: [21-30]

21- **﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾:** إن المنطق السليم والحق يثبت تناقضهم وجهلهم وأنهم في دعواهم هذه على الباطل. إذ يقولون الشيء وينقضونه بالعمل، يرفضون الأنثى أن تكون مولوداً لهم وعلى النقيض من ذلك، فقد كانوا من عبَّادِ الشهوة الجنسية لدى نسائهم حتى ضيَّعوا جناتهم وخيراتهم على مذبح النساء، كانوا يعشقون النساء، ثم يرفضون المولود الأنثى! فتراهم في كل قصيدة أياً كان موضوعها لا يطرقونه حتى يقِفُوا في مطلعها عند المرأة فيتغزَّلوا بفتنتها ويفيضوا بوصفها، وما ذلك إلا توافقاً مع ميل الشاعر ذاته، وتماشياً مع الميل العام في المجتمع، وبهذا يلفت الشاعر الانتباه إلى شعره وهدفه وموضوعه المطروق.

إذن فهم في تناقض صريح، يُحبّون النساء لشهوتهم وتراهم في نفس الحين يكفهر وجه أحدهم إذا بُشِّر بالأنثى، وكان العرب يَئِدُون بناتهم وهنَّ أحياء، فما أقساهم!

كذلك بطلبهم هذا ورغبتهم في الذكور من مواليدهم دون الإناث وقعوا في اللامعقولية، فهذا غير منطقي من الناحية العملية أبداً، فلو أن الله تعالى حقَّق لهم طلبهم هذا ولم يبعث لهم إلا الذكور فقط، عند ذلك سينقطع الحرث والنسل، فهذا الطلب غير منطقي ولا معقول.

22- **﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾:** في هذه الآية الكريمة يهدّد الله تعالى العرب في شبه الجزيرة العربية من نتائج مطلبهم إن حقَّقه تعالى لهم فمنحهم الولدان الذكور فقط دون الإناث إذ من شأن ذلك الترتيب الذي اختاروه أن يجعل مجتمعهم عرضة للشذوذ الجنسي نتيجةً لارتفاع عدد الذكور على حساب انخفاض عدد الإناث وانقراضهن، وهذا ومما لا شكّ فيه سيوقعهم بما يكرهونه ويشمئزّون منه من الفعل الفاحش[9].

---

[7] سورة النساء – الآية:119–120.

[8] سورة المنافقون – الآية:8.

[9] فلقد كان العرب يعظِّمون سيدنا إبراهيم عليه السلام وينسبون أنفسهم إليه دون جميع المرسلين، ومذ علموا نبأ هلاك قوم لوط عليه السلام الذين هم قوم سيدنا إبراهيم بالأصل وعرفوا أنَّ هلاكهم كان بعلّتهم الخبيثة "اللواطة"، وقبل هذا الهلاك قرَّعهم رسولهم محاولاً نشلهم من مستنقعهم الآسن بقوله: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ} سورة الشعراء – الآية:165، وعندما لم ينتهوا جعل الله الأرض عليهم عاليها سافلها وأمطرهم بحجارة تقذفهم وحمم نارية تمطرهم بما قدمته أيديهم. وعلم العرب نبأ الهلاك هذا فاهتزت الناس جميعاً بتلك الأنباء وبعمل القوم المنحط المخزي الذي سبب لهم الهلاك.

والعرب في شبه الجزيرة العربية كانوا يشمئزُّون من "اللواطة" لكرم أخلاقهم ونخوتهم وكذا لحبهم لسيدنا إبراهيم عليه السلام ونسبِ أنفسهم إليه، فاستحقر العرب عمل قوم لوط، حتى أنه لم يُذكر في شبه الجزيرة العربية كلها قبيل الإسلام أن أحداً من العرب ارتكب هذا الفعل القبيح، وذلك حتى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكانت أول حادثة وقعت قرب العراق وليس بالجزيرة العربية وعندما سمع الخليفة عمر بوقوع هذا الجرم خرَّ مغشياً عليه، وقد طلب من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يحكم فيهما، وقد علم سيدنا عمر حينها أن عصر الإسلام بدأ يضعف.

فخاطبهم الله تعالى بما يحرِّك فيهم دواعي النخوة والشهامة، فقال لهم: إذا تحقق طلبكم وأرسلت لكم الذكور فقط فستصبح هذه القسمة: **﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾**، أي: ستنحرف شهوتكم وتغدو ميولكم شاذة كقوم لوط، فهذه القسمة تجرّكم إلى الشذوذ الجنسي، فهي قسمة غير عادلة ولا منطقية تؤدي بكم إلى "اللواطة" وهذا ما عنته كلمة: **{ضِيزَى}**، أي: المكان الذي لا يزرع فيه، فلا يبقى زرع ولا ضرع.

وبهذا التحذير تراجعوا عن مطلبهم هذا، حيث خاطبهم تعالى بما يفقهونه ويعقلونه.

23- **﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ﴾:** جعلوا لهذه الأصنام علواً وسمواً فعظَّموها وجعلوا لها فعلاً، قالوا بها نسمو وبها نشفى ونغنى ونردُّ عن أنفسنا المصائب. كل هذا ليحققوا عن طريقها شهواتهم وأمانيهم. **﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾:** لا تصل بكم إلى الجنات، إلى الله، للرحمة، لا تكسبون بها العطف والحنان. هذه الأصنام حجارة لا فعل لها، فالحجر ماذا يستطيع أن يفعل؟ هل أتى بالشمس والقمر وحرَّك الكون وأنزل الأمطار وأخرج الزرع والأثمار لتأكلوا! هل يهبكم هذا الحجر السعادة والعلوم؟ **﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾**: قلوبهم عمياء، لا يرون الحقائق، انقطعوا عن الله تعالى ولم يبقَ لهم نور فسرت نفوسهم في الظلمات بأهوائها. **﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾:** هذا سبب عبادتهم الصنم، والسير على كلام الآباء والأجداد، فذلك يحقّق لهم أهواء أنفسهم ومشتهياتها. **﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾:** أرسل الله لهم من يدلّهم دلالة حق، خاطبهم الله عن طريقه ﷺ وبيَّن لهم سوء اعتقادهم وحذَّرهم نتائج سيرهم لكنهم ما التفتوا إليه، ما آمنوا وما عقلوا. رتَّب الله لهم ترتيباً كاملاً، قالوا سنجعل لأنفسنا ترتيباً غير ترتيب الله.[10]

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾: نَقلوا عن آبائهم رغم جهلهم وساروا على كلامهم، ما ساروا على كلام الله ودلالة رسوله عليه الصلاة والسلام، فإذا كان أبوك جاهلاً أليس من الواجب عليك أن تنقذه؟ أم تسير على جهله وتُهلِكه.

24- **﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾:** هل يظن الإنسان أن يحصل على كل ما يتمنى؟

الله خلق الإنسان وأعطاه الاختيار، يختار لنفسه لا لغيره، ولا يقع اختياره إلا على مستحقين ومن بعد أن يأذن الله بذلك.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾: منح الله تعالى الإنسان حرية الاختيار ولا أحد ينازع الإنسان بها، فإذا صدق الإنسان بأي شيء ناله وكل واحد يعطيه الله أمنياته، فكم وكم من أناس كانوا بالدنيا فقراء بالحضيض وعندما طلبوا الدنيا بصدق أعطاهم الله إياها، فأصبحوا من الأغنياء ومن عليّة القوم. فهل يفرح الإنسان أنّ الله منحه الحرية في الاختيار وللمرء ما يشاء وما يريد؟ ألا يجدر به أن يطلب باختياره ما يحبه الله ويرضاه لينال الجنان، فالله سبحانه وتعالى ما خلق الإنسان وأعطاه الاختيار إلّا ليقدم أعمالاً صالحة فيكسب ثقة في عمله الطوعي فينال عليه الجنات.

25- **﴿فَلِلَّهِ الْآَخِرَةُ وَالْأُولَى﴾:** بيده سبحانه وتعالى كل شيء، يعطي بقدر. فالإنسان جاء إلى الدنيا عارياً وسيخرج منها كذلك، وله تعالى كلُّ شيء، وهو خالق كل شيء، وهو الذي خلقكم ومنحكم هذا العمر الثمين، وهو مدة قصيرة فلا تضيّعوها عبثاً وراء الشهوات المهلكة دون أن تكسبوا بها الجنات

---

[10] والآن عاد عليهم عملهم وسيرهم بغير قانونه سبحانه وتعالى عاد عليهم بالحروب والأمراض والشقاء والإجرام، بالزلازل والبراكين والأعاصير وصاروا أعداء بعضهم بعضاً.

التي أُخرجتم إلى الدنيا لنيلها، وذلك بأن يوافق اختياركم ما يرضي الله وأن ترجعوا بأموركم كلها إلى شرع الله عندها تنالون الدنيا والآخرة.

26- ﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ**﴾: وظيفة الملائكة حمل النفس إلى الكعبة حيث حقيقة رسول الله ليدخل بها ﷺ على الله. ﴿**فِي السَّمَاوَاتِ**﴾: في سماوات الرسل العظام عليهم السلام {**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**}[11]، ﴿**لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا**﴾: الملائكة يتمنّون هداية الإنسان لكن المسألة متوقفة على الإنسان ذاته فهو صاحب الاختيار في اتباع الرسل أو عدمه، فإذا كان غارقاً في الشهوات ومطبوعة على نفسه فأنّى له أن يسمع الملائكة مهما نادته. ﴿**إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾: من يشاء الشفاعة ويعمل لها بصدق. فكل من أعمل فكره ورأى أن هذه الدنيا سراب وخيال، كلها خداع وخيانة وانحطاط عندها يُعرض عنها طالباً النجاة والسمو والعلو ويرضى بكلام الله ويطبقه، هذا يستطيع مصاحبة الرسل عليهم السلام، ويرضى بالقرآن وأحكامه، رضي بهذا القانون الإلّهي، ولم يرضَ بالقوانين الوضعية كلها، هذا يهتدي ويصل للتقوى ويُصبح داعياً حقيقياً إلى الله ورسوله.

27- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ**﴾: الذين لم يسعوا للآخرة، ولا يريدون الله واليوم الآخر، هؤلاء أحبُّوا الدنيا والبقاء فيها لأنهم ما فكَّروا بالموت، ظنُّوا الدنيا باقية فصارت الدنيا أقصى مناهم، فكان عملهم كله لها. ﴿**لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى**﴾: منظارهم معكوس، محب الدنيا ينسب إلى الله ما شاء حسب هواه، هؤلاء شاهدوا النساء ملائكة، إذا الإنسان ما آمن وارتبط برسوله لابد أن يهوي على الدنيا وشهواتها، والمرأة أمُّ الدنيا فيهوي فيها، الغرب قالوا: إنَّ الذي يقع في وادي الجنس لا يخرج منه أبداً، قالوا هذا لأنهم لا يعرفون الإيمان ولا طريقه، الإنسان بالإيمان يخرج من هذا الوادي الذي لا قرار له، وبالتقوى يحلِّق ويستغني بما يمده الله به من نعيم وسعادة.

28- ﴿**وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ**﴾: ما شاهدوا الحقيقة ولا دليل لديهم على أقوالهم، ولا يعرفون الملائكة ولم يشاهدوهم، فظنوا بالنساء أنهن ملائكة وذلك لعمى قلوبهم، واجب على كل مؤمن أن يرى الملائكة، {**وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ**}[12]، آمنوا إيماناً يقينيّاً، شاهدت قلوبهم الملائكة الكرام، فجمال الملائكة لا يماثله جمالٌ في هذه الدنيا، نفوسهم دائماً تتلألأ بأنوار الله وبهائه وجماله القدسي، وهم أجمل ما خلق الله بعد السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم. ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ**﴾: يظنون السعادة والهناء بشهوة الجنس، كالسمكة تظن طعامها وغذاءها بالطُعم الذي بالشصِّ فتسارع إليه وبذلك موتها، وهؤلاء تصطادهم الشياطين عند تحقيقهم شهوتهم بالحرام، وتُشقيهم.

﴿**وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾: إن لم تشاهد نفسك الحقيقة خسرت كل شيء بالدنيا قبل الآخرة. النفس إن هي ما آمنتْ وشاهدت بذاتها تظل منصبةً على الدنيا وشهواتها، هؤلاء ما شاهدوا الآخرة وما فيها من جنات وسعادة، ولحقوا أهواءهم، فأضلَّتهم وأعمتهم عن الحق والحقيقة.

29- ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾: جاءهم ﷺ ببيانٍ عالٍ ومنطقي من الله تعالى فرفضوه وما ساروا به، هوى ﷺ عليهم بالأنوار والتجليات الإلّهية والعلوم والحياة العالية لكنهم ما التفتوا له، صمَّموا على اتباع طريق الانحطاط والسفالة مهما جاءهم من آلام وشقاء، لذلك خاطب الله تعالى رسوله أن أعرض عنهم، اتركهم، فأنا أعطيتهم حرية الاختيار، وسيرون نتائج أعمالهم. لقد قطعوا صلتهم بالله قطعاً نهائياً وأشاحوا بوجهتهم عنه إلى الدنيا بالكليّة.

---

[11] سورة الأحزاب – الآية:56.

[12] سورة البقرة – الآية:285.

30- ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: كل إنسان له مبلغ من العلم، العلم علمان: علم ظني وعلم يقيني، العلم الظني وهو ما يتحقَّق عن طريق الحواس وبأنوار الكون، وهذه كلها فانية، وهذا العلم إلى زوال بزوال الدنيا، ولا يستفاد منه شيئاً في الآخرة. أما العلم اليقيني فهو ما يُدرَك بالنفس ذاتها، وما تعقله بنور الله ونور رسوله عليه الصلاة والسلام، فتنطبع بها العلوم والمعارف الباقية والجنات. وهو لا يزول، فالنفس باقية وما عقلته باقٍ لها أبداً.

قال تعالى: {**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**}[13]: فأهل الدنيا لا يريدون إلا المحسوس الملموس وهو مبلغ علمهم ومنتهى إدراكهم، وهذا العلم البشري لا يدوم للآخرة بل ينتهي بالموت. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ**﴾: مهما أرسل لهم الله من مصائب وشدائد يعالجهم بها، لا يتحوَّلون عن الدنيا ولا يريدون إلا الأكل والشرب والجنس، حيث لم تعقل نفوسهم من حقيقة الآخرة شيئاً ولم ترَ أن الدنيا سراب، كفقاعة الصابون تنتهي بلمح البصر بانتهاء الأجل. ﴿**بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾: بضلاله ضيَّع على نفسه ما أعدَّ الله له من الخيرات والجنات. هو تعالى يبيِّن لك الصادق من الكاذب ويدلّك على الضالّين، هؤلاء اتركهم الآن فأنا أعطيهم اختيارهم. ﴿**وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى**﴾: يدلّك على المهتدين لترقى بهم.

سورة النجم: [31-40]

31- ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: كل ما في السماوات والأرض عائد بالتسيير والتربية لله، وما من شيء إلا بيده سبحانه، كله يدل على لا إلّه إلا الله، فلماذا خلق الله السماوات والأرض وجعل هذا الترتيب وهذا التسيير للكون وجعل له قوانين وأنظمة؟ ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا**﴾: إن لم يفكِّر الإنسان فيؤمن بلا إلّه إلا الله سيقع بالسوء، كل إنسان وعمله يعود عليه شراً كان أم خيراً {**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**}[14]: حاسب نفسك بنفسك. ﴿**وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾: تصبح حياتهم كلها نعيماً وسعادة، وكل صلاة أفضل من سابقتها حيث اهتدوا وصاروا هداة يخرجون الناس من الظلمات إلى النور بمعية معلِّمهم رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبهذا يعود عليهم عملهم الطيب بالنعيم والسعادة.

32- ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ**﴾: الكبائر، ما عندهم إصرار عليها. ﴿**إِلَّا اللَّمَمَ**﴾: ما يقع من الخواطر في نفسك. فاللمم كل ما يخطر بالنفس من سوء، هؤلاء المؤمنون يتراجعون عنه فوراً ويستعيذون بالله منه، الذين يسيرون بما يقع في نفوسهم من خواطر سيئة لابد وأنهم سيقعون فيها، لذلك فالمؤمن يحوّل نفسه عنها لئلا يقع. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**﴾: يشفيهم من هذه الخواطر. حتى تخلص من هذه الخواطر واصل وتابع سلوك طريق الإيمان، فكِّر ببدايتك وكيف أنشأك الله من الأرض ولم تكن شيئاً مذكوراً. ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾: فكِّر بهذه، من خلقك وسوَّاك؟ من كان يكلؤك بعيون الرعاية والعناية حين كنت تسبح في بحر من الدماء، أهو أبوك أم هي أمك؟! هل كانا يعلمانك ذكراً كنت أم أنثى؟! فكِّر ببدايتك حتى تتصاغر نفسك تجاه عظمة الله وفضله ورحمته فتصل إلى التقوى فتستنير استنارة دائمية بنور الله. ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾: إن لم تصل للتقوى فلا تظن نفسك أيها الإنسان أنك على خير، الذي يزكِّي نفسه ويدافع عنها بالباطل هذا لا يصل للإيمان اليقيني، وهو يحبُّ أن يُمتدح بما لم يفعل،

---

[13] سورة الروم – الآية:7.

[14] سورة الإسراء – الآية:13–14.

ولا يفتّش عن علله النفسية وعيوبه ليخلص منها، هذا مصرٌّ على الإثم ولا يريد شفاء نفسه. المؤمن يشكر من يهدي له عيوبه ويكشفها، فتراه دائماً يفتّش عنها ويسعى لطهارة نفسه حتى لا يبقى للشيطان عليه مداخل أبداً فيخلص من اللَّمم.

33- ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى**﴾: أعرض عن رسول الله أو عن الله أو عن الحق، كل ذلك صحيح. بعد أن سلك مسلك الإيمان العالي مع أهل الحق، ارتدَّ وغيَّر مسلكه ورجع لدنياه جاعلاً في قلبه حبّ زوجته وماله فوق حبّ الله ورسوله، بعد أن نال ما نال وذلك بما قدَّم في بداية سيره. هذا جرمه أعظم من الشيوعية وعباد البقر والنصارى واليهود إذ وصل لمنبع السعادة وتركها لدنياه التي ستنقلب عليه نيراناً.

34- ﴿**وَأَعْطَى قَلِيلًا**﴾: هذا سار في البداية مع مرشده بقوة ثم ضعف وانقطع، ما أكمل الطريق لأنه ما صدق الصدق الكافي ليصل به للإيمان فلا يُفتن، ما سار على طريق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ما سار بالقانون الإلّهي الموصل للإيمان اليقيني، فبقي معرضاً عن الله وعن جناته. ﴿**وَأَكْدَى**﴾: امتنع عن فعل الخير ووصل إلى الكدية "الصخر". أتعب مرشده وصار يتعالى عليه مع أنه بابه للجنة، هذا حاله كحال التي: {**نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً**}[15]، حيث شاهد لنفسه عملاً واعتزَّ بعمله وافتخر به، أصابه الغرور بذاته، وهذه العلّة الكؤود لا يُزيلها إلا الإيمان بالبداية كما تقدَّم في الآية السابقة: {**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**}.

{**أَكْدَى**} أي أتعب الرسل والأنبياء الكرام حزناً عليه، قال الرسول ﷺ: **"لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً"**[16].

هذا أصبح حاله كحال المنافقين الذين آمنوا ثم كفروا {**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**}[17].

35- ﴿**أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ**﴾: هل آمن وشاهد الحقيقة ووصل للنور. ﴿**فَهُوَ يَرَى**﴾: هل أصبح تقياً ثابتاً على الحق ذا بصيرة يرى بنور الله ورسوله عليه الصلاة والسلام؟ هل علم مصيره في الآخرة وأنه من أهل الجنة؟ هل رأى حاله بعد الموت "في القبر"؟ لا، فهو لم يصل لكل هذا، ويظن أنّه على خير.

36- ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى**﴾: ماذا تحمل صحف موسى غير الحق، هل عنده مال قارون؟ أما علم كيف وصل سيدنا موسى عليه السلام لهذا المقام عند الله؟ كان ابن ملك زمانه، لكنه ضحَّى بالسلطان والجاه في سبيل الحق ونصرته على الباطل عندما قتل القبطي، وفضَّل حياة راعٍ على زينة الدنيا وسلطانها وذلك حين هاجر إلى مدين لسنوات طويلة، كم جاهد وكم صبر على قوم فرعون، ومن بعدها صبر على بني إسرائيل في التيه كثيراً، وهكذا فكلّ حياته ﷺ تضحيات في سبيل رضاء الله، فأعطاه الله ما أعطاه وأنزل عليه التوراة، هل وصل سيدنا موسى لهذا المقام بلا جهاد وتضحيات وأعمال ودون سعي منه ﷺ؟

---

[15] سورة النحل – الآية:92.

[16] مسند أحمد رقم [22136].

[17] سورة المجادلة – الآية:16.

والآن للدنيا يعملون ويصبرون أما للآخرة فلا يعملون إلا القليل! الله يريد شفاءك، اصبر على الشدائد، الشدة علاج لنفسك، ولكن اجتهد واسعَ للآخرة ولا تلجّ، لا تقل أنا عملت قدمت ولم أصل للإيمان والتقوى، ربك حكيم بك وبما يناسبك.

37- **﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾:** وفَّى العهد وما أمره الله به، ضحى بحياته وبأهله وبابنه العظيم سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ألقوه بالنار وظل راضياً ثابتاً وشجاعاً، فاستحقَّ قومه الهلاك وجاءه المَلَك ليهلكهم لكنه صبر ﷺ عليهم وآثر أن يلقوه في النار ولم يرضَ بهلاكهم عطفاً وحناناً ورحمةً منه بهم، ترك ابنه وزوجته في مكة وهاجر ليدلَّ الناس على الله، ثم أمره تعالى بذبح ابنه إسماعيل ﷺ فؤاده وحشاشة كبده فامتثل لأمر الله ولكن الله تعالى أوقفه عن ذلك، عندها جعله للناس إماماً. **{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}**[18].

38- **﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾:** لا تحمل نفس حمل نفس أخرى، إذا الإنسان سلك باختياره وهواه وترك إمامه رسول الله، فلا يستطيع ﷺ أن يفيده ويساعده، لأنه مهما كلّمه ونصحه لا يسمع، كل إنسان مسؤول عن نفسه، وهو قبطانها يوجهها حيث شاء، لا أحد يحمل وزراً عن أحد ولو كان ابن رسول. فسيدنا نوح ﷺ ما حمل عن ابنه وزره، سيدنا محمد ﷺ لم يحمل عن عمه أبي لهب، وسيدنا إبراهيم عن أبيه وكذلك سيدنا لوط ﷺ عن زوجته، وعلى الرغم من وضوح وظهور هذه الحقيقة بشكل بيّن جلي إلا أن الناس قد فهموا الشفاعة فهماً خاطئاً فطمعوا بها! وإنما هي بحقيقتها للذين فكَّروا وآمنوا بالله وعملوا الصالحات هؤلاء ينالونها، الصحب الكرام كانوا بالعبرة وبالفكرة، ما انشغلوا عن الآخرة، كل واحد منهم رضوان الله عليهم في بداية سيرهم مع رسول الله ﷺ كان همّه وصول نفسه لله وشفاءها، فيسعى جاهداً في هذا الطريق فينظِّم أوقاته ويفكر بما في الكون من آيات ويؤمن بالله عن طريقها، لقد علموا أن الدنيا مدرسة فاجتهدوا فيها حتى صارت لهم الشفاعة، فالشفاعة من الدنيا، إن صارت لك وارتبطت نفسك بنفسه ﷺ استمرت لك بالآخرة ونلت الجنات، والله سبحانه وعد بها المؤمنين فقط، أما غير المؤمن صاحب الأعمال السيئة فليس له أن يؤمِّل بها، هذا لا شفاعة له وسوف يرجع عليه عمله ويسوءه بعد الموت وفي الآخرة، وله على أعماله النار علاجاً لنفسه مما بها من إعراضٍ وأمراض فمن ذا الذي يقف بطريق علاجه، والذي ينادي بالشفاعة للمذنبين كالذي يطلب من الطبيب ألا يعالج المريض أو يسعفه! فهل يصحُّ ذلك؟

39- **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾:** يلقى ما عمل يوم القيامة وفي الدنيا. فعلى الإنسان أن يسعى للوصول إلى الإيمان بلا إلٓه إلا الله، لكن إن ما سار بالقانون الإلٓهي لا يصل ولا يؤمن، إذا سار وسعى وصل لربه وآمن بالله، إذا فكر الإنسان ببدايته وأنه كان نطفة يتنازل عن عجبه بنفسه ويخضع لله ولرسوله.

40- **﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾:** وسوف يرى نتيجة عمله، الإنسان الذي يعرِّض زوجه لما حرم الله فسوف يجد النتيجة السيئة.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾: سيرى الله سعيه وهو يرضى ويرقى بما سعى، وكذلك رسول الله ﷺ يرى أعماله والمؤمنون فقط، لأن أعماله صارت كبرى لا يراها المنغمسون في الدنيا، (ذرة من أعمال أهل القلوب توازي عمل الثقلين).

---

[18] سورة البقرة – الآية:124.

سورة النجم: [41-50]

41- ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾: إذا وصل الإنسان للتقوى فعند انتقاله بالموت يمرُّ عليه الزمن إلى يوم القيامة كلحظة، وفي الآخرة هو بالنعيم والسعادة والجنة جزاءً له على ما سعى وقدم من أعمال عالية.

42- ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾: الذي سعى وآمن بلا إلَه إلا الله يعرف معناها، ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: يا محمد، ﴿الْمُنْتَهَى﴾: منتهى ما يطلبونه عندك، والنصر لك، لكن الذين ما آمنوا لا يعلمون. الكلام موّجه للرسول، للإمام ﷺ لو سلَّموه أمورهم وظلّوا سالكين معه بالنور لأعطاهم عطاءات كبرى كعطاء الصحب الكرام.

43- ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ﴾: الضحك أنواع طمعاً وهزؤاً. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ﴾: الذي ضحك في دنياه وعمل لها منكباً على شهواته. ﴿وَأَبْكَى﴾: الذي آمن وصار بقلبه رحمة، ونظر للخلق فصار يبكي عليهم.

44- ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾: الذي ضحك في دنياه. الله سبحانه وتعالى أعطى الاختيار للإنسان، فكل من التفت للدنيا وللضحك والمزاح وفرح بالدنيا واستغنى بها عن الآخرة، هذا مات قلبه. ﴿وَأَحْيَا﴾: الذي آمن وبكى على الخلق، فكل من سعى للوصول إلى الله، وبكى لأجل هذا، وخاف على مصيره، وسعى للوصول للإيمان، فآمن وعمل صالحاً، أحيا الله قلبه بالأنوار والسعادة. قالوا لرسول الله ﷺ: **"مالنا يا رسول اللَّه نراك تضحك قليلاً وتبكي كثيراً"**. قال ﷺ: **"واللَّه لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولذهبتم إلى الفلوات تجأرون بالشكوى والدعاء إلى اللَّه"**.

45- ﴿وَأَنَّهُ﴾: سبحانه وتعالى. ﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾: من كل شيء زوجين، كل الخلائق من هذين النوعين ذكر وأنثى، الأسماك، الطيور، الإنس والجن. بالأصل كلنا نفوس لا فرق بين نفس ونفس، والله سبحانه وتعالى ألبس كل نفس الثوب المناسب لها، فجعل منها الذكر والأنثى، وصاروا بالدنيا مقيدين بهذه الوظيفة. إذن هو تعالى الذي خلقهم، فلماذا يتركون الله ويلتفتون لبعضهم ويعرضون عنه ظهرياً؟ وهو الذي رتّبهم ومنه الجمال ومنه الإمداد، الدنيا وما فيها عارية مستردّة وستذهب بعد قليل، كالسينما طالما أن الضوء ساقطٌ على القماش المسدل ترى أناساً يغدون وآخرين يروحون وقصصاً مختلفةً تدور وأحداثاً عظاماً تجري، ثم وما أن ينقطع النور حتى يزول كل شيء ويختفي، فترى قطعة القماش وقد خلت مما كان كله... وكذلك الدنيا تنقضي وتزول عند الموت ولا يبقى إلا الله تعالى، فما حال هذا الإنسان المعرض ساعتها وقد أعرض عنه تعالى والتفت للزائل المنقضي؟

46- ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾: فلماذا العُجب؟! قبل أن تُعجب أيها الإنسان بنفسك، وتتعالى على غيرك بغير الحق، انظر لبدايتك، ماذا كنت؟ ومن أي طريق خرجت؟ من نطفة خلقك تعالى. ليفكّر الإنسان بهذا حتى يتنازل عن كبره ولا يعتز بنفسه، بل يعتز بالذي خلقه ويعطيه ويمدّه ويعتز بإمامه ورسوله ﷺ.

47- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾: سبحانه وتعالى بكلمة منه (كن) تقوم الخلائق كلها يوم القيامة، فما أعظم هذا الرب العظيم! ألا تلتفت إليه وتسمع كلامه وتطبِّق أوامره، لماذا تنسب الفعل لغيره؟

الذي خلقك من نطفة أيُعجزه خلقك مرة ثانية! ألا يدلّ هذا الخلق على قدرة الخالق وعظمته جلَّ وعلا وأنه قادر على خلقك ثانية للسؤال والحساب؟

يجب أن يشاهد الإنسان أنّ الله سوف يعيد الخلائق مرة ثانية، يشاهدها من الآن كما حصل للسحرة مع سيدنا موسى عندما قدّروه وعظّموا علمه فشاهدوا الآخرة وتحدّثوا عن أحوال أهل الجنة وأهل النار، كل ذلك شاهدوه بمعيَّته ﷺ.

48- **﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾:** هو الرزّاق، بيده الأمر كلّه، لا معطي غيره، هو الممد حسب وجهة الإنسان وما يناسبه، يعزّ ويذل بيده الخير لمن أعزَّه ولمن أذلّه، أي لو جعل الغني فقيراً لكفر وبالعكس، فعطاء الله لعباده كتنظيمه للكون ضمن دقة عالية، لا يوجد أي خطأ، الخطأ من الإنسان ذاته، فإذا أردت أن يرفع شأنك في الدنيا مثل الصحب الكرام استقم على أمر الله.

أيضاً غنى القلب من الله، فالرسول يدخلك على الله وهو يغني لك قلبك. أمَّا الذي ما آمن ما عرف لا إلّه إلا الله فأعرض عن ربه هذا فقير، قلبه مفتقر للسعادة والحياة الحقيقية ومهما نال من الدنيا فهو منغَّص، فالغنى الحقيقي هو غنى القلب.

49- **﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾:** الشعور القلبي العالي، وهذا الشعور العالي بالسعادة لا يكون إلا بالصلاة، والصلاة لا تكون إلا عن طريق باب الله رسوله الكريم ﷺ. فالذي ما سار بالقانون الإلّهي، ما سار بطريق الإيمان، طلبه الدنيا، هذا لا صلاة له.

انظر للذين ما سلكوا، ما ساروا بطريق الإيمان، ما أطاعوا الله ورسله، انظر ماذا جرى لهم:

50- **﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾:** قوم عاد هم أول من عاندوا رسولهم وناجزوه مناجزةً فتحداهم ونصره الله وهلكوا. ثم تتالت الأمم الكافرة من بعدهم وعادَوا رسلهم فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وحلَّ بهم الوبال والهلاك الكلّي، فهم قدوة للهلكى من الأمم الذين تلوهم بعناد رسلهم وهلكوا.

وهذا قانون كل من لم يؤمن الإيمان الذاتي المنبثق عن البحث والاستدلال سوف يعاند الحق، ولو بلغ مهما بلغ.

سورة النجم: [51-60]

51- **﴿وَثَمُودَ﴾:** قوم ثمود سلكوا مسلك قوم عاد ذاته، عادوا رسولهم وأنكروا دلالته، ما ساروا عليها، التفتوا للدنيا وجعلوا لأنفسهم حضارة ولم يريدوا إلا الحياة الدنيا، استغنوا بحضارتهم عن ربهم وجناته مع أنهم رأوا ما حصل بمن سبقهم، فجاءهم الهلاك بسبب عدائهم وإنكارهم. **﴿فَمَا أَبْقَى﴾:** لهم من حضارتهم شيئاً، ولا من نسلهم أحداً[19]، هلكوا عن بكرة أبيهم.

52- **﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾:** قوم سيدنا نوح عليه السلام هم أول من عبد الأصنام وكفر بالله ورسوله، وفتحوا هذا الباب، والبادئ بالشر أظلم، فهم أئمة الكفر وكل من أتى بعدهم من الأقوام المعرضة فهو تابع لهم يسير على نهجهم لذا كانوا هم أظلم وأطغى من قوم عاد وثمود، فهم الذين فتحوا لهم طريق الكفر وعلَّموهم معصية الله ورسوله. كذلك ظلموا أنفسهم ما عرّفوها بالله وطغوا عليها بالشهوات، أعطوا أنفسهم هواها المهلك، وهذه النماذج التي ذكرها الله بكتابه الكريم تمثِّل كل الأقوام الهالكة وتتماثل معها في كفرها وإعراضها ثم هلاكها.

---

[19] أي ذرية تؤمن من بعدهم، حيث أنه لا نيّة طيبة لديهم

53- ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾: قوم لوط عليه السلام. ﴿أَهْوَى﴾: إلى الهاوية، وهم الذين تحوّلوا عن الحق إذ جاءهم على لسان رسولهم، وجعلوا الحق باطلاً، والباطل كحقٍ يُتَّبع وقلَبوا الحقائق بوجوهها.

54- ﴿فَغَشَّاهَا﴾: جاءهم الهلاك وخرجوا من الدنيا مطرودين، أرسل الله لهم بلاءً، زلازل وبراكين وناراً، والحقيقة أن أعمالهم عادت عليهم بهذا. ﴿مَا غَشَّى﴾: ما أصاب الأمم السابقة من البلاء والهلاك.

والآن خطاب لك أيها الإنسان:

55- ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾: أتنكر؟ رسول الله ﷺ بيّن لك الطريق، طريق الإيمان والشهود بنور الله، فلماذا لم تسلكه؟! أنت مع من تريد أن تكون، مع هذه الأقوام الهلكى أم مع رسول الله؟ إذن هناك شهوات بالنفس، والنفس راضية باللذائذ والشهوات، ولذلك تفضِّل الدنيا على الآخرة وعلى ما عند رسول الله ﷺ من جنات أعدَّها الله لك، وللخلاص من ذلك لابد من إزالة الدنيا وشهواتها من النفس وذلك بالتفكير بالموت والإيمان بلا إلّه إلا الله، وإلّا فالمصير مرعب.

56- ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾: أرسلنا لكم أعظم رسول بالوجود، وقد جاءكم من ربِّه بأعظم بيان على الإطلاق وبيّن لكم كل شيء، ما أبقى شيئاً غامضاً، ولكم الاختيار فإن طبَّقتم وعقلتم كلامه ﷺ صرتم بعلّيين. إن ما طبقتم فلابد لكم من الهلاك، فاسمع أيها الإنسان إلى ما يحذرك منه الله:

57- ﴿أَزِفَتِ الْآَزِفَةُ﴾: اقتربت ساعة الهلاك. كل الأقوام التي أصابها الهلاك أُهلكت بعلَّة واحدة، قوم سيدنا شعيب عليه السلام بتطفيف الميزان، قوم سيدنا لوط عليه السلام بالفاحشة...، أما أهل هذا الزمان فقد جمعوا العلل كلَّها من غش ولواط وربا، وقتل وإجرام وإنكار، وسكنوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم من قبل، والله سبحانه وتعالى لا يزال إلى الآن يحلم عليهم ولم يهلكهم؛ ولكن إن هم ظلّوا على ما هم عليه ولم يغيّروا ويتوبوا فلابد لهم من الآزفة، أي الهلاك، فسوف يأتيهم الهلاك ثم يُزفُّون إلى عالم الآخرة، إلى عالم الحقائق، ثم بعدها يزفون إلى النار والعلاجات. البلاء القادم سيكون بما أحدثوه من أسلحة التدمير الشامل وغيرها من الأسلحة النووية الفتاكة، ثم ومن بعدها نهاية كل شيء من هذا القبيل.

58- ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: لا حامي من هذا البلاء إلا الله، لا نجاة إلا بالالتجاء إلى الله، هذه القنابل النووية تحرق كل شيء فلا تبقي ولا تذر. لا ينجو من هذه الساعة وأهوالها إلا المؤمن. أما الذين عندهم قابلية للإيمان ممن أسلموا ولـمّا يدخل الإيمان في قلوبهم فينجون منها بعد أهوال عظيمة مؤلمة تمرُّ بهم لتطهر نفوسهم مما فيها من علل وشهوات.

59- ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾: الذي يأتيكم به الرسول ﷺ. ﴿تَعْجَبُونَ﴾: تقولون: بيان عظيم وعلوم عالية. ولكن لا تتبعونها ولا تطبّقونها وتبقون على ما أنتم عليه بميولكم وأهوائكم ولا تغيرون ما في أنفسكم!

60- ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾: مسرورون بمجالسكم، قلوبكم ساهية لاهية بدنياكم، فالأَولى بكم أن تتعلَّقوا برسولكم وتتقلَّبوا معه بالجنات. ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾: على أنفسكم إذ لم تصلوا بها لليلة القدر، وعلى ما سيجرّه عماكم من مصير مرعب مهلك لكم. إن لم يصل الإنسان للتقوى والنور فما هو على خير. توبوا إلى الله توبةً نصوحاً، أيقنوا بالموت حتى تعاف النفس الدنيا وشهواتها وتطلب الله والآخرة.

سورة النجم: [61-62]

61- ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾: لم تصلوا للتقوى بعد، جاءكم رسول الله ﷺ بطريق السمو والرفعة لكن ما سرتم به، ما طبقتم فأصبحت نفوسكم دون السمو، سائرون بالانحطاط وتظنُّون أنكم على خير، لا

سموَّ للإنسان إلا بالله ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام، الذين صدقوا وطبَّقوا سمت نفوسهم وصاروا بعلّيين، صاروا إنسانيين وكلهم رحمة وحنان ولا يظهر منهم إلا الكمال.

فإن وصل الإنسان للتقوى فهو في حصن ونجاة من أهوال الساعة وشدتها، يغمره تعالى بالنعيم والسرور القلبي والبهجة والنور الإلّهي حتى يحوِّله بهذا الحال عن كل ما يحدث فلا يلتفت للهالكين ولا يشعر برعبهم العظيم ومرارة هلاكهم.

لتنجوا من أهوال الساعة الكبرى وترفلوا بالنعيم والسعادة حين يغشى الكافرين الهلاك الكبير:

62- ﴿**فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا**﴾: اطلبوا من الله واستمدُّوا منه ولكن أطيعوه، طبِّقوا ما أمركم به تنجوا من الهلاك وتسْمُ نفوسكم وتصطبغْ بالكمال الإلّهي، عندها يستخلفكم تعالى في الأرض لتنقذوا إخوتكم من بني البشر كل إنسان عنده هذه الإمكانية، السمو بالإيمان والتفكير، أصحاب رسول الله ﷺ أعطوا التقوى حقَّها، أنتم سيروا بسيرهم، إذا الإنسان ما فكر لا يسمو، الطلب من الله دون سعي وتطبيق لا يكفي، صاحب الأماني لا ينجو.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القمر: [01-10]

1- ﴿**اقْتَرَبَتِ**﴾: لا تزال تقترب وتقترب. ﴿**السَّاعَةُ**﴾: ساعة الموت وساعة القيامة وساعة الهلاك، كل يوم تقترب أيها الإنسان من الموت وتقترب من ساعة الحساب، كذلك ساعة البلاء التي وعد الله بها الناس إن لم يؤمنوا بالله ورسوله، والتي ذكرها الله في مطلع سورة الحج **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}**[1]. هذه الساعة التي أتت على الأمم السابقة وأهلكتهم لـمَّا أعرضوا عن ربهم وكذبوا بالحق وحاربوه، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون، وكذلك الآن فقد اقتربت الساعة منا كثيراً، وأشراطها وجميع علاماتها ظهرت وتحقَّقت ولم يبقَ إلا وقوعها بشكل شامل.

﴿**وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾: انتهى عمله انشق عن المجموعة، يقال انشقت السماء أي انفصلت وانتهت وظيفتها. فالقمر في تلك الساعة ساعة موتك أيها الإنسان ينشق عنك حيث لم يبقَ له وظيفة يؤدّيها إليك، وكذلك يوم القيامة ينفصل عن الأرض وتنتهي وظيفته ويتوقف عمله نهائياً.

﴿**وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾: لقد كان المسلمون في عصور سابقة ملتفتين لرسول الله ﷺ "شمس الحقيقة" السراج المنير، كانوا بمراحل كثيرة على مرّ التاريخ قمراً لرسول الله ﷺ يعكسون أنوار الهداية على الناس ويمسِّكونهم بالإسلام، أمَّا الآن وبهذا العصر، فلقد طلعت الشمس من مغربها وبات معظم المسلمين أفراداً ودولاً متوجهين لأهل الحضارة يستقون من شمس هذه الحضارة علومهم وعمرانهم وجُلَّ ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم حتى شملت الملبس والمأكل، لسانهم عربي وقلوبهم قلوب الأعاجم، والله يريد القلوب، ولكن القلوب ذهبت لتستقي من معين آسن[2].

2- ﴿**وَإِنْ يَرَوْا آيَةً**﴾: آيةً عظمى، أو أيّة آية من بيانه الذي جاء به ﷺ عن حضرة الله، علومه، أعماله، كلها آيات دالة على رسالته. ﴿**يُعْرِضُوا**﴾: لأنهم لم يعقلوها، رأوها بأعينهم ولم يروها بنفوسهم. هذه العين ستزول وقلوبهم لم تعقل حقيقة رسول الله عليه الصلاة والسلام، حتى ولو أنهم رأوا آية عظمى فما الفائدة إذا كانت نفوسهم غارقة بحب الدنيا؟ فهم لا يعقلون بل يعرضون. ﴿**وَيَقُولُوا سِحْرٌ**﴾: هذه أمور غيبية خفيَّة، لم نَرَ شيئاً منها، لكنه ﷺ جاءهم بآيات ظاهرة محسوسة ملموسة، جاءهم بعلم أبطل علومهم كلها، ومع هذا فقد كذَّبوا ولم يؤمنوا به وقالوا عن كل هذا العلم العظيم سحر. ﴿**مُسْتَمِرٌّ**﴾: هذا الشيء جارٍ دائماً وعلى مرّ الأجيال، وبهذا أنكروا كل الأديان.

3- ﴿**وَكَذَّبُوا**﴾: برسالته ﷺ. ﴿**وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**﴾: المكذِّب يتَّبع أهواءه، والمتَّبِع هواه يكذِّب، لحقوا هوى أنفسهم، ملاهٍ، خمور، فواحش، وكان هذا سبباً لتكذيبهم بما جاء به عليه الصلاة والسلام، فهم لا يريدون إلَّا الحياة الدنيا. كذبوا دلالة الله وظلوا سائرين على أهوائهم ورضوا بذم وقَدْحِ السادة الرسل الكرام وساروا بغير قوانين الإلآه. ﴿**وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ**﴾: عند الموت كل شيء سينتهي، هل من أحد ينكر الموت؟! عندها كلٌّ سوف يجد النتيجة، تكذيبهم وإعراضهم وإنكارهم سيستقر بهم من الدنيا

---

[1] سورة الحج – الآية:1.

[2] للاطلاع على المزيد لطفاً انظر كتاب السيد المسيح رسول السلام يلوح بالأفق للعلّامة محمد أمين شيخو.

في جهنم، وسيعيشون بالآلام والأحزان والشقاء، وغداً في الآخرة لهم النار. كذلك بعد ساعة هلاكهم سيكون مجيء السيد المسيح عليه السلام وسوف تصبح الدنيا كلها مستقرة حيث يغدو الناس بالسعادة والأمان **{وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}**[3].

4- **﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾:** جاءهم رسول الله بأخبار السماء، أخبرهم بما أخبره الله سبحانه وتعالى به وأمره بتبليغهم، وقد بلَّغهم ﷺ **﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾:** الشيء الذي يزجر، الزجر بالكلام، المزدجر: الآية أو الإنذار الذي يزجر الإنسان، آيات ملموسة محسوسة منطقية. هؤلاء عرفوا الحق، عرفوا ما جاءهم به ﷺ هو الحق من عند الله فما تابوا وما تراجعوا عن إجرامهم وأعمالهم ومعاصيهم، رغم ما جاءهم به ﷺ فقد ظلُّوا على إجرامهم وانحرافهم.

5- **﴿حِكْمَةٌ﴾:** كما أنّ الطبيب يعطي الدواء للمريض، كذلك كلامه وبيانه ﷺ حكمةٌ ودواءٌ لنفوسهم، به تخلص من أمراضها وآلامها، وحلٌّ لمشاكلهم، رغم ذلك أنكروها وجحدوا بها ظلماً واستكباراً وعلواً. **﴿بَالِغَةٌ﴾:** بالغة غايتها حتماً، بالغة لنفوسهم وكلهم شاهدوها وجحدوا بها من أجل أهوائهم. **﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾:** الآن قلوبهم متعلِّقة بالدنيا وشهواتها، أعمتهم الحضارة والشهوات عن رؤية الحق والحقيقة، مع أنه تعالى أرسل لهم من الأنباء على لسان رسوله يحذِّرهم مغبة سيرهم وانحرافهم، إلا أنهم ما سمعوا وما طبقوا، وطالما أنهم لا يريدون الإيمان والسير بالحق إذاً فلابد لهم من الشدائد تشدّهم من العمى والضلال والشقاء إلى النور والسعادة[4].

6- **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾:** الوقف لازم في هذا الموضع عند كلمة عنهم، أي دَعْهم، الخطاب موجَّهٌ من حضرة الله لسيد الخلق ﷺ: دعهم حيث لم يبق الآن فيهم أمل للإيمان، الكل توجّه للحضارة والكفر وأهله، وأصبحت قبلتهم الدنيا وشهواتها فلابد من علاجهم بالشدائد لعلهم يرجعون. ولكن متى يدعهم؟ **﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾:** ينكره الإنسان لهوله، إذ صارت الدعوة اليوم نحو الرذيلة والفساد وما تنكره الفطرة "فطرة الكمال التي فطر الله الناس عليها".

7- **﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾:** عند الموت من الذل، بسبب ما عملوا من سوء، أعمالهم كلها قتل، سلب، نهب، فواحش، وغداً يوم القيامة ستكون أعمالهم ماثلة أمامهم وأمام الخلائق كلها، والخلق ستشاهدهم وتشاهد أعمالهم لذلك تخشع أبصارهم ذلاً وانكساراً وخجلاً من الخلائق ومن حضرة الله تعالى. عاشوا معتمدين على البصر ولم يسعوا لتتفتح عندهم عين البصيرة، أرادهم ﷺ أن يبلغوا البصيرة ولكنهم فضَّلوا الدنيا والبصر. **﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾:** الأجيال السابقة بملايينها تخرج للحساب والجزاء، كل الأقوام الماضية تخرج من الأجداث، إلا أن هذه الأرض على مرِّ الأزمان الماضية لم تحمل أعداداً كأعداد أهل هذا الزمان ولا من يماثلهم بالكفر والإعراض والأعمال اللاإنسانية السيئة، فلقد فاق أهل هذا الزمان الأمم السابقة بالعدد والبعد عن الله وسوء العمل والكثير منهم إلى النار.

8- **﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾:** بذلك الوقت يوم القيامة الكل مهتم ومطيع، مهتم بما يحدث وسيحدث معه ومطيع لله، أليس من الواجب أن تكون الطاعة لله من هنا بالحياة الدنيا؟ غداً ماذا تنفع الطاعة والفرصة قد ذهبت ولن تتكرر ثانية؟ **﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾:** شديد العسر على كل من

---

[3] سورة آل عمران – الآية:55.

[4] الآن عمَّت هذه الشدائد معظم دول العالم فأصابتها الزلازل والبراكين والأعاصير وحدثت الحروب والاقتتال والقتل والدمار وهذا كله إنذار من الله سبحانه ليتوب الناس ويغيّروا سيرهم.

مات ولا صلة له بالله، لو علم هذا المعرض ما في يوم القيامة من عسر وشدة لتاب وغيَّر، لذلك على الإنسان التفكير بالموت والتيقن منه ليصل إلى الإيمان باليوم الآخر فيشاهد ما فيه من شدة وعسر فلا يقع بعدها بمنكر أبداً (وكفى بالموت واعظاً).

9- ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا**﴾**:** أمثلة يضربها الله لنا لينذرنا ويحذِّرنا من الهلاك، كما حدث لقوم نوح عليه الصلاة والسلام، فلقد دعاهم عليه السلام /950/ سنة، إلا أن الأجيال من قوم نوح عليه السلام كذبت وما استفادوا، إذا لم يخرج القرار من ذات الإنسان فلا فائدة مهما ومهما سمع، فالذي بقلوبهم وما هم مصرّون عليه يبقى في نفوسهم. جاءهم الهلاك العام لأنهم كذَّبوا رسولهم كما كذَّب أهل هذا الزمان برسول الله ﷺ. ﴿**وَقَالُوا مَجْنُونٌ**﴾**:** مستور عنه كل شيء من الدنيا وترفها ولذائذها، يدعونا لترك الدنيا ويعدنا بالجنة ويتكلَّم بأشياء غيبيَّة، ولكن إن نحن سرنا بسيره وأطعناه نكون قد حرمنا أنفسنا من لذائذها وخسرنا الدنيا. ﴿**وَازْدُجِرَ**﴾**:** قاموا ضدّه بقوة وجابهوه ليردُّوا الحق خوفاً على دنياهم وشهواتهم وانحطاطهم.

10- ﴿**فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ**﴾**:** يستعين سيدنا نوح عليه السلام بربه ويطلب منه تعالى أن يؤيّده بحجج إضافية ليحاجج بها المعاندين، ذلك أنه كلما أقام لهم الحجج والبراهين لا يلبثون أن ينكسوا على رؤوسهم، لذلك يطلب من ربه أدلة وبياناً قاطعاً لعلَّ هؤلاء المناجزين يعودون للحق[5].

سورة القمر: [11-20]

11- ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ**﴾**:** أمطار وريح وأعاصير، وكذلك أهل هذا الزمان إن لم يرجعوا إلى الله ويتوبوا فسوف تنفتح عليهم السماء وتمطرهم شواظاً وناراً مما فيها من معدات حربية وأسلحة دمار شامل محمَّلة على الأقمار الصناعية.

12- ﴿**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا**﴾**:** تتفجَّر الأرض بالينابيع والبراكين وبأنواع العذاب، هنا الماء. ﴿**فَالْتَقَى الْمَاءُ**﴾**:** ماء السماء وماء الأرض. ﴿**عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾[6]: قدَّره الله. الطوفان جاء فقط على منطقة قوم سيدنا نوح عليه السلام بقدر مساحة المنطقة ولم تتأثر بقية المناطق، ولذلك لم تتأثر الأنعام والمخلوقات في المناطق التي لم يشملها الطوفان. كذلك بهذا الزمان وصلوا لحالة صعبة من الكفر والإعراض وصمَّموا على عدم الرجوع إلى الحق فلذلك لابدَّ لهم من عذاب مقدَّر من الله على حسب أعمالهم واستحقاقهم.

13- ﴿**وَحَمَلْنَاهُ**﴾**:** لسيدنا نوح ومن معه. ﴿**عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**﴾**:** على سفينة كبيرة قوية شديدة التماسك، حملت له كل ما يحتاجه عليه السلام وما يحتاج المؤمنون الذين معه.

14- ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾**:** هذه السفينة جرت بماء العيون التي فجَّرها الله في الأرض.

---

[5] في بداية دعوته عليه السلام سمع قومه له وأُعجبوا ببيانه وعرفوا كل شيء عن بيانه العالي، لكن وحيث إنهم لم يطبِّقوا عملياً ما أمرهم به عليه السلام من تفكير بالموت وتفكير بالكون ما آمنوا، فغلبت عليهم شهواتهم، حتى أنهم من شدّة حبّهم لها صاروا له أعداء فقاوموه وجابهوه، حيث بارتكابهم الفواحش والأعمال الإجرامية صار منطقهم أعوج ومنظارهم معكوساً.

[6] فكيف يقولون أن الطوفان شمل الأرض كلها؟! والله يقول: {عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}: أي البقعة التي كان القوم يقطنونها فقط، وحمل سيدنا نوح عليه السلام معه بالسفينة ما يلزمه من الحيوانات الضروريَّة فقط، أي زوجٌ من الغنم وآخر من البقر وزوج من الدجاج مثلاً.... وليس كما يقولون أنه حمل معه الأسود وباقي الوحوش والفئران.... (للاطلاع على المزيد لطفاً انظر كتاب عصمة الأنبياء للعلّامة محمد أمين شيخو، قصة سيدنا نوح عليه السلام).

﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾: أعين الله كثيرة: الرحمة والرأفة والعلم... جرت برعاية الله ومناظرته لهم وتجلِّيه عليهم برحمته ولطفه وحبه وعطفه، ونجَّاهم من الغرق وأهلك المجرمين الظالمين، إذ لا خير في بقائهم.

﴿**جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ**﴾: سيدنا نوح عليه السلام كَفر به قومه، جهلوه وما سمعوا رسالته وأنكروه، فكانت هذه الرعاية والعطف والحنان والإمداد من الله عليه جزاءً على صبره ورحمته وإرشاده لقومه.

15- ﴿**وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آَيَةً**﴾: هذه الحادثة ذكرها الله تعالى في الصحف والكتب المقدسة وما من أحد في العالم إلا ويعرف هذه الحادثة. فقد تركها الله آيةً لنا وللبشرية، إذ أن هؤلاء القوم من تلك الساعة وإلى هذه اللحظة لا تزال نفوسهم مقعدة في موضع هلاكهم وما زالوا في عالم البرزخ يقاسون الآلام الجهنمية التي ماتوا عليها. ﴿**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾: الادِّكار: وقوع حادثة تذكرك بشيء غاب عنك، حيث الشيء بالشيء يذكر، والله تعالى يريد بهذه الآية أن يحذِّرنا سوء المصير الذي حلَّ أولئك القوم فيه، فهل من مدَّكر بهذه الحادثة؟ هل من أحد يفكر ويتذكر ما حاله وما مصيره في ساعة الهلاك والموت فيتعظ ويتوب ويرجع للحق فينجو من هول هذه الساعة وعذابها وشدّتها؟ إن فكَّر الإنسان بما يمدُّه الله به من فضل وإحسان وتربية آمن وصار له نور يتذكر به فضل الله عليه ويرجع للحق ويسير به.

﴿**مُدَّكِرٍ**﴾: أمدكم الله بكل شيء ولم ينْسَكم من فضله وإحسانه فهل ترجعون إليه وتشكرونه سبحانه على فضله ونعمته هذه؟ هل تفكِّرون بما أمدَّكم الله به من بيانٍ عالٍ على لسان رسوله الكريم وتسمعون كلامه عليه الصلاة والسلام؟

16- ﴿**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾: للذين كذَّبوا رسلي، هذا تحذير لنا وللعالمين: حذارِ من تكذيب الرسل. بماذا عاد على قوم نوح تكذيبهم؟ انظروا الذين كذبوا الرسل ولم يفكروا بمصيرهم ولم يعقلوا إلا الدنيا وشهواتها كيف عالجهم الله بالشدائد ليطهّرهم؟ أنتم لا تكونوا مثلهم فكِّروا وآمنوا، المؤمن علاجه وشفاؤه بالصلاة، بصلته بالله تطهر نفسه، أمّا المعرض عن الله تعالى فعلاجه بالشدة لأنه مريض النفس ولا صلاة له فهو بحاجة للعلاج والدواء المر، لو أن أباً له ابن مريض فهل يتركه بلا علاج أو دواء؟ كذلك رب العالمين "ولله المثل الأعلى" أرسل لقوم سيدنا نوح عليه السلام هذا البلاء علاجاً ودواءً لهم.

والآن البيان مخصّص لنا:

17- ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ**﴾: بيَّن لنا رسول الله ﷺ كل شيء ولم يبقَ لأحد حجَّة. ﴿**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾: فهل من أحد يستخدم تفكيره ويسير بالحق؟ اذهبوا وطبقوا كلام الله وما أمركم به رسوله الكريم، لا تنشغلوا بالدنيا ولا ببعضكم عن الوجهة لله تعالى، فتخسروا ما أعدَّه الله لكم من جنات وفضل وسعادة، الذين تنشغلون بهم عن الله، فكِّروا ما مصيرهم؟ سيموتون وستتركونهم ويتركونكم، ففكِّر بالذي لا يتركك أبداً وإليه المصير سبحانه وتعالى. إذن: الله ورسوله لا يتركونك أبداً، فكِّر بهما.

مثال آخر عن الذين تمتعوا بالدنيا وانشغلوا بها عن ربِّهم فجرَّهم ذلك للتكذيب بالرسول ومعاداته:

18- ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ**﴾: قوم عاد كذَّبوا وعادَوا رسولهم سيدنا هود عليه السلام وما ساروا بالحق، وبهذا عادوا ورجعوا إلى إعراضهم الأزلي وإلى ما أصروا عليه من خيانة لله من أجل شهواتهم، فإيّاكم أنتم أن تكذِّبوا رسولكم. ﴿**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾: بماذا عاد عليهم إعراضهم ومعاداتهم لرسولهم؟

بالرغم من قوّتهم وحضارتهم **{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}**[7]، بماذا عادت عليهم شهواتهم في الدنيا قبل الآخرة؟

19- **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾:** هؤلاء "انبسطوا" بالدنيا وتمتعوا فيها فشغلتهم عن الله والإيمان به وعن العمل الصالح الذي من أجله خلقهم الله، لقد أحبوا الهواء "البسط والكيف" فبنوا الأبنية الشاهقة والتي لا تقارن بها أبنية هذا الزمان، وأشادوا القصور على أعمدة ضخمة ليتخلّلها الهواء من كافة جوانبها، والخلاصة أن دنياهم شغلتهم عن الإيمان بالله، فأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً دمَّرتهم ودمَّرت قراهم وقصورهم وحضارتهم التي شغلتهم وحجبتهم عنه سبحانه وتعالى وعن جناته. **﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾:** عليهم، منحوسون لا خير فيهم، لم يظهر منهم خير قط **﴿مُسْتَمِرٍّ﴾:** عليهم إلى الآن، منذ ألوف السنين وهم لايزالون على هذا الحال من الخوف والرعب ويقاسون الآلام والأوجاع والظلام في عالم البرزخ، وسيستمرون على هذا الحال الجهنّمي إلى يوم القيامة.

20- **﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾:** فلقد كانوا كالنخل عمالقة جبابرة وعمَّروا بالدنيا كثيراً، ولكن عندما جاءهم البلاء عجزوا أن يردّوه عن أنفسهم وصاروا كمثل جذوع النخل المنقعر بانقطاع الحياة عنه وجفافه[8].

سورة القمر: [21-30]

21- **﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾:** الذين لم يسمعوا من الرسل كيف كان علاجهم وتطهيرهم؟ دواؤهم مُرٌّ، فالله سبحانه وتعالى لا يبعث العذاب حتى يقيِّض من يدلُّ وينذر، فكِّروا واعْقلوا حتى تَخلُصوا وتنجوا من الهلاك. ألا يجدر بكم أن تعتبروا بهلاكهم.

والآن الكلام موجَّه لنا:

22- **﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ﴾:** الآن. **﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾:** يسَّره سبحانه وتعالى وبيَّنه لأهل الأرض جميعاً، فهل مِنْ مُدَّكر منكم يشكر الله على فضله هذا، ويرجع إليه بالتوبة والإيمان؟ أمددناكم بفضلنا وذكَّرناكم بالإيمان والأعمال الصالحة وبيَّنا لكم طريق السعادة والجنة، فهلّا تراجعتم عن باطلكم، وسرتم بطريق الحق.

كذلك مثل آخر عن الذين كذّبوا رسلهم، قوم ثمود:

23- **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾:** قوم ثمود سمعوا الحق من رسولهم وصار لهم في بداية سيرهم معه عليه السلام مشاعر وأحوال وأذواق عالية، لكنهم ضيَّعوها وكذَّبوا لأنّهم ما آمنوا إيماناً شهودياً حقيقياً، فعلى الرغم من أن لديهم الإمكانية الكاملة للإيمان والنجاة، إلا أنهم ضيَّعوها باتباعهم لأهوائهم. كم وكم وادّدهم الله وأعطاهم، فما كان منهم إلا أن لحقوا تلك الأقوام الهالكة.

سبب تكذيبهم:

---

[7] سورة فصلت – الآية:15.

[8] وكذلك الآن رغم حضارتهم وجبروتهم لا يستطيعون أن يردّوا عنهم شيئاً من زلازل أو براكين ولا من أعاصير وفيضانات ولا غيره من جائحات مرضية تصيبهم وتصيب أنعامهم، ومن ثمَّ سيأتيهم الهلاك إن لم يتوبوا كما أتى قوم عاد الذين عادوا الله ورسوله، ولن يستطيعوا ردَّه وسيُردُّونَ إلى عالم الغيب والشهادة فينبِّئهم بما كانوا يعملون.

24- ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾: لأنهم ما فكروا قالوا هذا القول، قالوا نحن لدينا علماء وعظماء، نحن نتّبع عظماءنا القدماء آباءنا وأجدادنا السابقين، فهل نتركهم جميعاً ونتّبع فرداً ونسير معه؟ قرّروا أن يلحقوا الأكثرية. شاهَدوه كغيره عليه السلام ولم يفرّقوا بين بيانه وكلام غيره من البشر. بيانه عليه السلام من الله وعن الله، فهل الذين تتّبعونهم كلامهم من الله؟

﴿إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ﴾: إن اتبعناه وسرنا على كلامه نضلّ، الكل سائر بكلام الآباء والأجداد والعلماء، نحن إن سرنا معه وهو واحد نخسر مقامنا بينهم ويتَّهموننا بالضلال. ﴿وَسُعُرٍ﴾: لا يبقى لنا قيمة ومقام في المجتمع ولا عند الناس، يقولون: انظروا هؤلاء تركوا الكل واتَّبعوا واحداً، فيسخرون منا.

25- ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾: هذا غير معقول، أنكروا أنه رسول الله، فهناك على حسب ادعائهم من هو أحق منه بالرسالة، قالوا: نحن أصحاب علم وحضارة ولدينا مفكرون عظماء، فلو شاء الله أن يرسل رسولاً لأرسل شخصاً من عندنا، من عظمائنا وعلمائنا المفكرين. وآخرون قالوا: نحن نتبع ما ألفينا عليه أجدادنا العظماء فهل نتركهم ونسير بدلالته! لكن أين المنطق والحق من دعواهم الباطلة هذه؟! ألم يكن سيدنا داوود عليه السلام سقاءً وقد بعثه الله مرسلاً فجعل من بني إسرائيل سادة العالمين وخير أمة أخرجت للناس بزمنه. وكذلك سيدنا موسى عليه السلام عندما ترك الملك ورماه خلف ظهره وصار راعياً، ألم يجعله سبحانه وتعالى رسولاً؟ فما علاقة المناصب الدنيوية بالرسالة والنبوة؟! ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾: كذَّبوا به عليه السلام وبرسالته هكذا دون تفكير ولا منطق ولا تمحيص، مقياسهم وحكمهم كان هذا بناءً على ما عندهم من دنيا، نظروا له وقيَّموه من خلالها، نظرهم للمال وللجاه والعلوم والحضارة والعظمة لذلك كذبوا. ﴿أَشِرٌ﴾: قالوا: شهّروا به، أشيروا إليه وبيّنوا للناس كذبه كي لا يقتدي به أحد، فهو أول شخص تكلَّم بهذه العلوم لتغدو له الدنيا والمال والجاه والمنصب وليُشار إليه بالبنان، وبهذا الظن وهذا الاتهام لرسول الله كتبوا على أنفسهم الهلاك فقد كذبوا الله بتكذيبهم لرسوله، فهم بذلك قطعوا الطريق إلى الله قطعاً كليّاً.

26- ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾: حين الموت بالهلاك. ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾: سيشاهدون حقيقته عليه السلام وأنه رسول الله وقد جاء لإنقاذهم من الهلاك والنار ومن أجل سعادتهم. سيعلمون عندها من هو الكذّاب الأشر، هل هو أم الذين ساروا بسيرهم.

27- ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾: معجزة لهم، طلبوا من رسولهم معجزة، قالوا فيما بينهم سوف نطلب منه شيئاً لا يستطيع فعله وبذلك نمسك عليه دليلاً أنه ليس رسولاً، فطلبوا منه أن يخرج لهم من صخرة هم حددوها ناقةً مع ابنها، فاستجاب الله لهم وأرسل الناقة مع ابنها من حيث طلبوا، وكانت هذه آخر فرصة لهم. ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾: ليفتتنوا بالحق ويستجيبوا لله، عسى إن فكروا بهذه المعجزة يستجيبون لرسولهم ويؤمنون بالله وبه ﷺ. لعلَّهم يغيّرون، الاختيار والأمر لهم. ﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾: فلعلَّهم بعد أن يروا المعجزة التي هي آخر أمل لهدايتهم يطلبون الحق ويؤمنون، أو لعلَّ أياً منهم يلتفت للحق ويؤمن بالله، فما بعد هذه المعجزة إلا الحكم والفصل في أمرهم.

من رحمته عليه السلام بقومه خاف عليهم من الهلاك وحزن حزناً كبيراً فأمره تعالى أن يصبر على إعراضهم، فصبر عليه السلام بما أنزله سبحانه على قلبه من عطاءاتٍ وأنوار وتجليات ليحوِّله عن حزنه فكان صبره جميلاً، فلعلَّهم يرجعون ويطهرون. إذن كلمة: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ تتضمَّن معنى الصبر لرجاء طهارتهم لعلَّ أحدهم يغيِّر ويبدِّل فتحصل له الطهارة ويتحوَّل عن الدنيا وبعد ذلك يحوِّلون ويغيِّرون جميعاً.

وقد جعل تعالى لهذه الناقة المعجزة شرطاً:

28- ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: هؤلاء زعماء القوم عندهم نهر يسقون منه بساتينهم... أخبرهم عليه السلام أن هذه المعجزة تستوجب تضحيةً منهم، فالماء العزيز عليهم سوف يكون قسمة بينهم وبين الناقة حيث سيكون لها شرب يوم ينقطع فيه الماء عنهم وعن بساتينهم ولهم شرب يوم بعدها. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾: وكان عليه السلام من رحمته وحنانه يحضر القسمة بنفسه ويراقب هذه القسمة، وهذه الآية دليل على سيادة الأنبياء عليهم السلام وعزَّتهم في قومهم.

لم يصبر قومه على هذه التضحية، حب الدنيا قوي مستحكم بقلوبهم لذلك نادوا صاحبهم وهو أرذلهم ليخلِّصهم من الناقة، فلم يتجرَّؤوا على لمسها بسوء وذلك لمهابة سيدنا صالح عليه السلام بينهم ولكونها معجزة من الله تعالى، فلجأوا للمكر والاحتيال في محاولةٍ لتهجيرها من أرضهم.

29- ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾[9]: خدع الناقة وأخذ ابنها منها وبهذا أصبحت عاقراً لا ولد لها[10]، وانتابها على فقدان ابنها حزن شديد وحنين قوي إليه، ولم تعد تشرب الماء، وتركت أرض القوم شاردةً، وهذا هو مطلب القوم.

30- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: بهذا العمل بعقرهم الناقة قطعوا آخر خيط من عنكبوت كان بينهم وبين ربهم، فلم يبقَ لهم طريق للنجاة، فأرسل الله عليهم الهلاك وكانت النتيجة أن هَلَكوا جميعاً عن بكرة أبيهم ولم يبقَ أحدٌ من ذريتهم ينفعهم في الآخرة حيث لا نيَّة خير لهم[11].

سورة القمر: [31-40]

31- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: بلمحةٍ واحدةٍ ذهبوا، فكم هذا الإنسان ضعيف! صيحة واحدة أذهبتهم جميعاً. فلقد كان وقع الصيحة عليهم شديداً لخبث نفوسهم. الصيحة: من المناداة، وهؤلاء ناداهم الله كثيراً عن طريق رسولهم ليعودوا للحق ويرجعوا لكنهم ما سمعوا، حبُّهم للدنيا أصمَّهم عن سماع الحق فلم يؤمنوا، ناموا بالشهوات وعند الموت صحوا من نومهم حيث ذهبت شهواتهم وهنالك سمعوا نداء رب العالمين يناديهم للإيمان والجنات، لكن ما الفائدة من هذا السماع عند الموت وهم مغضوب عليهم؟ فالفرصة فاتتهم. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾: ضعفاء لا حول لهم ولا قوة، عندما جاءهم الهلاك أصبح حالهم كحال الهشيم المحتظر، أي: كالتبن الممضوغ بين فكي الحيوان أو كالتبن الذي يُداس في أرض الحظيرة بقوائم الحيوانات، كذلك عندما جاءهم الهلاك تهشَّموا تهشُّماً كليّاً.

32- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: هذه الآية موجّهة لنا "أهل هذا الزمان"، أظهر الله معاني القرآن، ويسَّر الله لكم فهم معانيه بعد أن فُقدت، فما عليكم إلا أن تفكروا وتطبقوا حتى تؤمنوا فتنجوا حين الهلاك، كان فهمهم للقرآن معكوساً وشروحهم مليئة بالذم لله ورسوله، والناس سائرون على هذا، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: كل من طلب الحق والحقيقة ورفض الدنيا ولذائذها الزائلة وأساليبها

---

[9] الصاحب ساحب، يسحب صاحبه إلى ما هو عليه، لذلك على الإنسان ألا يصاحب إلا المؤمنين الأطهار، فقط صاحبْ رسول الله عليه الصلاة والسلام بقلبك وهذا هو عهدك مع الله.

[10] كلمة عقر: ومنها العاقر، تقول امرأة عاقر، أي: لا تنجب أولاداً كأن يكون هناك مانع يعوق استقرار الجنين في رحمها مثلاً، فلا علاقة بين كلمة عقر وكلمة ذبح كما يقال بأنهم ذبحوا الناقة.

[11] سبب تكرار: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}، إنذار وتحذير وإعادة تذكير ليستدرك الإنسان أعماله لأنه سيقع بلاء رهيب وهو على الأبواب فلا عودة للدنيا بعد هذه الحياة.

الملتوية، هذا نعطيه ونمدّه وهو يتابع السير ويفكِّر بفضل الله عليه حتى يصل للتقوى، الله يمدّه وهو يمشي ويصدق بطريق التقوى ويكرّر التفكير بإمداد الله وفضله العظيم عليه.

33- ﴿**كَذَّبَتْ**﴾**:** جاءت بالتأنيث ولم تأتِ (كذَّب) لأنهم صاروا مثل النساء الكافرات، أرض لماء غيرهم. ﴿**قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ**﴾**:** كذلك كذَّبوا كالذين من قبلهم، كذَّبوا سيدنا إبراهيم وسيدنا لوطاً عليهما السلام، فقد حذَّراهم صلوات الله عليهما من نتائج أعمالهم الخبيثة وأنذراهم من الهلاك، لكن كذبوا وما ساروا بطريق الحق.

34- ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا**﴾**:** انصبَّ عليهم البلاء من السماء ومن الأرض، زلزال وبراكين وكل واحد منهم أصابه ما يستحق وعلى قدر عمله وهلكوا جميعاً. ﴿**إِلَّا آَلَ لُوطٍ**﴾**:** سيدنا لوط عليه السلام وأولاده الذين آمنوا به وساروا معه، كانوا مخلصين صادقين. هؤلاء: ﴿**نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ**﴾**:** وكان وقت الهلاك قريباً من الفجر، "ونجاهم تعالى قبل وقت الهلاك بقليل"، وبتجلي الله على نفوسهم عن طريق سيدنا لوط عليه السلام لم يتوجهوا إلى قومهم أبداً.

35- ﴿**نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**﴾**:** أنعمنا عليهم، نجاتهم كانت نعمة كبيرة من الله عليهم، ثم وبعد هلاك القوم أنعم الله عليهم وجعلهم كلهم أتقياء عن طريق أبيهم سيدنا لوط عليه السلام. ﴿**كَذَلِكَ**﴾**:** هذا قانون. ﴿**نَجْزِي مَنْ شَكَرَ**﴾**:** المؤمن يشكر، المؤمن ينجيه الله حين الهلاك وينجيه من كل سوء وعذاب وينعم عليه جزاء شكره وأعماله وإيمانه، غيره عمله يرجع عليه بالعذاب والخوف والألم.

36- ﴿**وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا**﴾**:** سيدنا لوط عليه السلام حذر قومه من البلاء، قال لهم إن تبتم وآمنتم رُفع عنكم البلاء إن عصيتم وما سرتم بالحق وما آمنتم سيأتيكم العذاب والهلاك. ﴿**فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ**﴾**:** بدل أن يتوبوا تماروا بالنذر، رأوا فيهم عيوباً ونقائصَ وعللاً، والحقيقة أنها عيوبهم ونقائصهم وعللهم رأوها بالرسل، لأنهم فضَّلوا الدنيا على الآخرة وما آمنوا فبقيت عللهم الخبيثة فيهم فظنوها بالأطهار. كمن ينظر بالمرآة فيرى ما في وجهه من علل وأمراض ويظنها من المرآة وينسبها لها.

كذلك هذه الإنذارات التي حدّثهم بها رسولهم محذِّراً نسوها وألقوها خلف ظهورهم وأخفوها بعد أن فهموها وعقلوها، كأنهم لم يسمعوها ولم يروها.

37- ﴿**وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ**﴾**:** وصلت بهم السفالة والوقاحة أن جاؤوا رسولهم سيدنا لوطاً عليه السلام وراودوه عن ضيفه "الملائكة" الذين أرسلهم الله بصورة بشر "شباب جميلون". ﴿**فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ**﴾**:** ما شاهدوا بنور ربهم حقيقة رسولهم عليه السلام لذا طمس الله أعينهم لإخراج خبثهم وانحطاطهم من نفوسهم، هم اختاروا وصمَّموا والله تعالى أعطاهم اختيارهم، ما شاهدوا حقيقة عملهم هذا ولا حقيقة أعمالهم الماضية، فصاروا في الظلام وإلى الآن. ﴿**فَذُوقُوا عَذَابِي**﴾**:** عملهم عاد عليهم بالهلاك والرعب والعذاب، هم اختاروا طريقهم، طريق السفالة والفواحش وسلكوا به فعاد عليهم اختيارهم بذلك. ﴿**وَنُذُرِ**﴾**:** الإنذارات التي أرسلتها لكم ولم تصدّقوها ولم تسمعوها.

38- ﴿**وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً**﴾**:** بعد أذان الصبح. ﴿**عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ**﴾**:** هذا العذاب مستقر بهم منذ ألوف السنين، فهم لا يزالون بالخوف والعذاب والآلام، هذا حالهم إلى الآن، وسيستقر بهم إلى يوم القيامة، ثم ستكون النار مثواهم ليستقرّوا فيها. كل هذا رحمة من الله بهم وحناناً عليهم ليحوِّلهم عن آلامهم النفسية الجهنمية التي فيهم، نار الحسرة والندامة على ما عملوا وفرَّطوا وخسروا، هذا العذاب وهذه النار تشغلهم عما فيهم من الحسرة والعار والخسران.

39- ﴿**فَذُوقُوا**﴾**:** ما عادت به عليكم شهواتكم وأعمالكم. ﴿**عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾**:** بهذا البلاء نقلهم الله من حالة جهنم "عذاب النفس" التي حلت بهم نتيجة إعراضهم وانحطاطهم واقترافهم الفواحش إلى حالٍ أخفّ شدّةً وإيلاماً، حيث ما يلقونه في البرزخ من رعب وخوف وعذاب يخفّف عنهم من حالتهم الجهنمية التي لا تطاق.

40- ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾[12]: الله سبحانه بيَّن لكم ما أصاب الأقوام الماضية التي أُهلكت تحذيراً لكم، وبيَّن لكم طريق السعادة والنجاة دنيا وآخرة، فهل ترجعون إلى الله بالتوبة وتفكرون بفضله عليكم؟ فلقد ظهرت معاني القرآن العظيمة ولم يبقَ لأحدٍ حجَّة.

سورة القمر: [41-50]

41- ﴿**وَلَقَدْ جَاءَ آَلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ**﴾**:** آل فرعون: الذين آلوا له، وسلكوا مسلكه وطريقه، هؤلاء عبدوا وأطاعوا الأشخاص ولم يعبدوا ويطيعوا الله تعالى، جاءتهم النذر، جاءهم رسل وأنبياء وبيَّنوا لهم كلام الله وحذَّروهم من نتائج أعمالهم وسيرهم المنحرف، فشاهدوا الآيات لكنهم أنكروا وما ساروا معهم بالحق، وسبب إنكارهم وعدم سيرهم بالحق، أنهم لحقوا القوة الظاهرية والغنى وظنوا الفعل لغير الله، تركوا الله ورسوله وكلامه تعالى ولحقوا الأشخاص.

42- ﴿**كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا كُلِّهَا**﴾**:** شاهدوا وسمعوا ولمسوا الآيات عن طريق رسول الله ﷺ لكن ما آمنوا، تعلّموا وفهموا كل البيان وأيقنوا به ثم جحدته أنفسهم وفضَّلوا الدنيا على الآخرة، لذلك جاءهم الهلاك. لم يسعوا بذاتهم حتى يؤمنوا، لو سعوا لما نكسوا وتراجعوا. ﴿**فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ**﴾**:** هذه نتيجتهم، أخذهم بأعمالهم، أعمالهم السيئة عادت عليهم وجاءهم البلاء[13].

43- ﴿**أَكُفَّارُكُمْ**﴾**:** الخطاب لآل فرعون، أكفاركم الذين لحقتم بهم وظننتم أن لهم حولاً وقوة، وفُتنتم بهم وبما عندهم من حضارة وفتن ونساء وشهوات. ﴿**خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ**﴾**:** المسلمين؟ انظروا لأعمال وإجرام هؤلاء الكفار، فلا خير فيهم قط، فهم واقعون بالفواحش والخمور والقتل والإجرام، فلِمَ لحقتم بهم وتركتم ربكم ورسولكم؟! ﴿**أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾**:** هل أمركم الله بهذا الاتباع في الكتب المقدسة؟ أم أنه تعالى أمركم بالإيمان والتقوى لتخلِّصوهم إن استجابوا لكم من كفرهم الذي سيجر لهم العذاب والنار في الآخرة.

44- ﴿**أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ**﴾**:** اعتزّوا ببعضهم بعضاً ولم يعتزوا بالله والرسول، الإنسان ما لم يؤمن بالله يشرك ويظن لنفسه ولغيره فعلاً: قالوا إذا اجتمعنا واتَّحدنا تكون لنا الغلبة، كل دعوة لغير الله باطلة خاسرة، بغزوة الخندق اجتمعوا على ضلال ضد الحق وضد رسول الله عليه الصلاة والسلام، فهل انتصروا؟ جاءتهم الريح فانهزموا، كذلك اتّحدوا في غزوة حنين وقد انهزموا، فرعون جمع لسيدنا موسى عليه السلام الجيوش ولحق به وبمن معه من بني إسرائيل فهل انتصر على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام؟ ماذا كان مصيره وجيوشه؟ غرق فرعون ومن معه ودُمِّرت بلاده، وأنتم احذروا وإياكم فعل هذا.

---

[12] إن سبب تكرار هذه الآية هو الحضّ والحث لأن السامعين لديهم عناد شديد ورغم التكرار لا يستجيبون وإلى ربهم لا يؤوبون فيؤمنون فهم لا يسمعون، فالتكرار لكي يسمعوا ويعودوا لربهم.

[13] الآن كل يوم يأتي إعصار، زلزال، بركان... كل هذا بسبب سيرهم المنحرف، لو كان لهم فعل أو حول وقوة لمنعوا عن أنفسهم شيئاً من هذا. كذلك سوف يصيبهم ما أصاب فرعون وقومه من هلاك عام إن لم يتوبوا.

45- ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾: حدث هذا ورأيتم كيف اجتمعوا وانهزموا ولبسهم الذل والعار، لو اجتمعوا على الحق ونُصْرته وعلى قلب رسول الله ﷺ لما انهزموا بل لنصرهم الله، وهذا قانون سارٍ إلى يوم القيامة {**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**}[14].

46- ﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ**﴾: لأنهم لم ينتهوا عن كفرهم وعنادهم كتبوا البلاء على أنفسهم والهلاك، لذا لابدَّ من قيام الساعة، إبليس صدَّق عليهم ظنّه "لأغوينهم أجمعين" فبات بقاؤهم بالدنيا شراً عليهم، لذلك رحمةً من الله بهم يهلكهم لئلا يزدادوا إثماً وعذاباً في الآخرة، ذلك أنهم مهما سمعوا وشاهدوا من آيات لا يمكن أن يتوبوا، فحبهم للدنيا غالبٌ عليهم، وهم مستغرقون فيها وفي شهواتها ولا يُعملون تفكيرهم إلا لدنياهم، وكل أعمالهم تدلُّ على هذا، لذا لابدَّ لهم من الهلاك. ﴿**وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**﴾: ما سيأتيهم من هول وعذاب أصعب وأشدّ وأمرّ مما أتى ومرَّ على كلِّ الأمم السابقة التي أُهلكت، هؤلاء ستأتيهم نار القنابل النووية والأسلحة الفتّاكة من فوقهم والزلازل من تحت أرجلهم، وكذلك فهو أدهى وأمر من كل ما جاء البشرية الآن من حروب وبلاءات وآلام، ذلك أنهم جمعوا كل العلل والعيوب والفواحش والإجرام، وقد حاربوا الحقَّ وأهله.

47- ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ**﴾: هؤلاء القوم لا خير فيهم قط، ما آمنوا وما أقبلوا على الله ليشتقوا منه كمالاً ويعملوا صالحاً لذلك أجرموا ببعضهم فهم في ضلال عن السعادة وعن طريق الجنة، شقاء في الدنيا وعذاب في القبر ونار في الآخرة، كل هذا لأنهم ما تابوا وما ساروا بطريق الحق ثم ماتوا على ضلالهم. ﴿**وَسُعُرٍ**﴾: النار لهم، ولكل واحد منهم عذابٌ ومداواة على حسب ما قدَّم وارتكب وأجرم في حياته فالذي أجرم أكثر عذابه أكبر، كل شيء بسعر، وليس الكل على درجة واحدة.

48- ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ**﴾: جهنم التي بنفوسهم تحرقهم حرقاً وتسحبهم إلى نار الله الموقدة وتجعلهم يرتمون بها. ﴿**عَلَى وُجُوهِهِمْ**﴾: وذلك لأنهم غرقوا فيما واجههم في الحياة الدنيا من شهوات بدل أن يؤمنوا بالله من خلالها، وبهذا تركوا جناتهم وما أعدَّه الله لهم من فضل، ويوم القيامة يشاهدون مبلغ خسارتهم، وتشتعل فيهم نار تلك الفواحش والآثام تحرق نفوسهم حرقاً. ﴿**ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾: ذوقوا ما وقر بنفوسكم من خبث وخيانة، وذوقوا ما عادت به عليكم أعمالكم الإجرامية من العار والندامة حتى صار المقر الأنسب لكم هو النار، فلقد صرتم إلى سوء المقر بدل السعادة والجنة، حيث إنكم أعرضتم عن الله، ودون نور ارتميتم على الدنيا وشهواتها، عَمُوا وخسروا البصيرة وخسروا الدنيا وذهبت بلا رجعة وكذلك خسروا الآخرة، فما أشقاهم!

49- ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾: كل ما خلقه الله ضمن الحق والكمال إن نظرت فيه وفكرت به يوصلك إلى الإيمان بلا إلّه إلا الله ومشاهدة نوره سبحانه. نحن جعلنا أنظمة وقوانين من أجل أن تكسبوا فيها جنات بدل الجنة الواحدة التي كنتم فيها بالأزل، فلِمَ تركتم كلَّ ذلك ولحقتم الهلكى بالشهوات العمياء التي لا تعطيكم شيئاً، ذلك أنّ الله هو المعطي.

50- ﴿**وَمَا أَمْرُنَا**﴾: لساعة الهلاك ووقوعها. ﴿**إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾: بسرعة، بلحظة واحدة كل شيء بزلزلة الساعة يزول وتصبح الأرض جرداء لا مباني ولا معامل ولا حضارة عليها ويعود المجتمع زراعياً بسيطاً. يقول الله سبحانه وتعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**}[15]: فإذا كان الله العظيم يصفها ويقول عنها {**شَيْءٌ عَظِيمٌ**}، فماذا سيحصل فيها وما أعظم

---

[14] سورة الحج – الآية:40.

[15] سورة الحج – الآية:1.

شدَّتها؟! أما البلاد الإسلامية فلن يكون الهلاك فيها عاماً، ولكن الهلاك العام سيقع على بلاد الكفر، لذلك قال تعالى:

سورة القمر: [51-55]

51- ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾: بعد قيام الساعة فالذين أبقاهم الله ممن عندهم الإمكانية للإيمان بالله والتقوى، يخاطبهم تعالى قائلاً: لقد أهلكنا أشياعكم الذين كنتم تعتزون بهم وتظنون أن لهم حولاً وقوة حتى سرتم بسيرهم، والآن بهلاكهم علمتم أنْ لا حول لهم ولا قوة، فها قد ماتوا. نحن أمددناكم بهذا الفضل العظيم، أنزلت لكم بياني ودلالتي على رسولي، بها تصلون للإيمان وللسعادة والجنة، فهل ثمة أحد منكم يفكر بهذا الفضل ويؤمن بالله؟ هل ترجعون للحق بعد الخيانة أم أنكم ستبقون منشغلين ببعضكم ماكثين على الخيانة؟

﴿**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾: الآن وقبل وقوع الساعة، إذ بوقوعها سيعمُّ الهلاك العالم ثم يحلُّ الأمان والاطمئنان إلى يوم القيامة، ولا يبقى إلا دين الحق ولا يعود للكفر قيام ولا وجود وتصبح الجنة في الأرض.

52- ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ**﴾: كل شيء فعلوه موجود في الكتب المقدسة التوراة والزبور والإنجيل والقرآن، الرسل صلوات الله عليهم أجمعين تكلَّموا عن هذه الساعة بالتفصيل وحذَّروا منها، سيدنا عيسى عليه السلام تكلَّم عن أحداث الساعة وعن أوضاع هذا الزمان وكذلك سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، حتى أنَّ سيدنا آدم عليه السلام تحدَّث لأبنائه، وسيدنا نوح عليه السلام تكلَّم عنها لقومه المؤمنين: أنه مهما رأيتم بزمنكم من صعوبات سيأتي زمن أدهى وأمر، ورسول الله ﷺ وصف هذا الزمان وأهله، وكل ما قاله ﷺ من كتاب الله القرآن.

53- ﴿**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾: وكل شيء صغيراً كان أم كبيراً، مذكور ومفصَّلٌ بالقرآن {**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**}[16]. فالقرآن الكريم فيه ذكرنا وذكر من سبقنا وذكر من سيأتي بعدنا، أفراداً وأمماً، رحمةً من الله بهذا الإنسان وحناناً منه سبحانه وتعالى ذكر لنا ما ذكر ليحذرنا منه لئلا نقع ويكون مصيرنا الشقاء والنار.

﴿**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾: كل شيء فعلوه صغيراً كان أم كبيراً مكتوب على صفحات نفوسهم وسيلبسونه غداً يوم القيامة ويظهرون به أمام الخلائق كلِّها، الله سبحانه وتعالى ما كتب عليهم إلا السعادة والجنة لكن بإعراضهم عنه سبحانه وتعالى هم كتبوا على أنفسهم الشقاء والنار.

وعلى العكس تماماً، فإن أولئك الذين استجابوا للحق وسلكوا بطريق الله بصدق صاروا أتقياء وعاشوا بالجنات من الحياة الدنيا:

54- ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ**﴾: بُحورُ النعيم تنصبُّ عليهم، فعلى الإنسان أن يسعى ليصل لهذا، ويسلك بصدق لكي يذوقه، إن جاهد الإنسان بهوى نفسه يرى نفسه تسبح في بُحور الحبِّ الإلٓهي ويشرب شرباً أوسع من السماء والأرض، الذين آمنوا وصارت لهم الشفاعة برسول الله ﷺ هؤلاء بالجنات والسعادة والنعيم من الآن، وفي الآخرة هؤلاء المؤمنون ينتقلون من جنة لجنة، والخيرات والأنوار والتجليات تجري عليهم أنهاراً مستمرة بلا انقطاع.

---

[16] سورة الأنعام – الآية:38.

55- ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ**﴾: كل الرسل لهم مقامات عالية عند ربهم أقاموها بالإيمان والأعمال الصالحة الكبرى، سيدنا إبراهيم عليه السلام أُمر بذبح ابنه فأطاع الأمر وبهذا صار له مقام عالٍ عند الله، سيدنا موسى عليه السلام ضحَّى بحياته وبالملك والسلطان الذي كان سيناله من فرعون بهذا صار له مقامٌ عالٍ عند الله، كذلك المؤمنون المتقون رغم أنهم ليسوا أنبياء إلا أنهم جاؤوا للدنيا وساروا مع الأنبياء، صدقوا، أيقنوا بالموت فأعملوا تفكيرهم فآمنوا وقاموا بأعمال صالحة لذلك صاروا بمقعد صدق، وصار لهم مقاماتهم عند الله بإيمانهم وتضحياتهم وأعمالهم الصالحة التي قدموها.

﴿**عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾: مقاماتهم عند الله سبحانه عالية، لذلك أي شيء يطلبونه يعطيهم الله ويملكهم إياه، يملكهم ما يشاؤون، كلُّ شيء شاهدوه وسيشاهدونه هو ملكٌ دائم لهم، وقد جاء في الحديث القدسي الشريف: **"عبدي كن لي كما أريد أكن لك كما تريد"**[17].

﴿**مُقْتَدِرٍ**﴾: كل شيء يطلبونه ينالونه، ولديه سبحانه وتعالى المزيد، فما يملكونه منه سبحانه وتعالى كله سعادة وحياة بلا نغص ولا كدر ودائماً بازدياد. لا يوجد مستحيل عند الله، كل شيء يحلم به ويتصوَّره الإنسان فهو عند الله هيّن وسهل، يمنحه إيّاه ولكنَّ ذلك كلَّه متوقف على الوصول للإيمان، وعلامة الإيمان محبة الخير لكل الخلائق، المؤمن يحب حتى عدوَّه.

والحمد لله رب العالمين.

---

[17] مدارج السالكين.

تأويل سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرحمن: [01-10]

1- ﴿**الرَّحْمَنُ**﴾**:** اسم الذات الإلَهية "الرحيم" واسم الرحيم خاص بأهل الطاعة من المؤمنين يتجلى عليهم ربهم باسم الرحيم فيحيون حياتهم بهناء وحبور وسعادة تتلوها سعادات أوسع ومسرات ومكاسب ورضى من الله فليس في حياتهم حروب ولا شقاء، خالية من الهم والنغص والأحقاد والآلام والتعاسة، وهؤلاء هم السادة الرسل والأنبياء ومن والاهم بإحسان.

ولكن الناس بعدما حملوا الأمانة وعاهدوا على الوفاء بحمل التكليف وعدم الخيانة وأن يبقى كل منهم مستنيراً بنور ربه وألا يعرض عنه للشهوات وملذاتها دون نوره تعالى، قسم خالف عهده وخان عقده، وترك ربه ونسي كل شيء ما سوى الشهوات، فوقع بالإعراض والأمراض "الأدران" لذا تجلى عليهم ربهم باسم الرحمن لينقلهم بالشدائد من اسم الرحمن إلى الرحيم.

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}[1].

فالرَّحمن: هو المتفضل بالشفاء على جميع المخلوقات. فاسم الرحمن يعمُّ كلَّ موجود، ويشمل خيره كل مخلوق، فكثيراً ما يكون البلاء سبباً في الرجوع إلى أمر الله، وداعياً يدعو النفس المعرضة إلى الإقبال على الله، وهنالك يحصل لها بإقبالها الشفاء والخلاص مما علق بها من أدران.

وبصورة عامة البلاء لمن يستحقه خيرٌ ورحمةٌ من الله، وهو دائماً يعود على صاحبه بالخيرات.

﴿**الرَّحْمَنُ**﴾: فعل الرحمة: يعرف القرآن من عرف أن الله مُسيِّر هذا الكون وما فيه بالرحمة، من عرف صفة الرحمن فقد تعلَّم القرآن، يعرف القرآن من عرف رحمة الله. وبما أن رسول الله ﷺ كان المجلي الأسبق أرحم الناس بالناس وأشدهم رأفة وعطفاً عليهم، لذا تجلَّى الله تعالى عليه فعلَّمه القرآن لينقل به ﷺ الذين خالفوا إلى الجنات العلا، ويزيد أهل الطاعة سمواً وعلواً.

2- ﴿**عَلَّمَ الْقُرْآَنَ**﴾**:** علَّم القرآنَ رسولَ الله عليه الصلاة والسلام، أنزله على قلبه عندما بلغ سن الأربعين وأطلعه على ما فيه، علَّمه اسم الرحمن وأن المسألة راجعة للإنسان واختياره، إن سار بالحق سيَّره الله لغايته وأعطاه وجعل حياته حسنى، وإن اختار الضلال والظلم والمعاصي وصمَّم على اختياره سيَّره الله لما يريد، ولكن على مستحقِّين ظالمين أمثاله، فالسارق لا يسرق إلا من سارق، والقاتل لا يقتل إلا قاتلاً أو مستحقاً القتل بأفعاله السيّئة، والزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة... وأنه لا ظلم في الكون، فالمظلوم ظالم وكل ما يجري فهو بإذنه تعالى ومسيَّر من الله بالحق والعدل، وهو من الله سبحانه فضل ورحمة بهذا الإنسان ليخلِّصه مما سيوقع به نفسه من شقاءٍ ونارٍ أبديةٍ.

﴿**عَلَّمَ الْقُرْآَنَ**﴾: علَّم الإنسان نطق الحق، وعلمه الحق والنطق به.

3- ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ**﴾**:** خلقه وعلَّمه، أوجد فيه الأهلية.

---

[1] سورة الفاتحة

4- ﴿**عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾**:** كذلك علَّم الإنسان البيان وأهّله ليتعلَّم القرآن، فكل من سار بالقانون الذي وضعه الله للإيمان: فكَّر بالموت حتى أيقنت نفسه بفراق الدنيا ثم فكَّر بالكون واستقام على أمر الله فصلَّى وأقبل عليه تعالى بمعيَّة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، هذا صار إنساناً استأنس بربه وصارت الخلائق تستأنس به. المؤمن يعلِّمه الله تعالى معاني القرآن **{وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}**[2].

إذن: خلقهم الله في هذه الدنيا ليعلمهم ﷺ الإيمان فيستأنسوا بالله ويعودوا لارتشاف النور والكمال والمجد والجلال فيصبح كلّ منهم حقاً إنساناً، إنساناً مستنيراً يميّز خيره من شرّه فيعمل الخير فيَسعد ويُسعِد عباد الله ويُقبل على ربه بوجه أبيض فينال بدل الجنة التي كان بها في الأزل جنات وجنات، وإذا بالإيمان الذي تعلمه وسار به نال المكرمات والجنات، وكما قال ﷺ: **"إنّما بُعثْت مُعلماً"**: مُعلِّماً للإيمان، ثم بهذا الإيمان يعلِّمه رسول الله ﷺ البيان ويصبح له: **"إنما بعثت لِأُتمم مكارم الأَخلَاق"** يتمّم له كمالاته ومكارمه.

5- ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾**:** ألا ترى أن هذين يسيران في حساب ونظام، أنت أين نظامك؟

ألا تشكر الله على هذا الفضل وتُقبل عليه، ألا تحمده على بعثة رسوله عليه الصلاة والسلام، شمس المؤمنين المتقين وضياؤهم من جعله الله سراجاً منيراً.

فكما أن للأجسام وحياتها شمساً وقمراً، كذلك فللقلوب وللنفوس شمس وقمر وكواكب. لقد كان سيدنا يعقوب شمساً للرجال وزوجته الطاهرة قمراً للنساء، وأبناؤه الأتقياء كواكب نورانية يهدون الناس سبل الرشاد والسعادة بمعيَّة رسول الله سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: **{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}**[3].

رسول الله ﷺ هو الشمس التي لا تغيب، صورته زالت "جسده الشريف انتقل"، لكن حقيقته السامية باقية، وسيكون من بعده أقمارٌ له يعكسون نور شمسه العظيمة على الناس، هؤلاء تعلَّموا البيان عن رسول الله ﷺ وأخلصوا لله ورسوله، وعقلوا حقائق ما تلاه عليهم ﷺ. قال تعالى: **{وَلْتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[4].

لقد جعل تعالى لكل عصر رجالاً من الناجحين الذين لم يخلفوا بعهدهم في الأزل، جعلهم شموساً بحقائقهم النورانية للإنقاذ والهداية.

6- ﴿**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾**:** كلهم يستمدُّون الحياة من الله، الشجر: الأصل، النجم: الفرع. فالثمر ينجم من أصل، والولد نجم من أب "أصل"، والخلق نَجَمَ من آدم عليه الصلاة والسلام، كلهم محتاج للإمداد من الله.

كما أن للجسم إمداداً فللنفس إمداد، إمداد الجسم عن طريق هذا الكون، أما إمداد النفس فعن طريق رسول الله ﷺ ومن بعده المرشدون الصادقون، فهؤلاء دائماً يطلبون من الله المدد ليمدُّوا المؤمنين به، فهم أبواب للفضل الإلّهي، بهم تسعد الخلائق وتنال الجنات **{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}**[5]. يقول رسول الله عيسى عليه السلام للحواريين: **"أنا الكرمة الحقيقية وأنتم الأغصان"**: أي: يمدُّون الخلق عن طريق شجرة ذلك الزمان "رسول الله

---

[2] سورة البقرة – الآية:282.

[3] سورة يوسف – الآية:4.

[4] سورة آل عمران – الآية:104.

[5] سورة آل عمران – الآية:194.

عيسى عليه السلام" بثمار الجنة، ويغذُّون قلوبهم فلا تبغي بعدها عرض الدنيا الزائل وزخرفها الخدَّاع الفاني.

7- ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا**﴾: هذه السماء بأجرامها العظيمة من شمس وقمر وكواكب ونجوم، من رفعها؟ من جعلها فوقنا؟ هل ثمّة حجر أو حُصَيَّة تقف في الهواء دون حامل لها؟! فمن يمسك السماء وما فيها، بل ويسيّرها نحو النتاج الخيِّر لهذا الإنسان المكرَّم؟ يد من تسيطر عليها وترفعها؟ رفعها من أجلك، فهو سبحانه ليس بحاجة لها ولكن جعلها بهذا الترتيب والوسعة لتلفت نظرك لخالقها وموجدها جلَّ وعلا، رفعها ووضع لك الفكر لتفكِّر بآياتها وبعظمتها، إن فكَّرت آمنت كما آمن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ورأيت عظمة الله وسمت نفسك بالله وعلت. إذ بالإيمان كمال النفوس وسموّها.

والحقيقة أن كلَّ إنسان وله سماء. قبل أن نأتي لهذه الدنيا كنَّا بسماء واحدة بظلال جنة واحدة. والله تعالى أرسلنا للدنيا ليعطينا ويهبنا الأكثر، فهو جلَّ وعلا لا يريد لنا الوقوف عند سماء واحدة، بل السمو والازدياد بسماواته لننهل من عطاءاته التي ليس لها حدٌّ ولا نهاية.

﴿**وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾: التشريع، الحق بين جميع الخلق. ﴿**وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾: الفكر الذي تميّز به الإنسان عن سائر المخلوقات. فلقد وضع تعالى في الإنسان هذا الفكر ليسلك طريق الإيمان فيتعرّف على خالقه وموجده من خلال خلقه وتمام صنعه، يزن الحقائق بفكره ويميّز بين صنع الخالق وصنع المخلوق عندها يرى أن لا عظمة إلا عظمة الله ولا حول ولا قوة إلا به تعالى ولا جمال إلا من لدنه ولا حياة ولا قيام إلا به، وكل ما عداه باطل، فهو معدن الخير وأصل كل فضيلة وكمال، أما إن لم يتعرَّف الإنسان على خالقه وموجده فيبقى في منازل البهيمية والحيوانية يرتع.

8- ﴿**أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ**﴾: فلا تطغَ في تفكيرك، ولا تستعمله بالطغيان، وضع لك الفكر لتصبح إنساناً تأنس بك المخلوقات كلّها. ولكن استعمال هذا الفكر للاستعلاء على الغير والتسابق بالمهالك يجعل المرء يخرج من صنف الإنسان إلى صنف الشيطان المؤذي المتعدّي، فيخسر حياته ويخسر الجنان.

فالله تعالى لم يضع الميزان من أجل أن تطغوا على بعضكم وتخترعوا المخترعات الضارة المدمرة، فالذين اخترعوا هذا الضرر والدمار طغوا بتفكيرهم على بعضهم واستعملوه فيما لم يخلق من أجله، فأحدثوا الخراب والحروب ونشروا الفساد بين العباد فأشقوا أنفسهم وغيرهم بما اخترعوه حتى أصبح حال الناس إلى ما هم عليه الآن من الانحطاط؛ فواحش وربا ورشوة وسرقة وقسوة وطغيان وحروب.

9- ﴿**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ**﴾: لا تطغَ، بل فكِّر بكل شيء ضمن الحق والخير، كل شيء له حق فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقّه.

فليفكِّر الإنسان بصنع الإلّه عندها يستعظمه وتتّجه نفسه إليه تعالى فيصبح من أهل الإيمان، وليقارن بين كمالات الرسول ﷺ وأعماله وما جاء به من بيان عالٍ وحق، وبين ما تقوم به البشرية، عندها يسير على نور بالحق الراجح ويسلك الطريق بقوة ليحظى بالمكرمات، فقد جاء للدنيا وربح منها جنات، فهو من الناجحين المهتدين حيث كسب عمره الثمين وحقّق المراد الخيِّر من وجوده.

﴿**وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾: ولا تهمل تفكيرك كالحيوان. فتضيّع عليك الشيء الثمين الذي أعده الله لك، لا تطغَ فيه باستعماله للدنيا ومتاعها، ولا تخسره بعدم استخدامه للوصول إلى الله والتفكير بآلائه.

فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل، فتهمل استعمال هذا الميزان حتى يصدأ، حذار أن تتّصف بوصف الحيوان فتخسر الدنيا والآخرة، وتكن أشقى الناس.

10- ﴿**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ**﴾: جعلها لإنماء الخلق من بشر وشجر وحيوان.

الأرض حجر كبير يدور وليس منه شيء، فعلى المرء أن يسعى بالإيمان ليتعرَّف على تلك اليد التي تمدُّ وتنمي وأن يرى التجلّي الإلّهي الذي يشمل هذه الأرض وما عليها بالعطاء والنماء، فيجتهد ويجد في الصالحات ويترك النوم والاستغراق بالشهوات، فيرى أن هذه النفوس لا شيء فيها، إنما أودعها الله ووهبها من عطائه لتنمو. وضعها من أجل أن ترقى ومن أجل أن تكسب جناتك الأبدية وذلك بالتضحية بما تحبُّ وتشتهي وبما تقدمه من عمل صالح.

سورة الرحمن: [11-20]

11- ﴿**فِيهَا فَاكِهَةٌ**﴾: كل ما تشتهي من لذائذ، فالله سبحانه وتعالى وضع فيها كل شيء، كل ما تحتاجه موجودٌ فيها. وهذه ليست غاية بل وسيلة لغاية، لتؤدي ما خُلِقت لأجله، كمن يمنحك أجراً سلفاً لتعمل ما أوكل لك من مهام، أما إن أخذها المرء ولم يُؤدِّ ما عليه من واجب فيكون بذلك من المذنبين وتكون عليه حجباً. ﴿**وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ**﴾: ثمرها في قشرة كالكيس ينزلق حين تنضج.

12- ﴿**وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ**﴾: كالحمص والعدس قشره ييبس ويذهب. ﴿**وَالرَّيْحَانُ**﴾: ومن له رائحة جميلة. كذلك إن استقام المرء وأدّى المطلوب يهبه الله أولاداً وذريةً صالحةً تعصف بالكفر، ونتيجتها روح وريحان بما تفيض على البشرية من كلام رسول الله ﷺ.

الخطاب موجَّه للإنس والجن:

13- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: فكيف تكذِّبون بما آل إليّ صنعه وخلقه.

14- ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾: من تراب طاهر، خلقه خلقاً كريماً فهو صلصال أي ذو رنين من أي النواحي جئته، أي: فيه أهلية عظيمة، وهو من شيء كله فَخَار من الفخر والعز، إذا آمن الإنسان صار فخر الكائنات، الفخَّار يوضع في النار ويخرج معقَّماً نقيّاً خالياً من الشوائب، كذلك خلقك الله أيها الإنسان من التراب، فالله تجلّى على هذا التراب وذاك التجلّي كان فيه حمو، أي: حرارة، فغدا التراب صلصالاً نقياً طاهراً خالياً من أي شائبةٍ.

وكما كان خلق الأجسام طاهراً كذلك النفس خُلقت طاهرة، المولود يولد على الفطرة فلا يعرف الكذب ولا الخداع، صفحة بيضاء.

15- ﴿**وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ**﴾: خلقهم من لهب النار وهو طهور، طهَّرهم ونقَّاهم، أجسامُهم مثل أجسامِ الإنس لكن أصل خلقها من مارج من نار، أي: من لهب النار وهو أطهر شيء فيها، وهم مكلَّفون مثل الإنسان.

16- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: من خلقكم؟! من ربّاكم؟! من نمّاكم؟! هذه الآية خطابٌ من رسول الله ﷺ للإنس والجن الذين ما آمنوا رغم ما شاهدوه وسمعوه منه ﷺ من بيان عالٍ سامٍ.

17- ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ**﴾: شروق الشمس والقمر وغروبهما، (هذا الفَلك والمدار).

للإنس مشرق وللجن مشرق، فالشمس تشرق علينا وعليهم، وكذلك لها مغربان حيث تغرب عنا وعنهم.

18- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾**:** خطاب رسول الله ﷺ لعالم الإنس وعالم الجن: هل لأحد منكم تدخل بهذا؟ هل منكم من يُشرق الشمس ويغربها؟ إذن فلِمَ تكفرون بالله وتكذِّبون!

19- ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**﴾**:** لعلَّهما البحر الأحمر والمحيط الهندي.

20- ﴿**بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ**﴾**:** بينهما جزيرة العرب لا يغرقانها. هذا بيان للنعمة التي أنعمها الله على أهل الجزيرة العربية فلو طغى البحران عليها لأصبحت في الماء غارقة. كذلك هناك برزخ أي حاجز بين المياه المالحة والمياه العذبة فلا تختلطان مع بعضهما أثناء وجود الماء الحلو في البحر المالح.

﴿**مَرَجَ**﴾: فصل. ﴿**الْبَحْرَيْنِ**﴾: عالم الإنس وعالم الجن. ﴿**يَلْتَقِيَانِ**﴾: الشياطين منهما يلتقيان نفسياً. ﴿**بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ**﴾: وإن التقيا نفسياً لكن لا تأثير لهما على المادة، لا يبغيان بالمادة:

فالجن مكلفون مثل الإنس، إن آمنوا نجحوا ولهم الجنة، وإن كفروا وكذَّبوا رسبوا ولهم النار، سمُّوا بالجن لأنهم مستورون عن أعيننا وهذا هو المفروض. أخفاهم وحجبهم الله عنا لأنهم ضعفاء وشهواتهم وميلهم للدنيا كبير، فالاختلاط معهم يُضعف الإنس، لذلك جعل الله بيننا وبينهم حاجزاً وحجاباً فلا نحن نراهم ولا هم يروننا، ولا يستطيعون الظهور بأجسامهم والحضور بها أو أخذ أي شيء من أمتعتنا وغيره، فهم تحت السيطرة الإلَهية، إلا أن الشياطين منهم يروننا ويستطيعون الخروج إلى عالمنا بأنفسهم وإلقاء الوساوس والشهوات في نفوس الإنس ليوقعوهم في الفواحش، هذا لمن في قلبه مرض من حب للدنيا أو القاسية قلوبهم، أما المؤمن فلا سلطان لهم عليه. أيضاً السحرة من الإنس لا يستطيعون أخذ شيء من عالم الجن.

سورة الرحمن: [21-30]

21- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾**:** أليس هذا بصحيح؟ أليسوا تحت الهيمنة والسيطرة الإلَهية؟ يد الله على الكل وقانونه سارٍ على جميع مخلوقاته، فلا يبغي أحدٌ على أحدٍ إلا بإذنه وضمن الحق، فلِمَ لا تسلكون طريق الحق بصدق طلباً للنجاة؟!

22- ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾**:** من كل منهما يخرج نوع من هذين أو من كليهما، كذلك الذي أقبل على الله شاهدت نفسه نور الله واستنارت، هذا دائماً نفسه تتلألأ بالأنوار والتجلّيات التي يصبها الله عليها، تمرُّ المسرات والأحوال العالية على نفسه ولا يشعر به أحد، مستور عن غيره، ويوم القيامة تتلألأ أعماله أمامه وتعود عليه بالمسرّات والسعادة. أما الذين أعرضوا ما فكروا، ما شاهدوا نور الله وأسماءه الحسنى هؤلاء قلوبهم في الظلام. مرّوا في الدنيا وشهواتها المحرَّمة وأوقعوا أنفسهم في الظلمات.

23- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾**:** رسول الله ﷺ بلَّغ الإنس والجن كلام ربه ودلَّهم على الإيمان وطريقه. جاءهم بحقائق يقينية واقعة وليست كلاماً، ولكن هذا البيان لا يراه إلا المؤمن الذي استأنس بالله.

24- ﴿**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾**:** السفن التي أنشأتموها تسير في تيه بإذن ربها بما يرسل من رياح.

والآن هذه السفن والبواخر الضخمة والتي تحمل على ظهرها الآلاف من المسافرين والألوف من الأطنان من الأمتعة والبضائع فهي في ضخامتها وطبقاتها المتعددة وعلوّها كالأعلام أي كالجبال، فكيف يحملها الماء اللطيف؟! من جعل للبحر والمياه هذه القوانين في حمل البواخر؟!

25- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: أليس الله سبحانه هو الذي خلق فيها البحار وخلق هذا الضغط العظيم لتحمل سفنكم؟ هل تستطيعون أن تنكروا هذا وتكذبوا به، أتستطيعون أن تنكروا علمه ورحمته وحنانه سبحانه؟

26- ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾: بعد كل هذه النعم وهذه المخلوقات يجب أن تعلم أنها إلى زوال وأنه ليس لك أخيراً إلا الله وكل ما على الأرض وغيرها لله يرثه. الكل فانٍ حتى جسمك أيها الإنسان سوف يفنى.

الإنسان مركَّبٌ من نفس وجسد وروح، الروح من عند الله والجسد من التراب والنفس خالدة لا تموت، أجساد الأنبياء لا تفنى لأنهم ما نظروا إلا بنور الله، دائماً شاخصون ببصيرتهم إلى الله، قدَّموا أعمالاً كبرى وبإقبالهم الدائم على الله تعالى انعكس هذا الإقبال على أجسادهم فصارت شموساً نورانيةً لذا حرّم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. أما غيرهم من البشر فأجسادهم تفنى بسبب انقطاعهم عن حضرة الله وبانقطاعهم هذا وقعوا بالخطأ، والنفس بعد الموت تشاهد خطأها فتحزن وتتعذب وتتألم من مشاهدته فمن رحمة الله تعالى بهم يُفني لهم أجسادهم حتى لا يتذكروا أعمالهم وأخطاءهم التي قاموا بها بأجسادهم. أما الذين آمنوا وارتبطوا بالرسل والأنبياء وقدموا أعمالاً كبرى فالله تعالى لا يفني لهم أجسادهم لأن النور الناتج من أعمالهم الكبرى غطّى ومحى كل شيء سيئ قاموا به بالماضي.

27- ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾: الله سبحانه وتعالى تعهد ألا يواجهنا ويعاملنا إلا بأسمائه الحسنى، وهو سبحانه وتعالى متجلٍّ بها على رسوله عليه الصلاة والسلام، والله يواجهنا بأسمائه من خلاله ﷺ لذلك خاطبه قائلاً: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾: يا محمد. ﴿**ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾: دائماً متجلٍّ عليك وعلى من معك بالإكرام والسمو بعطاءات إلَهية وفيوضات ربانية وجنات. فأولئك الذين لم يُفنِ تعالى أجسادهم فقد تجلّى عليها بنوره وأكرمهم بعدم فنائها.

28- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: لماذا تكذبون بهذا؟ أما شاهدتم أن أجسادهم لا تفنى، وقصة نور الدين "نور اليد" الزنكي رحمه الله حين لمس بيده جسد رسولنا الكريم ﷺ بعد مئات السنين في ضريحه الشريف. أليست هذه آية من آياته سبحانه وتعالى لكم لتسيروا بالحق؟

29- ﴿**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: الكل مفتقر إليه تعالى بالحياة والنماء والبقاء ويستمدُّون منه ويتطلّبون من فضله وعطائه، وكل ما في الكون من نجوم وكواكب وشمس وقمر وأجرام كلها تتطلّب الوجود والبقاء والإمداد ومفتقرة للعطاء الإلَهي، وكذا كل من في الأرض يتطلّب منه تعالى لديمومة بقائه وحياته. فالاختيار للإنسان والله يعطي كل إنسان ما اختاره لنفسه. الأب يحن ويعطف على ابنه والأم كذلك، هذه العواطف نابعة من الله، والله مع الأنفس كلها وهو سبحانه المعطي.

﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾: فهو في كل لحظة في شأن يعطي كل طالب حقه.

كلمة: {**يَوْمٍ**} مأخوذة من: (أَمَّ -يَؤُمُّ)، وتعني هنا أنه في كل لحظة وكل لمحة يعطي تعالى كل طالب حقه وما تتطلب نفسه.

هو تعالى محيط بالكائنات جميعها من الذرة إلى المجرة ويعطي كل نفس شهواتها ومتطلباتها ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وهو تعالى معكم أينما كنتم أرواحكم بيده تعالى.

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}[6]، وله تعالى ما في السماء والأرض فهو الخالق الممد الرازق وحده لا شريك له.

30- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** لماذا تقولون إلٰهين اثنين، هل من أحد غيره سبحانه بمقدوره فعل هذا؟ هل المخلوق يعطي شيئاً! ينزل الأمطار، وينبت الزرع لتأكلوا وتشربوا، ويأتي بالليل والنهار ويتوفى النفس عند الموت وبالنوم؟

سورة الرحمن: [31-40]

31- **﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾:** سنعطي كلاً سؤاله وطلبه بحق. **﴿أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾:** أيها الإنس والجن، يا من حملتم الأمانة وتصديتم لها بالأزل، سنفرغ لكم وسنعطيكم عطاءً كبيراً دائمياً متنامياً، ولكم الجنة والسعادة والنعيم إن وفيتم بعهدكم.

32- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** كل شيء من عند الله، المخلوق لا يملك شيئاً ولا يستطيع أن يعطي شيئاً، الذي خلق الكون ويمده ويسيره هو المعطي سبحانه وبيده السعادة والجنة لكم، فهل تكذبون بهذا؟! كيف تتركونه سبحانه وتلتفتون لبعضكم!

33- **﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾:** قدَّم الله الخطاب للجن على الإنس لأن الإنس وهم الأعلى عاشروا بنفوسهم شياطين الجن فأصبحوا دونهم وصاروا يسمعون منهم، طبقوا ونفَّذوا ما ألقوه عليهم، فكل هذه الاختراعات المدمرة هي من وساوس الشياطين ووحيهم. **﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ﴾:** لن تستطيعوا ذلك. **﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾:** بقدرة ومعرفة وعلم. من استطاع أن يخرق ذهاباً صعداً في السماوات أو غوصاً في الأرض فله ذلك، ولكن يجب أن يعدَّ العدَّة فلا نفاذ إلا بسلطان. إن فكروا وصدقوا بالطلب فالله سبحانه وتعالى يمكّنهم من الصعود ولهم ما أرادوا واختاروا.

34- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** أليس هذا صحيحاً؟

35- **﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾:** فمن ينفذ يجد له شهاباً رصداً من نار وشرر فلا ينجح مسعاه. خرجوا من أقطار السماوات بنيَّات خبيثة ليدمروا بعضهم بعضاً بالأسلحة التي وضعوها على مراكبهم وسفنهم الفضائية، الدنيا مدرسة أتينا إليها لنتعرف على الله سبحانه ونكسب الكمال ونتال شهادة "لا إلٰه إلا الله" ونعمل بالإنسانية. فالكون كله جعله الله معامل للأرض التي عليها سيد الكائنات "الإنسان" لتأمين ما يحتاجه، فالشمس لها وظيفة والقمر والنجوم لها وظائف تؤديها للأرض، والإنسان لا يمكن أن يعيش إلا عليها، فيها يحيا ويكون له السلطان فكل طلباته موجودة فيها، ولا حياة في الكون إلا على الأرض. وعلى سبيل المثال نقول: لو أن طالباً في المدرسة شاهد مصباحاً فوقه في صفه فترك الدرس وصعد إليه يلهو ويلعب به، فهل هذا مقبول منه؟ وإذا كان كلُّ طلاب المدرسة كهذا الطالب، عندها ألا تغلق المدرسة أبوابها ويُطردون منها؟ كذلك هؤلاء ستعود عليهم أسلحتهم بالدمار، والنار سوف تحرقهم وتدمِّر كل حضارتهم فلا ينتصر أحد على

---

[6] سورة الزخرف – الآية:84.

الآخر، وتعود عليهم بالبلاء والشقاء والأحزان والخسران لأنهم استعملوا فكرهم "السلطان" بالطغيان والتعدّي. **{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ}**[7]. ثم ومن بعد ذلك سيظهر سيدنا عيسى عليه السلام.

36- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** الله سبحانه وتعالى ما أعطاكم هذا الفكر وميَّزكم به عن العالمين لتقتلوا وتدمروا بعضكم، بل لتؤمنوا بربكم وتنالوا كمالاً منه وتصبحوا إنسانيين تعاملون بعضكم بالرحمة والخير والإحسان، أليس هذا هو الحقّ؟ إذاً لماذا تُكذِّبون وتعملون عكس هذا وأنتم تعلمون ذلك؟

37- **﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾:** وانشقاق السماء: انفتاحها وذهابها عن الإحاطة بالأرض. **﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾:** وفي الآخرة عندما تكشف الحقائق يجد الإنسان أن الحياة الدنيا كانت وردة وردت "من الورود إلى الماء" أي: انسروا وانبسطوا فيها كثيراً والآن ذهبت عنهم. **﴿كَالدِّهَانِ﴾:** دهن لا قيمة فيه، فالدنيا وما فيها من لذائذ لا قيمة لها أمام ما أعدَّه الله لهذا الإنسان من جنات وعطاءات وسعادة في الآخرة.

كل خيرات الأرض من السماء، الأنوار، الأمطار، الدفء والحرارة. لكن هذه الخيرات غير دائمة، يموت الإنسان ويتركها ثم يوم القيامة تنتهي فهي للجسم فقط، فمن الذي يمدُّ السماء لتمدَّ الأرض؟ إن آمن الإنسان وصار له نور يرى أن الممد هو الله، ويعلم أن الدنيا زائلة ماضية وذاهبة لا قيمة لها كالدهان.

38- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** الذي خلق السماوات وأقامها على هذه الوسعة والعظمة وأمدّها ويمدُّها بالأنوار وبهذا الجمال، وهي مفتقرة لهذا الإمداد، أما هو قادر على إزالتها يوم القيامة؟ فلِمَ هذا التكذيب؟ فكّروا بهذا.

39- **﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾:** لأنهم يُعرفون بسيماهم فيؤخذون بالنواصي والأقدام لعلاجهم، كمثل الجرحى والمرضى الذين يصرخون من الألم في سيارة الإسعاف فهم لا يُسألون عن سبب جراحهم وآلامهم بل يُسعفون بسرعة لغرف العمليات لتقديم الإسعافات الضرورية لهم.

40- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** لمَ التكذيب والإنكار، ففي قوانينكم هل تجعلون وتعاملون المجرم كالمحسن؟

سورة الرحمن: [41-50]

41- **﴿يُعْرَفُ﴾:** ساعتها. **﴿الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾:** من أجرم في الحياة الدنيا يأتي وإثمه ظاهر عليه يلسبه. **﴿بِسِيمَاهُمْ﴾**: بالشيء الذي ساموا به أنفسهم في الدنيا، حالته معبرة عمَّا فيه من ذل وعار وآلام. هؤلاء عند موتهم في القبر تقع عليهم أهوال كبرى، وعند خروجهم يوم القيامة من الأجداث حالتهم تكون ظاهرة على وجوههم من شدة ما عانوه **{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا}**[8]: وجوههم مُزرقَّة من العار والعذاب.

---

[7] سورة النحل – الآية:26.

[8] سورة طه – الآية:102.

﴿**فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**﴾: فيلقى من رأسه وأقدامه إلى جهنم، وسبب إلقائه هذا أنه شاهد ما خسره، فلقد خسر جناته ونوره الأزلي فناصت نفسه وانطفأت بسبب إجرامه وما أقدم عليه من أعمال سيئة.

42- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: لماذا لم تؤمنوا بلا إلّه إلا الله حتى تخلصوا من العذاب، من الذي خلقك، وخلق أمك وأباك؟ من الذي يأتي بالشمس والقمر والليل والنهار والأمطار؟ أليس هو الله تعالى صاحب الرحمة والحنان عليك؟ غداً سترى ذلك. هذه الحقيقة تجعل الإنسان غداً يحترق خجلاً من ربه فيلقي بنفسه في النار.

43- ﴿**هَذِهِ جَهَنَّمُ**﴾: هناك فرق بين عذاب جهنم وعذاب الحريق، يقول تعالى: **{فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}**[9]. فجهنم تشتعل في نفس الإنسان، لأن الله سبحانه وتعالى أهَّلهم ليبلغوا مقاماً وجاهاً عظيماً لكنهم لم يبلغوه، ضيَّعوا ما أعدَّه الله لهم بسبب وقوعهم بالشهوات والمحرمات وما قاموا به من أعمال سيِّئة عندها تحيط بهم نار الحسرة والندامة والخسارة والعار، حيث لبسوا ثوب القذارة والأوساخ عندئذ يلبسهم حال الخجل والذل أمام الله والخلائق، وهذه هي نار جهنم، ولا تطفئها إلا نار الله الموقدة التي أعدَّها الله لهم. نار جهنم نابعة من حالهم النفسي أما نار الله فهي رحمة بهذا الإنسان المعرض حتى تنسيه ما به وتحوِّله عنه. والحقيقة أن نار جهنم من الدنيا أحاطت بهم لكنهم الآن ملتهون عنها بالشهوات، كالمخدر بالنسبة للمريض، وعند الموت وفي الآخرة لا تبقى شهوات، وينتهي مفعول الشهوات المخدِّرة للنفس فتصرخ ألماً وتطلب تسكين آلامها فترمي بذاتها في النار. نار الله تجدي لكن لا تشفي، لا يشفي النفس ويطهِّرها إلا إقبالها على الله، وهي والحالة هذه والخجل والعار يلبسها لا تستطيع الإقبال عليه سبحانه ودخول الجنة.

﴿**الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ**﴾: يقال له: هذا ما كنت تكذِّب به في الدنيا، كانوا إذا جاءهم من يرشدهم ويدلهم على اجتناب المحرمات يقولون ما هذا الكلام! البسط في النساء والخمور والسهر والسمر "وكلها إلى زوال"، لذلك صاروا مجرمين لا عمل صالح لهم.

44- ﴿**يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ**﴾: بين لهيبهم بنار جهنم، نار الذّل والحسرة وبين نار الله الموقدة. وكلما خفّت عليهم نار الله الموقدة زادهم الله عذاباً لينسوا عذابهم النفسي. **{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}**[10].

﴿**آَنٍ**﴾: السريع والحالي الآني. يُجدي ويُذهب ألم جهنم ولكنه لا يشفي، فلا شافي إلا الله.

45- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: لماذا كذبتم وأنكرتم واستكبرتم على الله وعلى من أرشدكم حتى وصلتم لهذا الحال؟ هذا يدل على أنَّهم ما فكروا بما جاءهم من الله على لسان رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، لو فكَّروا ما أنكروا وما أوقعوا نفوسهم في جهنّم التي أحاطت بهم من الدنيا، الآن حياتهم شقاء، آلام، ضيق، همّ، ضنك، لذلك يلجؤون للخمور والمخدرات والمسكِّنات ثم بعدها إلى الانتحار ليخلصوا من حالهم، وغداً ليس لهم إلا النار ليخلصوا من جهنم التي فيهم.

46- ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾: خاف أن يغضب الله منه ذلك لمعرفته مقام ربه، هذا فله جنتان، جنة نفسية وأخرى ذوقية، أولئك هم الأنبياء والرسل يخشون أن ينقطعوا عن الله لحظة واحدة وكذلك أهل التقوى. ﴿**جَنَّتَانِ**﴾: جنة في الدنيا وجنّة في الآخرة.

---

[9] سورة البروج – الآية:10.

[10] سورة الإسراء – الآية:97.

الذي يخاف في الدنيا لا يخاف ولا يفزع في الآخرة، النفس إن لم تخفْ على مصيرها تظلّ منكبة على شهواتها المحرَّمة وتصرّ عليها، إن فكَّر الإنسان بالموت خافت نفسه من سوء المصير وخسارتها الحياة الأبدية، وتخاف أن تواجه ربها يوم القيامة دون توبة، عندها وبهذا الخوف تتحول النفس عن الشهوات وتشتبك النفس مع الفكر، فإذا نظر الإنسان بالآيات وفكر فيها يرى من عظمة الله بالجبال، ومن وسعته سبحانه بالسماء والبحار، ومن أنواره بالنجوم والشمس والقمر، ويعرف حقيقة رسول الله ﷺ السامية فيخاف على رضاء الله ولا يخاف منه تعالى.

47- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** أليس هذا بصحيح؟ انظر حال المؤمن وسعادته في الدنيا وحال العاصي وتعاسته وشقاءه، فلماذا هذا التكذيب؟

48- **﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾:** جنتان لا نهاية لهما من فن إلى فن، فِتنتُهما وبدائعهما متنوعة، ومن جنة لجنة أعلى وكلٌّ جنة فيها الغرائب والعجائب، أعمال الأنبياء والرسل عليهم السلام كلها عجائب وغرائب، لهم فتوح بالعيان وفتوح قلبيٌّ بالخفاء، فالذين ارتبطوا معهم شاهدوا هذا الشيء وانعكس عليهم وصارت على أيديهم أفانين وأعاجيب وغرائب تكاد لا تُصدق، فعلى سبيل المثال الصحابة الكرام إن كان أحدهم في جيش فلا يُهزم هذا الجيش أبداً.

49- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** أليس هذا البيان حقاً ومنطقياً؟ لماذا لا تفكرون به، فكروا حتى لا تكذبوا، إذا خافت النفس من الموت عندها الفكر يعمل، بالتفكير تشهد النفس فضل الله عليها، عندها تعيش بالجنة في الدنيا والآخرة.

50- **﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾:** إن هاتين اللّذَّتَيْن دائمتا الجريان لا انقطاع بهما، ما يصبُّه الله من لذائذ وعطاءات وفضل وأعاجيب جارٍ عليهم جرياناً مستمراً لا انقطاع له، وكل من أحبَّهم وتعلَّق قلبه بهم صارت تجري عليه الخيرات والجنات والأنوار القلبية، فكل العطاء والفضل الإلَهي عن طريقهم.

سورة الرحمن: [51-60]

51- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** لماذا لم تؤمنوا حتى تصلوا لهذا الشيء؟

52- **﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾:** زوجان من اللذة، نفسية وذوقية. إنَّ المؤمن يتذوق فواكه الجنة لا بفمه وإنما بنفسه يلتذُّ بها، إذ إن اللب فيه فائدة الجسد وذلك لا حاجة له في الجنة.

وكذلك فإنه في إقبال على الله فهو في جنة دائمة، ففي كل حالة تفَكُّهٍ يجد لذَّةً في نفسه مما في مآكل الجنة ولذة في نفسه أيضاً من إقباله على الله وعروجه اللانهائي في كمال الله.

53- **﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:** لماذا كذبتم حتى ضيعتم هذه الخيرات والعطاءات على أنفسكم.

54- **﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾:** أتته هذه اللذائذ من اتكائه على ما فَرَشَ في الدنيا من أعمال. بطانتها نية عالية وكمال جعلها لمّاعة، فكان جناه دانياً قريباً وثمرة أعماله بيِّنة سريعة.

هؤلاء بإيمانهم صار لهم نوايا عالية وبهذه النوايا قاموا بأعمال كبيرة صارت تبرق بنواياهم العالية الكاملة أمامهم بالأنوار، فجنوا من أعمالهم الصالحة الجنة، وجرت عليهم بالنعيم والسعادة، وفي الجنة لا تعب ولا نصب كما في الدنيا، بالآخرة اطلب تُعطَ، أيُّ شيء تطلبه النفس يأتيها على الفور ويصبح ماثلاً أمامها.

55- ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فكروا حتى لا تخسروا هذا الفضل والعطاء، الذين صَدَقوا وطبقوا نالوا.

56- ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: تقصر الطرف حياءً، من شدة الحياء المشتق من الله وهذا رمز لأقصى الجمال، فجمال المرأة حياؤها. صار لهن حياء بالإمداد الذي عليهنَّ من الله، وكلما زاد الإمداد أكثر زاد حياؤهن وزاد جمالهن. كذلك الأطفال الإناث اللواتي لم يبلغن سن التكليف بالدنيا ومتْنَ، فبالآخرة يصبحن من قاصرات الطرف، حتى ولو كانت جنيناً في أُولى مراحل تشكلها فإنها تصبح بالآخرة امرأة كاملة ذات جمال لا مثيل له في الحياة الدنيا.[11] ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾: لم يقترب منهن إنس ولا جان طاهرات مطهَّرات. صافيات كالألماس الساطع، إذ لم تتلوث نفوسهن بل هنَّ بصفاء ونقاء محفوظات بالنور الإلّهي.

57- ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: الذين كذبوا خسروا هذا الشيء في الآخرة، من أجل النساء تركوا الآخرة وما فيها من جنات وعطاءات، وغداً يشاهدون مبلغ خسارتهم التي خسروها.

58- ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾: صفاءً. ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: احمراراً.

هذه المشاهدات واللذائذ وهذا الفضل والعطاء الإلّهي قوت وغذاء للنفس، وهذا العطاء مخفي عن غيره لا يراه إلا هو، كل إنسان وجنته، وغيره لا يدري ولا يشاهد ما هو فيه من جنات.

59- ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: الآن ضيَّعوها على مذبح شهوات الدنيا لأنهم ما آمنوا.

60- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾: فبعد كل ذلك: هل لك أيها الإنسان إلا أن تجازي الإحسان بالإحسان، الله سبحانه وتعالى يحسن إليك أنت أَحسِن لعباده، الإحسان عطاء بلا مقابل ودون أجر، الإنسان متى قال أنا عملت، أنفقت... فهذا غير مؤمن، المؤمن لسان حاله يقول: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً}[12]: بل الله يعطينا أضعافاً مضاعفةً، وطالما رب العالمين أحسن لنا وأوصلنا للحق وأهله، أليس من الإحسان أن نحسن لخلقه ونوصلهم للجنان بلا مقابل، كل إنسان مهيَّأ أن يكون داعياً إلى الله بمعية رسول الله ﷺ ويساعد في نشر الحق.

سورة الرحمن: [61-70]

61- ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: لماذا تكذبان؟ هل من أحد أعطى اللَّهَ شيئاً؟ هل من أحدٍ أتى بشيء جديد لهذا الكون لم يأتِ به الله؟ هل أخذ رب العالمين أجراً على الأمطار والثمرات والنور؟ كل ذلك إحسان لك بلا مقابل، والله سبحانه وتعالى لا يريد منك إلا الإيمان وأن تعمل الإحسان لتسعد.

62- ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: للمؤمنين الآخرين جنتان أدنى مقاماً من جنتي الأنبياء والرسل.

63- ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: انظر حال المؤمن وسيره وما يعامله الله سبحانه به فهو في جنة وسعادة. وانظر حال البعيد فهو في شقاء، أليس هذا بصحيح، فلماذا التكذيب؟

---

[11] ادّعى البعض أنّ الجنين طالما ببطن أمه لم يبلغ [120] يوماً لا حرمة في التخلص منه وقتله لأنه لا روح فيه، ولكن كيف تطورت هذه النطفة وصارت علقة وتحولت إلى مضغة لو لم يكن فيها حياة "روح"! وكيف أصبحت جنيناً فيما بعد؟ فالنمو والانتقال من طور لطور دليل الحياة، فالجنين بأي مرحلة كان محرَّم قتله. قال تعالى: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} سورة الأنعام – الآية:140.

[12] سورة الإنسان – الآية:9.

64- ﴿**مُدْهَامَّتَانِ**﴾: كلما مُدَّتا هام بهما وأقبل، هاتان الجنتان قد نالهما المؤمنون بناءً على ما قدَّموه من أعمال البرِّ والإحسان في الحياة الدنيا، ولهذه التضحيات والأعمال قيمة كبيرة في نفوسهم، فترى أعينهم شاخصة باهتمام لتلك الأعمال لأن رقيَّهم في الجنان سارٍ ومعتمد عليها، والله يمدّهم بما هم مهتمون به عن طريق ما بذلوه وجليل التضحيات التي لها أثرٌ في نفوسهم فتراهم يهيمون بربهم هياماً لما يفيض عليهم من النعيم والغبطة والسرور بالجنة بما قدّموا.

فكل ما يشتهيه المرء ويتطلبه وتتشوق نفسه لنواله يمنحه الله إياه مهما كان الطلب غالياً.

إذن نتيجة تضحياتهم التي لها قيمة في نفوسهم والتي قاموا بها بالدنيا أمدهم ربهم بعطاءات وجنات جزاءً وفاقاً لها، وهم يهيمون بها هياماً.

65- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: كلٌّ وعلى قدر حاله وعمله يُعطى، أليس هذا بصحيح، هل تُعطَون أنتم غير ما تستحقّون، فلم التكذيب والإنكار!

66- ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾: لا عينان تجريان بل نضاختان، مرة بعد مرة، أي: تقبل نفسه على الله كلما رأى عملاً من أعماله في الحياة الدنيا. هذا العطاء يأتيهم عن طريق رسولهم، يُضخ على قلوبهم، فيغذيهم بالأنوار والتجلّيات الإلّهية، والسبب في أنهما نضاختان ذلك أنهم بدنياهم كانوا بين فصل ووصل مع الله. والفرق بين العينين اللتين تجريان وبين العينين النضاختين أن الأولى أهلها كانوا لا ينقطعون عن شهود حضرة الله لا ليلاً ولا نهاراً في حياتهم الدنيا، أما العينان النضاختان: فإن أهل هذه الجنة قد كان لهم انقطاع لذلك تأتيهم نضخة يعيشون بها بنعيم وسعادة لتأتي النضخة الثانية وهكذا، أي: بين انقطاع واتصال، دفقة وراء دفقة.

67- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: خطاب من رسول الله ﷺ لعالمي الجن والإنس ليصلوا للتقوى، والحقيقة أن نداء الرسول ﷺ يصل للكل، لكن لا يسمعه إلا من كان للتقوى طالباً.

68- ﴿**فِيهِمَا فَاكِهَةٌ**﴾: يتفكهون بكل شيء بالسمع والبصر والشم والأكل وبجميع أنواع النعم، يرون لذائذها من الله وليست من البشر، هكذا كانوا في الدنيا يشاهدون العطاء من الله، لا يقول فلان أعطاني، بل الله أعطاني ورزقني وربي خلَّصني ونجَّاني، ويقول: مرضت بسبب عملي، عملي أمرضني وربي شفاني، وإن أخطأ أحدهم يرجع مباشرة عن خطئه ويتوب لربه ويُصلح عمله ويطلب من الله الشفاء.

﴿**وَنَخْلٌ**﴾: انتخلت وشفيت نفوسهم من كل علاقة مما دون الله وانعكس هذا الشيء على أزواجهم أيضاً. ﴿**وَرُمَّانٌ**﴾: الرمان سمي رماناً لأنه يرمم الجسد والخلايا فالعطاء الإلّهي يرمِّم لهم النقص، حيث إنهم لا يموتون وعليهم شائبة، فالله من رحمته بهم نخلهم ونقَّاهم وأكمل لهم النقص.

69- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: لماذا لم تؤمنوا حتى يشفيكم الله مما حلَّ بنفوسكم من علل وأدران، اطلبوا الآخرة وما عند الله، واطمحوا لذلك لا للدنيا الزائلة الفانية.

70- ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾: خيرات عظيمة كلها إحسان من الله تعالى. والمؤمن يستحسن هذه الخيرات.

سورة الرحمن: [71-78]

71- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: آمنوا بلا إلّه إلا الله لتنالوا هذه الخيرات وهي:

72- ﴿**حُورٌ**﴾: تحار بهن الأعين من جمالهن. ﴿**مَقْصُورَاتٌ**﴾: نساء مقصورات على أزواجهن، والعكس، أي: لا يراها أحد سوى زوجها. الحور بالآخرة تكون سبباً في رقي المؤمن بالجنات، حيث هو آمن وبإيمانه بالله ورسوله استطاع أن ينقذ زوجته ويوجّهها إلى الله وطاعته. ﴿**فِي الْخِيَامِ**﴾: أي أن الرجل المؤمن لحبه لامرأته تخيم نفسه عليها وهي بدورها كذلك، فكلاهما يجد المتعة والإقبال واللذة بمشاهدة صاحبه وشمله بنفسه، وكلاهما بذلك يرتقيان[13]

73- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: لماذا التكذيب والإنكار، أليس هذا صحيحاً؟

74- ﴿**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**﴾: كلٌّ هذا بإيمانهم بلا إلّه إلا الله ورابطتهم برسول الله ﷺ حُفظوا وحَفظوا، كذلك هذه الآية تنطبق على البنات اللواتي مُتنَ قبل سنّ التكليف، كل واحدة منهنَّ بعد الموت تصبح امرأة كاملة وبجمال لا نظير له بالدنيا.

75- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: انظروا تربية المؤمن وفضائله وتربية الكافر ونقائصه أليس هذا بصحيح، المؤمن لا يسكر، لا يقع بالفواحش، الكافر دائماً بالفواحش والإجرام.

76- ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**﴾: هؤلاء المؤمنون يتكئون على أعمالهم التي ترفرف وتخطر مرة بعد مرة، خضراء: فيها الحياة، وعبقري: عالية سامية.

ينظرون إلى أعمالهم فتطير نفوسهم في الإقبال على الله وترفرف بالنعيم الذي أعده الله لهم، وتأتيهم حياة من الله فيها نعيم وسعادة فتغرف نفوسهم من العطاءات الإلّهية وينالون منها ما يغني نفوسهم وتستقر به، لأنهم مستحسنون هذا الشيء فلا يبغون عنه حولاً.

77- ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: آمنوا حتى تنالوا هذه الخيرات.

78- ﴿**تَبَارَكَ**﴾: تتالت خيراته. ﴿**اسْمُ رَبِّكَ**﴾: يا محمد عليه الصلاة والسلام، كل العطاء الإلّهي منزَّل على رسول الله، وهو ﷺ يفيض عليك أيها المؤمن بالخيرات والكنوز الإلّهية. آمن بلا إلّه إلا الله حتى تصل للتقوى فتحب رسولك، من جعله الله لك باباً للفضل والعطاء. ﴿**ذِي الْجَلَالِ**﴾: صاحب التجلي الشامل. ﴿**وَالْإِكْرَامِ**﴾: تجليه تعالى بالإكرام والإحسان عليك أيها الإنسان.

والحمد لله رب العالمين.

---

[13] كذلك أولاده حفظهم بتربيته العالية لهم، لذلك في الآخرة يقتصر عليهم لأنهم سبب لرقيه، لذلك نفسه دائماً تخيم عليهم، وكل واحد بقصره وجنته فلا أحد يشاهد ما عند الآخر.

تأويل سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الواقعة: [01-10]

1- ﴿**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾: الواقعة ساعة الموت، والقيامة سمّاها تعالى واقعة {**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**}[1] وذلك لما سيقع على الإنسان فيها من أحداث هائلة عظيمة.

هذه الآية خطابٌ من الله تعالى للإنسان حبَّاً ورحمة به وعطفاً عليه، يقول له سبحانه وتعالى:

عبدي انظر هل من أحد خلّد في هذه الدنيا؟ ما حالك إذا فارقت هذه الحياة على غير إيمان ونور، وأنت لم تعمل لهذه الساعة؟ هل عرفت وشاهدت ما سيقع بك ساعتها؟

وما حالك إذا وقعت الواقعة وكان يوم القيامة والحساب للبشرية كافة والجزاء على الأعمال، فما هو مصيرك ألا يجب أن تعمل لها؟! ألا يجب أن تفكر بهاتين الساعتين؛ ساعة الموت وساعة القيامة؟

إن آمن الإنسان واتقى يجعل الله له نوراً وبه ترى النفس هذه الواقعة وتشاهدها، فالنفس بالتقوى تسري بمعية رسول الله ﷺ ولا يقيّدها الزمان ولا المكان.

2- ﴿**لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ**﴾: الموت لا يكذب به أحد، كل شيء وله عمر ونهاية، وكل شيء يدل عليها وعلى حتمية وقوعها، ولا أحد يستطيع أن ينكر ويقول: أنا لن أموت.

كل يوم نرى أمام أعيننا أو نسمع أن فلاناً مات وفلاناً مات كذلك القيامة لا تكذب بها نفس، فكل شيء في الكون يدل عليها ولا شيء يكذّب بها، فكل شيء في هذا الكون وله عمر، الجبال، الأرض ودورانها، الشمس، القمر، الكواكب، النجوم... وكل هذا يذكِّر الإنسان بأنه لابد له من يوم يقف فيه أمام رب العالمين للسؤال وللحساب، كل الأدلة تدل على الزوال فكل شيء متغير متبدل؛ نهار، ليل... هذا القانون سارٍ على كل مخلوق، فما من مخلوق إلا وله بداية ونهاية إلا الخالق العظيم فهو تعالى أول بلا بداية ومصيرك الأبدي مرهون بالتفاتك إليه أيها الإنسان.

فهل من المعقول أن الله الذي خلق هذه الأجيال كلَّها، وخلق هذا الكون العظيم خلقهم سدى بلا هدف ولا غاية؟ فهل تفتتح الحكومة مدرسة دون غاية أو هدف أم أن هناك امتحاناً ونجاحاً ورسوباً؟ ثم بعدها انتقال لمراحل أعلى بالعلم فوظائف هامة وأعمال وخدمات ورواتب ومكافآت؟

3- ﴿**خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ**﴾: تنخفض قيمة الإنسان الضال وترتفع قيمة المؤمن والتقي بما قام به من أعمال عالية. المجرم الذي كفر إلى جهنم، ومن آمن واتقى إلى الجنة، فريقان: فريق في الجنة وفريق في السعير، وكلٌّ سينال ويستوفي حقّه في ذلك اليوم.

وقد أورد تعالى كلمة: {**خَافِضَةٌ**} قبل كلمة: {**رَافِعَةٌ**} لأن الأغلبية في هذا الزمان من الهالكين الراسبين.

---

[1] سورة الحاقة – الآية:13-15

4- ﴿**إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا**﴾: زلزلت، يوم القيامة وبهذه الرَّجة تنتهي وظيفة الأرض وتُخرج كل الذي فيها من إنسان وحيوان ونبات وتنتهي علاقتها بغيرها من المخلوقات، قال تعالى: **{وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ}**[2]. إذ تُخرج الأرض أثقالها، فهي مثقلة بما حملت من مخلوقات، كما أنها مثقلة بأعمال المجرمين ونواياهم الخبيثة، وكذلك فهي مثقلة بالخيرات والنوايا العظيمة وبما قام به الأنبياء الكرام والصالحون من أعمال عالية صالحة.

وهكذا فقد تخلَّت عن المخلوقات كلها ورجعت نفساً لنعيمها وعطائها. ﴿**رَجّاً**﴾: نهائياً، لا رجوع فيه، ولا عمل للكون مرة ثانية، امُتحِنت النفوس وظهرت نتائجها، أرباب الشهوات أخذوا شهواتهم وأرباب العطاءات الإلٓهية أيضاً نالوا عطاءاتهم الكبرى.

5- ﴿**وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا**﴾: نسفت. قال جلَّ وعلا: **{فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً}**[3]. فهذه الجبال نفوسٌ عظيمة ألبسها الله هذا الثوب العظيم فظهرت بهذه العظمة، ﴿**بَسًّا**﴾: أي ستتوقف يوم القيامة عن عملها ووظيفتها توقفاً نهائياً، بعد أن كانت وظيفتها تثبيت الأرض من الانسياح، وكذلك تأتيك بالخيرات فهي مخازن للمياه[4].

6- ﴿**فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا**﴾: ذهبت لنعيمها، تخلع هذا الثوب العظيم الذي ألبسها الله إياه وترجع نفساً كما خلقها الله مثل أي نفس أخرى كالهواء لا ترى بالعين المجردة.

7- ﴿**وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً**﴾: الأزواج هم المتجانسون في الاتجاهات، شاربو الخمر أزواج أي متجانسون وكذلك الأتقياء أزواج متجانسون متحابون متآلفون. فأهل الضلال مع بعضهم، وأهل التقوى والهداية مع بعضهم، والمؤمنون والمتقون بجناتهم.

8- ﴿**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**﴾: هم الذين جاؤوا للدنيا ووفّوا بعهدهم، آمنوا واتقوا فاكتسبوا الخيرات بما قدموه من أعمال، وأصبحوا من أهل اليُمن والخير العظيم. ثم إنهم في الآخرة وجدوا ما عملوا. هؤلاء مَنَّ الله عليهم بالحياة، فالعطاء الذي أعطاهم الله إياه بواسطة الرسل والأنبياء الكرام إنما هو زيادة فضل ومِنَّةٍ منه تعالى، هم دون تلك الواسطة لا يستطيعون ذلك النوال أبداً، فالذي نالوه عن طريق رسول الله ﷺ بليلة القدر كان خيراً من ألف شهر. ﴿**مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**﴾: ما أعظمهم وما أعظم أجرهم ومكانتهم! أجرهم كبير على ما قدموه من أعمال، ومكانتهم عالية بين الخلائق ومقامهم عظيم، هؤلاء نجوا من النار وفازوا بالجنة. قال تعالى: **{فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}**[5]. رجعوا وأنابوا إلى الله، وتركوا الدنيا الدنية وضحّوا فيها لرضاء الله، فأعطاهم الله عطاءات كبرى، الله شكور.

9- ﴿**وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**﴾: أهل الشؤم، أهل الدنيا الذين هلكوا وشقوا يتشاءمون غداً عندما يرون ما قدَّموا من أعمال سيئة. هؤلاء لم يكتسبوا كمالاً من الله سبحانه ليفيضوا به ويعملوا صالحاً، فهم لم يؤمنوا ولم يؤمُّوا للرسل والأنبياء عليهم السلام فخسروا ما خسروا. خانوا العهد والأمانة ولم يرجعوا لربهم ولم يكسبوا لآخرتهم شيئاً، أضاعوا الجنات فلا يستطيعون مشاهدة وجه الله، فما أعظم خسارتهم! هنالك يلازمهم العار أمام الرسل، فقد ظهرت الحقائق جليّة. ﴿**مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**﴾: ما

---

[2] سورة الانشقاق – الآية:4.
[3] سورة الحاقة – الآية:14.
[4] للتوسع في الإيضاح الرجاء الرجوع لكتاب (مصادر مياه الينابيع في العالم) للعلّامة الإنساني محمد أمين شيخو.
[5] سورة آل عمران – الآية:185.

أشدّ سوءتهم، ما أصعب الحال الذي يلبسهم في ذلك اليوم! وما أكبر رعبهم وأشد ألمهم وندمهم وحسرتهم وخجلهم أمام الخلائق كلها! فمنزلتهم أحط من كل المخلوقات.

10- ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾: السابقون هم سابقون في الخيرات: هؤلاء السادة الأنبياء والمرسلون وهم أسياد الدنيا وأسياد الآخرة، سبقوا إلى الإيمان والخير، سبقوا الخلق كلهم ونالوا من الله عطاءً وفضلاً كبيراً لم ينله أحدٌ من العالمين، سبقوا الخلائق بالأزل وجاؤوا للدنيا وسبقوا الخلائق أيضاً، وكل من صاحبهم وأحبهم صار بمعيتهم من السابقين، سابِقٌ للخلائق والملائكة الكرام. فالرسول ﷺ دائماً يرفعهم ويُعلي منزلتهم بكل صلاة، الله تعالى يحب لك أيها الإنسان أن تكون منهم، وإن لم يصل الإنسان لهذه المرتبة فلابد له من حسرةٍ يوم القيامة.

سورة الواقعة: [11-20]

11- ﴿**أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾: من الله سبحانه وتعالى بما قدَّموه من أعمالٍ جليلة وبما في نفوسهم من نوايا عالية، وهم الذين يقرِّبون الناس من حضرة الله. فالسادة الأنبياء والمرسلون عليهم السلام مقرّبون من حضرة الله، إذ لم ينقطعوا عن الله أبداً، فمنذ الأزل وهم في مشاهدة لحضرته تعالى، وكذلك الأتقياء صاروا مقرّبين أيضاً بمعيّتهم، فلقد قرّبوهم من الله تعالى، كانوا واسطتهم لنوال الجنات الكبرى والعطاءات الإلّهية العظيمة.

12- ﴿**فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾: دائماً من جنة لجنة أعلى، هم دائماً في السعادة وكل من أحبهم صار معهم في الجنة والنعيم ولا يخرج من هذا الحال حيث لا شهوة تحوِّلهم ولا شيء بهذه الدنيا يَقْطَعُهم عن الله خالق الجمال، وهم عن طريق صلاتهم هذه دائماً بجنات النعيم وكل من تقرَّب منهم وأحبهم أدخلوه في الجنات والنعيم والسعادة.

13- ﴿**ثُلَّةٌ**﴾: جزء منهم. ﴿**مِنَ الْأَوَّلِينَ**﴾: هؤلاء هم الفئة المختارة، اصطفاهم الله لإخراجنا من الظلمات إلى النور والجنات، والآية تشملهم من عصر سيدنا آدم عليه السلام إلى زمن سيدنا محمد ﷺ.

14- ﴿**وَقَلِيلٌ**﴾: أقلة. ﴿**مِنَ الْآخِرِينَ**﴾: من عصر سيدنا محمد ﷺ حتى القيامة.

وقد قال تعالى: {**ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ**} لأن الفترة الزمنية الممتدة من عصر سيدنا محمد ﷺ إلى القيامة أقصر من الفترة الزمنية الممتدة من عصر سيدنا آدم عليه السلام إلى عصر سيدنا محمد، قال ﷺ: **"بعثت أنا والساعة كهاتين"**.

15- ﴿**عَلَى سُرُرٍ**﴾: سرور دائم متتابع. نفوسهم سارية في الجنات من حال لحال أعلى، وكذلك هذا حال من رافقهم. ﴿**مَوْضُونَةٍ**﴾: مُحكمة مرتبة، ثم إن هؤلاء "السابقون السابقون" غير مَضْنونٍ عليهم بالعطاء فالله تعالى شكور فلقد أعطاهم ويعطيهم جزاءً على أعمالهم عطاءً كبيراً عظيماً بلا حساب، ولم يضنّ عليهم بشيء، بل عطاء كبير متزايد لم يعط مثيله لأحد غيرهم، وكلٌّ على حسب منزلته وعمله، وكل طلباتهم محققة بالدنيا قبل الآخرة، لأنهم بذلوا كل جهودهم في المحاولة للأخذ بيد الناس للهداية والجنات والسعادة، والله سبحانه بهذه الأعمال العالية أعطاهم ويعطيهم عطاءً عالياً متزايداً لا نهاية له. ولهذا خلقنا الله.

كل من بلغ سن التكليف فلديه الإمكانية للنوال من هذا الفضل والعطاء الذي تفضل الله به عليهم. فلا تضيّع أيها الإنسان ما خُلقت لأجله وأعدَّه الله لك عن طريقهم.

16- ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا﴾: يستندون على هذا السرور من أعمالهم. فالمسرّات التي يعيشونها لا يتخلّون عنها ولا تلتفت نفوسهم إلى هذه الدنيا أبداً. ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾: فيما بينهم، عاشقون بعضهم بالمحبة في الله، فكلٌّ منهم يحمل من الله تجلياً عظيماً وعطاءً وجناتٍ، وعندما ينظر أحدهم لأخيه يرى ما يحمله فيأخذ منه مما تفضّل الله عليه من عطاء، وكذلك الآخر يفعل، وبهذا التبادل والتباذل فيما بينهم، يرتمون بالمحبة على بعضهم بعضاً ويرقون بالجنات.

إذن: أهل الله عندما يرون بعضهم يحلّقون في معارج الطهر والقدس ويرتقون.

17- ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾: الأطفال الذين ماتوا قبل سن البلوغ، هؤلاء الأطفال في الأزل حين عرض الله تعالى عليهم الأمانة قالوا نحن لها يا رب، نظر الله تعالى إليهم فوجدهم بدّلوا وتحوَّلوا ولا قدرة لهم إن جاؤوا للدنيا على الوفاء بالعهد والنجاح، لذلك من رحمته تعالى بهم جعل آجالهم قبل سنِّ التكليف لكي لا يحملوا مسؤولية ما سيقومون به من أعمال خبيثة بعد سن التكليف فيما لو أطال تعالى آجالهم إلى ما بعد التكليف، وهؤلاء الولدان في الآخرة عملهم ووظيفتهم خدمة أهل الجنة والطواف عليهم.

18- ﴿بِأَكْوَابٍ﴾: يأتون بأشياء طيبة تنكب النفس عليها من الله عن طريق الرسول عليه الصلاة والسلام، فهم خدم لأهل الجنة، كل الأشياء التي يحبونها يأتون بها إليهم. هب أن إنساناً ظمآناً شاهد كوباً من الماء، فتراه يسارع وينكب عليه ليشربه ويروي ظمأه، وكذلك أهل الجنة متعطشون لما عند الله من عطاء لذلك ينكبون على اللذائذ والمشاهدات والأنوار والجنات. ﴿وَأَبَارِيقَ﴾: لامعة بالأنوار ومحفوفة ومنعكسة عليهم، أعمالهم ونواياهم تلمع وتبرق أمامهم بالأنوار والتجلي الإلّهي ومنه يأخذون. ﴿وَكَأْسٍ﴾: مملوءة بالسعادة والهناء. الكأس تصب بها الأشياء الطيبة واللذائذ، والله يصب برسوله عليه الصلاة والسلام، فالله المعطي وهو ﷺ القاسم. ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾: لا ينضب أبداً بل دائماً بازدياد، ولكل إنسان مَعينٌ حسب درجته ومرتبته، العطاءات لكلِّ واحد حسب أعماله وتضحياته، إذن كل ذلك متوقف على أعمالك أيها الإنسان.

19- ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾: لا شيء يصدُّهم عن عطاءاتهم وجناتهم والنوال منها. يأخذون من الله ويعطون لغيرهم من البشر، وكلما أعطوا أكثر يأتيهم من الله عطاءٌ أكبر. ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾: النزف خسارة الدم والحياة فهو يعني الضعف والانهيار، والحقيقة إنهم لا خطيئة لهم، فلا خسارة بل دائماً بربح وحياة، وتنصب عليهم الخيرات والجنات من الله، فالتجلي الإلّهي ينصبُّ عليهم سيّالات متزايدة باستمرار وبديمومة أبدية ولا ضعف أو تراجع أبداً عن هذا الحال، بل دائماً برضا أكثر وسرور ونعيم وسعادة.

20- ﴿وَفَاكِهَةٍ﴾: دائماً يتفكهون باللذائذ مسرورين مع بعضهم. ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: على حسب طلبهم.

سورة الواقعة: [21-30]

21- ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: مما يلتحم مع نفوسهم ومما يشتهون من خيرات، ويغدقون على المؤمنين من النعيم الإلّهي المنصب عليهم، فيعطونهم مما أعطاهم الله، ما يشتهونه تلتحم نفوسهم به، تلتحم نفوسهم بالجنات والعطاءات واللذائذ فلا ينفكون عنها بسبب ارتباط نفوسهم بإمامهم عليه الصلاة والسلام، وهو أجمل ما خلق الله، فيسبح بهم بأسماء الله الحسنى في الجنات العلا التي نالها من ربه. شهوتهم مشاهدة وجه الله، ويشتهون الخير العظيم للناس، والذي يستفيد أكثر يتوجهون له أكثر، وهو بدوره يفيض ويفيد إخوانه من البشر أكثر فأكثر، حباً بالله وعباده.

22- ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾: تَحار بهنَّ الأعين من جمالهن، زوجات المؤمنين الأتقياء اللواتي دخلن الجنة برفقة أزواجهن المؤمنين فاكتسبن من الله جمالاً حتى أصبحت الأعين تحار بهن بما اشتقت نفوسهن من الجمال الإلٓهي وبما اكتسبن من روعة وبهاء.

الذين سلكوا مسالك التقوى وآمنوا واتقوا وساروا مع السابقين السابقين لهم هذا العطاء من الآن في الدنيا يشاهدونه ويأخذونه.

23- ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾: المكنون أي المخبّأ، فكلما نظر المؤمن لزوجته تدخل لوسط قلبه من جمالها وأنوارها ويَكُنُّ عليها فلا يظهر جمالها إلا لزوجها، فهذا الجمال الذي هو كاللؤلؤ لمعاناً وبريقاً مخفيٌّ، ذلك أنّ البضائع القيّمة الثمينة مخفيةٌ مخبَّأةٌ، غير مبذولة. وهنَّ يرين أزواجهن كذلك.

24- ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: الجنة بالعمل والذي يعمل أكثر مرتبته أعلى وأكبر حتى الرسل والأنبياء الكرام منازلهم وتفاضلهم عند الله بالأعمال. فكله مبنيٌّ على الأعمال والتضحيات والسعي، فالله لا يضيّع مثقال ذرّة لكم، كله يجمعه وسيعطيكم إياه، متى حصل الشفاء يأتي العطاء. عطاء الله ضمن أنظمة وقوانين فهؤلاء النسوة حملن أعباء تربية أولادهن التربية الصحيحة، فتفرّغ الرجال للفتوحات، وأكملوا المسيرة بالإيمان والتقوى وهداية البشرية[6].

25- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجنات. ﴿لَغْوًا﴾: كما في الدنيا، الحديث عن غير الله هذا هو اللغو، لا يسمعون كلاماً باطلاً، لا يسمعون إلا ذكر الله ورسوله، ولا شيء يكسر الخاطر أو ينغص الحياة. ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: القول الذي ينبني عليه إثم، كلامهم كله طيب عالٍ، يسمو بالنفس لله، فقد تابوا عن كل شيء وساروا بهذا الطريق المحمدي. فلا أحد يقع بالمعاصي أو يستهويها، ترفَّعوا عن الكلام الفاحش، فكلامهم كله من الله وعن الله وهم بشهود لحضرته تعالى، فالأشياء التي كانوا يعانون منها في الدنيا لا وجود لها في الآخرة.

26- ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾: المسافر عند عودته من السفر يقال له: حمداً لله على سلامتك، الرسل والأنبياء عليهم السلام سالمون في الدنيا وسالمون في الآخرة، وكل من سار معهم أصبح بسلام وأمان دنيا وبرزخ وآخرة، الأنبياء الكرام من سعادتهم بنجاة وسلامة أصحابهم من الخسارة والنار، يقولون لهم مهنئين بنجاحهم ونجاتهم: ﴿سلَاماً سلَاماً﴾: سلمتم من بلاء الدنيا والخسران، وسلمتم من عذاب القبر وعذاب النار ولكم الجنان وعليكم الأمان أبد الآبدين. وهذه التهنئة والبشارة إنما هي من الله عن طريق الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وكذلك يبشرونهم بهذا في الحياة الدنيا وذلك إن آمنوا واتقوا.

27- ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: هؤلاء لما آمنوا أصبحت كل حياتهم أعمال يُمْنٍ وخير. ﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: ما أعظمهم! هؤلاء لو لم يؤمنوا ويعملوا الصالحات لكانوا من أهل النار، لكنهم آمنوا وعملوا صالحاً وبهذا زُحزحوا عن النار وأُدخلوا الجنة وفازوا بها، وهل من فوز أعظم من هذا الفوز!

28- ﴿فِي سِدْرٍ﴾: فهم دائماً في سيادة وتُدر عليهم الخيرات دائماً هائمون بالحضرة الإلٓهية، سابحون بالنعيم والسعادة والعطاء الذي يدرُّه تعالى عليهم مأخوذون به. لكن كيف وصلوا لهذا الحال؟ في الدنيا سادوا أنفسهم ولم يعطوها هواها المهلك، فلقد جاهدوا بشهواتهم جهاداً كبيراً فدرَّ عليهم جهادُهم

[6] هؤلاء النساء لا يوجد بحديثهن فيما بينهن غير الدلالة على الله والرسول، دائماً حديثهن بالقرآن ومعانيه، لولاهن لما فتحت الصين والهند ولا هذه البلاد الواسعة، إذ لم يشاغبن على رجالهن، وبذلك كفَيْنهم.

هذا بالخير العظيم. وبذلك أصبحوا أسياداً في الدنيا **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}**[7]. يدرّون الخيرات على الناس أينما وجدوا ولا يصدر عنهم إلا الخير. **﴿مَخْضُودٍ﴾:** يقال خضَّ اللبن حتى تخرج الزبدة منه، وكذلك هؤلاء فعندما ينصب العطاء والنعيم في نفوسهم من حضرة الله ترتعش وترتج نفوسهم وتُخضّ بالعطاءات الربانية والودِّ الإلَهي حيث ذاقوا شيئاً طيباً لم يذوقوا مثله من قبل، وهكذا إلى ما لا نهاية رجّة بعد رجّة، ودائماً في علو وسمو بما ينعم الله عليهم.

29- **﴿وَطَلْحٍ﴾:** أصحاب اليمين دائماً بنظر وشهود لما يمدهم الله به من جنات وخيرات ولذائذ ونفوسهم مطِلَّة ومشرفة على كل هذه العطاءات مالكة لها ومشاهدة لما تملكه، على خلاف مُلْكِ الدنيا، فالمالك فيها لا يشاهد ما يملكه إلا ما حوله فقط، أما أهل الجنة فهم دائماً مطَّلعون وناظرون ومحيطون بما يملِّكهم الله من جنات وعطاءات كبرى.

﴿مَنْضُودٍ﴾: أي أن هذا الود الإلَهي الذي يوادهم به تعالى مُنَظَّم، فالمشاهدات كلها ضمن أنظمة وقوانين مبنية على الأعمال والأقوال الطيبة التي قدَّموها بالدنيا، وكل ما يطلبونه يجدونه حاضراً أمامهم، وانتقالهم من جنة لجنة أعلى يكون ضمن الكمال والنظام، ولا ينقصهم شيء وليس لهم زوال عن هذا الحال.

30- **﴿وَظِلٍّ﴾:** دائماً مظلّلون بالتجلّي الإلَهي وهذا التجلّي فيه الجنات. **﴿مَمْدُودٍ﴾:** عليهم، هذا التجلِّي متزايد دائمي أبدي مستمر لا ينقطع عنهم، له بداية وليس له نهاية.

سورة الواقعة: [31-40]

31- **﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾:** ماء الحياة، ماء الأتقياء، هذا هو الماء الغدق، كل من شرب منه انفتن بربه فتوناً، يُسكب عليهم من الله بمعية رسوله ﷺ دفقات وراء دفقات، كل دفقة تأخذهم إلى مجالات وحقائق وعوالم جديدة وغريبة من رحمته وعظمته وجماله سبحانه، وهذه أيضاً تحدث في الحياة الدنيا لكل من آمن واتقى، فكل من اتقى وشرب من هذا الماء لا يظمأ بعدها أبداً، لا يموت قلبه ولا يُفتَن بالدنيا وما فيها ولا يتحوَّل عنه تعالى أبداً.

32- **﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾:** موز، تفاح، عسل. متع ولذائذ كثيرة دائمية، دائماً نفوسهم ببسط وسرور وفرح وحالٍ لا يوصف، حيث تتلذّذ النفس بالأشياء مباشرةً دون حجاب، نفس لنفس، خلاف ما هي عليه في الحياة الدنيا حيث النفس تتلذذ من وراء حجاب أي بواسطة الجسم عن طريق الحواس.

33- **﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾:** لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة لأنهم دائماً مرتبطون بالرسل الكرام، **{أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا}**[8]. إذا اشتهت النفس شيئاً يأتيها ما طلبته حاضراً دائمياً غير مقطوع وليس هناك شيء ممنوعاً عنهم حيث لا تكليف هناك بل تشريف، التكليف هنا فقط في الدنيا، فالدنيا مدرسة ليعمل الإنسان الخير ويرى في الآخرة عمله فينال عليه الأجر الكبير.

34- **﴿وَفُرُشٍ﴾:** زوجته تفْرش نفسها عليه لحبها له بالله، وكذلك تُفرَش نفسه عليها لحبه لها بالله. والله يفرش لهم اللذائذ والسرور والبسط. **﴿مَرْفُوعَةٍ﴾:** المقاربة الزوجية بالدنيا للعلو والنهوض فالزوج المؤمن بالله ورسوله يسمو بنفس زوجته إلى عوالم قدسية جديدة وحقائق عظيمة وجنات عالية. لهذا جعل الله الزواج ليسمو الزوج بزوجته إلى الله ويدخلها الجنة، ولن يستطيع فعل هذا إلا

---

[7] سورة المنافقون – الآية:8.

[8] سورة الرعد – الآية:35.

إذا آمن بربه وارتبط برسوله، غير المؤمن بالمقاربة يهوي بزوجته باللذة بدل أن يعلو بها مقبلاً على الله، عندها تصبح هذه اللذة حجاباً بينهما وبين شهود أسماء الله الحسنى وجناته، بدل أن تكون سبباً لنيل الجنات والخيرات، أما في الآخرة فهم دائماً في علو فلا هبوط.

35- ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾: خلقهن الله خلقاً جديداً. فزوجات المؤمنين كنّ في الحياة الدنيا مقطوعات عن الله ونفوسهن فيها علل وأدران، ثم إن أزواجهن بإيمانهم ورابطتهم برسول الله ﷺ قادوهن للإيمان وبذلك أنقذوهنّ من عذاب النار وصرنَ من أهل الكمال والجنات، وبهذا الترتيب أنشأهن الله تعالى إنشاءً جديداً بالأنوار والتجليات والجمال، فلا علل فيهنَّ ولا أمراض بنفوسهن، صرنَ كاملات.

36- ﴿**فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا**﴾: انمحى الماضي الدنيوي عنهن نهائياً، رجعن للطهارة والكمال، بصحبتهن للمعصومين، فانغسلنَ بالتجلِّي الإلَهي، ولم يبقَ في نفوسهن شيء يُذكِّرُهُنَّ بالماضي، أصبحن كالأرض البكر التي لم توطأ، فلا دنس فيهن ولا أدران ولا أمراض نفسية خلافاً لما كنَّ عليه قبل أن يؤمنَّ بربهن.

37- ﴿**عُرُبًا**﴾: ما يشتهون من لذة محبوبة وجمال يجدونه في بعضهم، ما يمدهم الله به يُعرب عمّا في نفوسهم من كمال وهم يعربون ويفصحون عن هذا الفضل الإلَهي بالسعادة والسرور فلا يخفون سعادتهم. ﴿**أَتْرَابًا**﴾: بنفس السن، وكذلك بما فيهم من سمو وعلو، زوجاتهم مماثلات لهم بالطهارة ومرايا لهم كاشفات لأحوالهم.

38- ﴿**لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ**﴾: وهم الذين غيّروا طلبهم بهذه الدنيا فطلبوا الحقَّ وآبوا إلى الله وتركوا طريق الضلال وأهله وساروا مع الحق وأهل الحق، هذا العطاء لأصحاب اليمين ولكل واحد عطاء يختلف عن الآخر، وكلٌّ وعلى حسب ما قدم من أعمال وهذا لكل مؤمن آمن بربه، والكلُّ لديه من الإمكانية ما يؤهله لبلوغ هذا المقام، فعلى الإنسان أن يؤمن بالله ذلك الإيمان اليقيني حتى يستطيع بلوغ تلك المراتب.

39- ﴿**ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ**﴾: وتشمل المؤمنين خلال الفترة الممتدة من عصر سيدنا آدم عليه السلام حتى عهد رسول الله ﷺ.

40- ﴿**وَثُلَّةٌ مِنَ الْآَخِرِينَ**﴾: من عصر رسول الله سيدنا محمد ﷺ إلى يوم القيامة، وهم كثيرون لأن عصر سيدنا عيسى عليه السلام عند عودته سيكون عصر إيمان وتقوى.

سورة الواقعة: [41-50]

41- ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ**﴾: هؤلاء أصبحوا كالشياطين عُمِي البصائر، الشيطان أعمى يشمّ شماً نفسياً ولا يرى الحقائق، يشمّ الخبث في نفوس الذين لم يؤمنوا بالله وظلّوا على انقطاعهم فيميل لهم وتسري نفسه النارية خلال استغراقهم باللذائذ والشهوات إلى نفوسهم، وتحتك بها فيجلب لهم الآلام والأمراض النفسية في الحياة الدنيا أولاً والشقاء والتعاسة والنار غداً. ﴿**مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ**﴾: ما أشقاهم في الدنيا وما أصعب حالهم في الآخرة! افتخروا بأنفسهم وتركوا الله وتخلوا عن رسولهم فوقعوا بالعمى وعاشوا على المحسوسات المادية، وغداً في الآخرة لا يوجد إلا العقل النوراني بمعيّة رسول الله ﷺ.

42- ﴿**فِي سَمُومٍ**﴾: في الدنيا يعتدون على بعضهم، لأنهم مسمومون بالشهوات المحرمة، كلٌّ يطمع بما عند الآخر ويريد سلب ما بيده. ﴿**وَحَمِيمٍ**﴾: في الدنيا كانوا بنار الشهوة المحرَّمة المهلكة، فلقد عادت بنتائجها عليهم وذاقوا لظاها وعاشوا بنارها.

ولكن ثمة سؤال يطرح نفسه: كيف يمكن لأولئك أن يعيشوا ويستمروا بحياتهم وهم على هذه الحالة الصعبة؟

وجواباً على ذلك نقول: إن هذا الإنسان عندما يقارف شهواته ويغرق فيها تُخدِّره وتطغى عليه من شدة التفاته لها وكبير اللذة التي يجدها فيها، فلا يرى حقيقتها ولا يشعر بنيرانها، لقد ضحّى بأهله وعرضه وكرامته في سبيل هذه الدنيا الدنية، فتراه يمارس هذه الشهوات غير واعٍ ومدرك لحقيقتها المسمومة وما تحمله له من نار وحميم مستكن وراءها. وبهذا العصر كانت نتيجة هذه الشهوات القاتلة والنار المستكنّة فيها أن خرجت تلك النار وصار الإنسان عدو الإنسان فأحدثت الحروب والدمار والقتل والشقاء.

43- ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾: النار عليهم تظلّلهم علاجاً ودواءً لما في أنفسهم من خبث وعلل وسموم. وفي الآخرة لهم نار الله الموقدة علاجاً ودواءً وتسكيناً لما فيهم من نيران جهنم التي لا تطاق، فمن رحمة وحنان رب العالمين بهؤلاء المعرضين أن هيّأ سبحانه لهم الدواء والعلاج المناسب في الآخرة لعلهم بهذه النار إذا التجأوا إليه جلّ وعلا يطهرون.

44- ﴿**لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ**﴾: المريض لا يناسبه الطيب اللذيذ، لا يناسبه إلا الدواء المر لشفائه، ولكن ما الذي أوصلهم لهذه الحالة؟

45- ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ**﴾: أعطوا نفوسهم هواها في الدنيا، اخترعوا أشياء للترف والتسلّي وكل ما اخترعوه للتعالي والتباهي على بعضهم، كحال أهل هذا الزمان إذ لم يبقَ لهم عمل خير، فعندما لم تكن هذه الحضارة موجودة كانت النساء تعمل أعمال خير كثيرة لفقدان وسائل الرفاهية والراحة، ودائماً كنّ سعيدات بقلوبهن لأن وراء أعمال الخير التي يقمن بها نعيماً من الله وسعادة تنصبّ في قلوبهن، فالعمل نور الحياة القلبية. وعندما جاءت الحضارة بأدواتها وهذه كلها للراحة والرفاهية الجسمية لا القلبية، هنالك حرموا النساء من أعمال الخير والتي هي نور الحياة في الدنيا والبرزخ والآخرة، وبالتالي حرموهن مما يعود عليهن بالسعادة في الدنيا والجنات في الآخرة، حيث غداً في الآخرة الجنة بالأعمال، والمرأة بتلك الوسائل لا يبقى لها عملاً تدخل به الجنة. يقول تعالى: {**ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}[9]. والحقيقة أن ما اخترعوه من وسائل وأدوات الراحة والترف والرفاهية أوصل الناس إلى حب الدنيا والتعلق بها وكراهية الآخرة وعدم السعي لها بالإيمان والأعمال الصالحة. وهذا هو السبب الذي أوصلهم في الآخرة لهذه الحالة الصعبة وحرمهم من جنات الخلد والسعادة لأنهم كانوا في الدنيا مترفين، مع أن رسول الله ﷺ قال: **"تخوشنوا فإنَّ النعم لَا تدوم"**.

46- ﴿**وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ**﴾: عاهدوا الله أنّهم إذا جاؤوا إلى الدنيا سيفكرون ويؤمنون به ولا ينقطعون عنه سبحانه وتعالى نهائياً، ثم نكثوا بالعهد وأصرّوا على حنثهم وخيانتهم مع أنه تعالى ما تركهم بل بعث لهم من دلَّهم، فما تابوا ولا أنابوا، فكانوا لا يسمعون الحق أبداً ولا يحبون القرآن ولا يسيرون إلا بمعاداة الحق وأهله، ودائماً يقطعون الطرق التي هيَّأها الله لهدايتهم، فكلما قرَّبهم تعالى وأوصلهم لأهل الحق ليسلكوا معهم سبل النجاة تراهم يرفضون رفضاً قطعياً. وسبب إصرارهم هذا:

---

[9] سورة النحل – الآية:32.

47- ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: أنكروا الآخرة والسؤال والحساب قالوا من مات وصار تراباً ثم رجع فأخبر أن هناك سؤالاً وحساباً وجنةً وناراً؟ نحن سوف نموت ونصبح تراباً ولا بعث ولا رجعة لنا، أنكروا البعث والآخرة، ما فكروا، ولو أنهم فكروا لتذكروا أنهم خُلِقُوا من تراب، مجموعة ثمرات وأطعمة أكلها الأب فغدت نطفةً ثم في بطن الأم نمت حتى صارت إنساناً سويّاً. إذن من التراب صاروا، والله سبحانه قادر أن يعيد خلقهم مرة ثانية بعد أن يصبحوا تراباً. والحقيقة أنهم ونتيجة لإنكارهم هذا ذهبوا للدنيا وشهواتها فلم يفرقوا فيها بين حرامٍ وحلالٍ وعلّموا غيرهم على حبها، واخترعوا وأقاموا حضارة بنيت على الترف والقسوة، والتهوا وانشغلوا كلياً بها عن الله، تركوا المدرسة وانكبُّوا على شهواتهم، والنتيجة أنهم غداً في الآخرة سيكونون بالحضيض وبأسفل سافلين، أما الذين جاهدوا أهواء أنفسهم وضحَّوا وأنفقوا وعملوا الصالحات فهؤلاء في الآخرة لهم الدرجات العلا. على الإنسان أن يفكر دائماً بالموت وبفراق الدنيا حتى توقن نفسه ويخاف على مصيره فيعمل لآخرته الدائمة لا لدنياه الزائلة.

48- ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾: هل آباؤنا الذين ماتوا وأصبحوا تراباً سوف يعودون كذلك! لا عودة لهم، قال تعالى: **{قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}**[10].

49- ﴿قُلْ﴾: الخطاب موجَّه لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فلا يستطيع أحد مواجهتهم غيره ﷺ. ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾: متى آمن الإنسان بربه إيماناً حقيقياً يشاهد بمعية رسول الله ﷺ أن الأولين والآخرين:

50- ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾: يوم القيامة، المؤمن فقط يشاهد الآخرة بمعيّته عليه الصلاة والسلام، ويصبح هذا اليوم مشهوداً ومعلوماً عنده بنور رسول الله ﷺ الموصل لنور الله، عندها يرى الحق من الباطل، يرى الحقائق، يشاهد يوم القيامة والحساب والعقاب والجنة والنار، كما حصل مع السحرة الذين آمنوا وشاهدوا عن طريق سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وكذا الحواريون وصحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد أصبح هذا اليوم معلوماً عندهم كما هو معلوم عند الرسل والأنبياء عليهم السلام.

سورة الواقعة: [51-60]

51- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾: لا يكفي أنهم ضالُّون بل ومكذِّبون بالحق، سمعوا الحق وكذَّبوا به واعتمدوا على ما عندهم من كتب عن الآباء والأجداد وما فيها من تعاليم، وفضَّلوها على ما جاء به رسول الله ﷺ من بيان ودلالة، وآخرون رأوا أن ما عندهم من حضارة ودنيا ومخترعات أفضل مما عند رسول الله ومما وعدهم به ﷺ من سعادة وجنات، لذلك كذَّبوا به وبدلالته وبهذا ضلّوا ضلالاً كبيراً وأضلوا غيرهم عن سبيل الله.

52- ﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ﴾: هذه هي شجرة حب الدنيا تنبت في نفس الإنسان المعرض عن ربه الغارق فيها وبلذائذها مع أن كل ما فيها خيال بخيال، إذ أين الماضي؟ لقد ذهب، والمستقبل ليس بيد الإنسان، والعجز والموت والظلام بانتظاره. ﴿مِنْ زَقُّومٍ﴾: لذائذ الدنيا آنية لحظيّة ثم تنتهي. لذة الطعام من الفم إلى البلعوم، كذلك لذة الزواج سريعة منقضية، ثم تأتي الشيخوخة وتنقضي الدنيا وكل لذائذها ونعيمها بالموت، فالدنيا تمرُّ مروراً سريعاً ثم يموت الإنسان ولا يبقى له من لذائذها الآنيّة المنقضية شيءٌ إلا الذكرى، فالدنيا كلها لحظة أو أقل بالنسبة للآخرة التي لا تنتهي لذائذها، وكل ما فيها حقائق دائمة

[10] سورة الممتحنة – الآية:13.

ماثلة ومشاهدة أمامك، فلقد أراد تعالى بكلمة "زقوم" أن يبيّن لنا أن اللذائذ الدنيوية لحظية منقضية ويحثُّنا على الإيمان به تعالى وعلى كسب القيم الصالحة لنيل ما عنده سبحانه من جنات ولذائذ باقية، فيقول سبحانه مخاطباً الإنسان المعرض: لقد ذقتَها أيها الإنسان وعرفتَها فقمْ إلى الإيمان واكسب الآخرة، أما كفاك منها؟ قمْ إلى ما عندي من لذائذ دائمة باقية أبدية فيها جناتك وسعادتك.

53- **﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾:** ليس المقصود بكلمة: **{الْبُطُونَ}** في هذه الآية الكريمة "المعدة"، بل هي بطون النفس ذاتها، حبهم للدنيا قوي مستحكم، أترعوا وملأوا نفوسهم بالشهوات، **{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً}**[11]: مهما نالوا منها لا يشبعون، ملأوا نفوسهم بالشهوات من جنس وخمور وفواحش وأموال، لوَّثوا نفوسهم بها وأمرضوها، وهذه عادت عليهم شقاءً وضيقاً وهماً في الحياة الدنيا ثم في الآخرة ستحرقهم حرقاً عندما يرون الحقيقة، ويعلمون أنهم أذهبوا طيباتهم في الحياة الدنيا بما قاموا به من أعمال سيئة، وخسروا الخيرات والجنات التي أعدَّها الله لهم.

54- **﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾:** الدنيا صورتها جميلة حلوة لكن حقيقتها مرعبة، راحة للجسم لكنّها شقاء وهلاك ونار على النفس. الذين يرون الحقائق يشاهدون هذا على غيرهم ويبكون عليهم، هؤلاء المعرضون مثل الشيطان ببعده عن الله وإعراضه احترقت نفسه وشاطت بنار الشهوات المحرمة والفواحش، لذلك من شقائهم هذا يلجؤون إلى المشروبات الكحولية والتي هي بالحقيقة نار تكوي أعضاءهم ليتخلصوا من الشقاء ومن آلامهم النفسية التي حلَّت بهم.

55- **﴿فَشَارِبُونَ﴾:** صار شربهم من الدنيا وشهواتها بدل أن يشربوا مما عند الله ورسوله. **﴿شُرْبَ الْهِيمِ﴾:** هائمون بالدنيا ومفاتنها، لا نور لهم ليروا حقيقتها المرعبة المشقية وما فعلت بهم وبغيرهم وما جرّته لهم من حروب ومجاعات وإجرام، فالدنيا لا تحقق لهم السعادة بل تجلب لهم الهمَّ والغمَّ والشقاء، فيشربون بشكل جنوني من المشروبات التي يسمّونها "روحية" لينسوا ما هم فيه، ولكن سرعان ما يرجعون لواقعهم حال انتهاء تأثير المشروب وتعود عليهم الهموم والغموم بشكل أكبر ويتضررون بالكحول، وقد وصلوا لمرحلة أصبحت عندهم هذه المسكرات كالماء لا يستغنون عنها لما في نفوسهم.

56- **﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾:** حالهم غدا أصعب وأصعب، لم يبقَ لهم من الدنيا غير ذكرياتها تحرقهم حرقاً كلما تذكروها ورأوا خسارتهم لمقامهم العظيم، وكيف أنهم خسروا الجنات ومشاهدة وجه الله الكريم من أجل الدنيا وشهواتها المنقضية الفانية. فالإنسان في الآخرة يتذكر أعماله واقترافاته ويتنزّل بها فيحترق بنار الحسرة والندامة وينزل في نار الله الموقدة، وليس لهم منازل في الجنة.

57- **﴿نَحْنُ﴾:** الله سبحانه وتعالى يخاطبنا بأسمائه الحسنى كلها ويحذِّرنا من الوقوع بهذا المصير ويبيِّن لنا طريق النجاة وهو التفكير بخلقنا لنؤمن به تعالى. **﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾:** من خلقك في بطن أمك؟ يد من التي جعلت لك عينين ولساناً وشفتين، ويدين وأصابع؟ من أمدَّك بالحليب من ثديي أمك حين خرجت للدنيا؟ **﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾:** مع كل هذا العطف والحنان والإحسان لا تصدقون! لماذا لا تفكر؟ إن فكر الإنسان بهذه اليد التي خلقته وركبته وتمده بالحياة والهواء والماء والطعام، وجاهد بهوى نفسه المهلك وطلب الحق والحقيقة بصدق عندها يؤمن بالله، فيجعل له تعالى نوراً فيشاهد الحقائق ويتنازل عن كبره على ربه. إن لم يشاهد بدايته أنه كان نطفة يظلُّ متلبساً بكبره ويتبع إبليس ويتَّخذه أباً ويترك أباه آدم عليه السلام ويُبْلِس عليه الأمر.

---

[11] سورة الفجر – الآية:19–20.

58- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾: من الذي كوَّن هذا الماء في الإنسان، ثم جعل منه النسل؟ هل فكرتم ورأيتم أنكم خُلقتم من هذه النطفة؟ هل شاهدتم فضل الله عليكم وإحسانه إليكم بهذا الخلق؟ أم اتبعتم شهوتكم فقط، رأيتم هذه اللذة وهمتم بها ولا ترون مَن يمدّكم بها؟ والعهد مع الله خلاف ذلك. العهد: أن تستنيروا بنوره ولا تنقطعوا عنه سبحانه لتروا فضله عليكم وإحسانه إليكم فتقبلوا عليه تعالى.

59- ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾: هل الأب خلق النطفة وكوَّن منها ابنه! هل أبوك خلقك؟ هل كان يعرفك وأنت في بطن أمك ذكراً أم أنثى؟ مَنْ أطعمك وسقاك وأمدك بالنماء وبكل مستلزمات الحياة وأنت في رحم أمك؟ فهل ينساك بعد أن أخرجك إلى الدنيا وهو الذي لم ينسَك ببطن أمك؟ ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾: أليس هو الله سبحانه الذي سخر السماء والأرض والشمس والقمر، بل الكون كله فكان النتاج فاكهةً وأثماراً أكلها الأب فتكونت النطفة، ثم خُلقت منها أيها الإنسان، وكوَّن لك تعالى هذه الأعضاء والأجهزة؟ لِمَ لا تتوجه لربك بالمحبة وتؤمن به تعالى من خلال تفكيرك بهذا الإحسان فتلتفت إليه على الدوام وتستنير بنوره؟ إن مات الإنسان على غير إيمان وبلا نور ذهب إلى الظلام وحلَّ به الشقاء والرعب والآلام، ربك يحذِّرك ويقول لك فكر لتؤمن وتنال السعادة والنور والجنات.

60- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾: هذا طريق الخلاص من الشقاء، لذلك حتى تستطيعوا أن تفكروا بكل ما سبق من آيات، فكروا بالموت وبساعة الرحيل وزوالكم الحتمي عن الدنيا، الكل سيموت، فهل دامت الدنيا لأحد من قبل، أنبياء، ملوك أو رؤساء؟ اعلموا أن الذي تركضون وراءه الآن سوف يزول عنكم ولا يبقى لكم منه شيء، ستموتون وتتركون كل شيء، الله سبحانه قدَّر بينكم الموت فلكلٍ أجل، منكم من يموت شاباً ومنكم من يموت رجلاً أو طاعناً في السن. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: لا يستطيع أحد الهروب من الموت. قالوا سيطرنا على الطبيعة وهيمنَّا على العالم، ولكن أليس بعد مدة بسيطة من الزمن سيموتون وسيصبحون تراباً تطؤهم الأقدام! ما سبقوا إرادة الله، وكل شيء فعلوه بهذه الدنيا وقاموا به كان بإرادة منه تعالى ومن بعد إذنه وعلى مستحقين ظالمين أمثالهم، لا إلّه إلا الله، لا فعَّال ولا مسيِّر غيره سبحانه وتعالى ويده مهيمنة على الكل، لكنهم بالحقيقة تركوا الله فخسروا كل شيء.

سورة الواقعة: [61-70]

61- ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: كم أتى على الأرض من أقوام اخترعوا وحكموا وسيطروا وتمتعوا بدنياهم، والآن أين هم؟ هل ترون منهم أحداً، كل الأجيال الماضية ذهبت بالموت، فمن كان يمدها بالحياة والنماء والطعام والشراب؟ كذلك أنتم سوف تذهبون ويأتي غيركم، الكل فانٍ. ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون شيئاً عمَّا بعد الموت وما سيكون حالهم في القبر وفي الآخرة، لو آمنوا بالله لشاهدوا ما بعد الموت من أهوال وما عملوا من سوء.

المؤمن آمن بربه وصار له نور منه تعالى وشفاعة برسول الله عليه الصلاة والسلام، بنوره تعالى يشاهد ويعلم ما في الآخرة.

62- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾: رأيتم كيف تُخلق أولادكم وممَّ خُلقوا، فهل أنتم شاهدتم بدايتكم؟ كنتم نطفة مثلهم. أليس هو الله الذي خلقكم ويربيكم ويمد الكون من أجلكم؟ فعلامَ التكبر؟ لِمَ لا تتنازلون عن كبركم وعن العجب بأنفسكم فتفكِّرون بالبداية؟!

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: ألا تفكرون بهذا وتذكرون فضل الله عليكم وإحسانه؟ لو فكروا بخلقهم وببدايتهم لآمنوا وشاهدوا أن لا إلّه إلا الله ولشاهدوا ما سيحدث معهم في القبر وفي الآخرة ولتذكروا الجنة التي كانوا فيها، ولتفتّحت بصائرهم وتخلَّوا عن حب الدنيا، فالإيمان بالبداية مرتبط بالإيمان بالنهاية.

أرسل الله النبيين والكتاب لتتذكر أيها الإنسان أنك كنت مع الله تعيش بجنته قبل مجيئك للدنيا، لكنك عندما انقطعت عنه تعالى وتحوَّلت عن جنته نسيت هذا. الأنبياء الكرام عليهم السلام جاؤوا ليذكِّروك ويرشدوك، إن فكرت برسول الله ﷺ وببيانه العظيم عظّمته وقدّرته، إن صار لك التعظيم لرسول الله صرت مع الله لأنه ﷺ مع الله لا ينقطع عنه طرفة عين.

63- ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ**﴾: زرعكم.

64- ﴿**أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾: زرعكم أصله من هذه البذرة، من أين جاءت هذه البذرة وما أصلها ومصدرها؟ أنتم تضعونها في التراب فتنبت، فمن ينبتها لكم ويجعل منها الثمار ويغلفها ويضع فيها هذه الطعوم والمذاقات والألوان وهذه الحيوينات "الفيتامينات"، لمَ لا ترون الأصل؟ الأصل هو الله، هل التراب أو الماء فيهما هذه التشكيلات المختلفة من الغذاء والطعوم والألوان والأشكال؟ هل الفلاح هو من أخرج شجرتها وسيّر النسغ الصاعد والنازل كالأنهار تجري فيها وفي أوراقها وأثمارها! فكيف يصعد الماء إلى أعلى الشجرة وأي مضخَّة تلك التي تدفعه للأعلى؟! فمن الذي وضع هذه النظم والقوانين؟ لو فكرت أيها الإنسان لآمنت ورأيت أن أصل كل ذلك هو الله سبحانه رب العالمين.

حتى تنبت البذرة وتنمو وتثمر فهي بحاجة للكون كله، فهل أنتم مَن يسيِّر الشمس والقمر ويأتي بالصيف وحرارته، والشتاء وبرودته، وتأتون بالهواء وتُسيِّرون الغيوم وتأتون بالليل والنهار لتمدوا زروعكم بما تحتاجه؟

65- ﴿**لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ**﴾: لجعلنا هذا الزرع. ﴿**حُطَامًا**﴾: نرسل عليه صقيعاً، مرضاً، حشرات، عواصف، فيذهب وهذا الشيء يقع الآن ويحدث في العالم. ﴿**فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ**﴾: إذا جعلنا زرعكم حطاماً فكيف تأكلون وتتنعمون وتتلذذون؟ هل تستطيع أيها الإنسان أن تأتي بهذه اللذائذ والطعوم والمأكولات؟ كيف ستأكلون وتشربون وتتوالدون لو لم نمدكم بهذه الأشجار والزروع والخيرات والثمرات والورود و....؟ فلو لم يسخِّر لكم ربكم الشمس والقمر والنجوم والرياح والغيوم وعوامل الإنبات كلها لما نبتت زروعكم. وبعد كل هذا الفضل والتسيير الخيّر، تضع الطعام بفمك ولا تفكر بهذا الإلٓه الممد المربي وفضله الدائم عليك!

66- ﴿**إِنَّا لَمُغْرَمُونَ**﴾: إن لم تنزل الأمطار أو إن جعله الله حطاماً تحزنون وتقولون تغرَّمنا، دفعنا ثمن البذار وغيرها من التكاليف ثم ذهب تعبنا سدى، وليس لكم من حول ولا قوة.

67- ﴿**بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ**﴾: تتكلمون عنه سبحانه بالسوء وتتهمونه بالظلم وتقولون حرمنا الله من المواسم بعد أن تغرمنا وأنفقنا وتعبنا، تستنكرون ما فعل الله بكم، وتتجاهلون أعمالكم التي جرَّت لكم هذا، فارجع لعملك تعرف سبب هذا الحرمان، وترى أن عملك هو الذي جرَّ لك هذا فتتوب وتغيِّر فيغيِّر الله عليك ويعطيك الدنيا والآخرة.

الحقيقة أنه تعالى ما أنقص عليكم إلا من أجل التوبة والرجوع لجادة الصواب، فهو سبحانه يعالجكم بما تعلّقت نفوسكم به معرضةً عنه تعالى، يسحبه منكم لترجعوا لربكم وتسعدوا سعادة أبدية، فهذه الدنيا ليست دائمة.

68- ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ**﴾: انظر أيها الإنسان لفضل الله عليك بكأس الماء، لو عطشت ولم تجد ماءً تشربه، فما مصيرك؟ هل أنتم من نزع ذرات المياه من البحر ورفعها إلى السماء ثم أنزلها أمطاراً؟ هل أنتم الذين ذهبتم بالسحب إلى مجاهل القطبين الشمالي والجنوبي وأنزلتم فيها الثلوج،

وسيّرتم الجبال الثلجية إلى مصارفها وجعلتم تلك الأقنية الممتدة تحت الأرض من القطبين تصل إلى كل بلد في الكرة الأرضية حتى وصلتكم المياه باردة عذبة صافية[12]؟ فكروا بهذا الفضل عليكم لتعظموا ربكم، إن فكرت أيها الإنسان وعظمت ربك رأيت فضل الله عليك فتحبه وتقبل عليه فتشاهد بنوره آياته الدالة على فضله ورحمته وحنانه عليك عندها يصبُّ عليك الخيرات والنعيم والسعادة.

69- ﴿**أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ**﴾: السحاب سمَّاها تعالى بالمزن لنفكر كيف تنزل قطرات المطر منها، لو نزلت الأمطار دفعة واحدة لحدث طوفان ودمار، لكن تنزل من المزن بشكل موزون كل قطرة بميزانها ولا قطرة تلامس أخرى أثناء سقوطها. هل رأيتم أن الله ينزل الأمطار بهذا الشكل اللطيف ويضع فيها الحياة والود الإلّهي حتى تخرج الثمرات والأنعام، فهل الماء يحوي هذا كله؟! الماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة، وفاقد الشيء لا يعطيه، إذن فمن أين تأتي الحياة لهذه المخلوقات؟

70- ﴿**لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا**﴾: الماء العذب ذو المذاق الطيّب لو خرج من البحار بشوائبه وأملاحه ودون تصفية، ماذا يحدث؟! ألا يحرق الأرض؟! هل يخرج الزرع؟ هل تستطيعون أنتم أن تنقُّوه وتصفُّوه؟ كل أقذار الدنيا تُصب في البحار، والله سبحانه بتجلّيه يصفّيها وينقّيها ويرسلها لك عذبة صافية نظيفة باردة، فكم يحبك هذا الإلّه العظيم! ﴿**فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**﴾: ألا تشكرونه على هذا الفضل، ألا تقبلون بنفوسكم عليه وتعملون صالحاً لتنالوا سعادة الدارين، ماذا يريد الله منكم؟ هل سبحانه بحاجة لكم في شيء؟ الله سبحانه وتعالى رحيم بكم لا يريد إلا سعادتكم، ﴿**فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**﴾: الله يقدّم لكم عن طريق هذا الماء كل تلك الخيرات فلِمَ لا تقدّمون للفقير المسكين حقه الذي أودعه الله عندكم؟ لِمَ لا تقابلون الإحسان بالإحسان؟ الله يعطيكم بلا مقابل لِمَ لا تنظرون لجانب ربكم وتعاملون عباده بالإحسان؟

سورة الواقعة: [71-80]

71- ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ**﴾: من جعل خاصية الاشتعال في النار.

72- ﴿**أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ**﴾: أول الأمر أنبت تعالى أشجاراً خضراء تعطيك الخيرات والثمار، وتتمتع بظلها الوفير وتقيك رطوبتها من الحرّ الشديد، وعندما تجفُّ وتيبس تغدو وقوداً، ناراً تستعملها للتدفئة؛ والنار فاكهة الشتاء. علماً بأن الوقود من فحم حجري ونفط إنما هي من بقايا غابات متراكمة منذ آلاف السنين انقلبت إلى داخل الأرض فانصهرت من أثر الحرارة العالية داخل الأرض وتحوَّلت عبر السنين إلى نفط، أو فحم حجري. إذن أصل النفط والفحم الحجري هو أشجار خضراء.

من الذي أنشأ هذه الأشجار من ماء وتراب؟ ومن الذي جمع تلك العناصر والمركبات للحصول على المراد؟

﴿**أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا**﴾: وبإنشاء الشجرة اشتركت النجوم بأفلاكها البعيدة، فلولا النجوم ما أكلت لقمتك، كذلك الشمس التي تحلّ بالبروج الاثني عشر وتستمد الإشعاعات وتعكسها على الكرة الأرضية سنوياً، وعلى البحار والمحيطات لتتبخّر مياهها، والهواء الذي يحمل ذرات بخار الماء من مياه البحر ويجمعها ببعضها لتكون غيوماً ثم يسحبها إلى بلاد بعيدة، فتهطل أمطاراً فينبت من كل

[12] لطفاً انظر كتاب مصادر مياه الينابيع في العالم للعلّامة محمد أمين شيخو.

زوج بهيج وتنمو الأشجار وتتمتع بها وتعطيك ثمارها وخيراتها حتى إذا ما استُهلِكت تماماً كانت لك وقوداً وحطباً تصطلي عليها وتدفع بنارها وحرّها برد الشتاء القارس.

إذن الكون كله اشترك وتضافر وتعاون لإنشاء هذه الشجرة والتي تكون بنهايتها ناراً مسخَّرة لخدمتك.

﴿**أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ**﴾: نحن المسيطرون على الشمس والنجوم... من المتصرف في هذا الكون كله؟ من بيده النجوم سابحات في مجرّاتها والكواكب في مداراتها والشمس في مسارها والقمر في منازله؟ هل لأحد يدٌ في ذلك كله؟ هل لكم أنتم أدنى تصرف بذلك كله؟! من يحرّك البحار وينزل الأمطار؟ إذن هي يد الله عزَّ وجلَّ المتصرفة في كل ذلك.

73- ﴿**نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً**﴾**:** نحن جعلناها لتذكّرك بربك وترى فضله وإحسانه وبرّه، سخّر الله الكون كله لسعادتك وتأمين معاشك وراحتك. إذن فكّر بالنار وشجرتها تتوصّل من وراء ذلك لتقدير فضل المنعم، وتنال بعد ذلك جنات بتفكيرك وإيمانك بالله وتتذكّره تعالى بفضله، فالله أخرجك لهذا الوجود لكي تسعد وتنال بدل الجنة الواحدة التي كنت فيها في عالم الأزل جنات متتالية متسامية بعد أن تتعرّف على من أنشأها لك، وسخّر هذا الكون كله لأجلك.

لَمْ يُخرجك الله لهذا الوجود للأكل والشرب والاستغراق بشهوات الدنيا كالأنعام، فهذا الطعام والشراب وتلك الأشجار جُعِلت لتذكّرك بربك، فإذا نالها المرء بالتعدّي والمكر والخداع والظلم عادت عليه ناراً، ويوم القيامة يراها ويعيشها وهي تشتعل في نفسه، أما في الدنيا فهو لا يراها لعدم إيمانه وعمى بصيرته. ومن هنا جاءت كلمة {**تُورُونَ**} بمعنى كلمة تخفون. والبعيد عن الله الذي يأكل الحرام إنما يأكل ناراً جهنمية ويخفيها، ويوم القيامة تشتعل فيه، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**}[13].

﴿**وَمَتَاعاً**﴾**:** تتمتَّع بها في الدنيا، بأكلك تتمتع، وإذا كان المرء مؤمناً فحاله أثناء طعامه يختلف عمَّا عليه بقية الناس، فهو إذا أكل ينطلق بسياحة قلبية يتوصَّل بها من خلال طعامه للمنعم المتفضل ويتذكر ربه الكريم فيعيش بجنات وهو لا يزال في الحياة الدنيا. إذن فالله سبحانه وتعالى لم ينشئ هذه الشجرة لتحرقك وتُخسّرك جناتك، بل خلقها وأنشأها لتتمتّع بها نفساً وجسماً وتنال بدل الجنة الواحدة جنات.

﴿**لِّلْمُقْوِينَ**﴾**:** ينال الجنات من كان للتقوى طالباً ويتّخذ ما في الدنيا مطية ووسيلة لبلوغ رضاء الله وطاعته فيتقوّى بالأكل والشرب على الطاعات، ومن الدعاء المأثور إذا أراد الإنسان المؤمن قبل أن يتناول طعاماً يدعو: "اللَّهُمَّ اجعله قوة لطاعتك ووهناً لمعصيتك".

74- ﴿**فَسَبِّحْ**﴾**:** اذكر نعم الله وآياته واسبح بفضله، سبّح كل من فكَّر وآمن، سبِّحه بالنور الذي معك، أشهدهم أسمائي الحسنى وسبّحهم بها واطّبعها بقلوبهم وأقبل بهم عليّ لأشفيهم مما حلَّ بنفوسهم من أمراض وعلل فيَسعدوا ويُسعدوا غيرهم. ﴿**بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾**:** يا محمد، الله سبحانه وتعالى أعطى هذه الصلاحية لرسوله الكريم ﷺ وجعله خليفته، هم انقطعوا عن الله لكن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم ينقطع عن ربّه وكل من يلتفت لرسول الله بالتعظيم والمحبة يدخل ﷺ به على الله، وهذا

---

[13] سورة النساء – الآية:10.

يحصل بالصلاة، والصلاة في حقيقتها استسلام لرسول الله عليه الصلاة والسلام، من جعله الله هادياً لك ومرشداً[14]. ﴿**الْعَظِيمِ**﴾: كل من آمن بربه وصلَّى أشهِدْه عظمتي وإمدادي لخلقي بالتربية والحياة.

75- ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾: أي كل ما يقع عليك أيها الإنسان من خيرات عظام إنما هي من نتاج النجوم، إذ لولا النجوم ما أكلت لقمتك، وإن الشمس تحلّ بأبراجها الاثني عشر وذلك على مدار السنة وتستمد من نجوم الأبراج هذه الأشعة والضياء وتنقلها لنا فيتأمّن غذاؤنا وشرابنا، فبأشعة الشمس ونورها وحرارتها تنبت البقول وتنضج الحبوب وتتلوَّن الأثمار والأزهار وتنبعث فيها الحياة وتكبر الأجنة في بطون الأمهات. فالكون وحدة مترابطة متناسقة متسلسلة تبدأ من الكبير لتصل إلى الصغير، ومواقع النجوم هي هذه المسافات الواسعة الشاهقة والأبعاد الهائلة بين كل نجم ونجم.

كلُّ نجم محافظ على كتلته وقوته، مرتبط بغيره بقوة عظيمة على الرغم من هذه الأبعاد الهائلة الشاسعة فيما بينها. وقد ذُكِر أن نجم قلب العقرب مثلاً، أكبر من الأرض بأكثر من سبعين مليوناً من المرات ولو أنّه حلّ محل الشمس لملأ الفراغ الكائن بين الشمس والأرض ولكانت الأرض نقطة فيه.

فما هذه القوة العظيمة التي تحمل هذه النجوم، وما هذه الأبعاد الشاسعة فيما بينها، فأهل العلم الحديث وصلوا بعلومهم إلى القمر وافتخروا بذلك وعدّوه نجاحاً وهو بالحقيقة لا يبعد عنا سوى ثانية ونصف ضوئية تقريباً، والحضارة العتيدة تعجز عن أن تصل إلى أقرب نجم والذي يبلغ بعده عنا حوالي أربع سنين ضوئية فما بالك بالنجوم ومواقعها، ذلك أن هذا المجال عظيم حقاً بالنسبة لهم ولعلومهم الدنيوية ولحضارتهم المتقدمة. أما بالنسبة للإنسان الذي صاحب رسول الله ﷺ فبلمح البصر يعرج به متجاوزاً أطباق السماوات ويدخل به على الله وينال عطاءً عظيماً يفوق هذه النجوم[15].

76- ﴿**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾: ولكن الله تعالى لا يقسم به لأنه عليه هيّن، بل يقسم بالقرآن الكريم.

77- ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**﴾: كلام رب العالمين؛ هذا أعظم من تلك النجوم ومواقعها وخيراتها الدنيوية فلولا القرآن الذي أنزل على قلب رسول الله ﷺ لما قال أحد في الكون كلمة التوحيد ولما فُتحت البلاد على يد الصحابة الكرام، بل لما سار أحد مع النبي ﷺ. فبالقرآن صلاح العباد والبلاد، فكم فيه من خيرات! فهو كلام الله ونوره المبين وحبله المتين من تمسك به نجا ومن تركه لغيره هلك، فيه ذكركم وذكر من كان قبلكم وذكر من سيأتي بعدكم. وهو الجامع للخيرات كلها. أما النجوم فهي للدنيا فقط وأما القرآن فهو نور دائمي يمتدُّ من الدنيا إلى القبر حتى الآخرة، وهو كلام الله الباقي أبد الآباد وبه الجنات والعطاءات الدائمية السرمدية، وبه ترقى الأنبياء الكرام وبه رقي إمامهم عليه الصلاة والسلام، ويريك ﷺ منه ما ترقى أنت به قال تعالى: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}**[16]، فهو من المعطي عزَّ وجلَّ.

---

[14] فهو عليه الصلاة والسلام باب الله ومن أجل ذلك شُرِّع التوجه للكعبة البيت الحرام للاجتماع بتلك النفس الطاهرة والعروج بمعيتها إلى الله، قال تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) سورة البقرة – الآية:150.

[15] وفي الحديث القدسي الشريف: "ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن".

[16] سورة البقرة – الآية:285.

﴿**كَرِيمٌ**﴾: لا يوجد فيه خطأ ولا شوائب، رسول الله ﷺ يقرؤه عليكم، فهو لسان حضرة الله، الله يكلّم البشر عن طريقه عليه الصلاة والسلام، أفلا تسمعون كلام الله وقد أتاكم عن طريق أكرم خلقه، بالقرآن تكسبون جناتكم وترجعون لمقامكم الإنساني وإلى السمو والعلو مع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

78- ﴿**فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ**﴾: محفوظ برسول الله عليه الصلاة والسلام، لا يضيع منه شيء. تكنُّ إليه الأنفس حيث النعيم والجنة والسعادة فيه، الله سبحانه وتعالى وضع سر ومعاني الكتاب بنفس رسول الله ﷺ.

79- ﴿**لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾: لا أحد يستطيع إدراك معاني القرآن السامية أو مسّ حقائقه وفهمها إلا أن يكون طاهر القلب نقي النفس؛ وذلك لا يكون إلا بالإيمان. إذن آمن عندها تصلي الصلاة الصحيحة فتكتسب الطهارة فتصبح كريماً كاملاً عندها تحب سيد الكاملين ﷺ فيشهدك معاني القرآن، فتعقلها نفسك وتعيش بها، فتترك الدنيا وتأبى العيش فيها، إنما تتخذها سبيلاً للجنات، مدارج للمعارج.

80- ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: تنزيلٌ من أجلك أيها الإنسان، فالله سبحانه وتعالى ينزل لك معاني القرآن من الكتاب المكنون، أي نفس رسول الله ﷺ إلى نفسك، فقط استعظِمِ الرسول ولا تتعالَ عليه[17].

سورة الواقعة: [81-90]

81- ﴿**أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ**﴾: القرآن؛ فالرسول ما تحدث إلا بالقرآن شرحاً وتفصيلاً، قال تعالى: {**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**}[18]. ﴿**أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ**﴾: جاءكم هذا البيان من ربكم فما فكرتم وما عبأتم وما شاهدتم ما فيه من خير وجنات وما عقلتم بيانه ﷺ.

82- ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾: هذه الآيات شملت الأمم والأفراد، إذ لو آمنوا بالرزاق وأطاعوا رسول ربهم لرزقهم الله من حيث لا يحتسبون وجعل لهم من عسرهم يسراً ومن أمرهم رزقاً ومخرجاً.

فالمؤمن لا يحتاج لأحد سوى بابه تعالى الكريم. والمؤمن عزيز النفس وافر الكرامة {**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**}[19]. وغيرهم ممن لم يتعرفوا على ربهم الرزاق أذلاء لبعضهم بعضاً، هجروا ربهم ولم يؤمنوا به، فيسفحون كرامتهم ويهدرون ماء وجههم ويضيّعون عبادتهم لله من أجل الرزق، ويكفرون بالرزاق فيتبعون أساليب الخداع والمراوغة من أجل الحصول على المال، ونسوا بذلك من رزقهم في بطون أمهاتهم، فهل كان الشرق أم الغرب من يمدّهم في تلك الظلمات "بطن الأم"؟! هل من يد سوى يد الله سبحانه وتعالى كانت تكلؤهم ولا تزال؟!

---

[17] في شهر رمضان وفي العشر الأواخر منه واجب عليك أن تصل لهذا وتشاهد ذلك التنزيل وإلا فرمضان ذهب عنك ولم تستفد منه. صلاة التراويح لكي ترى الوحي المنزَّل على رسول الله وتشاهد الأنوار والحياة المنزلة عليه عليه الصلاة والسلام، فكلمة "تراويح" مشتقة من كلمتي: ترى الوحي. للمزيد لطفاً انظر كتاب الصيام للعلّامة محمد أمين شيخو

[18] سورة النجم – الآية:3–4.

[19] سورة المنافقون – الآية:8.

فلماذا الآن يكذّبون وينكرون ذلك ويتذلّلون لبعضهم من أجل الرزق؟! وغداً يأتيهم الموت بغتةً وبعد الموت يرون أن الله هو الرزاق الوحيد وأن الحول والقوة بيده وحده والحقائق ماثلة أمامهم.

83- **﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾:** ما حالكم ساعتها أيها المكذبون الضالون، هؤلاء الذين جعلوا رزقهم أنهم يكذبون أليس الموت نصيبهم ونهايتهم جميعاً! هذه النفس عند النزاع بالغرغرة تبلغ الحلقوم، وهي لا تريد الخروج وتخاف سوء المصير، فبأي وجه سيرجع الراسب المقصِّر؟ ولكن ملك الموت يسحب الروح ويكون النزاع، وعند خروجها من الجسد ترى الحقائق وترى أنها حلَّت من دنياها أي ذهبت عنها دون رجعة، وترى أنها ستحل في عالمٍ ثانٍ لم تعمل له وستقوم به حتى القيامة بلا نور ولا طعام ولا أنيس، لو آمنوا وأحبوا رسول الله ﷺ ما حلَّ بهم هذا الألم والشقاء بل لحلُّوا بالسعادة والنور والجنة.

84- **﴿وَأَنْتُمْ﴾:** الأهل، الأبناء، الأقارب، وأنتم أيها الناس الذين انقطعتم عن ربكم وأنستكم الدنيا ولذائذها ربَّكم وانشغلتم بها عن التفكير بالموت وعن إيمانكم. **﴿حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾:** تنظرون بأعينكم لهذا المحتضر المسكين.

85- **﴿وَنَحْنُ﴾:** رب العالمين متجلٍّ على هذا المحتضر بأسمائه الحسنى كلها بهذه اللحظة الرهيبة. **﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾:** معه سبحانه وتعالى بالرحمة والحنان والعطف والعلاج، قريب من هذا المحتضر ليلتفت إليه فيشفى وينجو من محنته. **﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾:** الحقائق الماثلة لهذا المحتضر وأن الله أقرب إليه منكم. وأنتم المحيطون به لو آمنتم وصار لكم رابطة برسول الله لحصلتم على نور شاهدتم به حاله وما يعانيه وهو ينظر إليكم يطلب مساعدتكم، ولمددتم له يد العون والمساعدة. فقط يتأثرون فترة ويحزنون ثم سرعان ما ينسونه ويرجعون لدنياهم.

86- **﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾:** إن لم يكن عليكم ما عليكم من أعمال تُدينكم عند بارئكم، إن لم يكن لكم أفعال وارتكابات وتقصيرات في جانب ربكم وأعمال تتنافى مع الإنسانية التي خلقتم لأجلها ومع الفطرة التي فطركم الله عليها:

87- **﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:** إن لم يكن ذلك الدّين عليكم تستطيعوا أن ترجعوا نفس هذا الميت وتخاطبوه، فالنفس باقية لا تموت، بل الجسد هو الذي يموت والنفس تذوق الموت ذوقاً.

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}[20] وعدم لا يكون، فالنفس باقية ببقاء الله، فهي تسمع وتتكلم وإن كان الإنسان صادقاً صالحاً ليس لديه إساءات واقترافات تنافي إنسانيته من إساءات واقترافات، عندها تشفى نفسه ويسمع خطاب الأموات ويكلمهم ويكلمونه، وهذا ما حصل مع رسولنا المثل الأعلى عليه الصلاة والسلام، ويحصل مع كل مؤمن مقتفٍ أثر الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام، فعندما سمع بعض المسلمين رسول الله عليه الصلاة والسلام، يخاطب أهل القليب في وقعة بدر فقالوا: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جيفوا؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.

{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}: بطريق الحق وسلكتم فيه بقوة وتركتم كلَّ سبل الغواية، عندها تمدون يد العون لهذا المحتضر وتذكرونه بأعمال حسنة كان قد قدَّمها في حياته الدنيا فتهوِّنون عليه سكرات الموت، وتساعدونه برحلته الأبدية، هذه علامة محبتكم له.

أحوال البشرية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

[20] سورة العنكبوت – الآية:57.

88- ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: هؤلاء هم السابقون السابقون دائماً بالصعود والسمو وهم مقربون من الله ويقربونك من حضرته سبحانه وتعالى، أعمالهم كبيرة وعظيمة، على أيديهم اهتدت أمم كثيرة ودخلت الجنة.

89- ﴿فَرَوْحٌ﴾: رَوح للنفس، ذهبت رُوح جسده وجاءته رَوْحٌ على نفسه، أي: إمداد من الله تعالى بالجنات الأبدية. ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: ترتوي نفسه بما عند الله وتصبح روائحها عطوراً. ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾: دائماً بالنعيم حيث صار مع الله بمعية رسوله ﷺ العروة الوثقى.

90- ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: تشرَّب مما يمنّ الله به على أنبيائه الكرام من أنوار وتجليات، المؤمن لا يأخذه الله حتى يَشفي له نفسه من كل العلل والأدران ويغفر له كل شيء حلَّ بنفسه، يشفيه بالصلاة شيئاً فشيئاً فتذهب عنه العلل والأدران ويضع بنفسه الكمال، عند ذلك ينطلق للعمل الصالح وتجمع تلك الأعمال فتُكفِّر أعماله السابقة التي قام بها ويدخل الجنة.

هؤلاء أقل درجة من المقربين، لكنهم خرجوا من الظلمات إلى النور، كان طريقهم في جاهليتهم في الظلام، وكلُّه شرّاً وتعدّياً وأذى وغدراً ومكراً ومراوغة، ولكنهم عندما غيّروا الطريق صاروا من أهل الإحسان والخير، ثبّتوا أنفسهم بالإيمان وقدّموا تضحيات كبيرة فصاروا من أصحاب اليمين "الخير الكثير"، والله أسبغ عليهم عطاءً دائماً، فلقد أرضوا جانب ربهم، فنظروا للفقير والمسكين وعطفوا عليهم، صاروا إنسانيين باستئناسهم بالله تعالى، وغدا كل شيءٍ يستأنس بهم.

سورة الواقعة: [91-96]

91- ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: قبل أن يؤمن هذا الإنسان كان مصيره للنيران الأبدية، ولكن عندما آمن ورجع لله أصبح من أهل الجنة؛ لقد نجا من أهوال عظيمة لا يعلم مداها إلا الله، بإيمانه أخرجه الرسول ﷺ من الظلمات إلى النور ومن النيران للجنان والسعادة الكبرى، قال تعالى: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}**. هذا المؤمن نجا بنفسه، فعند موته أهل السماء جميعهم يهنئونه على سلامته بعد هذه الرحلة الميمونة التي عادت عليه بالخير واليمن والبركة، والأنبياء الكرام والملائكة تصبُّ عليه الأنوار والتجليات الإلٓهية والخيرات ويعطونه مما أمدهم الله به من جنات.

92- ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾: لا يكفي أنه ضال بإعراضه عن الله بل مكذِّب بالحق أيضاً، جاءه من ذكَّره فكذَّب وصار يضلّ غيره، قاوم الحق إذ إنه لا يريد غير الباطل، عرف ثمَّ حرف، رأى الآيات وأيقّن بها ثم جحد.

93- ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾: هذه نتيجته وهذا حاله، منازله كلها نيران عليه، جهنم تغلي في نفسه، أعماله كلها أذى وإضلال وقد عادت عليه بالسموم والنار، الكافر لا يعرف حقيقة الدنيا وحقيقة ما يجمعه منها، يظن أن الجمع منها كسبٌ له وسعادة، لذلك منازله نيران ملتهبة.

94- ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾: وفي الآخرة نار الله الموقدة مصيره لتطفئ نيرانه وآلامه الجهنمية وتسليه عنها.

95- ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾: رسول الله ﷺ يقول لك ذلك على لسان حضرة الله، إن التفت إليه عن طريق مرشدك كشف لك ما في القبر والآخرة من أهوال. إذا آمن الإنسان وصار له نورٌ من ربه يرى ويشاهد هذا الشيء الذي سيقع فيه وتتيقّن نفسه منه، فيتجنبه ويتّقيه.

96- ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: اذكر نعم الله وآياته واسبح بفضله، الخطاب من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام، هذه وظيفة رسول الله بكل زمان ومكان، رسول الله ﷺ انتقل جسده الشريف وغابت صورته، لكن نفسه الشريفة باقية ووظيفتها قائمة مستمرة لا تنتهي، والله يطلب من الرسول ﷺ أن يسبّح نفوس المؤمنين باسم ربه العظيم، ﴿ربك﴾: يا محمد فأنت شاهدت أنه لا يوجد غير الله عظيم، سبِّحهم بهذه العظمة لتسحبهم من الدنيا وشقائها إلى الجنة ونعيمها، وهذا الشيء لكل من سار بالقانون، فكَّرَ بالموت حتى خافت نفسه فاستقام على أمر الله بعدها فكر بالكون فشاهد عظمة الله عن طريق مخلوقاته، فصار له نور من ربه، هذا صار مؤمناً، رسول الله ﷺ يريه أسماء الله الحسنى فتسبح نفسه بها ويدخل الجنة، والذي دخلت نفسه الجنة من حياته الدنيا فهو في الآخرة من أهلها.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحديد: [01-10]

1- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كل ما في الكون مفتقر إلى الله يطلب الإمداد منه، فوجوده وحياته وبقاؤه بإمداد الله وتربيته. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المتفرّد بكل خير وكمال، صاحب الفضل والإحسان ومغدق العطاء على خلقه، ولا يأتي الخير إلا منه. ﴿الْحَكِيمُ﴾: بخلقه وما يناسبهم، كل واحد يعطيه حقّه، للمحسن الإحسان وللمسيء ما يناسبه، فالكون كله سائر بالحكمة وحسب حالك يعطيك، المؤمن الصحيح دوماً مستريح لا يتأثّر من أحد إذ يعرف أن ما أصابه من نفسه.

2- ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كل ما في الكون عائد إليه وهو تعالى المالك المتصرف وليس لغيره تصرف أو فعل. ﴿يُحْيِي﴾: بالإقبال عليه سبحانه يحيا قلبك أيها الإنسان فتعمل الخير والإحسان وتنال السعادة. ﴿وَيُمِيتُ﴾: بالإدبار عنه يموت قلب الإنسان وينقطع عمله فلا يعمل خيراً. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: صاحب القدرة والإمداد، قادر على الإحسان وعلى رد الإساءة ويعطي ويمنع بقدر لا جزافاً، كل شيء بمقداره، العمل الحسن بمقداره تنال الإحسان، وكذا السيئ بمقداره، وكل امرئ وحقّه، النار والجنة على حسب الاستحقاق.

3- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾: أول بلا بداية مهما قلت أول فهو أول وأول وكان الله ولم يكن معه شيء. ﴿وَالْآخِرُ﴾: آخر بلا نهاية وله كل شيء. ﴿وَالظَّاهِرُ﴾: المطّلع على ظواهر الأمور، خالق لعملك فكل ما يجري في الكون يجري بعلمه وإرادته، وهو تعالى الظاهر بأسمائه الحسنى يرى هذا من كان له نورٌ وبصيرة ومن كان صاحب قلب تتقلب نفسه بأسمائه تعالى الحسنى وهو سبحانه: ﴿وَالْبَاطِنُ﴾: المطّلع على خفيّات الأمور، ولا يبطن لك أيها الإنسان إلا الخير. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: عملك أيها الإنسان معلوم عند الله.

4- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾: فما هي هذه السماوات؟ للهواء سماء، وللسحب سماء، وللقمر سماء، وللكواكب سماء، وكذلك للشمس سماء وللنجوم سماء ثم السماء السابعة وهي السماء الأخيرة والمحيطة بكل هذه السماوات وتحفظ السماوات بما فيها من الخلل والتبعثر.

﴿وَالْأَرْضَ﴾: لأجلك أيها الإنسان ولتربيتك. ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أدوار، الليل والنهار والفصول الأربعة. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: تجلّى بأسمائه الحسنى على هذا الخلق فسرت الحياة فيه وسار الكون على هذا الكمال.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾: من الأمطار، ما يدخل إلى الأرض من جذور وهواء وماء. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: من ينابيع وأنهار. ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من الحياة في حبة المطر، فإذا سقي النبات بماء الينابيع دون أن تهطل الأمطار ولو لمرة واحدة ينبت نبتٌ ولا يخرج ثمرٌ، ماء المطر فيه الحياة من الله. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: من أبخرة، فالشمس تصب أشعتها على البحار فيتبخر الماء ويعرج بخار الماء إلى سماء الغيوم.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: معيّة نفسية. ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عينه دائماً على الخلق، مشاهد عملكم فكل إنسان بحسب عمله يعطيه فلا يضيع لك حق وتعب.

5- ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: كل ما في السماوات وما في الأرض راجع إليه بالتَّسيير والإمداد. ﴿**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾: فليستقم المرء ولا يخشَ إلا الله، فبيده سبحانه وحده تصريف أمور الكون كله، فهو المسيِّر لكل شيء، وكل شيء راجع إليه وكل ذلك لأجلك أيها الإنسان لتؤمن بلا إلّه إلا الله وتعمل صالحاً وتدخل الجنة.

6- ﴿**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**﴾: انظر أيها الإنسان فضل الله عليك ورحمته بك في الليل والنهار، كيف يأتي الليل ويذهب النهار وكيف يذهب النهار ويأتي الليل، ألا يدل هذا على دوران الأرض وكرويتها، فلولا هذا الدوران ما دخل ليل على نهار ولا دخل نهار على ليل. ﴿**وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: عليم بنفسك أيها الإنسان وما فيها من نوايا، فلا تضع فيها شيئاً لا يرضاه سبحانه وتعالى، أقبل على الله لتنال الكمال منه وتصبح نيتك عالية وأعمالك صالحة وتدخل الجنة.

7- ﴿**آمِنُوا بِاللَّهِ**﴾: وبعد أفلا يجب أن تؤمنوا بالله وتشاهدوا بنوره أنه سبحانه المسيِّر الفعَّال. ﴿**وَرَسُولِهِ**﴾: إن آمن الإنسان بلا إلّه إلا الله يؤمن برسول الله وترتبط نفسه بنفسه ﷺ برابطة المحبة وينال التقوى ويصبح له نور يرى به الحق من الباطل. ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾: مما لا تملكونه وإنما هو عارية مستردة، أي: إن الله هو الذي أعطاك رزق الآخرين ثم أوصلهم إليك لتعطيهم وتقترب من الله ويعطيك الله الثواب، فكل ذلك فضل من الله ليس لك فيه إلا أن الله أراد أن يكون الخير على يدك. ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾: عطاء كبير، لكم أجر من الله على ما قدمتموه من أعمال صالحة وأنفقتم، لكم الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

8- ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾: ما الذي يمنعكم من الإيمان والإقبال على الله بعد أن سمعتم بيانه وكلامه المنزَّل على رسوله. ﴿**وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ**﴾: يدعوكم لتقبلوا على الله وتشفى نفوسكم ويصبح لكم نورٌ تشاهدون به حقائق ما يبينه لكم ﷺ. ﴿**وَقَدْ أَخَذَ**﴾: سبحانه. ﴿**مِيثَاقَكُمْ**﴾: في عالم الأزل ألَّا تُغمِض جفنك عن الله ساعة. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: المؤمن هو الذي يعلم هذا الميثاق الذي أعطاه لربه عندما خلقه، إن آمنتم بالله ورسوله تتذكرون ميثاقكم فلا تنقطع نفوسكم عنه سبحانه وتعالى بعدها أبداً.

9- ﴿**هُوَ**﴾: صاحب الأسماء الحسنى. ﴿**الَّذِي يُنَزِّلُ**﴾: من أجلكم ولسعادتكم. ﴿**عَلَى عَبْدِهِ**﴾: رسول الله ﷺ. ﴿**آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**﴾: القرآن قوانين ظاهرة دالة على لا إلّه إلا الله وأن المسألة بيد الله وأنه تعالى حق، هذه القوانين من تفكير بالموت، وتفكير بالكون، واستقامة على طاعة الله، والأعمال الصالحة، أنزلها الله لكم لتسيروا بها فتهتدوا ويصبح لكم نور منه سبحانه وتعالى. ﴿**لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ**﴾: من كثير مما يقع فيه الإنسان من مهالك توصله إلى الشقاء والنار. ﴿**إِلَى النُّورِ**﴾: الذي به يفرّق بين الحق والباطل، المؤمن يصبح له نور يرى به الحقائق فلا يقع بمنكر ولا معصية. ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ**﴾: أيها الخلق، أيها المؤمنين. ﴿**لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾: لذلك أنزل لكم هذا البيان.

10- ﴿**وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: كل ما في الكون وكل ما تحبه ومتعلِّق به ستتركه وترحل عنه، ألا تفكر بهذا؟ أمرك سبحانه بالإنفاق ليعطيك على عملك فهو تعالى لا يضيِّع لك مثقال ذرة. ﴿**وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: مهما عشت لا بد لك من يوم تموت فيه وتفارق ما جمعت، ويموت الناس كلهم. ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا**﴾: الذين كانوا مع رسول الله ﷺ ببداية دعوته قبل الفتح قاسوا الكثير وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وهم الذين أسَّسوا الحق، هؤلاء أعظم درجة من الذين آمنوا وأنفقوا من بعد الفتح، كذلك إن الذي يعطي وهو لم يصبح بعد من المؤمنين الشهوديين فإنه يجاهد نفسه

ويعطي دون أن يرى الخير من ذلك أولئك أجرهم أعظم من الذين أنفقوا من بعد أن أبصروا وعلموا. ﴿**وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾: الجنة والسعادة. ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾: نيتك وعملك الله سبحانه خبير بهما.

سورة الحديد: [11-20]

11- ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾: من عمل خير ومعروف، من صدقة وزكاة، كل ما تنفقه فلك فضلٌ من الله عليه، أرسلك الله للدنيا لتكون إنساناً وتعمل صالحاً ومعروفاً. ﴿**فَيُضَاعِفَهُ لَهُ**﴾: يعطيه عليه أجراً كبيراً دائمياً. ﴿**وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾: خالٍ من كل سوء، لا شقاء بعد عطائه سبحانه ولا نقص ولا نغص.

12- ﴿**يَوْمَ تَرَى**﴾: الخطاب موجَّه من الله لرسوله الكريم ومنه ﷺ للمؤمنين. ﴿**الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾: الإيمان سعي للوصول إلى الله والرسول، النور الإلٓهي سرى إلى قلوبهم نتيجة إيمانهم وهذا النور يوصلهم لمشاهدة حقيقة الرسول، فيزدادون إيماناً، المؤمنون سعوا فشاهدوا، هؤلاء غابوا عن الوجود الإلٓهي بالشهوات في عالم الأزل، جاؤوا إلى الدنيا فسعوا للوصول إلى الإيمان وصار لهم نورٌ يرون به حقائق الأشياء. ﴿**وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾: بأعمالهم العالية حصلوا على هذا بما قدموا من خيرات فيها اليمن والبركة. ﴿**بُشْرَاكُمُ**﴾: جزاؤكم. ﴿**الْيَوْمَ جَنَّاتٌ**﴾: دائماً بشهود لأسماء الله الحسنى والسعادة تُسكَبُ عليهم. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾: الخيرات المادية. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾: إلى ما لا نهاية. ﴿**ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾: الذي من أجله خلقك الله أيُّها الإنسان.

13- ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ**﴾: هؤلاء المنافقون كانوا في دنياهم يسمعون الحق حضروا مجلس رسول الله ﷺ أو المرشدين الحقيقيين وهي مجالس العلم بآلاء الله وصار لهم أحوال وأذواق إلا أنهم ما آمنوا بالله يقيناً وما سعوا للوصول إلى الإيمان الحقيقي الشهودي فوقعوا بالنفاق، دنياهم بقيت غالية على قلوبهم، لأنهم لم يؤمنوا بذاتهم، فعرفوا الحق وحرفوا وأقرّوا بالدين ولكن لم يتّخذوه مسلكاً واتّخذوا أهواءهم وشهواتهم الدنيئة منهجاً وضلّوا عن الذكر بعد إذ جاءهم فوقعوا بعد الموت وهم على ما عليه من النفاق والكفر في ظلمة حالكة، بسبب اتّباعهم للشهوات التي أهلكتهم، وأعمالهم أضحت منحطة، لأن نواياهم كانت منحرفة ولأجل دنيا زائلة، وغاياتهم نفسانية لا إنسانية، وظهر حالهم المخزي هذا يوم القيامة، ونظروا إلى المؤمنين الصادقين الذين عملوا بما علموا، فكانت أعمالهم الصالحة نوراً لهم في البرزخ والآخرة. ﴿**لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾: بالله وصار لهم نور من ربهم ﴿**انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**﴾: يعرفون أن المؤمنين عندهم نور لكن غير مشاهدين لأنوارهم يقولون لهم: ﴿**انْظُرُونَا**﴾، أي: انظروا إلينا، التفتوا علينا، هؤلاء يكونون في ظلمة فيطلبون من المؤمنين إنارة طريقهم وكشف ظلامهم. ﴿**نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**﴾: فأنتم زملاؤنا، وكنا على مشرب واحد في التجلي الإلٓهي، فباسم الصحبة الدنيوية الطاهرة ساعدونا وأسعفونا، وأفيضوا علينا مما أفاض الله عليكم. ﴿**قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ**﴾: يقال لهم انظروا أعمالكم السيئة المخبأة وراءكم "إن الإنسان ليجعل الرديء وراء ظهره خجلاً وكذلك هنا المنافقون" يُقال لهم ابحثوا في أعمالكم التي قمتم بها في الدنيا عسى أن تجدوا عملاً تواجهون فيه ربكم فتنالون الأنوار.

ولما لم يجدوا أيَّ عملٍ صالحٍ خالصٍ لوجه الله، بل كانت أعمالهم كلها كما يُقال بالمثل العامي: (حكَّ لي لأحكَّ لك)، فلم يجدوا لهم عملاً يقرّبهم لأنهم لم يؤمنوا ولم يتّقوا بل وجدوها حسرات عليهم فهووا خزياً وعاراً وانقطع الاتصال بينهم وبين أهل الكمال، هنالك تلقّوا علاجاتهم المؤلمة ليتحوَّلوا عن خزيهم وعارهم.

﴿**فَالْتَمِسُوا نُورًا**﴾: يُقال لهم ارجعوا إلى ما عملتم في الدنيا فالتمسوا من هذه الأعمال النور حيث كانوا يحضرون مجلس رسول الله ولهم أعمال خير ومعروف في البداية. ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ**﴾: وهكذا تمَّ الفصل بينهم بما ساورهم من ذلّ وبُعد عن أهل الحق، السور: كل شيء ساور نفسه من أعمال، كل واحد يحجبه عمله، لأنه نظر لعمله فرأى النار أنسب شيء له لعلاجه وهي بمثابة مستشفى ولا تناسبه الجنة. ﴿**لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ**﴾: كله رحمة، النار رحمة لهؤلاء المنافقين فهي تنسيهم آلامهم وخسارتهم وجهنم التي فيهم، هذا العلاج الذي يعالجونه لينسيهم آلامهم النفسية الفظيعة، ويحوّلهم عن العذاب الأكبر، عذاب جهنّم، إلى العذاب الأصغر بالنسبة إليهم عذاب نار الله الموقدة، الذي هو أخف بكثير من آلامهم الجهنمية الحقيقية لأنهم لا يزالون يتولّون كبرهم ولا يلتجئون إلى الرحمن الرحيم، فكان هذا العذاب نابعاً من قِبل هذا المنافق. ﴿**وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾: ولكن يظهر فيه الشدة والعذاب هكذا صورته. ﴿**مِنْ قِبَلِهِ**﴾: أي من قبل المنافق، العذاب الجهنمي الذي في نفوسهم هو الذي يسبب لهم عذاب النار، نار الله الموقدة. أما من طرف الله فلا يوجد سوى الرحمة والحنان.

14- ﴿**يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ**﴾: نجلس معكم مجلس الرسول بدروسه. ﴿**قَالُوا بَلَى**﴾: هذا في بداية سماعكم دعوته ﷺ ثم: ﴿**وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾: بالدنيا وشهواتها. ﴿**وَتَرَبَّصْتُمْ**﴾: بالمؤمنين السوء وتمنيتم أن ينفك عقد اجتماعهم وعملتم من أجل هذا. ﴿**وَارْتَبْتُمْ**﴾: بالله سبحانه، صرتم تَشُكون به وبرحمته وعدله سبحانه. ﴿**وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ**﴾: المناصب. ﴿**حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ**﴾: جاءكم الموت. ﴿**وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾: الشيطان، شياطين الإنس وشياطين الجن خدعوكم وغرّروا بكم فسرتم معهم.

15- ﴿**فَالْيَوْمَ**﴾: يوم القيامة. ﴿**لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: لا يؤخذ منهم شيءٌ يفتدون نفوسهم به، فلا صدقة ولا عمل صالحٌ يستطيعون القيام به. ﴿**مَأْوَاكُمُ النَّارُ**﴾: النار أنسب شيء لكم ولأمراضكم. ﴿**هِيَ مَوْلَاكُمْ**﴾: لعلاجكم. ﴿**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾: عدم إيمانكم وأعمالكم السيئة عادت عليكم بهذا المصير والشقاء والبؤس.

16- ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: آمنوا بفكرهم دون أن يشاهدوا بقلوبهم لا إلَه إلا الله. ﴿**أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**﴾: يفكروا بالكون فتخشع نفوسهم لما يروه من عظمة وقوة ودقة صنع، ويذكروا الله وفضله عليهم وإحسانه وأسماءه الحسنى. ﴿**وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**﴾: من بيانٍ عالٍ سامٍ على رسول الله ﷺ من أجلهم. ﴿**وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ**﴾: مثل اليهود. ﴿**فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ**﴾: طال الوقت بهم دون أن يفكروا ويذكروا الله لتخشع قلوبهم. ﴿**فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾: تحجَّرت فلم يبقَ لهم ميل للإيمان. ﴿**وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾: كانوا فاسقين خارجين عن الحق، فتنوا. والفاسق: امرئ خرج عن الحق واستهان بفعل الرذيلة فألفها ثم صار يرى المنكر فضيلة وحضارة ورقياً ويرى الطهر والعفاف والفضيلة رجعية وتخلّفاً، بعد ذلك صارت دعوته إلى الرذيلة، ويحبِّب الناس بالنقائص والمحرمات ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله، صار يدعو الناس إلى الفساد وهذا ما فعله اليهود، فهم فسَّدوا العالم وأوروبا، فالله يحثّنا على الإيمان الذاتي الحقيقي لكيلا نقع بما وقع به اليهود من قبل.

17- ﴿**اعْلَمُوا**﴾: فكّروا لتصلوا للعلم، إن فكر الإنسان صار له تعظيم لربه فيؤمن بربه ويشهد أن لا إلَه إلا الله، ويصبح له نور وبهذا النور يعلم ويشاهد. ﴿**أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾: وكما يحيي الله الأرض الميتة، كذلك الإنسان إن أقبل فإنه يحيا، يُحيي الله النفس الميتة بإعراضها عنه عندما تقبل عليه. ﴿**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ**﴾: جاءتكم معاني القرآن على لسان رسول الله ﷺ. ﴿**لَعَلَّكُمْ**﴾: المشيئة لكم أنتم. ﴿**تَعْقِلُونَ**﴾: منها شيئاً، إن صار لكم صلاة ونور عقلتم لا إلَه إلا الله وشاهدتم حقائق الآيات.

18- ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾: من يبذل وغايته الله، الذين يَصدقُون مع الله. ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: وينفقون مما آتاهم الله. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾: أجرهم. ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: خالٍ من الشوائب، لهم الجنة والنعيم.

19- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾: بلا إلّه إلا الله. ﴿وَرُسُلِهِ﴾: بما جاؤوا به عن حضرة الله من بيان ودلالة. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾: بإيمانهم، وبنور رسولهم صار لهم علم بأسماء الله الحسنى فشاهدوها، شاهدوا اسم الرحيم، العليم، القدير، الحليم، فصدَّقوا ما سمعوه من رسولهم. ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾: الذين شهدوا الحق للخلق، صاروا يُبيّنونَ ويُعرّفون الناس بالحق كما بيَّنَ لهم رسول الله ﷺ من قبل. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: على ما يقدّمونه من أعمال ودلالة الخلق على الله. ﴿وَنُورُهُمْ﴾: بازدياد عليهم. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بلا إلّه إلا الله، ما آمنوا بها، ما فكروا بالكون فما شاهدوا شيئاً فظلت نفوسهم محجوبة عن حضرة الله. ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: ما نظروا بالتربية، ما فكروا، ما عرفوا هذا المربي. عدم إيمانهم جرهم للتكذيب بما جاء به الرسل من آيات بيّناتٍ ودلالة من ربِّهم. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: حظّهم غداً النار، الإنسان إن ما فكَّر لابدَّ أن يقع بالسوء.

20- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾: والآن هكذا حال الناس وحال الدنيا، الكافر مفتون ومعجب بها ويميل لها ليتفاخر بها، وهذه الدنيا. ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾: مطرٍ. ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾: نزل على الأرض فنَبَت به الزرع. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾: إن هذا النبات يكبر ثم يصفر وييبس، ثم تنفخ فيه الريح، وهكذا حال الكافر في الدنيا ينال منها وتكبر وتكثر في عينه حتى إذا مات لم يجد مما كان لديه شيئاً إلا ما اكتسب من إثم. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: الإنسان عندما يرى نفسه قد أضاع حياته سدى، عندها يحترق وتتقطع نفسه، فيتألَّم أشد الألم. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: شفاء. ﴿مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾: رضا من الله على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، هؤلاء يرضى الله عنهم ويدخلهم الجنة.

فأنت قبطان نفسك فإما أن تظلمها وستحاسب حساباً عسيراً على تفريطك بحقّها، أو أن توردها موارد الإيمان والتقوى والنعيم والسعادة والجنات.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: لا تغترَّ بها فلا المال يفيد ولا الأولاد، اعمل للآخرة لا للدنيا، لا تظنَّ أن الدنيا ستدوم، المغرور بها يضيّع آخرته سدى، المغرور بها يظنّها شيئاً وما هي بشيء.

سورة الحديد: [21-29]

21- ﴿سَابِقُوا﴾: هذه الآية حثٌّ على الإيمان الشهودي للذين آمنوا بالله ورسوله ولم يكملوا إيمانهم بعد، ﴿سَابِقُوا﴾: أي أسرعوا. ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: آمنوا بلا إلّه إلا الله لتطهير نفوسكم مما علق بها من ذنوب وأدرانٍ وأمراضٍ نفسية. ﴿وَجَنَّةٍ﴾: ثم بعد الإيمان والعمل الصالح إقبال على الله سبحانه وعروجٌ ورقيٌ بالله، فالجنة هي مشاهدة لوجه الله الكريم ودائماً بتوسع والنفس لا تقف عند حد، وليس لعطاء الله حد ولا نهاية. ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: حرف الكاف في كلمة (عَرْضِ) للتشبيه، هؤلاء المؤمنون لم يصلوا بعد للجنة ولا يعرفونها والذي لا يعرف يُشبَّه له، أي كما أن عطاءات وخيرات رب العالمين تأتي إلينا وتغمرنا بكل ما نطلبه ولا تنقطع على الأجيال من لذائذ ومأكولات ومشروبات ومشهودات مادية وروائع في الصنع وآيات في جمال الطبيعة وما ينتج عنها من ثمرات وحليب ومشتقاتها ومن بنين وبنات ومن كل ما تستحليه العين وتلذّ به النفس وهذه العطاءات أيضاً دائمية في الآخرة ولكن بمقاييس كبرى وأحجام عظمى لا تكاد تذكر هذه العطاءات المادية الثمينة تجاهها إلا قليل.

ومن كلمة (عَرْضِ) تشتق كلمة مَعرَض والمعرض يعرضون فيه كل جديد وكل المتطورات والتحسينات، فهذه السماوات والأرض كما هي معروضة عليك وتُمنَحَها وتأخذها كذلك الجنة معروضة عليك تُمنحها عن طريق عين النفس ومن لا صلاة له بالله فهو أعمى القلب بالآخرة هذا هو المحروم، فهذه المعروضات ونتاجها كلها للإنسان وكذلك هذا الأمر يستمر بالآخرة. ﴿**كَعَرْضِ**﴾: أي عرض الله من خلقه العظيم الكثير لن يعجزه سبحانه تأمين الجنة التي وعد بها. ﴿**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾: كل من شاء منكم الله يعطيه، المشيئة لك اصدق بالطلب الله يعطيك ﴿**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾: فضله ما له نهاية، اطلب يختصك، خلقك لهذا، ليتفضَّل عليك بعطائه وجناته، فضله واسع عظيم من طلب أعطاه من فضله والأجر على قدر المشقة.

22- ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ**﴾: أسماها تعالى {**مُصِيبَةٍ**}: لأنها تصيب الهدف، فإن فكر الإنسان بها وعرف السبب الذي جاءته منه هذه المصيبة فأصلح وتاب وغيَّر ما بنفسه رفع الله عنه هذه المصيبة، الشدائدُ حتى تخرج الدنيا من القلب إن خرجت رأى الإنسان عيوبه، إن رآها التجأ إلى الله فشفي قلبه. ﴿**فِي الْأَرْضِ**﴾: زلزال، براكين، أعاصير، حرق، تلف المحصول... ﴿**وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ**﴾: وفاة ابن، ضيق، هم، مرض، ذل، فقر... ﴿**إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾: كُتبت على الإنسان حين شذَّ عن الحق، هذا الإنسان وبعمله السيِّئ كتَب على نفسه ما كتَب من شدائد ومصائب فلا كتابة أزلية على الإنسان كما يدَّعون. ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا**﴾: نظهرها. لكن الله تعالى لا يرسل هذه المصيبة للإنسان فور عمله مباشرة بل ينبِّهه فلعلَّه يتوب، إن تاب وغيَّر وعمل عملاً صالحاً تاب الله عليه ومحا ما كُتِبَ عليه من شدةٍ ومصائب. ﴿**إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾: هيِّن وسهل.

23- ﴿**لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾: كل هذا رحمة وحنان من الله. ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ**﴾: يتخيَّل ويتأمَّل، يطلب الدنيا ويتخيَّلها ويتأمَّل منها السعادة، الدنيا خيال ولا سعادة إلا بالإيمان والعمل الصالح. ﴿**فَخُورٍ**﴾: الفارغ من المحتوى العالي.

24- ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ**﴾: الأغنياء الذين لا يزكُّون، والله أعطاك القوة والجاه والمال لتفعل المعروف فما استفدت. ﴿**وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ**﴾: يعلِّمون الناس على حب الدنيا وعدم فعل الخير والمعروف. ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ**﴾: عنك وعن عطائك لكن جعل لك ما جعل ورزقك من المال لتفعل الخير والمعروف وتكسب بهم الخيرات. ﴿**الْحَمِيدُ**﴾: يُحمد على كل ما يسوقه لعباده، أمرك بفعل المعروف لتنال فضله وجنته فتحمده على ما يتفضل به عليك من عطاء وجنات.

25- ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ**﴾: بيَّنوا للناس طريق الحق والحقيقة، طريق السعادة والجنات، الرسل تبيِّن لك طريق الإيمان والتقوى وهو التفكير بالآيات الكونية، كأس الماء إن فكر الإنسان به يوصله لشهود الحضرة الإلَهية، لكن هذا الإنسان لا يستطيع التفكير إلا إذا خاف من الموت عندها نفسه تعاف الدنيا وتطلب طريق النجاة، عندها يستطيع الإنسان أن يفكر بالكون وآياته فيؤمن بالله، فيستقيم على أمر الله ويصلي حقيقة، عندها تستطيع نفسه الاجتماع مع رسول الله ﷺ والإقبال على الله بمعيته. ﴿**وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ**﴾: ما بيَّنوه لك إنزال من الله صاحب الرحمة والحنان عليك، أنزله لنا بواسطة رسوله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، كذلك إن آمن الإنسان بربه وارتبطت نفسه برسول الله ﷺ أُنزل عليه الكتاب من سماوات الرسول العليَّة على قلبه. ﴿**الْكِتَابَ**﴾: لكلِّ رسول كتاب يؤيده ولكل شيء صورة وحقيقة، القرآن له صورة هذه الألفاظ التي نقرأها، كذلك له حقيقة، هذه الحقيقة مطبوعة في نفس رسول الله عليه الصلاة والسلام، كتب الله فيها الرحمة والحنان والعطف وأسماءه الحسنى كلها، إن أقبل الإنسان على الله بمعية رسوله صار له علم بالكتاب ويعلم أن كلام

الرسل كلهم صلوات الله عليهم أجمعين كلامهم واحد من الله. ﴿**وَالْمِيزَانَ**﴾: كل ذلك ضمن الأصول والحق، الرسل والأنبياء الكرام هم موازين الكمال وكل ما جاؤوا به عن ربهم من منطق عالٍ ودلالة وعلم ودعوة للتفكير وأعمال عظيمة هي ميزان للخلق، وعلى الكل أن يستعمل ميزانهم، أرسلهم الله وأنزلهم لنا من سماواتهم العليَّة، بعثهم للدنيا من أجلنا ولهدايتنا، وعيَّن لنا مكان اللقاء معهم بالكعبة المشرفة. ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾: بالحق والعدل. ليعامل الناس بعضهم بالإنسانية، الناس اليوم ما ساروا على كلام الله وما استعملوا الميزان فوقعوا بالفواحش وعم الفساد والرشاوى وسادت القسوة وحدثت الحروب واختُرعت الأسلحة المدمرة فأصبح الإنسان عدو الإنسان ﴿**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ**﴾: الحديد والأنعام كلها كانت نفوساً ولكنها طلبت كونها حديداً أو أنعاماً مسخّرة لخدمة الإنسان المكلّف بحمل الأمانة لذا أنزلها الله من عنده كنفوس مجردة ثم ألبسها هذا الثوب، حديداً أو أنعاماً على الأرض، كل على حسب طلبه وخدمته للإنسان وكل ألبسه الثوب على حسب وظيفته.

﴿**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ**﴾: من فضله تعالى، تصنع منه السيوف ترهب به الأعداء. الإنزال على رقاب المجرمين الأشقياء الذين أشقوا أنفسهم بحب الدنيا وشهواتها المحرمة فالله سبحانه أيَّد المؤمنين بالحديد، فالنصر والغلبة دائماً لهم على من عاداهم من الكفار، والله سبحانه أنزل حكم القتال وسمح فقط بهذا النوع من القتال ولم يسمح بغيره، فقط القتال بالسيف والرمح لأن فيه إنسانية، فجنود العدو عندما يفرون من ساحة المعركة ويهربون هناك أمل في توبتهم أما بالقنبلة فلا هروب. ﴿**فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾: على الكافرين الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة. ﴿**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾: على مرِّ القرون، فتوحات الصحابة ظهر منها خيرات كبيرة على البشرية، مئات السنين والناس يدخلون في دين الله أفواجاً، كذلك بالحديد منافع للناس بما يصنع منه من أدوات وأواني تعود على الناس بالفائدة والخير. ﴿**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ**﴾: فللإنسان الخيرة في سلوك طريق الحق، إن شاء سلك وصار له نورٌ من ربه وعاش بالجنات وإن شاء لم يسلك فيبقى في العمى والضلال والشقاء غائباً بالشهوات عن الوجود الإلّهي، الله سبحانه فقط يرشد الإنسان ويدلّه بواسطة رسوله وللإنسان الاختيار فإما يستجيب لداعي الله ويسلك طريق الحق، أو أنه يُصر على دنياه ويرفض طريق سعادته الأبدية. ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾: كل الخير والكمال والعطاء منه سبحانه وتعالى، أرسل رسله بالهدى ودين الحق، والله قوي لا شيء يقف أمام إرادته وسيستخلف أناساً يقيمون دعائم الحق والعدل والإنسانية على الأرض إلى يوم القيامة.

إن لم يؤمنوا ويسيروا بالحق فمصيرهم كمصير قوم سيدنا نوح وقوم سيدنا إبراهيم عليهما السلام وسيهلكون كما هلكوا من قبل:

26- ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ**﴾: لهداية قوميهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور والسعادة. ﴿**وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ**﴾: لما في قلبيهما من نوايا عالية ورحمة وحنان على الخلق لذلك جعل الله في نسلهم النبوة. ﴿**فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ**﴾: ذريتهم منهم من آمن واهتدى عن طريقهم. ﴿**وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾: لأنهم ما ساروا بسير أنبيائهم ما اهتدوا، ظنوا الدنيا شيئاً، ظنوا السعادة بها فخرجوا عن الحق ووقعوا بالشقاء والتعاسة.

27- ﴿**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آَثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا**﴾: بعد سيدنا نوح وإبراهيم أرسل الله للبشرية رسلاً. ﴿**وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ**﴾: جاءهم ببيان عليه السلام بيَّنَ فيه ما أُلصِق على التوراة من دسوس وشروح خاطئة كما بهذا الزمان. ﴿**وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ**﴾: اتَّبعوا سيدنا عيسى عليه السلام. ﴿**رَأْفَةً وَرَحْمَةً**﴾: طبع في نفوسهم الحق والرحمة بمعيته عليه السلام. ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً**﴾: عدم

التزوج بالنساء[1] ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾: هم ابتدعوها ما أمرهم الله بها، والرهبانية في حقيقتها أي رهبوا جانب ربهم، لـمّا فكَّروا آمنوا صار لهم رهبة بما شاهدوا من جلاله وعظمته سبحانه فابتعدوا عن الدنيا وشهواتها. ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾: لا عليهم ولا على الذين من قبلهم ممن ساروا بهذا. ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾: رضي الله لهم بالرهبانية لتكسب نفوسهم ثقة برضاء الله عنهم وتقبل عليه وتنال الجنة، لكن: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: كان بعضهم كاذبين بما ادعوا، وكل من يشرّع من عند نفسه سوف يشذ. ﴿فَآَتَيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: أعطاهم الله على هذه التضحية من فضله. ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: الآن.

28- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اسعوا في الإيمان واصدقوا ليحصل لكم نور من الله وتقوى. ﴿وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾: ولكن يجب أن تقبلوا بصحبة رسول الله كي تحصل التقوى، إن صار لكم نور تعرفون رسولكم وتؤمنون به. ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: هذا النور الإلٰهي يضيء للنفس طريق الحق ويريها الخير من الشر والمؤمن الصادق يستهدي ربه في سائر شؤونه ويستلهمه الرشد والصواب في كل أمر من أموره. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: يشفي نفوسكم مما علق بها من ذنوب. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: هو الشافي لكم لأنه رحيم بكم.

29- ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: كل هذا حتى لا يقول أهل الكتاب أن ليس باستطاعتهم السير ضمن طريق الحق بشكل كامل[2]. فالله يستنكر عليهم رفضهم وتعنتهم ويقول لهم: هاكم الصحب الكرام آمنوا واتقوا وآتيناهم كفلين من رحمتنا ونوراً يمشون به على الرغم من أن آباءهم عبّاد الصنم وأنتم أهل الكتاب أولى بسلوك طريق الحق كما سلكوا، فالمسألة بالاجتهاد، فما بعثنا رسولنا إلّا للهداية وليس كما تزعمون.

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: كما يزعمون، يقولون نحن ضعفاء لا نستطيع السير بالحق، اليهود قالوا قلوبنا غلف، أي سكَّرها الله لنا يحتجون ويقولون لماذا أتى محمد ﷺ من العرب ولم يأتِ منا، فكان جواب الله لهم ولكل من يسير على سيرهم. ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: الله سبحانه هو الذي تفضل عليه وأعطاه القرآن وهذه الدلالة والعلوم، وجعل الفضل عن طريقه، هو ﷺ عمل وضحى وجاهد وفكر، أنتم لم تعملوا عمله بل إنكم بالشهوات غارقون، فكيف يعطيكم؟! ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: الله سبحانه فضله واسع وكبير لا حد لفضله ولا انتهاء، أنتم اطلبوا والله يعطيكم.

والحمد لله رب العالمين.

---

[1] كما فعل صحب رسول الله حيث قرروا عدم التزوج، والمتزوج منهم جاهد بنفسه ولم يقرب زوجته ومنهم من جاهد بالطعام والشراب فلم يأكلوا إلا اللازم فنزلت بهم آية بعد أن آمنوا وصارت لهم التقوى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ..)، وكانوا أول الأمر بعد الإفطار يمتنعون عن نسائهم والأكل والشراب ويحرمون أنفسهم من حقها. {.فَتَابَ عَلَيْكُمْ..): أعاد لكم حقَّكم. {..وَعَفَا عَنكُمْ..): خلصكم من الشدة التي ألزمتم أنفسكم بها.

[2] اجتمع اليهود في شبه الجزيرة العربية ينتظرون رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعندما ظهر عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة، عرفوا أنه حق كما يعرفون أبناءهم لكنهم لم يسيروا معه حسداً من عند أنفسهم، لأن رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء من العرب ولم يأتِ منهم، يريدون رسول الله منهم طمعاً بالجاه الدنيوية وليس للآخرة، لم يضحّوا بالدنيا وشهواتها فرفضوا دعوة رسول الله لهم وهم الأولى بالاستجابة من غيرهم إذ هم أهل كتاب سماوي ولديهم معرفة.

تأويل سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المجادلة: [01-10]

1- ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**﴾: لعلها امرأة ابن عمر رضي الله عنهما جاءت رسول الله ﷺ تطلب الطلاق من زوجها، والرسول الكريم ﷺ لم يرض لها بالطلاق لأنه ﷺ لا يحب التفريق بين الزوج وزوجته لما فيه من ضرر وأذى على الأولاد، وهو ﷺ القائل: **"إن أبغض الحلال عند الله الطلاق"**، فأخذت تجادله بطلاقها لأنها مظلومة عند زوجها وهي تكرهه لما فعل معها وأساء لها ولا تريد العيش معه، رسول الله ﷺ استمع لها ولاطفها حتى امتص غضبها فهدأت نفسها ثم انقلب الجدال إلى حوار مفيد. ولكن كيف قابل رسول الله ﷺ امرأة غير محرمة عنه؟ هذه حالة اضطرارية، فرسول الله ﷺ هو الحاكم وجاءته امرأة مظلومة ودخلت عليه والله يشهد لها بأنها مظلومة، إذاً أفلا يحكم بقضيتها ويحل لها الخلاف؟ هذه الحادثة ليست قانوناً، كمثل بيت يحترق وفيه نساء وسمع رجل صوت استغاثة النساء ألا يدخل لإنقاذهن؟! ﴿**وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**﴾: من هجر زوجها لها واعتبارها كأمه. ﴿**وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**﴾: صارت تسمع من رسول الله ﷺ وتفكر بكلامه فوجدته صحيحاً وتراجعت عن رأيها، وهنا بهذه الآية إشارة إلى أن يؤمن الإنسان بأنَّ الله يسمع السر وأخفى. ﴿**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ**﴾: لأقوالكم. ﴿**بَصِيرٌ**﴾: مشاهد أحوالكم، فكل ما يطرأ على النفس من حالٍ أو أحوالٍ تعتلج فيها من حب كراهية ورضى أو عدمه وخوف وإيمان فالله سبحانه بصير به ويرسل لهذه النفس ما يناسبها، لذلك أنزل سبحانه الحكم بهذه القضية.

2- ﴿**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ**﴾: مثلاً يقول إنَّكِ حرامٌ عليَّ منذ اليوم أو حرامٌ أن أقربكِ "يتركونهن"، ويقول لها أنتِ عليَّ مثل أمي. ﴿**مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ**﴾: هذه المرأة ليست أمك إنما هي زوجتك. ﴿**إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ**﴾: جعل الحلال حراماً فهذا مستنكر والله لا يقبل به، فهل كان يأتي أمَّه بالسابق ويقاربها حتى يقول مثل هذا القول المنكر! ﴿**وَزُورًا**﴾: خارجاً عن الحق، شيء باطل ليس له أساس. ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾: لمن يُقبل عليه سبحانه ويطلب الغفران والشفاء. لم يكن ذلك معلوماً في الجاهلية. ﴿**لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾: سيرسل الله له شدائد ومصائب ليعود للحق وللصواب ويتوب التوبة النصوحة عن هذا الأمر، وهذا ما تعنيه كلمة غفور. وبعد هذه التوبة النصوحة يمحو الله من نفسه هذا الأمر نهائياً وهذا ما تعنيه كلمة عفو، فالتوبة الصحيحة تمحو الخطايا.

3- ﴿**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ**﴾: يجعل ظهره لظهرها علامة الابتعاد. ﴿**ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا**﴾: يرجعون ويفكرون بما قالوا ويتراجعون عنه، هذا يترتب عليه كفارة. ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾: يشتري عبداً من كافر فيرشده ثم يطلقه أو يشتري عبداً من مؤمن ويطلقه، وهذه بهذا الزمان تكلف مبلغاً كبيراً. ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا**﴾: قبل أن يقربها، تربية لكل من المرأة والرجل. ﴿**ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ**﴾: رحمة بكم ولخيركم وسعادتكم. ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾: خبير بكم وبما يناسبكم لذلك أنزل لكم هذا الحد والحكم، لئلا تمنعكم هذه المخالفة من الإقبال عليه سبحانه.

4- ﴿**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**﴾ يصوم شهرين متتابعين دون انقطاع، لكن قد يمرض هذا الصائم فما الحكم؟ إذا مرض يكمل بعد شفائه مباشرة لأن المرض يسوقه الله. أما إذا أفطر بلا مرض فعليه إعادة صيامه من جديد. ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا**﴾: أن يقربها وتعود العلاقة النفسية. ﴿**فَمَنْ**

لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾: يطعمهم ثلاث مرات في يوم واحد. **﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾**: لو كان ذلك الرجل مؤمناً حقاً لما فعل ذلك. معنى هذا أنه كافر، كفر حين قال هذا. **﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾**: ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه. **﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**: والذي يقترف مثل ذلك ولا يؤدِّي الحدَّ فإنه يُعرض عن ربه وله عذاب أليم. فلمَ هذا التشديد؟ وما السبب؟

كانوا بالسابق أهل صدق، إذا قالوا كلمة لا يتراجعون عنها ويقرنون القول بالفعل، وإذا فعل ونفَّذ ما قاله وما أصرَّ عليه من المظاهرة عندها سوف تقع زوجته بالفاحشة والزنا، وإن كان هذا ليس بمقدورها فإنها سوف تقع بالفواحش مع شياطين الجن، وبهذا الفعل الفاحش سواء كان ظاهراً أم باطناً تدمير للمرأة والمجتمع، وذلك شيء كبير عند الله لا يرضاه لها ولا لعباده، لذلك سيكون لهذا الزوج عذاب أليم إن لم يتُب ويتراجع عما قال مطبقاً الحد الذي أمره الله به. من هذه الآيات نستشهد بأن من أراد أن يطلِّق امرأته ولفظ بالكلمة ثم رأى نفسه مخطئاً يجب عليه أن يكفِّر عن خطيئته بإحدى هذه الحدود الثلاثة، أما إذا كان هناك سبب عظيم الخطر فإنه ينتظر على امرأته أن تحيض ثلاثاً وفي الطهور له أن يرسلها إلى بيت أبيها بعد أن يجتمع الحكمان من كلا الطرفين للنظر في الإصلاح بينهما.

5- **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾**: الذين لا يعملون بما أمر الله ورسوله فإنه يكبت في نفسه فيعرض عن ربه. **﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾**: اليهود وغيرهم حين عصوا رسلهم. **﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾**: آيات ظاهرة دالَّة على الخير والسعادة لكم، طبقوها. **﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**: شديد ومُذِل دنيا وآخرة.

6- **﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾**: يوم القيامة يبعث الله اليهود ومن عمل عملهم. **﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾**: يظهر عملهم أمامهم وأمام الخلائق كلها فيخجلون مما عملوا. **﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾**: كتبه الله وعدَّه. **﴿وَنَسُوهُ﴾**: نسوا ما قدمت أيديهم من الأفعال السيئة، أهوال القبر وعذابه وموقفهم في الآخرة أنساهم عملهم. **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾**: من عملك أيها الإنسان. **﴿شَهِيدٌ﴾**: محفوظ عنده تعالى، فهو رقيب عليك.

7- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**: أما يجب عليك أيها الإنسان أن تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض؟! ألست ترى أيها الإنسان الكون وما فيه، ألا يدلّ ما في هذا الكون من تنظيم وترتيب على أن خالقه يعلم بما يجري فيه! **﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾**: حتى ما يكون من حديث بين ثلاثة. **﴿إِلَّا هُوَ﴾**: سبحانه. **﴿رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾**: وهو معكم أينما كنتم، الله سبحانه معك أيها الإنسان بقلبك وعينك ولسانك وهو الممدّ والمربي لكل عضو منك. **﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾**: الإمداد منه تعالى فلا يخفى عليه شيء. النجوى أن يبوح الرجل بأسراره لشخص آخر تتشابه صفاته معه. **﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**: يكشف لكم أعمالكم السيئة، فما حالكم ساعتها حين تشاهدون فضله سبحانه عليكم وما قابلكم به من حنان وعطف وكيف قابلتم هذا الفضل والإحسان بالنكران! **﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**: عليم بكل ما يجري في هذا الكون لا يعزُب عن علمه شيء.

8- **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾**: أولئك المنافقون الذين يتهامسون فيما بينهم على المؤمنين، النجوى: الكلام بمنجاةٍ عن سماع الآخرين. **﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ﴾**: يرمون المؤمنين كذباً. **﴿وَالْعُدْوَانِ﴾**: والتعدي. **﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾**: ينتقدون أقواله ﷺ وأعماله ويخالفونه بعد الخروج من مجلسه. **﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾**: لا يعرفون قدره ﷺ وما في قلبه من أنوار وحياة، يقولون له يا محمد، اعتبروا أنفسهم زملاء للرسول وصاروا يُظهرون أنفسهم أمامه

ويتكلمون عن أعمالهم ويتباهون ويفخرون بها، وهو ﷺ يسمع لهم ويصبر عليهم ويرحمهم ويتحمل منهم الشيء الكثير حتى لا يتركوا مجلسه ويذهبوا للكفر، هؤلاء المنافقون أخذوا يقولون ويظهرون شيئاً ويخفون غير ذلك. ﴿**وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ**﴾: يستهترون ويقولون لِمَ لا يعذِّبنا الله، أين ما يَعِد من العذاب للمعرض، هلَّا أصابنا هذا العذاب جزاءً على كذبنا على رسوله؟ إذن: هم يظنون أن الرسول لا يعرف كذبهم. ﴿**حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ**﴾: الذل والحقارة عليهم. بسبب هذا: ﴿**يَصْلَوْنَهَا**﴾: سوف يصلون النار يوم القيامة. ﴿**فَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾: ساء ذلك المصير، غداً سيعود عليهم عملهم بالسوء دنيا وبرزخ وآخرة.

9- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ**﴾: بقول السوء. ﴿**وَالْعُدْوَانِ**﴾: التحدث عن الآخرين بما يسوؤهم. ﴿**وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ**﴾: بأمر يخالف رسول الله. ﴿**وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾: تكلموا بالشيء الذي يدلُّكم على التقوى وفعل المعروف. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: لتؤمنوا بالله ويصبح لكم نورٌ تنظرون وتشاهدون به الخير من الشر والحق من الباطل فلا تقعون بعدها بإثم. ﴿**الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾: غداً يوم القيامة.

10- ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ**﴾: هذه الأقوال التي يقولها المنافقون هي من الشيطان. ﴿**لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا**﴾: وليس فيها أذى، إلا أن المؤمن يحزن ويتألم منها. ﴿**إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾: المؤمن دائماً توكُّله على الله لأنه يعلم أن لا فعل لسواه سبحانه.

سورة المجادلة: [11-20]

11- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ**﴾: تقاربوا ليجلس القادم. ﴿**فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ**﴾: يفتح لكم فتوح كبير، فالإيثار الذي يؤثرون به نتائجه خير عظيم والله لا يضيِّع لكم ذلك، التضحيات ترقي الإنسان. ﴿**وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا**﴾: إذا قال لكم رسول الله ﷺ تفرَّقوا فأطيعوا. ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾: على المرء أن يكون عالماً أو متعلماً. ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾: سوف يعطيكم الخير الكثير على ما تقدِّمون من أعمال.

12- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ**﴾: إذا أتيتموه في أمر في مجلس خاص. ﴿**فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾: فأظهروا ما يبيِّن صدقكم معه وإخلاصكم. ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾: ما أدلكم عليه هذا يأتيكم بالخير. ﴿**وَأَطْهَرُ**﴾: ويطهر نفوسكم، إنَّ المؤمن إذا قدَّم شيئاً إلى رسول الله ﷺ أو إلى الشيخ مهما كان ذلك الشيء، هدية أو كلاماً طيباً أو عهداً فإن ذلك يقرِّبه إليه ويجعله يرتبط معه فيدخل السرور على قلبه وتقبل نفسه على الله بما قدَّم في سبيل الله، ويكون مجلسه أمام رسول الله ﷺ أكثر حبوراً وانطلاقاً وصفاءً. ﴿**فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: شافٍ لكم، لأنه سبحانه رحيم يريد شفاءكم.

13- ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ**﴾: هل كثر عندكم أن تقدِّموا شيئاً لرسول الله فيه الخير لكم والطهارة لقلوبكم. ﴿**فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا**﴾: خشيتم واستصعبتم. ﴿**وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**﴾: بعد نزول الآية طبَّقوا. إن الله يتوب ويرجع بالخير على كل من تاب من عباده ورجع عن خطئه. ﴿**فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: فمن أقام الصلاة طهرت نفسه وزكت، ومن زكت نفسه أطاع الله ورسوله. ﴿**وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾: سوف يعطيكم عطاءً عظيماً على ما ستقدمونه من أعمال صالحة، خبَّأ لكم خيراً كبيراً إن آمنتم وصارت لكم الصلاة به سبحانه.

هذه الآية وحوادثها نزلت في المدينة حيث رسول الله ﷺ هو السلطان وبيده خزينة الدولة يتصرف بها كيف يشاء، المؤمنون يتمنون تقديم أرواحهم للرسول لكنهم استصعبوا هذا الأمر، كرجل ذهب

إلى ملك البلاد يحمل بيده هدية بسيطة "كيلو موز"، فكم يجد "الرجل" ذلك الأمر صعباً على نفسه، لكن هم لا يعرفون هذا القانون من أن الإنسان إذا قدَّم شيئاً لرسول الله ﷺ فعند مناجاته تسري نفسه للرسول وتكون هذه الهدية سبباً للصحبة النفسية. لذلك أنزل الله تعالى هذه الآية عليهم وذلك حين حدث هذا الخجل والخشية بنفوسهم، فمعنى أأشفقتم أي أنهم يريدون ويحبون ذلك الأمر لكنهم يخافون ويستصعبون القيام به.

14- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا**﴾: سايروهم وصاحبوهم. ﴿**غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾: وهم اليهود. ﴿**مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ**﴾: المنافقون ليسوا من المؤمنين ولا من اليهود. ﴿**وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ**﴾: يحلفون أنهم محبُّون ومخلصون لكم. ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾: كذبهم.

15- ﴿**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا**﴾: لرحمته تعالى بهم لا يتركهم ينبّههم بما يرسل لهم من مصائب وأمراض وضيق وهم. ﴿**إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: المؤمن يعامل الخلق كلهم بالإحسان لكن لا يدنِّس قلبه بحب من كفر، حبّه فقط لله والرسول، هؤلاء ظهر نفاقهم لـمّا صاحبوا اليهود وأحبُّوهم وبهذه الصحبة والمحبّة ساءت أعمالهم.

16- ﴿**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً**﴾: ستراً لما في نفوسهم، وما قاموا به من أعمال بالسابق عند اندفاعهم الأول اتخذوها ستاراً لهم. ﴿**فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: صدّوا أنفسهم عن الله والإقبال عليه، ومن رحمة الله لا يتركهم لقابليتهم الكبيرة لذا: ﴿**فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾: فيه ذل وإهانة لهم لعلّهم يرجعون، وهؤلاء ما داموا مصرِّين على سلوكيتهم المنحرفة:

17- ﴿**لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**﴾: لا يردُّون عنهم شيئاً غداً مما سيصيبهم. ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾: هم صاحبوها. ﴿**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾: يخلدون فيها لينسوا آلامهم وأوجاعهم وما جرَّته لهم أعمالهم من خسارة كبرى.

18- ﴿**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا**﴾: يوم القيامة. ﴿**فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ**﴾: هل يحلفون يوم القيامة كما كانوا يحلفون كذباً لكم في الدنيا؟ هل يستطيعون بعدما ظهرت لهم الحقائق يوم القيامة أن يحلفوا لله كما يحلفون لكم الآن كذباً، هل يستطيعون فعل هذا غداً بعدما ظهرت الحقائق وظهروا للخلائق كافّة؟ ﴿**وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ**﴾: هؤلاء منافقون لهم مسالك سابقة بالإيمان مع الرسول ﷺ، فهم في بداية أمرهم ساروا بقوة مع رسول الله ﷺ وصار لهم أحوال وأذواق وقدَّموا أعمالاً، لذلك يحسبون أنفسهم أنهم على شيء من الإيمان، لكن بسبب عدم تطبيقهم القانون وسيرهم بطريق الإيمان ضعفوا ووصلوا إلى النفاق وتحولوا إلى الدنيا وشهواتها ولذائذها. ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾: عندما يكونون بمجلس الرسول يلبسون ثوب الإيمان ويظهرون أمامه ﷺ بمظهر المؤمنين وعندما يخرجون من مجلسه يغيِّرون والله وصفهم بـ (كاذبون): أي كذبوا على أنفسهم لأنهم ما آمنوا، فانقطعوا عن الصلاة، فقط حفظوا دروس رسول الله ﷺ حفظاً ولم يعقلوها، أحاديثهم جميلة ويهتمون بمظهرهم.

19- ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ**﴾: أحاط بهم وأخذ عليهم السُّبل. ﴿**فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**﴾: أن يذكروا فضله ونعمه وأسماءه. وهذا لا يكون إلا من خلال التفكير بالكون، وهؤلاء ما فكروا لذلك ما عرفوا فضل الله عليهم. ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ**﴾: دائماً وليّهم الشيطان يسيِّرهم. ﴿**أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾: ما أعدَّ الله لهم من فضل وجنات دنيا وآخرة.

20- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ**﴾: لهم الذّل والحقارة.

سورة المجادلة: [21-22]

21- ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾: هذا قانون، النصر دائماً لله وللرسول. ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾: لا يعجزه شيء، سبحانه وتعالى أمره نافذ وفعله.

22- ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ**﴾: هذا لا يكون، المؤمنون لا يفعلون هذا. ﴿**يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: يحبونهم ويصاحبونهم. ﴿**وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ**﴾: آمنوا بالله. صاروا كاملين ولا يحبون إلا أهل الكمال والفضيلة. ﴿**وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾: أنزل بقلوبهم الحياة والنور. ﴿**وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾: بما عملوا من الصالحات. ﴿**وَرَضُوا عَنْهُ**﴾: بما أعطاهم من الخيرات. ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾: دنيا وآخرة لهم الخيرات.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحشر: [01-10]

1- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: كلها بالأصل نفوس مجردة تتطلب الحياة ودوام الوجود والإمداد بالسير، والغذاء والبقاء والنماء والنور والضياء من الحي القيوم. الحي: منبع كل حياة، القيوم: من تقوم الكائنات به فلا حياة ولا قيام ولاو وجود إلا منه وبه تعالى، فهو خالقها ومانحها وممدها ومسيرها والقائم عليها بما تحتاج وما لزمها، وكل ما في السموات والأرض مسيّر بقوة الله وللإنسان الاختيار فقط. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: يعطي كلاً حقه وما يناسبه.

مثال كيف أن الله بيده تسيير كل شيء:

2- ﴿هُوَ﴾: سبحانه. ﴿الَّذِي أَخْرَجَ﴾: أي أن الله سبحانه وتعالى قد بيَّن للمؤمنين أن ذلك النصر كله قد حصل بإرادة من الله وليس للمؤمنين في ذلك حول ولا قوة. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كفروا بمحمد ﷺ. ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾[1]: بنو قينقاع وبنو النضير حينما أُخرجوا من المدينة. ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: لأول التحام الفريقين، فأين القتال؟!. ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾: ما ظن المؤمنون أنهم يستطيعون إخراجهم. ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: جاءهم الله من حيث لم يظنوا إذ قذف في قلوبهم الرعب. وذلك حين شاهدوا رسول الله ﷺ خافوا واستسلموا. ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾: حتى لا يستفيد منها المؤمنون. ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: المؤمنون هدّوا الحصون "لأن الحصون للنساء"[2]. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾: ما لم يؤمن الإنسان ويعقل لا يستفيد شيئاً، على الإنسان أن يسمع الحق ويفكر ويطبق حتى يعقل.

3- ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾: لولا إرادة الله في جلاء بني قينقاع وبني النضير. ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: على يد الصحابة، لسلطكم عليهم فقتلتموهم. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾: وكذلك في الآخرة لهم عذاب النار إن لم ينتهوا. كل هذا رحمة من الله بهم ليتوبوا ويؤمنوا، إن آمنوا صاروا بالسعادة، فيضع الله بقلوبهم كمالاً وبكمالهم يعملون الصالحات فيَسعدون ويُسعدون ويدخلون الجنات، ولهذا خلقنا الله تعالى.

4- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: كل ذلك لأنهم عارضوا طريق الحق وأنكروا عليه ﷺ رسالته وحاربوه. ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: يعقِّب الخلق، من شدة رحمته بعباده دوماً سبحانه في ملاحظة مع هذا الإنسان لا يتركه حناناً منه تعالى عليه ليرجع إلى الحق وللسعادة.

---

[1] هذه حادثة بني النضير، وهي حادثة تاريخية معلومة، فقد حاول بنو النضير قتل رسول الله ﷺ والقضاء على الدعوة الإسلامية بمهدها، ولكنَّ رسول الله ﷺ نجا من كيدهم له بالقتل ورجع عليهم ومعه الصحابة الكرام، فجبَّن اليهود رغم ما عندهم منس لاح وعتاد وغنى، إذ ألقى الله في قلوبهم الرعب وأخذوا يخربون بيوتهم من أجل الهزيمة والفرار، إذ أخرجهم رسول الله ﷺ ليس فقط من بيوتهم بل من الجزيرة العربية بأسرها وبقوا مدحورين ومهزومين.

[2] صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم اتسموا بالشجاعة الكبرى والإقدام العظيم على الجهاد في سبيل الله تعالى، لذلك لم يتحصّنوا بحصن إلا حصن طاعة ومحبة الله ورسوله ﷺ.

5- ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾: حينما قطعتم النخل الصغار، قطعوها لأن قسماً من اليهود لم يخرجوا من حصونهم لذلك قطّعوا لهم الأشجار حتى يلحقوا بقومهم الذين خرجوا قبلهم، وفعلاً خرجوا بعد أن قطّعت أشجارهم. ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾: لم يقطعوها. ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: كل ذلك كان بأمر من الله وهو الفعال المسيِّر. ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجون عن الحق يخزيهم بعملهم وفسقهم، أولئك اليهود خرجوا عن الحق فأصابهم ما أصابهم من ذل وإهانة وتهجير.

6- ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾: من الغنائم. ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾: أيها المؤمنون. ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: أنتم أيها المؤمنون ما قاتلتم، النصر لم يكن بالقتال. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: وإنما كان بوجه رسول الله ﷺ، حيث ألقى الله الرعب بقلوب يهود بني قينقاع وبني النضير بما أيَّد به رسوله ﷺ من تأييد ونصر وملائكة، وسلطهم عليهم فنُصر ﷺ عليهم بالرعب لا بقتالكم أيها المؤمنون. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لا شيء يقف أمام إرادته، فعَّال لما يريد.

7- ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾: من الغنائم. ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: ذلك لأن ما حصل كان من الله خالصاً إذاً فليس للأغنياء شيء. ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: طبقوه بقوة لأن كلامه من الله. ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾: ابتعدوا عنه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: انظروا بنوره لتروا حقيقة كل شيء. ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لا يتركك أيها الإنسان دائماً معقبك رحمة منه عليك، إن خرجت عن الحق أرسل لك المصائب لتعود إلى الصواب.

8- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾: وزَّع رسول الله ﷺ الفيء على المهاجرين في المدينة. ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ﴾: مكة. ﴿وَأَمْوَالِهِمْ﴾: حيث صادر أهل مكة "قريش" أموال المهاجرين وأخذوها منهم. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾: ليس لهم غاية من هجرتهم مع رسول الله ﷺ إلا رضاء الله وفضله. ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: تركوا بلادهم وأموالهم وأهلهم في سبيل الله ورسوله.

9- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾: أهل المدينة، الأنصار الذين استقبلوا المهاجرين وفتحوا لهم بيوتهم وقلوبهم. ﴿وَالْإِيمَانَ﴾: آمنوا بالله ورسوله، ولو كانوا غير مؤمنين ما هاجر أهل مكة إليهم. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: آمنوا من قبل قدوم أهل مكة ومجيئهم إليهم، ولو كانوا غير مؤمنين ما استقبلوهم وفتحوا بيوتهم لهم. ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: يحبون المؤمنين المهاجرين لأنهم مؤمنون مثلهم، المؤمن يحب المؤمن ويفديه بروحه وماله. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾: مما أخذ المهاجرون من أموال الفيء التي وزَّعها رسول الله ﷺ عليهم، الأنصار فرحوا لهم، المؤمن لا يحسد ولا يغار من أخيه، ما قالوا إن رسول الله لم يعطنا من الغنائم. هذا لأنهم مؤمنون. ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾: يؤثرون المهاجرين، يفضلونهم. ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: هكذا حال المؤمنين دائماً. ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: ولو لم يكن لديهم إلا القليل. ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: المؤمن عزيز النفس لا يطلب ولا يحسد، لا يطلب إلا من الله. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: أفلحوا بإيمانهم وأعمالهم دنيا وآخرة، ونالوا فضلاً كبيراً من الله.

10- ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: التابعون ومَنْ بعدهم، قال ﷺ: **"خير القرون قرني والذي يليه والذي يليه"**. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾: من المهاجرين والأنصار. ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا﴾: حِملاً عليهم، المؤمن لا يحمل ولا يحقد على أحد لأنه يعلم أن ليس لأحد فعل إلا الله، وأن ما أصابه من سوء رحمة منه سبحانه به، فهو تنبيهٌ له ليتحوَّل عن هذا الطريق الذي سبَّب له هذا السوء. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: بهم وبنا.

سورة الحشر: [11-20]

11- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: المنافقين. ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: اليهود. ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾: إن أخرجكم محمد من دياركم. ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾: لا نطيع أمر رسول الله فيكم. ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾: نكون معكم بالقتال. نقاتل محمداً وأصحابه. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: بهذا القول وهذا الوعد.

12- ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾: وهذا الذي حدث. ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾: يهربون لأنهم جبناء، بسبب أعمالهم الخبيثة. المؤمن عمله عالٍ لا يخاف ولا يهاب أحداً إلا الله. ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾: فلا يؤمنون بعدها، إن من يترك رسول الله ﷺ أو الشيخ ثم يتقوَّل عليهما ويحكي السوء في مجتمعات يقصدهما فإنه لا يستطيع بعدها أن يصاحبهما لما بدر منه، فهو خجول معرض وهكذا كان حال المنافقين، فإنهم بعد أن نصروا اليهود عقَّد الكفر في نفوسهم فأعرضوا ثم لا يؤمنون بعدها أبداً.

13- ﴿لَأَنْتُمْ﴾: أيها المؤمنون ويا رسول الله. ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾: يخافون من المؤمنين أكثر مما يخافون من الله. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا يعرفون شيئاً عن الله وقدرته وقوته، ما فكروا فما آمنوا ليروا التسيير والقوة من الله فأشركوا وكفروا. إشراكهم وكفرهم جعلهم يرون أن لغير الله فعلاً ولو آمنوا بالله إيماناً شهودياً حقيقياً لشاهدوا يد الله قائمة على الجميع فلا يخافون إلا منه سبحانه وتعالى.

14- ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾: اليهود جبناء. ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: هم متفرقون فيما بينهم، قساة لا رحمة بقلوبهم على بعضهم البعض حين القتال. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: الناظر إليهم يظنهم مجتمعين على قلب واحد والحقيقة لا تجمعهم إلا المصالح الدنيوية، فإن انتهت وزالت المصالح عادوا وقاتلوا بعضهم البعض. ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾: تظنُّهم مجتمعين ولكنهم متفرِّقون. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: ما عقلوا كلمة لا إلَه إلا الله، ما شاهدوا الآخرة وما أعد الله تعالى لهم فيها لذلك يختلفون على الدنيا، فهي أكبر همهم، ويقاتلون من أجلها لا في سبيل الله والآخرة.

15- ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: آباؤهم وأجدادهم. ﴿قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: والآن اليهود ستعود عليهم أعمالهم بالهلاك. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: غداً يوم القيامة، حيث سيتألمون كثيراً على ما قدَّموه من أعمال خبيثة وما نشروه من فساد أفسدوا به قلوب الناس، فيتألمون على هذا ويندمون ويرمون بأنفسهم في النار.

16- المنافقون دائماً مع الشيطان، والشيطان يسوقهم لما يريد من الخبائث ويتكلم بلسانهم. المنافقون جمعوا اليهود وورطوهم بالحرب مع رسول الله ووعدوهم بالمساندة والقتال معهم، لكن حين القتال تراجعوا عن كلامهم ووعودهم، كمثل الشيطان حين يوسوس للإنسان بالكفر ثم حين يكفر يتخلى عنه ويقول إني أخاف الله رب العالمين، حفظ هذه الكلمة ويرددها. والآن الناس يسيرون بالفساد ويقعون بالفواحش ويأكلون الربا ثم يصلون ويقولون نخاف الله رب العالمين، قولهم هذا كقول الشيطان.

17- ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾: كلاهما المنافقون واليهود وكل من سار بسيرهم. ﴿خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾: يخلدون إلى النار حين يشاهدون خبث أعمالهم، يطلبون النار ويدخلون فيها ليتحولوا عن

آلامهم وخسارتهم وندمهم وخجلهم أمام ربهم وعارهم. ﴿**وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**﴾: هم ظلموا أنفسهم وذلك بعدم إيمانهم وأعمالهم السيئة فعادت عليهم بالنار وسوء المصير. الله أرسل لهم رسولاً وكتاباً، وخلق هذا الكون لهم ودعاهم للإيمان، هم ما آمنوا. لم يظلمهم الله ولكن هم ظلموا أنفسهم.

18- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**﴾: أقبلوا على الله لتروا بنور الله. باليقين بالموت يشاهد الآخرة فيعمل لها: ﴿**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾: ماذا أعدَّت لآخرتها. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: حتى يرى كل حركة بيد الله، وحيثما التفت يرى الله معه. ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾: نيتك وعملك الله سبحانه خبير بهما.

19- ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ**﴾: فإن المعصية تتلوها المعصية فينسى العاصي أن الله رقيب عليه. ﴿**فَأَنْسَاهُمْ**﴾: نسيانهم هذا أنساهم أنفسهم عندها أنساهم الشيطان. ﴿**أَنْفُسَهُمْ**﴾: أنساهم الشيطان الالتفات لأنفسهم ومراقبتها والحال التي هي فيها ليخلصها منها. توعَّد لهم بهذا وفعل لكن على مستحقِّين أمثاله. ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾: العاصي خرج عن طريق الحق وبخروجه هذا خرج عن السعادة وما أعده الله له من الفضل والإحسان.

20- ﴿**لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾: لا يستوون عند الله ورسوله. ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾: بالجنة ومشاهدة وجه الله الكريم.

سورة الحشر: [21-24]

21- ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ**﴾: وجعلنا لهذا الجبل فكراً. ﴿**لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا**﴾: لتصدَّع وتشقَّق. ﴿**مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾: فكيف بالإنسان أفلا يجب عليه أن يتفكَّر ليصل إلى الإيمان بالله ويخشع قلبه.

وحادثة التصدع هذه حدثت مادياً ومعنوياً بزمن سيدنا موسى عليه السلام فاندكَّ الجبل وتصدَّع وكذلك سيدنا موسى أُغمي عليه، وحدث هذا أيضاً مع سيد الخلق رسول الله ﷺ فكان أول العهد عندما يتنزَّل عليه القرآن يتأثر تأثُّراً كبيراً حين نزول الوحي.

22- ﴿**هُوَ اللَّهُ**﴾: رسول الله ﷺ هو الذي يقول لك هذا ويدلّك عليه سبحانه وذلك بما يتلوه عليك بالصلاة، فوظيفته ﷺ أن يعيد عليك أيها المؤمن ما شهده هو ﷺ من أسماء ربه الحسنى، فترى نفسك بنوره ما يتلوه عليها، عندها تشاهد نفسك أيها المؤمن أسماءه تعالى الحسنى، إذن رسول الله ﷺ يأخذ بنفسك إلى الله ويدخلها عليه سبحانه فترى كماله وتنصبغ به.

ولكن ما معنى لفظ الجلالة الله؟ هذا الاسم هو اسم الله الأعظم واسم الذات العلية، فهو جامع الأسماء الحسنى كلها، وبمعيته ﷺ ترى أيها المؤمن هذا الاسم الأعظم، فإن رأيته ورأيت ما آل إليه سبحانه من الفضل والإكرام، رأيت حبَّه العظيم لك ورحمته وحنانه سبحانه عليك عندها تُملّك نفسك له جلَّ وعلا، فتقبل عليه وترى جماله وكماله وتتولَّه نفسك حباً به وعشقاً وهياماً، فلا تنفك عنه طرفة عين لأنك صرت ترى أن كل جمال الخلائق هي ذرة من جماله تعالى وأن كل لذائذ المآكل والمطاعم والمشارب إنما هي منه سبحانه، فهو الذي أتى بها وألبسها هذا الجمال وأمدَّها ويمدّها. والله سبحانه وتعالى خلقنا لأجل هذا، لمعرفته وشهود أسمائه الحسنى وكسب الكمال منه، عندها نعمل صالحاً وندخل الجنات، ولن تصل النفس لهذه المراتب إلا بالإيمان به تعالى والإقبال عليه وذلك بمعية رسوله الكريم ﷺ. ﴿**الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: بالإيمان بالله والإقبال عليه ترى أيها المؤمن أن لا مسيِّر ولا متصرِّف في هذا الكون إلا هو سبحانه. فهذه الكرة الأرضية التي تدور في هذا الكون والشمس

والقمر والرياح والغيوم ما كانت لتسير وتتحرك إلا به وبإمداده سبحانه، وهو الذي يخرج من الأرض النبات والأشجار والأثمار لتأكل منها، فهو الذي يطعمك ويسقيك ويربيك ويجعلك تتذوق ما فيها من لذائذ ويحرّك ويسيّر لك أعضاء جسمك كله لتهضم هذه الأطعمة وتتغذى بها، هذا الشيء من خلق وتسيير وإمداد ألا يدل على أنه سبحانه المسيّر المتصرّف المطاع في كل شيء، وأنه تعالى هو الحاكم وحده في هذا الكون وأن لا فعل لأحد غيره أبداً، وتسييره ليس فقط للكون بل لأجلك، لأجل حياتك وتأمين متطلبات معيشتك، وكذلك يشمل تسييره الإنسان ذاته لكن على حسب ما اختار وأصرَّ عليه، فيد الله سبحانه عليه تسيّره على حسب ما بنفسه ضمن قوانين، فلا يستطيع هذا الإنسان تجاوزها لئلا يحدث ظلماً بهذا الكون، فإن أراد السرقة مثلاً فلا يمكِّنه الله إلا من شخص سارق كان قد سرق من قبل فرجع عليه عمله، وإن أراد الفاحشة والرذيلة بامرأة فلا يمكِّنه الله من امرأة مؤمنة طاهرة النفس لا تبغي الرذيلة بل يسيِّره لامرأة مثله طالبة للفجور وللفاحشة فيزني بها، كذلك لا يمكِّنه من قتل رجل ليس بمستحقٍ للقتل وإنما يسيِّره لرجل استحق بأعماله المنحرفة القتل، لذلك فلا ظلم بهذا الكون لأنه سبحانه هو الحاكم المسير ويده على الكل بالتسيير، فالذي تقع عليه المصيبة سبق وأن صدر منه عمل استحق عليه العقوبة لذلك يُرجع الله عليه عمله لقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}**[3] ، كذلك الله سبحانه يسيِّر المحسن إلى رجل محسن كان قد قام بالإحسان لغيره فاستحقَّ الإحسان. **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾**: أي مالم يأتِ بعد عليم به سبحانه. وأنت أيها الإنسان إن آمنت بالله وأقبلت عليه بمعية رسوله ﷺ صار لك نورٌ منه سبحانه وتعالى، وبنوره يشهدك ويطلعك على المغيبات، فترى ما مضى وما سيأتي مما لم يحدث بعد، ترى عالم الأزل لـمّا كنت فيه، فتشاهد عهدك الذي قطعته على نفسك مع الله بألا تنقطع عنه تعالى طرفة عين، وترى يوم القيامة والآخرة وما أعدَّ الله لخلقه فيها من جنات للمؤمنين ونارٍ للكافرين، فكل شيء عنده سبحانه مذكورٌ ومسطر بكتابه **{..مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}**[4]، فإن اتقيت أيها المؤمن تراه وتسمعه فالغيب محفوظ عنده تعالى سمعي وبصري، وهو القائل في حديثه القدسي: **"عبدي اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء"**. ولن يصل مؤمن لهذا إلا بمعية رسول الله ﷺ حيث تتفتح بصيرة هذا المؤمن بنوره ﷺ وبنور الله فتشاهد نفسه الحقائق، أي: تشاهد حقيقة ما بعد هذه الدنيا وتشاهد مصيرها ومصير غيرها، فالمؤمن يطلعه الله على كل ما سيحدث له في القبر وفي اليوم الآخر، وبذلك يصبح عالماً للغيب بما أعلمه الله به من حقائق يراها هو ولا يراها غيره من الذين أعرضوا عن ربهم. **﴿وَالشَّهَادَةِ﴾**: ما هو حاصل الآن في الدنيا من أحداث كذلك يعلمك الله بها. فالإنسان بدون إيمان وتقوى ونور من ربه لا يستطيع أن يرى ما يجري من أحداث على هذه الأرض، لكن إن آمن واتقى صار له نور من الله، وبهذا النور يشهدك ربك ما يجري ويحصل في هذه الدنيا، الصحب الكرام وصلوا لهذا المقام العالي وهذه الدرجة الرفيعة، فسيدنا عمر رضي الله عنه شاهد ما يجري بمعركة في بلاد فارس وحذَّر قائد الجيش الإسلامي "سارية" من كمين كان سيقع به قائلاً ومنبهاً له: "يا سارية الجبل الجبل". فسمعه قائد الجيش "سارية" وأخذ حذره وبهذا خلص من مأزق كان سيقع به هو والجيش وكان النصر لهم. فالله تعالى خلق الإنسان وأوجده ليمنحه هذه المنزلة العالية والرتبة الرفيعة وليفيض عليه من عطاءاته وجناته الكبرى.

﴿هُوَ الرَّحْمَنُ﴾: بفضله على الخلائق جميعاً، وهذا الاسم أوسع معنىً من اسم الله الرحيم، ومعناه أن الله سبحانه هو المتفضِّل بالشفاء والغفران على جميع مخلوقاته، وذلك بالشدائد التي يسوقها لهذا

---

[3] سورة الأنعام – الآية:129.

[4] سورة الأنعام – الآية:38.

الإنسان رحمة به وحناناً عليه ليخرجه بها من العمى والضلال إلى الإيمان به والاستنارة بنوره الدائم فيدخل الجنات والسعادة، الله سبحانه وتعالى ما كتب على أحد من خلقه إلا الخير والسعادة والجنات لكن هم بإعراضهم عنه سبحانه وعدم الطاعة والسير بأوامره أشقوا أنفسهم وأوقعوها بالهلاك والإجرام، فحدثت الحروب وانتشر القتل والجوع والفقر والفساد، ولو أنهم ساروا بأمره سبحانه ومشيئته لما وقعوا بهذا: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}**[5]، والله يقول. ﴿**وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾[6]، أي لو ساروا بمشيئة الله فآمنوا بربهم لنالوا منه تعالى كمالاً وطبع الله بقلوبهم الرحمة والحنان فما حدث قتال، فهذه الحروب وما فيها من آلام وإجرام هذه مشيئتهم فهم الذين شاءوا هذا وسطروه على أنفسهم لذلك كتبه الله عليهم.

ولكن لِمَ سمح الله بالقتال؟

بما أن القتال فيه خير للمؤمن والكافر على السواء لذلك سمح تعالى به، فالمؤمن بتضحيته بروحه وحياته يدخله الله الجنة، ولولا هذه التضحية ما دخلها، والكافر بهذه الحرب إما أن يتوب ويدخل الجنة، أو يستمر بغيِّه فبقتله تتوقف شروره وأعماله الإجرامية، وبهذا تخفيف له من حسراته وندامته في الآخرة، وبذلك يصبح له أمل بدخول الجنة، فالله سبحانه يحوِّل الشرور التي أصرَّ الناس عليها للخير والنجاة، وما حقيقة هذه الشدائد إلا رحمة من الله سبحانه على خلقه ليوصلهم تعالى لاسمه الرحيم وليدخلهم الجنة وينالوا السعادة.

فما معنى اسم الله الرحيم؟

﴿**الرَّحِيمُ**﴾: بذاته. فالشدائد من الله من قتال ومرض وفقر وإهانة هي في حقيقتها رحمة لتشد الإنسان إلى الإيمان بربه وليدخل الجنة، فهي تقرِّب النفس المعرضة عنه سبحانه فتجعلها قريبة منه ومن الإيمان به وذلك بالالتجاء إليه سبحانه وتعالى ليرفع عنها الشدة فيصبح طريق الإيمان سهلاً عليها، فإن آمن الناس بالله بعد هذه الشدائد وأقبلوا عليه سبحانه شفى الله لهم أنفسهم من عللها، عندها يرفع الله عنهم الشدة حيث لم يبقَ هناك داع لها وينقلهم لاسمه تعالى الرحيم ويتجلَّى به عليهم، وهذا الاسم خاص بأهل الطاعة من المؤمنين، أهل التقوى فلا مكروه يصيبهم ولا شيء يحزنهم أو يؤلمهم، فهم في الدنيا بالسعادة والجنات والإكرام وبالآخرة كذلك.

23- ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: وهذا التكرار بألفاظ الآيات الكريمة يدلُّ على مرحلة جديدة عالية وصل المؤمن إليها غير التي سبقتها، ففي الآية السابقة نقل رسول الله ﷺ نفس المؤمن من شهود اسم الله الرحمن إلى شهود اسمه تعالى الرحيم وبهذه الآية ينقله ﷺ إلى مرحلة أعلى، ينقله إلى شهود اسم الله تعالى الملك. فما معنى هذا الاسم؟

﴿**الْمَلِكُ**﴾: أي مالك الكون كله ومالك جسمك أيها الإنسان، وبرؤية المؤمن لهذا الاسم وما فيه من رحمة الله تعالى به وحنانه عليه وعلى الخلائق كلها يسلِّم نفسه لله ويملِّكها له سبحانه فيغدو مطيعاً له في كل أمر، لأنه يرى أن الله هو الذي ملَّكه هذا الجسم وأنه سبحانه المسيطر عليه كله بما فيه من دماء وأجهزة وحواس ويمتد ذلك ليشمل كل خلية فيه، فهو سبحانه يمدها ويغذيها ويربيها. ويرى هذا المؤمن فضل الله عليه بنعمة اللسان وكيف يتذوَّق به اللذائذ، ولولاه ما ذاق ولا أحس بطعم طعام

---

[5] سورة الأعراف – الآية:96.

[6] سورة البقرة – الآية:253.

وشراب، ويرى كيف ملَّكه العينين ينظر بهما وهو سبحانه وتعالى يصوِّر له كل ما يقع تحتهما ولولاهما لكان أعمى. فجسمك أيها الإنسان كله ملك لله سبحانه، هو المالك له بالإمداد والتربية، وهو سبحانه يمدّ كل خلية من خلايا جسمك، ملَّكك جسمك لتعمل به الخير والمعروف والإحسان فتنال الجنات، وعلى أنه سبحانه وتعالى مالك لجسمك لكنه ترك لك حرية الاختيار والتصرف به وبما تشاء ولا يتدخَّل باختيارك.

كل هذا يراه المؤمن بإيمانه بالله وبمعية رسوله ﷺ، وبرؤية المؤمن لهذا الفضل الإلّهي تذوب نفسه حباً بالله وعشقاً لأنه تعالى سخر له هذه النفوس نفوس جسمه ووهبه إياها وجعلها تحت إمرته، فانظر أيها الإنسان لفضل الله عليك بهذه النعمة، ولن ترى فضله هذا ونعمته عليك إلا بالإيمان به وذلك بالتفكير الجاد للوصول إلى هذا الإيمان اليقيني.

إن الإيمان من خلال التفكير بهذا الجانب إيمان عالٍ جداً حيث يصبح للإنسان حبٌ كبيرٌ لله وعشقٌ له على ما تفضل به عليه من إنعامات، إذ جبلت النفوس على حب من أحسن إليها.

﴿**الْقُدُّوسُ**﴾: أي وحده تعالى يطهِّر الأنفس ويقدِّسها إن هي أقبلت عليه وذلك بتجلّيه عليها بأنواره القدسية فتطهر مما حلَّ بها من علل وأمراض وتخلص من الصفات الذميمة من بخل وقسوة وطمع، فأسماؤه تعالى كلها حسنى لا إساءة فيها، والنعيم والسعادة والجنات بها، وكل ما يجده الإنسان من مكروه يكرهه فهو ليس منه سبحانه وإنما من كفر الإنسان ذاته وإعراضه عن خالقه، وسيره الخاطئ بغير دلالة الله وانقطاعه عنه تعالى، فالكمالات كلها من الله، والنقائص من الإنسان ذاته، حلَّت بنفسه لـمّا ترك ربَّه وتوجَّه لغيره فاكتسب هذه النقائص من بخل وقسوة وانحطاط وخيانة. وحين الموت ترجع النفس لفطرة الكمال التي فطرها الله عليها وترى سيئات أعمالها وبشاعة ما قامت به فتحترق ألماً وندامة، وكذلك في الآخرة ترى أعمالها لكن بالمثاقيل، ترى نتائج أعمالها السيئة رؤية أوسع مما رأته في القبر فتزداد ألماً وندامة وتزداد نيرانها الجهنمية عندها لا يطفئ لها هذه النار ويحوِّلها عنها إلا نار الله الموقدة، فتطلبها لتنسى وتتحول عمَّا بها من آلام جهنمية لا تطاق. فإن آمن الإنسان بربه وصلَّى الصلاة الصحيحة خلص من كل ذلك ودخل بالسعادة والجنات.

بالبداية تحصل للمؤمن أحوال نفسية عالية نتيجة القرب من الله، وهذه الأحوال تكون حافزاً ودافعاً للمؤمن ليسعى أكثر ولينال أكبر مما نال، فيسعى بقوة وعلى حسب سعيه تتتالى عليه هذه الأحوال. أذواقٌ يتذوقها بنفسه فيشعر بالنعيم والسعادة، وهذه ما كان ليصل إليها المؤمن لولا سلوكه طريق الحق مع رسول الله ﷺ، تلك الأذواق تجعل المؤمن يسعى أكثر بطريق الإيمان لينال من الله أكثر فتشتاق نفسه لرؤية الله، وبدوام صدقه ينال مشاهدات من ربه ينفتن بها فتتلوها صلاة دائمية، وكل هذا لا يكون ولا يصل المؤمن إليه إلا بمعية الرسل والأنبياء، عندها يمحي الله من نفس هذا المؤمن ما حلَّ بها من ظلمات وصفات سيئة كانت تسيئه وتشقيه، ويبدله بدل ظلماته نوراً، وبدل نقائصه كمالاً، وبدل شقائه سعادة ونعيماً. فاسم الله القدُّوس يعني أن الله سبحانه هو ينبوع الخير المطلق ومنه الطهارة النفسية ومنه شفاء الأنفس وغفرانها ودخولها الجنات. وبعد شهود المؤمن لاسم الله القدوس ينقله رسول الله ﷺ إلى اسم الله السلام ويدخل بالأمان، فما معنى اسم الله السلام؟

﴿**السَّلَامُ**﴾: منه الأمان. والأمان بالله فقط وذلك بالإيمان به تعالى، ولا يحصل لك هذا السلام إلا بالصلاة الحقيقية، المؤمن ما لم يخطئ يعِش دائماً بهذا الاسم دنيا وبرزخ وآخرة حيث فيه وقاء نفسه من الشقاء والآلام والنيران وكسب للجنات، لذلك دائماً يسعى للقرب من الله بما يقدِّمه من أعمالٍ صالحةٍ عالية يرقى بها رقياً كبيراً عند الله، وبذلك يسلِّمه تعالى ويحميه ويقيه من كل مكروه وضرر، فليس لأحد عليه من سلطان مهما كانت رتبته ما لم يخطئ.

فكل أذى وضرر وشر يصيب الإنسان هو ليس من الله وإنما من الإنسان ذاته، فهذه الحروب وهذه الإجرامات من قتل وتعذيب وخراب وكل ما نراه اليوم من شقاء وآلام هو من سير الناس ذاتهم، سيرهم المنحرف عن الحق أوصلهم لهذا وهو ليس من الله، فالله سبحانه ما أخرجنا لهذا الوجود إلا ليهبنا ويعطينا بدل الجنة الواحدة جنات كثيرة متعددة متسامية **{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}**[7]. والحقيقة لا أمان ولا سلام إلا به سبحانه وتعالى، ولا يعرف ذلك إلا من آمن بربه إيماناً حقيقياً شهودياً لقوله تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ}**: بفعل رديء، أي: لا يعملون عملاً سيئاً. **{أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ}**[8]: في الدنيا لا يصيبهم شيء أبداً "من مكروه"، إن لم يخطئ المؤمن فلن يصيبه شيء، فإن أصابك شيء فارجع إلى نفسك.

فيا أيها الإنسان إن حلَّ بك ما لا يعجبك فاعلم أنه من سيرك الخاطئ وعملك، فارجع إلى الله بالتوبة عندها يبدله لك بالخير ويغمرك بجناته وببحورٍ من السعادة والنعيم، فهو سبحانه من أسمائه المؤمن، فما معنى اسم الله المؤمن.

﴿**الْمُؤْمِنُ**﴾: بذاته، أي أن الله سبحانه مؤمن بذاته من ذاته فهو لا يغير من رحمته وحنانه على الخلق جميعاً فسبحان من لا يتغيَّر، أسماؤه سبحانه كلها حسنى ومتجلٍّ بها جميعها على الخلائق ولا يغيِّر من رحمته على الإنسان. ومثالاً على ذلك: لو أن شخصاً قتل ابنك وسلب مالك ورأيته في الطريق فماذا تفعل به؟ الله سبحانه لو فعل العبد مهما فعل إن رجع إليه تائباً تاب عليه وكأنَّ شيئاً لم يكن، الكل يتغير إلا الله سبحانه وتعالى فلرحمته الذاتية لا يتغيَّر، ولهذا لا يغيِّر من رحمته على الإنسان مهما عمل. وهو في الآخرة كذلك لا يغيِّر من رحمته عليه أيضاً ولا يريد سبحانه لأحد أن يدخل النار، فهو يقول للإنسان: **{اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}**[9]. هذه الجنة وهذه النار أيهما تطلب وتريد، لكن هذا الكافر المعرض لا يختار دخول الجنة ولا يستطيع الالتفات والنظر إلى الله تعالى لأنه خجول من ربه بسبب ما قام به من أعمال إجرامية تمنعه من الإقبال عليه سبحانه وبسبب ما في نفسه من كبر وتعالٍ على ربه.

وحين يلتفت هذا المعرض لحاله ويرى ما عمل من سوء بدنياه وما خسره من جنات يندم أشدَّ الندم لذلك هو بذاته يرمي بنفسه إلى النار وذلك ليتحوَّل عن ندمه وحسرته. فاسم الله المؤمن معناه أن الله تعالى لا يعامل الإنسان إلا بأسمائه الحسنى مهما أجرم وفعل من سوء، فلقد كتب الله على نفسه الرحمة، فالنار رحمة بهذا الكافر المعرض. ﴿**الْمُهَيْمِنُ**﴾: مسيطر على كل ما خلق، فيده سبحانه على الجميع بالإمداد والتربية والتسيير، وهو يسيِّرهم بنظام محكم وقانون ثابت لا يتبدَّل ولا يتغيَّر على مرِّ العصور وكرِّ الأجيال، فالله أمر هذه المخلوقات فائتمرت، ولا شيء يخرج عن إرادته تعالى، وهو سبحانه مهيمن عليها بما يهبها من نعيم وسرور ومسرَّات، فالكلُّ راضٍ، وبهذا العطاء ائتمر الكل بأمره تعالى، وكذلك هو سبحانه مسيِّر الإنسان ومهيمن عليه بفضله وبره وإحسانه وبما يغزوه به من نِعم، فالكل بعوز له سبحانه. ﴿**الْعَزِيزُ**﴾: فرد، المتفرِّد بالكمال، الخالي والمبرَّأ من النقائص، فلا كامل إلا هو سبحانه، وبه كَمُلَ الكاملون، ولا يأتي الخير إلا منه سبحانه، فخيرك وعطاؤك وسعادتك أيها الإنسان فقط به سبحانه وتعالى، المخلوق يأخذ ولا يعطي فلا تلتفت للذي يأخذ وتترك المعطي المتفضل عليك. ﴿**الْجَبَّارُ**﴾: يجبر الكسر، يجبر الإنسان الذي أعرض فاكتسب إثماً ثم أقبل عليه فشفاه الله، فالله يجبر خاطره ويغنيه من بعد فقره ويبدِّل خوفه أمناً وسلاماً وسقمه صحة

---

[7] سورة الشورى – الآية:30.

[8] سورة الأنعام – الآية:82.

[9] سورة الإسراء – الآية:14.

ونشاطاً، فهو تعالى يُقيلُ العِثَار ويأخذ بأيدي المتوسِّلين إليه ويجبر كسرهم، ويقبل توبة التائبين ويبدلهم بالنعيم والجنات بدل الشقاء والآلام. ﴿**الْمُتَكَبِّرُ**﴾: بفضله على خلقه، أي مهما بلغت وشاهدت من فضله ففضله أكبر وأكبر، ومهما استعظمت فهو أعظم وأعظم، وهو سبحانه دائماً بتزايدٍ وتنامٍ وتعاظمٍ على خلقه وعلى الإنسان، فما خلقهم سبحانه إلا ليهبهم ويعطيهم.

كذلك فهو سبحانه وتعالى لا يري طرفاً من أسمائه إلا لمؤمن ذي شوقٍ وعشق لتلك المشاهدات، يريه بقدر متناسب مع شوقه وعشقه لما يستطيع له تحمّلاً ويكون له مستعدّاً، أما الأنفس المعرضة عنه فلا يريها من ذلك شيئاً رحمة بها وعطفاً عليها.

﴿**سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾: هو سبحانه يسبِّح الخلائق كلها بفضله ومنزَّهٌ عما ينسبونه له من ظلمٍ وقسوةٍ، كمن يتقوَّل على الله بأنه خلق هذا للجنة وهذا للنار فما ذنب من كتب الله عليه النار بزعمهم دجلاً وكذباً ليدخل النار؟ فسبحانه منزه عن هذا كله وأسماؤه كلها حسنى.

24- ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ**﴾: خلق وأبدع هذا الإنسان بأحسن تكوين. فهو سبحانه يخلق لك من أسمائه عوالم كثيرة فتنطبع بنفسك وتتخلَّق بها. ﴿**الْبَارِئُ**﴾: المظهر، مظهر كل شيء بالكمال، فالإنسان يكون جنيناً في بطن أمه ثم لا يلبث أن يخرجه تعالى لهذه الحياة خلقاً كاملاً، وهذا الكون أظهره الله لك كاملاً، وكذلك أنت أيها الإنسان إن أقبلت عليه تجلَّى عليك بالكمال فيظهرك به في الآخرة أمام الخلائق كلها وتنال الجنات. ﴿**الْمُصَوِّرُ**﴾: يصوِّر الخلق، هو سبحانه صوَّر الخلق جميعهم، فجعل هذا ذكراً وهذه أنثى، وهذا طويلاً وهذا قصيراً، ومنهم من هو أسمر ومنهم من هو أبيض اللون، وكل هذا بحسب المناسب. كذلك وكما صوَّر الأجسام يصوِّر القلوب بجماله سبحانه ويزينها بكماله وبأسمائه الحسنى كما صور الورود وجمّلها، وكما صوَّر هذا الكون بهذا الكمال. ﴿**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾: به تسمو وتعلو منزلتك أيها الإنسان لا بغيره. ﴿**يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: كل ما في الكون مسيَّر بإذنه تعالى ومفتقر لفضله سبحانه. ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾: المتفرِّد بالكمال. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: بخلقه وما يناسبهم.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تأويل سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الممتحنة: [01-10]

يريد الله تعالى في هذه السورة أن يبين للمؤمنين حال الكفار وما هم عليه من حقدٍ وعداء لهم ولرسول الله ﷺ، فقد عادوه وحاربوه وهمّوا بإخراجه وأخرجوه من مكة وظهرت العداوة والبغضاء من أفواههم وبدت بأعمالهم، فجابهوا رسول الله وعارضوه رغم رحمته ﷺ بهم ومداراته لهم، فهذه السورة بيان من الله للمؤمنين وتحذيرٌ وحثٌّ لهم على قتال المشركين وجهادهم ولو كانوا أهليهم لما في ذلك من خير للمؤمنين والمشركين.

1- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾: خطاب من الله تعالى للمؤمنين حباً بهم وتحذيراً لهم وكشفاً لحقائق أهلهم وقومهم. ﴿**لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾: هؤلاء قومكم أعداء لكم لا توالوهم ولو كانوا آباءكم وأهليكم، إياكم من موادتهم، احذروا من ذلك، هؤلاء كفار مصرّون على كفرهم وعدائهم لكم ولرسول الله، الكافر ببعده عن الله صار مع الشيطان لا يعمل إلا بأمره، ولا يخرج منه إلا كل خبث وضرر، ولا يدل إلا على الشر والأذى والكفر فلا توالوهم، هؤلاء لا خير فيهم. ﴿**تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**﴾: تعاملونهم بالإحسان رحمة منكم عليهم وحناناً ليؤمنوا، هؤلاء الكفار دخلوا على أبنائهم المؤمنين من باب المكر ليردُّوهم للكفر والضلال، والله سبحانه وتعالى كشف حقيقتهم وحالهم للمؤمنين وحذَّرهم منهم لئلا يمكروا بهم. ﴿**وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ**﴾: على لسان رسول الله ﷺ. ﴿**مِنَ الْحَقِّ**﴾: أنكروا الحق وحاربوه. ﴿**يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ**﴾: أخرجوا رسول الله ﷺ من مكة، هم كادوا وعملوا لإخراجه والله سبحانه سمح له بالهجرة وأخرج رسوله من مكة إلى المدينة المنورة لرد الناس للحق. خروجه ﷺ كان بأمر من الله: {**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ**}[1]. والحق أن يترك رسول الله الآن أهل مكة وأن يكون ﷺ مع أهل المدينة يدلهم ويرشدهم ليؤمنوا، وكل هذا تدبير من الله لخير الطرفين، أهل مكة وأهل المدينة.

وبعد هجرته ﷺ ظهرت النتائج الخيّرة من هذا التدبير الذي دبَّره الله لهم، فلقد آمن أهل المدينة ورجع ﷺ لأهل مكة وأسلموا جميعاً. ﴿**وَإِيَّاكُمْ**﴾: أخرجوكم إلى الحبشة وأخذوا أموالكم وأملاككم. ﴿**أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ**﴾: كل هذا فعلوه لئلا تؤمنوا بالله ولتعودوا للكفر. الكافر سافل منحط يتمنى أن تكون الناس كلها مثله في الضلال والانحطاط والكفر. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي**﴾: أنتم خرجتم لهذا. ﴿**تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**﴾: لذلك أنتم لا تفعلون ذلك بعد إيمانكم العالي وكشفكم الحقيقة لأنكم مؤمنون. ﴿**وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ**﴾: بعد نزول هذه الآية وبيان الله لهم تراجع المؤمنون عن معاملة أهلهم وموادتهم وحاربوهم. ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ**﴾: أيها المؤمنون. ﴿**فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾: الله سبحانه أرشدكم لطريق السعادة والطريق الموصل لهدايتهم وحذَّركم من مماشاتهم ومعاملتهم، إن فعلتم غير ذلك تقعون بشرِّ حالكم وتضلُّون عن الحق وعن طريق السعادة ولا تستطيعون هدايتهم.

2- ﴿**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ**﴾: إن يحكموكم، الله سبحانه وتعالى بهذه الآية بيَّن لأصحاب رسول الله ﷺ والمؤمنين حال الكفار فيما لو أصبح لهم الحكم عليهم وأصبح لهم عليكم سلطاناً ماذا يفعلون. هم لا يستطيعون حكم المؤمنين وهذا ما لم يحدث في الماضي ولا يمكن أن يكون؛ أن يحكم كافرٌ مؤمناً. إذن طالما لا

[1] سورة الأنفال – الآية:5.

يمكن أن يحكموكم فسيكونون لكم أعداء يتآمرون ويمكرون بالخفاء لرد الحق وردكم إلى الكفر والضلال، إن آل لهم الحكم. ﴿**يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً**﴾: يعادونكم لما في نفوسهم من حقد عليكم وعلى رسول الله ﷺ فهم يكرهون الحق والسير به. ﴿**وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ**﴾: بالحرب والقتل والتعذيب، يتفننون بتعذيبكم، يأتونكم مستعمرين وينهبون بلادكم ويفتكون بالأعراض والأولاد والبلاد. ﴿**وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ**﴾: يتكلمون عنكم بالسوء ينعتونكم بصفات سيئة يقولون عنكم: متخلِّفون، أشرار. ﴿**وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾: هذا ما يتمنَّونه وهذا سبب عدائهم لكم حتى تكفروا بالله ورسوله، مرادهم أن تسيروا بالكفر والضلال والانحطاط مثلهم، زنى، فواحش، خمور، لواط...

3- ﴿**لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ**﴾: أهل هؤلاء المؤمنين دخلوا على أبنائهم من ناحية المودة والرحمة ليمكروا بهم، وادَدوا المؤمنين مداهنة لعلهم يميلون لهم بالمحبة وينخدعون بهم، وبهذا يُخشى على المؤمنين من أهلهم من هذه الناحية فقط أن ينخدعوا بهم، لذلك حذَّرهم الله منها مبيِّناً لهم أن هؤلاء أهليكم لا خير فيهم الآن ولن ينفعوكم بالسير معكم بالحق، نواياهم تجاهكم سيئة، يريدونكم أن تميلوا إليهم لتقعوا بأخطاء من أجل أن تضعفوا وترجعوا للكفر. ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ**﴾: أمر الله المؤمنين بقتالهم ومقاطعتهم ليوم القيامة، ما داموا مصرِّين على كفرهم ونواياهم الخبيثة هذه، وذكَّرهم الله بما فعلوا مع رسول الله ﷺ ومعهم حين كانوا بمكة حثّاً على قتالهم: {**أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ**}[2]. سيدنا أبو بكر كان ضد ابنه في الحرب، قال له: لو شاهدتك بالحرب لقطعت رأسك. أبو عبيدة بن الجراح حارب أباه وقتله، وكذلك مصعب بن عمير كان ضد أمه ولم يذهب إليها حين طلبته وهي على فراش الموت. ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾: بصير بأعمالكم ونواياكم لذلك نبَّهكم وحذَّركم قبل الوقوع حبّاً بكم ورحمةً وحناناً عليكم أيها المؤمنون.

4- ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾: دائماً الأسوة والقدوة هم الرسل والأنبياء لأنهم ما انقطعوا عن الله سبحانه وتعالى أبداً، فهم صلوات الله عليهم أجمعين بالنور والإقبال والقدس يدلُّون الناس على الإيمان ويقدِّسونهم، جاؤوا للدنيا من أجل هذا، جاؤوا هداة مهديين {**أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**}[3]. ﴿**فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾: من الأنبياء والرسل، سيدنا لوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب صلوات الله عليهم أجمعين. ﴿**إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ**﴾: كل واحد منهم قال لقومه. ﴿**إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ**﴾: يصف لنا الله تعالى بكلمة: ﴿**بُرَآءُ**﴾ حال الرسل والأنبياء الكرام صلوات الله عليهم أجمعين، فنفوسهم طاهرة نقية لم تقع فيها شائبة لا قبل النبوة ولا بعدها، كل هذا بسبب إقبالهم الدائم على الله وعدم انقطاعهم عنه سبحانه، فهم من الأزل على هذا الحال ما التفتوا لغيره سبحانه وما مالت نفوسهم لسوى الله تعالى. ﴿**وَمِمَّا تَعْبُدُونَ**﴾: تطيعون. ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: المخلوق، أنتم أطعتم بعضكم بعضاً ولم تطيعوا الله، ما سرتم بكلامه وهديه سبحانه، سرتم على كلام المخلوق والأصنام وتركتم كلام ربكم، كذلك بهذا الزمان هجروا القرآن وساروا بغيره، أطاعوا بعضهم بعضاً ولم يطيعوا الله، فتبرَّأت منهم الرسل والأنبياء وانحطَّت منزلتهم عند الله وعند المخلوق. ﴿**كَفَرْنَا بِكُمْ**﴾: نكرنا ما تطيعون، ما سرنا على ما سرتم عليه من عقائد فاسدة تفسد قلوب الناس وتعود عليهم بالسوء، الآن أباحوا كشف الوجه للمرأة، أحلوا الربا بنسبة قليلة، قالوا لا مانع منه، والناس سارت على كلامهم، أطاعوهم بفتواهم هذه وما أطاعوا الله، وهذا ما أوقع الناس اليوم بما أوقعهم به من رذيلة أوصلتهم للشقاء والآلام والحروب، حيث تركوا كلام الخالق العظيم ولحقوا وساروا بكلام المخلوق. كلام الله يوصل للسعادة.

---

[2] سورة التوبة – الآية:13.

[3] سورة الأنعام – الآية:90.

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾: هذه صفات المؤمنين ولسان حالهم. هذه الآية حثٌّ للمؤمنين على الجهاد، أي: "قوموا لقتالهم"، المؤمن يعادي لله حباً بالله وحناناً ورحمة منه على الخلق، الكافر عكس المؤمن يعادي من أجل الدنيا وشهواتها. ﴿أَبَدًا﴾: دائماً، طالما أنتم على هذا الحال من الكفر والعداء للحق. ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾: تعودوا للحق وتؤمنوا بالله وتسيروا بما يأمركم الله به على لسان رسوله من أجل سعادتكم. ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾: يُبرّئ الله سبحانه وتعالى بهذه الآية سيدنا إبراهيم من الخطيئة التي نسبوها له عليه السلام بسبب استغفاره لأبيه، فالله سبحانه بهذه الآية استثنى سيدنا إبراهيم لأنه نبي، والأنبياء لا ينقطعون عن الله طرفة عين لا في ليل ولا في نهار، وبهذا لو واجههم العالم كله بكفره وضلاله وفِتَنه يستطيعون الوقوف بوجهه ومسح الكفر، ولا أحد يؤثِّر عليهم ويزعزع إيمانهم بالله أو يحوّلهم عنه تعالى، لا إنس ولا جن ولو اجتمعوا جميعاً وكان بعضهم لبعض ظهيراً ضده عليه السلام . أما غير الأنبياء لهم انقطاع عن حضرة الله وعندهم ميول وارتكابات وقعوا بها في الماضي قبل سيرهم بطريق الحق فيُخشى عليهم إن استغفروا لغيرهم ولو كانوا أهليهم من الانقطاع والبعد عن الله والوقوع بالكفر. فهم إن استغفروا لغيرهم سيصبحون بخطر عظيم، وبلحظة انقطاع عن حضرة الله قد تهوي نفوسهم بالظلام لذلك نهاهم الله سبحانه عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا آباءهم وأهليهم رحمة بهم. وهذا لا ينطبق على الرسل والأنبياء ولا ينطبق على سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، لذلك سمح الله باستغفار إبراهيم لأبيه فكان سيدنا إبراهيم دائم الاستغفار لأبيه، أي دائم التوجُّه له بالنور الذي معه، فأعظم تجلٍّ من الله ينصب على نفس أعظم صادق مع الله.

رسول الله ﷺ إذا توجَّه بهذا التجلِّي لأصحابه محا من نفوسهم كل ماضيهم وعيوبهم، سيدنا إبراهيم عليه السلام كان طيلة حياة أبيه يغمره بالنور والسعادة فلعلَّ أباه يلتفت إليه لفتة واحدة، وبهذا الالتفات يؤمن وتتغير أحواله كلها، كما حصل للسحرة مع سيدنا موسى، ولكن أباه رغم هذا كله ما التفت، ومات على هذا الحال، عندها أدرك سيدنا إبراهيم أنه لم يعد هناك أمل بأبيه يُرتجى بالتغيير والنجاة بعد الموت مهما استغفر له، ولابدَّ له من التطهير في عذاب القبر، لذلك تبرّأ عليه السلام منه وتركه حين تبين له أنه عدوٌّ لله ولا أمل بنجاته. وأنتم أيها المؤمنون لكم بترك إبراهيم لأبيه أسوة حسنة بعد أن تبيَّن لكم عداوة أهليكم لكم ولله ولرسوله حيث أخرجوكم وأخرجوا رسولكم من مكة، لذلك لم يبقَ فيهم أمل للرجوع بالحسنى والمداراة، فلابدَّ من قتالهم حتى يرجعوا للحق. ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: هكذا خاطب سيدنا إبراهيم أباه وكان يحاوره. قال له عليه السلام: الاختيار لك أنا لا أستطيع أن أجعل الإيمان بقلبك ولا أستطيع أن أرد عنك شيئاً من العذاب إن جاءك. سيدنا إبراهيم عليه السلام شاهد أن لأبيه علاقة عاطفية معه لكن هذه العلاقة النفسية ضعيفة ولا يستطيع من خلالها أبوه أن ينتصر على قومه ويقف ضدهم، وبناءً على هذه العلاقة الخفيّة الضعيفة صار عليه السلام يبني عليها الآمال في نجاة أبيه بأن يسحبه من خلالها إلى الإيمان والجنة، وهذه رحمةٌ يُحمد عليه السلام عليها. ولكن حين مات أبوه وهو لا يزال على إعراضه وعداوته للحق هنالك توقف سيدنا إبراهيم عن التوجُّه بالنور لأبيه، فلا استغفار يجدي معه وينفع بعد الموت على حالٍ من العداء والكفر والإعراض. ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾: هذا لسان حالهم صلوات الله عليهم أجمعين، تَوَكَّلْنَا: استسلمنا لك ولأوامرك يا رب لأنك كلك رحمة وحنان علينا وعلى الخلق جميعاً. ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾: راجعون دوماً لك بكل أمر. ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: المصير عندك، المرجع إليك سبحانك.

5- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هذا قول المؤمنين ولسان حالهم، دائماً يطلبون من الله سبحانه ألا يجعل لكافر عليهم سلطاناً، وألّا يكون علاج إصلاح نفوسهم وشفاؤها وتوبتهم عن هذا الطريق، طريق تعذيب الكافرين لهم. لسان حالهم يقول: يا رب أنت ستَّار، استرنا بأنوارك وليكن شفاؤنا

ودواؤنا وتوبتنا عن طريقك فأنت أرحم وأحنّ. هؤلاء الكفرة قساة فلا تجعلنا فتنة لهم إن أخطأنا ينفتنون بما في نفوسنا فيتفننون بتعذيبنا. المؤمن إن أخطأ وأصرَّ على خطئه جعل الله للكافر عليه سلطاناً ليعود للحق ويتوب. ﴿**وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا**﴾: تجلَّ علينا بنورك يا رب لئلا نقع بخطأ ولتشفى نفوسنا. ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ**﴾: عزتنا بك ومنك يا رب. {**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**}[4]. فلا تجعل يا رب لهم سلطاناً علينا فنذل، أنت أحنّ وأشفق. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: بنا وبكل الخلق وما يناسب كل مخلوق.

6- ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ**﴾: بإبراهيم والذين معه من الأنبياء. ﴿**أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾: طالب الحق والإيمان يسير بسيرهم. ﴿**لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ**﴾: يرجو الإقبال عليه ونوال الكمال منه سبحانه. ﴿**وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ**﴾: دخول الجنة. ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ**﴾: منكم عنهم وعن السير بسيرهم. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ**﴾: غنيّ عنكم وعن العالمين ولا تضرُّونه شيئاً، لكن حنانه ورأفته تقتضي دلالتكم وإرشادكم. ﴿**الْحَمِيدُ**﴾: يحمد على إرشاده لكم وبيانه.

7- ﴿**عَسَى اللَّهُ**﴾: أيها المؤمنون إن أنتم ظللتم ثابتين على قتالهم وجهادهم ولم تضعفوا. ﴿**أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً**﴾: الخاتمة والنتيجة لكم، سوف يرجعون للحق جميعاً ويؤمنون، الله لا يتركهم حناناً منه سبحانه عليهم سيعالجهم بما يرسل لهم من مصائب وأمراض وفقر لعلهم يرجعون للحق ويؤمنون، فإن تابوا وأقاموا الصلاة فإخوانكم في الدين، عندها ترجعون إليهم بالمودة وتعاملونهم بالرحمة، أما إذا انخدعتم بهم الآن وهم على الكفر فسوف يؤثِّرون على إيمانكم ويضعفونكم ثم لا يؤمنون بعدها أبداً، والله لا يحب لكم ولهم هذا المصير لذلك بيّن لكم نواياهم وحذَّركم من مكرهم وتدابيرهم ونبَّهكم وأرشدكم لطريق هدايتهم، فهم لا يؤمنون إلا عن هذا الطريق، طريق القتال والجهاد. ﴿**وَاللَّهُ قَدِيرٌ**﴾: على ذلك، إن ثبتم الآن على معاداتهم فلكم النصر عليهم، ولابد وأن يرجعوا إلى الحق ويؤمنوا. ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: يشفيهم ويرحمهم.

8- ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**﴾: هؤلاء طالما أنهم لم يعتدوا عليكم فالله لا يمنعكم من التعامل معهم، فلهم الاختيار، إن شاؤوا آمنوا. ﴿**أَنْ تَبَرُّوهُمْ**﴾: تعاملونهم بالإحسان والمودة لتسحبوا قلوبهم للإيمان ومحبة رسوله فيؤمنوا ويسعدوا. ﴿**وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾: عاملوهم بالحق والعدل، فلا يجوز التعدّي عليهم وظلمهم بأن تقولوا هؤلاء كفار وتبيحوا لأنفسكم ما ليس لها حق، إن الله لا يحب المعتدين، فلا تعتدوا عليهم وتظلموهم. ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾: هكذا يحبكم الله أن تكونوا معهم، أن تسيروا معهم بالعدل ليؤمنوا وبهذا تقبلون عليه سبحانه وتدخلون الجنة.

9- ﴿**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ**﴾: فقط هؤلاء قاتلوهم لأن القتال خير لهم لعلَّهم يرجعون للحق. ﴿**وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**﴾: مكة. ﴿**وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ**﴾: بالإثم والعدوان. ﴿**أَنْ تَوَلَّوْهُمْ**﴾: احذروا. ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ**﴾: منكم. ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾: لأنفسهم، ظلموا أنفسهم بموالاتهم لهؤلاء الكفرة، إن والى المؤمن كافراً صار مثله حيث يتعلق قلبه به، وبهذا التعلُّق يتشرَّب منه البعد عن الله وعن رسوله وكراهية الحق، وبهذا يكون قد ظلم نفسه وأدخلها النار.

10- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ**﴾: هؤلاء النساء من قوم كفار، فأهلهن كفار، تركنهم وأتينكم يطلبن الإيمان. ﴿**فَامْتَحِنُوهُنَّ**﴾: تأكدوا من نواياهن، قد تكون نواياهن سيئة لذلك امتحنوهن؛ تأكدوا إن كنَّ جاءكم من أجل الإيمان أم من أجل أن يكنَّ أعيناً عليكم للكفار ولهنَّ

---

[4] سورة المنافقون – الآية:8.

بمجيئهنَّ لعندكم نوايا خبيثة، لكي يدخلنَّ بكم ويبثنَّ التفرقة بينكم وليحوّلنكم عن إيمانكم. ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ**﴾: الله أعلم بهن، قد يكن كاذبات، أنتم يجب أن تعلموا وتكشفوا نواياهنَّ وتتأكدوا منها. المؤمن يستطيع فحصهن وكشفهن، غير المؤمن ينخدع بهن ويسحبنه للكفر، المؤمن بإيمانه بالله سبحانه يُعلّمه. ﴿**فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ**﴾: تأكدتم من ذلك. ﴿**فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ**﴾: أبقوهن. ﴿**لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآَتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا**﴾: ساعدوا المؤمنين، هذه جاءت من عند الكفار والمؤمن أنفق عليها، يجب أن تعطوا المؤمنين ما أنفقوا عليهن من مال، أعطوهم كل ما أنفقوا. ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ**﴾: تتزوجون منهنَّ بشرط: ﴿**إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾: تدفعون لها مهرها. ﴿**وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**﴾: من استعصمت بالكفر ولاذت بالكافرين من الإنس والجن هؤلاء أرجعوهن لأهاليهن إذا وجدتموهن كافرات ولو كنّ جميلات ومتكلمات لا تتمسكوا بهن أرجعوهن لأقوامهن ولو كانت زوجتك. ﴿**وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ**﴾: كل ما أعطيتها إياه من مال وهدايا خذه منها. ﴿**وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا**﴾: إياك يا مؤمن أن تأخذ شيء من مالها، إن أخذت مالها جعل الله لها عليك سلطاناً، أعطها كل مالها لا تأخذ منه شيئاً. ﴿**ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ**﴾: لكم، طبّقوا هذا أيها المؤمنون. ﴿**يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ**﴾: بما فيه السعادة لكم. ﴿**حَكِيمٌ**﴾: بكم، لذلك أنزل عليكم هذا التشريع.

سورة الممتحنة: [11-13]

11- ﴿**وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ**﴾: ذهبت لعند أهلها وأخذت ما ليس لها به حق من أموال زوجها المؤمن "سرقته". ﴿**فَعَاقَبْتُمْ**﴾: إذا عاقبتم الكفار على ما فعلوه من مكر وخداع. ﴿**فَآَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا**﴾: إن استردَّيتم الحق منهم أرجعوه لأصحابه المؤمنين، أرجعوا ما سرقت زوجته له من مال. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾: إياكم أن تفعلوا غير ذلك، اسعوا لأن تصلوا للتقوى حتى تستطيعوا أن تطبقوا ما أمركم الله به.

12- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا**﴾: لا يُطعنَ إلا كلام الله. ﴿**وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ**﴾: إن حافظت المرأة على جوارحها حُفظت من الوقوع بالزنى. ﴿**وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ**﴾: بالإجهاض وغيره، كذلك قتل نفوس أولادهم بعدم تربيتهم التربية الصالحة بأن يسمحوا لأولادهم بالمنكر فيقعوا بالفاحشة، وبذلك موت وقتل لنفوس أولادهم. ﴿**وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ**﴾: يَتَّهِمنَ غيرهن بالسرقة والزنى والفاحشة. ﴿**وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾: في تطبيق ما تأمرهنَّ به من حجاب وغيره. ﴿**فَبَايِعْهُنَّ**﴾: إن جاءك المؤمنات فبايعهنَّ، عاهدهنَّ، خذ منهنَّ العهد على هذا وبأن لهنَّ الجنة إن طبقن أمر الله، وهذه المبايعة بأمر من الله سبحانه، فلقد اجتمعت النساء في غرفة كبيرة لها نافذة من الأعلى والرسول في غرفة ثانية، ووقف سيدنا عمر بن الخطاب بين الغرفتين فخاطبهم رسول الله ﷺ من وراء جدران الغرفة، والنساء سمعن كلامه ﷺ وعاهدنه ووضعن أيديهن بإناء من الماء كما فعل رسول الله ﷺ ووضع يده الشريفة في إناء ماء ثانٍ وبذلك تمت البيعة، والماء دليل الحياة، وبهذه المعاهدة سرى النور الإلّهي إلى نفوس المؤمنات وارتوت قلوبهن بالتجلي الإلّهي فصارت لهن الحياة من الله ودخلن بالسعادة. ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ**﴾: توجَّه لهنَّ بالنور العظيم الذي معك "على نفوسهن"، وبهذا التوجُّه ينمحي من نفوسهنَّ كل ماضٍ وعيب ويشفين من عللهنَّ وأدرانهنَّ. ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**﴾: شفاهن من عللهن وأمراضهن النفسية. ﴿**رَحِيمٌ**﴾: كل هذا لأنه تعالى رحيم بعباده ويريد لهم السعادة ودخول الجنة.

13- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾: وهم اليهود، غضب الله عليهم لأنهم عرفوا الحق وانحرفوا عنه، جاءهم سيدنا موسى رسولاً من الله لهم وجاءتهم التوراة وانحرفوا عنها، كذلك عرفوا أن محمداً ﷺ رسولٌ من الله فأنكروه رغم معرفتهم به. ﴿**قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ**﴾:

لو لم يكونوا يائسين منها لتمنوا الموت، والله سبحانه وصفهم بقوله الكريم: **{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ}**[5]. لا يريدون الموت ولا يحبونه لأنهم يئسوا من الآخرة، يأسهم بسبب أعمالهم الخبيثة الشريرة المخزية، فنفوسهم خجلى من الله بسببها. **{بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}**[6]. **﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾**: الكافر لا يعرف أن بعد الموت هناك آخرة وهناك جنة ونار فهو لا يصدِّق بكل هذا، بل ويعتقد أن من يسير بهذا إنما هو يمشي بالوهم والخيال، إذ يترك المحسوس الملموس أي يترك الدنيا ولذائذها ويمشي بالوهم. لذلك ينكرون الخلق والحياة والقيام مرة ثانية في الآخرة. اليهود حيث أنهم ما طبَّقوا كلام الله وما أطاعوا رسلهم وما آمنوا لذلك يئسوا من الآخرة، أي: عرفوا أنهم ضيَّعوها ولم يبقَ لهم فيها شيء، كما يئس هؤلاء الكفار من عودة من مات إلى الحياة مرة ثانية، هؤلاء اليهود احذروهم ولا توالوهم لأنهم أذى وضرر عليكم.

والحمد لله رب العالمين.

---

[5] سورة البقرة – الآية:96.

[6] سورة القيامة – الآية:14–15.

تأويل سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الصف: [01-10]

1- ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: الخلائق كلهم كانوا بجنة قبل مجيئهم للدنيا، الكل سابح بفضله تعالى وعطائه ومشاهد لنوره، بذاك العالم الذي يسمونه عالم الأزل أحب الله للخلائق أن ينالوا أكثر لكيلا يملُّوا ببقائهم على حال واحد، لذا أرسلهم للدنيا ليزدادوا كسباً وفضلاً منه تعالى ويسيحوا بهذا العطاء الكبير والفضل الجديد وينعموا بمشاهدة أسمائه تعالى الحسنى. ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾: بالماضي شاهدتم هذا الفضل والعطاء منه تعالى، كذلك بالدنيا لا معطي سواه سبحانه، منه فقط تنالون الخير والعطاء، التفتوا بالإيمان إليه تعالى فلا تلتفتوا لغيره ولن تشركوا. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: حكم وقضى وحكمه وقضاؤه مبنيٌّ على حكمة، أي: بما يناسب وبما يرقى بهذا الإنسان، وأحبَّ لكم أن تكسبوا عطاءً كبيراً وأن تنهلوا منه سبحانه أكثر وذلك حباً بكم، ولن تنالوا هذا الفضل وهذه الجنات إلا بالإيمان وبالعمل الصالح، فهو تعالى القائم على كل نفس بما كسبت وكل أفعاله تعالى ضمن الحكمة وعين الكمال.

2- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾: لم تقول أنك ستنتهي عن أمر ثم لا تصرَّ على ما قلت وتنتهي، ينوي على ترك صفة سيئة من نفسه أو شهوة دنيوية ثم يتردد ولا يفعل، وهذا التردد والتأخير يؤثر عليه وعلى إيمانه ودرجته، ينوي جهاد هوى نفسه ولا يجاهد فيها حقَّ الجهاد، الصادق ينوي ويصمم وينطلق للسعي والعمل الصالح.

3- ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ**﴾: ما نراه اليوم من فحش وإجرام وخمور وما حلَّ بالبشرية من شقاء وآلام هذا يمقته الله ولا يريده لعباده. ﴿**أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾: وأنتم أيها المؤمنون يا من جَعلْتكم سبباً لهداية عبادي تدعون الناس للإيمان وأنتم لم تؤمنوا بالله إيماناً شهودياً! تدعونهم للفضيلة والإنفاق ولجهاد الهوى والنفس وأنتم لستم كذلك، فلمَ تقولون ما لا تفعلون؟! وهذا ما لا يليق بكم، جاءكم رسول الله لتؤمنوا بالله وتقبلوا عليه سبحانه وتشفى نفوسكم وتعملوا لتنقذوا إخوانكم، بإرشادكم لهم تنقذونهم من الفواحش والانحطاط والنار، فما آمنتم ولا فعلتم، وهذا يمقته الله لشديد رحمته وحنانه على خلقه وحباً بهم وعطفاً عليهم لإنقاذهم.

4- ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا**﴾: متماسكين متحابين. ﴿**كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾: مثل حائط مرصوف مُوْثَق، المؤمنون لا يختلفون مع بعضهم بعضاً، دائماً الاختلاف من الشيطان ليوقع العداوة والبغضاء، إن اختلفوا فشلوا، ذهبت ريحهم، عندها يبدِّلهم الله سبحانه وتعالى بقومٍ آخرين.

المؤمنون على قلب واحد، أذلة فيما بينهم لا يتكبرون ولا يتعالون على بعضهم بعضاً، متماسكون متحابون متباذلون، كل مؤمن يقدِّم أخاه على نفسه ويفديه بروحه وماله، والله يزيدهم من فضله ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[1]. هكذا الله يحبهم أن يكونوا، المؤمن لا يشتكي من أحد لا يقول فلان فعل معي كذا وكذا، بل يقول ما جاءني أنا سببه، عِلَلٌ بنفسي، أخطأت وعملت سوءاً فعاد عليّ عملي بهذا

---

[1] سورة إبراهيم – الآية:7.

السوء، دائماً لسان حاله يقول لولا ما في نفسي من خبث ما تسلط عليّ أحد، يتوب ويسعى لشفاء نفسه يحب أن تطهر نفسه.

5- ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي**﴾: بالمجادلة والإنكار والظن بالمعصوم "سيدنا موسى" ما ليس فيه من نقائص وحاشاه، جادلوه لأنهم ما آمنوا بالله وما آمنوا أن كلامه عليه السلام منزَّلٌ عليه من الله لذا ساروا برأيهم وجادلوا رسولهم. ﴿**وَقَدْ تَعْلَمُونَ**﴾: عندكم الإمكانية للسمو للعلم بلا إلّه إلا الله والشهود لأسماء الله الحسنى. ﴿**أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ**﴾: وإنكم لتؤمنون وتعتقدون بأني رسول، اعْتَقَدوا اعتقاداً لكن ما آمنوا ويقّنوا ليشاهدوا بقلوبهم أن موسى عليه السلام رسول الله. صحابة رسول الله ﷺ آمنوا صار لهم نور من الله، به شاهدوا حقيقة رسول الله ﷺ السامية، قالوا يا رسول الله إننا نراك في رابعة النهار ونورك يطغى على نور الشمس. بنو إسرائيل ما آمنوا ما قدّروا سراجهم المنير عليه السلام. ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا**﴾: عنه عليه السلام وعن بيانه وغيَّروا، هم كانوا خارجين عن الحق، بالبداية صدَّقوا أنه رسول الله وأن كلامه منزَّل من الله لكن بعدها غيَّروا، السبب ما ساروا بالقانون الموصل لله فما آمنوا من ذاتهم وهذا حال كل من لم يؤمن بربه سوف يتراجع وينكر ما اعتقد به. ﴿**أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾: صرف الله قلوبهم عن اتّباعه لإخراج ما وقر في نفوسهم من الغي والباطل. بنو إسرائيل لا يريدون الهداية لأنفسهم، ما عملوا لأجل أن يهتدوا ويؤمنوا، والله صرفهم عن الاتّباع، السبب ما جاهدوا أهواءهم، لو جاهدوا ما وقعوا بهذا. ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾: هل يشفى المريض من مرضه إن ما طبق وصية الطبيب من حمية ودواء؟ وكذلك هؤلاء لم يطبقوا ما أمرهم الله ورسوله فما شفوا من عللهم، فكيف يهتدون؟

6- ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ**﴾: إنني أبين لكم التوراة. أليس هذا دليلاً على رسالته عليه السلام حيث لم يبقَ شيء من حقيقة معاني التوراة، كتاب التوراة موجود ولم يحرَّف لكن علماءهم أدخلوا التفاسير الباطلة عليه فضيَّعوا حقيقته، والآن من يبيِّن لنا حقيقة القرآن؟ ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي**﴾: محمد ﷺ. إن آمنتم الآن أبشركم أن يجعل الله الفتوح على أيدي أبنائكم وبصحيفتكم. ﴿**اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾: أكثر حمداً مني لله، رسول الله ﷺ مذكور عندهم في التوراة والإنجيل، وسيدنا موسى أخبر عنه وكذلك سيدنا عيسى أخبر عنه بالإنجيل، معنى قول سيدنا عيسى اسمه أحمد أي أسبق مني بالحمد لله وأعلى مني منزلةً عند ربه "السابق الأسبق". ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ**﴾: رسول الله محمد ﷺ. ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ**﴾: بالقرآن، بيَّن لهم كل شيء، ما أبقى شيئاً إلا وبينه ﷺ بالقرآن. ﴿**قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾: أنكروا رسالته، قالوا كلامه تخيُّلات، سحر مبين ظاهر.

7- ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾: لنفسه منهم، أنكروا رسالته وما صدَّقوا، وبهذا الإنكار لرسول الله ﷺ وهو النور لهم، نفوسهم أظلمت بظلمات الشهوات وبهذا ظلموا أنفسهم. ﴿**مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ**﴾: المفتري كاذب، يعرف الحقيقة وينحرف عنها ويدَّعي غيرها، وهؤلاء عرفوا رسولنا محمداً أنه رسول الله وأنكروا وأخفوا هذه الحقيقة. ﴿**وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ**﴾: يُدعى إلى الاستقامة والطاعة والإيمان حيث السعادة والجنة والنور، علامة المؤمن لا يحسد ولا يغار، يرى الحق ويسير عليه وينصره. وبنو إسرائيل لو كانوا مؤمنين بزمن رسول الله ﷺ ما حسدوا وما غاروا من العرب لأن الرسول جاء منهم. ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: لأنفسهم لأنهم لا يريدون الهداية، هؤلاء ظلموا أنفسهم بهذا الافتراء والكذب والإنكار لرسول الله وهو ﷺ باب الهداية والنور لهم، فكيف يهتدون بدونه ولا طريق لهم بالهداية إلا به ﷺ.

8- ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾: العلماء الذين أنكروا رسالته ﷺ. ﴿**وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾: والوقت صار قريباً جداً عندها لا يبقى كافر ولا كفر على وجه الأرض.

9- ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ**﴾: للعالمين. ﴿**بِالْهُدَى**﴾: بالقرآن ليهتدوا إلى الله ويؤمنوا. ﴿**وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾: كل الدعوات الباطلة سوف تزول ولا يبقى إلا القرآن دين الله الحق، وسيحصل هذا. ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾: اليهود والنصارى وكل من سار على سيرهم واتبعهم.

10- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ**﴾: تجر لكم الخير الكثير الدائم، الدنيا زائلة أما الآخرة فإنها دائمة. ﴿**تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾: تنجيكم في الدنيا من الآلام والمصائب والشقاء، وفي البرزخ من عذاب القبر وفي الآخرة من عذاب النار. الحياة الدنيا دار العمل والإيمان فالإقبال على الله وهداه، فالتجارة بالدنيا حيث فيها شفاؤكم شفاء قلوبكم من العلل والأمراض، تطهر نفوسكم من مرض حب الدنيا الذي يخفض من شأنكم عند الله وعند الناس.

سورة الصف: [11-14]

11- ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾: إيماناً شهودياً بأن الله مسيِّر هذا الكون ومسيِّر الخلق جميعاً من الإنس والجن، كلٌّ لما أراده لنفسه واختاره وعلى مستحقِّين، فلا يتسلَّط الظالم إلا على ظالم مثله، ولا تمتد يد المحسن بالإحسان إلا على شخص سبق منه الإحسان لغيره، ولا ظلم بالكون. ﴿**وَرَسُولِهِ**﴾: إن آمنتم بلا إلّه إلا الله صار لكم نور من الله، وبنوره سبحانه تشاهدون حقيقة رسول الله ﷺ فتعرفونه وتؤمنون بأنه رسول الله. ﴿**وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: إن آمنتم عندها تستطيعون الجهاد في سبيل الله، حيث لم يبقَ للدنيا وشهواتها قيمة بنفوسكم، المؤمن وطالب الإيمان يجاهد هوى نفسه. ﴿**بِأَمْوَالِكُمْ**﴾: تنفقونها على مستحقيها. ﴿**وَأَنْفُسِكُمْ**﴾: تفتدون بها حين الحق. ﴿**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾: العائد لكم وعليكم بالخير والسعادة والجنة. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾: لا إلّه إلا الله، وآمنتم بها تفعلون هذا، تنفقون وتجاهدون وتفعلون المعروف، عندها:

12- ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾: يشفي لكم نفوسكم مما حلَّ بها من صفات سيئة ويضع الكمال فيها عندما تقبل عليه سبحانه، وبالشفاء سعادة لا يعدلها شيء حيث تَخلَّصت النفس مما كان يؤلمها وبرأت من مرضها. ﴿**وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ**﴾: نفوسكم تنتقل من حال لحال أعلى ومن مشاهدة لجمال الله إلى مشاهدة أعلى، وهذه هي الجنة، وهي مشاهدة وجه الله الكريم ولا عجب. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾: وهي ما دون النظر لوجه الله الكريم، يعطيكم اللذائذ ولا يحرمكم سبحانه من شيء. ﴿**وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً**﴾: تسكن نفوسكم. ﴿**فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾: جنات عديدة لا نهاية لها أبد الآبدين، وتدعون الناس لها. والله سبحانه من أجل هذا خلقنا. ﴿**ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾: الفوز بهذا، لا بالدنيا الفانية وما فيها.

13- ﴿**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا**﴾: أنتم. ﴿**نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ**﴾: لكم. ﴿**وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**﴾: ما يفتح الله لكم من الهدى. نورٌ تحصلون عليه. ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: بهذا، كل هذا سينالونه وسيقع.

14- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ**﴾: انصروا الحق. ﴿**كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ**﴾: الذين حاوروه وناقشوه. ﴿**مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾: من ينصرني. ﴿**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ**﴾: بنو إسرائيل قالوا: كلنا ينصر الحق وكلنا على الحق، ولكنهم ليسوا كذلك. إن مثل أمّة عيسى عليه السلام كمثل الأمة الحاضرة، أيّاً سألته هل تؤمن بالله؟ يقول: بلى. ولكنه في الحقيقة يؤمن بأن الله خالق فقط ولا يؤمن بأن الله بيده تصريف الأمور وتسيير الخلق جميعاً، فلما خاطبهم عيسى عليه السلام قالوا جميعاً نحن أنصار الله، ولكنهم قالوا بأفواههم ذلك، وكانوا يجادلونه ويحاورون في

الحق فآمنت طائفة منهم معه وكفرت البقية. ﴿**فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾: الحواريون الأحد عشر شخصاً الذين حاوروه. ﴿**وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ**﴾: الذين جادلوه عليه السلام ما آمنوا به. ﴿**فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾: في الأرض، نصر الله هؤلاء الحواريين الأحد عشر، انتصروا في روما وآمن معهم معظم بلدان العالم لأنهم آمنوا حقيقةً، المؤمن يؤيده الله وينصره.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجمعة: [01-10]

1- ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: كل شيء مفتقر إلى الله تعالى، إن الله دائم التسيير لهذا الخلق بأجمعه لمن يأتي ولمن لم يأتِ، كل الخلق مرتمون على ربهم والله سبحانه يسبِّحهم بفضله وخيراته ويغدق عليهم بالعطاء والتربية، فالكل محتاج للهواء والماء والطعام والتسيير والله سبحانه يمدهم ويربيهم بهذا لكي يلتفتوا إليه ويؤمنوا به وينالوا منه الجنة، ولكن هل التفتوا لصاحب هذا الخلق والفضل وآمنوا به؟ ﴿**الْمَلِكِ**﴾: سبحانه ملك كل شيء وليس للمخلوق أي شيء، كلهم مفتقرون إلى الملك جلَّ وعلا، كل الكائنات بيده وهو سبحانه مالك الكل وحاملهم وحامل هذه الكرة الأرضية والكون العظيم، هذا الكون على ماذا يقف ويستند؟ الأرض، القمر، النجوم، على أي شيء يقفون؟ إن فكر الإنسان بينه وبين نفسه صار له تقدير وتعظيم لهذا الصنع ومنه يصل لتقدير الصانع "رب العالمين" عندها يملِّك نفسه واختياره للمالك الحقيقي سبحانه. ﴿**الْقُدُّوسِ**﴾: المتعالي، كل ما يصدر عنه سبحانه فهو خير، إذا رجعت النفس بالإيمان لله وملَّكته زمام أمرها عندها يطهِّرها الله سبحانه وتعالى من كل شائبة وعيب فتشاهد ربَّها، وبهذه المشاهدات يقدِّس الله نفس هذا الإنسان فتطهر مما بها من علل وأدران وذلك بما يمدّها من خيرات. وكل ما نراه الآن وما يبدر من الناس من نواقص وإجرام وارتكابات وفواحش هو من اختيارهم وليس من اختيار الله كما يدَّعون "أنه كتب عليهم هذا" ولا يرضى الله لهم هذا، لكنه سبحانه يمدُّ كل إنسان حسب رغبته واختياره وهو سبحانه لا يتنازل لمثل هذه الأمور. ﴿**الْعَزِيزِ**﴾: لا يأتي الخير إلا منه سبحانه، وإذا التفتت النفس لغيره تخسر كل شيء، وهو ليس بحاجة إلى شيء والكل بحاجته. ﴿**الْحَكِيمِ**﴾: يعلم ما يناسب كلّاً فيُحْكِم له العطاء، يُعطي أحسن ما يستحقه المخلوق، إذا استحقَّت النفس يعطيها العطاء الكامل المناسب لها، ولو أعطى تعالى هذا الإنسان أكثر مما أعطاه واستحقه لكفر، ولو أنه أنقص عليه للجَّ، فلكل إنسان وما يناسبه، والكون كله يسيِّره ضمن الحكمة والكمال.

2- ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً**﴾: في الذين أمُّوا للحق، هؤلاء فكروا فرأوا الدنيا كلها كذب وخداع لا تجلب للإنسان سعادة، نظروا فيها فرأوا كل ما فيها خيال وزائل لذلك مجّوها وطلبوا الحق فجمعهم الله برسوله. ﴿**مِنْهُمْ**﴾: يشابههم في الأخلاق عندهم كمال بأنفسهم، بهذا الكمال اجتمعوا وأحبوا رسول الله وأمُّوا إليه ﷺ. ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾: ما أُنزل عليه ﷺ، فكل ما نال رسول الله من ربِّه من آيات كان يتلوها على أصحابه الكرام ويصبُّها في نفوسهم وهم بنوره يشاهدون. ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾: بإقبالهم عليه تسمو نفوسهم إلى الله وتحصل لهم التقوى، أي يصبح لهم نورٌ من الله به يشاهدون الحقائق، عندها ﷺ يضع بنفوسهم الكمالات الإلّهية. ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾: فيعلمون ما في الكتاب ويضعون الأمور في مواضعها لأنهم أصبحوا أولي بصيرة، الصحابة الكرام أحبوا رسول الله وأقبلوا بنفوسهم عليه فصار ﷺ لهم نوراً، فشاهدوا ما في الكتاب من خيرات ومعانٍ من بعد أن بيَّن لهم ﷺ الحكمة من كل شيء من الكتاب، غدوا علماء حكماء، فهموا المعاني من رسول الله، فكل ما كلَّمهم به ﷺ شاهدوه بقلوبهم. ﴿**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾: لم يكونوا يعلمون شيئاً، ما عندهم علم ولا معرفة، مع رسول الله ﷺ تعلَّموا أين كانوا قبل مجيئهم للدنيا، ولِمَ خلقهم الله وأرسلهم إليها، شاهدوا ماذا بعد هذه الدنيا، ما في الموت وما في الآخرة، شاهدوا كل هذا وتيقَّنوا منه، عرفوا

أن الله خلقهم لمعرفة وشهود أسمائه الحسنى التي بها الجنات والسعادة، وكل من آمن في أي زمان ومن أي بلد كان يصبح منهم.

3- ﴿**وَآَخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾: نحن وكل من أتى بعد الرسول ﷺ مقتفياً أثره، وهكذا سيكون صحب سيدنا المهدي العظيم وصحب سيدنا عيسى عليه السلام وهؤلاء لم يأتِ زمانهم بعد. ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾: لا يأتي الخير إلا منه سبحانه، وهذا الخير والفضل ليس مقصوراً فقط على الصحب الكرام بل لكل من اتبعهم بإحسان، فالله سبحانه فضله كبير واسع، فمثلما أعطى صحابة رسول الله ﷺ يعطيهم، والباب مفتوح لكل طالب. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: يعطي كل إنسان ما يستحق بالحكمة.

4- ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ**﴾: عطاء الله لك. ﴿**يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾: يعطي الله لمن سلك بطريق الحق بصدق من عباده، يعطي الله لمن أراد العطاء من عباده، كل إنسان شاء، وعلامته أنه ترك الدنيا وطلب الله والحق وسلك الطريق طريق الإيمان، طبقه بالتمام من تفكير بالموت إلى التفكير بالآيات الكونية هذا يعطيه الله ويجمعه برسوله. ﴿**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾: للكل، خلقك لهذا ليتفضل عليك بعطائه وجنته، فضله واسع عظيم وكل من طلب أعطاه من فضله.

5- ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ**﴾: حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ: آخرون حَمَّلوهم إياها، هؤلاء عندهم الأهلية حملوها ولم يحملوها، حفظوا ألفاظها ولم يعقلوها بقلوبهم، جاءهم من حمّلهم إياها لكنهم ضيَّعوها، ما شاهدوا معانيها لأنهم ما آمنوا، أصبح حالهم كالجندي نزل ساحة القتال بلا سلاح، حاله خطر. ﴿**ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا**﴾: فلم يفقهوا منها شيئاً، حفظوا الكلام وما فهموا المعنى. ﴿**كَمَثَلِ الْحِمَارِ**﴾: الحمار كالذي يحوم حول شيء ولا يراه، هؤلاء كالحمار لا يستفيد من حمله الكتب شيئاً، مثل بشع لكن هذه حقيقتهم. ﴿**يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾: بيانات وكتب. ﴿**بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ**﴾: سيعود عليهم هذا الشيء بالبؤس العظيم والندم لأنهم ما آمنوا بها، هؤلاء حالهم خطر إن ما آمنوا بلا إلّه إلا الله تأخذهم الدنيا وتسحبهم للشهوات واللذائذ، لو آمنوا ما وقعوا بالشهوات. كذلك حال من حفظ ألفاظ القرآن ولم يطبق ما فيه ويشاهد معانيه. ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: ظلموا أنفسهم بعدم إيمانهم، جاء من أرشدهم ودلَّهم لكن ما آمنوا، هؤلاء لا يهديهم الله لأن الهداية لمن يطلبها ويسعى لها، وهؤلاء ما طلبوا ولم يسعوا لها، فكيف يهديهم الله، حالهم كمريض لم يذهب للطبيب فهل يخلص من علته ويشفى من مرضه؟ يهديهم الله عندما يتجهون إليه سبحانه وذلك بالسعي والتطبيق وجهاد الهوى والنفس.

6- ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا**﴾: اليهود وكل من سار بسيرهم واتَّبعهم. ﴿**إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ**﴾: ادعيتم وزعمتم أنكم أولياء الله وشعبه المختار وأنكم أهل إرشاد تدلُّون الناس على الحق، وكذلك نحن الآن. إن كان زعمكم هذا صحيحاً: ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ**﴾: المؤمن يتمنى الموت ويحبه، يحب لقاء الله {**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**}[1]، البعيد عن الله يخاف الموت ولقاء ربه. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: بادِّعائكم هذا. وهذا مقياس حقيقي منه يعرف الإنسان نفسه وحاله وإن كان سيره على حق أو على باطل.

7- ﴿**وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا**﴾: لأنهم يخافون العذاب والعقاب بسبب أعمالهم الدنيئة، هؤلاء يختلفون عن المشركين الذين أنكروا وجود الله، المشرك لا علم له بشيء عن الآخرة، لا يحسب للموت حساباً، أما هؤلاء فقد أقروا بفكرهم بالجنة والنار والسؤال والحساب لكن شهوتهم غالبة عليهم لذلك يخافون من الموت، ويودُّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة، يحرصون على الحياة الدنيا ويكرهون لقاء الله بسبب

[1] سورة الرعد – الآية:28.

أعمالهم المنحطة. ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾: من أعمال خبيثة، هؤلاء كمن يزعم أنه يدل الناس إلى الحق ويرى ما في نفسه من خبث وانحطاط فلا يتمنى عندها لقاء الله. ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾: ظلموا أنفسهم، تركوها جاهلة، ما آمنوا بلا إلٓه إلا الله بدءاً من التيقن بالموت فالنظر بالآيات الكونية، والله سبحانه عليم بهم وبما يناسبهم من علاج.

8- ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**﴾: ليس من الموت مفر وإنه ملاقيكم فلا مخلص لكم منه، ما من إنسان استطاع وهرب من الموت، فتدارك أمرك أيها الإنسان قبل أن تقع فيه ولا ينفعك ندم. ﴿**ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى**﴾: الله. ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ**﴾: يعلم الله الماضي والمستقبل، ما جرى وحدث وما سيحدث. ﴿**وَالشَّهَادَةِ**﴾: ما يجري الآن في الدنيا من أحداث وأعمال نحن نشهدها. ﴿**فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: مهما أخفيت ما في نفسك أيها المعرض عن ربك فالله سبحانه عليم به ومشاهده، الله سبحانه لا يغيب عنه شيء ولا ينسى، وغداً سينبِّئك بهذا وسترى أعمالك أمامك ماثلة: {**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ**}[2].

9- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ**﴾: رسول الله ﷺ ينادي إلى صلاة الجمعة ويحدِّد الدرس ومن بعده المرشدون الصالحون. ﴿**مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ**﴾: وسرُّ صلاة الجمعة في الخطبة لما فيها من الهدى والإرشاد، يجتمعون مع رسول الله ﷺ ومن بعده مع المرشد الصادق ليتلقوا العلوم والمعرفة وينطبع فيهم الحق، المؤمن يحضر الدرس ولا يضيّع صلاة الجمعة حيث الإمام والخطيب يوضح أموراً وأشياءً ويعمل على حلِّ كل المشاكل في المجتمع، وقد كان رسول الله ﷺ يلقي الخطبة ومن بعده الخلفاء ومن بعدهم أولي الأمر من المسلمين والخليفة. ﴿**فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾: السعي هنا إيماني بأن يهيئ المؤمن نفسه ويسعى للوصول إلى الإيمان حيث يوم الجمعة يختلي بنفسه ويفكر بالآيات حتى يحين موعد الدرس. السعي اليوم الذهاب باكراً للمرشد الحق "منذ الشباب"، الصادق بطلب الحق يفتش عن مرشد صادق، المرشد الحق هو الذي يوصل مريده إلى الله ورسوله هذا مرشد صادق. الإرشاد بتكليف من الله والرسول، المرشد الصادق هو من كلَّفه الله ورسوله بالإرشاد، هذا يستطيع أن يوصل مريده إلى الله ورسوله ويريه الأنوار الإلٓهية وأسماءه تعالى الحسنى. ﴿**وَذَرُوا الْبَيْعَ**﴾: دعوا كل شيء من أمر الدنيا، اتركوا الدنيا وما فيها واذهبوا لحضور الدرس يوم الجمعة. ﴿**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾: هذا الحضور فيه خير كبير لكم. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾: لا إلٓه إلا الله، إن آمنتم تفعلون هذا وترون الخير الدائم بحضوركم درس صلاة الجمعة.

10- ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ**﴾: حصلت لكم الرابطة برسول الله ﷺ وصارت لكم الصلاة الحقيقية مع الله باجتماعكم مع الإمام وسماع درسه، بعدها إن فعلتم وطبقتم ما أرشدكم به رسول الله ﷺ تكونون قد هيأتم أنفسكم للخير العظيم من الله. ﴿**فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾: وعودوا إلى ما يتلى عليكم من الحق حتى تدلُّوا غيركم على الإيمان والتقوى، لهذا خلقكم الله، كذلك أعيدوا الدرس على أنفسكم وعلى غيركم، تذاكروا ما تلي عليكم من الحق منيبين وبذلك ترقون رقياً كبيراً حيث يحدث في النفس بهذا التذاكر شيءٌ عظيم، اليهود بزمن سيدنا موسى كانوا يحضرون الدرس يوم الجمعة، ويوم السبت ينقطعون عن العمل ويتذاكرون الدرس مع بعضهم ويتكلمون عن كمالات رسولهم. ﴿**وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**﴾: كل ما لله على الناس من فضل وكذلك البيع والشراء. لكن الشرط ألا تنقطعوا عن الله، الله تفضل عليكم فلا تنقطعوا عنه وعن تذكر الرسول الكريم أو الإمام المرشد. ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: اذكروا فضل الله عليكم وأسماءه الحسنى، تذاكروا بها حتى تشاهدوها، اسعوا لهذا،

---

[2] سورة الحاقة – الآية:18.

إن وصلتم وشاهدتم أسماءه سبحانه تصبحون علماء حكماء، إن ما فعلتم هذا غلبت الدنيا في قلوبكم على الآخرة وانقطعتم عن الله عندها يأتي الشيطان ويوسوس لكم بالشهوات، عندها لابد من الشدائد للتطهير والإقبال، إن لم تطهر نفسك بالدنيا سوف تأتي الشدائد والأهوال في القبر، وفي الآخرة النار.

سورة الجمعة: [11]

11- ولكن الذين نافقوا: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا**﴾: ظلُّوا منصرفين إليها وتركوك وأنت تخطب. إذا رأوا شيئاً من مشتهياتهم من الدنيا انشغلوا بها وانقطعوا عن الرسول أو المرشد، هذا حال المنافق إذا جاءته الدنيا ينفض إليها بالكلية وينسى. ﴿**وَتَرَكُوكَ قَائِمًا**﴾: وأنت تدعوهم، قائماً بالدعوة والإرشاد إلى الله، رسول الله ﷺ جاء الدنيا ليهدي الأمم ويخرجهم من الظلمات والضلال إلى النور والسعادة وينقذهم من النار، وكذلك أصحابه يجب أن يسلكوا سلوكه. ﴿**قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ**﴾: ما أعدَّ الله لك أيها الإنسان من عطاء خيرٌ من هذه الدنيا وما فيها. ﴿**وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾: بإقبالك عليه وصلاتك ينطبع بنفسك الحق فيرزقك أعمالاً صالحةً تدخل بها الجنة وترقى، عندها يعطيك الدنيا من وجه عالٍ، ويرزقك المال والعزَّ والجاه والصحة لتعمل خيراً وتعود غداً لربك بوجه أبيض فيمنحك الجنات.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المنافقون: [01-10]

1- ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ**﴾: هؤلاء المنافقون رغم نفاقهم كانوا يأتون مجلس رسول الله ﷺ ويحضرون درسه حيث لهم بالماضي سوابق إيمانية، حدث لهم فيها أحوال وأذواق ومشاعر، بالبداية عندما دعاهم رسول الله ﷺ للإيمان ساروا بقوة، طبَّقوا وقدَّموا أعمالاً صالحةً إلا أنهم ما أكملوا إيمانهم ليصلوا إلى الإيمان الشهودي بلا إلَه إلا الله، وقفوا عند درجة معينة ثم كفُّوا عن الجهاد، جهاد النفس، وظنوا الصعوبة في سلوك طريق الإيمان، وهو غير صعب، بعدها صاروا يتراجعون عن إيمانهم شيئاً فشيئاً، وعندما أقبلت عليهم الدنيا انكشف حالهم ونفاقهم وغيَّروا طريقهم وتحولوا عن الله ورسوله ووقعوا بالنفاق. ﴿**قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ**﴾: نعرف أنك رسول الله. ذلك بما كانوا يشعرون به من مشاعرٍ عاليةٍ وأحوالٍ وأذواقٍ، لذلك أمام رسول الله ﷺ يقولون نشهد بأنك رسول الله. ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ**﴾: هو سبحانه يُعرِّف الخلق بالأنبياء ويكشف حالهم العالي وكمالهم للمؤمنين بما يضع في قلوبهم من نورٍ يرون به حقيقة رسول الله ﷺ السامية وذلك من بعد أن آمنوا بلا إلَه إلا الله، وهؤلاء المنافقون ما آمنوا إيماناً ذاتياً شهودياً فما صار لهم نور من الله ليكشفوا به حقيقة رسول الله وأنواره، مالم يؤمن الإنسان بربه إيماناً شهودياً لا يعرف النبي ولو عاش معه سنوات طويلة. {**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**}[1]. لذلك قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾: لم يقل سبحانه عن المنافقين كذّابون ولكن قال {**لَكَاذِبُونَ**} لأنهم تراجعوا ولم يكملوا إيمانهم ليصلوا إلى الإيمان بلا إلَه إلا الله وإلى النور ويشاهدوا حقيقة رسول الله ﷺ، عرفوا فقط ولم يشاهدوا؛ بعدها تراجعوا حتى وقعوا بالنفاق.

2- ﴿**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً**﴾: خداعاً ومكراً، هؤلاء المنافقون يظهرون بمظهر المؤمن العابد أمام المؤمنين، يتكلمون ويمدحون رسول الله ﷺ ليخدعوا ويمكروا بالمؤمنين وليفرقوهم عن رسول الله ﷺ، صارت نواياهم خبيثة بنفاقهم. ﴿**فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: صاروا يبعدون ويصدون الناس عن الحق وهم لاحقون هواهم، يريدون الدنيا أن تكون على حسب هواهم. ﴿**إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: بانقطاع نفوسهم عن الله والرسول صاروا يعملون السوء، لكن الله سبحانه وتعالى رحيم بهم لا يتركهم بل يضيّق عليهم ليعودوا للحق، هؤلاء المنافقون بالماضي آمنوا ولهم أعمال طيبة وتشرَّبوا شيئاً من الحق من خلال رسول الله ﷺ وعندهم قابلية للتغيير والإيمان لذلك لا يتركهم الله تعالى بل يعالجهم بما يرسل لهم من أمراض ومصائب وبلاءات ليعودوا للحق، إن عادوا وآمنوا رفع الله عنهم كل ما يسوؤهم وارتفع شأنهم.

3- ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آَمَنُوا**﴾: آمنوا بأن لهذا الكون خالقاً ولكنهم كفروا إذ اعتقدوا أنه بعيد عنهم غائب عنه مّا يفعلون، بالماضي سعوا وقدَّموا أعمالاً صالحةً. ﴿**ثُمَّ كَفَرُوا**﴾: بعد إيمانهم، ذهبوا لدنياهم ومشتهياتهم وأهوائهم، تركوا السعي للإيمان فابتعدت نفوسهم خجلاً عن رسول الله وبهذا وصلوا للكفر. ﴿**فَطُبِعَ**﴾: الكفر. ﴿**عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾: من بيان الله شيئاً، قلوبهم لاهية ساهية بدنياهم، لا يفقهون شيئاً

---

[1] سورة النور – الآية:40.

من القرآن، لذلك يرسل الله لهم المصائب من مرض أو فقر أو ذل لتترك نفوسهم الدنيا الدنيّة، وبعدها يستطيعون السير بالحق.

4- ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ**﴾: يا محمد ﷺ. ﴿**تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ**﴾: الله سبحانه عليم بهم من الأزل وبما في نفوسهم من إعراض وشهوات منحطة وبما يناسبهم في الدنيا، لذلك أعطاهم أجساماً وأشكالاً جميلة كانت تعجب رسول الله ﷺ، لأن هؤلاء المنافقون إن ساروا بالحق وآمنوا بالله يصبح لهم تأثير قوي على الناس بأشكالهم وجمالهم فيستطيعون جذبهم إلى الحق والإيمان. رسول الله ﷺ أدرك ما للجمال من تأثير على الناس لذلك أرسل سيدنا مصعب بن عمير ذلك الإنسان التقي إلى المدينة المنورة، واستطاع مصعب جذب أهل المدينة بروحانية رسول الله ﷺ إلى الإيمان فآمنوا، وكان له تأثير كبير عليهم بتقواه وبجماله وأناقته. ﴿**وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ**﴾: من رحمته ﷺ وحرصه عليهم كان يسمع لهم، يتكلمون بمجلسه ويتفاخرون ويزاودون عن أعمالهم أمام رسول الله ﷺ ويضيّعون الوقت الثمين. من آداب مجلس رسول الله ﷺ ألا يتكلم أحد، لأن العلم والأنوار والتجليات من مشكاته ﷺ، فإذا تكلم أحد آذى المؤمنين وحرمهم من الوجهة لرسول الله ومن هذه العلوم والأنوار، إلا إذا سمح ﷺ بالكلام، عندها إن تكلم المؤمن فلا يقع لوم أو إثم عليه، هؤلاء المنافقون موصولون بخيط من عنكبوت مع الرسول وإذا أظهر لهم الرسول شيئاً من عدم المبالاة بحديثهم أو لم يسمع لهم عندها ينقطعون عن مجلسه، لذلك كان ﷺ يسمع لهم لشدة رحمته بهم علَّهم يعودون للحق. ﴿**كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**﴾: حالهم كالخشب الذي يُقطع من الشجر ثم يبنى به فهو فاقد للحياة لن يكبر ولن يعرض، وهؤلاء المنافقون كالنفق فارغون لا حياة بقلوبهم مُسنَّدون من قبل رسول الله ﷺ بما يعاملهم به من رحمة وبشاشة لئلا يستحوذ عليهم الشيطان بالكليَّة فيقطع خيط العنكبوت الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ والذي به تحصل لهم أحوال سامية معه ﷺ وما أن يخرجوا من مجلسه ويروا مشتهياتهم حتى ينسحبوا إليها وينسوا تلك الأحوال السامية التي يرفدهم بها رسول الله ﷺ في مجلسه الشريف، فهم مُسنَّدون بالرسول بما يغمر نفوسهم من أحوال وأنوار. ﴿**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ**﴾: لما فيهم من خيانة ومعاصٍ ومخالفات لرسول الله، المنافق يظن كل حديث عليه ويقول في نفسه لقد كشف أمر نفاقي أمام المؤمنين وفُضحت أسراري. علماً أنه ليس لأحد من المؤمنين علم بهم، فالرسول لا يفضحهم بل يستر عليهم، لا يفضحهم إلا إذا بدؤوا بأذى المؤمنين وهم يصرُّون على ما فعلوا عندها يكشفهم ﷺ رحمة بهم لإيقاف شرورهم وأعمالهم، ورحمة بالمؤمنين لئلا يُخدعوا بهم ويتأثروا بمكرهم فينقطعوا عن مجلسه ﷺ. ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ**﴾: لك ولله. ﴿**فَاحْذَرْهُمْ**﴾: من أجلهم لئلا ينقطعوا عن مجلسك ويصبحوا أعداء وبهذا العداء لا يبقى هناك أمل في نجاتهم، كذلك خذ حذرك منهم من أجل المؤمنين الذين معك لئلا يؤثّروا عليهم. ﴿**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ**﴾؟ لماذا هذا الإعراض إذ هل قاتلهم الله؟ المنافقون قبل اجتماعهم مع رسول الله ﷺ كانوا تحت العلاج من رب العالمين حناناً ورحمة بهم، كانوا بالأمراض والفقر والذل، والله رفع شأنهم وأعطاهم وأغناهم بعد اجتماعهم مع رسول الله، فهل قاتلهم الله؟!. {**وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ**}[2]. ورغم ما وصلوا إليه من نفاق إلا أنه سبحانه وتعالى لم يغلق الباب أمامهم لحضور مجلس رسول الله ﷺ الكريم، وهناك تتأثر قلوبهم بما لهذا المجلس العظيم من قدسيَّة وجلال فيتوبون ويعاهدون الله على الاستقامة وعدم مقارفة الحرام ومخالفة رسول الله ﷺ، ولكن وما أن يخرجوا من مجلسه حتى تجذبهم الدنيا وشهواتها من نساء وأولاد وأموال وغيرها. ﴿**أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾: إلى أي شيء يتحوَّلون! مع النبي يكونون بحال عالٍ ثم بعد خروجهم من عنده ﷺ يتحوَّلون عنه ويصبحون بحال دنيء! كيف تحولوا من الإيمان إلى

[2] سورة التوبة – الآية:74.

النفاق وبعضهم إلى الكفر! وتحولوا عن محبة رسول الله ﷺ إلى عداوته وبغضه، لقد تحوَّلت قلوبهم عنه ﷺ رغم ما وصلوا إليه من حال عالٍ ومشاعر وأذواق بمجلسه الكريم ﷺ.

5- ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ**﴾: يدلُّكم ويرشدكم إلى الحكم الصحيح ويحكم بالحق في اختلافكم مع غيركم، إن وقعوا بخلاف مع غيرهم فالرسول يحكم بالحق ولو كان عليهم مهما تكن النتائج، استغفار رسول الله ﷺ لهم حال من الأحوال النفسية، فالرسول ﷺ خليفة الله يصب الله تعالى على قلبه الأنوار والتجلّي الأعظم، وهو ﷺ يتوجَّه لنفوسهم بهذا النور فيعيشون بحال عالٍ ويسعدون. لكن هؤلاء المنافقين كما أن النفق فارغ كذلك قلوبهم فارغة من الكمال، فإن هم ما تابوا وغيَّروا وطبَّقوا ما يأمرهم به الله ورسوله فلن يستفيدوا شيئاً من استغفار رسول الله لهم. ﴿**لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ**﴾: لا يريدون ترك الدنيا وشهواتها مصمِّمين على المعاصي والانحطاط. ﴿**وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ**﴾: عن الحق. ﴿**وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾: عن طاعة الله ورسوله وحكمه ﷺ.

6- ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ**﴾: مهما استغفرت لهم لا يستفيدون ولا يغيِّرون. ﴿**أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾: إذا هم ما طبقوا وسلكوا القانون الذي وضعه الله لهم وللبشرية وساروا بطريق سيدنا إبراهيم عليه السلام من التفكير بالكون حتى يصلوا للإيمان بلا إلّه إلا الله لا يستفيدون، إن لم يسيروا بهذا فلن يستفيدوا شيئاً. ﴿**لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾: لن تشفى نفوسهم إلا بالإقبال على الله، وهم ما أقبلوا ولا يريدون الإقبال فكيف تشفى نفوسهم مما بها من نفاق وشهوات منحطة. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾: الله لا يهديهم بسبب إصرارهم على فسقهم وخروجهم عن الحق.

7- ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ**﴾: المنافقون طلبهم الدنيا والمال والله أعطاهم ما يريدون، أرادوا المال وطلبوه فأعطاهم وأصبحوا من أصحاب الأموال فقالوا فيما بينهم: ﴿**لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا**﴾: لا تنفقوا على المؤمنين الذين مع رسول الله. المؤمنون لا يعطيهم الله في بداية سيرهم بالحق ولا يوسع عليهم بالمال لئلا ينشغلوا بالدنيا والأموال عن إيمانهم، هؤلاء المنافقون قالوا لا تعطوا ولا تتصدَّقوا وتدفعوا أموالكم وبهذا ينفض المؤمنون عن رسول الله ﷺ ويتركوه. ﴿**وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: هو سبحانه أغنى الغني وأفقر الفقير بيده كل شيء، هو الفعّال المسيِّر المتصرِّف، هو رزقكم الأموال وأفقر المؤمنين بادئ ذي بدء لحكمة. ﴿**وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ**﴾: من أفعال الله شيئاً، لا يعرفون الحكمة ولا يعرفون أن الله هو سبحانه الرزاق إن شاء رزق المؤمنين وأعطاهم لكن رحمة بهم لا يعطيهم الآن لكيلا ينشغلوا عن إيمانهم وتسحبهم الدنيا وشهواتها.

8- ﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**﴾: يخرج المهاجرون الأنصار، ليوقعوا الفتنة والتفرقة بين المؤمنين. قالوا: أهل مكة المهاجرون هم أصبحوا أصحاب الحكم والأمر، فهم الأعزاء حيث رسول الله ﷺ هو الحاكم وهو منهم، وغداً الأنصار لن يكون بيدهم شيء فيكونون أذلّاء، فغداً يخرجوننا من المدينة. يريدون بذلك أن يفشوا الشقاق في صفوف المسلمين. ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: الله تعالى يردّ على هؤلاء المنافقين أن لا فرق بين المهاجرين والأنصار، فكل من آمن رفع الله شأنه فليؤمنوا فيرفع الله شأنهم. ﴿**وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: هذا. لا يعلمون أن الإيمان يرفع شأن الإنسان.

9- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ**﴾: لا تشغلكم الدنيا وما فيها من أموال وأولاد ومناصب وسلطان ولذائذ مادية عن ذكر الله، فكل ما فيها "كل ذلك" لهوٌ باطلٌ وظلٌّ زائلٌ عنكم أيها المؤمنون. ﴿**عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾: لا تشغلكم الدنيا عما جاءكم من بيان عالٍ ودلالة على الله، ولا عن إيمانكم وأعمالكم الطيبة وعن معرفة الله وأسمائه الحسنى والفوز بالجنة والسعادة. ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ**﴾: منكم أيها المؤمنون. ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾: بالتفاتكم للدنيا تعرضون عن الله فلا تعملون صالحاً،

وبهذا الإعراض وعدم فعل الصالحات تضلُّون وتخسرون الجنة التي أعدَّها الله لكم، تخسرون مشاهدة وجه الله الكريم خالق الجمال ومبدعه وبهذا خسارة لكم لا تعدلها خسارة.

10- **﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**: اعملوا الخير والمعروف، بعمل المعروف يصبح للنفس وجهٌ أبيض حيث تعرف أن الله راضٍ عنها فتستطيع أن تقبل على ربها، إن أقبلت تدخل الجنة، بلا عمل لا يدخل الإنسان الجنة. **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾**: يتمنى لكن لا فائدة من تمنيه فلا تأخير له. **﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾**: فأعمل صالحاً. **﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**: لعطائك وجنتك.

سورة المنافقون: [11]

11- **﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾**: ملك الموت معكم فمتى جاء الأمر من الله بالموت يقبض الروح ويسحبها من الجسم، الروح تسري في الجسم عبر الدم، يقوم الملك بسحبها تدريجياً من القدمين فتبرد، والنفس تلتجئ إلى مكان فيه حرارة فتنسحب مع الروح وهكذا حتى تصل الحلقوم عندها توقن النفس بالموت ويحدث النزاع، النزاع معناه أن النفس لا تريد الخروج من جسمها لأنها تشاهد مصيرها المرعب وحالها، عندها تؤمن بالله وينكشف الغطاء عنها، فتشاهد حقيقة أعمالها وأنها لم تهيئ عملاً صالحاً لحياتها الجديدة، فلا نور لها ولا طعام ولا شراب بعد الموت ولا أصدقاء، وعند خروجها من الجسد تهوي من هذه الأكوان المادية كلها بالظلام، حيث لا بصر لها ولا سمع: **{وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}**[3]. ذلك اليوم يوم عسير، على الكافرين غير يسير، وبعد أن تهوي ترجع النفس لجسدها في القبر، ولرحمة الله بهذا الإنسان العاصي يرسل له بقبره ملكاً بصورة حنش أقرع فيحدث للميت رعب رهيب يعالجه الله به إلى يوم القيامة حيث يسلّيه فينسيه حاله الجهنمي. عكس حال المؤمن فبمجرد موته تتوسَّع نفسه بالله وتُسكب عليه الأنوار والسعادة فلا يتمنى الرجوع للدنيا أبداً بسبب ما يناله من ربه من عطاء إلّهي وسعادة وسرور وجنة. **﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**: يعلم عملكم وما يلزمه من مداواة، له سبحانه خبرة بعملك ويعطيك العلاج المناسب لك. فكل ما يصيبك علاج لنفسك أيها الإنسان، إن أصابتك مصيبة لا تحزن ولكن ابحث عن السبب الذي جاءك بالمصيبة وأزله يخلصك الله منها.

والحمد لله رب العالمين.

---

[3] سورة الحج – الآية:31.

تأويل سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التغابن: [01-10]

1- ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾: الكل محتاج لفضله تعالى ولِمَا يمدهم الله به، كل ما في السموات والأرض مسيّر بعلمه وقوته ورحمته سبحانه والكل يسبح بفضله. ﴿**لَهُ الْمُلْكُ**﴾: مالك كل شيء، حتى روحك وجسمك بيده سبحانه، إن توقف قلبك لا تستطيع تحريكه والموت مصيرك، وليس لك أيها الإنسان من سيطرة على شيء، لكن لك الاختيار، هو سبحانه وتعالى أعطاك وملّكك إياه، فإن أعدته له باختيارك رجع عليك هذا بالخير والعطاء والسعادة ولك الجنة. ﴿**وَلَهُ الْحَمْدُ**﴾: على كل ما يسوقه لهذا الإنسان، كل أفعاله سبحانه يُحمد عليها إن أعزَّ أو أذلَّ وإن أمرض أو شفى، المؤمن بلا إلّه إلا الله يرى هذا في الحياة الدنيا ويحمد الله، الكافر لا نور له، يعترض ويقول لمَ فعل الله هذا! ينسب الظلم والقسوة لله، لكن غداً يوم القيامة حين تنكشف الحقائق يحمد الله على كل ما ساقه إليه. ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: له الهيمنة والسيطرة على ملكه، لا شيء يقف أمام حكمه وهو سبحانه الممدّ لهم بالقدرة والحياة ومتجلٍّ على مخلوقاته كلها بالسير والحركة.

2- ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾: جميعاً، خلقكم من آدم عليه السلام، ألا تفكر بهذا أيها الإنسان! ما أصلك، كيف صار الثمر والطعام نطفة؟ ثم أصبحت هذه النطفة إنساناً، ألا يدل هذا على وجود خالق خَلَقَ ومربٍّ ربَّاك ومسيِّر، فكر بهذا لتصل إلى الإيمان. ﴿**فَمِنْكُمْ**﴾: أيها الخلق. ﴿**كَافِرٌ**﴾: منكم من سار بالكفر وصار كافراً، حيث ما فكَّر بفضل الله عليه. ﴿**وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ**﴾: ومنكم من فكر بالكون وآياته، بالشمس والقمر، رأى فضل الله عليه وآمن بلا إلّه إلا الله وانطبع فيه الكمال وأحبَّ رسول الله ﷺ فآمن به وشهد أن محمداً رسول الله. الاختيار لك أيها الإنسان، الله بيَّن لك كل شيء، وجعل لك قانوناً إن سرت عليه صرت مؤمناً، إن سرت برأيك وما طبقت صرت كافراً. ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾: بصير بعباده، مشاهد أحوالهم وأعمالهم ويعاملهم بما يناسبهم، ويعطي كلّاً من الكافر والمؤمن حقه وما يستحق.

3- ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾: كله ضمن أنظمة وقوانين، أما هي كافية لأن تدلك على الله، ألا تفكِّر بهذا، كل ما في الكون ضمن نظام وأنت أيها الإنسان أما وضع لك نظاماً تسير عليه! خلق الله هذا الكون ليس لعباً بل بالحق لتفكر وتؤمن بربك، كله آيات دالة على عطف وحنان وإحسان الله لعباده، إن فكر الإنسان استعظم ربَّه وآمن به، لأجل هذا خلقك الله؛ بالحق وليس للأكل والشرب كالحيوان. ﴿**وَصَوَّرَكُمْ**﴾: ألبس كل نفس جسدها المناسب لها، جعل منكم ذكراً وأنثى، ولكلٍّ صورته من شكل وطول ولون وبحسب ما تقتضي الحكمة. ﴿**فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**﴾: ما جعلك منحطّاً كباقي الكائنات، وهبك فكراً وأعطاك ملكات وأعطاك الاختيار لتسير بالحق والفضيلة وتشاهد أسماءه الحسنى، بهذا أحسن إليك وبهذا كمالك. ﴿**وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾: مصيرك إليه تعالى، رجوعك إليه.

4- ﴿**يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: إن فكرت أيها الإنسان وآمنت بلا إلّه إلا الله وصار لك بصيرة ونور منه تعالى رأيت أن الكون كله سائر بعلم الله، وكل ما يقع فيه كله بعلمه سبحانه. ﴿**وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ**﴾: كذلك ما من خاطر يقع بنفسك إلا وهو معلومان عند الله، فلا تضع بنفسك غِلّاً ولا حسداً. ﴿**وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾: من أعمال قمتم بها. سرُّك وعلانيتك معلوم عند الله وعلى حسب ما بنفسك يسيِّرك

الله ويسوق لك ما تستحق. ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: عليم بنفسك وما استقرَّ فيها، أطعه تُشفَ مما بك وتنل الخيرات.

5- ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ**﴾: قوم نوح وثمود وعاد وقوم لوط أما سمعتم ماذا حلَّ بهم، كذلك كم جاءت أمم ممن سبقونا وكفروا فماذا حلَّ بهم؟ وأين هم الآن أين من سكن دارك قبلك؟ أين الملوك والرؤساء؟ كم ناداهم الله للإيمان ودعاهم للجنة والسعادة فما استجابوا فخسروا الدنيا والآخرة! ﴿**فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ**﴾: رجعت عليهم أعمالهم بالهلاك. ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: على ما عملوا من أعمال سيئة وما قاموا من إجرام وما ارتكبوا من فواحش، هؤلاء النار لهم غداً يوم القيامة.

6- ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾: هذا الذي يجعلهم غداً يطلبون النار ويرمون بأنفسهم فيها؛ أرسل الله لهم رسلاً دلُّوهم على الإيمان وبيَّنوا لهم كل شيء لسعادتهم لكن كذَّبوا وما آمنوا. ﴿**فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا**﴾: شاهدوهم كغيرهم من البشر فتعالوا وتكبَّروا على رسلهم، ما عبؤوا بهم ولا بدلالتهم وما ساروا معهم، لو عبؤوا لطبقوا دلالتهم. ﴿**فَكَفَرُوا**﴾: هذا الشيء أوصلهم للكفر وإلى محبة الدنيا. ﴿**وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ**﴾: هل استغنى الله عنهم مع أنه غني عنهم؟ لا لم يستغن عنهم رغم ما فعلوا، لم يتركهم فلقد عالجهم بالدنيا وسيعالجهم في القبر وفي الآخرة. ﴿**وَاللَّهُ غَنِيٌّ**﴾: خيراته وجناته دائماً بازدياد، وغناهم منه سبحانه وتعالى، الله خلق لهم جنات وأفاض عليهم من غناه لكن هم ما أخذوا، وغداً يشاهدون ما خسروا فيندمون. ﴿**حَمِيدٌ**﴾: حميدةٌ كل فعاله، كل ما يسوقه للإنسان يحمد عليه.

7- ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا**﴾: أنكروا الآخرة والبعث والسؤال، قالوا من مات وعاد للدنيا وأخبر عن الآخرة؟ كل هذا لا أصل له، قالوا إن الإنسان بعد الموت يصبح تراباً ولا رجعة له بعدها. ﴿**قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ**﴾: الرسول الكريم ناقشهم بالمنطق، قال لهم أنتم أصلكم من تراب والله خلقكم من تراب فلم تنكرون خلقكم وبعثكم منه مرة ثانية؟! ﴿**ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ**﴾: ستشاهدون أعمالكم السيئة، حيث أنهم ما آمنوا أنكروا الآخرة فصارت الدنيا مطلبهم، والطريق لنوالها بالغش والكذب والإجرام والقسوة، لذلك انحطَّت أعمالهم، فلا إنسانية عندهم، وغداً سينبَّؤون بما عملوا من سوء وسينالون الجزاء عليه. ﴿**وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾: سهل على الله إعادتكم وخلقكم مرة ثانية من تراب.

8- ﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ**﴾: اجتهد أيها الإنسان لتصل للإيمان بلا إلّه إلا الله، خلقت لأجل هذا، إن ما آمنت بلا إلّه إلا الله لا جدوى لك مهما فعلت وستلحق الدنيا وتقع بشهواتها، انظر للكون ولنفسك كيف حصلت التربية، إن فكرت بهذا استعظمت ربك وآمنت. ﴿**وَرَسُولِهِ**﴾: إن آمنت بالله آمنت برسوله. ﴿**وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا**﴾: إن آمنت برسول الله حصلت لك التقوى، أي: ارتبطت نفسك به ﷺ برابطة المحبة والتقدير، عندها تشاهد نوره ﷺ، وبنوره ترى طريق سعادتك فتعمل الخير وتنال عليه الأجر العظيم من الله. ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.

9- ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ**﴾: يجمعكم الله أيها الخلق جميعاً، يجمع ذرات أجسادكم من الأرض بعد أن أصبحت تراباً، يجمع الجسد وينفخ فيه الروح وتأتي كل نفس وتحيط بجسدها، وبهذا جمعٌ للجسد والروح والنفس مع بعضهم بعضاً من بعد أن تفرَّقوا، وعندها تجتمع الخلائق كلها. ﴿**لِيَوْمِ الْجَمْعِ**﴾: ليوم الحساب والجزاء على الأعمال، تجمع بهذا اليوم كافة جموع الخلائق. ﴿**ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**﴾: بهذا اليوم يرى كل واحد حصيلة عمله، حيث تنكشف الحقائق فيرى كل كافر كيف غبن نفسه وغبن غيره، أي: يرى كيف خدع نفسه وغرَّرها بالدنيا والتهى بشهواتها وملاذِّها وما عرّفها على ربها، بالآخرة يرى حقيقة الدنيا، ظنها فيها الحياة والسعادة فإذا هي ليست بذلك، والحياة والسعادة منه سبحانه وتعالى، يرى كيف خدع غيره كما خدع وغشَّ نفسه، فالكافر بحبه للدنيا وكفره يتمنى أن يكون الكل

مثله ويعمل من أجل هذا. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾: كل من فكر وآمن بلا إلّه إلا الله هذا يصبح له نورٌ من ربه، بهذا النور يرى الخير خيراً والشر شراً، فهذا ما غبن نفسه وخدعها ولم يخدع غيره، والدنيا وما فيها من فتن لا تستطيع أن تخدعه. ﴿وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾: المؤمن يعمل صالحاً، وبعمله الصالح: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾: يمحي الله له سيّئاته الماضية، يشفي نفسه بالنور فلا يعود هذا المؤمن يرى غير ما عمل من خير، فكل ما يسوء الإنسان ويزعجه يمحوه الله له من نفسه فلا يراه، لأن الإنسان في الآخرة إذا رأى شيئاً من سيئاته يخجل من ربه فلا يستطيع أن يقبل عليه، والجنة بالإقبال على الله. ﴿وَيُدْخِلْهُ﴾: بما قدَّم من أعمال صالحة. ﴿جَنَّاتٍ﴾: يتنقل بالجنات من جنة لجنة أعلى وهو بشهود لحضرة الله، فهذا المؤمن الذي آمن وعمل صالحاً دائماً نفسه تتنقَّل من شهود لجمال الله سبحانه وتعالى إلى شهودٍ أعلى وأعلى إلا مالا نهاية، فالجنة هي مشاهدة وجه الله الكريم خالق الجمال ومبدعه ولا عجب، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: كل ما خلق الله سبحانه باقٍ لا يزول، أي عدم لا يكون، ففي الجنة يتمتَّع المؤمن بالخيرات المادية تجري على نفسه أنهاراً: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: إلى مالا نهاية. ﴿ذَلِكَ﴾: أيها الإنسان اطلبه واسعَ للوصول إليه، ولن تصل لهذا إلا بالإيمان بلا إلّه إلا الله والعمل الصالح. ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: إن آمنت بلا إلّه إلا الله وعملت صالحاً تفوز فوزاً عظيماً، تنال ما أعدَّه الله لك في الآخرة من فضلٍ وعطاءٍ وجنات، هذا هو الفوز العظيم، بهذا ليفرح الإنسان لا بالدنيا ومناصبها وما فيها من لذائذ منقضية زائلة.

10- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ما فكَّروا بالكون، عدم تفكيرهم جرَّهم وأوصلهم للكفر، فأنكروا نِعم الله عليهم، ما شاهدوا هذه النِعم من الخالق بل شاهدوها من المخلوق. ﴿وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا﴾: كذبوا بما أنزل الله على رسوله من بيانٍ عالٍ سامٍ ليسمو ويعلو بهم في الجنات، عدم تفكيرهم وإيمانهم أوصلهم لهذا الكفر والتكذيب. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: غداً في الآخرة يندمون على تفريطهم وليس لهم من صاحبٍ إلا النَّار، فيرمون بأنفسهم عليها لشدة ما فيهم من آلام وعار وندامة على خسارتهم لمشاهدة وجه الله الكريم. كذلك الآن في الحياة الدنيا حياتهم شقاء وضنك وتعاسة، ويقولون نشعر بنار في نفوسنا، وما هذه النار إلا نار الفواحش والشهوات المحرَّمة والتي ستكون سبباً لدخولهم نار الله الموقدة. ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: أعمالهم السيئة وإجرامهم وتكذيبهم عاد عليهم بالبؤس والسوء والنار.

سورة التغابن: [11-18]

11- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: ما أصابك أيها الإنسان من مكروه تكرهه لنفسك من مرض أو فقر أو ذل وشقاء كل ما أصابك لم يأتك: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ليس لأحد بهذا فعل وحول أو قوة، عملت سوءاً فعاد عليك عملك بالسوء، أصابك ربُّك بهذا تنبيهاً وحبّاً ورحمة بك لتتوب وترجع عن خطئك وتؤمن فتنال السعادة منه سبحانه. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾: بلا إلّه إلا الله ويؤمن برسول الله ﷺ هذا صار له نور. ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾: بالنور الذي معه يعرف السبب الذي من أجله حلَّت المصيبة فيحسّن سلوكه. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: عليم بك أيها الإنسان، عليم بنفسك وما يناسبها لذلك أرسل لك ما أرسل من مصائب، غيّر ما بنفسك وتب يرفع عنك الله ما تكره.

---

[1] سورة القيامة – الآية:22–23.

[2] سورة البقرة – الآية:25.

12- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾: بما أمرك به، أمرك بالتفكير بالكون والإيمان ومحبة رسوله وطاعته، فأطعه، هذا الذي فيه خيرك وسعادتك. ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: بما يبينه لكم عن حضرة الله، الرسول لا يتكلم إلا بما يأمره به الله، لذلك ما تكلم عليه السلام إلا بالقرآن، وكل ما أتى به من علوم ومعارف وأحاديث وأحكام هي من كلام ربِّه من القرآن. ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن بيانه ودلالته فما فكرتم بالكون وما آمنتم. ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ﴾: لا يجبركم على السير بالحق، لكم الاختيار، رسول الله وظيفته البيان والإرشاد وليس بيده شيء غير دلالتكم وإرشادكم لما فيه سعادتكم وخيركم دنيا وآخرة. ﴿الْمُبِينُ﴾: فقط يبيِّن لكم، بيانه ﷺ ودلالته بيَّنت لكم كل شيء، وبيَّنت أنه رسول الله، كذلك ما قام به من أعمال عالية كل هذا يدل على أنه رسول الله.

13- ﴿اللَّهُ﴾: صاحب الأسماء الحسنى المتجلِّي بها عليك أيها الإنسان. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا مسيِّر ولا فعَّال إلا هو سبحانه. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: المؤمن به، بلا إلّه إلا الله، هذا فقط يتوكل على الله، أما غير المؤمن فلا يستطيع وإن قالها بفمه فهو كذب وقلبه لا يقرُّ بها، وينكشف كذبه أمام أقل الأشياء. المؤمن شاهد ربه، شاهد لا إلّه إلا الله، شاهد تسييره وعلمه وقوته لذلك يتوكَّل عليه سبحانه، أما غير المؤمن ما شاهد هذا فكيف يتوكَّل!

رسول الله ﷺ بيَّن لكم لا إلّه إلا الله، فلا تخشَ أيها المؤمن ولا تخف ولا تطلب من أحد غير الله، فلا مسيِّر ولا فعَّال وليس لأحد حول وقوة إلا به سبحانه.

14- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: خطاب من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين وتحذير لهم من الوقوع والزلل. ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾: وهذا هو الواقع والحقيقة والتي لا يراها إلا من له نورٌ من ربه: الزوجة إن لم تسلك طريق الحق والإيمان ستعادي زوجها المؤمن من أجل شهواتها، تعاديه بالخفاء فإن لم يُجدِ عداؤها هذا تجهر به وتستعين بمن مثلها من الكفرة من أهلها، كل هذا لتحوِّل زوجها عن طريق الحق والإيمان وتفتنه بالدنيا وبما هي مفتونةٌ به، كذلك أولاده بعلاقتهم مع أمهم يميلون لها ولما هي عليه ويعملون معها ويساعدونها على أبيهم، وبهذا يُخشى على أبيهم المؤمن منهم وذلك لما في قلبه من رحمة عليهم "أولاده" أن يؤثِّروا عليه ويتحوَّل عن سيره بالحق وإيمانه. لذلك جاء التحذير لهذا المؤمن من الله تعالى وأظهر له هذه الحقيقة لئلا ينفتن وينغش بهم. ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾: كونوا حذرين لئلا يفتنوكم ويحوِّلوكم عن الحق وعن الله. ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾: ولكن لا يمنعكم هذا من حسن المعاملة، حيث بالمعاملة الحسنة والرحمة قد تغيِّر الزوجة وتتوب والأولاد كذلك، ويسيرون بالحق. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يرسل لهم علاجات ومصائب ليشفيهم ويرحمهم، يريد شفاءكم وشفاءهم لأنه رحيم بكم، كذلك بصبرك عليهم تُشفى أيها المؤمن.

15- ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: امتحان: من الله فلا يستميلوكم للباطل، لا تعادل مالك وأولادك بالله، الله سبحانه أرحم وأشفق وأحن عليهم منك أيها المؤمن. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: بصبرك عليهم وجهادك بهم وجهاد هوى نفسك بعدم سيرك بالعاطفة؛ لك على هذا أجر وفضل من ربك كبيرٌ وعظيمٌ "لك الجنة فلا تضيِّعها".

16- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: اجتهدوا لتحصلوا على نور من ربكم، جاهدوا بالله حق جهاده، وراء جهادك لهوى نفسك نعيمٌ وعطاءٌ عظيم، إن جاهدتم تقبلون على الله فيحصل لكم نور منه سبحانه فتشاهدون الحقائق ولا يخدعُكم أحد، لا زوجة ولا ولد ولا صديق. كيف يحصل لكم النور وتصلون إليه: ﴿وَاسْمَعُوا﴾: طبقوا ما يأمركم الله به بالتمام، أولاً فكروا بالموت، بمصيركم وحالكم في القبر، إن خافت النفس تستطيع التفكير بالكون وآياته. إن فكَّرت عظَّمت وقدَّرت ربك عندها تؤمن بلا إلّه إلا الله، إن آمنت بلا إلّه إلا الله تؤمن أن محمداً رسول الله عندها تطيعه. ﴿وَأَطِيعُوا﴾: أطيعوا رسول

الله بما يأتيكم به من أوامر عن حضرة الله، إن أطعتموه لا تقعون بالفتنة بعدها أبداً. ﴿**وَأَنْفِقُوا**﴾: اعملوا المعروف: أنفق من مالك، جاهك، "جهادك في سبيل الله". ﴿**خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ**﴾: كل الخير بالإنفاق وجهاد الهوى والنفس والعائد عليك بالخير والسعادة والنصر. ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ**﴾: شهواتها، المؤمن عزيز النفس. ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾: كما الفلّاح يهيئ أرضه كذلك المؤمن بهذا يكون قد هيّأ نفسه لنيل الخيرات من ربه "أفلح دنيا وآخرة".

17- ﴿**إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾: من عمل معروف وزكاة، الكلمة الطيبة إن تكلمتها أعطاك الله عليها خيراً كثيراً، أنت جئت للدنيا لتكون من أهل الإحسان والمعروف. ﴿**يُضَاعِفْهُ لَكُمْ**﴾: إلى مالا نهاية، لكم عليه أجر إلى مالا نهاية، دائماً تأتيك الخيرات من وراء عملك. ﴿**وَيَغْفِرْ لَكُمْ**﴾: يشفي نفسك مما فيها من أدران وذنوب علقت بها بالماضي، حيث النفس بعمل الخير والمعروف يصبح لها وجه أبيض تستطيع الإقبال عليه تعالى فيسري نوره سبحانه بها وتشفى من عللها وأمراضها "النفسية". ﴿**وَاللَّهُ شَكُورٌ**﴾: يشكر لك هذا ويعطيك عليه الخير والعطاء الكثير. ﴿**حَلِيمٌ**﴾: عليك، يحلم عليك حتى تشفى نفسك.

18- ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾: يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، الله سبحانه وتعالى مطّلع ومشاهد الغيب، علمه أحاط بكل شيء ولا نهاية لعلمه سبحانه وتعالى وهو علّام الغيوب؛ أعلم رسله وأنبياءه وأطلعهم على الغيب. {**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**}[3]. فالسادة الرسل والأنبياء هم مفاتيح الغيب علّمهم الله وأطلعهم على غيبه، بهم أيها الإنسان ترى الحقائق وكل شيء غاب عنك. لذلك تكلم ﷺ عن هذا الزمان وأهله وحوادثه وفصّله تفصيلاً دقيقاً، تكلم عن علامات الساعة حيث خروج النساء كاسيات عاريات، كذلك التطاول في البنيان وغيرها من علامات صغرى وكبرى وكل هذا كشفه الله لرسوله الكريم، والذين ارتبطوا به شاهدوا بمعيته هذه الحقائق والعلوم، فأصبح ما غاب عن الناس معلوماً عندهم ومُشاهداً.

﴿**الْعَزِيزُ**﴾: الذي لا يأتي الخير إلا منه. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: كل ما يأتيك الله به ضمن الحكمة وفي الوقت المناسب، حكيمٌ بك وبما يناسبك.

والحمد لله رب العالمين.

[3] سورة الجن – الآية:26–27.

تأويل سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطلاق: [01-10]

النبي ﷺ هو المتنبِّئ من الله بالحق، فكل ما تكلم به ﷺ فهو عن ربه لذلك فهو حق، ومن هنا جاءته العصمة، لأنه ﷺ دائماً مع الله لا ينقطع عنه طرفة عين.

تتضمن هذه السورة مجموعة من الأوامر والتشريعات يستطيع المؤمن المرتبط بالنبي أن يطبقها، ما دونه لا يستطيع، لذلك جاء الخطاب للمؤمنين عن طريق رسول الله ﷺ:

1- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾: وهذه هي خطوات الطلاق التي أمر الله بها قبل أن يقع الطلاق، والذي هو أبغض الحلال إلى الله: والعدة كما أمر الله وبيَّنها كالتالي: {**وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**}[1].

أولاً: {**فَعِظُوهُنَّ**}: الوعظ؛ ذكِّرها بالموت، يجب أن تتعلم أنت وتعلمها.

ثانياً: {**وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**}: الهجر أربعة أشهر وهذا حدّ صبرها على عدم المقاربة، فهي لا تستطيع الصبر أكثر من هذا. لا تلتفت نحوها في الفراش، أحسِن المعاملة في النهار، واهجرها في المضجع.

ثالثاً: {**وَاضْرِبُوهُنَّ**}: إن ما رجعت للحق تضرب، والمرأة لا تضرب إلا عند ترك الصلاة والصوم... ضرباً خفيفاً كأن ينهرها بيده.

إن لم تجدِ معها هذه الخطوات وخاف أهلها من الطلاق فيأتي حكَم من أهلها وحكم من أهله للتوفيق بينهما.

﴿**وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ**﴾: من أول يوم لا تَزِد ولا تُنقص. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ**﴾: اسلك بنور الله حتى لا تظلِم، إيَّاك يا عبدي والظلم. ﴿**لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ**﴾: تبقى في بيت زوجها لا تخرج منه. ﴿**وَلَا يَخْرُجْنَ**﴾: إن صمَّمت الزوجة على الخروج وأصرَّت هناك سلطة، فالحاكم يمنعها من الخروج من بيت زوجها. ﴿**إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ**﴾: بهذه الحالة تخرج مباشرة. ﴿**مُبَيِّنَةٍ**﴾: يأتي بأربعة شهداء. ﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا**﴾: قد ترجع الزوجة للصواب، فالله لا يريد لها الطلاق والهلاك، قد تغيّر رأيها بعد المعاملة الحسنة.

2- ﴿**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾: انتهت العدة من الوعظ والهجر والضرب ومن بعد حضور الحكَمان والحُكم. ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾: بالمودة والمحبة. ﴿**أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾: لا يجوز أن يرميها لعند أهلها، الإهانة لا يرضى الله بها. ﴿**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾: الحَكَم من المؤمنين. ﴿**وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ**﴾: لا تنحاز عن الحق ولو كانت من أقاربك. ﴿**ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾: إن

---

[1] سورة النساء – الآية:34.

كان الإنسان غير مؤمن بالله لا يستطيع أن ينفذ ما أمر الله تعالى به. ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ**﴾: بهذه الأوامر. ﴿**يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾: يخرجه تعالى من كل محنة منتصراً.

3- ﴿**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾: دائماً بالسعادة والنعيم، ويعوّض الله عليه كل شيء. ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾: يحاسِب عنه. ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ**﴾: لا شيء يقف أمام ما يريد، الكل بيده وهو سبحانه فعَّال لما يريد. ﴿**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾: كل شيء يجريه الله ويفعله يأتي بالوقت المناسب.

4- ﴿**وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ**﴾: من بلغت من العمر /50/ حتى /55/ سنة. ﴿**مِنْ نِسَائِكُمْ**﴾: المطلقات. ﴿**إِنِ ارْتَبْتُمْ**﴾: إن شك الزوج أن تكون حاملاً وهي تكتم هذا الأمر عنه. ﴿**فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ**﴾: يبقيها في بيته ثلاثة شهور حتى يتبيَّن إن كانت حاملاً أم لا، حيث أربعة أشهر هجر وثلاثة أشهر في البيت صاروا سبعاً، فيظهر الحمل للعيان إن كانت حاملاً. ﴿**وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ**﴾: هؤلاء طلقوهن لعدتهن "قد تكون عاقر". ﴿**وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾: حتى يضعن المولود. ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ**﴾: بهذا، بهذه الأوامر ويطبقها. ﴿**يَجْعَلْ لَهُ**﴾: الله. ﴿**مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾: كل شيء يكون معه وليس من شيء ضده.

5- ﴿**ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ**﴾: أمركم به. ﴿**أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ**﴾: لتطبقوه. ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ**﴾: يؤمن بلا إلّه إلا الله وينظر بنوره. ﴿**يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ**﴾: ما قام به من أعمال في الماضي يسترها عنه فلا يعود يراها. ﴿**وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**﴾: يعطيه على هذا أجراً عظيماً.

6- ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ**﴾: ضمن إمكانياتكم، عاملوهن بالإحسان. ﴿**وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ**﴾: تضيِّق عليها لتسلب مالها وتتنازل لك عن حقها، احذر أن تفعل هذا فيؤاخذك الله ويقاصصك. ﴿**وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ**﴾: إن كانت حاملاً. ﴿**فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾: إن رضين وأرضعن أولادكم فلها الإرضاع سنتان وعليه الكسوة والرزق والإنفاق. ﴿**وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ**﴾: لا تكلِّفه الأم فوق طاقته. ﴿**وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ**﴾: هناك مانع ولا تريد الإرضاع. ﴿**فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى**﴾: عند مرضعة.

7- ﴿**لِيُنْفِقْ**﴾: الأب على المرضعة التي سترضع له ابنه. ﴿**ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ**﴾: إن كان غنياً يوسّع على المرضعة ويعطيها كالأم. ﴿**وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾: على حسب قدرته. ﴿**سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾: هذا قانون.

8- إن لم تعملوا بما يأمركم الله وتسيروا بما شرعه الله لكم بهذه القوانين الإلّهية فسيأتي العذاب عليكم كما أتى على الذين من قبلكم.

﴿**وَكَأَيِّنْ**﴾: كم وكم. ﴿**مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ**﴾: ما عبؤوا بما أمرهم الله به، ما أطاعوا الله ورسوله. ﴿**فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا**﴾: إنكارهم وتكذيبهم وعدم سيرهم بالحق عاد عليهم بهذا العذاب، المؤمن لا ينكر، يعلم أنه مجزيٌّ على عمله إن ظلم وسيعود عليه عمله "ظلمه" بشيء لا يرضاه. غير المؤمن ينكر ما سيعود عمله من سوء عليه.

9- ﴿**فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا**﴾: جاءهم الهلاك ودُمِّروا ودُمِّرت بلادهم. ﴿**وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا**﴾: خسروا كل شيء، خسروا الدنيا التي من أجلها أنكروا وكذَّبوا رسولهم، ذهبت عنهم، وبالآخرة خسروا ما أعدَّ الله لهم من النعيم والسعادة وأوقعوا أنفسهم بالعذاب.

10- ﴿**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا**﴾: حضّر لهم النار لتحوّلهم عمّا فيهم من عذاب نفسي. ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: أنتم أيها المؤمنون اسعوا ليحصل لكم نور من الله. ﴿**يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾: من هم أولو الألباب؟: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا**﴾: هؤلاء فكروا بالموت، خافوا، استقاموا على أمر الله وطاعته وطلبوا النجاة، فكروا بالكون، آمنوا وشاهدوا لا إلّه إلا الله، هؤلاء يتنزَّل عليهم القرآن، يتنزل بقلوبهم فيتذكرون بمعية رسول الله، أي يستعينون بنوره ﷺ فيرون الحقائق ويشاهدون أسماء الله الحسنى ويتذاكرون بها.

سورة الطلاق: [11-12]

11- ﴿**رَسُولًا يَتْلُو**﴾: يعيد. ﴿**عَلَيْكُمْ آَيَاتِ اللَّهِ**﴾: الدالَّة على لا إلّه إلا الله، يدعوك ﷺ للتفكير بالشمس، بالقمر، بالليل والنهار، ببدايتك ونهايتك، وكلها آيات دالَّة على حنان الله ورحمته. ﴿**مُبَيِّنَاتٍ**﴾: ظاهرة مكشوفة واضحة. ﴿**لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾: إن فكروا آمنوا عندها يخرجهم رسول الله ﷺ من الظلمات، ظلمات الشهوات إلى عوالم النور والجنة والسعادة، فلا يقعون بعدها بمنكر. ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ**﴾: هؤلاء لهم الجنة جزاءً على أعمالهم. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾: كذلك الخيرات الماديّة يتمتعون بها وهي جارية عليهم، لذائذها غير منقطعة. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾: على طول. ﴿**قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا**﴾: في الدنيا وفي الآخرة.

12- ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ**﴾: هذه السماوات السبع وإن شئت فقل هذه الطبقات السبع وهي: سماء الهواء وسماء السحب وسماء القمر وسماء الكواكب وسماء الشمس وسماء النجوم ثم السماء السابعة وهي السماء المحيطة بالسماوات جميعها وهي أعظمهن قوة وتماسكاً. ﴿**وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾: بالخيرات والعطاء، هذه السموات وظائفها مرتبطة مع وظائف الأرض، أي: مشتركة بالوظيفة مع بعضهم بعضاً. كذلك نظام الذرة الواحدة من الأرض يماثل نظام السماوات السبع. أفليس هذا النظام بدالٍّ على منظم حكيم وخالق قدير لتعلم أيها الإنسان أن الله مع كل ذرّة ومع كل مجرّة وكل شيء يعطيه حقَّه واستحقاقه المناسب دون زيادة أو نقصان. ﴿**يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**﴾: إن كان كما يدَّعون ويصفون السماوات فكيف يتنزَّل الأمر بينهن! هكذا أمر الله أن يكون بينهن علاقة وتنزيل، فالأنوار من النجوم تتنزَّل على الشمس وعلى الأرض، وأنوار الشمس تنزل على الأرض، كذلك الأمطار تنزل على الأرض فينبت الزرع. ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: كل هذا جعله الله ليعلم الإنسان ويشاهد أن الله على كل شيء قدير، فما معنى قدير؟ القدير: من القدرة ومن الإمداد، فلو كان الكون موجوداً ولا قوة وقدرة تديره وتحركه وتمده بما يحتاج فما الفائدة منه وهو كون جامد خامد لا حركة فيه؟ هل تنبت البذور وتخرج الأشجار والأثمار؟

﴿**قدير**﴾: أي أن الله سبحانه متجلٍّ على الكون بالحركة والإمداد حتى يسير.

﴿**وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾: هذا الإمداد بالتربية والحياة إن فكرت فيه وآمنت تشاهد أيها الإنسان وتعلم أن يد الله محيطة بكل شيء، وأن الله عليم به وبما يناسبه، وهو سبحانه عليم بعملك وستجازى عليه.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التحريم: [01-10]

لما وجد رسول الله ﷺ أن التسري بـ (مارية) رضي الله عنها سيضر بأزواجه ويقطعهن عن الله تعالى، وبالتالي تعطيل للمصلحة العامة تلك التي تتأمن بما يقمن به من مهمة التبليغ. لذلك عزم ﷺ على الرجوع عن التسري بمارية حفاظاً على مصلحة أزواجه من جهة وتأميناً للمصلحة العامة من جهة أخرى.

وقد علم الله تعالى بما فعله رسوله الكريم واطَّلع على نيَّته العالية، وعلم ما انطوى عليه قلب مارية من الاستعداد للإيمان والأهلية للتبليغ، لذلك أمر تعالى رسوله ﷺ بأن يرجع عن عزمه في تحريم مارية، مخاطباً إيَّاه بقوله الكريم:

1- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾: أي لِمَ حرَّمت مارية على نفسك. ﴿**تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ**﴾: لقد فعلت ذلك إرضاءً لخاطر أزواجك ليظَلّن قائمات بمهمة التبليغ وحرصاً عليهن من التراجع عمَّا هنَّ عليه من منزلة القرب من الله تعالى. ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ**﴾: إن أذعنَّ للأمر الإلَهي وتراجعن عن معارضة زواجه ﷺ من مارية، فهو تعالى غفور لهن؛ يشفيهنَّ مما يجدن من الغيرة في قلوبهنَّ، إذ بطاعتهنَّ لله يقبلن عليه فتشفى قلوبهنَّ مما بها. ﴿**رَحِيمٌ**﴾: بهنَّ، يجعلهنَّ تعالى يرتقين في المعرفة في منازل القرب من حال إلى حال.

2- ﴿**قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ**﴾: ذكّر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بإمكانية رجوع الإنسان عن أمر عزم عليه، ذلك إن وجد أن المصلحة تقتضي هذا الرجوع. ﴿**وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ**﴾: أي ما دامت غايتك وقصدك من عملك رضاء الله، لذلك فهو مولاك المتولي لأمورك، فيهديك ويرشدك إلى ما فيه الخير. ﴿**وَهُوَ الْعَلِيمُ**﴾: بما في نفسك من النية العالية وبما في نفس مارية من الاستعداد للإيمان والأهلية للتبليغ. ﴿**الْحَكِيمُ**﴾: بفعله يسوق إلى كل امرئ ما يناسبه.

3- ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**﴾: أسرَّ ﷺ إلى السيدة حفظة أمر تحريمه مارية على نفسه. ﴿**فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ**﴾: فلما أطلعت ضرائرها على ما أسرَّه الرسول الكريم إليها. ﴿**وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ**﴾: عرَّفه تعالى بما فعلت. ﴿**عَرَّفَ بَعْضَهُ**﴾: عرَّفها رسول الله ﷺ بأنه قد اطَّلع على ما أخبرت به. ﴿**وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ**﴾: ولم يذكر لها أنه عزم على الرجوع عن تحريم مارية. ﴿**فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا**﴾: من الذي قال لك أنني حدَّثت ضرائري بما حدثتهن به من تحريم مارية. ﴿**قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾.

4- ثم بلَّغ ﷺ زوجتيه السيدة عائشة والسيدة حفظة رضي الله عنهما ما خاطبهن الله تعالى به:

﴿**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ**﴾: إن تراجعتما عن معارضة رسولي فيما أمرته به. ﴿**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾: فقد مالت قلوبكما للحق. ﴿**وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ**﴾: تتعاونان على معارضته. ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ**﴾: دليله ومرشده إلى الطريق الذي يرد به كيدكما إن أصررتما. ﴿**وَجِبْرِيلُ**﴾: بما يوحيه إليه بواسطة جبريل. ﴿**وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: ووالداكما أبو بكر وعمر هما عونٌ له ﷺ عليكما. ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾: معينون له على رفع محبتكما من قلبه.

5- ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ**﴾: في حال معارضتكن لرسول الله ﷺ فيما يأمره الله به. ﴿**أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ**﴾: مستسلمات لأمره تعالى. ﴿**مُؤْمِنَاتٍ**﴾: بأن الأمر بيده وأن أوامره تعالى كلها خير. ﴿**قَانِتَاتٍ**﴾: دائمات الوجهة إلى الله لا ينقطعن عنه. ﴿**تَائِبَاتٍ**﴾: عن أية معارضة لرسول الله ﷺ. ﴿**عَابِدَاتٍ**﴾: مطيعات لأمر الله. ﴿**سَائِحَاتٍ**﴾: سابحة نفوسهن دوماً بتجلي الله وفضله. ﴿**ثَيِّبَاتٍ**﴾: ميالات بالحب لرسوله، راجعات إليه. ﴿**وَأَبْكَارًا**﴾: لم يسبق لهن أن تزوجن غيره ﷺ.

وهكذا فقد أذعنت زوجاته ﷺ للأمر الإلۤهي، وبخضوعهن وعدم معارضتهن لرسول الله ﷺ حصل لهن من القرب من الله ما جعل قلوبهن تشفى مما بها وترقى في معرفته تعالى. وقد ذكر لنا تعالى هذه القصة في كتابه الكريم وجعلها تتلى إلى قيام الساعة ليرينا أن الإنسان إذا ترك أمراً وكانت غايته من تركه رضاء الله فلابد من أن يثيبه الله تعالى بأحسن مما فعل، فعملُ الرسول ﷺ واجتهاده في هذا الموضوع كان حسناً ونيته كانت عالية، لذلك رقَّاه تعالى إلى ما هو أحسن.

6- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾: خطاب من الله تعالى للمؤمنين ليكملوا إيمانهم ويصلوا إلى الشهود واليقين، وبهذا نجاتهم وسعادتهم ونجاة أهلهم وإنقاذهم من الظلمات إلى النور ومن النار إلى الجنان. ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ**﴾: الذين نسوا الله، نسوا ما عاهدوا الله عليه. ﴿**وَالْحِجَارَةُ**﴾: ببعدهم عن الله تعالى قست قلوبهم، الحجر لا يخرج منه ثمر وهؤلاء ببعدهم عن الله ما كسبوا كمالاً ليفيضوا به، فما عملوا صالحاً وما أثمروا. ﴿**عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ**﴾: الله سبحانه وتعالى يظهر الملائكة أمامهم بمظهر الشدة فالحكمة والرحمة تقتضي هذا، وهم يشاهدون الملائكة -هكذا- غلاظاً شداداً، حالهم هذا كحال مجرم شاهد شرطياً فإنه يخافه ويرتعد منه أما غيره فلا يخاف بل يستأنس به. ﴿**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾: الملائكة لا يخرجون عن طاعته سبحانه وتعالى.

7- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ**﴾: حيث لا فائدة من الاعتذار يوم القيامة حيث لا تغيير، الاعتذار في الدنيا هنا، ذلك أن الإنسان يستطيع التوبة والتغيير والعمل، أما في الآخرة فقد انتهت الأعمال، فلا أعمال طيبة يقوم بها الإنسان والتي تكون سبب دخوله الجنة، لذلك لا فائدة من الاعتذار بلا عمل. ﴿**إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: عملكم السوء عاد عليكم بهذا.

8- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾: التوبة النصوحة هي التوبة التي لا رجوع فيها للمعاصي والآثام أبداً، وهذه التوبة لا تكون إلا بإقبال النفس على الله، عندها يسري النور الإلۤهي إليها وتشفى من عللها وأمراضها فلا تقع من بعدها بشيء سيّئ ولا تقوم بعمل لا يُرضي الله. ﴿**عَسَى**﴾: إن آمنتم إيماناً شهودياً، وهذه متوقفة على اختيار الإنسان ذاته وسيره بطريق الحق، فإن آمن وشاهد لا إلۤه إلا الله، عندها الله تعالى: ﴿**رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾: يستر عنكم الماضي وما فعلتم فلا تتذكرون منه شيئاً، بالنور الإلۤهي يُمحى كل شيء من نفس الإنسان وتُشفى. ﴿**وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ**﴾: من جنة لجنة ومن مشاهدة لمشاهدة أعلى وأرقى. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾: على طول بديمومة أبدية لا انتهاء لها. ﴿**يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ**﴾: لابدَّ من نصر الإسلام. الضعف سرى بالمسلمين، والمؤمنون مفتونون بالدنيا وشهواتها وهذا الحال ليس بدائم فلابد أن يزول وذلك بظهور سيدنا عيسى عليه السلام، وبذلك استمرار لأعمال النبي وأصحابه، فالله سبحانه لا يخزي النبي بأعماله وأعمال أصحابه التي قاموا بها فهم الذين فتحوا هذه البلاد ثم جاء غيرهم وسلبوها من المسلمين، والمسلمون بالشهوات غارقون ونائمون. ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾: رسول الله ﷺ وأصحابه دائماً أعينهم علينا، طموحهم بنا كبير ونواياهم عالية. دائماً يطلبون لنا الإيمان والنصر لأن أعمالهم فينا جارية ليوم القيامة وبصحيفتهم، فهم خائفون أن تنقطع أعمالهم

وأعمالنا لذلك اهتمامهم بنا كبير. ﴿**وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾: أعمالهم الكبرى لا يضيِّعها الله لهم، لا يخزيهم ولا يحرمهم منها وسيرجع لهم عملهم بقوَّةٍ وبسموٍّ وعلوٍّ إلى يوم القيامة. ﴿**يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا**﴾: لا يتم نورهم حتى يوم القيامة لأن أعمالهم جارية لذاك اليوم، لذلك لابدَّ وأن الله سيعطيهم أعمالهم كاملةً. ﴿**وَاغْفِرْ لَنَا**﴾: من رحمتهم علينا اعتبروا أنفسهم منا وفينا فهم يطلبون الشفاء من هذا الضعف لهؤلاء المسلمين. ﴿**إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: قادر على نصرهم.

9- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾: إنّ هذه الآية في حقيقتها رحمة من الله على الكافرين والمنافقين ليتوبوا ويرجعوا إليه تعالى ويدخلوا الجنة، لأن الفتنة أشدُّ من القتل، عملهم وما هم عليه من فتنة وما سيعود عليهم ذلك بالدنيا والآخرة إنما هو أعظم من قتلهم، فالحكمة تقتضي بهذه الحالة الظهور بمظهر الشدة، لذلك أمر الله تعالى رسوله الكريم أن اشدد على الكافرين والمنافقين لأن نجاتهم وسعادتهم لا تكون إلا عن هذا الطريق، طريق الشدة.

وهذه هي الحكمة: أن تضع الأمور في مكانها المناسب.

﴿**وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ**﴾: إن ظلّوا على حالهم هذا ولم يتوبوا ويرجعوا إلى الله فالذل والحقارة عليهم، والنصر لك. ﴿**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾: في الآخرة سيعود عليهم عملهم هذا بالنار والبؤس.

ومن رحمته ﷺ قام يدعو الناس، فجاهد الكفار والمنافقين وحاربهم حتى أسلموا وآمنوا.

10- ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: في هذه الآية تحذير للذين كفروا قبل فوات الأوان. ﴿**امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ**﴾: زوجاهما نبيان مرسلان وكل الأنوار والتجليات والجنات تُصَبُّ من الله عليهما، وزوجتاهما كانت لهما رابطة ومحبة بهما، لذلك كانتا تنالان من التجلِّي المنصبِّ عليهما. ﴿**فَخَانَتَاهُمَا**﴾: من بعد أن سارتا معهما وذاقتا ما عندهما من سعادة وجنات خانتا زوجيهما وما أخلصتا لهما بالسير.

زوجة سيدنا نوح عليه السلام رغم علمها بزوجها أنه رسول الله كانت تخفي عليه أمور شذوذ ابنها، هذه خيانة، فلقد مالت للباطل مع ابنها فأهلكت ابنها ونفسها. زوجة سيدنا لوط عليه السلام على الرغم من انحطاط أهلها وقومها إلا أنها أحبتهم ومالت إليهم وفضَّلتهم على زوجها عليه السلام وبحبها هذا لقومها الكفرة انقطع عنها الوارد القلبي الذي كان يأتيها من زوجها فاغبرَّت نفسها وأصبحت سوداء مظلمة، حتى صارت تتكلم بالسوء على زوجها، وهو عليه السلام يحلم عليها علَّها تتوب وترجع عمّا هي فيه، وعندما جاء الهلاك وهي على هذا الحال هلكت.

هذه هي الخيانة، أن يحب الإنسان من يعادي الله ورسله ويخفي على رسول الله ﷺ ويتكلم عليه بالسوء. إذن الخيانة هنا قلبية لا جسمية. ﴿**فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**﴾: الله عادل، رغم نصح زوجيهما لهما ما غيرتا وما تابتا فما أغنى زوجاهما عنهما من الله شيئاً عند حلول البلاء والهلاك. ﴿**وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾: هكذا كان مصيرهما، لابدَّ لهما من العلاج والتطهير. والله تعالى بهذه الآية الكريمة يرينا أن الإيمان قضية قلبية وليست جسمية، فلا تركنوا بالمحبة للذين ظلموا أنفسهم فتصبح ميولكم وأهواؤكم مثلهم فتمسَّكم النار، المرء مع من أحب.

سورة التحريم: [11-12]

11- ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ**﴾: الإيمان أمان من النكوث والخيانة، امرأة فرعون "سيدتنا آسية" رغم أن زوجها فرعون كافر ومجتمعها منحطٌّ ما استطاعوا التأثير عليها لأنها آمنت واتقت بسبب تعلّقها بسيدنا موسى عليه السلام برباط المحبة المقدسة الإلّهية، وأخلصت له فنالت عن

طريقه كل الخيرات والجنات، فللإنسان الاختيار، ولا أحد يؤثر على أحد، وأنت حيث تضع نفسك. ﴿**إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**﴾: انظر أيها المؤمن ماذا طلبت امرأة فرعون، لم تنفتن بالدنيا وما عند فرعون من عزٍّ وجاه وشهوات بل طلبت رضاء الله والقرب منه، قالت: "ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ"، طلبت الجنة فكان لها ما طلبت، واستجاب الله لها بسبب إخلاصها لرسوله سيدنا موسى عليه السلام إذ كان لها قرَّة عين. المؤمن التقيُّ طلبه مجاب من الله سبحانه وتعالى. ﴿**وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾: أنفسهم. رأت أن زوجها ظالم قد ظلم نفسه بأعماله الإجرامية فلا نور ولا حياة في نفسه من الله، نفسه مظلمة بإعراضها عن ربها وعدم إيمانها وبسبب أعماله الإجرامية. كذلك كان قوم فرعون ظالمين لأنفسهم، ما دلُّوها على الله.

12- ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾: رفضت الزواج، لم تتزوج، أحصنت فرجها بعدم انقطاعها عن حضرة الله فلم يقربها ويدنو منها شيطان وما استطاع أن يوسوس لها. ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا**﴾: أرسل الله لها سيدنا جبريل عليه السلام حاملاً نفس ابنها سيدنا عيسى عليه السلام وألقاه بسيدتنا مريم، والجسد بلا روح لا يتشكل ولا يُخلق، كذلك مرَّت الروح معه واستقرت هذه الروح برحم مريم وتشكَّل جسم سيدنا عيسى عليه السلام. وهذه الروح موجودة عند كل الكائنات إلا أنها مقدَّسة عند الرسل والأنبياء عليهم السلام بسبب إقبالهم الدائم على الله. ﴿**وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا**﴾: سمعت الكلام من المتكلِّم جلَّ وعلا، كانت تكلِّم ربَّها باليقظة من خلال رابطتها بالنبيين، كذلك صدَّقت بما أنزل الله من بيان ودلالة على سيدنا زكريا عليه السلام وما أنزل الله على ابنها سيدنا عيسى عليه السلام. ﴿**وَكُتُبِهِ**﴾: التوراة والزبور والإنجيل. ﴿**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾: لم يصفها سبحانه وتعالى بالقانتات بل وصفها بالقانتين وذلك إظهاراً لشأنها العظيم. ﴿**الْقَانِتِينَ**﴾: أي المستديمي الوجهة إلى الله الذين لا ينقطعون عنه سبحانه وتعالى طرفة عين وهم السادة الرسل والأنبياء. معنى اسم مريم: أي كل من نظر إليها رأى الله، وهذه من صفات الأنبياء الكرام، لكنها ليست بنبيَّة إلا أنّ الله تعالى قرنها بالأنبياء لأنها شابهتهم بهذه الصفة فلم تنقطع عنه سبحانه وتعالى لا بالأزل ولا بالدنيا، قال تعالى: {**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ**}[1]. ولم يحوِّلها شيء عن الله، فما سلب عقلها وما أخذ لُبَّها إلا الله، ولم يذكر الله تعالى في القرآن من غير الأنبياء والمرسلين إلا اسمها.

والحمد لله رب العالمين.

[1] سورة آل عمران – الآية:42.

تأويل سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الملك: [01-10]

1- ﴿تَبَارَكَ﴾: خيره وبرّه لا ينقطع، أي: واضع البركة في كل شيء، فالقمحة تصبح سنابل، والبذرة ثماراً عديدة.

ومن النطفة جعل رب العالمين أمماً وأجيالاً أمدَّهم ويمدهم ويعطيهم ويغمرهم بفضله، فالله خيره وبرّه لا ينقطع.

كذلك المؤمنون الذين ساروا بالحق سمعوا من رسول الله ﷺ طبقوا، فكروا بالموت حتى خافت أنفسهم وتيقنت من فراق الدنيا فاستقاموا على طاعة الله، فأصبحت أعينهم لا تنظر إلى حرام، وآذانهم لا تسمع حراماً، وكذلك ألسنتهم لا تنطق بحرام، فكَّروا بالكون بالشمس بالقمر بالليل والنهار، آمنوا بالله شهدوا أن لا إلّه إلا الله، فهؤلاء المؤمنون الله تعالى دائماً يزيدهم بالعلوم والجنات والمعارف، ودائماً بالسعادة، فمن سعادة إلى سعادة أعلى، ومن جنة لجنة أعلى، ومن علوم ومعارف إلى علوم ومعارف أوسع وأسمى وهكذا.

﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: أي فكِّر أيّها الإنسان من الذي بيده الملك؟!

إن فكرت ترى وتشهد أن الذي جعل ذلك هو الذي بيده الملك ويصرِّف الأمور. من الذي خلق البذرة وجعلها شجرة وأشجاراً، من الذي يأتي بالهواء والمياه والنور، من الذي أوجد لك الكون كله بما فيه يمده ويسيِّره؟

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: كل شيء بقَدر ما تستحق أيها الإنسان.

2- ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾: خلق الأنفس ثم أودعها في الأصلاب، ثم يرسلها إلى الحياة الدنيا، أي أوقف عمل الأنفس حينما أودعها في صلب سيدنا آدم عليه السلام لأنها انقطعت بالشهوات عن الله فبطل عملها، ثم يرسلها في الدنيا حية. فهذه الأنفس بعالم الأزل انقطعت عن حضرة الله حيث طلبت لذائذ الشهوات وغاصت بها، وهجرت ربها فماتت بانقطاعها عنه تعالى، فالله سبحانه وتعالى أرسلها إلى الدنيا وأحياها بهذا الجسم حتى ترجع لها الحياة الحقيقية القلبية الدائمة، فهؤلاء المكلَّفون حاملو الأمانة إن فكروا وآمنوا وأحبوا الرسول ﷺ رجعت لهم الحياة القلبية وذلك بالإقبال عليه تعالى.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليمتحن الناس كيف يعملون. ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: هذا سبب مجيئنا للدنيا، لهذا خلقنا رب العالمين لنعمل الخير فيعطينا الجنات أي للسعادة. فليؤمن الإنسان أن كلَّ الذي حصل فيه الخير، لأن الهدف والغاية هو العمل الحسن.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾: الفرد المتصرف، الذي لا يأتي الخير إلا منه. لذلك جعل رب العالمين هذا الكون بهذا الترتيب لتفكر وتنال منه تعالى الخير، إن فكرت نلت الخير والجنات والسعادة.

﴿الْغَفُورُ﴾: الشافي، هو سبحانه الذي يشفي ما حل في نفس الإنسان من أدران الشهوات المظلمة الدنية بعالم الأزل. فالله يريد أن تُشفى نفسك من مرضها "حب الدنيا" وتلتفت إليه حتى يعطيك ما أعدَّه لك.

3- ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا**﴾: متطابقة بالخير وهي فوق بعضها. فسماء الشمس فوق سماء القمر وسماء القمر فوق سماء الغيوم.... والكل يعمل ويدور من أجلك أيها الإنسان.

﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾: ليس من اختلاف، كل الكون وكل ما فيه مترابط متآزر متكاتف يعمل مع غيره، ففكر أيها الإنسان يد من التي خلقتهم وتمدهم وتسيرهم؟ أفلا تلتفت لهذا الرب المسيِّر وكله من أجلك ومن أجل طعامك وشرابك وراحتك وسعادتك؟!

﴿**فَارْجِعِ الْبَصَرَ**﴾: انظر وفكِّر بالكون مدقِّقاً. ﴿**هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾: هل ترى من نقص أو خلل؟ هل ترى تنافراً وانفصالاً؟ فكل شيء يرتبط مع غيره وفق ترتيب محكم، فالثمرة تنشأ من البذرة، وهذه بحاجة للهواء والشمس والمطر...

4- ﴿**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ**﴾: مرة بعد مرة. ﴿**يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا**﴾: صاغراً خاسراً. ﴿**وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾: فالبصر عاجز عن إظهار أي فطور: مهما دققت لا تستطيع أن تجد نقصاً بل يعود إليك بصرك مهزوماً متقهقراً غير ظافر برؤية نقص أو خلل، وقاصراً أن يصل إلى كثير من خلق الله ومعرفة فضله الواسع. كذلك إن آمن الإنسان بربه بعد أن نظر بالكون وفكَّر فيه: يحب أهل الكمال وسيد الكاملين رسول الله ﷺ فيرتبط معه فيشاهد بمعيَّته التجلِّي الإلَهي المنصبّ على جميع مخلوقاته بأسمائه الحسنى عندها: {**يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا**} يصبح الحكم لعين النفس لا عين الرأس، ينظر بنور الله، بنور رسول الله ﷺ فيرى الخير خيراً والشر شراً عندها يرى الدنيا بنوره تعالى خسيسة لا شيء فيها وأن الله تعالى منه كل شيء.

حسير: يتحسر على الماضي وعلى ما فرَّط وما فاته، ويتمنى لو أنه آمن منذ الصِّغَر وما ضيَّع.

5- ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**﴾: كواكب متلألئة ﴿**وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ**﴾: يخرج منها شهاب يحرق المستمعين منهم، كذلك الإنسان الذي آمن مثل إيمان سيدنا إبراهيم عليه السلام ووصل لربه وصارت له رابطة برسول الله ﷺ العروة الوثقى، هذا المؤمن لا تستطيع الشياطين الدنو منه،

ولا الدخول عليه لإغرائه بالدنيا وشهواتها، لأنه ينال من الله تعالى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ما يغنيه عن الدنيا وما فيها، بل العكس هذا المؤمن بنوره وبنور الرسول ﷺ يرجم الشياطين.

﴿**وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾: كذلك فإن لهم يوم القيامة عذاباً مناسباً لهم. {**السَّعِيرِ**}: عذاباً يختلف بحسب النفوس. فكلٌ على حسبه وبسعر ما قدَّم من أعمال منحطة، وعلى قدر مرضه.

6- ﴿**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ**﴾: ما فكروا بربهم، ما عرفوا الذي يطعمهم ويسقيهم، ما فتّحت نفوسهم بنور الله فوقعوا بالتعدي والإجرام. ﴿**عَذَابُ جَهَنَّمَ**﴾: فالله سبحانه وتعالى رشَّح الإنسان لمقام عالٍ، وهذا الإنسان ضيَّع ما أهَّله الله تعالى له، فذهب عنه جاهه العظيم فاشتعلت فيه نار الحسرة والندامة. ﴿**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾: عادت عليهم أعمالهم السيئة بالبؤس والنار لأنهم ما آمنوا.

7- ﴿**إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا**﴾: فالنار نفس مثلك تشهق مستغربة كيف جئتم إليها، تركتم ربكم وجناتكم وأتيتم لعندي ولا شيء عندي! ﴿**وَهِيَ تَفُورُ**﴾: حزناً عليهم ومن شدة الغليان.

8- ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ**﴾: تكاد أن تصبح ذرات متناثرةً وتترك وظيفتها من غيظها عليهم. ﴿**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ**﴾: جماعة. ﴿**سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا**﴾: الملائكة. ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**﴾: رسول، أما أرسل الله تعالى لكم من أنذركم وبيَّن لكم، لماذا لم تؤمنوا؟ لماذا لم ترتبطوا بالله معهم حتى صرتم إلى ما صرتم إليه؟ وذلك من رحمة الملائكة بهم. فأجاب الذين كفروا:

9- ﴿**قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا**﴾: به وبدلالته. ﴿**وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾: ما نزَّل الله تعالى عليه من شيء، أنكروه لأنهم ما آمنوا. ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ**﴾: قلنا عنهم إنهم لا يفقهون من الدنيا شيئاً ولا من ملاذها.

كذلك الملائكة تقول للذين كفروا: الآن ضلالكم كبير، كنتم بالدنيا تستطيعون وبسهولة أن تستفيدوا من التذكير ويصبح لكم نور وجنات أما الآن فضلالكم كبير وذهبت الوسائل التي كانت لكم بالدنيا، فلا فكر ولا كون... ولا تستطيعون أن تقوموا بأعمال طيبة تقربكم من الله تعالى.

10- ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ**﴾: من الرسل عندما دلُّونا. الرسل دلُّوهم لكن ما سمعوا، ما طبقوا ولا سلكوا، سمعت آذانهم ولم تسمع قلوبهم، السماع هنا نفسي كما بالآية: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾[1]. ظنوا أن الدنيا فيها شيء، فيها سعادة وبسط وراحة، لم يشاهدوا حقيقتها، ما رأوا المكر والخداع وأضرارها، لو شاهدوا ذلك لمجّوا الدنيا الدنية وطلبوا الحق والحقيقة ودانوا لها فنالوا السعادة في قلوبهم، فهذه الصفات الشريرة ضد الفطرة الإنسانية. ﴿**أَوْ نَعْقِلُ**﴾: من كلامهم الحق. ﴿**مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾: بهذه النار التي تطفئ لنا نار جهنم التي بنفوسنا، ولكُنا من أهل الجنة والسعادة. لو فكَّرنا وطبقنا وعقلنا ما أصابنا ما أصابنا وأصبحنا في الحريق المناسب لنا.

سورة الملك: [11-20]

11- ﴿**فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ**﴾: لكن ما الفائدة أن يعترف الإنسان بذنبه في الآخرة؟ لو اعترفوا بالدنيا لخلصوا من العذاب ونجوا. أخوة سيدنا يوسف عليه السلام لما اعترفوا تابوا إليه تعالى متاباً ورقَوا. لِمَ الاعتراف في الآخرة؟ حتى يعرف الإنسان أن الذي حلَّ به هو منه، هو بسبب عمله، فيرتاح، وهذه رحمة منه تعالى به للتخفيف عنه، كمن وقع في حفرة من تلقاء نفسه دون أن يوقعه أحد يختلف حاله عمن دفعه شخص آخر وأوقعه بالحفرة. ﴿**فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾: ساء ما حاق بهم. كل ما يصيبهم ليُسحق ما بنفوسهم من شرٍّ وكبر وخبث فيستطيعوا الإقبال على الله وتشفى نفوسهم فيدخلوا الجنة.

12- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ**﴾: أولئك الذين فكَّروا ورأوا الكمال المتجلّي في الكون فخشوا الله فأسلموا واتبعوا الرسل. هؤلاء بعد أن غاب عنهم الوجود الإلّهي دلَّهم النذير على طريق الإيمان، ففكروا وآمنوا وشاهدوا عظمة الله ورحمته، فتيقنوا أن الله تعالى موجود وأنه مشاهد عظيم، فقالوا: كيف نعصي العظيم؟!

هؤلاء ﴿**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾: بإقبالهم بمعية الرسل يُغفر لهم ما أسلفوا، تشفى نفوسهم مما بها من أمراض وأدران وشهوات خبيثة بعد أن أقبلوا على الله تعالى بمعية رسوله ﷺ، عندها يقومون بأعمال كبيرة ونوايا عالية ولهم عليها: ﴿**وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾: على أعمالهم التي قدَّموها.

13- ﴿**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ**﴾: الاختيار لك أيها الإنسان. ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: لا تخفى على الله خافية، عليم بك وبنيتك.

14- ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ**﴾: الذي خلقك وكوَّنك ويمدك ألا يعلم؟ روحك بيده تعالى وإمدادك منه. ﴿**وَهُوَ اللَّطِيفُ**﴾: معك بلطف أينما حللت، فالله مع الإنسان بلطف﴿**الْخَبِيرُ**﴾: بحالك، خبير بنفسك، فهو سبحانه

---

[1] سورة التحريم – الآية:4.

وتعالى ألبس نفسك ثوباً، وهو هذا الجسم، ركَّبه ويحرِّكه ويسيّره لك، وجعله تحت إمرتك بناءً على رغبات نفسك، هذا الإله ألا يعلم؟!

15- ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً**﴾: طيّعة ساكنة، تزرعها وتحرثها فتنبت لك. هذه الأرض جعلها الله تعالى مطيعة لك، تعمل بها ما شئت وهي مستسلمة لا تقاومك، فلماذا هذا التحدي بقولهم "سيطرنا على الطبيعة"؟!

﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾: أطرافها، لا تغرق في الدنيا وشهواتها فتنسى الله وتخسر جناتك وتظلم نفسك. ﴿**وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**﴾: لكلٍّ رزق فليُجمل في الطلب، إذا غصتم بالدنيا أعرضتم وابتعدت نفوسكم عنه تعالى، فترون أنكم ترزقون بعضكم بعضاً، وتنسون أن الله هو الرزاق. ﴿**وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾: هو الذي ينشر الرزق على الخلق، لو انقطع المطر من يستطيع أن ينزله؟ فهو سبحانه وتعالى ينشر هذه الأرزاق على العباد، ولكل إنسان استحقاقه بحسب ما يناسبه.

16- ﴿**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**﴾: هو الله سبحانه المتجلِّي على عباده. ﴿**أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ**﴾: أن يرسل عليكم زلازل، وكل علمك وتقدمك أيها الإنسان على هذه الأرض إذا خُسفت الأرض ذهب علمك وتقدمك. فهل تستطيعون بهذه العلوم أن تمنعوا زلزالاً واحداً أو إعصاراً؟ ما استطاعوا ولن يستطيعوا. ﴿**فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**﴾: فالأرض تدور على نفسها بعد الزلزال، تمور: تدور بكم وأنتم في أعماقها محبوسون بالظلام والآلام وبالحرمان، ما حالكم عندها! هل من منقذ غيره سبحانه وتعالى؟!

17- ﴿**أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا**﴾: قنابل نووية لا تبقي ولا تذر، وهذا البلاء سوف يحصل يوم الساعة الكبرى وبعدها[2] ﴿**فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ**﴾: كيف ننذر وننفذ! عند الساعة الكبرى تعرفون كلام النذير، ما تكلم أحدٌ غيره عنها ولا عن سيدنا عيسى عليه السلام، ما سواه جهلٌ بجهْلٍ بل أكثر من جاهلية العرب. فلا تظننَّ أيها الإنسان أن هذه الملايين المطمئنة الآمنة على حق، هؤلاء ما فكروا ولا سمعوا كلام النذير فسيَّروا أنفسهم إلى الهلاك.

18- ﴿**وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: من الأقوام الماضية. ﴿**فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾: نتائج نكران نعمتي ونكران كلام الرسل.

19- ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ**﴾: كي يؤمنوا بأن الأرض في الفضاء تسير، لينظروا إلى الطير كيف تبسط جناحيها وتقبضهما. ﴿**صَافَّاتٍ**﴾: تصطف مع بعضها. ﴿**وَيَقْبِضْنَ**﴾: أجنحتهن. ﴿**مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ**﴾: فمن يمسكها أن تقع؟

فكل ما خلق الله من مخلوقات بيده سبحانه وتعالى يحركهم ويسيرهم، فأرواحهم بيده، فليس لأحد فعل، ولو كان بيدهم شيء لعجلوا بالهلاك، فالكلّ بيده سبحانه.

﴿**إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾: بصير بكل ما خلق، يمدُّ ويحرّك الكلَّ، وهو سبحانه يُبَصِّرُهم.

20- ﴿**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ**﴾: الله تعالى يخاطبنا فيقول: هؤلاء الذين تظنون أن لهم حولاً وقوةً بما لديهم من علوم وأموال وجُنْدٍ؛ إن أرسلت لكم مرضاً أو موتاً أو زلزالاً... هل يستطيع هؤلاء الجند منعه عنكم؟! هل يرفعون عنكم المرض أو الموت؟! وهل تستطيعون أن ترفعوا عنهم شيئاً من هذا. لا هؤلاء يستطيعون ولا هؤلاء، ضَعُفَ الطالب والمطلوب. ﴿**إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ**﴾: مغرورون، مخدوعون، بعضهم مفتونٌ ببعض، وبالدنيا وزخارفها، يجعلون بعضهم

---

[2] انظر كتاب (السيد المسيح رسول السلام يلوح بالأفق) للعلاَّمة الإنساني محمَّد أمين شيخو.

بعضاً آلهة. فُتنوا ببعضهم بدل أن يُفتنوا بالله تعالى ورسوله العظيم ﷺ، دخلوا ببعضهم والله تعالى قال لهم: ادخلوا في عبادي، برسلي مستنيرين، ولا تدخلوا ببعضكم.

سورة الملك: [21-30]

قالوا: في الأولاد والنساء لذة. المال يؤمِّن لنا ما نحتاجه. لكن هل في الأولاد والمال والنساء علمٌ ومعرفةٌ أخروية؟! هل يخلِّصونكم وينجُّونكم من عذاب القبر وأهوال الآخرة والنار؟

21- ﴿**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ**﴾: إن أمسك الله تعالى الماء، وما أَنزل أمطاراً، هل هؤلاء الملحدون الذين تعتزون بهم، وتظنون أن لهم فعلاً وحولاً وقوة هل يستطيعون إنزال المطر وإخراج الثمر، هل يرزقونكم؟ بعوضة لا تستطيعون مدَّها بالحياة، جاءت الزلازل والأعاصير والبراكين فهل ردُّوها عن أنفسهم؟! ﴿**بَلْ لَجُّوا**﴾: غاصوا بالشهوات، غاصوا بالأرض، حفروا المناجم وآبار البترول، أقاموا معامل الأسلحة المدمرة. ﴿**فِي عُتُوٍّ**﴾: استعلاء، ليستعلوا على بعضهم وليقولوا نحن الأقوى والأعلم، وليجعلوا أنفسهم آلهة. ﴿**وَنُفُورٍ**﴾: من الحق وأهله.

﴿**فِي عُتُوٍّ**﴾: عن أمر الله تعالى أي: شيئاً فشيئاً، حتى غاصوا بالأرض وشهواتها ونفرت نفوسهم من الله تعالى ورسوله العظيم، فوقعوا بالجرائم واشتعلت بينهم الحروب.

22- ﴿**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ**﴾: مستغرقاً في أمور دنياه، لا يعي على شيء لاحقاً شهواته الدنية هل هو ﴿**أَهْدَى**﴾: أفضل ﴿**أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: أم هذا الذي يسير على طريق سوي متبعاً الحق وأهله، انظر سيْر الاثنين هل يستويان؟ انظر سيْر المعرض، أخلاقه، معاملته، كله قسوة وبخل وظلم ووساوس، وانظر سير المؤمن المقبل على الله تعالى السائر مع رسوله العظيم ﷺ، أخلاقه، رحمته، معاملته، حنانه ولطفه. لا يستويان.

23- ﴿**قُلْ**﴾: لهم يا محمد. ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ**﴾: في بطون أمهاتكم، ألا ترى إذ كنت نطفة، فكيف. ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ**﴾: لتسمعوا الحق، وتسمعوا كلامه المنزَّل على رسوله وتطبقوه. ﴿**وَالْأَبْصَارَ**﴾: إن سمعتم وطبقتم، نظرتم بالكون وبكلامه فصار لكم نور من الله وبصيرة ترون بها الحقَّ من الباطل والخير من الشر. ﴿**وَالْأَفْئِدَةَ**﴾: القلوب، من جعل لك هذه الأعضاء؟ ألا تشكره على فضله؟ ﴿**قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**﴾: ما تؤمنون! فهذا العطاء حتى تلتفت أيها الإنسان لربك وتقدم أعمالاً طيبة صالحة لعباده. لكن ما قابلوا هذا العطاء بشيء، ما التفتوا لله تعالى ولا للرسول الكريم، ما قدَّموا أعمالاً لآخرتهم، أعمالهم فقط لدنياهم ولغاياتهم ومصالحهم. للبشرية ما فيهم خير.

24- ﴿**قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾: أنزلكم إلى الأرض بعد أن كنتم في بطون أمهاتكم. ﴿**ذَرَأَكُمْ**﴾: كل البشر بالنسبة لهذا الكون ذرات، فأنت أيها الإنسان بالنسبة للكون ذرة، والكون بعظمته وكبره خاضع ومستسلم ومسلم زمام أمره لله تعالى، فهل أنت أعظم حجماً أم الكون؟ إذن لماذا هذا الاستكبار، لماذا لا تستسلم لربك حتى يعطيك ويهبك؟! فهو الذي يمنح الكون والكائنات. ﴿**وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾: غداً.

25- ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ**﴾: وعدهم بالساعة، بالهلاك لكن ما صدَّقوا، كذَّبوا بسبب حبهم للدنيا. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾: بقولكم هذا.

26- ﴿**قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ**﴾: فقط أنا أنذركم منها. ﴿**مُبِينٌ**﴾: وأبيِّن لكم ما فيها وكيف تنجون منها ومن أهوالها.

27- ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً**﴾: وقع عليهم حقيقة. عند الموت، حينها يبصر الإنسان كل شيء. ﴿**سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: من المقت والإعراض والخوف فكل شيء واجهوه وعملوه بحياتهم سوف يرجع عليهم بالسوء. ﴿**وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ**﴾: لا تريدون أن تسمعوا به.

28- الخطاب الأخير لهؤلاء المعرضين:

﴿**قُلْ**﴾: لهم يا رسولي. ﴿**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا**﴾: هؤلاء يتمنون ويعملون لزوال الرسول ﷺ والمؤمنين، حتى لا يقف أحد ضد شهواتهم وانحطاطهم، فقال لهم الرسول ﷺ: نحن لابدَّ ميّتون ولنا أعمارنا نحياها سواء أهلكنا الله تعالى أو رحمنا، فالعذاب لا مفر لكم منه ﴿**فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾: فمن سيجيركم حين الهلاك من العذاب، هل بهلاكنا تخلصون من العذاب؟! فلينظر أحدنا أيُّ الفريقين يتبع، الفريق الضال المنحط أم الفريق السامي الكريم الخلق.

29- ﴿**قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ**﴾: صاحب الرحمة الذي يُحمد من الخلائق جميعاً. ﴿**آَمَنَّا بِهِ**﴾: شاهدنا أسماءه الحسنى. ﴿**وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا**﴾: لأنه كله رحمة وحنان وعطف علينا وعلى ما خلق، وعرفنا أن كل ما يرسله لهذا الإنسان علاج وخير ورحمة وزيادة فضل منه سبحانه وتعالى لذا توكلنا عليه. ﴿**فَسَتَعْلَمُونَ**﴾: عند الموت ويوم القيامة. ﴿**مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ**﴾: الآن عن الحق. ﴿**مُبِينٍ**﴾: واضح بيّن. فالرسول ﷺ بيَّن لهم ما هم عليه من ضلال وشقاء حتى يغيّروا سيرهم فيسعدوا، لكن رفضوا وما غيَّروا، قالوا نحن أهل علم وحضارة. والحقيقة أنهم أهل كفر وفجور وفسق وضلال وقسوة وإجرام وظلم وانحطاط في الخلق، ورغم هذا، الذي لا يفكر ينظر لهم نظرة تقدير وتعظيم.

30- الإنذار الأخير للبشرية:

﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا**﴾: إن غارت هذه الينابيع والأنهار، هبطت المياه ﴿**فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾: يعينكم، إن جفت المياه وغارت هل تستطيعون أن تأتوا بها؟ هل علومكم وحضارتكم تأتي بماء؟! والآن غارت الينابيع وأصبحت المياه التي يسقون منها آسنة.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القلم: [01-10]

1- ﴿ن﴾: الله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله ﷺ قائلاً: أنت نور العالم من مشى بغيرك مشى بالظلام **{ن}**: ونورٌ بين يديك يا محمد وهو القرآن يضيء للمؤمنين سبيل التقوى. قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً}**[1]: هذا القرآن هو النور المنقذ من الظلام والعمى والجهل، فيه العلم الحق والدلالة الإنسانية المنطقية الرشيدة، بتطبيقه تتحقق السعادة وتنقرض الآلام والأسقام، وكيف لا يحصل ذلك وهو تنزيل من الرحمن الرحيم.

بالأزل قبل مجيئنا للدنيا كلُّنا كنَّا نفوساً مجردة، أي لم تلبس هذه النفوس هذا الجسم المكوَّن من اللحم والدم والعظام... والله خلق جميع الأنفس من نور، فلا فرق ولا تفاوت بينها في شيء، وقد عرض الله تعالى على الأنفس الأمانة، أي: إعطاؤها الإرادة والحرية في الاختيار في السير إلى الأعمال، فرضيت بالخروج إلى الدنيا دار العمل لتعمل صالحاً، وطلبت الشهوة لا لذاتها وما فيها من متعة، بل لتكون دافعاً لها للأعمال، لكن بالميثاق بعد التكليف غاصت النفوس بالشهوات فانطفأت بانقطاعها عن الله تعالى، إلا نفوس الأنبياء والرسل ظلَّت على عهدها ما انطفأت، بل ازدادت سطوعاً واستنارة، والرسول العظيم ﷺ كانت استنارته أقوى استنارة حتى أنها أحاطت باستنارة الرسل والأنبياء جميعاً صلوات الله عليهم أجمعين، وصار ﷺ نوراً لهم ولا يزال، فهو الشمس التي لا تنطفئ ولا تغيب. إذن نور رسول الله ﷺ يوصلك لنور الله الذي هو القرآن، فبنور رسول الله ﷺ ترى معاني وحقائق القرآن.

﴿وَالْقَلَمِ﴾: قلم القدرة الإلٓهية، أي ما كتب في نفس رسول الله ﷺ وما طبع فيها، فالله سبحانه كتب بنفس رسوله القرآن الكريم، وخطَّ فيها حقائق ترجمها له إلى أقوال ومعانٍ لا يستطيع أحد أن يأتي بكلمة منها أو حرف، وخطَّ ﷺ أعمالاً يعجز السابقون واللاحقون عن القيام بمثلها، كل هذا بسبب نواياه العالية، فهدى الأمم والأجيال تلو الأجيال. والله جعل رسوله ﷺ بسبب نواياه العالية، قلم قدرته لنا، يخطُّ في نفوس المؤمنين ما خطه الله في ألواح صدره الشريف أنوار الله وأسماءه الحسنى وحقائق القرآن، وأسماؤه الحسنى فيها الجنات العلا.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: عنك، هذا البيان العالي الذي طلبته مني لهم لإنقاذهم وهدايتهم الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لعجزوا ويعجزون، فالذين أطاعوه وأحبُّوه وارتبطوا به سطَروا النور والسعادة في قلوبهم ثم في قلوب الأمم، وهدوا البشرية ونقلوهم من الظلمات إلى النور.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: إذا تركوك يا رسولي! وأنت النور لهم صاروا بالظلام، فماذا يسطرون؟! الذين تركوا الرسول العظيم ﷺ ما ساروا بهديه ولا بدلالته، ما أطاعوه، سطروا النار على أنفسهم، دمّروا الأمم والأجيال وأشقوا البشرية.

---

[1] سورة النساء – الآية:174.

الرسول ﷺ سائر بالحق، ولا ينطق لسانه إلا بالحق، وهو النور الذي يُستضَاءُ به، وهو رحمة للعالمين، فبدونه تعمى القلوب والأبصار، وهؤلاء (عميُ القلوب)، ماذا يسطرون وهم على هذا الحال؟

2- ﴿**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**﴾: أنت بالنور، والحق غير مستور عنك، أنت لا تجهل أسماء الله تعالى، وهذه الدلالة إلى الله، تشهد بأنك على درجة عظيمة من معرفة الله، وهي شهادة من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أنه ليس بمجنون كما قال وادَّعَى عُمْيُ القلوب؛ قالوا: إنّه يحرم نفسه من ملذات الدنيا ومن "الكيْف" والبسط، أما نحن فأصحاب علوم وحضارة ولا نحرم أنفسنا من شيء، ما عرفوا أن الحرام شقاء وعذاب، لذلك أشقوا أنفسهم ومن معهم والبشرية، منظارهم معكوس لأنهم خانوا الله وانقطعوا عنه فاختلفوا، أما رسول الله ﷺ ما انقطع وما اختلف في حبه لربه ولا أحد يباريه في هذا الحبِّ، إذن: النور الذي بين يديك والذي طبع بنفسك وما يسطرونه مما يسمعونه منك كلها تشهد بأنك على درجة عظيمة من معرفة الله.

3- ﴿**وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ**﴾: غير مقطوع، أجرٌ دائم ورقيٌّ متزايد، السبب: لأن وظيفته ﷺ دائمة وأعماله جارية على الخلائق كلِّها، وكل الأعمال الصالحة تتم به ﷺ وبدونه لا عمل صالح، لأنهم بالظلام، فهل يستطيع الإنسان أن يعمل في الظلام؟!

4- ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾: من إقباله ﷺ على الله وحبِّه العظيم له سبحانه وتعالى، خلق له ربه كمالات من رحمته وعطفه وحنانه ولطفه وملَّكها إيّاه، وهو ﷺ تخلَّق بها وصارت خُلقه، وشملت هذه الأخلاق الخلائق بالرحمة والحنان، فصبر صبراً ما صبر مثله أحد.

وكل من آمن بربه وأحبَّ رسول الله ﷺ وصارت له به رابطة نفسيّة وعزَّره ووقَّره يحصل على خُلق بمعيته فهو على الطريق لله تعالى.

وهذه الآية شهادة من الله لرسوله بأخلاقه العظيمة، ومن أصدق من الله قولاً؟ وهي تنفي نفياً مطلقاً كل ما قيل عنه ﷺ من أنه أخطأ، وأنَّ الله عاتبه كما بقضية "عبس وتولى أن جاءه الأعمى".

5- ﴿**فَسَتُبْصِرُ**﴾: سترى حالهم. ﴿**وَيُبْصِرُونَ**﴾: وسيرون حالك، عندها الندم والحسرة على ما فرَّطوا وصنعوا وضيّعوا. فغداً ستظهر الحقائق وسترى وهم سيرون.

6- ﴿**بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ**﴾: من هو المفتون بزخرف الدنيا، ومن هو الضال عن الحق. هم فُتنوا ببعضهم البعض، فُتنوا بالأموال والنساء والأولاد، خدعوا أنفسهم وخدعوا غيرهم، فُتنوا بحضارتهم فما كسبوا كمالاً، وعادت عليهم بالشقاء والآلام والحسرات.

7- ﴿**إِنَّ رَبَّكَ**﴾: يا محمد. ﴿**هُوَ أَعْلَمُ**﴾: هو سبحانه وتعالى أعلمك بعلمه. ﴿**بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾: من المكذبين الضالِّين والمنافقين. ﴿**وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾: وأعلمك بالصادقين.

لا يعلم الغيب إلاَّ الله، والله أَعَلَمَ وأَطلَعَ رسوله ﷺ على أحوال الخلائق كلها لأنه ﷺ هو الطبيب والمنقذ، والطبيب يجب أن يعرف ويعلم كل شيء عن مرضاه، لذلك شملت علومه ﷺ الخلائق حتى نهاية الدوران.

8- ﴿**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**﴾: بالحق، سر دوماً ولا تأبه للمكذبين، لا تسكت لهم عن أخطائهم، جَابِهْمْ بالحجة والمنطق، عسى أن يغيِّروا مسيرهم ويسلكوا طريق الحق الذي يعود عليهم بالسعادة والجنة بالدنيا والآخرة.

9- ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾: رغبوا في أن يكون بينك وبينهم تفاوض في الأمر وتتظاهر لهم بالوداد فيتظاهرون هم أيضاً. أرادوا من الرسول ﷺ أن يميل معهم عن الحق ويُسَتِّر عنهم فيميلوا معه لكن هذا لا يجدونه عنده.

10- ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾: يحلف بالكذب، محالف الدنيا وشهواتها، نفسه مترعة بالرذيلة لذلك يحلف بالكذب لأنه غيَّر وكذَّب، ما حالف الله تعالى ورسوله ﷺ، كذلك عاهد ربه بالأزل عندما حلف وأقسم أن يأتي للدنيا ولا ينقطع عنه وأن يفكر بالآيات ويستنير ويصبح ذا بصيرة ويتَّبع الرسول. **{وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ}**[2]. وعندما جاء للدنيا، خان ربه وغيَّر ونكث عهده مع الله، وبهذا أصبح: ﴿مَهِينٍ﴾: فهو دنيء، أهان نفسه بالدنيا وشهواتها، صار يطلب ما عند المخلوق، ولا يطلب ما عند الخالق، فأذلَّ نفسه وجعلها أسفل سافلين، فللّه العزَّة ولرسوله وللمؤمنين.

سورة القلم: [11-20]

11- ﴿هَمَّازٍ﴾: غارق فيها، أغرق نفسه بالدنيا، دائماً مشغول بطلباته وتحقيق شهواته، من حلالٍ... من حرامٍ... لا يهمه، همّاز بهمِّه، دائماً مهموم شقي معذَّب النفس (خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدره هماً). لا يكفيه أنه ضالٌّ بل يسعى لإضلال الناس بما لديه، يجعله لإفساد قلوب العباد وتحويلهم لشهوات الهلاك.

﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: يتكلم عن جماعة أمام جماعة ثم يعود ليتكلم عن تلك. يمشي بالفساد بين الناس، يُظهر غناه مما يجعل الفقير يحسده ويقع في الإثم. أي ما ينم بنفسه ويخطر على باله يمشي به، يتكلم عن المال وعن النساء والجنس، يحبب الناس بهذا فيوقعهم بالآثام والسرقة والزنا والحرام، وما أوصله لهذا إلا بُعده عن الله ورسوله ﷺ، ما فكر ولا شاهد النتائج، وعند الموت يشاهد نتائج أعماله وما ستعود عليه، يشاهد هذه الدنيا حجر، لا شيء فيه، وأن كل ما فيه من الله، وأنه ترك ربه من أجله، فتحل به الحسرة والندامة، ويصيبه الخوف والرعب ثم مأواه النار.

12- ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: هذه صفته، لا يخرج منه إلا الشر وما يؤذي الناس، لا يسير إلا بالمعصية، ويصدُّ غيره عن عمل الخير، ويقاوم الحق وأهله. ﴿مُعْتَدٍ﴾: على أعراض الناس وأموالهم، لا يهمه غير حاله وماله. ﴿أَثِيمٍ﴾: نواياه سيّئة، لبس ثوب الإثم وأحاط به، أعماله منحطة ويجرُّ غيره حتى يكون مثله.

13- ﴿عُتُلٍّ﴾: سيحمل وزره وحامل لأوزار غيره وكلها بصحيفته. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: مذموم بين الناس وساقط في عين نفسه، مهما مدحوه يعرف نفسه أنه ساقط.

14- ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: كل ذلك يصيبه مهما كان له من مال وبنين لا يشبع من الدنيا لأنه يستعملها بغير الحق. والله يقول: هذا الإنسان ولو كان ذا مال وبنين لو أعطاه الله ما أعطاه فهو دائماً طامع بالمال الحرام، كذلك ولو كان عنده بنون ونساءٌ فاتنات يطمع بغيرهن من الفاتنات هذا حاله. **"منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال"**[3]، فالإنسان إما أن يتوسع بالدنيا وإما أن يتوسع بالآخرة وبربه.

---

[2] سورة إبراهيم – الآية:44.

[3] أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود والبزار والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس.

فالمعرض عن ربه عينه دائماً بالدنيا ساعٍ وراءها، يخاف من الفقر ويسعى للزيادة ولا ينفق. السبب:

15- ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا**﴾: كلام رب العالمين المنزَّل على رسوله ﷺ. فعندما جاء الرسول بهذا البيان والمنطق الذي ما تكلم أحدٌ به وبسموّه. ﴿**قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾: كان يستهزئ حين النصح والإرشاد، قالوا إن سرنا بهذا الكلام حرمنا أنفسنا من البسط "والكيْف" والشهوات، ﴿**أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾: هذا الكلام سطَّره عن الأولين، لكن هل الأولون عرفوا معنى كلمة واحدة مما جاء به؟! لذلك قالوا: هو عبقري، كل ما قاله وتفوق به على أهل زمانه وسبقهم إليه من نسيجه، وأشخاص آخرون أعانوه على هذا البيان، فهو من اختراع البشر وليس له حقيقة، مع أن المتكلم هو رب العالمين على لسانه الشريف.

إذاً: فهم لا يريدون الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال والتعدي. لذلك:

16- ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾: سنلقيه على أنفه، سيهان رغم أنفه فلابد لكل غني متكبر أو رجل دنيوي من إهانة تلحقه من ولده أو ماله أو نفسه، فالله تعالى لا يترك هذا الإنسان سائراً بالضلال، رحمته تقتضي علاجه، وعلاجه على حسب عمله، كل هذا حتى يتنازل عن كبره، ويصحو من سكرته، إذ أخطأ طريق الحق والسعادة فخرَّ هذا الإنسان وهبط من منزلته التي أهَّله الله تعالى لها، خلقه ليكون سيد الكائنات، فغرق في الدنيا وملاذها، وظنَّها كل شيء. فاقتضت رحمة الله تعالى أن يعالج هذا الإنسان بما يرسله له من مصائب وأمراض وفقر وجوع وأعاصير وزلازل، ليعود إلى جادة الصواب ويدخل الجنة.

17- ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾: إنما نمتحن الناس كما امتحنا أولئك الذين كانوا يملكون مزارع وبساتين، أي كانوا أهل دنيا ومال. ﴿**إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ**﴾: قرروا وأقسموا ليقطفوا في الصباح مزارعهم وأراضيهم وبساتينهم دون أن يعطوا منها حق الفقير. قالوا: هذه لنا ولأهلنا فقط، لا يريدون أن يعطوا الفقراء والمساكين حقهم، قالوا لِمَ نطعم الفقير؟! ليعملْ هو. {**..أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ..**}[4]. الذي يريد الخير له ولأهله فقط لا خير فيه لأنَّ "**الخلق كلَّهم عيال الله..**"[5] وهؤلاء نظروا فقط للقرب الجسمي مع أن الإحسان للخلق جميعاً.

18- ﴿**وَلَا يَسْتَثْنُونَ**﴾: يجنون الثمر صباحاً ولا يستثنون من الثمر شيئاً. لا يتركون فيها شيئاً من ثمر لأحد.

19- ﴿**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ**﴾: صقيع أو ما شابهه. ﴿**وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾: ليلاً. البلاء فقط جاء على أرضهم؛ ضرب الشجر والثمر.

20- ﴿**فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**﴾: لم يبقَ فيها شيء من الثمار، أصبحت يابسة، ثمارها متجعدة ذبلت من الصقيع.

سورة القلم: [21-30]

21- ﴿**فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ**﴾: تنادوا في الصباح.

---

[4] سورة يس – الآية:47.

[5] رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعاً.

22- ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾: أرضكم والأثمار. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾: مصممون على القطع ومصممون على ما اتفقنا عليه.

23- ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾: يتهامسون، يتسترون كي لا يراهم أحد من الفقراء، فقد كان للفقراء وقت معيَّن يحضرون فيه، قرروا القطاف قبل ذلك الوقت.

24- ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾: لأجل هذا يتخافتون، لا يريدون إطعام المساكين.

25- ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ﴾: بهذا المنع، وبهذه النّية قطعوا الصلة مع الله. حَرِدَت نفوسهم: أي أعرضوا وابتعدت عنه تعالى. ﴿قَادِرِينَ﴾: على تنفيذ رأيهم. ظنوا أنهم قادرون على تنفيذ رأيهم والاستغناء عن الله تعالى.

26- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾: رأوا أرضهم. ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾: حسبوا أنهم ضلوا بساتينهم، قالوا: هذه ليست بساتيننا، لم يعرفوها أول الأمر.

27- ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: تأكدوا بعد ذلك من بستانهم وعرفوا أنهم حُرموا، قالوا: لا بل حرمنا الله إيّاها، نسبوها لله ما عرفوا أنهم هم السبب وأن نيتهم عادت عليهم.

28- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: شيخهم مرشدهم الذي يدلُّهم على الله، الوسيط بينهم وبين الله تعالى. ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: أنفسكم بفضل الله، تذكرون نعم الله عليكم.

29- ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: ما أعظمه! ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: اعترفوا بذنبهم.

30- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾: أحسنهم قال: ألم أقل لكم أنه لا يجوز أن نحرم الفقراء؟! فقالوا له: لماذا تركتنا نفعل ما صممنا عليه؟! كان عليك ألا ترضى وتشدَّ وتهدَّ علينا.

سورة القلم: [31-40]

31- ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾: متجاوزين لطريق الحق، خرجنا عن الحدود الإنسانية فلو أننا كنا مثل هؤلاء الفقراء والمساكين، والأغنياء ما أعطونا فماذا كنّا نفعل؟!

32- ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾: مقبلون على الله، تابوا وتراجعوا عن نيتهم، وبهذا رجعت نفوسهم إلى الله تعالى وصارت أعمالهم رغبة في رضى رب العالمين، ولا رغبة لهم فيها غيره سبحانه وتعالى.

33- ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾: هكذا عذابنا نرجو من ورائه الخير للإنسان، من أجل ذلك نرسل العذاب حتى يرجع المعرض إلى الحق فيسعد. فلا توجد أمة متروكة من رحمة الله والله يعالج الكل بما يناسبه وبالوقت المناسب. ﴿وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: لكن عذاب الآخرة أشد وأعظم عندما يتبين للإنسان سوء عمله، حيث إن الإنسان المذنب في الآخرة يرى آثامه ظاهرة، إذ يرجع للفطرة فيحترق وينطوي على نفسه، فيؤلمه الله تعالى بالنار ليسلو هذا العذاب النفسي. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لو آمنوا وارتبطوا برسول الله ﷺ لصار لهم نور وبصيرة ولعلموا وشاهدوا هذا العذاب من الدنيا، فلا يقعون بعدها بشيء من الآثام والمعاصي.

34- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: لكل من تاب وسلك بالحق بصدق فآمن واتقى، العذاب من أجل أن يتوبوا ويؤمنوا ويدخلوا الجنة وينعموا بشهودها.

35- ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾: المستقيم مثل الأثيم، هل قيمة المجرم عندكم مثل المستقيم المحسن؟ فهل يجعل الله المسلمين كالمجرمين؟! إذن كيف تقولون (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[6]؟!! وتنسبون هذا الحديث لرسول الله ﷺ وهو بريء منه!! هذا الحديث دعوةٌ للفجور والآثام والفواحش وأنتم تَدعون به!

36- ﴿مَا لَكُمْ﴾: هذا الكون ليس لكم. هنا ما نافية. ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بشيء ليس لكم وتضعون قوانين من عندكم! أفلا تفكرون قليلاً! لله ما في السموات والأرض، لكم إيمانكم والعمل الطيب والجنة إن سلكتم بالحق وإلا الخسارة الكلية.

37- ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: تأخذون قولكم منه.

38- ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: تأخذون ما يحلو لكم منه وما تريدون. تختارون منه على هواكم!! انظروا نتائج سيركم بغير كتاب الله، وما صرتم إليه، شقاء وألم وحروب وتعدٍّ ونصب واحتيال وفواحش وظلم وقسوة وذلٌّ وهزائم.

39- ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: أعمال عظيمة، أعمال خير تشفع لكم. هل لكم فضل علينا؟! هل خلقتم كوناً ثانياً؟! هل جئتم بشمس جديدة أو قمر؟! ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾: هل تحكمون بشيء لكم؟! ببيتك قوانينك هي السارية فيه لأنه ملكٌ لك، وهذا الكون أما هو ملكه تعالى؟ إذن لماذا تضعون قوانينكم فيه؟ وهو ليس ملككم وأنتم لم تخلقوه، فالذي اخترع الآلة أدرى بها، وهو الذي يضع القوانين لها، وهذا الكون صنع الإله فقوانينه هي التي يجب أن تسود، وتعملوا بها، فهو سبحانه الذي يطعم ويسقي، ومن يُطعم ويسقي هذا الذي يجب أن يطاع.

40- ﴿سَلْهُمْ﴾: رسول الله ﷺ ناقشهم بهذا وأقام عليهم الحُجَّة. ﴿أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾: من يتزعمهم في ذلك، قال لهم: أين فضلكم؟ وما هو؟ لا فضل لكم. نملة لا تقدرون على صنعها!

سورة القلم: [41-50]

41- ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾: قاموا بهذا. أوجدوا وخلقوا وسيّروا الأرض!! ويأتون بالليل والنهار والماء والهواء والكلأ!! فلماذا اعتزوا بهم وساروا معهم ولم يعتزوا بربهم ويسيروا على دلالته؟! ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾: الذين يظنون أنَّ لهم فعلاً وحولاً وقوة ليأتوا بهم، أما ماتوا ؟! ما منعوا عن أنفسهم الموت فهم تحت القانون، والذي يضع القانون يجب ألا يكون تحته. ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾: بادعائهم. هل يخلصوهم بالحياة الأبدية التي لابد منها، هل لهم فعل؟!

42- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾: عما ساق الإنسان لنفسه من الشر، يُكشف للنفس ما ساقت من خير أو شر، وما ساق الله تعالى لهم من خيرات وتدبيرات وعلاجات حتى يهتدوا. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾: إلى الإقبال على الله، يُقال لهم تعالوا ادخلوا الجنة. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: بسبب ما فيهم، ولما يرون في أنفسهم من الخزي والعار، بسبب ما قاموا به من أعمال سيئة.

43- ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾: من الذُّلِّ والإجرام، أبصارهم ذليلة. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: نار جهنم التي فيهم، نار الحسرة والندامة، بسبب أعمالهم السيئة من قتل وظلم وسلب ونهب وقسوة. ﴿وَقَدْ كَانُوا﴾: في الدنيا. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾: إلى الإقبال على الله تعالى بلسان الرسل فيأبون. ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾:

---

[6] رواه الترمذي والبيهقي وأحمد وأبو داود.

مريض القلب لا يستطيع الصلاة الحقّة، بالدنيا كانوا سالمين، وعندهم فكر والملائكة تساعدهم، والله جعل لهم هذا الكون العظيم، وأرسل لهم من يدلُّهم على طريق الإيمان ويرشدهم لكنهم ما آمنوا.

44- ﴿فَذَرْنِي﴾: رسول الله ﷺ يراهم ويرى حالهم وما سيحيق بهم بالآخرة وما ستعود عليهم أعمالهم، لذلك كان حاله ﷺ دائم البكاء عليهم، ويترجى بهم ربهم، فقال له ربه: (ذرني) رحمتك كبيرة، لكن بجانب رحمتي رحمتك لا تذكر، وهؤلاء كذَّبوا وأعرضوا فلا يناسبهم إلا هذا. **﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾**: بهذه الدلالة التي أنزلت على قلبك وبيَّنتها بلسانك والتي طلبتها أنت مني لهم، من أجلهم، من أجل أن يهتدوا، فكذَّبوا بها، فهم لا يريدون الحق لذلك. **﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾**: سنمدهم بمال وولد... حسبما تقتضيه نفوسهم. أنا أعطيتهم الاختيار وهم اختاروا هذا الشيء، وسأعطيهم ما شاؤوا وأرادوا لأخرج لهم خبثهم وشهواتهم من نفوسهم. **﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾**: لا يعلمون ما وراء هذه الشهوات، وما سيقومون به من أعمال وما سترجع عليهم، لو كان لهم علم ما اقترفوا وما طلبوا هذا ولما وقعوا في براثن الشيطان.

45- ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: على الكامل. **﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾**: تدبيري قوي، أعطيهم ثم أرسل لهم العلاجات والشدائد لعلهم يصحون من سكرتهم ويفكرون فيعودون إلى سعادتهم.

46- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: لقاء دلالتك لهم، الرسول ﷺ ما طلب من أحد شيئاً. **﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾**: من كثرة الأجر! هل تسألهم ما يثقل كاهلهم؟! كلا بل لا تطلب لهم إلا الهدى ومنهم إلا الإيمان.

47- ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾: ولا يعلم الغيب إلا الله ومن ارتضى من رسول، هل يعلمون ماذا سيحدث غداً أو بعد ساعة؟ لو عندهم علم الغيب لكانوا أخذوا حذرهم واستعدوا للزلازل والأعاصير ولما أصابهم ما أصابهم من علاجات. **﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾**: بهذا كتبوا الشقاء والهلاك على أنفسهم، فحدثت الحروب، وصارت المجاعات، وساد الظلم وظهر الفساد والربا والرشوة، وبالآخرة (إن ما تابوا) عذابٌ أشد وأقوى.

48- ﴿فَاصْبِرْ﴾: يا محمد ﷺ. **﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾**: اثبت على التبليغ. **﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾**: سيدنا يونس عليه السلام، لا تتركهم وتفارقهم متألماً من معارضتهم وإنكارهم، فالكمال مع رسول الله ﷺ عدم تركهم، أما مع سيدنا يونس عليه السلام فالكمال تركهم. **﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾**: يكتم غضبه وألمه، ولا يظهره لمخلوق إلا لربه صاحب الحول والقوة العليم بكل شيء. سيدنا يونس عليه السلام لم يكن راضياً عن قومه، ولا عن سيرهم فتركهم، عندها قارنوا بين حالهم معه وحالهم دونه، سيدنا يونس عليه السلام ظنّ أنه عارٍ من عمل الخير، لأنه لم يطق عليه السلام دوام إرشادهم وهم على هذا الحال والسير والبعد عن الله.

فبعد أن تركهم وترك إرشادهم وذهب عنهم قارنوا بين ما كانوا عليه وبين ما صاروا إليه، فكروا وغيَّروا فجعل رب العالمين ترتيباً آخر لسيدنا يونس عليه السلام.

49- ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: بأن جعل هذا الترتيب من وقوعه بالبحر وابتلاع الحوت له وإرجاعه لقومه، بعد أن عالجهم رب العالمين حتى غيَّروا ما بأنفسهم. **﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾**: يوم القيامة حيث لا صحابة معه، عارٍ لا أصحاب له. **﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾**: من قبل نفسه، لأنه عارٍ من عمل الخير بظنه.

50- ﴿**فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ**﴾: اجتباه لنواياه العالية وكسَّبه إياها بالاستحقاق والحق، قرَّبه بسبب رحمته ونواياه العالية للخلق، وأعماله الكبرى. ﴿**فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾: للعطاء والفضل، حيث أصبح معه جماعة كبيرة، أصحابه آمنوا معه وآمن من حولهم من البلدان.

سورة القلم: [51-52]

51- ﴿**وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: الكافرون. ﴿**لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ**﴾: يتمنون أن لا يروك، يتمنون زوالك. ﴿**لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ**﴾: هذا البيان، هذه الدلالة العالية السبب. ﴿**وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾: يحرم نفسه من شهوات الدنيا.

52- ﴿**وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾: فلا إكراه في الدين، فمن شاء فليؤمن وله الجنات، ومن شاء فليكفر وعليه نتائج إجرامه، كذلك بشَّر الله تعالى رسوله ﷺ بأن الكفر سيزول وستسير بهذه الدلالة كل أمم الأرض، فهذا الكلام من رب العالمين للعالمَين.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحاقة: [01-10]

1- ﴿**الْحَاقَّةُ**﴾: الحاقة هي نفس الإنسان ذاتها عندما يلبسها عملها السيئ وتلوم حالها على ما عملت وقدمت.

يقال أحق الحق وأحققت فلاناً أي أقمت عليه الحجة، فالإنسان سوف تقام عليه الحجة غداً حين يموت ويفقد الشهوات ويعود لفطرة الكمال، وسيدين نفسه "ذاته بنفسه" على ما قام به من سيئ الأعمال ﴿**اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾[1]، فكل ما يأتي به الإنسان من عمل فهو لاصق به وملاحق له وسيلبسه وسيلوم نفسه عليه. فالحاقة هي اسم النفس ذاتها وهي لابسة الحالة الصعبة المرعبة عندما تشاهد عملها وتشاهد خسارتها وما ستؤول إليه، فالإنسان جاء للدنيا لينال من ربه شيئاً عظيماً لم تنله أرض ولا سماء بحمله للأمانة، ولكنه بإعراضه عن ربه وأعماله خسر كلَّ شيءٍ، وعند الموت يشاهد هذه الخسارة ويرى أعماله، فتحيق به على شكل حنش أقرع في البرزخ، ثم يوم القيامة تحيق به وتشاهده الخلائق كلها، فيرمي بنفسه في النار، نار الله الموقدة ليخلص مما فيه من نار الخزي والعار والخسران، نار جهنم. إذن: أليس لك أيها الإنسان من واجب تقوم به في الحياة؟!

2- ﴿**مَا الْحَاقَّةُ**﴾: ماذا يحيق بك ويحق لك أو عليك؟ أي ما أعظمها عليك أيها الإنسان، ما أصعب ما سيحيق بك عند الموت ويوم القيامة من أهوال ورعب وألم، ما هذه الحالة الجهنمية التي تجعلك ترمي بنفسك إلى النار؟!

3- ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**﴾: إنك أيها الإنسان لا تدري حقيقتها بذاتك ولا تعرف ما هي لأن ما دون الأنبياء والرسل بانقطاعهم عن ربهم فقدوا النور القلبي، والإنسان بدون ذلك النور لا يرى ولا يشاهد أبداً، إذن: لابدَّ من نور، وهذا النور هو عند رسول الله ﷺ الذي وفَّى بحمله للأمانة ولم ينقطع عن الله، وبدونه لا ترى ولا تشهد شيئاً منها، فإذا أردت أيها الإنسان مشاهدتها ومشاهدة حقيقتها فلابد لك من نور رسول الله ﷺ، وهذا النور يكشفها لك فتشاهدها وتتجنب الوقوع بها.

إن الذين ساروا مع رسول الله ﷺ وآمنوا بأن سلكوا طريق الإيمان بالله بالخلوات كما دلَّهم ﷺ عليه وارتبطوا به كسبوا كمالاً من الله ونوراً، شاهدوها وعملوا الصالحات كيلا تحيق بهم أهوالها، أما غيرهم فما علموا حقيقتها لذلك أنكروها وقالوا: لا يوجد إثبات عليها، فمن الذي مات ورجع؟ وما هذا الكلام، هل من عاقل يرمي بنفسه إلى النار؟! نحن لا نفعلها، لذلك وقعوا بما وقعوا فيه.

4- ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ**﴾: القارعة اسم حال النفس عند الموت ومشاهدة ما حاق بها فتقرّع ذاتها على ما فعلت، من ذاتها بذاتها. قوم ثمود سكنوا الأردن والله بعث لهم رسولاً "هو صالح" عليه السلام. وقوم عاد سكنوا في بلاد الشام قبلهم وقد أرسل الله لهم سيدنا هود عليه السلام رسولاً لهم يبلِّغهم ويحذِّرهم كما بلَّغ وحذَّر سيدنا صالح قومه بعدهم. حذَّرهم من القارعة، قال لهم غداً تنكشف الحقائق أمامكم وأمام الخلائق كلها عندما تعودون لفطرة الكمال، فتشاهدون ما فعلتم بأنفسكم

[1] سورة الإسراء – الآية:14.

وما ضيعتم وعملتم مع غيركم من أعمال سيئة، عندها نفوسكم ستقرِّعكم وتوبخكم على هذه الأعمال وستندمون عليها كثيراً، وتلتهب نفوسكم بنار الحسرة والخزي على ما فرطتم وضيعتم من مقام عالٍ وجنات أعدَّها الله لكم، عندها ومن شدة ما بكم سترمون بأنفسكم إلى النار لتتخلصوا مما فيكم من آلام وحسرات لا تطاق. فكذَّبوا لأنهم نيام غارقون في دنياهم وفي أهوائهم، نيام في الشهوات، وأنكروا ما سمعوا من رسلهم، كذَّبوا بالقارعة، قالوا: نحن نفوسنا لا تقرِّعنا ولا نرمي بها إلى النار، ولم يغيِّروا ولم يتوبوا عما هم عليه من أعمال سيئة، لأنهم بإعراضهم عن الله لم يكسبوا كمالاً، لو أنهم آمنوا واتقوا لكسبوا كمالاً ونوراً ولشاهدوا به هذه القارعة، ولعرفوا ما في المعصية من ألم وشقاء ونار، فالإنسان بنور التقوى يعرف ما في المعصية.

5- ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾: بالبناء، بنوا القصور والأبنية الضخمة، فتنوا الناس وشغلوهم عن آخرتهم، عن ربهم وجناته. **{وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ}**[2].

طغوا بهذه الدنيا، يقال رجل طاغٍ وملك طاغية، وقوم ثمود نفوسهم طاغية وعلامة طغيانهم مدينة البتراء في الأردن والأبنية التي سكنوا فيها. **{وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}**[3]. هؤلاء من تشييد هذه الأبنية وهذه القصور جمعوا أموالاً كثيرة، ولا فرق عندهم إن كانت من حلال أو حرام، غشُّوا وجمعوا الأموال ومنعوها عن مستحقيها من الفقراء والمساكين وأصحاب الحق بها، ما نظروا لجانب ربهم ولا إلى محتاج. همّهم بسطهم "وكيفهم" ولو على حساب شقاء غيرهم، فحصل تفاوت اجتماعي: غني وفقير، وصار الإنسان وحشاً ضد أخيه الإنسان وطغى عليه، فلا رحمة بقلبه ولا عطف ولا حنان، وقد كانوا على قوة عظيمة وبأس شديد.

6- ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾: أهلكوا بالهواء، بريحٍ شديدة، بيوتهم كانت قصوراً جعلوها على أعمدة ليتخللها الهواء. همهم شم الهواء والبسط "والكيف" في هذه الدنيا، ما عرفوا أنها مدرسة وممر للآخرة، ووراءها الجنات بما يقدم الإنسان فيها من صالح الأعمال. فتركوا الله وتركوا رسولهم ولحقوا الدنيا والبسط "والكيف" والهواء، والله جمع لهم الهواء الذي أحبوه وأرسله عليهم دفعة واحدة فأهلكوا به.

كذلك اعتزُّوا بقوتهم، ظلموا واستكبروا وسيطروا على غيرهم من الأمم وطغوا عليهم بغير الحق، نهبوا ثرواتهم وحصلت المجاعات، ووقع الناس بالفقر والفاقة **{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}**[4].

الدنيا صورتها حلوة جذابة ولكن مع تقوى الله والسير الحسن، وإلا حقيقتها مرعبة، وتعود على الإنسان بشقاء الدارين، فالإنسان لم يأتِ من أجلها وإلا فلم الموت؟! وإنما جاء لهدف وغاية عالية وهي أن يتعرف على ربه من ثنايا صنعه العظيم، ويقدم صالح الأعمال ويدخل الجنان، لكن قوم عاد تركوا الله من أجل الدنيا وكذَّبوا رسولهم فعادت عليهم: ﴿**بريحٍ صرصرٍ**﴾**:** ريح لها صرير وذلك من

---

[2] سورة الفجر – الآية:9.

[3] سورة العنكبوت – الآية:38.

[4] سورة فصلت – الآية:15.

إصرارهم على حب الدنيا. سيدنا هود عليه السلام نصحهم كثيراً، لكنهم ما انتصحوا، وما غيّروا مسيرهم.

﴿**عاتية**﴾: شديدة، لأنهم عتوا عن الله مثل العت، فوقعوا بعدها بالجرائم من قتل وسلب ونهب وفواحش، فأهلكوا، وعادوا لربهم يحملون معهم حيَّاتٍ وعقارب، بدل الهدايا من الأعمال الصالحة.

7- ﴿**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ**﴾: سبع ليالٍ وثمانية أيام عاشوا فيها بالرعب والآلام والشدة رحمةً منه تعالى حتى تطهر نفوسهم ﴿**حُسُومًا**﴾: قاطعة أخرجت كل ما في نفوسهم من حب الشهوات، لكن جرثوم الشهوة ظل فيهم. وهذه الريح حسمت أمرهم، أوقفت شرورهم لئلا تزداد آلامهم وتزداد نيرانهم في الآخرة ﴿**فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى**﴾: من شدتها ﴿**كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾ مثل نخلة عجوز فارغ داخلها، ومثل جذوع النخل التي بدأت تجف وتيبس. وهذا التشبيه يدل على أنهم كانوا عمالقة وأقوياء وأصحاب حضارة، وبنوا أكثر مما بُني الآن.

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[5].

8- ﴿**فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**﴾: ماتوا، ذهبوا عن بكرة أبيهم، زالوا وزالت حضارتهم وآثارهم ولم يبقَ لهم شيء يفيدهم، ولا ذرية تنفعهم وتخفف عنهم آلامهم في الآخرة.

9- ﴿**وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ**﴾ جاؤوا للدنيا معرضين عن ربهم مصممين على الخيانة، والله أعطاهم ما اختاروا لكن على مستحقين ظالمين، لم يتركهم الله سبحانه وتعالى فقد أرسل لهم رسولين كريمين، سيدنا موسى وهارون عليهما السلام نصحوهم ودلُّوهم، قالوا لهم كفاكم فسقاً وفجوراً وتعدياً، ولكن ما سمعوا منهم نصحاً واستكبروا وأعرضوا.

كذلك جاؤوا الآخرة بأعمال سيئة قتل وسلب ونهب ورشوة...الخ.

﴿**وَالْمُؤْتَفِكَاتُ**﴾: قوم لوط فعلهم السوء لم يسبقهم إليه أحد من العالمين ﴿**بِالْخَاطِئَةِ**﴾: نفس خاطئة، نفوسهم خاطئة أخطأت بالأزل حين أعرضت وانقطعت عن الله منبع الكمال وصاحب الإحسان وأخطؤوا كذلك بالدنيا، جمعوا ومنعوا وأجرموا، ناداهم الله عن طريق رسله لكن ما سمعوا وما غيَّروا، فجاؤوا ربهم مثلما كانوا، نفوسهم خاطئة حاملين فيها الخبث، فليس لهم إلا النار مشفاهم ومكاناً لإكرامهم لتخفيف آلامهم النفسية الجهنمية.

10- ﴿**فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ**﴾: أرسل الله لهم الرسل حتى يخرجوهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ويدخلوا جناته، فما أطاعوا، رفضوا الحق الذي ينطق على لسانهم وظلوا على خطئهم وكفرهم وعماهم ﴿**فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً**﴾: ظاهرة مكشوفة، من طرف رب العالمين رابية،فلقد أعطاهم كل طلباتهم، لم يبقَ لهم شهوة بنفوسهم، أمدَّهم بكل طلباتهم ومن ثم نقلهم من وضع مرعب كانوا فيه إلى وضع أخف حيث عذاب القبر وسعير النار يخفف عنهم ما هم فيه، ومكان لعلاجهم ولتحويلهم عما هم فيه، فالله لا يعذب هذا الإنسان كندٍّ وإنما لتطهيره رحمة به، كالذي فقد أولاده وأهله وزوجه بحادث، فإن ظل على ذكراه لهم يكاد يجنّ، فيرسل الله له وجعاً في ضرسه يحوِّله عن ألمه ومصابه الكبير وينسيه ما ألمَّ به من مصاب.

---

[5] سورة الروم – الآية:9.

سورة الحاقة: [11-20]

11- ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ**﴾: زمن سيدنا نوح عليه السلام ﴿**حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾: بسفينة نوح عليه السلام، أي أنتم من ذرية من آمنوا معه، حيث حملنا يومها المؤمنين وأغرقنا الكافرين، وكان عدد المؤمنين /17/ مؤمناً. كانت البشرية بأصلابهم ومنهم تم نسل البشرية.

12- ﴿**لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً**﴾: المؤمن يتذكر لأن معه نور من الله، وبهذا النور يرى ويتذكر، غير المؤمن لا نور لـه فكيف يـرى ويتذكر. والله بهذه الآية يخاطبنا ويقول لنا أنتم لا تكونوا مثلهم واعتبروا بالأقوام الماضية وما جرى لهم، إن سلكتم مسلكهم وعصيتم رسولي صرتم إلى ما صاروا إليه وجاءكم الهلاك ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾: الأذن الواعية هي النفس ذاتها عندما تؤمن وترتبط برسولها، عندها تعي النور والكمالات الإلٓهية. كيف آمنت؟

هذا الإنسان سمع كلام الحق، ففكر بالموت حتى تيقنت نفسه من فراق الدنيا، فخاف واستقام على طاعة الله، توقف عن كل ما لا يرضي الله، وبهذه الاستقامة كسبت نفسه ثقة أن الله راضٍ عنها، فكر بالكون بعد خشيته من الموت فشاهد الوجود الإلٓهي من خلال آيات الكون، شهد لا إلٓه إلا الله وصار يعمل لآخرته ويكتسب الكمال بنفسه بالصلاة، وصار يحب الكاملين وسيدهم رسول الله ﷺ، وبهذه المحبة صارت الرابطة النفسية معه وصار يشاهد بمشاهدة الرسول ﷺ. آمن واعرف رسولك تعيها، النفس مع الرسول تسمع وتشاهد وترى الحقائق وتختزن الكمالات، كل الذين صاحبوا رسول الله ﷺ صاروا سماعين ومشاهدين بمعيته.

13- ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾: ينفخ الله الروح في الجسد يوم القيـامة، وهـذه النفخة لكـل الخـلائـق إنسها وجنهـا. وكـل ما خـلق والكـل بكلمة كن يقوم، فلكل إنسان ترابه، والله يجمع ذرات هذا الجسد والنفس تحيط به ولها الوعي والشهود، لكن هذا الجسد لا يتحرك حتى ينفخ الله فيه الروح بعدها، وبعد نفخ الروح بلمح البصر يخرج الجسد، عكس الدنيا القانون فيها /9/ أشهر.

14- ﴿**وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ**﴾: بالدنيا رب العالمين حامل الأرض بما فيها والجبال بهذا الترتيب المنظم، وجاعل لها قوانين وأنظمة تدور وتسير، وجعل لها الجبال كي تثبتها فلا تنساح ولا تضطرب بسيرها ودورانها، وكل هذا حتى يفكر الإنسان ويصل لربه ويؤمن به ويشاهد عظمته وعلمه ورحمته، أما يوم القيامة فلا داعي لهذا كله، فيحملهم من هذا الوضع الذي كانوا فيه في الدنيا إلى وضع ثانٍ ﴿**فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**﴾: فتدخل أجسادهم بنفوسهم، أي: يحملهم ويدكُّ أجسادهم ويدخلها بنفوسهم ويحملهم من وظيفتهم إلى النعيم، حيث انتهى عملهم ولا رجعة لهم أبداً، ويرجعون نفوساً، كما في الآية: {**..كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ..**}[6]: تعود كما كانت في الخلق الأول أنفساً إذ لم تعُدْ للأجساد وظيفة. نفسك أيضاً ستلبس جسدك، وجسدك يصبح محاطاً بها، فلا عمل له ولا فناء، إقبال متواصل على الله.

15- ﴿**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾: واقعة على كل الناس، الواقعة النهائية والتي فيها الفصل والكشف، فكل إنسان ينكشف لنفسه وللخلائق، الأتقياء انكشفوا والأشقياء انكشفوا وانفصلوا، فأهل الجنة للجنة،

---

[6] سورة الأنبياء – الآية:104.

وأهل النار للنار، فلا شفاعات يومها ولا كسب، فالمدرسة أغلقت وانتهت، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**[7].

16- ﴿**وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ**﴾: تخلَّت عن وظيفتها، انشقت عنها ﴿**فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**﴾: لا أثر لها، ضعيفة التماسك.

في الدنيا جعل الله الحياة والمياه والأنوار عن طريق السموات، أما يوم القيامة فإن السماء تنشق عن هذه الوظيفة ولا يبقى لها أثر، ترجع نفساً واهية كالهواء لا جرم لها ولا حول ولا قوة، ذهب عنها كل ما فيها، ألا يجب أن يفكر الإنسان ويتساءل أن هذه السماء المحيطة بالأرض نفس واهية كالهواء، وما هذه العظمة والوسعة والعطاء إلا أثر من آثار هذا الخالق العظيم الذي ألبسها هذه العظمة والوسعة، ومن ثم بالآخرة تخلعها، فما أعظمه سبحانه وتعالى؟!

إن الذي أعرض عن ربه وما آمن به، معتمدٌ على السماء وعلى ما يمدها الله به من حياة وأنوار، غداً تنشق هذه السماء عن وظيفتها وتتخلى عنها، فماذا يفعل هذا الإنسان المعرض بنفسه، ومن أين يأتي بالحياة والنور؟! لذلك من كان في هذه أعمى (أي بالدنيا) لم يسعَ ليحصل على نور وحياة من ربه، فهو في الآخرة أعمى لا نور له ولا حياة، بل بالشقاء والآلام والحرمان، فما أصعبها من حالة!

17- ﴿**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا**﴾: أي إن الإنسان علاوة على أن الله شهيد على عمله وهو شهيد على نفسه، توجد ملائكة تشهد عليه، فوظيفة الملائكة بالآخرة إرجاع أعمال هذا الإنسان وتكرارها أمامه ليشاهدها، فهي قد سجلتها وصورتها بالدنيا **{..تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ..}**[8]، **{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}**[9]، **{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}**[10].

﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ**﴾: يا محمد ﴿**فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾: بالدنيا رب العالمين متجلٍ على الكائنات كلها بالحركة والقيام والحياة، فجاء هذا الكون على هذا الشكل وهو محمول به تعالى ضمن قوانين، فالله قوته محوَّلة كلها للخير، أما يوم القيامة وحيث انتهت المدرسة وذهبت السماء والأرض والجبال، يذهب هذا الكون الذي كان الله متجلٍ عليه وعن طريقه الإمداد بالطعام والشراب فلا حاجة لنا به، ويبقى التجلي الإلّهي عن طريق الثمانية، وهم أثمن وأغلى وأجمل ما خلق الله، وهم السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين أصحاب الكتب الأربعة والصحف. فكل من أحبهم أخذ من معينهم الذي لا ينضب، فكل العطاءات جعلها الله عن طريقهم.

18- ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ**﴾: أمام الخلائق كلها إنسها وجنّها والملائكة حتى الذرات في الكون وذرات جسدك ﴿**لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**﴾: سوف تنكشف أيها الإنسان أمام كل ما خلق الله، ويظهر كل شيء كنت تخفيه وكل عمل قمت به بهذه الحياة، والخلائق كلها سوف تشهد عليك، فكم سيكون هذا الموقف صعباً على المجرمين عندما تحل بهم الفضيحة ويلبسهم العار والخزي؟! أما على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم لا يرون في هذا اليوم إلا الخير.

---

[7] سورة البقرة – الآية:254.

[8] سورة فصلت – الآية:30–31.

[9] سورة الأنبياء – الآية:103.

[10] سورة الانفطار – الآية:10–12.

19- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: ليس المراد هنا بأخذ الكتاب أخذه باليد اليمنى، فالكتاب هو ما كتب على الإنسان أي ما حفظ عليه من أعمال قدمتها يداه في الحياة الدنيا. فما من عمل يعمله هذا الإنسان صغيراً كان أم كبيراً إلا ويكتب على صفحات نفسه، وكل شيء مسطور فيها، وإنك أيها الإنسان لتستطيع الآن وببرهة وجيزة أن تمر بخاطرك على صفحات حياتك وما قدمت فيها من أعمال، والمقصود بيمينه هنا أي من اليمن وهو الخير الكثير. ويكون المعنى هنا أن هذا الإنسان قدَّم في دنياه من الأعمال الصالحة الشيء الكثير، وهذه الأعمال مكتوبة على صفحات نفسه، وإنه يتيمن منها الخير الكثير والجنات والعطاءات من ربه جزاءً عليها، وستعود عليه باليمن والبركة والخير ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾: خطاب للجميع، لجميع الخلائق، فالناجح يتمنى أن يرى كل الناس جلاءه، وهذا الإنسان نجح ويخاطب آله وأحبابه بالإيمان من فرحه قائلاً: انظروا كتابيهْ، انظروا ما قدمت من أعمال عالية وما سأنال عليها من الله وما نلته، خذوا من هذا التجلي الإلٓهي الذي ينصبُّ عليّ والذي أؤم له.

20- ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾: كنت أعلم بالدنيا أني سألاقي هذا اليوم لذلك أعددت له. كيف استعدَّ له؟ آمن بالآخرة، فكَّر بالموت وبمصيره، عندها خافت نفسه فسرت للآخرة وشاهدت اليوم الآخر، فالعقل أن تصل للشيء قبل أن تصل إليه، أي: أن تشاهد الحفرة قبل أن تصل لها وتقع فيها، وهؤلاء في الدنيا سرت نفوسهم إلى الآخرة وشاهدوها. وصاروا يعملون لها، فيعملون الخيرات ويتجنبون الشرور والآثام. ﴿إنني ظننت﴾: كيف ظن هذا الإنسان: بالأول ظن بالله وأهله خيراً. شاهد الرسول أو أهل الإرشاد، رأى كمالهم ورحمتهم ولطفهم فأحبهم فصارت له بالصلاة أحوال ومشاعر وبوارق، وأصبح يشعر بسعادة وطعوم غير موجودة بهذه الدنيا، استمر عليها حتى وصل للشهود واليقين.

سورة الحاقة: [21-30]

21- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: راضٍ عن ربه بما يغمره به من جنات ونعيم وسعادة، فهو بالبسط والسرور ويرى هذا العطاء شيئاً عظيماً من الله. كذلك يرى أن الله راضٍ عنه بما قدم من أعمال، هذا حال الإنسان المؤمن بالآخرة.

الدنيا فيها الآلام والأمراض والأحقاد، أما في الآخرة فلا يوجد إلا السعادة، فلا شيء ينغص هذا الإنسان، ودائماً هو بسعادة وازدياد.

22- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: الجنة مشاهدة وجه الله الكريم، وهؤلاء المؤمنون بجنة عالية، أي: شهود عالٍ لجمال وكمال رب العالمين، لأنهم بصحبة رسول الله ﷺ السراج المنير، فهم في الجنة لا يتخلون عنها، فهم من الدنيا كانوا متمسكين برسول الله ﷺ العروة الوثقى التي لا انفصام لها، وبالآخرة لا يتخلون عنه.

23- ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾: قريبة سهلة التناول ولذائذها مضاعفة.

النفس بالدنيا مرتبطة بالجسم، مهما كانت الأطعمة لذيذة فإن للجسم حدود يقف عندها ولا يستطيع أن يستوعب أكثر من طاقته وحدوده، وبذا تقف لذة النفس عند هذا الحد، أما في الآخرة فالنفس تتجرد عن جسدها وتبدو طاقاتها غير محدودة. لذلك دائماً هذه النفس تتنقل من حال لحال أعلى، ومن جنة لجنة أعلى، والنفس تقطف من البسط والسرور والسعادة والعطاءات واللذائذ التي يهبها الله لها ما تشاء وتطلب، ففي الآخرة كل شيء على طلبها "اطلب تعطَ" وهي على هذا الحال ودائمة فيه.

24- ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: فكما أن الجسم يأكل ويشرب ليعيش فالنفس تأكل وتشرب، وهذا الأكل والشراب لا تجده إلا بالصلاة، فالصلاة مع رسول الله ﷺ فيها أكل نفسي وشراب **{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً، لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ..}**[11]. ففي الآخرة النفس دائماً مع الله بصلاة دائمية لا تبغي عنها حولاً، وهي تأكل مما يفيض الله عليها من عطاءات، وتشرب من معينه الذي لا ينضب. ﴿**هَنِيئًا**﴾: لا نغص ولا شقاء ولا أمراض ولا أسقام بل بالسعادة والهناء الدائم ﴿**بِمَا أَسْلَفْتُمْ**﴾: هؤلاء وصلوا لربهم سلفاً، وصلوا وهم في الدنيا وشاهدوا جماله وكماله وأسماءه الحسنى ونالوا الخيرات، صار لهم صلاة ﴿**فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾: كيف وصلوا؟ جعلوا لنفوسهم خلوات مع الله، لهم ساعات يجلسون فيها لوحدهم يفكرون بربهم ويطلبونه.

سعوا السعي الإيماني حتى وصلوا لربهم وصاروا يذكرونه بقلوبهم. كان حب الدنيا حجاباً بينهم وبين الله، ضحّوا بالدنيا وما فيها من ملاذ، فكروا بالموت حتى زال هذا الحجاب، فكروا بالكون بالشمس بالقمر فشاهدوا لا إله إلا الله، وأحبوا رسولهم وارتبطوا معه وصاروا بصلاة مع الله.

25- ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ**﴾: شاهد ما قام به من أعمال خبيثة ساقطة وحشية في دنياه، فهي محفوظة ومكتوبة ومسطرة في نفسه وعند الله والملائكة ﴿**فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ**﴾: يخجل من ظهورها وانكشافها ويتمنى أن لا يراها ولا يراها أحد من الخلائق، فحاله كحال الطالب الراسب لا يحب أن ينظر أحد لجلائه ولا يحب هو أيضاً أن ينظر إليه. السبب: لأن النفس بالآخرة ترجع لفطرة الكمال التي فطرها الله عليها وترى كل ما عملت وترى بشاعته، فتندم على ما قدمت وفرَّطت.

26- ﴿**وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ**﴾: يرى الإنسان بالآخرة كل شيء بالتفصيل، ويرى حسابه بالمثاقيل، وتنكشف له العلاجات، فالعار والخزي والنار والبؤس والشقاء مثواه، ويرى أن كل هذا منه وبما قدمت يداه، وأن الله يكره له هذا الحال ويمقته ولا يريد هذا الشيء لهذا الإنسان.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ}[12].

27- ﴿**يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ**﴾: يتمنى الموت ولا يجده.

28- ﴿**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ**﴾: كل ما جمعته في الدنيا من مال وغيره ما نفعني، يقول: ﴿**ماليه**﴾: "مالي" ما النافية. أي ليس لي، والهاء هنا عائدة إلى الله أي لله. كنت بالدنيا أشاهد الأغنياء كيف تركوا أموالهم عند الموت إذن فهي ليست لهم فلم أعتبر، وجمعت ما جمعت وهو ليس لي وتركته ولم ينفعني.

فكل ما يجمع الإنسان في دنياه عند الموت يتركه ويذهب لوحده فهو ليس له.

29- ﴿**هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾: لقد عُمي تفكيري فلم أستخدمه في التوصل إلى الله. الله سبحانه وتعالى سمّى الفكر سلطاناً، لأن الإنسان بالتفكير يستطيع أن يسيطر على ما حوله من الأشياء والكائنات، وإذا ذهب تفكيره فلا سيطرة له على شيء. فالله خوَّل هذا الإنسان بهذه الدنيا كل شيء وجعل له السيطرة على ما حوله بهذا التفكير، وكل هذا ليكسب الإنسان الأعمال الصالحة العالية ويذهب لربه بالهدايا ونفسه واثقة من عملها وحالها ويقول: أكرمتُ يا ربي فلاناً، وهديتُ إليك يا عظيم فلاناً، وأنقذتُ فلاناً من عبادك. وبهذه الأعمال يقبل عليه تعالى ويدخل الجنة، لكن هذا الإنسان بدل أن يقدم

---

[11] سورة الجن – الآية:16–17.

[12] سورة غافر – الآية:10.

أعمال الخير على العكس ذبح فلاناً، وسرق ونهب، وحرم وأضل نفسه وغيره، وفي الآخرة يندم على ما قدَّم، ويرى أن الله أعطاه تفكيراً وخوَّله هذه الدنيا وجعل له السيطرة على ما حوله من زوجة وأولاد وعباد وشجر وحيوان لكنه لم يستخدم تفكيره لعمل الخير، والآن ذهب عنه سلطانه، ولم يبقَ له سيطرة على شيء بعد الموت.

30- ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ**﴾: المتكلم هنا رب العالمين، من رحمته بهذا العاصي يقول لملائكته خذوه كفاه آلاماً وحسرات، أروه أعماله كي يلتهي بها ويتحول عن آلامه الرهيبة.

سورة الحاقة: [31-40]

31- ﴿**ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ**﴾: حالته صعبة ونفسه من الألم والندم والحسرة والعار صارت مثل الجحيم نار فيها، لذلك يأمر الله ملائكته الكرام أن يأخذوا هذا الإنسان إلى ناره الموقدة، حتى ينسى ويذهب عنه ما حلَّ به من نيران جهنمية لا تطاق.

32- ﴿**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**﴾: عذبوه عذاباً متدرجاً بالشدة، فلهذا العاصي علاجات عديدة سلسلة من العذاب، كل هذا ليتسبّع أي ليطهر، يقال سبّع يديك وسبع ملابسك أي طهرها، فكل ما يصيب الإنسان بالآخرة لكي تطهر نفسه ويدخل الجنة إن كانت له أعمال، فالله كله رحمة بهذا الإنسان.

33- ﴿**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ**﴾: لم يكن يؤمن ولا يصدق بأن الله هو المسير للكون، لأنه ما فكر، فما شاهد عظمة الله من خلال تسييره لهذا الكون، لو فكر لشاهد عظمة وتسيير هذا الإله ولشاهد الرحمة والعلم والعدل وما نسب الفعل لغيره تعالى وقال فلان ظلمني، فلان يعزُّ ويرفع، فلان يرزق، والطبيب شفاني، مع أن عمله عاد عليه ولم يظلمه أحد. والذي يعزُّ ويرفع هو الله، وهو سبحانه الرزاق هو الذي ينزل الأمطار ويخرج الشجر والنبات ويضع ما يضع فيه من طعوم وحيويّات، وهو سبحانه الذي أوجد وحرَّك ويحرك الشمس لينبت الزرع، وهو الذي يشفي من الأمراض لا الطبيب. {**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**}[13]. لو آمن ما أذى نملة ولا أي مخلوق.

34- ﴿**وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾: لا يعمل أعمال خير، ما أنفق رغم ما عنده من مال، كان يخاف الفقر لأنه ما شاهد أن ربه هو الرزاق.

35- ﴿**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ**﴾: يوم القيامة ﴿**هَاهُنَا حَمِيمٌ**﴾: صديق يحبه ما كان له محب بالدنيا، لأنه ما عمل طيّباً، ما أحب خلق الله بل أحب حاله، لذلك ففي الآخرة ليس له محب.

36- ﴿**وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ**﴾: طعام قذر. أكله أدوية مرة ليغسل ما به، وتسكن آلامه وأوجاعه.

37- ﴿**لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ**﴾: فقط الخاطئون يأكلون منه وهم الذين أخطؤوا الطريق بالدنيا وظنوها كل شيء، وبذلك نسوا الآخرة، فما عملوا صالحاً، ما عملوا إلا لدنياهم، ما فكروا وما صدَّقوا من دلَّهم، صمموا على رأيهم الخاطئ "حبهم للدنيا".

38- ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ**﴾: بهذا الكون لأن ذلك من خَلْقي ولو أنه عظيم جداً، ولكن لا أقسم به.

---

[13] سورة الشعراء – الآية:79–80.

39- ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: ما لا ترون عما خفي عنكم من العوالم كالجن والملائكة والذرة وما فيها، وعوالم أخرى كثيرة لا يراها الإنسان.

فيا أيها الإنسان الذي أهَّلك الله لمقامٍ عالٍ وسامٍ، الذي خلق هذا الكون العظيم يقول لك: أنا لا أقسم به، فلا تعلِّق قلبك به وبما فيه، لا يشغلك عما خُلِقتَ من أجله لتتعرف علي وتكسب الصالحات، هذا الكون خلقه لك كي تؤمن به وتصل إليه سبحانه وتعالى. ولكن ما هو الشيء العظيم عند الله والذي يريد لك أن تنال منه أيها الإنسان.

40- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: هذه الآية شهادة من الله على رسوله بالكمال والعصمة والنقاء، رسول كريم لا شائبة فيه. هذا القرآن، هذا البيان الذي يقوله الرسول هو الشيء العظيم الذي يفيدك يا إنسان، والباقي كله خسارة وحُجب، أما هذا الرسول حامل العرش "التجليات الإلّهية" والجنات والنور وهو ينقلكم بكلامي إلي من جنة لجنة. الله يقول بهذه الآية: إذا أطعتم رسولي الكامل وطبقتم ما يأمركم به وصلتم إلى الجنات وإلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فكل نتاجك وعطائك، جنانك وسعادتك يا إنسان عن هذا الطريق، عن طريق رسول الله ﷺ به تسمو وتعلو أيها الإنسان فلا تتركه وتذهب لغيره، فكل ما في الكون أنا لا أقسم به ولا يفيدك عند الموت، ستترك الكل، المال والبنين والزوج والأهل والخلان، غير كلام الله لا تسمع، كلام الله ودلالته المنزلة على رسوله فيها السلامة والنجاة والسعادة دنيا وآخرة، وغير كلام الله ورسوله ﷺ فيه الخسارة والشقاء، خسارة الدارين.

سورة الحاقة: [41-50]

41- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾: الشاعر كلامه منظوم عذب، فكل ما يفعله أنه يترجم أحاسيسه ومشاعره بأسلوب لفظي جميل يأخذ بألباب المعرضين الذين هم عن ربهم ساهون فالشاعر يلعب بأحاسيس الناس ومشاعرهم بكلامه وأسلوبه وخياله، فكل ما يقوله خيال بخيال، أما كلام رسول الله ﷺ فكله حقائق نورانية توصلك للحق رب العالمين. والحقيقة فكلامه ﷺ فيه الجنات والأنوار والتجليات القدسية للبشر أجمعين. فالعبرة للحقيقة والمعنى وليس للمبنى فقط، فلو كان بالصندوق كنز فالغاية والعبرة للكنز وليس للصندوق مهما كان جميلاً. الرسول ما تكلم شعراً بل تكلم كلام الله، أتى بمعانٍ أذهلت عقول المفكرين، فتكلم عن معنى الصلاة، والحج وما الغاية منه والفائدة التي ينالها الإنسان، تكلم عن طريق الإيمان وكيف يصل به الإنسان إلى ربه وينال الجنان ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾: فقط باللسان تقول أشهد أن لا إلّه إلا الله دون أن تشهدها، إن لم يؤمن الإنسان فلن يفقه ولن يشاهد كلام رسول الله ﷺ. فعلى الإنسان أن يسعى ليوصل نفسه إلى الله ويرى أن المتكلم على لسان رسول الله هو الله سبحانه، فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى، وهو وحيٌّ يوحى.

42- ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾: الكاهن كلامه من الشياطين، يتكلم بكلمات لا معنى لها ولا تُفهم، يتكهن بما تمليه عليه الشياطين وكله جدل وكذب. أما رسول الله ﷺ فكلامه من الله مباشرة وهو واضح بيّن حق، تكلم عن خروج بيت المقدس، وعن تطاول البنيان، وخروج النساء كاسيات عاريات، تكلم عن الفتوحات، قال للصحابة: ستفتح عليكم المدائن، الشام، العراق، وقد حدث هذا كله، تكلم عن انتصار الروم وعن فتح مكة **{غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ}**[14]: بفتح مكة.

---

[14] سورة الروم – الآية:2–4.

﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾: المؤمن مع رسول الله ﷺ يتذكر كل شيء. يتذكر الأزل وكيف عاهد ربـه أن يـأتي للـدنيا ولا ينقطع عنه ويعمل صالحاً، يتذكر الآخرة ويشاهدها بقلبه، فيرى الجنة ونعيمها والنار وعذابها. يرى ويشاهد الماضي والحاضر والمستقبل، فالله بيده الزمان والمكان.

43- **﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**: هذا البيان، هذا القرآن، هو كلام رب العالمين، أنزله على رسوله من أجلكم، من أجل أن ترقوا وتسموا وتسعدوا وتدخلوا الجنات، وهو للعالمين قاطبة من آدم عليه السلام إلى آخر الدوران. بالأول صحف غدت كتاب القرآن.

44- **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾**: كما ادعيتم ونسبتم له ﷺ، حيث أخذتم كلام الشياطين ونسبتموه له. لو تقوَّل، لكنه لم يتقوَّل ﷺ، يقولون مصادر التشريع أربعة، والحقيقة المشرع هو الله. الرسول ما تكلم بشيء من عنده، وكل ما تكلم به من القرآن وبوحي من الله. ولو كان كلامكم صحيحاً أنه تقوَّل علينا:

45- **﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾**: أخذنا الكمال الذي أعطيناه إياه ولحبطت أعماله فلا يجزى بها يوم القيامة، ولما استطاع وقام بما قام به من أعمال.

46- **﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾**: حجبنا عنه هذا الإمداد الإلٓهي التجلي العظيم الذي ينزل عليه، ولذهب علمه، لكنه لم يتقول ﷺ بشيء من عنده وما حدث هذا. وكل ما تكلم به جاء به عن ربه. **{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}**[15].

47- **﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾**: حاشاه ﷺ أن يعمل هذا لذلك لن نمكن لأحد منكم أن يحجز عنه هذا الشيء. فهذه الأنوار والتجليات وهذا العلم العظيم سوف يسري بالعالم وينتشر ولا يبقى غيره ليوم القيامة، وسيؤمن به أهل الأرض، كذلك كل من طلبه ﷺ وصدق بطلبه فالله لا يحجز رسوله ولا كلامه عنه، لذلك لم يستطع أحد أن يقف بوجه رسول الله ﷺ لا في مكة ولا في المدينة ولا في الجزيرة العربية، بل سرت دلالته حتى شملت العالم تقريباً.

48- **﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾**: طالب التقوى يستفيد منه، طالب التقوى أي الذي طلب الحق، طلب صحبة رسول الله ﷺ بنفسه وعمل لهذا الطلب. يتذكر لماذا جاء للدنيا ويتذكر الجنات ويرجع لها.

وحتى تستطيع أن تصاحب رسول الله ﷺ لابدّ لك من الإيمان. إن آمن الإنسان صاحب رسول الله ﷺ وبمعيته وبنوره يرى نور الله وتجليه، ويرى عظمة الله وأسماءه الحسنى، فيتذكر الأزل والآخرة.

49- **﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾**: سائرون معه ﷺ ولهم غايات وناكرون له ولرسالته. كلكم معلومون عند الله، والرسول مطلع على هذا الشيء ويعرفهم، لكن من رحمته وحنانه بهم لا يتكلم عنهم ولا يفضحهم، لكن متى اقتضت الحكمة والمصلحة كشْفهم يكشفهم.

50- **﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ﴾**: إذا لم يرجعوا للحق فسيتحسرون غداً لأنه جاءهم الحق وجاءتهم الخيرات والجنات وضيَّعوا **﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**: الكافر سوف يتحسر ويحزن ويندم على ما فرط وضيَّع.

سورة الحاقة: [51-52]

[15] سورة النجم – الآية:5.

51- **﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾**: بهذه الدلالة، وهذا البيان تصل لليقين لا بغيره لأنه كلام حق، كلام الإله العظيم، فتتفتح عين القلب وترى وتشاهد الحقائق. والباقي كله سراب.

52- **﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾**: عندما يؤمنون يلتفتون إليك بالمحبة والتقدير سبِّح نفوسهم بالصلاة سبِّحهم بالرحمة والعظمة والعطف والعلم، سبِّح الخلائق بالجنات، عرِّفهم بأسمائي وأدخلهم عليّ. أسعدهم فأنا خلقتهم لهذا الشيء لترجعهم للسعادة، وهذه الآية بشارة من حضرة الله لرسوله ﷺ أن دلالته سوف تعم العالم وسيؤمن به أهل الأرض.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المعارج: [01-10]

1- ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾: السائل من الكفار.

2- ﴿**لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ**﴾: قال: إذا كان الله رحيماً فلماذا خلق النار؟ ولماذا يحرق بها هذا الإنسان الضعيف؟ أين الرحمة والعدالة؟ إنسانٌ جاء للدنيا وأخطأ.. عاش خمسين سنة لِيعذبْه الله خمسين سنة وبعدها يخرجه من النار. وغيره اجتهد وخرج بنتيجة: أن الله لا يحرق أحداً، وإنما يمثل للإنسان عمله السيئ ويحرقه، وضرب على ذلك مثالاً: الأمُّ مهما فعل ابنها لا تحرقه، وإذا رأته بالنار تقول: أخرجوه، فالله أرحمُ وأحنُّ من هذه الأم على مخلوقاته، فلا يعقل أن يحرق هذا الإنسان بالنار، وإنما يحرق عمله.

النصارى قالوا: إن سيدنا آدم عليه السلام عصى ربه، فجاء الابن "ويقصدون فيه سيدنا عيسى عليه السلام" وضحَّى بحياته لتكفير خطيئة آدم وبهذا سيدخل كل النصارى الجنة فلا جزاء ولا عقاب على الأعمال.

أما اليهود فقد قالوا: نحن شعب الله المختار، اختارنا الله وفضّلنا على كل بني البشر، ولن تمسَّنا النار إلا أياماً معدودة أربعين يوماً، بعدها كل اليهود إلى الجنة.

والمسلمون يقولون: أن محمداً ﷺ غداً سيشفع لنا من النار ويدخلنا الجنة، ونسبوا إليه ﷺ حديث (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[1] وبهذا نفوا الحساب والعذاب والنار وقالوا عن الله: (سبقت رحمتي غضبي)[2].

وهكذا... لو اجتمعت بأي فئة من هذه الفئات لوجدتهم يعتقدون أنهم كلَّهم إلى الجنة رغم ما يفعلون من معاصٍ ويقترفون من جرائم وفواحش!! وبالقرآن فالله يقول: {**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً**}[3].

قالوا ما قالوا لأنهم ما فهموا الحكمة من النار والعذاب، ما عرفوا أنَّ هذه النار رحمةٌ من الله تعالى لهذا الإنسان الذي أعرض عن ربه، وأن ألمها أخفُّ عليه من آلامه النفسيَّة بعشرات المرات، وأن الكفار بالآخرة يشتهون النار وينزلون بها ويفتنون بألمها لأنها تخلصهم من آلامهم النفسية التي لا تطاق، فالله سبحانه وتعالى وصف حال هؤلاء الكفرة كيف يُفْتَنونَ بالنار قائلاً:

﴿**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾[4]. فالكافرون يفتنون بالنار فتوناً لشدة ما يقاسونه من آلام نفسية، كما يُفتن المريض بالأدوية والمسكنات والعلاجات الصعبة والعمليات الجراحية التي تسكِّن له آلامه لما يأمل فيها من تسكين لآلامه المرضية الكبرى.

---

[1] رواه الترمذي والبيهقي وأحمد وأبو داود

[2] مسند الإمام أحمدج2 رقم/7257/.

[3] سورة النساء – الآية:123.

[4] سورة الذاريات – الآية:13.

3- ﴿**مِنَ اللَّهِ**﴾: قالوا: الله كله رحمة وحنان والكل للجنة. ﴿**ذِي الْمَعَارِجِ**﴾: الله بعيد فوق السماء السابعة، والحقيقة أنه ليس بينك وبين الله أية مسافة بل هو قريب منك ملاحق لك، ليرحمك.

4- ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾: ادَّعوا أن الله سبحانه وتعالى فوق السماء السابعة وهو جالس فوق كرسي وعرش تحمله الملائكة مع أن الآية الكريمة تقول: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[5]، كما يقولون أنه بين كل سماء وسماء مسيرة (خمسمائة سنة) والملائكة تعرج إليه فوق السماء السابعة، ولا تصل إليه إلا بعد هذه الألوف الطويلة من السنين، وبهذه الفترة تكون قد نُسِيَت الأحداث التي جرت من ثلاثمائة سنة لا شيء منها يُذكر فكيف بأحداث جرت من خمسين ألف سنة؟! ألا تنساها الملائكة؟! ولا يَصِلُ لله شيء والله تعالى بهذه الآية ينفي زعمهم هذا فيقول: أيظنون أني بعيد عنهم هذا البعد فلا تصل الملائكة إليَّ إلا بعد هذا الزمن الطويل مع أن الأرواح كلها بيدي.

5- ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا**﴾: رسول الله ﷺ لرحمته وحنانه كان دائم التألم عليهم والله تعالى بهذه الآية يُصبّر رسوله ﷺ بقوله: اصبر على أقوالهم غير المنطقية وجهلهم وأعمالهم.

وظيفة الرسول دائمة لذلك قال له ربه {**فاصبر**} لأنَّه يحمل آلام وعلل الخلق كلِّهم، رحمته كبيرة وحنانه وعطفه كبير فإذا توجَّه ﷺ بنفسه الشريفة لأيِّ إنسان وهذا توجَّه بدوره والتفت إلى الرسول ﷺ طالباً الإله أو مقدِّراً كمال رسول الله ﷺ تنقلب سيئاته حسنات ويحصل له الشفاء، تماماً كما حصل لسحرة فرعون مع سيدنا موسى عليه السلام، فرحمته شملت الخلائق كلّها وهو دائم البكاء عليهم وعينه لا تفارقهم والله تعالى خاطبه: أنْ توجَّه لهم وأنا أتجلى عليك تجلِّياً قوياً جليلاً جميلاً.

6- ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا**﴾: ينظرون لله أنه بعيد، لذلك يرون يوم القيامة بعيداً ويفعلون كل شيء ويرتكبون المعاصي، إذ يرون الله بعيداً فوق السماء السابعة، والمسافة بعيدة، فما صدَّقوا بيوم الحساب والسؤال، لو صدَّقوا وآمنوا لما قالوا هذا القول، ولما كانت هذه أعمالهم، لم يروا أن الله قريبٌ وأنه معهم وأنَّ يده فوق الجميع يعطي ويمنع ويعزّ ويذلّ ضمن الحكمة والاستحقاق، لذلك تجدهم يلتجئون للناس، لكن هل الناس يستطيعون منع المرض عنهم أو منع الموت؟! هل يأتون بالمطر، بالليل والنهار، أو بالهواء؟!

7- ونحن "رسول الله وصحبه" ﴿**وَنَرَاهُ قَرِيبًا**﴾: من آمن حقاً يشاهد ربه ويرى أن يوم القيامة قريب، المؤمنون بمعية رسول الله ﷺ يرون هذا اليوم من الدنيا، لأنهم آمنوا بالله ووصلوا إليه والله أوصلهم وأشهدهم كلَّ شيء بمعية رسوله الكريم ونوره. المؤمن لا يخاف من الموت فالموت شهوته، لكنه يخاف من يوم القيامة، لأن فيه الحساب بالمثاقيل، وكلُّ إنسان يرى أعماله، وتراه الخلائق كلها {**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ**}[6].

"ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء وإن فتُّك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء"[7]

هؤلاء الكفرة متى يرون الحقيقة وأن الله قريب؟

---

[5] سورة الحديد – الآية:4.

[6] سورة الحاقة – الآية:18.

[7] الزبور، إحياء علوم الدين: الجزء الرابع، ص469 بلفظ: "من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا".

8- ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾: كالمهل: أي كالزيت المغلي هكذا حالهم، حال نفوسهم، ما طلبوا الله تعالى بل طلبوا الدنيا والسموَ والعلوَ بها وأصرُّوا، والله أعطاهم ما أرادوا وصمموا عليه ولم يريدوا إلا الحياة الدنيا، ففسدوا وأفسدوا غيرهم من الذين على شاكلتهم، ويوم القيامة سيرون ما قدّموا من أعمال فتحرقهم نار جهنم، نار الحسرة والندامة على ما قدموا وخسروا، فتصبح نفوسهم كالزيت المغلي، كذلك حال الرسول ﷺ على أصحابه يوم القيامة خوفاً عليهم ورحمة بهم من أن يدخلوا النار لذلك يستر عنهم أخطاءهم بإشهادهم أعمالهم الطيبة ويغمرهم بنوره فلا يعودون يرون أخطاءهم وبهذا يمهّلهم من دخولها فيتجاوزون هذه اللحظة الحرجة وهذا الموقف الرهيب ويدخلون الجنة.

9- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: فالجبال بعالَم الأزل (العالم الأول لخلق النفوس) هذه الجبال كانت نفوساً مجرّدة واهية لا حجم لها ولا كيان بل أرقُّ من الهواء وطلبت أن تكون جبالاً بهذه العظَمة مسخَّرة لخدمة الإنسان حامل الأمانة والتكليف فمنحها الله تعالى هذا الخلْق وهذه العظَمة، ويوم القيامة تتخلى عن عظَمتها وتعود نفساً مجردة لا حجم لها ولا كيان، وتعود عظمتها لصاحبها حضرة الله تعالى وتبقى عظمة الرسل والأنبياء بالآخرة، فهم جبال الآخرة للأبد. ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: وهؤلاء الجبال هم جبال الرحمة والحنان والنور، فساعة الحساب ساعة عظيمة لذلك يلجأ المؤمنون فيه إليهم لما فيها من هول فيجدون عندهم الأمان والاطمئنان ويرون النجاة بهم، فالرسل والنبيون عليهم السلام كلهم رحمة وحنان وهم يغمرون الخلق بهما. وبالآخرة تبدو حقائقهم العظمى جبالاً.

10- ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: سواء المؤمنون أو الكافرون، حيث كل إنسان مشغول بحاله ويريد نجاته، فهذا يوم النتيجة فلا أحد يسأل عن أحد، ولا محبٌّ يسأل عن محبوبه، وكلٌّ واحد يترقب ما هو مقبل عليه. المؤمنون بعظمة العطاء ينشدهون ولا يستطيعون أن يلتفتوا لأحد مهما كان حميماً لهم، والكافرون من عظمة الموقف وخزيهم وعارهم لا يلتفتون لأحد أيضاً.

سورة المعارج: [11-20]

11- ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾: الله يأذن بتَبصيرهم، الذين ما آمنوا فهم عميان لا نور لهم يرون به، لذلك تأتي الملائكة وتُبَصّرهم فيشاهدون أعمالهم وما جرّت لهم، ولكن كيف يبصرون وهم لا نور لهم بصيرتهم عمياء؟ هؤلاء بعالم الأزل كان لهم نور تخلوا عنه وتركوه، فالملائكة ترجع لهم نورهم الأزلي فيشاهدون أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وكل شيء يؤول إليه، فيندمون أنهم اتجهوا لغيره وخسروا خيره. ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾: الذين أجرموا بالدنيا، بما ارتكبوا من أعمال سيئة فلم يبقَ فيهم خير، ما كسبوا خيراً، ما ساروا بالحق كل أعمالهم فساد وفواحش وخمور وزنى. بهذا الوقت يتمنى: ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾: يوم الحساب، يوم العار والنار والعذاب، يوم الذل أمام رب العالمين والرسل والخلائق أجمعين بما أتوا من أعمال مُخجلة، لذا جاءت كلمة {يَوْمِئِذٍ} بالخفض، مكسورة فهؤلاء رُشحوا لمقام عالٍ عظيم فضيَّعوه وخسروه وصاروا أخفضَ وأذلَّ الخلائق، وإنّه ليتمنى أن يفديَ نفسه من هذا العذاب: ﴿بِبَنِيهِ﴾: بأغلى شيء عنده، بأولاده وهم أقرب شيء إليه فكم يحب الأب ابنه! وكم يرحم الأب ابنه! فيوم الحساب يتمنى لو يفدي نفسه بأولاده لما يجد من أهوال وفزع وعذاب.

12- ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾: وزوجته. ﴿وَأَخِيهِ﴾: يتمنى.

13- ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾: أصحابه وعشيرته الذين كان معهم بالدنيا، يأوي إليهم ويطمئن بهم.

14- ﴿**وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾: بالدنيا كلها وما فيها. ﴿**ثُمَّ يُنْجِيهِ**﴾: من هول هذا اليوم ويخلصه من هذا الموقف الرهيب! لكن لا أحد ينْجيه لأن الألم المزمن ينبعث منه، ويضطره للمداواة، كالمريض حينما يسعفونه فهل يتقدم عزيز عليه، ويحول دون إسعافه ومعالجته؟!

15- ﴿**كَلَّا**﴾: هل هذا الإنسان متروك؟ لا ليس بكلٍّ علينا لم نتركه حضّرنا له العلاج المناسب لحالته الصعبة، مشفى فيها عناية مشددة وخاصة. الله سبحانه وتعالى يقول بهذه الآية: إنَّ هذا الإنسان الذي أعرض، وبإعراضه أمرض نفسه، أنا رَبُّه رحيم به لا أتركه، ولابُدَّ من علاجه، وكل هذا لعلاجه حتى يشفى ويدخلَ الجنة. ﴿**كَلَّا**﴾: أي إنَّ هذا الإنسان ليس كلاً على الله تعالى والله لا يكلُّ منه ولا يتركه، فكما كان الله تعالى بالدنيا يرعاه رغم إعراضه، كذلك بهذا الموقف لابدّ من علاجه وإكرامه، لذلك حضَّرنا له العلاج المناسب حتى تطهر نفسه من أمراضها ويدخل الجنة، ولكن كيف يكرمه الله؟ وبماذا وكيف يعالجه؟ ﴿**إِنَّهَا لَظَى**﴾: نار الله الموقدة وهي أخفُّ بسبعين مرة من نار الحسرة والندامة والعار التي بنفسه، أي من نار جهنم التي تحرقه حرقاً، فالله سبحانه وتعالى أعدَّ له ناراً، نار الله الموقدة لتحوله عما هو فيه من آلام وحسرة وندامة لا تطاق.

16- ﴿**نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾: الألم الذي يشوي نفسه. هذه النار التي أعدها الله تعالى لهذا المعرض، تنزع من نفسه الألم الذي يشويها ويحرقها فتنسيه ما به وتحوّله عن آلامه وندامته وخسارته، كيف خسر حياته الحقيقية! وأذهب جناته! لذلك يرمي بنفسه إلى النار التي أعدها الله تعالى له، ليخفف بهذه النار ما به من آلام، فانظر أيها الإنسان إلى رحمة الله بهذا المعرض.

17- ﴿**تَدْعُوا**﴾: لظى تدعو. ﴿**مَنْ أَدْبَرَ**﴾: عن الله والحق وأهله، أدار ظهره لله. ﴿**وَتَوَلَّى**﴾: تولى دنياه ليصير له فيها مكانة. تولى غير أهل الله، لأنه شاهد الشهوات عندهم، أدبر عن ربه وتولى الشهوات، ترك ربه من أجل شهوة عارضة مؤقتة حتى صارت الدنيا أكبر همه، وبتركه لربه وإعراضه عنه صار قاسي القلب، فاقد الرحمة، لا يعمل خيراً، وبهذا وقع بالشقاء وحرم نفسه من سعادتها والجنة التي أعدها الله تعالى له.

18- ﴿**وَجَمَعَ**﴾: من الدنيا، جمع شيئاً تافهاً، جمع المال وكنزه بدل أن يجمع أعمالاً وجنات، جمع مالاً ولم يجمع علماً نافعاً ولا أعمالاً صالحة. ﴿**فَأَوْعَى**﴾: من هذا الذي جمعه، عقل الدنيا ولم يعقل الكمالات الإلّهية، تعلق بغير الله بالأموال والشهوات، فحجبته عن الله وأذهبت عنه جناته.

19- ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا**﴾: كل كلمة في اللغة مشتقة من حرفين فما زاد في المبنى زاد في المعنى، فكلمة هلوعاً مأخوذة من هلَّ ووعى. وهلَّ: أي قَدِمَ وظهر، ووعى: لم يكن يعرف شيئاً عن هذه الدنيا ولا يعي منها شيئاً وبدأت تنطبع فيه شيئاً فشيئاً كما قال تعالى: **{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**[8].

فالله تعالى خلق الإنسان على فطرة الكمال، نقي النفس طاهراً لا خبث فيه. نفسه خالية من كل شيء، صفّاه وطهّره وبعثه للدنيا "**كل مولود يولد على الفطرة..**"[9] حتى إذا بلغ السادسة عشرة فله الاختيار وبيده وجهته وتوجيه نفسه حيث أراد، فإمَّا أن يوجهها إلى الله تعالى بمصاحبته لأهل الحق الصادقين فتكتسب من كمالات ربه ويتخلق بها ويقدم صالح الأعمال، وإما أن يوجهها إلى الدنيا وشهواتها فتكتسب الصفات المنحطة من بخل وقسوة وشذوذ وانحراف مما يجعل هذا المعرض بالآخرة

---

[8] سورة النحل – الآية:78.

[9] مسند الإمام أحمد ج 2

يتطلبُ التطهير والتنظيف والعلاج بالنار والأهوال، فليس له أمل بالرجوع إلى ربه بالإكرام وقد عامله ربه بالدنيا وهداه وأكرمه وأعطاه ما أعطاه فلم يرجع، لذلك بالآخرة لا أمل لهذا المعرض بالرجوع بالإكرام. لأنك إذا أكرمت اللئيم تمرَّد ولابد له من النار، وهي مكان إكرامه. لا يتطلب المعرض دخول الجنة بل يطلب الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً حيث عَلِم ساعتها أن دخول الجنة بالعمل ولكن كلاَّ إنها كلمة هو قائلها فهو كاذب بدعواه.

وأيضاً كلمة ﴿**هَلُوعًا**﴾: تضمن الخوف لأن المرء يخلق ضعيفاً عاجزاً لا حول ولا قوة له وهو بحاجة إلى غيره، أي شيء يؤثر فيه، فيخاف ويلتجئ إلى أبويه لأنه لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولا أن يطعم نفسه لضعفه وعجزه فهو بحاجة إلى مُساعد ومعاون، وإن لم يكن هنا مساعد يمتلئ خوفاً من أي مشاهدة تخيفه، وهو كذلك ضعيف بحاجة إلى من يطعمه.

20- ﴿**إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا**﴾: الشر: هو الشهوة الخبيثة التي بنفسه، فإذا مسَّه ذلك الشرُّ وعاد عليه بالألم والشقاء والمصائب والشدائد يخاف ويجزع وكلمة ﴿**جَزُوعًا**﴾: أي جباناً خائفاً لأنه لا شجاع إلاَّ المؤمن الذي استقام على أوامر ربه وتجنب الشرور والأذى، ونتاج الإيمان الصلاة وبالصلاة يكتسب الخيرات وبسببها يفيض بالصالحات بما اكتسب في نفسه من كمال وكل إناء بما فيه ينضح، ويكون (الجزع): بسبب التمسك بالدنيا الدنية فإذا أصابه الضر بماله مثلاً فهو جزوع، وإذا حلَّ القتال فهو يخاف ويجزع ومن أبسط الأشياء يجزع، يجزع من الأصنام أي الأشخاص الذين كانوا نطفاً لا حول لهم ولا قوة، فهو يجزع لأنه يرى ألف فعَّال مع الله، ما رأى أن يد الله على كل الخلق، وهو سبحانه وتعالى الخالق المربي المسير، يقول فلان ضربني، وفلان ذلَّني وفلان يعطيني ويمنع عني، ولا يقول عملي السيئ عاد عليّ بهذا الشر.

سورة المعارج: [21-30]

21- ﴿**وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ**﴾: عندما يتفضل رب العالمين عليه ويرزقه. ﴿**مَنُوعًا**﴾: يمنع ذلك عن الناس ويبخل، لا يخرج منه خير لغيره، إذا أعطاه الله لا يعطي أحداً، يخاف الفقر، دائماً مع الشيطان يسمع منه، والشيطان يخوِّفُه مِنَ الفقر إذا أنفق، يقول له: لا تنفق فيذهب مالك، لا تذهب للجهاد فتموت، يأمره بالفحشاء والمنكر والبغي، يقول له: اشرب الخمر تنسى همومك ارتكب الفواحش تتلذذ، اجمعِ المال تُعزُّ. هذا فعل من لم يصلِّ.

22- ﴿**إِلَّا الْمُصَلِّينَ**﴾: قانون عام، المصلون لا يفعلون هذا، مستثنون، لأنهم بصلاتهم اشتقوا الكمال من الله فلا يفيضون إلا بالكمال الذي طُبع بنفوسهم، لا يخافون من شيء لأنهم رأوا الفعال هو الله وحده، ومستندون إليه سبحانه وتعالى.

23- ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾: دائماً مع الله سبحانه وتعالى، بين الصلاتين لا ينقطعون عنه سبحانه وتعالى، دائماً قلوبهم متصلة بالله عن طريق إمامهم رسول الله ﷺ، لأنهم عرفوا أنَّ التعلق بالإمام يوصل الإنسان لله، والإمام دائماً مع الله لا ينقطع عنه أبداً، والمرتبط به ﷺ بالتبعية يصبح مع الله لا ينقطع عنه فيصبح بصلاة دائمية بلا نهاية ولا انقطاع. وبهذا صار بأمان دائماً لأن الدنيا لم يبقَ لها قيمة بنفسه. فهؤلاء: {**..لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**}[10]: من سوء في الدنيا ولا من فقر ولا إهانة ولا في أي مجتمع وجدوا فيه لأنه لا استحقاق عليهم ولأنهم التجؤوا لجانب عظيم هو الله تعالى فكان معهم، ومن كان الله معه فمن ضده، والله معهم لأنه بيده مقاليد الجميع فلا

---

[10] سورة يونس – الآية:62.

يسلِّط عليهم أحداً ولا سلطان لأحد عليهم، قال تعالى: **{مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً}**[11]. أيضاً: **{..لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ..}**: من الموت بل يفرحون بقدومه والموت تحفة المؤمن. **{..وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}**: على الدنيا. إذا فارقوها لأنهم كسبوا خيراً منها، كسبوا الجنات والنعيم المقيم.

ما صفة من صار لهم صلة مع الله؟:

24- **﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾**: فالمصلُّون يدفعون زكاة أموالهم وصدقاتهم بأصول ونظام، لا يعطي الفقير أموالاً كثيرة ولا يحرمه بل يعطيه ما يكفيه، يُخصِّصون صدقةً شهرية ثابتة ومعيَّنة يدفعونها له كلَّ شهر على قدره.

25- **﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾**: لأصحاب الحاجة المستحقين.

26- **﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾**: فكروا بالموت ونهايتهم فأيقنوا بالآخرة، صدَّقوا لأنهم شاهدوا، بزياراتهم للمقابر وتفكيرهم بالموت أصبحت نفوسهم تشاهد الآخرة، آمنوا بيوم الدين وهذا أول إيمان وبعدها يأتي الإيمان عن طريق الكون.

27- **﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ﴾**: يخافون من يوم القيامة لأن الحساب بالمثاقيل، والإنسان محاسب وسيشاهد كل عمل قدَّمه بحياته صغيراً كان أم كبيراً، خيراً كان أو شراً.

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[12]. يعلمون رحمة الله وعدله، وأن كلَّ إنسان يخرج عن الحدِّ ينال قصاصه من العذاب، مهما علا الإنسان إن خرج عن الحد فعلى ذلك قصاص، ولو أنَّ سيدنا محمداً ﷺ "وحاشاه" وطأ نملة بقصد لقاصصه الله عليها.

﴿مُشْفِقُونَ﴾: على أنفسهم، يخافون أن يخطئوا لأنهم رأوا الله عظيماً ورحيماً وعادلاً فكيف يخالفونه، ومشفقون على الخلق من يوم الحساب لأنهم مشاهدون نتائجهم.

28- **﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾**: دائماً خائفون من التقصير والخطأ، لا يثقون بنفوسهم خائفون منها، لا يمشون إلا بتفكيرهم، خوفاً من الذل والفضيحة والعار والعذاب يوم الحساب، إذ يعلمون أنهم إن أخطأوا فالله عادل سيحاسبهم ويقاصصهم ولا يتركهم، فالإنسان مهما وصل لدرجة عالية لو قتل نملة لقاصصه الله عليها. فلا يأمن مكر الله إلا القوم الفاسقون.

29- **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾**: هؤلاء أتقياء غير متعلقين بالدنيا وشهواتها. محافظٌ على عينه، أذنه، لسانه، حافظٌ لذلك كلِّه، والذي يُسيِّبهم لابد أن يقع في الزنا ويصبح هواه هو مُسيِّره.

30- **﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾**: ملك اليمين، إن أخذها بالحرب وغايته أن يرشدها إلى الله حلَّ له نكاحها دون كتاب ومهر، زواجها تسرٍّ غيرُ معلنٍ ولا يسمِّيها زوجة بل اسمها عبدة حتى تؤمن، إن آمنت صارت زوجة ولها كتاب ومهر، وأطلق عليها اسم زوجة لكن قبل إيمانها إن

---

[11] سورة النساء – الآية:147.

[12] سورة الزلزلة – الآية:7–8.

جعلها زوجة تُفسد نساءه[13]، أما إذا أخذها بغية إرضاء شهوته فعليه عقد ومهر. ﴿**فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾: لا يلامون.

سورة المعارج: [31-40]

31- ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ**﴾: بالزنا. ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾: الزنا اعتداء وعلى الإنسان أن يتجنب الأشياء التي توصل للزنا كالصور والاختلاط والنظر لئلا يقع فيه. هذا الذي يزني لو أن قضيباً من حديد محمًّىً بالنار دخل بحشفته خيرٌ له من الزنا.

32- ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ**﴾: أماناتهم: كل ما تحت وصايتهم كالابن والزوجة... يتعاملون معهم بما يرضي الله، فالابن يربونه تربية عالية يبعدونه عن المحرمات ويدلونه على الحلال وعلى محبة الله والرسول ﷺ، يعلمونه أن الحرام شقاء والحلال سعادة. كذلك زوجته يرشدها ويعلمها لا غاية له فيها إلا أن تدخل الجنة. فكل شيء تحت وصايتهم عمّال، طلاب، جنود... يتعاملون معهم برحمة وشفقة وحنان وحسب المناسب، ويعملون جميع الوسائل لكي يكونوا من أهل الصلاح، فلا يسكتون عن باطلهم حيث لا عاطفة عمياء تحكمهم. ﴿**وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾: طالب الحق إذا عاهد ربه ومرشده فلن يرجع أبداً عن عهده، وهؤلاء عاهدوا ربهم ومرشدهم أن يبقوا في النور ووفوا بعهدهم. هؤلاء انقطعوا بالأزل عن الله والنور، جاؤوا للدنيا وعاهدوا من جديد ووفوا بذلك العهد.

33- ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ**﴾: شهاداتهم أي بكل شيء يشاهدونه فيؤمنون بالله به وكل ما يقع نظرهم عليه يشاهدون الله معهم ومعه، فهم مع الله ومع الناس لأنهم آمنوا بالله عن طريق الكون، شمسه وقمره ونجومه وأرضه... ووصلوا لله من طريق الآيات الكونية بهذا الكون، فأصبحت الدنيا وشهواتها التي كانت ستُغْرِقهم وتُوقِعهم سبباً يدخلون منها على الله، وتجعلهم قائمين به سبحانه وتعالى، فلا تعود تحولهم عن مشاهداتهم القلبية بالبصيرة بل صار بها رقيّهم من حال لحال أعلى، هؤلاء يظلون على مشاهداتهم القلبية، نفوسهم معلقة بالسمو دائمو التفكير بالله، أجسامهم بالأرض ونفوسهم سارية بالله بسياحات قلبية عَليَّة.

34- ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾: صلاتهم: الصلوات الخمس وهن أساس كل ما سبق فإذا صلاها كما تكون الصلاة الحقة أمكنه عمل ما سبق لأنه يكون قد تذوق والذوق مرحلة بأول الشعور. لذلك يحافظون عليها ولا يضيعون عليهم وقتاً من الصلاة. لأنها السبب الذي جعلهم يصِلُونَ إلى الصلاة الدائمة.

35- ﴿**أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ**﴾: الله سبحانه وتعالى شكور، هؤلاء في الجنات، أدخلهم الله تعالى الجنة من الدنيا.

36- ﴿**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ**﴾: غير ملتفتين إلى شيء مما تقول وهذا شأن الكافر الذي لا يعي ما توجهه له من كلام الحق، ﴿**مهطعين**﴾: غير مطيعين، اجتمعوا مع الرسول ﷺ وبعد أن ساروا معه وأنعم عليهم ﷺ بأعمال وصارت لهم أحوال وأذواق خالفوا وبهذه المخالفة انقطعوا عن الرسول

[13] سمح تعالى بالأسيرة التي هي ملك يمين المؤمن التقي وتحت رعاية زوجته بالتسرِّي بها وذلك إن رأى بما في قلبه من نور أن في ذلك خيراً لها، بحالة عدم صبرها وأنها ستتعقَّد بلا زوجٍ وتزداد كفراً.. فلوقايتها يتزوجها سيدها بلا كتاب ولا مهر لأنه ليس هو طالبها أبداً فهو يجرُّها بذلك لمداخل الإيمان ومحبة الله تعالى، وذلك برابطتها الزوجية به كي تتشرَّب الإيمان ومحبة أهل الإيمان، وكذلك إن خاف عليها من الوقوع في الزنى أيضاً فيحق له التسرِّي بها خدمة لها، وإلا فلا يجوز التسرِّي مطلقاً، بل يربِّيها التربية العالية ويزوِّجها إما بعبد أسير آمن أو بمؤمن طلبها للزواج كزوجة له.

وهو ﷺ العين التي يُرى بها وجه الله وأسماؤه الحسنى وذاته العلية، كفروا بعد إيمانهم لأنهم استصعبوا الجهاد، جهاد النفس والهوى. هؤلاء المنافقون ساروا بالبداية مع الرسول ﷺ بقوة وآمنوا، إلا أنهم غيروا وساروا برأيهم وليس بتوجيه الرسول ﷺ **{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}**[14].

37- ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ**﴾: منهم من لا يلتفت إلى الحق ولا إلى الباطل، ينصرف إلى ذاتيّة نفسه مع أنه خُلق لعمل الخير. فهؤلاء لا من أهل الدنيا ولا من أهل الآخرة، أي لا يفعلون خيراً ولا يعملون شراً. يظنون أنفسهم أنهم على خير.

38- ﴿**أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ**﴾: هكذا يظنون أنهم من أهل الجنة! ويطمعون بدخولها بلا شيء! ودون جهاد الهوى وجهاد النفس! مع أنه قد جاءهم الحقّ وعرفوا كل شيء، ووقفوا عند درجة معيّنة، فما عادوا سعوا ولا عملوا والجنة بالأعمال.

39- ﴿**كَلَّا**﴾: نحن ما تركناهم ولم نتخلَّ عنهم، ولا الرسول ﷺ تخلى ودائماً يغمرهم بأنواره لكن هم تخلوا عن الله تعالى ورسوله ﷺ. والطريق ليخلصوا مما هم فيه: ليفكروا. ماذا كانوا؟ ليؤمنوا بهذا، كيف كانوا؟ لا شيء، نطفة، حتى يتنازلوا عن كبرهم ورأيهم ويخضعوا لله والرسول ﷺ. ﴿**إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ**﴾: من نطفة، ليفكروا بهذه النطفة، بخلقهم منها، إذا فكروا وصلوا لله، وتخلوا عن الكبر والعظمة. وهذا هو طريقهم ليرجعوا.

40- ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ**﴾: الذين آمنوا عن طريق كل ما أنار هذا الكون. ﴿**وَالْمَغَارِبِ**﴾: وآمنوا بربهم بالآيات الكونية الزائلة يوم القيامة هؤلاء آمنوا برب المشارق والمغارب لكن هذا لا يكفي لابد أن يكملوا إيمانهم ويؤمنوا بالرسول ﷺ ليدخلوا معه على الله. إن ما آمنوا بالرسول معنى هذا أنهم مستكبرون عليه ﷺ، آمنوا بمربي الكون لكن ما قدَّروا الرسول العظيم ﷺ ولم يتواضعوا له ﷺ أو للمرشد بعده والخير والعطاء والجنات عن طريقه ﷺ. إذن: الإيمان الذي آمنوا به عن طريق الكون واقتصارهم عليه دون السراج المنير، لا يفيدهم شيئاً، لأن هذه المخلوقات الكونية غير مكلفة لا تستطيع أن تري نفوسهم الأزل والقيامة ليعلموا لِمَ خلقوا ويعملوا لما شاهدوا فيدخلوا الجنان بناءً على ما قدموا من صالح الأعمال. ﴿**إِنَّا لَقَادِرُونَ**﴾.

سورة المعارج: [41-44]

41- ﴿**عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾: فالله سبحانه قادر على أن يبعث بدلاً منهم رجالاً أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. إذا ظلوا هكذا لا يريدون الإيمان برسول الله ﷺ، ولا أن ينشروا كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ وينقذوا عباده. ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**﴾: يظنون أنه لا يوجد أحد غيرهم لكن رب العالمين عنده الكثير من العظماء وأهل الإيمان، يبدلهم بهم.

42- ﴿**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا**﴾: يخوضون بدنياهم. ﴿**وَيَلْعَبُوا**﴾: ملتهون بالزوجة والولد والمال يظنون السعادة بهم. ﴿**حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾: ما شاهدوا ذلك اليوم، وُعدوا فيه: وعد فقط فلم يسعوا لليقين بالموت لترى نفوسهم الآخرة فيغدون من أهل الشهود واليقين.

43- ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا**﴾: يوم القيامة بسرعة يخرجون ليتعالجوا من عللهم وأمراضهم وآلامهم، إسعاف سريع وهم يخرجون مسرعين لآلامهم بعد أن شاهدوا ما فعلوه وجرُّوه

---

[14] سورة المنافقون – الآية:3.

لأنفسهم من خسارة، وكان بإمكانهم أن يهتدوا ويهدوا غيرهم، لكن ما اهتدوا ولا هدوا غيرهم، وتركوهم يذهبون إلى النار، حالهم صعب جداً لذلك يخرجون سِراعاً: مسرعين إلى الإسعاف. ﴿**كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ**﴾: شعورهم عندها كشعور رجل أُخذ على حين غفلة إلى خشبة الإعدام.

44- ﴿**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ**﴾: انكشفت حقيقة الدنيا الدنية. ﴿**تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**﴾: حيث ضيَّعوا كل شيء وهذه جهنم تلبسهم. ﴿**ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾: هؤلاء حالتهم أصعب شيء بالبشرية لأنهم وصلوا للنبع لرسول الله ﷺ وما آمنوا، والتفتوا عنه وعن بيانه لأنفسهم إذ وصلوا للسراج المنير ومشوا بغيره فمشوا بالظلام فكيف بدونه يبصرون؟!

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة نوح: [01-10]

1- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾: صاحب الرحمة والحنان بهذا الإنسان، أرسل نوحاً عليه السلام رسولاً إلى قومه، ليخرجهم من الظلمات إلى النور والسعادة لما في قلبه من رحمة وحنان على أخيه الإنسان، سمَّاه تعالى نوحاً: من النواح والبكاء فقد كان عليه السلام دائم البكاء على قومه لشدة رحمته بهم.

﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: الرسل والأنبياء عليهم السلام مرسلون من الله تعالى فقط للهداية ولا علاقة لهم بهذا الكون، أرسله الله تعالى لهداية الناس وإنذارهم من عذاب أليم شديد من شدته عليهم يرمون بأنفسهم إلى النار.

2- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: أين ذلك الزمان من أهل هذا الزمان، قوم نوح عليه السلام أعمالهم لا تذكر أمام أعمال أهل هذا الزمان ومكرهم.

قال لهم إني لكم نذير، رسولٌ من الله لكم، أرسلني إليكم لأنذركم، اعترفوا بأنه رسولهم ولكنهم لم يطيعوه، أما أهل هذا الزمان فإنهم لم يطبقوا ولم يطيعوا رسول الله ﷺ بما جاء به من القرآن بل اتبعوا ما ألفوا عليه آباءهم، فقد أنكروه ولم يعترفوا برسالته ولم يقبلوا بهذا الحق الذي جاء به، إذن لا مجال للمقارنة بين الزمانين.

3- ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾: تفكروا واسمعوا كلام الله وطبقوا ما يأمركم به واتقوه، إذا طبقتم كلامه سبحانه وتعالى تصلون للتقوى، ويجعل تعالى لكم نوراً ترون به الخير خيراً والشر شراً لكن الشرط: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: لا تتكبروا عليّ، أطيعوني، التقوى بطاعتي، إن سمعتم كلامي عن الله وطبقتم صار لكم نور من الله تعالى، فقط اعبدوا الله، تفكَّروا واتقوه وأطيعوني، يؤدِّي التفكُّر إلى الإيمان، والإيمان يولِّد الخشية، والخشية تقود إلى الاستقامة والتقوى.

4- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: يشفي نفوسكم بهذا النور المتوارد على قلوبكم الممزوج بالغبطة والنعيم وذلك بالصلاة، يطهِّرها شيئاً فشيئاً فتشفى من أمراضها وتصبح أهلاً للعطاء والجنات والسعادة.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: يحييكم حياة طيبة إلى يوم الموت، الله تعالى رحيم بكم، إن غيَّرتم ما أنتم عليه من ضلال وطبَّقتم ما يأمركم به الله تعالى وسلكتم بأن أطعتم الرسول تحيون حياة قلبية سامية علوية، تغنيكم عن ملذات الدنيا الدنية، وتؤخركم عن شهوات مهلكة كنتم قبلها ستواقعونها فتخزيكم ولكن إن استجبتم لما يدعوكم إليه الرسول تنقلب هذه الشهوات معارج ومدارج لرقيكم وسموكم، والسعادة دائماً تغمركم والهناء ممازج لقلوبكم فتحيون حياة طيبة إلى يوم الموت، واعلموا: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾: إن ما سلكتم وجاء الأجل فهذا شيء مرعب، مصيركم سيكون مرعباً، جهنم لكم حيث جاءَكُم الحقّ من الله وضيعتم على أنفسكم ما كنتم ستنالون من خير وجنات وعطاءات، لأنكم ما سمعتم فما سلكتم وطبقتم القانون. بهذا نفوسكم تصبح بجهنم، لأنكم ضيعتم جاهكم الأُخروي ولا يحولكم عنها إلاَّ النار. ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن كنتم تعلمون لا إلّه إلا الله فآمنوا إن طبقتم وسلكتم وعرفتم قيمة إرشادي وما يأمركم الله به.

5- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾: تبليغ عام، كان عليه السلام وجيهاً عظيماً عند قومه بما قام به من أعمال خير عظيمة كبرى، وبهذا صار له شأن كبير ومنزلة عالية عندهم، كان يسامرهم ويناقشهم ويتحدث معهم بكلمات ربه فصارت لهم مشاعر وأحوال لكن حيث إنهم لم يجاهدوا جهاد الهوى والنفس فيؤمنوا، انقلبوا، دعاهم كثيراً ولسنوات طويلة لكن لا أمل فيهم. إن القرار إذا لم يخرج من الإنسان ولم يجاهد بنفسه ولم يصْدُق بطلب الحق فلا فائدة ولا أمل في هدايته.

6- ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾: من الحق، فقرروا رد الحق.

7- ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: أعمالهم حالت بينهم وبين سماع الحق، أعمالهم الـمُنكرة، كان هواهم دائماً مسيطراً على نفوسهم لذلك ما سمعوا الحق وهذا كله بسبب ما أنتجته أيديهم وأصابعهم من مقترفات محرمة، قلوبهم متعلقة بها لا يرضون بالتخلي عنها وهي مبعث أذاهم وشرورهم، وهذا الذي منعهم من سماع الحق خوفاً وحرصاً عليها. إذن ما اقترفوه في دنياهم بأيديهم "أصابعهم" وقف سداً منيعاً بينهم وبين سماع الحق وحجاباً حائلاً دون رؤية الحقيقة، وهو الوقر في الأذنين ولم يتوبوا إلى الله متاباً. ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: نيتهم السيئة لبستهم، فقد كانوا مولعين بهواهم.

﴿وَأَصَرُّوا﴾: على إعراضهم، معرضون عن سماع الحق لا يريدون أن يسمعوا. السبب: ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾: ما آمنوا ببدايتهم، ما فكروا كيف كانوا نطفة وأنهم كانوا لا شيء، والله جعلهم شيئاً لو فكروا وآمنوا بهذا ما استكبروا.

8- ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾: جَهَرَ بالدعوة.

9- ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾: مثل الخطابة بالجامع والمحاضرات والندوات والجلسات العامة ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾: حسب المناسبة، أناس يريدون السماع لوحدهم، مثلما أحبوا وأرادوا، ماشاهم، دائماً متابعهم، ليلاً ونهاراً بروحانيته عليه السلام وإرشاده يسحبهم للجنات للنعيم، لكنهم لم يثبتوا وغيَّروا.

10- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾: اطلبوا شفاء نفوسكم من رَبِّكم، سيدنا نوح عليه السلام كان متابعهم بالحال والقال، ليحوِّلهم عمَّا هم فيه.

سورة نوح: [11-20]

11- ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: يرسل لكم الأمطار حيث أصابهم القحط وابتلاهم الله بالشدائد لعلهم يتوبون ويعملون الخير. ينزل النعيم على قلوبهم إن سمعوا نصحه، أنتم فقط عليكم أن تعملوا أعمالاً عالية لآخرتكم لتنالوا بها الجنات والله يفتح عليكم بركات من السماء والأرض.

12- ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾: تعملون بها لآخرتكم، يُمددكم بأموال ولا يفقركم لتكون مدارج لمعارج لكم بإنفاقكم لها، لكم عطاءٌ عظيم وكبير الآن في الدنيا لتنالوا به جنات بالآخرة.

﴿وَبَنِينَ﴾: يرسل لكم أبناء عندهم قابلية وميل للإيمان والتقوى، أتقياء يهتدون ويكملون المسيرة ويرفعون شأنكم بالآخرة إذ يكونون بصحائفكم. قال تعالى:{**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ..**}[1]. ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾: الآن في الدنيا يجعل

---

[1] سورة الطور – الآية:21.

لكم جنات، أنتم جئتم حتى لا تنقطعوا عن الله إن اتقيتم. ﴿**وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾: من الخيرات المادية والمعنوية.

13- ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾: إنكم تشاهدون وبأعينكم التسيير الخيّر لهذا الكون والخلق الكامل والتنظيم الدقيق لكل ما فيه! ألا يدل على مسيّر خالق منظم؟ أفلا يجدر بكم أن توقروه وتعظموه؟! ولكنكم تظنون أنَّ لأنفسكم شيئاً، مستكبرون على الله تعالى وسائرون بالمعاصي.

14- ﴿**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾: خلقكم أطواراً من نطفة ثم علقة ثم مضغة وعظامٍ حتى صرتم إنساناً، كم هذا الرب له فضلٌ عليكم!

15- ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ**﴾: لكم، من أجلكم ومن أجل معاشكم وحياتكم. ﴿**سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا**﴾: متطابقة بالخير وهي فوق بعضها البعض،

فسماء الشمس فوق سماء القمر وسماء القمر فوق سماء الغيوم... والكل يعمل ويدور من أجلكم.

16- ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا**﴾: ألا تفكرون بهذا، من جعل لكم قمراً في السماء تستأنسون بنوره ليلاً، ألا تفكرون بفضله عليكم؟!

﴿**وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا**﴾: لو لم يجعلها لكم ما شربتم الماء، الشمس تبخِّر مياه البحار والهواء يرفعها فتتشكل سحباً، والله يسوقها لكم لتشربوا ويشرب أولادكم وتشرب أنعامكم، ما حالكم لولا الماء؟ ألا تفكرون بهذا الرب الممد لكم بالحياة؟!

17- ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا**﴾: كنتم ذرات، الأب أكل من الطعام فتشكلت النطاف ثم أودعكم في بطون أمهاتكم اللائي أكلن من ثمار الأرض ونتاجها حتى تشكلت أجسامكم خلقاً من بعد خلق.

18- ﴿**ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا**﴾: لابدَّ منها، علام تتكبرون؟ أتيتم لهذه الدنيا عراة وسوف تخرجون منها عراة أيضاً، فكر بالموت هل من أحد خلَّد، أفلا تموت أنت؟ ﴿**وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**﴾: مثلما جئتم ذرات يخرجكم ذرات، ولكن يوم القيامة بكلمة كن فيكون، نفخة واحدة.

19- ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا**﴾: ترونها منبسطة مستوية مع أنه تعالى جعلها كروية يدوِّرها بلطف منه.

20- ﴿**لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا**﴾: السبل: ينابيع الأنهار تأتي من الجبال وهي خزانات مؤقتة لمياه الشرب بينما جعل الله المناطق القطبية خزانات دائمية لها فتسلك المياه من الأغوار العميقة والمناطق السحيقة سبلاً لتصل إلى الجبال خزاناتها، فتنبع منها العيون والأنهار والينابيع وتجري إلى القرى والسهول[2].

سورة نوح: [21-28]

21- ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي**﴾: لا يريدون السماع، دعاهم تسعمائة وخمسين سنة. ﴿**وَاتَّبَعُوا**﴾: اتبعوا أصحاب الأموال الأغنياء. ﴿**مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا**﴾: خسارة الحياة الأبدية، مثل أهل هذا الزمان اتَّبعوا الأجانب ولم يهدوا أنفسهم ويهدوهم.

---

[2] لطفاً انظر كتاب (مصادر مياه الينابيع في العالم) للعلاَّمة محمد أمين شيخو قدّس سرّه.

22- ﴿وَمَكَرُوا﴾: لردِّ الحقِ. ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾: وبهذا الزمان مكروا أيضاً لردِّ الحقِ.

23- ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾: ابقوا على ما أنتم عليه من عبادة، لكن هل الصنم يأتي بالخيرات، بالشمس والقمر والأمطار والثمار والخضار؟

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾: صنم ينشئ المودة بين الناس. ﴿وَلَا سُوَاعًا﴾: وهو الساعي في خيرهم وسعادتهم. ﴿وَلَا يَغُوثَ﴾: وقت الشدة يغوثهم.

﴿وَيَعُوقَ﴾: يعوق عنهم الشرور. ﴿وَنَسْرًا﴾: أكبر الآلهة ونسرها، هكذا ظنوا أن لهذه الأصنام حولاً وقوة: ولا حول ولا قوة إلا بالله.

24- ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: كل هذا الشيء اتَّبعوه حتى يمشوا بالضلال. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: أعطيتهم شهواتهم وهم يريدون المزيد من عمى قلوبهم والبعد عنك: كفاهم فسقاً وبعداً، فلا تزدهم يا رب ضلالاً إلا ما هم فيه من الضلال، وهذا من رحمته بهم عليه السلام فالموت إيقاف لضلالهم وكفرهم وعنادهم، إيقاف لشرورهم التي تكويهم بنار في الآخرة.

في مطلع السورة يحدثنا الله تعالى عن اصطفائه لسيدنا نوح رسولاً إلى قومه لينذرهم من العذاب الأليم فهل يعقل أن الله لم يكن عليماً بحال سيدنا نوح وأهليته حتى انتهت قضيته بأن يدعو عليهم بالعذاب الأليم والضلال و و... كما قيل خطأً عن دعائه عليهم. إذن: بعد أن أخبره الله تعالى: **{..أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ..}**[3]. وأن إناء نفوسهم امتلأ بحب الدنيا ولا يمكن هدايتهم أبداً ولن يزدادوا إلا آثاماً ومعاصيَ تزيدهم نيراناً وعذاباً بالآخرة، لذا بهذه الآية طلب سيدنا نوح عليه السلام من ربه التخفيف عن قومه، فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: أي: الضلال الذي يريدونه ويطلبونه يزيدهم خسارة لذلك طلب سيدنا نوح من ربه التخفيف عنهم، قال لربه: يا رب إذا تركتهم على هواهم تزداد أعمالهم المهلكة وتزداد نيرانهم بالآخرة وهؤلاء مصرُّون على الضلال ولا نيَّة للإيمان لديهم، من طرفك يا رب أوقفهم. مثال: أحبُّ الناس للمريض إذا لم يبقَ أمل في شفائه يطلب التخفيف عنه، وقوم سيدنا نوح عليه السلام عاهدوا الله تعالى أن يأتوا للدنيا ويعملوا صالحاً ولا ينقطعوا عنه، جاؤوا للدنيا وغيَّروا والله حلم عليهم، هم غيَّروا العَقْد والعهد.

25- ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾: حقَّ عليهم الغرق، قال تعالى من أخطائهم أُغرقوا وليس من دعاء سيدنا نوح عليه السلام صاحب البكاء والنواح والرحمة على قومه. ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾: لرؤيتها الحقيقة المرعبة لما كانوا يقترفونه في دنياهم، فانظر ماذا انقلبت عليهم؟! ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾: المريض من يقف بطريق إسعافه إلى المشفى؟ غير الإيمان بالله لا يوجد نصير، هل أغنت عنهم آلهتهم شيئاً؟ هل أغنى عنهم أصحاب الأموال والملك في الدنيا الذين اتبعوهم؟!

26- ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾: ساكن الديار. والحقيقة أن الله تعالى أخبر سيدنا نوحاً عليه السلام كما ذكرنا أنه: **{وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}**[4]. بعد أن دعاهم عليه السلام تسعمائة وخمسين سنة وبهذه السنوات الطويلة الله تعالى فحصهم، حاول بكل الأساليب والوسائل ليعودوا إلى صوابهم ورشدهم وهو لا يرضى لهم الكفر، وهو شديد المحاولة لردهم للحق طيلة حياتهم. فتبين أنهم لا يريدون الإيمان ولا نية لهم، كما أنهم أعلنوا الرفض للحق وأهله، فأخبر الله تعالى سيدنا نوحاً عليه السلام بهذا وأن

---

[3] سورة هود – الآية:36.

[4] سورة هود – الآية:36.

قومه لا يريدون الإيمان وصمّموا على هذا ولم يبقَ عندهم إمكانية، فهو سبحانه وتعالى عليم بنفوسهم. **{فَلاَ تَبْتَئِسْ}**: حزنَ سيدنا نوح عليه السلام على قومه فقال له تعالى: لا تبتئس لا تحزن عليهم، لا يحل بك البؤس، قومك هم لا يريدون الإيمان. لذلك طلب سيدنا نوح عليه السلام من ربه قائلاً: ﴿**رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**﴾: نظر سيدنا نوح عليه السلام بقومه وشاهد ما أخبره تعالى، شاهد أنه لا أمل يُرتجى فيهم وبإيمانهم، وقد أصبحوا لا خير فيهم، فخففْ عنهم يا رب صاروا قوم سوء فطلب عليه السلام التخفيف عنهم، كحال مريض قال الطبيب عنه: أنه لا أمل من شفائه فأحبُّ الناس إليه يطلبون التخفيف عنه. قوم نوح عليه السلام عقلوا الشر وامتلأ إناؤهم به ولا يريدون التغيير. إذاً علاج الدنيا لم يعد كافياً لهم، فلابد لهم من علاج آخر فعلاجهم بالآخرة، لذلك قال سيدنا نوح عليه السلام: يا رب إنهم لا يريدون الإيمان، لا يريدون إلا الشر، فلا تزد الظالمين إلا ضلالاً إذا ظلوا بهذه الحالة، لذلك أوقِفْهم يا رب عن شرورهم من هذه الحياة الدنيا بهلاكهم، رحمة منه عليه السلام بهم لكيلا يزدادوا جهنماً وجحيماً، أما بكلمة ﴿**دَيَّارًا**﴾: أي لا تبقي لهم أثراً في أماكنهم أبداً، فبقاؤهم بالدنيا ضرر عليهم وضرر على أصحاب سيدنا نوح عليه السلام وعلى كل من سيأتي بعدهم أيضاً.

27- ﴿**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ**﴾: الذين آمنوا مع سيدنا نوح عليه السلام حيث خاف عليهم أن يُفتنوا. ﴿**وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾: فعجّل لهم يا رب خوفاً من أن يخرج من أصلابهم أولاد مثلهم. لو فيهم ذرة من خير لأرسل تعالى لهم أولاداً صالحين يأتيهم الخير عن طريقهم بما يقومون به من أعمال، لكن لا ذرة خير فيهم، الفاجر: يفجر على الدنيا من كفر إلى كفر، ظاهر كفره.

28- ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**﴾: كانوا من أهل الصلاح. ﴿**وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**﴾: خسارة، الآن بالدنيا سوف يخسرون الأكثر أوقفهم يا رب، كالتاجر الذي يخسر ولن يربح يوقفونه، وهؤلاء إن ظلوا تزيدهم حياتهم تباراً أي خسارة. والتبار لغة: من التباب والبوار، أي البوار القطعي، والتباب: هو الخسران والهلاك. والبوار: لا شيء فيهم إلاَّ الفساد ومنها بارت تجارتهم، خسرت فهم إن ظلوا أحياء فارغين من الحق، فارغ قلبهم من كل خير، ولا خير يرتجى فيهم قط، مماتهم خير لهم مما هم فيه، مما يزيدهم خسارة بالآخرة وبالتالي ذل وعار ونيران. حياتهم أشد عليهم أذى من مماتهم، فهم يفسدون البشرية وفي بقائهم ضرر كبير عليهم فأوقفهم يا رب، فما دعاء سيدنا نوح عليه السلام على قومه قسوة منه ولا خطيئة إن هو إلاَّ رحمة ورأفة بهم، وقد استجاب تعالى له دعوته الرحيمة **{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ}**[5]. لأنها حق ورحمة، لا خطأ فيها، أجابه بما هو خير لهم إذ خلصوا من تزايد طغيانهم.

والحمد لله رب العالمين.

---

[5] سورة الصافات – الآية:75.

تأويل سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجن: [01-10]

1- ﴿**قُلْ**﴾: يا محمد ﷺ، قل لأصحابك أخبرهم. ﴿**أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ**﴾: استمعوا منك بعد أن سيّرهم تعالى إليك، الله سبحانه وتعالى سمح لرسوله أن يبلِّغ أصحابه عنهم، وعما جرى معهم، وكيف عالجهم الله سبحانه ليغيِّروا ما بأنفسهم ويسلكوا طريق الحق.

الجن مكلفون مثل بني الإنسان لهم عالمهم، عندهم كون كما لنا، شمس وقمر ونجوم، يزرعون ويأكلون ويعملون وفيهم الطائع والعاصي، ويختلفون عن الإنس أن أباهم لم يأكل من المادة، أما أبونا سيدنا آدم عليه السلام أكل من المادة فدخلت نفوسنا إلى أجسامها، أما هم نفوسهم بقيت محيطة بأجسامهم.

ليس من الجن أنبياء ورسل وإنما أنبياؤهم ورسلهم من بني الإنسان، فالرسول ﷺ للعالمين إنسها وجنِّها {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**}[1]. وهؤلاء النفر من الجن الذين جاؤوا رسول الله ﷺ واستمعوا له، لحب الله تعالى لهم ورحمته بهم أرسل لهم ما أرسل من مصائب وأمراض وهموم وفقر وعلل، بسبب سيرهم المنحرف، كل هذا من أجل أن يرجعوا إلى طريق سعادتهم ويسلكوا طريق الحق ويدخلوا جنات ربهم، عالجهم بهذا كلِّه فنفرت نفوسهم من الدنيا وشهواتها وأهملتها، رأوا أنه ليس من الدنيا سعادة، وأن ما كانوا يظنون فيه السعادة من مال وولد ونساء وفواحش إنما هو الشقاء بعينه، ويعود بالهمِّ والغمِّ على من يسير به ويقترفه، رأوا الدنيا وما فيها من غش وخداع ومكر وإجرام فقالوا لا سعادة فيها، مهما عملنا، ومهما ومهما، فإننا في الشقاء والتعاسة، وضاقت عليهم الدنيا بسبب ملائكة سيدنا محمد ﷺ وصدّها لهم في السماء ومتابعتهم في الأرض، لذلك فكروا من أين هذا المدد والعدد؟ وجاؤوا رسول الله ﷺ مسالمين يريدون سماع الحق، وهكذا نرى أن فعل الله سبحانه وتعالى كله خير وسعادة لمخلوقاته، فهو سبحانه يعاملهم بأسمائه الحسنى، فعلى الإنسان أن يفكر إذا ما عالجه الله بالأمراض والمصائب والفقر ويسأل نفسه عن سبب هذا، ويعرف خطأه ويغيِّر ويرجع عن غيّه، عندها يغيِّر الله تعالى عليه ويبدله بدل مرضه صحة، وبدل فقره غنىً، وبدل ذلِّه عزّاً، وبدل شقائه سعادة. {**..إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ..**}[2].

﴿**فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**﴾: سمعنا من رسول الله ﷺ كلاماً منطقياً عالياً فيه بهجة وسرور، بسماعه أثناء اجتماعنا برسول الله ﷺ تغيَّر حالنا وتبدل من شقاء إلى سعادة وحياة، وذهب عنّا ما كان يؤلمنا ويعذبنا، والرسول ﷺ لديه العجائب والغرائب، فيه الجنات كلها والنعيم.

تلك الجماعة من الجن فكرت وآمنت وعظمت رسول الله ﷺ؛ كل من فكر بالكون وآياته حتى استعظم ربه وآمن به وقدَّر رسول الله وعظَّمه فالرسول ﷺ بلطف يدخله على الله، هذه وظيفة الرسول: إدخال نفسك على الله حتى تنال من ربك، وهؤلاء النفر من الجن فكروا وآمنوا واستعظموا كلام

---

[1] سورة الأنبياء – الآية:107.
[2] سورة الرعد – الآية:11.

رسول الله ﷺ ودلالته: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾. ذُهِلُوا وأُعجبوا بما سمعوا من بيان، وتساءلوا بإعجاب هل بهذا الزمان عظماء كهذا الرجل ﷺ؟!

2- ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: هذا البيان وهذه الدلالة التي يتكلم بها رسول الله ﷺ تسمو بالمرء إلى الهدى والسعادة والفضيلة، صاروا راشدين. ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾: آمنوا حال استماعهم له، آمنوا به أي بمعيته ﷺ وببيانه المنزَّل عليه، تذكَّروا وشاهدوا كيف عاهدوا الله بالأزل أنّه إنْ أرسلهم للدنيا لا ينقطعون عنه طرفة عين، وأن يقدموا من الأعمال الصالحة وأن يكونوا عوناً وخيراً لكل ما خلق سبحانه من مخلوقات. شاهدوا النهاية، ما بعد هذه الحياة وما في القبر، وشاهدوا الآخرة وما فيها من جنات لمن أطاع، ومن نار وخزي لمن عصى، كل هذا شاهدوه بمعيته ﷺ لذلك قالوا: ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾: هذا لا يكون، كل شيء منه سبحانه وتعالى فكيف نشرك به؟! بسيرنا وتطبيقنا ما أمرنا الله به على لسان رسوله ﷺ صارت نفوسنا بالجنة والنعيم والسعادة وشاهدنا ما شاهدنا فلن نشرك بربنا أحداً، صاروا مع الله وهو الوطن الدائم، تمسكوا به وما عادوا تركوه.

أما الإنسان الساكن بالدنيا وشهواتها أي: نفسه سكنت لهذا فلم تشاهد ما عند الله من جنات وأنوار ومشاهدات، هذا لا يتركه الله تعالى فإنه يرسل عليه ما يرسل من شدائد ومصائب ليرده إلى الحق ولا ينساه من فضله، على الإنسان أن يسكن بالوطن، الوطن الذي كنا فيه والذي سنذهب إليه، وهل من وطن دائم لهذه النفس غير الله سبحانه. **"حبّ الوطن من الإيمان"**.

الدنيا الدنية هذه وطن المجانين، وطن من لا وطن له، قال ﷺ: **"الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له"**[3].

هؤلاء النفر من الجن آمنوا ووفُّوا بعهدهم، فصاروا مع الله مستشفعين بنفس رسول الله ﷺ مركب النجاة والدليل الموصل إلى الله.

3- ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾: كنا نظن بالماضي ويظن الناس اليوم أن الدين أوهام! هذا الطريق الذي سلكناه والحق الذي وصلت نفوسنا إليه جدٌّ وليس أوهاماً وتخيلات، لأننا شاهدناه وصرنا باليقين والشهود، فبه أنوارٌ وسعادةٌ وحياة، شاهدنا الله تعالى وفضله وإحسانه علينا وعلى جميع الخلائق، فهو سبحانه المربي لنا، مَن غَيْرُه يحرّك الكون؟ مَن غَيره ينزل الأمطار وينبت الزرع ويحرّك ويسيّر الأبدان؟ وهو سبحانه المعلم والمؤيد والناصر وكل خير منه. ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾: حاشاه مما قالوا عنه، كل الكائنات خلقها بكلمة "كن"، سبحانه وتعالى لا حاجة له بهم، لا حاجة له لصاحبةٍ ولا لولد، ليس كمثله شيء فكيف تكلموا بهذا؟!

4- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: إبليس، سَفِهَ نفسه حيث تركها جاهلة وما عرَّفها بالله، عصى الله تعالى ما سار بما أمره به لسعادته، ما صار له نور يرى به الحق من الباطل، من جهله ظن الشر خيراً وسار به. ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾: من جَهْلِهِ بالله تعالى وخبثه جاء بهذا الكلام، ودعا إليه الجهلة فسار به من لا عقل ولا معرفة له بربه، فقال: إن رسولَ الله عيسى عليه السلام وأمه إلَهين ليحوّل الناس عن الله تعالى وعما أعدَّه لهم ربهم من جنات وسعادة، هو الذي أغرى المشركين بهذا، وهذا كله شطط، إبليس شطَّ كثيراً، فالله سبحانه وتعالى منذ أن خلقه من بداية الخلق وهو يعطيه ويمده وهو يطلب أكثر وأكثر والله يعطيه، ما تراجع عن غيّه وعمَّا صمَّم عليه من نيّةٍ لإضلال الناس، فوسوس لهم أن عيسى وأمه إلَهين.

---

[3] مسند الإمام أحمد.

5- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾: بعد أن آمنا بربنا وشاهدنا فضله وإحسانه ورحمته، وبعد هذه الدلالة العظيمة التي جاء بها رسول الله ﷺ والتي بينت كلَّ الحقائق بأعماله وأقواله ﷺ. ﴿أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: الآن بعدما بيَّنَ ﷺ ما بيّن بعلومه أن المسيرة الإيمانية سوف تسير والناس سيسيرون بدلالته لأنها الحق، ظننا أنَّ الكل سيسير بالحق، وأن الباطل من دسوس وغيره سوف ينتهي، قالوا هذا لما رأوا وشاهدوا واستعظموا، قالوا هل هناك أعظم من هذا البيان؟! أما بيَّن ﷺ ببيانه كل الحقائق؟! القرآن ألفاظه من الله سبحانه وتعالى، أما الشروح والبيان وفهم المعاني فمن رسول الله ﷺ من قربه من الله أدرك ما أدرك من علوم ربه، وجاء بما لم يأتِ به أحد من العالمين[4].

6- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ﴾: هؤلاء الرجال من الإنس، من بُعْدِهم عن الله انحطوا، صاروا أحطَّ من شياطين الجن، مع أن الإنس أعلى مرتبة من الجن. ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾: بدل أن يهدوهم إلى الحق وينقذوهم ذهبوا معهم بالانحطاط والانهيار، فصاروا مثلهم وأقلَّ منهم.

ظنوا أنَّ لهم حولاً وقوة، وسوف يعطونهم الخوارق ليتكبروا على بني جنسهم ويستعلوا عليهم، وأنهم سوف يُخرجون لهم الكنوز من الذهب والأموال ويعطونهم إياها فساروا معهم. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: زادوهم رهقاً فوق رهقهم، زادوهم شقاء وضيقاً وهمّاً، فوق شقائهم أهلكوهم، أشعلوا النار بنفوسهم لذلك تراهم لا يستطيعون نوم الليل. يأخذون مددهم من الشياطين وجعلوهم كالمجانين. فاحتقرهم الناس ونفروا منهم ومن أعمالهم وروائحهم وما يرتكبون من فواحش ظاهرة وخفية، هؤلاء هم إخوان الشياطين.

7- ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾: هذا هو السبب الذي جعلهم يكفرون ويسيرون بالانحطاط والأذى والفواحش، ظنوا أن الله تعالى لا يحاسبهم فلا آخرة ولا حساب ولا عقاب، لا جنة ولا نار، قالوا: إذن الدنيا هي كل شيء وفيها السرور (البسط والكيف) والسعادة، فساروا بالانحطاط وارتكاب الفواحش والإجرام، حيث لا حساب ولا عقاب بظنهم. ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾: أي كما كنتم تظنون أنتم سابقاً، هؤلاء النفر من الجن الذين جاؤوا رسول الله ﷺ هكذا كان ظنهم بالسابق قبل أن يجتمعوا به ﷺ.

﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾: لا بعث ولا حساب ولا عقاب، وبهذا الظن صارت الدنيا جنَّتهم وكل مبتغاهم، ظنّوا هذا الظن لأنهم ما فكروا بالآخرة وبالموت حتى تخاف نفوسهم فيستطيعوا التفكير بنعم الله وبآيات الله من ثنايا صنعه العظيم، لذلك بعدم تفكيرهم أنكروا البعث، كذلك ظنوا أن الله سبحانه وتعالى لن يرسل عظماء بهذا الزمان يكشفون دجلهم، لذلك صالوا وجالوا بالباطل، وكذلك أهل الباطل أمثالهم من الإنس فعلوا.

8- ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: قبل أن نأتي لمجلس رسول الله ﷺ لمسنا السماء، كنا نصعد إليها بأجسامنا مع نفوسنا، الصعود لأجل أن يسمعوا الكلام الذي تتلقاه الملائكة لوظائفهم مع البشر وما سيعملونه غداً من حضرة الله سبحانه، كان ذلك قبل مجيء رسول الله ﷺ صعدوا إلى السماء بأجسامهم ونفوسهم ليتمكنوا من السماع وهؤلاء انتحاريون. ﴿فَوَجَدْنَاهَا﴾: بعد ظهور الرسول ﷺ. ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾: بظهوره ﷺ جاءت معه ملائكة كثيرة مرافقة له لا يعلم عددها إلا الله، وهؤلاء

---

[4] كذلك فضيلة العلاَّمة الإنساني الكبير محمّد أمين شيخو قدَّس الله سره من قربه من الله أدرك ما أدرك من علوم. أما بيَّن معنى أحرف أوائل السور؟! أما بيَّن الفاتحة ومعناها؟! ومن بيَّن معاني ألفاظ النار وجهنم وسعير واللظى ومعاني ألفاظ القرآن كلها؟!: {كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) سورة الأحزاب – الآية:21.

الملائكة معهم شهب لذلك فالشياطين لا يتجرؤون ولا يستطيعون الصعود إلى السماء، كُبِتُوا وحوصروا، والذي يصعد ويتمكن من سماع قولٍ يرسل الله تعالى عليه شهاباً فيحترق ويموت.

9- ﴿**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ**﴾: بالسابق قبل ظهوره ﷺ كانوا أحراراً، وسوقهم رائجة هم والسحرة أمثالهم، فصالوا وجالوا ولم يحسبوا حساباً لأحد. ﴿**فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ**﴾: الآن بعد أن جاء هذا الرجل العظيم رسول الله ﷺ وجاء معه هذا الكَمُّ الكبير من الملائكة، فالذي يحاول لا يستطيع بل ويُقضى عليه، وقد صاروا ملاحقين من الملائكة ومضغوطاً عليهم. ﴿**يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا**﴾: ينزل عليه شهاب فيحرقه، عرفوا أن الموت مصيره حتماً، السبب في صعودهم إلى السماء أن الأوامر الإلٓهية تتنزل على الملائكة كل يوم من حضرة الله تعالى: افعلوا كذا وكذا، ويخبرهم بأنه سيحدث كذا وكذا، فإذا سمع الشياطين ما سيحدث؛ بعدها يذهبون إلى أعوانهم السحرة ويخبرونهم عما سمعوا فينشرها السحرة بين الناس ويعتقد الناس بهم وبعلمهم الغيب، وبهذا الاعتقاد يضلون الناس، والله يقول: {**..وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**}[5]. لذلك يرسل عليهم شهباً فتحرقهم.

10- ﴿**وَأَنَّا لَا نَدْرِي**﴾: بالماضي قبل أن نأتي لرسول الله ﷺ لا ندري لماذا أرسلنا الله تعالى إلى الدنيا، ولِمَ خلقنا وخلق هذا الكون العظيم والحكمة من خلقه، ولِمَ الصلاة والصيام والحج، كانوا لا يعرفون شيئاً عن هذا، وعندما سمعوا الهدى من رسول الله ﷺ آمنوا وعرفوا الحق. ﴿**أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾: إن ظلُّوا مصممين على ما هم عليه من ضلال وطغيان وعدوان وكفر، فهذا السير يجرُّ لهم الشقاء والشر، هذا الشقاء منهم وليس من الله سبحانه وتعالى، فالله كتب على نفسه الرحمة وكتب عليهم السعادة وخلقهم من أجلها ومن أجل أن ينالوا من جناته وعطاءاته، لكن هذا الشقاء هم كتبوه على أنفسهم بأعمالهم الخبيثة وأعمالُهم عادت عليهم.

"أعمالكم عمالكم.."[6]

﴿**أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾: إن تراجعوا عن ضلالهم وطغيانهم ورجعوا إلى الله وغيَّروا ما بأنفسهم، وطبَّقوا كلامه وساروا بدلالته المنزلة على رسوله والذي يدلُّهم على الفضيلة والسعادة، فالله سبحانه وتعالى يبدلهم بدل الشقاء سعادة، وبدل الفقر والذل غنىً وعزاً، وتصبح الأرض جنة، ويعيشون بسعادة وأمان وينالون الخيرات منه سبحانه وتعالى.

سورة الجن: [11-20]

11- ﴿**وَأَنا**﴾: نحن الجن. ﴿**مِنَّا الصَّالِحُونَ**﴾: أتقياء صالحون للعطاء الإلٓهي. ﴿**وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ**﴾: ما دون الأتقياء. ﴿**كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا**﴾: يتبعون طرائق متعددة مثل عالم الإنس، عندهم طرائق كثيرة كما عند الإنس.

لكن هذه الطرائق كانت قِدداً بظهور رسول الله ﷺ وببيانه العالي العظيم قددت كلها ولم يبقَ لها داعٍ، انتهت ولم يبقَ إلا القرآن.

بوجود رسول الله ﷺ من يحق له أن يجتهد ويأتي بطريقة أو بشيء غير الهدى المنزل عليه ﷺ؟! الذي يجتهد ويأتي بشيء من رأيه معنى هذا أن كلام ربه ورسوله ما أعجبه وأنه غير عابئ به.

---

[5] سورة الكهف – الآية:51.

[6] رواه الطبراني.

إذن بظهور هذا البيان قُدَّت كل الطرق وانتهت ولم يبقَ لها داعٍ، وليس لأحد أن يأتي بشيء غير الذي جاء به رسول الله ﷺ من حضرة الله تعالى.

12- ﴿**وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ**﴾: بالماضي كانوا قبل ظهور الرسول آخذين حريتهم، لكن بظهوره ﷺ صاروا ملاحقين كالمجرمين لا يستطيعون الصعود إلى السماء، وفي الأرض البلاء والألم والشقاء والمصائب تأتيهم من كل الجهات[7]. ﴿**وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً**﴾: مهما هربنا سوف نموت ونرجع إليه سبحانه وتعالى، لذلك عندما فكَّروا بهذا قرروا الرجوع إلى الله وسلوك طريق الهدى، وأحبوا أن يعرفوا من أين يأتيهم هذا البلاء، لذا ذهبوا لمجلس رسول الله ﷺ مسالمين لا نية سوء لهم طالبين الحق والحقيقة، وعندما سمعوا عرفوا كل شيء وعرفوا أنَّ ما يأتيهم سببه أعمالهم، هم جرُّوه لأنفسهم وأعمالهم عادت عليهم فغيَّروا وغيَّر الله عليهم. فالله سبحانه وتعالى لرحمته بهم وعطفه عليهم شدد كثيراً عليهم، وبهذا التشديد تركوا الدنيا وشهواتها وطريق الضلال عندها سبحانه هداهم لرسوله ﷺ.

13- ﴿**وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى**﴾: من رسول الله ﷺ. ﴿**آمَنَّا بِهِ**﴾: سلكنا طريق الحق، أعطينا الطريق حقّه كلياً فاهتدينا وآمنا بربنا. ﴿**فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ**﴾: الذي يؤمن الإيمان الحقيقي ويتقي. ﴿**فَلَا يَخَافُ بَخْسًا**﴾: لا يخسر، بل بالعكس يربح، ودائماً بازدياد. ﴿**وَلَا رَهَقًا**﴾: لا نفسياً ولا جسدياً، بل بالسعادة والصحة دائماً، بالنور والسعادة والجنة وبالمكاسب، وهكذا نرى غير المؤمن معذَّب النفس ممتلئاً بالأمراض والعلل لا يعرف السعادة محروماً منها، دوماً يشكو دهره.

14- ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ**﴾: الذين استسلموا لله رب العالمين بما شاهدوا من أسمائه الحسنى ورحمته وعدله وعطفه، ثم سلَّموا أمرهم لرسول الله ﷺ وأصبح سراجاً لهم، فصاروا إنسانيين بما كسبوا من فضائل وبما اشتقوا من أسمائه تعالى الحسنى، الكل يأنس بهم ويطمئن لهم. وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يبدل صفات هذا الإنسان من قسوة إلى رحمة، ومن بخل إلى جود، ومن ظلم إلى عدل، وكل هذا يحدث بالصلاة، والعمل الصالح نتاج الصلاة، فالمؤمن هو الذي يعمل الصالحات لأنه يصلي، وإذا لم يصلِّ الإنسان ولم يشاهد ربه وفضله عليه فكيف يعمل؟

الشياطين عندما فكروا آمنوا، الإيمان والهدى سعي من الإنسان ذاته، فالله تعالى يقول: {**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ**}[8]. لمن شاء: أي لمن طلب، فكل من طلب الهدى هداه الله وأرشده، أما الذين ما سلكوا وما طبقوا يقولون بأفواههم ما ليس بقلوبهم، يتظاهرون أمام الناس بالصلاة ويتكلمون زخرف القول، والله يشهد ما في قلوبهم.

المؤمن الذي عرف ربه كلامه كله حق وخير، المؤمن لا يمزح إلا أن يكون له غايةٌ وهدفٌ وكسب أخروي، وبمزحه يجمع ولا يفرّق.

﴿**وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ**﴾: المائلون عن الحق، هؤلاء قاسوا الحق على ميزان آبائهم وأجدادهم تقليداً، وما ورثوه من تركة لا خير في معظمها، تراهم إن سُئلوا يرجعون إلى أقوال الآباء، هجروا القرآن، حفظوه للتغني والتفاخر والتعالي على بعضهم ولم يعملوا بهِ، معاندون للحق ومصممون على

---

[7] كمثل أهل هذا الزمان، الأمراض والزلازل والبراكين والأعاصير كل يوم تصيبهم وتخرب مدنهم، حتى الأوبئة والأمراض نزلت بالحيوان كأنفلونزا الطيور وجنون البقر وأنفلونزا الخنازير، والسماء ضدهم لا تجود عليهم إلا بما يعكّر عليهم صفو حياتهم من صقيع أو طوفان أو صواعق، وكذلك الأرض ضدهم والألم والشقاء والضيق والحروب في كل مكان، والبلاء يزيد.

[8] سورة التكوير – الآية:27–28.

معاندتهم، كل هذا لأجل شهواتهم وارتكاباتهم المنحطة، ﴿**الْقَاسِطُونَ**﴾: خانوا عهدهم الذي عاهدوا الله عليه ألا يسيروا إلا على كلامه وهديه، وبخيانتهم قست قلوبهم، وبهذه القسوة صاروا يسطون على بعضهم البعض على الأموال والأعراض، كل هذا لأنهم ما سمعوا كلام رسول الله ﷺ ولم يسلكوا طريق الحق والإيمان الذي دلَّهم عليه، وهو التفكير بالموت وبالكون حتى يصلوا إلى الشهود. ﴿**فَمَنْ أَسْلَمَ**﴾: لله، سمع كلامه وطبق. ﴿**فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا**﴾: بإيمانهم يشاهدون ويسمعون ما يتلوه الله تعالى على رسوله من أنوار وتجليات قدسية، فيؤمنون ويصبحون خلفاء راشدين يدلّون قومهم.

15- ﴿**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**﴾: بأعمالهم الخبيثة.

16- ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ**﴾: هؤلاء النفر الذين آمنوا عن طريق رسول الله لما حضروا مجلسه ﷺ، لكن بعد فترة من إيمـانهم شـاهدوا أن الذين ساروا من قبلهم من الإنس ضعفاء ولم يؤمنوا ويسعوا إلى الإيمان الحقيقي من ذاتهم، فتأثروا من ضعفهم وضعفوا معهم. إذ توقفوا عن الجهاد، جهاد النفس والهوى وانتكسوا، لو ظلوا مستقيمين ولم يضعفوا: ﴿**لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾: ماء الحياة، ماء المتقين، ماء للقلوب منه السعادة والشفاء والهناء والجنات، وهذا الماء لا يجدونه إلا عند الأنبياء والمرسلين.

17- ﴿**لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**﴾: به يُفتن ويتحول عن الدنيا وشهواتها وانحطاطها وما فيها من لذائذ فيها الشقاء. به يترك الدنيا بما في هذا الماء القلبي من نعيم وسعادة وحياة. الصلاة فيها لذَّة. الذين لم يشربوا منه أصبحوا كلاباً، كلاب الدنيا متكالبين عليها: **"الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب"**[9]. ﴿**وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ**﴾: أعرض عن ربه ورسوله ﷺ، الله سبحانه وتعالى أرسل له دلالة عالية توصله للسعادة فما سار عليها وأعرض، حب الدنيا رأس كل خطيئة، من أجل الدنيا وشهواتها أعرض عن ربه فصار مجرماً يقتل ويسرق ويرتكب الفواحش ويتعدى على الأعراض والأموال، وبهذا فهو دائماً خائفٌ من الموت وقلبه خالٍ من السعادة. ﴿**يَسْلُكْهُ**﴾: كما يريد، الاختيار له، هو أعرض وصمم على إعراضه. ﴿**عَذَابًا صَعَدًا**﴾: هذا العذاب الذي يصيبه سببه صدوده عن الحق، وبما أنه صد الحق وأعرض عن ذكر ربه صار عمله دنيئاً وسيرجع عليه (خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدره همّاً)، كل هذا العذاب رحمة من الله بهذا المعرض ليعود لجادة الصواب.

الشدائد حتى تخرج الدنيا من القلب ولأجل أن يرجع الإنسان إلى السعادة، هذه هي الغاية من إرسالها، وهؤلاء الجن كانوا مصممين على إعراضهم لكن بهذه الشدة عادوا للحق ورجعوا إلى جادة الصواب.

18- ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾: نفوسكم لله، النفس في حال سجودها لله تسمّى مسجداً، هذه النفس لله فقط فلا تضعوا بقلوبكم غير الله ورسوله ﷺ، الرسول دائماً مع الله، لا ينقطع عنه طرفة عين، إن أحبه الإنسان ووضعه بقلبه صار بالتبعية مع الله، فلا تتحولوا عنه ﷺ ولا تعلِّقوا نفوسكم بغيره، على الإنسان أن لا يعلِّق نفسه بالمعرضين وأن يتعلق بالذين لا ينقطعون عن الله.

19- ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ**﴾: رسول الله ﷺ عندما قام بالدعوة إلى الله. ﴿**كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ**﴾: قامت بوجهه الكرة الأرضية، لا يريدون الحق ولم يبقَ أحد معه. قول عمه العباس لأهل المدينة عندما دعوا الرسول الكريم إلى المدينة المنورة: "إن محمداً منّا حيث قد علمتم.. فهو في عز من قومه ومنعة في بلده،... فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك،... فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت".

---

[9] كنز العمال ج3 رقم/8564/

وقول العباس بن عبادة: "هل تدرون على ماذا تبايعون رسول الله؟ قالوا: نعم؛ قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس.."[10] وهذا شيء عجيب أن يكون الكل ضده وضد الحق.

لما سمعوا الهدى من رسول الله ﷺ قاوموا ظناً منهم أنهم إن ساروا بالحق سيحيف الله تعالى عليهم، فكادوا له وقاموا بتدبيرات لمنعه كلام الله وللنيل منه ﷺ. ﴿لِبَدًا﴾: أي جميعهم وقفوا ضدَّه.

20- **﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾**: بغير القرآن كلام الله لا أسير، ولا أتكلم إلا بالقرآن وبما يأمرني ربي. قوله ﷺ: **"..والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته"**[11]. وكان ﷺ كلامه القرآن. **﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾**: قل لهم أنا لا أشرك بربي أحداً فكيف يجعل سبحانه وتعالى لهم سلطاناً عليّ، كيف يُمكِّنهم مني وهو سبحانه الفعَّال بيده كل شيء، أنتم بيده وأنا بيده ولم أشرك به ولا بكلامه أحداً، أنا سائر على هديه فلا سلطان لهم عليّ ولا يُمكِّنهم مني، هذا لا يكون. قال ذلك لعمّه أبي طالب حين ساوموه بالدنيا.

سورة الجن: [21-28]

21- **﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾**: لو آمنوا بالله لما قال لهم ﷺ هذا الكلام، لو آمنوا لتعهدهم الله ورسوله ﷺ، الله تعهد المؤمنين، غير المؤمن لم يتعهده بالحفظ، المؤمن يطبق كلام ربه، غير المؤمن يسمع بأذنه فقط، يقرُّ بأنه منطق عالٍ لكنَّ نفسه لا تسمع، لذلك قال لهم ﷺ الله سبحانه أعطاكم الاختيار فهل تسمعون دلالته أم تسمعون من الذين أشركوا وكفروا؟

22- **﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾**: أنا لا أسير معكم على ضلالكم ولا أسمع كلام عَبَدَة الأصنام، لا أسمع من أحد غيره سبحانه، إذا سمعت منكم فالموت آتٍ ولا بد منه وسوف أموت وأذهب لربي، فهل تستطيعون أن تدفعوا عني شيئاً مما سيصيبني إن فعلت؟ **﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾**: لا أتحد مع غيره سبحانه وتعالى.

23- **﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ﴾**: أنا أبلغكم كلام الله. **﴿وَرِسَالَاتِهِ﴾**: التوراة والزبور والإنجيل كلها بالقرآن. **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾**: أنتم تعلمون نتائج العاصي. **﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾**: هم يرمون بنفوسهم إلى النار ليخلصوا من نار جهنم التي بنفوسهم، هم بذاتهم يخلدون فيها حيث يتحولون عما في نفوسهم من نار حسرة وندامة وعار.

24- **﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾**: عند الموت والبلاء أو بوقوع الساعة. **﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾**: سيشاهدون ما عملوا ويعلمون أن كل ما خلق الله من مخلوقات جاؤوا وأدّوا وظائفهم إلاَّ هم. **﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾**: صاروا أذلاء حقراء فمن سينصرهم. **﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾**: أقلُّ عدداً بالعالمين مما خلق الله، لأن كل ما خلقه سبحانه من المخلوقات لم ينقطع عنه وهم انقطعوا عن الله، فالكلب خير من الكفار. الحيوان جاء إلى الدنيا وأدَّى وظيفته وهم خانوا، لذا فالنار عليهم فقط.

25- **﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ﴾**: بالنصر، وبالساعة، الآن أشراطها وقعت ولم يبقَ إلا حدوثها كما حدث مع الأقوام الماضية؛ قوم سيدنا نوح والطوفان وقوم سيدنا لوط وكيف جعل عاليها سافلها،

---

[10] السيرة النبوية لابن هشام المجلد الثاني.
[11] السيرة النبوية لابن هشام المجلد الثاني.

وقوم فرعون لما قاوموا الحق أغرقهم بالبحر، وغيرهم من الأقوام السابقة[12]. ﴿**أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا**﴾: يتأخر النصر لكن لابد منه، فالله تعهد لسيدنا عيسى عليه السلام بأنه سيجعل المؤمنين الذين يتبعونه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة كما بالآية الكريمة {**إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**}[13].

26- ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ**﴾: قال لهم ﷺ: هو سبحانه وتعالى يعلم الغيب؛ أنا لا أعلم متى وقوعها لكن أعرف أشراطها، وأشراطها وقعت الآن، لكن وقوع الساعة لا يعلمه إلا الله. ﴿**فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾.

27- ﴿**إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾: الله تعالى يخبر رسوله إن شاء والرسول ﷺ يبلغ أصحابه "إن كانوا مؤمنين". ﴿**فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾: لا يستطيع أحد لمس الرسول بضرٍّ وكل ما قيل عنه ﷺ من أنه ضُرب وأهين وعُذِّب لا أصل له، إذ أن معه ﷺ مرافقة رهيبة من الملائكة، وهو طاهر سائر على أمر الله فلا سلطان لأحد عليه أفراداً وأمماً، وهو ﷺ كما قال عمّه العباس لمؤمني المدينة: "هو في عزّ من قومه ومنعة في بلده"، وقول العباس بن عبادة: "هل تدرون علام تبايعون رسول الله ﷺ؟ قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس.."[14]. فكيف يقولون دجَلاً أنه أهين وأذلَّ في الطائف وفي المسجد الحرام؟!! دسوس شيطانية لا أصل لها.

28- ﴿**لِيَعْلَمَ**﴾: رب العالمين، الله يعلم كل شيء لكن هنا الاختيار للإنسان، قد يغيّر هذا الإنسان طريق الحق ويسلك طريقاً ثانياً. ﴿**أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ**﴾: الله حافظٌ رسله ولا أحد يستطيع منعهم عما جاؤوا من أجله، وكذلك أصحابهم محفوظون بهم لا أحد يستطيع لمسهم ما داموا على استقامتهم. ﴿**وَأَحَاطَ**﴾: رب العالمين. ﴿**بِمَا لَدَيْهِمْ**﴾: وهذه وظيفة الرسل والأنبياء فالعلوم التي أخذوها ونالوها من حضرة الله يعلّمونها ويمنحونها للبشر. ﴿**وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**﴾: لكل إنسان ما سَمِع وطبَّق، وماذا عمل ونال، وعمله محفوظ عنده سبحانه وتعالى.

والحمد لله رب العالمين.

---

[12] وكذلك أهل هذا الزمان وما يرتكبونه من فواحش وقتل وإجرام وربا ولواط فسوف تأتيهم الساعة وما سيصيبهم فيها أدهى وأمرُّ من كل ما مرّ بالأمم السابقة.

[13] سورة آل عمران – الآية:55.

[14] السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الثاني.

تأويل سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المزمل: [01-10]

1- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾: الرسول ﷺ بعدم انقطاعه عن حضرة الله وإقباله العالي الذي لم يبلغه أحد أحب الله حبّاً كبيراً فاق به الخلائقَ جميعها، وبحبه لربه أحب خلقه وأحب أن يزاملهم لإنقاذهم من الظلمات التي أوقعوا أنفسهم بها إلى النور والجنات والسعادة، وينقذهم ويخلصهم من الشقاء والآلام التي حلَّت بهم جرَّاء انقطاعهم عن حضرة الله، فكلمة {**الـمُزَّمِّلُ**}: هي صيغة المبالغة لاسم الفاعل مشتقة من الفعل زَمَلَ:

يقال زمل فلاناً زملاً، أي عادله وأردفه وتبعه، وزمل الشيء رفعه وحمله فهو زميل، ومنها زميل الكلية أو زمالة وهي درجة علمية ينالها طالب الشهادة من الكلية، والزميل هو الرفيق والرديف بالعمل والسفر، وعلى هذا فالرسول ﷺ لمن تبعه رديف يرفعه إلى الله ويحمله بنفسه فيصبح في كنفه ومن صَحْبِـه الكرام، فهو ﷺ زميل وشفيع ودليل إلى الله وبالله، والله بهذه السورة يخاطب رسوله بقوله: ﴿**يا أيها المزمل**﴾: هو ﷺ طلب زمالة الخلق وصحبتهم للنهوض بهم للأنس والإنسانية ونوال الخيرات من الرحمن الرحيم بمعيته وزمالته، والله سبحانه وتعالى وجد عند رسوله اللهفة والرحمة والحنان على الخلق لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وجده صادقاً بطلبه، لذا تجلى عليه التجلي الأعظم وجعله زميلاً لهم وباباً له سبحانه وتعالى ليسمو بهم إلى عليين. فخاطبه الله تعالى بهذا الخطاب: يا من أحببت أن تكون زميلاً وشفيعاً لعبادي بنفسك الطاهرة المزدانة بالقدس وبأكاليل النور الساطع، وأن تكون لهم سراجاً منيراً يرون بنورك جناتي وأسمائي العلية، يا رحيماً بعبادي ورؤوفاً بهم. الطريق لهذا:

2- ﴿**قُمِ**﴾: قم لله وانهض بهم إليّ. ﴿**اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾: لكن لِمَ قيام الليل لرسول الله ﷺ؟ القيام لأجل العالمين، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وليحارب شياطين الظلام، والله هو المعطي وهو ﷺ القاسم بما يمده الله من عطاءاته ثم يمددهم ﷺ بما يتلوه عليهم من كلام الله العظيم، أنت يا رسولي تريد أن تغمرهم بالأنوار والجنات والسعادة، ولتحقيق طلبك عليك قيام الليل حتى أرسل لك القرآن ويتنزل عليك هذا البيان من أجلهم حتى يهتدوا.

فقبل نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ لم يهتدِ أحد لكن بعد نزول القرآن اهتدى به ﷺ، واهتدت بهديه الخلائق فآمنوا معه وصاروا علماء حكمـاء. وحتى الرسـل والأنبياء عليهم السـلام ازدادوا سمواً وعلواً بهديه وبيانه بما أشهدهم ﷺ من أسماء الله وجناته ومعانٍ لكلماته تعالى ما كانوا ليبلغوها لولاه. لأن الإسراء والمعراج تمَّ بقيام الليل، فقيامه الليل حتى يتنزل عليه القرآن الكريم من أجل الخلائق ومن أجل أصحابه الكرام الذين كانوا ببداية مسيرهم ولا يعرفون التوجه إليه، لذلك بقيامه ﷺ الليل حيث لا مشاغل ولا أحد عنده يكون متفرغاً عليه السلام لنفسه ولغيره فيما بعد، نهاراً: حسب الآية الكريمة بعدها ﴿**إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً**﴾[1].

---

[1] سورة المزّمِّل – الآية:7.

3- ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾[2]: من نصف الليل.

4- ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾: حسب المناسب. فالليل صيفاً يكون قصيراً جداً عكس ليل الشتاء يكون طويلاً فقيامه الليل على حسب الظروف من مرض أو مشاغل أو سهر وبسبب نقصان وزيادة الليل صيفاً وشتاءً.

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآَنَ﴾: نهاراً على أصحابك بعد قيام الليل ونوالك الخيرات في قيام الليل. ﴿تَرْتِيلًا﴾: آية بعد آية حتى يفكروا بها، للفهم والعقل، فالرسول ﷺ كان يعطيهم قدر صفحة من القرآن بدرس الجمعة يتدارسون ويفكرون بها من الجمعة إلى الجمعة يعيشون بها وبأحوالها، ثم يأتي الدرس والرسول ﷺ يشرح لهم المعاني وهكذا أُنزل القرآن في قلوبهم. فعلى الإنسان أن يقرأ بصلاته في الركعة الواحدة آيتين أو ثلاث أو سورة قصيرة حتى يستطيع أن يفكِّر فيها ويتعرف إلى معانيها، ويعيش بها وبأنوارها ويشاهدها بمعية تاليها ﷺ القلبية.

5- ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: ثقيلاً بالخيرات لك وللعالمين بأنواري وأنوارك، فيه جنات وعطاءات وأنوار، فيه شفاء للقلوب وسعادة لها، وهذه الخيرات أُنزلت على الرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿عليك﴾ لا على سواك، فكل الخيرات المنزلة من حضرة الله تأتي على رسول الله ﷺ صاحب الفضل الكلي العميم. فالله المعطي وهو ﷺ القاسم يلقيه على الصحابة الكرام، فالإنسان إذا لم يحب أو يقدِّر رسول الله ﷺ ولم تصبح له صلة به وشفاعة يبقى محروماً من الخير والسعادة ولا يخرج منه خير.

لكن من يستفيد ويأخذ هذه الخيرات؟

6- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾: ما ينشأ فيه من خيرات، "وكل من يقوم الليل فله من هذه الخيرات"، بقيام الليل تنشأ خيرات عظيمة لما فيه من هدوء وصفاء نفسي، حيث إن المرء لا ينشغل بشيء ولا يخطر على باله طعام أو شراب، ففيه عقل حقائق القرآن وشفاء للقلوب وإقبال على الله وسبح نفسي. فالله أعد لمن يقوم الليل خيرات كبيرة وعظيمة ما كان لينالها لولا قيامه الليل، لذلك كان الصحب الكرام رضوان الله عليهم بالليل رهباناً وبالنهار فرساناً، من الفراسة أي صارت لهم فراسة أي بصيرة من الله، دائماً ينظرون بنوره، فلا أحد يستطيع أن يخدعهم أو يغشهم، لذلك مدحهم الله سبحانه وتعالى وأثنى عليهم بقوله الكريم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3].

وبهذا شفيت نفوسهم من حب الدنيا وعللها وأصبحوا مرشدين يدلُّون الناس على ربّهم وعلى الرسول، يُدخلون في قلوبهم محبته ﷺ والرسول يُدخلهم على الله، وبهذا سلّم الله الصحبَ الكرام البلادَ والعباد لأنهم أهل وجديرون بهذا، فلا غاية ولا مطلب لهم إلا هداية الخلق.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾: تأثير قيام الليل على النفس كبير حيث فيه صفاء للنفس وبهذا ينطبع الحق بنفوسهم، كذلك أشد وطئاً على الشيطان الذي وعد بإضلال الإنسان، فهو عدو الإنسان يبث في نفس النائم الشهوات من حبٍّ للنساء والمال والجاه ليحوِّله عن ربه، فإذا قام الإنسان الليل قطع على الشيطان مكائده هذه وخلَّص نفسَه مما كان سيضع الشيطان فيها، فلا يبقى للشهوات سلطانٌ عليه وبذلك يطأ

---

[2] وهذه بشرى من الله لرسوله ﷺ، فكما أنه يوجد ظلمات للعين يوجد ظلمات للقلب، وكما أن هناك شمس للصورة وتزول، فهو ﷺ شمس للحقيقة الباقية، والله ينظر للقلوب، وطلبه ﷺ هداية القلوب، وهو ﷺ أتى ليزيل ظلمات القلوب بنور الله الدائم بالبرزخ والآخرة والأبد، أما نور العين فإنه يزول بالموت، وهو ﷺ قدَّم وأعطاه الله كما قدَّم، والحقيقة لولا مقاومة اليهود والنصارى لساد الإسلام العالم، فهذه بشرى من الله تحققت، ولأنه ﷺ رحمة للعالمين.

[3] سورة الذاريات ـ الآية:17-18.

الشيطان ويدوسه، فالصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقفوا بوجه شرور وفساد العالم وحاربوه وانتصروا بمعية رسول الله ﷺ القلبية، لم تفتر عزائمهم، صار لهم ثبات نفسي وجسمي، ثبات جسمي أمام أقوى وأعتى الجيوش والرجال فلم يخافوا ولم يجبنوا، وثبات نفسي أمام الشهوات من مال ونساء وأولاد وجاه، فلم تؤثر عليهم وتحولهم عن غايتهم من هداية الخلق وعن إيمانهم ومحبة الله ورسوله ﷺ لما يغدق الله على قلوبهم من نعمه التي لا تكاد لذائذ الدنيا تذكر تجاهها.

﴿**وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾: صار سماعه للقرآن عن شهود حيث صار لهذا المؤمن من الله نورٌ وأصبحت له بصيرة يرى فيها معاني كلام الله التي يتلوها رسول الله ﷺ عليه، يرى ما فيها من خيرٍ وحقٍّ وسعادةٍ ويرى بها أسماء الله الحسنى، فكل ما يتلوه عليه الرسول يراه ويشهده شهوداً نفسياً، ويعقلون كلام الله عن طريق رسوله ﷺ فتنطبع معاني القرآن بنفوسهم، وبهذا يصبح قولهم عن شهودٍ وليس مجرد كلام، وتأثيره قوي بالناس، فكلام الله أولاً لرسوله ﷺ ثم لمن اقتفى أثره.

7- ﴿**إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**﴾: وظيفته ﷺ دائمة لا تنقطع أبد الآباد وهي التسبيح بفضل الله وبأنواره العلية وأسمائه الحسنى، فهو ﷺ الذي ينقل النفس من حال لحال أعلى ومن جنة لأعلى يسبِّحها بأنوار الإله وأسمائه، وهو الذي يُسبِّح الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمتقين والمؤمنين، وهذا السبح طويلٌ من الأزل إلى الأبد.

كذلك صار معه ﷺ أصحاب صادقون، صاروا علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وهم الصحب الكرام، الرسول يسبِّحهم، يسبِّح نفوسهم سبحاً نفسياً بأنواره القدسية العلية بحياته وبعد انتقاله، وهم يسبِّحون غيرهم من المؤمنين لكن بمعيته قلبياً وأنواره ﷺ، وبهذا التسبيح بفضل الله وتجليه وأنواره يحدث الشفاء والعطاء، وقد امتد هذا التسبيح إلى ما ينوف عن ألف ومئتي عام، فكلنا بفضل الصحابة والكل بصحيفة الرسول ﷺ وبفضله، ولولا فضل الله على الرسول ﷺ والصحابة ما آمن أحد منَّا وما اهتدينا.

8- ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ**﴾: اذكر أسماء الله الحسنى. ﴿**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ**﴾: تبتل إلى الله، الله هو المعلم، ولشدة حبه لرسوله ﷺ يعلمه بهذه الآية كيفية الوصول إلى سدرة المنتهى أي المكانة التي ما وصل إليها أحد، فالله يقول لرسوله ﷺ الآن خُذْ كمالاتك حتى تصل لهذه المرتبة، ﴿**تَبَتَّلْ**﴾: انقطع عن كل شيء إلا الله، لا تنقطع عني، والرسول ﷺ يقول في حديثه الشريف: **"لي ساعة مع ربي لا يسعني فيها ملك مقرّب ولا نبي مرسل"**.

وبذلك حاز الرسول العظيم هذه المرتبة العظمى ونالها. ﴿**تَبْتِيلًا**﴾: انقطاعاً كليّاً عن كل شيء، وبعدها ابقَ معي ومعهم، أي لتكن عيناً مع الله وعيناً مع الخلق، بعين النفس وعين الرأس.

9- ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾: كل الإمداد بالتربية منه سبحانه وتعالى، فما أعظم من يدوّر ويقلِّب الكرة الأرضية! تدور كل أربع وعشرين ساعة دورة كاملة بلطف بالغ، لا أحد يشعر بدورانها، فكأس الماء لا يتحرك ولا يهتز بانقلاب الدورة الأرضية، فما هذه القدرة؟! يمدُّ الكون كلَّه من أجلك أيها الإنسان حباً بك وعطفاً عليك، يمدك بالطعام والشراب ليعيش جسمك، كل هذا من أجل أن تلتفت إليه بإيمانك بالمحبة فتنال جناتك وسعادتك وتصبح من أهل الإشراقات، فإن التفتَّ وآمنت به بمشاهدة هذه العظمة، حيث يشرق نوره تعالى على نفسك فتشفى مما بها من علل وأمراض نفسية كانت تحجبك عنه سبحانه وتعالى وعن عطاءاته وأنواره. فكل من آمن وسار مع الرسول ﷺ وسمع كلامه أمده الله تعالى بالأنوار والإشراقات القلبية عن طريق رسوله السراج المنير، شمس القلوب وضياؤها. عندها بالرابطة برسول الله ونوره ﷺ يعرف أهل الإشراق وأهل العطاء والخير، فتأتيه إشراقات ربه وعطاءاته حيث يمده بالنور والضياء القلبي عن طريق رسوله ﷺ ورسله وأنبيائه

الكرام صلوات الله عليهم أجمعين، فلا يبغي عنها حولاً لما يناله من سعادة ونعيم لو علمت به ملوك الأرض لتركوا ملكهم من أجله، وبذا نكون قد تحدثنا عن الآية الكريمة عن المشرق المادي والقلبي.

إن لم تؤمن فلك الاختيار، وربك يمدك بالشيء الذي اخترته وطلبته، إن أعرضت عن الله وأصررت ولك الاختيار فتغرب نفسك عن الله وأنواره الباقية المتنامية إلى الدنيا وزينتها وأنوارها الزائلة بدل أن تشرق بنوره وجناته **{كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً}**[4].

الذين ما آمنوا ما عظموا ربهم وما عرفوا رسولهم، يريدون الدنيا وما فيها من ملاذٍ وشهوات فقط، وهؤلاء غربت نفوسهم عن الله وسوف يغربون عن الدنيا ويتركونها بالموت، وبالشقاء والعذاب والنار سوف ينزلون، أولئك هم الخاسرون.

﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: بيّن لهم، علَّمهم طريق الإيمان ليشاهدوا أن لا مسيِّر إلا الله، هو سبحانه يسيِّرك على حسب ما في نفسك وعلى حسب طلبك، إن كانت نيتك طيبة يسيِّرك لفعل الخير ويعطيك ما تحب وترضى، إن كانت نيتك غير ذلك وصمَّمت على ما في نفسك يسيّرك بما صمَّمت عليه فلك الخيار. ﴿**فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾: الرسول دائماً متوكِّل على الله، وكل من صاحبه وارتبط به متوكل على الله، والله بهذه الآية يخاطبنا عن طريقه ﷺ قائلاً: يا عبادي أنا الممد المسير المربي بيدي كل شيء، سلِّموا أمركم لي وتوكَّلوا عليّ كتوكّل إمامكم عليّ واطلبوا مني وأنا أعطيكم وأهيئ لكم الأسباب لنوالها، فقط توكلوا عليَّ، آمنوا وتمسكوا بمن جعلته هادياً لكم، فعن طريقه تنالون كل خير ولا تنفتنون بالدنيا وشهواتها، أمَّا بدونه تنفتنون.

لذلك على الإنسان التمسك بالعروة الوثقى، برسول الله ﷺ بيد، واليد الثانية يُنقِذ بها الخلائق ويعمل بها الخير من هداية الخلق وبهذا لا يقع بالفتن.

10- ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**﴾: من تكذيب، قلبه الشريف ﷺ يتقطع عليهم، هو يريد هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور وهم يعارضونه، اصبر على هؤلاء الذين كذبوا بك وبدلالتك، أنت تريد لهم الخير والنجاة والجنة وهم يتكلمون عنك ويظنون بك الظنون.

﴿**وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾: لاطفهم ولا تهاجمهم لئلا يزدادوا بعداً على بعدهم وليكون لهم مجال للرجعة إن أرادوا أن يرجعوا.

سورة المزمل: [11-20]

11- ﴿**وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ**﴾: أنا أعالجهم، خطاب من الله تعالى لرسوله الرحيم، فالله بهذه الآية يقول لرسوله ﷺ: هؤلاء كذَّبوا بي وبدلالتي وكذَّبوا بك وتكلموا عنك بالسوء والآن لا يمكن أن يسيروا معك ويسلكوا طريق الحق، يريدون الدنيا وشهواتها اتركهم لي الآن واهتمَّ بالمؤمنين. فلابد من علاجهم وسوف أعالجهم، فلا تحزن عليهم. ﴿**أُولِي النَّعْمَةِ**﴾: عطاء الدنيا نَعمَة وليس بنِعمة وهو زائل. هم يريدون المال والنساء والمناصب والجاه، يريدون الدنيا ليستعلوا بها على بعضهم البعض ويتكبروا على الناس، وأنا سوف أعطيهم ما طلبوا واختاروا على المستحقين، لكن هذه ليست نِعمة لهم هذه نَعمة، وستعود عليهم بالنِّقمة وبجهنم، وسترجع عليهم بالشقاء والألم والأمراض، وكل هذا رحمة مني وحناناً عليهم وعلاجاً لأنفسهم ليعودوا فيطهروا ويدخلوا جناتي حتى يزهقوا الدنيا وشهواتها، وما هم مفتونون به من مال وأولاد ونساء حوَّلَهم عني وعن عطائي وجناتي. ﴿**وَمَهِّلْهُمْ**

---

[4] سورة الإسراء – الآية:20.

﴿قَلِيلًا﴾: بيّن لهم ليخففوا من المعاصي، بيّن لهم نتائجها عليهم. مهما لازموا مجلسك إن لم يتوبوا ويغيّروا ما بأنفسهم ويؤمنوا فلابد للذي بنفوسهم من أن يخرج، لكن أنت مهلهم قليلاً.

لكن كيف يمهلهم الرسول:

بتوجهه ﷺ بنفسه بالنور الذي معه بهذا يخفّفون من المعاصي ويتأخرون عن الوقوع بالكبائر والارتكابات والجرائم، لكن بعدها إن لم يغيّروا ويتوبوا فلابد للذي فيهم أن يخرج ويعملوا به.

12- **﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾**: الله لا يتركهم، أعمالهم سترجع عليهم بالوبال والحسرات والخسران. كلمة **﴿أَنْكَالاً﴾** تعني: أنهم سينالون ما كالوه لأنفسهم.

وفي الحديث الشريف: **"أعمالكم عمالكم.."**[5]. خسروا كل شيء، خسروا مقامهم العظيم من أجل يوم من أيام هذه الدنيا الفانية، كل هذا لأنهم ما سلكوا طريق الإيمان مسلك سيدنا إبراهيم عليه السلام، المدرسة فيها قوانين إن طبقتها تنجح. **﴿وَجَحِيمًا﴾**: هذه الشهوات المحرمة التي وقعوا بها وفحشهم وجرائمهم عادت عليهم بالنيران الجهنمية، وستعود عليهم بنار الله الموقدة بعد ذلك، نفوسهم دائماً معذّبة منغّصة لا يعرفون للسعادة طعماً. ويَشْكون أنَّ ناراً بهم. **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً}**[6].

السعادة من الله بالإقبال عليه وبالأعمال الصالحة، وهؤلاء أعرضوا عن الله ولم يعملوا صالحاً فكيف يسعدون ومن أين يأتون بالسعادة؟ صاروا وحوشاً بثياب إنسان، ووقعوا بشرّ أعمالهم، نهب وسلب وقتل وحروب وزلازل وبراكين وأعاصير نتاج أعمالهم ونواياهم المؤذية.

13- **﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾**: وقعوا بالأمراض والآلام والأحزان، حياتهم ضيق وهمّ وغمّ، وبسبب مرضهم وتعاستهم لا يستطيعون الأكل إلا أنواعاً معينة، وبعد موتهم طعامهم ذو غصّةٍ. (خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدره هماً وغماً).

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: بسبب أعمالهم. المريض إذا أكل طعاماً لذيذاً طيباً، تُرى هل يتلذذ به؟! فلابد له من أدوية وعلاجات حتى يشفى ويخلص من العلة.

14- **﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾**: وهذه بقيام الساعة، ساعة البلاء التي وعد الله بها الناس إن لم يسيروا بالحق، بلاء مثلما أتى الأقوام الماضية:

قوم نوح وعاد وثمود، وكيف أنَّ الله أوقف شرورهم عندما عصوا رسله.

وهي التي سيظهر فيها السيد المسيح عليه السلام ويمسح الكفر والشقاء من الكون ويحل الأمن والسلام والسعادة فيه، ترجف الأرض والجبال بهذه الساعة من قوة الزلازل لتخفي ما على ظهرها وتخرج ما فيها. **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}**[7].

فالله العظيم يقول عنها ويصفها بأنها عظيمة لكثرة الأهوال التي فيها **﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ﴾** الله خلق هذه الجبال وأوجدها وجعل لها وظيفة، تثبت الأرض من الانسياح فهي كالأوتاد، ومثلما خلق الله هذه الجبال العظيمة والتي هي من صخور وحجارة، كذلك خلق وأرسل لنا جبالاً بالعلم والمعرفة والأنوار

---

[5] رواه الطبراني

[6] سورة طه – الآية:124.

[7] سورة الحج – الآية:1

لقلوبنا وهم السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، فهم جبال يثبتون الخلائق من أن ينساحوا إلى الفحشاء والمنكر، وهذه الجبال كانت: ﴿**كَثِيبًا مَهِيلًا**﴾: الجبال والأرض والسموات كانت في بداية الخلق حينما خلقها الله نفوساً مجردة لا حجم لها ولا كيان، ولكن الجبال على سبيل المثال أحبت أن تكون بهذا الحجم الرهيب والسمو والعلو على الأرض لأن لها طاقات مميزة، فهي أولاً كنفوس تثبت الأرض بوظيفتها حينما تُذهَلُ الأرض من أعمال البشر المكلفين والذين هم أسمى الخلائق وقد غدوا بإعراضهم عن الله يرتكبون من الارتكابات السيئة ما تتأثر به الأرض كنفس وتكاد تذهل وتترك وظيفتها، عندها يأتي دور الجبال ذوات النفوس والطاقات الأكبر من طاقات الأرض فتثبتها في الاستدامة على وظيفتها، هذا يجري في العالم الغيبي عن المشاهدات المادية، لأنها مجريات نفوس لا تُرى بالعين المجردة وإنما يراها أهل النفوس البصيرة بنور الله ورسوله ﷺ لا بالأنوار المادية، أما هذه الجبال العظيمة الشاهقة بالعلو والعظمة بالحجم الصخري المادي فهي أيضاً كما شرحنا سابقاً تثبت القشرة الأرضية من الانسياح والتشقق، لأن ما ثبت بالوسائل الصوتية الرنانة (SONIC) أن الجبال أعظم مما نراها فهي كثبان صخرية (حتى الكثبان الرملية أصلها صخرية)، وهي أكبر بكثير من الحجم المرئي لأن جذورها الصخرية كما ثبت بـ (SONIC) الصوتي ممتدة في باطن الأرض بقدر ثلاثة أمثال حجمها الظاهر ونصف المثل، فهي كما قلنا تثبت القشرة الأرضية من التشقق والانسياح، كذلك تعمل على توازن الأرض الثابت بدورانها اليومي، كذلك الجبال خزانات للماء التي فيها الحياة وعن طريقها حياة المخلوقات ومع عظمة الجبال فهي محمولة كلها لخيرك.

نقول: هذه الجبال هي جبال الدنيا لا الآخرة وسوف تزول يوم القيامة وتذهب بلا عودة ولا بقاء لها، والآن وحينما يأتي يوم القيامة تظهر جبال الآخرة وهي نفوس عظيمة سمت فوق نفوس البشر والخلائق كلها.

وكما أن هذه الجبال العظيمة تحوي في بطونها الماء والحياة فتمدنا بالينابيع والأنهار بل وكل حياة مادية {**..وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ..**}[8]. وكذلك جبال الآخرة أيضاً تحوي الماء الغدق للخلائق، عندئذ فهي مهبط التجليات الإلٓهية وينابيع الحياة للبشر، ألا إنها نفوس الأنبياء والرسل الكرام العظام.

إذاً فالجبال المادية كثبان صخرية ثلاثة أمثال ونصف تحت الأرض ومثل ظاهر، فهي أربعة أمثال ونصف المثل. ﴿**كثيباً**﴾: وهي تساعد الأرض حينما تُحاول أن تتزلزل أو تزول من هول ما ترى من أعمال البشر المكلفين من شرور، فتثبتها من أهوال ما تشاهد من شرور البشر المعرضين والذين كان من المفروض أن يكونوا ينابيع للخير بما عاهدوا الله عليه في الأزل ثم غيّروا. ﴿**مهيلاً**﴾: الجبال البشرية. هؤلاء الجبال صلوات الله عليهم أجمعين حقيقتهم سارية في الوجود وهم معك بالحقيقة أيها الإنسان عن كثب، عينُهم دائماً عليك، قريبون منك لا يتركونك لحظة بحكم وظيفتهم التي أسندها الله سبحانه وتعالى إليهم، بسبب رحمتهم وعطفهم على خلق الله ﴿**مهيلاً**﴾: بهذه النظرة وهذا التوجه الذي يتوجهونه بالنور الذي معهم يمهلون النفوس المعظمة لهم والملتفتة إليهم بالتقدير من أن تقع بالشذوذ والفواحش والإجرام، يسكِّنون لهم شهواتهم المحرمة ويحوِّلونهم عنها بالصلاة معهم، وهكذا حتى يملؤوا نفوسهم بالنور والكمالات فيشاهدوا حقيقة الشهوات الدنية وأذاها.

قال تعالى: {**..وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ..**}[9].

---

[8] سورة الأنبياء – الآية:30.

[9] سورة التوبة – الآية:103.

15- ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا**﴾: أرسل لنا رسولاً مثل باقي الأمم، لم يتركنا سبحانه وتعالى بلا هادٍ ولا دليل، أرسل رسوله وأنزل عليه هذا البيان وهو ﷺ بيَّن وأنذر. ﴿**شَاهِدًا عَلَيْكُمْ**﴾: من رحمته وحنانه دائماً عينه عليكم لا يترككم لحظة. هو قريب منكم أنتم فقط التفتوا له بالتقدير والتعظيم والمحبة، هو ﷺ غامركم بالنور ومشاهدُكُم بإشهاد من الله ويحب أن تروه هكذا، وإلا أنتم بعيدون عنه. ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا**﴾: لكن فرعون ما استفاد من رسول الله موسى عليه السلام، الله يحذرنا بهذه الآية ويقول: أنا أرسلت لكم رسولي أنتم لا تكونوا مثل فرعون وقومه، انظروا الذين ما عرفوا رسولهم وما قدروه، ما آمنوا به، ماذا حلّ بهم؟

16- ﴿**فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ**﴾: دعاه إلى الإيمان وإلى السعادة والجنات فما فكر ولا سمع وما طبق ولا سار بكلام سيدنا موسى عليه السلام، عصى خليفة الله ولم يعرف قدره، عصى الرسول وتكلم عليه بالسوء وحاربه وأراد القضاء عليه. ﴿**فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا**﴾ لكن بماذا عاد عليه هذا العصيان؟ عاد عليه بالهلاك، هلك ومن معه وتدمرت بلاده وأملاكه. كذلك نحن إن عصينا الرسول ﷺ وما طبقنا ما يأمرنا به وما سلكنا طريق الحق وسرنا بدلالته سوف يأخذنا الله أخذاً وبيلاً كما أخذ فرعون {**..وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ**}[10].

17- ﴿**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ**﴾: إن ما فكرتم وآمنتم، إن ما طبقتم كلام الرسول وتركتم المدرسة المحمدية وأعرضتم عنها، "كفرتم بالله والرسول" هل تستطيعون أن تتقوا البلاء وتردوه عن أنفسكم؟ كيف تتقون ما في ذلك اليوم من هول شديد؟! هل تستطيعون أن تفعلوا شيئاً وتمنعوا البلاء عنكم وأنتم لا إيمان ولا تقوى ولا أعمالَ صالحةً لكم. ﴿**يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**﴾: تشيب من شدة الهول، الطفل يبيض شعره، حيث أن الولدان متعلقون بآبائهم فمن الأهوال التي تنصب على الآباء ولشدتها تنعكس بهذه العلاقة على أبنائهم فتشيب، فحينها إن كفرتم ما الذي سيقيكم تلك الأهوال؟! {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**}[11]، زلازل وبراكين وأعاصير حيث الأرض تتمايل من الزلازل ونيران من السماء والأرض، فإن لم تحصل لك التقوى فسيحصل لك بلاء عظيم، والله يصف هذا اليوم بالشدة والعذاب، فكيف هو يا تُرى؟! {**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ..**}[12]. كم عند الأم على ولدها من عطف وحنان! لكن ساعتها تذهل عنه وتلقيه. فالهول ينسي الناس كل شيء.

إن ما آمنا بالله والرسول سيقع علينا هذا البلاء والعذاب حتماً. الرسول ﷺ حذرنا من هذه الساعة وبين لنا كيف التقوى والخلاص منها، لكن إن لم نعبأ بإنذاره وما طبقنا وعصينا فسوف تأتينا مثلما أتت الأقوام السابقة، وهو ﷺ ساعتها يتفطَّر قلبه على الخلق.

18- ﴿**السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ**﴾: من شدة ألمه وحزنه ﷺ على الخلق، وأيضاً سترجع السماء كما خلقت أول مرة، حيث تزول السموم منها وتعود صافية نقية. الآن الجو كله ملوث غداً يعود كل شيء كما كان. ﴿**كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا**﴾: على الأقوام السابقة حدث هذا الشيء، والآن سيقع أيضاً وسيحدث هذا حتماً، ولن يطول كثيراً، وما التأخير إلى الآن إلا رحمةً وحلماً وحناناً من الله تعالى.

19- ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ**﴾: لا إكراه في الدين ولا إجبار، هذه الدلالة وهذا البيان الذي بيَّنه لنا رسول الله ﷺ تذكرة لنا، فالرسول ذكَّرنا بهذه السورة. فإن طبقتم وسلكتم فإنكم تهنأون بالسعادة حين البلاء

---

[10] سورة الأعراف – الآية:137.
[11] سورة الحج – الآية:1.
[12] سورة الحج – الآية:2.

والناس بأهوال الساعة. ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾: لك الاختيار أيها الإنسان فكل من شاء. ﴿اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: سار بطريق الإيمان، الطريق الذي بيَّنه لك رسول الله، وهو ﷺ معلم الإيمان، وهو طريقك للوصول إلى الله، كل من شاء سار بطريق الإيمان وطبق. ما هو الطريق؟ فكَّر بالموت حتى أيقنت نفسه بساعة الرحيل والفراق فخاف على مصيره، ساعتها ترك المنكر وأهله واستقام على طاعة الله، فكَّر بالكون وآياته، جعل لنفسه ساعة تفكير صباحية وساعة تفكير مسائية، قام الليل وقدم أعمالاً صالحةً، صار ينفق مما يحب، ينفق الشيء الغالي على نفسه، آمن، شاهد عظمة الله ورحمته من خلال الكون، بعدها يحب أهل الكمال ويحب رسول الله ﷺ ويرتبط معه برابطة المحبة، هذا هو القانون، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً عن طريق الرسول ﷺ لأن حقيقة الرسول سارية في الوجود والذي يطلب ربه الله يرسل له رسوله ﷺ بأنواره فيرى وهذه هي التقوى.

20- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾: وهذه شهادة من الله سبحانه وتعالى لرسوله أنه يقوم الليل، وقد بعثه المقام المحمود وأنزل عليه كلامه المُغني الذي ينهض بالقلوب إليه تعالى، فكان زميل الخلق ينهض بهم إلى الله ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾: أيضاً يقومون لصلاة قيام الليل، ويتوجهون بأنفسهم إليك، ويطوفون بأنفسهم حوله ﷺ بالمحبة والتقدير فيتدبرون معاني بيانه القرآني العظيم.

﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: من تزايدهما وتناقصهما خلال السنة، يقدر الأوقات من زيادة ونقصان، فليل الشتاء طويل ونهاره قصير، وليل الصيف قصير ونهاره طويل، وكل هذا من أجلك أيها الإنسان، من أجل حياتك وسعادتك، فزيادة الليل ونقصانه بسبب الفصول الأربعة ولولا طول الليل ونقصانه لما خرج الثمر ولما نتج الزرع، وطعامك وشرابك أيها الإنسان بسبب طول الليل ونقصانه.

﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾: لا تستطيعون القيام مثل الرسول على الدوام، فمهما جاهدتم وضحيتم وآمنتم لن تصلوا إلى درجته ﷺ ولن تسبقوه، هو ﷺ السابق الأسبق وهو الأول، نيته عالية فاقكم بالنوايا وبإقباله العظيم على الله، فنال من العلوم ما لم ينَلْه أحد. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: رجع عليكم بالخيرات. ﴿فَاقْرَءُوا﴾: من القرآن، اقرأوا بدلالة الله القرآنية وفكروا في معانيها. ﴿مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: اقرأوا من القرآن ما تيسر منه حتى تفهموا معانيه وتسيروا بها وتعملوا بموجبها. ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾: لا يستطيعون أن يقوموا من الليل بسبب مرضهم. ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: مسافرون، والسفر فيه مشقة وتعب فلا يستطيعون قيام الليل، لكن يقوم الليل لفترة قصيرة. ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: يدعون الناس إلى الإيمان، فالصحابة فتحوا العالم بالمعاملة الحسنة والتضحية بالمال عن طريق التجارة. عاملوهم بالإحسان، أعطوا صورة صادقة حقيقية فاضلة جميلة عن رسول الله ﷺ بمعاملتهم وتسامحهم ورحمتهم وعلمهم "والدين المعاملة" فأقبل الناس عليهم ودخلوا بالإسلام أفواجاً.

﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يقاتلون المعتدين بالسيف لردِّ الناس إلى الحق والسعادة وإخراجهم من الظلمات إلى النور بمعية رسولهم ﷺ ولتكون كلمة الله هي العليا، هؤلاء وقتهم ليس بيدهم، لكن قيام الليل ولو كان لفترة قصيرة يستيقظ المرء فيه فينزع مكائد الشيطان ويقطع حبائله.

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾: اقرأوا القرآن على أنفسكم بقيام الليل، أي قوموا الليل واقرأوا على أنفسكم الذي يتيسر لكم من القرآن ولو شيئاً قليلاً، فهذا القيام نعمة لهم حيث يقطعون به حبل وشغل الشيطان أثناء غفلة النوم، وبذلك لا يكون للشيطان سلطانٌ عليهم بالشهوات الدنية، حيث لا قيمة لها بنفوسهم.

﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾: لأنفسكم ولغيركم، بالتفكير ومحبة الرسول ﷺ وعمل الخير والإحسان تثق النفس برضاء الله عنها فتصلي. ﴿**وَآَتُوا الزَّكَاةَ**﴾: وبهذه الصلاة تكسبون الطهارة لأنفسكم ﴿**وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾: الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى مالك فكل شيء منه سبحانه، كذلك الرسول ﷺ ليس بحاجة لأموالكم، لكن هذا المال الذي تنفقه من زكاة وصدقة، لك عليه أجرٌ من الله وجنات.

﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ**﴾: العائد لك، من أجل أن تنال من الله الكمال والجنات. ﴿**عِنْدَ اللَّهِ**﴾: في الصلاة ﴿**هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾: لكم عليه أجر من الله، جنات وسعادة ورحمة دنيا وآخرة ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ**﴾: اطلبوا الشفاء من الله لأنفسكم، الطريق: قيامكم الليل إذا داومتم عليه تُشفى نفوسكم مما بها وتطهر وتحب رسول الله ﷺ وترتبط نفوسكم معه، عندها برابطتكم مع رسول الله ﷺ تستطيعون أن تستغفروا لأنفسكم ولغيركم.

﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**﴾: هو سبحانه وتعالى الشافي لا غيره، يتجلى عليكم، يشفي النفوس من عللها، وهو سبحانه بعثكم من أجل هذا، من أجل أن تشفى نفوسكم من أدرانها لأنه: ﴿**رَحِيمٌ**﴾: بكم يريد سعادتكم وأن تدخلوا الجنات.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المدثر: [01-10]

1- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾: خطاب لرسول الله ﷺ ووصفٌ لحاله. فالمدثر مأخوذة من الدثور، وفي اللغة تعني الغنى المادي أو المعنوي، ومنها قول بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ: "ذهب أهل الدثور بالأجور"[1] أي كسب أصحاب المال من كبار الصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم بإنفاقهم كسباً عظيماً كبيراً.

وعلى هذا فالمدثر هو الغنيُّ المزدان بالثراء، وهي هنا الحائز على الغنى القلبي والحائز على الكمالات الإنسانية المترف بالعطاءات القلبية من ربه الغني المغني، فهو تعالى الذي أمدَّه بالثراء الكوني فجعله رحمة للعالمين أجمعين بدءاً من السادة المرسلين والنبيين العظماء إلى المتقين والمؤمنين أجمعين إذ خصَّه بالتنزيل لكلامه تعالى المبين بقوله الكريم.

ولغوياً كلمة (مُدَّثِّرُ) بفقه اللغة مشتقة من كلمتين: مُدَّ أي امدد. ثِرْ: أَثْرِهِم من الثراء. **{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}**[2]. القرآن: المتضمن الكتب القيّمة والصحف المقدسة، فالله يخاطب رسوله ﷺ **{يَا أَيُّهَا الـمُدَّثِّرُ}**: أي يا رسولي اقسم عطاءاتي وجناتي المتواردة مني عليك على عبادي، فأنا المعطي وأنت القاسم، فهو ﷺ رحمة للعالمين ليهدينا ويدلنا إلى الكنز الذي منه بحور النعيم والغنى والثراء على العالمين فهو المدثر بخيرات الإله التي نالها وأحبها لهم. فالرسول ﷺ بإقباله على الله نال ما نال وشاهد أن إخوانه لم ينالوا مثله من ربهم فأحب واشتهى لهم ما نال، وطلب من الله أن يجعله باباً لهم لينالوا مثله والله سبحانه مع الخير، فأذن للرسول بهذا الطلب وقال له يا أيها الغني مني وبي زاملهم وصاحبهم ولا تعدُ عيناك عنهم **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ..}**[3]. لإثرائهم ثراء وغنىً قلبياً وغنى دنيوياً لا فقر بعده ليغدوا بالثراء الكلي دنيا وآخرة وللأبد بالجنات رافلين.

2- ﴿قُمْ﴾: يا رسولي إلى طلبك، أنت طلبك هداية الخلائق وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الشقاء للسعادة والجنات، والآن آن الأوان وجاء وقت طلبك لهداية الناس والصادقون من ذرية قريش قد تهيؤوا للإيمان، انهض بنفوسهم من طريق الكعبة.

﴿فَأَنْذِرْ﴾: أنذر الذين عاهدوا ربهم ونكثوا بالعهد ونسوا ميثاقهم مع الله، أنذر هؤلاء الضالين الغارقين بالجهل والشهوات والشقاء حتى يرجعوا إلى الصواب، بيّن لهم أنهم سيموتون وأمامهم عذاب القبر وسعير النار والإنسان محاسب على أعماله.

خوِّفهم لأنهم إذا خافوا رجعوا للحق وغيّروا من سلوك حُفر النار المحرقة إلى وجهة الجنان المغدقة المشرقة، والتفتوا لك وأنت بهذا الحال العالي معي فينجون. أنذَرَهُم ﷺ فما خافوا ولا التفتوا نحوه إلا الذرية آمنوا، وهم الصفوة أوائل الصحابة الكرام من المهاجرين.

---

[1] صحيح مسلم رقم الحديث /2376/.
[2] سورة الحجر – الآية:87.
[3] سورة الكهف – الآية:28.

3- ﴿وَرَبَّكَ﴾: يا محمد ﴿فَكَبِّرْ﴾ عظّم لهم ربك أرهم عظمة الله حتى ينفتنوا بالصلاة القلبية معك، دلَّهم على الله، بيِّن لهم أسماءه الحسنى حتى يحبوا ربهم، أشهدهم أسمائي الحسنى فأنت السراج لهم بنورك الموصل لنوري يصلون إليَّ ويرون أسمائي وكمالي وجمالي ويعيشون بالجنان بنورك.

كذلك تكبيرات الصلاة فكلما أشهد الرسول ﷺ المؤمن التقي شيئاً وانجذب به وتوقف عنده مشدوهاً بعظمة ربه وجلاله حرَّضه الرسول ليرقى لدرجة أعلى ليتحسن ويتوسع أكثر فيقول له في الصلاة (الله أكبر) ويشهده شيئاً أكبر مما شاهده وهكذا، فالرسول ﷺ دلَّهم على طريق الإيمان فسلكوه، فكروا بالموت وبالكون وما فيه من آيات، سلكوا كما سلك سيدنا إبراهيم عليه السلام للإيمان بالله. فشاهدوا عظمة الله من خلال الكون بعدها انتقلوا إلى درجة أعلى حيث أصبحوا يشاهدون عظمة الله في الكون بنور رسول الله وطرفاً من مشاهداته ﷺ. شاهدوا أن كل شيء قائم بالله وكل هذا عن طريق الرسول ﷺ {الـمُدَّثِّر}.

4- ﴿وَثِيَابَكَ﴾: أي كل من ثاب بنفسه إلى نفسك الطاهرة، كل من قدَّرك وأحبَّك وعرف قيمة إرشادك من المؤمنين الذين يريدون طهارة نفوسهم ويريدون وجه الله، الذين سمعوا الحق وطبقوه وسلَّموك قلوبهم وزمام أمرهم وارتبطوا بك. ﴿فَطَهِّرْ﴾: توجَّه لهم بالنور الذي معك، اغمرهم بحالك العالي حتى يشعروا بلذة الصلاة ونعيمها وبهذا تطهر قلوبهم مما بها من أدران. فهؤلاء يتوجه لهم الرسول ﷺ بنفسه وبالنور الذي أنزل معه عندها يزدانون بصفات الكمال، حيث إنه يُذهب عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم بلطف بلا شعور، وبالمجالسة والمؤانسة وبالصلاة تعرج نفوسهم مع نفسه الطاهرة فيدخلهم على الله وتنحت الأدران منهم وتزدان بالكمالات، فالصلاة الصحيحة الكاملة معراج المؤمن.

5- ﴿وَالرُّجْزَ﴾: أهل الفسق والضلال والارتكابات، الواقعون بالمعاصي أهل البلاء أولياء الشيطان، هؤلاء أصبحوا نجساً إن دخلوا مجلسك وحضروا عندك لا يغيِّرون ما بأنفسهم، بل العكس هدفهم من دخولهم تغيير وتحويل المؤمنين الذين معك عن طريق الإيمان، هؤلاء لم يئن أوانهم الآن، أوانهم في المستقبل، فحب الدنيا والشهوات مستحكم بقلوبهم ولابد لهم من علاجات ومصائب وبلاءات حتى يرجعوا للحق لذلك: ﴿فَاهْجُرْ﴾: اهجرهم هجراً جميلاً، اتركهم. لا تُدخلهم مجلسك ولا تدعهم يختلطون مع المؤمنين كي لا يضعفوهم ويوقعون البلبلة فيهم، فقط الصادقون الطالبون للحق اهتم بهم وضمّهم لمجلسك.

6- ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾: لا تستكثر بالعدد فتقطع هذا الخير الجاري، فالذين معك ما زالوا ضعفاء بادئ ذي بدء، فإذا دخل بينهم المعرضون من أهل الدنيا أهل الترف يؤثّرون عليهم ويقطعونهم فلا تستكثر بالعدد، المسألة بالصدق ابقَ مع هؤلاء الصادقين بطلب الحق، دائماً انظر إليهم.

7- ﴿وَلِرَبِّكَ﴾: يا محمد وجّه لله بقلبك فأنا صاحب الأسماء الحسنى. ﴿فَاصْبِرْ﴾: هؤلاء صادقون طالبون اصبر حتى يصبحوا راشدين ثم تنهض بهم نهضة كاملة، بالصلاة يطهر المؤمن وبها يزدان بالكمال والصفات الحسنة وتزول منه العلل والأدران والصفات الذميمة بما يسري بنفسه من النعيم والغبطة والسرور فيستغني عن الدنيا وما فيها ويصل لربك عن طريقك، حيث لا شافي إلا الله سبحانه، أنت دلّهم عليّ وبسعيهم أنا أشفيهم.

8- ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾: ساعة الموت، تلك الساعة الرهيبة التي ستحل بكل إنسان عند حفر قبره، قل لهم لابد لكل إنسان أن يموت ويُحفر قبره وينزل فيه وحيداً، فما حالكم إذا متم ولم تفتح بصائركم وتشفى نفوسكم؟ أما الموت للمؤمن فهو ساعة الفرج حيث كان عمله للوطن الدائم: الله، وكان في

هذه الدنيا في بلاء وغربة وكربة وصعوبات وعند الموت آن الأوان لساعة الرحيل منها إلى الوطن ويعلم أن الجنة وعد صدق. فما أجمل الموت عنده.

9- ﴿**فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ**﴾: على العاصين والمخالفين الذين ما آمنوا الإيمان اليقيني بالسلوك الإيماني الصادق، حيث سيفقدون كل شيء كانوا بحاجة إليه، سيفقدون شهواتهم وطموحاتهم وينزلون في حال من الرعب والألم والوحدة والظلام، لا أنيس ولا نور لهم، لذلك ومن رحمة الله تعالى بهم لا يتركهم وهم بهذا الحال الرهيب بل يرسل لهم الملائكة يضربونهم ليحوّلوهم عما هم فيه. بيِّن لهم أن ذلك اليوم عسير جداً، نَبِّهْهم قلْ لهم هل من أحد نجا من الموت؟ قل لهم كل إنسان سيعود لربه وحيداً فكيف ستواجهون الله قبل أن تفتِّح بصائركم. كم ستحل بكم الحسرات والندامة؟ ما حالكم عندها؟!

10- ﴿**عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**﴾: وهؤلاء يوم موتهم لا يُسرَ فيه. إنه أكبر من كل وصف، جهنم تشتعل فيهم، والشهوات التي كانوا مغرمين بها تصبح ناراً فيهم...

سورة المدثر: [11-20]

11- ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾: خطاب من الله لرسوله ﷺ تخفيفاً عنه مما يلقى من حزن بسبب رحمته وحنانه على هؤلاء المعرضين، كان ﷺ يبكي عليهم كثيراً لا يريد لهم هذا المصير المرعب ويتألم عليهم كثيراً وكاد أن يهلك نفسه عليهم فخاطبه تعالى ﴿**ذَرْنِي**﴾: أي رحمتي أوسع من رحمتك، لست بتارك أحداً وهؤلاء لا يناسبهم إلا هذا وحالهم يقتضي العلاج ولابد من علاجهم، أنا الرحمن بهم لأخلصهم من شقائهم وأمراضهم. ﴿**وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾: كم اعتنيت بهذا الإنسان وهو في بطن أمه وهو وحيد ولا أحد معي! شكَّلْته ونظَّمْته وأطعمته وسقيته ما تركته. دوماً ناظرٌ إليه متجلٍّ عليه برحمتي وحناني، كذلك الآن لا أتركه وهو بهذا الحال فلابد من علاجه حتى يطهر.

12- ﴿**وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا**﴾: خرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً فأعطيته كلَّ ما يحتاج إليه على مدى حياته من بصر وسمع ونطق وقوة وهواء وطعام وشراب وسخرت له الكائنات خدماً له حتى يلتفت إليّ ويستنير ويسير بطريق الحق فيسعد، ولكن تحوّل عن هذا الإمداد وما ظهر عليه بدنياه، أكرمته واتّبع هواه فلم يلتفت من خلال ما أمده الله تعالى إلى المكرم جلَّ فضله.

13- ﴿**وَبَنِينَ شُهُودًا**﴾: شهوته أن يكون لديه أولاد فخلقت له أولاداً وأمددتهم بالتربية، وبمشاهدته تربيتي على أبنائه لعله يتذكر بدايته وتربيته، وعطفي وحناني عليه. ورغم هذا ما قدَّر الإحسان. ﴿**شُهُودًا**﴾: حتى يعرف ويشاهد نفسه أنه كان مثلهم نطفة وتكوّن منها فيتنازل عن كبره وإعراضه الذي رماه بالشقاء والتعاسة. إذا فكر الإنسان بهذه النقطة تنازل عن كبره وإعراضه فيشاهد أن لا إلّه إلا الله. كذلك أيها الإنسان بنى الله لك هذا الكون العظيم وأنت مشاهد هذا الخلق حتى تفكر بفضله وعنايته بك وتلتفت إليه.

14- ﴿**وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا**﴾: مهدت له بكل الوسائل من أجل هدايته، أزلت له كل العوائق والموانع التي تقف في طريق إيمانه وسعادته. أعرض عني بالأزل[4] وانقطع، فذهب عنه بصره وسمعه وذوقه، فقد كلَّ شيء وعاش بالظلام، أعطيته هذا الجسم إعارة وجعلت له اللسان ليذوق والأذن

---

[4] للاطلاع على المزيد حول "عالم الأزل" لطفاً انظر كتاب (عصمة الأنبياء) للعلاَّمة محمد أمين شيخو بحث (الله تعالى وبدء الخلق) صفحة /11/.

ليسمع والعين ليرى. أعطاه الله كل الذي فقده بإعراضه ليرجع. رغم هذا الفضل لم يلتفت ويرجع إلى ربه.

جاء للدنيا وأعطيته كل طلباته وشهواته، ما أنقصت عليه شيئاً رغم هذا لم يرجع، عالجته بالدنيا أرسلت له الشدائد والمصائب حتى تخرج محبة الدنيا الوسخة من نفسه ويسلك طريق الحق ومع كل هذا ظل متلبساً بإعراضه وأمراضه ويطلب الزيادة من الدنيا الدنية الوسخة.

15- ﴿**ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ**﴾: يريد أكثر، مهما أعطيته من الدنيا لا يشبع منها ولا يمل ويطلب المزيد منها وبقاء الإعراض والأمراض، أنا أعطيه لكنه ومع هذا العطاء يزداد إعراضاً ومرضاً ويهلك نفسه وتزداد آلامه وناره في الآخرة.

16- ﴿**كَلَّا**﴾: في فقه اللغة مشتقة من كلمتي: (كَلَّ، لا) فالله لا يكلُّ من علاجه رغم كفره وأمراضه لا يتخلى عنه ليخرجه مما هو فيه من شقاء وهمٍ وأمراض، قلبه يتحرك فمن المحرك له؟ يأكل ويشرب والأكل يتوزع إلى كل ذرة وخلية من خلايا جسمه، فمن الموزع؟ مَنِ البصير بكلِّ خلية وذرة فيه؟ يوزع لها ما تحتاجه من غذاء وهذا الطعام يتحول إلى سمع وبصر وإحساس وذوق وطاقة وحركة، فمن المحوِّل؟ وما أعظم هذه اليد التي تربيه! الكون بما فيه شمسه وقمره ونجومه وغيومه مَن يسيِّره ويديره؟ كل ذلك لأجل خاطره، من أجل طعامه وشرابه، فمن الذي يدوِّر ويحرِّك ويمد هذا الكون؟ فما أعظم وأرحم هذه اليد الحنونة! هل تخلى الله عنه؟! هل تركه وتخلَّى عنه بالدنيا؟! والآن بعد موته هل يتركه؟! لا.. فالله لا يتخلى عن هذا المعرض ولا يتركه بل عطفه وحنانه عليه كبير. لا بدَّ من علاجه لتطهيره، رحمته وحنانه تعالى تقتضي هذا.

﴿**إِنَّهُ كَانَ لِآَيَاتِنَا عَنِيدًا**﴾: معاند لكلام الله، معارض لدلالة الله التي يدلُّه عليها رسول الله ﷺ، فالله سبحانه وتعالى أرسل أنبياء ورسلاً وأنزل عليهم كلامه ليدلوا الناس على الإيمان ويخرجوهم من الظلمات إلى النور،

لكن هذا المعرض سمع وما طبق، عاند رسول الله ﷺ وحارب الحق وأهله. فهل حاربه الله الذي يطعمه ويسقيه حتى يحاربه؟!

17- ﴿**سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا**﴾: انظر أيها الإنسان إلى حال البعيد عن الله دائماً مهمومٌ شقي لا يعرف معنى للسعادة، السعادة فقط من الله وبالله وهذه الدنيا بما فيها لا تسعد الإنسان بل بالعكس فإنها تعود عليه بالتعاسة، لذائذ عارضة منقضية يعقبها الألم والخسران، ولكن إذا صمم أعطاه إياها فلا إكراه أبداً، (خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدره همًّا).

و﴿**صَعُودًا**﴾: هو في هذا الحال من الصدود وعدم العودة رغم جميع المحاولات التي يعامله بها الله، فكلما زادت دنياه زاد همّه وغمّه لعله يزهق الدنيا ويطلب الحق والحقيقة فيصل للإيمان والتقوى.

18- ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ**﴾: هل فكَّر وقدَّر؟ لا لم يفكِّر ولم يقدِّر. هل قدَّر الرسول؟ لو التفت إلى الرسول وقدَّره لصار من أهل السمو وأهل الجنة. لو فكر وقارن بين الرسول ﷺ وبين البشر وقايس لوجد كلامه ﷺ فوق كلام العالمين ولقدَّره وأصبح من أهل الجنة، فهو لا فكَّر ولا قدَّر بل اندفع وراء شهواته وصار يسعى لها.

19- ﴿**فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**﴾: بالأزل قبل مجيئه للدنيا قتل نفسه حيث كان بالجنة وكله أبصار وأسماع يرى ويشاهد وهو مع الله بالسعادة والنعيم، فكيف قدَّر؟ قدَّر شهوته وترك ربه واستكبر عليه وبلا نور ولا هدى أخذ شهوته بالظلام وخالف بذلك عهده مع ربه عندما حمل الأمانة. تقديره الذي قدَّره

أوصله إلى الانقطاع عن الله فقتله وأخرجه من الجنة والسعادة وفقد جميع ملكاته من سمع وبصر، لأنه تحول عن الممد لها والتفت لشهواته ولم يلتفت لربها، عندها استغرق بلذّة الشهوة وغرق بالشهوة فحجبته عن الله.

20- ﴿**ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**﴾: ثمّ: حرف عطف على التراخي. أي: ﴿**ثم**﴾ في الدنيا قتل نفسه بعد أن أحياها الله مرة ثانية وأعطاه ما أعطاه وجعل له فكراً، قتلها لأنه لم يؤمن بالله ولم يفتّح بالتقوى والاستنارة بنور الله ورسوله ﷺ، لذا أوقعها بالجرائم والأعمال السيئة والفسق والضلال.

سورة المدثر: [21-30]

21- ﴿**ثُمَّ نَظَرَ**﴾: نظر لدلالة الله وكلامه فلم يعجبه ذلك، ظن أنّ الرسول ﷺ ضد شهواته بظنه الخاطئ فما أعجبه ذلك.

22- ﴿**ثُمَّ عَبَسَ**﴾: لأنها لا تناسبه ظن أن الله يريد أن يحيف عليه بالدنيا، شاهد أنَّ تجارته لا تمشي إذا سار بالحق، لذلك عبس عبسة الرافض المعرض عن دلالة الله، فعبَّ من الدنيا وغاص بها وعسعس فيها.

﴿**وَبَسَرَ**﴾: توقف وقطع عن نفسه السرور والنعيم القلبي وسريان نفسه بالغبطة والسرور مع أهل الحق، لم يعد يريد ذلك، لم يرضَ أن يكون من أهل البر، رضي أن يكون من أهل الشهوات الأشرار.

23- ﴿**ثُمَّ أَدْبَرَ**﴾: لم تعجبه دلالة الله ولا أهل الله بل يريد المحرمات وأهل الفسق والعصيان. ﴿**وَاسْتَكْبَرَ**﴾: قال: هل صحيح أن الله بيده كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا به؟! هل من المعقول أن هذا الكلام يصل بي إلى السعادة والخير؟ ونحن لم نرَ ذلك بأم أعيننا بل نرى الدنيا، فاستكبر بما لديه.

24- ﴿**فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ**﴾: هذا شيء مغطّى، هذه غيبيات لا نشاهدها، تخيلات، شيء غير مكشوف... يتخيلون أنه يوجد إله ورسول ونحن لم نر الله ولم نر رسوله إلاَّ بشراً، أما الدنيا فأمامنا وهي محسوسة ملموسة، فكيف ننكرها؟!

﴿**يُؤْثَرُ**﴾: كلامهم منقول عن كلام الأوائل. الأوائل قالوا مثل هذا، حيث لا علم ولا حضارة عندهم فكلامهم كله خرافات. أما الآن فيوجد علم وحضارة ومخترعات فكيف نتخلى عنها لمجرد كلام لم نشاهد منه شيئاً.

25- ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾: ما أقرُّوا أنه رسول من الله وأن كلامه وبيانه عن الله بل قالوا إنه ذكي عبقري سبق أهل زمانه، افتراه من عنده، فهو بشر ليس إلا، وما أنزل الله من شيء، فهل فكَّر، هل استطاع أحد أن يأتي بكلمة واحدة مثله؟

26- ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ**﴾: وقعوا بسوء المقر. هو أراد الدنيا وما فيها من حضارة وتقنية وعلم زائل زائف وفضّله على ربه، فعادت عليه دنياه وحضارته بسوء المقر (وكذلك أهل هذا الزمان عادت عليهم حضارتهم بالأعاصير والطوفانات والبراكين ودخانها وحممها والزلازل ودمارها وإفلاس البنوك وطاعون الطيور وجنون البقر والفيروسات والأمراض والحروب أحاطت بهم، لأنهم حاربوا دين الله فوقعوا بالبلاءات والشدائد وبما يسوءهم (وقعوا بسوء المقر)، هداهم الله وردَّهم للخير برحمته.) فضّل دنياه على مبدع السموات والأرض، عند الموت يُسجن في بطن الأرض فهي مراده وترجع عليه أعماله تحرقه.

27- ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ**﴾: ما أعظمها سجّين، من سجن إلى سجن أعمق، أيها الإنسان بدون إيمان لا تعرفها ولا تشاهدها، المؤمنون شاهدوها من الدنيا بمعيّة رسول الله ﷺ ونوره، شاهدوا كل شيء سيحدث ويجري معهم في الآخرة كما جرى مع السحرة الذين قدروا سيدنا موسى عليه السلام فتحدثوا عن شهود وشرحوا أحوال أهل الجنة في الآخرة وأحوال أهل النار. أما المعرض الأعمى فما شاهدها لذلك رمى نفسه بهذا المقر، وأنزل نفسه فيه وهذا المقر سيوصله للنار بناء على طلبه ليخلص من ألمه الجهنمي بعد انتهاء الشهوة التي تحجبه وقدوم الموت.

28- ﴿**لَا تُبْقِي**﴾: لا تبقي له شيئاً من دنياه، يخسر أهله وأصدقاءه وماله، يخسر جسده وحواسه، بصره، سمعه، ذوقه، يخسر هذا الكون الذي كان معتمداً عليه، ويرى أنه خسر نفسه وجناته وسعادته لذلك يقول لم يبقَ لي أحد ولكن هل الله تركه؟! ويذهب إلى النار. ﴿**وَلَا تَذَرُ**﴾: هذه النار تنسيه آلامه وأحزانه وتحوله عن نار الحسرة والندامة وما حلَّ به من همٍّ وغمٍّ، فهي لا تذر بنفسه شيئاً لكن لا يُخلق له فيها شيء من سعادة وحياة، فهي تجدي ولكن لا تشفي. لا تفيده شيئاً للشفاء، الله وحده الشافي.

29- ﴿**لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ**﴾: هذه النار لواحة للبشر. أي: المبشّرون بالجنة والعطاء، وهم الذين سلكوا بطريق الإيمان وآمنوا صارت لهم رابطة برسول الله ﷺ هؤلاء يشاهدون النار من الدنيا ويتّقونها بما لديهم من نور وارتباط قلبي بنور الله ورسوله ﷺ.

30- ﴿**عَلَيْهَا**﴾: على النار ﴿**تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾: حتى الأعداد كما في فقه اللغة لها معانٍ فالسبعة: من التسبيع أي التطهير، والثمانية: من الشيء الثمين، والتسعة: من الوسعة، والعشرة: من المعاشرة، فالله سبحانه وتعالى بهذه الآية يقول هذه النار المعدَّة لهؤلاء الذين أعرضوا تكفي وتتسع لكل شيء في نفوسهم من علل وأدران وأمراض ولكل شيء خالطته هذه النفس وعاشرته بما لا يرضي الله من حبٍ للأغيار وشهوات محرمة، فهذه النار تتسع لكل عللهم وتنسيهم آلامهم وأوجاعهم وأحزانهم وتحولهم عما في نفوسهم من نار الحسرة والندامة التي هي أشد من نار الله الموقدة.

سورة المدثر: [31-40]

31- ﴿**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً**﴾: فالله يقول أنا لا أنسى عبدي المريض من رحمتي، أنا حضَّرت له مشفى لآلامه وعلله وجعلت أكرم وأجمل خلقي ملائكتي ممرضين لهذا الإنسان الذي أعرض عني ولم يؤمن ويعمل صالحاً، وبهذا خسر ما أعددته له من جنات ونعيم، فعندما يرى هذا المعرض خسارته الكبرى لجناته وما أعدَّه الله له فضيَّعها، كما خسر المكانة الكبرى التي رُشِّح لها بحمله للأمانة وقد خان الأمانة وخسر مشاهدة وجه ربه الكريم، كما خسر نفسه وأهله إلى الأبد. فأي خسارة أكبر منها! عندها يقع بنار الحسرة والندامة على ما ضيَّع وخسر من مقامٍ عالٍ فيرمي بنفسه في النار لينسى آلامه التي لا تطاق. وقوله ﷺ: **"إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر علي مما ألقى، وإنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب"**[5]. فالله يقول: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً**﴾: كلهم لطف ورحمة وحنان وعطف منصبغون بأسماء الله الحسنى. ﴿**وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ**﴾: النيران. ﴿**إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: كالمريض الذي يُفتَن بالدواء ليخلص من آلامه، كذلك الكافرون يُفتنون بالنار ويشتهونها ويعشقونها ويشاهدون أنها إكرامٌ من الله لهم،

---

[5] المستدرك على الصحيحين للحاكم رقم الحديث: /8871/

فالله سبحانه وتعالى يقول: {..**وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**}[6]. والمأوى هو مكان الراحة فالإنسان يأوي إلى بيته وفراشه، والمثوى: هو مكان الإكرام المناسب لكل إنسان، لقوله تعالى في سورة يوسف: {**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ..**}[7]. وكذلك المريض مكان إكرامه في المشفى، وهذا الكافر يشاهد النار هي المكان المناسب له ومكان إكرامه، فيطلبها ويرمي بنفسه فيها ليخلص مما به من آلام نيران نفسه الجهنمية. فما أبشع حياة الكافر، وما أشقاها! {**فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**}[8]. بذاته يرتمي فيها ببسالة.

﴿**لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾: الذين أوتوا الكتاب هم الذين استجابوا لله وللرسول من النصارى واليهود مثل عبد الله بن سلام وأمثال النجاشي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وغيرهم رضوان الله عليهم الذين آمنوا واتقوا وانطبع الحق بنفوسهم وعقلوا الكتاب عن طريق رسلهم، هؤلاء يعرفون أن الله رحيم وحاشاه أن يكون قاسياً على هذا الإنسان ويضعه بالنار، لكن لا يعرفون معنى هذه الآية وشرحها ومفهوم النار، لذلك عندما شرح لهم رسول الله ﷺ معنى النار نزل المعنى بقلوبهم واطمأنت نفوسهم وارتاحوا وأصبحوا باليقين بعد أن عرفوا المعنى شاهدوا النار والحكمة منها والرحمة من خلقها.

﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**﴾: يزدادون إيماناً بهذا البيان الذي بيَّنه الرسول ﷺ لهم عن النار ومفهومها، حيث شرحها لهم وبيَّن رحمة الله فيها فهاموا بالله هياماً وازدادوا به إيماناً ويقيناً.

﴿**وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾: الريب هو الشك الذي يحوِّل الإنسان عن الحق. فهؤلاء أصبحوا على يقين ولديهم الحجة البالغة بما بيَّنه لهم رسول الله ﷺ فلا يستطيع أحد أن يشكِّكهم في رحمة الله أو يجادلهم في عطفه وحكمته أبداً. ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾: كذلك لا يرتابون أبداً بعد هذا البيان، بيان رسول الله ﷺ لأنه علَّمهم الكتاب والحكمة منه.

﴿**وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾: مرضهم حبُّ الدنيا من مالٍ وجاهٍ ونساءٍ وأولادٍ، هؤلاء ينكرون هذا المعنى بما أوعوه بنفوسهم وبظنِّهم السيئ بربهم. ﴿**وَالْكَافِرُونَ**﴾: كذلك، أعداء الحق والدلالة.

﴿**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا**﴾: والحقيقة أن القرآن لا يفهمه إلا المؤمنون. {..**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء..**}[9].

﴿**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ**﴾: المشيئة لك أيها الإنسان، والله يُضِلُّ كلَّ مَنْ صمَّم وأرادَ الضلالة، فهو سبحانه أعطى الإنسان الاختيار ولا ينازعه ذلك ولا يقف أمام ما اختاره. {**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..**}[10].

﴿**وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾: يهدي الصادقين السالكين فقط، كل من شاء الهداية لنفسه وعمل من أجلها وسلك القوانين فالله يهديه.

---

[6] سورة آل عمران – الآية:151.

[7] سورة يوسف – الآية:21.

[8] سورة الفجر – الآية:25–26.

[9] سورة فصلت – الآية:44.

[10] سورة البقرة – الآية:256.

﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ**﴾: النفوس الأخرى غيرُ المكلفة كلّها مسخرة للإنسان من أجل أن يخاف ويرجع عن ضلاله إلى الهدى، الفيروسات، الجراثيم، الأمراض وو... وعوالم لا يعلمها إلا الله كلها في حقيقتها لتحويل الإنسان إلى طريق الحق.

﴿**إِلَّا هُوَ**﴾: هو سبحانه وتعالى يحوّلها لخيرك.

﴿**وَمَا هِيَ**﴾: دلالة الله سبحانه وتعالى. ﴿**إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾: لا يستفيد منها إلا البشر طالبو الحق، هؤلاء لهم البشرى، هذا يتذكر العهد ويرى بمنظار الرسول ﷺ الحقائق كلها.

32- ﴿**كَلَّا وَالْقَمَرِ**﴾: أيها الإنسان لست متروكاً والله لم يتخلَّ عنك، وضع لك القمر فيه آية بينة، خلقه الله من أول الدوران إلى آخره، ولولاه لما عرف الناس المواقيت وعدد الأيام والسنين والأشهر الحُرُم وفي نوره أنس للعليل في ليله.

فالله عزّ وجلّ وضع لك القمر، هذه الآية، لتفكر فيه وفي منازله التي يحلُّ بها للتوصل لعظمة خالقه وموجده وعنايته تعالى بك وحبِّه لك.

33- ﴿**وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ**﴾: الليل وما يرافقه من برودةٍ وسكونٍ وهدوءٍ ممّا يساعد الأحياء والنباتات على النمو. ﴿**إِذْ أَدْبَرَ**﴾: {**إِذْ**} لحدوث الأمور فجأة وبسرعة وبشكل غير متوقع، فالليل ينحسر ظلامه ويبدأ النور بالسريان وذلك بعد الفجر فتنكشف الأشياء ويختفي الليل، وهذا مدّته بسيطة أي بعد الفجر إلى الصبح.

34- ﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ**﴾: والصبح: مأخوذة في فقه اللغة من كلمتي (صب صحى) فالأنوار تبدأ بالانصباب على وجه البسيطة وتغمر الأرض وتصحو الدنيا ويظل هذا الصحو إلى آخِر النهار، فالصبح يبدأ من قبل طلوع الشمس ويزداد ليشمل النهار كلَّه ويُسفِر عن الأشياء بضياء النهار والذي يمتد اثنتا عشرة ساعة تقريباً. لذلك جاءت (إذا) وهي ظرفية لما يستقبل من الزمان لا (إذ) الفجائية.

35- ﴿**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ**﴾: نعم، هذه الآية حدث كبير وعظيم، فمن يقلِّب هذه الكرة الأرضية ويديرها ويحركها؟ من يأخذ الليل ويأتي بالنهار؟ يد مَن تسيّر كل ما في الكون؟ والقمر جامد مَن يحركه ويديره في منازله؟ فكم هي عظيمة تلك اليد المدبرة المتصرفة التي تحركه! فهذه الآية من الآيات الكبرى التي تستدعي التأمل والتفكير، وتوصل الإنسان إن كان صادقاً في طلب الإيمان إلى الإله المتصرف المدبّر.

هذا معنى، وكلام الله لا حدّ له ولا يقف عند معنى واحد، فكما أن للآيات القرآنية الكريمة دلالة إلى آيات الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، المادية المحسوسة الملموسة، فللآيات الكريمة أيضاً بعالم الحقائق دلالاتٍ ومعانٍ أوسع. فالقرآن الكريم أشار بآيات عديدة وشبَّه السادة الرسل بالشمس كما في سورة يوسف ورؤيا سيدنا يوسف عن أبيه سيدنا يعقوب عليهما السلام: {**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...**}[11]. ويقصد بالشمس أباه والقمر أمه التي تستقي نورها من زوجها سيدنا يعقوب عليه السلام كما يستمد القمر نوره من الشمس، كذلك فإن سيدنا محمد ﷺ هو شمس النبيين والسادة الأنبياء يستمدون نورهم عن طريقه ﷺ، فهو شمسهم وهم أقماره.

وبعد هذا التمهيد نعود للآيات التي كنَّا بصددها لنفهم بعض حقائقها وقد توحي لنا ﴿**كَلَّا وَالْقَمَرِ**﴾: القمر إنما هو رمز لرسول الله سيدنا عيسى عليه السلام، الذي هو قمرٌ لشمس النبيين سيدنا محمد

---

[11] سورة يوسف – الآية:4.

ﷺ، فرعٌ من الأصل فبقدومه الثاني وتشرّف الدنيا بظهوره، سينجلي الظلام الذي خيّم على القلوب.
﴿**وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ**﴾: وبما أن اليوم قد عمَّ الجهل وساد الظلام والبعد عن الله خالقِ النور والحياة، فعاش الناس في ليلٍ قلبي بهيمٍ من الظلم والجور والفسق والعصيان وسدَّ ذلك عن القلوب النور فسقطت في سدف الظلام، ولكن يأبى الله لعباده العمى والضياع ويكره لهم الكفر ولا يرضاه لهم فلابدّ لليل أن يضمحل وذلك بأمر الله **{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}**[12]. تأتي ضربة واحدة فلا يدوم الليل بل ينجلي وبعدها يظلُّ السلام والإسلام يرفرف في ربوع المعمورة إلى قيام الساعة.

﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ**﴾: سيظل هذا النور نور الإيمان والإسلام والسلام والإنسانية باقياً إلى آخر الدوران وذلك بتشرف الكون برسول السلام قمر الحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام، وفي القرآن دلائل كثيرة على حتمية قدومه وتشرفنا بأنواره البهية وطلعته السنية[13].

﴿**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ**﴾: قيام الساعة وأهوالها، هذه كبيرة حقاً **{بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}**[14]. كل الرسل والأنبياء عليهم السلام تحدثوا عنها. والآن توسعنا في فهم حقيقة الآية كما ذكرنا دلالتها الصورية **{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً}**[15].

36- ﴿**نَذِيرًا لِلْبَشَرِ**﴾: قل إنما أنا النذير المبين. أنذرهم ﷺ من الساعة وأهوالها، أنذرهم من الموت وما فيه ومن الآخرة ونارها حتى يخافوا على مصيرهم ويمشوا بالحق، الذي فكر وخاف أُنذر هذا استفاد فآمن ونجا، وصار من أهل السعادة دنيا وآخرة، فهذه الدلالة دلالة الله المنزلة على رسول الله ﷺ.

37- ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ**﴾: المشيئة لكم. ﴿**أَنْ يَتَقَدَّمَ**﴾: بالإيمان والأعمال الصالحة الطيبة، وهؤلاء هم الذين سمعوا وفكروا وطبقوا القوانين من تفكير بالموت وتفكير بآيات الله والكون فقدموا بعد إيمانهم أعمالاً عاليةً طيبةً لله انتفع بها البشر ﴿**أَوْ يَتَأَخَّرَ**﴾: عن فعل المنكر والأعمال السيئة، فتاب وإلى الحق أناب.

38- ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾: رهينة أعمالها السيئة، فعمل الإنسان المعرض هو الذي يُنْزِله في القبر ويسجنه فيه حيث الظلام والرعب والوحدة إلى يوم القيامة، لأن هذا المعرض أشاح عن منبع الأنوار جلَّ شأنه فلم يؤمن بالله العظيم.

39- ﴿**إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ**﴾: أهل اليمين، أصحاب أعمال الخير، الذين قدموا صالح الأعمال والتي كلُّها يُمْنٌ وخير، هؤلاء أعمالهم أوصلتهم إلى النجاة من عذاب القبر والنار، وصلوا إلى السعادة والجنة.

---

[12] سورة القمر – الآية:50.
[13] وقد أفرد العلامة محمد أمين شيخو كتاباً خاصاً حول هذا البحث اسمه (السيد المسيح رسول السلام يلوح بالأفق) وفيه يستعرض الأدلة القرآنية على عودته عليه السلام بهذا الزمان، فللمزيد حول هذا البحث يمكن الرجوع إلى الكتاب المذكور.
[14] سورة القمر – الآية:46.
[15] سورة الكهف – الآية:109.

40- ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: عن أصدقائهم وأهلهم الذين كانوا معهم في الدنيا، يفتشون عنهم ليعرفوا إلى أي نتيجة صار هؤلاء، ويطمئنوا عليهم حيث سمعوا دلالة الله مثلهم فيجدوهم مجرمين، أي: محرومون من الخير.

سورة المدثر: [41-50]

41- **﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾**: الذين أجرموا بحق أنفسهم وحرموها من كل خير بانغماسهم بشهواتها فما عملوا لآخرتهم وجنتهم وبهذا أشقوا أنفسهم وحرموها السعادة الأبدية ورموها بعذاب القبر والنار.

42- **﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾**: ما الذي أوصلكم لهذا المقر السيئ، هذا السجن وهذه النار؟!

43- **﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾** ما أقبلنا على الله بصلاتنا حتى نكسب كمالاً ورحمة بنفوسنا ونعمل صالحاً، فالخير لا يأتي إلا من الله، لذلك قال رسول الله ﷺ: **"تارك الصلاة لا خير فيه"**.

44- **﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾**: ما نظروا لجانب ربهم حتى ينظروا للمسكين والفقير، ما عملوا خيراً لقسوة قلوبهم صارت أعمالهم كلُّها عاطلةً سلباً ونهباً.

45- **﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾** بالشهوات والفسق والضلال **﴿مَعَ الْخَائِضِينَ﴾**: مع أهل الدنيا، نظرنا لسيرهم فأُعجِبنا به وخضنا معهم بالشهوات المحرّمة، أعطينا نفوسنا هواها الذي أعماها.

46- **﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾**: يوم القيامة، نفوسنا ما صدقت أنه سيأتي يوم ونحاسب فيه، أما بلسانهم فيعترفون كذباً أن هناك قيامةً وحساباً وثواباً.

47- **﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾**: الموت، شاهدت نفوسهم الشيء الذي كذبوا به وأنكروه.

48- **﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾**: **{الشَّافِعِينَ}**: هم الرسل والأنبياء عليهم السلام جعلهم الله لنا شفعاء لنستشفع بهم، أي نربط نفوسنا بهم بالمحبة والتقدير والتعظيم وهم عليهم السلام يربطوننا بمحبة الله ويدخلوننا عليه، وهذه الصحبة بالدنيا وتستمر إلى أبد الآباد بالنور والسعادة والجنات. لكن أولئك بعد أن ماتوا وظهرت نتائجهم كيف يستشفعون وينتفعون بصحبة الرسل والأنبياء الكرام عليهم السلام؟! لابد أولاً من علاجهم. كذلك الرسول ﷺ رائحته طيبة زكية وهم روائحهم منتنة خبيثة من أعمالهم المخزية الخبيثة فكيف يستطيعون وهم بهذا الحال مصاحبة الرسل والأنبياء؟!

49- **﴿فَمَا لَهُمْ﴾**: أي شيء لهم من هذا الكون؟ هل يملكون شيئاً؟ هل الكون لهم، هل هم خلقوه؟! هل أجسامهم وحياتهم لهم وبأيديهم؟! فما هم فيه الآن إعارة ومستخلفون به وغداً سيزول هذا الشيء عنهم؛ سيزول الكون وستزول أجسادهم وتذهب حياتهم فلا بصر ولا سمع يبقى لهم، سيتركون الكلَّ والكلُّ يتركهم ولا يبقى لهم إلا الله. فلماذا هم **﴿عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾**: عن كلامي الذي يتكلم به رسولي معرضون لا يسلكون بطريق الحق ويطبقونه. والله يصف حالهم عندما جاءهم الهدى على لسان رسول الله ﷺ:

50- **﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾**: مثل الحمير الوحشية، فالحمار من صفاته أنه يحمل على ظهره ولا يعرف ماذا يحمل ويسير به، وهؤلاء المعرضون جعلوا أنفسهم كالحمير حيث حملوا شيئاً عظيماً، حملوا الأمانة، وعاهدوا الله على الوفاء بها لكن ما عملوا لها ومروا بالدنيا، حفظوا الألفاظ لكن ما شاهدوها وما عقلوها فما وفُّوا بما عاهدوا الله عليه، وغيرهم يحملون الدسوس ويمرون بها بين الناس ويُعلِّمونهم إياها فباؤوا بغضب من الله وهم يحسبون أنهم مهتدون.

سورة المدثر: [51-56]

51- ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾: عندما يظهر لها أسد تفرُّ خوفاً وفزعاً منه، وهؤلاء عندما جاءهم الحق من الله على لسان رسوله ﷺ وهو هذا البيان وهذه الدلالة صار حالهم كحال هؤلاء الحمير استنفروا خوفاً وفزعاً من الحق.

ظنُّوا أنَّهم إن ساروا به سوف يحرمون أنفسهم من شهواتها وملاذها ودنياهم وما فيها. نظروا للحق ولأهله ولله سبحانه وتعالى أنه قاسٍ وظالمٍ يريد أن يحرمهم شهواتهم ففرُّوا من الله والرسول إلى غيرهم، وصاروا يحاربون الحق وأهله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ظناً منهم أنهم خالدون بالدنيا وأن الموت لا يأتيهم.

52- ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾: كالتلميذ الكسول يريد أن تنكشف له الأوراق دون دراسة ولا تعب، وهؤلاء يريدون أن يروا الله والملائكة والآخرة دون أن يسلكوا بالقانون الرباني، أي عن طريق التفكير بالتربية حتى يطبقوا كلام الله ويستقيموا على طاعته. فما الفائدة من كشف كل هذا لهم وهم لا عمل صالحاً لهم يدخلهم الجنة؟ والجنة بالأعمال الصالحة، فلا فائدة من ذلك.

53- ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآَخِرَةَ﴾: هذا هو السبب لعدم سيرهم بالحق؛ لأنهم ما خافوا من الموت، ما ذكَّروا أنفسهم به وما أيقنوا به حتى يخافوا ويسيروا بالحق، ما صدّقوا أنهم سيموتون ويتركون دنياهم، لذلك ركنوا إليها ظناً منهم أنها باقية.

ما فكروا بالآخرة حتى يعرفوا أن هناك جزاءً وحساباً وثواباً على الأعمال.

54- ﴿كَلَّا إِنَّهُ﴾: هذا القرآن الكريم وهذا البيان الذي جاء به رسول الله ﷺ عن الله ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: يذكِّرك أيُّها الإنسان، أي بمعية رسول الله ﷺ تسري نفسك وتشاهد المعاني المخبأة وراء الألفاظ، فتتذكر وتشاهد عهدك مع الله وكيف أنك عاهدته ألاَّ تنقطع عنه وتمشي بالنور، تَسْري نفسك إلى الآخرة وتشاهدها، وإلى الجنة وتعيش بها وأنت بالدنيا.

55- ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾: الاختيار لك أيها الإنسان إن شئت وسلكت طريق الحق تشاهد هذا الشيء، فالباب مفتوح وكل إنسان عنده الإمكانية.

56- ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: حتى تتذكر وتشاهد وتصبح من أهل الجنة والسعادة لابد لك أيها الإنسان من أن تسلك ضمن ما شاءه لك من قانونٍ وتسير عليه؛ وهو الصدق بالطلب وعلامته التفكير بالموت والاستقامة على طاعة الله والابتعاد عن المحرمات والتفكير بآيات الكون للوصول إلى الله، والمداومة على ذلك مهما طال بك الزمن، فإن وجد ربك لديك الصدق كشف لك وأراك وذكَّرك بمعية رسوله ﷺ.

إن وجدك ربك غير صادق لا يهديك ولا يذكِّرك بشيءٍ.

إذن المسألة بالصدق اطلب تعطَ.

﴿هُوَ﴾: رب العالمين ﴿أَهْلُ التَّقْوَى﴾: التقوى هي الاستنارة بنور الله. فالله سبحانه وتعالى هو الذي يؤهِّلك للتقوى فترى بنوره وبنور رسوله ﷺ أسماءه تعالى الحسنى فتصبح ذا بصيرة ترى بها الخير خيراً والشر شراً.

﴿**وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**﴾: يشفيك من العلل والأمراض والأدران وحبِّ الدنيا، ولا يشفي نفسك إلا ربها حتى تستطيع الإقبال عليه ونيل الخير والجنات بما تقدمه من أعمال صالحة.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القيامة: [01-10]

1- ﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾: رغم عظمة هذا اليوم وأحداثه الرهيبة الكبرى فالله سبحانه وتعالى لا يقسم به، لأن القسم لا يكون إلا بشيء كامل لا نقص فيه. فالله سبحانه وتعالى عندما خلق الأنفس جميعها خلقها للسعادة وليدخلها الجنة، لكن عندما جاؤوا للدنيا غيَّروا وأعرضوا فصار هناك خسارة للمعرضين وربح للصادقين بعهدهم.

فأناس بما قدَّموا من أعمال سيئة خسروا فكانوا سبب مرض أنفسهم وأشقوها بالدنيا وشهواتها فكان لابد من علاجهم، فالنار يوم القيامة مثوى لهم ومكان لعلاجهم. وأناس بما قدَّموا من أعمال عالية صالحة رقوا وهؤلاء الجنة مأواهم، وهم بالسعادة والنعيم. فلو كان لأب عشرة أولاد؛ تسعة منهم نجحوا وواحد رسب وأجرم ودخل السجن ووقع بالآلام والأمراض تُرى هل يكون هذا الأب سعيداً؟ فأين رحمة الآباء من رحمة الله وهل تُذكر رحمتهم أمام رحمة الله تعالى؟

فالله سبحانه دعا كلَّ النفوس إلى مأدبة عالية ذات قدر وقيمة. أناس استجابوا وأناس لم يستجيبوا رغم وجود الإمكانية عندهم، لو استجاب الكل لأقسم سبحانه وتعالى بيوم القيامة. وكذلك يوم القيامة وإعادة الأنفس وقيام الأجساد كلُّه على الله هين ويسير لذلك فالله لا يقسم بيوم القيامة.

2- ﴿**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾: والنفس اللوامة هي أرقى نفس بعد نفوس السادة الرسل والأنبياء، وأصحاب هذه النفوس متواضعون غير متكبرين. الذي يكشف عَيْبَهم يصبح حبيبَهم ويتراجعون عن خطئهم حالاً بالتوبة إلى الله. ﴿**النفس اللوامة**﴾: دائماً تلوم ذاتها ولا تلوم غيرها، تنظر لعيبها وتطلب من الله الشفاء منه {**..فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ..**}[1]. لا تنظر لعيوب الآخرين، لا تقُل فلان قابلني بكذا وكذا وفلان تكلم عليّ، وإنما قُل لنفسك أنا أخطأت وعاد عملي عليّ، وفتش عن خطئك لتتوب، وهذه النفس اللوامة هي التي تتطهر وتنال عطاءات ربها وتصل إلى درجات عالية، تصل للتقوى وتصاحب رسول الله ﷺ، ومع ذلك لم يقسم الله بها، ولكن أقسم فقط بعمر الرسول ﷺ الذي ما ضيع فيه لحظة عن التفكير فما ضلَّ وما غوى أبداً.

3- ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ**﴾: أهكذا يظن؟! ﴿**أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ**﴾: لولا العظام لم يقف الجسم، فهيَ الأساس الذي يقوم عليه الجسم ولولاها لما استطاع الإنسان أن يقف على الأرض ولا أن يتحرك ولا أن ينفّذ شهواته ومتطلباته. هذا الإنسان الذي حسب أن لن تُجمع عظامه وأنكر البعث والحساب، ظنَّ الدنيا كلَّ شيء ولا وجود للآخرة ولا لرب العالمين، فضيَّع نفسه بهذا الظن وأهلكها لأنه ما فكر، ما استعمل هذه الجوهرة التي منحها الله له، لو استعملها ما ظن هذا الظن. فالله قادر على جمع عظامه والدليل: ألم يخلق سبحانه وتعالى سيدنا آدم عليه السلام من تراب وبكلمة "كن"؟ فكيف قال: إذا كنت تراباً فلن تجمع عظامي، وأنكر ربه والآخرة والحساب! أما أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟! هل كان الإنسان شيئاً قبل أن يخلق، ألسنا من منتجات الأرض ومن هذا التراب؟! الأب أكل فتشكلت النطفة، والأم أكلت فتشكل الجنين وأصبح إنساناً كاملاً سوياً، فكيف قال هذا

---

[1] سورة التوبة – الآية:108.

الإنسان إن الله غير قادر على جمعه وخلقه مرة ثانية من تراب وهو الذي خلقه أول مرة من تراب! أيصعب عليه سبحانه وتعالى خلقه مرة ثانية بعد الأولى؟!

4- ﴿**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾: وكلمة {**قَادِرِينَ**}: رد على هذا الإنسان الذي ما فكر وأنكر. وهي تعني أن الذي ينكره هذا الإنسان جارٍ أمامه وحادث في كل لحظة، حيث لم ينقطع خلق رب العالمين للأجسام وكلها من تراب.

ألم يشاهد هذا الإنسان خلق أبنائه وخلق باقي الكائنات أمام عينه؟ أليس هذا دليلاً على أن الله قادر على إعادة خلقه وسيعيده وسيحاسبه، فلم العجب والإنكار؟! الذي صنع المذياع أول مرة، هل يصعب عليه صناعته وتكراره مرة ثانية؟ بل على العكس في المرة الثانية أهون عليه من المرة الأولى.

5- ﴿**بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**﴾: "الفَجْرُ" هو البيان والظهور، وهذا الإنسان رغم إعراضه يريد أن تظهر له الحقائق ويراها أمامه دون سعي منه وجهاد. يقول إذا كان هناك آخرة ليريني الله إياها، لا يوجد أحد مات ورجع وتكلم عن عذاب الآخرة، من أين أتيتم بهذا ؟! الإنسان بعد سنوات يصبح تراباً وتبلى عظامه، فكيف تقولون أن هناك عذاب قبر ليوم القيامة؟! هذا الكلام لا أصل له، وإذا كان له أصل أروني، كالطالب الذي يقول لأستاذه: اكشف لنا يا أستاذ أوراق وأسئلة الفحص وهو لم يدرس.

هذا المعرض ولو كُشف له كل شيء لا يستفيد ويبقى على كفره. بنو إسرائيل كم شاهدوا معجزات أمام أعينهم، ومع هذا ما استفادوا! شاهدوا سيدنا موسى عليه السلام كيف ضرب البحر بعصاه وصار طرقات وساروا فيها، شاهدوا إحياء الميت وكيف قام وتكلم عن قاتله، شاهدوا معجزات كثيرة ومع ذلك ما استفادوا، بل العكس نكثوا واتبعوا السامري. هذا الكون العظيم وهذا التسيير له وما تراه أيها الإنسان كل يوم من خلق جديد من نباتات وزهور وأشجار وثمار وحيوان وإنسان، أما هو دليل على وجود إله؟! أما شاهدت خلق أبنائك وكيف تكوَّنوا في بطون أمهاتهم، أما كنت مثلهم؟!

هل يبني الإنسان بيتاً بلا غاية ولا هدف، هذا الكون العظيم بناء الله، فهل يعقل أن الله خلقه عبثاً بلا غاية ولا هدف؟! فما غايته، وما هدفه من خلقك؟! ألا تفكر بهذا؟! {**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**}[2].

6- ﴿**يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**﴾: أيَّان: بأيِّ وقت يكون يوم القيامة، وإذا كان هناك قيامة فالوقت طويل. الدنيا فيها بسط و"كيف" ونساء و"شم هوى" كيف نضيِّع هذا البسط؟! مع أن الإنسان كل يوم يقترب منها، ففي كلِّ لحظة الموت متوقع.

7- ﴿**فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ**﴾: عند الموت وبلمح البصر يذهب عن هذا الإنسان كل شيء. تذهب دنياه وما فيها من شهوات وتختفي عنه بسرعة كما البرق يظهر ويختفي، ولا ملموس بعد الموت ونفسه في عماء لم يعمل إلا للدنيا ما عمل للآخرة، والآخرة لا محسوس ولا ملموس بها، ليس فيها إلا حقائق، وهو لم يشاهدها بالدنيا، اعتمد على عينه فقط، فما سعى وما أوصل نفسه لله حتى يرى بنوره الحقائق.

8- ﴿**وَخَسَفَ الْقَمَرُ**﴾: الله يريد من كل إنسان أن يصبح قمراً لرسول الله ﷺ السراج المنير، ويستضيء بنوره كما يستضيء القمر بنور الشمس، إلا أن هذا المعرض خسف نفسه؛ جعل الدنيا

---

[2] سورة الأنبياء – الآية:16.

وشهواتها حجاباً بينه وبين رسول الله ﷺ الشمس التي لا تغيب، كما الأرض تكون حجاباً بين الشمس والقمر عندما ينخسف القمر، فأظلم.

9- ﴿**وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾: جمع عن هذا المعرض الشمس والقمر وأنوارهما، أي ذهب عنهم فلم يبقَ له نور عند الموت وحل بالظلمات، فمن أين يأتي بالنور. {**..وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**}[3].

أصبح أعمى البصر والبصيرة وحالته مرعبة، ظن الدنيا باقية دائمة فاعتمد عليها وعلى أنوارها والآن ذهبت عنه. هذا المعرض استحلى الدنيا بسبب إعراضه عن الله وعدم تفكيره بآيات الله، وكما جعل الله لهذا الجسم أنواراً بواسطة الشمس والقمر جعل لهذه النفس شمساً حقيقية وهي نفس رسول الله ﷺ، وقمراً مرشداً بكل زمان يوصل إلى رسول الله ﷺ، صفته أنه لا ينقطع عنه تعالى أبداً؛ وهذا المعرض ما استفاد من الشمس ولا من القمر، ما آمن فما عرف ربه، وعند الموت ذهبت عنه الفرصة فوقع في الظلمات والحسرة والندامة على ما ضيَّع. ومن رحمة الله به وليحوِّله عما فيه من آلام لا تطاق يرسل له الملائكة. كذلك في الآخرة حضَّر له ربه النار يرمي نفسه فيها لينسى ناره، نار جهنم التي حلت فيه[4].

10- ﴿**يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ**﴾: هذا الإنسان في الدنيا كان له أصدقاء وزوجة وولد وأهل، وكان له معهم تعامل على مصالح دنيوية، لا تعـامل أخـروي ولا غاية له لله ولا لإنقاذهم وإرشادهم إلى طريق الهدى والحق، وعند الموت يزول هذا التعامل الدنيوي ويمضي ويبقى وحيداً.

"ما كان لله فهو المتصل وما كان لغيره فهو المنفصل".

عندها يقول لم يبقَ لي أحد، أين المفر؟! لمن ألتجئ وبمن أحتمي وأنا بهذا الحال؟! بعد الموت لا يستطيع أحد نجدته والكلّ يتخلَّى عنه، كل هذا لأنه ما آمن ما عرف ربه، لو آمن لشاهد الله معه وما قال هذا وما حلَّ به ما حلَّ من رعب وفزع وهمٍّ ووحدة وظلام.

فيا أيها الإنسان الغارق بالدنيا هل من مهرب لك من الموت؟ هل من شك في هذه الساعة؟ هل من أحد هرب من الموت؟ أين الملوك وأصحاب المال الأغنياء والأطباء أما ماتوا؟! أفلا تموت أنت؟ لماذا لا تفكر بهذه الساعة الرهيبة التي لا مفر لك منها والتي لا ينفعك عندها إلا الله ورسوله ﷺ؟!

سورة القيامة: [11-20]

11- ﴿**كَلَّا**﴾: وهذا قول الله العظيم ورداً على هذا المعرض، يقول له: ﴿**كَلَّا**﴾: أي يا عبدي أنت غير متروك، أنا لا أتركك وأنت بهذا الحال، لماذا تقول لم يبقَ لي أحد؟! لمَ أنت معرض عني وتطلب غيري ولا محب حقيقياً لك إلا أنا؟! أنا لك وأنت عبدي هل تركتك بالدنيا رغم إعراضك عني؟ مَن كان يطعمك ويسقيك ويمدّك ويحركك؟! من كان يحرِّك لك قلبك وأعضاءك؟ والآن وأنت بهذا الحال أنا لا أتركك، أنت لست كَلاًّ عليّ وأنا لا أكلُّ ولا أملُّ من علاجك حتى تخلص مما بك وتشفى وتدخل جنتي.

---

[3] سورة النور – الآية:40.

[4] لمزيد من التفاصيل حول مفهوم النار، لطفاً انظر كتاب (تأويل الأمين) للعلاَّمة الجليل محمد أمين شيخو (مفهوم النار– ص299).

﴿**لَا وَزَرَ**﴾: الوِزْر هو الحمل، فلا أحد يستطيع أن يحمل عن أحد شيئاً، لا صديق ولا زوجة ولا مال ولا ولد. فيا إنسان اعمل لهذا اليوم الذي يتخلى فيه عنك أحبابك وولدك، زوجك وأهلك، ولا يبقى لك من أحد غيره سبحانه وتعالى. فهل من مَلِكٍ بقي على ملكه؟! هل أفاده ملكه بعد موته شيئاً؟! أما ترك ملكه وذهب ملكه لغيره؟!

12- ﴿**إِلَى رَبِّكَ**﴾: يا محمد ﷺ. ﴿**يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ**﴾: كل من أحبك وصارت له رابطة نفسية بك استقر بالجنان. غُمر بالسعادة وخلص من عذاب القبر.

إن لم تكن بمعادي آخذاً بيدي تعطفاً وإلاَّ فقل يا زلَّة القدم

الرسول ﷺ ليس بقلبه إلا الله، وهو دليل ومرشد لله سبحانه وتعالى، فإذا أحب الإنسان رسول الله ﷺ أحب الله، كسب كمالاً، وبكماله الذي كسبه من الله ومحبة رسوله ﷺ يقوم بأعمال عالية صالحة تجعل مستقره بالجنان. أما هذا المعرض الذي صار إلى ما صار إليه لو كان مع رسول الله ﷺ لاستقر بالجنان،

لكنه ترك الرسول ﷺ وذهب إلى دنياه حتى صار بهذا الحال المرعب ولا يناسبه إلا هذا، فهو مريض والمريض لابد من علاجه.

وهذا تحذير لنا وبيان ودعوة حتى لا نقع بما وقع به غيرنا.

13- ﴿**يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**﴾: بالآخرة كلُّ شيء مشهود وكلُّها حقائق وليس كلاماً. أي سيشاهد هذا الإنسان كل شيء مما قدم من أعمال طيبة عالية وما تأخر عن أعمال سيئة عاطلة كان فيها الهلاك له.

يرى أنه أحب الرسول ﷺ وقدَّمه على كل شيء من مال وزوج وولد، وبهذه المحبة صارت أعماله عالية وسيره على صراط مستقيم، وكان لأهله ومحبِّيه منقذاً وإلى الجنات والسعادة لهم هادياً.

المؤمن يشتهي لكن لا يرمي نفسه في الشهوة، يرجع إلى الله الذي آمن به ويستشيره والله سبحانه يُريه ما فيها من شر فيتجنبها، غير المؤمن يرى الشهوة وينكبّ عليها.

الإنسان: الذي استأنس بالله ورسوله ﷺ، كسب كمالاً ورحمة فصار كل شيء يستأنس به لأنه كله خير للكلِّ.

14- ﴿**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾: كل إنسان يعرف حاله وعلى نفسه بصيرة كاشفة له، لو كلُّ الناس مدحته فنفسه تقول له أنت لست كذلك، أنت فعلت كذا وكذا. الإنسان بصلاته ينكشف، الصلاة كاشفة له، آمن وأقبل بصلاته على الله واتصل به وبرسوله ﷺ معنى هذا أن عمله عالٍ وهو من المؤمنين. إن لم تحدث له الصلة معنى هذا أن في مسيره خطأ ونفسه مسيئة، والمسيء لا يستطيع الإقبال على الله.

15- ﴿**وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**﴾: ولو وضع معاذير ومبررات يعرف نفسه أنه كاذب. المؤمن لا يضع مبررات لنفسه، يحب من يكشف له عن عيوبه حتى يصلحها لأنه يريد طهارة نفسه، لا يحمل على أحد، معاملته إنسانية للكلِّ، لا يقول فلان تسلَّط عليّ بل يقول لماذا سلَّطه الله عليَّ والله سبحانه عادل؟ إذن أنا السبب وبنفسي علَّة والله يعالجني بسببها ويريدني أن أشفى وأخلص منها، فيسعى لمعرفتها ويزيلها، فيخلص مما سلَّط الله عليه. بل ويصلحه متى استطاع ويسعى لهدايته ولكن بالحكمة وبما يناسب، لا حقداً ولا شركاً بل محبة ربانية إنسانية.

16- أيها السائر في طريق الإيمان، أيها المؤمن ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾: لا تتكلم عن حالك وأعمالك. لا تقل صار لي أحوال، مشاعر، بوارق، شهود. لا تقل أنا فعلت كذا وكذا، تصدقت بمالي، هديت فلاناً، خلَّصت فلاناً من ورطة، إن تكلمت بهذا ذهب كلُّ عملك لأنك بشعور منك أو غير شعور تريد الفخر والظهور أمام الناس، فتصبح وجهتك ونيتك الناس وليس ربَّ الناس. لا تمدح نفسك، مدّاح نفسه لا خير فيه.

17- ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ**﴾: كل شيء عملته يجمعه الله لك، فالله سبحانه لا يضيع لك شيئاً من عملك وهو محفوظ عنده تعالى.

﴿**وَقُرْآَنَهُ**﴾: الله يُظهر أعمالك ويقرؤها للخلق جميعاً وعلى لسان الخلق في الوقت المناسب، وعندها وبهذه القراءة ترقى وتتنقل من جنة لجنة. فالله سبحانه حكيمٌ، ما يناسبك يظهره. الصحابة الكرام ما قالوا فتحنا العراق، المدائن، الشام. كانوا يقولون بعد الفتح: فتح الله علينا هذا البلد ويحمدون الله. المؤمن لا يتكلم عن أعماله وفتوحاته، لا يتكلم إلا عن أعمال الرسول ﷺ وبيانه ويدلُّ الناس عليه ﷺ.

18- ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ**﴾: أظهرنا لك عملك في المستقبل على لسان الخلق ﴿**فَاتَّبِعْ قُرْآَنَهُ**﴾: أقبل على الله بالصلاة، حيث إنه سبحانه وتعالى دلَّك على هذا الطريق ورزقك هذه الأعمال العالية وبإقبالك عليه سبحانه ترقى وتشكره، وتشكر رسوله ﷺ فهو السبب لما نلته من خير من ربك.

19- ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾: للخلق ولك، فيوم القيامة سيبين الله لك أعمالك حتى ترقى فتشاهد الخلائق كلها أعمالك وتدخل بها الجنات.

20- ﴿**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ**﴾: ومعنى كلاَّ أي إن الله لم يتخلَّ عنه ولكنه هو تخلى وأعرض عن خالقه ورازقه ومحبِّه تعالى، بل تحبون الدنيا وشهواتها العاجلة؛ وكل هذا من قلة التفكير وعدم ذكر الموت، تركوا الله وما أعدَّه لهم من جنات بحبهم لها رغم أن العاجلة والآجلة بيده سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى بهذه الآية يقول:

تركوني ولحقوا الدنيا العاجلة فلم يسعوا بالخلوات ليؤمنوا بي، ومني كل شيء، وبدوني فقدان كل شيء، عجلوا فيها رغم أن كل الإمداد مني بالعاجلة والآجلة. الكرة الأرضية حجر كبير يدور فمن الذي يحمله ويمده بالحياة؟! أين تفكيرك أيها الإنسان؟! وهذه العاجلة بعد فترة سوف تذهب عنك وترميك في الظلمات والآلام. الذين اقتصروا عليها خسروا الدنيا والآخرة وما فيها من كنوز أعدها الله تعالى لهم.

سورة القيامة: [21-30]

21- ﴿**وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ**﴾: غيرُ عابئين بها، وفيها جناتكم الدائمية، لكن لا تريدونها. ما هي الجنة وماذا في الآخرة؟:

22- ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾: الوجوه هي النفوس التي توجهت إلى الله فانطبع فيها الجمال، والسبب:

23- ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾: دائماً شاخصة ببصيرتها إلى الله سبحانه، فالجنة هي النظر إلى وجه الله الكريم، ولا عجب فهو خالق الجمال والكمال، وكل ما هو منثور في هذه الدنيا من جمال ذرة من جماله سبحانه جعله عن طريق مخلوقاته، وغداً سيذهب المخلوق ولا يبقى إلا الخالق، فالذين تركوا الله ولحقوا المخلوق ولم يؤمنوا بالله خسروا خسراناً كبيراً، أضاعوا النظر لوجهه الكريم، أضاعوا

الجنة وما فيها بشيء زائل. أين الماضي ولذائذه؟! الآخرة دائمية، الدنيا لحظة منقضية بالنسبة للآخرة الدائمة.

24- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: طالب ما درس، التهى، ذهب للمقاهي والملاهي، والنتيجة راسب وذهبت عنه المناصب وصار أخفض وأحطَّ شيء بالمجتمع، تراه هل يكون مسروراً على هذا الحال؟ وهؤلاء كانوا بالدنيا مسرورين، أكل، "كيف بسط"، أهل، أصدقاء، نساء... وعند الموت ذهبت عنهم دنياهم والتي هي كل شيء بالنسبة لهم، وشاهدوا نتيجة أعمالهم وما ستعود عليهم ارتكاباتهم، باؤوا بالشيء الذي سرت نفوسهم فيه، البيئة ضيَّعتهم، نظروا للبيئة ولم ينظروا إلى خالقها، أعجبوا بها ولم يعجبوا بخالقها فخسروها، وخسروا سعادتهم وأصبحوا فقراء الأعمال. كلُّ هذا لأنهم ما فكروا. لذلك بالآخرة يرجع الإنسان المعرض إلى أعماله فيرى نفسه فقيراً لا عمل صالح له فيحزن ويختني أمام الخلق والخالق.

25- ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: ظنُّهم بالله ظنُّ السوء، ظنُّهم أن الله لا يعطيهم.

ما عرفوا شيئاً عن حنانه ورحمته وكرمه وعطفه، ما شاهدوا هذا الشيء.

بالدنيا دائماً خائفٌ من الفقر، يظن أنه إذا تصدق يفتقر، وأن الله لا يعطيه، لذلك فهو دائماً يسعى للزيادة وملتفت إليها، وجُلُّ اهتمامه الدنيا، وبالآخرة يبقى هذا الظن ولولا هذا الظن لكان من السعداء:

"أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء"[5].

ظنوا السوء بالله، وهذا الظن أرداهم مع أن الله ما خلقهم إلا ليعطيهم ويسعدهم. أيها الإنسان لا مفرَّ لك من الموت وسوف تترك الأهل والأحبة والخِلاَّن، وعندها لا يبقى لك من أحد غير الله، فما حالك عندها؟!

26- ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾: وهذا وقت النزاع حيث تبلغ الروح الترقوتين، أي عظمتي الترقوة عند الحلقوم ولم يبقَ إلا أن ينفخها "أي ينفخ الإنسان روحه".

27- ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾: وكلمة {رَاقٍ}: مأخوذة من الرقي وهو العلو والرفعة، (وكلمة: ﴿التَّرَاقِيَ﴾: مأخوذة لغوياً من الرقي، فالنفس عند الموت تنسحب من أسفل الجسم (القدمين) إلى الأعلى، لأن الرقي من الأسفل إلى الأعلى، حتى تصل إلى عظمتي الترقوة وهذا في حال النزاع حيث تنسحب الروح من أسفل القدمين فصاعداً إلى أعلى الجسم، وبانسحاب الروح من قِبل ملك الموت يفقد الجسم حرارته، فترى المحتضر أول ما يبرد فيه قدماه، وكلما انسحبت الروح من عضو تدريجياً نحو الأعلى، تحلُّ البرودة، والنفس لا تمكث بالبرودة، لذا تراها تتبع الروح شيئاً فشيئاً وهكذا إلى آخر المطاف عند عظمتي الترقوة، وعند الحلقوم تبدأ النفس بالتردد وترفض الخروج حيث إنها تجهل إلى أين الذهاب، والإنسان عدو ما يجهل فتراه يتشبث بالجسد لا يريد الخروج منه، ويصبح نزع الروح كنزع الحرير من الشوك، هذا بالنسبة للكافر. فالآية تعني: كيف بك إذا بلغت نفسك هذه اللحظة، وهي لحظة الفراق وترك الدنيا إلى مجهول ووصلت إلى هذا الحال، فما هو مآلك؟! فلْتفكر في هذه اللحظة الحاسمة {**..وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ..**}[6]. كما أنها مأخوذة من

---

[5] مسند الإمام أحمد

[6] سورة الأنعام – الآية:93.

الصفاء والنقاء، نقول: راقت الماء، أي صفت، وهنا الملائكة هي التي تسأل عن نتيجة الإنسان تقول: هل من راق؟ من رقى بهذه الدنيا وكسب الرقي الأبدي، من نجا؟!

إذن حتى الملائكة لا تعرف نتيجة هذا الإنسان حتى يخبرها الله بحاله، فالملائكة وهم أجمل ما خلق الله بعد السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، ومع ذلك هذا الميت المعرض لا يشاهد جمالهم بل يشاهدهم غلاظاً شداداً جاؤوا للعذاب، والحقيقة أن الله أرسلهم للرحمة.

28- **﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾**: وهذا الظن إنما هو ظن تحقيقي، وقتئذ تفاجأ بأنه وصل إلى الموت، وأن هذا الظن قد تحقق لا محالة، ولآخر لحظة كان هذا الإنسان يشك بموته وله أمل في الرجوع إلى الحياة، يظن أنه سيعيش، لا يريد أن يموت ظناً منه أنه ذاهب إلى صحراء قاحلة لا شيء فيها وأن الموت سيُذهب عنه دنياه وكلَّ ما فيها ولا يبقي له أحداً. والله تعالى يقول: "كلا". أيْ: هذا الإنسان غير متروك وأنا ربه لا أتخلى عنه، ليس كلاً عليّ، وأنا لا أكلُّ من علاجه فله العلاج.

29- **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾**: هنا يشاهد هذا الإنسان حقيقة أعماله وما عمله هو بنفسه وكيف ضيعها وحرمها السعادة الأبدية، فيندم ويتحسر، ولكن ما الفائدة من الاعتراف، وهل استفاد فرعون عندما اعترف وآمن وهو بالغرق؟ يشاهد ما ساقه الله له من معاملات وإكرامات طوال عمره ويشاهد ما ساقه هو لنفسه باختياره وكيف قابل الإحسان والإكرام بالجحود والنكران واللؤم. كذلك عند الموت تلتف وتشتبك ساقا الميت على بعضهما وعندها يتضايق كثيراً.

30- **﴿إِلَى رَبِّكَ﴾**: يا محمد ﷺ صاحب الرحمة والحنان والجود والإكرام، بالموت يعرف الإنسان المقامات، يعرف مقام رسول الله ﷺ فيندم ويتحسر كيف لم يتخذ الرسول سبيلاً وخليلاً؟!

﴿يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾: سوف يساق لعند كريم رحيم عطوف شافٍ، فلِمَ الخوف من الموت وأنت ذاهب إلى الله صاحب الأسماء الحسنى؟!

سورة القيامة: [31-37]

السبب في خوفه:

31- **﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾**: سمع الحق لكن ما عبأ ولا صدَّق. لو صدَّق لكان صلّى وكسب كمالاً أغناه عن الحرام وما وقع بالآثام والحرام وما عمل سوءاً. لكن ما صدَّق، ما سار على القوانين التي وضعها الله له من أجل نجاته وسعادته، ما فكر بالموت حتى تخاف نفسه وتترك الدنيا الدنيّة وتلتفت إلى ربها وتستقيم على طاعته، ما فكر بالكون وبما فيه من آيات دالة على عظمة الله ورحمته ولطفه به وبالخلائق، ما فكر كيف كان نطفة ضعيفاً وكيف جعله الله من هذه النطفة إنساناً كاملاً، ما تنازل عن كبره وما جعل لنفسه خلوات يفكر فيها بمصيره وبهذه اللحظة الرهيبة، ما كان يحاسب نفسه على أعماله.

32- **﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾**: كذَّب بالحق الذي جاءه من الله على لسان رسول الله ﷺ، لم يبالِ ولم يهتم، لو اهتمَّ لكان مشى بالقانون وما كذَّب وأدار ظهره وتولى غير الله ورسوله.

الدنيا مجموعة طاعات وقوانين وضعها الله لهذا الإنسان من أجل سعادته دنيا وآخرة، إن طبقها الإنسان نال سعادة الدارين ونجا ودخل الجنة، لكن هذا المعرض ما طبَّق بل كذَّب وتولَّى غير الله ورسوله، تولى المخلوق، والمخلوق ليس بيده شيء، لا حول له ولا قوة، لا يعطي جنة ولا يمنح سعادة ولا يخلِّص من مرض ولا يطعم ولا يسقي.

33- ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾: أهله الذين يسير على ممشاهم ويسيرون معه في الضلال والفسق؛ وهي تشمل الأهل في النسب والعشيرة والأصدقاء، ورغم جهلهم وضلالهم مشى معهم وهو مسرور يتمطى أي تارك نفسه على طبيعتها غير خجل، مُطْلِقٌ نفسه على هواها، وهم سادرون معه، أحاديثهم جنسية، خمر، مفاسد، رقص، اختلاطات.

34- ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾: أيها الإنسان المعرض عن ربك هل ولاَّك ربك، هل أعطاك الولاية حتى تعطي نفسك هواها وتضع قوانين من عندك وتترك قوانين الإله؟!

الرسل والأنبياء عليهم السلام رغم علوهم وسموِّهم وعصمتهم وكمالهم ما ساروا إلا على قانون ربهم، فكيف سرت أنت على قوانينك ورأيك الذي أعماك في الأزل؟! ﴿أَوْلَى لَكَ﴾: بالأزل قبل مجيئك للدنيا عاهدت ربك أن تبقى معه بالنور ولا تنقطع عنه سبحانه وتعالى وطلبت الشهوة لا لأجلها وأجل ما فيها من لذة بل لتكون سبباً لأعمالك الصالحة، وعندما ألقى الله الشهوة بالنفس خنت ربك وأعرضت عنه ووقعت بالعماء، وبهذا أهلكت نفسك باختيارك هذا. فهل أعطاك الله الولاية أن تختار لنفسك هذه الشهوات الدنيئة وتترك ربك وما أعدَّه لك من جنات حتى جعلت لنفسك التولية دون النظر لجانب ربك ونسيت عهدك؟! هل كان عهدك مع الله هكذا؟

﴿فَأَوْلَى﴾: بالدنيا، فالله سبحانه وتعالى بعد أن فقدت هذه النفس النور جعل لها أنوار الكون وألبسها هذا الجسم، ترى عن طريق العين وتسمع عن طريق الأذن وتحس وتلمس عن طريق الجلد، وجعل لها هذا الكون وما فيه من آيات دالة عليه لتفكر، وأرسل لها الأنبياء والرسل يدلونها لتعود لربها وتتفتح بصيرتها، ومع هذا ظل هذا المعرض على رأيه الذي أعماه في الأزل، عاد إليه فعمي ثانية ولم يلتفت إلى ما أولاه الله إياه، وتولى الدنيا وشهواتها وأهواءه ولذائذه ولم يتولَّ الله والرسول، وراح يمشي في الأرض مكباً على وجهه يفسد فيها ويضل ضلالاً بعيداً إلى أن جاء أجله وساعة الفراق والرحيل إلى عالم البرزخ، وفي هذه الساعة العصيبة هل يتركه الله تعالى؟! كلا.

35- ﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾: ثم حرف عطف على التراخي. كذلك بالبرزخ، فهذا الإنسان غالٍ على ربه لا يتركه، لذا جعل له من عذاب القبر وضيقه ووحشته وعلاجات الملائكة الكرام كل ذلك علاجاً لحاله علَّه يرجع عن إعراضه ويخرج من حالته المرعبة الجهنمية غداً حال العار والخزي على ما فرَّط في جنب الله إلى السعادة والنور، إذن كذلك أولاه الله بالعلاجات علَّه يعود إلى كنف ربه، لكن ظل متولياً إعراضه متلبِّساً به ولم يخرج منه. وهناك أناس كُثْر ترجع وتنجو وتخلص من عذاب القبر بعد أهوال كبرى.

﴿فَأَوْلَى﴾: بالآخرة لم يرجع عن إعراضه ويتنازل لربه، وظلَّ متلبِّساً بكبره لا يتنازل عنه حتى صار إلى النار وعناية الله لم تنقطع عنه طرفة عين ولن تنقطع عنه أبداً فيجد في حريق النار وألمها الشديد سلوى لما به من عذاب الذل والعار، فأولاه الله بالعطف والعناية أيضاً في الآخرة لأنه لم يطهر في الدنيا ولا في البرزخ فالنار لتطهيره، ولا يشفيه إلا التجاؤه ووجهته لربه ولا تزكو نفس إلا بالله تعالى.

36- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾: هل أرسلك الله أيها الإنسان لهذه الدنيا حتى تلهو وتلعب؟ هل لهذا خلقك سدى بلا هدف ولا غاية؟! أما خلق لك هذا الكون وجعل له نظاماً؟ أما جعل لك قانوناً ونظاماً أيها الإنسان؟ الدنيا مدرسة والإنسان جاء ليدرس وينجح وينال شهادة، شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالله ما خلق هذا الإنسان سدى وعبثاً، بل لغاية عالية. والطريق حتى يخرج من عماه ويتنازل عن كبره ويخلص من مصيره المرعب ويصل للسعادة والجنة:

37- ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾: ليفكر الإنسان بهذه النقطة، كيف كان نطفة لا حول لها ولا قوة جرماً صغيراً مع ملايين النطف المنوية، فمن جعلك منها إنساناً سوياً وجعل لك السمع والبصر؟

هكذا كنت أيها الإنسان، فلا تتكبر على ربك ولا تمشِ برأيك بل دائماً انظر لبدايتك، إن فكرت بهذه النقطة وآمنت ترى نفسك لا شيء، والله منه كلّ شيء، فتتنازل عن كبرك وتلتجئ إلى خالقك وتطلب منه النجاة والعون على الطاعة.

38- ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾: سوَّاك بهذا الكمال، سوَّاك بالغاً عاقلاً كاملاً.

39- ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾: جعل هذا الخلق الذي من نطفة ذكراً وأنثى، وجعل له أعضاءً ولكلٍّ ما يناسبه. وبالأصل كانت نفوساً مجردة لا تذكير ولا تأنيث فيها.

40- ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾: هذا الخلق الذي خلقك الله منه، فأنت من تراب والله من التراب خلقك وأوجدك، وجعل لك ما جعل من أجهزة وأعضاء وخلق لك الطعام منه.

﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾: هذا الخلق الجاري المستمر والذي هو من التراب يدلُّك إن فكرت به أن الله دوماً يحيي وقادر على أن يحيي الموتى بعدما يصبحون تراباً.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الإنسان: [01-10]

1- ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾: أما حصل هذا من آدم عليه السلام حتى نهاية العالم، فقبل أن يكون الإنسان نطفة ونفساً لم يكن، ما كان غير الحضرة الإلّهية.

فماذا كانت الناس؟ لم تكن شيئاً. وأين الأقوام السابقة الآن، وإلى أين ذهبوا؟ فمن يأتي بالناس إلى الدنيا، ومن يأخذهم؟

إذا لم يفكّر الإنسان بأصله لا يصبح إنساناً.

2- ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**﴾: من الأطعمة المختلطة، من خلاصة الثمرات والفواكه، اشترك الكونُ كله في خلقك أيها الإنسان من ليل ونهار وفصول أربعة وسحب وهواء... كل هذا عناية من ربك بك، الأب أكل فتشكلت النطفة، والأم أكلت فتكوَّن الجنين حتى صار إنساناً، فهل الطعام يصبح إنساناً؟

هل يصبح أجهزة وعضلات وأعصاباً؟!

إن فكرت بهذا دلَّك على أنه لابد من يد صنعت هذا، إن فكرت بها وصلت إلى لا إلّه إلا الله.

﴿**نَبْتَلِيهِ**﴾: بهذه الدنيا، إن كان منه خير يظهر خيره، فالإنسان لهذا خلق، للامتحان بهذه الدنيا وما فيها من زينة وشهوات، وحتى يجري سبحانه وتعالى عليه أحسن الأعمال ويُدخله الجنة.

﴿**فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾: جعلنا لديه الأهلية ليكون كذلك، وكل واحد فيه خير لا بدَّ وأن يُظهر تعالى خيره. جعلنا له قابلية للسمع ليسمع الحق المنزل على رسول الله ﷺ، إن سمع وطبق أصبح بصيراً يبصر الحقائق بنور الله، والمقصود هنا بالسماع سماع النفس ذاتها لا الأذن، فالله خاطب زوجات رسول الله ﷺ قائلاً لهنّ: {**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا..**}[1]. فالسماع نفسي قلبي، سماع الحقائق لا الألفاظ الهوائية بالأذن.

فكل إنسان بلغ سن التكليف عنده القابلية ليسمع ويبصر ويصل للإيمان والتقوى ويصبح سميعاً بصيراً.

3- ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ**﴾: أريناه طريق الحق، شاهد من مات قبله ليعلم أنه سيموت ولابد أنه مفارق لهذه الدنيا، شاهد هذا الكون العظيم وما فيه من آيات دالة على الله، شاهد نتائج الظالمين وما عادت عليهم أعمالهم بالسوء، أرسل الله له كتاباً وأرسل له رسولاً يدلُّه على الإيمان والتفكير، فالاختيار له.

﴿**إِمَّا شَاكِرًا**﴾: يكون هذا الإنسان شاكراً على ما تفضل الله به عليه من عناية وتقويم وحُسن دلالة فيقبل على ربه ويقدم الأعمال الصالحة.

---

[1] سورة التحريم – الآية:4.

﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾: يُنكر هذه النعم فلا يفكر ولا يعبأ ولا يُقبل على ربه، ولكن هل يتركه تعالى؟!

4- ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾: من رحمته تعالى بهذا الإنسان لا يتركه حناناً منه عليه ليعود إلى الحق ويسعد، فالله يقول نحن لا نتركه سدى حضَّرنا له: ﴿سَلَاسِلَ﴾: يُقيَّد بها، سلسلة من علاجات في الدنيا والقبر والآخرة، مثل المريض الذي بالمستشفى، وكل هذه العلاجات رحمة من الله سبحانه وتعالى وحناناً ليرجع هذا الإنسان لربه، فما من أحد متروك، فهذا الإنسان غالٍ على ربه لا يتركه سدى.

﴿وَأَغْلَالًا﴾: سوف يُغَلُّ بأعماله السيئة التي اختارها وقام بها، أعماله غِلٌّ له تمنعه من دخول الجنة والإقبال على الله وسيحصد نتائج أعماله وسترجع عليه، إن كانت شراً عادت عليه بالشر والشقاء، فإن غيَّر سلوكه السيِّئ وكانت خيراً عادت عليه بالخير والسعادة.

فالله لا يريد لعباده إلا السعادة ولا يريد لهم إلا الخير، بيَّن لهم وحذَّرهم ولهم ما اختاروا، فإذا أصاب الإنسان ما يكره فليرجعْ إلى عمله ولْيتُب والله يغيِّر عليه إن تاب، ويبدله بدل الفقر غنىً وبدل المرض صحة وبدل الذل عزاً.

﴿وَسَعِيرًا﴾: بحسب ما يناسبه وبسعر ما قدَّم من عمل فلا زيادة ولا نقصان.

5- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾: يقال: برَّ بوعده أي وفَّى. والأبرار هنا هم الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين عاهدوا الله ووفوا بعهدهم، قالوا يا رب لا ننقطع عنك فصَدَقوا ولم ينقطعوا، كذلك المؤمنون الأتقياء جاؤوا للدنيا وبمعية رسلهم برُّوا ووفوا بعهدهم، رجعوا إلى النور واستنارت بصائرهم.

﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ وهذا الكأس جامع لأعمالهم العالية التي صدرت عنهم، وما امتلأت به نفوسهم من الخيرات ونعيم التجلي الإلٓهي[2]. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: هذه الكأس التي يشربون بها ممزوجة بالمحبة والعشق الإلٓهي. ﴿كَافُورًا﴾: كل من شرب منها يُستر ويُقطع عن كل سوء بما فيها من نعيم ولذة، فالشيء الذي يشربونه يغطي ساحتهم النفسية هياماً وحباً وعشقاً لله، وبما يتفضل به عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كذلك المؤمنون الأتقياء بهذا الكأس وبما يشربونه يُكفِّر الله عنهم ماضيهم ويُمحى من نفوسهم كل شيء قاموا به فلا يتذكرون شيئاً من أعمالهم التي تسوؤهم وتخجلهم من ربهم، حتى الأشخاص الذين كان يعرفهم بالباطل ينساهم. **{صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً..}**[3].

6- ﴿عَيْنًا﴾: هذا الكأس نبع عين متوارد دوماً لا ينقطع عنهم ولا ينضب، فأعمالهم العالية الطيبة تعود عليهم بالإقبال والجنات فهم دائماً من إقبال على ربهم لإقبال أعلى، ومن جنة لجنة أعلى إلى أبد الآبدين، فخير هذا الكأس لا ينقطع كالنبع دوماً متوارد بالماء، بالحياة.

﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾: الذين أطاعوا الله. الدنيا مجموعة طاعات إن طبقها الإنسان أطاع الله ودخل الجنة، وهؤلاء أطاعوا الله ولم يعصوه في شيء.

﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾: لهذه العين. ﴿تَفْجِيرًا﴾: يفجرونها واحدة بعد واحدة تفجيراً بالخيرات، فكلما شاهد هذا الإنسان عملاً من أعماله رأى ما وراء عمله هذا من خيرات وجنات، وبمعية هذه العين يرى مشاهدات وجنات وخيرات أكبر وأكبر إلى ما لا نهاية.

---

[2] وهذا الكأس جامع للكمالات الإلهية كلها وتصب به التجليات الإلهية والتي فيها النعيم والغبطة والسرور القلبي، فالله المعطي وصاحب الكأس ﷺ هو القاسم.

[3] سورة البقرة – الآية:138.

7- ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ**﴾: عاهد الله ألا ينقطع عنه إذا جاء للدنيا، عاهد أنه يبقى دوماً مستنيراً بنور الله ووفى بعهده، نذر نفسه مخالفة الشيطان وعمل لهذا، فهؤلاء لا يمشون مع الشيطان ولا بهوى أنفسهم.

﴿**وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾: ما ينبعث عن الأعمال من نتائج. ساعتها تأتي عليهم، فهؤلاء لا يعملون شراً أبداً لأنهم مشاهدون أنهم سيجزون به في الدنيا، وفي القيامة سوف يشاهدون هذا العمل وتشهده الخلائق فيحجبهم ذلك عن ربهم خجلاً وسيعود عليهم هذا بالسوء والخسران ويحرمهم الجنات، لذلك تراهم دائماً متلهفين على عمل الخير ويبحثون عنه.

8- ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**﴾: حباً بهذا العمل، يحبون الإنفاق والتضحية يحبون عمل الخيرات والمعروف وهذا طلبهم رضى الله، إذ علموا أنهم جاؤوا إلى الدنيا لعمل المعروف ولأنهم يعلمون أن عمل الخير فيه سعادة وسرور وهذا الشيء سيرجع عليهم.

﴿**مِسْكِينًا**﴾: من لا قدرة له على الكسب "مقعد". ﴿**وَيَتِيمًا**﴾: حيث لا ناصر له. ﴿**وَأَسِيرًا**﴾: منقطعاً، أسرى الحروب، كذلك أسرى الشهوات يعاملونهم ويحسنون لهم ولو كانوا من غير دين.

9- ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ**﴾: لا غاية دنيوية لنا من ذلك، إلاَّ اللهَ ورضاءه ومشاهدة أسمائه الحسنى، ليست الغاية من أعمالنا دنيا نصيبها.

﴿**لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾: هذا حال أنفسهم، لا يقولون هذا بلسانهم، لسان حالهم يقول هذا، عملهم لله ولا يطلبون من وراء أعمالهم شيئاً.

10- ﴿**إِنَّا نَخَافُ**﴾: إن لم نفعل ولم ننفق ولم نعمل خيراً. ﴿**مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا**﴾: شديد فيه شدة فالحساب بالمثاقيل. ﴿**قَمْطَرِيرًا**﴾: فيه قمط دائمي ومرارة، وهذا ما يجعل المعرض يرمي بنفسه إلى النار.

سورة الإنسان: [11-20]

11- ﴿**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ**﴾: سترهم عن ذلك اليوم بما تجلى عليهم من أسمائه الحسنى. ﴿**وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً**﴾: حياة. ﴿**وَسُرُورًا**﴾: فرحاً، وما يسري بنفوسهم من سعادة وغبطة.

12- ﴿**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا**﴾: صبروا على نفوسهم وشهواتها، صبروا على الناس، وصبروا حين البأس وعلى المكاره، فجزاهم على هذا الصبر. ﴿**جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾: صاروا بالجنان والسعادة والإقبال والمشاهدة، هذا حالهم دائماً. وحريراً: لا حرَّ فيها حيث بإقبالهم على الله شفوا من كل العلل الجهنمية وتحررت نفوسهم منها ومن سلطان الجسم فغدت حرة طليقة لا يقيدها زمان ولا مكان. تحرَّروا عن قوانين التكليف: لهم ما يشاؤون ومن الله المزيد والإكرام فقد فازوا.

13- ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ**﴾: كل واحد منهم متكئ على ما يراه من أعمال طيبة قدمها في حياته بالدنيا، متكئ على ما رجعت عليه أعماله من سعادة وجنة وإقبال حيث إنَّ هذه الأعمال تجعل لنفوسهم ثقةً ووجهاً أبيض فيقبلون على الله ويعرجون في مشاهدات أسمائه العلية.

﴿**لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا**﴾: برداً، فالدنيا انتهت ولم يبقَ تكليف وانتهت المحظورات، فلا حرَّ فيها ولا برد.

14- ﴿**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا**﴾: التجلي من الله والحياة عليهم. ﴿**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا**﴾: استسلمت، العطاء لهم. ﴿**تَذْلِيلًا**﴾: صار يقطف العطاء فيها شيئاً بعد شيء، وكل شيء مسموح به.

15- ﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ**﴾: الملائكة تطوف عليهم دائماً حولهم وتذكرهم بأعمالهم العالية. ﴿**بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ**﴾: مما أنى من أعمال نقية حيث كانت نواياهم من أعمالهم صافية نقية لا غاية لهم منها إلا الله ورضاؤه.

﴿**وَأَكْوَابٍ**﴾: تنكب عليها النفس لما فيها ولما ينتج عنها من نعيم وجنات وسعادة. ﴿**كَانَتْ قَوَارِيرَ**﴾: مستقرة في نفوسهم والملائكة تذكرهم بها.

16- ﴿**قَوَارِيرَ**﴾: هذه الأعمال مستقرة باقية أبد الآبدين، وخيراتها عليهم لا تنقطع أبداً. ﴿**مِنْ فِضَّةٍ**﴾: نقية، لهم على هذه الأعمال عطاء كبير صافٍ نقي من كل ما ينغص، فلا شقاء ولا مرض ولا ملل، كل هذا بسبب أعمالهم ونواياهم العالية الصافية النقية.

﴿**قَدَّرُوهَا**﴾: بحالهم بما فيهم من كمال، كسبوا كمالاً من الله بإيمانهم وبالنور الذي معهم شاهدوا ما تعود عليهم الأعمال الصالحة. ﴿**تَقْدِيرًا**﴾: وجدوها عالية وأعمالهم ذات قيمة وقدر لا تخجلهم، فهم عملوا وأنفقوا من كل ما هو محبب عند نفوسهم، ضحوا بالذي له قيمة بنفوسهم.

17- ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا**﴾: جامع لأعمالهم الطيبة العالية التي صدرت عنهم. ﴿**كَانَ مِزَاجُهَا**﴾: طعمها. ﴿**زَنْجَبِيلًا**﴾: لها رائحة طيبة. فهم يرون طعمها ورائحتها حيث في الآخرة كل شيء مرئي ومشهود فالطعوم والروائح مرئية والله متجلٍ عليها بأسمائه الحسنى.

18- ﴿**عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا**﴾: اطلب تعط، فكل العطاءات على الإرادة، ولهم ما يشاؤون ولدى الله المزيد، فإن أراد امرؤ من أهل الجنة أن يجتمع بأي أحد آخر يراه ماثلاً أمامه مباشرة بلا زمن أو يمْثُلُ أمامه ولو كان نبيّاً أو رسولاً يجتمع به من بين أهل الجنة أجمعين بلا زمن على الإرادة بكلمة كن إن أراد. وإذا أحب الطعام على الفور يأتي الطعام ويأكل، وإذا امرأةٌ تقيّةٌ أحبت الألماس فالله سبحانه يجعل لها كلَّ شيء ألماساً بواسطة هذه العين المحمدية التي يتمُّ الله عطاءاته على عباده المتقين بها. العين: هي النفس المحمدية.

19- ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ**﴾: يدخلون عليهم برفق. ﴿**وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ**﴾: بحال عالٍ عظيم، وهذا حال منعكس عليهم من الأنبياء والأتقياء الذين يطوفون عليهم لخدمتهم فيسيرون إلى أهل الجنة ويدخلون عليهم بهذا الحال من الطواف حاملين لهم الأنوار والسعادة وما يسرُّهم، كذلك يطوفون عليهم من أجل الخدمة. فهؤلاء الولدان هم الأولاد الذين ماتوا قبل سن التكليف وهم على درجة واحدة حتى ولو كان أحدهم ابن نبي رسول.

﴿**إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا**﴾: نفوسهم نقية صافية تتلألأ بالأنوار فهم لم يقترفوا أشياء مؤذية في الدنيا، ماتوا وهم صغار، حيث إن الله أكْبَرَ مغامرتهم وتصديهم لحمل الأمانة ولكنه أماتهم قبل سن التكليف حيث إنهم غيَّروا بالأزل وأنه لا قابلية لديهم للرجوع إليه تعالى ودخول الجنة إن تجاوزوا سن التكليف، فأماتهم وجعلهم خدماً لأهل الجنة، فعندما ينظر أهل الجنة لهؤلاء الولدان المخلدون يرون حالهم العظيم لشدة صفائهم ونقائهم أي تنعكس أحوال أهل الجنة النفسية عليهم وبذلك حين ينظرون إليهم يشاهدون حالهم العظيم فيهم. ﴿**مَنْثُورًا**﴾: عليهم أي على أهل الجنة.

20- ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ**﴾: إذا آمن الإنسان وارتبط مع رسول الله ﷺ برابطة نفسية يشاهد هذا الشيء من الدنيا قبل أن يصل للآخرة.

﴿**ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا**﴾: تجد نعيماً في نفسك يغنيك عن وجودك ويغنيك عن الدنيا وما فيها من فتن بما تراه في نفسك من أنوار وجمال، فكلمة ﴿**ثَمَّ**﴾ بفتح الثاء معناها: أن الإنسان إذا ذاق طعماً طيباً يقولها

تعبيراً عما يراه ويجده في نفسه من لذة ونعيم ومسرَّات وسعادة بالشيء الذي رآه وذاقه، وهؤلاء الذين آمنوا وارتبطوا برسول الله ﷺ صار معهم نور، بنورهم يرون ما ينعكس من جمال وأنوار الولدان المخلدين فيتنعمون بمشاهدتهم.

﴿**وَمُلْكًا كَبِيرًا**﴾: وهذا الشيء لا يزول عنك ملك لك إلى أبد الآباد، فالله سبحانه وتعالى إذا ملَّكَ النفس شيئاً فالنفس تهفو إليه وتغمره، تسمعه وتشاهده وترى روائحه وتتنعم به فكل شيء لأهل الجنة مرئي مشهود، أما الملك الدنيوي فالإنسان إذا ملك مهما ملك لا يرى إلا المكان الذي هو فيه.

سورة الإنسان: [21-30]

21- ﴿**عَالِيَهُمْ**﴾: دائماً أهل الجنة برقي، فهم يرقون من مرتبة لمرتبة أعلى فوقهم ومن حال لحال ومن مشاهدة وجنة إلى مشاهدات وجنات أعلى مما سبقها.

﴿**ثِيَابُ**﴾: مما يثوبهم من أعمال قدموها، فهم لابسون ثياب المهابة والعظمة والرحمة، ألبسهم الله إياها على حسب ما قاموا من أعمال وتقلبوا بها بهذه الدنيا.

﴿**سُنْدُسٍ**﴾: مما أسند إليهم من أعمال عالية. ﴿**خُضْرٌ**﴾: فيها حياة من الله تحيا بها نفوسهم. ﴿**وَإِسْتَبْرَقٌ**﴾: يشاهدون أعمالهم لها أنوار تبرق أمامهم. ﴿**وَحُلُّوا أَسَاوِرَ**﴾: تحلية فيها سرورٌ بها تحلى نفوسهم وهم دائماً بالسرور، والسرور يساورهم، فهذا ما يتحلَّى به أهل الجنة. ﴿**مِنْ فِضَّةٍ**﴾: السبب أعمالهم ونفوسهم نقية من كل شائبة.

﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾: تجلَّى عليهم ربهم بحياة طاهرة من كل نغص وبهذا الشراب طهرت نفوسهم، وهذا شراب الأتقياء يشربون منه بمعية الرسل والأنبياء عليهم السلام، وكل من شرب منه أضحى بالسعادة والجنان ولا يخرج منهما.

22- ﴿**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً**﴾: على ما قدمتم من أعمال صالحة طيبة عالية. ﴿**وَكَانَ سَعْيُكُمْ**﴾: الإيماني. ﴿**مَشْكُورًا**﴾: يُقدَّم لك جنات وأعطيات عليه، فأهم شيء الإيمان لأنَّه يُبنى عليه كل شيء، فهؤلاء آمنوا بربهم، فكروا وضحوا بكل غالٍ ونفيسٍ حتى آمنوا، وبإيمانهم صارت صلاتهم شهودية وتفتحت بصائرهم واستنارت، صاروا يشاهدون ربهم قريباً منهم. عاملوا حاضراً لذلك شاهدوا كل شيء منه سبحانه وتعالى فقدموا أعمالاً عاليةً صافية.

23- ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ**﴾: متناسباً مع إقبالك وحالك. ﴿**تَنْزِيلًا**﴾: فالله أنزل القرآن على رسوله ﷺ في ليلة واحدة.

{**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**}[4]، {**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ..**}[5].

ونزل على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على مدى ثلاثٍ وعشرين سنة.

24- ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا**﴾: لا تسكت لفاسق مجرم. ﴿**أَوْ كَفُورًا**﴾: كافراً يزداد بكفره من كفر إلى كفر.

---

[4] سورة القدر – الآية:1.

[5] سورة الدخان – الآية:3.

25- ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: يا محمد ﷺ حنانه ورحمته وعطفه. ﴿بُكْرَةً﴾: من الأزل. ﴿وَأَصِيلًا﴾: إلى الأبد وهذه خاصة برسول الله ﷺ فوظيفته جارية على الخلق من بداية الخلق إلى الأبد **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**.

26- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾: اطلب الفضل منه تعالى لك ولهم. ﴿وَسَبِّحْهُ﴾: اسبح في فضله. ﴿لَيْلًا طَوِيلًا﴾: طوال حياتك، حتى يوم القيامة، أخرج الصادقين بطلب الحق من ظلمات الدنيا القلبية إلى نوري فيبصرون الخير من الشر، فهو ﷺ رحمة للعالمين وظيفته القلبية دائمية.

27- ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: يحبون الشهوة العاجلة الدنيوية.

﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: يوم القيامة حسابه عليهم سيكون ثقيلاً.

28- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: وإن كنّا أعطيناهم الاختيار لكن سيرهم بيدنا، فالله سبحانه وتعالى وحده هو المسير الفعال لا فعل لأحد سواه، أنت تختار لكن الفعل والإمداد والتسيير منه سبحانه وتعالى والمناسب يجريه.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: أهلكناهم وجئنا بغيرهم صفاتهم: أذلةٍ على المؤمنين أعزة على الكافرين لا يخشون في الحق لومة لائم.

29- ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾: هذا البيان المنزل من الله على رسوله تذكرة لكي ترجعوا إلى الله وتنالوا جناتكم. ففي هذه الدلالة الإلَهية نور وضياء بالالتفات إلى تاليها ﷺ يوصل النفس المؤمنة بنوره لنور الله، فبه يتذكر عهده مع الله ويشاهد الأزل والقيامة. والحياة الآخرة وجناتها.

﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: لكل من شاء ففكَّر وسار ضمن الحق هذا البيان تذكرة له.

30- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: الفعل فعله سبحانه وتعالى فالإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بإذنه تعالى.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بكل واحد، عليم بنيته. ﴿حَكِيمًا﴾: يعطيه حقه.

سورة الإنسان: [31]

31- ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: للإنسان مشيئتان:

* المشيئة الأولى هي الصدق بالطلب أو عدمه. وقد تمّ ذلك في عالم الأزل، وبصدقه ﷺ تفوّق ونال تلك المنزلة فكان رفيع الدرجات إمام الرسل والأنبياء عليهم أزكى الصلاة والسلام النبي الأمِّي لهم جميعاً.

* والمشيئة الثانية السير في العمل أو عدمه لأنه تعالى عليم في المشيئة الأولى التي شئتها حكيم في السير. أما العمل فيتمّ في الحياة الدنيا وبه يرقى الرسل والأنبياء عليهم السلام والصديقون والشهداء والمؤمنون والسالكون بصدق مع السابقين الصادقين. إن كانت نيتك صادقة فتح لك وأعطاك فهو عليمٌ بنيتك والأعمال بالنيات. إن لم تكن صادقاً فلن يفتح لك طريق العمل.

﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: ظالمين لأنفسهم لم يسلكوا طريق الإيمان كما سلكها سيدنا إبراهيم عليه السلام فلم يتَّخذ من مقام إبراهيم مصلىً. لا جعل الله لنا النار لزاماً. تُبْنا يا رب.

والحمد لله رب العالمين.

تأويل سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المرسلات: [10-01]

1- ﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ**﴾: الشمس والقمر... كلُّ ما فيه حياتك مما أوجد الله تعالى من النباتات والأشياء الأخرى العظيمة أرسلها إليك عن طريق هذا الكون، وما فيه من مخلوقات غير مكلفة سخرها الله لك وشكَّلها بأشكال وألوان وحجوم مختلفة متباينة حبّاً وعطفاً ورحمة بك، كل هذا حتى تفكر وتقنع نفسك وتقيم صلة مع خالقك ومربيك، إن فكرت بهذا رأيت رحمة الله بك وعطفه عليك فتحبَّ الله.

﴿**عُرْفًا**﴾: تُعرّفك بفضله تعالى عليك أيُّها الإنسان، فكلُّ هذه المخلوقات وما خلق الله لك يعرِّفك بفضله، يعرّفك بأن لك مربياً يربيك ويعتني بك، وأنه سبحانه وتعالى خلقك وأوجدك بهذه الدنيا لغاية سامية عالية، لا من أجل أن تنشغل بما خلقه من أجلك وسخّره لك، بل من أجل أن تتعرف عليه سبحانه كي تؤمن به وتعمل صالحاً فتنال السعادة، سعادة الدارين الدنيا والآخرة وتدخل الجنة، فهذا الكون وهذه المخلوقات وما أوجده الله لك كي تشهد أنه لا إلَه إلا الله، فانظر أيها الإنسان إلى عناية الله بك، كذلك أرسل لك رسلاً يدلُّونك على الله وأرسل كتاباً وجعل لك قوانين وأنظمة وملائكة تلهمك: "يا عبد الله ارجع إلى الله، فكِّر، ابحث عن سعادتك، يا نفس اسمعي كلام الله، انظري في الكون، استدلِّي على الله". إن سرت بالقانون وفكرت توصلت إلى لا إلَه إلا الله، فتشهد أن محمداً رسول الله، وعن طريق التفكير توصَّل سيدنا إبراهيم العظيم عليه السلام وأهل الكهف والصحابة الكرام فأحبُّوا ربَّهم وهاموا به.

2- ﴿**فَالْعَاصِفَاتِ**﴾: الرياح التي تعصف في وظائف متعددة.

﴿**عَصْفًا**﴾: ضمن أنظمة وقوانين، فالرياح تعصف حتى تصعد بالأبخرة وتحملها، فهناك رياح تشكل الغيوم ورياح تدفعها، وهناك رياح باردة وغيرها حارة، وكل واحدة ولها وظيفة وترتيب، والكل من أجلك أيها الإنسان.

3- ﴿**وَالنَّاشِرَاتِ**﴾: ناشرات الخيرات على الخلق من فضلنا، فهذه الغيوم تحمل الماء الذي فيه الحياة والخير من الله وتنشره عليكم. {**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**}[1].

﴿**نَشْرًا**﴾: ضمن الحكمة، فكلٌّ ينال حقه واستحقاقه وعلى حسب ما يناسبه، فهناك من يصبح غنياً وهناك من يفتقر، فالله سبحانه وتعالى حكيم وكل أعماله ضمن الحكمة.

4- ﴿**فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا**﴾: التي تحصل بها أنواع وأجناس الأشياء، كلُّ جنس مما خلقه الله له شكل ولون ورائحة وطعم يختلف عن باقي الأجناس، فهذه الأجناس والتشكيلات المتعددة كل واحدة تختلف عن الأخرى ولها الفائدة للإنسان.

---

[1] سورة الذاريات – الآية:22.

5- ﴿**فَالْمُلْقِيَاتِ**﴾: عليكم يا عبادي. ﴿**ذِكْرًا**﴾: تذكركم بالخالق العظيم إذا فكرتم به، فالله سبحانه وتعالى لهذا خلقها، لكي تتذكروا أن لكم خالقاً خلقكم، ورباً يربيكم ويعتني بكم، فتقبلوا عليه وتعملوا الخير وتنالوا السعادة، ولم يخلقها للأكل والشرب فقط.

6- ﴿**عُذْرًا**﴾: غير مثمر. ﴿**أَوْ نُذْرًا**﴾: مثمر.

﴿**عُذْرًا**﴾: غير مثمر. مثال: أب اعتنى بابنه، أرسله لأحسن المدارس والجامعات وهيَّأ له أفضل الأساتذة والإمكانيات. الابن بدل أن يدرس ترك الدراسة والجدَّ والاجتهاد وما عبأ بالمعلمين وما اكترث بالمنهاج وذهب للرذيلة والملاهي، النتيجة رسب. فهذا الابن هل يلوم أباه أم يلوم نفسه؟ كذلك ربُّ العالمين يقول لهذا الإنسان الذي جاء للدنيا ولم ينجح ولم يثمر يقول له:

عبدي أنا أرسلت لك كلَّ شيء تحتاجه من أجل هدايتك، أرسلت لك أنبياء ورسلاً وخلقت لك هذا الكون العظيم، أنت ما أقبلت عليّ وما أثمرت ﴿**عذراً**﴾: فكلُّ ما في الكون حجَّة عليك {**قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ..**}[2].

فمن طرف حضرة الله ﴿**عُذْرًا**﴾: أي حجة على هذا الإنسان.

﴿**أَوْ نُذْرًا**﴾: مثمر: إذا خافت النفس تتذكر وترجع إلى الله فتثمر وتنتج الصالحات وقد أجدى بها الإنذار، خوفان لا يجتمعان على قلب المرء الذي خاف في الدنيا ونفعته الإنذارات فحاسب نفسه قبل أن يحاسب، هذا لا يخاف في الآخرة. {**..إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**}[3]. فهؤلاء سمعوا من رسول الله ﷺ أو من المرشدين، خافوا على مصيرهم طلبوا الخلاص. فكروا بالموت خافوا فاستقاموا على طاعة الله، فكروا بالكون شاهدوا لا إلّه إلا الله، هؤلاء أُنذروا فاستجابوا، جاؤوا للدنيا نجحوا وأثمروا ولهم الجنات.

7- ﴿**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ**﴾: هذه الأشياء إن فكرت بها واهتديت للخالق عرفت أن وعده حق واقع لابد منه، لأنها توصلك إلى الله سبحانه وتعالى فترى بنوره وبنور رسوله ﷺ أنَّ هناك حساباً ومسؤولية. فما مراده تعالى من خلق الكون على هذا النظام البديع، وما مراده من خلق الإنسان؟! وما مراده مما أمر به هذا الإنسان؟! إذن لابد أن هناك حساباً ومسؤولية، إن فكرت بالموت والسؤال خافت نفسك فاستسلمت إليك فسعت للوصول للمربي، قبل كل شيء آمِنْ بالآخرة عندها يوصلك تعالى بنوره ونور رسوله ﷺ فتشاهد الحقائق.

8- ﴿**فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ**﴾: أنوارها. يوم القيامة تذهب أنوارها، وعند الموت تذهب هذه الأنوار عنك أيها الإنسان.

9- ﴿**وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ**﴾: كشفت عنك، فهذه السماء العظيمة نفس واهية والله ألبسها هذا الثوب من الوسعة والعظمة، وجعل لها هذه الوظيفة فهي كباقي المخلوقات تحبُّ الحرية ولا تحب التقيُّد، فالسماء يوم القيامة تنتهي وظيفتها وتتحرر من ثوبها وتذهب لنعيمها.

10- ﴿**وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ**﴾: لم يبقَ لها وجود، نسفت نسفاً نهائياً لا رجعة لها. فبعد هذه الدورة في الحياة الدنيا دار العمل التي نحن الآن بها لا امتحان ثانية ولا رجعة للدنيا أبداً، لأن الإنسان الكافر

---

[2] سورة الأنعام – الآية:149.

[3] سورة سبأ – الآية:46.

ولو رجع لعاد لما كان عليه من الكفر والشقاق. {..**وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**}[4]: على أنفسهم، لا يؤمنون بذاتهم بآيات ربهم الكونية. فهذا الإنسان ظهرت نتيجته بعد أن اختُبِر ولا أمل له في التغيير، لو عاد للدنيا مرة ثانية وجعل له ربه كوناً لما استفاد ما دامت هذه البذرة الخبيثة في نفسه فلا جدوى له، لذلك هذه الجبال نسفت نسفاً نهائياً لا رجعة لها ولا يبقى لها وجود.

سورة المرسلات: [11-20]

11- ﴿**وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ**﴾: الوظيفة الجسمية لفترة من الزمن لأن صورتهم تزول من على وجه الأرض، بيَّنوا لك أن ساعة الحساب "جُعل لها وقتٌ" وذلك بالنور الإلّهي الذي معهم، بهذا النور يكشفون لك أيها الإنسان كل شيء فلا يبقى شيءٌ مستوراً عنك أو مخفياً، وترى كلَّ شيءٍ بنورهم، وترى يوم القيامة وأحداثه. هكذا شاهد السحرة الذين اتقوا بنور رسول الله موسى عليه السلام الآخرة وما فيها.

12- ﴿**لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ**﴾: كلُّ رسول له زمن، {..**اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**..}[5]. كل زمن يناسبه نبي أو رسول العصر، وهم قائمون على وظائفهم ولا تنتهي حتى يوم القيامة، وظائفهم سارية على الخلق لمن يبغي وجه الله.

13- ﴿**لِيَوْمِ الْفَصْلِ**﴾: وهذه الوظيفة النفسية مستمرة ليوم القيامة القضاء الفاصل. يقال فُصلت القضية، أي انتهت وصدر الحكم وتحتم كل شيء، كذلك يوم القيامة.

14- ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ**﴾: ما أعظمه عليك أيها الإنسان! ما هي الوسائل التي أعددتها لتشاهد هذا اليوم؟! هل سلكت طريق الحق لتشاهد ما في ذلك اليوم؟! السحرة استناروا بسراجهم المنير سيدنا موسى عليه السلام فرأوا الآخرة وتحدَّثوا عن أحوال أهل الجنة في الجنة وكذلك أهل النار كما بيَّنا.

15- ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾: أي: ما أعظم ما ولّى عنهم من الخير والسعادة! وما أعظم ما سيحل بهم من الشقاء والهلاك الذي أوقعوا أنفسهم به!

16- ﴿**أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ**﴾: أما فكرت بمن سبق، أين هم الآن، ماذا حل بهم، أين الأقوام الماضية قوم عاد وثمود وفرعون، أما تركوا هذه الدنيا ورحلوا عنها، أفلا تموت أنت وترحل عنها؟! ماذا في القبر، أما فكرت به؟! وماذا بالآخرة؟!

17- ﴿**ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ**﴾: الذين يطغون مثلهم هلكوا ورحلوا عن الدنيا وتركوا كل شيء.

18- ﴿**كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ**﴾: وهذا قانون عام فكل من يطغي هذا مصيره، كل من يجرم بحق نفسه وبحق غيره هذا مصيره، المجرم: خيره زال، حيث إنه لا يفكر فلا خير فيه قطعاً، ملتهٍ بالرذيلة، ما فكر بآيات الله.

19- ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾: عند الهلاك وفي الآخرة، كم سيكون ألمهم كبيراً وشقاؤهم عظيماً بما سيحل بهم؟! والله بهذه الآية يحذِّرنا مما سنوقع أنفسنا به حتى نغيِّر ونسير باتجاه الحقِّ، ودلَّنا على الطريق وهو أن يفكِّر الإنسان بأصله وما كان عليه، وبهذا التفكير يرى عطف الله ورحمته وحنانه

---

[4] سورة الأنعام – الآية:28.

[5] سورة الأنعام – الآية:124.

به ويرى أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، فيتنازل عن رأيه وتكبُّره على خالقه فيحبُّه ويقبل عليه وينال الخير والسعادة.

وبعد أن حذرنا تعالى من نتائج التكذيب وما يعود به الفعل الخبيث على صاحبه من سوء المصير وما سيوقع به نفسه، دلَّنا على طريق التغيير والسير باتجاه الحق والتوبة لاكتساب الكمال منه تعالى بالإقبال عليه، فهو منبع كل خير ومعدن كل كمال.

20- **﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾**: محتقر بنظركم. أي انظر أيها الإنسان وفكِّر في أصلك وما كنت عليه وكيف تكوَّنت وممَّ خلقت. خلقت من ذلك الماء الذي تحتقره وتشمئزّ منه. فمن هذا الماء تكوَّنت. كنت تسبح به مع ملايين النطاف وصرت إنساناً سوياً، فمن ذلك الماء المهين خلقك الله سبحانه وتعالى وجعل لك ما جعل من الأجهزة والأعضاء والدم والعروق والعظام، أفلا تفكِّر بهذا كلّه؟! أفلا تفكِّر بفضله تعالى عليك؟! ولولا ما خلق الله لك في أحسن تقويم ما كنت لتستطيع أن تعمل شيئاً. إن فكرت بهذا اهتديت وعرفت أن لك خالقاً مربياً ومسيِّراً فتقبل عليه وينطبع بك الكمال والرحمة والحنان، فتعمل المعروف وتنال الجنة.

سورة المرسلات: [21-30]

21- **﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾**: بأمان، في رحم الأم المكان المناسب الجامع للشرائط الضرورية لحياة الجنين، ففيه الحرارة المناسبة والغذاء اللازم لك، فمَن الذي أوجد لك هذه الشرائط الضرورية لحياتك، وجعل لك رحم أمك مستودعاً أميناً وقراراً مكيناً حتى صرت إنساناً سوياً كامل الخلقة؟ أفتنسى هذا الفضل وهذه الرحمة والعناية التي رعاك ويرعاك الله بها حين تبلغ أشدّك؟!

22- **﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾**: تسعة أشهر أو سبعة أشهر "سبيعي".

23- **﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾**: بأثنائها أنعمنا عليه بالخلق والسمع والبصر والفؤاد.

24- **﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾**: الذين ما فكروا بهذا الشيء، فهؤلاء سيكونون خاسرين.

25- **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾**: فيها كفاية دائمية لكم من طعام وشراب، كفاية دائمية كافية لكل آتٍ مما خلق وسيخلق الله. فلماذا الخوف والحرص والله متكفل برزقك أيها الإنسان من طعام وشراب وكل شيء مما يلزمك؟ وهذه الآية تنفي نظرية "مالتوس" القائلة بأنه إن لم تحدث حروب ففي عام ألفين للميلاد سوف تحدث مجاعات وأن الأرض لن تفي باحتياجات البشر لأنها تكون قد استهلكت مدخراتها الغذائية.

26- **﴿أَحْيَاءً﴾**: المقبلين على الله الذين حييت نفوسهم بالإقبال على الله، وهم الذين فكروا بفضل الله تعالى وضحَّوا وأنفقوا كلَّ غالٍ ومحبَّب على نفوسهم، وقدَّموا صالح الأعمال لله، فصاروا بصلاة مع الله، هؤلاء يعطيهم الله ولا ينقص عليهم شيئاً، ولهم سعادة الدارين.

كذلك يأخذ هؤلاء من مكتسبات الأرض مما كسبت من ربها، فلكل شيء صورة وحقيقة، فالوردة صورتها جميلة وحقيقتها أجمل بما يمدها الله به من أسمائه الحسنى. والمؤمنون يرون ويأخذون ما وراء الصورة، يرون إمداده تعالى عليها فيقبلون عليه فيتجلى عليهم، بعدها يأخذون عطاءهم من الله عن طريق رسوله، فالدنيا لهؤلاء المؤمنين فيها رقي كبير وعظيم.

﴿وَأَمْوَاتًا﴾: للمعرضين الذين أعرضوا عن ربهم، ما شاهدوا فضله وحنانه ورحمته، أصروا على الدنيا، هؤلاء لهم الاختيار والله يعطيهم ما أرادوا وصمَّموا عليه، فالأرض فيها كلُّ شيء مما يحقِّق

لهم شهواتهم من طموحاتٍ دنيوية، مال وجاه ونساء وأولاد وأكل وشرب، والله يعطيهم إياها، ولكنّهم بهذا يخسرون خسراناً كبيراً.

27- ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾: جبال تثبتها، تثبت الأرض من الانسياح، ولولا هذه الجبال التي خلقها الله لانساحت القشرة الأرضية، فهذه الجبال أوتاد تثبت الأرض في جريها وسيرها في نظام دورانها اليومي من الانسياح.

﴿**شَامِخَاتٍ**﴾: بالفضاء، عالية عظيمة كبيرة، اشتقت من الله العظمة، وكل من يبغي الإيمان وينظر فيها ويفكر يرى عظمة الله بها.

وهذه الجبال مثلما تثبت الأرض بالصورة من عدم الانسياح كذلك تثبت الأرض بالحقيقة. فهذه الأرض نفس ألبسها الله هذا الثوب وجعل لها هذه الوظيفة لخدمة الإنسان، وتكون سبباً لإيمانه بربه، فعندما تشاهد ما يحدث عليها من فساد وفجور وإجرام ومعصية لله تصل لدرجة لا تتحمل فيه هذا الفساد وتكاد تترك وظيفتها، فيأتي دور الجبال وتثبتها على خدمتها ووظيفتها.

﴿**وَأَسْقَيْنَاكُمْ**﴾: انظروا لهذا الفضل. ﴿**مَاءً فُرَاتًا**﴾: فرَّ عنه كل أذى، آتٍ هذا الماء من خزانات الجبال العالية، فالماء دائماً يجري من أعلى إلى الأسفل وتكون مياهه نظيفة طاهرة لا جراثيم فيها عند المنبع، فالله سبحانه وتعالى طهَّره لك حباً بك وعطفاً عليك.

28- ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ**﴾: يوم القيامة. ﴿**لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾: كم خسروا بعدم إيمانهم وسلوكهم. الذين كذبوا الحق الويل لهم، حيث سيحل بهم الشقاء والحسرة والندامة عندما يرون ما خسروا من فضل وعطاء أعدَّه الله لهم وقد أضاعوه بتكذيبهم.

29- ﴿**انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾: إلى النار، كالذي يصرخ ألماً من أوجاعه ويطلب الذهاب إلى المشفى، كذلك هؤلاء المكذبون الذين كذَّبوا بالحساب والنار، غداً تحلُّ بهم الآلام والأوجاع ويطلبون النار التي هي مشفى، فيقال لهم انطلقوا إليها. وفي الحديث الشريف: **"إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر عليَّ مما ألقى، وإنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب"**[6]

30- ﴿**انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ**﴾: ثلاث أمكنة للمداواة وهي تشمل المنافق والكافر والفاسق، فلكلٍّ منهم مكان يداوى به. فالله لا يتركهم بل رحمته تقتضي علاجهم.

سورة المرسلات: [31-40]

31- ﴿**لَا ظَلِيلٍ**﴾: لا يجد غيره، لا يجد غير النار، فلا ظليل له غيرها، الظليل هو التجلي الإلٓهي، فالمؤمنون يستظلون بهذا التجلي الذي يتجلى الله به عليهم، الكافرون والمنافقون والفاسقون لا يستطيعون أن يستظلوا بربهم بسبب أعمالهم السيئة وخجلهم من ربهم ولأنهم ما عرفوا ربهم في الدنيا ولم يؤمنوا به فيستظلون بالنار، والنار ليست ظليلاً لهم فلا يجدون فيها السعادة، وإنما السعادة لمن استظل بربه، فالنار تسكِّن مؤقتاً ولا تشفي. (ولا تشفى نفس إلاَّ بربها). ﴿**وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ**﴾: لا يجد شيئاً يدفع عنه، لا يشفي اللهب الذي بنفسه، حريق النار ينسيه ويخفف عنه فقط، الشفاء بالله

---

[6] المستدرك على الصحيحين للحاكم، رقم الحديث /8871/

وحده، النار لا تشفي. بإقبالك عليه تعالى التجلي الإلٓهي يمحو السوء من نفسك، الشافي هو الله لا أحد سواه، إذن لا بدَّ من الإيمان للنجاة.

32- ﴿**إِنَّهَا**﴾: النفس التي تلتهب فيها جهنم. ﴿**تَرْمِي**﴾: جهنم النار التي بنفس هذا المعرض، نار الشهوات المحرمة ونار الخزي والعار والحسرة والندامة على ما فرَّط به وما خسر من مقام عالٍ وجنات وسعادة أعدها الله له. ﴿**بِشَرَرٍ**﴾: فالله سبحانه وتعالى يشبه لنا حال هذا المعرض وما بنفسه من هياج نار جهنم كالنار التي يخرج منها الشرر ويتطاير من شدتها وقوتها، وهذه الحالة الصعبة الرهيبة تجعله يطلب نار الله الموقدة ويرمي بنفسه عليها حتى ينسى ما به من جهنم. ﴿**كَالْقَصْرِ**﴾: تحصرهم حصراً بأعمالهم الشريرة السابقة، حالتهم جهنمية تحيط بهم، فهؤلاء المعرضون الذين جاؤوا للدنيا وما فكروا وما سلكوا طريق الإيمان وما سمعوا من رسول الله ﷺ ما يدلُّهم على الله وما توصلوا للإنسانية والعمل الطيب الناتج عن الإيمان بالله، بالآخرة مقصورون على هذه الحالة الجهنمية الصعبة وهي محيطة بهم كما يحيط السور وتحيط الأشجار بالقصر.

33- ﴿**كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ**﴾: فحالتهم هذه كحال الجمال الهائجة التي أصابها مرض وخوف وذعر، فهذا المعرض وبما فيه من آلام وندامة وجهنم تهيج نفسه مثل الجمال الهائجة التي أصابها الذعر والخوف.

34- ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾: الذين كذَّبوا بالحق وكذَّبوا الرسل، ما طبقوا دلالة الخالق العظيم، ساروا بهوى أنفسهم وأهوائهم المهلكة، سيرهم واختيارهم بماذا سيعود عليهم يوم القيامة؟!

35- ﴿**هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ**﴾: لا يستطيعون الكلام لأنهم مشاهدون لأعمالهم وهي ماثلة أمامهم، لذا فهم لا يستطيعون أن ينطقوا بأي كلمة.

36- ﴿**وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ**﴾: حيث لا فائدة من الاعتذار، فالذي يعتذر يُغَيِّرْ ما هو فيه ويُقبل بعد التغيير، وهؤلاء بما أنهم لم يغيِّروا فلا فائدة من اعتذارهم.

37- ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾: لابد من العلاج.

38- ﴿**هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ**﴾: الذين لحقتم بهم وجعلتموهم أئمة واتبعتم كلامهم بدل كلام الله ورسوله ﷺ، كذلك الحضارة التي قامت الآن إنَّما قامت على أساس حضارات الأولين ونظريات علمائهم أمثال تالس، أرخميدس، فيثاغورث... وغيرهم، "الكهرباء كانت موجودة في الشوارع قبل أديسون، ولكن هو أدخلها للبيوت".

39- ﴿**فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ**﴾: ماذا تفيدكم اختراعاتكم وخططكم الدنيوية؟! الآن ضيعتم سعادتكم من أجل الدنيا وما فيها. وأنتم ما خُلقتم لها بل للسمو والعلو.

40- ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾: كلمة {**وَيْلٌ**}: مأخوذة من كلمتي "وَيْ" و "ولَّى". وي للتعجب، أي كم ولَّى عنهم من خيرات ضيَّعوها! ولّى عنهم كلُّ شيء؛ الدنيا وشهواتها والآخرة وسعادتها وما أعدَّه الله لهم فيها.

سورة المرسلات: [41-50]

41- ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ**﴾: في ظلال التجليات الإلٓهية، تجليات إلٓهية متزايدة. ﴿**وَعُيُونٍ**﴾: من الخيرات والأسماء الإلٓهية الحسنى التي تفيض عليهم.

42- ﴿**وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ**﴾: لذائذ عظيمة.

43- ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: كل ذلك لكم بسبب ما قدمتم من أعمال طيبة عالية.

44- ﴿**إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾: قانون عام، هذا العطاء لكل محسن.

45- ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾: ذهب هذا العطاء عنهم، خسروا سعادتهم وجناتهم.

46- ﴿**كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا**﴾: بهذه الدنيا. ﴿**إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ**﴾: لا خير فيكم.

47- ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾: الويل لهم بسبب تكذيبهم وانشغالهم بتمتُّعهم وأكلهم حتى زال عنهم كل خير.

48- ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ**﴾: إذا قال لهم الرسول وأهل الإرشاد اخضعوا لأمر الله، فكِّروا بهذا الكون تستعظموا ربكم وتصلُّوا، لكنهم لم يطبقوا.

49- ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾: كم ولّى عنهم من خيرات بسبب عدم طاعتهم وسماعهم كلام الحق**!**

50- ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾: بعد هذا البيان الحق العالي والدلالة على الله. فبأي حديث يؤمنون بعده؟**!**

والحمد لله رب العالمين.

تأويل جزء عم

لقد أفردنا لتأويل الجزء الأخير من القرآن الكريم (تأويل جزء عمّ) تطبيقاً خاصاً به، يمكن تحميله من خلال تتبع الرابط التالي:

اضغط هنا للتحميل

فهرس لمحتويات الكتاب